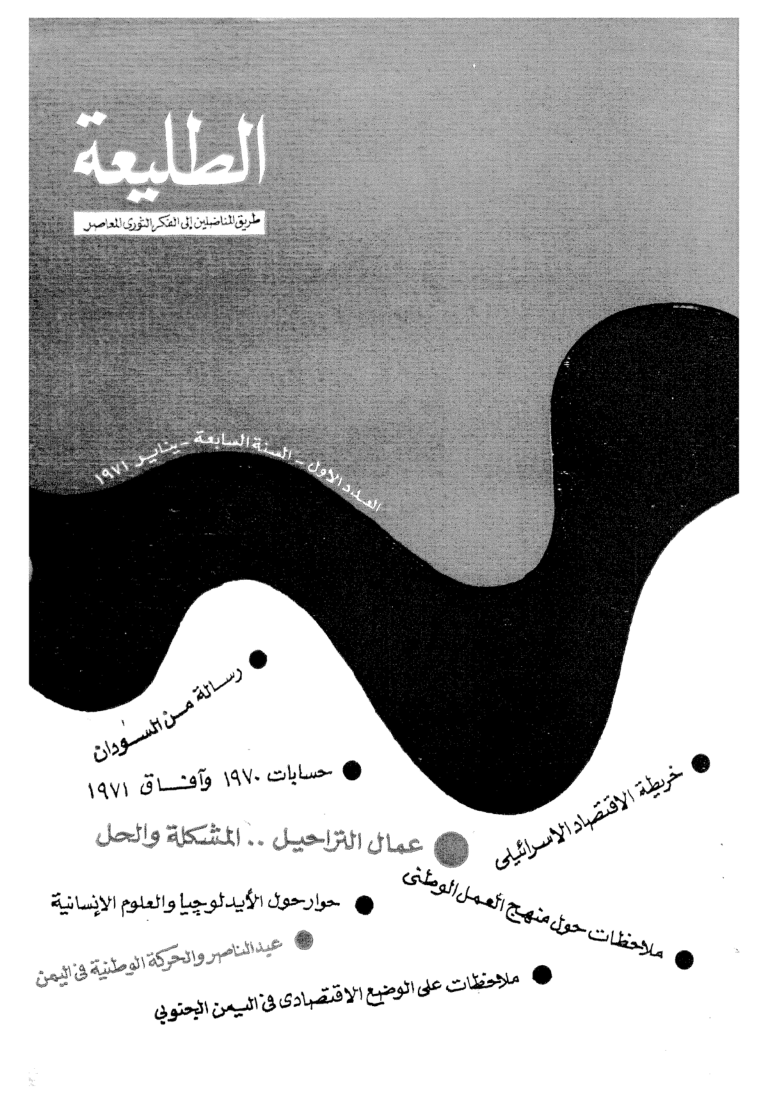



الطليعة
طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر
العدد الاول - السنة السابعة - يناير ١٩٧١
رسالة من السودان
حسابات ١٩٧٠ وآفاق ١٩٧١
عمال التراحيل .. المشكلة والحل
حوار حول الأيدلوجيا والعلوم الإنسانية
عبد الناصر والحركة الوطنية فى اليمن
ملاحظات على الوضع الاقتصادى فى اليمن الجنوبى
خريطة الاقتصاد الاسرائيلى
ملاحظات حول منهج العمل الوطنى



طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية

تصدر اول كل شهر

■

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون ٤٦٤٦٤ ـ ٥٩٠١٠ ـ ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج.ع.م ودول اتحاد البريد العربى ودول السودان البيضاء ١٢٠ قرشا .

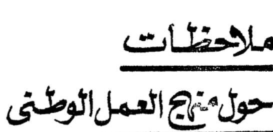
الفهـــــرس

العدد الاول ـ السنة السابعة ـ يناير ١٩٧١

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعـــة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ــ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقة فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الـــرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حيـــاتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » ؟ .

الافتتاحية



تحت ستار جهود التسوية ومبادرة السلام والحياد والبعد عن التحيز والمساعي المبذولة للتوصل الى حل « عادل » لقضية النزاع العربي الاسرائيلي ، تقوم الولايات المتحدة الامريكية بتزويد اسرائيل بمزيد من احدث الاسلحة والعتاد الحربي وبتوجيه أضخم عملية حشد وتعبئة لقوى الثورة المضادة ، وتمارس أعظم قدر من الضغط على الحكومات في الهيئات والمنظمات الدولية لاستقطابها الى جانب التحالف الامبريالي الصهيوني ، ولاجهاض اية محاولات للتسوية وتخريب كل جهد يبذل من أجل تصفية آثار العدوان · فهي تتشدق بعبارات جوفاء لا تغني ولا تسمن مقابل تصرفات ومواقف عملية فعالة ، تتسم بأقصى درجات العداء لحركة التحرر الوطني في العالم العربي ·

ويمكن أن نلمس الاتجاه الواضح لسيادة منهج التشدد والعنف في المرحلة الاخيرة من المواقف التالية :

● التواطؤ الصريح مع اسرائيل أثناء مناقشة أزمة الشرق الاوسط في الجمعية العامة للامم المتحدة والضغوط والمناورات التي مارستها ضد مشروع القرار الافروآسيوي ثم تعهد امريكا باستخدام « الفيتو » في مجلس الامن لرفض أي قرار يصدر ضد اسرائيل أو أي تفسير يضعه المجلس لقراره رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ والدفاع عن حق اسرائيل في رفض أي قرار من هذا النوع ، مع السعي لابعاد الدول الثلاث الكبرى عن المشاركة في بحث المشكلة أو التدخل عند استئناف الاتصالات بوساطة يارنج .

● نزول نيكسون على ما طالبت به حكومة جولدا مائير بعدم الضغط على اسرائيل حول مسألة « حدودها المقبلة » وترك موضوع تخطيط الحدود الى « مفاوضات مباشرة بين أطراف النزاع » ، رغم ما في ذلك من نكوص على التصريح السابق لروجرز الذي أدلى به في أوائل العام الماضي بأن أية تغييرات في

الحدود تكون مجرد « **تعديلات غير جوهرية يقتضيها الامن المتبادل** » • فقد تم الاتفاق بين ابا ايبان وروجرز باستخدام فكرة « الحدود التى يمكن أن تحميهم » فى التصريحات الرسمية ، وهو التعبير الذى استخدمه نيكسون فيما بعد • ومن المعروف أن الدوائر الرسمية ، مازالت تتمسك بالمطالبة بمرتفعات الجولان والقدس وشرم الشيخ وقطاعات أخرى من الاراضى العربية •

● تدفق المساعدات الاقتصادية والاسلحة الهجومية الحديثة بسخاء لم يسبق له مثيل على اسرائيل ، فقد وافق الكونجرس على طلب الحكومة الامريكية باعتماد ٥٠٠ مليون دولار خلال السنة المالية الحالية [٧١/٧٠] أى نصف مجموع اعتمادات المعونة العسكرية الخارجية • كما طالبت جولدا مائير فى رسالتها لنيكسون بأن تضمن أمريكا تسليح اسرائيل لمدة سنتين أخريين ، كشرط لاستئناف المباحثات .

وقد أشارت صحيفة **لاكروا** الفرنسية الى التناقض فى موقف الحكومة الامريكية اذ جاء بها [١٢/٩] أنه « من الغريب ان يؤكد الرئيس **نيكسون** وبطريقة علنية بأن مساندته لاسرائيل لن تقف عند حد ، بينما كان منذ بضعة أشهر فقط يحاول أن يقود اسرائيل الى الطريق المؤدى الى التفاوض »

ولكننا نشهد نفس الظاهرة فى موقف السلطات الاسرائيلية ، حينما خرج الجنرال **ديان** عن صورته المألوفة باعتباره من كبار **الصقور** فى اسرائيل ، ليبدو بمظهر العضو الجديد فى صفوف **الحمائم** عندما دعا الى « استئناف اسرائيل محادثات السلام ، دون الاصرار على سحب مصر لصواريخ سام من مواقعها الامامية » وكان من قبل قد أرغم جولدا مائير **وأبا ايبان** على قطع المباحثات مع يارنج عندما هدد بالاستقالة اذا لم يستجيبا لمطلبه ، ثم عاد بعد زيارته الى **واشنطن** الى زمرة الصقور .

لكن ، هل حقا يوجد تناقض فى موقف أمريكا واسرائيل ، أم أن الامر لا يعدو كونه **وجهى عملة واحدة تطرحها الدوائر الامبريالية الصهيونية فى تعاملها مع المنطقة** ، **وفى اطار خطة موحدة** ؟ هل الموافقة على استئناف المباحثات يعنى بالضرورة أنهما يتجهان الى نبذ سياسة القوة ، والسعى باخلاص للتوصل الى حل للمشكلة بالطرق السلمية ؟

من الواضح ان اسرائيل لم تتخل بعد عن أطماعها التوسعية ، وهى لا تفهم الا منطق القوة — سواء الكامنة منها أو المنطلقة من اسارها — وهى تلقى فى ذلك تأييدا ومساندة كاملة من الولايات المتحدة الامريكية وكل الشواهد تشير الى أن المخطط المشترك فى المرحلة القادمة يتوخى الاتى :

المناورة بعملية المشاركة والامتناع عن المباحثات •• استئناف وقطع الاتصالات بيارنج **كتكتيك** للتسويف والمماطلة ، ليس الهدف منه ممارسة الضغط فى اتجاه التوصل الى حل مقبول من الطرفين ، بل **لتثبيت** خط وقف اطلاق النار الحالى لاطول مدة ممكنة ، وتمديد حالة « الهدوء » على الجبهة الى ما لا نهاية ، هذا كهدف مباشر ، الى جانب ما يتيحه استمرار حالة الركود من تنشيط عوامل التآكل والتمزق الداخلى فى العالم العربى وداخل كل بلد عربى على حدة • وهناك محاولة دفع الرأى العام العالمى الى اتخاذ موقف سلبى تجاه قضية الصراع العربى الاسرائيلى مع مرور الزمن وتحت وطأة « البلبلة » التى تثيرها عمليات الشد والجذب فى « لعبة » المفاوضات .

ان **هدف** التحالف الامريكى الاسرائيلى يتلخص فى **تجميد وتثبيت الموقف** مع دعم القوة العسكرية لدولة العدوان ، بأمل فرض سياسة **الامر الواقع** بالنسبة للارض المحتلة — كلها أو أجزاء اساسية منها — تحت تصور امكانية اغتيال الحق

العربى « **بالتقادم** » طبقا لما حدث من قبل باغتصاب اراض عربية اضيفت الى المساحة التى خصصها قرار التقسيم لدولة اسرائيل .

ويضارب التحالف الامبريالى الصهيونى على صلاحية هذا المناخ لتقويض واضعاف التضامن بين حركة التحرر العربى والعالم الاشتراكى ـ وفى مقدمته الاتحاد السوفيتى ـ وتفجير الخلافات والصراعات بين الدول العربية ـ يشجعه على ذلك الاثار التى ترتبت على اعلان مشروع روجرز ، وأخطرها ، الضربة التى كالتها الرجعية الاردنية لحركة المقاومة الفلسطينية المسلحة ـ ثم تنشيط عناصر الثورة المضادة ودعاة التهادن مع امريكا للتسلل من خلال الثغرات فى بعض الانظمة العربية الوطنية ، حيث مازالوا يشغلون مواقع هامة فى اجهزتها ومؤسساتها ، ويستفيدون من ضعف التنظيمات الشعبية وتفككها والافتقار الى الحريات الديمقراطية .

يوضح هذا الاتجاه تصميم اسرائيل على القول بأن وقف اطلاق النار الحالى **غير محدد المدة** وتتجاهل حقيقة انتهائه فى ٤ فبراير . وقد اشار بيان مجلس الوزراء الى الحاجة الى « دعم ومد » وقف اطلاق النار » وأكدت الانباء الواردة من تل ابيب ـ **يونايتدبريس** ـ ان اسرائيل تشترط وضع اتفاق رسمى موقع من اطراف النزاع على وقف اطلاق النار مقابل استئناف اتصالاتها مع مبعوث الامم المتحدة ، وهذا بعد استجابة امريكا للنقاط او «الضمانات» التى اثارتها وطالبت بها الرسائل الشخصية والاتصالات الرسمية التى تبادلتها جولدا مائير وديان وأبا ايبان مع نيكسون والمسئولين الامريكيين .. تلك الاستجابة التى بلغت حد الموافقة على « تعديل مشروع روجرز » الذى يؤكده اسقاط امريكا لاى تعبير ينطوى على الدعوة لانسحاب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة .

وقد اكد رئيس الحزب الدينى الوطنى الاسرائيلى ان السلام بالنسبة لاسرائيل سوف يكون أسوأ بكثير من الموقف الحالى ـ **لا سلام ولا حرب** ـ لان السلام يعنى التخلى عن الاراضى العربية التى كسبتها اسرائيل فى حرب يونيو . وأعلنت جولدا مائير فى خطابها امام الاعضاء العاملين فى حزب العمل « نحن مضطرون **للبحث عن طريق من خلال الطرق المعقدة حتى يمكن أن نواصل حياة الهدوء التى بدأت مع بداية الشهور الثلاثة لوقف اطلاق النار** » وحذرت من ان اسرائيل قد تفقد فى مباحثات السلام ما كسبته فى الحرب .

وهناك تصريح **ابا ايبان** بأن عام ١٩٧١ سيكون « **عام مباحثات** » ، ثم مطالبتها « بضمان » تسليح قواتها لعامين تاليين [٧٢ / ٧٣] يعنى تخطيطها لفترة تمتد سنوات من المفاوضات من موقع « القوة والتفوق العسكرى » .

وبطبيعة الحال فان اسطورة الضغوط التى تزاولها اسرائيل على امريكا هى من السذاجة بمكان ، لا تعنى اكثر من الاستخفاف بالعقول والرأى العام ، الذى يدرك طبيعة وأبعاد العلاقة فى التحالف الامريكى الاسرائيلى .

● ● ●

اذن فالمخطط الامبريالى الصهيونى يتلخص فى تجميد خط المواجهة العسكرية الراهن وتثبيت وتمديد وقف اطلاق النار ، والحفاظ على حالة « لا سلام ولا حرب » ، والبحث عن طريق ـ لا للتوصل الى حل سلمى بل ـ « لمواصلة حياة الهدوء » .

وفى مواجهة هذا المخطط يصبح من السذاجة بمكان الموافقة على مد فترة وقف اطلاق النار مرة أخرى بعد ٤ فبراير ، مقابل استئناف المباحثات وحدها ، مما يعنى السقوط فى الفخ الذى نصبه العدو لنا . ولذلك تبدو ضرورة **تحريك** الموقف فى مواجهة محاولة **تجميده** ، وتظهر الحاجة الى **الدفع به خطوة الى الامام** ، لا السماح

بغمره فى مستنقع الركود ومتاهات المناورة «بوصل وقطع» المباحثات • ومن هنا كان الموقف الحكيم للقيادة السياسية المصرية ، عندما اعلن الرئيس **أنور السادات** بوضوح «**لن أوافق على وقف اطلاق النار الا فى حالة واحدة فقط ، وهى اذا كان هناك جدول زمنى للانسحاب محدد فعلا ، أما غير هذا فليس لدى استعداد لقبوله ، لان الوضع سينقلب الى حرب باردة قد تطول الى عشرين سنة أخرى» •• «الانسحاب الفعلى المنجز ، والا فليس أمامنا الا معركة ضارية مع العدو نصون بها عزتنا وكرامتنا ، ونسترد بها ارضنا ومقدساتنا**» .

● ● ●

كل المؤشرات تؤكد أن المعركة بمقياس الزمن ستطول وتمتد ، وبمعيار الجهد ستكون عنيفة ضارية مريرة ، تقتضى مزيدا من المثابرة والتضحيات والعمل الجاد المخطط •

وتفرض علينا الظروف المتغيرة فى الواقع الدولى والعربى والمحلى ، أن نركز قوانا ونعبئها فى مختلف مجالات النشاط العسكرى والسياسى والاقتصادى للارتفاع الى مستوى مسئولية المواجهة الصعبة .

● ● ●

● **نجحت** الدبلوماسية العربية فى كسب قطاعات عريضة من الرأى العام العالمى الى جانب الحق العربى ، واحرزت انتصارات فى هيئة الامم ، من أهمها القرار الذى أصدرته الجمعية العامة بموافقتها بأغلبية ساحقة على المشروع الافروأسيوى ، وترتب عليه عزلة اسرائيل وأمريكا فى المجال الدولى •

وعلينا أن نحافظ على هذا الرصيد الايجابى ، وهى مهمة ليست سهلة ، خاصة فى العالم الغربى وبعض البلدان النامية حيث تسيطر الدوائر الاستعمارية والصهيونية على أجهزة الدعاية والتوجيه الاعلامى •ويجب الا نعول كثيرا على القدرة الذاتية للرأى العام على التخلص من تأثير الدعايات الصهيونية ، وقد كشفت أنباء محادثات **واشنطن** أن المسئولين الامريكيين والاسرائيليين يعدون لحملة اعلام مشتركة • ومن المتوقع أن تستهدف اظهار وقف اطلاق النار فى حد ذاته «كموقف سلامى» ، والعودة الى القتال ــ بغض النظر عن أن الهدف منها هو تحرير أرض مغتصبة ــ «كانتهاك للسلم» و «تحرك عدوانى» ، والعودة الى استجداء العطف بالتنكر فى صورة «الشعب المهدد بالابادة» •• الخ مما عهدناه فى الدعايات الصهيونية •

وقد تقرر فى خطة التحرك السياسى العربى تغطيه الدول الاشتراكية ، وغرب اوروبا وآسيا وافريقيا ، وامريكا اللاتينية ، لشرح الموقف العربى فى ضوء الظروف الجديدة ، قبل أن ينتهى الاجل المحدد لوقف اطلاق النار • وهنا يجدر بنا أن نضع خطة مدروسة للتحرك ، واختيار اصلح العناصر للقيام بها ، مع مراعاة الخصائص المميزة لكل شعب والاتجاهات السائدة فيه ووسائل الاقتراب والتأثير عليه • كما يتطلب الامر توسيع دائرة المبعوثين لتشمل أكفأ العناصر وأقدرها على الاقناع وأكثرها دراية بمنهج تفكير هذا الشعب او ذاك ، ونظرته للمشكلة ، مع استخدام معايير التمكن من اللغة والقدرة على الحوار والالمام بالقضية •• الخ من مؤهلات دون التقيد بالمستوى الوظيفى أو موقع ونوع العمل •

ومن الاهمية بمكان مراعاة الا يقتصر الاتصال بالحكومات والهيئات الرسمية ، بل يمتد الى المؤسسات الشعبية ، مع التركيز ــ بصفة خاصة ــ على تدعيم العلاقات مع المنظمات العاطفة والنشطة فى الدعوة للقضية العربية ، كالاحزاب الشيوعية

والتقدمية والعديد من تنظيمات الشباب وجمعيات الصداقة والتضامن التى شكلت فى السنوات الاخيرة للدفاع عن الحق العربي والنضال ضد النفوذ الصهيونى ، فالتنسيق مع هذه التجمعات الثورية يضمن استمرار وفاعلية التحرك لفضح المخططات الصهيونية

● ● ●

كان اعلان القاهرة الخاص بالعمل على اقامة اتحاد ثلاثى ، والذى انضمت اليه سوريا فيما بعد ، يشكل حدثا هاما بالنسبة لمستقبل الدول العربية ولتعزيز الوجود العربى ، خاصة وأنه جاء فى الوقت الذى كان الاستعمار يأمل فيه أن تزداد الخلافات بين الدول العربية .

ويؤكد الطابع الايجابى للاتحاد الاتجاه الى تجنب الارتجال والاستعجال والانسياق وراء العواطف ، لوضع اسس راسخة لمزيد من التلاقى والتلاحم بالعمل على مراحل وبأسلوب مخطط ، ذاكرين قول **عبد الناصر** « ان تطور العمل الوحدوى نحو هدفه النهائى الشامل يجب أن تصحبه بكل وسيلة جهود عملية لملء الفجوات الاقتصادية والاجتماعية الناجمة من اختلاف مراحل التطور بين شعوب الامة العربية » .

ومما لا شك فيه أن وحدة القوى الثورية على النطاق العربى وفى كل بلد على حدة هى الدعامة الاساسية لتكامل الطاقات البشرية والمادية فى المعركة المصيرية التى نخوضها اليوم ، وفى ارساء مقومات الوحدة العربية فى المستقبل . كما ان صيغة الجبهة بين المنظمات والقوى الوطنية والثورية — **دون استثناء** — هى الصيغة الوحيدة الملائمة لوحدة العمل بين هذه القوى .

● ● ●

ومن المؤسف حقا ، أن صيغة الجبهة الوطنية رغم اقرارها من جانب جميع القوى الثورية ، الا أن بعض هذه القوى عندما تمسك بزمام السلطة ، تخضع لاغراء استخدامها فى التصفية البدنية والقمع ضد الفصائل الثورية الاخرى ، بسبب خلافات ثانوية ، ترفعها الى مرتبة التناقضات العدائية ، مما يهدد الكيان الوطنى كله بالخطر . وهى مرحلة وأسلوب يجب أن تتعداه الثورة العربية ، وقد اصبح مدانا من جانب الجماهير الشعبية ، لانه لا يخدم الا المصالح الاستعمارية ، فى مرحلة عصيبة من نضالنا ، تتطلب تعبئة كل القوى لمواجهة العدو والتصدى لمؤامراته وعدوانه .

ما زالت الرغبة فى احتكار السلطة والانفراد بالعمل السياسى تسود العديد من المنظمات الثورية والانظمة التقدمية . وهنا نلحظ أن العداء **ينصب أساسا على فكرة « التنظيم » او « المنبر والتشكيل المستقل »** ، الذى يعبر عن هذه الفئة أو تلك من قوى الشعب العاملة ، ويعكس منهجا متميزا فى التفكير وايديولوجية خاصة بها . والغريب أن هذه القوى رغم اقرارها لقانون الصراع الطبقى ، ترفض تطبيقه فى الواقع العملى وتأبى السماح للصراع بأن يأخذ مجراه الطبيعى البناء داخل اطار التحالف الوطنى ، فتصمم وتعمل جاهدة على تصفية المنظمات « الموازية » أو منع نشوئها ، بصور متباينة ، بعضها صريح يستند الى تبريرات نظرية والبعض الاخر مستتر يجرى فى الخفاء . الاتجاه العام ينحو الى تجميع « **الافراد** » من مختلف الفئات الاجتماعية داخل الوعاء التنظيمى الواحد ، دون كفالة حق التعبير والمشاركة — فكرا وتنظيما — كفئات اجتماعية متميزة داخل التحالف .

لكن الصراع الطبقى يتابع حركته بلاتوقف . وكل محاولات طمسه لا تجدى ، بل تؤدى الى نقيض المتوخى منها ، بتفجير جوانبه السلبية التى تطغى على الجانب البناء ، فتمزق وحدة الصف الوطنى وتخلق ثغرات خطيرة ، تسمح بتسلل عناصر الثورة المضادة للاطاحة بالثورة كلها ، بجميع فصائلها .

المعركة سوف تكون **طويلة ومريرة**،والنجاح فى التصدى لمهمة التحرير يتوقف أولا وقبل كل شىء على مدى **صلابة وقوةوتماسك الجبهات الداخلية** للقوى الثوريةفى العالم العربى ٠

وصلابة الجبهة الداخلية تتطلب نبذ اتجاهالتمسك بالانماط التقليدية فى الحكم،القائمة على القرارات العلوية والنشاط الفوقىوتجاهل حركة الجماهير وعزلها عن المشاركة فى السلطة ٠

لقد أكد رئيس الجمهورية وبيانات اللجنةالمركزية للاتحاد الاشتراكى ومجلس الامة الاهمية البالغة والحاسمة لتنشيطالمؤسسات السياسية والديمقراطية، والدستورية «فالجميع شركاء فى تحمللمسئولية الامانة الكبرى»، وأن هذه المؤسسات سوف تضاعف من تحملهاللمسئولية ومن فاعليتها ٠

واقرت الامانة العامة خطة عمل التنظيمالسياسى «**حتى تتأكد سلطة الشعب فوق كل السلطات**» مؤكدة اهمية التركيز على**الوحدة الاساسية** وهو ما يجب أن يتجسد فى النشاط العملى، فى مواجهة اتجاه مازال نطاق رؤيته للمؤسسات لا يتعدى «الهيئات القيادية» بها، ويتجاهل القاعدةالشعبية ٠

ولان القيادة السياسية تدرك أن المعركة**طويلة ومريرة**، فقد أبرزت الامانة العامة ـ فى خطة العمل ـ ضرورة التركيز على**التعبئة السياسية وزيادة الحشد من أجل المعركة** ٠

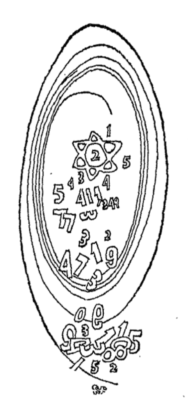
والواقع أن هناك مفهومين للتعبئةالسياسية : **احدهما**، يتمثل فى توجيه الحملات الاعلامية والنزول الى الوحدات القاعدية، **بعد اتخاذ** القرارات وتحديد **الاتجاهات**، لشرح القرار وتفسيرهوتعبئةالناس من حوله . اما **المفهوم الاخر** ـ المنهج الديمقراطى ـ فيبدأ باطلاع الجماهير علىالحقائق وتعريفها بالواقع وطرح المشكلات عليها دون اخفاء لأية جوانب منها، مهمابدت قاتمة ٠٠ عرض الاحتمالات والتوقعات والحلول المقترحة، ثم ادارة حوار واسععلى أسس ديمقراطية، بصدر رحب يسمح بحرية التعبير وابداء الرأى، **قبل** اتخاذالقرار، حيث تشارك الجماهير فى صياغته

وفى ضوء الظروف الجديدة المتغيرة،علينا أن نغير أساليب العمل، لتتسق مع متطلبات المعركة، بأن نجسد شعار «**تأكيدسلطةالشعبفوق كل السلطات**» فىالواقع العملى ٠

«الطليعة»

خريطة الاقتصاد الاسرائيلى

احمد صادق سعد



تكمن جذور السياسة العدوانية والتوسعية الاسرائيلية فى طبيعة الاقتصاد الاسرائيلى ، وفى نوعية الطبقة الحاكمة التى تستفيد منه ، وفى الوقت نفسه ، فان حالة التمزق والازمات التى اندلعت وظهرت على السطح عقب قبول القاهرة لمبادرة روجرز — هى أيضا انعكاس للتناقضات الداخلية الشديدة التى يحتويها ذلك الاقتصاد الاستعمارى والتابع فى وقت واحد .

كيفية تكوين التراكم البدائى

يتغنى دعاة الصهيونية بالقدرة الاقتصادية الاسرائيلية ، غير أن النظرة الفاحصة لها تكشف لنا عن الطبيعة المزدوجة للتراكم البدائى الذى بنى عليه اقتصاد اسرائيل .

فمن جهة ، حصلت الطبقة الحاكمة الاسرائيلية على مجموعة عظيمة من الممتلكات الاستثمارية فى عملية اغتصاب الاراضى والمبانى والمهمات العربية الاخرى فى حروب التوسع الثلاث التى شنتها تل أبيب فى سنوات ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، تلك الممتلكات التى تقدر قيمتها بعدة مئات من ملايين الجنيهات الاسترلينية . (١) ، ومن جهة أخرى، حصلت هذه الطبقة على مبالغ طائلة من القوى الاجنبية ، ففى الفترة بين ١٩٥٢ و ١٩٦٤ ، كان مجموع المعونات والاموال غير المستردة التى وفدت الى اسرائيل ٣٧٠٦ مليون دولار ، ومجموع القروض والاستثمارات ٣٢٥٦ مليون دولار (٢) أى مبلغ اجمالى يقرب من ٧ مليارات من الدولارات .

ان جزءا من هذه الاموال الضخمة أتى من جمع التبرعات الفردية والاستثمارات الصغيرة التى قد لا يكون لها وزن كل على حدة ، غير أن نصفها على الاقل جاء من المؤسسات المالية ذات الطابع الاحتكارى مثل شركات **كايزر فرايزر وفورد وكوكا كولا** ومن البنوك ذات النشاط العالمى ، مثل **بنك التصدير والاستيراد الامريكى** . فالاعتمادات التى أقرها هذا البنك الاخير لاسرائيل بلغت وحدها ما يقرب من ٢٩ مليون دولار عام ١٩٦٧ — ٦٨ و ٤٥ مليون دولار فى ١٩٦٨ — ٦٩ . (٣) .

---

[١] Dr. Ismail. S. Abdallah - Regards SurL,economic israêlienne.
مجلة مصر المعاصرة — القاهرة — العدد ٣٣٣ — ص ١٠

[٢] د. فؤاد مرسى — حرب ٥ يونيو — مجلة الطليعة — يونيو ١٩٧٠ — ص١٦

[٣] Middle East Economic Digest - 24.4. 1970.

واستثمر الاحتكاريون العالميون فى الصناعة الاسرائيلية ما يقرب من ٩٤٥ مليون دولار بين ١٩٥٠ و ١٩٦٥ . ويمثل الراسمال الامريكى ٦٠ فى المائة من هذا المبلغ(٤) .

ومن الطبيعى أن هذه الاموال لم تذهب الى اسرائيل لاسباب عاطفية . وانما ترتب على هذا الغزو المالى سيطرة الاحتكارات الاجنبية على الاقتصاد الاسرائيلى ، وجنى الارباح الوفيرة .

غير أن مستوى ضخامة هذه الاموال أخذ ينخفض منذ مدة ، فالمبالغ الوافدة من الاسواق المتقدمة والوكالات المتعددة الاطراف تطورت بالشكل التالى (بملايين الدولارات) (٥) :

السنة	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨
المبلغ	١٥٣	١٢٧	٦٦	٥٣

وخـــلال الســـنتين ١٩٦٧ ــ ١٩٦٨ انخفض مجموع الاعتمادات المالية الاحادية الطرف طبقا للجدول التالى (بملايين الدولارات) (٦) .

	عام ١٩٦٧	عام ١٩٦٨
١ ــ لحساب الوكالة اليهودية وغيرها	٣٢٥	١٦٥
٢ ــ تعويضات المانية للافراد	١٢٣	١٤٣
٣ ــ اعتمادات خاصة للافراد	٨٤	١٢٤
٤ ــ اعتمادات حكومية	ــ ١١*	ــ ١٧*
المجمـــــوع	٥٢١	٤٢٥

ويلاحظ انخفاض ما بجمعته الوكالة اليهودية الى النصف تقريبا ، مع زيادة الاســتثمارات الخاصة وارتفاع المبالغ الخارجة من اسرائيل .

وكذلك سجل رصيد حركة رؤوس الامـوال المستثمرة على أجل طويل ومتوسط هبوطا فى الســنتين ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ طبقـا للجـــدول رقم (ا) (الارقام بملايين الدولارات) (٧) .

ويلاحظ هنا أن هبوط الرصيد يرجع أساسا الى زيادة المبالغ الخارجة من اسرائيل تســديدا لديونها .

عجز ميزان المدفوعات والمديونية للاجنبى

ان الصادرات الاسرائيلية لا تستطيع علـى الاطــلاق موازنة الواردات الاجنبيـــة ، ولذلك فمن المعروف أن ميزان المدفوعات لهذه الدولة دائم العجز ، اذ ارتفع من ٤٧١ الى ٤٩٠ ثم ٥٧٠ مليون دولار فى السنوات المالية ٦٥ ــ ٦٦ ، ٦٦ ــ ٦٧ ، ٦٧ ــ ٦٨ على التــوالى ،

ولا يعنى هذا انخفاض احتياطى اسرائيل من العملات الاجنبية فقط ، بل يعنى بصورة خاصة خضوع هذه الدولة للسيطرة المالية الخارجية بكل تبعاتها ، فاسرائيل تضطر الى دفع مبالغ متزايدة للاحتكارات الدولية السنة بعد الاخرى ، واذا ارتفع مجموع الديون القومية من ١٠٨٤ مليون جنيه اسرائيلى سنة ١٩٥٦ الى ٥٦٧٣ عام ١٩٦٤ ، نرى أن الديون الخارجية التى تسدد بالعملة الصعبة زادت من ٦٢٨ مليون عام ١٩٥٦ الى ٢٨٩٤ ثم ٣٦٧٨ فى السنتين ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ . أما الديون الخارجية التى تسدد بالعملة المحلية ، فقد ارتفعت من ٥٦ الى ٦٣٨ مليون جنيه اسرائيلى بيـن ١٩٥٦ ، ١٩٦٤ (٨) .

ولكى نتمكن من تقدير عبء هــذه الديون على

	١٩٦٧			١٩٦٨		
	وارد	خارج	رصيد	وارد	خارج	رصيد
١ ــ سندات دولة اسرائيل	٢٣٢	٦٢	١٧١	١٨٢	١٠٣	٧٩
٢ ــ قروض حكومة الولايات المتحدة	٥٨	٢٢	٣٦	٥٩	٢٤	٣٥
٣ ــ قروض بنك التنمية الدولى	٨	٣	٥	٥	٥	ــ
٤ ــ قروض اخرى بأجل طويل ومتوسط	١٦٦	٨٤	٨٢	٢١٦	١٠٩	١٠٧
٥ ــ استثمارات اجنبية	٦٠	٥٢	٨	٦١	٥٣	٨
المجمـــــوع	٥٢٤	٢٢٣	٣٠٢	٥٢٣	٢٩٤	٢٢٩

٢

[٤] د. فؤاد مرسى ــ المرجع السابق ــ ص ١٥.
[٥] كتاب الاحصاء السنوى لعام ١٩٦٩ ــ ص ٦٧٢ ــ هيئة الامم المتحدة ــ نيويورك .
[٦ ، ٧] Problèmes Economiques - Paris - No.1152 - 28-1-70
[*] مبالغ خارجة من اسرائيل
[٨] جاليفا نيكيتينا ــ دولة اسرائيل ــ دار الهلال ــ القاهرة ــ ١٩٦٩ ــ ص ٢٥٣.

الاقتصاد الاسرائيلى ، نلقى نظرة على الجدول التالى : (٩) .

الســـــنتر	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣
١ ــ نسـبة المســدد من القروض والفـوائد والحصـص الى القـروض والاســتثمارات الجديدة الواردة من الخارج [٪] .	٦٩ر١	٨٢ر١	٧٤ر٣	٦٧ر٥	٥٧ر٨	٧٥ر٣
٢ ــ نسبةالفوائد والحصصفقط [٪]	١٤ر٧	١٧ر٦	٢٢ر١	٢٥ر٩	١٦ر٥	١٨ر٤
٣ ــ نسبة الفوائد والحصص المولة الى الخارج الى صافى الاموال المستثمرة فى اقتصاد البلاد [٪]	١٠ر٠	١٠ر٣	١٣ر٦	١٣ر٣	١٣ر٧	١٥ر٤

وقد ارتفعت الفوائد المدفوعة لحساب الدين القومى من ٥٣ر٥ مليون جنيه اسرائيلى سنة ١٩٥٩ الى ٥٩٠ مليونا سنة ١٩٧٠ (١٠) . وظلت نسبة هذه الفوائد واحتياطيها تتراوح حول ٣٠ فى المائة من مجموع ميزانية التنمية فى سنتى ٦١ ــ ٦٢ و ٦٨ ــ ٦٩ (١١) .

وترتب على هذا أمران : أما **الاول** ، فهو بقاء التكوين الراسمالى الاجمالى فى مستوى ٢٢٠٠ مليون جنيه اسرائيلى دون زيادة بين ١٩٦٤ و ١٩٦٦ ، (١٢) وبالتالى انهار معـدل التنميـة الاقتصادية من ١٠ فى المائة فى عام ١٩٦٤ ــ ٦٥ الى ٧ فى المائة ثم ٢ر١ فى المائة و ٢ر١ فى المائة ايضا فى السنوات ٦٥ ــ ٦٦ ، ٦٦ ــ ٦٧ ، و ٦٧ ــ ٦٨ على التوالى(١٣) .

أما الامر الثانى ، فهو أن سكان اسرائيل ــ وخاصة الطبقات الفقيرة ــ يتحملون عبء هذه الحالة ، اذ ارتفع مجموع الضرائب المباشرة على الدخل من ٢٦٩ر٦ مليون جنيه اسرائيلى الى ١٨٢٨ مليون بين سـنتى ١٩٥٩ و ١٩٧٠ ، كما ارتفع مجموع الضرائب المباشرة وغير المباشرة فى نفس الفترة من ٧٥٦ر٨ مليون الى ٣٧٦٣ر١ مليون فى نفس الفترة(١٤) ، أى ما يقرب من خمسـة أضعاف فى حين أن عدد السكان لم يزد فى نفس الفترة بأكثر من ١٣ فى المائة .

سيطرة الاحتكارات الامبريالية

ان كتلة « لوبى » Lobby الصهيونية تعمـل بنشاط فى الولايات المتحدة ؟ وهى تضم أصحاب الملايين مثل **جاكوب يافيتس وماكس فيشير وبرنارد باروخ** وآخرين ، ولا يرجع هذا النشاط اساسا الى عطف هذه الكتلة على اليهودية ، بل الى المؤسسات الصناعية الاسرائيلية الكبيرة (التى بها أكثر من ٣٠٠ عامل) تتبع الراسمال الاجنبى (وخاصـة الامريكى) بصورة رئيسية .

والحقيقة أن شبكة احتكارية دولية ،ذات صلات كثيفة ومركبة تتحكم فى الاقتصاد الاسرائيلى ، والرسم التخطيطى المنشور هنا يوضح جانبا من هـذه الشبكة (١٥) التى فيها طبعـا الشركات البريطانيـة ذات السبق فى وضـع اليد على فلسطين بفضل حكم الانتداب ، وهذه الشركات ما زالت تلعب دورا كبيـرا حتى الان بوسـاطة مجموعة **روتشيلد** وشركات **شل وميدمار** المرتبطة بدورها بشركة **كينج ريزور ســيز الامريكية للبترول** .

ولكن الرأسمال الامريكى أصبح له اليد الطولى الان ، فالمصانع الكبيرة فى البلاد واقعة تحت سيطرته ، وكذلك البنوك والشركات التجارية ،وقد زادت الاستثمارات الامريكية الخاصة من ٢مليون دولار عام ١٩٤٨ الى ٤٠٠ مليون دولار عام ١٩٦٢ ، ووصلت نسبة مسـاهمة الرأسمال الامريكى فى الشركات الاسرائيلية الى ٧٣ فى المائة سنة ١٩٥٧ ، وهذه مجموعة من الرأسـماليين الامريكيين تبدأ سنة ١٩٦٩ فى انشـاء مراكز سياحية فى سيناء تطبيقـا لنفس الشـعار القائل « المال وراء الراية » والذى طبق بتوسع فى مصر فى أوائل القرن الحالى على أيدى الاستعمار البريطانى .

---

[٩] نفس المصدر ــ ص ١٩٢

[١٠] هيئة الامم المتحدة ــ المصدرالسابق ــ ص ٦٢٨ .

[١١] Europa publications - The MiddleEast - london - 1963 P. 182 - 1969P. 336.

[١٢] Ibid - 1969 - P. 336

[١٣] محمود عطا الله ــ الاقتصادالاسرائيلى قبل العـدوان ــ الاهـرام١٤/٦/١٩٦٨

[١٤] هيئة الامم المتحدة ــ المصدرالسابق ــ ص ٦٢٩ .

[١٥] P. et H. Jacot - Les Origines duConflit du Moyen - Orient « CombatPour la Paix. » Paris - No. 238 -Octobre 1970 - P. 16.

ان الاحتكارات الامريكية التى تعمل فى ميادين البترول **خاسكى أويل** والمطاط **جنرال تاير اند رابر** والورق **خادسون بالب اند بيبر** والسيارات **كايزر فرايزر** ، والتليفون **فيلكو** والادوية **آمور لابور آفورى** تمتص الثروات الطبيعية والبشرية فى اسرائيل ، ويجب أن نخص بالذكر شركة فلسطين الاقتصادية P.E.C المرتبطة **بشركة الفواكه الامريكية** صاحبة التاريخ الاسود فى الانقلابات الرجعية الاستعمارية فى أمريكا اللاتينية ، وشركة فلسطين الاقتصادية هذه لها مساهمات مالية هامة فى العديد من الشركات الخاصة والهيئات الاقتصادية الحكومية ، والتعاونية أو النقابية ، نذكر منها شركة **سوليل بونيه** للمقاولات التابعة للاتحاد النقابى الاسرائيلى « **الهستدروت** » والتى بلغ مجمل أعمالها ٢٠٠ مليون دولار سنويا سنة ١٩٦٨ .

وقد دخل الرأسمال **الالمانى الغربى** بنشاط فى الفترة الاخيرة ، أحيانا بصورة مستقلة ، ولكنه مرتبط بالرأسمال الامريكى فى أغلب الاعمال ، فالبنك دويتش اشترك فى تقديم قرض البنك الدولى البالغ ١٥ مليون دولار لاسرائيل فى نوفمبر ١٩٦٧ ، ويرتبط ببنك دويتش احتكار النسيج الالمانى « تريومف » مع احتكارات « **تيسن** » للمعادن والاسلحة و « **مانزمان** » لاعمال الصلب فى استثمارات مشتركة عدة فى اسرائيل .

ان البنوك الاسرائيلية الكبيرة تتعاون وترتبط بالرأسمال الاحتكارى العالمى ، وجدير بالذكر أن البنوك الكبرى الثلاثة ــ « **ليومى** » (المرتبط بالرأسمال الامريكى والبريطانى والسويسرى والالمانى الغربى) ، **وبنك الخصم الاسرائيلى** (المرتبط ببنك الخصم الامريكى فى نيويورك) **وبنك العمال جابوعاليم** ، التابع للهستدروت (المرتبط بالمؤسسة الاحتكارية آمبال Ampal) ــ هذه البنوك الثلاثة تقوم بثلاثة أرباع العمليات المصرفية فى اسرائيل(١٦) .

ويؤخذ من تقرير قدمه « **بنك اسرائيل** » أن حفنة من المجموعات المالية (بنك الخصم ، الشركة العامة للتجارة والصناعة ، شركة فلسطين الاقتصادية ، مجموعة ويلفسون ، بنك ليومى) تشرف على أكثر من ثلاثة أرباع الانتاج الاسرائيلى (١٧) . ويجب أن يضاف الى هذه المجموعة الكتلة الامريكية **براودير و وينير** والفرنسية **روتشيلد** والانجليزية **سيف ولفسون** والالمانية الغربية **اشبيتريه** والايطالية **ماير** حتى نرسم صورة عامة للسيطرة الاحتكارية المالية العالمية على الاقتصاد الاسرائيلى .

وهناك تداخل قوى بين هذه المجموعات والكتل المالية عن طريق الاشخاص انفسهم ، بين الرأسمال الاحتكارى العالمى والدوائر الحكومية ، ومثال ذلك أن « **سيجفريد هوفين** » المدير العام السابق للبنك الانجلو فلسطينى كان يعمل سنة ١٩٤٩ فى وزارة التجارة والصناعة بتل أبيب (١٨) ، وفى ١٩٥٠ كان «**برونباوم**» ــ رئيس المركز الحكومى للاستثمار ــ يعمل فى نفس الوقت نائبا لرئيس شركة فلسطين الاقتصادية (١٩) .

ويأتى هذا الوضع بالارباح الوفيرة لتلك المجموعات الاحتكارية ، فقروض بنك التصدير والاستيراد لاسرائيل تصل فائدتها الى ٥٫٧٥ فى المائة ، وقروض التنمية الامريكية قد ارتفع سعر فائدتها من ٣/٤ فى المائة سنة ١٩٦٢ الى ٢ فى المائة عام ١٩٦٣ ثم الى ٣٫٥ فى المائة فى ١٩٦٤ ، وبلغت أرباح شركة «**داليك اسرائيل**» للوقود ٣٥ فى المائة ، ومصانع الورق الاسرائيلية الامريكية ١٢ فى المائة ، ووزعت شركة الاطارات المرتبطة بشركة **دايتون** الامريكية ربحا صافيا بلغ ١٥ فى المائة ، كما تضطر اسرائيل الى شراء ٧٠ فى المائة من احتياجاتها من المواد الخام للصناعة من السوق الامريكية بأسعار تزيد عن أسعار السوق العالمية بنسبة ٣٠ فى المائة(٢٠) .

رأسمالية الدولة الاحتكارية

فى اسرائيل « قطاع عام » يتكون من مساهمة الدولة المباشرة فى المنشآت المختلفة (ملكية الارض ، بعض المصانع والمنشآت التجارية والخدمية) ، وكذلك من الاستثمارات التى تقوم بها المؤسسات النقابية والتعاونية .

ففى ١٩٦٣ ، كان نصيب الرأسمال الحكومى والاجتماعى (الوكالة اليهودية ، الصندوق القومى اليهودى ، كيرين هايسود) يمثل نسبة ٤١ فى

---

[١٦] نيكيتينا ، ج . ــ المصدر السابق ــ ص ٢٥٤

[١٧] Weinstock. N. - Le Sionisme Contre Israêl - Maspéro - Paris' 1969. - P. 330

[١٨] Samuel, E. The Government Of Israel & its Problems - The Middle East Journal - Vol. 3. No. I' January 1949- P. 11

[١٩] نيكيتينا ، ج . ــ المصدر السابق ــ ص ٢٧٩.

[٢٠] نفس المصدر ــ ص ٢٧٢.

المائة من مجموع الاستثمارات فى الاقتصاد كله ؟ وكان نصيب هذا القطاع الحكومى والاجتماعى عبارة عن نسبة ٨٤ فى المائة من الاستثمارات فى الزراعة والرى ، و ٢٤ فى المائة فى الصناعة ، و٢٥ فى المائةفى استخراج المعادن ، و٤٣ فى المائة فى النقل ، و ٤٦ فى المائة فى التجارة والخدمات ، و ٣٣ فى المائة فى الانشاءات السكنية ، وقد اعتبر انتهازيو اليسار الصهيونى هذا دليلا على سيادة الاشتراكية فى اسرائيل ، خاصة وأن القطاع التعاونى والنقابى يمثل ٢٢٫٦ فى المائة من مجموع العاملين الاسرائيليين و ٢٠٫٣ فى المائة من صافى الناتج الداخلى .

غير أن هذا «القطاع العام ليس فى حقيقة الامر الا خادما لرؤوس الاموال الكبيرة المحلية والاحتكارية الاجنبية ، فدوره الاساسى تمهيد الطريق أمامها ، وفى حالة تعرض المنشآت الرأسمالية الخاصة الكبرى للخسارة ، تسرع الحكومة الى ضمها الى القطاع العام كعملية انقاذ لها ، وقد حدث هذا مثلا لبنكين **فوختفانجر وايليروس** فى يناير ١٩٦٧ ، ولبنك **الاعتماد** فى مايو من نفس السنة مثلا ، لانها كانت على شفا الافلاس . أما المنشآت الحكومية التى تجنى ارباحا ، فتبيع الحكومة نصيبها فيها ، وقد جرى هذا بالنسبة لخط انابيب البترول بين ايلات وبئر السبع الذى بيع لاتحاد مالى دولى ، وكذلك لمصانع الاسمدة ولشركة المياه « ميكوروت » ومصانع صقل الماس « روتنبرج » ، وشركات « روشمين » و « ديليك » و « زيم » و « اسرائيل الكتريك » للكهرباء ، و « شركة النقب للفوسفات» الخ . ويقدر عددالمنشآت الاسرائيلية العامة التى انتقلت الى الاشراف المالى الخاص الاجنبى بأربعمائة منشأة(٢١) .

أما القطاع التعاونى ، فقد ذكرنا من قبل أن الرأسمال الخاص ــ والاجنبى أساسا ــ يساهم بصورة متزايدة فيه .

وقد أدت هذه السياسة الى تزايد دور الرأسمال الخاص فى الاقتصاد الاسرائيلى ، بحيث كانت ٩٦ فى المائة من المنشآت التى تأسست خلال السنوات العشر الاخيرة تابعة للقطاع الخاص ، وهبطت نسبة العاملين فى « القطاع العام » الى مجموع القوى العاملة من ١٧٫٦ فى المائة ثم ٨٫٥ فى المائة بين ١٩٥٩ و ١٩٦٧ ، وانخفضت نسبة استثمارات الدولة من ٥٣ فى المائة الى ٤١ فى المائة فى الفترة ١٩٥٩ ــ ١٩٦٣ ، وكذلك انخفضت نسبة العمال المشتغلين فى القطاع التعاونى الى مجموعهم من ٢٢٫٦ فى المائة الى ١٥٫٥ فى المائة فى هذه المدة .

التعاونيات الزراعية فى خدمة الاحتكارات

فى ضوء هذا الوضع العام ، تصبح التعاونيات الزراعية الاسرائيلية جزءا لا يتجزأ من رأسمالية الدولة الاحتكارية ، ومن المعروف أن الارض فى اسرائيل التى يستزرعها الافراد والتعاونيات ليست ملكا لهم ، بل تملكها الدولة والمؤسسات العامة المتفرعة منها أو من الوكالة اليهودية ، وهذه الارض تؤجر ولا تباع ، ولا غرابة فى ذلك ، اذ أن شعار تأميم الارض رفعه منظرو التحويل الرأسمالى للاقتصاد منذ زمن طويل ، فتطبيقه فى اسرائيل بهذه الصورة الواضحة ماهو الا لخدمة النظام الرأسمالى فيها ولازالة أية عوائق أمام الانطلاقة البورجوازية .

وبشكل أكثر تحديدا ، فان المؤسسات المالية الاسرائيلية ــ المرتبطة كما رأينا بالاحتكارات العالمية ــ هى التى تقدم القروض التى لاغنى عنها للتعاونيات ، وأغلب الافراد عند بدء الاستزراع ، وفوائد هذه القروض مرتفعة جدا تصل الى مابين ١٨ فى المائة و ٢٠ فى المائة من المبلغ مما يجعل من الصعب التخلص منها تماما ، وعليه ، فقد بلغت القروض والديون ٦٠ فى المائة من رأسمال الكيبوتزات (التعاونيات المشاعية) ، كما وصلت نسبة المديونية الى جملة الانتاج السنوى الى ١٠٦ فى المائة للكيبوتزات التى تأسست قبل ١٩٢٦ ؟ و٢٢٢ فى المائة للكيبوتزات التى تأسست بعد ١٩٤٨ ، ونجد أن نسبة تتراوح بين ١٥ و ٢٩ فى المائة من الكيبوتزات القديمة ، وبين ٣٥ و ٤٠ فى المائة من الكيبوتزات الجديدة تحقق خسائر مالية فى ميزانياتها السنوية .

والحقيقة أن انتشار التعاونيات الزراعية فى اسرائيل يعود الى طبيعة السياسة الاستيطانية التى جذبت المهاجرين الفقراء ، الامر الذى لم يكن يعطى لمقدمى القروض الضمان الكافى اذا تم التعاون بينهم وبين المستوطنين على أساس فردى ، ومن جهة أخرى ، فشعار الزراعة الاشتراكية كان وسيلة طيبة لخداع هؤلاء الفقراء واستغلال حماسهم الاشتراكى الخيالى من أجل دفعهم كرأس رمح فى الصدام ضد العرب وفى غزو الاراضى العربية .

---

(٢١) Weinstock. N. - OP. Cit - P. 332.

عسكرة الاقتصاد

يدفع الاحتكار الدول الرأسمالية الى الحرب لزيادة أرباحه ، وكذلك تدفع الحرب الاحتكارات الى عسكرة الاقتصاد ، فبين دائرة مغلقة متزايدة السرعة ، وقد دخل الاقتصاد الاسرائيلى هذه الدوامة بسبب طبيعته ذاتها ، وأطلقته السيطرة الاحتكارية الاجنبية فى هذا الطريق بعنف أكبر وأكبر ، ففى ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩ أنفقت اسرائيل من ٨٠ الى ١٠٠ مليون جنيه اسرائيلى على الحرب التى تأسست بفضلها ، فى حين كان الدخل القومى كله ٢٦٠ مليون سنة ١٩٤٩ ، أما حرب يونيو ١٩٦٧ ، فكلفت اسرائيل ٣٥٠٠ مليون جنيه ، (٢٢) ، وفى عام ١٩٦٩ ــ ١٩٧٠ وحده ، بلغت النفقات العسكرية الاسرائيلية ٤٠٠٠ مليون جنيه تقريبا (٢٣) ، بعد أن كانت ٣٨٤ مليونا فى سنة ١٩٦٠ ــ ١٩٦١ ، واصبحت النفقات العسكرية الاسرائيلية عام ١٩٦٦ تشكل نسبة ٢٤ فى المائة من دخلها القومى بالمقارنة مع ٦ر٢١ فى المائة للاتحاد السوفيتى و٣ر١٠ فى المائة للولايات المتحدة فى نفس السنة ، مما جعل اسرائيل تخفض ميزانية التعليم بمقدار ٣٤ فى المائة والصحة ٢٥ فى المائة والضمان الاجتماعى ٢٥ فى المائة عام ١٩٦٨ (٢٤) .

ونتج عن السياسة العدوانية الاسرائيلية المستمرة أن يخطط الاقتصاد كله من أجل الحرب ، فالمهجرون الجدد يسكنون فى المناطق الخطرة على الحدود بمستعمرات الناحال لاغراض عسكرية ، ويتركز الاهتمام فى التنمية على صناعات الاسلحة ، ويحتل الجنرالات المراكز الكبرى فى الوحدات الاقتصادية والمناصب السياسية ، مما دفع أحد المعلقين الامريكيين الى القول منذ ١٩٥٤ « ان الاسرائيليين قد نموا ما يمكن أن يسمى باقتصاد الحرب » (٢٥) .

اقتصاد هش وتابع

كتبت المجلة الفرنسية للاعمال الكبيرة تقول : « ان الشىء الذى يخدع (فى اسرائيل) هو مستوى المعيشة ، فانه لا يطابق مستوى التطور الحقيقى للبلاد ، أو بالاحرى لا يناسب ما يمكن أن يصبح عليه هذا التطور لو أن معين رؤوس الاموال الخارجية انقطع فجأة ، فهذا البناء هش لانه قليل التجانس ، وتابع أكثر من اللازم للمساعدة الاجنبية ... ان الصدام (يقصد حرب يونيه ١٩٦٧) كان قد محا الصعاب الاقتصادية ، غير أننا نراها تعود مرة أخرى : من عدم توازن المدفوعات ، والمخاطر التى تحيق بالنقد ، وفى الوقت نفسه تهبط المساعدة الخارجية رغم الحاجة المتزايدة الى الاستثمار » (٢٦) .

ان السمة الاولى لهذا الوضع الهش هو التضخم ، فقد زادت كمية النقد المتداول من ١٠٠ مليون ج (ا) عام ١٩٤٨ الى ٢٠٠٨ مليون سنة ١٩٦٦ ، وهبطت بالتالى نسبة الجنيه الاسرائيلى الى الدولار الامريكى من ٠٣ر٤ الى ٢٩ر٠ دولار للجنيه الواحد فى الفترة نفسها أى ما يقرب الى ١ من ١٤ جزءا ، وارتبط هذا بزيادة هائلة فى الاسعار وبانخفاض فى مستوى الاستثمارات الجديدة .

والسمة الثانية اعتماد الصادرات الاسرائيلية على سلعتين هما الموالح والماس المصقول اللتين تكونان ما بين ٥١ و ٥٥ فى المائة من قيمة الصادرات الكلية حسب اختلاف التقديرات .

والسمة الثالثة هى اعتماد الاقتصاد الاسرائيلى على النشاطات الخدمية التى تكون ٧ر٥٨ فى المائة من الدخل القومى سنة ١٩٦٤ وتشغل ٤٨ فى المائة من الاشخاص ، فى حين أن ٣٧ فى المائة فقط منهم يعملون فى النشاطات الانتاجية ، وهو وضع شديد الشذوذ ، ويساعد بدوره على زيادة الاتجاهات التضخمية مع ما يترتب عليه من تشجيع لعمليات المضاربة الصرفة ومن اعاقة التصدير .

ان مثل هذا الاقتصاد فريسة سهلة للاستعمار العالمى ، والى القارىء نصيب الدول الاستعمارية الكبرى الثلاث من تجارة اسرائيل الخارجية (نسب مئوية) (٢٧) :

---

[٢٢] د. فؤاد مرسى ــ المصدر السابق ــ ص ٢١

[٢٣] جريدة « برافدا » السوفيتية ــ ٦/٥ مارس ١٩٧٠ .

[٢٤] ايفانوف ، ى ... احذروا الصهيونية ــ نوفوستى ــ شركة الاعلانات الشرقية ــ القاهرة ــ ١٩٦٩

[٢٥] Nasmyth, J. - Israel's distorted economy - The Middle East Journal - Vol. 8, No. 4 - Autumn 1954 - P. 398.

[٢٦] Siritzky. S. - Israêl Menacè aussi dans son économic - « L'Expansion » - Décembre 1969 - Paris - P. 77

[٢٧] Bank « Leumi Le -Israel » - ReviewOf economic Conditions - Middle Eastern Affairs - Aug / Sept. 1962.

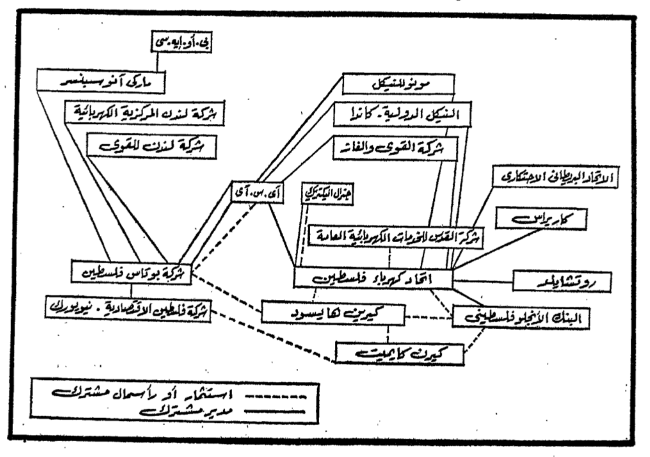
	الصادرات		الواردات	
	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٠	١٩٦١
الولايات المتحدة الامريكية	١٤	١٦	٢٩	٣٠
المانيا الغربية	١٠	١٠	١٤	١٤
بريطـــانيـــا	١٧	١٤	١٢	١٣
المجمـــوع	٤١	٤٠	٥٥	٥٧

هذا، وقد ارتفعت نسبة اسرائيل وحدها فى الميزان التجارى العالمى للولايات المتحدة الامريكية من ٢ر٣ فى المائة عام ١٩٦٧ الى ٥ر١١ فى المائة سنة ١٩٦٨ ثم الى ٩ر١٦ فى المائة عام ١٩٦٩، وهى نسبة خيالية اذا ما قورنت بحجم تلك البلاد من ناحية المساحة والقوة السكانية (٢٨).

نمو البورجوازية الاسرائيلية الكبيرة

كما رأينا، فان الدور الاساسى للقطاع «العام» الاسرائيلى هو خدمة القطاع الخاص الرأسمالى، **وبالفعل**، فبعد أن كان القطاع الخاص سنة ١٩٥٥ يملك ٢/٣ المؤسسات الصناعية، ويشغل اكثر قليلا من نصف العمال، أصبح سنة ١٩٦١ ـ ٦٢ يملك ثلاثة أرباع المؤسسات الصناعية ويعمل فيه ثلثا المشتغلين بالصناعة، (٢٩) أما عام ١٩٦٧ فقد ارتفعت هاتان النسبتان الى ٩٣ فى المائة من المنشآت الصناعية و٧٦ فى المائة من العاملين بالاجر فيها (٣٠).

واذا كان الرأسمال الاجنبى يلعب الدور الرئيسى فى القطاع الخاص الاسرائيلى، فان الاستثمارات المحلية بلغت ٣ر٢٧ فى المائة من مجموع الاستثمارات فى الفترة ١٩٥٠ ـ ١٩٦٥، ويتركز التمويل المحلى فى الصناعات التقليدية مثل النسيج، وصقل الماس، وقد جمعت البورجوازية الاسرائيلية من هذه النشاطات الارباح الوفيرة، لدرجة أن ما يقرب من ٢٠٠٠ (الفين) فرد فى اسرائيل بلغوا مستوى المليونيرات الجدد فى السنوات الاخيرة، وقد زادت أرباح البنوك بنسبة ٢٧ فى المائة من عام ١٩٦٧ الى ١٩٦٨، وزادت



[٢٨] Middle East Economic Digest -6.3. 1970

[٢٩] نيكيتينا، ج. المصدر السابق ص ٢٣٠.

[٣٠] Israel Economist, March 1967 - P.62. V. Weinstock, OP. Cit. P. 330

ارباح اصحاب المصانع بنسبة ٩٠ فى المائة فى نفس الفترة (٣١) .

ان تكوين ونمو هذه البورجوازية المحلية الكبيرة يصطحب ـ كالعادة ـ بجميع العمليات القذرة من رشاو واستغلال النفوذ والاختلاس، وقد نشرت مجلة «**جويش كرونيكل**» اللندنية بتاريخ ١٩٦٧/٥/١٢ ، ان الهستدروت اضطر الى فصل خمسة من كبار موظفيه لانهم حولوا الاعتمادات المخصصة للمؤسسة النقابية لتجارة الموالح الى عملية تمويل شركة خاصة أسسوها بالاشتراك مع بنك **فوختفانجر** ...

وقد سجل الاقتصادى الاسرائيلى المعروف « أ . **بونيه** » أن الفرص قد تفتحت بعد ١٩٤٨ ، أمام النشاط الرأسمالى الفردى ودعا البورجوازية الى استغلالها رغم المعوقات المتمثلة فى التراث « الاشتراكى والتعاونى » فى المجتمع الاسرائيلى (٣٢) .

وانعكس نمو البورجوازية المحلية فى اشتراط الحزب التقدمى ـــ لدخوله وزارة بن جوريون فى ديسمبر ١٩٥٢ ـ أن تتوفر الحرية القصوى للرأسمال الخاص ، وأن تخفض ضريبة الايراد وضريبة الاملاك ، وأن تزال الرقابة على النقد ، وهكذا أصبحت هذه الطبقة الجديدة فى المجتمع الاسرائيلى تلعب هى أيضا دورا فى زيادة التناقضات الداخلية .

الاستغلال والاعتصار للطبقات الكادحة

ان الملايين التى تدخل جيوب الاحتكاريين الاجانب والبورجوازية الكبيرة المحلية تنبع من استغلال الكادحين ، يهودا وعربا ، فى الدولة الصهيونية .

فخلال السنوات المالية الخمس ١٩٦٠/١٩٦١ ـ ١٩٦٦/٦٥ زادت حصيلة ضريبة الدخل من ٣٢٣ر٣ مليون ج « أ » الى ١١٢٠ر٠ مليونا ، وزادت حصيلة الضرائب غير المباشرة من ٥٩٩ مليونا الى ١٢٣١ مليونا ، أى ارتفع المجموع الى ما يقرب من أضعاف .. وأصبح العمال الاسرائيليون يدفعون ٣٠ فى المائة من دخلهم للمحافظة على هذه الدولة التى تقف دفاعا عن مصالح الطبقة الحاكمة .

وقد ترتب على حرب يونيه ١٩٦٧ مثلا أن زيدت الضريبة على الدخل ، والرسوم على الوقود ، وأصدر قرض دفاع بمبلغ ٢٥٠ مليون جنيه اسرائيلى ، وفى مارس ١٩٧٠ أصدرت الحكومة قانونا يلزم الاسرائيليين بشراء سندات الدفاع بما **يعادل ٧ فى المائة من دخولهم حتى تتمكن من جمع ٤٠٠ مليون أخرى** .

واقترنت زيادة الضرائب بارتفاع جنونى فى أسعار الحاجيات ، ففى ٧ سنوات من [١٩٥٤ الى ١٩٦١] ، ارتفع الرقم القياسى للسلع الاستهلاكية بنسبة ٣٧ فى المائة ، منها الطعام ٣١ فى المائة والملابس ٢٩ فى المائة وايجارات المساكن ٧٢ فى المائة (٣٣) .

وكذلك صاحب هذا كله زيادة فى كثافة الاستغلال للعامل الاجير ، فقد ارتفعت القيمة المضافة من العامل الواحد ، فى الصناعة الاسرائيلية من ٤٣٢٠ ج « أ » سنويا عام ١٩٥٦ الى ١٠٥٠٠ ج « أ » سنة ١٩٦٣ ـــ ١٩٦٤ أى ما يقرب من ضعفين ونصف (٣٤) ، وفى الفترة بين ١٩٦٠ و ١٩٦٨ زادت الانتاجية للمشتغل الواحد بنسبة ٤٣ر٧ فى المائة فيما يتعلق بالدخل القومى لساعة العمل الواحدة ، وبنسبة ٤١ر٨ فى المائة فيما يتعلق بصافى لانتاج ليوم العمل الواحد (٣٥) .

كل هذا والاتحاد النقابى ـــ الذى تسيطر عليه أحزاب الطبقة الحاكمة ـ يقرر فى أكتوبر ١٩٦٦ عدم المطالبة بزيادة فى الاجور لمدة ٣ سنوات ، وبعد حرب يونية ، قبل الهستدروت أن يستمر على هذه السياسة حتى عام ١٩٧٠ رغم زيادة الضرائب ، واطالة مدة الخدمة العسكرية ، وزيادة ساعات العمل اليومية الخ من الاجراءات الهادفة الى تحميل الكادحين مزيدا من أعباء السياسة العدوانية الاسرائيلية .

---

[٣١] نجيب حلمى خليل ـ سياسة تحميد الاجور فى اسرائيل ـ وزارة العمل ـ القاهرة ١٩٧٠/٥/٣٠

[٣٢] Middle East Journal - Winter 1958.

[٣٣] حسبت النسب بمعرفتنا من الجداول فى
Year Book of Labour StatisticsGeneva - 1962 - PP. 436 - 457.

[٣٤] The Growth Of World Industry -National Tables - U.N.O. NewYork -1969 - P. 217.

[٣٥] La Mesure de Productivité du travail- B.I.T. - Genéve - 1969. PP. 160 - 164.

كانت قضية عمال التراحيل من بين أهم المسائل التى أثيرت خلال مناقشة مجلس الامة لبيان الدكتور محمود فوزى رئيس الوزراء . وقد ترتب على هذا الحوار القرار الذى اتخذ بتشكيل لجنة مؤقتة على مستوى عال لدراسة مشكلة عمال التراحيل ، والتعهد بأن تحتل مركز الصدارة فى خطة عمل الحكومة للفترة المقبلة .

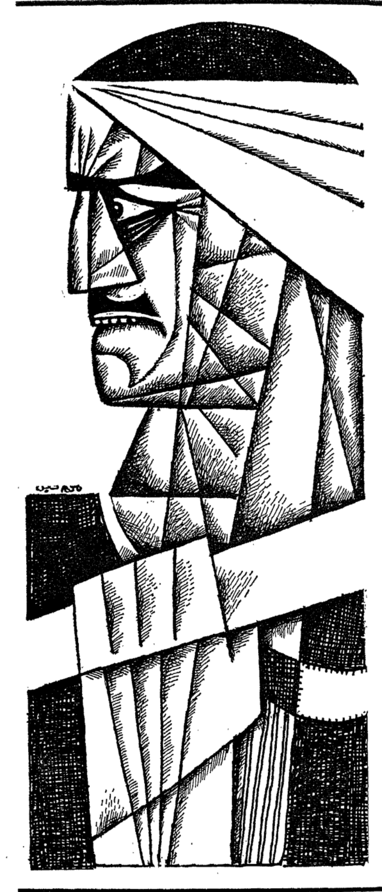
والطليعة اذ تقدر أهمية هذه القضية ، وأهمية البحث الجاد فى مسبباتها والحلول المقترحة لها ، لتقدم هذه الدراسة ، كاسهام من جانبها فى الدراسات التى تجرى الان ، وسبيلا لاتاحة نقاش أوسع حول هذا الموضوع الهام .

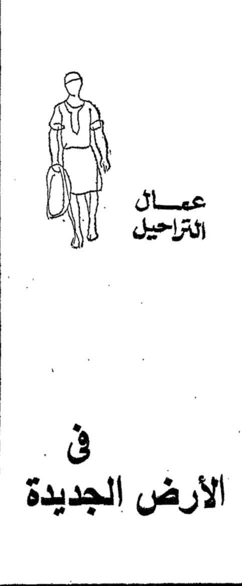
وتتناول الدراسة بالنقد والتحليل التجارب التى طبقت فى الواقع المصرى ، وان كانت تشمل مشكلة العمال الزراعيين والعمالة فى الريف عامة مع التركيز على عمال التراحيل بصفة خاصة .

عمال التراحيل

المشكلة والحل

وقد اشترك فى الدراسة حسن معاذ رميح عضو الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى وحسنى حسين المهندس الزراعى ، وعطية الصيرفى عامل ، وكمال السيد صحفى .





عمال التراحيل في الأرض الجديدة

حسنى حسين

■ - « ان أمامنا مشكلة ثلاثة ملايين من العمال الزراعيين في الريف ليس هناك ضمان للاجر المنظم المستقر يحمى يومهم ، وليس هناك قدر من التأمين الاجتماعى يحمى مستقبلهم ، ولا تصل اليهم حتى الان الا اقل الخدمات » .

هكذا شخص الرئيس عبد الناصر مشكلة عمال التراحيل فى احدى الجلسات الافتتاحية لمجلس الامة ، وهو تشخيص صادق وواقعى ، فمشكلة عمال الزراعة ، ورغم مرور ثمانية عشر عاما على قيام الثورة ما زالت تتعثر فى طريق الحل الصحيح • وما زال هذا التشخيص ينطبق على جماهير العمال الزراعيين حتى الان •

العمال الزراعيون قبل الثورة

برز العمل الزراعى المأجور فى بلادنا مع تدخل الاصابع الاستعمارية • وقد شكل العمال الزراعيون مع الوقت كتلة جماهيرية ضخمة داخل الريف ، أدت اليها عدة عوامل :

● **تفتت** الملكية الزراعية واستيلاء الاقطاعيين والمرابين والاجانب على أراضى الفلاحين ، تارة عن طريق القهر وتارة عن طريق البنوك الاجنبية والمحاكم المختلطة ، وأدى هذا الى وجود أعداد غفيرة من الفلاحين لا تملك الا قوة عملها تعرضها للبيع •

● **الغاء** السخرة رسميا مما خلق احتياجا فعليا الى العمل البشرى لشق الترع والمصارف وتطهيرها وغير ذلك من الاعمال التى كانت تنفذ من قبل عن طريق السخرة •

● **بطء** التقدم الصناعى ، اذ لم يصاحب استيلاء الاقطاعيين والاجانب على الارض الزراعية وظهور العمل المأجور ، أية نهضة صناعية بالبلاد ، ولم يكن بها من المصانع حتى الحرب العالمية الثانية سوى أعداد قليلة ليس فى طاقتها امتصاص الايدى العاملة المتوفرة وسحبها من الزراعة الى الصناعة ، ولم يعد من سبيل أمام العمال سوى البقاء فى الريف •

● **وجود** احتياطى واسع للعمل المأجور فى شكل قطاع عريض من فقراء الفلاحين ، لا تستوعب ملكياتهم المحدودة طاقاتهم ، والاهم من ذلك أنها لم تكن قادرة على تلبية احتياجاتهم الضرورية مما يضطرهم الى بيع قوة عملهم جزءا من الوقت •

ولقد بلغ تعداد العمال الزراعيين عام ١٩٣٧ حوالى ٢٦٧ر٤٥٧ر١ عاملا ، ثم تزايد العدد حتى بلغ عام ١٩٤٥ حوالى ٠ر٢ مليون عامل ، بينما بلغ عدد فقراء الفلاحين عام ٣٦ حوالى ٠٠٠ر٦٧٧ر١ نسمة متوسط ما يملكه الفرد ٤١ر٠ من الفدان ، واتسعت الشريحة عام ١٩٥٠ ليصبح عددها

٣٢٩ر٩٨١ر١ فرداً بمتوسط ملكية ٣٩ر٠ من الفدان للفرد (١) ٠

اوضاع العمال الزراعيين قبل الثورة

عاش عمال الزراعة والتراحيل اوضاعا سيئة للغاية ، فمن حيث الاجر لم يتعد أجر العامل فى أحسن الظروف خمسة القروش نظير يوم عمل يزيد على ١٢ ساعة ، ليس هذا فحسب بل ان هذا العمل نفسه على قسوته لم يكن ليتوفر للعامل سوى ٥٠ أو ٦٠ يوما على مدار السنة ٠

ولقد تميز هذا القطاع الواسع من الشعب بانه لا يلقى أى نوع من الرعـاية الصحية ، ويفتقر الى الضمانات الاجتماعية ، كما تميز أيضا بتخلف شديد فى الوعى السياسى والفكرى ، تخلف فى النضال الطبقى والعمل النقابى ، ساعد على ذلك الانتشـار الواسع للعمال داخل الريف وصعوبة تجميعهم وارتباطهم بأكثر أدوات الانتـاج بدائية وتخلفا ٠

ولما كان العمال الزراعيون يشكلون مع فقراء الفلاحين احدى قوى الثورة الاساسية ، وهم دعامة الثورة الزراعية ، لذا وقف الاستعمار والاقطاع بحزم فى وجه أية محاولة لنشر الوعى بين صفوف هذه الفئات أو محاولة تنظيمها ٠

وعندما صدر القـانون رقم ٨٥ لسنة ١٩٤٢ ، وأعطى لعمال الصناعة حق تكوين نقاباتهم ، حرم هذا الحق فى نفس الوقت على العمال الزراعيين ، وكان صدور هذا القانون هو محصلة صراع طويل خاضـه عمال الصناعة ضـد السلطة الرجعية من أجل انتزاع حقهم فى تكوين نقاباتهم وتنظيماتهم النقابية ، أما العمال الزراعيون فقد عاق انتشارهم الواسع من جانب ، وتخلفهم السياسى من جانب آخر نضالهم من أجل تحقيق ظروف حياة وعمل أفضل ، من أجل انتزاع حقهم فى تكوين نقاباتهم واتحاداتهم ، وكان منعهم بحكم القانون هو حصيلة الصراع بينهم وبين مستغليهم ، فحتى ذلك الوقت لم تكن حركة فقراء الفلاحين المدعمة بعمـال الزراعة قد تبلورت وأخذت وضعا نضاليا كما حدث بعد ذلك فى سنوات ما بعد الحرب الثانية وحتى وقت قيام الثورة ، اذ شهدت هذه الفترة هبات فلاحية تطـالب بالارض والحرية فى أماكن متفرقة من الريف ، وساعد هذا الصراع ضد الاقطاع فى الريف على نضج الوضع الثورى الذى قاد الى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ٠

عمال الزراعة والتراحيل

بعـد ثورة ٢٣ يـوليو

عندما جاءت الثورة وأعلنت عداءها للاقطاع ، كان منطقيا أن تنحاز الى جانب القوى الثورية فى الريف فجاء أول اعتراف بحق عمال الزراعة فى تكوين نقاباتهم فى قانون الاصلاح الزراعـى الصادر فى سبتمبر سنة ١٩٥٢ ، كما حدد القانون الحد الادنى لاجر العامل بـ ١٨ قرشا فى اليوم ، وظل الاعتراف بحق العمال فى تكوين نقاباتهم ، وكذلك الحد الأدنى للاجر مجرد مواد قانونية ليس لها صدى فى الواقع الحى للعمال الزراعيين، كما استمر الوضع الطبقى فى الريف يلعب دوره فى حرمان العمال من تنظيم أنفسهم ، حتى جاءت الانعطافة الاجتماعية فى الثورة عام ١٩٦١ لتؤكد من جديد أهمية الدور الذى تلعبه القوى صاحبة المصلحة فى الثورة ٠ فنص القانون رقم ٦٢ لسنة ١٩٦٤ على أنه « يجوز بالنسبة الى عمال الزراعة ومن فى حكمهم الذين يصدر بتحديدهم قرار من وزير العمل تشكيل لجان نقابية مهنية فى القرى بشرط أن يبلغ طالبو الاشتراك فى القرية الواحدة ٣٠ عاملا على الاقل » ٠ وكان هذا تدعيما لما نص عليه قانون الاصلاح الزراعى الاول ٠

ورغم مرور سنوات على صدور قانون ١٩٦٤ وحتى الان ، لم يطبق من القانون سوى جانبه الشكلى فقط ، وهو تكوين لجان نقابية بالحد الادنى من عدد العمال وتشكيل قيادة لها ، دون أن يهتم القائمون بالامر بجوهر العمل النقابى وسط جمـاهير العمال ، والعمـل على تربيتهم سياسـيا ونضاليا ٠ ورغم وجود النقابة العـامة لعمـال الزراعة ورغم أن بها ٤٠٥٧ لجنة نقابية فان عدد العمال المنضمين اليها لم يبلـغ سوى ٣٧٦٥٠ عاملا (٢) أى ما يوازى الـ ١٪ من مجمـوع العمـال الزراعيين ٠

ثانيا : من الملاحظ أنه تطبيقا لقوانين الاصلاح الزراعى تزايد عدد العمال الزراعيين وعمـال التراحيل ، فقد كان عددهم بين عامى ٤٥ ـ ١٩٥٠ حوالى ٢ مليون عامل ، ثم زاد حتى وصل إلى أكثر من ثلاثة ملايين عام ٦٥ ـ ١٩٦٦ (٣) ، أى أكثر

---

[١] عدد الطليعة سبتمبر سنة ١٩٦٦ مقال مثيرة العمال الزراعيين .
[٢] المؤشرات الاحصائية للجمهورية العربية المتحدة ـ ٢٣ يوليو سنة ١٩٦٦
[٣] كتاب الجيب السنوى للاحصاءات العامة . يونيه ١٩٦٨

من ٥٠ فى المائة خلال خمسة عشر عاماً ، وترجع هذه الزيادة الواضحة الى عوامل أساسية منها :

١ ــ **الزيادة المستمرة** فى عدد سكان الجمهورية • فبينما كان عدد السكان عام ١٩٥٢ : ٢١ر٤٣٧ مليون نسمة اذ به يصل الى ٣٠ر١٣٩ مليون عام ١٩٦٦ ، وبلغ سكان الريف من هذا الرقم ١٧ر٧٦٨ر٠٠٠ مليون نسمة ، فى حين كان العدد عام ١٩٥٢ حوالى ١٢ مليون نسمة (٤) ، كل هذا فى الوقت الذى لم تتسع فيه الرقعة الزراعية التى يعيش عليها السكان •

٢ ــ **ازدياد عدد فقراء الفلاحين** ــ الاحتياطى الدائم لعمال الزراعة ــ نظرا لازدياد تفتت الملكية ، فقد كان عدد الذين يملكون أقل من خمسة أفدنة عام ١٩٥٠ : ١ر٩٨١ر٣٣٩ شخص بمتوسط ملكية ٣٩ر من الفدان للفرد ، فى حين بلغت هذه الطبقة عام ١٩٦٥ : ٣ر٠٣٣ (٥) مليون شخص بمتوسط ملكية ٨٨ر من الفدان للفرد •

٣ ــ **ومن العوامل الهامة** فى زيادة عدد العمال الزراعيين فى الفترة التى لحقت تطبيق قانون الاصلاح الزراعى ، تحول كثير من الملاك الاقطاعيين الى ملاك رأسماليين يزرعون أرضهم لحسابهم ، وبذا تحول عدد من الفلاحين المستأجرين الى عمال زراعيين ، والدليل على ذلك اتساع شريحة الذين يملكون بين ٢٠ ــ ٥٠ فدانا من ٢٢ ألف شخص قبل سنة ١٩٥٢ الى ٢٩ ألف شخص عام ١٩٦٥ ، وزاد نصيبهم فى الملكية الزراعية من ٦٥٤ ألف فدان قبل عام ١٩٥٢ الى ٨١٥ ألف فدان عام ١٩٦٥ (٦) •

٤ ــ **يضاف الى ذلك** أن تحول الاقطاعيين الى ملاك رأسماليين ، وتحول الاسلوب الاقطاعى الى الاسلوب الرأسمالى فى الانتاج أدى الى استخدام الالات الحديثة فى الزراعة ، مما ساعد على توفير جزء من الايدى العاملة الزراعية المستخدمة من قبل •

٥ ــ **كما ساعد أيضا** على ازدياد عدد العمال الزراعيين ، انتشار نظام المزارعة بالمشاركة ، حيث لجأ أصحاب الاراضى الى هذا النوع من الزراعة ــ بجانب الزراعة الرأسمالية ــ تهربا من تطبيق قانون الايجارات الذى صدر مع قانون الاصلاح الزراعى الاول •

ثالثا : رغم مرور ثمانية عشر عاما على الثورة ، مازال العمال الزراعيون وعمال التراحيل يعيشون حتى الان فى حالة بطالة معظم أيام السنة ، وما زال الطلب على العمل الزراعى المأجور يتركز أساسا فى مواسم محددة ، وأكثر العمال حظا يعمل ثلاثة شهور فى السنة ، ولا يزال يوم العمل بالنسبة لهم لا يعد بالساعات ، وانما من مطلع الشمس حتى غروبها ، انهم حتى الان كما قال الرئيس (ليس هناك ضمان للاجر المنظم المستقر يحمى يومهم) وكما لا يوجد ضمان للاجر المنظم المستقر كذلك لا يوجد حتى الان قانون يمنح عمال الزراعة الحق فى التأمينات الاجتماعية ويحمى بذلك مستقبلهم •

وما زال أجر العامل حتى الان أبعد كثيرا جتى عن الحد الادنى الذى حدده القانون ، كما لا يزال هذا الاجر خاضعا للعرض والطلب ، وما أكثر العرض عن الطلب ، وفى ظل انعدام التأمينات الاجتماعية وانعدام ما يمنع من تشغيل الاطفال ، يضطر العامل ــ كثيرا ــ الى اصطحاب أبنائه وأحيانا زوجته معه فى الترحيلة ، ويعمل هؤلاء الابناء ابتداء من سن العاشرة ، وقبلها أحيانا ، ولا يخفى ما يترتب على تشغيل الصبية فى هذه السن المبكرة من نتائج اجتماعية واقتصادية وصحية بالغة الخطورة •

وما زال العمال الزراعيون حتى الان مرتبطون مثلما كان أجدادهم من آلاف السنين بأكثر أدوات الانتاج تخلفا ، حتى أن عقود العمل لعمال التراحيل تشترط أن يأتى العامل ومعه فأسه وشرشرته صالحتين للعمل •• !! ويساعد الارتباط بهذه الالات على استمرار تخلف العمال السياسى والفكرى •

أما الخدمات المختلفة فهى أقل من القليل ، خاصة لعمال التراحيل ، فلا رعاية صحية ، ولا اجتماعية ولا ثقافية ، وباختصار فالعامل الزراعى وعامل الترحيلة مازال يعيش فى أوضاع بعيدة كثيرا عما يجب أن تكون عليه الحياة الادمية المتحضرة •

عمال التراحيل بالارض الجديدة

عند البدء فى دراسة أوضاع العمال بالارض الجديدة ، نشير الى فريقين ينقسم اليهما عمال التراحيل : **الفريق الاول :** هو الذى يعمل فى شق

(٤) المؤشرات الاحصائية للجمهورية العربية المتحدة . يوليو ١٩٦٦

(٥ ــ ٦) كتاب الجيب السنوى للاحصاءات العامة . يونيه ١٩٦٨

الترع والمصارف والاعمال الترابية المختلفة وغيرها من عمليات الاستصلاح ، **والفريق الثانى :** هم عمال الزراعة الذين يعملون فى فلاحة الارض بعد استصلاحها ، ولكن هذا التقسيم ليس تخصصا فنيا ، فالكل يعمل بالفأس وينتقل بين هذه الاعمال حسب توفر هذا العمل او ذاك ٠

ويمثل العمل بالارض الجديدة — والتى تبلغ مساحتها مئات الالوف من الافدنة — يمثل أحد المجالات الهامة لاستخدام الايدى العاملة الزراعية وعمال التراحيل ٠

ففى المرحلة الاولى من مراحل العمل بالارض الجديدة — مرحلة الاستصلاح — تصبح شركات الاستصلاح هى العميل الاول لاحتياجها الى آلاف من عمال التراحيل للعمل فى الاعمال الترابية المختلفة ٠

وظروف العمل فى هذه المرحلة أقسى كثيرا من ظروف العمل فى الزراعة ، فلا مأوى للعمال سوى خيام قديمة لا تقى البرد أو الحر ، وليس للرعاية الاجتماعية أو الصحية أو الثقافية أى وجود على الاطلاق ، أما الاكل فخبز الذرة الذى يحضره العامل معه ، والجبن القريش والمخلل هما الغذاء الرئيسى للعامل طوال فترة الترحيلة ، وأذا كان العامل الذى يشتغل فى الزراعة يجد فى الارض بعض الحشائش الخضراء يضمها الى غذائه ، فان عمال هذه المرحلة لا يجدون حتى هذه الحشائش ، حيث الارض من حولهم مازالت جرداء ، اما الحصول على مياه الشرب النقية فأمر شاق للغاية ، ويعتبر توفير برميلين من مياه صالحة للشرب والاستخدام الانسانى لكل عشرين عاملا وذلك كل يومين او ثلاثة ، يعتبر هدفا يسعى لتحقيقه ٠

اما المرحلة الثانية — مرحلة الاستزراع — والتى تبدأ بانتهاء عمليات الاستصلاح ، فهى مثلها ، مثل المرحلة الاولى تتطلب أيدى عاملة زراعية ، ولما كانت هذه الاراضى الجديدة معظمها فى مناطق غير مأهولة السكان ، وبعيدة عن مراكز تجمع الايدى العاملة الزراعية ، وأيضا لما كانت الميكنة ليست الاسلوب السائد حتى الان فى زراعة هذه المساحات لذلك فان عمال التراحيل هم المصدر الاساسى للعمل فى هذه المناطق ، وتقوم باستخدام هذه القوى العاملة بالارض الجديدة هيئات رسمية — قطاع عام — اهمها مؤسسة استغلال وتنمية الاراضى المستصلحة بقطاعاتها التسعة ، ثم هيئة تعمير الصحارى بمناطقها المختلفة ٠

ومع أن جميع هذه العمليات ابتداء من عمليات الاستصلاح حتى عمليات الاستزراع تقوم بها هيئات رسمية ، الا انه لا يوجد حتى الان ما يلزمها قانونا بتشغيل عمال التراحيل عن هذا الطريق أو ذاك ، ولعل السبب فى ذلك أنه حتى وقت قريب جدا لم تكن هناك هيئات رسمية لتشغيل عمال التراحيل ولم يكن امام الشركات والمؤسسات من طريق للحصول على احتياجاتها من اليد العاملة سوى مقاولى الانفار ، وحتى الان مازال هو الطريق المفضل بالنسبة لبعض الجهات ، نظرا للصعوبات والنواقص التى تشوب الوسائل الاخرى والتى سنناقشها فيما بعد ٠

وكما انه لا يوجد التزام بتشغيل العمال عن طريق جهاز معين ، كذلك لا توجد أية اشتراطات او التزامات من النواحى الصحية او الاجتماعية او الثقافية للعمال على الهيئات المستخدمة لهم ٠

ولقد حدث فى شتاء عام ٦٧ — ١٩٦٨ ان هطلت سيول غزيرة على الساحل الشمالى الغربى ، وامتدت الى الداخل كثيرا وترتب عليها قطع طريق مصر — الاسكندرية الصحراوى بين كيلو ٤٧ والكيلو ٥٠ بين الاسكندرية ، وأصبحت هذه المنطقة من الطريق أشبه ببحيرة لا يمكن اجتيازها ٠

ولقد هاجمت هذه السيول عمال التراحيل فى منطقة العمل هذه — مريوط — فاكتسحت خيامهم وحاجياتهم القليلة ، ولم تترك لهم من خيار سوى الهرب والنجاة بأنفسهم من الموت غرقا ، وشهدت محطة سكة حديد العامرية وبلدة العامرية نفسها — فى هذه الفترة منظرا لا ينسى ، مئات من عمال التراحيل يبيتون فى العراء حول المحطة دون أن يكون معهم لا القوت ولا المال اللازم لشراء هذا القوت الضرورى او لشراء تذكرة سفر الى قراهم ، ولعدة أيام لم يتحرك لا مقاولو الانفار الذين يتبعهم العمال ، ولا الشركات الذين يعملون لحسابها ، لانقاذ هذه الجموع من الجوع والعراء ، حتى تدخلت التنظيمات الشعبية والتنفيذية فآوت العمال ،وتكفلت بالطعام وأجرة السفر ثم عادت بعد ذلك بكل هذه التكاليف على الشركات التى كانوا يعملون لحسابها وهذه الاخيرة قامت بالدفع خصما من مستحقات المقاولين ٠

والعبرة بهذه الحادثة ليس فى أنها قد انتهت بسلام ودفعت كافة التكاليف التى صرفت ، ولكن العبرة هنا تكمن فى السؤال ٠٠ من هو المسئول عن مثل هؤلاء العمال حتى يمكن الزامه بالتصدى لرعايتهم من لحظة حضورهم من قراهم الى لحظة عودتهم اليها بعد انتهاء الترحيلة ٠ هل هم مقاولو الانفار ، ام هى الشركات المتعاقدة معهم ، أم هى النقابة العامة لعمال الزراعة ، ام لجنة الاتحاد الاشتراكى ٠٠ أم جهة غير هذه جميعها ٠٠ ؟

وكما لا توجد التزامات محددة على الهيئات الرسمية ٠٠ تجاه عمال التراحيل كذلك فان عمل المنظمات الشعبية والنقابية بين عمال التراحيل فى مواقع العمل مفقود تماما ـ خاصة فى مراحل الاستصلاح ـ فبالرغم من تواجد مئات وآلاف من عمال التراحيل بالارض الجديدة فى كل مراحل العمل ، لا توجد لجان نقابية ، ولا أى نوع من النشاط النقابى ، كما لا يوجـــد أى تأثير لمؤسسة الثقافة العمـــالية ٠

مقاولو وموردو عمال التراحيل

يشكل مقاولو الانفار وموردوهم فئة طفيلية داخل الريف تعيش على امتصاص جهد وعمل الاخرين دون أن تقدم اى جهد او تقوم بأى دور فى عملية الانتاج ، ومن الملاحظ ان هؤلاء المقاولين هم فى العادة من بورجوازية الريف ، يمـارسون بجانب توريد الانفار اعمالا بورجوازية مختلفة مثل تجارة المواشى او تجارة المحاصيل الزراعية والمواد الغذائية ، كل هذا بجانب ملكيتهم للارض الزراعية انهم باختصار من هذه الطبقة التى تريد وتسعى لكى ترث النفوذ الاقطاعى المنهار فى الريف ، ولهم عصبيات قوية فى بلادهم يستخدمونها عادة فى حماية عمليات توريد الانفار فى التـرحيلات المتعددة ، وهم من خلال عصبياتهم وبوساطتها يفرضون سيطرة وسطوة على العمال الذيـن يعيشون داخل دائرة نفوذهم ، وبقوة هذه السيطرة وهذا النفوذ لا يستطيع العامل أن يتخلف عن الترحيلة التى ارتبط بها ، ومن هنا فان العلاقة التى تربط المقاولين بالعمال الزراعيين انما هى علاقات وارتباطات اقطاعية ، فالعامل بالنسـبة للمقاول فى وضع التابع لا يستطيع ان يبيع قوة عمله الى أية جهة أخرى حتى ولو كان فى ذلك تحقيق لوضع افضل له ، ومن شـأن هذا احتكار المقاول لقوة العمل التى تقع فى دائرته يتصرف فيها حسب ارتباطاته وعقوده هو ٠

ومن العوامل الهـامة التى تزيد من نفوذ مقاول الانفار على العمال ، ذلك الدور الاقتصادى الذى يلعبه فى حياة العمال داخل القرية ، فهويعطيهم سلفيات على الترحيلة القادمة ، وهو غالبا ما يكون صاحب متجر يسمح للعمال ان يشتروا منه على حساب ترحيلات قادمة ، حقيقة ان الاسعار التى يبيع بها لا علاقة لها بالاسعار التى نعرفها ، وعلى العامل اذا لم يقبلها ان يشترى من أى متجر اخر ٠٠ فهو حر إن ولكن من يبيع لعامل التراحيل على الحساب ٠٠ ؟! والنتيجة انه لا متجر يمكن ان يشترى منه العامل على الحساب سوى متجر المقاول ، او المتجر الذى يضمن المقاول العمال عنده ، ولا وسيلة لسداد ديون المتجر للمقاول الا بالخروج فى ترحيلاته ، وبذا يجد العامل نفسه فى ارتباط لا فكاك منه مع المقاول ، غير قادر على تحرير نفسه ، عندئذ يفـرض المقاول الاجر الذى يراه دون أية فرصة للاعتراض ٠

ويساعد على انتشار هذه العلاقة الاقطاعية واستمرارها التخلف الشديد الذى يرزح تحته عمال التراحيل وتلك الرهبة التى مازالت تحتل مكانها بينهم من العائلات الغنية ونفوذها ، هذا بالاضافة الى عدم وجود تنظيم قوى وفعال للعمال بالقرية يحمى مصالحهم ويدافع عنها ٠

ولا يباشر المقاول بنفسه الاشراف على عماله بموقع العمل ، وانما يكتفى بأن يورد معهم اثنين أو ثلاثة من بطانته وعصبيته ـ وهم فى العادة على علاقة قرابة به ـ يجعلهم رؤساء انفار ومشرفين ومن خلالهم يباشر هو اشرافه على العمال ٠

ويستمر استغلال المقاول للعمال حتى فى موقع العمل فمتجر المقاول بالقرية سريعا ما يفتح له فرعا صغيرا حقيرا هناك يبيع فيه الضروريات التى لا يستغنى عنها العامل المصرى كالشاى والسكر والسجاير وبعض المأكولات وهو يبيعها بأسعار خيالية تحت ادعاء أن مصاريف نقل هذه البضائع الى الموقع باهظة ، وعن هذا الطريق يمتص المقاول ما تبقى مع العامل من أجر ٠

ولا يتوقف مكسب المقاول على هذه الزاوية المستترة وحدها وانما يأتى مكسبه الرسـمى والعلنى من :

١ ـ الفرق بين الاجر الرسمى الذى يرتبط به المقاول مع الطرف الاول ، وبين الاجر الفعلى الذى يعطيه للعامل ، وهذا الفرق يتراوح فى العادة بين ٥ ـ ٨ قروش يوميا ٠

٢ ـ عمولة توريد وقدرها يتراوح بين ٣ ـ ٦ فى المائة من الاجور ٠

٣ ـ مصاريف النقل ٠٠ يأخذ المقاول ٧٥ قرشا عن كل عامل نظير قيامه بنقل العمال ذهابا وايابا من بلدتهم واليها ، والفرق بين ما يصرف بالفعل وبين ما يؤخذ من المؤسسة يدخل جيوب المقاول ، مع ملاحظة أنه ينقل العمال فى عربات اللورى مكدسين ٠

٤ ـ تخصيـص عـدد مـن اليوميـات للـريس والخفراء وعمال الخدمة محملين على مجموع العمال ، هذا البند يمثل أحد مصادر تـلاعب المقاول ٠

٥ ـ لما كان العامل لا يطلع على (الجاليش) المدون به يوميات العمل ، فان المقاول اعتاد أن يقوم بخصم عدة أيام من العامل موهما اياه أن المؤسسة هى التى خصمتها ، وتصل هـذه

الخصومات أحيانا الى خمسة أو ستة أيام تذهب جميعها الى جيوب المقاول .

٦ ـ يقوم العمال بالعمل يوما أو يومين فى نهاية الترحيلة دون أجر لحساب المقاول .

ومن كل هذه المصادر يثرى المقاول على حساب العمال دون أن يكون له أى دور فى عملية الانتاج ، لذا فهم فئة يجب الاستغناء عنها وتحرير العمال الزراعيين من سيطرتها ونفوذها واستغلالها .

المحاولات التى تبذل لمحاربة مقاولى الانفار

غير أن القضاء على نظام مقاولى الانفار ومتعهدى توريد العمال ، عمل لا ينجح فيه مجرد اصدار قانون ، وانما هى عملية طويلة ذات جوانب متعددة سياسية واقتصادية وفكرية لابد فيها من استخدام وسائل تؤدى جميعها معا الى القضاء على هذه الفئة ، منها تكوين لجان شعبية ورسمية تأخذ على عاتقها تشغيل العمال الزراعيين ، ومنها تشكيل تنظيم حى للعمال بالقرية يتصدى لتطوير حياة عامل الترحيلة والنهوض به سياسيا وفكريا بالاشتراك مع لجان الاتحاد الاشتراكى ، ويعمل على تخليصه من سيطرة وسطوة العائلات الغنية ، ليصبح قادرا على التحكم فى مصيره والدفاع عن مصالحه .

ولقد بذلت محاولات ـ وما زالت تبذل ـ لتشغيل عمال التراحيل عن غير طريق مقاولى الانفار ، وكانت احدى هذه المحاولات منذ فترة عن طريق تكوين لجان رسمية فى بعض المحافظات كالبحيرة والدقهلية لتشغيل العمال ، غير أن هذه المحاولة فشلت لعدة أسباب :

١ ـ اعتمدت هذه اللجان فى توريدها للعمال على مقاولى الانفار أنفسهم ، بحيث كانت تلتزم بتوريد العمال ، ثم تتعاقد هى من الباطن مع مقاولى الانفار للقيام بالتوريد مقابل اقتسام العمولة ، وترتب على ذلك أن اكتسب المقاولون الحصانة التى أعطيت للجهات الرسمية ، كما تمتعوا بالميزات التى حصلت عليها هذه الجهات .

٢ ـ عملت هذه اللجان بطريقة حكومية روتينية وكانت غالبا ما تتأخر فى توريد التزاماتها فى المواعيد المتفق عليها ، مما عرضها لتوقيع غرامات التأخير ، وقامت هى بدورها بخصم هذه الغرامات من أجور العمال الذين عملوا فعلا ، مما ترتب عليه نفور العمال منها وعدم اقبالهم على العمل عن طريقها .

٣ ـ كما كان ينقص هذه اللجان مرونة العمل وسهولته ، والقدرة على تنظيم وادارة عمليات نقل العمال واعاشتهم واعطائهم مؤخر أجورهم بعد انتهاء الترحيلة ، كل هذا جعل العمال يفضلون التعامل مع مقاولى الانفار .

٤ ـ بالاضافة الى ذلك فان ارتباط هذه اللجان باللوائح الحكومية المالية لم يمكنها من مجاراة مقاولى الانفار فى وسائل جذب العمال ، فهى لا تعطيهم سلفيات ولا تقف بجانبهم وقت الحاجة كما يفعل المقاول فى حالات الزواج او الوفاة ، هذا بالاضافة الى التأخير فى دفع مؤخر الاجور المستحقة للعمال وخصم أية غرامات تكون قد وقعت على اللجان لاسباب لا علاقة للعمال بها خصمها من أجورهم .

٥ ـ كما أن اعفاء بعض هذه اللجان ـ وهو مازال ساريا حتى الان ـ من غرامات التأخير فى توريد التزاماتها من العمال ، رغم النص على هذه الغرامة بالعقد ، هذا الاعفاء سبب هام من أسباب عدم جدية هذه اللجان لانها تشعر أنها فوق أية محاسبة عن التقصير او الاخلال بالعقد ، ان هذا الاعفاء يجب أن ينتهى وأن يكون التعامل مع هذه اللجان على أساس شروط واضحة ملزمة للطرفين معا حتى يمكن تبين مدى جدية كل لجنة وقدرتها على ممارسة عملها .

٦ ـ تصدى المقاولون لبعض هذه المحاولات وحاربوها بشراسة وبطريقة مدمرة ، اذ رفعوا أجور العمال للحد الذى لاتقدر عليه اللجنة، ووصل هذا الفارق فى بعض الاحيان ٤ ـ ٥ قروش للعامل يوميا ، مما ترتب عليه انفضاض العمال عن اللجنة وعودتهم الى المقاول مرة أخرى ، ولما تحطمت اللجنة وفشلت المحاولة عاد المقاول الى فرض الاجر الذى كان يدفعه سابقا .

لكل هذه الاسباب فشلت هذه المحاولات فى اجتذاب العمال اليها وتشغيلهم عن طريقها ، واستمر المقاول هو سيد الموقف فى سوق تشغيل العمال الزراعيين .

غير أن مشكلة تشغيل عمال التراحيل ، عادت تستحوذ على اهتمام واسع أواخر عام ١٩٦٩ وأوائل ١٩٧٠ . فقامت وزارة العمل بدراسة لهذه المشكلة وانتهت الدراسة الى « ضرورة انشاء هيئة عامة للعمال المؤقتين تتولى تنظيم تشغيل ورعاية عمال التراحيل على المستوى القومى ، وقد رأت الوزارة أنه الى أن يتيسر للدولة اقامة هذا الجهاز فانه يمكن ايجاد أجهزة محلية على مستوى

المحافظات تتولى تشغيل عمال التراحيل تحت اشراف السادة المحافظين من المركز الرئيسى الى القرية ، وتمثل فيها أجهزة الادارة المحلية ومديريات الخدمات المعنوية واللجان النقابية والزراعية والاتحاد الاشتراكى • » (٧)

ثم طالبت وزارة العمل الهيئات والمؤسسات التى تستخدم عمال التراحيل أن تتعاون فى حل هذه المشكلة ، وذلك بالتعامل مع هذه الاجهزة المحلية واعطائها الاولوية على مقاولى الانفار •

وقبل أن تصدر هذه التوصية من وزارة العمل كانت محاولات جديدة قد بذلت – وتبذل – من أجل تخطى جوانب الضعف فى التجارب السابقة •

فشكلت لجنة من قطاع مريوط – التابع لمؤسسة استغلال وتنمية الاراضى المستصلحة – ذهبت الى السنبلاوين لتعمل بالتعاون مع مكتب شكل بها لتشغيل عمال التراحيل ، وكان الهدف من ذلك هو محاولة سد النقص فى الايدى العاملة التى يحتاجها القطاع ، وكان عليها أن تتغلب على بعض جوانب القصور فى التجارب السابقة ، خاصة الجانب المالى فقامت هى بدفع مقدم أجر بواقع خمسة جنيهات لكل عامل بالغ وجنيهين للولد ، وذلك تحت اشراف ومسئولية مكتب السنبلاوين والتزامه بتوريد هؤلاء العمال •

وقد تلافت لجنة القطاع النقص فى السيولة المادية لدى المكتب بدفعها مقدم الاجر ثم صرفها باقى الاجر بمجرد انتهاء الترحيلة مباشرة للعامل وقبل عودته الى قريته ، وبهذا حقق العامل بهذا الاسلوب مكسبا ، اذ حصل على أجره كاملا بواقع ٢٥ قرشا فى اليوم ، ورغم هذه السيولة النسبية فى عمل لجنة القطاع الا أنها لكونها فى النهاية لجنة حكومية تقيدها اللوائح المالية تجد نفسها عاجزة فى بعض الاوقات عن توفير الاعداد المطلوبة خاصة فى مواسم العمل الزراعى واشتداد الطلب على العمال • اذ هى لا تستطيع أن تجارى ارتفاع الاجور فى مثل هذه الاوقات ، فينصرف العامل عنها الى العمل فى التفاتيش ومزارع كبار الملاك والتى غالبا ما تكون قريبة من بلدته مما يمكنه من المبيت بها والعودة فى الصباح الى عمله ، كما أن اللجنة غير قادرة على خلق ارتباطات بالعمال مثلما يفعل المقاول ، هذا بالاضافة الى أن جميع ظروف العمل – غير الاجر – مازالت كما هى فى عقد المقاول • كل هذا يجعل العامل مترددا فى الارتباط بهذا المكتب على مدار السنة وجميع الفصول ، ومازال الامر يحتاج الى مزيد من الجهد القائم على خطة مدروسة وواعية •

وكما تمت محاولة بالدقهلية ، تمت محاولات أخرى بالمنوفية حيث تم تشكيل لجان فى بعض المراكز تتعامل مباشرة مع قطاعات المؤسسة دون الحاجة الى تواجد مندوبين عن القطاع بالمنوفية وكذلك قامت محافظة المنيا بتشكيل لجنة لتشغيل عمال التراحيل بالمحافظة تنفيذا لقرار مؤتمر المحافظين فى ١٦ – ١٠ – ٦٩ ، ولقد استطاع هذا المكتب الحصول على عقد توريد عمال لقطاع مريوط – مؤسسة الاستغلال – ويعتبر هذا العقد حتى الان – من وجهة نظر مصالح العمال – أفضل العقود جميعها ، وبحيث لو طبق بروح المحافظة على مصالح العمال والنهوض بمستواهم وباشتراك العمال أنفسهم فى ذلك ، وفى نفس الوقت مع المحافظة على الصالح العام لكان هذا العقد خطوة هامة نحو تحرير العمال الزراعيين بالارض الجديدة من سيطرة مقاولى الانفار ، ولاهمية هذا العقد وقبل ان نستطرد فى التعليق عليه ومقارنته بالعقود الاخرى فانا نورده بنصه :

محافظة المنيا

لجنة تشغيل عمال التراحيل

تمهيـــد :

حرصا على صالح عمال التراحيل الذين يمثلون قطاعا هاما من قوى الشعب العاملة تعرضوا فى الماضى للعمل فى ظروف قاسية بسبب وجود فئة من المقاولين حاولت أن تثرى على حسابهم بامتصاص جزء كبير من دخلهم ، وتنفيذا لما قرره مؤتمر المحافظين بتاريخ ١٦ – ١٠ – ١٩٦٩ ، ولتحقيق وتوفير فرص العمل المجزى لهؤلاء العمال على مدار السنة وتكافؤ الفرص فى تشغيلهم وحمايتهم من الاستغلال المادى والمعنوى فى شتى صوره وتمشيا مع سياسة الدولة فى دورها الطليعى نحو حماية العمال من الاستغلال وخلق حياة كريمة تتفق مع دورهم الذى أرادته لهم الدولة فى ظل مجتمعنا الاشتراكى •

عقد تقديم عمال

انه فى يوم •••• الموافق – – ١٩٧٠
بين كل من :

أولا : قطاع مريوط التابع للمؤسسة المصرية العامة لاستغلال وتنمية الاراضى المستصلحة ومثله السيد / المهندس ••••• بصفته مديرا عاما للقطاع ومقره قطاع مريوط الناصرية **(طرف أول)** •

ثانيا : لجنة تشغيل عمال التراحيل بمحافظة المنيا المشكلة بقرار السيد المحافظ رقم ٣٨٦ لسنة ١٩٦٩ ويمثلها السيد / ••••• **بصفته سكرتيرا عاما للمحافظة • ورئيس لجنة تشغيل** عمال التراحيل ومقره ديوان المحافظة بالمنيا **(طرف ثان)**

وقد أقر المتعاقدان بأهليتهما للتصرف قانونا واتفقا على ما يأتى :

---

(٧) **كتاب وزارة العمل الى وزارة استصلاح الاراضى فى ٢٨/٥/١٩٧٠.**

البند الاول :

يلتزم الطرف الاول بتشغيل عمال التراحيل التى يتعهد بتقديمها الطرف الثانى بمناطق عمل الطرف الاول وبالاتفاق مع الطرف الثانى قبل بدء تنفيذ هذا العقد وطبقا للاتى :

١ ـ عدد العمال المطلوبين ١٠٠٠ عامل (**ألف**) كحد ادنى ، ١٥٠٠ عامل (**الف وخمسمائة**) كحد اقصى .

٢ ـ جهة التشغيل مزارع قطاع مريوط .

٣ ـ مدة الترحيلة ٤٥ يوما تبدأ من تاريخ العمل وتنتهى بانتهاء يوم العمل ،ويشترط أن يكون التشغيل الفعلى فى اليوم الثانى من تاريخ وصول العمال الى مكان الاستقبال .

٤ ـ يطلب الطرف الثانى من الطرف الاول كتابة العدد المطلوب قبل موعد بدأ الترحيلة بخمسة عشر يوما على الاقل .

البند الثانى

يتعهد الطرف الثانى بتقديم العمال الى الطرف الاول بحيث لا يقل سن العامل الرجل عن ١٨ سنة (**ثمانية عشر عاما**) من واقع بطاقته الشخصية أو العائلية ، وأن يكونوا أصحاء لائقين للعمل ، بشرط أن تكون مهنة العمال المتقدمين الاساسية هى الفلاحة وأن يكون مع كل منهم فأس وشرشرة صالحين للاستعمال .

البند الثالث

يتعهد الطرف الاول بأن يدفع للطرف الثانى أجرا يوميا للرجل سن ١٨ عاما فأكثر مبلغ ٢٥٠ مايما (مائتين وخمسين مليما) كأجر يومى .

البند الرابع

يتعهد الطرف الاول عند توقيع العقد بدفع ٧٥ فى المائة (**خمسة وسبعين فى المائة**) **من اجمالى الاجور فقط مقدما** للطرف الثانى محسوبة على عدد الحد الاقصى لعدد العمال المطلوبين فى البند الاول مع عمال الخدمات فى البند التاسع ، على أن يورد الطرف الاول للطرف الثانى هذا المبلغ قبل بدء الترحيلة بخمسة عشر يوما على الاقل ، وعلى أن يسدد الباقى بعد انتهاء الترحيلة بأسبوع على الاكثر .

البند الخامس

يلتزم الطرف الاول بتسليم الطرف الثانى سلع برنامج الغذاء العالمى حسب المقررات الموضحة بالكشف المرفق به ، مضروبة فى الحد الاقصى لعدد العمال المطلوبين أسبوعيا فى البند الاول ، على أن تكون هذه السلع تحت التصرف للطرف الثانى قبل موعد بدء الترحيلة ووصول العمال للقطاع بثلاثة أيام على الاقل ، ثم يكون التسليم بعد ذلك على دفعات كل أسبوع مقدما .

وفى حالة عدم تمكن الطرف الاول من تقديم هذه السلع جميعها والمقدر قيمتها بمبلغ اثنى عشر قرشا يوميا للعامل أو بعضها فيلتزم بدفع ثمنها نقدا أو ما يقابلها من أصناف بديلة كما هو موضح بالكشف المرفق به للطرف الثانى ، أو تدبير ما يعادلها من القيم الغذائية ،على أن يقوم الطرف الثانى بتصنيع الدقيق بمخابز القطاع فى حالة صلاحيتها ومناسبة الاسعار ، كما هو سائد بالمنطقة ، وتغذية العمال بالمعسكرات ، كما يتعهد الطرف الاول بتقديم كافة أدوات التغذية للعمال قبل موعد بدء وصول العمال الى القطاع بثلاثة أيام على الاقل .

البند السادس

ينشىء الطرفان مكتبا مشتركا يسمى مكتب « تشغيل ورعاية عمال التراحيل » بجهة العمل المحددة فى البند الاول من مندوبين من كل منهما ليتولوا رعاية عمال الطرف الثانى من النواحى الاجتماعية والصحية والثقافية وغيرها على أن يتولى الطرفان تحديد اختصاصات المكتب ، وعلى أن يتحمل كل طرف النفقات الادارية لموظفيه .

البند السابع

يلتزم الطرف الاول بدفع تكاليف نقل العمال للطرف الثانى محسوبة على أساس اجمالى العمال الذين وصلوا جهة التشغيل من واقع محاضر استلام فرز العمال مضروبا فى مبلغ ٤٠٥ر١ (**فقط جنيه وأربعمائة وخمسة مليمات لا غير**) على أن يسدد الطرف الاول للطرف الثانى هذا المبلغ بعد عشرة أيام من بدء الترحيلة على الاكثر ، على أن يتحمل الطرف الثانى تكاليف نقل العمال من محال اقامتهم بقرى المحافظة الى مركز تجمعهم ، وعند العودة يدفع القطاع مبلغ ٤٠٥ ر ١ (**جنيه وأربعمائة** وخمسة مليمات لا غير) لكل عامل من عدد العمال الباقين قبل نهاية مدة الترحيلة .

البند الثامن

الطرف الاول مسئول عن تشغيل العمال فور وصولهم جهة التشغيل ، وفى حالة بعد مواقع العمل داخل القطاع بمناطق التشغيل عن أماكن اقامة العمال بمسافة تزيد عن ٢ كيلو متر يلتزم الطرف الاول بنقل العمال الى مواقع العمل واعادتهم الى أماكن اقامتهم على حسابه ، وفى حالة تعذر ذلك فالطرف الثانى غير مسئول عن بطالة أى عامل بسبب عدم نقله الى مواقع العمل ، كما يلتزم الطرف الاول باخطار الطرف الثانى كتابة باية تحركات وانتقالات يجريها للعمال فى مواقع العمل من مزرعة الى أخرى وقبل اجرائها بمدة لا تقل عن ١٢ ساعة .

البند التاسع

يقسم العمال الى مجموعات عدد كل مجموعة ٤٠ عاملا وعليهم ريس (**سواق**) للملاحظة بواقع أجر عامل ، ويلتزم الطرف الاول بدفع أجور انتقال عمال الخدمات كالاتى :

عدد

١ ملاحظ لكل ٤٠٠ عامل بواقع أجر عاملين .

١ خفير لكل ١٠٠ عامل بواقع أجر عامل .

١ ـ عامل شرب لكل ٥٠ عامل بواقع اجر عامل .

٢ ـ عامل مطبخ لكل ٥٠ عامل بواقع أجر عامل يوميا أو تخصص سيارة لنقل التغذية على حساب الطرف الاول على ان يتم هذا التقسيم على أساس عدد العمال المطلوبين فى البند الاول .

البند العاشر

تحدد معدلات الاداء اليومى لانتاج العمال فى كل نوع من أنواع العمل وحسب طبيعة العمل وظروفه بمعرفة لجنة فنية من المكتب المنوه عنه فى البند السادس ، واذا زاد انتاج العامل عن معدل الاداء اليومى المقرر له فانه يستحق أجرا يعادل هذه الزيادة ، واذا نقص انتاجه يخصم منه ما يوازى هذا النقص ما لم يكن ذلك راجعا الى ظروف خارجة عن ارادته ، مثل الامطار الشديدة والعواصف المعوقة للعمل أو التأخير عن نقله من محل اقامته الى أماكن العمل ، أما السهرات فتحتسب على أساس أجر نصف يومية للثلاث ساعات وأجر يومية كاملة للساعات الست كحد أقصى وتصرف للعامل مباشرة ولا تحتسب عنها عمولة .

البند الحادى عشر

يتعهد الطرف الاول بدفع عمولة قدرها ٨ فى المائة للطرف الثانى بالاضافة الى أجور العمال فى البند الاول وعمال الخدمات فى البند التاسع .

البند الثانى عشر

يتم فرز العمال فور وصولهم جهة التشغيل المحددة فى البند الاول بمعرفة مندوب الطرف الاول وبحضور مندوب من الطرف الثانى ، وتفحص بطاقاتهم الشخصية والعائلية ، ويحرر كشف من أصل وثلاثة صور يوقع عليه من مندوبى الطرفين ، وتسلم صورة منه للطرف الثانى فور الانتهاء من عملية الفرز ، على أن تتم المحاسبة على أجور النقل الموضحة فى البند السابع من واقع هذه الكشوف ، ويعمل بفئاتهم طول مدة الترحيلة وهى ٤٥ يوما (**خمسة وأربعين يوما**) **ولا تقل عن ذلك** .

البند الثالث عشر

يعفى الطرف الثانى من توقيع غرامات التأخير فى الحالات الاتية :

١ ـ خلال عشرة الايام الاولى من بدء الترحيلة •

٢ ـ اربعة أيام من كل من عيد الفطر وعيد الاضحى المبارك •

٣ ـ يومين فى المولد النبوى الشريف •

٤ ـ أيام المطر الذى يحول دون العمال وقيامهم بالعمل ، ويكون تقدير مدى شدة المطر واعاقة العمل بمعرفةاللجنة المنوه عنها فى البند السادس مع احتساب أجور العمال •

البند الرابع عشر

اذا قصر الطرف الثانى فىتقديم العدد المتفق عليه والمطلوب من العمال توقع عليه غرامة بواقع ٥٠ مليما (خمسين مليما) فى البدء عن كل عامل ينقص عن العدد المطلوب اذا تجاوز التقصير ١٠ فى المائة منالعدد المتفق عليه فى الاحوال العادية •

البند الخامس عشر

فى حالة وفاة احد العمال بمنطقة العمل يقوم الطرف الاول بتخصيص سيارة لنقل الجثة الى بلدته وعلى حساب الطرف الاول ، أو نقله بالسكة الحديد •

البند السادس عشر

يلتزم الطرف الاول بتقديم صورة ظاهرة وواضحة من (الجاليش) اليومى لعمال الطرف الثانى يوميا موضحا بها الخصومات التى توقع على العمال وأسبابها معتمدة من مندوبى الطرف الاول ، وتسلم صورة أخرى لشرف المجموعة ، كما تعرض أجور العمال يوميا ، وتكون الخصومات فى حضور مندوب الطرف الثانى ومدير المزرعة المختص ، وأن تعتمد من السيد نائب مدير عام القطاع ، وللطرف الثانى حق التظلم لدى السيد مدير عام القطاع للنظر فى رفع هذا الخصم •

البند السابع عشر

يتعهد الطرف الاول بتقديم صورة من مستخلصات عمال الطرف الثانى كل خمسة عشر يوما مبينا بها يوميات التشغيل والخصومات والمستحقات ، كل زراعة على حدة خلال خمسة عشر يوما •

البند الثامن عشر

يتعهد الطرف الاول باعداد معسكرات لمبيت عمال الطرف الثانى وعمال الخدمات والمشرفين بحيث تكون مناسبة من فرش وانارة ومياه صالحة للشرب ، وبالنسبة للغطاء فتتعهد المؤسسةبتقديم ١٠٠٠ (ألف) بطانية تسلم لمندوب المحافظة على ان يقوم بردها على حالتها بعد انتهاء مدة العقد ، وأى فقد أو تلف لهذه الاغطية يتحمل قيمتها الطرف الثانى ، واذا لم تكن هذه المعسكرات معدة وجاهزة لاستقبال العمال يوم وصول الفوج الاول منهم جهةالتشغيل ، فللطرف الثانىالحق فى شراء الفرش والغطاء المناسبينوتدبير الانارة والمياه الصالحة للشرب على حساب الطرف الاول ودون اعتراض منه •

البند التاسع عشر

يتعهد الطرف الاول باعداد مقر مؤقت مناسب للمشرفين والكتبة والملاحظين التابعين للطرف الثانى •

البند العشرون

يتعهد الطرف الاول بتوفير وسائل الرعاية الصحية والعلاج للعمال المرحلين من قبل الطرف الثانى ، وعليهايضا نقل العمال المرضى أثناء العمل الى اقرب وحدة صحية •

البند الحادى والعشرون

توحيدا للعمالة بين العمال والمتعاقدين فان اىشرط فيه ميزة اكثر للعامل فى اىقطاع منقطاعات العملبالمؤسسة يسرى على عمال الطرف الثانى من تلقاء نفسه •

البند الثانى والعشرون

مدة هذا العقد ستةأشهر تبدأ منتاريخ التوقيععليه ، واذا لم يخطر اى طرف الطرف الاخر برغبته فى عدمتجديد المدة قبل انتهاء مدة العقد بشهر فان هذاالعقد يجدد من تلقاء نفسه مدة واحدة مماثلة •

البند الثالث والعشرون

كل خلاف ينشا عن تنفيذ هذا العقد أو تفسيره يعرض أولا على لجنة تشكل بين الطرفين ، فاذا لم تنته الى حل يقبله الطرفان يعرض النزاع على محاكم القاهرة حسب درجاتها ويكون حكمها ملزما للطرفين •

البند الرابع والعشرون

تحرر هذا العقد من نسختين تسلم كل طرف نسخة للعمل بموجبها •

تحريرا فى ١٤ / ٦ / ١٩٧٠

مقارنة بين العقود المختلفة

واذا قارنا بين عقد عمل المنيا وبين عقدين آخرين ، عقد مقاول أنفار ، وعقد مكتب تشغيل العمال بالسنبلاوين ، والثلاثة .. الطرف الاول فيها واحد هو قطاع مريوط التابع لمؤسسة استغلال وتنمية الاراضى ، نجد أنه بالنسبة الى :

● **سن العامل :** عقد المنيا يلتزم بتقديم عمال بالغين فقط عمرهم ١٨ سنة فأكثر ولا يشغل نساء وأولادا •

بقية العقود تقدم بجانب العمال البالغين ، أولادا ابتداء من سن ١٢ سنة وأحيانا عشر سنوات ، وتقدم المرأة بأجر أقل من أجر الرجل •

ومن الملاحظ بصفة عامة أن عقود المقاولين تنص على توريد عمال بالغين ونساء وأولاد الا أن الترحيلات القادمة من الصعيد تخلو عادة من النساء والاولاد نظرا لطول مدة الترحيلة والتى تتراوح بين ٤٥ يوما وثلاثة شهور •

● **الاجر اليومى :** هذا الاجر موحد فى جميع العقود بالفئات الاتية :

٢٥٠ مليما للعامل سن ١٨ سنة فأكثر •

١٥٠ مليما للمرأة والعامل بين سن ١٦ ـ ١٨ سنة •

١٢٠ مليما للولد والبنت بين ١٢ ـ ١٦ سنة •

هذا الاجر لعمال التراحيل فقط ، أما العمال القادمون من المناطق المجاورة للقطاع ، فلا تنطبق عليهم هذه الفئات ، وفى العادة لا يتجاوز أجر العامل من المناطق المجاورة ١٤ قرشا •

● **عمولة توريد :** عقد المنيا ٨ فى المائةمن اجمالى الاجور •

عقد السنبلاوين ٦ فى المائة من اجمالى الاجور •

عقد المقاول ٣ فى المائة من اجمالى الاجور ٠

ونسبة ٨ فى المائة عالية دون مبرر معقول وتزيد من تكاليف العمالة

● **نقل العمال** : المنيا تحصل على ٤٠٥ر١ جنيه عن كل عامل نظير نقله ذهابا وايابا ٠

السنبلاوين تحصل على ٠ر١ جنيه عن كل عامل نظير نقله ذهابا وايابا ٠

٥٠٠ر جنيه عن كل ولد نظير نقله ذهابا وأيابا

المقاول يحصل على ٧٥٠ر جنيه عن كل عامل وولد نظير النقل ذهابا وأيابا ٠

● **معدلات الاداء** : المنيا : تحددها لجنة مشتركة بين القطاع ولجنة التشغيل ٠

السنبلاوين : تحددها المؤسسة وحدها بدون اشتراك ٠

المقاول : الطرف الثانى ٠

● **غرامة التأخير** ـ المنيا : ٥٠ مليما عن كل عامل ينقص عن العدد المطلوب توريده يدفعها الطرف الثانى للطرف الاول ٠

السنبلاوين : ١٠٠ مليم عن كل عامل ينقص عن العدد المطلوب ٠

المقاول : ١٠٠ مليم عن كل عامل ينقص عن العدد المطلوب ٠

رغم النص على هذه الغرامة فان بعض المكاتب تعفى منها عمليا ، وهذا يساعد على تراخى هذه اللجان فى الوفاء بالتزاماتها ٠

● **مقدم الاجر** : المنيا : يدفع الطرف الاول ٧٥ فى المائة من اجمالى الاجور مضروبا فى الحد الاقصى لعدد العمال بما فى ذلك عمال الخدمات ، مقدما للطرف الثانى ٠

السنبلاوين : يدفع الطرف الاول ٥ جنيه للعامل ، ٢ جنيه للولد مقدم أجر ٠

المقاول : يدفع هو للطرف الاول تأمينا قدره ٥٠٠ مليم عن كل عامل ٠

ان اشتراط دفع ٧٥ فى المائة مضروبا فى الحد الاقصى لعدد العمال مقدما ، من شأنه فى حالة عجز المكتب عن توريد العدد المطلوب ـ وهو ما حدث بالفعل ـ أن يصبح مدينوا للقطاع ، وهذا يضعف بالتالى من قدرة القطاع المالية على سد العجز فى اليد العاملة ، ومن الضرورى اعادة النظر فى هذا البند بحيث لا يزيد المقدم عن ٥٠ فى المائة من الاجر مضروبا فى الحد الاقصى ٠

● **الريس والخفراء وعمال الخدمة** ـ المنيا : يدفع الطرف الاول ٤٠ يومية لكل ٥٠٠ عامل يوميا ٠

السنبلاوين : يدفع الطرف الاول ٢ يومية لكل ٥٠٠ عامل يوميا ٠

المقاول : يدفع الطرف الاول ٢٠ يومية لكل ٥٠٠ عامل يوميا ٠

ويلاحظ أن ٤٠ يومية خدمة لكل ٥٠٠ عامل هى نسبة عالية جدا وتزيد من المصاريف الادارية فى العقد ٠

● **الاعاشة والمسكن** : المنيا : تتعهد المؤسسة بالاتى :

١ ـ توفير السكن للعمال والمشرفين ٢ ـ توفير فرش وأنارة ومياه للشرب ٣ ـ بطانية لكل عامل ٤ ـ تسليم مواد برنامج الغذاء العالمى أو دفع قيمتها ٠

السنبلاوين : المقاول ، تتعهد المؤسسة بتوفير المسكن فقط ٠

● **الرعاية الصحية** ـ المنيا : تتعهد المؤسسة بتوفير وسائل الرعاية الصحية والعلاج ٠

السنبلاوين ـ المقاول:تتعهدالمؤسسة بتوفير

● **الرعاية الاجتماعية** : المنيا : تكوين مكتب مشترك من المؤسسة ولجنة تشغيل العمال يتولى رعاية العمال من النواحى الاجتماعية والثقافية والصحية ٠

السنبلاوين والمقاول : لا يوجد مثل هذا البند

والبندان الاخيران ما زالا حتى الان حبرا على ورق ، ومازال تطبيقهما وتحويلهما الى واقع يحتاج الى جهد واصرار ، خاصة من قبل لجنة التشغيل والعمال انفسهم ، الا أن الاعتراف بهذه الحقوق فى عقد التوريد يمهد للخطوة الاولى فى طريق تحقيقها ٠

ومن الملفت للنظر أن عقدالمنيا ينص فى بند منه على أن كل ميزة للعمال فى أى قطاع آخر من قطاعات المؤسسة تسرى تلقائيا على عماله وبهذا احتفظ لنفسه بالحق فى الحصول على أية مكاسب تستطيع لجان تشغيل أخرى الحصول عليها ٠

ورغم أن عقد المنيا يحتوى على مميزات كثيرة لعمال التراحيل بعضها يسجل لاول مرة فى عقد مكتوب ، الا أن العقد به ثغرات تضعف من قيمته فى التطبيق ، فالمصاريف الادارية بالعقد عالية حدا : نسبة العمولة ٨ فى المائة بالاضافة الى أجور نقل العمال ويوميات الريس وعمال الخدمة والتى تبلغ ٤٠ يومية يوميالكل ٥٠٠ عامل ٠كل هذه

تمثل عبئا ثقيلا على كاهل القطاع ، وهى بجانب الالتزامات الاخرى بالعقد ترفع من تكاليف العمالة بدرجة كبيرة مما يرفع بالتالى التكاليف النهائية لكل محصول ، كما أن اشتراط دفع مقدم أجر يوازى ٧٥ فى المائة من اجمالى الاجور مضروبا فى الحد الاقصى لعدد العمال المتعاقد عليهم ، هو شرط مجحف للقطاع ، مضعف لميزانية خاصة اذا عرفنا أن لجنة التشغيل لم تف فعلا بالتزاماتها ولم تقدم سوى حوالى ٥٠٠ عامل بدلا من ١٥٠٠ عامل ، وهذا يجعلها مدينة للقطاع ويجعل القطاع أضعف ماديا فى قدرته على التصرف وتوفير العجز فى القوى العاملة المطلوبة ، كل هذا لا يشجع القطاع على تجديد هذا العقد ، رغم ما به من مميزات للعمال ، ولذلك من الضرورى اعادة النظر فى هذه الجوانب من العقد ، فتخفض نسبة العمولة والمصاريف الادارية الاخرى الى الحد المعقول وعلى الاكثر الى نسبة المقاول ، كما يخفض مقدم الاجر بحيث لا يتعدى ٥٠ فى المائة من مجموع الاجور مضروبا فى الحد الاقصى ، كل هذا يصبح منطقيا خاصة اذا وضعنا فى اعتبارنا أن لجنة التشغيل ليس هدفها الربح ، كما ان الجانب الشعبى فى اللجنة يؤدى دوره باعتباره ممثلا للعمال وليس على أساس وظيفى .

وكما أن المصاريف الادارية بالعقد عالية جدا ، كذلك فان تطبيقه وتطويره ما زال فى أيدى موظفين حكوميين ، وما زال التطبيق العملى لم يتطابق مع نصوص العقد ، ومازالت اللجنة مرتبطة باللوائح المالية والروتين الحكومى ، وهذا هو أحد العوامل فى عدم وفائها بالعدد الذى التزمت به فى العقد (١٠٠٠) عامل كحد أدنى ، (١٥٠٠) عامل كحد أقصى ، اذ لم تقم بتوريد سوى ما يقرب من ٥٠٠ عامل فقط ، وشجعها على ذلك عدم تطبيق بند غرامة التأخير عليها .

ومن الضرورى لتطوير العمل بهذا العقد مشاركة العمال أنفسهم فى تطبيقه ، ولكى تتم هذه المشاركة - لا فى صورة شكلية - وانما بطريقة ايجابية ، لابد من القيام بجهود صادقة لرفع وعى العمال وتربيتهم سياسيا وثقافيا حتى يستطيعوا المشاركة فى تسيير دفة أمورهم والمحافظة على حقوقهم .

ولكى تتم هذه الخطوة لابد أن تقوم الاجهزة الشعبية بدورها ، لابد أن تعيش لجان الاتحاد الاشتراكى بالقرى هذه المشكلة وتشارك فى حلها ، كما لابد وأن تتحول اللجان النقابية من كيان على الورق لا يحس به أحد ، الى كيان حى وواقع يعيشه العمال ، وعلى هذه اللجان أن تسعى لضم جميع العمال الزراعيين فى محيطها اليها .

ولكى تتحول اللجان النقابية الى كائن حى يلعب دوره الحقيقى وسط العمال ويتصدى لحل مشكلة تشغيلهم وحمايتهم من مقاولى الانفار ، لابد وأن يتم ذلك بطريقة ديمقراطية ، وعلى اللجنة أن تقوم بحصر جميع العمال الموجودين بدائرتها وتسجيلهم ، وتمارس بينهم نشاطا جادا هدفه اقناعهم بالانضمام اليها ، وسوف يساعد على ذلك ، المواقف العملية التى تقفها اللجنة ، من مشاكلهم ، وتصديها لحلها ، وعندما يتسع انضمام العمال الى اللجنة ، يصبح ضروريا تشكيل قيادة جديدة لها بطريقة ديمقراطية .

الامم المتحدة ومشكلة عمال التراحيل

ومشاكل عمال التراحيل لا تنفرد بها بلادنا دون بلدان العالم الاخرى ، بل على العكس فان كثيرا من الدول لديها هذه المشكلة وتشاركنا المعاناة فى حلها ، وان اختلفت أسباب وجودها وطرق التصدى لحلها .

ونحن نجد البلدان الاشتراكية لا تعانى هذه المشكلة وليس لديها ما يسمى بعمال التراحيل ، حيث تغلب النظام الاشتراكى والتخطيط العلمى للاقتصاد القومى على مشاكل التخلف، كما تغلب على الفارق الكبير بين الريف والمدينة، وقضى على البطالة الصريحة والمقنعة فى المدينة والريف على السواء ، وأصبح العامل الزراعى يتمتع بجميع الحقوق والمزايا التى حققتها الدولة لعمال الصناعة من حيث الاجور والتأمينات الاجتماعية والرعاية الصحية والثقافية ... الخ .

وبينما الوضع كذلك فى البلدان الاشتراكية ، اذ بنا نلاحظ أن مشكلة عمال التراحيل توجد وبحدة فى البلدان الرأسمالية الاحتكارية ذات المزارع الرأسمالية الكبيرة ، مثل الولايات المتحدة الامريكية ، والمشكلة فيها هى نتاج التطور العالى للرأسمالية والقضاء على الملكيات الصغيرة فى الارض بشكل واسع ، وتعتبر مشكلة عمال التراحيل احدى المشاكل الاجتماعية البارزة فى الريف الامريكى ، وقد استمد منها كثير من الكتاب مادة رواياتهم وأعمالهم الفنية ، وهاجموا المجتمع الامريكى والانظمة الامريكية لقبولها هذا الظلم البين والمعاملة غير الانسانية التى يتعرض لها العمال المهجرون من المكسيك وغيرها من بلدان أمريكا الوسطى والجنوبية للعمل بالمزارع الامريكية الكبيرة .

وكما تعانى البلدان الرأسمالية الكبيرة من مشكلة عمال التراحيل ، كذلك تعانى منها كثير من البلدان النامية كجزء من التراث الذى خلفه لها

الاستعمارية وعليها أن تواجهه مستفيدة من خبرات البلدان الاشتراكية التى نجحت فى حلها .

ولقد اهتمت منظمة العمل الدولية بعمال التراحيل منذ مدة طويلة ، وصدرت عنها عدة توصيات واتفاقيات متعلقة جميعها بعمال التراحيل وعمال المزارع الكبيرة ، ومن هذه التوصيات التوصية رقم ١١٠ والتى صدرت فى يونية ١٩٥٨ والخاصة بظروف استخدام عمال التراحيل ، وتتعرض هذه التوصية لكل ما يتعلق بتشغيل هؤلاء العمال المهجرين وتنظيم تجمعهم ونقلهم الى أماكن العمل ، وتنص هذه التوصية على أنه لا يجوز لاى فرد أو هيئة مزاولة مهنة تجميع العمال ونقلهم ما لم يكن مرخصا له أولا من السلطة المختصة ، وعدم تعرض العمال لاى ضغط غير قانونى ، وتسليم كل عامل شهادة تجميع أو بطاقة عمل ، وتوقيع الكشف الطبى على كل عامل ، ونقل العمال الى مناطق العمل على نفقة صاحب العمل بوسائل نقل مناسبة ، كما طالبت التوصية بتنظيم الاجور ووضع حد أدنى لها بوساطة الاتفاقيات الجماعية والقوانين ، وبدفع الاجر نقدا ومباشرة للعامل، كما تنص هذه التوصيات على منع اقتطاع مبالغ من أجور العمال بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مقابل الحصول على العمل ، أو الاحتفاظ به وذلك عن طريق صاحب العمل ، أو أى وسيط آخر ، وان تنظم اجازات العمال وطرق تعويضهم عن اصابات العمل ، مع توفير المسكن والرعاية الصحية بما يكفل للعمال مستوى مناسبا من المعيشة .

ونال عمال التراحيل المصريون نصيبا من اهتمام الامم المتحدة، فقد اقرت أخيرا تقديم أغذية بمبلغ ٤٥مليون دولار للمؤسسة المصرية لاستغلال وتنمية الاراضى المستصلحة لتوزيعها على العمال العاملين بها على مدى خمس سنوات اعتبارا من عام ١٩٧٠ وحد برنامج الغذاء العالمى :

١ ـ أن يقدم للعامل يوميا وجبات غذائية مطهية مكونة من :

دقيق قمح ٤٠٠ جم	لحم معلب ١٠ جم .
زيت طعام ٣٠ جم	جبن ١٠ جم .
لبن مجفف ٣٠ جم	سكر ٢٠ جم .
سمك معلب ٢٠ جم .	

٢ ـ وتقوم المؤسسة باضافة خمسة قروش يوميا الى أجر العامل الذى يدفع فى قطاعاتها التسعة ، ثم يعلى هذا المبلغ فى حساب خاص يصرف منه على انشاء معسكرات لعمال التراحيل وتجهيزها وتأثيثها والصرف منه أيضا على أوجه الرعاية الصحية والثقافية والاجتماعية للعمال .

٣ ـ كما تقوم المؤسسة بخصم مبلغ لا يزيد عن خمسة قروش من أجر العامل نظير تصنيع الطعام، واضافة الاصناف التى لم ترد ضمن برنامج الغذاء العالمى كالخضر والبقول والارز والشاى وتصنيع الخبز .

ومع أن مساهمة الامم المتحدة هذه تعتبر مساهمة فعالة فى المساعدة على النهوض بمستوى عمال التراحيل الذين يتصادف عملهم بقطاعات المؤسسة ، الا أنها ليست هى الحل الجذرى للمشكلة ، ولنا على تنفيذ برنامج الغذاء العالمى بعض الملاحظات :

١ ـ ان اقتطاع جزء من أجر العامل مهما قلت قيمته وتحت أية مبررات من شأنه فتح ثغرة أمام المقاول او اى طرف آخر للتلاعب فى أجور العمال، هذا من جانب ومن جانب آخر فان ما سيدفعه العامل سوف يضيع جانب منه ـ وربما الجانب الاكبر ـ فى أجور عمال الطهى والخدمة وما شابه ، بحيث يجد العامل أن ما يدفعه من أجره لا يحصل على ما يقابله، مما يجعله ينفر من برنامج الغذاء العالمى ويعتبره قيدا عليه وبدلا من أن يكون وسيلة لرفع مستوى معيشة العامل وترغيبا له فى التعامل مع المؤسسة أصبح ذا تأثير عكسى . . لذلك أصبح من الضرورى الغاء هذا الخصم تماما من أجر العامل .

٢ ـ كما أن تصنيع الغذاء نفسه قد يعطى الفرصة ـ وهو يعطيها بالفعل ـ للتلاعب فى كميات الغذاء التى تصل الى العامل ، وعادة ما تصل المقررات ناقصة ، يضاف الى ذلك أن قطاعات المؤسسة ليس لديها أماكن مهيأة كمطاعم للعمال ، وأن العامل نفسه يرغب فى صنع طعامه بنفسه وبالطريقة التى ألفها ، لذلك كان من الافضل اعطاء العامل مقررات برنامج الغذاء العالمى كما هى، أو يعطى ثمنها نقدا ـ وهى مقدرة بـ ١٢ قرشا فى اليوم ـ ومما يشجع على تنفيذ فكرة اعطاء العامل ثمنها نقدا أن المقررات والاصناف قد وضعت لعمال البلدان الرأسمالية (لبن مجفف ، سمك معلب ، لحم معلب الخ) ، وهؤلاء تختلف ظروف وطريقة معيشتهم عن ظروف وطريقة معيشة العمال المصريين ، ويستطيع العامل بذلك الاستفادة من المقابل النقدى فى توفير احتياجاته الملحة ، أو ادخاره لايام البطالة الطويلة .

٣ ـ **أما بالنسبة** لبناء معسكرات للعمال فيجب أن يتم التصرف فيها حسب ظروف كل قطاع ، ففى بعض القطاعات توجد مساكن بنيت لاستقبال منتفعين كان مفترضا أن توزع عليهم الارض الجديدة ، غير أنها ما زالت تدار حتى الان عن طريق المؤسسة ولم يتم التوزيع ، لذا كان من الواجب الاستفادة من هذه المساكن لسكنى عمال التراحيل وتهيئتها جميعها أو بعضها لتصبح مقرا ثابتا لاقامتهم ، وعلى سبيل المثال فانه يوجد بقطاع مريوط (٥٠ ألف فدان) أكثر من (٢٠٠٠) ألفى مسكن منتفع ، بكل مسكن حجرتان وحوش سماوى ودورة مياه ، وهذه المساكن موزعة بالقطاع جميعه فى شكل عدد من القرى والمدن الصغيرة .

ومن الضرورى بجانب الاستفادة من مساكن المنتفعين سكنى عمال التراحيل بنـاء معسكر صغير (أو تخصيص مبان) لاستقبال العمال الوافدين على القطاع ، وهم عادة ما يحضرون عصرا أو مساء ، وتهيئة مبيت لهم لحين فرزهم وتسجيلهم فى صباح اليوم التالى بدلا من تركهم فى العراء طوال الليل صيفا كان الوقت أم شتاء وهو ما يحدث الان ، وبالاستفادة من المساكن الموجودة يصبح فى الامكان الاستفادة من المبالغ المخصصة للبنـاء فى تدعيم مخصصات الرعاية الصحية والثقافية والاجتماعية للعمال .

٤ ـ **من الملاحظ** أن بعض القطاعات تأخذ موقفا معينا فى تنفيذ برنامج الغذاء العالمى ، اذ تطبقه على العمال الذين توردهم مكاتب التشغيل بالمحافظات دون العمال الذين يوردهم مقاولو الانفار ، وذلك تحت فكرة تشجيع العمال على التعامل مع هذه المكاتب بدلا من مقاولى الانفار .

ولما كان برنامج الغذاء العالمى هدفه خدمة العمال أولا وقبل كل شىء ، وليس وسيلة للضغط عليهم ، كما أنه لم يخص بالاستفادة منه عمالا دون آخرين ، لذلك فان حرمان بعض العمال من هذا البرنامج الغذائى هو اجراء خاطىء ، لان من شأنه أن يخلق تفرقة بين العمال فى موقع العمل ، ومن الضرورى النظر الى العمال نظرة واحدة طالما هم قد وصلوا للقطاع ، لانهم فى هذه الحالة يصبحون عمال القطاع وليسوا عمال الطرف الثانى ـ بغض النظر عن ماهيته ـ ويظلون كذلك الى أن تنتهى مدة الترحيلة ، ومن هنا يصبح من الضرورى تطبيق برنامج الغذاء العالمى على جميع العمال الموجودين بالقطاعات مهما كانت الجهة الموردة لهم ، والا أصبح المنع عقوبة يفرضها القطاع على جزء من العمال فى وقت ليس لدى القطاع أو المؤسسة أية امكانية لقصر تعاملها علـى مكاتب التشغيل وحدها ، نظرا لجوانب النقص العديدة التى أشرنا اليها سابقا ، والتى تجعل هذه المكاتب عاجزة عن الوفـاء بالتزاماتهـا بتوريـد العـدد المطلوب ، كما أنه لا يوجد حتى الان جهاز شعبى متكامل ـ حتى داخل كل محافظة على حدة ـ قادر على التصدى لتشغيل جميع عمال التراحيل ، وان ما هو موجود حتى الان لا يتعدى محاولات فى بعض المحافظات أو حتى فى بعض مراكز هذه المحافظات ، لذا فانه من الضرورى توزيع برنامج الغذاء العالمى على جميع العمال بما فيهم العمال الوافدون من المناطق المجاورة للقطاع والذين لا يعتبرون « عمال تراحيل » حيث يبيتون كل ليلة فى قراهم الاصلية ويعودون للعمـل بالقطـاع فى الصباح .

كما أنه من الملاحظ أيضا أن برنامج الغذاء العالمى اقتصرت الاستفادة منه على عمال التراحيل بقطاعات مؤسسة الاستغلال وحدها ، فى حين يوجد عمال تراحيل يعملون بهيئات قطاع عام أخرى مثل تعمير الصحارى وشركات الاستصلاح ، وكان الافضل لو شمل البرنامج جميع عمـال التراحيل بجميع مناطق الارض الجديدة ، بدلا من قصرها على العمال الذين تستخدمهم مؤسسة استغلال وتنمية الاراضى .

ولسوف تصبح مساهمة الامم المتحدة بـ ٤٥ مليون دولار من برنامج الغذاء العالمى ذات فعالية فى النهوض بمستوى عمـال التراحيل بالارض الجديدة ، اذا تم التنفيذ بطريقة أساسها الاحساس بالمسئولية ، وهدفها تحقيق أكبر فائدة ممكنـة للعامل ، وأن يكون نصيبه الفعلى من البرنامج هو أوفى نصيب وليس العكس ، وبحيث لا تضيع مبالغ طائلة فى سراديب المصاريف الادارية ومرتبات المشرفين والمنفذين للبرنامج ، ومكافاتهم الى آخر ذلك من السراديب .

كـيف يمـكن حـل مشـكلة العمال الزراعيين وعمال التراحيل ؟

والان ماهو الحل الجذرى لمشكلة عمال التراحيل فى بلادنا ؟

لنبدأ أولا بمناقشة موقفهم من الارض ٠٠ هل يمكن أن تحل مشكلة عمال التراحيل بتوزيع الارض الجديدة عليهم ؟ ٠

ومع أن هذا الحل خاطىء من زاوية المصلحة العامة حيث الاسلوب الصحيح لاستغلال هذه الاراضى الجديدة هو زراعتها زراعة آلية بمحاصيل غير تقليدية فى شكل مزارع كبيرة تملكها الدولة ، نظرا لقلة الايدى العاملة وارتفاع تكاليفها ، ومع أن هذا هو الحل السليم للتصرف **فى هذه الارض ، الا أنه حتى لو أخذ بفكرة توزيعها** ، فان المشكلة لن تحل ، فبفرض أن التوزيع سيتم على أساس ٣ ــ ٥ أفدنة للفرد ــ نظرا لطبيعة الارض الجديدة وقلة خصوبتها بالنسبة للارض القديمة ــ فان توزيع جميع الاراضى التى تم استصلاحها والتى سيتم استصلاحها فى المستقبل على مياه السد العالى والتى تبلغ مساحتها جميعا حوالى مليون وثلث المليون فدان ، فان عدد المستفيدين لن يزيد عن ثلث المليون عامل ، أى ١/١٠ فقط من مجموع عمال الزراعة والتراحيل ، ويظل تسعة أعشار مجموع العمال بلا أرض ، وتظل ملكيتهم قائمة تتطلب الحل ، هذا اذا افترضنا أن التوزيع سيتم على العمال الزراعيين دون فقراء الفلاحين الذين يبلغ عددهم ايضا أكثر من ثلاثة ملايين ٠

من هذا يتضح أنه من الضرورى استبعاد هذا كحل جذرى لمشكلة عمال التراحيل اذ ليس الحل هو تحويلهم الى ملاك ، وانما يجب أن يأتى الحل وهم فى اطار العمال ٠

١ ــ ويأتى الحل الاول فى التصنيع ٠ ٠ ٠ فالصناعة هى احد المصادر الاساسية لامتصاص قوة العمل المختزنة فى الريف ، ومن شأن تصنيع البلاد وانتشار المصانع على نطاق البلاد جميعها مع الاهتمام بالصناعات الريفية ، التى تمتص اعدادا كبيرة من قوة العمل المدخرة فى الريف ٠

٢ ــ ويأتى الحل الثانى فى الاهتمام بانشاء مراكز للتأهيل المهنى داخل مناطق الاستصلاح على أن يكون تلامذتها من العمال الزراعيين الملمين بالقراءة والكتابة وتدريبهم على المهن المختلفة المتصلة بالالات الزراعية وتحويلهم بذلك الى عمال مهرة مرتبطين بأدوات انتاج حديثة ٠

ولما كان التوسع فى استخدام الميكنة الزراعية بالارض الجديدة هو الحل الامثل لحسن استغلالها ، نظرا لعوامل كثيرة منها قلة الايدى العاملة بها ، وارتفاع تكاليفها ، لذا سوف تزداد الحاجة بشكل دائم الى العامل الماهر المدرب على تشغيل وصيانة الآلات الزراعية ، ومن هنا يصبح انشاء مراكز التدريب هدفا دائما وضروريا فى التخطيط لاستغلال الارض الجديدة على افضل وجه ، ولسوف تستوعب هذه المراكز باستمرار أعدادا كبيرة من الايدى العاملة وتحويلها الى عمال مهرة مما يساعد على سد العجز فى العمال المهرة الذى تعانى منه قطاعات المؤسسة ، ويجب أن يصاحب عملية تحويل العمال الزراعيين الى عمال مهرة العمل على توطينهم بالارض الجديدة وبذا نخلق الاستقرار للقوى العاملة ، مما يساعد على الارتفاع بمستوى الانتاج ٠

٣ ــ غير أن تطوير الصناعة مهما بلغ مداه ، وكذلك اقامة مراكز التدريب والتأهيل المهنى بالارض الجديدة مهما اتسعت فلن يستوعب هذا كله الجموع الغفيرة من العمال الزراعيين وعمال التراحيل ، وسوف لا تتحول غالبية العمال الزراعيين الى عمال مهرة مرتبطين بالآلات الحديثة الا مع التطوير الشامل للريف ، واستخدام الالات فى الارض الجديدة والقديمة على السواء ، كل هذا مع تصنيع البلاد ونشر أوسع قدر ممكن من مراكز التأهيل والتدريب ، والى أن يتحقق ذلك فسوف تظل غالبية العمال الزراعيين تعمل بالفأس وتحتاج الى ضمانات اساسية حتى تواجه ظروف الحياة وتنهض بأوضاعها ، على أن تكون هذه الضمانات ملزمة لجميع الهيئات التى تستخدم الايدى العاملة الزراعية ، ومن هذه الضمانات التى نقترحها :

١ ــ آن الاوان لكى تشمل التشريعات العمالية عمال الزراعة ، كما آن الاوان للالتزام بالحد الادنى للاجر مع ضرورة تحديد ساعات العمل ٠

٢ ــ من الضرورى وضع تشريع للتأمينات الاجتماعية لعمال الزراعة والتراحيل ٠

٣ ــ الاهتمام بالتنظيم النقابى لهم بحيث يصبح تنظيما حيا قادرا على أن يأخذ على عاتقه التصدى لمشاكل عمال التراحيل ، وحتى يمكن التوصل الى هذا الهدف لابد أولا من توافر كوادر سياسية

عمالية بالقرى ، كما لابد من جو ديمقراطى تبدأ فى ظله الكوادر عملها لاعادة بناء التنظيم ابتداء من الكفور والنجوع والقرى حيث توجد القاعدة العريضة لعمال الزراعة والتراحيل ، وعندما يتم اجتذاب هذه القاعدة العريضة الى صفوف العمل النقابى ، ويتم تشكيل قيادة واعية للجان النقابية، عندئذ يستطيع التنظيم النقابى أن يلعب دوره المطلوب منه.. هذا مع ضرورة تشكيل لجان نقابية بمناطق العمل بالارض الجديدة بالاضافة الى تشكيل وحدات أساسية للاتحاد الاشتراكى.

٤ ــ ضرورة الاهتمام بقيام مراكز للثقافة العمالية بمناطق تجمع العمال بالارض الجديدة مع ضرورة التنسيق بين هذه المراكز واللجان النقابية ولجان الاتحاد الاشتراكى ومكاتب تشغيل عمال التراحيل حتى تأتى برامج التثقيف مرتبطة بالواقع الذى يعيشه العمال ومتناسقة مع الجهود الاخرى المبذولة وسط العمال .

٥ ــ ضرورة اشتراك الهيئات الشعبية : الاتحاد الاشتراكى واللجان التنفيذية مع الجهات المستخدمة للعمال فى رعاية العمال اجتماعيا وسياسيا وثقافيا ، واشتراك العمال أنفسهم فى ذلك .

٦ ــ بالنسبة لعمال التراحيل بالارض الجديدة ، لابد لاى عقد سواء كان مع مكاتب تشغيل اومقاول أنفار ، أن يشتمل على التزامات واضحة ، بتوفير مسكن ملائم وانارة ومياه صالحة للشرب ، مع توفير حد أدنى من الغطاء خاصة فى الشتاء ، كذلك ضرورة الالتزام بتوفير حد أدنى من الرعاية الصحية والاجتماعية والثقافية ، مع الاهتمام بضرورة اشتراك العمال ومكاتب التشغيل والمؤسسة فى تحديد معدلات الاداء .

٧ ــ تكوين مكاتب لتشغيل عمال التراحيل بجميع المحافظات على أن يكون لها فروع فى المراكز والقرى ، وأن تكون غالبية أعضاء هذه المكاتب من ممثلى الهيئات الشعبية ، مع تحريرها من الروتين الحكومى ، شرط أن تكون خاضعة لرقابة العمال ممثلين فى اللجان النقابية ووحدات الاتحاد الاشتراكى .

أما بالنسبة لمقاولى الانفار ، فرغم أن المسار الذى تسير فيه بلادنا يتجه بالضرورة الى الغاء هذه الوظيفة الطفيلية ، الا أن صدور قرار بالغائها الان ــ ودون وجود بديل لها ، قد يسبب ارتباكا فى سوق العمالة الزراعية ، خاصة بالنسبة للارض الجديدة ، لذلك فمن الضرورى التحرك فى هذا الاتجاه بخطى واضحة ومدروسة تبدأ أولا بايجاد البديل الذى يحل محل مقاولى الانفار فى شكل لجان شعبية ورسمية ، وعلى هذه اللجان أن تثبت وجودها ابتداء من القرية حتى مستوى المحافظة ، مع ضرورة اعطائها جميع التسهيلات اللازمة لنجاحها ، وعليها أن تجعل من نفسها محل ثقة العمال، من جانب، وقطاعات المؤسسة والاطراف الاخرى المستخدمة للعمال من جانب آخر، عندئذ يصبح اصدار قرار بالغاء التعامل مع مقاولى الانفار هو اقرار لواقع حى .

مشكلة عمال الزراعة

وتطوير الثورة فى الريف

وفى النهاية فان مشكلة عمال الزراعة والتراحيل ليست مشكلة ادارية أو قانونية، وانما هى مشكلة سياسية فى المحل الاول، ومهما كانت الجوانب الادارية فى المشكلة فهى جوانب جزئية، فالعمال الزراعيون مع فقراء الفلاحين يمثلون الشريحة الاكثر ثورية فى الريف والاكثر ارتباطا بالثورة واستمرارها ، انهم أصحاب مصلحة حقيقية لا فيما يتم اليوم فحسب ، وانما فى استمرار الثورة كذلك ، فهم أصحاب مصلحة حقيقية فى انجاز الثورة الزراعية وتطبيق الاشتراكية فى الريف ، ويرتبط حل مشكلة عمال التراحيل حلا جذريا بانجاز هذه الاهداف ، كما أن تطوير حياة العمال الزراعيين لن يتم الا فى اطار تطوير الريف تطويرا ديمقراطيا واقتصاديا واجتماعيا ، وعلى ذلك يجب وضع هذه القضية وضعها الصحيح باعتبارها احدى القضايا الاساسية للثورة ، وباعتبار أن الثورة الزراعية لن تحل تماما فى ريفنا ما لم ترتبط بحل قضية عمال الزراعة والتراحيل من جوانبها المتعددة .

ومن هذه الاهمية الاستراتيجية تستمد قضية العمال الزراعيين وعمال التراحيل أهميتها باعتبارها احدى قضايا الثورة فى الريف .



عمال التراحيل

أربع محاولات لحل مشاكلهم

عطية الصيرفي

■ يمثل عمال التراحيل ظاهرة اجتماعية اقترنت بظهور نظام الانتاج الأسمالي على وجه الخصوص ، فالنظام الاقطاعي ، بخصائصه التقليدية لم يشهد هذه الظاهرة نتيجة للقنانة وسيادة شكل الاقطاعيات المقلقة وحرمان العاملين المعدمين بها من حق مغادرة الارض أو الابتعاد عنها •

كذلك يسعى النظام الاشتراكي الى القضاء على هذه الظاهرة ، ويدفع الى التلاشي تلك السوق البشرية التي تعرض عمال التراحيل كسلعة رائجة •

اذن فالنظام الرأسمالي بالذات هو الذي ولد هذه الظاهرة ، ويدفع الى التلاشي تلك السوق العمل » عندما أطلق هذه الصيحة في مواجهة التسلط الاقطاعي ، وان كان هذا الشعار قد حرر ملايين الاقنان بالفعل من تحت ربقة الاقطاع ، الا أنه دفع بهم على الفور الى استرقاق من نوع جديد ، الى عبودية رأس المال والعمل المأجور ، وكان هذا هو الاساس لقيام سوق للعمل البشري سلعتها عمال الصناعة في المدينة ، والعمال الزراعيون ، وعلى وجه الخصوص عمال التراحيل في الريف • وهذه السوق الجديدة ، كأية سوق رأسمالية أخرى ، تتعرض بسبب فوضى الانتاج لحالات المد والجزر التي تسيطر على اتجاهات العرض والطلب ، وتحمل في طياتها قانون البطالة المزمن ، الذي تتبدى آثاره أكثر وضوحا في المجال الزراعي ، حيث يعاني هذا المجال على وجه الخصوص نشاطا دائما في العرض وركودا دائما في الطلب ، وفي خضم هذا المناخ الاجتماعي والاقتصادي القاتم تتولد ظاهرة عمال التراحيل ، حيث البطالة الكاملة أو المقنعة ، وحيث يفرخ سنويا الالاف المؤلفة من العمال الرحل الذين لا يملكون شيئا سوى قدرتهم على العمل ، يطرحونها سلعة بخسة في السوق •

ويطول بنا الحديث لو حاولنا القيام بعرض تاريخي لنشأة وتطور ظاهرة عمال التراحيل في بلادنا ، ولكننا في حدود الابعاد الضرورية لهذه الدراسة نكتفي بوقفة عاجلة عند ظاهرة عمال التراحيل كما هي الان ، راجعين في دراستها الى الوراء بالقدر الذي يمكن من رؤية المشكلة المطروحة بطريقة تساعد على تفهمها فهما سليما ، ومن ثم امكان التصدي لمواجهتها على أساس من الفهم العلمي المدروس •

● ● ●

ذكرت مجلة الاشتراكي في عددها الصادر في ٢٣ يوليو ١٩٦٦ « •• والان ما هي صورة الريف الجديد بعد الثورة •• وبعد أن أعيدت الارض لاصحابها الحقيقيين من فلاحي مصر الذين استخلصوا أرض وادي النيل على طول القرون بالجهد المشترك ، ثم جاء الاجانب والغزاة والخونة من الطبقة التي صنعها الاستعمار لتسانده وتضفي على وجوده شرعية برضاها ؟ قبل أن نجيب على هذا السؤال سوف نعود مرة أخرى الى الارض قبل الثورة لنحدد عليها القوى الاجتماعية التي كانت سائدة عليها » . « سنجد أن ٢ مليون فلاح لا يملكون شيئا على الاطلاق ، وبعضهم يصل عند كبار الملاك بأجر يومي تحت مستوى يهبط ليقرب من حد الجوع واصطلح على تسميتهم

بالتراحيل ، أى أن غالبية العاملين فى الريف المصرى كانوا يعيشون عموما فى ظل الفاقة الشديدة ، يعملون فى أرض الاقطاع بنفس الاساليب القديمة للزراعة والتى ورثوها من عهد الفراعنة ، لقد أفرخ الريف المصرى كثرة مروعة من العمال وأشباه العمال الذين يعملون فى الزراعة والتراحيل .

وان كان تطور الملكية الزراعية ، ودخول الرأسمالية الى الريف قدجاء فى طياته بهذه النتيجة الاجتماعية — عمال التراحيل — فقدجاء ايضا بظاهرة **رأسمالية المقاولات** ، وهى الطرف الاخر — أو الجانب الاخر للعلة — الذى يتحتم التصدى لدراسته من أجل التوصل الى تفهم حقيقى لظاهرة عمال التراحيل .

ورأسمالية المقاولات فى مصر هى ثمرة من ثمرات الغزو الذى نظمته الرأسمالية الاجنبية لريفنا ، ولهذا كانت طفيلية للغاية،فهى لم تمارس أى عمل انتاجى فى الريف ، وانما مارست فحسب نشاطا شاذايتمثل فىتجارة البشر،أى شراء قوة العمل الانسانية ثم بيعها بعد الحصول على عمولة وسمسرة ، وذلك عن طريق النظام المعروف بنظام المقاولات ، الذى كان فى الواقع نظاما احتكاريا قابضا على سوق العمل فى الريف بشدة واحكام بحيث لا يمكن أن يقتحمه أحد الا عبر مسالك محددة تبدو مظهريا كشكل تنظيمى لتشغيل عمال التراحيل، الا أنه فى الواقع أداة محكمة لممارسة النخاسة والرق الحديث ، اذ كان يقوم — هذا النظام — بشراء قوة العمل لدى انفار التراحيل لا يستهلكها بنفسه وانما ليتاجر فيها ، بمعنى انه كان يقوم بعملية الشراء هذه من أجل عملية بيع أخرى قد سبق الاتفاق عليها ، وبدون علم أو تدخل هؤلاء الانفار أصحاب قوة العمل المباعة ، لقد كان هذا البيع بلاشك وريثاتاريخيا لتجارة الرقيق ، يشبه الى حد كبير بيع جماعات العبيد بغير علمهم أو ارادتهم .

وعلى هذاالاساس المنافى لحرية العمل كان يتم الاتفاق على توريد انفار التراحيل بعيدا عنهم ، حيث لم يكونوا طرفا مقابلا فى أى تعاقد خاص بتوريدهم باعتبارهم أصحاب قوة العمل المباعة — كما يتم عادة فى المجال الصناعى ، حيث يكون هذا التعاقد حرا ومباشرا بالمفهوم الرأسمالى بين العامل باعتباره مالكا لقوة العمل المباعة ، وبين الرأسمالى باعتباره مالكا للنقود — وطبعا كان هذا يعنى غياب العلاقات التعاقدية القانونية فىمجال عمال التراحيل ، فى نفس الوقت الذى تسودفى داخلهم علاقات بها سمات القبلية والابوية والتبعية ، بل والسخرة أيضا .

فى ظل هذا النير الاستغلالى البشع لسنا فى حاجة الى حديث عن شكل ومحتوى الحياة التى عاشها عمال التراحيلفى الريف المصرى فى ظل حكم أسرة محمد على .

وعندما تفجرت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، كتعبير صادق وعميق عن أمانى ومصالحأوسع جماهير شعبنا ، كان من الطبيعى أن يكون الريف من أول مجالات اهتمامها ، وأن يكون الاصلاح الزراعى من بواكير منجزاتها .

ولكن الاصلاح الزراعى فى تقديرنا ، ومهما أدخل عليه من تطويرات ثورية حقيقية ، الا أنه فى نهاية الامر ستبقى فى ريفنا أعداد كبيرة من عمال عديمى الملكية ، وليس لهم من مورد لرزقهم سوى عملهم .

اذن ، مادام الامر كذلك،تصبح المهمة الراهنة بالنسبة لعمال التراحيل هى البحث عن الحلول التى تجعل لهم — كأفراد وكجماعات — الكيان الانسانى والوضع القانونى الذى يحميهم من الاستغلال ، ويفتح الطريق أمام تحولهم الى قوة انتاجية ، تنعم من جانب بحقوقها الاجتماعية والقانونية المشروعة ، ومن ثم تنطلق من الجانب الاخر لرفع طاقتها الانتاجية وتحسين وتطوير معدلات أدائها .

● « **الحقيقة** ان عمرنا لازم يتحسب بعد الثورة ، لاننا قبل كده ماكناش عايشين ، ولا كان لنا وجود ولا كناية ولا قيمة ، كان المقاول ياخد نص عرقنا ويقاسمنا قوت عيالنا ، دلوقت أصبحنا ناخد حقنا بالكامل » . هذا هو ما قاله عامل الترحيلة **حسن عبد السلام** فى مؤتمر سياسى حضره عمال التراحيل فى منطقة **بحر البقر** بمحافظة الشرقية فى ٢٨—١—١٩٦٣ ، وهو يمثل التباشير الاولى لوجود شخصية الاجير الريفى الذى بدأ يخرج من غربته السحيقة بفضل ثورة يوليو وتطورها نحو غاياتها التقدمية .

وحتى يمكن الانطلاق نحو تحرير عمال التراحيل والزراعة عموما كان لابد من التخلص الفورى من مظاهر الاستغلال الاقطاعى والرأسمالى البشعة التى تسود سوق العمالة فى الريف ، والتى تقتل بهجة العمل وتطمس جماله وعظمته وذلك باللجوء الى حلول ثورية لحل مشاكل تشغيل هؤلاء الكادحين وتنظيمهم .

وسنستعرض هنا بعض التجارب التى أنجزت بالفعل على هذا الطريق ، وقد استهدفت جميعها تحقيق ما يلى :

١ — **القضاء** على العلاقات الاقطاعية فى

الريف ، ومنها السخرة الظاهرة والخفية التى كانت وما زالت تمارس ضد الاجراء الزراعيين ٠

٢ ـ **تطهير سوق العمالة** فى الريف من النخاسة وتجارة الرقيق التى هى وصمة عار فى مصر الثورة ، وذلك من خلال انهاء الوجود المخيف لمقاولى الانفار ٠

٣ ـ **العمل على** بث الوجود الاجتماعى لاجراء الريف ٠

٤ ـ **محاولة تقوية** النقابات الزراعية حتى يمكنها حل بعض مشاكل عمالها من خلال ربط عملية التنظيم بعملية التشغيل ٠

٥ ـ **جذب اهتمام** الراى العام من اجل المشاركة فى حل المشاكل المعقدة لاجراء الريف .

هذه التجارب التى سنتولى عرضها ، ومحاولة استخلاص الدروس والمواقف من خلال استعراضها بالتفصيل هى :

١ ـ **تجربة الدقهلية** ٠

٢ ـ **تجربة البحيرة** ٠

٣ ـ **مشروع وزارة العمل** ٠

٤ ـ **مشروع النقابة العامة للعمال الزراعيين** *

تجـــربة الدقهلية

بدأت هذه التجربة فى فبراير سنة ١٩٦٢ عندما أصدر محافظ الدقهلية على مسئوليته قرارا بحل النقابة الفرعية لعمال الزراعة بالمنصورة، والتى سيطر عليها مقاولو الانفار وكبار ملاك الارض ٠ وأنشأ بدلا منها لجانا نقابية جديدة فى القرى والكفور ، وعلى هذا النحو تكونت ٢٢٢ لجنة نقابية بدون اجراء انتخابات خوفا من تسلل المقاولين وكبار ملاك الارض من جديد ، وهذا على حد قول المشرفين على التجربة ، كما تم تشكيل لجان أخرى مهمتها الاشراف على اللجان النقابية بالقرى من رئيس مجلس القرية أو أحد أعضائه ، والعمدة أو نائبه وسكرتير الاتحاد القومى ورئيس الجمعية التعاونية والمندوب ـ وهو من المقاولين غير المستغلين ـ وذلك على حد تعبير محافظ الدقهلية أيضا ٠

وكانت الخطة الثانية فى تنفيذ التجربة هى انشاء مكاتب لتشغيل العمال فى جميع أنحاء المحافظة بحيث لا تستطيع أية جهة سواء بالقطاع الخاص أو العام تشغيل أى عامل ترحيلة من أبناء الدقهلية الا عن طريق هذه المكاتب التى تكونت على مستوى المحافظة من المحافظ ورؤساء مجالس المدن والمحاسب والمتعهد والمقاول ، وعلى مستوى القرية من ضابط النقطة والعمدة ورئيس الجمعية التعاونية ومتعهد توريد الانفار والمقاول ٠

وبجانب هذه المكاتب تكون مكتب آخر يسمى مكتب النقل ، كان مقره الرئيسى بمدينة ميت غمر ـ التى كانت تعتبر مركز التجربة وقلب نشاطها ـ وكان يتولى ادارة هذا المكتب تمويلا واشرافا أحد الشخصيات الكبيرة فى مجال النقل والمقاولات (محمود بدوى) .

وقد بدأ أسلوب التشغيل الذى مارسته التجربة فى الزام الهيئات الراغبة فى تشغيل عمال الزراعة والتراحيل بأن تتقدم بطلب تذكر فيه عدد العمال وتخصصهم وذلك قبل بدء الترحيلة بخمسة عشر يوما الى المكتب الرئيسى الخاص بتشغيل العمال ، كما أن عليها أن تقدم مع الطلب المصاريف المطلوبة ، والتى تتكون من أجور الانفار المطلوبين لمدة شهر مقدما ، مضافا اليها ١٥ فى المائة من قيمة هذه الاجور كاستثمارات نقابية ٠ **والتى كانت تذهب الى المحافظة وليس الى صندوق النقابة كما تنص وثائق التجربة** ٠

كذلك كان على الهيئات الراغبة فى التشغيل أيضا أن تدفع مقدما أجور نقل الانفار ذهابا وايابا وكذلك مصاريف نقل زوايدهم فى منتصف كل شهر ، وبحيث لاتقل عن مائة زوادة فى كل سيارة لورى ، وبعد تجميع الاجور على هذا النحو يقوم مكتب التشغيل الرئيسى باخطار المكتب الفرعى المختص لاعداد أنفار الترحيلة المطلوبين على أن ترسل أجورهم الى رئيس مجلس المدينة التى يتبعونها ، حيث يقوم بدوره باخطار لجنة القرية للحضور لاستلام أجور العمال ، وبعد ذلك تسلم هذه الاجور الى العمال أصحاب الدور فى عملية التشغيل ٠

وفور البدء فى تنفيذ التجربة انهالت طلبات التشغيل على محافظة الدقهلية من كل مكان ، حتى بلغت الاجور التى صرفتها المحافظة للعمال من بدء التجربة فى ٢٢ فبراير ١٩٦٢ حتى يوليو من العام نفسه ٨٧٠ر٢٤٣ جنيها مقابل ٥٠٠ر١٠٨ ر١ يوم عمل ، وبلغ عدد المشتغلين فى هذه الفترة ١٠٠ر١٥٨ عامل ، وهو رقم يصل الى ٨ فى المائة من جملة سكان المحافظة ، مما يوضح ارتفاع نسبة التشغيل رغم الايدى العاملة الكثيرة الاخرى التى امتصتها أنواع أخرى من العمل الزراعى داخل نفس المحافظة فى نفس الفترة ، ففى شهرى مايو ويونيو من نفس العام الذى بدأت فيه التجربة كان يتم جنى القمح وغريق القطن ونقاوة اللطع وطفى الشراقى والتلويط وشتل الارز وتخدير الذرة .

اما من ناحية الاعمال التى خرجت لها التراحيل ، فنرى أن ١٠٠٠ عامل ذهبوا الى وادى النطرون لمدة شهرين ، وذهب ٥٠٠ عامل الى مديرية التحرير لمدة شهرين أيضا ، وذهب ٢٥٠ عامل الى مزارع جانكليس لمدة شهر ، و ٢٠٠ عامل لبساتين مصر ــ مزارع أبو رجيلة ــ لمدة شهر ، و ٣٠٠ عامل لمصرف تلا لمدة شهر ، و ٣٠٠ عامل لمؤسسة تعمير الاراضى بالحامول لمدة شهر ، و ٣٠٠٠ عامل لابى الاخضر بالشرقية لمدة شهر ، و ١٠٠٠ عامل آخرين لابى الاخضر أيضا لمدة شهرين ، و ٥٠٠ عامل لمنطقة مريوط بوبيس لمدة شهر ، و ١٠٠٠ عامل لمنطقة أدكو لمدة شهرين ، و ١٥٠٠٠ عامل لمصرف حارس لمدة شهرين ، و ٦٠٠ عامل لمناطق أخرى لمدة شهرين .

وفى شهر سبتمبر كان قد تم تشغيل ٢٤ الف عامل فى استصلاح ٥١٥ الف فدان ، وكانت دورات التشغيل ١٦ دورة ، ومدة الدورة الواحدة شهر كامل ، وتمتص الدورة قرابة ١٢ ألف عامل من عمال الزراعة والتراحيل .

والملاحظ أن عمليات نقل هؤلاء العمال تمت بالسيارات اللورى العارية من أية حماية أو وقاية ، هذه السيارات التى تم التعاقد عليها مع القطاع الخاص بوساطة مكتب النقل الرئيسى بميت غمر ، والذى ابتلع وحده مبالغ خيالية ، يؤيد ذلك ما نشرته جريدة « **الاخبار** » فى ٨ ــ ٥ ــ ١٩٦٤ حين قالت ان اجور عمال التراحيل الذين تم تشغيلهم بوساطة المحافظة قد بلغت ٢٨٠٫٠٠٠ر١ جنيه فى عامين تقريبا ، وبلغت تكاليف نقلهم هم وزوايدهم مائة ألف وثمانمائة جنيه .

ولقد كان من الطبيعى أن يواجه مقاولو الانفار هذه التجربة بحرب ضارية ، كيف لا وهى تحطم الاساس الواقعى لاستغلالهم الطفيلى وتسحب الارض من تحت أقدامهم ؟ . لقد حاربوها بسلاح الشائعات ، وبالحصول على عمليات تشغيل كانت بمثابة فتح سوق سوداء فى مجال العمالة فى الريف ، حيث استطاع بعض المقاولين الحصول على عمليات بعيدا عن نفوذ تجربة الدقهلية ، واندفعوا فى محاولة تحطيم التجربة الى حد رفع الاجر اليومى للعامل الى ٤٥ قرشا علما بأن التجربة لم يتعد الاجر فيها ٢٨ قرشا ، ولهذا السبب انتشرت ظاهرة الهرب من العمل فى تراحيل التجربة ، خاصة مع تواطؤ عمد القرى ومشايخها مع مقاولى الانفار ، الامر الذى جعل محافظ الدقهلية يصرح لجريدة الاخبار الصادرة فى ٨ ــ ٥ ــ ١٩٦٤ بأن نظام العمد لا يتفق مع وجود النظام الاشتراكى .

حساب الايجابيات والسلبيات

فى تجـــــربة الـــدقهلـيـة

رغم قصر عمر هذه التجربة ، فقد حققت بعض الايجابيات فى حل بعض مشاكل عمال الزراعة والتراحيل ، وحسب هذه المشاكل أن أصبحت دائمة وهامة فى جدول أعمال التنظيم السياسى والسلطة الثورية فى بلادنا ، بدليل توافد الوزراء وكبار المسئولين ومندوبى الصحافة على مناطق تشغيل عمال الزراعة والتراحيل ، للقيام بلقاءات ودية مباشرة معهم للتعرف على مشاكلهم ، وبفضل هذه اللقاءات استطاع هؤلاء الكادحون لاول مرة فى تاريخهم الطويل الممتد أن يلتقوا مع السلطة وجها لوجه ، وان يخاطبوا الحكام دون رهبة أو فزع ، ففى مناطق بحر البقر وصان الحجر وأبو الاخضر زارهم المحافظ مرات عديدة وناقشوه مطالبين بتخفيض معدلات العمل لارهاقها ، وفى مناطق خفير شهاب الدين زارهم رئيس الوزراء على صبرى ، فأثاروا معـــه مشـــاكل البطالة وانخفاض الاجور وارتفاع أسعار الذرة الصفراء باعتبارها غذاءهم الاساسى .

وعلى العموم ، فقد كانت تجربة الدقهلية نقلة معنوية فى حياة اجراء ومعدومى الريف ، كما ارتفعت فيها أجورهم من ١٥ قرشا الى ١٨ قرشا لانفار الزراعة و ٢٠ قرشا لانفار المشروعات و ٢٢ قرشا لانفـــار الديكوفيل و ٢٨ قرشـــا لانفار الكوريك ، ثم زادت بحيث ارتفع الحد الادنى الى ٢٢ قرشا بدلا من ١٨ قرشا ، هذا الى جانب الاجور غير المباشرة التى كانت تصرف لهم ــ وان كان ذلك بشكل غير منتظم ــ على شكل ثلاثة أرغفة يوميا وكيلو فاصوليا وعلبة مسلى ، لهذا لا عجب أن تتسم ليالى عملهم فى برارى الدلتا الشاقة الشاسعة بشىء من الروح والبهجة ربما لاول مرة فى العمر .

ولكن هذه التجربة لم يكتب لها أن تعمر طويلا حيث غرق قادتها والمسئولون عنها حتى الآذان فى خضم تناقضات صاحبت التجربة منذ قيامها ، مما أدى الى تفريخ عدد من الاخطاء أدت الى تجريد التجربة من مضمونها الايجابى والتقدمى ، والى اجهاضها كلية فى نهاية الامر .

١ ــ **بدت التجربة** منذ البداية مدموغة بطابع ادارى صرف تحت تسلط مجموعة من الموظفين ممن لا يتمتعون بأى وجدان اشتراكى ، اندفع بعضهم مع الاسف فى محاولات استغلال النفوذ والاثراء على حساب الجماهير ، تشهد بذلك التحقيقات مع الامين المساعد للمحافظة آنذاك .

٢ — **لم تمنع** التجربة وصاية الذئب على الحمل ، فلم تسمح للمقاول بمباشرة نشاطه فحسب ، بل عمدته ليكون وصيا على العمال فى نقاباتهم وعمليات تشغيلهم تحت الزعم بانه (**غير مستغل**) ، علما بأن عمولته كانت تصل الى ١٥ فى المائة من أجور عمال الترحيلة وهى لا شك خير برهان على طابعه الطفيلى .

٣ — **عدم توافر** الحريات النقابية،حيث منعت التجربة اجراء أية انتخابات ديموقراطية عند قيام النقابات الزراعية التى أنشأتها فى القرى ، وبذلك ضاع على جماهير الاجراء فى الريف فرصة الممارسة الحقيقية للنشاط النقابى ، والتى كان من الممكن أن تكون مدرسة لتوعية ابسط العمال بمصالحهم ، كما فرضت على هذه النقابات وصاية ادارية متخلفة ومتسلطة .

٤ — **ابعاد عمال** الزراعة والتراحيل عن قيادة التجربة ، وهم أصحاب المصلحة الحقيقية فى الامر كله ، فى حين سلمت هذه القيادة الى رؤساء المدن وأصحاب العمل والمقاولين على مستوى المدينة، والى أجهزة القمع التقليدية ممثلة فى العمدة وضابط النقطة على مستوى القرية .

٥ — **فى سياق** التجربة لم ترتفع اجور عمال الزراعة والتراحيل ارتفاعا مناسبا بدليل أنها بقيت منخفضة عن أجور زملائهم خارج تجربة الدقهلية .

٦ — **وحتى احترام** وحماية الشخصية الانسانية للاجير الزراعى لم تتوفر بالشكل الكافى ، فاستخدمت مثلا سيارات النقل العارية لترحيل العمال ، وبهذا بقيت هذه الشخصية الانسانية مهانة ، حتى فى ظل الاوضاع الجديدة .

لقد جردت هذه الاخطاء التجربة من تقدميتها وشعبيتها ، ولكنها فى نفس الوقت فجرت اهتمامات كثيرة لحل مشاكل هؤلاء العمال، وكانت عموما اهتمامات مظهرية لم ينتفع بها كثيرا الاجراء فى الريف .

ففى عام ١٩٦٢ ظهرت موجة انشاء جمعيات تعاونية لتشغيل هؤلاء الاجراء تعاونيا مثلما حدث فى المنوفية والفيوم ، وفى نفس الوقت تقدمت وزارة الصحة بمشروع يهدف لتوفير الحماية الصحية لعمال الزراعة والتراحيل خلال تشغيلهم ، ولكن هذا المشروع لم يقدر له أن يرى النور بعد ، كما أعدت وزارة الشباب مشروعا تربويا وتثقيفيا لجذب عمال الزراعة والتراحيل نحو الحياة الجديدة فى مصر الثورة .

تجربة البحيرة

قالت مجلة الاشتراكى فى عددها رقم ٣٨ عن هذه التجربة : « مشكلة عمال التراحيل فى البحيرة ، والتصدى لحلها من ابرز انجازات الحكم المحلى فى المحافظة ، ولعل السبب الرئيسى فى شهرة مشروع عمال التراحيل ونجاحه يرجع الى انه تحول الى حقيقة ملموسة ، وقام بزيارته مرتين القائد الخالد عبد الناصر مع ضيوفه كوسيجين ثم تيتو » .

« **ويرجع نجاح** هذا المشروع فى المقام الاول الى أنه كان عملا ثوريا بالفعل ، بدأه المحافظ وجيه أباظة باجراء هو من الناحية الشكلية مخالف للقانون ، فقد وقع بتحويل مبلغ ١٧٥٠ جنيها لتمويل المشروع بينما لا يسمح القانون بصرف مبلغ يزيد عن الـ ٥٠٠ جنيه فى مثل هذه الاحوال ! »

« **ولقد بدأت** المحاولة فى محافظة البحيرة فى فبراير ١٩٦٢ فافتتحت المحافظة ثلاثة مكاتب لتشغيل العمال ، واتفقت مع شركات الاستصلاح والمؤسسات على ألا تتعامل اطلاقا مع المقاولين ، وأن يقتصر تشغيل العمال على المكاتب الثلاثة » .

« **وقبل** أن تبدأ المكاتب عملها تعرضت التجربة لاولى المشاكل واخطرها ، وهى مشكلة التمويل، فالشركات لا تدفع الاجور الا مؤخرا ، ولكن هذه المشكلة لم تصمد أمام الاصرار الثورى على النجاح ، ووقع وجيه أباظه شيكا بمبلغ ١٧٥٠ جنيها لبدء التمويل معرضا نفسه لمخالفة قانونية ، ودفعت الاجور مقدما ، وبدأت العجلة تنطلق » .

« **ونجح العمل** فى المكاتب ، وانتقل العمال لاول مرة الى مواقع العمل فى عربات بالمجان ، وبدلا من قسوة الشتاء والنوم فى العراء على الجسور أقيمت المعسكرات ، وبدلا من خمسة قروش لا تزيد أصبح الاجر ١٨ قرشا ثم ٢٥ قرشا ثم وصل الى ٣٠ ، وبدلا من ١٢ ساعة عملا حددت ساعات العمل بـ ٧ ساعات ومن يعمل أكثر منها يحصل على أجر اضافى ، حتى وصل دخل بعض الاسر العاملة الى ٣٤ جنيها فى الشهر ، وبدلا من البتاو والبصل حول المحافظ اليهم المعونات التى تتلقاها المحافظة وأصبح (الطعام لكل فم) مجانا فى جزء كبير منه ، ومقابل التكلفة الفعلية فى الجزء الاول ، وبدلا من استهلاك ساعات الليل القاسية الفارغة فى شرب الشاى الاسود والمعسل ، أصبحت ساعات الفراغ مجالا للتوعية ومحو الامية والاستماع الى الاذاعة والتليفزيون ، وربما لاول مرة فى التاريخ ، أصبح عمال التراحيل ينامون على سرير ومرتبة فى معسكرات العمل » .

« **لقد حققت** تجربة البحيرة املاعزيزا ووضعت أمام المسئولين علىكافة المستويات عملاملموسا وطريقا أكيدا لحل مشاكل عمال التراحيل ، وثبت أن انتاجية العمال زادت فى ظل التجربة الجديدة بنسبة ١٠٠ فى المائة ، وظهرت من بينهم قيادات تعاونت فى ادارة المعسكرات ، بل ورشح عدد كبير منهم فى لجان الاتحاد الاشتراكى ونجحوا ، وحدث تطور كبير فى مستوى تفكيرهم نتيجة للبرامج الثقافية والمحاضرات والندوات المنتظمة ، وارتفع مستواهم الصحى نتيجة علاجهم فى المعسكرات من الامراض المتوطنة » .

هذا هو الجانب الوردى لتجربة البحيرة كما جاء فى مجلة الاشتراكى ، وهو يتضمن كثيرا من المبالغة ، حيث تتعارض هذه التجربة مع أى كلام عن نوم العمال على الاسرة واشاعة الفهم والمعرفة بينهم ، ان نفس الاسباب التى سبق ذكرها بالنسبة لتجربة الدقهلية يمكننا أن نلمس آثارها بدرجة أو أخرى فى تجربة البحيرة ، الامر الذى يضع يدنا فى نهاية الامر على نفس النتيجة ، وهى أن كل التجارب الاصلاحية المحدودة التى تتواجد فى مناخ العقلية الادارية والبعيدة عن الثقة فى الجماهير وحشدها وتعبئتها بهدف احداث تغييرات جذرية فى طبيعة الاوضاع والعلاقات السائدة فى الريف ، لا يمكن أن تكون حلا جذريا وحقيقيا لمشاكل الجماهير .

مشـــــروع وزارة العمـــــل

كانت التحولات الاجتماعية التى شهدتهابلادنا فى عام ١٩٦١ عاملا فى دفع وزارة الشئون الاجتماعية للتدخل من أجل حل مشاكل عمـــال الزراعة والتراحيل ارتفاعا مناسبا بدليل انها بقيت التشغيل التعاونى لهؤلاء العمال ، وأبدت استعدادها لتكوين جمعيات تعاونية تساعدها ماليا على أن يشترك العمال فى أسهمها .

وفور انشاء وزارة العمل كانت مشاكل عمال الريف عموما من أهم النقاط فى جدول أعمالها ، وقد تم اعـــداد مشروع لتنظيم تشـــغيل عمال التراحيل يتفادى الاخطاء التى وقعت فيها تجربة الدقهلية ، ويرتكز على الاسس التالية :

١ ـ **تشكيل نقابة** لعمال الزراعة والتراحيل اذا بلغ عددهم ٣٠ عاملا فى قرية واحدة ، ويجوز تكوين نقابة لعمال قريتين متجاورتين أو اكثر اذا لم يكتمل العدد .

٢ ـ **تشكيل نقابة** فرعية للمحافظة يكون مقرها عاصمة المحافظة وذلك من مندوبى النقـــابات القروية .

٣ ـ **تشكيل نقابة** عامة للجمهورية من مندوبى النقابات الفرعية ، وتنضم هذه النقابة الى الاتحاد العام .

٤ ـ **تمنح النقابة** المحلية فى القرية الصفة الاعتبارية من تاريخ تشكيلها .

٥ ـ **يكون لمجلس** القـرية حـق الاشراف على النقابة ، ويبلغ ملاحظاته لوزارة العمل .

٦ ـ **لا يجوز** تشغيل عمال الزراعة والتراحيل خارج مواطنهم الا بوساطة منطقة العمل فى المحافظة .

٧ ـ **يجوز لوزير** العمل بناء على اقتراح مجلس المحافظة تخصيص أحد مكاتب القوى العـــاملة للاشراف على عملية تشغيل العمال .

٨ ـ **تقوم كل** نقابة قروية خلال شهر يونيو من كل عام بحصر عمال الزراعة والتراحيل المقيمين فى دائرة اختصاصها ، وتوافى المجلس القروى ببيان كامل لهذا الحصر ، ويرسل المجلس هذه القوائم الى منطقة العمل فى موعد لا يتجاوز أول يونيو من كل عام .

٩ ـ **تقوم الوزارات** والمصالح الحكوميـــة والمؤسسات العامة والشركات العامة والخاصة فى بداية كل سنة مالية بتقديم بيان مفصل الى منطقة العمل بالمحافظة عن عدد ونوع المشروعات التى تقوم بتنفيذها خلال العام ، وما تحتاج اليه من اعداد العمال ، ثم تقوم المنطقة بوضع خطة لتنظيم العمل المتواصل لعمال التراحيل فى جميـــع المشروعات التى تنفذ فى اطار المحافظة .

١٠ ـ **يقرض مجلس** المحافظة المجالس القروية المبالغ اللازمة لتمويل عمليات التراحيل ودفع أجور بعض العمال مقدما قبل أن يغادروا مواطنهم ، وعلى صاحب العمل اقتطاع هذه القروض من أجور العمال وسدادها الى المجلس القروى .

١١ ـ **يجوز لمجلس** المحافظة أن يفرض رسوما على تشغيل عمال الزراعة والتراحيل يلتزم بها صاحب العمل والعمال بحيث لا يزيد هذا الرسم عن عشرة مليمات عن كل عامل للانفاق من هذه الحصيلة على شئون العمال فقط .

١٢ ـ **اذا وجدت** قوى عاملة فائضة وجب التفاهم على تشغيلها مع مناطق العمل التى تنقص فى دائرتها قوى العمل لضمان العمالة الكاملة .

١٣ ـ **يمنع تشغيل** الاحداث من الجنسين الذين

تقل أعمارهم عن ١٢ سنة فى الزراعة وأعمال الترحيل خارج مواطنهم الاصلية الا باذن الاب أو الام أو المسئول عن الحدث .

١٤ ـ **يمسك مكتب** القوى العاملة بطاقة لكل عامل بالزراعة والتراحيل ويتم تسجيله فى تنظيم العملية .

١٥ ـ **يصدر وزير** العمل قرارا بالاعمال التى يمارسها الاحداث من سن ١٢ ـ ١٧ سنة .

١٦ ـ **يتحمل صاحب** العمل نقل العمال الى أماكن عملهم وكذلك عودتهم .

١٧ ـ **فى خلال** ٤٨ ساعة من وصول العمال الى مواقع العمل ، على صاحب العمل أن يبلغ منطقة العمل عن عدد وأسماء العمال وأجورهم ومكان وحدة عملهم .

١٨ ـ **على كل صاحب** عمل يستخدم عمالافى مكان يبعد أكثر من ٥ كيلومترات ان يهيىء لهم مسكنا مناسبا ، وكذلك تغذية صحية ، ويجوز لمجلس المحافظة اذا قصر صاحب العمل أن يهيىء الوسائل السكنية والصحية والتغذية على نفقة صاحب العمل .

١٩ ـ **تتولى لجان** الاجور بالمحافظات تحديد الحد الادنى لاجور عمال الزراعة والتراحيل فى كل محافظة على حدة فى شهر يونيو من كل عام ، ويجب الا يقل أجر العامل عن ١٨ قرشا ، وينقص هذا الاجر قرشا كلما نقص أجر العامل سنة وذلك بالنسبة للعمال الذين تقل أعمارهم عن ١٨ سنة .

٢٠ ـ **يجوز انشاء** صندوق للمساعدات الاجتماعية لعمال الزراعة والتراحيل .

ولقد ظل هذا المشروع الاصلاحى ببنوده العشرين محبوسا فى أدراج وزارة العمل حتى أوائل عام ١٩٦٨ حين نشرت جريدة الاهرام فى ١٩٦٨/١/١٢ مشروعا جديدا لتنظيم كل علاقات العمل على المستوى القومى ، وقد تضمن هذا المشروع الجديد بالفعل فصلا خاصا عن عمال التراحيل جاء فيه :

« **تسرى الاحكام** التالية على أعمال معينة متى كانت تستلزم اقامة العمال بصفة دائمة لا تقل عن ستة أيام خارج مساكنهم فى أماكن تبعد خمسة عشر كيلومترا على الاقل ، وهذه الاعمال هى فلاحة الارض واستصلاح الاراضى الزراعية والبور واقامة المنشآت اللازمة لها ، والانشاءات الضرورية من حفر وردم وتطهير المجارى المائية وشق الطرق وتعبيدها أو رصفها ، ويجوز بقرار من وزير العمل اضافة أعمال اخرى :

١ ـ لا يجوز تشغيل عمال تراحيل تقل أعمارهم عن ١ ـ ١٥ سنة ، ولوزير العمل بقرار منه ، وبالاتفاق مع الوزير المختص ، تحديدأنواع الاعمال التى يجوز فيها تشغيل العمال الذين تقل أعمارهم عن ذلك .

٢ ـ **يكون ترحيل** العمال من مقرهم الاصلى الى محل العمل وبالعكس على نفقة المنشأة .

٣ ـ **تلتزم المنشأة** فى حالة تشغيلها لعمال تراحيل بما يأتى :

ـ أن تقدم جميع الالات اللازمة لتأدية العمل دون مقابل

ـ أن توفر للعمال المساكن الملائمة دون مقابل .

ـ ان توفر المياه الصالحة للشرب بكميات كافية .

ـ على أن تكون هذه المساكن قريبة من مكان العمل وأن يحافظ عليها فى حالة ملائمة للصحة .

٤ ـ **اذا كانت** مدة الترحيلة ٦٠ يوما أو أكثر ، فللعامل الحق فى اجازة بدون أجر لزيارة ذويه لمدة أربعة أيام كلما أمضى فى العمل ٢٦ يوما متصلة ، وتتحمل المنشأة فى هذه الحالة نفقات سفر العامل وعودته الى مكان التشغيل .

٥ ـ **يجب اعادة** العامل الى مكانه الاصلى على حساب المنشأة اذا عجز عن اداء العمل بسبب مرض أو حادث وقع له خلال الترحيل أو فى مكان العمل ، وثبت من توقيع الكشف الطبى عليه أنه غير قادر على انجاز العمل الباقى فى فترة الترحيلة .

ولكن هذا المشروع بدوره أيضا ظل مشروعا على الورق ، وهكذا بقى عمال التراحيل يعيشون فى نطاق ارتباطاتهم وعلاقاتهم القديمة البالغة السوء رغم مرور سنوات على التحولات التى تحققت فى بلادنا ، علما بأن البنود التى نص عليها مشروع وزارة العمل الاول ثم الثانى لا تجارى التطور الاجتماعى فى هذه المرحلة الثورية ، حيث خلت من أية حماية جدية تمنع تشغيل الاحداث فى أشغال التراحيل المرهقة ، حتى لا يحرموا من فرص التعليم ، وحتى لا يحرموا أيضا من فرص التدريب على المهن والصناعات الحديثة التى يجب أن تمتصهم بالتدرج ، كذلك لم ينص اى من المشروعين على تأكيد دور النقابات الزراعية فى الدفاع عن حقوق العمال والاشراف الفعلى على تشغيلهم ، ولم تعطهم الحق فى اجازة مدفوعة الاجر أثناء الترحيلة الطويلة ، ولم تحدد ساعات العمل فى أشغال الزراعة والتراحيل كذلك لم تلزم

صاحب العمل بضرورة توفير ملابس وأحذية واقية للعمال عند العمل فى الماء والطين والوحل .

والى جانب هذين المشروعين النظريين رأت وزارة العمل أن تمارس هى نفسها دور صاحب العمل ، حيث فكرت فى انشاء مؤسسة لتشغيل عمال التراحيل على المستوى القومى ، وذلك برأسمال قدره ثمانية ملايين من الجنيهات ، على أن يرأسها وكيل الوزارة ويشرف عليها عدد من المديرين ، ولكن هذه الفكرة لم تنفذ نتيجة لما قوبلت به من اعتراضات،خوفا من جيش الموظفين الذى سوف يمسك بخناق هذه المؤسسة مما يؤدى الى تبديد رأسمالها فى مسالك لاعلاقة لها بالهدف منها ، ولكن رغم اختفاء هذه الفكرة الى حين فقد بعثها دعاتها من جديد فى النصف الثانى من عام ١٩٦٨ عندما اعدت وزارة العمل مشروعا متكاملا لانشاء مؤسسة عامة لتشغيل العمال المؤقتين على المستوى القومى توحيدا لاسس التشغيل وابعادا للوسطاء ومتعهدى توريد الانفار عن التحكم فى سوق العمالة فى الريف .

ومن البديهى أن فكرة انشاء هذه المؤسسة انما هى فكرة مكتبية لا تصلح عادة للريف ولا تتحمل متاعبه ومناخه ، كما أنها تتسم بالطابع الادارى البيروقراطى المعوق ، وقد حكم الواقع على فشل اى طابع ادارى فى مواجهة مشاكل جماهير عمال الزراعة والتراحيل .

كما أنه من المعروف أن الوظيفة الرئيسية لوزارة العمل حاليا هى مراقبة العلاقات بين طرفى الانتاج سواء فى القطاع الخاص أم العام ، وأن وجود هذه المؤسسة يجعل هذه الوظيفة متناقضة، حيث يتعذر التوفيق بين وضع الوزارة كصاحب عمل ، وبين كونها هى الراعية والامينة على سيادة وتنفيذ العلاقات العادلة والمتقدمة بين طرفى الانتاج ، انها ستكون فى هذه الحالة خصما وحكما فى وقت واحد .

لكل ذلك ، فنحن نرى أن النقابات الزراعية باعتبارها تنظيمات جماهيرية وشعبية ، هى صاحبة المصلحة ، ومن ثم هى صاحبة الحق فى قيادة معركة القضاء على ظاهرة البطالة والتراحيل فى الريف المصرى ، وذلك بتمكينها من المشاركة الايجابية والفعالة مع كافة اطراف الحركة النقابية المصرية ، تحت قيادة التنظيم السياسى ، وهذا عملا بالميثاق الذى يؤكد دور النقابات الزراعية بقوله : « وكذلك نقابات العمال الزراعية سوف تكون قادرة على تجنيد جهود الملايين الذين ضيعتهم البطالة وأهدرت بالسلبية طاقاتهم ، ان هذه القوى هى الخلايا التى تستطيع أن تنسج خيوط الحياة فى الريف من جديد » .

مشروع النقابة العامة للعمال الزراعيين

لحل مشاكل عمال التراحيل فى الريف

قررت النقابة العامة لعمال الزراعة فى احد خطاباتها الدورية التى تستعرض فيها نشاطها : « ان عمال التراحيل لا يحصلون على أجورهم كاملة سواء من مكتب التشغيل أو من المقاولين، فمكاتب التشغيل لا تعطيهم الا ٨٠ فى المائة من أجورهم ، والمقاولون لا يعطونهم الا ٧٠ فى المائة من هذه الاجور ، لذلك ترى النقابة العامة أن تقوم هى بتشغيل العمال على أن تعطيهم كافة أجورهم كاملة » .

وفى هذا السبيل أعدت النقابة العامة لعمال الزراعة مشروعا لتشغيل عمال التراحيل يرتكز على الاسس التالية :

أولا : ان عمال الزراعة والتراحيل قوة منتجة فى امكانها أن تضيف الى المجتمع الجديد مزيدا من الرخاء ، وليس من الاشتراكية فى شىء أن يصوروا على أنهم عالة ، فتعتمد لهم ملايين الجنيهات لانشاء مؤسسة لتشغيلهم ، بينما لا ينالهم من هذه الملايين الا الفتات ، وتصبح هذه المؤسسة جهازا وظائفيا ضخما فحسب .

ثانيا : ان اعتماد ملايين الجنيهات لانشاء هذه المؤسسة انما يعنى تفكيرا علويا بعيدا عن عمال الزراعة يلغى دورهم كقوة ايجابية فى المجتمع يمكنها أن تقدم لنفسها وللمجتمع الكثير ، بدلا من أن تجعل منها قاعدة لجهاز سينتهى حتما الى البيروقراطية ، ويستهدف فى النهاية حل مشاكل عدد من الموظفين المكدسين داخله ، لا مشاكل الفئة التى أنشىء من أجلها .

ثالثا : انطلاقا من هذا الادراك ترى النقابة أن مشروع وزارة العمل لم يضع فى اعتباره التطورات التى ادخلتها ثورة ٢٣ يوليو على عمال الزراعة ، وأنهم بدأوا يحسون بكيانهم ، وأنهم طاقة يمكن أن تخرج من صفوفها العناصر التى تستطيع أن تتحمل مسئولية المهام الجديدة .

رابعا : وبعد دراسة التجارب السابقة رأت النقابة أن هناك حلولا يمكن أن تطرح ، على أن تكون بعيدة عن تحميل الدولة أية أعباء مالية ، حلولا تزكى فى العمال روح المبادرة والمساهمة فى حل مشاكلهم عن طريق نقابتهم ، وحتى تكون هذه الحلول عاملا للنهوض بالنقابة وربطها بالعمال ، لا

طريقا لتحويلها الى مجرد هيكل شكلى صورى مفرغ ينفض من حوله عمال الزراعة والتراحيل ·

وترى النقابه ان اول الحلول المقترحه هو الغاء نظام المقاولين ، ووضع التشريعات التى تحول هذا الالغاء الى حقيقة واقعة ، وأن يتم تشغيل العمال عن طريق النقابة العامة لعمال الزراعة ولجانها النقابية بالتعاون مع الهيئات المعنية ، وتشكل هيئة خاصة تشرف على فروع لها بالمحافظات المختلفة ·

● **ممن تتكون الهيئة :** ترى النقابة أن مثل هذه الهيئة يجب أن تكون بعيدة كل البعد عن البيروقراطية والاجهزة العلوية ، ولا يجب حشدها بأعداد كبيرة من الموظفين ، وأن تظل جهازا شعبيا تقوم فيه النقابة العامة بالدور الاساسى والرئيسى·

وبناء على هذا الفهم ترى النقابة العامة لعمال الزراعة ان يتم تكوين الهيئة على النحو التالى :

١ ـ يكون للنقابة العامة ٥٠ فى المائة من أعضائها ·

٢ ـ يمثل الاعضاء وزارة الاصلاح الزراعى واصلاح الاراضى ، ووزارة الحكم المحلى ،ووزارة الزراعة ، ووزارة الرى ، ووزارة الصحة ، ووزارة العمل ، على أن يتولى رئاسة الهيئة السيد نائب رئيس الوزراء للحكم المحلى أو من ينوب عنه ، أما فى المحافظات ، فتتكون من ممثلى الهيئات السابقة على مستوى المحافظة على أن تقدم النقابة العامة ٥٠ فى المائة من أعضاء اللجنة الفرعية من أعضائها الموجودين بالمحافظة ، ويتولى رئاسة لجنة المحافظة المحافظ أو من ينوب عنه ، أما العمل على مستوى القرية فيكون من اختصاص اللجان النقابية ·

● **مهام الهيئة وفروعها :** يمكن تلخيص مهام الهيئة وفروعها على النحو التالى حسب مشروع النقابة :

أولا : مهام اللجنة الرئيسية بالقاهرة :

١ ـ القيام بالبحوث والدراسات الفنية اللازمة لتشغيل عمال الزراعة وعمل الاحصائيات ·

٢ ـ تنظيم العمالة طبقا للسياسة العامة للدولة ومشروعاتها .

٣ ـ اعداد اللوائح اللازمة لتنظيم العمل فى الهيئات الفرعية ·

٤ ـ تلقى الاحصائيات والبيانات عن الهيئات الفرعية بالمحافظات والقرى وظروف العمل بها ·

٥ ـ تنسيق العمل بين المحافظات المختلفة ·

٦ ـ تلقى الطلبات من الوزارات والهيئات والمؤسسات واصدار التعليمات الى الفروع لتنفيذها ·

٧ ـ الاشراف على الفروع وتوجيهها ·

ثانيا : مهام الهيئة الفرعية بالمحافظة :

١ ـ الاشراف على تسجيل عمال التراحيل باللجان النقابية ·

٢ ـ صرف مستحقات هؤلاء العمال عن طريق لجانهم النقابية ·

٣ ـ تنظيم العمال داخل المحافظة وتلقى البيانات من اللجان النقابية ·

٤ ـ اخطار اللجان النقابية بالاعداد المطلوبة من كل لجنة وموعد بدء الترحيلة ونهايتها ومنطقة عملها ·

٥ ـ الاشراف على وسائل نقل العمال الى مناطق العمل ·

٦ ـ تلقى اخطارات أصحاب الاعمال عن أية تحركات وتنقلات يقومون بها بين العمال داخل المحافظة ·

٧ ـ الاشراف على العمال فى مناطق العمل للتأكد من حصولهم على حقوقهم كاملة ·

ثالثا : اللجان النقابية بالقرية :

١ ـ تسجل العمال فى سجلات خاصة ·

٢ ـ اعداد الترحيلة عند وصول الاخطار من لجنة المحافظة ·

٣ ـ الاشراف على انتقال العمال الى مكان العمل ·

٤ ـ العمل على توقيع الكشف الطبى على كل عامل قبل قيامه للترحيلة عن طريق مفتش الصحة ·

٥ ـ تنظيم العمالة بين عمال الزراعة داخل القرية ·

٦ ـ تنفيذ ما يصدر لها من تعليمات من الهيئة الفرعية بخصوص عمليات التشغيل ·

٧ ـ الابلاغ عن أى مقاول أو مورد أنفار ·

وترى مشروع النقابة ، فيما يختص بالتمويل ، أن يتم بطريقة شعبية لا تمثل عبئا على الدولة ، وألا تعمل الهيئة بطريقة تجعلها تقضى على الوسطاء لتحل هى محلهم ، بأن تقتطع من أجورهم ٢٥ فى المائة مثلا كما هو وارد فى مشروع وزارة

العمل ، وانما ينشأ صندوق خاص للعمال تجمع فيه حصيلة رسم الدمغة (٥٠ مليما) على استمارات التشغيل ، كذلك يمكن اقتطاع مبلغ ضئيل (لا يقل عن نصف القرش) لتغطية ضريبة المهن الزراعية ، وتصرف حصيلة هذه المبالغ على بناء مساكن متنقلة وعلى مشروعات التثقيف . الخ .

وليس المطلوب ، فى مشروع النقابة ، انشاء ما يشبه الوزارة الجديدة التى ترصد لها الاعتمادات ويحشد لها جهاز ضخم من الموظفين ، وانما العكس بالدقة هو المطلوب ، وفى مجال الخدمات فسيكون واجب الهيئة المقترحة وفروعها العمل على توصيل الخدمات الحالية ، المنفذة بالفعل أو المفترضة ، الى عمال الزراعة والتراحيل فى أماكن عملهم ، سواء كان ذلك من وزارة الشئون الاجتماعية أو وزارة الصحة .. الخ ، وذلك بدون خلق اية أجهزة خاصة جديدة ، ولا شك أن بلورة مجال العمال الزراعيين ستخلق قوة دافعة محركة ونشيطة تحرك الجهات المختصة فى وزارات الخدمات كى تعمل بصورة مبسطة وشبه متخصصة لتوصيل خدماتها الى هذا المجال .

موقع النقابة من المشروع المقترح : لاشك أن النقابة هى الجهاز القادر على الارتباط بمشاكل العمال ، وعلى أكتافها ستنشأ هيئة التشغيل ، فالمشروع يصر على تجنب خلق أية أجهزة أخرى تعتدى على اختصاصات النقابة ، وانما سيظل تمثيل الهيئة المقترحة قاصرا على الاشتراك مع النقابة فى الاجهزة العلوية ، وأما الشبكة النقابية المنتشرة فى القرى فهى القاعدة التى ستنفذ أهداف الهيئة عن طريق الجهاز النقابى ، وهذا المفهوم يناقض تماما ما ذهب اليه مشروع الوزارة الذى يلغى دور النقابة تماما ، وينشىء أجهزة ليس هدفها تنظيم العمال ودفعهم الى أخذ قضاياهم بين أيديهم والتصدى لها دراسة وحلا ، وانما هى أجهزة ضخمة مكتظة بالموظفين ، وتقوم بأداء بعض الخدمات كما لو كانت أعمالا خيرية تجود بها السلطات العليا .

ولقد جاء مشروع الوزارة صريحا فى موقفه من النقابة ، فهو يقول : « وقد بحثت الوزارة أيضا مبدأ قيام النقابة العامة لعمال الزراعة بأمر تشغيل عمال التراحيل ، لكنها أنتهت من دراستها الى صعوبة ذلك ، لان النقابة ما زالت ضعيفة سواء من ناحية عضويتها أو ميزانيتها أو أجهزتها الادارية والفنية ، الامر الذى لا يمكنها حاليا من القيام وحدها بهذه المهمة ، وحتى اذا توافرت للنقابة الامكانيات الكافية ، واتسعت عضويتها بالافادة من أحكام القانون رقم ٦٢ لسنة ١٩٦٤ فانها لا يمكن أن تقوم فى الوقت الحالى بأكثر من دور مساعد فى هذه العملية المركبة المتعددة الاطراف » .

ومن المفيد فى الرد على هذه النظرة أن نبرز ما يلى :

١ — **أن النقابة** قائمة فعلا قبل قيام المؤسسة التى تقترحها وزارة العمل ، وان يكن فى النقابة ضعف فى العضوية أو الميزانية أو الاجهزة الادارية والفنية ، فمن الممكن تدارك هذا الضعف بدلا من خلق جهاز جديد لا تربطه بعمال التراحيل رابطة ، والاصل على كل حال أن صاحب المصلحة فى تقوية مكانة العامل وتأمين مستقبله هو النقابة ، ومن هنا فالنقابة تضمن استمرارية الحرص على هذه المصلحة ، ولا ينطفىء حماسها لهذه المصلحة لانه وليد احساس حقيقى ، وليس وليد ثورة عاطفية لمجموعة من الموظفين ، الارجح أن يتبدد حماسهم لاحساسهم أن جهدهم يبذل لجماعة لا تربطهم بهم أية رابطة ، ناهينا عن نظرات التعالى الطبقية التى تسيطر عليهم .

٢ — **ان قصر دور النقابة على تحويلها الى** تنظيم مساعد لا موجب له ، خصوصا وأن هذا قد يؤدى بالصلات التى تقوم بين العمال والنقابة ، ولا شك أن توزيع الاشراف على عمال التراحيل بين المؤسسة التى تقترحها الوزارة وبين النقابة ، يؤدى الى الانتقاص من ولاء العامل لنقابته ويزعزع روابطه بها . ولا ريب أيضا أن هذا الوضع يمكن أن يسبب منازعات بين المؤسسة والنقابة يقع عبئه فى نهاية الامر على العمال .

ومن وجهة نظر النقابة ، فلا شك أن الحل الجذرى لمشاكل عمال الزراعة والتراحيل انما يتمثل فى اتساع الرقعة الزراعية وفى التصنيع ، ولكن الى أن يتم تحقيق هذه الاهداف البعيدة الاجل ، فعلى الدولة أن تصدر بعض التشريعات التى تقلم أظافر المقاولين ، شأنهم فى ذلك شأن الاقطاعيين ، فاذا كان الاقطاعى يمتلك الارض ، فالمقاول يكاد أن يمتلك البشر أنفسهم .

والقول بأن أولى مشاكل عمال التراحيل هى تجميعهم ، قول فيه كثير من الاجحاف بانسانية هؤلاء العمال ، ويجب أن يحل محل نظام التجميع نظام آخر للتسجيل والحصر فى فروع النقابة ، ويجب لذلك أن تقوم اللجان النقابية بمساعدة الحكم المحلى بانجاز المهام التالية :

١ — **حصر عمال** التراحيل كل بدائرته ، باستمارات جامعة ومعلومات كافية عن حالة كل عامل الاجتماعية ومحل اقامته وعدد أولاده وموارد رزقه .

٢ — **تقسيم العمال** الى فئتين : عمال جيرة لهم عمل آخر ويعتبرون التراحيل مصدرا اضافيا للرزق ، وعمال تراحيل لا مورد لهم الا العمل فى التراحيل .

٣ ـ **اعطاء الفرصة أولا لعمال التراحيل** ليحصلوا على ايام عمل مساوية لعمال الجيرة على مدى العام ٠

٤ ـ **ان يراعى** فى تشغيل العمال الجوانب الاجتماعية ، فيفضل المتزوج ذو الاولاد على المتزوج ، وهذا على الاعزب .. الخ ، واذا تعدد فى الاسرة الواحدة أكثر من عامل تراحيل كان الاولى الجمع بينهم ٠

٥ ـ **يجرى الكشف** الطبى على العمال بمعرفة واشراف اللجان النقابية ٠

٦ ـ **يعطى** العامل تذكرة شخصية تعتمدها النقابة ضمانا لعدم تعددها ، ولا يجوز تشغيل العامل بدونها مصحوبا بترشيح النقابة ٠

وأما فيما يختص بانتقال العمال الى أماكن العمل ، فترى النقابة انه من الواجب أن يوضع فى الاعتبار أن هؤلا العمال قادرون على الوصول الى أماكن عملهم بأنفسهم ، وأنهم ليسوا بضاعة تجمع وتكدس ، ويقذف بها الى أماكن العمل بشكل غير انسانى ، ولذلك ترى النقابة أنه ليس من المناسب أن يفرض عليهم أسلوب معين فى الانتقال ، وانما يتمكن تحديد مواعيد للتجمع فى الاماكن المطلوبة وترك حرية أختيار وسيلة الوصول للعمال ، كما يمكن أن تقوم اللجنة النقابية أو الهيئة الفرعية بمساعدة الحكم المحلى بنقلهم فى سيارات أو أتوبيسات ، شأنهم فى ذلك شأن باقى المواطنين ، وفى كلتا الحالتين يكون النقل على حساب رب العمل ذهابا وعودة ٠

وتبقى مشكلة الاجور هى المشكلة الحقيقية لعمال التراحيل ، فالاستقطاعات الهائلة الموجودة حاليا لصالح المقاولين ومتعهدى الانفار ، أو الاستقطاعات التى تفرض على اجمالى الاجر من جانب رب العمل ويتحمل عبئها فى نهاية الامر عامل التراحيل ، هى التى تنزل بالاجر الى أدنى الحدود ، ومن ناحية أخرى توجد فكرة التحايل على خفض الاجور والتى يزاولها رب العمل منذ اللحظة الاولى ، فهو يتعاقد على العمل بالانفار مثلا ، ولكنه فى علاقته بعامل التراحيل يعطيه الاجر بالمقطوعية ، ويحقق من ذلك ربحه الهائل ٠

لذلك يجب ان يتم التعاقد مع رب العمل بذات الطريقة التى تتعاقد بها الوزارات والمؤسسات والمصالح مع ملاحظة اعطاء الربح المعقول لنفقات التشغيل والاستهلاكات والادارة وسواها ، مما يستلزمه صالح العمل فى حالة التشغيل فى الشركات ٠

كما يمكن تقدير أجر تقريبى يومى يتفق مع معدلات الانتاج العادية عند الاعداد للترحيلة ، ويثبت انتاج العامل واستحقاقاته يوميا عن طريق السراكى ٠

ويجب اعتبار التأشيرة على استمارة العامل بصلاحيته من طبيب اللجنة النقابية اساسا ضروريا لقبول الحاق العامل بالعمل ـ والى جانب ذلك يجب أن تتحدد مسئولية رب العمل عن كل ما يلحق بالعامل أثناء العمل ، والزامه بالتعويض عن اصابات العمل ، وضرورة نقل المصاب الى أقرب مستشفى للعلاج ، وصرف الاجر طوال مدة العلاج ، والنقل الى الموطن الاصلى فى حالة الوفاة ٠

كما يجب أن يحرم قبول أى عطاء مالم يقدم مع العطاء ما يفيد مقدرة مقدم العطاء على اعداد أماكن للاقامة اللائقة ، وكل سبل التغذية المناسبة ، والحصول على مياه الشرب النقية ، مع تقديم وجبة غذائية يومية كاملة ، **بسعر لا يتعدى عشرين مليما ، كما يتحدد سعر بيع المواد الغذائية بالاسعار السائدة فى منطقة العمل حتى لا تتكرر الصور القديمة من المتاجرة فى قوت العمال بأغلى الاسعار ، استغلالا لظروف عملهم فى أماكن بعيدة ٠**

وأن كان تنظيم كل هذه العمليات يحتاج الى عدد من الموظفين والمراقبين ، فلابد أن يتحقق ذلك فى أضيق الحدود ، على أن تتولى اللجان النقابية مسئولية انتدابهم ، مع احتساب رواتبهم على جانب رب العمل ٠

كما يجب الزام رب العمل بالتأمين على عماله ، ضد اصابات العمل ، ويكون اشتراكه فى هيئة التأمينات شرطا اساسيا لقبول العمالة لديه ٠

هذه هى الخطوط الرئيسية لمشروع النقابة العامة لعمال الزراعة ، والذى استفاد من أغلب الجوانب الايجابية فى التجارب والمشروعات الخاصة بتشغيل عمال الزراعة والتراحيل ، ويمكننا أن نعتبره مشروعا متقدما لانه يبدأ من القاعدة الرئيسية فى الريف ممثلة فى النقابة الريفية فى القرية ، هذه النقابة التى يمكنها ان تدفع عمال الزراعة والتراحيل الى المشاركة الفعلية فى ادارة شئونهم لاول مرة ، وهذا يعنى بعث شخصيتهم ووجودهم فى الحياة المصرية الجديدة ٠

الا أن هذا المشروع لم ينفذ الا فى حدود جزئية ضيقة ، حيث استطاعت النقابة العامة الحصول على بعض الاتفاقات لتشغيل عمال الزراعة

والتراحيل ، وكان أبرزها الاتفاق المبرم مع « المؤسسة المصرية العامة لاستغلال وتنمية الاراضى المستصلحة » التى تعاقدت على تشغيل عشرة آلاف عامل عن طريق النقابة لمدة عام ، على أن يكون أجر العامل ٤٥ قرشا ، والعامل الحدث الذى يقل عمره عن ١٦ سنة ١٦ قرشا ، والولد والبنت من سن ١٠ — ١٣ سنة ١٢ قرشا ، وعلى أن تقدم المؤسسة وجبة غذائية يتمصرفها باشراف النقابة العامة .

ولقد حال دون تعميم هذا المشروع على النطاق القومى أسباب ثلاثة :

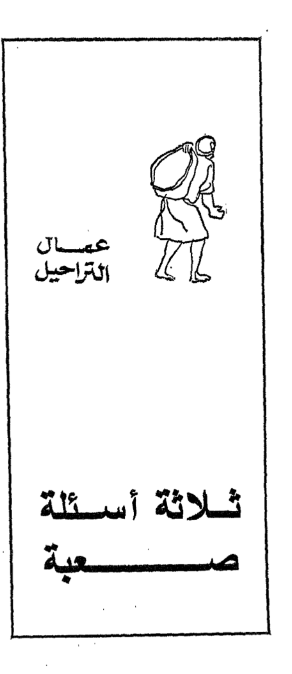
أولا : ضعف النقابة العامة من حيث عضويتها وماليتها ، ومن حيث تسلل المقاولين واتباعهم الى لجانها فى القرى والكفور .

ثانيا : عدم وجود أية مساندة من جانب وزارة العمل ومحافظات الحكم المحلى للمشروع .

ثالثا : الخلافات الحادة التى نشبت بين أمانة الفلاحين بالاتحاد الاشتراكى وقيادة النقابة العامة بصدد قيادة عمال الزراعة والتراحيل ، ويكفى هنا أن نشير الى تصريحات صلاح أبو المجد رئيس نقابة العمال الزراعيين فى مجلة العمال الصادرة فى ٥/١٠/٦٦ والتى جاء فيها : « ان النقابة التى تمثل العمال الزراعيين لم تشترك فى مؤتمر الفلاحين الاخير ، ومعنى هذا أن الذين ناقشوا مشكلات العمال الزراعيين ليسوا عمالا زراعيين — وبالاضافة الى ذلك فان العمال الزراعيين عمال وليسوا فلاحين » • وجاء فى هذه التصريحات أيضا قوله : « ان الاتحاد العام للعمال سبق أن درس هذه المسألة واتخذ قرارا بأن العمال الزراعيين عمال وليسوا فلاحين وهم لذلك يتبعون أمانة العمال » •

ولعل أهم العيوب التى صاحبت تنفيذ هذا المشروع فى رأينا ، هى أنه لم يوضع فى اتجاه تصفية ظاهرة عمال التراحيل والبطالة فى الريف ، وذلك على المدى البعيد ، كما أنه لم يتخذ أى اجراء لوقف تدفق الاحداث والشبان الريفيين على أشغال التراحيل ، وذلك بتأهيلهم بعيدا عن هذا العمل البدائى ، مراعاة لتطورنا الاجتماعى والاقتصادى ، كما أنه تبنى وجهة نظر تمليك عمال التراحيل ، وليس اقامة مزارع تعاونية أو جماعية للارض الجديدة وهو موضوع سنتناوله فيما بعد .

كذلك لم تدرك النقابة أن تنفيذ هذا المشروع انما هو معركة هامة من معارك ثورة الريف ، ومن ثم فقد كان لابد من تسييس المشروع نظريا وعمليا بالتعاون الجاد والمخلص بين الاتحاد الاشتراكى والنقابة العامة لعمال الزراعة والاتحاد العام للعمال لتنفيذ المشروع ابتداء من القرية المصرية وعلى أرضها •



كمال السيد

في كتابه عن « **جغرافية التخلف** » صور لنا **ايف لاكوست** ، الكاتب الفرنسى ، الوضع فى البلاد النامية ، بجمع غفير من البشر يتدافعون بالمناكب حول مخزن للغذاء ، يمكن وصف السلع الموجودة فيه بأنها أكثر من متواضعة ، بل وشبه معدومة .

وأيا كانت المبالغة فى التصوير ، فالامر المؤكد أنه ليس هناك أى تناسب بين الانفجار السكانى وبين وسائل اعاشتهم ، وبصفة خاصة الارض التى يعتمد عليها حوالى ٧٠ فى المائة من سكان البلاد النامية ، والتى تمثل المصدر الاساسى للدخل

وللعمل وللتصدير ؟ بل حتى للقيم ؟ ويؤدى هذا الوضع الى ما يسميه الاقتصاديون « **اختلال فى البنيان الانتاجى** » ، أى زيادة عدد القادرين على العمل والراغبين فيه عن الوسائل المتاحة للعمل، الامر الذى يوجد مختلف أنواع البطالة الصريحة والمقنعة ، المؤقتة والهيكلية التى ترجع الى طبيعة النظام الاقتصادى نفسه ، وكثيرة هى الارقام التى تبين كمية العمل المتاحة فى الريف ، ففى الهند يعمل العامل ١١٨ يوما فى السنة ، وفى الجزائر ٩٠ يوما وفى مصر ١٦٠ يوما .

وفيما يتعلق ببلادنا ففى الوقت الذى زادت فيه المساحة المزروعة حوالى ١٥ فى المائة من اوائل القرن حتى الان ، زاد السكان حوالى ثلاثة أضعاف ، الامر الذى جعل بلادنا من حيث كثافة السكان فى المنطقة المزروعة اعلى منها فى اى بلد زراعى آخر ، كما يقول **شارل عيسوى** فى كتابه « **مصر فى ثورة** » . فاذا علمنا أن معدل الزيادة السكانية فى بلادنا ٣ فى المائة سنويا ، اى ما يقرب من مليون سنويا ، وأن النسبة الغالبة من السكان (حوالى ٧٠ فى المائة) تقطن الريف ، وأن معظمهم فى سن تقل عن الثلاثين ، أى سن العمل ، لادركنا مدى ضخامة الفائض السكانى الذين يتعين ايجاد وسائل للعمل ، والحياة له .

فهل نلجأ الى تعبئة هذه القوى البشرية فى مشروعات تقوم على استخدام آلات تنخفض فيها كثافة رأس المال ، مع التضحية بالانتاجية ، أم نختار لمشروعاتنا أرقى الالات ، وما يتحقق عنها من فائض نوظف به هذه القوى العاملة فى مجالات أخرى ؟

يتفق معظم الاقتصاديين الاشتراكيين، على ان خطط التنمية الشاملة لابد وأن تجيب على ثلاثة أسئلة صعبة ، ولكنها ضرورية ، اذ تتوقف عليها مختلف القرارات اللاحقة ، وهذه الاسئلة تتعلق بالمسائل التالية :

- نوع الاختيار التكنولوجى ، وما اذا كانت الالات والتكنيك المستخدم يعتمدان فى الاساس على **كثافة رأس المال أو كثافة العمل** ، وتحديد نسبة كل منهما .

- نمط توزيع الاستثمارات بين مختلف الانشطة الاقتصادية : بين الصناعة ، والزراعة، والقطاع الثالث (خدمات وتجارة، الخ) . ثم توزيع الاستثمارات داخل كل قطاع منها على حدة ، ففى الصناعة لابد من تحديد نصيب كل من الصناعات الاستهلاكية والصناعات الانتاجية .

- أساليب تحديد نصيب كل من الاستهلاك والاستثمار فى الدخل القومى ، وطريقة احكام الرقابة لضمان احترام هذه النسب فى التطبيق العملى .

وفى الاجابة على هذه الاسئلة ، سواء أكانت الاجابة نظرية فى شكل كتابات تدافع عن هذا الرأى أو ذاك أو كانت الاجابة عملية فى شكل هذه الخطة العملية للتنمية الاقتصادية أو تلك ، فان الاراء تتباين وتتعدد حتى بين الاشتراكيين، او بين الدول الاشتراكية نفسها فى سياستها العملية .

ومع أن الاجابة يجب ان تتوقف فى كل حالة على حدة ، على نوعية الظروف والعوامل السائدة حينذاك ، الا أن هناك ظروفا وعوامل مشتركة ، توجد نوعا من الاجابة الموحدة أو المتشابهة ، وأهم هذه الظروف السائدة بين عدد كبير من بلدان العالم الثالث هى :

وجود هوة واسعة بين النمو الديمجرافى الهائل ، وبين الموارد التى يملكها السكان حقا ، وأن « الاستثمارات الديمجرافية » أى اللازمة لاقامة أود المواليد الجدد ، والاحتفاظ بمستوى معيشة السكان على ما هو عليه ، تلتهم كثيرا من الاموال التى كان من الممكن استخدامها فى التنمية ، ومن ثم فالسمة المميزة لها ، كما يقول **أوسكار لانج** – **هى عدم كفاية رؤوس الاموال لاستخدام العمال بأرقى مستويات التكنيك** .

ان حقيقة أن العدد يتناقض مع التقدم قد أصبحت واضحة للجميع ، أما الشعارات مثل « لا ثروة الا بالانسان » و « السكان قوة انتاجية هائلة » ، فتعتبر حقيقة فى عالم المطلقات كما يقول الكاتب الفرنسى **بيير جورج** ، الاستاذ بالسوربون ، والذى يؤكد أن كل زيادة سنوية فى السكان تعلو عن ٢ر٥ فى المائة سنويا تعتبر مانعا للتنمية .

ان الانسان يعتبر مستهلكا منذ اليوم الاول لمولده ، ولضمان التوازن من جانبه ، بين الاستهلاك والانتاج ، لابد من تزويده بوسائل للعمل والانتاج تمكنه على الاقل من أن ينتج ما يعادل استهلاكه ، وذلك فى ضوء احتياجاته المتزايدة تحت « تاثير المحاكاة » وشيوع الانماط الاستهلاكية السائدة فى الدول المتقدمة بسبب « ثورة المواصلات » .

تصاعد تكاليف الوظيفة

مازالت الصناعة، فى رأى الجميع ، هى الحلقة الرئيسية فى التنمية ، وصناعة القرن العشرين ، غير تلك الصناعة التى عرفتها أوربا ابان ثورتها

الصناعية الاولى فى القرن التاسع عشر ، اذ أن الصناعة الحالية ترتبطبالتغييرات التالية ، والتى لابد وأن تؤثر على حجمها ، أهدافها ووسائلها ، وأنواعها :

● الثورة العلمية والتكنولوجية الهائلة ، والطابع العملى والانتاجى للبحث العلمى ، وتناقص الفترة اللازمة بين الاكتشاف العلمى وتطبيقه العملى فى الصناعة ·

● المنافسة الضارية بين الدول المتقدمة، بما يدفعها الى تخفيض تكاليف انتاجها وزيادة الجودة ، بالاعتمادعلى وفورات الحجم الكبير من الانتاج ، واستغلال امكانيات الثورة العلمية ، ولا يجدى كثيرا فى مواجهة هذه«الحرب الاقتصادية » الاحتماء وراء الحواجز الجمركية ، خاصة فى البلدان التى طال تطلع سكانها للاستهلاك ·

وفى ظل هذه الاوضاع ، تصاعدت تكاليف انشاء الوظيفة الواحدة فى الصناعة تصاعدا رهيبا ، فتكاليف انشاء وظيفة فى مصنع للصناعاتالالكترونية ، غيرها فى مصنع للنسيج ، وحاجة الدول النامية للتصنيع أصبحت أكثر الحاحا بعد أن تدهورت أسعار منتجاتها الاولية ، ولم يعد فى الامكان الاعتماد عليها ·

ومع ضخامة الاستثمارات اللازمة للصناعة تمت محاولة للبحث عن مختلف أنواع المسكنات والمهدئات فى مختلف صور تعبئة العمل واستثماره ، وتوالت الاقتراحات والخطط التى تركز على استخدام أنواع من التكنيك ، واختيار أنواع من الصناعات تزيد فيها كثافة العمل ، وتقل احتياجاتها من رأس المال ·

وكانت الصين فى مقدمة الدول التى قامت كثيرا من خططها على أساس استثمار العمل والاستغناء به فى بعض المجالات عن استخدام آخر منجزات التكنولوجيا ، وما تفرض من ضخامة حجم المشروع ، وبالتالى ضخامة الاستثمارات ، وأقيمت الكوميونات التى تقوم بمختلف أنواع النشاط الانتاجى ، بما فى ذلك انتاج الحديد والصلب فى أفران بدائية ، وعلى نطاق محدود، وأثارت الصين بعملها هذا ، وبالنتائج المتحققة عنه ، زوبعة هائلة من النقاش حول مستوى التكنيك الذى يتعين الاخذ به ، فى البلاد النامية التى يقول عنها تقرير للامم المتحدة :

« على الرغم من اختلاف الظروف المحيطة بالتنمية الاقتصادية من بلد الى آخر ، فان للبلاد المتخلفة خصيصة مشتركة تتمثل فى قيام الانتاج بصفة عامة على أساس قدر قليل نسبيا من رأس المال الحقيقى بالنسبة للفرد ، مع الاعتماد على طرائق انتاجية متخلفة نسبيا بأوسع معانى الكلمة » ·

ويمكن رد مختلف « التنويعات» فى الاجابة على السؤال المتعلق بمستوى الفن الانتاجى الذى يتعين الاخذ به الى اتجاهين أساسيين :

استثمار العمل لتخفيف العبء المالى

ينطلق الرأى القائل بامكان استخدام نوع أقل من التكنيك فى بعض الصناعات الانمائية ، من الصعوبات العملية التى تواجه فى المدى القصير سياسة التنمية فى البلاد النامية ، وتتفاوت جدية أنصار هذا الرأى ، اذ يرى البعض منهم أنه يمكن البدء بتوفير أدوات عمل بسيطة للغاية أو حتى مجرد البدء « بخدش » الارض بالايدى لتنفيذ المشروعات ، فى حين أن البعض الاخر يقوم رأيهم هذا على أساس من التبرير الواقعى المستمد من الظروف المحددة والدراسة المتعمقة لاثار هذا المستوى المنخفض من التكنيك على الاقتصاد القومى فى مجموعه ، وأهم الحجج التى يستند اليها أنصار هذا الرأى :

● أن السمة الاساسية للبلاد المتخلفة هى عدم كفاية رؤوس الاموال اللازمة للاخذ بآخر منجزات الصناعة الحديثة ، فالدخل الفردى فى هذه البلاد منخفض بصورة تجعل معدل الادخار هابطا الى أدنى حد ·

● أن المعونات الخارجية تشكل خطرا على سياسات التنمية ، لما يصاحبها من شروط وتحفظات ، وحتى فى حالة الحصول عليها بلا شروط من الدول الاشتراكية فلا يجب أن تكون هى الاساس فى مجمل استثمارات التنمية بل لابد أن تكون الغلبة للمدخرات المحلية ·

● أن هناك جيشا من العاطلين كلية أو ضحايا البطالة ، يتعين اشباع حاجتهم الى العمل، وأن تشغيلهم فضلا عن أنه يؤدى الى زيادة الانتاج بصورة مباشرة فى الفروع التى يتم توظيفهم فيها ، فان رفع قوتهم الشرائية ، يؤدى الى زيادةالانتاج فى فروع اقتصادية أخرى،من التى قد يستهلكون انتاجها ·

● أن استخدام آخر منجزات الصناعة وأرقى أساليب الفن الانتاجى ، يقتضى اطارا حضاريا واجتماعيا وماليا واقتصاديا معينا قد لا يكون متوافرا ، الامر الذى قد يوجد هوة بين تكنيك

الحياة اليومية وبين التكنيك المستخدم فى بعض الفروع الانتاجية .

● ان استخدام أرقى أنواع التكنيك قد يخلق فائضا فى الطاقة الانتاجية ـ على الاقل فى البداية ـ نظرا لارتفاع الحد الادنى لحجم هذه المشروعات ، فى مواجهة سوق داخلى ضيق نسبيا .

● أن استخدام تكتيك راق يقتضى القيام بأنواع معينة من الانفاق على التعليم والتدريب واعداد الفنيين والاداريين ، والبحث العلمى .

● حيث أن الطاقة الاستثمارية محدودة فى نهاية الامر ، فان زيادة كثافة رأس المال فى بعض الصناعات ، قد يكون على حساب الفروع الاخرى .

توفير وسائل العمالة

ظاهرة اجتماعية

يرى كثير من الاقتصاديين من أمثال **باران** و**موريس دوب** و**بتلهيم** و**لانج** ، أن العقبة الرئيسية أمام تطور البلاد المتخلفة ليست النقص فى رأس المال ، ذلك أن الفائض الاقتصادى الاحتمالى والذى يمكن تعبئته للاستثمار كبير للغاية ، وانما العقبة الاساسية هى الطريقة التى يبدد بها الفائض الاقتصادى فى مختلف أشكال الاستهلاك غير المنتج ، واكتنازه فى الداخل والخارج ، أو تضييعه فى الاحتفاظ بأجهزة بيروقراطية متضخمة غير منتجة .

ويؤكد **باران** أن « الاكتظاظ السكانى كما يوجد فى المرحلة الحالية من التطور التاريخى ليس اكتظاظا بالنسبة للموارد الطبيعية ، ولكن بالنسبة الى المعدات والالات ، أو كما يقول **انجلز** « ان الضغط السكانى ليس على وسائل المعيشة وانما على وسائل العمالة ، وان توفير وسائل العمالة ليس معطاة طبيعية ، بل هو ظاهرة اجتماعية ، وأهم الحجج التى يستند اليها أنصار استخدام آخر منجزات التكنولوجيا :

■ أن الهوة واسعة بين الفائض الاقتصادى الفعلى المستثمر وبين الفائض الاحتمالى الذى يمكن بترشيد المجتمع استخدامه فى زيادة التسهيلات الانتاجية فى فترة قصيرة نسبيا ، وأن تعبئة هذا الفائض الاحتمالى أمر سهل نسبيا بنزع ملكية الطبقات القديمة ، ووقف الاستهلاك المفرط غير الانتاجى ، ووقف استنزاف الاجانب للثروة .

■ أن زيادة معدل الاستثمار ، لا تتناقض مع سياسة رفع مستوى استهلاك الجماهير ، وأن المشكلة الاساسية هى وجود سياسة سليمة لتخصيص الاموال واستخدام رشيد للفائض .

■ أن الصناعات الثقيلة والانتاجية ، هى بطبيعتها صناعات كبيرة الحجم ، لتحقيق وفورات الانتاج ، الكبير ، اذ لايتصور اقامة صناعة للحديد والصلب او للكيماويات على نطاق صغير ، واعتمادا على تكنولوجيا متخلفة نسبيا ، فهذه الصناعات تشكل قاعدة لتجديد وتموين الاقتصاد القومى فى مجموعه والصناعات الاخرى ، ومن ثم يجب التركيز فيها على انخفاض سعر التكلفة ، ولا يتأتى هذا الا باستخدام الالات الارقى تكنولوجيا ، لان انتاجيتها مرتفعة بما يمكن من الهبوط بتكاليف الانتاج الى أقصى حد ، وفضلا عن ذلك فان الوفورات الخارجية ، وهى المزايا التى يحصل عليها الاقتصاد فى مجموعه من انشاء مشروع معين ، تتولد من عدم قابلية دول الانتاج للتجزئة ، اى ضرورة الانتاج على نطاق واسع .

ان **الشرط الاساسى** للتقدم الصناعى ، وللنمو هو أن يفوق الانتاج فى الصناعة الانتاجية طلب الاحلال الجارى على السلع الانتاجية من جانب كل من الصناعات "الانتاجية والاستهلاكية (ماركس)" ، وتنمية الصناعات الانتاجية لا يمكن الا بالاعتماد على الالات الارقى تكنيكا .

■ ان سياسة التوظيف والاستخدام الواسع لليد العاملة على أدوات انتاجية ذات مستوى منخفض ، تهبط بمستوى الانتاجية بالنسبة للفرد ، وتكاد تكون نوعا من **البطالة المقنعة** ونوعا من منح اعانة الاستهلاك للعامل الجديد ، تقلل من الفائض المتاح أمام المجتمع لاستثماره .

ومن جانب آخر فان اختيار أنواع التكنيك التى تؤدى الى التشغيل الواسع لكثير من الايدى العاملة ونقلها من الريف الى المراكز الصناعية يقتضى انفاقا هائلا على الاسكان والخدمات والمدارس والمستشفيات قد تنوء به البلاد ، كذلك فان الحاجات الاستهلاكية لهذا الجيش الكبير من العاملين الجدد والمحولين اساسا من الريف (وهم بالطبع لا يحضرون غذاءهم معهم) يقتضى زيادة فى انتاج الصناعات الاستهلاكية تفوق كثيرا الزيادة الناجمة عن تشغيل مشروعات ترتفع فيها كثافة رأس المال وتقل كثافة العمل .

■ ان رخص اجور العاملين قد تكون أمرا عارضا ومؤقتا ، وان العمل قد يتحول من عنصر وافر نسبيا الى عنصر نادر ، مع تقدم مشروعات التنمية .

كذلك فان امكانيات احلال العمل محل رأس المال امكانيات محدودة ، واننا سرعان ما نصل الى الحدود القصوى فى هذا الصدد .

■ ان اختيار مستوى عال من التكنيك يؤدى فى الاجل الطويل الى تزايد معدل نمو الدخل القومى وزيادة التراكم والاستهلاك ، نظرا لانه يؤدى الى رفع الانتاجية بصورة كبيرة ومن ثم يتيح امكانيات أخرى للاستثمار ، ولتوظيف الايدى العاملة ، بل حتى ولشراء احتياجاتها من الخارج .

■ ان خصائص الصناعة الحديثة من التخصص فى الالات ذات الطاقة الانتاجية العالية فضلا عن الطبيعة النمطية للانتاج المستمر ، واستخدام طرائق انتاجية مثل طريقة التجميع الكمى ، والافادة من الانتاج العارض ، ووفورات التكامل ، كل هذا يحبذ استخدام الصناعات ذات الكثافة العالية فى رأس المال .

■ أما بالنسبة للسوق ، فالانتاج يخلق لنفسه السوق اللازمة لتصريف انتاجه ، وللصناعات الحديثة « تأثير المضاعف » على النشاطات الاخرى .

■ ان الرشد الاقتصادى يفترض ان يتم الانتاج واختيار أنواع المعدات على أساس أقل تكلفة اجتماعية كلية ، اى السعى الى الحصول على الناتج الاضافى باستخدام التكنيك الذى يخفض الى أدنى حد التكلفة الاجمالية لكل نوع من أنواع الانتاج .

وفى هذا يقول شارل بتلهيم : « قد يكون من الافيد العدول عن انتاج كل الكمية اللازمة لاشباع الحاجات القومية (مادام من غير الممكن انتاجها باستخدام أفضل تكنيك بسبب نقص الاستثمارات) بدلا من الالتجاء الى تكنيك أقل تقدما ، يمكن أن يؤثر لسنوات طويلة على تكاليف الانتاج » ، وفى هذه الحالة لابد من مقارنة أضرار تأجيل اشباع جزء من الحاجات ، بأضرار استخدام التكنيك المتخلف .

■ لا يجب التضحية بالدخل الاقصى القومى الذى ينتج عن رفع الانتاجية باستخدام ارقى المعدات فى سبيل العمالة القصوى الحالية ، لان الدخل الاقصى يمكننا من استخدام مجموع قوى العمل فى أفضل ظروف ممكنة .

والواقع أن الحجج التى تحبذ الاخذ بأرقى المعارف التكنيكية لا تنتهى ، كما أن الخبرات العملية التى تؤيدها كثيرة ومتعددة ، خاصة فى **مجال البناء الاشتراكى ، ولكن الامر الهام الذى** نبه اليه انصار هذا الرأى يتمثل فى :

■ ضرورة حساب أثر تخفيض انتاجية العمل المترتبة على الهبوط بكثافة رأس المال على الاقتصاد القومى حاليا وفى المستقبل وخاصة على الاسعار ، الاستهلاك ، الاجور .

■ ان المحك الاول فى اختيار نوع معين من التكنيك هو قدرته على التعجيل بمعدل النمو الاقتصادى .

■ ان البطالة ظاهرة انتقالية وميراث من الماضى ، وأن من الخطأ اعداد برامج استثمارية تهدف الى حل مشكلة مؤقتة ، تقوم على استخدام آلات ومعدات محدودة الانتاجية ومعمرة .

■ لابد من وجود طرق سليمة لحساب آثار مختلف أنماط التكنيك وقياس فاعلية أى نوع من أنواع الاستثمار .

ان الغالبية العظمى من الكتاب الاشتراكيين تعول كثيرا على أهمية التكنيك المستخدم وتؤكد « ان اقتصادا قوميا يتمتع بوفرة الموارد الطبيعية ولكن تنقصه التكنولوجيا اللازمة لتنمية هذه الموارد ، يكاد يكون فى نفس الفقر الذى يعانيه اقتصاد قومى لا تتوفر له هذه الموارد » .

والواقع أن خبرة البناء الاشتراكى قد أكدت ان استخدام آخر منجزات التكنولوجيا هو الشرط الاساسى للنمو والتقدم الاقتصادى ، وفى بلادنا نموذجان عمليان يؤكدان هذه الحقيقة :

■ كان من جراء اقامة الفرنين الكبيرين فى مصانع حلوان من طراز يرجع الى أوائل القرن ، ارتفاع تكاليف انتاج الحديد ، وضرورة الاعتماد على سياسة الحماية الجمركية لمنع منافسة هذا الانتاج المرتفع الثمن .

■ عند اقامة مديرية التحرير تبين للقائمين عليها أن تكاليف نقل وتوطين عمال زراعيين فى المنطقة ، حتى لو كان ممكنا ، فانه يقتضى نفقات هائلة لا يمكن توفيرها ، كذلك فان نقل العمال كل فترة من المناطق المجاورة كانت تعترضه عقبات هائلة ، مما كان يؤدى الى ترك المحصول فى الارض بعد نضجه لمدة ثلاثة شهور لعدم توافر الايدى العاملة لجنيه .

ولهذا السبب اقيمت المزرعة الآلية ، والتى تعتمد زراعتها على الالات الى اقصى حد ، بما يوفر ٨٠ فى المائة من قوة العمل اللازمة ، ويحافظ على البذور وعلى المواعيد ، ويزيد امكانية التحكم فى الزراعة .



حسن معاذ رميح

لا شك أن قوى عمال الزراعة والتراحيل فى بلادنا من أهم قطاعات قوى الشعب العاملة ، ومن الركائز الثورية الاصيلة لثورة ٢٣ يولية المجيدة .

وعلى امتداد تاريخنا الطويل ساهمت هذه الفئة بايمان وصبر وشرف فى البنــاء ، رغم صــور الاستغلال القاسية التى تعرضت لها .

وبالصدق الثورى سجل الزعيم **الخالد جمال عبد الناصر** واقع هذه القوى قبل الثورة عندما قال فى الميثاق « ان الملايين من العمال الزراعيين عاشوا فى ظروف أقرب ما تكون الى السخرة ، تحت مستوى من الاجور يهبط كثيرا ليقرب من حد الجوع ، كما أن عملهم كان يجرى من غير أى ضمان للمستقبل ولم يكن فى طاقتهم الا أن يعيشوا سنى حياتهم خلال بؤس الساعات وقسوتهــا الرهيبة ... » .

وكان الزعيم المعلم جمال عبد الناصر ينظر الى قضية الفلاح وعامل الزراعة كقضية واحدة . ومن هنا كان وقفته الصلبة من أجل أن يتضمن قانون الاصلاح الزراعى الاول الذى صدر فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢ ، ضمانات حاسمة لحقوق عمال الزراعة والتراحيل .

فلقد تضمن الباب السادس من القانون المواد ٣٨ و ٣٩ فى شأن حقوق العامل الزراعى ، ونصت المادة ٣٨ على أن يقوم بتعيين أجر العامل الزراعى فى المناطق الزراعية المختلفة كل عام لجنة يشكلها وزير الزراعة برئاسة أحد كبار موظفى الوزارة وعضوية ستة يختارهم الوزير ، ثلاثة يمثلون ملاك الاراضى الزراعية ومستأجريها ، وثلاثة يمثلون العمال الزراعيين .

وكانت هذه المادة بـداية لتحطيم أمبـراطورية مقاولى الانفار ، الفئة التى كانت تتاجر فى عمال الزراعة والتراحيـل ، وتمتص عرقهم ودماءهم نظير قروش قليلة فصدر قرار وزير الزراعة بأن يكون الحد الادنى للاجر اليومى ١٨٠ مليما للرجال و ١٠٠ مليم للاولاد والنساء أو البنات ، وعلى أن تكون ساعات العمل ثمانية فى اليوم وقد عمل بهذا القرار بعد نشره بالوقائع المصرية فى العدد ١٥١ بتاريخ ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٢ .

كما نصت المادة ٣٩ بأنه يجوز للعمـال الزراعيين تكوين نقابات للدفاع عن مصـالحهم المشتركة وكانت هذه المادة خطـوة أولى دعمها الميثاق عندما أكد أن نقابات العمال الزراعيين سوف تكون قادرة على تجنيد جهود الملايين الذين ضيعتهم البطالة المقنعة وأهـدرت بـالسلبية طاقاتهم .

وحتى عام ١٩٥٩ لم يدخل التنظيم النقابى لعمال الزراعة الا فى عدة قرى قليلة فى محافظات كفر الشيخ والدقهلية والمنيا ، ولم تكن النقابة العامة تضم سوى ٩ لجان نقابية فقط ، ولم يتجاوز جملة عضويتها ثلاثة آلاف عضو من ثلاثة مليون عامل زراعى .

وشهد عمال الـزراعة مرحـلة ثورية جديدة بصدور قانون النقابات الجديد رقم ٦٢ فى عام ١٩٦٤ ، والذى كان يهدف الى تدعيم التنظيم

النقابي لعمال الزراعة ؟ فقد تضمن القانون الكثير من الضمانات والتيسيرات لتشجيع انتشار اللجان النقابية لعمال الزراعة في جميع القرى ، وأباح القانون تكوين لجنة نقابية للعمال الزراعيين في القرية الواحدة ، اذ بلغ عدد طالبي الانضمام ٣٠ عاملا ، كما اباح لعمال أكثر من قرية تدخل في زمام مجلس قروي واحد ان يكونوا لجنة نقابية تضمهم جميعا اذا بلغ عددهم ٥٠ عاملا . وبمساعدة وزارة العمل والاتحاد العام للعمال ، تم تكوين نحو ٤٢٠٠ لجنة نقابية لعمال الزراعة في مختلف انحاء الريف المصري تضم حوالي ١٥٠٠ الف عامل .

وعلى مسار السنوات الماضية ، وتحت رعاية الاتحاد الاشتراكي العربي ويسانده الاتحاد العام للعمال وتدعيم وزارتي العمل والحكم المحلي قطع التنظيم النقابي لعمال الزراعة والتراحيل خطوات ايجابية كثيرة على الطريق من أجل رعاية أعضائه وتطهير اللجان النقابية في القرى من المتسللين اليها من مقاولي الانفار وصبيانهم .

ولقد كان الزعيم الخالد جمال عبد الناصر يعيش دائما مشكلة عمال الزراعة والتراحيل ، وكان الصوت العالي الامين الذي ينبهنا أن بيننا فئة تقدر بثلاثة ملايين لم يصلهم العدل الاجتماعي حتى الان . وهذه نماذج حية من أقوال الزعيم حول مشكلة عمال الزراعة والتراحيل .

في ٩ يناير سنة ١٩٦٣ أثناء الاحتفال بالعيد الثالث لبدء بناء السد العالي بأسوان قال : « النهاردة كل العمال في البلد .. كل العمال في المصانع .. الحد الادنى لاجورهم «٢٥ قرش» ، في نفس الوقت العمال ليهم ٢٥ في المائة من الارباح . كلنا بنشتغل علشان كل الناس تتمتع بهذه المميزات .. الصبح النهاردة أنا قلت لسه فيه بعض العمال يمكن بياكلوا عيش ناشف بتساو ويصل .. وأنا بأقول هذا الكلام بأقصد عمال التراحيل ، عمال التراحيل أنا شفت من كام سنة بعض عمال التراحيل موجودين في طريق من الطرق وبيبنوا وقاعدين معزولين ، طبعا احنا بنقول ان الكلام ده لازم ينتهي ، الناس اللي لسه لم يلحقهم هذا الاصلاح لازم تنظم هذه العملية ، لازم نقضي على هذا الميراث الذي ورثناه من عهود الذل والاستغلال والاستعباد .. لازم كل واحد من ابناء هذه الامة يعيش الحياة الحرة الكريمة » .

وفي ٢٦ مارس سنة ١٩٦٤ حدد الزعيم الشهيد جمال عبدالناصر المشاكل السبعة التي ستكون في انتظارنا على مرحلة الانطلاق العظيم .. وأنه لابد أن نجد بالتجربة المقبلة ردا على كل سؤال تطرحه

وكانت المشكلة رقم ٣ هي مشكلة العمال الزراعيين : « أمامنا مشكلة ثلاثة ملايين من العمال الزراعيين في الريف ، ليس هناك ضمان للاجر المنظم المستقر يحمي يومهم ، وليس هناك قدر من التأمين الاجتماعي يحمي مستقبلهم ، ولا تصل حتى الآن اليهم الا أقل الخدمات ، وفي بعض الاحيان فان احتياجات المدينة تلفت الانظار والاسماع ، وتطغى بمشاكلها على مشاكل أخرى اكثر تعقيدا ، لكنها تفتقد الصوت العالي والتنبيه المستمر الى وجودها » .

وفي ١٦ مايو سنة ١٩٦٥ قال الزعيم الراحل مخاطبا أعضاء مجلس الامة : « رغم أن احنا بنبني القاعدة الاقتصادية زاد متوسط الاجور .. حاتقولوا ان فيه واحد بيشتغل بعشرة صاغ باقول لك حايفضل بكره ، وبعد بكره ، والسنة الجاية واللي بعدها حايفضل واحد يشتغل بعشرة صاغ ، بل فيه واحد في الفلاحين مش حيلاقي شغل واحنا كلنا عارفين أن في الريف فيه بطالة موسمية طيب ازاي نتغلب على هذا ؟

وتنطلق بعض الاصوات لتقول مفيش بطالة في الريف ، ويرد عبدالناصر بحسم وصدق .. لا فيه بطالة موسمية .. يعني الفلاح بيشتغل (١٨٠ يوم) العامل الزراعي بيشتغل « ١٨٠ يوم » في السنة .. ما أقدرش أقول العامل الزراعي بيشتغل « ٣٦٥ يوم » في السنة .

ويستطرد المعلم الشهيد قائلا : أنا باقصد وأنا عارف .. أنا باقصد أن فيه بطالة موسمية ، يعني حاييجي وقت جني القطن مش حتلاقي العامل .. حاييجي وقت شتل الرز مش حتلاقي العامل ، لكن بعد ما تشتل الرز .. طيب ما هو العامل مش حيلاقي شغل ، ومتوسط شغل العامل الزراعي في السنة ، وأنا عارف وكلكم عارفين « ١٨٠ يوم » وما بيشتغلش معظم الباقي من السنة ..

طيب ازاي نشغل الراجل ده السنة كلها .. واجبنا وواجبكم ان احنا نشغل الرجل ده السنة كلها » .

ويضع المعلم الراحل الجواب قائلا : « السبيل الوحيد هو بناء القاعدة الاقتصادية والتوسع في التصنيع والصناعة الثقيلة واحنا عايزين الصناعة تاخد رجالة من الريف .. والستات تطلع تشتغل في الزراعة بهذا نقدر فعلا نبني مستقبل والا مش حانقدر نبني المستقبل » .

وفي ٦ أغسطس سنة ١٩٦٦ قال للمبعوثين : « المجتمع عايزكم .. والبلد عايزاكم

وباستمرار تفتكروا فيه عمال تراحيل بياخدهم المقاول ، وبياكلوا بتاو اسود وبصل ، وانا لحد النهاردة مقدرتش أغيرهم ، وكنت قلت قبل كده لازم نغير ظروفهم . والسنة دى وانا طالع من اربعة اشـــهر فى طريق مطروح شـــفت نفس العملية .. عمال تراحيل وبتاو أسود وبصل .. آدى مجتمعنا .. احنا مش مجتمع نيويورك وبرلين وهامبورج ولندن .. احنا مجتمع بيبنى نفسه من لا شىء ، من يقود هذا البناء يقوده لصالح الشعب لا لصالح نفسه أو لصالح العلاوة » .

وفى سبتمبر عام ١٩٦٦ أولى الاتحــاد الاشتراكى العــربى من خــلال المؤتمر التعــاونى الاول للفلاحين اهتماما كبيرا لقضيــة عمــال الزراعة والتراحيل ، وقد بحثت لجنة العمــال الزراعيين بالمؤتمر ، والتى اشترك فيها عدد كبير من عمال الزراعة والفنيين والخبراء فى التنظيم النقابى ، المشكلة بكل ابعادها وتفاصيلها . وأسفرت أعمال اللجنة عن ٢٥ توصية هامة ، اخذت معظمها طريقها الى التنفيذ .. ومن أبرز هذه التوصيات ما يلى :

● **يعرف العامل** الزراعى بأنه العامل المعدم الذى ليس له حيازة هو وزوجته وأولاده القصر والا تكون لوالديه ملكية زراعية اطلاقا ، ويعمل فى الزراعة والصيد بالاجر فى قريته أو خارجها مدة لا تقل عن سنتين ويمكن القول بأن الفرق بين العامل الزراعى وعامل التراحيل هو أن الاول يعمل فى قريته وفى القرى المجاورة ، والثانى ينتقل بين محافظة وأخرى سعيا وراء العمــل الزراعى الذى يكفل له ولاسرته دخلا مناسبا ، وقصر العضوية فى اللجان النقابية على الاعضاء الذين يشملهم هذا التعريف .

● **جعل الحد الادنى** لاجر العــامل الزراعى ٣٠٠ مليم فى اليوم على أن تكون ساعات العمل اليومية ٧ ساعات فى اليوم الواحد ، فاذا زادت ساعات العمل اليومية عن ذلك حصل العامل على اجر يوازى اجر مرة وربع مرة عن ساعات العمل الاضافية الزائدة .

● **التوصية لدى** المؤسســات والشركات التى تقوم بتشغيل عمال الزراعة بتوفير وسائل النقــل من والى مكان العمل وتوفير الاسكان الصحى والرعاية الاجتماعية والصحية والوجبات الغذائية للعمال فى مكان العمل .

● **حماية العامل** الزراعى ، وعامل التراحيل توصى اللجنة بالتأمين الاجتماعى الشامل عليهم فى حالات العجز والاصــابة والمــرض والبطـــالة والشيخوخة وتخصيص معاشات ، أو تعويض مناسب لكل حالة .

مشروعات فى التطبيق

وشهدت السنوات الاخيرة مشروعات وتجارب عديدة لرعاية وتشغيل عمال الزراعة والتراحيل اسهم فيهــا الحكم المحلى والاتحــاد الاشــتراكى العربى والنقابة العامة لعمال الزراعة ابرزها تجارب التشغيل فى محافظتى البحيرة والدقهلية . وتجارب معســكرات وادى النطرون ومديرية التحرير .

ثم الاهتمام الكبير من وزارة العمل والمتمثل فى مشروع انشاء مؤسسة عامة لتشغيل عمال الزراعة والتراحيل . ولا شك ان كل هذه الجهود والتجارب التى تمت عــلى امتــداد السنوات المــاضية كانت مراحل هامة نحو حل ثورى عادل لواقع هذه الفئة الصابرة العاملة فى صمت . وأصــبحت الآن المشكلة بكل أبعادها ، وبكل التطــورات التى تمت داخلها واضحة ومحددة . والمطلوب اليــوم هو حل ثورى ، مع تطورات التحول الاشتراكى فى بلادنا .

ولقد رسم لنا الميثاق الوطنى الحلول العلمية للمشكلة ولابد ان تصاغ الخطة التنفيذية لوضعها موضع التطبيق خاصة أن الرئيس **أنور السادات** أعلن فى افتتاح الدورة الثالثة للمؤتمر القومى العام ، أن من أهم واجبات المرحلة الجديدة اتمام عملية التحول الــكبير فى الزراعة العلميــة ، وهى تتضمن دخول مرحلة التصنيع الزراعى .

فلقد أكد الميثاق أن تصنيع الريف اتصــالا بالزراعة يفتح فيه ابعادا هائلة لفرص العمل ، وينبغى أن نذكر دائما أن الصناعة بالتقدم الآلى ليست فى مركز يسمح لها بامتصاص كل فائض الايدى العاملة على الارض الزراعية وذلك فى الوقت الذى لم يعد فيه جدال فى أن حق العمل فى حد ذاته هو حق الحيــاة من حيــث التــأكيد الواقعى لوجود الانسان وقيمته .

لذلك فان مشكلة العمالة يجب أن تجد جزءا من حلولها فى الريف ذاته ، وتصنيع الريف فضلا عن قدرته على رفع قيمة الانتاج الزراعى يعــزز العناصر العاملة فى الحقول بقوى جديدة من العمال الفنيين العاملين فى خدمة الانتاج الزراعى فى جميع مراحله .

وأكد الميثاق ان تطوير عملية الانتاج فى الريف سوف يساعد فى نفس الوقت على ايجاد القوى البشرية المنظمة التى تستطيع بدورها تغيير شكل الحياة فيه تغييرا ثوريا وحاسما .

وعلى هذا فالمرحلة القادمة التى ستنطلق عليها الجهود الجبارة لتطوير الريف عن طريق دخول مرحلة الزراعة العلمية والتصنيع الزراعى واستغلال الارض الجديدة تتطلب قوى عاملة جديدة مدربة • وهذه القوى موجودة فعلا ، وتعمل فى خدمة الانتاج الزراعى •• وهى قوى عمال الزراعة والتراحيل ، والامر يتطلب حصر علمى دقيق لهذه القوى وتصنيفها من حيث السن والثقافة وخبرات العمل ، لتدريبها تدريبا فنيا فى مراكز للتدريب الفنى لابد أن تنشأ وتنتشر على امتداد الريف ».

وهذه المراكز تشمل :

● التدريب الفنى على استخدام الالات الزراعية وصيانتها :

● التدريب الفنى على الاستخدام العلمى للمقننات المائية فى الرى واستخدام السماد •

● التدريب الفنى على المقاومة الكيماوية الحديثة •

● التدريب الفنى على العمليات الفنية الحديثة فى تطهير الترع والمصارف •• والقنوات الفرعية •

● تدريب أكبر عدد من العمال تدريبا فنيا يتفق والخطة التى ستوضع للتصنيع الزراعى ».

على أن يصاحب هذا التدريب الفنى ، أويسبقه تدريب ثقافى وسياسى لتعميق المفاهيم بسابعاد المرحلة الجديدة ، والاهداف التى سيشترك عمال الزراعة والتراحيل فى تحقيقها •

ولا شك أن تنفيذ هذه الخطة بعد تخطيطها بالصورة العلمية المتكاملة من جانب المتخصصين لابد أن تتم بمعاونة الدولة وجهود النقابة العامة للعمال الزراعيين والاتحاد التعاونى الزراعى المركزى ووزارة الادارة المحلية • فلا شك كما أكد الميثاق الوطنى أن نقابات العمال الزراعيين سوف تكون قادرة على تجنيد جهود الملايين الذين ضيعتهم البطالة وأهدرت بالسلبية طاقاتهم •

وهناك دراسة هى محل بحث الآن وهى امكانية حل مشكلات عمال الزراعة والتراحيل من خلال انشاء جمعيات تعاونية لرعايتهم (**) ومن الممكن أن تنشأ تحت رعاية التنظيم النقابى لهم ؟ وخاصة أن حل المشاكل بأسلوب اقتصادى لا يتأتى عن طريق نقابات العمال او اللجان المتفرعة عنها طبقا لاغراضها التى نص عليها القانون ».

والحل المقترح الذى ما زال مطروحا للمناقشة والدراسة هو انشاء جمعيات تعاونية على الوجه التالى :

أولا — الاهداف :

● رفع المستوى الاجتماعى والاقتصادى للاعضاء بهدف توفير حياة كريمة لهم ولافراد اسرهم ».

ثانيا — الوسائل :

● تنظيم جهود عمال الزراعة فى مناطق تجمعهم فى جمعيات تعاونية نوعية تعمل على ايجاد فرص العمل لهم بالاجر المناسب •

● تنظيم توزيع الدخل الذى يحصل عليه عمال الزراعة فى مواسم العمل على المواسم المختلفة ضمانا لايجاد حد ادنى من الدخل على مدار السنة •

● تحديد حد ادنى من وسائل الراحة لعمال التراحيل وبوجه خاص بالنسبة لما يأتى :

١ — وسائل النقل • ٢ — وسائل الاعاشة والاقامة • ٣ — الرعاية الصحية • ٤ — الثقافة والاعلام ومحو الامية • ٥ — الترقية والخدمة الاجتماعية •

ويكفل ذلك كله اعداد نموذج لعقد العمل الجماعى بمراعاة التوفيق فى شروطه بين تحقيق هذه الاهداف وبين ضمان نجاح المشروعات الاقتصادية التى يعهد بالعمل فيها الى العمال سواء كانت مشروعات عامة أو خاصة •

● **تهيئة عمال الزراعة** نحو مرحلة التحول الى مستأجرين أو ملاك للاراضى الزراعية فى اطار القوانين الاشتراكية •

● **التدريب لرفع** الكفاية الانتاجية للعمال الزراعيين والاستفادة فى هذا المجال بخبرة الوافدين من البلاد الاشتراكية من بين عمال وفلاحى الجمهورية العربية المتحدة من خلال الانتفاع بمشاهدتهم هناك (*) :

● التأمين لصالح عمال الزراعة ضد جميع المخاطر وفق دراسة جادة ومتكاملة وعلمية .

ثالثا — البنيان التعاونى :

الجمعية التعاونية المحلية : وتعد الوحدة الاساسية فى البنيان وتنشأ على مستوى المركز ويبدأ العمل فى انشاء هذه الوحدات الاساسية فى مراكز التجمع العمالى ذات الكثافة العالية ثم ينتقل العمل الى المراكز الادارية الاخرى .

الجمعية الاتحادية : وتكون على مستوى المحافظة للربط والتنسيق بين جهود جمعيات المراكز . ومن أهم أغراضها الاشراف على حسن أداء الجمعيات لعملها ، وتنفيذ عقود العمل داخل المحافظة والاشتراك فى لجان تحديد الحد الادنى لاجر العامل الزراعى .

الجمعية العامة على مستوى الجمهورية ومقرها القاهرة : ومهمتها اداء دور جمعيات المحافظات على مستوى الجمهورية والاتصال فى خصوص أغراض هذا البنيان بالاجهزة العليا ، وبخاصة فى المؤسسات العامة لتنسيق العمل بين الوحدات الاقتصادية التابعة لهذه المؤسسات وبين الجمعيات التعاونية للعمال الزراعيين ووضع قواعد العمل فى الجمعيات التعاونية والاشتراك فى رسم السياسة العامة لها .

ولا شك ان العمل على تنفيذ هذا الاقتراح سيكون ربطا ايجابيا لما نص عليه قانون التعاون الزراعى الجديد رقم ٥١ لسنة ١٩٦٩ فى المادة ٢٢ على تخصيص ٥ فى المائة من فائض الجمعيات التعاونية الزراعية تودع فى صندوق خاص ينشأ فى الاتحاد التعاونى الزراعى لاستثماره وتوجيهه لرعاية العمال الزراعيين .

والحقيقة ان الربط الايجابى لقوى عمال الزراعة والتراحيل بتدعيم تنظيماتهم النقابية واستمرار التثقيف السياسى والتدريب الفنى لهم سيخلق من هذه الفئة الخلايا الحية التى تستطيع مع قوى الفلاحين أن تنسج خيوط الحياة فى الريف من جديد ، وتصنع منها قماشا حضاريا يقرب القرية الى مستوى المدينة .

والشىء المؤكد أن وصول القرية الى المستوى الحضرى كما رسم الميثاق وخاصة فى هذه المرحلة ليس ضرورة عدل فقط ولكنه ضرورة أساسية من ضرورات التنمية من غير تعال عليها ومن غير خيلاء .

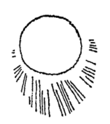


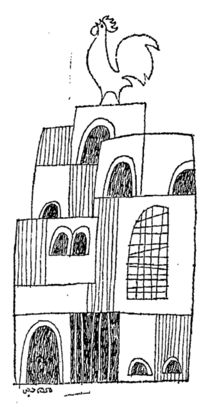


عبد النـــاصر

والحركة الوطنية

فى اليمـــــن





الدكتور محمد على الشهارى ــ كاتب هذا المقال ــ مناضل من الجمهورية العربية اليمنية . وهو فى هذا المقال ، يعرض من وجهة نظره مسار الحركة الوطنية اليمنية وتطوراتها فى ارتباطها بحركة التحرر الوطنى العربية ودور الزعيم الراحل جمال عبد الناصر .

د . محمد على الشهارى

لم يبدأ اهتمام جمال عبد الناصر باليمن باليوم الذى اتخذ فيه قراره التاريخى الخطير والفريد بارسال قواته الى جبال اليمن الوعرة ، ووهادها السحيقة ، انتصارا للثورة اليمنية ، ودفاعا عن حق الشعب اليمنى فى التحرر من طغاته المستبدين .

فلقد كانت اليمن ــ التى تتحكم بموقعها الجغرافى الهام فى المدخل الجنوبى للبحر الاحمر ، كما تتحكم مصر فى شماله ــ تقع منذ البداية فى موقع بارز من دائرة اهتمامه السياسى ووعيه القومى .

الموقف من حركة المعارضة

فبعد قيام ثورة ٢٣ يولية الرائدة ، وحين لم تتح ظروف المملكة المتوكلية اليمنية الخاصة الا قيام حركة معارضة تقليدية متواضعة الاهداف ، محدودة الافق ، ورغم ذلك مضطهدة من قبل الامام ومحاربه ، بل وغير مسموح لزعمائها المشردين بأن تطأ أقدامهم أية أرض عربية على الاطلاق ، استجابة لرغبة حاكم اليمن المطلق احمد بن يحيى حميد الدين ــ كانت مصر هى البلد العربى الوحيد الذى اخترق هذا الحصار ، وتحدى ارادة الامام ،

وأتاح لكل يمنى حر مهما كانت درجة فهمه للعمل السياسى الصحيح - أن يمارس من القاهرة مسئوليته فى الكفاح ضد الحكم الفردى المتسلط على اقدار صنعاء ، كما أتاح المجال كذلك لكل مناضل عربى .

واستثمارا لهذه الامكانية النضالية قدم من باكستان الى أرض الكنانة زعيم حركة المعارضة اليمنية المطارد **محمد محمود الزبيرى** الذى وجد الفرصة متاحة الان لتأسيس هيئة سياسية مناوئة لحكم الامام هى « **جمعية الاتحاد اليمنى** » والذى مكنته اذاعة « صوت العرب » من توجيه أحاديث سياسية منها .

وفى الوقت الذى كانت فيه سياسة مصر الثورية تقوم على تشجيع نمو أية حركة سياسية تستهدف القضاء على حكم الاستبداد والقهر ، الا انها كانت تقف بوضوح وحزم ضد أى عمل انقلابى من شأنه أن يخرج اليمن من عزلتها ، ليدفع بها مباشرة الى أحضان الاستعمار الجديد .

ولذلك فانه عندما قادت بعض عناصر المعارضة اليمنية حركة انقلابية فى مارس ١٩٥٥ بقيادة **احمد يحيى الثلايا** - احد خريجى اكاديمية بغداد العسكرية عام ١٩٣٩ - ووضعت على رأسها اماما جديدا ، **هو عبدالله بن يحيى حميد الدين** ، أخو الامام أحمد نفسه ، والذى كان معروفا بارتباطاته القوية بدوائر الاستعمار الامريكى ، كما كان معروفا بعدائه الشديد للخط التحررى الذى تمثله القاهرة فان مصر سرعان ما تصدت لهذه الحركة ، واتاحت للزبيرى مجال مهاجمتها من اذاعة « صوت العرب » ، وأرسلت السيد **حسين الشافعى** الى تعز للتأكيد بأنها بعيدة تماما عن هذه الحركة ، نفيا لاى شبهة أو التباس ، ولا سيما بعد أن أخذ الامام أحمد يهمس بأن البعثة العسكرية المصرية للتدريب كانت على علاقة ما ببعض من دبروا هذا الانقلاب الفاشل .

وعندما لم يف الامام بوعوده التى قطعها ، وأمام ممثلى مصر بأنه سيعمل منذ الان - بعد أن رفضت الجماهير التجاوب مع هذه الحركة - على تلبية مطالب الشعب المشروعة فى ادخال الاصلاح الاقتصادى والسياسى والادارى على حياة البلاد ، فان القاهرة لم تلبث أن واجهته بموقف قوى وصريح ، وآوت زعيما آخر من زعماء حركة المعارضة ، وهو **احمد محمد نعمان** ، ووضعت اذاعة « صوت العرب » تحت تصرفه ، وتصرف زميله الزبيرى للتنديد بحكم ملك اليمن الظالم الجائر ، كما اتاحت لهما ابتداء من اغسطس ١٩٥٥ اصدار نشرة معارضة من القاهرة ، هى جريدة « صوت اليمن » .

حينذاك أحس الحاكم المتوكلى المستبد أن رياح المعارضة التى تهب من القاهرة قد أخذت تتردد أصداؤها فى كل ركن من الارض اليمنية ، وأن **عبد الناصر** شرع يكتسب شعبية متعاظمة فى جميع أنحاء البلاد لوقوفه فى وجه « الحاكم بأمر الله » احمد بن يحيى حميد الدين الذى طالما احتز الرقاب ، وسفك الدماء ، واستهان بأقدار الشعب ، دون أن يرغب أو يجرؤ حاكم عربى من قبل على مجرد توجيه النصح اليه بالتخفيف من غلوائه ، والحد من بطشه وجبروته .

وللحيلولة دون اتساع الخرق ، وانتشار لهيب المعارضة ضده ، وبالتالى سقوط عرشه فان امام اليمن وضع القاهرة أمام خيارين لا ثالث لهما ، اما أن تكف عن مناوأته وتشجيع المقاومين لسلطانه ، أو يربط نفسه ويربط البلاد معه بعجلة حلف بغداد الاستعمارى .

الميثاق الثلاثى

ولان جمال عبد الناصر كان يقود وقتها حملة هجومية مركزة ومؤثرة ضد هذا الحلف - الذى كان يستهدف ضمن ما يستهدف تطويق ثورة ٢٣ يوليه ، وحصار حركة التحرر الوطنى العربية التى اخذ ينشطها ، ويضخ دماء الحياة فى شرايينها - فانه اثر - لهذا السبب - القبول بأخف الخيارين واحتمال اهون الشرين : **فأمر بالكف عن المناوأة « العلنية » لحكم الامام ، وايقاف الاحاديث السياسية الموجهة ضده من « صوت العرب » وتعطيل جريدة « صوت اليمن »** .

وفى نفس الوقت أيضا أراد أن يجتذب الامام الى المحور التحررى - كما اراد كذلك ان يشد الملك سعود الذى كانت الصراعات التقليدية الاسرية القديمة بين العرش السعودى والعرش الهاشمى ما تزال تحكم علاقاته ببغداد - وأن يفتح - فى جو العلاقات العادية مع حكام صنعاء - ثغرة فى جدار العزلة المحكم المضروب حول اليمن ، وأن ينفذ من هذه الثغرة الى رحاب هذا البلد التعس المنكوب ، بغية المساعدة على ادخال ولو بعض التحسينات على أوضاعه الادارية ، واطلاق نفس الحياة ولو فى بعض عروقه التى كادت تتوقف عن النبض منذ حين .

ولهذا الغرض دفع المناضل السياسى عبد الناصر كلا من الامام أحمد والملك سعود الى عقد ميثاق جده العسكرى الثلاثى الذى أبرم فى ٢١ ابريل ١٩٥٦ ، والذى قصد به أن يكون حلفا مضادا لحلف بغداد الرجعى ، وموجها - بصورة خاصة - ضد الاستعمار البريطانى .

ونظرا لضعف الحركة السياسية المناهضة لحكم ابن حميد الدين ، وفقدانها أى برنامج ثورى ، وعلى أمل المعاونة فى اخراج اليمن من الكهف المظلم الذى ارغمت على البقاء فيه ، ورجاء اقتحـــام أســـواره الصفيقة المنيعة ، فان رائد الوحدة العربية لم يتراجع عن قبول طلب الامام أحمد بانضمام بلاده الى الوحدة المصرية ـ السورية ، واقامة « اتحاد الدول العربية » الذى أعلن قيامه فى ٨ مارس ١٩٥٨ ، وضم الجمهورية العربية المتحدة ، والمملكة المتوكلية اليمنية .

ورغم أن الزعيم المحنك عبد الناصر كان يدرك ـ ـ منذ البداية ـ مدى صعوبة تقبل امام اليمن ، واستيعاب مملكته الموصدة الابواب والاثرية ضمن اتحاد يتحتم ان يكون ذا طبيعة ثورية ، وكان يعلم سلفا مدى مشقة اختراق حائط العزلة السميك الذى يلف اليمن من كل الجهات ، ومدى وعورة المسالك التى يصبح محتما اقتحامها واجتيازها لتتمكن حركة الثورة العربية من النفاذ ـ فى ظل شرعية **هذا الاتحاد وعن طريقه ـ الى الصعيد الشعبى اليمنى** وبغرض خلخلة الهيكل الاجتماعى والسيـاسى المتخشب المتيبس ، فان عوامل سياسية اضافية اخرى ـ فوق الامل والرجاء ، وأهمية خوض غمـار التجربة ـ أملت قيام هذا الاتحاد ـ كما أملت من قبل عقد ميثاق جدة العسكرى ـ ألا وهى : ضرورة اعتراض السبيل على الاستعمار الذى كان يعمل فى هذا الوقت من أجل اقامة « **الاتحاد الهاشمى** » بين العراق والاردن ، الذى اريد له أن يكون موجها ضد الوحـدة المصريـة ـ السـورية ، ثـم فائدة «تكتيف» الامام احمد فى اطار اتحاد الدول العربية ، ذلك لانه « اذا لم نأخذه معنا ، فمعنى ذلك اننا نعطيه هدية لسعود الذى يتآمر على الجمهورية منذ يومها الاول » . فوق « انها [هذه الخطوة] قد تفتح طريقا للحضارة حتى تدخل اليمن » ، و « أنها قد تخفف من الضغط على العنـاصر الوطنية فى اليمن » كما تحدث حينذاك **شكرى القوتلى** فى تبريره لقيام هذا الاتحاد . (محمد حسنين هيكل ـ مرحلة الصراحة والوضوح ـ الاهرام ٢٩ـ١٢ـ١٩٦١) .

ولهذه الاسباب مجتمعة فان القائد العربى رأى ـ بعد طول تفكير ـ أنه مما قد يحقق هذه المقاصد ، ولا سيما ما يتعلق منها بتطوير الاوضاع فى اليمن ، واخراجها من عزلتها المقيتة والمميتة أن تكون مدينة الحديدة اليمنية مقرا للاتحاد .

موقف الامام المناور

غير أن الامام احمد ما لبث أن برهن بأن كل همه من الدخول فى هذا الاتحاد هو تأمين نفسه من القاهرة ، وحماية ظهره من سياط الثورة العربية اللاسعة عملا بقاعدة انتهازية تقول : « **اقترب من الشر تأمن** » ! وبالتالى ضمان اسكات « صوت العرب » أطول مدة ممكنة ، وتكميم أفواه المعارضة اليمنية حتى لا تنطلق أصواتها بالصخب ضده من القاهرة مرة أخرى .

ولذلك فانه لم يتح للمجلس الاعلى لهذا الاتحاد أن يجتمع مرة واحدة لا فى الحديدة ، ولا فى القاهرة ، كما لم يسمح الامام بتنفيذ بند واحد من بنوده ، ولم يســـتطع حتى ان يدارى مناورته السياسية المفضوحة التى دفعت به التعلق بأذيال الحركة العربية الصاعدة التى لم تمهله كثيرا ، فرفسته بعيدا عنها الى الوراء ، ولفظه تيارها الثورى المتدفق كما يلفظ الموج الزبد .

هجوم الامام على الاشتراكية والوحدة

ولقد سعى حاكم اليمن الاقطاعى بنفسه سعيا الى تقريب الحبل من عنق نظامه كله ، عندما كلف نفسه ، أو كلفه الملك سعود بالقيام بدور كان كثيرا ما يتهرب ويجبن عن القيام بأصغر منه ، وذلك عندما اراد التصدى للجمهورية العربية المتحدة ـ مستغلا حركة الانفصال المشئومة ـ ووزع قصيدته الرثة التى هاجم فيها الوحدة العربية ، والثورة الاجتماعية التى كان **جمال عبد الناصر** قد اخذ يقودها منذ عام ١٩٦١ ، والتى استهلها باجراءات التأميم الشهيرة .

ان الاهمية السياسية لهذه القصيدة تتمثل فى انها كانت تعبيرا طبقيا واضحا وصريحا عن العداء الشرس الذى يكنه الاقطاع اليمنى والعربى كله للثورة الوطنية ـ الاجتماعية العربية التى فجرها جمال عبد الناصر ، ووضع نفسه على قيادتها ، وأخذ ينشر أجنحتها فى كل اتجاه من الارض العربية .

ولذلك فان من المهم أن نجتزىء من أبياتها الاربعة والستين هذه الابيات التى تلخص محتواها السياسى والطبقى العام :

هيـــا بنـــا لوحدة مبنيـــة
على أصـــول بيننـــا مرضيـــة
قانونها شريعـــة الاســـلام
قدسيـــة الاوصـــاف والاحكام
ليس بهـــا شـــائبة من البدع
تجيز ما الاسلام عنه قد منع
من اخذ ما للناس من أموال
وما تـكسبوا من الحـــلال
بحجة التـأميم والمعـــادلة
بين ذوى المال ومن لا مال له
لان هـــذا ماله دليـــل
فى الدين أو تجيزه العقـــول
فاخذ مال الناس بالارغام
جريمـــة فى شرعة الاســـلام

لم تكن تحتاج الجمهورية العربية المتحدة الى صدور وقراءة هذه القصيدة حتى تتعرف على حقيقة موقف الاقطاع اليمنى ازاءهـا ، وازاء الثورة العربية التقدمية ، فذلك كان معروفا سلفا ، ورأيها فى النظام الامامى الذى يجسده كان قد تحدد بعيد قيام ثورة ٢٣ يولية التى كان من مبادئها الستة القضاء على الاقطاع فى مصر .

الغـــاء الاتحـــاد

غير أن سلوك الامام العدائى والسافر هذا كان السبب الظاهر - وليس العميق - لاعلان القاهرة فى ٢٦-١٢-١٩٦١ انهاء أعمال « **اتحاد الدول العربية** » .

وقد اعتمد فك هذا الاتحاد على أساس « أنه لا يوجد فى طبيعة اى من الحكومتين ما يجعل قيام مثل هذا الاتحاد أداة سياسية فعالة قادرة على الاسهام فى تطوير النضال العربى .. » . وعلى اعتبار « أن قضية الوحدة أو الاتحاد لا يمكن أن تقوم على أسس صحيحة ، ما لم يكن هناك توافق بينها وبين الاطراف التى يعنيها الامر على حلول مشاكل التطور الاجتماعى .. » ومن حيث « أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة أقبلت علـى خطوة اقامة الاتحاد العربى ، تملؤها الامال بأن تستطيع هذه الخطوة أن تكون أداة فى خدمة الشعب اليمنى ، وفى خدمة قضاياه العادلة . ولكن تجارب السنوات الماضية أكدت بما لا يقبل مجالا للشـــك ، ان الشـــعب اليمنى لم يستفد من التجربة » . (الاهرام ٢٧-١٢-١٩٦١) .

فتح النار على النظام الامامى

وبعد ذلك مباشرة قرر جمال عبد الناصر - وهو الذى لا تزيده ضراوة وحماقة الرجعية الا تحفزا وتصميما واقتناعا بضرورة أن يكون الرد عليها هو صفعها فى الوجه مباشرة - فتح النار على وكر القرون الوسطى المختبىء فى جروف اليمـن ، وخوض معركة فاصلة مع النظام الاقطاعى - الامامى ، وعدم تمكينه منذ الان من فرصة واحدة اخرى للمناورة الســياسية ، او حتى التنفس الطبيعى ، والتهرب من مصيره المحتوم .

وكانت كلمات الاستاذ محمد حسنين هيكل فى ٢٩-١٢-١٩٦١ فى الاهرام اشارة واضحة الدلالة على عزم الجمهورية العربية المتحدة على السير فى هذا الاتجاه الى النهاية ، حيث جاء فيها : « لقد تم الاتحاد مع اليمن فى ظروف مرحلة سابقة من النضال ، اقتضت ، أو تصورنا خطأ انها اقتضت مداراة الرجعية والسكوت عنها ، حتى تنفسح فرصة لتدعيم تجربة الوحدة الاولى بين مصر وسوريا » .

استراتيجية هجومية

وكان القائد المجرب عبد الناصر قد حدد من جديد استراتيجية الثورة العربية على نحو حاسم قاطع على ضوء الهجوم العام والغادر الذى قامت به قوى الثورة المضادة ، وانتزعت به دمشق من حضن الوحدة ، وحولتها الى رأس جسر ممتد لمواصلة الزحف فى اتجاه حصر وخنق قاعدة الثورة العربية المتمركزة فى القاهرة .

ففى خطابه الذى القاه فى ١٦/١٠/١٩٦١ قال المكافح الفذ : « لقد وقعنا ضحية وهم خطير ، قادتنا اليه ثقة متزايدة بالنفس ، وبالغير ، فقد كنا دائما نرفض المصالحة مع الاستعمار ، ولكننا وقعنا فى خطأ المصالحة مع الرجعية ، لقد تصورنا انه مهما كان من خلاف بيننا وبين العنـاصر الرجعية فانهم أبناء نفس الوطن ، وشركاء نفس المصير ، ولكن التجربة اثبتت لنا خطأ ما كنا نتوهمه ... ولابد لنا لسلامة النضال الشعبى أن نخلص أنفسنا من هذا الوهم الخطير الذى تركنا أنفسنا له ، لابد من أن نقاتل الاستعمار فى قصور الرجعية ، وأن نقاتل الرجعية فى أحضـان الاستعمار .. » .

ولقد كانت عملية الحصار الرجعية ، والاقليمية الشاملة المدعومة من الاستعمار والتى قامت بها الدول العربية ، وشاركت فيها حكومة الامام ، وكان مؤتمر شتورا بلبنان نذيرا بها ، وبعزم كل قوى الثورة المضادة على اطباق يديها على خناق النظام الثورى التقدمى فى مصر ، حتى يلفظ أنفاسه من العوامل والحوافز المباشرة التى حركت قاعدة وطليعة الثورة العربية للقيام بهجوم ثورى معاكس على جبهة الاستعمار والرجعية ، بغية كسرها فى أضعف مواقعها .

حلقة الضعف فى الجبهة المعادية

ولقد كان النظام الامامى الاثرى والمحنـط ، المقوت والمستهجن ، البعيد تماما عن مسار حركة التقدم والتطور ، والمعزول نهائيا عن جمـاهير الشعب اليمنى ، المستهلك تاريخيا فى كل مقومات وجوده ، والمنتهى موضوعيا فى كل مبـررات استمراره هو - نظريا وعمليا - ذلك المـوقع الضعيف والمتهاوى فى جبهة الاقطاع والاستعمار على طول الساحة العربية .

معـارضـة مسـتهلكة

ولم يكن النظام الامامى وحده هو المستهلك ، وانما كذلك كانت أيضا حركة المعارضة اليمنية التى قامت ضده ، والتى يعود تاريخ نشوئها الى

منتصف الثلاثينيات ، والتى كانت بعض قياداتها مشبوهة بعلاقاتها القديمة مع الاستعمار البريطانى ، والتى ظلت سياستها متسمة دائما بالتراجع والتذبذب ، ومناهضة الامام حينا ، ومغازلتهحينا آخر ، والتى بسبب ارتكازها على قوى طبقية هى من جنس القوى الطبقية التى كان يعتمد عليها النظام الحاكم ، لم تكن تستطيع أن تضع برنامجا سياسيا تتخطى به طبيعة الدولة الامامية الاقطاعية ، وهى لهذه كانت تنتقل بولائها من هذا الامير الى ذلك ، فهى حينا ترشح « سيف الحق » **ابراهيم بن يحيى حميد الدين** للامامة ، ثم تضع هذا الولاء فى **عبدالله بن احمد الوزير** ، وتتفرع الى جناحين ، جناح يعتبر ان « سيف الاسلام » عبدالله بن يحيى حميد الدين هو « الامام المنقذ » وجناح آخر يعلق طوق النجاة على « ولى العهد الشاب محمد البدر » ، ثم هى ترفع شعار الجمهورية فى استحياء وخجل شديدين .. وفى لحظة « تجل نادرة الحدوث » وكأنها تجترح احدى الكبائر ، وتقترف احدى الموبقات ، وبالذات فى تلك اللحظات التى يظهر الامير البدر فيها « ابتعادا وتعاليا » عنها ، وهى تكل أمر تحقيق هذا الشعار الى قوى قبلية ــ اقطاعية لا تملك ما تقدمه عدا وضعية وعقلية مغرقتين فى التخلف والجهل ، قوى هى من نفس عقلية طينة القوى القبلية ــ الاقطاعية المتأخرة المتحجرة التى ظل يستند اليها العرش الامامى منذ مئات السنين ، ثم هى تسحب هذا الشعار فورا بعد فشل محاولتها البائسة ، ليقنع بعضها بالرجاء أن يأتى الخلاص على يد محمد البدر « امام وأمل المستقبل » ، وليقبع البعض الاخر حائرا ضائعا لا يدرى ما يصنع وما يدع)

ولقد كان زعيما حركة المعارضة اليمنية **محمد محمود الزبيرى** ، **واحمد محمد نعمان** اللاجئان السياسيان حينذاك فى القاهرة يمثلان هذه الحالة السياسية التعسة ، ومعهما كثير من أنصارهما داخل البلاد وخارجها .

قوى الثورة الوطنية

ولذلك فانه لم يكن ينسجم مع استراتيجية الثورة العربية الجديدة العودة مرة أخرى الى التعاون معهما ، باعطائهما التسهيلات التى كانت تمنح لهما من قبل ــ حين لم يكن هناك غيرهما ــ وكان عليها هذه المرة أن تقدم دعمها السياسى للقطاعات الاكثر استجابة لمقتضيات التطور ، والاقدر على مجابهة النظام الامامى بحكم انتماءاتها الاجتماعية ونزوعها السياسى .

ولقد كانت الطبقة الوسطى من البورجوازية التجارية اليمنية الناشئة ، والتى كانت تتعارض مصالحها منذ حين مع مصالح النظام الاقطاعى ــ الكهنوتى ، والتى كان معظم رأسمالها مايزال خارج البلاد لعدم تمكنها ــ فى ظل الحكم الاستبدادى الشرس ــ من استثماره فى داخلها تمثل أحد القطاعات المستعدة اجتماعيا ، والمهيأة طبقيا ، والمتطلعة سياسيا الى اسقاط هذا النظام ، وكان يجسد هذه الفئة فى الداخل **عبد الغنى مطهر** ، و « **عبد القوى حاميم** » ، ويمثلها فى الخارج « **عبد الرحمن البيضانى** » .

وكان البعض من مجموعة الضباط التى تخرجت فى بغداد عام ١٩٣٨ ، أو التى تخرجت فى القاهرة عام ١٩٥٦ ، او التى تدربت على يد هؤلاء وأولئك ، أو على يد الضباط المصريين والروس فى اليمن يشكل القطاع الاخر المستعد ، والمؤهل ، والمتحفز للاطاحة بالامامة الرجعية المتخلفة ، وذلك بفضل احتكاكه بتيارات النهضة والتقدم فى الخارج ، أو تفاعله مع العناصر العسكرية التى كانت تشرف على تدريبه ، ثم بحكم انتمائه الى بورجوازية المدينة الصغيرة المتبرمة من حكم « الوصاية الالهية » المفروض بحد السيف على الرقاب والعباد . وكان العميد « **عبدالله السلال** » ، والمقدم « **عبد الله جزيلان** » يمثلان هذا القطاع من العسكريين ، وان عمل كل منهما ضمن مجموعة خاصة به ، وبقى له أسلوبه السياسى المتميز الذى هدته اليه فطنته وتجربته الخاصة .

وعندما بدأ الدكتور عبد الرحمن البيضانى ــ احد اعضاء حركة المعارضة اللاحقين ــ يذيع من « صوت العرب » وينشر فى مجلة **روزاليوسف** أحاديث ضد حكم الامام أحمد ، ولم يتح لغيره فى نفس الوقت ما أتيح له استنتج زعيما حركة المعارضة الكلاسيكيان الزبيرى والنعمان بأن القاهرة تدفع بالاحداث فى غير الاتجاه السياسى المعتاد الذى كانا يترسمانه ويسيران عليه ، وان تحركا ثوريا يجرى التحضير له فى داخل اليمن بتشجيع وتعزيز من الجمهورية العربية المتحدة ، وأن الدعاية المضادة الموجهة ضد الامام من القاهرة لا تعدو أن تكون أعمدة من الدخان تنبىء بوجود نار ثورية فى الداخل تتقد ، وتوشك فى أية لحظة أن تندلع .

واتساقا مع منطقهما السياسى ــ الطبقى ، حيث كان الزبيرى يعكس مصالح الجناح القبلى ــ الاقطاعى المعارض ، بينما كان النعمان يعبر عن مصالح الفئة الكومبرادورية الهزيلة ــ فانهما بادرا الى اعلان معارضتهما الصريحة ــ وهما فى القاهرة ــ لاى دور تقوم به الجمهورية العربية المتحدة فى مساعدة أحرار اليمن للخلاص من طغاة القرون الوسطى .

محاولة اعتراضية فاشلة

ففى كتابه « ثورة الشعر - الذى أصدره بالقاهرة فى مايو ١٩٦٢ ، ص ١٢٧ » يعبر الزبيرى عن هذا الموقف الاقليمى- القروى المدان الذى يكشف اتجاه القوى القبلية - الاقطاعية ، ويفضح نفس العناصر الكومبرادورية على النحو التالى : « ولنفرض جدلا أن الثورة العربية فى مصر تجاوزت عن ظروفها الذاتية والمحلية ، وصنعت لليمنيين ثورة ، وخلصتهم من حكم الامام الرجعى وأوضاعه من جذورها ، فهل يكون ذلك شرفا لليمنيين ، أم يكون عارا وشنارا ؟ أما أنا فانى أضرع الى الله أن يثبت سياسة الجمهورية العربية المتحدة على الابتعاد عن التدخل الثورى فى الشئون الداخلية لليمن ، حتى لا تهزها العاطفة فى يوم من الايام فتتصدى للقيام بعمل ثورى ضد الرجعية اليمنية نيابة عن الشعب ، لان ذلك يعنى ان يدمغ الشعب بوصمة فى جبينه الى الابد » .

لم يكن لهذا الموقف من قبل زعامة « الاتحاد اليمنى » فى القاهرة أدنى تأثير على القوى الوطنية فى داخل البلاد التى كان وراءها رصيد ضخم من التجارب المريرة التى خاضتها قوى المعارضة ضد الامام ، والتى كان مصيرها السحق وهى ما تزال فى المهد على يد القوى القبلية الاقطاعية المشايعة للامام ، والتى كان أبرزها على الاطلاق حركة ١٩٤٨ ضد الامام يحيى التى وان نجحت فى اغتيال الامام بالذات ، الا أن صنعاء العاصمة ما لبثت أن وقعت تحت وطأة حصار قبلى كثيف ورهيب سرعان ما تحول الى عملية اجتياح متوحشة للمدينة ، أتت على الاخضر واليابس فيها ، حيث نهبت القبائل كل ما وجدته بها ، واستباحت كل من كان يعيش بين ظهرانيها ، وقتلت كل من اعترض سبيلها ، ووقف مدافعا عن ماله وداره ، وعرضه وحرماته ، وعبثت بصنعاء التى أباحها لها الامام أحمد كما لم يعبث بها أحد من قبل ، حتى أفتك وأشرس الغزاة ، وجرجرت الانقلابيين بالسلاسل الى سيدها المطاع ، وحثت وجوههم بالتراب ، وأمطرت وجوههم بالبصاق ، وشيعتهم بأفحش اللعنات ، وأسلمتهم بأيديها الى شفرات سيوف الامام .

واعتبارا بهذه التجربة البشعة ، الدامية والمأساوية ، وبغيرها من التجارب الثقيلة المتلاحقة . وأخذا فى الحسبان طبيعة وخطورة الطوق الاستعمارى الرجعى المضروب والمحيط باليمن من كل الجهات ، اصرت القوى الوطنية فى الداخل على ألا تفجر الثورة ضد الحكم الامامى المسعور الا بعد الاطمئنان تماما الى أن حامية الثورة العربية الباسلة ، وطليعتها الصدامية ستتحرك لنجدة الثوار لمواجهة المخاطر الاكيدة التى لا يعرف مداها والتى ستثور فى وجهها لا محالة .

خطان متعارضان

وبينما كان « الاتحاد اليمنى » يمد « حبال الود والوصال » مع ولى العهد محمد البدر الذى خلف أباه المتوفى ، وتلقب بالامام « المنصور بالله » ، ويرسل اليه فى ٢٢-٩- ١٩٦١ برقية بتوقيع أمينه العام أحمد محمد نعمان يهنئه فيها « بامارة المؤمنين » ، ويعرب فيها عن رجائه « بتحقيق الامال والامانى التى التف الشعب من حولكم على اساسها » ، ويذكره بمطالبه « المرفوعة » والمعهودة بان « من حق الشعب (حركة المعارضة المهادنة) أن يشارك فى تحمل عبئه الكامل من المسئوليات » كان ثوار صنعاء يشحذون أسلحتهم ، ويتسابقون مع الزمن ، ليجهزوا على آخر ملك من بيت حميد الدين ، وخاتم الائمة فى تاريخ الامامة الطويل الذى امتد قرابة عشرة قرون ، قبل أن يجهز عليهم هو - وقد فشى سرهم - ويضربهم من « الجذوع » و « النصف » - كما قال - لا كما كان يفعل أبوه من قبل الذى كان يكتفى بضرب الرقاب .

نشوب الثورة

وهكذا اشتعلت ثورة ٢٦ سبتمبر المجيدة فى صنعاء ، وكانت أول ثورة وطنية تشهدها جزيرة الاقطاع العتيد ، والاستعمار القديم والجديد .

ولم تكن تقديرات ثوار اليمن خاطئة ، اذ سرعان ما أحدقت بالثورة اليمنية كل قوى التخلف المتراكمة فى جزيرة العرب منذ مئات السنين ، وكل القوى الاستعمارية والامبريالية ، بغية اغراق صنعاء بمن فيها وما فيها فى طوفان ساخن من الدم .

وكما كان متوقعا لم تقف القاهرة مكتوفة اليدين عندما لاح الخطر ، وطلب ثوار اليمن النجدة الضرورية . « فى ذلك الوقت فان صنعاء طلبت ضمان القاهرة ، ومساعدتها فى ألا يتمكن حلف الاستعمار والرجعية من ضرب ارادة الشعب اليمنى » .

« فى ذلك الوقت قدمت القاهرة ضمانها » ووضعت قوتها فى تأكيده ، وتعزيزه » . (الاهرام ١٩٦٦/٧/١ - بصراحة - طلب ضمان امريكى للسعودية ... ونتيجة حرب محدودة فى اليمن - محمد حسنين هيكل) .

بذلك لم يبق قائد الثورة العربية المقدام بعيدا عن ساحة الصدام ، فلم تدخل الثورة شهرها الثانى حتى اخذت طلائع جيش التحرير والفداء تمخر عباب البحر الاحمر ، وتشق أجواء الجزيرة

العربية ، وتضع صنعاء البطلة فى حدقة العين ، وتجعل من نفسها سياجا منيعا لجمهورية ٢٦ سبتمبر الوليدة ، وتتخذ من قمم جبال اليمن مواقع وثوب ضد جحافل الثورة المضادة ، ومن شعابها خنادق حصينة لحماية الثورة الفتية .

ثورة قومية الابعاد

لقد كانت المأساة التاريخية المروعة والمتفردة فى نوعها التى عاشها الشعب اليمنى تحت غاشية الامامة الطويلة الامد سببا مباشرا لان يعتبر جمال عبد الناصر ـ وهو النبض الحى فى وجدان أمته ، والمعبر الصادق والامين عن ضميرها القومى اليقظ ـ ثورة اليمن ، ثورته هو ، وثورة شعبه ومسئولية نجاحها ، مسئوليته هو ومسئولية أمته ، وأن يتعامل معها على هذا الاساس ، ويتفاعل معها بهذه الروح ، وأن يفتديها بالتالى ـ باسم الثورة العربية جميعها ـ بكل مرتخص وغال .

واشارة الى هذه المكانة الخاصة التى احتلتها ثورة الشعب اليمنى عنده ، والى الاهمية البالغة التى أولاها اياها قال البطل العربى فيما يشبه صدق ويقين وتضحية الانبياء ، « ... ونعتبر ثورة اليمن ثورتنا ، ثورة العرب كلهم ، والا ماكناش بعتنا ابناءنا هناك ، ليقاتلوا ويستشهدوا ويكتبوا أكبر صفحات البطولة » (الاهرام ٢ ـ ٥ ـ ١٩٦٦) .

كان البدر المخلوع الذى استطاع التسلل بالليل من قصره المهدم ، الى ما وراء الحدود قد وضع نفسه ومن كان قد نجا من نهايته من بقايا اسرته لوجوده خارج البلاد ـ تحت تصرف الامبريالية العالمية ، وحلفائها ، عله يستعيد عرشه المفقود ، ويفتح بجيوش الاستعمار والرجعية اليمن من جديد،ويبيحها لها،تفعل بها ما تشاء ، وتتصرف فى مصيرها كما تريد .

ثورة مضـادة

ولهذا الغرض رسمت الدوائر الاستعمارية والرجعية خطة جهنمية متشعبة الاطراف اعتبرت على أساسها اليمن ساحة حرب ، حشدت لها جيشا ضاربا من المرتزقة جمعته من كل مكان من داخل اليمن ومن خارجها ، تكون مهمته القيام بهجمات جانبية على أجنحة هذه السـاحة ، وبالذات فى مأرب جهة الشرق ، وفى صعدة من الشمال ، وفى المحابشة بداخل المنطقة الجبلية ، وذلك بقصد التعمية ، وتشتيت قوى الثورة اليمنية والعربية ، بينما تندفع ـ بقيادة البدر ـ قـوة هجومية ضخمة ، مزودة باحدث سلاح ـ فى مثل انطلاقة الرمح ـ لتشق قلب البلاد ، مبتدئة بمدينة « حرض » الواقعة شمال غربى اليمن ، والمتكئة مباشرة على جبال رازح الوعرة ، على أن تستخدم حرض ـ بعد السيطرة عليها ـ كقاعدة احتشاد ومركز تموين ، ورقبة جسر فى عملية الهجوم العاصف داخل البلاد .

تحطيم الهجمة الاستعمارية

غير أن هذه الخطة التى دبرتها دوائر الحرب الاستعمارية بدقة واحكام ، والتى اريد لها أن تكون تطبيقا عمليا ـ وعلى صعيد الجزيرة العربية ـ لاستراتيجية « الحرب المحدودة » التى تفتقت عنها أدمغة ومطامع القوى الاستعمارية ، وكانت آخر « صيحة » فى تخطيطاتهم العدوانية التوسعية ، لم تكن « شفرة عسكرية » صعبة الحل ، ذلك لان جيش الثورة العربية كان يقدر حدوثها ، ومعدا عدته مع قوى الثورة اليمنية لاحباطها .

وفى الوقت الذى حوصرت فيه مواقع الحشود الملكية والاستعمارية على أجنحة الجبهة الممتدة بلا حدود كانت القوى الصدامية الرئيسية والضاربة تدفن ـ بغير ما رحمة ـ فى مطلع نوفمبر ١٩٦٢ ـ بين الالغام ، وتحت وابل النيران ، ووسط حمم قنابل وصواريخ الطائرات ـ قرابة ثلاثة آلاف الى أربعة آلاف قتيل من جحافل المرتزقة ، بعد أن تركتها تتقدم الى حتفها الى بعد ثلاثة كيلو مترات جهة الشمال الغربى من مدينة « حرض » .

ولم يجد جيش الملكية والاستعمار ـ ازاء هذه الكثافة من النيران ، وازاء بسالة المقـاتلين الثوار ـ لا مدافع الهاون ، ولا غيرها من أسلحة الحرب الخفيفة ، ولم ينج من الموت الزؤام الا من سابق فى هروبه الجامح سرعة الريح ، وارتمى مطوحا خارج الحدود .

وكانت معركة « حرض » قاصمة الظهر بالنسبة للمخطط الامبريالى التوسعى كله .

صـــدام شـــامل

ولان معركة اليمن فى أساسها لم يكن مقصودا بها اسقاط عرش بيت حميد الدين فحسب ، وانما اشعال نار الثورة العربية فى الحطام الهش من الانظمة البالية التى خلفتها القـرون الوسطى فى هذه المنطقة ، وصب شواظها على حقـول وامبراطورية البترول الاحتكارية الامبريالية ، ورد المد الرجعى والاستعمارى الى الوراء ، ودحر قوى الثورة المضادة عن مواقعها الامامية التى كانت قد احتلتها على نطاق الساحة العربية فان الدوائر الاستعمارية عزمت على ألا تتراجع قيد انملة عن خططها العدوانية ، رغم الفشل الذريع الذى منيت به فى « معركة حرض » وصممت على جعلها

«معركة جبهوية مركزة شاملة» عسكرية واقتصادية وسياسية واعلامية، بقصد استنزاف قوات الجمهورية العربية المتحدة، وانهاك قوى الثورة اليمنية، واضطرارهما معا الى الركوع والتسليم فى آخر الامر، وبقصد وعن طريق خنق مصر نفسها بمحاصرتها اقتصاديا، والتشهير بها سياسيا، والتنديد بها اعلاميا، والتعبئة ضدها دوليا ٠

غير أن عبد الناصر الذى رأى فى الثورة اليمنية تجسيدا حيا، وتعبيرا مكثفا للثورة العربية الشاملة، والذى اعتبر الانتصار فيها انتصارا يتخطى فى أهميته واصدائه ونتائجه القريبة والبعيدة حدود اليمن نفسها، بل وحدود الجزيرة العربية كلها، ليمتد بآثاره الى مواقع الرجعية والاستعمار فى كل مكان من الارض العربية ـ قبل التحدى الاستعمارى برجولة منقطعة النظير، وعزيمة لا تفل، وثورية لا تحد، وأعلن لجنوده: «لقد واجهت ثورة اليمن مؤامرات كثيرة على ثورتها، ودافعتم عن الثورة، ولن يسكت الاستعمار على انتصاركم للثورة اليمنية ٠

ان هذا الانتصار لكم وللثورة فى اليمن، يراه الاستعمار واسرائيل خطرا عليهم، على مصالحهم ٠ وقضاء على مطامعهم، ولكننا سنصمد لكل تحد ٠٠» [المصور ١٩٧٠/١١/٨]

اليمن ساحة حرب ثورية

ولذلك فانه عندما قررت قوى الاستعمار القديم والحديث ـ بعد معركة حرض ـ وبناء على حسابات ومقارنات تاريخية خاطئة ومغلوطة أن تجعل من اليمن ـ التى كانت ذات يوم «مقبرة للاتراك» ـ مقبرة أيضا للجيش المصرى والثورة اليمنية والعربية معا، وان تحيل معركتها الى صدام تاريخى حاسم بينها وبين ثورة القومية العربية التى باسمها وتحت علمها تحرك العملاق القاهر عبد الناصر بجيشه عبر البحر الاحمر الى جزيرة القبلية العتيقة، والاقطاع الاثرى، والاستعمار القديم والجديد، أعلن القائد المقدام فى أبريل ١٩٦٤ قراره السياسى والتاريخى من عاصمة اليمن الثانية تعز ـ تدعيما لثوار الجنوب اليمنى ـ بان على الاستعمار البريطانى أن يرحل سراعا من المدخل الجنوبى للبحر الاحمر، كما رحل راغما منذ حين عن شماله، والا فهى الثورة، والثورة الشاملة، ولتكن اليمن بشمالها وجنوبها ميدان الاختبار فى الصراع بين قوى التحرر العربية، وقوى الامبريالية العالمية، وهكذا كان حيث تحولت اليمن كلها الى ساحة من اللهب من صعدة شمالا حتى عدن جنوبا ٠

القومية ثورة تحرير

لا مشاريع مشبوهة

ولاول مرة أدرك الاستعمار، بل واستيقن العرب انفسهم بأن القومية العربية ليست دعوة ديماجوجية مشبوهة، وليست مشروعا مريبا يقدمه الحكام العرب ـ خدمة للاستعمار، وابقاء على مصالحه ونفوذه ـ باسم وحدة الهلال الخصيب، وتحت ستار وحدة سوريا الكبرى، وانما هى ثورة تقدمية جائحة، وحركة تحرير وطنية كاسحة، تتخطى الحدود المصطنعة، وتعصف بواقع التجزئة الاقطاعية، وتنتصر لاى بصيص نضالى يلمع، وأية شرارة ثورية تتوهج فى كل وأى مكان من الارض العربية، وتعبر ـ لتأجيجها، ومن أجل تحويلها الى حريق ثورى متضرم هائل ـ البحار والسهول والجبال، وتدخل فى معركة صادقة حازمة مع التاريخ الاقطاعى ـ القبلى ـ الكهنوتى المزمن كله، ومع طبيعة وضع غريب وفريد فى نوعه، وضع هو صورة حية، مركزة، دامية وقاتمة للقرون الوسطى جميعها بكل بشاعتها وظلامها ٠

سياسة النفس الطويل

فى مواجهة سياسة الاستنزاف

وفى مواجهة سياسة الاستنزاف البعيدة المدى والامد أعلن المناضل عبد الناصر «سياسة النفس الطويل حتى نقطع نفسهم» ٠

وبدلا من أن تجثو الثورة اليمنية على الركب، وترمق الثورة العربية بالدماء، وتسقط الثورتان معا تحت مطارق «الحرب المحدودة» اعياء وانهاكا، اضطرت كتائب الاستعمار والرجعية الى أن تفغر أفواهها لاهثة مجهدة مستنزفة ٠

كما اضطر كذلك كل رؤساء جحافل المرتزقة الاجانب، وجميع خبرائهم التكنيكيين من الامريكيين والبريطانيين، والفرنسيين، والالمان، والصهيونيين الذين سبق للكثير منهم أن حاربوا ثورات التحرر الوطنى فى كل مكان، سواء فى الهند الصينية أو الكونغو، أو الجزائر، والذين كانوا يمثلون قوى الاستعمار السوداء التى تبيع نفسها لمن يدفع اكثر، اضطروا جميعهم لان يعترفوا بمدى المقاومة الباسلة والناجحة التى ووجهوا بها من قبل قوى الثورة اليمنية والعربية، بحيث لم يبق لامثال كيندى، هانزبرج، روجر بيتر، فيليب، جيروم، دينير، جانيت، شتولز، روجيه فولك، سترلنج، بوشور و هوارد وغيرهم

الا أن يقيئوا أحلامهم الطائشة على تضاريس جبال اليمن الشماء ، وأمام اقدام ثوارها اليمنيين والمصريين الابطال ، والا أن يعودوا الى نخاسيهم خاسئين •

نعم : لقد سقط على تخوم المن وبين شعابها اربعة آلاف شهيد مصرى ، وأصيب أكثر من هذا القدر ، كما سقطت آلاف من جنود اليمن ، وأصيبت آلاف أخرى •

ولكن فى مقابل ذلك أزهقت أرواح آلاف مؤلفة من جيوش الاقطاع ، والمرتزقة ، والاستعمار ، وأزهقت معها — وذلك هو الهدف وبالتالى المهم — أحلام الرجعية الملكية والاستعمار فى أن تستعيد عرش عائلة بيت حميد الدين الموروث والموقوف عليها « بحكم من السماء » ، والى ان يرث الله الارض ومن عليها !! •

انتصار الثورة اليمنية

وفى بحر دماء الثوار اليمنيين والعرب غسل وجه اليمن من القتام المتراكم والمتجمد الذى ظل يجلله قرونا طوالا ، وذاب وتلاشى نهائيا جبل الجليد الرهيب ، جبل الامامة الاقطاعية الكهنوتية العتيد ، الذى كان يجثم على صدر الشعب ، ويغوص فى اعماقه ، ويكتم انفاسه ، ويطبق على حياته ، منذ حوالى عشرة قرون ، والذى لم تستطع أن تزحزحه عن مكانه كل الانواء والاعاصير الداخلية والخارجية التى تعرض لها طيلة هذه الحقبة المظلمة والممتدة من التاريخ اليمنى •

ولقد كانت نتيجة الصدام مع قوى الثورة المضادة ، كما لم يتوقع الاستعمار قط ، فقد قامت جمهورية يمنية مجبولة بالدم اليمنى ، ومعمدة بالدم العربى ، عاصمتها صنعاء ، على أنقاض امامة اقطاعية محنطة ، متعفنة كالحة ، تضرب جذورها فى بطون التاريخ البعيد ، كما نهضت فى الجنوب اليمنى جمهورية ثورية متحررة تمثل خلاصة النضال الثورى اليمنى — المصرى معا ، وكانت اليمن بذلك عنوان ومكان النصر التاريخى المؤزر لحركة الثورة والقومية العربية ، ودليل وميدان الهزيمة التاريخية المنكرة لقوى الاستعمار ، والاقطاع ، والقبلية ، والكهنوت ، وكان عبد الناصر هو القائد التاريخى الذى اقترن به ، وباسمه هذا النصر ، والذى لولاه — ولولا وجوده ، ودوره ، وثورته ، وجيشه ، وشعبه ، وانغماسه فى معمعة هذا النضال — الى جانب القادة والثوار الوطنيين اليمنيين — وبروح فدائية ، بطولية ، جسور ، وارادة متفانية ، متحدية ، مستبسلة ، وايمان خالص ، صادق ، أكيد بالقومية العربية ، وحتمية انتصارها ، وبوحدة التاريخ والمصير العربى ، وبوعى كامل بمسئوليته التاريخية فى ضرورة قيادة حركة الانبعاث والتحرر والتقدم العربى لسارت الامور فى اليمن كلها على نحو مختلف عما سارت عليه ، ولعانت أهوالا مضاعفة ، وآلاما لا حد لها ، ولاستغرقتها حقبة أظلم وأطول من الزمن قبل أن تتمكن من الخلاص من مستعبديها ومستعمريها •

عود على بدء

وهكذا دارت دورة الزمن ، ودارت معها رحى التطور التاريخى والثورى لتستقر فى آخر الامر مباشرة على عنق الاستعمار نفسه :

فالجيش المصرى الذى جاء الى اليمن فى الربع الثانى من القرن التاسع عشر تحت علم محمد على ، والذى حمل وجوده فيها الاستعمار البريطانى على التعجيل باحتلال عدن عام ١٨٣٩ ، وتعبئة الدول الاوربية كلها ضده ، من أجل اخراجه منها ، ومن غيرها من الاقطار العربية فى العام التالى بالذات ، كان عليه أن يعود هذه المرة الى اليمن تحت علم قائد الثورة العربية المظفر جمال عبد الناصر ، لا لتصفية حساب قديم مجمد مع قوى الغزو الاستعمارية البريطانية فحسب ، وانما — بالدرجة الاولى — تأكيدا لوحدة الحق ، والوجود ، والمآل العربى ، وتلبية لنداء الواجب القومى ، وانطلاقا مع ثورة التحرير القومية التقدمية فى كل اتجاه ، وتحركا بقواها الرئيسية والصدامية الى كل ركن من الارض العربية تهب فيه رياح التغيير ، تمكينا لارادة النضال الوطنى من الانتصار ، ووقوفا مع الشعب العربى فى كل مكان بكل الطاقات ، ودعما لحركة الكفاح الثورى الى آخر المدى ، وحيث لم يخرج هذا الجيش هذه المرة من اليمن الا بعد أن دكت معاقل الاستعمار البريطانى فى عموم جنوب اليمن ، والا بعد أن أصبح ظلالا باهتة محروقة ، لم تلبث بعد قليل أن تحولت الى أثر بعد عين ، والى ذيل من الدخان غائر خلف المحيط الهندى من حيث أتى ، بينما عواصف الثورة اليمنية والعربية تلاحقه فى كل اتجاه ، والا بعد ان اخذت تترنح وتتهاوى ركائزه الداخلية الهشة من السلاطين والامراء والشيوخ الاقطاعيين ، والتى لم يمض الا بعض وقت حتى طمس وجودها تماما ، كما أن هذا الجيش لم يخرج من اليمن الا بعد أن هدمت قلاع النظام الامامى الاسطورى الارعن فى جميع أنحائها ، وطمس ذكر الامام والامامة الى الابد •

كسر الطوق الاستعمارى

وفوق ذلك كله فقد برهنت ساحة اليمن الثورية انها كانت نقطة الانطلاق لاستعادة زمام المبادرة من يد قوى الاستعمار والرجعية ، فبعد

تمزق «جدار البابوية والعزلة السياسية» من حول اليمن ، تمزق كذلك ــ بفعل رد الفعل ــ وعلى اثر ذلك مباشرة ــ «حائط العزل والحصار السياسى» الذى كان قد ضرب من حول حامية الثورة العربية فى القاهرة ، وتهاوت الانظمة والقوى التى كانت تدير المعركة ضده ، فسقط حكم الردة الانفصالية فى دمشق ، كما سقط حكم الفردية فى بغداد ــ بقطع النظر عما صاحب ، وتلى ذلك من مجازر غير مبررة راحت ضحيتها قوى تقدمية غير مسئولة عن فوضوية وديكتاتورية واقليمية الحكم القاسمى ، تلك المجازر التى نفذتها قوى البعث اليمنية التى تهيمن اليوم من جديد على مقاليد العراق ، بلد الصبر العظيم ، والثورة الجامحة

نقطة تحول حاسمة

كما ترنحت ، كذلك ايضا انظمة وقوى اخرى كثيرة ، وحفرت الثورة العربية ــ من خلال ثورة اليمن وبفضل دعمها ــ وجودها مرة أخرى فى باطن الارض العربية ، وفى صلب حركة التحرر الوطنى العالمية ، وغدت الثورة اليمنية احد المشاعل المنيرة ، واحدى العلامات المثيرة على طريق الزحف العربى ، واحدى الانتصارات الوطنية والقومية الحاسمة التى سجلها زعيم الثورة العربية غير المنازع جمال عبد الناصر ، كما غدت هذه الثورة لمدة خمس سنوات كاملة عنوان الاحداث العربية كلها ، ومركز الثقل الاساسى فى حركة النضال الثورى العربى الشامل ، والتى شكلت بالانتصار فى ميدانها منعطفا حاسما فى مسار الثورة العربية .

وذلك هو بالضبط ما عناه القائد الملهم عبد الناصر عندما قال بوضوح لا لبس فيه « بأن الثورة اليمنية (كانت) نقطة تحول فى مواجهة الاستعمار والرجعية » (المصور ٨ـ١١ـ١٩٧٠) .

جزر ثورى مؤقت

ان هذه الحقيقة التاريخية لا يقلل من حجمها ، ولا يبلغ من قيمتها ، ولا يؤثر على أهميتها اية مؤامرة أو حتى ردة يمكن أن تكون قد تعرضت لها هذه الثورة فى أى مستوى من مستوياتها ، فقد تصاب الثورات بالنكسات ، وقد تتمكن الثورات المضادة من التغلب على الثورات الوطنية الى حين ، ولكن تبقى الحقيقة التاريخية ثابتة ، ناصعة ، مهابة ، لا يجوز ولايصح النيل منها ، أو التهوين من شأنها ، ولاسيما أنه لا يستطيع أى نيل أو أى تهوين ، طمس أية حقيقة تاريخية عظيمة ، أو الغاء أية واقعةمادية جليلة .

ولان الثورات المتسقة مع حركة التطور ، السائرة فى اتجاه التقدم ، المندمجة فى قلب تيار الزحف الثورى الوطنى الديمقراطى الذى يشكل ظاهرة العصر الجديدة المسيطرة ، ليس فى المنطقة العربية وحدها ، وانما على نطاق القارات الثلاث ، فانه يمكن الجزم ــ بيقين علمى كامل ــ بأن ثورة ٢٦ سبتمبر الوطنية ستنطلق بقوة مضاعفة فى هذا الاتجاه التاريخى الحتمى ، وستعاود وضع اقدامها بثبات اكثر على طريقه ، استجابة لقانون الضرورة الموضوعى نفسه الذى يعمل عمله الخاص داخل اليمن ، كما يعمل عمله ضمن حركة التحرر العالمية فى كل مكان .

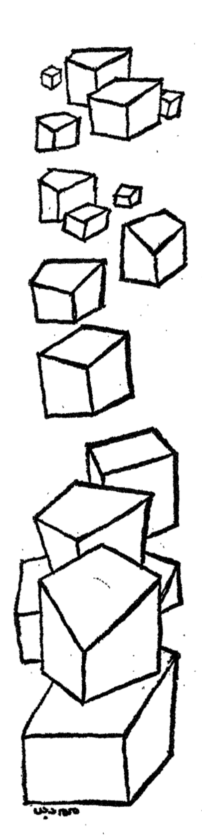
اليمن الشعبية هى المثال

وكما تمكنت ثورة ١٤ اكتوبر فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ــ وهى التعبير الخصب والخلاق والملتهب لثورية شعبنا وقياداته السياسية هناك ، وهى الوليد الشرعى والطبيعى والمتفجر لثورة ٢٦ سبتمبر ، وهى الامتداد الحى والتقدمى والمتصاعد للثورة العربية كلها ــ من الاندفاع بقوة متنامية متعاظمة فى طريق التطور الوطنى الديمقراطى ، فان ثورة ٢٦ سبتمبر فى الجمهورية العربية اليمنية ستتمكن بالتأكيد ــ وهى النبع والمنطلق ــ من ارتياد نفس السبيل ، واقتحام نفس الافق ، وستغدو صنعاء ــ كحتمية تاريخية ــ العاصمة الطبيعية والثورية لجمهورية اليمن الموحدة الوطنية الديمقراطية .



ملاحظـــات على :

الوضـــع الاقتصـــادى فى اليـــمن الجنـــوبى



د . فـــؤاد مـــرسى

١ ــ بعد ثلاث سنوات من انتصار الثورة الوطنية فى اليمن الجنوبى ، نجد الدولة الفتية فى عزلة على جميع المستويات وبخاصة المستوى الداخلى . وعندما نبحث فى أسباب هذه العزلة ، فاننا لابد أن نجد فى مقدمتها الوضع الاقتصادى هناك ، حقا لقد جرت محاولات لتطوير علاقات الانتاج ، غير أن قوى الانتاج لم تنم أى نمو محسوس يمكن أن يضع حدا أو يساعد على وضع حد للتخلف الطويل الامد الذى خلفه الاستعمار بعد ١٢٨ عاما من الاحتلال . ومن ثم يخشى أن يفقد الاستقلال مغزاه . فليس الاستقلال هدفا فى حد ذاته ، لكنه شرط ضرورى لتطوير الحياة السياسية والاقتصادية والقضاء على التخلف الموروث وبناء اقتصاد وطنى حديث، واشراك الجماهير الكادحة فى التمتع بثروات بلادها . باختصار انه شرط حتمى لتحرير القوى الانتاجية من القيود التى تعوق نموها ولتطوير علاقات الانتاج نحو الافضل .

وبالفعل فانه فى مارس ١٩٦٨ ، أى بعد مضى شهور قليلة على كسب الاستقلال ، بدأ الاصلاح الزراعى . وفى نوفمبر ١٩٦٩ ، وقبل أيام قليلة من العيد الثانى للاستقلال ، أممت المصالح الاجنبية فى القطاع الاكبر من مشروعات المال والتجارة والخدمات وأنشئت مؤسسة اقتصادية للاشراف على نشاطها . ومع العيد الثالث للاستقلال تحددت معالم خطة للتنمية الاقتصادية على مدار ثلاث سنوات .

٢ ــ ومع ذلك فما زال اقتصاد اليمن الجنوبى كما كان قبل كسب الاستقلال اقتصاد خدمات فى

الاساس . وطبقا لاخر احصائية رسمية عن الدخل القومى فى عام ١٩٦٨ ، وجميع الاحصائيات الرسمية تقريبية تبلغ الصناعة ١٢ر٦ مليون دينار ، وتبلغ الزراعة وصيد الاسماك ١٧ر٩ مليون دينار من دخل قومى يبلغ ٧٠ر٨ مليون دينار . أى أن الصناعة والزراعة والصيد يمثلون حوالى ٤٢ فى المائة من الدخل القومى بينما تمثل الخدمات على اختلاف انواعها ٥٨ فى المائة .

٣ — **فالزراعة مثلا** يعيش عليها نحو ثلثى السكان وعددهم أقل قليلا من ١ر٥ مليون نسمة وهى تنتشر فى ابين ولحج واجـور والضالع وحضرموت ، لكنها مازالت متخلفة من حيث أسلوب الملكية وأدوات الانتاج المستخدمة والمحصولات المنتجة ومن ثم تواجه مشكلة تسويق حادة . ان الزراعة محكومة بعلاقات بدائية قبلية ، وشبه اقطاعية ، فالفلاحون ينتجون للقبائل . وقد يمتلكون اراضى زراعية صغيرة جدا تصل الى ربع فدان للفرد او العائلة . وعندما وزعت عليهم أراضى السادة رفضوها . فالارض ليست مشكلة هناك . ان مساحة الارض المزروعة تبلغ طبقا للاحصائيات الرسمية ٢٢٧ر٨٠٩ فدانا ، بجانبها ٢٦٠ر٨٩١ فدانا غير مزروعة ، وبجانبها ٥٨٨ر٧٠٠ فدانا صالحة للزراعة . يضاف الى ذلك ان هذه الاراضى متناثرة فيما بين المحافظات الست بصورة تدعو للقلق الشديد . وبينما توجد اغلب الاراضى المزروعة فى المحافظات الثانية والثالثة والرابعة ، لا يوجد مثلا فى المحافظة السادسة سوى ٨٥٠ فدانا مزروعة ، يقابلها نحو ٨٢ الف فدان غير مزروعة وصالحة للزراعة . وفى النهاية فان كل المساحة التى يمكن زراعتها لاتمثل اكثر من ١ر٨ فى المائة من المساحة الكلية للبلاد وتبلغ ٢٨٨ الف كيلو متر مربع — ومع ذلك فانه لا يزرع منها حاليا سوى ٢٠ فى المائة مما يمكن زراعته ، اى ٢٠ فى المائة من ١ر٨ فى المائة من مساحة البلاد . ولهذا فان الاراضى الزراعية تمثل عـددا من الجـزر فى بحـر من الصحراء ، وهى بالتالى معزولـة بعضها عن بعض ، وهى جميعا معزولة عن منافذ التسويق . ومشكلتها هى الماء واليد العاملة . فالارض المزروعة تروى الفيضانات ١٨٠ الف فدان منها ، والباقى وقدره ٤٨ الف فدان ترويه الابار . أما اليد العاملة فى الزراعة فقليلة وهى تنحدر أساسا من العبيد السابقين .

٤ — **وقد صدر** الاصلاح الزراعى فى مارس ١٩٦٨ .. وخضعت له مساحة ٣٦ الف فدان دخل منها ٢٤ الف فدان فى ملكية الدولة ، فقد فتح الطريق أمام نوعين من الملكية هما ملكية الدولة والملكية التعاونية وهى ملكية انتفاع ، لكن الاهم هو انه مع الاصلاح الزراعى بدأت المحاولات لاستصلاح الاراضى ومكننة الزراعة . فالواقع انه يمكن توسيع رقعة الارض الزراعية ، عن طريق تنفيذ مشاريع لتطوير آبار المياه الارتوازية واقامة سدود لحجز مياه السيول . وفوق هذه الاراضى التى سوف تظللها الخضرة ، يمكن أن تبدأ الزراعة الالية ، كما يمكن ان تنتج محاصيل للتصدير بعد ادخال قدر من التصنيع عليها ، مثل تصدير الموز مسحوقا وحبالا . ومن المعروف ان برنامج الجبهة القومية يسلم بامكانية [السماح للاستثمار الاجنبى فى بعض المجالات] .

٥ — **والواقع** أن المحصول الوحيد الذى اعتنى به هو القطن طويل التيلة ، ولقد بدأ الاهتمام بزراعته فى ابين ولحج منذ عام ١٩٤٨ وبخاصة بعد ١٩٥٤ . ولقد نجحت زراعته فبلغ انتاجه ١٤٦٥٠ طنـا فى العام الحـالى واصبح القطن يمثل ٢٠ فى المائة من قيمة الانتاج الزراعى . وهو يصدر بالكامل . والبن هو ثانى محصول للتصدير ويبلغ انتاجه ٨١٠ طنا . أما التبغ فهو المحصول الرئيسى لحضر موت ، ويستخدمون السمك كسماد فى زراعته . وبجانب ذلك نمت زراعة الفاكهة والخضر وبخاصة لتموين عدن . لكن من المؤكد أن هذه المحاصيل جميعا لا تجد سوقا بعد . انها لم تتحول بعد الى محاصيل نقدية ، تنتج للبيع فى سوق معروفة مقدما للمنتج . والسبب فى ذلك هو تناثر الاراضى الزراعية عبر المساحة الشاسعة للبلاد ، وانعدام طرق المواصلات تقريبا وتخلف وسـائل النقـل والجهـل بـأساليب التخـزين والتسويق .

٦ — **وما قيل عن** الزراعة يمكن أن يقال وزيادة عن الرعى وصيد الاسماك . فالقبائل تعمل بالرعى . ومن ثم فهناك تربية للمواشى والاغنام والماعز ، لكنها متخلفة لم تتوجه بعد للسوق . وعلى الرغم من السواحل الطويلة التى تتمتع بها البلاد ، وعلى الرغم من أنه يشتغل بصيد الاسماك ١٠ر٥٠٠ صيادا ، فان الثروة السمكية ما تزال ابعد من ان تتحول الى ثروة قوميـة . فالصيد حتى الان صناعة بدائية تماما ، مع أنها أسهل الصناعات جميعا من حيث التنمية والتطوير ، اذ يمكن أن تقوم عليها صناعات مثل التجميد والتعبئة تمهيدا للتصـدير . وتعتبر حضرموت أهم المحافظات المشتغلة بالصيد ، ومع ذلك فان عاصمتها وهى ميناء المكلا لا تزال بلا تحسين على الاطلاق .

٧ — **وبالطبع فان** الصناعات القائمة حاليا تدور حول السمك والقطن . وقد كان هناك مصنع صغير قديم لتعليب سمك التونة ، لكنه تدهور . وهناك محلجان للقطن ، أحدهما فى أبين والاخر فى لحج . وفى عدن أقامت شركة البترول البريطانية

مصفاة كبرى ، فى عام ١٩٥٤ ، بعد أزمتها مع ايران • ويعمل فى المصفاة نحو الفى عامل • وتوجد أيضا صناعات ثانوية ، مثل تعبئة المشروبات الخفيفة ، ومنتجات الالبان ، والصابون ، والبلاط وأدوات الالومنيوم ، وزيت السمسم ، والملح ، وأحجار الاسمنت ، وبناء السفن واصلاحها ، والكهرباء والمياه •

ومن الواضح أن انتاج القطن يتيح امكانيات كبيرة لم تستغل بعد لتطوير الصناعة فمن الممكن انشاء مصانع لاستخلاص زيت بذرة القطن وانتاج الصابون لكن ذلك يفترض وجود السوق لتصريف انتاج الصناعة سواء كانت السوق داخلية او خارجية •

٨ ـ **من هنا تبدو** أهمية الخدمات فى اقتصاد اليمن الجنوبى ، فمازالت الاهمية الاولى للخدمات . وتقع عدن بحكم موقعها الاستراتيجى فى مقدمة المحافظات التى تقدم الخدمات • فان الدخل القومى من الخدمات يقوم فى الواقع على خدمات تزويد البواخر بالوقود وتوزيع البترول والتجارة داخلية وخارجية وخدمات المال فى البنوك والتأمين واعادة التأمين والنقل والمواصلات وخدمات الحكومة والبناء والتشييد والاسكان • واغلب هذه الخدمات يقع فى عدن ، التى تعتبر من ثم بمثابة مخزن كبير للتجارة العابرة •

وبالطبع فانه فى مقدمة الخدمات جميعا تأتى العمليات التجارية وخدمات الميناء والخدمات الملاحية واهم مصدر للدخل فى هذه الخدمات هو التجارة العابرة وتقديم خدمات الميناء •

٩ ـ **ومن قبل** تولت هذه الخدمات مشروعات مرتبطة برأس المال الاجنبى أقامها اجانب ، او أيرانيين وهنود تداخلوا مع رأس المال البريطانى ، وعملت هذه البيوت التجارية كوسطاء . لكنها كانت تجتذب مئات من المواطنين • ومن ثم ظهرت بورجوازية تجارية مزدهرة قضت بحكم وظيفتها فى التجارة العابرة على امكانيات قيام صناعات حرفية ، ولكن الظروف تغيرت : أولا باغلاق قناة السويس امام الملاحة الدولية بسبب العدوان الاسرائيلى ثم بالاستقلال وانسحاب القوات البريطانية من قاعدة عدن الهائلة . واصيبت عدن ومعها البورجوازية التجارية بنكسة رهيبة تعبر عنها الاحصائية التالية :

التجارة الخارجية بملايين الدنانير

	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨
واردات	١٠٢	٧٢	٨٤
صادرات	٦٨	٥٠	٤٦

لكن الاحصائية التالية أبلغ دلالة عن الوضع الحالى فى ميناء عدن ، فان استخدام السفن فى الميناء قد انخفض على النحو التالى :

	الحمولة بالطن	عدد السفن
١٩٦٧	١٤ر١٣٠ر٠٩١	٢٨٣٧
١٩٦٨	٦ر٠٦١ر٠٢٩	١٣٥٧
١٩٦٩	٨ر٠٥٣ر٢٣٥	١٥٤٨

من هنا ظاهرة البطالة التى تتناول نحو ٢٠ الف عامل فى المدن ، وبخاصة عدن والمكلا ، والتى تمثل بالتالى نحو ١٠ فى المائة من مجموع القوة العاملة فى البلاد • ومن المعروف أن حجم السكان لا يتجاوز ٤ر١ مليون نسمة •

١٠ ـ **ولقد تفاقمت** البطالة بعد اجراءات التأميم التى اتخذت فى نوفمبر ١٩٦٦ ، والتى تناولت المصالح الاجنبية فى القطاع الاكبر من مشروعات الخدمات • فقد تم تأميم جميع البنوك وفروع البنوك الاجنبية ، وجميع الشركات التجارية الاجنبية الكبرى ، وجميع شركات التأمين واعادة التأمين ، وجميع شركات خدمات الموانى الكبرى ، وجميع الشركات الاستعمارية لتوزيع المنتجات البترولية عدا تلك التى تقوم بتزويد البواخر والطيارات بالوقود والزيوت • ولقد سمح التأميم بشركات مختلطة فى التجارة مع قصر استيراد بعض السلع الاستهلاكية الاساسية على القطاع العام • كذلك سمح للمواطنين بالمساهمة فى المشروعات المؤممة •

١١ ـ **ومع البطالة** تفاقمت مشكلة العجز فى الميزانية العامة . فقبل الاستقلال كانت بريطانيا تقدم اعانة توازن بين الايرادات والمصروفات ولقد اقترحت قبل الانسحاب أن تدفع ٦٠ مليون دينار لمواجهة مرحلة ما بعد الاستقلال بشرط تأجير قاعدة لها فى عدن • فلما رفضت الدولة الفتية هذا الشرط حلت مشكلة العجز فى الميزانية بكل وطأتها على الرغم من الخفض الكبير الذى أجرته فى المصروفات والمحاولة الجزئية لزيادة الايرادات . وعلى اية حال فان العجز الحالى يزيد قليلا عن مليون دينار •

	٦٧/٦٦	٦٨/٦٧	٦٩/٦٨
الايرادات	٢٢	٨ر٢٥	٤ر١٤
المصروفات	٤ر٢٣	٧ر٢٣	٥ر١٥
العجز	٤ر١	ـــ	١ر١

ويسترعى الانتباه تشكيل الايرادات ، فمن أهم مصادرها ضريبة الدخل وهى قاصرة على محافظة عدن ، وتدر أتاوات مصافى البترول حوالى ثلثى هذه الضريبة ، وهناك ايضا ضريبة العشور الزراعية • لكن أهمها جميعا الرسوم الجمركية المفروضة فى محافظة عدن على الخمور والسجاير والقات والبيض المستورد ، وفى محافظة حضرموت على كل السلع •

وتشكيل المصروفات بدوره أدعى للانتباه • فقد ورثت الدولة الفتية جهاز دولة متضخما ، باهظ التكاليف بفعل سلطات الاحتلال فى السنتين السابقتين للاستقلال ، يضاف الى ذلك عبء الدفاع عن دولة مهددة من كل حدودها • ان الايرادات لا تكاد تغطى أكثر مما يدفع للموظفين فى ادارات الدولة المدنية والعسكرية وقد يكون من الضرورى أن يعاد النظر فى نظام التجنيد الاجبارى والبحث عن نظام للتعبئة الوطنية لمناطق الحدود ، مع البحث فى تأهيل الجنود للاعمال الانتاجية •

لكن يبقى أمر مؤكد ، انه لا مفر من الاستعانة بالمعونات الخارجية ، فمهما تكن المحاولات لضغط المصروفات وزيادة الايرادات ، فان التنمية الاقتصادية المنشودة تبقى بلا موارد معروفة •

١٢ ــ **فاذا اردنا** أن نلخص الوضع فى مجال القوى الانتاجية كانت الخلاصة رهيبة حقا • فاقتصاد اليمن الجنوبى ليس اقتصادا واحدا بعد • ولا يكفى القول بأنه تعبير حى عن قانون النمو غير المتكافىء • فهو فى الواقع اقتصاد لم يتكون بعد متخلف غاية التخلف ، ممزق أشد تمزيق ، لا يعرف بعد الانتاج للسوق التى يمكن وحدها أن توحد البلاد • وفيما عدا عدن التى تعتبر محطة للخدمات البحرية ، وكذلك حضرموت التى تعرف التجارة ، فان البلاد غارقة فى بحر من الاقتصاد القبلى الذى لم ينجح بعد فى اقامة اسواق متناثرة يمكن ربط بعضها ببعض فيما بعد . فالرعى اقتصاد قائم بذاته ، والصيد اقتصاد قائم بذاته ، والزراعات جزر معزولة ، والصناعة التى تعتبر بحق صناعة هى تكرير البترول • والفرق شاسع بين المدن الرئيسية والمناطق الريفية والاقاليم القبلية . وشاسع أيضا بين تطور الزراعة فى لحج وأبين وتخلفها فى غيرهما • والمسافات واسعة بين أطراف البلاد • ويضاعف من حدة المشكلة الافتقار الفعلى الى طرق المواصلات . أن الطرق المعبدة حاليا تبلغ ٤٨٠ كيلومترا منها ٣٢٠ كيلومترا فقط بالاسفلت ، ونصفها يوجد فى عدن وحدها • ومن ثم تبدو الحاجة ملحة لتعبيد الطرق لتنشيط التجارة الداخلية وربط المناطق الداخلية بالموانى • أن طرق المواصلات هى أول بداية لقيام السوق . فنحن بحاجة أولا وقبل كل شىء لتوحيد السوق القومية • نحن بحاجة لقيام الدولة المركزية الموحدة على أساس موضوعى من السوق الواحدة •

١٣ ــ وتطرح القيادة الثورية للدولة الفتية مهمة تطوير المجتمع بطريقة تستكمل فيها الثورة الوطنية الديمقراطية المنتهجة الطريق غير الرأسمالية ، وهى مهمة سليمة تماما . فان مهمة التحرر الاقتصادى وبناء اقتصاد وطنى حديث هى المهمة الموضوعية التى تطرحها الثورة الوطنية فور كسب الاستقلال وفى ظروف العصر حيث تعجز الطريق الرأسمالية عن حل هذه المهمة يصبح لا مفر من اتباع الطريق غير الرأسمالية . وعندئذ تندرج عملية التطور غير الرأسمالى فى اطار التحول الاجتماعى نحو الاشتراكية وتسلم القيادة الثورية بأنه ليس هناك من اشتراكية سوى الاشتراكية العلمية ومن ثم تعتبر نفسها [طليعة عمالية الالتزام] ان المهمة المطروحة هى باختصار رفع القوى الانتاجية الى المستوى الذى تتطلبه الاشتراكية الأمر الذى يقتضى سلسلة كاملة من المراحل التدريجية الاولية ومن التدابير الانتقالية •

١٤ ــ **وتجرى هذه المهمة على أرضية غاية فى التعقيد فالى جانب الظروف التى عرضناها للاقتصاد اليمنى الجنوبى فهناك قضية الوحدة الاقليمية مع اليمن الشمالى وهى قضية سياسية مثلما هى قضية اقتصادية ترتبط مباشرة بمهمة توحيد السوق •**

ويزيد من تعقيد هذه القضية أن الهجوم المضاد على حركة التحرر فى البلدان العربية قد بلغ ذروته منذ عدوان يونيو ١٩٦٧ . وكما احتلت حركة التحرر العربى مكانا بارزا فى حركة التحرر العالمية ، اصبحت البلدان العربية التقدمية تشكل القوة الرئيسية فى العالم العربى • وهو أمر يلقى التزامات وأعباء كبيرة على عاتق الحركة التقدمية العربية تنظيمات ودولا • وكما تواجه هذه الحركة هجمات ضارية من قبل القوى المعادية هجمات تستهدف تحقيق ما عجز عنه عدوان يونيو ١٩٦٧ ، تتلقى الدولة الفتية فى اليمن الجنوبى الهجمة تلو الهجمة لكن أخطر هذه الهجمات الخارجية هو محاولة اضرام نيران التفرقة والخلافات والمنافسة بين اليمن الشمالى واليمن الجنوبى • وتتخذ هذه المحاولة بالذات صورة جعل الشمال هو نموذج التقدم الذى يحتذى ومن ثم محاولة فرض العزلة على الدولة الفتية فى الجنوب • ان المحاولات الاستعمارية والرجعية لا تنتهى هناك لاحداث تطوير اقتصادى على أسس رأسمالية تجعل

الشمال مركز جذب لرءوس الاموال الخائفة فى الجنوب ، وتجعل منه القدوة والمثل فى التنمية الاقتصادية والتطور السياسى .

أن ذلك يضع الدولة الفتية فى الجنوب أمام منعطف حاسم ، فلابد من تحييد الشمال تماما . ثم لابد وهذا هو الاهم من تغيير حاسم فى الداخل ، ولم يعد ممكنا الاستمرار فى عملية التحـول الاجتماعى بالوسائل التجريبية والتدابير الفوقية والاعتماد على التأييد العاطفى للجماهير دون أخذ القوانين الموضوعية لتطور الاقتصاد بكامل الاعتبار .. من هنا كل أهمية الموقف الداخلى .

١٥ ـ بعبارة أخرى اذا ما انتقلنا من البحث فى القوى الانتاجية الى البحث فى علاقات الانتاج وجدنا أن الارضية الطبقية التى يقف عليها التنظيم السياسى للجبهة القومية على حد قول أمينها العام عبد الفتاح اسماعيل ، انما تتحدد (بقوى العمال والفلاحين الفقـراء والجنـود والبورجـوازية الصغيرة المستجيبة لاهداف الثورة الوطنيـة الديمقراطية] ، فكأن الارضية الطبقية للثورة تتشكل من طبقتين نحسبهما طبقة العمال وطبقة الفلاحين أو البرجوازية الصغيرة ، على أساس أن الجنود من ابناء الفلاحين ... ويضيف عبد الفتاح اسماعيل [وفى نفس الوقت كان لابد من تصفية القوى الطبقية الخارجة عن هذا التحالف] ، وهذا التصنيف الطبقى يحتاج للمناقشة العميقة .

١٦ ـ باستثناء عمال الزراعة ، فان العمـال انما يوجدون فى الواقع فى عدن ، ومجموعهم هناك لا يتجاوز ٣٥ ألفا موزعون على النحـو التالى طبقا لاحصائية عام ١٩٦٧ :

الصناعة التحويلية	٣٨٦٦
البناء والتشييد	٤٩١
الكهرباء والغاز والمياه	١٠٤٧
التجارة والمصارف والتامين	٩٣٩٦
النقل والمواصلات والتخزين	٧٨٩٠
الخدمات والدولة	١٢٦٣٢

ومعنى هذا أن ٩ فى المائة من العمال يشتغلون فى البترول والمحاجر ، وأن ٣٠ فى المائة يعملون فى الاجهزة الحكومية وأن ٦١ فى المائة فـى التجارة والنقل والمواصلات والميناء والمنازل . بل أن من بين عمال الصناعة لا يعمل فى صناعة التكرير وهى الصناعة الالية الحديثة الوحيدة سوى أقل من ألفين من العمـال .

لهذا فان الطبقة العاملة ليست طبقة من العمال الصناعيين ، بقدر ما هى طبقة عمال خدمات فى التجارة والدولة . ومن ثم يجب أن يؤخذ فى الاعتبار عند الكلام عن الطبقة العاملة واقع حجمها ونوعيتها ، وبالتالى وعيها الطبقى . وازاء هذا الواقع تبدو أهمية التأكيد على ضرورة اكتساب الوعى الاشتراكى المنظم والحذر من الاتجاهات التلقائية فى اكتساب الوعى ، تلك الاتجـاهات المثالية التى ترمى لتأليه الطبقة العاملة والعمال وعبادة التلقائية فى صفوف الاشتراكيين .

١٧ ـ ولا توجد فى عدن بورجوازية صغيرة منتجة ، أى حرفية ، فلقد قضى على امكانيات نموها وجود المشروعات التجارية الاجنبية والمحلية المزدهرة التى تنقل احدث منتجات العالم الى عدن ومنها الى بعض أقاليم الداخل . وانما توجد بورجوازية صغيرة تجارية ، تملك دكاكيـن التجارة . وعلى العكس توجد بورجوازية صغيرة منتجة فى الريف ، وهى تضم صغار الملاك الذين يملكون بين ربع فدان و٣ فدادين ، كما تضم الصيادين .

وتنمو فى أجهزة الحكومة والقطـاع العـام بورجوازية صغيرة ادارية من الموظفين والمتعلمين ، وهى تزود التنظيم السياسى بعدد من كوادره . ومع ذلك فان القيادة السياسية تعلن بوضوح موقفها من البورجوازية الصغيرة ، فهى لا تقبل قيادتها ولا برنامجها .

١٨ ـ لكن ألا توجد بورجوازية وطنية ؟ وتبدو اهميـة السؤال من أن القيادة السياسيـة تعلن ضرورة [تصفية القوى الطبقية الخـارجة عن التحالف] الذى لا يضم سوى [العمال والفلاحين الفقراء والبورجوازية الصغيرة] .

نحن نعلم أن البورجوازية الوطنية هى الطبقة الوسطى ذات العلاقات الرأسمالية فى الانتاج ، سواء فى المدينة أو الريف . وهى طبقة ذات طبيعة مزدوجة ، او بعبارة اخرى هى طبقة موقفها متناقض من الثورة الوطنية . فضربات رأس المال الاجنبى وكبار ملاك الاراضى تدفعها للثـورة ، وخوفها من الطبقة العاملة يدفعها للثورة المضادة ، ولديها الاستعداد والرغبة فـى النمـو الى بورجوازية كبيرة كلما وجدت الفرصة سانحة .

مثل هذه الطبقة فى اليمن الجنوبى وجدت ولكى توجد لم يكن أمامها الا أن تشتغل بالتجارة والبناء ، وارتبطت من ثم برأس المال الاجنبى والوكالات التجارية الاجنبية ، وكانت تحتفـظ برأسمالها فى البنوك الاجنبية التى كانت تحتفظ بقدر كبير من ودائعها فى الخارج ، أو كانت تستثمره فى التجارة مع الصومال والحبشـة واليمن الشمالى والسعودية ، وقبل الاستقلال

مباشرة استغلت جزءا من مدخراتها فى اقامة مساكن حديثة فى عدن .

وبعد الاستقلال ، ونتيجة لبعض الاخطاء المتبادلة ، حدثت هجرة واسعة لرأس المال المحلى الى البلاد المجاورة .

ومع ان برنامج الجبهة القوميـة كان يسلم بمشاركة القطاع الخاص فى التنمية على أن يبتعد عن الاستغلال والاساليب الاحتكارية ويقتصر على المجالات التى يسمح له بها منفردا أو مشاركا القطاع العام ، ومع أن الدستور ينص على ان الدولة تدعم القطاع الوطنى الخاص الانتاجى لكى يطور الاقتصاد الوطنى ، وعلى الرغم من صدور قانون لتشجيع الاستثمار فى المشروعات المحلية ، فمازال رأس المال الوطنى يحجم عن المشاركة فى التنمية . والسبب فى هذا فى تقديرنا هو الموقف الفكرى من البورجوازية الوطنية ، هذا الموقف الذى يعتبرها من القوى الطبقية الخارجة عن التحالف وهى من ثم واجبة التصفية .

١٩ ــ ولا نزاع حول حقيقة أن الرأسمالية المحلية الخادمة لرأس المال الاجنبى ، والتى تعمل كوسيط له ، والتى تعيش على الفتات الذى يسمح لها به ، هى رأسمالية واجبة التصفية . لكن نظرية الاشتراكية العلمية وتجربة البلدان النامية حتى فى الصين نفسها تدلنا على أنه فيما بين الرأسمالية الخادمة ، الوسيطـة ، الكومبرادورية ، وبيـن الرأسمالية الصغيرة توجد مراتب وفئات وسطى عديدة ، تملك رؤوس أموال نقدية ، ولها خبرة بأساليب استثمارها عن طريق استئجار عمـل الغير . هذه المراتب والفئات تملك طاقات وطنية بفعل اضطهاد الاستعمار لها ، وتتطلع الى بناء اقتصاد وطنى مستقل ، تنمى بلادها وهى تنمى نفسها وتحقق الارباح . ان هذه الرأسمالية يمكن ان تشتغل بالتجارة او بالصناعة او حتى ببناء المساكن . ومن ورائها تقف مجموعات من المتعلمين أصحاب الخبرة الفنية بـالادارة والتجـارة والانتاج . انها طبقة تقوم على علاقات انتاج رأسمالية قحة ، لكنها لا تجد تعارضا بين المشاركة فى التنمية الاقتصادية والعناية بمصـالحها الرأسمالية . والعبرة عندئذ بالسلطة السياسية فى الدولة ، فمادامت هذه الرأسمالية بعيدة عن السيطرة على مقاليد السلطة ، ناهيك عن الانفراد او الاستئثار بها ، فلا خوف منها على الثورة . انها تعمل عندئذ فى اطار قوانين الدولة الفتية ، بل ويمكن ان تعمل فى اطار خطة شاملة للتنمية الاقتصـادية . وفى النهـاية فان التمييز بين رأسمالية وطنية ورأسمالية غير وطنية لا يمكن أن يكون ضربا من التنجيم ولا رجما بالغيب . انه عملية موضوعية معيارها الجوهرى معيار عملى هو الموقف من التنمية الاقتصادية ، هل تشارك فيها أم لا تشارك ؟ .

٢٠ ــ ولاشك أن مثل هذه الرأسمالية توجد فى اليمن الجنوبى بين صفوف التجار خاصة . وهى طبقة يمكن أن تشجع على استثمار اموالها فى التجارة ، كما يمكن بصعوبة أكبر تشجيعها على المساهمة فى التنمية الصناعية . وبدلا من تهريب رؤوس أموالها ، وبدلا من اكتناز الذهب ، يمكن أن تقدم رؤوس أموال جاهزة فى مشروعات تطمئن الى جديتها وسلامتها اقتصاديا ، ومن ثم فان جزءا هاما من الفائض الاقتصادى يمكن أن يبقى فى البلاد .

وليس أدل على الموقف الوطنى لهذه الرأسمالية من دورها حاليا فى تسوية العجز السنوى فى ميزان المدفوعات . فمن المعروف أن هذا الميزان يحقق سنويا عجزا كبيرا وبخاصة منذ اغلاق قناة السويس . ان عجز الميزان الجارى قد بلغ ١١ر٤ مليون دينار فى عام ١٩٦٧ ، ثم ٢٥ر٥ مليون دينار فى عام ١٩٦٨ ، وأخيرا ٢٢ مليون دينار فى عام ١٩٦٩ .

ولقد ساهمت التحويلات الخاصة فى تسوية هذا العجز تماما . فالرأسمالية المحلية تجلب سنويا مبالغ كبيرة من الخارج تلعب دورها فى توازن ميزان المدفوعات توازنا فعليا .

ميزان المدفوعات بملايين الدنانير

	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩
التصدير	٥٤ر٦	٥٦ر١	٦٨ر٦
منتجات بترول	٣٩ر٩	٣٦ر٩	٤٨ر٢
الاستيراد	٧٦ر٢	٧٩ر٩	٨٦ر٤
بترول ومنتجاته	٤٨ر٧	٥٢ر٥	٥١ر٦
الميزان التجارى	—٢١ر٦	—٢٣ر٨	—١٧ر٨
الخدمات الصناعية	١٠ر٢	—١ر٧	—٤ر٢
الميزان الجارى	—١١ر٤	—٢٥ر٥	— ٢٢ر٠
التحويلات	٢٠ر١	٢١ر٠	—٢٢ر٢
خاصة	٤ر٦	١٤ر٣	—٢٢ر٢
عامة	١٥ر٥	٦ر٧	

٢١ ــ ان هذا التقدير الموضوعى للقـوى الاجتماعية وللقوى الانتاجية يوفر أساسا ثابتا لتحالف وطنى واسع ، يـجذب الى العمـل الاقتصادى ومنه الى العمل السياسى فئـات اجتماعية لا حصر لها . وهذا هو الاساس للتغلب على العزلة التى يواجهها النظام الثورى فى عقر داره . ومن ثم يسهل عليه أن يواجه العزلة التى تفرض عليه من الخارج .

حسابات ١٩٧٠ وآفاق ١٩٧١

اعتادت الطليعة أن تقدم كل عام ، حسابات العام الذى انقضى وآفاق العام الجديد ، وقد اختارت هذا العام أن تقدم هذه الحسابات انطلاقا من تطور الواقع السياسى فى كل قارة على حدة ، ولكن دون أن تغفل فى نفس الوقت، ارتباط هذا التطور الخاص ، بالتطور الشامل للوضع الدولى عامة .

وثمة حقائق أساسية تبرز من تحليل حسابات عام ١٩٧٠ أهمها :

● أن هناك اتجاها واضحا لتخفيف التوتر الدولى والتقارب وتصفية الخلافات فى القارة الاوروبية التى طحنتها حتى الان حربان عالميتان ، فى حين تتحرك مراكز التوتر والصراع الدولى باضطراد الى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

● ان الامبريالية الامريكية لاتزال تأخذ — بوجه عام — زمام المبادرة فى الهجوم برغم التقدم الذى أحرزته حركة الثورة الوطنية والاشتراكية فى بعض المواقع .

● ان تطور الموقف الدولى يتطلب من كل قوى التحرر الوطنى والاشتراكية ، توحيد وتدعيم صفوفها أكثر من أى وقت مضى ، بالنظر الى الدرجة التى أصبح عليها عنف وهجومية الامبريالية الامريكية وشراستها .

— تقارب سوفيتى — المانى غربى .

— تقارب بولندى — المانى غربى .

— ايرفورت وكاسيل ومشروع اولبريشت .

— مزيد من التقارب الفرنسى — السوفيتى .

— مزيد من التقارب الفرنسى — البولندى .

— اختفاء ديجول واستمرار الديجولية .

— تقدم العلاقات الفرنسية — اليوغوسلافية

— مواصلة الحوار اليوغوسلافى — الالمانى الغربى .

— تقارب رومانى — بولندى .

— ايطاليا واستمرار ازمة يسار الوسط .

— بريطانيا فى ظل المحافظين .

— نمو اتجاه « استقلال اوربا » .

— جولة نيكسون ودور امريكا المشئوم .

أوربا

معاهدات عدم الاعتداء.. وتخفيف التوتر

ربما يكون تطور الموقف السياسى فى اوروبا فى عام ١٩٧٠ مصداقا للحقيقة القائلة بابتعاد مراكز التوتر والصراع الدولى عن القارة الاوروبية وتركزها فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

المعاهدة السوفيتية — الالمانية الغربية

ان الدول الاوروبية تقدمت خطوة هامة الى الامام فى عام ١٩٧٠ نحو تخفيف التوتر بينها وتصفية المصادر الرئيسية للصدام على نطاق القارة . وربما يكون عقد **معاهدة عدم الاعتداء بين الاتحاد السوفيتى والمانيا الغربية** من أبرز وأهم الخطوات ذات الدلالة بهذا الصدد . خاصة اذا علمنا ان هذين البلدين يمثلان أضخم قوتين بريتين تقاتلت وجها لوجه فى أعنف المعارك الدموية على أرض القارة فى الحرب العالمية الثانية ، ولا يخلو من دلالة قط ، ما أشار اليه عدد كبير من المراسلين الاوروبيين من « **ان هذه المعاهدة تعتبر أهم حدث فى المانيا بعد سقوط الرايخ** » .

وأهم ما اسفرت عنه المعاهدة هو **اعتراف المانيا الغربية بالحدود القائمة حاليا فى أوربا بما فيها حدود بولندا الغربية ، حدود الأودر — نيس ، وتعهدها بعدم انتهاك الحدود القائمة فى أوربا حسبما تشكلت بعد الحرب العالمية الثانية** ، وتعهد الجانبين باحترام الوضع القائم فى اوربا كضمان للمحافظة على السلام ،

اعداد : خيرى عزيز ـ حسين شعلان

اشترك فى الملف :

■ **أوربا** : **د . رفعت السعيد**
■ **الولايات المتحدة** : **حمدى عبد الجواد**
■ **آسيا** : **كمال السيد**
■ **أفريقيا** : **مجدى الياس ــ موسى جندى ــ كمال السيد**
■ **الشرق الاوسط** : **احسان بكر ــ حمدى عبدالجواد**
■ **أمريكا اللاتينية** : **حسين طلعت**

كما اشارت المعاهدة الى أن الجانبين يعتبران المحافظة على السلام الدولى والوصول الى تخفيف حدة التوتر ، هدفا اساسيا لسياستهما ، كما أعربا عن تشجيع الاتجاه لاعادة اوربا الى حالتها الطبيعية وتطوير علاقات السلام بين كافة الدول الاوروبية ، **وتحدثت الدوائر الرسمية للحكومة الالمانية عن وجود « دولتين المانيتين »** مما يتضمن الاقرار بالامر الواقع ، ويعكس تطورا فى نظرة بون تجاه جمهورية المانيا الديموقراطية .

وتعكس هذه المعاهدة تطورا واقعيا هاما فى نظرة المانيا الغربية لحقائق السياسة الاوروبية ، وهى تعنى فى الواقع اسقاط كثير من الاوهام التى ظل **الحزب المسيحى الديموقراطى يغذى بها اذهان الشعب الالمانى طوال ربع قرن تلك الاوهام التى تقوم على عدم الاعتراف بأى تغيير فى الحدود الالمانية التى كانت قائمة عام ١٩٣٧ الا فى اطار** معاهدة **صلح مع الدول الاربع الكبرى** بمعنى أن تظل حدود المانيا الغربية مع بولندا والمانيا الديموقراطية وتشيكوسلوفاكيا محلا للمساومة فى المستقبل وأداة ضغط فى الحاضر .

كما تعكس المعاهدة من ناحية اخرى موقفا مرنا من الاتحاد السوفيتى تجاه الالمان الغربيين الامر الذى أتاح لهم فرصة كبيرة للالتقاء معه ، وقد اتضح ذلك الموقف فى موافقة الاتحاد السوفيتى على النص فى البيان المشترك على احترام المادة الثانية من ميثاق الامم المتحدة ، وهى المادة التى تمنع استخدام القوة **او التهديد باستخدامها** فى العلاقات بين الدول ، الامر الذى **يعنى تساهله الضمنى** فى **التمسك بالمادتين ٥٣ و ١٥٧ من الميثاق وهما مادتان تعطيان** الدول الاربع الكبرى ومن بينها **الاتحاد السوفيتى الحق فى** التدخل ضد المانيا اذا استأنفت سياستها العدوانية .

والحقيقة ان الاتحاد السوفيتى قد ساعد بتوقيعه هذه المعاهدة على **افساد المخطط الالمانى الغربى** الذى دأبت دوائر بون على تنفيذه وبالذات فى عامى ١٩٦٨ و١٩٦٩ ، **والذى يقوم على محاولة اجتذاب دول اشتراكية معينة والتلويح لها باتفاقات اقتصادية مغرية بهدف اجتذابها بعيدا عن مجموعة الدول الاشتراكية فى اوربا ، ثم عزلها** عن هذه المجموعة وتغذية عناصر **الثورة المضادة بها تمهيدا لتصفية نظامها الاشتراكى ، واعادتها ثانية الى حظيرة الغرب** . هذا المخطط اتبعته بون بوضوح مع تشيكوسلوفاكيا خلال فترة تزايد نفوذ قوى الثورة المضادة فيها ، كما اتبعت فى نفس الوقت سياسة **تقارب** مع رومانيا لما هو معروف من وجود خلافات بين رومانيا وسائر الاسرة الاشتراكية الاوروبية ، ومن هذه الناحية **يكون الاتحاد السوفيتى قد قدم بالشروط التى وضعها كأساس للتقارب مع المانيا ، نمطا ايجابيا يمكن لمختلف الدول الاشتراكية الاهتداء به فى علاقاتها مع المانيا الغربية** .

وبذا يكون قد حال بشكل غير مباشر دون تدهور العلاقات داخل القارة الى الحد الذى يمكن ان يهدد ـ مثلما حدث فى أزمة تشيكوسلوفاكيا ـ بنشوب صراع مسلح بين دول اوربا الشرقية والغربية .

على أن اتجاه المستشار الالمانى الغربى « فيلى برانت » للانفتاح على الشرق ، مرتبط بالضغوط الاقتصادية للاحتكارات الامريكية على اقتصاد المانيا الغربية مما يدفعها الى البحث عن متنفس لها فى اسواق الشرق ، وبالتالى الى ضرورة تحسين علاقاتها مع المعسكر الاشتراكى . ومن هذه الزاوية ينبغى ان ننظر الى النهج الجديد الذى يتبعه فيلى برانت ، والذى يختلف عن نهج الخضوع المطلق للمصالح الامريكية الذى اختطه وسار عليه **كونراد** اديناور ، كذلك ينبغى ان نربطه بالاتجاه العام لتحويل اوروبا الى مركز قوة عالمى جديد ، والى محاولات فيلى برانت لتحقيق التوازن بين المانيا الغربية « كعملاق اقتصادى وكقزم سياسى » وهو الوضع الذى اشار برانت منذ سنوات عديدة الى عدم اتساقه .

ويحذر المراقبون من المبالغة فى ابعاد سياسة فيلى برانت ، صحيح أنه يمثل اتجاها يريد التخلص من سياسة التمادى فى التشدد والحرب الباردة التى تمليها الولايات المتحدة ، وصحيح ان عقد معاهدة عدم الاعتداء مع الاتحاد السوفيتى وتسوية المشاكل المعلقة مع دول المعسكر الاشتراكى يمكن ان تخلق شعورا من الاطمئنان لدى الالمان الغربيين قد يدفعهم الى محاولة التخلص من اعباء نفقات القوات الامريكية الموجودة فى اراضى المانيا الغربية ، وصحيح ان التقارب مع السوفيت حقق ويحقق مصالح اقتصادية معينة (كالاتفاق بين شركة **مانسمان** الالمانية الغربية وشركة



بروسيكو السوفيتية على نقل الغاز الطبيعى من الاورال الى اوربا عبر تشيكوسلوفاكيا والنمسا) . الخ .. الا ان كل ذلك لا يعنى تخلى برانت عن المواقف التقليدية المتشددة ، فقد اعلنت قيادة حزبه فى بيان رسمى صادر من مكتبها السياسى عزمها على المضى فى سياسة العداء الذى لايلين ضد الشيوعية ، ولا يزال برانت يخضع فى الكثير من تصرفاته للمؤسسة العسكرية الالمانية الغربية ، وهى مؤسسة قوية يتزعمها نازيون سابقون وتستند الى جيش قوامه ٦٤٠ر٠٠٠ جندى ، ولايزال ايضا يرسم سياسته على اساس الخضوع لحلف الاطلنطى ، وقد اعلن فى مؤتمر وزراء الحزب ان الارتباط بحلف الاطلنطى مسألة ايجابية ، لانه يترك المجال الاشتراكى الديموقراطى أخيرا مفتوحا امام حل المسألة الالمانية .

المعاهدة البولندية ـ الالمانية الغربية :

وليس من شك فى أن عقد معاهدة عدم الاعتداء بين ألمانيا الغربية وبولندة فى نوفمبر الماضى يعد الخطوة الهامة الثانية فى عام ١٩٧٠ على طريق تخفيف التوتر وتحسن العلاقات بين الشرق والغرب فى القارة ، وقد نصت هذه المعاهدة على اعادة العلاقات الطبيعية بين البلدين ونبذ استخدام القوة فى حل المنازعات والتعاون المتبادل ، كما نصت على اعتراف ألمانيا الغربية بالحدود الغربية لبولندا ـ حدود الادورنيس ، وقد أنهت هذه المعاهدة فى الحقيقة علاقات العداء التقليدى التى سادت بين بولندا وألمانيا الغربية طوال ٢١ عاما . واتفق كذلك على حل مشكلة المواطنين البولنديين من أصل ألمانى الذين يعيشون فى المناطق التى استردتها بولندا ، ويعتبر حل هاتين المشكلتين من المعالم الايجابية للتقدم الذى حدث فى عام ١٩٧٠ على طريق تخفيف التوتر ، وتحسن علاقات الشرق بالغرب فى القارة ، والجدير بالذكر أن فالترشيل وزير خارجية ألمانيا الغربية صرح كذلك عقب توقيع المعاهدة مع بولندا بأنه « لا يستبعد امكانية اقدام بون على اقامة علاقات ديبلوماسية مع دول ألمانيا الغربية لمعاهدتيها مع كل أوربا الشرقية » . كذلك صرح كارل شميت نائب رئيس برلمان ستسيير بنفس السرعة التى سارت بها نحو الاتفاق مع الاتحاد السوفيتى وبولندا ، فى عقد معاهدات مماثلة مع دول أوربا الشرقية الاخرى وفى مقدمتها تشيكوسلوفاكيا والمجر . وعلى أية حال فان عقد ألمانيا الغربية لمعاهدتيها مع كل من الاتحاد السوفيتى وبولندا انما يكتسب أهميته السياسية الخاصة ، ويلقى الضوء على حجم الخطوات الايجابية التى تحققت على طريق تحسن العلاقات بين الغرب والشرق فى ١٩٧٠ .

ايرفورت ومشروع أولبريشت :

على أنه اذا كانت المعاهدتان مع الاتحاد السوفيتى وبولندا ثمرتين ايجابيتين على طريق تقدم العلاقات بين الشرق والغرب فى القارة ، فليس من شك أن اللقاء الذى تم بين الدولتين الالمانيتين فى « ايرفورت » « وكاسل » كان من العوامل الممهدة لتحقيق ذلك التقدم الايجابى فى العلاقات العامة بين الشرق والغرب ، والحقيقة أنه على الرغم من أن هذين الاجتماعين لم يحققا نتائج ملموسة بارزة الا أنهما عبرا عن اتجاه أكثر واقعية من جانب ألمانيا الغربية لتسوية بعض المشاكل المتراكمة مع ألمانيا الديموقراطية ، وكان انعقاد الاجتماعين فى الحقيقة ضربة شديدة للسياسة التى ظل ينهجها

الحزب الديموقراطى المسيحى والحزب المسيحى الاجتماعى لما يزيد عن عشرين عاما تجاه حكومة جمهورية ألمانيا الديموقراطية ، والقائمة على أساس عدم الاعتراف بوجود ألمانيا الديموقراطية ، وبأن ألمانيا الغربية هى الممثل الوحيد لكل الشعب الالمانى .

وقد رد فيلى برانت على هجمات الديموقراطيين المسيحيين على سياسته من هذه الناحية بقوله « ان المسألة ليست اختراعا من جانبى ، وانما هى واقع ملموس يتمثل فى وجود دولتين ألمانيتين .. » . وأن ممارسة السياسة غير الواقعية طوال عشرين عاما لم يؤد الا الى « ازدياد انقسام ألمانيا عمقا ، وارتفاع مكانة جمهورية ألمانيا الديموقراطية » . ان الاهمية السياسية لاجتماعى ايرفورت وكاسيل فى عام ١٩٧٠ تكمن فى أنهما أتاحا الفرصة لتفهم كل طرف لاراء الطرف الاخر ، فلاول مرة منذ قيام الجمهوريتين الالمانيتين ، يجتمع رئيسا الحكومتين لدراسة المسائل الاساسية المتعلقة باقامة علاقات طبيعية بين الدولتين وللعمل على اجراء تسوية دائمة وأساسية للعلاقات بين الجمهوريتين .

ان تبين الموقع الحقيقى لنتائج اجتماعى ايرفورت وكاسيل ، انما يتضح فى نهاية الامر من الموقف الذى يمكن أن يتخذ مستقبلا من مشروع الاتفاقية الذى اقترحه **فالتر أولبريشت** والذى يضع أسس تسوية دائمة للعلاقات بين ألمانيا الغربية وألمانيا الديموقراطية ، وينص هذا المشروع فى خطوطه العريضة على : « الاعتراف المتبادل بين جمهورية ألمانيا الاتحادية وجمهورية ألمانيا الديموقراطية والاتفاق على عدم التدخل فى الشئون الداخلية ، وعدم المساس بالحدود الحالية ، وترشيح الدولتين الالمانيتين لعضوية الامم المتحدة ، واقرارهما بعدم امتلاك الاسلحة الذرية والبكتريولوجية والكيميائية وذلك الى جانب تخفيض نسبة ٥٠ فى المائة من نفقات الدفاع ، ومراجعة ديون جمهورية ألمانيا الاتحادية لجمهورية ألمانيا الديموقراطية مراجعة نهائية واقرارها وكذلك تحمل بون لمختلف التعويضات الناتجة عن الحرب » . وتحديد موقف واضح من كافة هذه المسائل وتسويتها هو الذى يمكن أن يؤثر تأثيرا بالغا على العلاقات بين الشرق والغرب فى أوربا ، تلك العلاقات التى لا يمكن أن تتحسن بشكل ملموس ، اذا استمرت العلاقات فى وسط أوربا مضطربة

مزيد من التقارب الفرنسى — السوفيتى

كذلك فمن أبرز العلامات الايجابية على تطور الموقف السياسى فى أوربا فى عام ١٩٧٠ زيارة الرئيس الفرنسى **جورج بومبيدو** للاتحاد السوفيتى يصحبه **موريس شومان** وزير الخارجية . وقد صدر بيان مشترك بين البلدين **يعد تطويرا للبيان الذى وقعه الجنرال ديجول فى موسكو منذ ٤ سنوات** ، وصدر كذلك **بروتوكول للمشاورات السياسية بين** البلدين يرتقى بهذه المشاورات الى مرحلة أعلى ويقضى باجراء اتصالات فورية تليفونية بين موسكو وباريس فى حالة وقوع أى موقف يهدد السلام ، ويقضى كذلك بأن تكون الاتصالات بين مندوبى البلدين دورية (مرتين فى العام) وهو ما لم يتفق عليه من قبل اثر زيارة الرئيس ديجول لموسكو .

وقد نجحت زيارة بومبيدو فى الحقيقة فى توجيه ضربة أخرى الى الاستراتيجية الامريكية تجاه أوربا والتى ترمى فى الاساس الى زيادة حدة التوتر الدولى وتصعيد حملة العداء والتوتر بين أوربا الغربية والمعسكر الاشتراكى ، فقد جاء فى البيان الفرنسى — السوفيتى المشترك « ان تطوير العلاقات بين الدول الاوربية لا يتميز فى الوقت الراهن بتطور العلاقات الاقتصادية والفنية والثقافية وحدها ، بل كذلك بالجهود التى تستهدف اعادة الحالة الطبيعية الى العلاقات السياسية وتحسينها ، وبضمان الاعتراف بحصانة الحدود القائمة لكل الدول الاوربية واحترام الجميع لهذه الحدود ، واستبعاد التهديد بالقوة أو استخدامها ، مدركين أن الجهود المشتركة فى هذا الاتجاه هى وحدها التى تخلق الظروف اللازمة لتسوية المشاكل المعلقة التى تؤثر على الامن الاوربى ومن ثم تسمح بانهاء انقسام أوربا الى كتل ، وتكفل السلام فى القارة الاوربية » .

على أن من أهم نتائج زيارة بومبيدو للاتحاد السوفيتى ، موافقة فرنسا على مشروع عقد **مؤتمر الامن الاوربى** ، وقد أعلن الجانبان فى البيان المشترك « تأييدهما لمشروع عقد هذا المؤتمر والتحضير له سواء عن طريق الاتصالات الثنائية أو المتعددة الاطراف » وقد أوضح بومبيدو فى الكرملين فى ٧ أكتوبر الماضى « ان الاعداد لهذا المؤتمر يمكن أن يدخل الآن مرحلة عملية » ويعنى ذلك بشكل غير مباشر فى الحقيقة ، أن فرنسا قد تلقت بعض الضمانات ، وأنه توجد امكانيات للاتفاق حول برلين ، لان فرنسا جعلت التقدم فى المحادثات الخاصة ببرلين مقدمة لعقد هذا المؤتمر للامن الاوربى » . وطالب الجانبان كذلك « بأن يستهدف المؤتمر دعم الامن الاوربى عن طريق وضع نظام للتعهدات يستبعد أى لجوء للتهديد باستخدام القوة أو استخدامها

فى العلاقات المتبادلة بين الدول الاوربية » .

ومن أهم نتائج زيارة بومبيدو وكذلك زيادة التعاون الصناعى والاقتصادى بين البلدين ، اذ قرر الجانبان العمل على عقد اتفاقيات طويلة المدى للاستغلال المشترك للمواد الخام الموجودة فى الاتحاد السوفيتى ، وخاصة المعادن غير الحديدية وفحم الكوك ، ومساهمة فرنسا فى بناء مصانع تكرير البترول ومنتجات البترول ، وفى تجديد انتاج عربات النقل السوفيتية ، واشتراك الصناعات السوفيتية فى انشاء مجمع للتعدين فى فوس بالقرب من مارسيليا ، والاتفاق على انجاز مشروعات صناعية ضخمة تتطلب اشتراك المانيا وفرنسا معا فى انجازها ، حسبما أوضح بومبيدو فى ٧ أكتوبر الماضى ، ومما له دلالة كذلك بهذا الصدد ، ما أشار اليه « بودجورنى » فى ٩ أكتوبر الماضى فى « نوفوسيبيرسك » من « أن المصادر الطبيعية فى سيبريا ، تتيح تعاونا فرنسيا سوفيتيا فى مجالات العلم والتكنيك » . وعلى أية حال فان المشروع الفرنسى ـ السوفيتى لصنع سفينة فضاء قمرية ، يدل على اتساع نطاق العلاقات الفرنسية السوفيتية خاصة ، وقد كان الرئيس الفرنسى بومبيدو بعد الجنرال ديجول هو الشخصية الغربية الوحيدة التى أتيحت لها زيارة مركز أبحاث الفضاء السوفيتى فى بمايكونور حيث شاهد هناك تجربة فضائية وأخرى ذات دلالة عسكرية ، على انه اذا كنا قد أشرنا سلفا الى مدى التقارب الفرنسى السوفيتى فانه يتعين علينا فى الحقيقة أن نشير الى بدايات هامة للتقارب السوفيتى البريطانى تمثلت فى زيارة جروميكو للندن ، والى ما يقال من أن المباحثات الرباعية حول وضع برلين تحرز تمثلان بوادر تحولات ايجابية قد يشهدها عام ١٩٧١

التقارب الفرنسى البولندى

وليس من شك فى أن العلاقات بين فرنسا وبولندا قد تقدمت خطوة أخرى الى الامام بزيارة **جاك شابان ديلماس** رئيس وزراء فرنسا لبولندا فى أواخر نوفمبر الماضى ، وقد اتفق فى البيان المشترك الصادر بعد هذه الزيارة على **دعم مقررات البيان الفرنسى ـ البولندى الذى صدر فى وارسو فى ١٢ سبتمبر سنة ١٩٦٧ فى ختام زيارة الجنرال ديجول لبولندا** . كما قرر الجانبان فى البيان المشترك الجديد « مضاعفة الجهود لزيادة التبادل التجارى بينهما زيادة كبيرة ومتناسقة ، وتنمية التبادل والتعاون وبخاصة فى مجال الصناعات الميكانيكية والكهربائية والالكترونية ، وقد أكد الجانب الفرنسى أنه سيعمل على خلق الظروف الملائمة لتنمية هذا التعاون . ورحب الجانب البولندى بذلك ، وأعلن من ناحيته أنه **سيعمل على خلق الظروف الملائمة لتنمية الصادرات الفرنسية فى بولندا** ، واتفق الجانبان على أن تتولى شخصية وزارية مرة كل عام رئاسة وفد كل جانب فى لجنة التعاون الاقتصادى وتعهدا بتنمية تعاونهما الثقافى والعلمى والفنى ، والتنسيق بين الجامعات ومعاهد الابحاث ، بما فيها الابحاث التطبيقية ، وزيادة التعاون السياسى بين البلدين عن طريق المشاورات المنتظمة بشأن المسائل الدولية وبخاصة الاوربية التى تتسم بأهميتها المشتركة للجانبين . وأعلنا فى البيان كذلك « انهما سيوحدان جهودهما سواء على المستوى الثنائى او فى المنظمات العالمية المختصة للعمل فى سبيل الحفاظ على السلام » . وليس من شك على اية حال ، وحسبما تبدى من البيان الفرنسى ـ البولندى المشترك ، ان زيارة **شابان ديلماس** لبولندا تعتبر خطوة الى الامام فى طريق التمهيد لعقد مؤتمر الامن الاوربى .

على اننا نحب أن نشير هنا الى حقيقة هامة وهى انه اذا كان هناك سباق فرنسى ـ ألمانى غربى نحو تطوير وتوسيع العلاقات مع الشرق ، فان ذلك يتعلق الى حد كبير بالمصالح الاقتصادية لهاتين الدولتين ، لانه اذا كانت الصناعة الاوربية الغربية تعانى من منافسة الاحتكارات الامريكية ، وتعانى أيضا من الاتجاه الامريكى الجديد الرامى الى اقامة حواجز جمركية فى وجه منتجات السوق الاوربية المشتركة ، فانه لم يعد من سبيل أمام الاقتصاد الاوربى الغربى ، وفى طليعته الاقتصاد الفرنسى والالمانى الغربى سوى أن ييمم وجهه شطر الشرق .

اختفاء ديجول

على ان عام ١٩٧٠ قد شهد كذلك بوفاة الجنرال **ديجول** ، اختفاء شخصية هامة لعبت دورا كبيرا على مسرح السياسة الاوربية ابان الحرب العالمية الثانية ، وفى الفترة التالية لها ، على ان هذا الاختفاء لم ولن يستتبعه بالضرورة تغييرات فى السياسة الفرنسية ، وذلك من ناحية عملية ، لان الجنرال ديجول كان قد ترك مسرح السياسة الفرنسية قبل وفاته بعامين ، على أن اختفاء ديجول ، لا يعنى انتهاء الديجولية ، لانها أضحت فى السنوات الاخيرة ممثلة للمصالح القومية للامبريالية الفرنسية التى تود أن تفلت بما يسمى بسياستها الواقعية فى أوربا والعالم الثالث ـ من الخسائر الاقتصادية الناجمة عن التبعية للسياسة الامريكية التى تواجه عزلة وعداء متزايدين فى أوربا والعالم الثالث .

تقدم العلاقات الفرنسية ـ اليوغسلافية

وقد تحقق فى عام ١٩٧٠ كذلك **تقدم فى العلاقات الفرنسية** اليوغوسلافية بتوقيع **بروتوكول للتعاون الاقتصادى والصناعى والتكنيكى بين فرنسا ويوغوسلافيا** فى ٢٧ نوفمبر الماضى ، صدر على أثره بيان مشترك نص على أن يكون التعاون بين مؤسسات البلدين فى شكل اتفاقات انتاج مشتركة، لعمليات مشتركة فى الاسواق الاخرى ، وقد أوضح هذا البيان أن امكانيات زيادة التعاون ظهرت فى المجالات التى تم فيها ابرام اتفاقيات بين المؤسسات فى الدولتين كمصانع السيارات والصناعات الميكانيكية والكهربائية والكيميائية ، وفى فروع أخرى كالنحاس والالومنيوم والنيكل وصناعة الحديد والسليلوز ، وبناء السفن والهندسة المدنية ، واتفق الطرفان على تشجيع الاتصالات المباشرة بين مديرى المؤسسات ورجال الاعمال فى الدولتين عن طريق غرفة التجارة الفرنسية اليوغوسلافية ، أو غرفة الاقتصاد والفيدرالية أو عن طريق الاشتراك فى المعارض ، واتفق الطرفان كذلك على برنامج للبعثات والمنح والتدريبات .

مواصلة الحوار اليوغوسلافى ـ الالمانى الغربى

كذلك كانت زيادة **فالتر شيل** وزير خارجية ألمانيا الاتحادية ليوغوسلافيا فى ٢٥ نوفمبر الماضى عاملا من عوامل مواصلة الحوار الذى بدأه المارشال **تيتو** والمستشار الالمانى الغربى **فيلى برانت** فى كولونيا فى أكتوبر الماضى ، وقد تناولت مباحثات شيل مع **ميركو تيبافاك** وزير خارجية يوغوسلافيا مؤتمر الامن الاوربى ، والموقف فى الشرق الاوسط وسياسة دول عدم الانحياز ، كما أثار شيل مع **الوزير اليوغوسلافى** سياسة « الانفتاح على الشرق » التى تتبعها بون واستئناف الحوار مع برلين الشرقية ، على أن أغلب المراقبين السياسيين قد أوضحوا أن موضوع تعويض ضحايا النازية اليوغوسلاف هو الموضوع الرئيسى للمباحثات ، خاصة وأن يوغوسلافيا ـ حسبما أوضحت مجلة « **كومونيست** » اليوغوسلافية « هى البلد الوحيد الذى لم تقم جمهورية ألمانيا الاتحادية بالتزاماتها المادية نحوه » ، وقد اتفق فعلا بين الطرفين على بدء المباحثات الرسمية بشأن هذه المشكلة فى وقت قريب ، كما أعرب فالتر شيل فى ختام زيارته عن تقديره لمستقبل العلاقات بين بلاده وبين يوغوسلافيا بقوله « انها ستستمر فى النمو لصالح الطرفين » .

تقارب رومانى ـ بولندى

على أن التطور الايجابى فى الموقف الاوربى لم يتم فحسب على مستوى المزيد من التقارب بين دول شرق أوربا **وغربها ، وانما تم كذلك فى اتجاه تحسن العلاقات بين بعض دول شرق أوربا التى كانت علاقتها تتسم بالفتور فى السنوات الماضية ، ولعل أوضح مثل على ذلك التقدم فى العلاقات البولندية الرومانية ، اذ تم فى أواخر هذا العام أيضا عقد معاهدة جديدة للصداقة والتعاون والمساعدة المتبادلة بين البلدين**، وقد كانت المفاوضات التمهيدية لتوقيع تلك المعاهدة الجديدة طويلة وصعبة اذ كانت العلاقات بين البلدين لا تزال فاترة بشكل محسوس منذ ١٩٦٧ بعد اقامة العلاقات الدبلوماسية بين بوخارست وبون ، ثم فى ١٩٦٨ بعد الموقف الذى اتخذته رومانيا من تدخل قوات حلف وارسو فى تشيكوسلوفاكيا .

ايطاليا واستمرار أزمة يسار الوسط :

اما فى ايطاليا سنة ١٩٧٠ فقد اتضح أكثر من ذى قبل افلاس سياسة « يسار الوسط » ، باستقالة الوزارة الايطالية الواحدة والثلاثين منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وتتبلور الازمة على المستوى السياسى فى اتساع الخلاف بين الاحزاب الحاكمة على مدى التعاون مع الحزب الشيوعى الايطالى ، وبالنسبة للوضع الاقتصادى فان الازدهار الذى شهدته ايطاليا فى السنوات الخمس الاولى للستينات ، لم ينعكس على الطبقات الشعبية والوسطى بل استأثرت به الشرائح العليا من المجتمع متحالفة مع رؤوس الاموال الامريكية والانجليزية والالمانية ، وقد شهد مارس وأبريل ١٩٧٠ اضرابات واسعة شملت قطاعات ضخمة ابتداء من ممرض المستشفيات والاطباء الى عمال النقل والمواصلات الخ (اشترك فيها ٥ مليون ايطالى) ، كذلك فان ارتباط ايطاليا بالسوق المشتركة كان كارثة للفلاحين الايطاليين الذين تكدست المنتجات الزراعية لديهم دون تصريف ، على أنه اذا كان تطور الاوضاع السياسية فى ايطاليا يكشف عجز سياسة « يسار الوسط » فقد قدمت الانتخابات البلدية والاقليمية سنة ١٩٧٠ بديلا لهذه السياسة ، اذ استطاع فيها الشيوعيون بالتحالف مع قواعد الاشتراكيين (اتجاه بيترونينى) أن يحصلوا على أغلبية ساحقة فى كثير من مجالس الاقاليم والمجالس البلدية .

بريطانيا فى ظل المحافظين :

اما فى بريطانيا فقد وصل المحافظون الى السلطة فى انتخابات يونيو الماضى لا تعبيرا عن ثقة المواطن البريطانى فيهم بقدر ما هو تعبير عن خيبة أمله العميقة فى حزب العمال المنافس الذى ألقى الجزء الاكبر من أعباء المشكلات التى يعانى منها الاقتصاد البريطانى على كاهل المواطن العادى وذلك بوساطة سياسة تجميد الاجور والضرائب غير المباشرة ، وتقييد الانفاق الحكومى وتزايد الاسعار ، على ان المحافظين لم يستطيعوا حتى نهاية ١٩٧٠ الوفاء بوعودهم الخاصة بالاقتصاد البريطانى ، ويتوقع عديد من المراقبين أن حكومتهم ستواجه أزمات اقتصادية حادة فى الشهور القادمة . اما فى السياسة الخارجيةفقد أعلنتالحكومة عن رغبتها فىالمحافظة على علاقاتها الخاصة بدول الكومنولث ، ورفض الانسحاب من شرق السويس ، وبيع الاسلحة لجنوب أفريقيا ، والتفاوض مع الحكم العنصرى فى روديسيا كبديل للعقوبات ، فى نفس الوقت الذى أشار فيه عدد كبير من المراقبين السياسيين الى أن هناك اتجاها ناميا داخل حزب المحافظين يحاول ان يحذو حذو السياسة الديجولية « من أجل انقاذ وضع بريطانيا المتدهور داخليا وأوروبيا وعالميا .

نمو اتجاه استقلال اوربا

وقد شهد عام ١٩٧٠ كذلك **نمو اتجاه استقلال أوربا عن الولايات المتحدة** ، وقد ظهر ذلك فى دورة الربيع لمجلس حلف شمال الاطلنطى وخاصة فيما يتعلق بالموقف الامريكى من مشكلة الشرق الاوسط ، فقد أعربت بلدان البحر المتوسط فى الحلف عن قلقها ازاء التطورات الخطيرة فى الشرق الاوسط نتيجة لمساندة الولايات المتحدة لعدوان اسرائيل ضد البلدان العربية ، وقد طالبت تلك البلدان سواء داخل الاجتماع أو خارجه بان تعمل الولايات المتحدة من أجل تخفيف النزعة العدوانية لتل أبيب التى تسعى الى زيادة التوتر فى المنطقة ، وبدات اوربا فى التحرك فى اتجاه معارضة سياسة الولايات المتحدة ازاء أزمة الشرق الاوسط مما حدا « **بالنيويورك تايمز** » الامريكية لان تقول بان « **هذه التطورات ستؤدى الى نمو القوى المركزية فى حلف الاطلنطى ، وسيتزايد بذلك استقلال اوربا عن واشنطون عما هو عليه الآن** » . كذلك فقد صرح رئيس وزراء ايطاليا اثناء زيارة **نيكسون** الاخيرة لبلاده « بأنه من الضرورة أن يؤكد أثناء زيارة نيكسون أن حلف شمال الاطلنطى لا يتجه على الاطلاق ضد الدول العربية » .

كذلك فان صيغة البيان النهائى لدورة الحلف تعكس تناقضا واضحا بين المصالح الامريكية وبين مصالح أوربا الغربية سواء فيما يتعلق بقضية الامن الاوربىانتهى حلفالاطلنطى بالوضع فى حوض البحر الابيض المتوسط فبالنسبة **لنداء بودابست** حول عقد مؤتمر للامن الاوربى انتهى حلف الاطلنطى الى التقدم بعرض مزدوج ينص بنده الاول على استعداد الحلف لاجراء محادثات استطلاعية ثنائية او ذات أطراف متعددة مع الاتحاد السوفيتى ودول حلف وارسو ، بينما ينص بنده الثانى على التخفيض المتبادل والمتوازن لقوات حلف وارسو والاطلنطى كشرط أو كمقدمة لعقد مؤتمر الامن الاوربى ، وذلك يوضح أن الدبلوماسية الامريكية قد استطاعت برغم أية تناقضات أخرى أن تفرض اقتراحها الخاص « بالتخفيض المتبادل والمتوازن » الذى وصفته « التايمز » « بانه دعاية مضادة للفكرة السوفيتية الخاصة بمؤتمر الامن الاوربى » .

على ان ظهور الاتجاهات الجديدة التى تعبر عن حدة التعارض بين المصالح الامريكية وبين مصالح أوربا الغربية لا تنفى أن حلف الاطلنطى لا يزال كما كان من قبل حلفا عدوانيا ، والحقيقة ان تصاعد الموقف فى الشرق الاوسط مع ازدياد نشاط الاسطول السوفيتى يثير مشاعر قلق عميقة لدى الدول الاوربية المطلة على البحر الابيض المتوسط .

ونجد التعبير عن اتجاه المزيد فى الاستقلال عن الولايات المتحدة ممثلا فى صحيفة « تلجراف » التى يصدرها الحزب الاشتراكى الديموقراطى الحاكم فى ألمانيا الغربية اذ جاء بها « انه يتعين على أوربا أن تسير فى طريقها الخاص ، وأن تحرر نفسها من التبعيةلرؤوس الاموال الامريكية، ومن أى نفوذ سوفيتى ، ان العلاقة مع الولايات المتحدة بحاجة الى اعادة نظر ، ذلك انه يجب الكف عن اعتبار الولايات المتحدة عاملا دائما ومطلقا من عوامل التحرك » وقد عبرت عن نفس الحقيقة صحيفة « لورورو » الفرنسية حين قالت « أن الطريق الوحيد هو اقامة أوربا غربية موحدة تكون قوتها السكانية والاقتصادية وربما العسكرية فى مستوى الدولتين الاعظم ، وبظهور هذه القوة الثالثة ستختفى مشكلة الكتلتين المتعاديتين » . وهكذا يزداد

الصوت ارتفاعا داخل أوروبا الغربية مطالبا بتوحيدها لتصبح قطبا ثالثا على المسرح العالمى يستطيع أن يقول كلمة مسموعة فى سير الاحداث •

جولة نيكسون ودور أمريكا المشئوم :

وقد حاولت الولايات المتحدة بجولة نيكسون الاخيرة فى أوربا العمل على كسب بلدان حلف الاطلنطى الى صف السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط ومحاولة استعراض قوة الولايات المتحدة فى البحر الابيض المتوسط للتأثير على الصراع العربى الاسرائيلى فى الاتجاه الذى يخدم الولايات المتحدة ، الا أن هذه المحاولة الاستعراضية فشلت بوفاة الرئيس عبد الناصر والغاء مناورات الاسطول الامريكى السادس ، ويجمع أغلب المراقبين السياسيين على أن « رحلة نيكسون الى البحر الابيض المتوسط كانت من أفشل الزيارات التى قام بها نيكسون •

وذلك يلقى الضوء من ناحية أخرى على موقف ممثلى وزارة الدفاع الامريكية فى حلف الاطلنطى ، اذ بدأ هؤلاء الممثلون ، وكرد فعل لما أصبحت تقابل به سياسة الولايات المتحدة فى الحلف ، بدءوا يلجأون الى الابتزاز والضغط على الدول الاوربية الاعضاء فى الحلف لكى تصدر القرارات التى تناسب هؤلاء الممثلين ، وقد علقت صحيفة **برافدا** السوفيتية أخيرا على انعقاد مجلس وزراء حلف الاطلنطى بقولها « ان **البنتاجون** يطالب هذه الدول بأن تزيد من اعتماداتها بصورة جذرية للاغراض العسكرية ، وأن تزيد كذلك من جهود قواتها المسلحة » وذلك يلقى الضوء فى الحقيقة على الدور الذى تقوم به الولايات المتحدة لعرقلة جهود الدول الاوربية نحو تخفيف التوتر واقامة علاقات التعاون والصداقة فيما بينها وهو الاتجاه الذى غلب على نشاط هذه الدول على مستوى القارة الاوربية عام ١٩٧٠ ، ويلقى الضوء أيضا على مساعيها العدوانية من أجل اعادة جو الحرب الباردة فى أوربا ، والعمل على منع عقد مؤتمر الامن الاوربى الذى يلاقى أكثر فأكثر تأييدا من أغلب الدول الاوربية •

اعفاء جومولكا !!

وفى أواخر العام اثار اعفاء **فلاديسلاف جومولكا** اثر الاضطرابات العمالية التى حدثت فى المدن البولندية الواقعة على ساحل بحر البلطيق مخاوف عديد من المراقبين السياسيين على تطور العلاقات بين الشرق والغرب فى اوربا . وكان مصدر تخوفهم ان تؤدى مثل هذه الاحداث الى احياء مناخ الحرب الباردة والصراع العنيف بين الغرب والشرق فى القارة ، الامر الذى تجدد بصورة ملموسة وبخاصة ازاء المانيا الغربية عقب تدخل قوات حلف وارسو فى تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٦٨ . الا ان الفارق هنا هو ان قيادة الحزب الشيوعى البولندى استطاعت تدارك الموقف بسرعة وتولى **ادفارد جيريك** المعروف بنجاحاته فى توجيه اقتصاد **سيليزيا** منصب السكرتير الاول للحزب البولندى خلفا لجومولكا. وليس من شك فى ان الاضطرابات التى قامت بها قطاعات من الطبقة العاملة فى المدن المذكورة عقب قرار القيادة السابقة برفع الاسعار ، اوضحت بعض القصور فى تطبيق مبدأ المشاركة الديموقراطية للعمال فى تحديد السياسة الاقتصادية .

وقد اوضحت صحيفة « **تريبيونا لودو** » الناطقة باسم الحزب الشيوعى البولندى فى ٢٢ ديسمبر الماضى « ان هذه الاحداث ترجع جزئيا الى مفهومات خاطئة فى السياسة الاقتصادية للبلاد ، وانه ينبغى القضاء على الاسباب التى أدت الى وقوع تلك الاحداث عن طريق مواجهة الحقائق والشروع فى اجراء مشاورات واسعة مع الطبقة العاملة والمثقفين واحترام مبادىء القيادة الجماعية والديموقراطية فى حياة الحزب وفى داخل السلطات العليا للدولة » . كذلك أوضح **ادفارد جيريك** السكرتير الاول الجديد للحزب فى ٢١ ديسمبر الماضى « ان بعض الحلول التى اتخذت للقضاء على هذه الازمات [الاقتصادية] لم تكن مدروسة وان القيادة الجديدة ستسعى لعلاجها » . واشار الى انه « ينبغى ان نستلهم سياستنا العامة والاقتصادية بصفة خاصة من الواقع . وان نعتمد على استفتاء شعبى واسع النطاق سواء بين جموع الشعب العامل او المثقفين ، كما يجب ان تحترم المبادىء الرفاقية والديموقراطية داخل الحزب » . الا ان جيريك انتقد كذلك « العناصر الاجرامية غير الاجتماعية المعادية للاشتراكية التى كونت خطرا جسيما على البلاد » ابان الاحداث الاخيرة . وعلى اية حال فقد

قرر السكرتير الاول للحزب انه « سيعاد النظر فى الخطة الاقتصادية لعام ١٩٧١ » وستتخذ اجراءات « فى صالح العائلات ذات الكثرة العددية التى تأثرت قدرتها الشرائية بسبب الارتفاع الاخير فى الاسعار » •

وليس من المتوقع على اغلب احتمال ان تؤدى التغيرات التى حدثت فى قيادة الحزب والحكومة فى بولندا الى توتر الموقف الاوربى نظرا لان ادفارد جيريك وعناصر القيادة الجديدة من المؤمنين تماما بسياسة تخفيف التوتر بين الشرق والغرب فى القارة وباستمرار السياسة القائمة على اعادة العلاقات الطبيعية مع المانيا الاتحادية ومواصلة استلهام الروح التى أملت عقد معاهدة عدم الاعتداء بين بولندا والمانيا الغربية •

الولايات المتحدة الامريكية

الوجه الحقيقى لريتشارد نيكسون

- ازدياد عمق الازمة
- تدهور الانتاج
- فشل مواجهة التضخم •
- ازدياد العاطلين
- انخفاض الاجور الحقيقية
- اتساع موجة الاضرابات (٥٩٠٠ اضرابا) •
- زيادة الضرائب
- ازدياد الجرائم
- « فتنمة » الحرب بدلا من انهائها •
- كمبوديا ووجه نيكسون الحقيقى •
- مؤيدون لحركة معاداة الحرب ، فى الكونجرس والحكومة •
- زيادة اعتمادات التسليح
- مزيد من الاتجاه نحو اليمين •
- الارهاب والقمع الواسع •

ربما كانت القيمة الايجابية لعام ١٩٧٠ بالنسبة للولايات المتحدة هو انه كشف بجلاء ، زيف ادعاءات **ريتشارد نيكسون** عن سعيه من أجل السلام واحلال **عصر المفاوضة محل عصر** المواجهة ، اذ جاءت كل تطورات **السياسة الامريكية مناقضة** بوضوح لكل التعهدات التى قطعها ريتشارد نيكسون على نفسه ابان الحملة الانتخابية من أجل الرئاسة الامريكية •

وربما لم ينكشف زيف ادعاءات أى رئيس أمريكى آخر بمثل السرعة التى انكشفت بها دعاوى نيكسون الخادعة ؛ لانه لم يضيع وقتا فى الحقيقة فى سبيل أن يجسد عباراته المعسولة فى الحملة الانتخابية ، فى سياسة عدوان دموى سافر ضد الشعب وحركات التحرر الوطنى فى الخارج ، وفى سياسة قمع عنيفة للشعب الامريكى فى الداخل •

فخلال معركة انتخابات الرئاسة عام ١٩٦٨ ، أفاض نيكسون فى وعوده للامريكيين بحل المشاكل المعقدة التى يعانى منها المجتمع الامريكى ، وفى مقدمتها انهاء الحرب فى فيتنام وقال « اذا ما كانت حكومة **جونسون** عاجزة عن انهاء تلك الحرب ، فان عليكم أن تنتخبوا حكومة جديدة ، وسننهى تلك الحرب ، ونتجنب فيتناما أخرى فى المستقبل (نيوزويك ١١ مارس سنة ١٩٦٨) • كما حاول خلال تلك المعركة أن يقدم نفسه فى ثوب الحمل الوديع على عكس ما عرف عنه من قبل من يمينية متطرفة **فقال :** « ان القضايا الثلاث التى تحرك جماعة الكويكرز هى السلام والحقوق المدنية والتسامح • ولهذا السبب فاننى كواحد من أعضاء جماعة الكويكرز لا يمكن أن أكون متطرفا أو عنصريا او صقرا لايعرف المهادنة (يواس نيوز آند

ورلد ريبورت فى ١٥ يوليو ١٩٦٨) • وعندما تسلم نيكسون مهام منصبه كرئيس للولايات المتحدة : **ألقى خطابا بهذه** المناسبة وعد فيه بانهاء الحرب فى فيتنام ، وباحلال عصر من المفاوضات محل عصر المواجهة ، وبتوحيد الامة التى عانت من التفكك والصراع ، ولقد تسلم نيكسون الحكم فى فترة ساد فيها الاضطراب ، وأعمال العنف فى المجتمع الامريكى ، وتعاظمت موجة المعارضة والسخط ضد حرب فيتنام ، ونجح نيكسون خلال عام ١٩٦٩ فى أن يخلق لدى الامريكيين والعالم انطباعا بأنهم ازاء « نيكسون جديد » تخلى عن مفاهيمه السابقة وعن ماضيه الذى يتعارض تماما مع تصريحاته الاخيرة •

وقد تمكن نيكسون من خداع الكثيرين من خلال الامال العريضة التى استمر يروج لها • ولكن حكومة نيكسون فى الحقيقة ، لم تتقدم بأية خطوات عملية نحو تحقيق ما وعدت به فى بداية حكمها ، مما دفع بكثير من المعلقين السياسيين لان يتنبأوا بأن عام ١٩٧٠ سيشهد متاعب خطيرة لحكومة الولايات المتحدة ، وقد صدقت توقعاتهم ، اذ كشف عام ١٩٧٠ عن تطورات هامة فى سياسة حكومة نيكسون أدت الى زيادة المشاكل التى يواجهها المجتمع الامريكى تعقيدا ، وبالتالى الى تزايد معارضة الرأى العام الامريكى لحكومة نيكسون • وفى سبتمبر سنة ١٩٧٠ ، عبرت صحيفة « **لوس انجلوس تايمز** » ، وهى احدى الجرائد المؤيدة لنيكسون عن ذلك صراحة عندما كتبت تقول « لقد بدأت الشكوك تنشأ حول قدرة الرئيس نيكسون على تحقيق أى من **أهدافه التى أعلنها عند بداية** حكمه : وهى الحد من التضخم ، والحد من التدهور الاقتصادى ، والحد من الجرائم ، وتحقيق السلام داخل الامة وخارجها فى فيتنام » •

ازدياد عمق الازمة الاقتصادية :

وقد كانت الازمة الاقتصادية من أهم القضايا التى شغلت الرأى العام الامريكى، بل والعالمى خلال العام الماضى ، وكانت أبرز عناصر تلك الازمة هى :

● تدهور الانتاج الصناعى بنسبة ٣ر٣ فى المائة •

● رغم تخفيض معدل النمو لم ينجح نيكسون فى الحد من التضخم كما كان يتوقع ، واستمرت اسعار السلع الاستهلاكية فى الارتفاع ، وبلغت الزيادة فى الاسعار ٥ر٦ فى المائة عام ١٩٧٠ وهو معدل لم يسبق أن حدث من قبل خلال فترات الكساد الاقتصادى ، ويرجع هذا الارتفاع المضطرد فى الاسعار الى تصعيد العمليات الحربية فى جنوب شرقى آسيا ، والتكاليف الباهظة لسياسة التسليح وما يرتبط بها من زيادة النفقات العسكرية ، ولقد كانت النفقات العسكرية عام ١٩٦٥ حوالى ٦ر٤٩ بليون دولار ، فارتفعت عام ١٩٦٩ الى حوالى ٣ر٨١ بليون دولار •

● زاد عدد العاطلين حوالى مليون شخص خلال عام ١٩٧٠

● انخفضت الاجور الحقيقية حوالى ٥ فى المائة منذ بداية ١٩٦٩

● تدهورت أرباح الاحتكارات حوالى ١٣ فى المائة •

● تدهورت أسعار الاوراق المالية حوالى ٣٠ فى المائة •

● فشلت كل محاولات موازنة الميزانية ، واضطر وزير الخزانة الى أن يصرح فى مايو ١٩٧٠ بان العجز سيستمر فى ميزانية البلاد •

وتعتبر الازمة الحالية من أقسى الازمات التى مرت بها الولايات المتحدة منذ الثلاثينات ، رغم ان الانتاج لم يتدهور بعد الى مستوى ازمات ٤٩ ــ ٥٠ ، ٥٧ ــ ٥٨ ، ورغم اصرار حكومة نيكسون على انكار وجود الازمة فقد اتخذت بالفعل اجراءات لمواجهتها ، وكان برنامجها مشابها لحد كبير لسياسة **هربرت هوفر** » فى مواجهته لازمة ٢٩ ــ ٣٢ ، وارتكزت سياسة نيكسون لمواجهة الازمة على حماية أقوى المجموعات الاحتكارية فى الولايات المتحدة من الخسائر المترتبة على الازمة ، ومن أجل ذلك اعتمد بليون دولار لحماية سوق الاوراق المالية من المضاربة ، كما ابرمت الحكومة عقودا بعدة ملايين من الدولارات من أجل برامج جديدة للتسليح مع احتكارات **روكويل ، وجنرال الكتريك ، وبوينج** •

وليس هناك شك فى أن تلك السياسة انما تضيف أعباء جديدة على الطبقات الكادحة ، وتحد من برامج الاصلاح الاجتماعى وتدفع بسياسة البلاد الخارجية نحو اتجاهات اكثر عدوانية •وقد فشلت كل الجهود التى بذلت للتغلب على الازمة ، واضطر نيكسون فى النهاية أن يعترف بها صراحة فى حديثه التليفزيونى فى ١٧ يونيو ١٩٧٠ حول مشاكل السياسة الاقتصادية حين قال : « لقد زادت البطالة ، والاسعار فى ارتفاع مستمر ، والارباح تتناقص ، وهناك كساد فى سوق الاوراق المالية ، وأسعار الفائدة مرتفعة للغاية » •

الاثار الاجتماعية للازمة :

ومع تفاقم الازمة الاقتصادية تتزايد الاعباء التى يتحملها

الشعب الامريكي ويواجه ظروفا قاسية تزداد تدهورا يوما بعد آخر .

وتعتبر البطالة أحد المؤشرات الاساسية للازمة ، وقد زاد عدد العاطلين بصورة ملحوظة عام ١٩٧٠ ، « فبينما كان عدد العاطلين عام ١٩٦٩ حوالى ٢ر٣ مليون شخص أى حوالى ٤ فى المائة من مجموع القوى العاملة ، ارتفع هذا الرقم عام ١٩٧٠ ليصل الى ١ر٤ مليون شخص أى حوالى ٥ فى المائة من القوى العاملة ، وبينما تبلغ نسبة البطالة بين البيض ٦ر٤ فى المائة نجدها تصل الى ٨ فى المائة بين الزنوج . ووفقا لكثير من التوقعات سوف تصل نسبة البطالة خلال عام ١٩٧١ الى ٧ فى المائة أو ٨ فى المائة ، وهذا يعنى أزمة حادة حتى بالمقاييس الامريكية » (انترناشونال هيرالد تريبيون) .

● **وبالاضافة الى** تفاقم البطالة يعانى الشعب الامريكى ظروفا معيشية بالغة القسوة ، ويشير السناتور «**جوزيف كلارك**» الى أن حوالى ٧٧ مليون أمريكى تقريبا ، أى حوالى ٢/١ السكان يعيشون فى ظروف الفقر والحاجة ، ويتحمل الزنوج العبء الاكبر من الفقر والحاجة ، اذ تصل أجورهم الى ٥٣ فى المائة من أجور البيض ، كما تصل نسبة الوفيات بين الاطفال الزنوج الى ١٤٠ فى المائة بالمقارنة مع البيض . ولا يمكن أن يكون اتساع موجة الاضرابات الا تعبيرا عن الظروف البالغة القسوة التى يواجهها العمال الامريكيون ، فبينما كان عدد الاضرابات عام ١٩٦٧ حوالى ٤٦٠٠ اضراب وصل عام ١٩٧٠ الى ٥٩٠٠ تقريبا ، وباءت كل الجهود لاقناع العمال بعدم اللجوء الى الاضراب بالفشل ، وقد قدرت « **يواس نيوز اندورلد ريبورت** » عدد الذين اشتركوا فى اضرابات عام ١٩٧٠ بحوالى ٥ ملايين شخص .

والى جانب ذلك ارتفعت الضرائب بشكل ملحوظ ، اذ بلغ متوسط ما يدفعه كل فرد من السكان فى الولايات المتحدة من ضرائب عام ١٩٧ حوالى ١٥٠٠ دولار ويزيد ذلك عن ضعف ما كان يدفعه منذ عشر سنوات .

ورغم ما وعد به نيكسون فى خطابه الاول من ضرورة اتخاذ اجراءات فعالة للحد من الجريمة ، توضح الارقام الرسمية أن **الجريمة فى ازدياد مستمر** ، وقد زادت خلال السنوات السبع الاخيرة حوالى ٨٨ فى المائة وخاصة جرائم القتل البشعة لعائلات بأكملها ولشخصيات سياسية ونقابية بارزة ، وليس ذلك بالامر المستغرب اذا ما عرفنا أنه يوجد فى الولايات المتحدة فى حوزة الافراد حوالى ١٠٠ر٠٠٠ سلاح مرخص بالاضافة الى ٥٠ مليون قطعة سلاح اخرى ، وعلينا ان نتصور ما يمكن أن يؤدى اليه مثل هذا العدد الضخم من الاسلحة فى ظروف الازمة الاقتصادية وتفشى البطالة وانتشار الارهاب البوليسى ضد أى اتجاه للمعارضة الليبرالية ، أو الديموقراطية فى الولايات المتحدة .

توسيع الحرب العدوانية تحت دعوى السعى للسلام :

ان الحرب العدوانية التى تشنها الولايات المتحدة فى فيتنام تكلفها شهريا ٢٥٠٠ مليون دولار وتقدر الارقام الرسمية عدد الضحايا من الامريكيين بما يزيد عن ٣٥٠ الفا ما بين قتيل وجريح ، فكم يبدو ذلك باهظا بالنسبة للشعب الامريكى . لقد ادرك الشعب الامريكى ان حرب فيتنام هى أحد الاسباب الرئيسية للتضخم وللازمة الاقتصادية والاجتماعية التى يعانى منها ، ولذلك طالبت الجماهير العريضة بوضع حد لتلك الحرب ، ودار الصراع فى انتخابات الرئاسة عام ١٩٦٨ اساسا حول هذه المشكلة ، **وكان الوعد الاساسى الذى قطعه نيكسون على نفسه هو انهاء الحرب فى فيتنام . لكن** سرعان ما تبنى نيكسون **سياسة فتنمة الحرب** ، وحاول أن يقنع قسما هاما من الرأى العام الامريكى انه عن طريق سياسة الفتنمة سينتهى الى حل لمشكلة الحرب ، ولم تكن سياسة الفتنمة فى حقيقتها سوى محاولة من جانب القوى الرجعية والمحافظة فى الولايات المتحدة للمحافظة على استمرار الحرب مع نقل ثقل القتال على اكتاف حكومة سايجون بهدف تخفيف العبء على الجنود الامريكيين وتدعيم المؤخرة — الامريكية للحرب ، وتهدئة الرأى العام الساخط على الخسائر الضخمة فى الارواح وعلى نفقات الحرب الباهظة . وبدأ نيكسون تحت ستار الفتنمة يشن حملة واسعة من اجل زيادة التسليح ، وجاء قراره بغزو كمبوديا كتبرير لسياسة التسلح ، لكن هذا الغزو ادى الى نتائج عكسية تماما ، لقد كشف التدخل الامريكى فى كمبوديا وتوسيع نطاق الحرب فى جنوب شرقى آسيا ليشمل فيتنام ولاوس وكمبوديا عن حقيقة السياسة الخارجية للولايات المتحدة ، وعن حقيقة سياسة الفتنمة . **وكان غزو كمبوديا اكبر صدمة هزت الرأى العام العالمى ، بل والامريكى ، وبدأت تزيح النقاب عن الوجه الحقيقى لسياسة نيكسون** .

ان **توسيع** الحرب فى الهند الصينية وغزو كمبوديا قد أثار الشكوك فى سياسة نيكسون الخارجية واثار سخطا واسعا فى صفوف الرأى العام الامريكى ، وهكذا اشتعلت مرة اخرى الحركة المعادية للحرب التى تضم جماهير عريضة من المثقفين والزنوج والطلبة ، والتى

بدأت تجد مؤيدين لها حتى داخل الكونجرس وبين كبار رجال الحكومة ، فلقد عارض وزير الداخلية « **والتر هيكل** » غزو كمبوديا ، وكتب احتجاجا شديدا الى نيكسون ، كما استقال مستشار نيكسون لشئون الشباب « انطونى **موفيت** » كما احتج حوالى ٢٥٠ من كبار الموظفين على اقدام حكومة نيكسون على مثل هذا التصرف الذى يعتبر توسيعا لسياسة الحرب والعدوان والذى يتعارض مع كل الوعود التى قطعها نيكسون على نفسه من قبل والتى كان يحلو له أن يتغنى بها فى بداية عهده ٠

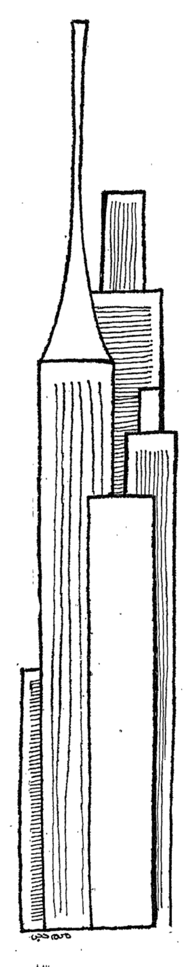
والى جانب توسيعها للعدوان فى جنوب شرقى آسيا ، عمدت حكومة نيكسون الى مساندة وتصعيد العدوان فى الشرق الاوسط حتى تبرر عمليات التسليح الواسعة لاسرائيل ، **وهكذا ينتهى وعد نيكسون باحلال عصر من المفاوضات محل عصر المواجهة الى زيادة اعتمادات التسليح بهدف توسيع ومساندة عمليات العدوان فى الشرق الاوسط وجنوب شرقى آسيا** ٠

مزيد من الاتجاه نحو اليمين

تحت دعوى النظام وسيادة حكم القانون :

وكان من الطبيعى مع تزايد وطأة الازمة على الشعب الامريكى ، ومع تزايد افتضاح سياسة الحرب والعدوان ، ان تتسع المعارضة لحكومة نيكسون ليس فقط على مستوى الحركة الجماهيرية وانما داخل اجهزة الحكم نفسها ، فبعد أحداث كمبوديا نشطت الحركة المعارضة للحرب ، لتلتحم بحركة الزنوج دفاعا عن الحقوق المدنية ، وبحركة العمال دفاعا عن رفع مستوى أجورهم ، وهكذا بدأت أقسام عريضة من المجتمع الامريكى تتجمع على ارضية المعارضة لحكومة نيكسون ، وفى نفس الوقت بدأت تبرز خلافات هامة حول السياسة الخارجية داخل الاجهزة الحاكمة نفسها ، وجدت تعبيرا عنها فى الصراع الذى نشب بين الرئيس نيكسون وبين الكونجرس فلم يقف هذا الصراع عند حد توجيه الانتقادات الى سياسة نيكسون ، وانما وصل الى حد رفض الكونجرس الموافقة على عدد من الاعتمادات الخاصة بالحرب ، ورفضه منح سلطات مطلقة للرئيس دون الرجوع للكونجرس ، ولقد أثارت المعارضة الليبرالية داخل الكونجرس مشاكل جمة أمام الحكومة رغم انها لم تنجح فى ممارسة تأثير حاسم على المجرى الرئيسى لسياسة الحكومة ٠

ورأى نيكسون أن السبيل الى حماية سياسة العدوان الخارجية وتأمين اعتمادات التسلح الباهظة يفرض عليه ضرورة التغلب على حركة المعارضة المتعاظمة ضد حكومته ، وتحت اسم المحافظة على النظام وسيادة القانون شن حملات ارهابية واسعة النطاق على المعارضة الجماهيرية ، فأطلق الرصاص على الطلبة وفرق المظاهرات بالقوة ، وقام باضطهادات واسعة ضد حركة الزنوج ومنظمة الفهود السود ، وبدأ هجوما واسعا ضد الحركة النقابية مستخدما ابشع الاساليب ، للتخلص من قادتها التقدميين وصلت الى حد اغتيال قائد عمال التعدين « **جوزيف يابلونسكى** » وزوجته وابنته فى



متزلة ، كما القى بخيرة القادة النقابيين والعناصر الديموقراطية المعارضة داخل السجون فى انحاء الولايات المتحدة ، وتعالت صيحات المحافظة على الامن واقرار النظام ، وسيادة حكم القانون وخاصة من جانب العناصر المعنة فى اليمينية من أمثال « اجنيو » نائب الرئيس ، لتبرير حملة الارهاب الواسعة التى أطلقتها الحكومة للقضاء على المعارضة الجماهيرية ، ولقد سعى نيكسون خلال الانتخابات الاخيرة الى العمل متعاونا فى ذلك مع الاتجاهات اليمينية فى الحزب الديموقراطى الى التخلص من المعارضة الليبرالية والقى عليها خلال الحملة الانتخابية مسئولية ما سماه بالفوضى التى تشهدها الولايات المتحدة فى الفترة الاخيرة ، وقد نجح نيكسون بالفعل بفضل مساعدة الإتجاه المحافظ فى الحزب الديموقراطى من التخلص من بعض العناصر الليبرالية داخل الكونجرس ، وفى أن يحقق من خلال الانتخابات تحولا أكبر نحو اليمين ، رغم ان ذلك ربماتم على حساب الحزب الجمهورى الذى عجز عن أن يحصل على الاغلبية داخل الكونجرس ، غير أن الاتجاه نحو اليمين داخل الولايات المتحدة لابد وأن يكون هو الوجه الاخر والطبيعى المكمل لسياسة العدوان الخارجى التى تتبعها حكومة نيكسون .

آسيا

الصين تنفتح من جديد على العالم

توسيع نطاق العدوان أثناء مفاوضات « السلام » !

أما آسيا فقد شهدت توسيع نطاق الحرب فى الهند الصينية وامتدادها الى كمبوديا بعد قيام الولايات المتحدة وعملائها بالاحاطة بالنظام المحايد للامير نورودوم سيهانوك ، كمحاولة لتعويض الهزيمة الضخمة التى منوا بها فى لاوس ، اذ كانت قوات ثوار لاوس قد نجحت فى احتلال سهل القوارير واكتسحت قوى اليمين فى شمال غربى لاوس كله ، ووصلت حتى حدود تايلاند ، واستولت على مناطق واسعة فى جنوب وجنوب غربى لاوس .

وقد كان الغزو الامريكى لكمبوديا من اجل انقاذ حكم لون نول — سيريك ماتاك الذى بدأ يتهاوى سريعا تحت ضربات ثوار كمبوديا ، بمثابة فشل استراتيجى كبير للولايات المتحدة . ويرى كثير من المراقبين المتابعين لشئون الهند الصينية ان الولايات المتحدة ، لم يلحق بها فشل عسكرى وسياسى واضح وسريع فى الهند الصينية طوال السنوات الماضية كالذى لحق بها مباشرة نتيجة للغزو الامريكى لكمبوديا فى أول مايو سنة ١٩٧٠ . فقبل الغزو الامريكى لم يكن الشيوعيون الكمبوديون وانصار سيهانوك المتحالفون معهم يسيطرون الا على بعض المعاقل الكمبودية ، أما بعد الغزو فقد أصبحوا يسيطرون على ثلثى البلاد وعلى عدد من المدن الاستراتيجية المحيطة بالعاصمة وعلى مقاطعات كمبودية بأسرها واصبحت قوات الثوار هناك تهدد العاصمة نفسها .

— الهند الصينية
— الغزو الامريكى لكمبوديا .
— تايلاند تدخل خضم الصراع .
— وحدة حركات التحرر الثلاث .

— الصين الشعبية :
— الانفتاح على العالم بعد الثورة الثقافية .
— دخول عصر الفضاء
— فى الطريق الى الامم المتحدة .

— الهند :
— حركة المطالبة بالارض .
— بدء ظهور العنف الثورى

— اندونيسيا :
— وفاة سوكارنو
— وفاة سوكارنو وانتهاء « ناساكوم » .

— اليابان :
— ظهور التناقض الامريكى — اليابانى .
— احياء العسكرية اليابانية .

تايلاند تدخل خضم الصراع :

كذلك فقد دفعت الولايات المتحدة **بتايلاند** أخيرا الى خضم الصراع لمعاونة نظام لون نول المتداعى ، وانضمت فعلا قوات تايلاند الى قوات حكومة الانقلاب فى اقصى شمال كمبوديا • ولكن تايلاند لم تنجح فيما فشل فيه الغزو الامريكى فى كمبوديا بل ان تدخل تايلاند فى كمبوديا أدى الى توسيع نطاق حرب العصابات فى تايلاند نفسها ، وقد اتسع النضال الثورى المسلح فى هذا البلد ليشمل ١٣٠ مركزا فى ٣٣ اقليما •

وبالنسبة لتقييم الافاق المترتبة عن مد نطاق الحرب الى كمبوديا اوضح **الجنرال الفرنسى بوفر** « ان مد نطاق الحرب الى كمبوديا يضاعف الخطر الذى يهدد الامريكيين فى فيتنام الجنوبية التى تعد ميدانا اوسع مما يجب بالنسبة لقوات سايجون **لانه كلما زادت المساحة ، كلما اصبحت الحرب الثورية أكثر سهولة** » •

ومن الناحية السياسية أدى الانقلاب اليمينى فى كمبوديا الى **تحول الامير نوردوم سيهانوك عن خط مجابهة الشيوعيين واليسار الثورى** فى بلاده الذى كان يشجع عليه ويدفعه اليه اليمين الكمبودى وبخاصة منذ سنة ١٩٦٧ منذ ان تولى الجنرال لون نول رئاسة الحكومة فى **بنوم بن ، الى خط التعاون مع الشيوعيين واليسار الثورى لا فى كمبوديا وحدها ، وانما فى الهند الصينية بأسرها ، وفى شرق اسيا الاقصى عامة** • واذا كانت الصين الشعبية تعمل دائما على طرد قوات الاستعمار الامريكى بعيدا عن ابواب الصين الشمالية والجنوبية ، فقد أضحى سيهانوك الان من اصدق اصدقائها فى القارة الاسيوية وعن مبعث هذه الصداقة يقول سيهانوك « ان الاسلحة التى احتاج اليها المقاتلون الكمبوديون قد جاءتهم من الصين وكوريا الشمالية اللتين تقدمان ايضا المعدات الحربية والادوات اللازمة ، اما مدربنا الاكبر فهو الجنرال جياب » (٣ يوليو ١٩٧٠) كذلك تكون أثر الانقلاب العميل للولايات المتحدة جيش التحرير الوطنى فى كمبوديا ، والجبهة الوطنية المتحدة بزعامة سيهانوك وحكومة وحدة وطنية يعمل ٣ من وزرائها وهم وزير الداخلية والاعلام والدفاع ، وكلهم شيوعيون من داخل الاراضى الكمبودية نفسها •

وحدة حركات التحرير :

على انه اذا كان مد نطاق الحرب الى كمبوديا هو أبرز احداث سنة ١٩٧٠ فى الهند الصينية ، فقد ادى **فى الحقيقة** من حيث لا تريد الولايات المتحدة ومن الناحية الموضوعية **ــ الى تحطيم الحواجز التى كانت تمنع وحدة الكفاح المعادى للامبريالية لشعوب الهند الصينية وادى الى وحدة اليسار الثورى فى الهند الصينية** متمثلا فى وحدة حركات التحرير المسلحة فى فيتنام ولاوس وكمبوديا تلك الوحدة التى تجلت على أوضح ما يكون فى مؤتمر القمة لشعوب الهند الصينية الذى عقد فى جنوب الصين فى ابريل ١٩٧٠ على مقربة من حدود دول الهند الصينية الثلاث •

الصين الشعبية

الانفتاح على العالم بعد الثورة الثقافية :

ولقد كان عام ١٩٧٠ بالنسبة للصين الشعبية هو عام **انفتاحها من جديد على العالم ودخولها عصر الفضاء بانطلاق قمرها الصناعى الاول** • فقد اعادت الصين فى عام ١٩٧٠ ٢٢ سفيرا من ٢٤ سفيرا كانت قد سحبتهم من مختلف دول العالم ابان الثورة الثقافية ، وقال بزيارة الصين عدد كبير من رؤساء الدول الوطنية الفتية فى اسيا وافريقيا بالاضافة الى عدد من القادة والساسة الاوروبيين من بينهم **دى مورفيل** رئيس وزراء فرنسا الاسبق وعديد من الشخصيات الثقافية والاقتصادية الاوروبية الهامة • كما بعثت الصين بسفير جديد الى الاتحاد السوفيتى ، وأعلن المسئولون الصينيون بعدها أكثر من مرة **ان الخلافات الايديولوجية بين الحزبين الشيوعيين السوفيتى والصينى لاينبغى ان تحول دون اقامة علاقات طبيعية بين الدولتين** • وتابعت بنشاط ملموس مساندة حركات التحرير الاسيوية والدول الوطنية الفتية فى افريقيا فقدمت مساعدات ضخمة للامير سيهانوك وثوار كمبوديا والمقاومة الفلسطينية وغيرها من حركات التحرير المسلحة ، واحتضنت مؤتمر القمة لشعوب الهند الصينية الذى عقد على أراضيها • وقدمت مساعدات اقتصادية **للسودان واليمن الجنوبية** وغيرها من الدول الافريقية والاسيوية وبدأت فى تنفيذ خط حديد **تانزانيا ــ زامبيا (١٧٠٠ كم)** ووقعت فى ١٩٦٩ ــ ١٩٧٠ أكثر من ٦٦ اتفاقا للتعاون الاقتصادى والفنى مع ١٨ دولة من دول العالم الثالث ، بالاضافة الى اعادة علاقاتها **مع غانا** واعتزام « **شواين لاى** » رئيس وزراء الصين القيام بجولة فى عدد من الدول الاسيوية والافريقية الصديقة • وبدأت الصين تهتم بمسألة عضويتها فى الامم المتحدة ، وتخلت عن شروطها السابقة **بضرورة نقد** الامم المتحدة لنفسها على **موقفها** من الصين ، ووضعت خطة لزيارة عدد آخر من المسئولين الصينيين لمختلف دول العالم واتخذت من حصول قرار الموافقة على دخولها الامم المتحدة الذى

حصل على الاغلبية المطلقة (٥١ صوتا) نقطة انطلاق لعمل سياسي واسع ، واقترحت عقد مؤتمر دولي لمنع الاسلحة الذرية في حين كانت قد ردت من قبل دعوة يوثانت لها في ١٩٦٨ لحضور مؤتمر الدول غير النووية دون الاطلاع عليها ·

دخول عصر الفضاء :

كذلك ، فمن ابرز معالم ١٩٧٠ بالنسبة للصين التى دخلت من قبل مجال الدول النووية هو دخولها مجال عصر الفضاء بنجاحها في اطلاق أول قمر صناعي صيني · وقد كان ذلك النجاح مفاجأة كاملة للمراقبين الغربيين الذين كانوا يصرون على اعتبار الصين متخلفة تكنولوجيا عن الغرب الى الحد الذى لا يسمح لها بانجاز هذه الخطوة في مثل هذا التوقيت ، حتى على الرغم من التقدم السريع الذى حققته في مجال الطبيعة النووية ، ويمكن قياس نجاح الصين الشعبية بصورة أفضل ، اذا ما ذكرنا أن اليابان بقاعدتها الصناعية الضخمة ، لم تنجح في اطلاق قمرها الصناعي الذى يحمله صاروخ ياباني ، الا بعد سلسلة من التجارب الفاشلة ·

وترى الدوائر الامريكية المختصة أن الوقت الذى ستتمكن فيه الصين من اطلاق الصواريخ عابرة القارات لتهدد بها الولايات المتحدة قد يحين قبل الميعاد الذى كان متوقعا له وهو سنة ١٩٧٥ في حين يتوقع المراقبون المختصون في واشنطون أن تجرب الصين قريبا جدا نوعين من الصواريخ يبلغ مدى كل منهما ٥ آلاف ميل ·

ويفسر عدد كبير من المراقبين السياسيين اتجاه الصين للانفتاح على العالم ، باعتباره نتيجة لمزيد من ثقة الصين بنفسها · وترجع تلك الثقة الى عدة عوامل · منها **النجاح في البناء الداخلي وبخاصة في المجال الاقتصادي** حيث طبقت الصين في خطتها الثالثة التى تنتهى ١٩٧٠ الصيغة السليمة للتنمية انطلاقا من واقع بلد متخلف ، تلك الصيغة التى تقوم على أساس اعطاء الزراعة الاهمية التى تستحقها ، والتركيز على الزراعة كأساس للتنمية الصناعية المتوازنة · وقد بدا النجاح الصيني في اغراق كثير من الاسواق بالسلع الصينية وفي مسارعة كثير من الدول الرأسمالية المتقدمة للاتجار معها برغم ضغوط الولايات المتحدة ، وبخاصة من دول أوربا الغربية الكبرى كفرنسا وألمانيا الغربية وغيرها ، كذلك فان **نجاح الصين في كسر طوق الحصار الامريكي المضروب حولها اقتصاديا وسياسيا وتجاريا يدفعها الى المزيد من الثقة والانفتاح** · وقد بلغ الامر حد مطالبة بعض كبار رجال الصناعة في الولايات المتحدة نفسها ، الحكومة الامريكية بتغيير سياستها تجاه الصين كيلا تفقد الولايات المتحدة السوق الصينية العملاقة (٧٥٠ مليون نسمة) وتفوز بها اليابان وأوربا الغربية · وقد ظهر بين هذه الاوساط الصناعية والتجارية في الولايات المتحدة شعار « **لا تخسروا الصين مرتين ، مرة لماوتسى تونج ، ومرة لاوربا الغربية** » ·

كذلك فمن أسباب هذا الانفتاح الذى بدأ جليا في عام ١٩٧٠ هو انتصار خط ماوتسى تونج في قيادة وبناء الصين · ذلك أن الصين انشغلت منذ عام ١٩٦٦ في ثورتها الثقافية البروليتارية الكبرى وفي الصراع الداخلي العنيف بين خط ماوتسى تونج وخط خصومه الايديولوجيين · فلما تحقق لقيادة الثورة الصينية ، تصفية القوى المناوئة لها سياسيا وتم تدعيم خط ماوتسى تونج وتوحيد الصين كلها بقوة وحماس كبيرين وراء هذا الخط ، أمكن حينئذ



متابعة الاشعاع الصينى فى آسيا والعالم ، والاتجاه من جديد الى الانفتاح استنادا الى قاعدة داخلية قوية . كذلك ساعد عليه استقرار الاوضاع الحربية بعد عقد المؤتمر التاسع للحزب الشيوعى الصينى ، وانتظام عمل الاجهزة الحزبية واستقرار القواعد التنظيمية فى أخطر جهاز يقوم بقيادة وبناء الصين اليوم .

فى الطريق الى الامم المتحدة :

كذلك تقدمت قضية ادخال الصين الامم المتحدة خطوة ملموسة الى الامام وبخاصة فى الربع الاخير من عام ١٩٧٠ بعد اعتراف كندا وايطاليا وأثيوبيا بها واقامة علاقات دبلوماسية معها . واتجاه المزيد من دول العالم الى الاعتراف بالصين وتبادل التمثيل الدبلوماسى معها وبوجه عام ، فان خط المستقبل بالنسبة للصين هو المزيد من الانفتاح على العالم الخارجى ، والمزيد من النجاحات فى البناء الداخلى . وان التجربة الصينية فى ١٩٧٠ لتكتسب فى الحقيقة أهمية وهيبة متزايدتين لا فى العالم الثالث فحسب وانما بين خصومها الغربيين كذلك . ويبدو الاعجاب بنجاح الصين فى عمال البناء الداخلى وبوسائلها الخلاقة فى الانجاز ، واضحا فى تعليقات العديد من المراسلين الصحفيين والدبلوماسيين الغربيين على العملية الضخمة التى تجرى حاليا لتحويل نهر « ونيو » والسيطرة على مياه نهر « **هاى** » اللذين دعا اليهما الرئيس ماو . وقد تم بناء سدود على هذه الانهار يبلغ طولها ١٨٠٠ كم . كما يبدو نفس الانطباع والتقدير أيضا فى التعليق الذى أدلى به « **بيير كومباريه** » مراسل وكالة الانباء الفرنسية وهو يغادر أراضى الصين أخيرا الى بلد مجاور تابع للغرب . يقول كومباريه : ويمر هذا الجسر حين يعود المرء من الصين ، سرعان ما يصطدم فجأة بتلك العاهات التى نساها منذ أشهر ، مثل ازدحام المدن ، وتكدس المرور ، والبقشيش والدخان ، والتدافع والرشوة ، والمنافسة التجارية القاتلة ، والاباحية الرخيصة ، وعبادة المال وتعالى الموظفين .

الهند

حركة المطالبة بالارض :

أما ابرز احداث الهند عام ١٩٧٠ فهو **حركة الفلاحين الهنود من أجل الاستيلاء على الارض** ، وتستهدف هذه الحركة فرض تنفيذ قوانين الاصلاح الزراعى فى حوالى ٩٠ مليون هكتار (٢٠٠ مليون فدان) من الاراضى التى حددت ملكيتها بالفعل ثم ظلت بدون تنفيذ لعشرات السنين ، تحت ضغط كبار ملاك الاراضى والفلاحين الاغنياء الذين يشكلون على حد تعبير مجلة **زور دويتشة** الالمانية الغربية « أقوى جبهة للاثرياء فى أى بلد ديموقراطى فى العالم » تحول دون اصلاح الاوضاع الاقتصادية الخطيرة لجماهير الفلاحين الفقراء ، وتجمد القوانين الاصلاحية التى تصدرها الحكومة ، فبعد ٢٣ عاما من الاستقلال وبعد مئات القوانين مازالت الارض بين الاقطاعيين (٢ر٣ فى المائة من الملاك يملكون ٦ر٢٣ فى المائة من الارض) كذلك فان الاوضاع الاجتماعية فى شبه القارة الهندية تتسم بأقصى درجات التفاوت (٢٠ فى المائة من السكان يملكون ٥٥ فى المائة من الثروة) والزراعة فيها عاجزة عن أن تقوم بدور المورد والسوق للصناعة .

بدء ظهور العنف الثورى :

ازاء هذه الاوضاع قاد الحزب الشيوعى الماركسى اللينينى المؤيد للصين **حركة مسلحة فى البنغال** للاستيلاء على الارض وعلى الرغم من القضاء على هذه الحركة فى مراحلها الاولى فانها فجرت مشكلة الارض فى الهند بعنف لم تعد بعده قابلة للحل عن طريق الوعود والطرق الادارية . وشهد الريف الهندى بعد ذلك حركة فلاحية تلقائية تستلهم مبادىء غاندى عن العصيان المدنى ، قام فيها الفلاحون المعدمون والعمال الزراعيون بالفعل ، بوضع أيديهم على أراضى الحكومة وتقسيمها فيما بينهم واقامة القرى والمساكن الجديدة عليها ، وتم بالفعل حتى شهر مايو ١٩٧٠ الاستيلاء على ٠٠٠ر٢٠٤ هكتار من الاراضى الحكومية ـ وقد تصدى الحزب الشيوعى الهندى ـ المؤيد للسوفيت ـ لقيادة وتنظيم هذه الحركة ومدها بآلاف المتطوعين المناصرين للاصلاح الزراعى فى عمال المدن والطلاب ومختلف قطاعات الشعب الهندى وشاركت المرأة الهندية بنشاط فى هذه الحركة ، واشترك فيها حزبا « **براجا** » و « **سامبوكتا** » الاشتراكيان . ولم تعد الحركة تقتصر على الاراضى الحكومية بل امتدت لتشمل أراضى كبار الملاك والاراضى التى تمتلكها الاحتكارات الصناعية الكبرى .

وعلى الرغم من أن جميع الاحزاب والتنظيمات التى شاركت فى الحركة قد أعلنت « ان الحركة بطبيعتها حركة سلمية لا تلجأ الى العنف » فان بعض كبار الملاك واجهوها بالرصاص فى أكثر من منطقة ، كما لجأت السلطات المحلية الى عمليات الاعتقال التحفظى بالجملة للمتطوعين (٠٠٠ر١٧ معتقل فى الايام الخمسة الاولى ، من بينهم عدد كبير من أعضاء البرلمان الهندى ورؤساء الاحزاب وأعضاء المجالس والحكومات المحلية) ومع ذلك تم الاستيلاء بالفعل على ٥٢٠ر٤٢ هكتارا فى ٣٠ مقاطعة ..

وفى النهاية توصلت الهيئة البرلمانية لحزب المؤتمر فى اجتماعها الخاص بمناقشة حركة الاستيلاء على الارض الى انه

على الحكومة المركزية أن تستولى هى على الملكيات الكبيرة ، وأن تقوم بتوزيعها على الفقراء ، وانه بدلا من ترك المبادرة فى يد الحزب الشيوعى المؤيد للصين والاحزاب اليسارية الاخرى ، فانه على حزب المؤتمر أن يبدأ حركة سلمية لتوزيع الارض بأساليب شرعية • وعلى أية حال فقد وضعت حركة الاستيلاء على الارض بادرة خطيرة فى شبه القارة الهندية ، وأثارت أكبر تحرك جماهيرى فى الريف الهندى ، ووضعت مشكلة الارض فى هذا البلد الشاسع على أبواب حلها الحقيقى الامر الذى سيكون له دون شك تأثير على مستقبل تطور واتجاه القوى الحاكمة والمعارضة فى هذا البلد وسيكون له تأثيره كذلك على الاستقطاب المتزايد للقوى السياسية فى شبه القارة الهندية •

سيلان : هزيمة ساحقة لليمين :

والى الجنوب من شبه القارة الهندية ، حققت السيدة « **سيريمافو باندرانيكة** » وحزبها «**سرى لانكا الحرية**» بالتضامن مع أحزاب اليسار التى شكلت جبهة شعبية اعلنت برنامجا موحدا — انتصارا ضخما على اليمين فى سيلان فى سنة ١٩٧٠ فحصل حزب باندرانيكة على ٩٠ مقعدا فى الانتخابات الاخيرة ، فى حين تدهور حزب « **دادلى سينانيكة** » اليمينى ، **وهو الحزب الوطنى المتحد** ، فلم يحصل سوى على ١٧ مقعدا فحسب • وتولت السيدة باندرانيكة رئاسة حكومة جبهة وطنية فى سيلان ، وقررت اتخاذ الخطوات لاعلان سيلان جمهورية حرة مستقلة ذات سيادة ولانهاء ولائها للتاج البريطانى • وقررت حكومتها الاعتراف بجمهورية فيتنام الديموقراطيةوكوريا الديموقراطية والحكومة الثورية المؤقتة لفيتنام الجنوبية ، ووقف العلاقات مع اسرائيل ، ومساندة كل حركات التحرر الوطنى ، وتأميم البنوك الاجنبية ، والسيطرة على الوكالات البريطانية الكبيرة التى تدير مزارع المطاط وجوز الهند والشاى ، واتخذت اجراءات حاسمة ضد الاحتكارات العالمية التى تملك ٣/٤ مزارع الشاى فى سيلان •

واستطاعت باندرانيكة هزيمة الاتجاهات العنصرية والطائفية اثر عودتها الى الحكم مرة أخرى بعد أن حصلت على أكبر اغلبية حصل عليها حزب فى تاريخ سيلان •

اندونيسيا : وفاة سوكارنو وانتهاء « ناساكوم »

أما فى أندونيسيا سنة ١٩٧٠ فقد انطوت بوفاة الرئيس الاندونيسى السابق **أحمد سوكارنو** صفحة من صفحات نضال الشعب الاندونيسى وتاريخ أندونيسيا ، وانطوت معها — وهو الامر الاكثر دلالة وعبرة — تلك المحاولة التاريخية لبناء اندونيسيا متحررة على أساس مبدأ سوكارنو عن « **جبهة ناساكوم القومية** » التى تضم الوطنيين والشيوعيين والاحزاب الدينية ، والحقيقة أن هذا المفهوم كان قد صفى فعلا من اندونيسيا قبل وفاة صاحبه بعدة سنوات ، ومنذ نجاح اليمين الموالى للغرب فى ضرب الوطنيين والشيوعيين بعد انقلاب سبتمبر ١٩٦٥ الذى أنهى سلطة سوكارنو الفعلية وصفى نظامه القائم على ما يسمى « بالتوازن بين اليمين واليسار » •

اليابان : ظهور التناقض الامريكى — اليابانى :

أما فى اليابان فقد اتسم عام ١٩٧٠ بظهور **بوادر انتهاء شهر العسل بين الاحتكارات الامريكية واليابانية** ، وتزايدت دلائل رغبة اليابان فى التخلص من وضعيتها « كمحمية امريكية » ورغبتها فى الارتقاء الى مرتبة الشريك •

فبعد أن قطعت الاحتكارات اليابانية شوطا هائلا فى عمليات التركز والتمركز ، وحققت تراكما من الارباح لابد من ايجاد مجال لاستثماره ، وبعد ان حققت ضخامة الانتاج اليابانى وجودته ورخص تكاليفه قدرة تنافسية ضخمة ، بعد كل ذلك لم تعد اليابان تقنع بدور التابع أو الشريك الاصغر للولايات المتحدة فقد أصبحت ثالث دولة صناعية فى العالم بل تفوقت بعض فروعها الصناعية على الصناعة الامريكية حتى داخل الولايات المتحدة نفسها (كالاجهزة الكهربائية ، والمنسوجات والاحذية) مما أضر بالصناعات الأمريكية ، فبسبب المنسوجات اليابانية الرخيصة والجيدة ، فقد ٦٥٫٠٠٠ عامل أمريكى عملهم لنقص الطلب على انتاجهم ، كما أثرت الواردات من اليابان على ميزان المدفوعات الامريكى • ومن ناحية أخرى شددت اليابان القيود على ورود رؤوس الاموال اليها بعد أن تراكم لديها ما يغنيها عن استيرادها (اذ يبلغ التراكم ٣٨٫٦ فى المائة من الناتج القومى) •

وقد بدأت بوادر الحرب الاقتصادية بين الولايات المتحدة واليابان تظهر فى **المضايقات التى تشنها أمريكا ضد اليابان فى مسألة وضع حصة لما تستورده أمريكا من النسيج والملابس** من كل دولة مستخدمة فى ذلك كل الضغوط الممكنة • وتبدو خطورة حرب « النسيج » الامريكية هذه اذا علمنا أن **ثلث صادرات اليابان الى أمريكا من المنسوجات والملابس اليابانية اى ان اليابان مهددة بان تخسر نحو سبعة الاف مليون دولار سنويا** • وربما تكون مسألة حصص النسيج والحرب الاقتصادية القادمة هى أهم شىء يشغل بال الرأى العام اليابانى اليوم وهى تتعدى نطاق العلاقات الاقتصادية لتدخل فى اطار العلاقات السياسية بين اليابان والولايات المتحدة •

فرجال الصناعة الامريكيون الذين يضعون قدما واحدة فى باب الاقتصاد اليابانى يريدون فتح هذا الاقتصاد على مصراعيه ، ومن ثم غزو الصناعة اليابانية وشراءها ـ لا مزاحمتها فقط ـ كما فعلوا مع الصناعة الاوربية ، ويرون أن الطريقة الوحيدة لفتحه هو الضغط الاقتصادى او الابتزاز الاقتصادى ، كما يرون انه ليس من حق اليابان ان تغزو صناعاتها ، السوق الامريكية ، وان تستولى على سوق النسيج والملابس تقريبا ، دون أن تسمح بحرية حركة الصناعات ورءوس الاموال الامريكية ٠

وقد أصابت محاولة الابتزاز والضغط الامريكية عن طريق حرب النسيج ، اصابت اليابانيين بشعور حاد من عدم الثقة فى مدى قدرتهم على الاعتماد على الولايات المتحدة ٠ وقد كان ذلك دون شك أحد البواعث التى دفعت اليابانيين الى مراجعة سياساتها عامة وتجاه الولايات المتحدة خاصة ، لتوفير الوقاية والحماية اللازمين ازاء مثل هذه الاخطار المحدقة ٠ وربما يكون ذلك أحد العوامل وراء مراجعة اليابان لسياستها تجاه الصين الشعبية ٠ خاصة وقد سافر الى الصين الشعبية فى ٩ ديسمبر الماضى وفد برلمانى من اعضاء الحزب الليبرالى الديموقراطى ، والاشتراكى ، والاشتراكى الديموقراطى ، للعمل على تنمية التجارة مع الصين الشعبية واعادة العلاقات الدبلوماسية معها ٠

كذلك فمن ابرز الملاحظات على اليابان التى انهت العام الاول من السبعينات **هو تزايد دورها فى التجارة العالمية ، ويتوقع الخبراء ان تصبح اليابان القوة التجارية الثانية فى العالم** ٠ ومن ثم لابد من نشوب صراع جديد حول « اعادة تقسيم العالم » تجاريا تستخدم فى سبيل اتمامه كل الوسائل من المواجهة الاقتصادية والسياسية التى قد تتطور على المدى الطويل ، الى مواجهة عسكرية خاصة وان معدل الزيادة فى تجارة اليابان يبلغ سنويا ١٥ر٦ فى المائة **ولاشك ان مصالح اليابان الاقتصادية ستدفعها خلال السنوات القادمة الى بعض المواقف الاستقلالية عن السياسة الامريكية** ، وستزداد المواجهة حدة سواء بينها وبين أمريكا أو بينها وبين الدول الاوربية وبالذات حول أسواق بلدان العالم الثالث التى قد تقدم اليابان لها شروطا أكثر تساهلا ٠

احياء العسكرية اليابانية :

وقد وضح خلال عام ١٩٧٠ كذلك ، **الاتجاه لاحياء العسكرية اليابانية** ٠ والمتتبع للصحف اليابانية ولتصريحات المسئولين فى العام الماضى يتبين كثرة الحديث عن « **القوة الوطنية** » و « **مشكلة الدفاع القومى** » ، وقد دفع الامريكيون اليابانيين الى تكوين جيش مزود بأحدث الاسلحة وانشاء وتطوير صناعة حربية راقية أصبحت تسد ٨٠ فى المائة من حاجة القوات اليابانية بالاضافة الى ٠٠٠ر٢٠ مهندس وتكنيكى فى الصناعة الذرية ٠ **وترغب أمريكا من وراء ذلك بالطبع فى قيام اليابان بدور الحارس للمصالح الامريكية فى المنطقة** ٠ وبخاصة فى حالة انسحاب الجيوش الامريكية من جنوب شرقى آسيا وتخفيض القوات الامريكية فى آسيا عامة بعد انتهاء حرب فيتنام ٠

وتستعد اليابان بالفعل للقيام بدور أكبر فى المجال العسكرى كما فى المجال التجارى والاقتصادى على الاقل بالنسبة للقارة الاسيوية ، وهى تتطلع كما يقول برنامج الحزب الحاكم هناك « **الى قيادة الباسفيك** » وقد ترددت انباء عديدة حول انشاء **حلف شمال شرقى آسيا** من البلدان التابعة للولايات المتحدة فى تلك المنطقة بزعامة اليابان ٠

وعلى أية حال ، ففى الوقت الذى شهد فيه عام ١٩٧٠ **تجديد** معاهدة الامن اليابانية الامريكية ، واعادة « **أوكيناوا** » الى اليابان ، مع احتفاظ الولايات المتحدة « بحق استخدام » القاعدة ، قررت الحكومة كذلك ربط حجم النفقات العسكرية بالميزانية وبحركة الانتاج الوطنى الذى يزداد سنويا فيما بين ١٠ الى ١٤ فى المائة ٠ لهذا يمكن التاكيد بان **حجم الجيش اليابانى سوف يزداد الى الضعف خلال ستة أو سبعة اعوام ٠ ولكن الواقع يشير ايضا الى ان الجيش اليابانى سيزداد كل عام بمعدلات اسرع لانه قد تقرر رفع نسبة النفقات العسكرية من ٩ر فى المائة الى ١ر١٥ فى المائه بالنسبة لمجموع الانتاج الوطنى حتى سنة ١٩٧٥** ٠ وانه على الرغم من كل ما صرحت به الحكومة اليابانية حول عدم قبولها اعادة تسليح البلاد ، فانها قد وضعت ما سمى **بخطط الدفاع الخمسية** وتنتهى الخطة الثالثة منها فى نهاية عام ١٩٧١ حيث يصبح بحوزة اليابان دفاع مضاد للطائرات لا يستهان به ، وكذلك عدد من الطائرات المقاتلة التى تفوق سرعتها سرعة الصوت ، وفرقة صواريخ من طراز **نايك ـ اجاكس** ٠

اما باكستان ، فقد شهدت فى عام ١٩٧٠ أكبر انتخابات فى تاريخها ، لانها اول انتخابات يتمتع فيها ٥٦ مليون مواطن باكستانى بحق التصويت ٠ وقد فاز حزب « **عوامى** » الذى يتزعمه الشيخ « **مجيب الرحمن** » باغلبية مقاعد المجلس النيابى وذلك بعد فوزه الساحق فى باكستان الشرقية ٠ أما حزب **الشعب** الذى يتزعمه **على بوتو** فى باكستان الغربية فقد فاز بأغلبية المقاعد فى برلمان باكستان الغربية ولكنها اغلبية لا تتيح له الحصول على الاغلبية العامة فى البرلمان ككل ٠

ويرى عدد كبير من المعلقين السياسيين ان هذه النتيجة تعكس الاتجاه لرفض التشكيلات

السياسية القديمة وبشكل خاص « **الرابطة الإسلامية** » التى خسر مرشحوها فى عدد من معاقلها ، كما يرون ان كبار ملاك الاراضى بدأوا يفقدون سيطرتهم على اصوات الطبقات الفقيرة فى قراهم ، وان الانتخابات تعد تعبيرا عن الاحساس بالمشاكل الاجتماعية والاقتصادية التى اثبتت التشكيلات السياسية القديمة عجزها عن حلها .

والمهمة التى تواجه البرلمان الجديد هى وضع دستور جديد . ويمكن لحزب عوامى الذى حصل على الاغلبية فى البرلمان ان يستغنى بالفعل عن مساندة حزب الشعب ، وفى هذه الحالة قد يتعرض الدستور الذى يوافق عليه اقليم واحد (لان حزب عوامى يسيطر فى باكستان الشرقية) للرفض من جانب رئيس الدولة الذى لابد من تصديقه على الدستور .

والقضية المطروحة بعد انتخابات سنة ١٩٧٠ **هى امكانية ائتلاف هذين الحزبين الكبيرين** — ومن هذه الناحية فأن على بوتو ليس لديه اعتراض على الدعوة الى الحكم الذاتى التى يروج لها الشيخ مجيب الرحمن الامر الذى يتيح امكانية التفاهم بين الاثنين فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية ، **ولكن العقبة التى تقف فى طريق التفاهم هى السياسة الخارجية** . لان على بوتو من انصار التشدد تجاه الهند كما انه اكتسب شعبية بصفته بطلا للنضال المناهض للهند ، فى حين ان الشيخ مجيب يدعو الى التفاوض معها لتخفيف التوتر من اجل استئناف العلاقات التجارية بين البلدين . ويرى المعلقون السياسيون ان الولايات المتحدة والهند هى التى تستطيع ان تحول دون اتفاق حزب الشعب وحزب عوامى وذلك بهدف عرقلة الصداقة بين باكستان والصين التى اكد الرئيس يحيى خان اخيرا انها حجر الزاوية للسياسة الباكستانية .

لقد انتهى عام ١٩٧٠ ووكالات الانباء العالمية تشير الى ازدياد النشاط « اليسارى المتطرف » فى شمال باكستان الشرقية . فى الوقت الذى اخذ **مولانا باشانى** زعيم حزب « **عوامى الوطنى** » المعروف بمناصرته للصين يشن حملة عنيفة على الحكومة المركزية لموقف اللامبالاة الذى تتخذه من مشكلة وجود القوات المسلحة الانجليزية والامريكية فى باكستان الشرقية ، وانتقد الحكومة الامريكية بشدة واعلن ان « باكستان الشرقية » هى هدف المخططات الامبريالية التى تعمل الحكومة الامريكية على تحقيقها . اما من الناحية العامة فقد شهدت باكستان فى عام ١٩٧٠ كارثة الاعصار المدمر الذى راح ضحيته عشرات الالاف من ابناء شعبها .

الشرق الاوسط

إسرائيل تعرقل محادثات يارنج

— من غارات الاعماق الى الدفاع الصاروخى .
— المبادرة الامريكية كسب للوقت وستار لتسليح اسرائيل
— اسرائيل والولايات المتحدة تنسقان المبادرة الامريكية .
— قرار الجمعية العامة .. انتصار جديد للعرب .
— الحق العربى يجد مساندة فعالة على النطاق الدولى .
— « تعريب » الحرب بدلا من مواجهة العدو .
— أحد عشر تنظيما فدائيا .
— أزمة سبتمبر الدامية
— القيادة الواحدة للعمل الفدائى .
— مواجهات جوية سورية واختراق بالمدرعات
— المؤامرة الجديدة فى الاردن .

مع بدايات ١٩٧٠ وضعت أمريكا واسرائيل فى التطبيق مخططا للحرب النفسية على المستويين العسكرى والسياسى بهدف النيل من الروح المعنوية لشعب مصر واجبار حكومتها على التراجع عن موقفها فى التمسك بقرار مجلس الامن ، وعلى قبول وقف اطلاق النار فى جبهة القناة بهدف الحصول على تسليم ضمنى باحتلال القوات الاسرائيلية لسيناء ، وتحويل هذا الاحتلال الى أمر واقع بمضى الزمن .

فعلى المستوى العسكرى بدأت اسرائيل بتصعيد عملياتها العدوانية على طول جبهة القناة كما توسعت فى غارات الاعماق وضرب الاهداف المدنية وصرحت جولدا مائير « بأن غارات اسرائيل لابد وأن تضعف مركز النظام المصرى فى البلاد ، وتجبر المصريين على قبول السلم » .

وهذا ما أدركته مصر منذ الوهلة الاولى حينما أشار السيد **أنور السادات** الى « أنه من المتوقع أن يقوم العدو بغارات على نطاق واسع والى أعماق أبعد فى المرحلة الحالية بغرض النيل من الروح المعنوية العربية كجزء من مخطط الحرب

النفسية » . وعلى عكس ما توقع المخطط الاستعماري الصهيوني لم تؤد غارات الاعماق الى اضعاف معنويات الشعب ، وانما على العكس أدت الغارات البربرية على مصنع المنتجات المعدنية بأبي زعبل وعلى مدرسة بحر البقر الابتدائية ، والتي راح ضحيتها عشرات من العمال والاطفال والمدنيين الابرياء ، الى رد فعل غير موات لاسرائيل ، فقد أثارت تلك الغارات موجة من الاستياء والاستنكار على نطاق العالم ، وساعدت فى فضح طبيعة السياسة الاسرائيلية العدوانية ، وفى كسب مزيد من الاصدقاء الى جانب الحق العربي ، كما أثارت فى داخل البلاد حقد الشعب على المعتدين واصراره على تحرير الارض المحتلة .

وفى مواجهة غارات الاعماق التى استعادت كفاءتها ورفعت من هجماتها على طول جبهة المدفعية بصورة أصابت شددت القوات المسلحة العربية استعدادها القتالى بدرجة كبيرة القناة ، وتصاعدت معارك استحكامات العدو بخسائر كبيرة ، كما زاد نشاط فدائيى منظمة سيناء خلف خطوط العدو ، حيث وجهوا اليه ضربات مفاجئة ، ولمواجهة نشاط مدفعيتنا وفرق الكوماندوز على طول جبهة القناة لم يجد العدو بدا من تكثيف غاراته وتشديد هجمات سلاحه الجوى على مواقع قواتنا ، وتصدى سلاحنا الجوى ووسائل دفاعنا الجوى لتلك الهجمات ، وأثبت سلاحنا الجوى كفاءة قتالية كبيرة .

وعندما أصبح تصاعد المعارك على طول جبهة القناة ينذر بأن يتحول الى حرب شاملة ، أعلنت الولايات المتحدة أن الخطوة الاولى لتجنب اتساع المعارك وتفجر الحرب هو باحترام قرار وقف اطلاق النار من كلا الجانبين ، وأن الدول الاربع الكبرى يجب أن تبحث عن وسيلة لفرض احترام وقف اطلاق النار فى جبهة القناة . وهكذا اتضحت نوايا أمريكا واسرائيل من تصعيد العمليات العسكرية فى جبهة القناة ، وما لبث الرئيس الراحل **جمال عبد الناصر** أن أعلن « بأنه لا بديل لاستمرار القتال غير انسحاب اسرائيل من الاراضى المحتلة ، لان وقف اطلاق النار معناه قبول العرب لمواصلة احتلال اسرائيل لاراضيهم » .

كما أعلن الاتحاد السوفيتى فى مواجهة ذلك المخطط بأنه سوف يزيد مساعداته العسكرية للدول العربية اذا ما استمرت اسرائيل فى تصعيد عملياتها العسكرية ، وبدأ الاتحاد السوفيتى بالفعل فى تدعيم الاسطول السوفيتى فى البحر الابيض المتوسط ، كما قدم للجمهورية العربية المتحدة شبكة الدفاع الجوى الصاروخى لمساعدتها على التصدى لسلاح الطيران الاسرائيلى وابطال فاعليته . وبمجرد اقامة القواعد الصاروخية الاولى داخل البلاد توقفت غارات الاعماق ، وصرح **موسى ديان** وزير الدفاع الاسرائيلى بأن ازدياد القدرات الدفاعية فى العمق المصرى ضد غارات الطائرات الاسرائيلية يتيح الفرصة للقوات المصرية على جبهة القناة كى تقوم بعمليات جديدة ضد القوات الاسرائيلية ، وسرعان ما امتدت شبكة الدفاع الصاروخية فى أنحاء البلاد وزحفت حتى منطقة القناة ، وبدأت طائرات السلاح الجوى الاسرائيلى التى كانت منيعة من قبل تتهاوى بعد أن أصبحت فى متناول قواعد الصواريخ الجديدة ، مما دفع ك . **تالر** مراسل اليونايتدبرس الى القول بأن ميزان القوى العسكرية يتحول حاليا ضد اسرائيل ، لقد أدت اقامة شبكة الدفاع الصاروخى الى شل فاعلية الطيران الاسرائيلى ، مما أفقد اسرائيل نقطة تفوقها الاساسية ، وسمح لمدفعيتنا أن تجد الحماية الكافية كى تدك التحصينات الاسرائيلية فى سيناء .

وازاء هذا التغير فى توازن القوى العسكرية لصالح ج . ع . م سافر **أبا ايبان** وزير خارجية اسرائيل الى واشنطن ليبحث مع **نيكسون** ما يجب اتخاذه من اجراءات لمواجهة التغير فى ميزان القوى على أثر المساعدات العسكرية التى قدمها الاتحاد السوفيتى ، وصرحت الولايات المتحدة بأنها ستعمل بكل ما أوتيت من قوة لضمان بقاء اسرائيل وسلامة أمنها ، وفى ظل هذا الموقف المعقد الذى بدأ ينذر بانفجار حرب شاملة فى الشرق الاوسط نشطت الدوائر العالمية التى تهتم باقرار السلام فى المنطقة ، بحثا عن سبيل يفتح الطريق لتسوية سلمية وعادلة فى الشرق الاوسط على أساس قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ .

المبادرة الامريكية كسب للوقت وستار لتسليح اسرائيل :

وفى ظل هذا الوضع أعلنت الولايات المتحدة عن مبادرتها الجديدة لحل الازمة ، والتى عرفت باسم **مقترحات روجرز** ، وكانت ترمى من وراء تلك المقترحات الى التظاهر أمام الرأى العام العالمى بمظهر الدولة الساعية الى السلام ، فى الوقت الذى تقوم فيه بتعزيز اسرائيل عسكريا ومدها بأحدث الاسلحة الالكترونية والطائرات لمواجهة شبكة الدفاع الصاروخية المصرية ، وكانت الولايات المتحدة تهدف من وراء مقترحاتها الى انتزاع المبادرة فى المجال الدولى حتى تشل من فاعلية القوى الدولية التى يمكن أن تنشط من أجل فرض حل عادل للازمة ، كما كانت متأكدة حسب تقديراتها من أن ج . ع . م سوف ترفض المقترحات ، مما يعزز موقف أمريكا واسرائيل ، ويعطيها مبررا كافيا لعملية تسليح واسعة لاسرائيل ويساعد فى عزلة العرب فى المجال الدولى باعتبارهم يرفضون مساعى السلام .

وأخذت الدبلوماسية المصرية

كل تلك الظروف فى الاعتبار ، وأعلنت من مواقعها الجديدة قبول المبادرة الامريكية ، وبذلك قلبت المخطط الامريكي رأسا على عقب ، ووضعت امريكا واسرائيل فى موقف حرج ، ولقد قبلت الجمهورية العربية المتحدة المبادرة الامريكية ، كما جاء فى تقرير اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى الى المؤتمر الاخير « رغم الشك الكبير فى قدرة الولايات المتحدة على القيام بالدور الذى يتطلبه نجاح هذه المبادرة ، وادراكها لتحيزها الكامل لاسرائيل ، ورغم الشك الكبير كذلك فى قبول اسرائيل لقرار مجلس الامن وتنفيذه » .

ورغم أن قبول المبادرة لم يؤد الى أية نتائج ملموسة نحو تسوية أزمة الشرق الاوسط على أساس قرار مجلس الامن الا أن قبولها على أية حال :

- **قد فوت الفرصة** على الولايات المتحدة واسرائيل لتنفيذ مخططهم بعزل مصر فى المجال الدولى واظهارها بمظهر الدولة المعادية لتسوية الازمة .
- **كشف حقيقة** نوايا الولايات المتحدة واسرائيل للرأى العام العالمى أدى الى عزلتهما وكسب مزيد من التأييد للعرب .
- **أعطى مزيدا من الوقت** لتنظيم قواتنا المسلحة واعدادها وتدريبها ورفع كفاءتها القتالية ضد العدو ، تمهيدا لمعركة التحرير فى حالة فشل الجهود الدبلوماسية فى التوصل الى حل عادل .

اسرائيل والولايات المتحدة تنسفان المبادرة الامريكية :

اضطرت اسرائيل تحت ضغط الاعتبارات الدبلوماسية والدولية وبعد مناورات عديدة الى اعلان قبول المبادرة ، وبدأ وقف اطلاق النار والاتصال مع السفير يارنج يوم ٨ أغسطس ١٩٧٠ ، وسرعان ما عملت اسرائيل على نسف مهمة يارنج بأن اتهمت الجمهورية العربية المتحدة بتحريك مواقع الصواريخ الى منطقة تسكين النشاط العسكرى على القناة ، وبررت بهذا الاتهام انسحابها من الاتصال مع المبعوث الدولى ، وأعلن ديان أن اسرائيل لم تعد تلتزم بقرار وقف اطلاق النار وبأنها لا تستطيع احتمال وجود الصواريخ المصرية فى غرب القناة لتهدد خطوط الدفاع الاسرائيلى ، وسرعان ما ساندت الولايات المتحدة اسرائيل فى دعواها وأصدرت بيانا رسميا ادعت فيه أن ما لديها من أدلة يؤكد أنه كانت هناك انتهاكات من جانب مصر لاتفاقية وقف النشاط العسكرى ، وأيدت اسرائيل فى مطلبها بسحب الصواريخ كشرط لاستئناف الاتصال مع جونار يارنج .

وبينما كانت اسرائيل توجه الاتهام للجمهورية العربية المتحدة بتحريك قواعد الصواريخ قامت هى بالفعل بخرق وقف اطلاق النار باقامة استحكامات واسعة ، فى منطقة القناة ، وبتدعيم خط بارليف ، وانشاء شبكة من الطرق الاستراتيجية فى سيناء .

وفى أعقاب وفاة الرئيس عبد الناصر حاولت أمريكا واسرائيل ممارسة مزيد من الضغط على ج . ع . م . ظنا منهما أنه فى الإمكان بعد غياب القائد اجبار مصر على التراجع عن موقفها ، فأعلنت الولايات المتحدة فى أوائل أكتوبر الانسحاب من لجنة المباحثات الرباعية على مستوى المندوبين المناوبين الى أن تقوم ج . ع . م . بتصحيح خرق وقف اطلاق النار بسحب الصواريخ المصرية من منطقة القناة ، وصرح الرئيس أنور السادات تعليقا على محاولات الضغط الامريكي « بأن الضغوط الامريكية لن ترهبنا ، بل ستزيدنا صلابة وعنادا ، ولن نفرط فى شبر من أرض عربية » . كما أشار محمود رياض وزير الخارجية الى أن ج . ع . م . لن تقبل أية مناقشة حول موضوع الصواريخ .

ورغم فترة وقف اطلاق النار ، واصلت الولايات المتحدة تسليحها لاسرائيل على نطاق واسع ، فقدمت اليها كميات ضخمة من الاسلحة والمعدات الجديدة ، وخاصة طائرات الفانتوم والاسلحة الالكترونية ، وصواريخ جو ـ أرض لتستخدمها ضد قواعد الصواريخ المصرية ، وأعلن ملفن ليرد بمنتهى الصراحة « بأن الولايات المتحدة مستمرة فى ارسال الاسلحة الى اسرائيل » ، وفى شهر سبتمبر سافرت جولدا مائير الى واشنطن حيث توصلت مع الرئيس نيكسون الى اتفاق حول المساعدات الاقتصادية والعسكرية الجديدة لاسرائيل ، وعلى خطة التصرف ازاء احتمالات تطور الموقف بعد انتهاء فترة وقف اطلاق النار .

قرار الجمعية العامة .. انتصار جديد للعرب :

كان قبول مصر للمبادرة الامريكية وموقف اسرائيل وأمريكا طوال فترة وقف اطلاق النار خطوة هامة مهدت الطريق أمام الانتصار الذى حققته الدبلوماسية العربية فى الجمعية العامة للامم المتحدة فى دورتها الخامسة والعشرين ، فقد وافقت الاغلبية الساحقة على مشروع القرار الافروآسيوى الذى يعتبر امتدادا لقرار مجلس الامن ، وادانة صريحة لامريكا واسرائيل ، وبالاضافة الى الاشارة الى ضرورة تطبيق قرار مجلس الامن باعتباره أساسا لتسوية سلمية لازمة الشرق الاوسط طالب قرار الجمعية العامة بضرورة استئناف مهمة يارنج على الفور ، على أن يقدم المبعوث الدولى تقريرا الى مجلس الامن بما تم التوصل اليه من نتائج خلال ثلاثة شهور ، وفشلت الولايات المتحدة رغم كل الضغوط التى مارستها داخل الجمعية العامة فى منع اصدار قرار يدين اسرائيل ، ولقد كان قرار الجمعية العامة انتصارا

جديدا للدبلوماسية العربية ، وبدء مرحلة جديدة تتحرك فيها على ارضية تعاطف ومساندة الرأى العام العالمى لادانة العدوان والمطالبة بتطبيق قرار مجلس الامن ٠

واستجابة لقرار الجمعية العامة ، أعلنت الجمهورية العربية المتحدة موافقتها على مد فترة وقف اطلاق النار ٩٠ يوما أخرى ٠ حتى تتيح الفرصة مرة أخرى وأخيرة لمحاولات الوصول الى تسوية سلمية للازمة ٠ غير أن اسرائيل وبمساندة الولايات المتحدة أعلنت رفضها لقرار الجمعية العامة ، واستمرت فى مقاطعتها للمبعوث الدولى ، ويتوقع كثير من المراقبين أن تعود اسرائيل الى مباحثات يارنج فى يناير الحالى حتى يمكن أن تجد مبررا لمد جديد لوقف اطلاق النار ، لكن الجمهورية العربية المتحدة قد أعلنت على لسان السيد أنور السادات أنها لا يمكن أن تقبل وقفا جديدا لاطلاق النار الا على أساس جدول زمنى لانسحاب القوات الاسرائيلية وتطبيق قرار مجلس الامن ٠

الحق العربى يجد مساندة فعالة على النطاق الدولى :

نتيجة للجهود النشطة والفعالة التى قامت بها الدبلوماسية العربية ، شهد العام الماضى مساندة متزايدة على الدوام للحق العربى ، فمن ناحية ٠٠ واصل الاتحاد السوفيتى دعمه الاقتصادى والعسكرى والسياسى للبلدان العربية ، وخاصة بعد غارات الاعماق الاسرائيلية ، ومحاولة تصعيد العمليات العسكرية للنيل من معنويات الشعوب العربية ، وقدم الاتحاد السوفيتى الى مصر شبكة الدفاع الصاروخى التى ساعدت على تغيير ثقل مصر العسكرى فى صراعها مع اسرائيل ، وعقب وفاة الرئيس عبد الناصر وفى مواجهة حملة الضغط الامريكية الجديدة ، أعلن الاتحاد السوفيتى ، بل وعمل بالفعل على تقديم مزيد من المساعدات من أجل تدعيم موقف مصر لمواجهة التحدى الاستعمارى الصهيونى ٠

وبالاضافة الى التأييد المتزايد للاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية لقضية الحق العربى شهد هذا العام تحولات هامة فى موقف كثير من دول أفريقيا وآسيا نحو مساندة القضية العربية وادانة اسرائيل ، ولقد كان مؤتمر عدم الانحياز فى لوزاكا تعبيرا واضحا عن هذا التحول ، عندما اتخذ قرارا يطالب فيه الامم المتحدة بفرض العقوبات على اسرائيل اذا لم تنفذ قرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ ٠

وازاء الخسائر الضخمة التى حاقت بأوروبا نتيجة لاستمرار اغلاق القناة ، بذلت فرنسا جهودا متواصلة بين مجموعة الدول الاوربية من أجل المساهمة فى حل أزمة الشرق الاوسط ، وفى الاجتماع الاخير الذى عقدته دول السوق الاوربية الست فى ميونخ فى شهر نوفمبر ، وافقت الدول الاوربية على وجهة نظر فرنسا القائلة بأن انسحاب اسرائيل الى حدود ما قبل ٥ يونيو يعتبر مفتاحا لحل الازمة ، مما دفع **بموسى ديان** عقب هذا الاجتماع لان يعلن عن مشروعه بالانسحاب بما يسمح باعادة فتح القناة حتى يهدىء من تردد الدول الاوربية ٠

واذا أردنا أن نلخص الوضع المؤلم للجبهة الشرقية فى عام ١٩٧٠ لقلنا أنه **كان أكثر اتساقا مع المفهوم الامبريالى** عن « **تعريب** » **الحرب فى الشرق الاوسط ، أكثر من اتساقه مع مفهوم مواجهة العدو الاسرائيلى** ٠ ينبع ذلك من حقيقة أساسية هى أنه اذا انتقلنا من وضع **القوات السورية المسلحة** التى تقف على أهبة الاستعداد لمواجهة العدو الصهيونى فى جبهتها ، لقلنا أن الفصيلتين الاخريتين على خط المواجهة وهما **القوات الاردنية المسلحة ، وقوات الثورة الفلسطينية** ، قد دخلتا فى عام ١٩٧٠ فى صراع مأساوى مرير ما زالت آثاره وذيوله تحدث تأثيرها فى سبيل بناء وتدعيم هذه الجبهة لمواجهة العدو ٠

وقد أمكن فى أواخر سبتمبر الماضى وقف الصراع الدامى فى الاردن بعقد **اتفاقية القاهرة التى** وقعها الملوك والرؤساء العرب فى ٢٧ سبتمبر الماضى ، واتفاقية عمان التى وقعها الملك **حسين وياسر عرفات** فى أكتوبر الماضى ، **والبروتوكلات العسكرية** الموقعة بين الجانبين باشراف اللجنة العربية العليا المشكلة برئاسة **الباهى الادغم** رئيس وزراء تونس الاسبق ٠

لقد تم من خلال هذه الاتفاقات التوصل الى صيغة نظرية للتفاهم والتعاون المشترك بين الاردن والمقاومة ، ولكن الاهم هو التوصل الى صيغة عملية للتعايش بينهما ٠

فاذا تم التوصل الى صيغة عملية للتعايش المشترك بين الاردن والمقاومة فيمكننا أن نقول باطمئنان ان محاولة جادة بدأت لانشاء جبهة شرقية تضم سوريا والاردن والمقاومة ٠ ولكن كيف تسير الامور الان فى عمان قلب الجبهة الشرقية ؟ ثم ما هى نتائج ثلاث سنوات مضت منذ أن بدأ العمل الفدائى الفلسطينى يحمل السلاح فى أعقاب معارك الخامس من يونيو ١٩٦٧ ٠٠ ؟

لعل التركيز هنا ونحن نقيم حصاد عام ١٩٧٠ فى الجبهة الشرقية يمتد الى مناقشة السلبيات والاخطاء التى وقعت فيها حركة المقاومة أو جرت اليها ، وصولا الى تشخيص المرحلة الراهنة وآفاق الرؤية فى المستقبل ٠

ثورة من الخارج

لماذا ؟

يتطلب ذلك أن نعيد النظر مرة أخرى فى الاوضاع الخاصة

بالثورة الفلسطينية فربما تكون هذه الثورة هي الثورة الوحيده في العالم التي أقامت كل وجودها خارج الارض التي تناضل لتحريرها من الاحتلال (وهذا لا يعني أبدا أن كل عمليات حركة المقاومة داخل الدولة الصهيونية تمت من الخارج ، فما أكثر العمليات التي تمت داخل العمق الاستراتيجي لدولة الاحتلال ، مثل عمليات القدس وحيفا وتل أبيب) ، ولكننا نقصد هنا بالوجود الخارجي أن ثقل الثورة كله قيادة وكوادر وقواعد يتم خارج النهر سواء كان ذلك داخل الاردن أو في أقطار عربية أخرى .

على أى الحالات ، فان ظاهرة الوجود الخارجي للثورة لا يعني بالضرورة أن حركة المقاومة أو « فتح » على وجه التخصيص هي المسئولة عنه أو أنها أوجدته بمحض رغبتها ، فأسباب ذلك عديدة بعضها يعود الى طبيعة الاستعمار الصهيوني الاستيطاني الذي يختلف عن غيره من أشكال الاحتلال التي عرفها العالم ، وبعضها الاخر يعود الى طبيعة الانظمة التي فرغت المناطق المحتلة في الخامس من يونيو ١٩٦٧ من السلاح وسحقت فيها روح المقاومة وجعلتها تنتظر النصر يأتي اليها من الخارج .

ولكن ، اذا كانت الثورة غير مسئولة عن ايجاد هذا الوضع ، فانها تصبح الان مسئولة عن استمراره ، خاصة بعد ذلك المد الجماهيري الهائل الذي لقيته حركة المقاومة وبالذات في أعقاب معركة الكرامة في مارس ١٩٦٨ .

فالملاحظ أنه بعد بروز ذلك التجاوب الشعبي مع المقاومة أصبحت القضية الاولى واليومية التي يواجهها العمل الفدائي هي كيفية ضمان سلامة هذا العمل من الانظمة المعادية لحركة الثورة والجماهير ، أكثر من ضمان فعالية هذا العمل داخل الارض المحتلة .

والنظرة الموضوعية لواقع حركة المقاومة تقرر انه بقدر ما كانت حركة الثورة مسئولة عن هذه الظاهرة فاننا لا يمكن ايضا ان تغفل اهمية وخطورة المخطط الذي قامت بتنفيذه القوى المضادة داخل النظام الاردني لاستمرار وتعميق هذه الظاهرة .

احد عشر تنظيما فدائيا :

وهنا تبرز سلبية أخرى لا يزال العمل الفدائي الفلسطيني يعاني منها وسيظل يعاني منها الى حين أن تتوحد ارادة الثورة تماما لتجد صيغة حقيقية ومتقدمة للوحدة الوطنية . على أن ،تركيزنا وتحليلنا لمثل هذه السلبيات وغيرها ، انما يستهدف القاء ضوء واقعي على الوضع الذي آلت اليه خلال عام ١٩٧٠ تلك القوى الاساسية من قوى الجبهة الشرقية .

وتتمثل احدى المشاكل التي عانت منها حركة المقاومة في نشوء منظمات تابعة لبعض الانظمة صراحة أو ضمنا ، فالى جانب « فتح » التي نشأت قبل الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، قامت المنظمات الفدائية وتوالى انشاؤها حتى أصبحت الان أحد عشر تنظيما .

وتبدأ مرحلة التعدد والتشتت الذي يصل الى حد التشرذم وضياع الجهود بل وتهديد العمل الثوري الحقيقي تماما ، مثلما حدث قبيل الايام الدامية لازمة ١٧ سبتمبر الماضي والتي راح ضحيتها ٢٠ الفا مابين قتيل وجريح ومفقود ..

والذي لا شك فيه أن كثرة المنظمات وعدم وضوح الرؤية السياسية أمام أغلبها ، ترك آثارا خطيرة على واقع العمل الفدائي ، فبدأ التنافس على اصدار البلاغات العسكرية وبدأت حملات مركزة من الإعلام ، وأموال تصرف على المطبوعات والملصقات أقل ما يقال فيها انها لا تمت الى الواقع بأية صلة . ونتيجة لذلك كله لن تقبل أية مناقشة حول موضوع أصبح يتواجد في المدينة الواحدة عشرات المكاتب التابعة للمنظمات الفدائية ، مكاتب للتسليح ومكاتب للتموين ومكاتب للاعلام وأخرى للتعبئة والتنظيم وخامسة .. وسادسة .. ثم تعددت الجبهات التي تقوم بعمليات الجباية الشعبية لصالح العمل الفدائي ، وأطلقت الشعارات وعقدت الندوات ..

أما العمل الثوري الحقيقي النابع من الجماهير والمتجه الى العدو الرئيسي فلم يكن يوجد الا داخل تنظيم أو اثنين أو ثلاث تنظيمات على أكثر تقدير .

ولقد كان ذلك الوضع الذي آلت اليه الأمور في عام ١٩٧٠ حصاد ثلاث سنوات كاملة في الحقيقة بالرغم من أن كل فصائل حركة المقاومة كانت تعي وتعلم تماما حقيقة ما تدبر له القوى المعادية والقوى الرجعية العميلة .

لقد كثرت صيغ الوحدة الوطنية التي التقت عليها التنظيمات الفدائية بداية من صيغة منظمة التحرير الفلسطينية ومرورا باللجنة التنفيذية ثم القيادة الموحدة ، ونهاية باللجنة المركزية ، ولكن كان هناك شيء أساسي ينقص كل هذه الصيغ هو التقاء كافة التنظيمات حول برنامج عمل محدد في المرحلة الحاضرة والمستقبلة .

أزمة سبتمبر الدامية :

وتتابعت الممارسات المنفردة من بعض التنظيمات ، وتجيء حوادث اختطاف الطائرات الاربع دفعة واحدة ، وما صاحبها من ردود فعل عنيفة سواء داخل الرأى العام العربي أو خارج الاطار العربي ، ووجدت حركة

المقـاومة نفسـها ـ بكل تنظيمـاتها ـ تـواجه طـريقا مسدودا ، وتأزم الموقف حتـى وصل الى حد التهديد بالانزال الامريكى ، فلم تجد اللجنـة المركزية للمقاومة بدا من تجميد عضوية الجبهة الشعبية المسئولة عن الحوادث ، واعادة الركاب المحتجزين ، وكانت هذه هى نقطة البدء لمجازر عمان فى شـهر سبتمبر الماضى ٠

على أن خطف الطائرات لم يكن السبب الحقيقى فى الازمة فالجميع يعلمـون أن القـوى المضادة كانت تدبر لعمليـات تصفية ، ولكن حوادث الطائرات وما سبقها من أزمات شاركت فيها أجهزة المخابرات الاردنية بـالتخطيط والتنفيـذ عجلت وسـارعت بتطبيـق المـؤامرة ووضـعتها مـوضع التنفيـذ العاجل ، لدرجة أنه فى اليومين الاولين من بداية تنفيذ المؤامرة كانت هناك بعض القوى الوطنية تعطف على النظام الاردنى ، بـل وتطالب بوضع حد لانتهاك العمل الفدائى لسيادة الاردن ٠

ان مثل هـذه المـارسات المنفردة جرت حركة المقاومة كلها الى أزمة طاحنة قبل أوانهـا ، وقبل الاستعداد لها لدرجة أن أحد قادة تنظيم فدائى كان يطرح على الجماهير شعار **السلطة كـل السلطة للمقاومة** ، وجاء فـى اليوم الاول من الازمة أن ياسر عرفات يطلب منه سلاحا وتموينا ففقد الرجل أعصابه وقال له اذا كنتم تطلبون السلاح ولما يمض على تنفيذ التآمر سوى يـوم واحد ، فكيف طرحتم اذن على الجماهير شـعاركم الطنـان : السلطة كل السلطة للمقاومة ٠

وتسير المؤامرة قدما وتتضح حقائق الصورة ، فـالعملية لا يقصد بها اعادة هيبة الحكم الى النظام أو ردع بعض العناصر المتطرفة ، ولكن الهدف البعيد هو انهاء حركة المقاومة ككل وبالتالى انهاء القضية الفلسطينية نفسها لعشرات السنين ٠٠

ولكن الشـعب الفلسطينـى يصمد ويدافع عن وجوده ١١ يوما كاملا ، ثم توقع اتفـاقية القاهرة فى ٢٨ سبتمبر باشراف الملوك والرؤساء العرب ٠

القيادة الواحدة للعمل الفدائى :

وبعيدا عن الدخـول فـى متاهات تحديد مسئولية مـا حدث ، وموقف المنظمات الفدائية ابان الازمة فاننا يمكننا أن نقرر أن **واقعا جديدا وأساسيا قد دخل على كيـان حـركة المقـاومة بتنظيماتها نفسها** ، فما أكثـر المنظمات التى أسقطتها الازمة ، وما أكثر المزايدين الذين كشفت أوراقهم ، وأصبح الموقف الان فى الاردن فى يد المقاتلين الذيـن تحملوا وحدهم عبء احدى عشرة ليلة كاملة من القصف المدفعى الكامل والهجمـات البـربرية بمـدفعية الميـدان وتحـركات الدبابات ٠

ويتمثل الواقع الجديد فى أن هناك الان **قيادة واحدة للعمـل الفدائى** بيدها كل الصـلاحيات لممارسة دورها التاريخى ٠

واذا كان العمل الفدائى قد اجتاز ٣ سنوات كاملة من عمره فى الدفاع عن وجوده وكيانه ، فانه قد وصل الى مرحلة التوازن الاستراتيجى مع القوى المضادة والمخطط كله الان هو بناء وحـدة وطنية حقيقية تواجه خطـورة المرحلة ٠

ومن هنا كانت اجتمـاعات اللجنة المركزية للمقاومة التـى بدأت فى عمان فى ٤ ديسمبر الماضى وانتهت فى الثامن مـن ديسمبر وقد تم خلالها استعراض كافة أوضاع الثـورة ، ومـا تعرضت وتتعـرض لـه مـن مؤامرات وأخطـار ، وكذلـك



أوضاع القضية الفلسطينية والحركات السياسية المتعلقة بها .

وقد أوضحت اللجنة المركزية فى تحليلها للمرحلة الراهنة ، الوارد فى بيانها الرسمى الصادر فى عمان مساء ٨ ديسمبر ١٩٧٠.. « انه أصبح من الثابت أن الامبريالية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا التى دفعت بلادنا وشعبنا الى مجزرة أيلول ـ سبتمبر ـ الاسود ، تدفع الان من جديد الى انفجار يعرض الشعب والبلاد الى الدمار والخراب الاقتصادى والاجتماعى والعسكرى والفدائى ، كل ذلك من أجل ارهاق قوى الجيش الاردنى وتصفية القضية الفلسطينية ، وفرض الحل الاستسلامى كما تريده الصهيونية والامبريالية ، ومما يزيد الامر خطورة دفع القوات الاردنية المسلحة لتصادم مستمر مع قوات الثورة الفلسطينية بحيث تقتل بعضها بعضا ، وتنصرف كليا عن التصدى للعدو الصهيونى ومقاتلته ، ولتبقى القوات المسلحة الاردنية موزعة فى داخل البلاد ، وبعيدة عن قواعدها الطبيعية على خط المواجهة مع العدو .

وتقول فقرة اخرى من البيان الرسمى « ان اللجنة المركزية اذ تتمسك بوحدة الشعب فى الاردن ، وتحارب كل أشكال التفرقة الاقليمية ، فانها تؤكد حرصها الصادق والمخلص على توفير كل الاجواء الامنة للمواطنين وعلى تجنب كل ما تقوم به الاوساط المعادية بشتى أنواع الاستفزاز لجر الجيش والفدائيين الى التقاتل ، فانها تناشد جميع أبناء الشعب العمل بمختلف الوسائل للضغط على الدولة من اجل احترام اتفاقية القاهرة وعمان والبروتوكول ، احتراما كاملا لتنفيذ كل التزاماتها ، كما تناشد أبناء الشعب صيانة الوحدة الوطنية ونبذ التفرقة الاقليمية والحذر واليقظة من كل المؤامرات والمخططات الامبريالية ، كذلك فان اللجنة المركزية تتوجه الى الحكومات العربية لان تضطلع باعباء مسئولياتها القومية ، وتقوم بكافة لاجراءات اللازمة بالسرعة الممكنة لمنع الاوضاع المتردية فى الاردن من التدهور وعودة الصدام الواسع فيما بين قوات الثورة والقوات الاردنية المسلحة ، وتعمل على وجوب التزام الدولة التزاما كاملا لاتفاقيتى القاهرة وعمان » .

وفى نهاية بيانها أعلنت اللجنة المركزية أنها توصلت الى القرارات التالية :

أولا : تشكيل قيادة عسكرية مركزية لجميع قوات الثورة الفلسطينية : نظاميين وفدائيين وميليشيا ، وكلت اليها مهمة بناء الوحدة العسكرية الشاملة ، وممارسة القيادة فى هذه الاثناء .

ثانيا : تشكيل امانة سر اللجنة المركزية وتمثل القيادة اليومية للثورة .

ثالثا : رفض كل المشاريع المطروحة حول قيام الدولة الفلسطينية .

رابعا : تصعيد النضال الشعبى والجماهيرى ضد العدو الصهيونى .

خامسا : قيادة وتعزيز وحدة المنظمات النقابية والجماهيرية فى الاردن .

سادسا : تشكيل جهاز مركزى لاعلام الثورة .

سابعا : توثيق العلاقات مع حركات التحرر العربية وكل القوى او الحركات المعادية للامبريالية والصهيونية فى العالم ..

● ● ●

والموقف الان فى بداية عام ١٩٧١ وهو العام الرابع لبروز ونشوء حركة المقاومة الفلسطينية هو أن مرحلة جديدة من العمل الوطنى تجتازها حركة المقاومة بعد اعلان وحدة صفوفها ووحدة تنظيماتها

وفى المقابل هناك اعداد كامل ومخططات يتم وضعها الان داخل بعض الاجهزة العميلة فى السلطة لافتعال صدام جديد وواسع مع حركة المقاومة . فاذا كانت الشعوب العربية تطالب بقيام جبهة شرقية قوية تواجه العدو الرئيسى للامة العربية ، فلابد من ان تنتهى كل هذه الازمات الدامية داخل الجبهة الارنية ـ الفلسطينية لكى نضمن وجود جبهة شرقية صلبة وسليمة .

مواجهات سورية جوية ومدرعة :

ان قيام الجبهة الشرقية لا يمكن أن يتم ويخرج الى حيز التنفيذ الا اذا قام النظام الاردنى بالقضاء على كافة العناصر

المضادة للثورة الفلسطينية ، ويوم ان تنتهى المؤامرات والصراعات الدامية ويوم ان يقف الجيش الاردنى بأكمله على خطوط الجبهة،ويوم ان تتمكن حركة المقاومة من تأمين ظهرها للانطلاق تجاه العدو ، خاصة وقد قامت القوات السورية المسلحة خلال العام الماضى بعدة مواجهات جوية شجاعة مع طيران العدو وقامت بعملية جريئة لاختراق خطوطه •

المؤامرات الجديدة فى الاردن:

على أن الامر الذى يزداد الاحساس به مع مطلع عام ١٩٧٠ هو ازدياد التآمر للدخول فى صدام دموى جديد فى الاردن ضد قوات الثورة الفلسطينية ولذا فلن يكون بالامكان قيام جبهة شرقية حقيقية ما لم تسد هذه الثغرة كى يمكن ان تقف قوى الجبهة الشرقية الثلاث وهى القوات المسلحة السورية ، والقوات المسلحة الاردنية ،وقوات الثورة الفلسطينية جنبا الى جنب ضد العدو المشترك •

أفريقيا

الهزيمة فى بيافرا ومحاولة العودة الى غينيا

- انكماش حركات الكفاح المسلح •
- الجنوب العنصرى ينتقل الى الهجوم •
- تصفية بيافرا •
- لقاءات لفك الحصار •
- غزو غينيا الفاشل •
- اجراءات اقتصادية واجتماعية •

اذا جاز لنا أن نستخلص الخط العام لحركة الاحداث فى أفريقيا خلال عام ١٩٧٠ ، منذ أفريقيا خبل عام ١٩٧٠ ، منذ البداية فاننا نقول أن ظاهرة « التفكك » أو « حركة الموقع الواحد » هى الظاهرة العامة التى سادت أحداث هذا العام فى القارة • ونضيف أن هذه الظاهرة ، نتاج « موجع » لحركة الصراع بين قوى التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى فى القارة من جهة ، وبين قوى الاستعمار العالمى والعنصرية والرجعية • لقد نجح الاستعماريون والعنصريون فى أن يحصروا اهتمام كثير من المواقع فى القارة « بالمجال المحلى » ، اللهم الا تطورات الاحداث فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان وليبيا - حيث يتنامى اتجاه التنسيق والعمل الموحد بينهم ، وتطور علاقات حركات الكفاح المسلح وبخاصة بين حزب **زابو** (**روديسيا الجنوبية**) **وحزب المؤتمر الوطنى (جنوب أفريقيا)** •

حركات الكفاح المسلح :

ويمكن أن نرصد تطور حركات الكفاح الوطنى المسلح ، تحت موضوعين أساسيين :

● **الانكماش** تحت وطأة الضغوط المحيطة . فقد واجهت حركات الكفاح المسلح ، أكثر من محاولة للحد من وجودها ونشاطها من جهة ، أو للضغط عليها لاحداث بعض تغييرات فى اتجاهاتها من جهة أخرى • وربما يمكننا أن نفهم خلفية وأهداف هذه المحاولات الضغوط المحيطة . فقد واجهت الدول - كتونس وكينيا مثلا - ازمة حول دور وسياسة لجنة تحرير المستعمرات التابعة لمنظمة الوحدة الافريقية ; ولكنه من الصعب الا نتساءل عن مغزى الضغوط التى واجهتها حركات الكفاح المسلح من دول أخرى تتخذ بعض هذه الحركات

أراضيها منطلقا للهجوم والحركة ضد قوات الاستعمار والعنصرية فى روديسيا أو موزمبيق • فقد عانت قوات الثورة الوطنية المسلحة التابعة لحزبى رابو والمؤتمر الوطنى، ضغوطا انتهت بما يكاد أن يكون تجميدا لنشاطها بل وتسريح عددا منها سافر الى أكثر من عاصمة أفريقية وشرقية ، أملا فى « مناخ أفضل » للتدريب العسكرى أو « للدراسة » و « تربية الكادر » على أتل تقدير •

ربما كان لحكومتى « **زامبيا وتنزانيا** » منطقهما الذى يقول بخطأ بعض عناصر هذه القوى الوطنية ، وعدم الاشراف – وبمعنى أدق السيطرة – على حركتها • ولكن الواقع قد أثبت أن هذه التطورات كانت وثيقة الصلة أو وجها آخر ، لسياسة تعتقد بضرورة « **تهدئة** » الموقف لحين تسترد حركة التحرر الوطنى الافريقى مبادراتها التى افتقدتها أمام ضربات سلسلة الانقلابات العسكرية المعروفة •

● **احداث تغييرات فى القيادات** • وذلك أمر طبيعى ففى مواجهة التطورات والظروف الجديدة •

ففى صفوف « الفريليمو » – جبهة تحرير موزمبيق – دب الخلاف حول تصور العمل بعد اغتيال **موندلان** وانتخاب قيادة ثلاثية للجبهة • فقد قدم **سيمانجو** – أحد القادة الثلاثة – تقريرا الى مؤتمر الجبهة ألقى فيه ظلالا من التشكيك حول موندلان وطالب بطرد قائد الجيش وبعض القادة السياسيين ودعا الى أنه « لا يجب تحديد صياغات أيديولوجية » للجبهة فى هذه المرحلة • ويقول قرار القيادة الجديدة التى تشكلت بأن « حركة تطور الثورة قد تجاوزت » سيمانجو الذى طرد من صفوف الجبهة كلها التى تشكلت قيادتها من **سامورا** (قائد الجيش) رئيسا ودوس سانتوس نائبا للرئيس •

وفى ارتيريا ، عقدت الجبهة الوطنية مؤتمرا عاما انتهى بطرد قيادتها القديمة التى أصبحت – كما تقول وثائق المؤتمر – معوقا للثورة ومتخلفة عن مواكبتها • وتشكلت قيادة سياسية وأخرى عسكرية للجبهة قطعت علاقات الجبهة القديمة بالعربية السعودية وأصبحت دمشق مركزا لها •

على أن حركة الكفاح الوطنى المسلح فى كل من انجولا وغينيا « بيساو » ، لم تقعا فريسة لمثل هذه الخلافات ولم تأت الضغوط معها نتيجة سلبية ، ويعود ذلك – فى رأى المراقبين – الى أنهما كحركتين ثوريتين ، كانتا قد نجحتا بالفعل فى غرس جذورهما العميقة فى البلاد • فضلا عن أن قيادتيهما قد بلغتا نضجا ثوريا بفعل التجربة وخبراتها ، مكنت الحركتين من مواصلة هجماتهما ضد قوات الاستعمار البرتغالى القائم فى البلاد • كذلك ، فان « **البعد الاجتماعى** » الذى حققته حركتا الكفاح المسلح فى البلدان ، أكسبهما جماهيرية أوسع •

وعلى أية حال فان مؤتمر روما لحركات الكفاح المسلح فى المستعمرات البرتغالية الذى انعقد فى يونيو من عام ٧٠ ، يشكل نقطة بدء هامة فى وضع الاتجاه الذى يسود هذه الحركات المسلحة بضرورة التنسيق ووحدة العمل فيما بينها ضد قوات الاستعمار البرتغالى الذى يتزايد استناده الى دعم القوى الاستعمارية العالمية ودوائر حلف الاطلنطى جنبا الى جنب دعم القوى العنصرية فى جنوب القارة •

الحلف العنصرى •• يهاجم

وقد شهد جنوب القارة الذى تسيطر عليه الاقليمية العنصرية البيضاء فى جمهورية **جنوب افريقيا** وجمهورية **جنوب غرب افريقيا** ، **وروديسيا وموزمبيق وأنجولا** ، تطورات حاسمة فى جانب الجبهة المعادية لتحرر شعوب هذه البلاد واستقلالها • فمنذ الخمسينات تجرى محاولات « توحيد » هذا الجنوب تحت سيطرة الاقلية العنصرية • ولكنها تحت وطأة الكفاح السياسى للحركات الوطنية فيه ، لم تنجح المحاولة العميلة التى جرت عام ١٩٥٣ • ولكن اندلاع الكفاح المسلح فى هذه المناطق ، دفع هؤلاء العنصريين الى التنسيق فيما بين عمليات مواجهتهم لهذه الحركات المسلحة • هذا التنسيق الذى شهد عام ١٩٧٠ ، قمة تطوره •

ففى عام ١٩٧٠ خرج « **الحلف العنصرى** » بعد أن أعلنت الجمهورية ، روديسيا فى شهر مارس ، الى مواقع النشاط الهجومى بعد أن تشكلت « **فرقا للتدخل** » تم اعدادها من وحدات مدربة تدريبا عسكريا عاليا ومجهزة بأحدث أنواع السلاح الحربى • ولم تكتف هذه «الفرق» بالمساهمة فى العمل العسكرى ضد نشاط حركات الكفاح المسلح فى روديسيا وموزمبيق وانجولا ، جنبا الى جنب قوات حكومة **سميث** والحكومة البرتغالية ، بل وشنت فى بعض الاحيان حملات هجوم تأديبية على حدود دول مستقلة مثل **زامبيا** ، بل ونظمت – بتجنيد قوات المرتزقة – عملية غزو **ضد غينيا** •

وقد ارتبط هذا النشاط الهجومى **للحلف العنصرى** ، بظاهرة تنافس قوى الاستعمار العالمى على مد هذا الحلف بالسلاح وخاصة الى جمهورية جنوب افريقيا • فبعد تولى حكومة المحافظين فى بريطانيا السلطة ، اتجهت الى اعادة النظر فى قرار حظر بيع الاسلحة الى جنوب افريقيا ، وقطعت فى هذا الطريق خطوات عملية •

يدفعها فى ذلك وحدة المصلحة الاستعمارية مع حكومة هذه البلاد من جهة ، ومحاولة وضع حد للنفوذ الفرنسى الذى تزايد مؤخرا فى جنوب افريقيا بعد أن ظلت فرنسا لفترة غير قصيرة المورد الاساسى لتسليح قوات هذه الحكومة . هذا فضلا عن دخول الولايات المتحدة الى حلبة التنافس لا فى مجال التسليح فحسب . بل وفى مجال كسر حلقات المقاطعة الاقتصادية التى حاولت الامم المتحدة والمجتمع الدولى فرضها على جنوب افريقيا . وقامت الولايات المتحدة بشراء كميات أكبر من الذهب الذى يعد « **المحصول الرئيسى** » لانتاج هذه البلاد من المعادن ، وزادت من حجم تجارتها الخارجية معها .

وقد نجحت جمهورية جنوب افريقيا فى تحدى **الرأى العام العالمى** وقرارات الامم المتحدة الخاصة بمنح جمهورية جنوب غرب افريقيا الاستقلال الوطنى ورفع وصاية جنوب افريقيا عنها ، وقد منعت جنوب افريقيا لجنة تقصى الحقائق التابعة للامم المتحدة من دخول جنوب غرب افريقيا ، واستمرت تواصل وصايتها على على هذا «**الاقليم**! باعتباره جزءا من أراضيها .

وتحاول جمهورية جنوب افريقيا ـ باعتبارها رأس الرمح فى الحلف العنصرى ـ أن تحدث انقساما فى صفوف الدول الافريقية التى ظلت حتى هذا العام تتخذ خط مقاطعة جنوب افريقيا وشن حملات الهجوم السياسى ضدها فى المحافل الدولية . فقد سعت حكومة جنوب افريقيا الى كسب ود رؤساء بعض الدول الافريقية مثل **هايستنجز باندا** رئيس مالاوى ، **ثم تشجيع** رئيس ساحل العاج الى المناداة بادارة حوار بين الدول الافريقية والحكم العنصرى . ولكن دول القارة قابلت مثل هذه الدعوة بالرفض والاستنكار .

نيجيريا تكسب السلام :

ومعروف طبعا انه منذ عام ١٩٦٧ ، ظلت نيجيريا تعانى من الحرب الاهلية بعد اعلان انفصال بيافرا . وكان لهذه الحرب آثارها المدمرة : اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا على البلاد . وحتى يناير من عام ١٩٧٠ باءت بالفشل كل المحاولات التى قامت بها القوى الاستعمارية الغربية التى وقفت وراء « **اوجوكوو** » قائد الانفصال ، لاحياء هذا الكيان . فقد ظلت هذه القوى ـ وبخاصة امريكا ـ تسعى للبحث عن ثغرة تنفذ عن طريقها للتدخل المباشر فى نيجيريا بعد أن فشلت قوات الانفصال ومعها قوات المرتزقة فى الصمود أمام قوات الحكومة الاتحادية .

والواقع أن تطورات الحرب الاهلية كانت فى الايام الاولى لعام ١٩٧٠ ، أسرع من توقعات أوجوكوو والغرب واسرائيل التى ساندته أيضا . فقد وقع الجنرال **فيليب افيونج** قائد القوات الانفصالية فى ١٠ يناير ، اعلانا رسميا بالاستسلام للحكومة الاتحادية دون قيد أو شرط وقبول سلطتها باعتبار الاقليم الشرقى (بيافرا) جزءا لا يتجزأ من نيجيريا . واضطر أوجوكوو أن يصدر بيانا نشر فى جنيف يقول فيه انه خسر الحرب « ولكن بيافرا ستبقى » .

والواقع أن مشكلة انفصال بيافرا لم تكن خطرا فحسب على نيجيريا ووحدتها ، بل وعلى كل بلاد القارة . فبالاضافة الى انها كانت ستعد سابقة خطيرة يمكن أن تؤدى الى اضطرابات فى القارة التى تعانى من مشكلة «**الاقليات القومية**» فى معظم أراضيها ، فانها أيضا قد أحدثت انقساما فى صفوف دول القارة وحركتها التحررية حين اعترفت تنزانيا وأوغندا وزامبيا وساحل العاج ببيافرا .

لقد نجحت حكومة جوون الاتحادية فى مواجهة « الجبهة الجديدة » التى فتحها الاستعماريون ضد شعوب القارة ، بعد جبهة « الشرق الاوسط » ضد الجمهورية العربية المتحدة والدول العربية الافريقية .

وبرغم أن « كسب السلام » يعد انتصارا اكيدا لاتجاه الوحدة فى نيجيريا ولحركة التحرر الوطنى الافريقية ، الا ان القوى التقدمية تؤكد ضرورة اتخاذ كل الاجراءات والضمانات السياسية التى توفر لكل القوميات ـ والاقلية منها بصفة خاصة ـ حقوقها فى المساواة لتجنب تكرار المأساة .

محاولات مستمرة لفك الحصار :

كان تكتيك « فرض الحصار » هو الاسلوب الدائم الذى يلجأ اليه الاستعمار العالمى لعزل أكثر مواقع حركة التحرر الوطنى تقدما فى افريقيا . وقد اتخذ هذا الاسلوب أكثر من شكل ابتداء من محاولات « الدس والايقاع » بين الحكومات الافريقية على مختلف اتجاهاتها ، أو اقامة نظم محافظة ورجعية من حول نظام متقدم . والاستعمار العالمى فى سعيه ومحاولاته هذه ، يهدف الى التقليل من تأثير النظم التقدمية فى افريقيا ، لعزلها وضربها فى نهاية الامر .

والحق أن حركة التحرر الوطنى الافريقية ، وبرغم الصعوبات الحقيقية التى واجهتها ، قد نجحت الى حد كبير فى تقويض هذه المحاولات . سواء فى اطار النشاط الفردى والثنائى أو فى اطار منظمة الوحدة الافريقية .

ومن الممكن أن نتصور مدى الاخطار التى كان يمكن أن تتعرض لها حركة التحرر

الافريقية ، لو أنها استجابت – تحت كثير من الضغوط – الى مخطط عزلها ، خاصة اذا وضعنا فى الاعتبار أن سلسلة الانقلابات العسكرية التى كانت قد شهدتها القارة ، قد شملت كثيرا من الدول الافريقية يمكن أن تحدث تاثيرا مضادا واسعا لو انقطع « **الحوار** » بينها وبين الدول المتحررة فى القارة · صحيح أن هذه الانقلابات قد اقامت نظما محافظة ورجعية ، ولكن كيف يمكن أن تكون عليه الصورة لو أن دول التحرر الوطنى قاطعت – مثلا – اجتماعات منظمة الوحدة الافريقية وأعادت من جديد منطق التجمعات الاقليمية المتنافرة · لكنه صحيح أيضا أن الحرص على العمل الدائم « لفك الحصار » من خلال تجمع منظمة الوحدة الافريقية ، لا يلغى بالمرة ، أن تعمل الدول المتحررة – بأكثر من شكل – من خارج منظمة الوحدة لتحدث تأثيرا متزايدا لا داخل المنظمة فحسب بل وعلى مسار الاحداث فى القارة بشكل عام ·

وفى اطار المحاولات المستمرة لفك الحصار هذه ، يمكن أن نرصد اللقاءات التى تمت بين الجمهورية العربية المتحدة وبين جمهورية وسط افريقيا – مثلا – بالاضافة الى اللقاءات التى أقامتها حكومة السودان مع عدد من الدول الافريقية – كجمهورية وسط افريقيا وكجمهورية الكونجو كينشاسا – فى خلال ۱۹۷۰ · تدخل فى نطاق هذا المجال ، سلسلة الزيارات التى قام بها عدد من المسئولين فى الجمهورية العربية المتحدة لكثير من دول غرب ووسط وشرق القارة · فلقد كان لمؤتمر وزراء خارجية دول افريقيا ولمؤتمر القمة الافريقى، فضل كبير فى احداث تغييرات عميقة فى مؤشر التصويت داخل الامم المتحدة – مثلا – عند مناقشة أزمة الشرق الاوسط ·· ولصالح الموقف العربى ·

على أن عام ۱۹۷۰ قد أكد أيضا أن الحركة من خلال منظمة الوحدة فقط ، لا توفى وحدها باحتياجات ومسئوليات حركة التحرر الافريقية · ومن هنا ، أصبحت القضية أمام الدول الثورية والمتحررة فى القارة ، اكتشاف الصياغة التى تلائم بها ما بين ضرورات الوضع القائم ، ومتطلبات مسار حركة التحرر نفسها · ولكنه تبقى دائما ضرورة تخطى كل المحاولات التى تبذلها قوى الاستعمار العالمى لعزل دول التحرر الوطنى الافريقية عن سائر دول القارة ·

حرب المرتزقة :

وسوف تبقى محاولة غزو **غينيا** من البحر التى جرت فى شهر نوفمبر من عام ۱۹۷۰ ، واحدة من أخطر احداث القارة خلال هذا العام ، ان لم تكن أخطرها على وجه الاطلاق ·

فربما يبدو كافيا القول بانه بعد أن نجح الاستعمار فى تصفية المواقع الوطنية فى غرب افريقيا – فى غانا ومالى بالذات – لم تعد أمامه سوى غينيا التى لعبت – وتلعب – دورا أساسيا فى العمل الثورى فى غرب القارة وفى مساندة حركة الكفاح المسلح فى غينيا « بيساو » · لكن إسلوب الغزو – بتجنيد المرتزقة من خارج غينيا اساسا ومن داخلها أيضا – يظل الشغل الشاغل لكل الدوائر الوطنية والتقدمية الافريقية · ان **هجوم** المرتزقة ، بهذا القدرمن الاتساع وبهذا الحجم من الكثافة وبمثل هذه العلانية الوقحة دون ردع من المجتمع الدولى ، لا يخفى وراءه مجرد أهداف الاستعمار فى اسقاط النظام التقدمى لحكم **احمد سيكوتورى** · ولكنه يمتد الى أكثر من ذلك بكثير ، ليكشف عن المدى الذى وصلته اليوم ضراوة حركة الصراع بين حركة التحرر الوطنى الافريقية من جهة وبين الاستعمار العالمى من جهة أخرى ·· كما أنه يكشف عن « **أسلوب** » يسعى الاستعمار الى تعميمه ، هو استخدام المرتزقة · فحرب المرتزقة تجنب قوى الاستعمار أن تكون طرفا رسميا مباشرا فى الحرب مما يجنبه بالتالى كثيرا من مشاكل مواجهة الرأى العالمى ومخاطر رد فعل الحرب على المعسكر الاشتراكى ·

واذا كانت الثورة فى غينيا قد نجحت فى صد الغزو وافشاله ، فان ذلك يعود فى الاساس – بل وبشكل كامل – الى حقيقة أن قيادة الثورة فى غينيا قد سلمت قضية الدفاع عن « **الوطن** » و « **الثورة** » الى الجماهير العريضة بعد أن وزعت عليها الاسلحة · ان هزيمة جيش نظامى لدولة صغيرة ، أمر ممكن امام هجوم قوة ضخمة مدربة ومسلحة تسليحا حديثا · ولكن هزيمة شعب مسلح بأكمله ، هى بالتأكيد ، عملية صعبة للغاية ان لم تكن عملية مستحيلة خاصة اذا كانت هذه الجماهير منظمة جيدا تحت قيادة حزب سياسى قوى

التطور الاجتماعى يفرض نفسه :

وبرغم كل الصعوبات التى واجهتها حركة التحرر الوطنى فى أفريقيا نتيجة المهاجمات الاستعمارية السابقة على عام ۱۹۷۰ وخلاله ، الا أنها قد أحرزت عددا من المكاسب الهامة فى مجال التطور الاجتماعى من جهة وفى مجال الحد من السيطرة الاقتصادية للاستعمار العالمى ·

– **لقد دخلت** الكونجو برازافيل الى عام ۱۹۷۰ ، وقد التزمت قيادتها « بالماركسية » مع العمل على تكييفها وفق معطيات الواقع المحلى · وترى قيادة الثورة الكونجولية ، أنها قامت « بعملية تصحيح » لمسار الثورة بعد ماسيمباديبا · وهى بذلك لم تكتف بتأميم المؤسسات الاقتصادية والبنوك ، وانما خطت خطوة واسعة نحو انتزاع

البلاد من دائرة النفوذ الامبريالي نهائياً . وقد أوضح « نجوابي » قائد « حركة التصحيح » أن التأميم ليس هو المشكلة الرئيسية رغم ضرورته القصوى ، وانما المشكلة هي البدء فعلا في خطة للتنمية القومية التي تبدأ من الصفر تقريبا حيث أن البلاد تبدو فقيرة نسبيا بالمقارنة بينها وبين العديد من الدول الافريقية المجاورة خاصة الكونجو كينشاسا بثرواته المعدنية الهائلة . وقد عقدت جمهورية الكونجو برازافيل عدة اتفاقيات اقتصادية مع الاتحاد السوفيتي لاجراء عمليات مسح جيولوجي في البلاد واقامة مشروعات للمياه وخزانات لتوليد الكهرباء ومصانع للسكر والاسمنت .

وفي أوغندا ، أعلن الرئيس اوبوتي في عيد العمال (مايو ١٩٧٠) أن استيلاء الحكومة على القطاعات الاقتصادية الهامة في البلاد ، على ضوء « الميثاق الوطني » ـ الذي أعلن أواخر عام ١٩٦٩ ـ قد بدأ بالفعل بعد تأميم عمليات الاستيراد والتصدير واسهام الحكومة بـ ٦٠ في المائة من رأس مال البنوك وشركات البترول والنقل العام . وقد أوضح أوبوتي أن الحكومة سوف تسدد الالتزامات المالية الناشئة عن هذا الاسهام من أرباح المشروعات نفسها . وفي مجال التجارة الداخلية قررت الحكومة قصر التجارة في المواد الضرورية كالسكر والارز والبيرة على الوطنيين الافارقة فقط مما ترتب عليه توقف أعمال عدد كبير من الاسيويين . وقد أعلن الرئيس أوبوتي أنه من المحتمل أن يطلب من الاسيويين الذين يحملون جوازات سفر بريطانية مغادرة أوغندا . والواقع أن الصراع مع الاسيويين في أوغندا هو أحد المظاهر الاجتماعية الاجتماعية . واستطاعت أن تفرض على هذه الشركات اشتراك الحكومة بـ ٥١ في المائة من الاسهم على أن تدفع للصراع ضد مخلفات السيطرة الاستعمارية . اذ يسيطر هؤلاء الاسيويون على أعمال مالية وتجارية كانوا يمارسونها في ارتباط بالمصالح الاستعمارية .

وفي زامبيا كان قرار الرئيس كنيث كاوندا بأفرقة القضاء أو نقله الى أيدي الافريقيين ، استجابة لحركة جماهيرية عارمة ومظاهرات صاخبة عمت زامبيا كلها احتجاجا على تصرفات القضاة الاوربيين . ومثل هذا الاجراء لا يمكن أن يعزل عن صراع زامبيا ضد الاستعمار وضد حكومة الاقلية العنصرية في روديسيا ، ولا أن يعزى الى مجرد حدث واحد مهما بلغت أهميته ، ولكن يعزى الى الشعور المتعاظم بأهمية تحقيق المزيد من السيادة الوطنية وتخليص السلطة كلية من أيدي الاجانب .

ولعل الاحداث التي تلت ذلك تؤكد عمق الصراع بين البيض والسود الافارقة لا بوصفه صراعا بين أجناس وألوان ولكن بوصفه أحد مظاهر عصور السيادة الامبريالية على القارة والصراع الافريقي ضد هذه السيادة . فعندما دخلت الحكومة في مفاوضات مع شركات النحاس (انجلو امريكان ، رون سلكشن ترست) ، قام العديد من الاجانب بترك أعمالهم حتى بلغ معدل من يهجرون أعمالهم من ٤٠ الى ٥٠ في المائة . وربما كان الهدف من ذلك هو اصابة الاقتصاد الوطني بالشلل أو وضعه في ظروف صعبة يمكن معها وبالاستناد اليها أن تقوم الاحتكارات بتدبير المؤامرات للاطاحة بالسلطة الوطنية او اضعاف مواقعها . الا أن هذا لم يمنع الحكومة من المضي في الاجراءات الاقتصادية التي تهدف الى تحويل مجرى الثورة من مرحلة الاستقلال السياسي الى طريق التحولات الاجتماعية ، واستطاعت أن تفرض على هذه الشركات اشتراك الحكومة بـ ٥١ ٪ من الاسهم على أن تدفع مقابلها (٢٤٠ مليون دولار) من أرباح المناجم ذاتها على مدى ١٢ سنة . وتتضح أهمية هذا الاجراء اذا ما علمنا أن صناعة النحاس تمد الدولة بـ ٧٠ في المائة من دخلها ، وأن النحاس يشكل ٩٥ في المائة من اجمالي صادراتها .

وقد أنشأت الدولة بالاضافة الى هذا شركة التنمية الصناعية التي قامت بالاستيلاء على الحصص المملوكة للاجانب في العديد من الشركات . ثم توالت الاجراءات التي شملت اقتصاد زامبيا بكل قطاعاته ، فقد أصبحت الدولة الان مالكة لـ ٥١٠ في المائة من أسهم البنوك (منها ٤ بنوك بريطانية) واستولت الدولة على جميع شركات البناء ، كما طلبت من شركات التأمين انهاء أعمالها خلال ١٤ شهرا ، لتصبح هيئة التأمين التابعة للحكومة وحدها ، كما قررت اغلاق جميع متاجر الجملة التي يملكها الاجانب .

وفي الصومال ، حددت قيادة ثورة أكتوبر مهام المرحلة التي تواجهها البلاد في نقطتين : بناء قاعدة اقتصادية وطنية مستقلة وقوية ، وتوحيد القوى التقدمية والمثقفين الثوريين وتنظيم الجماهير . واتخذت قيادة الثورة خلال عام ١٩٧٠ عددا من الاجراءات لتصفية الحكم القديم الممثل للبورجوازية الزراعية المرتبطة بالرأسمالية الاجنبية والايطالية أساسا . فقامت بتأميم البنوك والصناعات القائمة في البلاد وقامت بعزل القوى السياسية القديمة سياسيا وفرض الحراسة على أموالها . كما أعلنت عن نيتها في الاقدام على اعلان اصلاح زراعي يقوم على أساس نزع الملكيات الكبيرة للارض (يملكها ايطاليون أساسا) . وأعلنت حكومة الثورة عن أنها تسعى الى دعم علاقاتها بقوى الثورة العربية في الجمهورية العربية المتحدة والسودان .

وفى السودان ، أعلنت حكومة الثورة فى عيد الثورة الاول (مايو ١٩٧٠) عن تأميم البنوك (٥ بنوك أجنبية وبنك سوداني ، وآخر سوداني ـ فرنسى) وانهاء سيطرة الشركات الاجنبية على التجارة الخارجية · وقضت هذه الاجراءات أيضا بايقاف عمل شركات التأمين الاجنبية ،وتأميم تسويق القطن وانشاء مؤسسة وطنية لتسويقه · وقد سبق اعلان هذه القرارات التقدمية ، أن أقدمت حكومة الثورة على مصادرة عدد محدود من ممتلكات ، وشركات بعض السودانيين لاسباب تتعلق بالرشوة أو بالتهريب أو بتمويل التحركات الرجعية . ويرى المراقبون أن هذه الاجراءات ، تتمة منطقية لعملية المواجهة الضارية التى وقعت بين الثورة وبين الرجعية المتعاونة مع الاستعمار فى جزيرة « آبا » بقيادة حزب الامة · هذه المواجهة التى ينظر اليها المراقبون أن هذه الاجراءات ، حاسما فى تاريخ ثورة السودان ·

وقد اتجه السودان الثورة خلال عام ١٩٧٠ الى دعم علاقاته السياسية بدول المعسكر الاشتراكى خلال سلسلة الزيارات التى قام بها الرئيس نميرى الى عديد من الدول الاشتراكية مصاحبا معه فيها وفودا شعبية ممثلة للنقابات والتجمعات الجماهيرية الديمقراطية فى السودان · وقد عقدت حكومة الثورة ـ خلال هذه الزيارات ـ عددا من الاتفاقيات الاقتصادية الهامة لبناء مشروعات خطة التنمية التى حرصت حكومة الثورة على طرحها على المؤسسات الجماهيرية لمناقشتها ·

وفى أواخر عام ١٩٧٠ ، أقدم مجلس قيادة الثورة على تنحية ثلاثة من أعضائه · وقد أحدث هذا القرار كثيرا من المناقشات ـ داخل وخارج السودان ـ هدأ من قلقها اعلان قيادة الثورة أن هذا القرار لا يمثل اتجاها سياسيا ضد اليسار الماركسى فى السودان وانما اتخذ لاسباب تتعلق بضرورة حماية وحدة مجلس الثورة ، ويرى المراقبون أن الحرص على وحدة القوى الثورية فى السودان هو ضمان استمرار الثورة وانتصارها على كل التحديات التى تتربص بها ·

أمريكا اللاتينية

*

● **الانقلاب العسكرى « العميل » لم يعد حتمية.**

● **تزايد الاختطاف فى مواجهة القمع الدموى ·**

● **كوبا : العشرة ملايين طن تكشف نواقص الصناعة ·**

● **شيلى : ماركسية عن طريق البرلمان ·**

سلطة.. ائتلاف اليسار.. عن طريق البرلمان

يتضح من تطور أحداث عام١٩٧٠ أنه تختمر فى أمريكا اللاتينية من المكسيك شمالا الى شيلى جنوبا حركة سياسية واسعة معادية للامبرياليةالامريكية وأنظمتها الرجعية والعميلة فى القارة ·

فقد اثبت برنامج « التحالفمن اجل التقدم » فشله فى تدعيم سيطرة الولايات المتحدةالسياسية ، وكشف عن حقيقة اهدافه فى ازدياد استغلال ونهبثروات الشعوب وافقارها المتزايد · ويثقل الاقتصادالامريكى بثقل ازماته وخاصة بسبب الحرب الفيتنامية علىكاهل اقتصاديات القارة كلها ·

ويأخذ الصراع ضد السيطرةالامريكية والنظم الموالية لها أشكالا متنوعة من الكفاحالتقليدى الى حركة الكفاح المسلح كما فى البرازيل وأوروجواىوبوليفيا وفنزويلا ·

وتحتل المشكلة الزراعية مكانابارزا ويدور حولها صراع اجتماعى متزايد، الاتساع نظرالتخلف بلدان القارة الصناعى بشكل عام وزيادة نصيب الزراعةعن الصناعة فى نسبة تشكيل الدخل القومى ويستثنى من ذلكبعض البلدان كالارجنتين وبوليفيا وشيلى وغيانا والمكسيك وبيرووأورجواى وفنزويلا ، والتى تساهم الصناعة فيها بنصيبأعلى ى الدخل القومى العام · ولقد عجزت الانظمة السياسيةالقائمة فى القارة مهما ادعت

« تقدميتها » عن حل المسألة الزراعية ، ذلك لان مصالحها الطبقية لا تمكنها من تناول هذه المسألة تناولا جذريا . وقد أدى هذا الوضع حتى فى البلدان الاكثر تطورا كالارجنتين وشيلى والبرازيل والمكسيك الى أن تظل قضية تطبيق الاصلاح الزراعى الجذرى مهمة ثورية رئيسية .

الانقلاب العسكرى « العميل » لم يعد حتمية :

● **وقد اتسعت** الجبهة المعادية للاستعمار الامريكى والحكومات الرجعية لتشمل علاوة على الطبقة العاملة والفلاحين الفئات الوسطى من البورجوازية والمثقفين وفئات واسعة من طلبة الجامعات ، كما ظهرت فى الكنيسة الامريكية اللاتينية ـ التى تعتبر أهم وأوسع فصيلة من فصائل الكنيسة الكاثوليكية العالمية ـ اتجاهات جديدة تفضح الاستغلال الامبريالى وتنادى بتوحيد الجهود من أجل مقاومته .

وتطالب هذه الفئات الواسعة بشكل عام باستعادة الثروات المنهوبة واشتراك اكبر من جانب الشعب فى استثمارها وتحقيق الحريات العامة وحق الاحزاب الثورية والشيوعية فى النشاط العانى ، وضرورة الافراج عن المسجونين السياسيين الشيوعيين والديموقراطيين ، ـ واحترام حقوق الانسان واصلاح الجامعات والتعليم بصفة عامة .

● **وتسيطر** الامبريالية الامريكية على القوات المسلحة فى بلدان أمريكا اللاتينية وقد استخدمتها فى قمع الحركات الوطنية والديمقراطية عن طريق الانقلابات العسكرية **ولكن هذه الظاهرة قد كفت عن أن تكون ظاهرة تقليدية سائدة . فالتغيرات التى تحدث داخل القوات المسلحة نفسها فى أمريكا اللاتينية ـ على الرغم من اعتماد الولايات المتحدة عليها ـ قد بدأ بعضها يأخذ اتجاهات وطنية موجهة ضد الامبريالية نفسها .**

فالمقاومة المسلحة التى اشتركت فيها الجماهير الشعبية والعسكريين المعاديين نجحت فى اسقاط الديكتاتورية الرجعية المتمثلة فى حكم **بيتانكور وليونى فى فنزويلا** عام ٦٩ كما تجرى فى **بيرو** تحولات ديمقراطية معادية للامبريالية على يد حكومة وطنية من القوات المسلحة ـ أهمها تأميم مؤسسات النفط الامريكية ـ وتطبيق أصلاح زراعى ديمقراطى .

● **وتؤكد تطورات الاحداث فى امريكا اللاتينية ان النضال الوطنى لا يمكن أن ينتصر دون التطور المستمر فى اتجاه مزيد من التغييرات فى التركيب الاجتماعى لصالح الجماهير الشعبية وفى اتجاه الاشتراكية** كما تؤكد أيضا ان الطريق للوصول الى تحقيق هذه الاهداف يمر عبر وحدة وطنية واسعة تضم جماهير الشعب من الطبقة العاملة حتى البورجوازية الوطنية ، الامر الذى توج بانتصار حاسم لهذه القوى فى الانتخابات الاخيرة فى **شيلى** ، على الرغم من الجهود اليائسة التى بذلتها قوى الامبريالية واليمين الرجعى .

● **كما تميزت الفترة الاخيرة** بظهور اتجاهات ما يسمى « **باليسار الجديد** » التى ترى أن البورجوازية القومية فى امريكا اللاتينية قد حققت أهدافها الاساسية سواء على الصعيد الاقتصادى أو السياسى . وبالتالى فقد غدا التحول الاشتراكى ضرورة موضوعية تمليهاظروف التطور فى بلدان أمريكا اللاتينية . ويعارض هذا الاتجاه فكرة ضرورة المرور عبر مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، اى تنادى بالاتجاه دفعة واحدة الى الثورة الاشتراكية . .

وينادى اتجاه يسارى آخر بأن للقارة الامريكية اللاتينية طابع خاص لا يمكن أن تطبق عليه القوانين السياسية والاقتصادية التى تطبق عادة بالنسبة للمناطق النامية فى أجزاء أخرى من العالم . فالمفاهيم المتعارف عليها عن الاستعمار وشبه الاستعمار والاستعمار الجديد ليس لها أساس موضوعى فى أمريكا اللاتينية ،وبالتالى فلايمكن أن يطبق على أمريكا اللاتينية مفهوم حركة التحرر الوطنى الذى تنادى به الاحزاب الشيوعية باعتباره الطابع العام للمرحلة الثورية فى القارة . بل يجب تناول الاوضاع السياسية والاجتماعية من زاوية جديدة تماما تتعلق بفئة رابعة من البلدان متميزة عما يسمى بالعالم الثالث وهذا الطابع الجديد فى نظر أصحاب هذا الرأى لم يحدد بعد ، وعليه فالنضال الثورى فى أمريكا اللاتينية انما يجرى فى اطار يختلف، تماما عن اطار حركة التحرر الوطنى بمعناها العام .

● **وترى** الاحزاب الشيوعية فى أمريكا اللاتينية أن التركيب الاقتصادى لبلدان القارة غير متجانس ويتألف من عناصر اقتصادية متنوعة ـ من مخلفات مجتمعات ما قبل الرأسمالية ورأسمالية وطنية تابعة،ورأسمال اجنبى يزداد توغلا فى فروع الاقتصاد الاساسية بالقارة . وهذه العناصر لا توجد بينها فواصل واضحة بل يوجد بينها نوع من الارتباط، وتتساند بصورة متبادلة . وهى بذلك تشكل وحدة متناقضة . وهذا التركيب الاقتصادى لا يظل ساكنا وانما يتطور ببطء وبشكل مشوه . ان تصنيع أمريكا اللاتينية الذى ارتفعت معدلاته عقب الحرب العالمية الثانية بصورة لايمكن تغافلها ، لم يكن على نفس المستوى فى كافة بلدان القارة ، وعليه فالوضع الاقتصادى فى كل قطر على حدة يلعب دورا يختلف فى أهميته طبقا لظروف هذا القطر . ففى الارجنتين والمكسيك والبرازيل وفنزويلا وشيلى يتعاظم دور الانتاج الرأسمالى وأهميته بالنسبة لبلدان القارة الاخرى .

وتظل الزراعة بمثابة الفرع الرئيسى للاقتصاد فى غالبية

بلدان امريكا اللاتينية وتتميز بانتاجية منخفضة وتسير فى اتجاه التوسع الافقى لا الرأسى — وهذا لا ينفى وجود مزارع رأسمالية واسعة حديثة تتبع أحدث الاساليب العلمية والتكنيكية تمتلكها الاحتكارات الامريكية ٠

ان واقع القارة السياسى يوضح تواجد اشكال مختلفة من الاستعمار ، والانظمة شبه الاستعمارية والاستعمار الجديد بصورة كلاسيكية ، او فى صور جديدة ، ويتخذ الاستعمار الجديد أشكالا تختلف عن التى يتخذها فى بلدان افريقيا وآسيا الحديثة التحرر ، ومن ثم يتعين على الحركة الثورية فى بلدان امريكا اللاتينية ان تواجه نفس الثورة الوطنية الديمقراطية التى تواجها بلدان آسيا وأفريقيا ٠

على اننا اذا كنا بصدد تقديم حسابات ١٩٧٠ فى امريكا اللاتينية ، يتعين علينا ان نشير بصفة خاصة الى ازدياد عمليات اختطاف الدبلوماسيين والوزراء والشخصيات البورجوازية وكبار موظفى الدول الامبريالية من قبل الحركات الثورية المسلحة الجديدة فى بلدان القارة المختلفة ٠ ويعكس ذلك فى الحقيقة اسلوبا من الاساليب العملية التى تلجأ اليها الحركات الثورية الجديدة فى مواجهة عسف وقمع واضطهاد قوى الامبريالية وعملائها على نطاق القارة ، ولعل من انشط المنظمات التى لعبت دورا كبيرا بهذا الصدد منظمة « **توباماروس** » فى اوروجواى ، وغيرها ، وتندرج كل كل تلك العمليات فى الحقيقة تحت ما يسمى بمبدأ « **الدعاية المسلحة** » الذى ابتكره الثوار فى امريكا اللاتينية فى مواجهة موجة العنف الامبريالى المتزايد ٠

كوبا : العشرة ملايين طن تكشف نواقص الصناعة :

اوضح الخطاب الذى القاه الرفيق « **فيدل كاسترو** » السكرتير الاول للحزب الشيوعى الكوبى ورئيس وزراء الحكومة الثورية **فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٧٠** مدى المصاعب التى تعانيها الثورة الكوبية فى مجال التنمية الاقتصادية ٠ وعبر عن ذلك فى بداية خطابه قائلا « اننا سنتكلم اليوم عن مشكلاتنا ومصاعبنا واخفاقاتنا اكثر مما سنتكلم عن نجاحاتنا ٠٠ نحن نريد للشعب أن يعرف وان يفهم وان يعد نفسه للمعركة ذلك لان مشكلاتنا لن تحلها معجزات تصنعها أفراد أو حتى مجموعة من الافراد ، ان الشعب فقط هو الذى يستطيع ان يصنع المعجزات » ٠

واستعرض كاسترو هذه المصاعب ، اولا بأنه على الرغم من زيادة السكان منذ عشية انتصار الثورة سنة ٥٨ بحوالى ١٫٧٠٩٫٠٠٠ الا أن نسبة القوى العاملة ستسوء خلال السنوات القادمة ولن تتحسن الا فى نهاية السبعينات اذ ان ٣٢ فى المائة فقط من عدد السكان يعمل فى نشاطات مرتبطة بالاقتصاد ، وتشمل هذه النسبة من يعملون فى تجهيز مشروعات الخدمات كالصحة والتعليم والذى يعملون لحماية الثورة والوطن ٠ هذا فى حين أن دول اوروبا الصناعية المتقدمة الاشتراكية منها أو الرأسمالية أمكنها خلال العشر سنوات الماضية توظيف ٤٥ فى المائة فى تعدادها فى النشاط الانتاجى ٠

واشار الى ان الثورة منحت ٣٨٠٫٠٠٠ معاش للشيوخ والمتقاعدين ورفعت معاشات ١٩٨٫٠٠٠ آخرين مما رفع مبالغ الاعانات من ١١٤ مليون بيزو الى ٣٢٠ مليونا ، كما ازدادت فئات التعليم من ٧٧ مليون بيزو سنة ٥٨ الى ٢٩٠ مليونا سنة ١٩٦٩ ٠

ان المعركة البطولية التى خاضها الشعب الكوبى من أجل انتاج العشرة ملايين طن سكر أسفرت عن جمع القصب الكافى لصنع عشرة ملايين طن الا ان الجانب الصناعى كان قاصرا عن ان يفى بهذا الهدف ٠ ولقد حققت كوبا زيادة قدرها ٤ ملايين طن من السكر عن العام الماضى ولكنه يصعب تحقيق زيادة مماثلة فى الانتاج مرة أخرى نظرا لظروف التركيب السكانى ٠ واستحالة زيادة ساعات العمل الى المعدل الذى كانت عليه قبل الثورة ٠

واشار كاسترو الى ان الثورة فى البداية كانت مشوشة التفكير ازاء المشكلات السياسية والاجتماعية وتأثرت الى حد كبير بوسائل الدعاية الامبريالية ٠ وكانت السنوات الاولى سنوات المعارك السياسية والايديولوجية الكبرى بين الطريقين البورجوازى والاشتراكى ، وتركزت مهمة الطليعة الثورية وقتها على رفع وعى الجماهير ولم تكن قضية الانتاج مشارة بصورة اساسية نتيجة لتراكم المشاكل الناجمة عن البطالة والاستغلال فيما مضى ٠

لم تكن الثورة الكوبية قادرة على خوض المعارك الاخرى فى نفس الوقت الذى قامت فيه بالجهد البطولى من أجل زيادة انتاج السكر لزيادة قوة البلاد الشرائية ، وأدى ذلك الى انخفاض الانتاج فى قطاعات اخرى وزيادة المصاعب الاقتصادية ٠

فانتاج الارز على الرغم من زيادة المساحة لا يزال دون المطلوب كما وكيفا ، ونقص انتاج اللبن عام ٧٠ بمقدار ٢٥ فى المائة عنه فى عام ٦٩٠ ٠ كما نقصت الكمية الموزعة من قضبان الصلب بنسبة ٣٨ فى المائة والاسمدة بنسبة ٣٢ فى المائة بسبب نقص وسائل النقل ٠ وبالنسبة للالات الزراعية لم تسلم حتى منتصف عام ٧٠ سوى ٨ فى المائة فقط مما كان ينبغى تسليمه ٠ وانخفضت كميات الورق والكرتون بمقدار ٥٩٠٠

طن وكانت نسبة النقص فى الاطارات ٥٠ فى المائة والاحذية بمقدار ٥ر١ مليون زوج ـ كما لم تنجز خطط التصدير والاستيراد بسبب تأخير العقود وصعوبات فى توفير وسائل الشحن ـ وأزمة فى اوضاع الشحن والتفريغ فى الموانى • وقد أثرت مصاعب النقل البرى والسكة الحديدية على النشاط الاقتصادى بصورة خطيرة •

وعلى الرغم من المصاعب الموضوعية القائمة فقد استبعد كاسترو مناقشتها والقى اللوم على عاتق القيادة الثورية وعلى رأسها هو ، وفضل ان يختار الشعب شخصا آخر الا أن الجماهير رفضت هذا فى هتافاتها •

وحدد كاسترو ان ميراث كوبا من الجهل يمثل مشكلة من اكثر المشاكل صعوبه وانه ينعكس على الكثير من الرجال فى مراكز المسئولية • أن كوبا تعانى من نقص الكوادر ذات التدريب العالى والذكاء والقدرة على تنفيذ مهام الانتاج المعقدة •

واشاد كاسترو الى روح الطبقة العاملة الكوبية وتضحياتها وانكارها للذات فعلى الرغم من المصاعب فى المعيشة والاسكان والملبس الا أن عمال المصانع التى زارها لبحث مشاكل الانتاج لم تكن تتكلم عن هذه المصاعب وانما كان اهتمامهم اكثر بمشاكل الانتاج • وعلق كاسترو على ذلك بقوله :

« لقد بدأنا كثوريين من خلال الدراسة النظرية واخذنا طريق الثقافة طريق الفكر • ولو كنا قد جئنا من المصانع وعرفنا اكثر عنها لكان ذلك قد ساعدنا جميعا • ففى المصانع توجد الروح الثورية الحقة التى تحدث عنها ماركس ولينين » •

واشار كاسترو الى ان الطريق الوحيد لحل المشاكل التى تواجه كوبا هو ان يعمل الجميع معا من الذين يحتلون أعلى مراكز المسئولية فى الحزب والدولة الى الذين يعملون فى اكثر المصانع تواضعا • وتعرض لمشاكل الادارة ودور المديرين واشار الى ضرورة التمييز بوضوح بين مهام مندوب الحزب ومدير المصنع فالاول مادته الخلم الاساسية الرجال ، أما الثانى فمادته المواد الخام والالات •

واوضح أنه من الضرورى اتخاذ سلسلة من الاجراءات فى قيادة الحزب ، كى يمكن البدء فى حل بعض المشاكل الهيكلية فهى تكوين جهاز سياسى يقوم بالتنسيق بين القطاعات المختلفة للانتاج الاجتماعى •

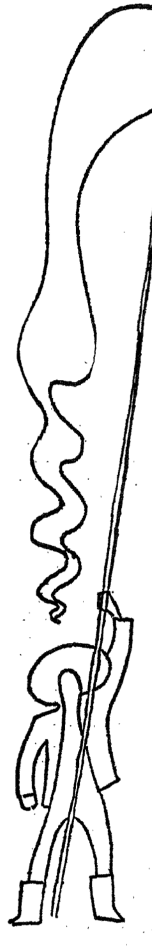
وقارن كاسترو بين مصاعب مرحلة الكفاح المسلح ومرحلة البناء الاقتصادى لتحقيق الاشتراكية وعبر عنها بشكل بليغ ومركز قائلا : « لربما كان من الاسهل والاسهل علينا آلاف المرات أن نسحق مرتزقة بلايا جيرون فى ساعات قليلة من أن نحل مشاكل احد منشأتنا الصناعية حلا حقيقيا •• من الاسهل ان نكسب عشرات الحروب عن ان نكسب معركة التخلف » •

ماركسية عن طريق البرلمان :

انتخب سلفادور الينـدى كرئيس لدولة شيلى فى الرابع من سبتمبر سنة ١٩٧٠ • وانتصر ائتلاف « الوحدة الشعبية » ليحقق حدثا من أهم الاحداث السياسية فى أمريكا اللاتينية بعد انتصار الثورة الكوبية •

وشهدت العاصمة سنتياجو الاحتفالات الضخمة وظهرت صورة الينـدى على اللافتات ، وتحتها عبارة « انتصرنا » ولافتات أخرى تقول « لم تعد كوبا وحيدة بعد الان » •

وتتكون حكومة « الينـدى » الائتلافية من اربعة وزراء اشتراكيين وثلاثة شيوعيين وثلاثة راديكاليين وأربعة مستقلين وواحد من الديمقراطيين المسيحيين • وقد أثار فوز « الوحدة الشعبية »



موجة يائسة من الارهاب اليميني تمثلت في اغتيال الجنرال « رينيه شنيدر » قائد عام الجيش · وقد لعبت القوات المسلحة دورا ساعد على نجاح القوى التقدمية في الوصول الى الحكم وشل قوى اليمين الرجعي ·

وتواجه حكومة شيلي الجديدة تحديين أساسيين أولهما التوفيق بين اعادة توزيع الدخل وبين المعركة ضد التضخم الذي وصل معدله في العام الماضي الى ٣٣ في المائة · وثانيهما خفض نسبة البطالة العالية مع المحافظة على القدرة الانتاجية ·

ويتوقف الكثير على اعادة تنظيم الصناعة التي تعاني من مشكلتين أساسيتين : هما التركيز بصورة واضحة في أيدي عدد قليل من الاحتكارات الخاصة يسيطر عليها رأس المال الاجنبي ، وطبيعة تكوين هذه الصناعات التي سخرت لتحقيق طلبات قطاع صغير من المجتمع لديه فائض هائل من الدخل ·

وسوف تقوم الحكومة الجديدة بتأميم البنوك الاجنبية والمحلية وشركات التأمين وكافة أشكال التجارة الخارجية التي تمتلكها اساسا الاحتكارات الامريكية الشمالية ، **وتربو استثمارات الولايات المتحدة في شيلي على الف مليون دولار** معظمها في صناعة

وسوف تقيم الحكومة الجديدة قطاعا صناعيا مشتركا بين الحكومة والقطاع الخاص - بالاضافة الى القطاع العام الحكومي - أما القطاع الخاص فسوف يشمل حوالي ٣٠٫٠٠٠ منشأة صناعية تستخدم أكبر نسبة من القوى العاملة في شيلي ·

وقد وعد « الليندي » بسن دستور ديمقراطي جديد ينص على اقامة جمعية شعبية من مجلس واحد · واقامة نظام ديمقراطي يقضي على الاوضاع السابقة التي عانت منها شيلي سواء خلال عهود الرئاسة الديكتاتورية او نظم الحكم البورجوازية البرلمانية الزائفة · وسوف يعاد تنظيم القضاء بشكل يتناسب مع مصالح طبقات الاغلبية ·

ولقد برهن انتصار « الوحدة الشعبية » في شيلي على امكانية وصول قوى اليسار المؤتلفة الى السلطة عن طريق الانتخابات وهو المفهوم الذي طرحه المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفييتي عن امكانية الانتقال السلمي الى الاشتراكية ، وذلك على الرغم من ان شيلي لا تعتبر نموذجا مثاليا لذلك · ولقد أدت الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في شيلي بفضل النضال البطولي الطويل والمرير للاحزاب والتنظيمات الثورية والديمقراطية الى احراز هذا النصر ·

فبالنسبة الريف يملك عدد محدود من كبار الملاك ٨٠ في المائة من مجموعة الاراضي المنزرعة والباقي يملكه صغار المزارعين · ويبلغ معدل الزيادة السنوي في الانتاج الزراعي ٢ في المائة بينما يبلغ معدل زيادة السكان السنوي ٢٫٦ في المائة وتدهور الانتاج الزراعي منذ عام ٦٤ وبلغ اجمالي السلع الزراعية المستورد خلال العشر سنوات الماضية ١٠٠٠ مليون دولار ·

ويشكل الفلاحون ٢٨ في المائة من عدد السكان ، ٥٣ في المائة منهم لا يملكون ارضا ، ويتركز معظمهم في المناطق الوسطى والشمالية التي لا يزيد نصيبها عن ٨ في المائة من الدخل القومي ·

ويعاني ٤٠ في المائة من سكان شيلي من نقص التغذية المزمن - كما تعاني شيلي من أعلى نسبة لوفيات الاطفال ·

ولقد خاض الفلاحون نضالا طويلا من أجل حقوقهم وخاصة من أجل اصلاح زراعي جذري واتخذ صراعهم اشكالا مختلفة من العرائض الى الاضرابات الى خطف كبار الملاك الى المسيرات - ولقد اضطرت الحكومة السابقة الى سن قانون قاصر للاصلاح الزراعي ، لم يف بمطالب الفلاحين

ويوجد في شيلي اتحادان للفلاحين ، أحدهما يقع تحت سيطرة المسيحيين الديمقراطيين والثاني بقيادة العناصر الفلاحية التي عملت لفترة طويلة في حقل النضال الفلاحي ويسمى بالاتحاد الوطني للفلاحين والهنود والمعروف باسم « راكيل » ·

وتستوعب الصناعة والمناجم في شيلي نسبة ٢٨٫٣ في المائة من السكان العاملين ، وتستوعب الزراعة ٢٧٫٧ في المائة والتجارة والخدمات ٤٤ في المائة ·

هذا بينما يبلغ نصيب الصناعة والمناجم في الانتاج القومي ٤٥ في المائة ،والزراعة ١١ في المائة والتجارة والخدمات ٤٤ في المائة ·

وتلعب الطبقة العاملة في شيلي وأحزابها الثورية وأساس الحزب الشيوعي دورا رئيسيا في النضال ضد الامبريالية ، والنظم الرجعية المحلية ومن أجل الديمقراطية والتضامن مع جماهير الفلاحين ومن أجل حل جذري للمشكلة الزراعية ·

ويعاني من البطالة ٣٠٠٫٠٠٠ نسمة في شيلي أي بنسبة ٦٫٤ في المائة من مجموع القوى العاملة · وترتفع هذه النسبة بين الشباب الى ١٩ في المائة ·

ان انتصار « الوحدة الشعبية » في شيلي لابد وأن يؤثر تأثيرا كبيرا ومباشرا على الحركة الوطنية والديمقراطية في بلدان امريكا اللاتينية ، كما يؤكد صحة تقديرات المؤتمر العالمي للاحزاب الشيوعية والعمالية الذي عقد في موسكو بالنسبة لهذه المنطقة من العالم التي « تشهد تطور حركات ثورية واسعة ديمقراطية ومعادية للامبريالية ستفتح الطريق نحو الاشتراكية » ·

حوار
حول الايديولوجيا والعلوم الانسانية

أثارت دراسة « الايديولوجيا والعلوم الانسانية » — التى نشرت فى العدد السابق — اهتمام عدد كبير من المتخصصين والمهتمين بالعلوم الانسانية .

وقد جاءنا عدد من المقالات والتعليقات ، سنتابع نشرها فى الاعداد القادمة ، بهدف ادارة حوار بين وجهات النظر المختلفة فى موضوع على هذا القدر من الاهمية فى صياغة وتشكيل الفكر الحديث.
وننشر فى هذا العدد مقالا للدكتور محمود عودة وتعليق لطفى قطيم يشمل الدراسة السابقة ومقال الدكتور عودة .

علم الاجتماع بين الوحدة والتعدد

د. محمود عودة
مدرس علم الاجتماع بكلية آداب جامعة عين شمس

شهد علم الاجتماع فى مصر ظروفا خاصة ، فلقد بدأ تبنيه أكاديميا فى الجامعات المصرية منذ فترة تعد طويلة نسبيا بالنظر الى حداثته كنظام علمى على المستوى العالمى . وربما كان هذا التبنى الاكاديمى القديم نسبيا وليدا للمحاكاة أكثر من كونه وليدا للوعى بالعلم ذاته ، أطره النظرية ، وامكانات الافادة من نتائجه واسهاماته .

وجدير بالذكر أنه قد ترتب على هذه المحاكاة الاكاديمية نوع من المحاكاة الفكرية أيضا ، أعنى أن رواد هذا العلم فى مصر قد تلقوا فى جملتهم ، تدريبهم وتأهيلهم فى الدول الغربية ، وتبنوا بالتالى التيارات الفكرية الجارية هناك ، ونقلوها وتحمسوا لها ولنشرها عن قصد أو غير قصد .

وقد تركزت جهود هؤلاء الرواد فى التعريف بالعلم ومجالاته ومحاور اهتمامه ومناهجه ، وكان عملهم هذا مساويا للمرحلة التى بلغها نمو علم الاجتماع فى هذه الفترة ، أو متخلفا عنها بمسافة تختلف بعدا أو قربا .

ولا يغيب عن المهتم بالتاريخ لعلم الاجتماع فى مصر أن تدريسه قد بدأ فى الجامعة المصرية ، وهى التى أصبحت تعرف الان بجامعة القاهرة فى عام ١٩٢٥ « وقد أخذ نمو هذا النظام الجديد طريقا طويلا وبطيئا بعض الشىء لانه ظل نحو ما يزيد عن عشرين عاما تحت سيطرة الفلسفة فى كلية الاداب ، ومنذ عام ١٩٤٧ بذلت محاولات ناجحة لتحرير علم الاجتماع من الفلسفة ، وقد أصبح علم الاجتماع يدرس كمادة مستقلة فى كليات الاداب التابعة للجامعات الثلاث ، القاهرة والاسكندرية وعين شمس » (١) .

وقد أضحى علم الاجتماع من الناحية التنظيمية ، يحظى بمكانة نامية ، أصبح له قسم مستقل تقريبا فى خمس جامعات ، الازهر والقاهرة والاسكندرية وعين شمس وأسيوط . وقد خلق هذا النمو المتزايد فى الوضع التنظيمى لعلم الاجتماع فى مصر كثيرا من المشكلات ، حيث لم يكن مصحوبا بنمو مواز للمتخصصين تخصصا راقيا فى مجاله ، منها مثلا أن القلة التى حققت مثل هذا التدريب الراقى قد وجدت نفسها منوطة بتدريس تشكيلة من مواده المتخصصة فانشغلت فى معظمها بهذا العمل وما يترتب عليه من اعداد مؤلفات مدرسية تقابل هذه المواد . . وقد عوق ذلك كله الاهتمام بالبحوث الميدانية التى يمكن أن تسهم فى فهم المجتمع المصرى ومشكلاته النوعية . وكان من الطبيعى أن ينعكس هذا الموقف بدوره على المؤلفات

[١] حسن الساعاتى ، « علم الاجتماع فى مصر ودوره فى التغير الاجتماعى » ، حولية كلية الاداب جامعة عين شمس ، المجلد الخامس ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

المدرسية ذاتها حيث نجد اغلبها يعتمد على حقائق ونظريات قد لا تنتمى الى واقع المجتمع المصرى فى شيء (٢). ويمكننا القول ترتيبا على ذلك ان علم الاجتماع فى هذه المرحلة ظل مغتربا عن واقع المجتمع المصرى فيما عدا بعض البحوث القليلة التى تعرضت بالدراسة لبعض ظواهره ، وليس هنا بالتأكيد مجال لتقويمها من الناحيتين النظرية والمنهجية . ومن الطريف أن المحاولات التى بذلت لفهم مجتمعنا ورصد حركته وتقصى ظواهره قد جاءت فى معظمها من غير النطاق التخصصى لعلم الاجتماع .

تلك مقدمة ضرورية لما نحن بصدد طرحه من مشكلات ولا يعنى ذلك بالطبع عدم وجود الحاجة الى اعداد دراسة منظمة للمؤلفات والاعمال التى ظهرت فى علم الاجتماع ومجالاته فى مصر ، تحلل مضمونها ، وتترسم اتجاهاتها ومنطلقاتها ، مع وضعنا فى الاعتبار أن مثل هذا العمل قد يكون محفوفا بالمخاطر .

ويسود الدوائر العلمية المهتمة بعلم الاجتماع فى مصر الان اعتقاد بأن هذا العلم آخذ الان فى تجاوز مرحلة الرواد هذه واستشراف آفاق جديدة ، ويرجع ذلك فى جانب كبير منه الى انفتاح المشتغلين به الان على آفاق فى المعرفة كانت موصدة من قبل بحكم الحواجز السياسية أو اللغوية من ناحية والى نمو جيل جديد من المتخصصين الذين عانوا من الخلط الفكرى وعدم وضوح الرؤية ، بل وعدم الثقة فى مجال تخصصهم فأخذوا على عاتقهم مهمة تحسس طريقهم بأيديهم وتعبيده بجهودهم ، وممارسة النقد الذاتى لما حصلوه من معرفة بعلمهم هذا . ونحن لا نستطيع أن ننكر أن جيلنا من الباحثين الشبان قد تلقى معظم معرفته من نبع واحد تقريبا ، ولا يرجع ذلك الى عجز أو تقصير ، وانما يعود الى أنه كان هو المنبع المتاح بدرجة أكثر من غيره ، ولا نستطيع أن ننكر أيضا أن الجهود الانتقادية التى بذلت لتفنيد تياراته كانت ضعيفة بل ربما نادرة . وقد ترتب على ذلك أن كثيرا من البحوث والدراسات السسيولوجية فى مصر تعكس أمامنا مجموعة من المؤثرات الوافدة ، أو هى تحاكى الى درجة كبيرة التيارات الجارية فى الولايات المتحدة وأوربا ، وقليل منها يدرك ضرورة تعديل الاطر التصورية والاجراءات المنهجية فى ضوء الظروف الخاصة بالمجتمع المصرى وأوضاعه الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية .

وتكشف الجهود العلمية الشابة التى تبذل الان عن رغبة جامحة فى تلمس الحقيقة ، ولكنها تنطوى أيضا على تصارع فكرى كامن أو ظاهر . والواقع أن طريق الحوار بين أصحاب هذه الجهود هو الذى سيحدد موقف هذا العلم وارتباطاته المختلفة ، أو يزيده غموضا فوق غموض وخلطا فوق خلط .

ويمكننا أن نضع التساؤلات الاساسية الكامنة وراء هذا الصراع الفكرى على النحو التالى:

- **هل هناك علم اجتماع واحد أم علوم اجتماع متعددة ؟**
- **ان كان ثمة تعدد فما هو محور التصنيف ؟**
- **بماذا يلتزم الباحث الاجتماعى ؟**

أولا : علم الاجتماع

بين الوحدة والتعدد

فى الوقت الذى يرى فيه بعض المؤرخين لعلم الاجتماع والنظرية الاجتماعية ، أن هذا العلم قد حقق فى النصف الاول من القرن العشرين تقدما حاسما ، ويستشهدون على ذلك بأن الجدل الذى يثار بصدد نطاق هذا العلم ومنهجه قد تحول الى دراسة اطار منظم نسبيا ، مستند الى طائفة كبيرة من الملاحظات والاستنتاجات وذلك كنتيجة لتقارب التيارات الفكرية التى اصطرعت فى ميدانه منذ بداية نشأتها ، والتقائها المعاصر حول مجموعة محددة من القضايا (٣) . فى هذا الوقت يشهد ميدان علم الاجتماع حوارا جديدا حول الطبيعة الاساسية له وحول لغته ومفهوماته المستخدمة وارتباطاته المتعددة . ويرجع ذلك اساسا الى الاعتراف الرسمى الحديث من قبل الدول الاشتراكية والاتحاد السوفيتى على وجه التخصيص بامكان قيام علم الاجتماع بجوار المادية التاريخية ، وما ترتب على ذلك من تزايد نشاط العلماء السوفيت فى المحافل العلمية الدولية وطرحهم لافكار جديدة وقضايا جديدة على أصحاب التيارات غير الماركسية ، أى أن المرحلة التى بشرت بالاتفاق هى ذاتها التى بشرت بالاختلاف . وقد انتقل الحوار الدائر على النطاق العالمى الى المستهلكين المحليين هنا بالطبع . ويمكننا ان نلخص موقف علم الاجتماع الان بأن

---

[٢] انظر ، محمود عوده ، الوضع الحالى للدراسات الاجتماعية الريفية ، دراسة مقدمة للحلقة الدراسية الاولى لعلم الاجتماع الريفى فى مصر ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، تحت الطبع .

[٣] نقولا تيماشيف ، نظرية علم الاجتماع ، الترجمة العربية ، دار المعارف ، ١٩٧٠ .

هناك قوتين رئيسيتين تتجاذبه ، أو هو يتردد بين اتجاهين ، أحدهما يسعى الى وحدة العلم والاخر يرى أن العلم ما هو الا ضرب من الوعى الاجتماعى ولذلك فهو يرتبط ارتباطا عضويا ومباشرا بالظروف التى ينشأ ويتطور فيها ، وهو بالتالى يعبر عن هذه الظروف ويعكسها ، وجدير بالذكر أن الاتجاه الثانى ليس مقصورا على أصحاب التيار الماركسى فى علم الاجتماع بل له أتباعه أيضا فى المعسكر الاخر ، وقد ترتب على الاتجاه الاخير بالذات أن صنف علم الاجتماع تصنيفات اتخذت محكات متعددة تستند اليها .

التصنيف الاقليمى

هناك على سبيل المثال التصنيف القومى لعلم الاجتماع الذى يذهب الى أن هذا العلم يختلف باختلاف الدول ، فينبغى أن يكون هناك علم اجتماع مصرى وليبى وسودانى وتركى وغير ذلك والذى يحدد العلم هنا هو الاقليمية أو القومية ، ولنا أن نتصور ان كل دولة قد ابتكرت علم الاجتماع الخاصة بها ، بالتأكيد سوف لا نكون بصدد علم على الاطلاق وانما بصدد نظم شبه علمية أو فلسفات قومية واقليمية تخدم أوضاعا قائمة بالفعل وتتحول بتحول الحدود القومية والاقليمية ، فالاتحاد الثلاثى مثلا بين مصر وليبيا والسودان ينبغى أن يكون متبوعا باتحاد أيضا بين علم الاجتماع المصرى والليبى والسودانى !! وهكذا .

ان هذا المحك التصنيفى يمثل اساسا واهيا ويفتقر الى الاحاطة بمفهوم العلم ومجاله ومناهجه بوصفه اتجاها محددا للفهم والتفسير ، فالعلم هنا لا يختلف باختلاف الدول ، وانما تختلف محاور اهتمامه ، وترتيب هذه الاهتمامات وفقا لاختلاف الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية ، وتبعا لاختلاف المشكلات النوعية لكل مجتمع وذلك خليق بأن يثرى وحدة العلم ويؤسسها على ماهو مختلف من الظواهر كما هى مؤسسة على ما هو متشابه، فكلما اتسع نطاق المشاكل التى يدرسها المتخصصون وتباينت نوعياتها ، ونوعيات الظروف المحيطة بها والمؤدية اليها، أضاف ذلك جديدا الى البناء النظرى له وعدله وجعله أكثر قدرة وكفاءة على فهم الوقائع المتباينة والظواهر المختلفة والظروف المتعددة .

التصنيف الطبقى

يضاف الى ذلك ما تذهب اليه تيارات معينة الى تصنيف علم الاجتماع تصنيفا طبقيا الى علم اجتماع بورجوازى ، وآخر بروليتارى ، فعلم الاجتماع البورجوازى هو الذى يخدم أساسا مصالح الطبقات المستغلة ، أما علم الاجتماع البروليتارى فهو علم الطبقة العاملة . انهذا العلم هو نظرية المادية التاريخية التى هى نفسها يمكن أن تكون علم الاجتماع الماركسى (٤) .

وينبه الاستاذ السيد يسن الى أن هذا التصور هو الذى ساد الفكر السوفيتى الرسمى لحقبة طويلة من الزمان أعنى التصور الذى يعين علم الاجتماع الماركسى بالمادية التاريخية وقد ترتب على ذلك « عقم التفكير السسيولوجى الماركسى وتجمده » ، « لكن أهم تطور حدث هو ظهور علم الاجتماع مستقل بجوار المادية التاريخية وهذا الاتجاه يعد مخالفا تماما لوجهة النظر الرسمية التى ظلتتردد حقبة طويلة من الزمان. ان المادية التاريخية هى نفسها علم الاجتماع الماركسى » (٥) .

لكن المقال المشار اليه لم يوضح لنا الظروف التى بررت أو التى يمكن أن تبرر هذا الاعتراف المفاجىء بامكان قيام علم اجتماع بجوار المادية التاريخية . وذلك مطلب مشروع وضرورى . وحينما نبحث عن هذه المبررات فىمؤلف سوفيتى حديث خصص لمناقشة مشكلات علم الاجتماع النظرية والمنهجية وأعنى به مؤلف عالم الاجتماع السوفيتى أوسيبوف نجده يقولمايلى « ان ماركس وأنجلز قد خلقا ، بادماجهما النشاط البشرى الاجتماعى فى علم الفلسفة نظاما فلسفيا واحدا متكاملا » وأن علم الاجتماع هو « نظام القوانين الاجتماعية أى القوانين التى تحكم المجتمع فحسب » وهو يستطرد فيقول « تنشأ الحياة الاجتماعية من مجالات النشاط البشرى المختلفة ، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والروحية . وتتناول المادية التاريخية [أى فلسفة التاريخ] على عكس العلوم الاجتماعية النوعية كالاقتصاد والاجتماع أو السياسة ، الخواص المشتركة التى تربط جميع هذه المجالات من النشاط الاجتماعى البشرى فى عملية تاريخية واحدة ، ان المادية التاريخية مفهوم يستخدم للاشارة الى تلك النظرة لمسار التاريخ التى تلتمس السبب النهائى أو العلة الاساسية والقوة المحركة الكبرى لجميع الاحداث التاريخية الهامة فى المجتمع » « وبينما يقتصر

---

[٤] السيد يس ، الباحث الاجتماعىوالاختيار الايديولوجى ، الطليعة ، عدد ١٢ ديسمبر ١٩٧٠.

[٥] المصدر نفسه

موضوع علم الاجتماع على مجال واحد من مجالات النشاط الاجتماعي البشرى ـ المجال المدنى ـ فان موضوع المادية التاريخية هو المجتمع فى كليته والاعتماد المتبادل بين جوانبه المتباينة فى تطورها التاريخى » (٦) ٠

هنا أيضا لا نجد اجابة محددة وحاسمة يقدمها لنا **أوسيبوف** عن تساؤلات ما تزال مثارة ، ما الحدود بين المادية التاريخية وعلم الاجتماع ؟ وما هى طبيعة العلاقة بينهما ؟ وما المقصود بالمجال المدنى ؟ أهو مجرد العلاقات بين الافراد ، أو التفاعل الاجتماعى ؟ وما وجه الاختلاف اذن بين هذا الوجه الماركسى لعلم الاجتماع والوجه البورجوازى له ؟

ليس هناك من شك فى أن النظرة المادية قد أثرت علم الاجتماع وعمقت جذوره وشيدته على أسس أكثر رسوخا بل لقد لعب الفكر الماركسى دورا لا يمكن اغفاله فى تطور علم الاجتماع المنعوت بالبورجوازية بوصف هذا الفكر محاولة علمية وجهدا نظريا لتشييد نظرية منظمة عن البناء الاجتماعى والتغير الاجتماعى ، وجذب الاهتمام الى وقائع اجتماعية لم تكن توضع فى الحسبان من قبل ، لكن ذلك لاينهض بوصفه مبررا لتصنيف علم الاجتماع بهذا الشكل طالما أن هذا الفكر سار بعلم الاجتماع شوطا بعيدا فى طريق الدقة العلمية الذى هو بالتأكيد طريق الوحدة ٠

التصنيف الجغرافى لعلم الاجتماع

اما أكثر التصنيفات غرابة وطرافة فى الوقت نفسه فهى تلك التى تميز بين علم اجتماع غربى وآخر شرقى ٠ ويفاخر الدكتور **سمير نعيم** فى مؤلف بعنوان « الدراسة العلمية للسلوك الاجرامى » فى الباب الثانى الذى أطلق عليه « النظريات الغربية للسلوك الاجرامى » بانه « لم يسبق أن استخدم اى مؤلف عربى فى موضوع السلوك الاجرامى خاصة والسلوك الانسانى عامة مثل هذا العنوان « الفارق » فقد درج المؤلفون على تصنيف نظريات السلوك الاجرامى حسب هذا الجانب الذى تعالجه من الظاهرة أو ذاك ، فقسموها الى نظريات بيلوجية ونظريات نفسية ونظريات اجتماعية ، ولكن أحدا منهم لم يحاول أن يقسم هذه النظريات حسب أصل نشأتها » (٧) ٠ ويمكننا أن نصف هذا التصنيف بأنه جغرافى حسب الجهات الاصلية الاربع ، وهو يصبح بالتالى قاصرا وغير جامع فينقصه النظريات الشمالية والنظريات الجنوبية ، أو علم الاجتماع الشمالى وعلم الاجتماع الجنوبى ثم الشمالى الشرقى والغربى ، وهكذا حتى يتم تغطية كل جهة من هذه الجهات بنوع من هذا العلم ٠ ونحن هنا نثير تساؤلا يصاحب هذا التصنيف يدور حول تصنيفه للنظرية الماركسية ! اليست غربية بحكم الموطن الاصلى الذى اتخذته محورا ، أم أنها شرقية بحكم الهجرة !! ؟

وهناك تصنيفات أخرى لا مجال لذكرها هنا فقد سقنا أمثلة كافية ، لكن بعد استعراض هذه التصنيفات يثار سؤال أساسى عن قيمتها التى تقاس فى رأينا بما يلى :

١ ـ **دورها** فى خدمة هذا العلم وتنميته ٠

٢ ـ **قدرتها** على التمييز بين ما هو علمى من البحوث وما هو غير ذلك ٠

فمن الناحية الاولى لا يخفى ان هذا الاتجاه الى اطلاق صفات غير علمية على علم الاجتماع ونظرياته خليق بأن يقوض دعائمه كعلم تماما ، وأن يعوق نمو نظرية متكاملة وصادقة من ناحية ، ومناهج متفق عليها من ناحية أخرى ، وأساليب فى التفسير واقعية وعلمية من ناحية ثالثة ٠

أما من الناحية الثانية فان هذا الاتجاه يسد الطريق أمام تنمية محكات متفق عليها ، يتم وفقا لها تقويم البحوث والدراسات الاجتماعية ، فيكفى مثلا أن يكون المنظر أو الباحث أمريكيا لتكون نظريته أمريكية ، أو مصريا لتكون مصرية ، أو بورجوازيا لتكون بورجوازية وهكذا ، وما ينطبق على التنظر ينطبق على البحوث أيضا دون الاهتمام بمضمون النظرية والمدى الذى تسهم فيه فى التقدم العلمى ، أو بمضمون النتائج العلمية وقدرتها على دعم نظرية معينة ، أو رفضها أو تعديلها ، وهنا يمكن للتيارات الفكرية المتباينة تباينا شديدا أن تندرج تحت طائفة واحدة بحكم الوضع الطبقى ، أو الاقليمية ، أو الموقع الجغرافى . وهكذا تنحل وحدة المعرفة وتفتقد تراكمها الذى هو أساس استمرارها وتقدمها ٠

ان التصنيف الوحيد الممكن فى رأيى ، هو التمييز بين علم اجتماع علمى ، وما هو غير ذلك ، وهناك محكات لا تثير الجدل ، نستطيع وفقا لها ان نميز بين ما يمكن أن يندرج تحت نطاق علم

---

(٦) اوسيبوف ، قضايا علم الاجتماع ، الترجمة العربية ، دار المعارف ، ١٩٧٠ ص ١٢٩.
(٧) سمير نعيم احمد ، الدراسة العلمية للسلوك الاجرامى ، ص ٦٩.

الاجتماع وما لا يمكن أن يحتويه هذا النطاق ، فالاعمال ذات القيمة الحقيقية بالنسبة لعلم الاجتماع هى تلك التى تسهم بدرجة أكبر من غيرها فى فهم الظاهرات الاجتماعية والتنبؤ بها والتحكم فيها وتوجيهها الوجهة المرغوبة ،، وأن كل محاولة « للوى عنق » الظاهرات الاجتماعية حتى يمكن صبها فى قالب معين انما هى محاولاتيمكن كشفها بسهولة، ولا يمكن ادراجها فى نطاق العلم الذى حققت بحوثه تقدما لا بأس به ، ويمكننا أن نضع بعضا من هذه المحكات بصورة أولية سريعة على النحو التالى :

● **أهمية** الموضوع الذى يعالجه المؤلف أو الباحث ، علميا وتطبيقيا .

● **سلامة** الاجراءات المنهجية التى يتبعها فى الحصول على مادته .

● **أسلوبه** فى تفسير النتائج والجهود التى تبذل لربطها بأطر نظرية أكثر رحابة .

● **مدى** ما يسهم به هذا العمل فى تنمية معرفتنا سواء بدعم نظريات قائمة أو رفضها أو تعديلها .

وجدير بالذكر أنه لايمكن أن يكون هناك خلاف بين علماء الاجتماع السوفيت وعلمائه الاخرين الذين يحترفون تخصصهم وميدانهم ويخلصون له ، حول هذه المسائل ، كما أن هذا الحوار بين التيار الماركسى فى علم الاجتماع وبين غيره من التيارات خليق بأن يشيد وحدة العلم على دعائم قوية وأسس حقيقية ، وبخاصة بالنسبة للمتفرجين و « المستهلكين » . وهنا أتفق مع الاستاذ السيد يس فى أن هناك فرصة عظيمة بالفعل أمام الباحثين فى الدول النامية للنقد والتمحيص والاختيار .

وقد نشرت دراسة طريفة عن اتجاهات بعض علماء الاجتماع الامريكيين نحو علمهم ونظرتهم اليه تضمنت من بين ما تضمنته السؤال التالى ، ما هى النقاط المشتركة فى رأيك بين التيارات الماركسية فى علم الاجتماع وغيرها ، فذكروا النقاط التالية والمرتبة وفقا لدرجة ترددها فى استجاباتهم :

١ ـ العلاقة بين الاقتصاد والجوانب الاخرى من الحياة الاجتماعية .

٢ ـ **البناء** الطبقى للمجتمع .

٣ ـ **الصراع** الطبقى وغيره من ضروب الصراع الاجتماعى .

٤ ـ **التصور** الحتمى للمجتمع ، ومشكلات الاغتراب الانسانى وميدان علم الاجتماع المعرفى .

٥ ـ **تصور** المجتمع بوصفه نسقا (٨) .

وفى مقابل ذلك يستخدم الباحثون الاجتماعيون السوفيت نفس الاساليب الفنية للبحث العلمى الاجتماعى فى مجال الاتصال والرأى العام والعمال وأوقات الفراغ وغير ذلك ، وان كان بطريقة أقل كفاءة من الناحية التكنيكية ولكن ربما تميزت البحوث السوفيتية عن البحوث الاخرى بتوجيهاتها النظرية فى اطار الماركسية اللينينية .

نحن هنا بصدد مثال واقعى لامكان تأسيس وحدة العلم من خلال الاختلاف مهما بلغت حدته ، ومن الضرورى أن نعلم هنا أنه لا مفر من أن تتخذ المعرفة الحقيقية المنظمة بالعلاقات والنظم الاجتماعية طريقها نحو الاستمرار والرسوخ والبقاء مخلفة وراءها أى أفكار وهمية أو مزيفة ، طالما تمكنا من التمييز بين المنطقى ، وغير المنطقى وبين الخطأ والصواب .

ثانيا : علم الاجتماع وقضية الالتزام

تثار مناقشات حادة أيضا حول موقف المتخصص فى علم الاجتماع ، كما يثار جدل مرتبط حول فكرة الموضوعية والتجدد فىهذا العلم ، وحول دور الاحكام القيمية فى الاعمال الاجتماعية العلمية . والواقع ان هذه المناقشات تثير فى اذهاننا كثيرا من التساؤلات من أهمها ما يلى :

١ ـ **بماذا** يلتزم الباحث الاجتماعى ؟

٢ ـ **هل يمكن** توفير حد ادنى من الموضوعية ؟

---

[٨] Mihailo Popovich « What The American Cociologists Think About Their Science and its Problems » The American Sociologist (May 1966) Vol. 1 No. 3 P. 135

هناك بالطبع ، وكما تطرح المناقشات المشار اليها فى التو اجابة جاهزة عن السؤال الاول متمثلة فى الالتزام باطار أيديولوجى ؟ لكن هذا القول يثير تساؤلا آخر أكثر من كونه يقدم اجابة حاسمة هذا التساؤل الجديد هو أيديولوجية من ؟ أهى الايديولوجية الرسمية التى تتبناها الدولة فى مرحلة تاريخية معينة ؟ أم غير ذلك ؟ اذا كان المقصود هنا هو الاطار الايديولوجى الرسمى فان ذلك يخلق مخاطر أكيدة للبحث الاجتماعى العلمى وسوف يحوله بالتأكيد من نظام علمى الى خطة دعائية تبريرية تصور انه ليس فى الامكان ابدع مما كان ، ويتغافل عن مشكلات حقيقية قد تكون بحاجة الى تقويم علمى ، وسيؤدى بالضرورة الى التعصب والدجماطيقية ولن يصبح هناك اذن مجال لدراسة الواقع الاجتماعى دراسة علمية حقيقية طالما أن كل الدراسات سوف تنطلق من خطة عقلية جاهزة سلفا فترى المشكلات بمنظارها ويغفل ما يناقضها او ما لا يتفق معها · اننى لا أعنى بذلك ان الباحث يستطيع بسهولة أن يتجرد من كل احكامه القيمية وأن يعالج الوقائع الاجتماعية باعتبارها أشياءخارجة عن ذاته فتلك دعوى قديمة ثبت استحالتها وعدم جدواها ، ولكننى أعتقد انه لابد فى هذه المرحلة وفى ضوء ظروف مجتمعنا بالذات من أن نكافح من اجل توفير ما نستطيع توفيره من الموضوعية ، ولا يمكن تحقيق ذلك الا بالالتزام بمشكلات المجتمع المصرى وقضاياه ، أعنى المشكلات والقضايا التى تهم القطاع الاكبر من أبنائه · وفى الوقت نفسه ينبغى أن تكون هناك دراسات نقدية منظمة للتيارات النظرية المختلفة حتى نستكشف طريقنا وسطها ، ولكننا قد نختلف حول الاسس التى نحتكم اليها فى نقدنا لهذه التيارات ، ان المقابلة بين التيار الماركسى فى علم الاجتماع والتيارات الاخرى وفقا للقالب الماركسى التقليدى وبالنظر اليه عملية ملتزمة بأيديولوجية معينة ، وهى لذلك لن تنجح فى كشف هذه التيارات الاخرى أو هى على الاقل لن تنجح فى اقناع غير الملتزمين وسوف يوجه اليها نفس الاتهام الذى توجهه الى التيارات الاخرى من حيث كونها تعبر عن اطار ايديولوجى معين أيضا ·

ان الواقع المصرى هو المختبر الحقيقى لهذه التيارات ، والاطر النظرية ولذلك فان عملية الاختيار قبل الاختبار عملية محفوفة بالمخاطر · وأمامنا الان الاختيار بين طريقين أولهما ان نفسر الواقع تفسيرا قبليا ، وثانيهما أن نفسره تفسيرا بعديا · واستطيع شخصيا ان احدد موقفى فى هذه اللحظة فلن اتردد فى اختيار البديل الثانى الذى ينطلق من تصور مؤداه انه فى مجتمعنا المصرى الذى لا يمكن التنظير له فى ظل عدم توفر الحقائق او تطبيق أفكار وافدة عليه ، لا ينبغى أن تشغلنا مشكلة البدء بمتغيرات ذات دلالة نظرية ، أو ضرورة وجود اطار نظرى واضح ·· أولا — يكفى وجود مجرد صورة تنظيمية عامة وأولية عن الظاهرة المحددة المراد دراستها ، ذلك ان الخطة الطويلة المدى للعمل العلمى سوف تبدأ مباشرة من النتائج الواقعية ثم نسعى بعد ذلك الى كشف القضايا العامة التى تفسر تلك النتائج ، كما ينطلق هذا الموقف أيضا من تصور مؤداه أن الاهتمام العلمى بالمشكلات الملحة ·· والقضايا التى تهم الاغلبية خليق بأن يوفر قسطا من الموضوعية لا بأس به ·

ويثير هذا الموقف بالتأكيد اتهامات النزعه « الامبيريقية » ، أو أن التفسيرات تتم صياغتها بعد الوصول الى النتائج · غير ان هذه الاتهامات لا وزن لها على الاطلاق ، فقد اعتمد نيوتن وداروين على التفسيرات البعدية للوقائع ، بل أن كافة العلوم قد بدأت بهذه التفسيرات البعدية وكانت بمثابة الاساس الذى نهضت عليه نظريات ذات قدرة فائقة على تفسير مجموعات كبيرة من الوقائع الجزئية ·

ان هناك مشكلات ملحة تتطلب أكثر من غيرها ، بذل جهود لوضع خطة منظمة لترتيبها وفقا لاهميتها ودراستها ·· وسوف يتحدد نجاح هذا الحوار النظرى بمدى نجاحه فى تصور واقتراح مواقف عملية يمكن أن تدرس من خلالها هذه المشكلات دراسة جادة · ويعايش مجتمعنا بالتأكيد مشكلات خاصة وفريدة بوصفه مجتمعا ناميا من ناحية وضاربا بجذوره فى التاريخ من ناحية اخرى ومن هذه المشكلات على سبيل التمثيل لا الحصر التحول من مجتمع قروى فى معظمه تقليدى فى جملته الى وجود حضرى وصناعى أساسا ، والمشكلات المترتبة على تركيز التصنيع فى المدن الكبرى كالهجرة وحركة قوة العمل وما تخلقه من مشكلات فى القطاع الريفى والحضرى ، واستمرار التفكير الغيبى والحاجه ، والتعامل مع التكنولوجيا الصناعية بعقلية زراعية ، والتعقد البيروقراطى وارتباطه بالتحول الاشتراكى · ونمو البيروقراطية الريفية ، والاثار الاجتماعية والاقتصادية للقوانين الاشتراكية

والرواسب المتخلفة من القيم والعادات والاتجاهات وغير ذلك من مشكلات سوف تسهم دراستها بالتأكيد فى فهم الواقع المصرى من ناحية ، ونمو المعرفة السسيولوجية من ناحية أخرى ٠

ذلك هو الاتجاه العملى والواقعى لفهم مجتمعنا وليس من المفيد اطلاقا الالتزام باطارات جاهزة وتطبيقها على المجتمع المصرى، كما لو كانت معادلة رياضية بسيطة من الدرجة الاولى ٠

■■■

الايديولوجيا ٠٠ والانسان ٠٠ والمجتمع

لطفى فطيم

قصدت بمقالى هذا استكمال بعض أوجه النقص التى وجدتها فى مقالة الاستاذ **أمير اسكندر** التى نشرتها الطليعة فى الشهر الماضى بعنوان «الايديولوجيا والعلوم الانسانية» ، وكذلك الرد على بعض الاسئلة التى قد تثور فى ذهن القارىء عند قراءة المقال ٠ ولكنى عندما قرأت المقال المنشور فى هذا العدد للدكتور **محمود عودة** بعنوان « علم الاجتماع بين الوحدة والتعدد » ايقنت أن احد الاسباب الكبرى لتدهور دراسة العلوم الانسانية فى مصر وخاصة علم الاجتماع انما ترجع الى البلبلة التى يعانى منها المتخصصون فى هذا المجال ٠

وأود أولا أن الفت النظر الى أنه ساد بين الماركسيين فى وقت ما اعتقاد خاطىء مؤداه أنه مادام المرء قد ملك ناصية الماركسية اللينينية فقد أحاط بالعلم من أطرافه ، فما دامت لديه « النظرية » أصبح قادرا على فك ألغاز كافة العلوم ، فما بالك بعلوم المجتمع والانسان ٠

والحق أن هذه النظرة قد أضرت بالعلوم الانسانية اشد الضرر ، وادت الى تخلفها لفترة من الزمن فى المجتمعات الاشتراكية،بل لقد كانت ردة الى المفهومات والتصورات المثالية ، وقبل العلمية عندما كان العالم « عالما » بكل شىء ، وعندما انقشعت ثلوج الجمود العقائدى وعبادة الفرد اصبح واضحا ان علم الاجتماع هو علم قائم بجانب المادية التاريخية يستند اليها كفلسفة عامة ولكنه يدرس ظواهر محددة بمنهج محدد ٠ أى أنه أصبح من المعترف به أن ما يسمى بعلم الاجتماع هو علم « شرعى » له أصحاب تخصصه وليس ميدانا مباحا لاى متحدث أو « عارف » ٠

تساؤلات تفتقر الى الاجابة

لم أستطع أن أخرج بفكرة موحدة من مقالة « الايديولوجيا والعلوم الانسانية » فلم يعرفنا الكاتب بماهية الايديولوجيا التى يعنيها ٠ كذلك لم نعرف ماهية العلاقات بين الايديولوجيا والعلوم الانسانية اللهم الا عبارة وردت فى نهاية المقال تقول « وهكذا يلوح أن العلاقة بين العلم والايديولوجية ليست علاقة خارجية وعرضية وانما هى جزء متكامل من العلوم الانسانية » ٠٠ « وليس غياب الايديولوجية بشكل كامل من ميدان العلوم الانسانية الا وهما وتجريدا محضا » ٠ ولقد اعتمد الكاتب على المجلة الاجتماعية البولندية التى يصدرها اتحاد علماء الاجتماع فى بولندا ليعرض لنا عدة قضايا مبتورة لا رابط بينها ٠ فهو يطرح سؤال : الى أى مدى تعتبر العلوم الانسانية علوما ؟ ويرى ان الاجابة عليه تقتضى طرح مشكلة الذاتية والموضوعية فى العلوم الانسانية ، ولا يجيب عن السؤال ولا يشرح لنا مشكلة الذاتية والموضوعية انما يعرض لتطور علم الاجتماع ٠ ثم يعود فيطرح السؤال التالى : ما هى سمات المدرسة التجريبية الخالصة فى العلوم الانسانية ؟ وما هى سمات المدرسة الماركسية ٠٠ فيم يتفقان وفيم يتباعدان ؟ ويترك النصف الثانى من السؤال بلا جواب ويلخص لنا مقالة بولندية عن سمات المدرسة التجريبية ٠٠ وأجد لزاما على أن اقدم شرحا للايديولوجيا وعلاقتها بالعلوم الانسانية خاصة علم الاجتماع وعلم النفس محاولا أن اكتب « فى الموضوع » ٠٠

الايديولوجيا فى التعريف الماركسى هى نسق من الاراء والافكار السياسية والقانونية والاخلاقية والجمالية والدينية والفلسفية ، وهى جزء مما يسمى بالبنيان العلوى للمجتمع ، وبالتالى فهى تعكس فى النهاية العلاقات الاقتصادية ، ويعتبر مفهوم الايديولوجية من أكثر المفهومات التى قدمها ماركس أصالة وشمولا ، كما أنه من أكثرها تعقيدا وغموضا فى الوقت نفسه ٠ فمن المعروف أن اصطلاح « ايديولوجية » قد نشأ مع مدرسة فلسفية هى المدرسة التجريبية الحسية التى تميل الى المادية والتى كانت تمارس نفوذا واسعا فى فرنسا

قرب نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر · ووفقا لرأى هذه المدرسة يوجد علم لدراسة الافكار أى لدراسة التصورات المجردة يدرس نشأتها ، ويستطيعان يعيد بناءها كاملة بدءا من الاحساسات ، وسمى هذا العلم بالايديولوجيا · وقد حولماركس معنى هذا الاصطلاح، فبدلامنان يشير الى نظرية أصبح يشير الى الظاهرة نفسها التى قامت النظرية لتفسيرها · واتخذت هذه الظاهرة ابعادا جديدة ، فكانت الايديولوجيا عند الفلاسفة الفرنسيين تفسيرا للتصورات الفردية عن طريق البحث فى سببها السيكولوجى · أما عند **ماركس وانجلز** فقد أصبحت الظاهرة موضع الدراسة هى التصورات الجمعية المميزة لعصر معين ومجتمع معين ، وفى مجتمع تتناحر طبقاته يتناظر الصراع الطبقى مع الصراع الايديولوجى · وقد تكون الايديولوجية علمية أو غير علمية ، انعكاسا صادقا او زائفا للواقع · وتتبنى مصالح الطبقات الرجعية الايديولوجيا الزائفة ، بينما تصبغ مصالح الطبقات التقدمية والثورية الايديولوجيا العلمية · ومع أن نمو الايديولوجيا وتطورها يتحدد بواسطة الاقتصاد ، الا أن الايديولوجيا لها استقلال نسبى ، ويتضح هذا فى استحالة تفسير محتوى الايديولوجيا اقتصاديا بشكل مباشر ، وكذلك فى عدم توازى نمو الايديولوجيا مع نمو الاقتصاد · وفضلا عن ذلك فان الاستقلال النسبى للايديولوجيا يتضح فى فعالية وتاثير القوانين الداخلية لنموها وهى قوانين لا يمكن اختزالها او اختصارها فى القوانين الاقتصادية · ويفسر الاستقلال النسبى للايديولوجيا بحقيقة أن التطور الايديولوجى يتاثر بطريق غير مباشر بعدد من العوامل فوق الاقتصادية : كالاستمرار الداخلى فى تطورها ، والدور الشخصى لاصحاب الايديولوجيات ، والتأثير المتبادل بين مختلف أشكال الايديولوجيا ·

أما **مفهوم البنيان** العلوى وما يقابله من أساس تحتى أو اقتصادى فهى مفاهيم تصور الرابطة بين العلاقات الاقتصادية ـ الاجتماعية وبينكافة انواع العلاقات الاخرى فى المجتمع · فالاساس الاقتصادى هو مجموع علاقات الانتاج التى تكون البناء الاقتصادى للمجتمع · ومفهومى الاساس الاقتصادى وعلاقات الانتاج مترادفان ولكنهما ليسا متطابقين · فبينما يرتبط مفهوم علاقات الانتاج بقوى الانتاج يرتبط مفهوم الاساس بمفهوم البنيان العلوى · ويشمل البنيان العلوى الافكار والتنظيمات والمؤسسات · وتحتوى أفكار البنيان العلوى علىالاراء السياسيةوالقانونية والاخلاقية والجمالية والدينية والفلسفية ، وهى التى يطلق عليها أيضا أشكال الوعى الاجتماعى · وتعكس كافة أشكال الوعى الاجتماعى العلاقات الاقتصادية بطريقة أو بأخرى ، فيعكسها بعضها ـ كأشكال الوعى السياسى والقانونى ـ بطريقة مباشرة ، ويعكسها البعض الآخر بطريقة غير مباشرة كالفن والفلسفة · وترتبط هذه الاشكال الاخيرة بالاساس الاقتصادى من خلال بعض الوصلات كالسياسة · وتشتمل علاقات البنيان العلوى طبعا على الايديولوجيا ، فعلىعكس علاقات الانتاج التى تتشكل مستقلة عن وعى الانسان ، لا تتشكل العلاقات الايديولوجية الا اذا دخلت وعى الانسان · بعبارة أخرى يستغل مالك الارض الفلاح الاجير سواء وعى الفلاح بعلاقة الاستغلال هذه أم لم يع ، بينما لا يسلك الفلاح سلوكا معينا اويرتدى زيا معينا، اويستخدمتعبيرا معينا ما لم يع قبل ذلك بمعنى هذا السلوك ودلالته · ومع أن ظواهر البنيان العلوى تتحدد بواسطة الاساس الاقتصادى الا انها مستقلة نسبيا فى نموها ، ولكل مرحلة من مراحل تطور المجتمع اى لكل تشكيلة اقتصادية اجتماعية اساس اقتصادى معين وبنيان علوى مناظر ·

الايديولوجيا والانسان

ينتج عما سبق أن الانسان هو ـ بدرجة اكبر بكثير مما قد يقبله البعض ـ نتاج للمجتمع الذى يعيش فيه ، كما ان شخصية تصاغ وتتشكل بالنظام الاجتماعى الذى ينشأ فيه ويتوافق معه ، والعكس صحيح · تتغير الثقافات والحضارات عن طريق جهود الأشخاص الذين لا يتوافقون مع النمط الحضارى أو الايديولوجى السائد والذين يعتقدون أن بوسعهم تحسين حال المجتمع الذى يعيشون فيه · ولقد بين علم الانثروبولوجيا ان الصفات الفطرية للانسان أو ما يسمى بالسمات الاساسية فيه التى لا يستطيع المجتمع تغييرها وانما يجب عليه قبولها والاستناد اليها هى شىء غاية فى الغموض ·

الانسان اذن هو ابن مجتمعه وأفكاره وايديولوجيته هىوليدة هذا المجتمعسواء ما اتفق منها مع الروح السائد او ماتمرد عليه ،وهىفى كل الاحوال تعبير عن الصراع الطبقى فى المجتمع ويجب أن نشير هنا الى أن صفة الصراع الطبقى هى صفة خاصة بالبشر فقط ، فليس ثمة صراع طبقى يحكم أو يؤثر فى تمدد الاجسام الصلبة أو فى قوانين الوراثة البيولوجية ·· الخ · (١) لذلك كان لابد للعلوم الانسانية « **الموضوعية** » ان تدخل هذا العامل فى اعتبارها · وينقلنا هذا الحديث الى ما يقوله **الدكتور عودة** من أن « التصنيف الوحيد الممكن فى رأيه ـ لعلم الاجتماع ـ هو التصنيف

---

(١) علم النفس بين الطبقية والموضوعية ـ قدرى حفنى ـ الفكر المعاصر ـ اكتوبر ١٩٧٠ ·

الذى يميز بين علم الاجتماع العلمى وماهو غير ذلك » وقبل أن أمضى فى مناقشة هذه المسألة يجب أن اسجل اعتراف الكاتب بأن « علم الاجتماع فى مصر ظل مغتربا عن واقع المجتمع المصرى » وأن اسجل ايضا ما قاله « بأن المحاولات التى بذلت لفهم مجتمعنا ورصد حركته .. قد جاءت فى معظمها من غير النطاق التخصصى لعلم الاجتماع» وهو يبرر الواقعة الاولى بتأثر أساتذة علم الاجتماع بالمدارس الاوربية،وينسى المصلحة التى قد تكون لهم فى ذلك ، وهو أمر مرتبط بالواقعة الثانية التى جعلت الجهود لفهم حركة المجتمع المصرى من نصيب قوم آخرين كانوا تعبيرا عن التقدم فى المجتمع .

ان المحكات الاربعة التى يقدمها د. عودة لا تصلح لسوء الحظ مقياسا يميز بين علم الاجتماع العلمى وماهو غير ذلك . فهى فى الحقيقة الشروط المنهجية المعروفة التى يجب توفرها فى البحث أو التجربة ولكنها ليست شروط الحكم على العلم اذ أن نتائج أمثال هذه التجارب تؤيد النظام الاجتماعى الذى قامت فى ظله والهيئات التى مولت البحث .. الخ مما هو معروف جيدا للباحثين .

على أن هذه مقدمة للنتيجة النهائية التى يخلص اليها الكاتب وهى « أنه فى مجتمعنا المصرى الذى لا يمكن التنظير له » فى ظل عدم توفر الحقائق .. لا ينبغى أن تشغلنا مشكلة البدء بمتغيرات ذات دلالة نظرية .. الخ » وأحب أن الفت النظر الى أن الاستشهاد بداروين ونيوتن ليس فى مصلحة الكاتب فقد كانت لكليهما افكار « قبلية » ،وفى هذا المجال يمكن الرجوع الى « سيرة حياة داروين بقلمه » ١٧٨٦ ، وكذلك الى « المسار التاريخى للعلم » برنال ١٩٥٧ .

لقد طلق التفكير العلمى منذ زمن طويل الاعتقاد بأن النظرية والمنهج شيئان منفصلان . فقد كف العلماء عن النظر بأى جدية الى هذا الاعتقاد الساذج الذى بشربه انبياء التجريبية الاولى،وفحواه أن النظرية تنبثق بطريقة ما ـ بل قل بمعجزة ـ من الحقائق أو الوقائع ، وأنه لا توجد أية صعوبة فى اكتشاف هذه الوقائع ، كل ما هناك أن علينا ايجاد واستخدام الوسائل والاساليب المضبوطة التى تمكننا من اكتشافها . لقد فقدت هذه النظرة جاذبيتها الثورية منذ زمن بعيد واصبحت مجرد «كليشيه» ، غير انه للأسف الشديد لاتزال هذه المغالطة موجودة فى العلوم الانسانية حيث مازال الكثيرون يعتنقون فكرة أن : النظرية ثانوية وتالية على الوقائع ـ أن النظرية ليست سوى وصف مختصر للوقائع ـ أنه لا توجد فى النظرية سوى الوقائع التى تفسرها ـ وأن كافة النظريات العلمية الموجودة والمتوقعة « محتواة » فى الواقع مثلما احتوت الحيوانات المنوية لادم كافة الاجيال البشرية فى اعتقاد المفكر الاغريقى القديم باراسلسوس .

ان خطورة هذا الاعتقاد تاتى من أنه يجعل الباحث يغفل الدور الخلاق الذى تقوم به المعرفة المسبقة ، الصورة الذهنية للظاهرة موضع البحث والسابقة على أى جهد تجريبى ، وهى التى تصيغ كلا من السؤال والاجابة وتمتد باصرار فى كل من الاسلوب « الامبيريقى » المتبع ونتائجه . المشكلة هى أن الكاتب يرى تعارضا بين الطبقية والموضوعية فى العلوم الانسانية ،وهو رأى أملته عليه ـ موضوعيا ـ تحيزات ايديولوجية مسبقة . وقد انساق من حيث لا يعلم الى موقف أوجست كونت الوضعى القديم ، والذى لااظن انه يوافق عليه . يقول أوجست كونت فى « مقال فى الروح الوضعية » « يختص علم الاجتماع الوضعى ببحث الوقائع بدلا من الاوهام المتعالية ، وبالمعرفة النافعة بدلا من التأمل العقيم ، وباليقين بدلا من الشك والتردد وبالتنظيم بدلا من السلب والهدم . وفى كل هذه الحالات ينبغى على علم الاجتماع الجديد أن يرتبط بحقائق النظام الاجتماعى القائم . وعلى الرغم من أنه لن يرفض الحاجة الى الاصلاح والتحسين ، فانه يستبعد اية حركة ترمى الى قلب هذا النظام أو نفيه » . ونتيجة لذلك فان الاتجاه الفكرى لعلم الاجتماع الوضعى ينبغى أن يكون دفاعيا وتبريريا .

لقد كان كونت مفكرا مثاليا رمى بفلسفته الاجتماعية الى محاربة المادية والتغلب على الروح الثورية التى كانت تسود فرنسا وأوربا فى عصره .

. . . .

ان غموض وقائع المجتمع المصرى وعدم وجود الابحاث التى تكشفها لا يبرر الاقبال على الوقائع « بقلب نقى » وليس الامر مسألة اختيار قبل الاختيار ، المسألة أنه فى العلوم الانسانية لا انفصال بين موقف الباحث أو المفكر الطبقى ، وبين موضوع دراسته، لذلك اصطبغت هذه العلوم بصبغة صراعية وظهرت فيها اتجاهات رأسمالية واقطاعية ومثالية واتجاهات تقدمية واشتراكية ومادية . وصحيح أنه لابد للعلم من نظرية موحدة موضوعية وعلمية الا أنها ستستغرق وقتا طويلا وسيتم الوصول اليها بهزيمة الاتجاهات الرجعية والمحافظة وانتصار الاتجاهات الاشتراكية والمادية . وقد يستخدم الطرفان نفس طرق البحث ولكن لا شك فى اختلاف النتائج . فلا يزعجن ذلك أحدا انما المهم أن تصل الجهود العلمية الشابة التى أشار اليها الكاتب الى موقف نظرى يساعدها على تعديل الاطر التصورية والاجراءات المنهجية فى ضوء الظروف الخاصة بالمجتمع المصرى وأوضاعه الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية ، وكذلك فى ضوء الحركة التقدمية العامة للدول النامية ، تلك الحركة الرامية الى الاشتراكية والتخلص من النفوذ الرأسمالى فى كافة الميادين .

تقارير الشهر



■ الجمهورية العربية المتحدة

حوار بناء ومواجهة صريحة للمشكلات القومية

جذبت المناقشة الواسعة التى دارت فى مجلس الامة حول بيان رئيس الحكومة ـ انتباه المواطنين لعدة أسباب :

● **فهى** اول مناقشة واسعة يجريها مجلس الامة بعد رحيل زعيم الثورة ـ وفى مستهل مرحلة

تم الاجماع فيها على ضرورة قيام المؤسسات السياسية والدستورية بدورها ومسئوليتها

● **لانها** اوضحت ترابط المؤسسات جميعا فى تحمل مسئولية المرحلة وعلى أساس المبادىء والاسس التى قررها المؤتمر القومى العام .

● **بروز** دور مجلس الامة خلال المناقشة ـ ومشاركته الفعلية فى المسئولية السياسية وفى محاولة الوصول الى أفضل القرارات

ولقد ساعد على حيوية المناقشة اشتراك اربعين من اعضاء المجلس فيها ـ بداوا نقاشهم وفى أيديهم تقرير شامل اعدته اللجنة الخاصة التى كان مجلس الامة قد شكلها برئاسة السيد **كمال الحناوى** وكيل المجلس لاعداد الرد على بيان رئيس الحكومة ..

لقد انتقد عدد من المشتركين فى المناقشة ـ **مصطفى كامل مراد ـ نبيل نجم ـ سمير العلايلى** ـ بيان الحكومة بأنه لم يقدم برنامجا وأنه جاء أقل تفصيلا من بيان رئيس الجمهورية مع ان العكس هو المنطقى ، وان البيان كان يحتاج الى مزيد من التحديد والارقام حتى يمكن للجماهير أن تتابع وتراقب ـ كما أن البيان قد سرد الكثير من العلل ولكنه خلا من تحليل أسبابها ولم يقترح وسائل علاجها .

وفى رد اللجنة الخاصة التى شكلها رئيس مجلس الامة ، حرصت اللجنة على أن تسجل « أن بيان رئيس الوزراء كان امتدادا لبيان السيد رئيس الجمهورية فى عرض السياسة العامة وأنه على أساس ما أوضحه رئيس الوزراء فى بيانه أن السادة الوزراء سيقومون بشرح البرامج التفصيلية مما يسمح للمجلس بمناقشة هذه البرامج باعتبارها وحدة متكاملة ، وعلى أساس ان الوزارة مسئولة مسئولية متكاملة تضامنية عن البرنامج العام لتنفيذ السياسة العامة للدولة » .

وبعد أن أكدت اللجنة فى ردها على اتفاق المجلس مع ما اعلنه رئيس الوزراء امام المجلس من ان « **المعركة أولا والمعركة ثانيا والمعركة اخيرا** » وما يترتب على ذلك من التزامات نحو القوات المسلحة والتحرك السياسى على الصعيدين الدولى والعربى ، حرصت اللجنة ان تؤكد على بعض المبادىء الاساسية لانطلاق العمل الوطنى **فى هذه المرحلة التى تتطلب وضوحا فى الرؤية لدى الجميع والتزاما باهداف الشعب من الجميع** وعلى أساس ما قرره المؤتمر القومى فى دورته الاخيرة ، من أهمية وضع كل الجهود السياسية والتنفيذية والشعبية وراء اتمام بناء المجتمع الاشتراكى الذى حققنا منه الكثير والذى ينبغى ان نحقق منه أكثر . وفصلت اللجنة ذلك بانه « استمرار الاشتراكية كنظام اجتماعى واقتصادى لحياة هذا المجتمع واستمرار عملية التحول الاشتراكى كطريق مفتوح ومنطلق لتحقيق هذا النظام » .

وقد تناول تقرير اللجنة مشكلات الجماهير واحدة بعد الاخرى (ارتفاع الاسعار ـ التعليم ـ الاسكان ـ النقل والمواصلات) . ودعت اللجنة الى اهمية التخطيط الاجل لحل المشاكل والا يكون تحركنا فى مواجهتها نابعا من سياسات مؤقتة فى مواجهة مواقف مؤقتة ـ وانما ينبغى أن يكون فى اطار التخطيط الشامل جزءا من سياسة دائمة داخلة فى الخطة الشاملة للتنمية .

وأكدت اللجنة فى تقريرها على أهمية العناية بتحصير الميزانية واجراء مراجعة شاملة وعميقة للسياسة الضريبية على ضوء تحولنا الاقتصادى وطالبت اللجنة بضرورة مواصلة الجهد لتنظيم المدخرات المحلية بمد التأمينات الاجتماعية لتشمل قطاعات جديدة لم تتمتع بها حتى الان ـ وكذلك زيادة المدخرات المنظمة والمتولدة فى القطاع العام عن طريق زيادة الانتاجية فى وحداته .

وطالبت اللجنة باعطاء المزيد من العناية بالحرفيين وتشجيع أسلوب تجميعهم وتنظيمهم فى تعاونيات

وفى مجال الانتاج الصناعى طالبت ان يوجه الاهتمام فى ظل الظروف الاستثنائية الحاضرة بالدرجة الاولى الى التوسع الرأسى الى جانب التوسع الافقى الذى تحتمه متطلبات الخطة وذلك لعلاج الاختناقات التى تعانى منها بعض الوحدات القائمة واكدت على ضرورة الاستمرار فى دعم الصناعات الاساسية بحيث يتم التحول فى هيكل الانتاج الصناعى من انتاج يعنى بالصناعات الاستهلاكية الخفيفة الى تحقيق الهيكل الصناعى المتكامل الذى يعنى أساسا بالصناعات الثقيلة والمتوسطة .

واوصت اللجنة بان يوضع لقطاع الشركات والمؤسسات لوائح توعية للعاملين بها ـ تتضمن كادرات تختلف باختلاف الصناعات بحيث تكون هناك لائحة موحدة للاساسيات وملحق نوعى لكل قطاع من قطاعات الصناعة يأخذ فى الاعتبار طبيعة كل عمل وظروفه مع اعطاء المرونة الكافية للوحدات الانتاجية ممثلة فى مجالس ادارتها لتعديل الهيكل الوظيفى وتطبيق نظام الحوافز .

وفى مجال الزراعة والرى طالبت اللجنة باستخدام الوسائل العلمية الحديثة فى طرق

تعليـــق

عـــــندما توضـــع العربة أمام الحصان

كتب الاستاذ احسان عبد القدوس مقاله الاسبوعى بصحيفة اخبار اليوم بتاريخ ١٩/١٢/١٩٧٠ عن « الوحدة ٠٠ والاتحاد» وذكر ان العناصر الاساسية التى يقوم عليها اى اتحاد هى :

● الاتحادالعسكرى ● الاتحادالسياسى ● الاتحادالاقتصادى

وقال « ان اتحاد دول أوربا الشرقية استطاع أن يحقق العناصر الثلاثة مرة واحدة كاثر مـن آثـار الحرب العالمية الاخيرة وقوة الحزب الشيوعى فى كل دولة » ، واستطرد « اما دول أوربا الغربية فقد أخذت تطبق عناصر الاتحاد على مـراحل ، نظـرا لطبيعة تكـوينها السياسى ، فبدأت بتكـوين « الاتحاد العسكرى » فى صورة حلف الاطلنطى حتى تواجه حلف وارسو الذى يجمع الاتحاد السوفيتى ودول شرق أوربا »

وانتقل الاستاذ احسان بعد ذلك الى الحديث عن السوق الاوربية المشتركة باعتبارها صورة الاتحاد الاقتصادى ٠

والحقيقة ، ان ماكتبه الاستاذ احسان يعنى أن دول أوربا الغربية ومعها الولايات المتحدة الامريكية اضطرت الى اقامة حلف الاطلنطى لمواجهة حلف وارسو .

وهنا مكمن الخطأ الذى وقع فيه الاستاذ احسان فالمعروف أن حلف الاطلنطى أنشىء فى ابريل عام ١٩٤٩ ليربط دول اوربا الغربية عسكريا بالولايات المتحدة الامريكية ، أما حلف وارسو فقد أنشىء فى مايو ١٩٥٥ وان المؤتمر الذى عقدته دول أوربا الاشتراكية فى وارسو والذى تمخض عن اقامة حلف وارسو تم بعد خمسة أيام من اعلان دول الاحتلال الغربية الثلاث [الولايات المتحدة ـ بريطانيا ـ فرنسا] تخليها عن سلطاتها فى المانيا الغربية وقبول الاخيرة باعتبـارها دولة مستقلة فى عضوية حلف الاطلنطى .

والاستاذ « احسان عبد القدوس » باعتباره صحفيا وكاتبا سياسيا عاصر كل التغيرات السياسية التى تمخضت عنها الحرب العالمية الثانية وعرف دلالة هذه التغيرات واهدافها، يعى جيدا استراتيجية السياسة الامريكية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ٠

وانه اتفاقا مع هذه الاستراتيجية رسمت السياسة الامريكية خطة اقامة سلسلة من الاحلاف العسكرية لتكون بمثابة « حزام واقى » يحوط بالدول الاشتراكية لضربها .

وقد كان حلف الاطلنطى أول حلقة فى هذه السلسلة وتبعه حلف جنوب شرقى آسيا ٠

والسؤال الان .. كيف وقع الاستاذ احسان فى هـــذا الخطـــأ ؟.

لقد سبق للاستاذ احسان أن كتب فى مقاله الاسبوعى بتاريخ ١٤/١١/١٩٧٠ تحت عنوان « الواقع والشعارات »

« ومن يدرى أيضا ، ربما فى يوم من الايام ، ورغم كل شىء ، يتولى رئاسة الولايات المتحدة رئيس يتشبه بديجول ويستطيع أن يحمى مصـــالح امريكـا وواقعها فـى المنطقة بالتخلى عن تاييد شهوات الصهيونية كما فعل يوما ما ايزنهاور

وطبعا فالاستاذ احسان يقصد بذلك موقف ايزنهاور ١٩٥٦

ورغم كل ماكشفت عنه مذكرات ايدن عن تواطؤ أمريكا فى العدوان الثلاثى ، فقد تناسى الاستاذ احسان مبدأ ايزنهاور لملء الفراغ فى الشرق الاوسط فى يناير ١٩٥٧ وبعد :

فان الموضوعية والحياد فى الـكتابة السياسية أمر مطلوب ولـكن على شرط عدم قلب الحقائق التاريخية ومراعاة حقيقة وابعاد المعركة السياسية التى يخوضها العالم العربى وحقيقة وابعاد أعدائه كذلك ٠

سمير تادرس

الزراعة واساليبها ـ ونوهت اللجنة بأهميـة التعاونيـــات الزراعية كجهـــاز اشـــتراكى ديمقراطى ، وبدورها فى دفع الانتاج الزراعى وطالبت بالتقييم المستمر للكيفية التى يطبق بها القانون الجديد للتعاون الزراعى ٠

ودعت اللجنة الى تبنى التجارب الرائدة التى قامت بها بعض المحافظات لتحرير العمـال الزراعيين ، وعمال التراحيل من استغلال مقاولى الانفار وايجاد تعاونيات او نقابات لعمال الزراعة يتولى التعاقد نيابة عنهم ويتعاون مع التنظيم السياسى واجهزة الدولة على تدريبهم ورفع كفايتهم الانتاجية ٠

وافردت اللجنة الخاصة فى ردها على بيان رئيس الحكومة مكانا فسيحا للحديث عن مشكلات الخدمات التى تقدم للجماهير مستعرضة مشكلات مجالات السياحة والحياة الصحية للمـواطنين ومستوى الخدمة فى المستشفيات ٠

واستعرضت اللجنة واقع قطاع التعليم والذى اصبح يكون واحدة من كبريات المشاكل التى تعترضنا وعددت اللجنة العيوب المختلفة مـن ازدحام المناهج وتخلف نظم الامتحان وظاهرة الدروس الخصوصية وتفشيها وسوء حال الكتاب المدرسى والامكنة الدراسية والادوات والاجهزة والكتب والمراجع ودعت اللجنة ألا يقتصر العلاج على نوع دون آخر وأن ترتبط برامج التعليم بخطة التنمية الشاملة واحتياجات المجتمع ٠

وأشارت اللجنة فى تقريرها الى ماتناوله بيان رئيس الوزراء من مشكلة النظافة وعدم اشارته الى مشكلة من كبريات المشاكل التى تواجه غالبية الشعب هى مشكلة الاسكان التى اتسعت وتعدت المدن الكبرى الى المدن الصغرى والى الريف أيضا ٠

ودعت اللجنة الى ضرورة توحيد الاجهـزة المشرفة على الشباب فى جهاز واحـد يخطط له ويشرف ويتابع ثم جهاز ثان ينفذ الخطة المرسومة للشباب بكل دقة ٠

وطالبت اللجنة فى تقريرها بوجوب تحـويل وزارة الشئون الاجتماعية من وزارة مساعدات من الدرجة الاولى الى وزارة تنمية اجتماعية قادرة على مواجهة التغيير الاجتماعى الناجم عـن التصنيع ما يكتنفه من مشاكل وعلى اعداد المجتمع اعدادا يتلاءم ومقتضيات الدولة العصرية التى تستهدفها ٠

وفى ختام تقريرها أكدت اللجنة على ضرورة أن يكون للمجتمـع بل للثورة قوانينهـا التى تحمى مسيرتها وتدعم تحولها قدما نحو تحقيق البنـاء

الاشتراكى ـ وأن القانون يجب أن يكون وسيلة المجتمع ودرعه الحامية لمضمون الدولة الاقتصادى والاجتماعى ولكافة التحولات التى يجريها المجتمع مستهدفا اتمام التحول الاشتراكى ٠

وفى البحث العلمى الواقعى الذى قدمه عضو المجلس الدكتور **فؤاد مرسى** حول مشكلة تزايد الاسعار ـ على أساس أنها مشكلة تمس حياة كل مواطن فى ادق مواقعها ، اكد على ان ارتفاع الاسعار يؤدى الى ارتفاع تكاليف اى مشروع من مشروعات التنمية ـ وميز فى دراسته بين ارتفاع محسوب وارتفاع غير مخطط وغير محسوب ، وطالب بالوقوف بحزم ضد ارتفاع ثمن اى سلعة أساسية بطريق غير منظم ٠

واستعرض الدكتور فؤاد فى كلمته مراحل الارتفاع فى أسعار بعض السلع موضحا الظروف المواكبة لها وبالتالى موضحا اذا كانت الزيادة طبيعية أم مفتعلة ٠ فالزيادة طبيعية عندما بدأنا فى تنفيذ الخطة الاولى نتيجة لعملية التنمية وارتفاع الدخول وبخاصة فى الاجور المنظمة ٠ ولكن بعد قرارات يوليو ٦١ ارتفعت الاسعار نتيجة رفض بعض القوى لهذه القرارات ـ وبالتالى كان ارتفاعا مصطنعا ٠

ثم اوضح فؤاد مرسى انه حتى عام ١٩٦٧ لم تكن هناك مشكلة أسعار خطيرة ـ بل انه فى أعقاب حرب يونيو امكن للحكومه ان ترفع اسعار العديد من السلع للحد من الطلب والاستهلاك وصاحب ذلك انكماش فى التنمية لاننا فى حرب مع اسرائيل ـ وكانت هذه المرحلة الإنكماشية غير طبيعية وبدأنا بعد ذلك التوسع وهو ضرورى للتنمية ولمواجهة مشاكل الحرب ٠

ومنذ مايو ٦٩ تميزت اسعار الجملة بالارتفاع نتيجة لزيادة اسعار المنتجات الصناعية كالكيروسين وزادت اسعار اللحوم والسمك بنسبة ١٧ فى المائة ومنتجات الالبان بنسبة ٣ فى المائة ، وفى اكتوبر فى نفس العام اتجهت الزيادة بنسبة ٧ فى المائة عن الاسعار السابقة وزادت فى نوفمبر ١ر٧ فى المائة ، وكانت المواد الغذائية فى مقدمتها ٠

وأكد على أن هذه التقلبات فى الاسعار صاحبها نقص فى أسعار النقود وكميتها ـ ونقص فى وسائل الدفع ـ وحذر من ظاهرة تغطية الاصدارات الجديدة من النقود بأذون ـ قروض على الخزانة ٠

وأوضح الدكتور فؤاد مرسى أن الحكومة خفضت بعض الاسعار وكلف ذلك الدولة ٤ ملايين من الجنيهات ، ولم يحس المواطنون بهذا التخفيض ، وكان الاولى لكى تحس الجماهير بما تقدمه لهم الحكومة رفع الحد الادنى لاجور العمال فى الصناعة والزراعة أو تخفيض تكاليف مقاومة دودة القطن ٠

وطالب فؤاد مرسى بأن توجه الدولة جهودها الى تثبيت مستوى الاسعار وتثبيت الدخول ورفع الدخول الدنيا وأن يكون لجهاز الاسعار المركزى مهمة أساسية هى صياغة اتجاهات الاسعار فى الاقتصاد القومى ـ فهو جهاز سياسة وتخطيط للاسعار وليس جهاز تسعير ، ويجب أن يتبع رئيس الوزراء مباشرة ٠

والقى فؤاد مرسى ضوءا على بعض صور تبديد المدخرات كالاستيراد بدون تحويل عملة للاستعمال الخاص ولمستلزمات الانتاج واستيراد السيارات ٠ وعرض بالارقام حجم عمليات استيراد السيارات : عام ٦٨ ـ ٨٠٠ سيارة ٠ عام ٦٩ ـ ٩٠٠٠ سيارة ، شهر يوليو ٧٠ ـ ١٠٠٠٠ سيارة ، شهر أغسطس ٧٠ ـ ١٢٧٤ سيارة ٠

وانتقد بشدة هذه العمليات التى كانت الدولة قد سمحت بها بقصد استخدام مدخرات موجودة فى الخارج ولكن التطبيق جاء عكس ذلك ـ لان الرأسمالية ذكية جدا تبحث عن المليم ـ ولابد أن هناك عمليات تهريب أو طرق غير مشروعة ٠ ودعا لموقف حازم بالنسبة للاجراءات الملفقة التى تقبل كستار لهذه العمليات ٠

وفى المناقشة التى اجراها المجلس لبيان رئيس الحكومة على امتداد اربع جلسات تحدث فيها اربعون عضوا من اعضاء المجلس برزت مشكلة التعليم واحتلت مكانا واضحا فى كلمات المتحدثين وتناولها الاعضاء (**أحمد كمال الحديدى ـ محمود عفيفى ـ دكتور اسماعيل معتوق ـ نوال عامر ـ مأمون الشيخ ـ صبرى القاضى ـ مختار هانى ـ الدكتور لطفى سليمان هارون عطية ـ ممدوح خليل ـ سمير العلايلى**) وطالبوا فى كلماتهم

● **ضرورة** انشاء المجالس القومية المتخصصة للتعليم ٠

● **التخطيط** الشامل للتعليم فى كل المراحل ٠

● **التنسيق** بين حجم التعليم فى المستويات المختلفة اذ يضم التعليم الابتدائى حاليا اكثر من ٣ ملايين تلميذ والاعدادى ٨٠٠ الف والثانوى ٢٦٣ الف تلميذ ٠

● **أن يشمل** التعليم الاعدادى والثانوى العام تخصصات مهنية وصناعية وزراعية وتجارية بحيث يكون التعليم العام فى خدمة التعليم العالى وليس ضاغطا عليه ٠

● رفع مستوى تدريب المعلم ومراجعة تكديس الفصول والبرامج •

● تطوير التعليم العالى بما يجارى روح العصر ـ وتحقيق الفرص المتكافئة فى نشر التعليم العالى والجامعى بكافة المحافظات على أساس مبدأ اقليمية الجامعات .

● وضع حد لظاهرة تسرب التلاميذ من المدارس فى الارياف .

● توفير ظروف المعيشة المناسبة للمدرسين وسد النقص الملحوظ فى المدرسين والالات فى المدارس الصناعية والتجارية •

● رفع القيود والرسوم الجمركية على الكتب العلمية المستوردة وعدم معاملة الكتب مثل باقى السلع .

● ربط التعليم الزراعى بنهضتنا الزراعية •

هذا وقد أجمع أغلب المتحدثين على المطالبة بضرورة طرح قضية تطور التعليم فى حوار علمى بين القواعد الشعبية للوصول الى الرأى السليم فى تطور التعليم .

وألح السيد كمال الحناوى رئيس اللجنة التى أعدت الرد فى تعقيبه على البيان الختامى لرئيس الوزراء على أن يكون التطوير مبنيا على دراسة مستأنية طويلة الاجل حتى يأتى التطوير سليما حقيقيا .

وبعد التعليم احتلت مشكلات القرية مكانا ملحوظا فى اهتمام أعضاء المجلس • وتناولها من زوايا مختلفة **أحمد توفيق القاياتى ـ أحمد الوردانى ـ مأمون الشيخ ـ أحمد الدمرداش تونى ـ رفاعى كامل ـ محمود الشال ـ ممدوح خليل ـ كمال الشاذلى ـ جمال سعد ـ أحمد يونس ـ صبرى القاضى ـ لويس هندى شوشان .**

وعلى أساس أن حل مشكلات القرية يعنى فى الاساس حل مشكلات ٦٠٪ فى المائة من الشعب العامل المنتج ـ وأن الفلاح مازال يستخدم وسائل الزراعة البدائية ومازال محروما من الماء النقى والكهرباء ومازال يشكو من مشاكل الصراف وبنك التسليف ومن تعدد نسب الخصم والاضافات سواء كانت عمولات أو تبرعات والتى تفرض عليه ـ مع تسويق كل محصول ـ وما يعانيه الفلاح من ثغرات فى تطبيق قانون التعاون الجديد .ونقص فى المقررات التموينية .

وطالب الاعضاء فى هذا الجانب من المناقشة بمجموعة من الاجراءات للتغلب على المشاكل الملحة التى يعانيها الريف وبشكل خاص ما يعانيه **عمال التراحيل** من استغلال مقاولى الانفار :

● الاخذ بالاسلوب العلمى فى الادارة الزراعية والاخذ بأسلوب الزراعة المجمعة فى الاراضى المستصلحة •

● النظر للتعاونيات الزراعية على أساس انها دعامة للتحول نحو الاشتراكية وسد الثغرات فى تنفيذ قانون التعاون الجديد ـ والتى تتمثل فى عدم تعيين المديرين ولجان المراقبة ، وعدم تحديد المسئولية بين مجلس الادارة والعاملين •• وضمان ديمقراطية التعاونيات لقيامها بواجبها وان تعتمد على التعاونيين أنفسهم •

● جعل بطاقة الحيازة هى الاساس فى محاسبة الزراع واعتبارها المستند الوحيد •

● اعداد جدول زمنى واضح لتنفيذ الخدمات وتحديد جدول لاستكمال وصول المياه والكهرباء للقرى المحرومة منها والوحدات الصحية ورصف الطرق ودعم شبكة المواصلات واعلان هذه الجداول للقرى نفسها •

● تخطيط واضح لصناديق الخدمات بالمحافظات بحيث توجه حصيلتها لمصلحة الفلاحين وليس للمصاريف الادارية •

● اصدار التشريعات اللازمة لحماية عمال التراحيل ورعايتهم اجتماعيا وصحيا والتأمين عليهم وانشاء جمعيات تعاونية لتشغيلهم ورعايتهم بالمحافظات على ضوء تجربة وادى النطرون •

● زيادة المقررات التموينية من الزيت والكيروسين والشاى والسكر للفلاحين لانهم أكثر حاجة الى هذه المواد الاساسية من أهل المدن •

ونالت مشكلات الحرفيين أهتماما خاصا من **عبد الجابر علام ـ سعد شمس الدين ـ سيد زكى ـ سمير العلايلى** وتركزت كلماتهم وأقتراحاتهم حول أهمية قطاع الحرفيين من حيث ضخامة عددهم وانهم يمثلون طبقة الرأسمالية الوطنية التى تحدث عنها الميثاق ـ وطالبوا بضرورة حصر جميع الحرفيين والتعرف على مشكلاتهم والسير فى طريق تجميعهم فى تعاونيات وتنظيم عقود وعمل لهم وانشاء بنك خاص يمولهم بدون فوائد .

وأعطى الاعضاء نبيل نجم وعبد الوهاب قوطة وجمال سعد وسيد زكى اهتماما ملحوظا لرعاية أسر المهجرين والمجندين ـ مطالبين باعطائها الاولوية فى حل مشاكلها ـ وضرورة اعادة مراجعة معسكرات الايواء وتشجيع المهجرين على تركها للاقامة خارجه بمنحهم اعانة مسكن ـ وتخفيض الايجارات بالنسبة للمهجرين •

وفى قطاع التأمينات الاجتماعية طالب **فؤاد مرسى وأحمد كمال الحديدى والدكتور لطفى**

تعليق

ماذا يعنى الغاء الامتحان فى المــواد القــوميـــة ؟

لقد اتخذت وزاره التربيــه والتعليم أخيرا مرارا بالاكتفاء فى تقييم الطلاب فى مواد التربيه القوميه بالامتحانات الشفويه والتحريرية التى تجرى على مدار العــام الدراسى دون أن تضم درجات هذه المواد للتقدير العام فى اخر العام • وهذا القرار بصدوره فى هذه الفتره بالذات انما يكتسب ابعادا خطيرة سواء من النواحى الاجتماعية أو السياسية أو التعليمية •

أولا : الناحيه التعليميه : فى الوقت الذى تتطلع فيــه الجماهير الى تغييرات ديمقراطية فى مجال التربية والتعليم ونظمه تقدم الوزارة هذا القرار باعتباره أحد أوجه التغيير الذى نقوم به ، وهى بهذا الاجراء قــد القت بهــذه المواد بعيدا عن مجال الاهتمام سواء من جانب التلاميذ أو المدرسين أو أولياء الامور أو الادارات التعليمية . اذ من المعروف أن المدارس قد تحولت منذ فترة طويلة الى مؤسسات تهدف الى اعداد التلاميذ للامتحانات فى المقام الاول . ونتيجة لذلك فان كل مادة من مواد الدراسة تتحدد أهميتها لابفائدتها فى الحياة العملية أو فى تكوين شخصية الطالب ، ولكنها تتحدد فقط بالنهاية العظمى المقررة لها فى الامتحان لانها ســوف ترفع مجموع الدرجات ، وبالنهاية العظمى التى تمثل الحــد الادنى من الدرجات اللازمة للنجاح . فيهتم الجميع بالمواد ذات النهايــات الكبرى العالية والنهــايات الصغرى العــالية ولعل ضعف التحصيل الذى نشأ فى تخفيض النهايات الصغرى لبعض المواد ، والسماح بالانتقال مع الرسوب فى بعض المواد خير دليل على ذلك . ومن هنا فان هذا القرار قــد حكم على هذه المواد الضرورية بأن تصبح على حد تعبير بعض تقارير الوزارة من قبيل حشو المناهج

ثانيا : الناحية الاجتماعية : لقــد كانت العنــاية بالمواد القومية وادخال فروع جديدة منها فى الخطط الدراسية من أهم الخطــوات التـــى قــامت بهــا الثــورة ، فــاذا كــان الاستعمار قــد حاول جهده أن يجعل خطط الدراسة قاصرة فى المدارس الابتدائية والاولية على تعليم القراءة والــكتابة والحساب فان الاتجاهات الوطنية كانت تطالب باصرار بتدريس المواد القومية التى تثير المشاعر القومية ، وكان ذلك احد أوجه الصراع بين القوى الوطنية والاســتعمار . وعنــدما اضطر الاستعمار لادخال تلك المواد فقد عمل على تشــويه تاريخ بلادنا واضعاف المشاعر القومية

وقد يعترض البعض على تدريس هذه المواد على أساس أن الافضل لهذه القيم أن تستوعب عن طريق التربيــة فى الاسرة وفى الحياة الاجتماعية نفسها .

ولكن حالة الاسرة المصرية وتغلغل المفهومات الرجعية التى استمرت سائدة مئات السنين لاتسمح بأن تترك هذه المهمة لها ، بل لابد ان تقوم المدرسة بدورها ، فالفرق الجوهرى بين مدرستنا والمدارس الامريكية لايكمن فى ان مدارســنا تعلم التلميذ جدول الضرب والمدارس الامريكية لاتعلمه ، ولكنه يكمن فى أننا نعلم تلاميذنا احترام العمل اليدوى ومحاربة التعصب العنصرى ، والدفاع عن السلام ، واحترام القطاع العام والعمل على حمايته وتدعيمه .

ثالثــا : الناحية السياسية • ان هــذا القرار ذو دلالة سياسية خطيرة ، ففى الوقت الذى تعمل الدولة على تدعيم الخط السياسى والاجتماعى والاقتصادى الذى تســير فيــه البلاد ، فان هذا القرار يعتبر تراجعا من الناحية السياسية .

فهذه المواد احد أسلحة المجتمع الجديد فى حربه الفــكرية مع قوى الرجعية .

ممدوح عبد الرحمن

سليمان بضرورة توحيد قــوانين التــأمينات والمعــاشات وضرورة أن تشــمل التــأمينات الاجتماعية عمال الزراعة والقطاع الخــاص والحرفيين ـ كما طالبوا بانشاء وزارة خاصة للتأمين والمعاشات •

وطالب الدكتــور فؤاد مرسى وأحمــد كمال الحديدى باعادة توصيف وترتيب الوظائف ووضع معايير للاداء والحوافز ويجب ألا يسمح بالجمع بين أكثر من بدل واحد •

ودعا الدكتور **فؤاد مرسى** لان يكون الاهتمام بتقليل الفاقد وخفض التكاليف هو الاساس فى المحاسبة بالنسبة للشركات الصــناعية ، وليس الربح .

واهتم الاعضاء **نبيل نجم وسعد شمس الدين وكمال الشاذلى وأحمد كمال الحديدى ورفعت بطل** بقضية الديمقراطية ومشاركة الجماهير مؤكدين أن الديمقراطية التى ندعو اليها هى ديمقراطية تحالف قوى الشعب العاملة التى تمارسها عن طريق مؤسساتها السياسية وفى اطارها وطــالبوا بايضاح الحقائق كاملة أمام الجماهير واشراك الجماهير فى وضع خطط ومشروعات الوزارات والتوفيق بين الجهود الذاتية وتنفيذ المشروعات المحلية عن طريق الادارة ـ وضرورة اعطــاء المحليات والمجالس الشعبية دورها الحقيقى •

كما طالبوا باعادة تشكيل مجــالس ادارات الشركات والنقابات العمالية لادخال العنــاصر القيادية الجديدة •

وانفرد العضو **سيد زكى** بالحديث المفصل عن مشكلة الاسكان « التى تزداد سوءا » والتــى تناولتها اللجنة فى تقريرها وطالب بتــوفير الاعتمادات اللازمة لاستيراد مواد البناء غيــر المتوافرة حاليا وبناء المساكن الاقتصادية لمحدودى الدخل وضرورة تعديل القانون الخاص بالعلاقة بين الملاك والمستأجرين ، ودعا الى وضع حد لظاهرة خلو الرجل •

كما أيد العضو **مختار هانى** ما طالبت به لجنة الرد فى شأن ضرورة تقنين الثورة على أساس انه طلب ملح بعد ١٨ عاما من الثورة وطالب بالغاء الكثير من اللوائح والتعليمات التى تســبب التعقيدات للجمهور وتوعية الجهاز الادارى وتعديل القوانين الاساسية للقانون التجارى والمــدنى والأحوال الشخصية لتساير الخط الاشتراكى •

وفى ختام المناقشة التى أجراها مجلس الامة ـ ألقى الدكتور **محمود فوزى** رئيس الوزراء ـ **بيانا** للتعقيب على المناقشــــة والآراء التى ابــداها المجلس ـ وتضمن بيان رئيس الوزراء عددا من النقاط الهامة :

● تقرر تشكيل لجنة مؤقتة تتولى بصفة عاجلة دراسة موضوع عمال التراحيل وتقديم تقرير عنها وأعلن أسماء أعضائها ·

● أعلن رئيس الوزراء انه سيكون هناك اهتمام خاص بموضوع الحرفيين وبالمهجرين وبكهربة الريف وانه قد تم وضع خطة لتوصيل الكهرباء الى جميع أنحاء الريف المصرى ·

● أعلن رئيس الوزراء أمام المجلس انه قد تم الاتفاق مع رئيس الجمهورية على بدء اعداد خطة جديدة للتنمية فى كل المجالات تمتد الى السنة المالية ٧٤ ـ ٧٥ ويقوم وزير التخطيط باعداد اطار هذه الخطة ·

● أكد على ضرورة أن نعتمد الى أبعد الحدود على الادخار الحقيقى الذى ينتجه اقتصادنا لتمويل التنمية بالمعدلات القوية التى تستهدفها سواء فى ذلك الادخار الذى يحققه القطاع العام او القطاع الخاص ·

● زيادة قوة الادخار المتولدة من القطاع الخاص عن طريق رفع كفاءته الانتاجية وخفض التكلفة فيه ·

● ان الحكومة سوف تتقدم الى مجلس الامة فى دورته الحالية بمشروع قانون جديد للرى ـ يعالج مايشعر به الفلاحون من مشكلات وصعوبات

● ان الدولة لن تسمح بضرائب أو رسوم ليست تستند الى القانون ·

● بالنسبة للتعليم أكد ان الوزارة ليست بصدد مجرد عمل قانون جديد للجامعات ولكنها مقدمة على تطوير عريض وعميق للتعليم وسوف تقوم بمشاورات واسعة وعميقة قبل الحسم ·

ويرى المراقبون ان البيان الختامى لرئيس الوزراء أمام المجلس قد أوضح الدور الذى يمكن ان يلعبه مجلس الامة بمشاركة فى مسئولية اتخاذ القرارات التى تمس مصالح الجماهير ·

■■

■ **الاتحاد الاشتراكى العربى**

خطة جديدة للعمل السياسى

اقرت الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى العربى « الخطة الاولى للتنظيم السياسى » على اساس ان تغطى المدة من يناير الى يونيو ١٩٧١ ·

وتهدف الخطة الجديدة الى زيادة الحشد من أجل المعركة فى كافة مجالات الدفاع الشعبى والدفاع المدنى ورعاية أسر المهجرين والمقاتلين والشهداء واستمرار الترابط بين الجبهة الداخلية وجبهة القتال واستمرار التحرك فى كسب الرأى العام العربى والعالمى مع قضيتنا وتدعيم الاتصال بالاحزاب الاشتراكية والتقدمية ·

وتقوم الخطة على اساس تجسيد قدرات الوحدات الاساسية نحو انتاج احسن من اجل المعركة وخدمة اكفأ من اجل الجماهير · ويمكن للوحدات الاساسية فى هذا المجال ان تشكل من بين العناصر المخلصة **فرق الانتاج الناصرى** والتى تعمل فى اوقات اخرى غير اوقات العمل للوفاء بمتطلبات تحقيق الهدف وزيادته واثارة المنافسة بين الفلاحين على احسن المحاصيل التى ينتجها الفلاحين كما يتعين على الوحدات الاساسية تقييم الخدمات التى تقدم للمواطنين فى المرحلة الحالية والعمل على وصول الخدمات للمواطنين بالطريقة المناسبة بعيدا عن تعقيدات الروتين · ·

كما تستهدف الخطة دعم العمل السياسى بين الشباب والطلاب وزيادة ربط البنيان التعاونى والتنظيمات النقابية المهنية والعمالية بالتنظيم السياسى والبدء فى تنظيم ودعم التعاونيات الحرفية ·

والى جانب هذا كله تطرح الخطة ضرورة الارتفاع بالمستوى الثقافى والفكرى للتنظيم السياسى وتسليحه باستمرار بالوضوح والفهم للقضايا الراهنة بما يمكنه من العمل مع الجماهير ·

وفى مجال دعم البناء التنظيمى وزيادة فاعليته تركز الخطة على الوحدة الاساسية باعتبارها حلقة اتصال بين التنظيم والجماهير ·

وتتضمن الخطة اعداد دورات تدريبية للوحدات الاساسية لتنمية قدراتها التنظيمية مثل (ادارة الاجتماعات ـ عمل محضر لاجتماع ـ اعداد تقرير ـ اساليب الاتصال بالجماهير ـ اسلوب وضع خطة تفصيلية على ضوء الخطة العامة) ·

وتعطى الخطة اهتماما خاصا بتربية الكوادر ومتابعة تقدمها وتنمية قدراتها فى التنظيم السياسى القائد ومنظماته المساعدة ·

كما تطرح على الوحدات الاساسية ضرورة استيعاب العناصر الفنية والنشطة فى لجانها لاثراء عملها ورفع قدرتها

ولكى تضمن الامانة تنفيذ الخطة الجديدة بأكبر قدر من جودة التوصيل واستخدام كل الطاقات المتاحة داخل التنظيم ـ قررت عقد سلسلة من الاجتماعات على امتداد الخطة وطبقا لبرنامج زمنى ـ ويشترك فى هذه الاجتماعات التى تنظمها

الامانة امناء المحافظات وامناء الاقسام والمراكز ومقررى اللجان المنبثقة من اللجنة المركزية مع مقررى اللجان المقابلة لها بالمحافظات .

كما قررت الامانة فى اطار خطتها الجديدة ضرورة استيعاب اعضاء المؤتمر القومى العام فى نطاق العمل السياسى بالمحافظة واشراكهم بحضور اجتماعات لجان المراكز والاقسام النابعين منها اصلا – وكذلك اشتراكهم فى اللقاءات الجماهيرية مع تحديد واجبات محددة لهم .

كما قررت الامانة ان يحضر اعضاء اللجنة المركزية من غير اعضاء لجان المحافظات – اجتماعات لجان المحافظات وان يشتركوا فى مناقشات هذه اللجان وكذلك فى متابعة العمل بلجان المراكز والاقسام ويحضر اعضاء مجلس الامة لجان الاقسام التابعة لهم دوائرهم .. كما قررت الخطة ان يحضر كل القيادات التى انتخبت للمستويات الاعلى – اجتماعات وحدتها الاساسية القاعدية مرة كل ثلاثة شهور على الاقل ».

ورسمت الخطة اسلوب العلاقة المشتركة بين التنظيم السياسى والجهاز التنفيذى – فاكدت على ضرورة ان يتم لقاء شهرى مشترك بينهما بكل محافظة يحضره المحافظ واجهزته المعاونة من رؤساء المصالح وايضا امين الاتحاد الاشتراكى فى المحافظة وقيادات العمل السياسى حتى مستوى الوحدات الاساسية ، وتتم هذه الاجتماعات المشتركة على كافة المستويات ، ويعتبرحضورها واجبا تنظيميا ملزما لكافة المستوياتالقيادية حتى مستوى أمناء وأمناء مساعدى الوحداتالاساسية للمستوى الاعلى ، المشكلات التى لايستطيع حلها المستوى المعين، وتشكللجنةمتابعة تنفيذ قرارات اللقاءالمشترك – وتقومهذهاللجنة بتقديمتقريرفى أول كل لقاء تسجل فيه نتيجة متابعتها للقرارات السابقة .

وحددت الامانة جدولا زمنيا لانجاز الواجبات المختلفة فى الخطة قسمته الى شهور – لكل منها اهداف محددة – وقسمت كل شهر الى اربعة اسابيع فصلت عليها الواجبات مجزأة – على ان يتم خلال شهر يونيو تقييم جهود الوحدات والمستويات المختلفة فى انجاز الخطة .

وقد تم تشكيل الامانةالعامة للاتحاد الاشتراكى العربى تحقيقا لما تم الاجماع عليه بضرورة زيادة فاعلية التنظيم السياسى ورفع قدرته على تحمل مسئوليات المرحلة الراهنة بعد وفاة الزعيم الراحل عبد الناصر .

والامانة العامة الجديدة مشكلة برئاسة الامين العام السيد **عبد المحسن ابو النور** وعضوية مقررى اللجان الدائمة فى اللجنة المركزية ، ومقررى اللجان الفرعية المتفرعة من اللجان الدائمة، وكذلك رئيسا ادارتى التخطيط والمتابعة والرأى ومشاكل الجماهير وهما ادارتان جديدتان ».

ويقود الامانة العامة مكتب دائم برئاسة الامين العام وعضوية مقررى اللجان الدائمة وهم السادة **لبيب شقير ورمزى ستينو وضياء الدين داود وشعراوى جمعة** – وهذا المكتب الدائم يجتمع مرة على الاقل كلاسبوع ويمارس اختصاصات الامانة العامة فيما بين فترات اجتماعاتها .

وتختص الامانةالعامة الجديدة باعدادالتقارير والدراسات فى المسائل التى تعرض على اللجنة التنفيذية العليا وكذلك المسائل التى تقرر اللجنة التنفيذية عرضها على ل.م او المؤتمر القومى – كما تتولى الامانة العامة تنفيذ قرارات اللجنة التنفيذية واللجنة المركزية والمؤتمر القومى العام وعليها توجيه ومتابعة النشاط اليومى لتنظيمات الاتحاد الاشتراكىالعربى ولجانه وفقا للقرارات – ومن واجبات الامانة – متابعة بناء الكوادر السياسية فى الاتحاد الاشتراكى – والقيام بالاتصالات بالهيئات والتنظيمات والاحزاب السياسية فى الخارج .

ويرى المراقبون ان الخطةالجديدةيمكن لو تمت فى الاقاليم بشكل خاص ان ترفع مستوى فاعلية التنظيم وقدرته .. حيث لم تعد من قبل خطة مركزية على مستوى الجمهورية .. وكانت لجنة القاهرة تكاد تكون اللجنة الوحيدة فى المحافظات التى تعمل على اساس خطة محددة ، وهى الان تنجز فى واجبات الخطة الثامنة .

■■

لقاءات سياسية دولية واسعة

عبر البيان المشترك عن محادثات **وفد الحزب الشيوعى السوفيتى** والاتحاد الاشتراكى العربى عن المرحلة المتقدمة التى وصل اليها التفاهم والتعاون المشترك بين التنظيمين السياسيين فى ج.ع.م والاتحاد السوفيتى .

لقد أعرب وفد الحزب الشيوعى السوفيتى « عن ارتياحه العميق الى تصميم قيادة الاتحاد الاشتراكى العربى على مواصلة الخط التقدمى والمعادى للامبريالية الذى سار فيه القائد الراحل جمال عبد الناصر فى مجال السياسة الخارجية

والداخلية ٠٠ » كما أشار وفد الاتحاد الاشتراكى العربى « الى الاهمية التاريخية لتجربة وخبرة الحزب الشيوعى السوفيتى فى مجال بناء المجتمع الاشتراكى الاول فى العالم ٠٠ والى أن الاتحاد الاشتراكى العربى يقدر تقديرا بالغا مضى ودور ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى، ويسعى الى استيعاب التجربة العالمية فى تحول المجتمع الاشتراكى على الاسس العلمية، مع الاخذ بعين الاعتبار ظروف وتقاليد بلاده ومميزاتها الخاصة » ٠

وبعد أن أكد الطرفان اتفاق وجهات نظرهما فى أهم المشاكل الخاصة بالتطور العالمى الراهن بما فيها قضايا نضال شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ضد الاستعمار عرجا على الوضع فى الشرق الاوسط ليؤكدا وحدة مواقف الحزب الشيوعى السوفيتى والاتحاد الاشتراكى العربى عن طرق حل الازمة فى الشرق الاوسط، واحترام حقوق الشعب الفلسطينى العربى ٠

وكان وفد الحزب الشيوعى السوفيتى برئاسة « بوريس بونوماريف » قد وصل الى القاهرة فى العاشر من ديسمبر بدعوة من اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى فى زيارة استغرقت عشرة أيام أجرى فيها محادثات فكرية وسياسية هامة مع ممثلى الاتحاد الاشتراكى العربى وقابل فيها رئيس الوفد الرفيق بونوماريف الرئيس أنور السادات وتمت فيها لقاءات بين الوفد وبين أعضاء اللجنة المركزية وقيادات الاتحاد الاشتراكى وأعضاء مجلس الامة وقيادات اتحاد العمال والاساتذة الدارسين فى المعهد العالى للدراسات الاشتراكية وقيادات العمل السياسى فى محافظتى القاهرة والاسكندرية كما زار الوفد مدينة الاسكندرية والاقصر وأسوان وعددا من المصانع



والمناطق الزراعية حيث اجتمع مع قيادات العمل السياسى فيها ٠

وفى الثامن من ديسمبر كان قد وصل الى القاهرة أيضا وفد الحزب الشيوعى الفرنسى برياسة جورج مارشيه السكرتير العام المساعد للحزب بدعوة من الاتحاد الاشتراكى ٠ وبعد عدة لقاءات سياسية وجماهيرية، أعلن رئيس الوفد فى مؤتمر صحفى « أن عدالة القضية العربية أصبحت الان أكثر وضوحا وفهما لدى الشعب الفرنسى مما كانت عليه من قبل، وأكد أنه اذا نشب القتال من جديد فسوف يقف الحزب الشيوعى الفرنسى الذى يمثل روح الناخبين الفرنسيين – الى جانب العرب مثلما وقف معهم من قبل ٠ وأكد البيان المشترك عن محادثات وفد الحزب الشيوعى الفرنسى والاتحاد الاشتراكى العربى « تأييد الجانبين للثورة الفلسطينية، واعتقادهما أنها ستحقق انتصارات جديدة على طريق نضالها ووحدتها مع قوى الثورة العالمية » ٠

كما وصل الى القاهرة أيضا فى العاشر من ديسمبر الوفد البرلمانى لألمانيا الديمقراطية برئاسة جيرالد جوتيخ رئيس مجلس الشعب تلبية ودعوة مجلس الامة العربى ٠ وقد أعلن رئيس هذا الوفد وقوف شعب ألمانيا الديموقراطية وتضامنه مع الشعب المصرى الباسل وتأييده الحاسم لنضال الشعوب العربية ومن بينها الشعب العربى الفلسطينى ضد المؤامرات الاستعمارية والصهيونية على هذه الشعوب » ٠ وبعد وفد ألمانيا الديموقراطية وصل السيد ساتوتان جينوف رئيس المكتب التنظيمى للجنة المركزية للحزب الشيوعى البلغارى بدعوة من الاتحاد الاشتراكى العربى، ثم وفد اتحاد العاملين بالدولة فى الاتحاد السوفيتى بينما كان أسبوع اللقاء الثالث بين شباب الاتحاد السوفيتى وشباب الجمهورية العربية المتحدة يواصل برنامجه ٠

والواقع أن تركز الاتصالات فى هذه الفترة فى الوفود الحزبية والشعبية انما هو تعبير واضح عن الدور المتعاظم الذى أصبح يلقى على عاتق المؤسسات السياسية والدستورية فى ج ٠ ع ٠ م بعد فقد الرئيس جمال عبد الناصر، كما أنه الرد العملى على محاولات القوى الصهيونية والامريكية للضغط على البلاد العربية ومحاولة تلمس أى وسيلة لعزلها عن أقوى أصدقائها فى المعسكر الاشتراكى وحركة الطبقة العاملة العالمية ٠

كما وصل فى ديسمبر الماضى كذلك وفد منظمة الشباب اللينينية فى الاتحاد السوفيتى بمناسبة أسبوع الصداقة الثالث بين الشباب السوفيتى والعربى وكان هذا الاسبوع نموذجا ناجحا لما يمكن أن تقدمه مثل هذه اللقاءات بين الشباب



الثورى • وعبرت الكلمات التى القاها كلّ من الدكتور **مفيد شهاب** امين الشباب فى الجمهورية العربية المتحدة ، والسكرتير العام للجنة المركزية لاتحاد الشبيبة الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى ، عن الدور الذى لعبه هذا اللقاء فى تدعيم وتوسيع علاقات الصداقة والنضال المشترك للشباب بين البلدين • وأعرب السيد **عبد المحسن أبو النور** الامين العام للاتحاد الاشتراكى العربى عن اعتقاده بأن هذا الاسبوع كان ثمرة من ثمار الشجرة الطيبة التى غرسها وناضل بكل اخلاص ووعى لرعايتها وتنميتها ، زعيمنا الخالد **جمال عبد الناصر** مع زعمائكم العظام وأعنى بهما شجرة الصداقة الاصيلة والتعاون البناء بين شعوب الاتحاد السوفيتى وشعبنا العربى » •

■■

■ **الصراع العربى الاسرائيلى :**

وماذا بعد كل تلك المناورات ؟

توقع كثير من الدوائر السياسية ان تعود اسرائيل مرة أخرى الى اتصالات يارنج خلال الشهر الحالى ، كجزء من مناوراتها لتحويل وقف اطلاق النار الى سياسة دائمة تتجدد كل ثلاثة شهور •

ولقد شهد الشهر الماضى مناورات دبلوماسية واسعة النطاق حاولت من خلالها اسرائيل والولايات المتحدة بكافة السبل تجنب تنفيذتوصية الجمعية العامة ببدء الاتصالات مع يارنج من أجل العمل على تنفيذ قرار مجلس الامن ، كما حاولت استخدام كل وسائل الضغط والحرب النفسية من أجل كسب أى مواقع جديدة فى المعركة الدبلوماسية • وفى نفس الوقت أعدت مخططا تواجه عن طريقه ، التطورات المحتملة ازاء امكانية صدور قرارات أخرى جديدة من الامم المتحدة تدين اسرائيل أو تتخذ خطوات أكثر ايجابية نحو محاصرة العدوان •

وفى بداية الشهر الماضى أعلنت واشنطن من جديد أنها لن تسمح باختلال توازن القوى العسكرية فى المنطقة•وتحت دعوى ان المساعدات السوفيتية للعرب تخل بهذا التوازن العسكرى بررت الولايات المتحدة كل ما قدمته وما ستقدمه لاسرائيل من مساعدات مالية واقتصادية وعسكرية • واعن « **ملفن ليرد** » وزير الدفاع الامريكى بأن الولايات المتحدة لا يمكنها أن تقف مكتوفة الايدى أمام تزايد الدعم العسكرى السوفيتى للعرب • ولم يقف الامر بواشنطن عند حد الدفاع عن تسليح اسرائيل ، بل لقد تخلت صراحة عن مبادرتها التى كانت تدعى انها ترتكز على قرار مجلس الامن واعلن الرئيس «**نيكسون**» بأن انسحاب اسرائيل من الاراضى العربية ومداه ينبغى أن يكون موضع بحث فى نطاق الاتصالات الخاصة بأزمة الشرق الاوسط • وعلى أساس هذا الفهم تسعى الولايات المتحدة الى تحديد وقف اطلاق النار الذى قال عنه الرئيس نيكسون أنه يجب أن يستمر • وعلى أساس هذا الفهم تسعى الولايات المتحدة الى استئناف الاتصالات الخاصة بايجاد تسوية سلمية لازمة الشرق الاوسط على الفور •

وخلال الزيارة التى قام بها « **موشى ديان** » للولايات المتحدة فى الشهر الماضى أجرى مشاورات مع الرئيس نيكسون حول الازمة ، وأشار فى أحد تصريحاته ألى أن مد فترة وقف اطلاق النار فى القناة بعد ٥ فبراير القادم كان من أهم النقاط التى بحثها مع الرئيس نيكسون ، وأضاف أن هذه المسألة بالغة الحيوية لاسرائيل • وعقب عودة ديان لاسرائيل صرح بأن الظروف ليست مهيأة بعد لعودة اسرائيل لاتصالات يارنج • وذكرت المصادر الاسرائيلية بأن اسرائيل تطلب ضمن شروطها لاستئناف الاتصالات مع يارنج أن تلغى أمريكا تمسكها بقرار مجلس الامن كأساس لتسوية الازمة وأن تترك مسألة الحدود للاتفاق عليها من خلال المفاوضات • ..ثم اعلن « **أبا ايبان** » بان اسرائيل تأمل فى العودة الى الاتصال بيارنج فى أوائل يناير ريثما تتلقى ايضاحات معينة من الولايات المتحدة •

وعلى النطاق العربى بذلت العواصم العربية جهدا كبيرا فى المجال الدبلوماسى الدولى من أجل محاولة التوصل الى تطبيق قرار الجمعية العامة للامم المتحدة . وقام الملك « حسين » بجولة فى الولايات المتحدة وأوروبا اجتمع خلالها بالرئيس نيكسون وبحثا معا تطورات الازمة ، كما أبلغه اصرار ج . ع . م . على عدم تجديد فترة وقف اطلاق النار الا اذا كان هناك تقدم حقيقى نحو تنفيذ قرار مجلس الامن .

وفى القاهرة بدأت موجةنشاط دبلوماسى واسع النطاق فقد وضعت ج . ع . م . مخططا كاملا للتحرك السياسى على المستوى الدولى يستهدف شرح موقفها قبل أن ينتهى أجل وقف اطلاق النار وذلك كى توضح أنها فعلت كل ما فى وسعها من أجل حل الازمة على أساس قرار مجلس الامن وأنها ليست على استعداد لقبول المناورات الاسرائيلية التى تسعى لتحويل وقف اطلاق النار الى وقف دائم يتجدد كل ٣ شهور . وصرح السيد « أنور السادات » بأن القاهرة لن توافق على وقف أطلاق النار الا فى حالة واحدة فقط وهى اذا كان هناك جدول زمنى للانسحاب محدد بالفعل .

كما شهدت القاهرة عددا من اللقاءات السياسية الهامة مع الدول والقوى الصديقة بهدف تنسيق الجهود لمواجهة التطورات المحتملة ازاء اصرار اسرائيل على التمادى فى موقفها فى تجاهل قرار الجمعية العامة . وخلال هذه اللقاءات أعلن وفد الشباب السوفيتى ووفد الحزب الشيوعى السوفيتى تصميم الشباب والشعب والحزب والحكومة السوفيتية على الوقوف بمنتهى الحزم والقوة الى جانب الحق العربى من أجل استعادة الارض المغتصبة . كما أعلن رئيس وفد الحزب الشيوعى الفرنسى التأييد الحازم والكامل للحق العربى . وأعلنت دول حلف وارسو فى اجتماعها فى برلين أن الدوائر العسكرية الحاكمة فى اسرائيل انما تغامر بالمصالح الحيوية لسكان اسرائيل باعلانها عن مخططاتها التوسعية .

واستكمالا للجهود الدبلوماسية التى تبذلها القاهرة فى المجال الدولى طار « على صبرى » الى موسكو لاجراء محادثات هامة مع المسئولين السوفيت ، كما طار « حسنين هيكل » فى جولة فى أوروبا و « محمد فائق » حول افريقيا لاجراء أوسع الاتصالات فى سبيل كسب الرأى العام الدولى لصف الحق العربى .

وبالاضافة الى ذلك جرت اتصالات على مستوى عال بين العواصم العربية للتشاور حول انعقاد مؤتمر قمة عربى فى أوائل العام لمناقشة احتمالات تطور الموقف ووضع خطة عربية موحدة لمواجهته .

■ سوريا

ميثاق طرابلس يمتد الى دمشق

ما أن أستقر الوضع فى سوريا لصالح الفريق حافظ الاسد حتى بدأت تتبلور معالم سياسة جديدة تستند كما يقول الفريق حافظ الاسد الى وحدة القوى الوطنية والوحدوية والتقدمية فى سوريا وعلى النطاق العربى كضرورة تفرضها معركة التحرير . وبدأ هذا التحول بتشكيل حكومة جديدة للوحدة الوطنية ضمت كافة الاتجاهات السياسية الرئيسية فى البلاد واشترك فيها حزب البعث والاتحاد الاشتراكى والوحدويين الاشتراكيين والشيوعيين والمستقلين ، وتعهدت القيادة الجديدة لحزب البعث فى البيان الذى أصدرته بالعمل على اقامة جبهة تقدمية تضم الاحزاب والقوى السياسية والوحدوية والتقدمية بقيادة حزب البعث واشاعة جو الديموقراطية فى العلاقة بين حزب البعث والقوى التقدمية الاخرى .

وقد صرح الفريق حافظ الاسد بأن حزب البعث يؤمن فى المرحلة الجديدة بضرورة قيام الجبهة الوطنية التقدمية ، وانه ليست لديه اية نية للاستئثار بالحكم كما جرى فى السابق ، ويؤمن بضرورة اشتراك كافة القوى السياسية التقدمية فى سوريا لتتحمل مع حزب البعث مسئولية المرحلة ، والمشاركة فى عملية التحول الاشتراكى ، كما أشار جمال الدين الاتاسى الامين العام للاتحاد الاشتراكى فى سوريا الى « أن تجارب السنوات الماضية تؤكد ضرورة قيام الجبهة الوطنية واستمرارها رغم كل شىء . وأن علينا أن نبذل كل ما فى وسعنا لتحقيق ذلك» . وقال يوسف فيصل ممثل الحزب الشيوعى فى الحكومة الجديدة « اننا أحرص ما نكون على قيام الجبهة التقدمية ونحن لا نريد أن نقلل على الاطلاق من دور حزب البعث فى الحكم والذى يهمنا فى هذه المرحلة هو العمل على تحقيق المبادىء التى نلتقى فيها لاقامة حكم وطنى تقدمى قومى » .

ويشير المراقبون السياسيون الى أن موقف واتجاهات القوى السياسية الرئيسية فى البلاد من قضية الوحدة الوطنية يخلق مناخا ملائما لاقامة نظام سياسى يستند على وحدة القوى الوطنية وتأييد جماهير الشعب بعد أن عانت الانظمة البعثية السابقة طويلا من العزلة والتمزق ، الا ان الامر المهم الذى يواجه سوريا الان فى نظر هؤلاء المراقبين هو ايجاد الصيغة الملائمة للعلاقة بين أطراف الجبهة حتى لا تتكرر أخطاء الماضى ومآسيه ، فلقد أدت التناقضات بين القوى التقدمية

فى المرحلة السابقة الى التدهور الذى وصلت اليه البلاد ·

وتجرى فى الوقت الحاضر مشاورات بين القوى السياسية الرئيسية التى يرتكز عليها الحكم القائم للاتفاق على صيغة تنظيمية لتدعيم الجبهة الوطنية التقدمية فى المرحلة المقبلة ·

وكذلك تجرى مشاورات مع قيادات المنظمات الشعبية الممثلة للفئات الجماهيرية المختلفة وسائل ممارسة دورها فى قيادة عملية التحويل الاشتراكى ، والرقابة الشعبية على اجهزة الدولة والمساهمة فى استكمال بناء الديمقراطية الشعبية ·

وقد أعلن فى الفترة الاخيرة عن الغاء العمل بقانون الطوارىء لعام ١٩٦٢ فى غير الحالات التى ينص عليها القانون ، والذى أسىء استخدامه من قبل بعض الحكومات السابقة مما أشاع جوا من عدم الطمأنينة فى البلاد ، والغاء معظم الاوامر العرفية والاجراءات التى صدرت فى الماضى أو اعادة النظر فى ملفات المواطنين المحفوظة فى دوائر الامن ، وأعلن الفريق الاسد أن الهدف الان هو خلق مناخ ملائم لترسيخ وحدة جميع الفئات والعناصر التقدمية والوطنية بما يحقق جبهة داخلية متينة تتعزز باستمرار معها الوحدة الوطنية ـ كما أعلن الغاء القيود على السفر الى لبنان والى الخارج ·

وأشار الفريق الاسد الى استمرار سوريا فى دعم كل فصائل المقاومة الفلسطينية وخاصة منظمة الصاعقة فى مواجهة مؤتمرات التصفية ، وان سوريا تعتبر ما يحدث فى الاردن خطة مدبرة ، وانها لن تقف مكتوفة الايدى ازاء المحاولات الجارية لتصفية المقاومة ، وتعزيز العلاقات مع الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى .».



وقد أكدت مصادر القوى السياسية المشتركة فى السلطة من غير المنتمين لحزب البعث ، أن هناك ثمة اتفاق على حرية العمل السياسى للاحزاب والفئات التقدمية بشكل يدعم الجبهة الداخلية ، ويعزز الوحدة الوطنية ، وأنه قد سمح للناصريين والشيوعيين والوحدويين الاشتراكيين باصدار صحف خاصة بهم ، وانه من المقرر اجراء انتخابات لمجلس شعبى جديد تتمثل فيه وحدة القوى الوطنية التقدمية ويكون تعبيرا عن الجبهة التى تشكلت على أساسها الحكومة الحالية . وسيتم تشكيل « مجلس الشعب » فى ٢٢ فبراير القادم ، وهو ذكرى اعلان الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ ، على ان يعقد المجلس اولى اجتماعاته يوم ٨ مارس .».

أما الجانب الاخر لسياسة الحكم الجديد فانه يعكس تجربة سوريا المريرة بعد الانفصال . ان الدرس الرئيسى الذى خرج به النظام الجديد هو أنه لا طريق أمام انتصار سوريا فى معركة التحرير الا بانضوائها تحت لواء الوحدة العربية · وسرعان ما أعلن الفريق حافظ الاسد انضمام سوريا الى ميثاق طرابلس وبذا أصبحت سوريا هى الدولة الرابعة فى الاتحاد العربى الجديد · ويشير كثير من المراقبين السياسيين الى أن هذا الاتحاد الرباعى ، خاصة بعد انضمام سوريا اليه ، سيكون له اثره الكبير على تدعيم الجبهة الشرقية التى تشكل نقطة ضعف اساسية فى مواجهة العدو الاسرائيلى ، كما انه سيساعد بدرجة كبيرة على تدعيم ومساندة قوى الثورة الفلسطينية التى ترى كثيرا من الدوائر التقدمية فى الوطن العربى اليوم ان تكون هى القوة الخامسة فى الاتحاد العربى القائم نظرا لاهمية تعبئة القوى فى الظروف القائمة ضد العدو الاسرائيلى ، ونظرا لان تأمين الثورة الفلسطينية ومستقبلها انما يرتبط بتلاحم قواها مع دول الاتحاد الرباعى .».

وعقب اعلان سوريا الانضمام الى الاتحاد الرباعى نشطت المشاورات بين عواصم دول الاتحاد وطار الفريق حافظ الاسد الى طرابلس والخرطوم والقاهرة حيث أجرى محادثات هامة تتعلق بالاسراع فى اتخاذ مزيد من الخطوات الوحدوية بين دول الاتحاد الرباعى والعمل على تعزيز الجبهة الشرقية .».

■ الاردن :

اشتباكات فى الاردن .. ومؤامرات فى لبنان

عادت الاشتباكات فتفجرت من جديد فى الشهر الماضى بين قوات الجيش الاردنى وقوات المقاومة الفلسطينية ، ودوت طلقات مدافع الفريقين فى أماكن متفرقة من البلاد وعلى طول الشهر ، غير أن أخطرها جميعا كان الاشتباك الذى وقع فى شمال الاردن فى مدينة **جرش** وما حولها .

ففى هذه المدينة والمنطقة المحيطة بها دارت معارك عنيفة بين قوات الجيش الاردنى وقوات الثورة الفلسطينية أعادت الى الاذهان أحداث سبتمبر الدامية فى الاردن ، وكادت تفجر الازمة من جديد على نطاق واسع . وقد أعلن متحدث باسم المقاومة أن القتال بدأ فى منطقة جرش عندما قامت دورية أردنية باطلاق النيران على مواقع الفدائيين بالمدينة مما أجبر قوات الفدائيين على الرد بالمثل . واصدرت قيادة الثورة الفلسطينية بيانا قالت فيه « ان هذا الهجوم الجديد يؤكد نوايا السلطات الاردنية فى تصفية الثورة الفلسطينية وضرب الفدائيين المقاتلين خارقة بذلك اتفاقية القاهرة التى وقعها الملوك والرؤساء العرب » .

وقد حاولت اللجنة العسكرية العربية ان تعيد الهدوء الى شمال الاردن ولكنها واجهت كثيرا من الصعاب بسبب سفر عدد كبير من أعضائها الى بلدانهم مما دفعهم الى ابلاغ السيد **الباهى الادغم** رئيس اللجنة العربية العليا للمتابعة بما يجرى وطلبت اليه الحضور على الفور للعمل على وضع اتفاق القاهرة موضع التنفيذ والبحث عن ضمانات للحيلولة دون تكرار مثل هذه الاشتباكات . كما ارسل السيد **انور السادات** الى السيد الباهى الادغم يطلب اليه سرعة التدخل لوقف القتال الدائر فى الاردن والعمل على تصفية الازمة قبل تفاقمها . وطار السيد الباهى الادغم الى الاردن حيث اجرى مشاورات مع الطرفين وعقد عدة اجتماعات لتصفية الازمة حضرها السيد **وصفى التل** عن الحكومة والسيد **ياسر عرفات** عن المقاومة وتم الاتفاق على وقف اطلاق النار على الفور . وبعد تحقيق أجرته اللجنة العربية العليا للمتابعة أعلنت فى بيانها أن الفريقين يتحملان مسئولية فى الاشتباكات الاخيرة وطالبت كل من القوات الاردنية والفدائيين بعدم الرد على العمليات العسكرية التى يبدؤها احد الجانبين وابلاغ اللجنة بها فورا للتحقيق فيها .

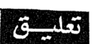
ولقد كان تجدد الاشتباكات حافزا جديدا للجنة المركزية لحركة المقاومة للاسراع فى المشاورات التى تجريها من أجل وحدة قوى الثورة الفلسطينية . وعقدت اللجنة المركزية عددا من الاجتماعات لاستكمال وضع الصيغة النهائية للوحدة . وتم الاتفاق خلال المشاورات على تأسيس **جبهة التحرير الوطنى الفلسطينى** لتضم المنظمات الاربعة الرئيسية فى حركة المقاومة وهى **فتح والصاعقة والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الشعبية الديمقراطية** ، واستبعدت بقية المنظمات الاخرى المشتركة فى اللجنة المركزية من هذه المشاورات على أساس أن أزمة سبتمبر أثبتت أن هذه المنظمات لا وجود لها بالفعل .

ويبلغ عدد المنظمات التى استبعدت خمس منظمات صغيرة الا أن الجبهة استبعدت أيضا **قوات الانصار** المرتبطة بالحزب الشيوعى الاردنى والتى كانت مستبعدة من اللجنة المركزية . وقد بدأ العمل بالفعل على توحيد القوى العسكرية تحت قيادة واحدة تمهيدا لتأسيس جيش موحد لجبهة التحرير الوطنى الفلسطينى .

وقام الملك حسين خلال الشهر الماضى بجولة فى أوروبا والولايات المتحدة حيث أجرى مشاورات واسعة النطاق مع المسئولين فى عدد من البلدان حول أزمة الشرق الاوسط . وقد مر الملك حسين قبل سفره بالقاهرة حيث تم تبادل وجهات النظر حول الموقف العربى من محادثات يارنج ومن تمديد فترة وقف اطلاق النار مرة أخرى ، وطلبت القاهرة أن ينقل الملك حسين وجهة نظرها فى هذا الخصوص الى المسئولين فى واشنطن .

وفى أعقاب المحادثات التى أجراها الملك حسين فى **واشنطن** أكدت المصادر الامريكية أن الملك أبلغ وزير الدفاع الامريكى بأن نصف قوة السلاح الجوى الاردنى عاجزة تماما بسبب عدم وجود قطع غيار ولكنه لم يحصل على رد مرض من المسئولين الامريكيين فيما يتعلق بطلباته الخاصة بالحصول على أسلحة وقطع غيار للطائرات . كما أعلنت الخارجية الامريكية أن الولايات المتحدة قد حثت كلا من الاردن واسرائيل على استئناف محادثات السلام بينهما وذلك خلال زيارة الملك حسين **وموشى ديان** لواشنطن ، ولكن الملك حسين أعلن أن الاردن لا يوافق على عقد اتصالات مع اسرائيل وأنه لا يمكن أن ينفرد بموقف من الدول العربية الاخرى .

وقد حذرت الصحف اللبنانية من مؤامرة تحاك لاشعال نار الفتنة فى لبنان ، واتهمت عناصر من



الفن التشكيلى والقاعات الخاصة

لاول مرة منذ عدة سنوات ، تقيم قاعة خاصة معرضا للفن التشكيلى ، ففى حى الزمالك بالقاهرة افتتحت « مكتبة سفرخان » قاعة ملحقة بها لتقديم الاعمال الفنية الاصيلة عن طريق التعاقد الشخصى مع الفنانين ، أسوة بما يتبع فى اوربا .

قدمت قاعة « سفر خان » فى باكورة معارضها الشهرية أعمال الفنان عمر النجدى •

ومن بين المعارض القادمة : أعمال صلاح طاهر وانجى افلاطون وحسن سليمان وتحية حليم •

ان الزائر لمعرض عمر النجدى لا يلمس تنافرا بين اعماله وما تضمه القاعة من عاديات وطرف كانت قاصرة عليها من قبل ، الا أن عرض الابداع الفنى الحديث الى جوار بعض السلع الاخرى يرفع علامة استفهام كبيرة حول علاقة الفنان التشكيلى الحر •• بالذواقة الحر المقدر للمظاهر الجمالية فى الحياة • ان هذه العلاقة تقتصر الان على تقديم الاعمال الفنية فى القاعات التي تشرف عليها تنظيمات وزارة الثقافة من ناحية ، والمراكز الثقافية الاجنبية من ناحية اخرى ، وبعض الجمعيات الفنية من ناحية ثالثة ، ويتم ذلك من خلال روتين وقواعد تقليدية تحكمها أهداف كل تنظيم من التنظيمات الثلاثة • الا ان أهداف القاعات الخاصة اهداف تجارية بالدرجة الاولى ، تحكمها قوانين العرض والطلب

الواقع أن المفكرين الرومانسيين : يستبعدون فكرة « التجارة » من الاعمال الفنية ، انطلاقا من نزعات تصوفية وتقديسية لهذه الاعمال ، الا أن هذه الاتجاهات التصوفية لا تتفق مع مقتضيات العصر الحديث ، خاصة فى مجتمعنا المتجه نحو نهضة ثقافية واسعة

فى العصر الحجرى الاول كان الانسان الصياد هو الفنان يستخدم الفن لاقتناص الفريسة • وكان الفن فى مصر القديمة من ابداع الكهنة أنفسهم أو الاستديوهات الملحقة بالمعابد •

وكان الفن دينيا فى المسيحية والاسلام ، الا انه خلال تلك العصور جميعا كان الفن دنيويا أيضا يستهدف التذوق الجمالى والارتقاء بشأن الحياة ، وقد أصبح في العصر الحاضر مظهرا ثقافيا حضاريا دنيويا •• نرى فيه فلسفة العصر •• وينبع من عقلية تستنير بالعلم •

لقد أدركت وزارة الثقافة اهمية الطابع التجارى لتسويق الاعمال الفنية الاصيلة والعمل على انتشارها ، فاقامت « سوق الفن التشكيلي » الذى نراه الان فى قاعة الفنون الجميلة بباب اللوق • وفرضت على المشتركين أسعارا معينة فى متناول الذواقة • واهتم الفنانون بتقديم أعمالهم فى أحجام ومساحات صغيرة .. مما يوحى باستجابتهم لدعوة الوزارة . والواقع أن فكرة تسويق الاعمال عن طريق القاعات الخاصة فى المكتبات والمحلات ، موجودة بالفعل فى دكاكين البراويز •• ولكن على مستوى ردىء يضر بالاهداف الحضارية والثقافية التى نتمناها • فلو أننا استبدلنا هذه الاعمال الرديئة باعمال اصيلة لفنانين معروفين ، فلا شك أننا نحقق مظهرا حضاريا مرموقا ، وفائدة ثقافية نتمناها •

ان الارتفاع الحالى فى اثمان الاعمال الفنية يرجع الى قلة العرض وكثرة الطلب ، ومن الممكن باساليب الحفر الحديثة وانتشار القاعات الخاصة أن تنخفض الاسعار ويتم الرواج والانتعاش الاقتصادى للفنانين التشكيليين مما يؤدى الى توفر على اقتناء أعمال ذات قيم جمالية حقيقية تحقق الارتقاء بالمستوى الثقافى للمواطنين ودفعهم الى الاقلال من اشباع الوقت اللازم لمزيد من التجديد والابتكار ، كما يساعد الذواقة المطالب المادية والاتجاه الى تلبية احتياجاتهم الروحية •• مما يؤدى بالتالى الى انتشار الفنون التشكيلية على نسق ما نلمسه فى الفنون المسرحية •• والسينمائية •• والموسيقية •

مختار العطار

المخابرات الاردنية وبعض المرتزقة اللبنانيين بتدبير هذه المؤامرة ، لافتعال حوادث فى عدد من المناطق لتفجير اصطدامات دموية بين المقاومة الفلسطينية والسلطة اللبنانية على غرار ما حدث فى الاردن •

■ ■

■ **المقاومة الفلسطينية**

تحديات •• دعمت الوحدة

فى أعقاب **مذبحة** سبتمبر (أيلول) الماضى فى الاردن ، طرأت على حركة المقاومة جملة تغييرات وتطورات هامة .. فمن ناحية خطت الوحدة الوطنية خطوات واسعة وحقيقية ، فاندمجت قوات **الميليشيا** التابعة لمختلف المنظمات ، بعد أن ظلت وحدتها مثبتة ـ فقط ـ نظريا فى نظام داخلى للميليشيا الموحدة وضع فى فبراير الماضى •

كما جرى الحديث عن ضرورة تحويل (**منظمة التحرير**) الى (**جبهة تحرير**) • ويرجح المراقبون أن تكون تلك الخطوة تمهيدا لاعلان **حكومة فلسطين فى المنفى** ، على غرار ما جرى فى الجزائر قبيل استقلالها ، وتتردد أسماء **البكر وبومدين والملك فيصل** كمحبذين لتلك الفكرة •

وفى ٤ ديسمبر (كانون أول) الماضى عقدت **اللجنة المركزية** لمنظمات المقاومة دورة طارئة دامت خمسة أيام ، صادقت خلالها على تشكيل **قيادة عسكرية مركزية** لكافة المقاتلين الفلسطينيين من نظاميين وفدائيين وميليشيا ، والسير فى طريق الدمج الكامل لكافة المنظمات الفدائية • كما وافقت اللجنة المركزية على تشكيل **سكرتارية** للجنة المركزية ، لتسيير العمل اليومى ، ومواجهة التحديات والمشاكل المتواترة التى تواجه العمل الفلسطينى ، بعد أن أصبح من المستحيل ادارة العمل اليومى ، فى هذا الظرف الشائك ، بلجنة مركزية واسعة ، تحول اعتبارات الامن واعتبارات أخرى دون اجتماعها فى أوقات متقاربة ودورات متلاحقة • وقد جاء قيام السكرتارية استجابة لاحتياجات المرحلة الحرجة التى يجتازها العمل الفلسطينى • كما أن تشكيلها من **ياسر عرفات (فتح) وجورج حبش (الشعبية) ونايف حواتمة (الديمقراطية)** جاء اختيارا موفقا ؟ ذلك أن ثلاثتهم يمثلون اكبر منظمات المقاومة من جانب ، واكثرها تباينا فى النهج السياسى من جانب آخر ، مما يوفر حدا أعلى من الضمانات لانضباط معظم المقاتلين وانصياعهم لتعليمات السكرتارية الجديدة •

اما ما نشرته الصحف فى أوائل ديسمبر الماضى عن دمج قوات **فتح والشعبية والديمقراطية**

والصاعقة مع جيش التحرير ، فهو أمر لم يتحقق بعد ، وان كانت النية متجهة الى دمج قوات المنظمات الاربع المذكورة مع فئات الجنود الذين هجروا جيش الاردن ، فى جيش واحد جديد .

ومن المعروف أن قائد جيش التحرير الفلسطينى العقيد عبد الرزاق اليحيى كان قد طالب فى مذكرة قدمها الى اللجنة المركزية ، مؤخرا ، بضرورة دعوة المجلس الوطنى الفلسطينى الى الانعقاد بصورة عاجلة ، ثم حله وتشكيل مجلس وطنى جديد . وقد ضمن اليحيى مذكرته مطالب الجيش وتحفظاته والضمانات التى يطلبها وملاحظاته على ما يجرى فى مجال العمل الفلسطينى ! .

ومن الجدير بالذكر أن يحيى حمودة رئيس المجلس الوطنى وعضو اللجنة المركزية كان قد صرح فى نوفمبر الماضى بان المجلس الوطنى سيعقد دورته قريبا ، الا أن ياسر عرفات استبعد انعقاد هذه الدورة فى وقت قريب !

وأيا كان الامر ، فان من المؤكد هو السير الحثيث لقوات المقاومة فى اتجاه الوحدة الفعلية ، وحدة كل المقاتلين الفلسطينيين .

كلمة .. للطليعة

طلبت حكومة الثورة السودانية الاستعانة بالزميل عبد المنعم القصاص سكرتير تحرير الطليعة ، للعمل فى مؤسسة الصحافة السودانية ، للاسهام فى تطوير المستوى الصحفى بعد صدور قانون تأميمها .

وخبرة القصاص فى العمل الصحفى ، التى تمتد الى ما يزيد عن ٢٠ عاما فى الصحافة المصرية ، خصبة وغنية عن التعريف بها . فقد لمسها القارىء المصرى والعربى من خلال لقائه بفن القصاص على صفحات معظم الصحف والمجلات المصرية . وتعتز الطليعة بهذه الخبرة التى أثرت صفحاتها طوال السنوات الست الماضية على صدورها ، حيث كان القصاص محورا اساسيا من محاور جهدها وعملها .

واذ تعتز الطليعة بثقة وتقدير حكومة الثورة السودانية فى عبد المنعم القصاص لتولى هذه المسئولية الضخمة ، فانها تتمنى التوفيق : كل التوفيق ، للفنان المناضل عبد المنعم القصاص .. فى مهمته الجديدة والضخمة .

■ ■

■ رسالة الخرطوم

مشـــروع الميثـــاق الـــوطنى

عبد المنعم الغزالى

فى ٧ ديسمبر افتتح الرئيس نميرى اجتماعات اللجنة الشعبية للميثاق الوطنى ، طارحا مشروع الميثاق عليها لتبدأ مناقشته ، وتقديمه للجماهير السودانية لتبدى رأيها فيه .

وقد خصصت مقدمة مشروع الميثاق لشرح ماهية ثورة الخامس والعشرين من مايو ١٩٦٩ .. قيامها وأهدافها وعمقها الاستراتيجى . فالفقرة الاولى من المقدمة تقول : « من تطلعات الشعب السودانى ومن معاناته النضالية ، فى مختلف المواقع ، ومن آلامه وتضحياته ، ومن دماء الشهداء ، ومن حقيقة العصر ، ومن نداءات المستقبل ، تفجرت ثورة الخامس والعشرين من مايو تعبيرا أصيلا وشرعيا لحركة النضال التحررى والاشتراكى فقامت الطلائع الوطنية فى القوات المسلحة ، بكل تاريخها البطولى فى صفوف الشعب منذ ثورة ١٩٢٤ ، فى تلاحم وثيق مع الفصائل الثورية فى المجتمع ، بانتزاع السلطة من أيدى الرجعيين والعملاء لمصلحة الشعب السودانى ، واستشرف السودان بذلك عهدا جديدا ، يعيد به الوطن بناء وحدته السياسية ، وتنمية موارده الاقتصادية والاجتماعية عبر طريق التطور غير الرأسمالى ويؤكد اسهامه الفعال فى حركات التحرر الثورية فى العالم المعاصر ، على المستوى السياسى والاجتماعى . » .

ويقدم الباب الاول « السودان قبل مايو » عرضا عاما لتاريخ السودان القديم والمعاصر ، ويتتبع نضال الشعب السودانى ضد الاستعمار البريطانى وعلاقات الكفاح المشترك عبر التاريخ مع الشعب المصرى ، وذلك حتى اعلان الاستقلال الرسمى فى يناير ١٩٥٦ ، وحيث تعاقبت على السلطة بعد

الاستقلال الاحزاب التقليدية ونهجت نهجا بعيدا عن أماني الشعب وغاياته السياسية والاجتماعية وسلمت مقاليد البلاد للقوى الرجعية وللاستعمار الحديث، وعندما عجزت عن الحكم في ١٩٥٨ سلمت السلطة للقيادة العسكرية الرجعية التي حكمت البلاد حكما أسود لمدة ست سنوات خلالها سيطرت المصالح الامريكية بشكل أساسي على البلاد • وفي اكتوبر ١٩٦٤ تمكن الشعب السوداني من الاطاحة بالحكم العسكري الرجعي ـ ولكن الانتصار الشعبي لم يدم طويلا ، فتمكنت القوى الرجعية من الانعطاف بالسلطة مرة اخرى « **في متاهات الفراغ والسلبية والعمالة تبدد من جهد الشعب ، ومن ماله ، وتشله الى ركب التخلف باسم الديمقراطية ، تحكمه بالاكاذيب والمؤامرات والارهاب والمساومات وتسخره لخدمة شهوات الحكم ينعم بها الاقطاعيون والعملاء** » •

ويحدد الميثاق السوداني مجموعة من السلبيات التي أدت الى اجهاض اكتوبر، منها عدم الوضوح الفكري لدى الجماهير، الامر الذي ساعد القوى الرجعية على الانتكاس باكتوبر ، ومنها طبيعة تكوين القوى التي اشتركت في قيادتها وعلى راسها هيئة الجبهات التي كانت مثالا صارخا للتناقضات الفكرية والمذهبية ، ومنها عدم وجود جبهة تقدمية عريضة منظمة في مواجهة الجبهات الرجعية ومنها قدرة اليمين على عزل الفصائل الثورية في الجيش، ومنها ضعف تمثيل الثوريين في السلطة . ومع كل هذا .. يؤكد الميثاق ان الايجابي في اكتوبر ظل متوهجا ومؤثرا فيما طرحه اكتوبر من شعارات الاشتراكية والتحرر ورفض الديمقراطية الليبرالية ، وطريق التطور الرأسمالي وباطلاقها لطاقات الشعب النضالية • الطاقات التي تفجرت في مايو ١٩٦٩ معيدة لثورة الشعب السوداني روحها وشعاراتها الوطنية الديمقراطية فكرا وعملا •

ويطرح الباب الثاني من مشروع الميثاق السوداني ـ فكر الثورة السودانية عن قضايا الحرية والديمقراطية والاشتراكية • وقضية الحرية في مفهوم الميثاق السوداني هو أنه رغم حصول السودان على استقلاله في ١٩٥٦ فان ما تحقق له بذلك حرية سياسية شكلية مفرغة من مضمونها الحقيقي في الحرية الاقتصادية والاجتماعية ، « **لقد حصل السودان على حرية الوطن ولكنه لم يحصل على حرية المواطن ، واذا كان الفرد مستعبدا في وطنه ، فان الوطن مهما اتخذ من أشكال الحرية ، هو وطن المستعبدين** » •

ويوضح مشروع الميثاق ان تجربة الحركة الثورية السودانية ، وخاصة بعد انتكاسة اكتوبر ان القطاعات والتنظيمات الشعبية والديمقراطية هي سلاح الجماهير المنتصرة في نضالها وفي مواجهة القوى الرجعية ، فهي الدرع الواقي الذي يحرس للشعب حريته من نهب اعدائه .

وترتبط قضية الحرية في مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية بتجديد العلاقة بين قوات الثورة في السلطة والتحالف بينها « **وبما أن هذه الثورة ثورة ديمقراطية وطنية للتحرر ، وقد اشترك فيها طلائع الجنود والعمال والمزارعين والمثقفين واشتركت فيها فصائل مختلفة عبر تاريخ الثورة السودانية وللاسباب المتعددة التي جعلت كل طبقة من هذه الطبقات تعاني ضعفا سياسيا او اقتصاديا يجعل طبيعة هذه المرحلة مساواة في الحقوق السياسية بالنسبة لهذه الفصائل صاحبة المصلحة في الثورة والتي لعبت دورا فيها بشكل لا يمكن لاي فئة أن تنفرد بالسلطة وتفرض ايديولوجيتها الخاصة ـ يجب أن تكون هناك مساواة بين هذه الفئات الحريصة على الثورة في مختلف أشكال السلطة القائمة، مما يؤكد اهمية التحالف بينها ويجعله ضروريا لاجتياز هذه المرحلة كضمان وتأمين للثورة ضد المؤامرات والرجعيين وضد كل المحاولات الرامية لاجهاضها حتى تواصل الثورة سيرها في مرحلة الانتقال التي تمر بها** » •

ويحدد مشروع الميثاق أن تحقيق الحرية السياسية بالنسبة للشعب السوداني يرتبط بتحقيق حريته الاجتماعية ، والتي يكون تحقيقها في مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية بالسير في طريق التنمية غير الرأسمالية، حتى يقف السودان على أفاق الاشتراكية حيث الحرية الاجتماعية •

ثم يعالج مشروع الميثاق قضية الديمقراطية ـ فيرفض بحسم الديمقراطية الليبرالية المزيفة والتي من واقع التجربة السودانية لم تكن الا اداة للتحكم الرجعي والاستعماري في البلاد • وقد الغت ثورة مايو كل مؤسساتها المتسلطة على شئون الشعب من القرية حتى السلطة المركزية بهدف اقامة ديمقراطية جديدة تستهدف وضع كل السلطة بين قوى الشعب العاملة حتى تستطيع هذه القوى العريضة أن تمارس حريتها كاملة، وتكيف مصيرها بنفسها .. والوسيلة لتحقيق الديمقراطية الجديدة في الميثاق السوداني هي :

أ ـ قيام التنظيم السياسي الذي تتحدد في اطاره كافة قوى الثورة ـ ولا مكان فيه لاعدائها ـ وتمارس تلك القوى عن طريق دورها في القيادة التوجيه السياسي والاجتماعي والاقتصادي من القاعدة (في القرية) الى القمة (في السلطة السياسية) .

ب ـ اشاعة الديمقراطية في جهاز الدولة وتحويله لصالح الجماهير بابعاد العناصر الفاسدة والمعادية لحركة التغيير الاجتماعي والغاء كافة القوانين والتشريعات الموروثة التي عزلته عن الجماهير ووضع التشريعات والقوانين التي تحميها من تسلطه وتخرجه من حالة التعالي والانعزال التي يعاني منها .

جـ ـ وضع أدوات الحكم المحلي في يد جماهير الثورة بلا تحفظ أو تأثير بأفكار الديمقراطية الليبرالية التي تفتح الباب لتسلل القوى الرجعية لهذه المؤسسات .

د ـ تمثيل العاملين في مجالس ادارات الوحدات الانتاجية المختلفة في القطاعين العام والخاص ووضع تشريع خاص يضمن حقهم في انتخاب ممثليهم)) .

ثم يعلن مشروع الميثاق ـ أن الثورة السودانية اذ تستهدف الاشتراكية ، فانما تستهدف ، **الاشتراكية العلمية مطبقة على الواقع السوداني ،** يقول مشروع الميثاق : **ان الشعوب قد اكتشفت من خلال بحثها وتجربتها بأن الاشتراكية العلمية مطبقة على واقعها هي الوحيدة القادرة على كشف الطريق أمامها لبناء المجتمع الاشتراكي الحق ، هذا مع ضرورة الربط بين القوانين الثابتة لتطور المجتمع ، ولبناء الاشتراكية والخصائص المميزة للشعوب المختلفة والنابعة من حضارة هذه الشعوب وثقافتها وعقائدها وتراثها وهي بهذا تثري الفكر الاشتراكي العلمي وتطوره » .**

والباب الثالث ـ يعالج قضية الثورة الاقتصادية والاجتماعية . وبعد أن استعرض الميثاق السياسة الاقتصادية والمالية للاحزاب الرجعية التقليدية وكيف أنها وصلت بالبلاد الى مدارك الانهيار الاقتصادي والاجتماعي ، وبتبعية الاقتصاد الوطني للنفوذ الاجنبي . وأعلن الميثاق : « **واعتبارا للظروف الذاتية والموضوعية المحيطة بالمجتمع السوداني فان الثورة مواجهة بمهمة استكمال الاستقلال الاقتصادي وتصفية النفوذ الاستعماري القديم والحديث وازالة آثار التخلف ومعوقات النمو وارساء القواعد المادية والاجتماعية والروحية للتحول الاشتراكي)) .**

ويحدد الميثاق المهام الرئيسية التي يجب على الثورة السودانية ان تنجزها لتحقيق الثورة الاقتصادية خلال فترة الانتقال الثورية التي تمر بها الثورة السودانية : **أولا** استكمال تحرير الاقتصاد الوطني من التبعية والخضوع للنفوذ الاجنبي في علاقاته الداخلية والخارجية . **ثانيا :** ازالة التباين والاختلاف في مستويات النمو الاقليمي داخل البلاد وتحقيق التكافؤ في وضع أسس للتكامل الاقتصادي بين القطاعات الانتاجية وبين أقاليم البلاد المترامية الاطراف وتعبئة الموارد الطبيعية والبشرية لاقصى حد ممكن واعادة بناء الاقتصاد القومي ، على أساس التخطيط العلمي الشامل والذي بدأ بالخطة الخمسية . **ثالثا :** زيادة الدخل القومي واعادة توزيعه ليكون حافزا للطبقات والفئات الاجتماعية التي تسهم في دعم وتوسيع قاعدة الانتاج وتحقيق الفائض الضروري للانفاق الاستثماري والاستهلاكي خلال فترة الانتقال .

وخلال فترة الانتقال تلك ، تتخذ ملكية وسائل الانتاج وكيفية الانتفاع بها الاشكال التالية : **أولا ـ قطاع الدولة ،** وهو القطاع الرائد في توفير تراكم الفائض الاقتصادي وتوجيه الاستثمارات وتحديد نشاط القطاعات الاخرى وفقا لخطة مركزية قومية ، **وأن ملكية هذا القطاع شكل من أشكال الملكية الاجتماعية المرحلية وهو نواة للقطاع الاشتراكي الذي سيكون دعامة لبناء العلاقات الاشتراكية بعد انجاز مهام المرحلة الانتقالية . ثانيا : القطاع التعاوني ،** وهو يلي في الاهمية قطاع الدولة لارتباط نشاطه بحياة الغالبية العظمى من السكان في المدينة والريف ، وللدور الذي سيلعبه في تغيير العلاقات الانتاجية المختلفة بالريف وقدرته على النفاذ الى سياج القطاع التقليدي . **ثالثا : القطاع المختلط ،** ويشمل هذا القطاع مؤسسات الانتاج والخدمات التي تساهم فيها الدولة ماليا واداريا بالمشاركة مع المؤسسات الخاصة أو الافراد ، والهدف من تطويره هو الاستفادة من حوافز الربح لدى المستثمرين المنتمين للقطاع الخاص وتشجيعهم بكافة الوسائل للمساهمة في المنشآت الانتاجية واستيعاب طاقاتهم الانتاجية والادارية في تنفيذ برامج التنمية . **رابعا : القطاع الخاص ،** والثورة هنا تقدر ما للقطاع الخاص من دور تاريخي خلال مرحلة الانتقال لاعتبارات خاصة بالثورة السودانية ، فالاقتصاد السوداني لا يزال بكرا حيث تجد المبادرة الفردية

مجالا رحبا للعمل والاستثمار فى حدود القوانين والسياسات العامة التى تحددها الدوله ، وكما أن نشاط القطاع الخاص فى نطاق علاقات اقتصادية جديدة تحكمها أدوات التخطيط والتوجيه الاشتراكى وتحدد اتجاهها أهداف الخطة المرحلية لا يفضى الى نمو نظام رأسمالى — بالرغم من اتباع نهج الكسب والانتاج الرأسمالى .

وفى مجال الثورة الاقتصادية يؤكد الميثاق على ضرورة اشراك العاملين فى ادارة المؤسسات : « **وبما أن التحول الاقتصادى والاجتماعى لا يتم بمعزل عن وعى وارادة القوى البشرية لابد من اشتراك العاملين فى ادارة المؤسسات وشحذ نخوتهم الوطنيه ومسئوليتهم القومية لتحقيق تطلعات شعبنا فى النهضة الاقتصادية** » .

واذ تفتحت بعد ثورة مايو آفاق جديدة لتغيير الوضع السائد فى الجنوب وذلك بتنفيذ الحل السياسى (الحكم الذاتى الاقليمى) فانه يرتبط بذلك « **وضع خطه تنميه اقليميه ترفع مستوى الانتاج وتوفر العوامل الضروريه لتحويل الجنوب الى عنصر ايجابى فى نمو الاقتصاد القومى . فالثروات الطبيعية (تربية الحيوانات — الثروة السمكية — منتجات الغابات — المنتجات الزراعية) تمثل قاعدة مادية ضخمة لبرامج التنمية الزراعية والصناعية ، والتكوين الاجتماعى فى حياة السكان يجد قابلية مواتيه لنشوء علاقات اجتماعية وانتاجية تساعد التطور الاشتراكى لهذا الاقليم وللبلاد بأكملها** » .

« **ومن هنا فان من المهام الاساسية لتحرير المجتمع والمجتمع الريفى بصفة خاصة العمل فى مجالات : ١ — الانتاج وتحديث أساليبه ، وخلق علاقات جديدة ، وتوسيع دائرة التبادل القومى بحيث تتصل الدوره الاقتصاديه بين الريف والمدينة . ٢ — العقائد الدينية ، بنشر الجوهر الثورى للديانات وبخاصة الدين الاسلامى الذى كان دائما مصدر قوة وكرامه ، ومصدر تحرر ، وذلك بتخليصه من شوائب المشعوذين بين الادعياء ومحاربة الطائفية والاستغلال الدينى . ٣ — القبلية ، بتحرير المواطنين من العلاقات المحلية القديمة واحلال علاقات المواطنة الرحبة مكان التعصب العنصرى . ٤ — التعليم ، بنشره على أوسع نطاق ، وتطويعه لاهداف الثورة ومتطلبات التغيير والعناية بتعليم الفتيات . ٥ — الرعاية الاجتماعية ، بمحاربة الامراض الوبائية ، وتصحيح البيئة ونشر الثقافة الوطنية والفكر الاشتراكى ، وفقا لمستوى الحياة ، ونشر المنظمات التعاونية وتشجيع المنظمات الشبابيه والمهنية واتحادات النساء . ٦ — التوعية والاعلام بكل انواعه ، بالاذاعه والسينما ، وشرح القضايا المحلية والقومية والعالمية ، وابراز أهداف الثورة ومكاسبها . ٧ — المواصلات ، تكثيفا لعمليات التبادل الاجتماعى والاقتصادى والفكرى بين المواطنين وبين الاقاليم** » .

ثم ينتقل الميثاق الى الباب الرابع والاخير . « **السياسة الخارجية** » ، وهو ابتداء يحدد الخطوط العريضة لسياسة السودان الخارجية بأنها : « **أ — قيام السودان بمسئولياته التاريخية فى الثورتين العربية والافريقية بوصفه جزءا منهما . ب — ارساء قواعد سلم دائم أساسه التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المتباينة والاحترام المتبادل لمبدأ السيادة الوطنية . ج — مناهضة الامبريالية والاستعمار القديم والحديث والتضامن مع حركات التحرر العالمية . د — دعم أواصر الصداقة والتعاون والتضامن مع البلدان الاشتراكية والتقدمية** » .

وعن السودان والثورة العربية يعلن مشروع الميثاق « **فى المحيط العربى تنتهج حكومة جمهورية السودان الديمقراطية سياسة تعبر عن مسئوليات الشعب السودانى كجزء من الامه العربيه تجاه قضايا المصير المشترك المتمثلة فى استكمال التحرر السياسى والتطور الاجتماعى وتصفية الكيان الصهيونى العنصرى الاستعمارى وصولا لعودة فلسطين الى أهلها دولة تقدمية** » .

« **وأن السبيل لتحقيق هذه الاهداف هو وحدة الشعوب العربية ، وهذه الوحدة ليست اختيارا عفويا وانما حتمية تاريخية لها مقوماتها الاقتصادية والاجتماعية فى تاريخ الشعوب العربية من لغة وثقافة وخصائص قومية ومصالح حيوية مشتركة ، وتتطلبها الضرورة الملحة لمواجهة الاستعمار الحديث بزعامة الولايات المتحدة الامريكية ، والصمود أمام ضغوطه الاقتصادية والعسكرية والسياسية** » .

ويرى الميثاق السودانى أن الوحدة العربية بمفهوم الثورات العربية الجديدة التقدمية انما تعنى : ١ — رفض العلاقات التقليدية وتصفية كل أسباب الخلاف والانقسام والتخلف الاقتصادى والحضارى . ٢ — انها لا تعنى المصالحة بين التقدمية والرجعية ولاتعنى ان الثورة العربية ستصبح مظلة يسير تحتها

المستغلون ، وانما تعنى التعبير عن حركة الثورة العربية من أجل استكمال مهام الثورة الديمقراطية وولوج آفاق الاشتراكية ٠ ٣ ـ ان الوحدة الشاملة لا تتحقق الا فى ظل الاشتراكية حيث تزول أسباب الفرقة والتعصب وتنمحى الفوارق الاقتصادية والاجتماعية ٠ ٤ ـ وأن ذلك لا يعنى وقف النضال فى سبيل الوحدة ، بل انه لبلوغ تلك الغاية لابد من النضال المشترك فى مختلف مراحل التطور الاجتماعى والتعبير عن الوحدة بمختلف الاشكال ٠ ٥ ـ ومن هنا يكون اللقاء الثلاثى بين السودان ومصر وليبيا يستهدف خلق قاعدة تقدمية لوحدة عربية بين الانظمة التقدمية العربية ٠ ٦ ـ ان الوحدة لا تفرض فرضا وانما تتحقق بالمشاركة الواعية للجماهير الثورية وباكتمال التحولات الاجتماعية فى البلدان التى تتطلع اليها بوحدة القوى الثورية داخلها ٠

وفى مسيرة النضال العربية من أجل الوحدة والتقدم الاجتماعى يؤكد الميثاق السودانى علاقة الشعب السودانى الخاصة بالجمهورية العربية المتحدة ، وبتعبير الميثاق : « **يفرد شعبنا مكانا مميزا للشقيقة الجمهورية العربية المتحدة لما يجمع بين شعبينا من نضال طويل مشترك، ولما يقوم به نظامها الثورى من دور قيادى فى نضال الامة العربية ضد مؤامرات الاستعمار الحديث والصهيونية** » ٠

وعن السودان والثورة الافريقية ، يؤكد الميثاق السودانى ، أن انتماء السودان للثورة العربية لا ينفى ارتباطه بالثورة الافريقية بل يحتمه ويدعمه ويعطيه معانى وأبعادا خاصة : ـ « **فنحن شعب ترجع أصوله الحضارية الى العرب والزنوج ٠ وهذا الوضع المتميز يلقى على عاتقنا مسئولية دعم التلاحم بين الثورتين والنفاذ خلال السياج الذى حاول المستعمرون ضربه بين شمال القارة وجنوبها أو ما ظلوا يسمونه شمال الصحراء وجنوبها** » ٠

« **فالعوامل المشتركة بين الثورتين تؤكد انهما ثورتا تحرر وطنية ونهضة حضارية تنمو وتتبلور خلال الصراع ضد الاستعمار القديم والحديث ومن أجل التقدم الاجتماعى ـ ثورتان من أجل الجماهير الكادحة الراغبة فى الاشتراكية** » ٠

ان طرح مشروع الميثاق الوطنى السودانى لحوار جماهيرى من خلال اللجنة الشعبية للميثاق والمنظمات الديمقراطية والنقابية والوصول بهذا الحوار الى أعماق الريف السودانى يعبر عن ممارسة ديمقراطية من قبل السلطة الثورية لاشراك الجماهير فى وضع برنامج وأهداف ومنهج العمل فى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ٠ ومشروع الميثاق الوطنى السودانى ٠

■■

■ رسالة من لوفان ـ بلجيكا

بين الاصالة القومية ومقتضيات التجديد والعصرية

حسام عيسى

عقدت فى جامعة لوفان المسيحية ببلجيكا فى الفترة ما بين ٨ ، ١٥ نوفمبر الماضى ، ندوة فكرية عن **النهضة العربية المعاصرة ومشكلاتها** ، دعى اليها عدد من المفكرين والباحثين العرب فى مختلف مجالات العلوم الانسانية ، وقد طرح فى هذا اللقاء عدد من القضايا المنهجية والنظرية الهامة ، بجانب بعض القضايا التكنيكية التى يفرضها الواقع العربى المعاصر

النهضة العربية : الاطار العام والمؤثرات

كان من الطبيعى ان يبدا الباحثون العرب ندوتهم بتحديد الاطار التاريخى العام للظاهرة موضوع البحث اى النهضة العربية تمهيدا لبحث المؤثرات الخارجية والداخلية التى تحكم هذه الظاهرة ، ولم يكن هذا التحديد محل خلاف ما ٠ فاليقظة العربية تتحدد تاريخيا بلحظة الصدام بين الغرب الرأسمالى الاستعمارى بحضارته العلمية والتكنيكية ، والشرق المستيقظ من سبات طويل استمر اكثر من اربعة قرون .. تلك اليقظة المؤلمة التى عبرت عنها صرخة مفكرى النهضة الاولى « لماذا اصبح العالم جحيم المؤمنين وجنة الملحدين » اليقظة تتحدد اذن بلحظة الشعور بالخطر المحدق القادم من الغرب ، الشعور بالتحدى المخيف للحضارة العلمية والفكرية

الجديدة ؟ وهذا يفسر الاهمية المعطاة تاريخيا للمؤثرات الخارجية فى النهضة العربية .

فالصراع مع الغرب المستعمر شكل على استمرار تاريخ الامة العربية الاطار العام التى تحركت فى داخله وتحت تأثيره كل مقومات ومكونات ما أصطلح على تسميته بالنهضة العربية [ابنيةاجتماعية ـ اتجاهاتايديولوجية]

وتحت تأثير الصدمة ... صدمة اللقاء بحضارة الغرب المسيطر بدأ مفكرو النهضة فى التساؤل عن أسباب تأخر الشرق وتخلفه .

سؤال واحد ولكن الاجابات مالبثت أن تعددت ومع هذا التعدد بدأت تتضح اولى ملامح الصراع الايديولوجى الداخلى .

وأيا كان مضمون هذه الاجابات ، فالثابت انها مازالت حتى اليوم تجثم بثقلها على الواقع الايديولوجى والثقافى العربى ، وتفسر الكثير من الصراعات الفكرية التى تدور رحاها اليوم فى عالمنا العربى ، وتجثم أيضا على الابنية الاجتماعية نفسها وتعوق فى الكثير من الاحيان تطورها .

من هذا نخرج بملاحظة منهجية أولى : ضرورة العودة الى التاريخ لفهم الواقع العربى المعاصر ، تاريخ يحدد اطاره الخارجى الصراع ضد الاستعمار الغربى ، واطاره الداخلى الصراعات الايديولوجية فى مواجهة التحدى الغربى .. صراعات تعكس بالضرورة تناقضات اجتماعية اكثر عمقا .

نعود الان الى مضمون تلك الاجابات التى جاء بها مفكرو النهضة الاولى ردا على التحدى الغربى وبمعنى آخر كيف اجاب مفكرو النهضة على تساؤلهم : لماذا انتكس الشرق ومالسبيل الى نهضته ..وامام التحدىبرز اتجاهان اساسيان: اتجاه يرى فى المستقبل امتدادا للماضى المشرق، ماضىالحضارة العربية الاسلامية قبلانتكاسها ؟ الحل اذن هو فى العودة الى الماضى بعدتنقيتهمن الشوائب والبدع .. وهذا هو الاتجاه التقليدى، واتجاه آخر يرى السبيل الوحيد للنهضة فى نقل الحضارة الغربية الى الشرق مع قطع كل صلة بالماضى المسئول عن التخلف والتأخر وهذا هو الاتجاه التجديدى .

وبين التقليد والتجديدبدأ صراعطويل ؟ ولكن هذا الصراع الفكرى لا يدور فى الهواء ولكن على الارض الوطنية وفى اطار صراع محتدم بينالامة العربية وبين المستعمر المسيطر من ناحية ، وبين القوى الاجتماعية المختلفة فى الداخل من ناحية أخرى .

ومن خلال هذه التناقضات والصراعات ونتاجا لتجربة تاريخية طويلة مليئة بالالم والامل يبرز اتجاه ثالث مؤداه ان الحضارة العربية الجديدة لا يمكن ان تكون مجرد نقل على الطريقة اليابانية للحضارة الغربية ولا أن تكون استمرارا للحضارة العربية القديمة ولكنها ستكون المحصلة الجدلية للمحلية والعالمية .. ، التقليد والتجديد ، الاصالة والعصرية .

ومن هنا تبرز القضية النظرية الاولى : كيف يمكن التوفيق بين اعتبارات الاصالة القومية المحلية ومقتضيات التجديد والعصرية وماهو السبيل ؟

هذه القضية النظرية تطرح بدورها عدة قضايا نظرية ومنهجية أساسية ، فاذا كانت النهضة العربية نفسها رهينة بذلك الالتقاء الجدلى بين الاصالة والعصرية او بين المحلية والعالمية ، بين التقليد والتجديد ، فكيف يمكن تحديد عناصر التقليد وعناصرالتجديد ، واين تكمن فىكل مجتمع عربى قوى التقليد وقوى التجديد .

بعبارة أخرى : **ان حل هذه القضية يقتضى دراسات تفصيلية للمجتمعات العربية المعاصرة وهذا يقتضى طرح قضية مناهج مثل هذه** الدراسات .

قضايا المنهج والخلافات حولها

وساد بين الباحثين العرب المجتمعين فى لوفان اتفاق عام على رفض مناهج البحث والمفاهيم التى خلفها الاستشراق الغربى التقليدى فى ميدان دراسة المجتمعات العربية ، ذلك ان الاستشراق التقليدى كان ينظر الى تلك المجتمعات العربية من خلال دراساته المقارنة للاديان لامن خلال الواقع التاريخى الحى لكل منها ؟ ومن خلال تلك الدراسات خرج الاستشراق بعدة مفاهيم انتولوجية عن الانسان الاسلامى ، وماهيات هذا الانسان الاسلامى فى مواجهة الانسان الغربى ، ثم انتهى به المطاف الى أن يطبع هذه المفاهيم والماهيات على الواقع العربى كله بحيث أصبحت هى المرآة التى تنظر من خلالها الى هذا الواقع . وغنى عن الذكر ان مثل هذا المنهج اللاتاريخى يؤدى وادى بالفعل الى كل المفاهيم العنصرية عن العرب وعن الاسلام .

الا أن هذا الاتفاق بين الباحثين العرب لم يدم وقد برزفىهذا الصدد اتجاهان رئيسيان:الاتباع

وقد برز فى هذا صدد اتجاهان رئيسيان :

الاتجاه الاول : يرى امكان الاستعانة بالمفاهيم الاساسية للنظرية الماركسية فى دراسة المجتمعات العربية ، مع الاخذ فى الاعتبار ان بعضها لا ينطبق بشكل ميكانيكى على المجتمعات العربية ، وان مثل هذا التطبيق يقتضى صياغة جديدة لهذه المفاهيم ومثل ذلك فكرة الاقطاع .. فالمجتمعات العربية لم تعرف الاقطاع الغربى ، ولذلك فان تطبيق هذا المفهوم على هذه المجتمعات يقتضى صياغة جديدة ابتداء من الواقع العربى ، وحتى يتم مثل هذا التحديد فمن اللازم وضع مثل هذا المفهوم بين قوسين واستخدامه بحذر .

كذلك فان مفهوم نمط الانتاج الاسيوى يحتاج الى تحديد أدق وأعمق من خلال الدراسات المختلفة للتاريخ وللواقع العربى ، حتى يستطيع ان يقوم بدوره كأداة نظرية لفهم الكثير من الظواهر الخاصة بالمجتمعات العربية .

ولكن يبقى دائما طبقا لهذا الرأى ان المفاهيم الاساسية للنظرية الماركسية تصلح تماما كاداة لدراسة المجتمعات العربية .

الاتجاه الثانى : يرى عدم امكان الاستعانة بالنظرية الماركسية ومفاهيمها الاساسية فى هذا الصدد ، وضرورة الاستعانة بمناهج علم الانثروبولوجيا الامريكى .

فاذا نظرنا الى المغرب العربى مثلا وبالذات الى المجتمع المغربى التقليدى .. اى المجتمع الذى كان قائما عشية الاحتلال الاوروبى .. فلا يمكن وحيث مثل هذا المجتمع بأنه اقطاعى بالمفهوم الاوروبى ، كما انه من غير الممكن ان يطبق عليه مفهوم نمط الانتاج الاسيوى الذى يفترض بالضرورة ان السلطة المركزية تلعب دورا هاما فى تنظيم الانتاج ، وهو ما لم يكن متوافرا فى هذا المجتمع التقليدى .

وينتهى هذا الرأى الى أن السبيل الوحيد لفهم حقيقة المجتمع المغربى التقليدى هو الالتجاء الى مناهج علمى الانتولوجيا ، والانثروبولوجيا الامريكيين .

وهنا ثار الخلاف بين انصار هذا الاتجاه ، وانصار الاتجاه الاول حول تحديد معنى التقليد والمجتمع التقليدى وهو خلاف سنعرض له فيما بعد .

بعض القضايا النظرية

وايا كانت الخلافات التى ثارت حول مناهج البحث فلم نصل الى نفس الحدة التى وصلت اليها عندما نعلق الامر بالفصل فى بعض القضايا النظرية المرتبطة بالواقع العربى المعاصر وببناء النهضة العربية . الا أننا سوف نقتصر هنا على عرض أهم هذه القضايا دون الدخول فى الخلافات التى أثارتها تاركين عرض مثل هذه الخلافات لمناسبة أخرى .

علم الكلام أم علم الانسان ..

الدين ايديولوجيــة ثوريــة

لعل أخطر القضايا التى عرضت فى ندوة لوفان هى تلك التى طرحها الدكتور **حسن حنفى** تحت عنوان « علم الكلام ام انتروبولوجيا » ، وليس المقصود من هذا البحث كما قد يفضى اليه عنوانه محاولة لاحلال الانتروبولوجيا او علم الانسان محل علم الكلام ولكن المقصود هو تحويل علم الكلام ذاته الى انتروبولوجيا .. أى علم موضوعه الكلام ذاته الى انتروبولوجيا .. اى علم موضوعه الاساسى هو الانسان .. وليس بحثا للانسان حول الله . ذلك اننا اذا نظرنا الى التراث الثقافى الاسلامى والى العلوم الاربعة الرئيسية التى تكون لب هذا التراث ، علم الكلام ، الفلسفة ، الصوفية والفقه لوجدنا أن كل هذه العلوم وان كان ذلك بدرجات متفاوتة تعتبر أن الله هو الموضوع الاساسى لها وهو حجر الزاوية فى كل تحليلاتها ويبدو هذا بشكل واضح فيما يتعلق بعلم الكلام .

ويرى الدكتور حسن حنفى فى هذا قلبا للاوضاع ، اذ ان الله لا يمكن أن يكون موضوعا لعلم فليس للانسان ان يجعل الذات الالهية موضوعا لبحثه ، اذ ليس لديه ما يقوله هو عنها. أما الموضوع الوحيد الممكن للعلم فهو خطاب الله فعلم الكلام ينبغى ان يكون هو علم الوحى ، اى علم خطاب الله الى الانسان ، فموضوع الوحى فى النهاية هو الانسان ، فالوحى اذن هو علم الانسان وبمعنى آخر فان موضوع علم الله هو الانسان .

ورغم ذلك نجد أن علم الكلام التقليدى قد قلب هذا الموضوع رأسا على عقب وحول الوحى من علم الانسان الى علم البحث عن الله ، ماهيته وصفاته .

ويرى الدكتور حسن حنفى أن تحويل علم الكلام الى علم الانسان هو السبيل الوحيد لكى يصبح الدين أيديولوجية ثورية فى خدمة الانسان وفى خدمة النهضة .

التقاليد وعملية خلق التقاليد

فى بحث هام تحت هذا العنوان بين الدكتور عبد الله العروى الاستاذ بجامعة الرباط عجز علم الاجتماع الغربى والانتروبولوجيا الانجلوساكسونية ومفاهيمهذه العلوم عنتفسير الواقع التاريخى لبلد كمراكش .

فهذه العلوم تعرف التقاليد بانها مجرد الاخلاص والولاء للماضى ، ثم تحاول بعد ذلك تحديد القوى الاجتماعية أو القطاعات التى يمكن اعتبارها تقليدية فى مواجهة قوى وقطاعات التجديد ، وبشكل عام فهى تعتبر الريف هو قطاع التقليد فى مواجهة المدينة عنصر التجديد . وينتقد العروىهذه النظرةمبينا ان مايسمى بالتقاليد . ليس شيئا جامدا بعيدا عن حركة التاريخ ولكنه تقاليد صنعت او خلقت .. فهى اذن وليدة عملية استحداث وتجديد ٠٠ كل ما هنالك أنها تتم تحت ستار الاخلاص والولاء للماضى .

ولكن ما هى القوى التى تقوم بعملية خلق التقاليد المشار اليها .. هذه القوى هى نفسها التى تقوم بالتجديد .. فقوى التقليد هى نفسها قوى التجديد .. وهى الصفوة الحضرية [المدينة اذن] .

ولكنها أى تلك الصفوة ٠٠ تقوم بعملية خلق للتقاليد أو بعملية تجديد بحسب الظروف الاقتصادية التى تمر بها ٠٠ ففى مراحل الانفتاح التاريخى تلعب الصفوة دور التجديد ولكن حيثما ينغلق الافق أمام الصفوة لسبب ما (ازمة اقتصادية ـ زحف استعمارى) تنغلق الصفوة على ذاتها ، وتنكمش الى الداخل ، وفىظلهذا الوضع تنشأ تقاليد جديدة تخلقها الصفوة الحضرية وذلك باعادة صياغة وتفسير كل الامور ، وتتم هذه الصياغة وذلك التفسير باسم الاخلاص والولاء للماضى .

فالتقاليد ليست هى السكون ولكنها وليدة حركة تماما كالتجديد كل الاختلاف هو فى الظروف التى تتم فيها هذه الحركة .. الامل أم اليأس ، ولذلك فان الترياق الوحيد للتقاليد هو الامل ٠٠ أى ان يلوح فى الافق المستقبل مفتوحا أما الصفوة ، وفى هذا يكمن المعنى العميق للثورة .

وبالاضافة الى الموضوعات النظرية والمنهجية طرحت عديد من القضايا الحالة .. « **اصلاح الجامعة العربية** » ـ د ٠ بطرس غالى ـ « **الصراع الطبقى فى موريتانيا** » ـ أحمد بابا ميسكى ـ « **الديمقراطية فى مجتمع فى طريق التنمية** » ـ غسان توينى ـ « **الاشتراكية الثورية والتراث الاسلامى** » ـ مالكومكير ـ « **الهيكل الاجتماعى والنهضة الوطنية فى مصر** » ـ حسام عيسى ـ « **دور وايديولوجية البورجوازية الصغيرة فى العالم العربى** » ـ ميشيل كامل ٠٠ الخ ٠

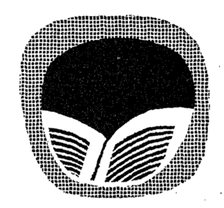
وفيما يتعلق بتنظيم الندوة تقرر تشكيل ثلاثة لجان ، الاولىللشئون السياسية ـ مقررها **أنور عبد الملك** ـ والثانية تعالج الشئون الاقتصادية ـ مقررها **عبد العزيز بلال** ـ والثالثة هى اللجنة الثقافية والاجتماعية ـ مقررها **حسن حنفى** ٠ وقد ساهم فى الندوة من الجمهورية العربية المتحدة د ٠ حسين فوزى ، د ٠ بطرس غالى ، د ٠ حسن حنفى ، د ٠ محمد دويدار وأنور عبد الملك وحسام عيسى وميشيل كامل . وكانت قائمة المدعوين للندوة تتضمن د.لويس عوض ، ود.فؤاد مرسى اللذان لم يتمكنا من الحضور .

والآن :

ايا كانت المحصلة النظرية والمنهجية لهذه الندوة ، فان أهميتها الكبرى تجىء من أنها جمعت لاول مرة عددا كبيرا من الباحثين والمفكرين العرب من المشرق والمغرب ٠٠ استطاعوا خلالها أن يتعرفوا على مدى الخلافات النظرية والسياسية التى تفصلهم وهى عميقة ، خلافات ترجع الى حد كبير الى العزلة التى يعيشها مثقفو كل بلد عربى بالنسبة لما يجرى فى البلدان الاخرى فى الميدان الثقافى والفكرى ٠

ومن هنا تجىء أهمية تكرار مثل هذه اللقاءات على أن يتم ذلك بالطبع فى اطار مخطط ومنظم ٠

كذلك بين هذا اللقاء الحاجة الماسة الى تبادل الابحاث والدراسات ومن ثم ضرورة ايجاد قنوات دائمة لمثل هذا التبادل بين البلدان العربية ٠



مكتبة الطليعة

مصر .. وكـــرومـــر

■ تأليف : عفاف لطفى السيد

■ الناشر : جون موراى ــ لندن

■ عرض : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

شغل **الاحتلال البريطانى لمصر** حيزا كبيرا فى مجال التأليف سواء من وجهة النظر المصرية أو الانجليزية أو الفرنسية ، فقد حاول المؤلفون الانجليز الاول أن يتخذوا من الاعمال التى قام بها كرومر فى مصر دليلا على « **انسانية** » حكمهم ، واطلقوا له المباخر ، بل أن كرومر ذاته ــ فى كتابه «**مصر الحديثة**» قد صور فترة حكمه لمصر بصورة رومانتيكية ، موهما قارئه بأنه هو الذى خلق مصر بمافى ذلك من تجاهل لكل ما جد على البلاد منذ أوائل القرن التاسع عشر . أما من وجهة النظر المصرية فقد امتدت المشاعر الوطنية الى تصوير حكم كرومر بالصورة التى يمليها قضاء الاحتلال على الحركة الوطنية المصرية الاولى وعرقلته لعملية التطور الطبيعى للنهضة المصرية التى فرضت نفسها بوضوح منذ أواخر حكم اسماعيل. كما حقد المؤلفون الفرنسيون على انجلترا التى « خانت » الصداقة الفرنسية وانفردت بحكم مصر التى كان المفكرون والساسة الفرنسيون يرون فيها أنها منطقة نفوذ لبلادهم التى أعطتها اتجاهها الغربى .

أما الان ، وقد انحسرت موجة الاستعمار القديم ، وقد شملت المستعمرات القديمة موجة التحرر الوطنى ، فقد انفسح المجال للنظر الى فترة الحكم الاستعمارى السابق بعين أكثر موضوعية ، على إعتبار أن الامبريالية كانت ظاهرة عامة ترتبط بالثورة الصناعية ونمو الراسمالية الغربية ، وليست من صنع أشخاص معينين . كما أن الامبريالية كانت تمثل وجها من أوجه التفوق الاوروبى ، بحيث أن الكثيرين فى البلدان التى خضعت للاستعمار قد أعجبوا بتفوق الغرب وحاولوا اللحاق به عن قناعة ، وليس من قبيل « الخيانة » لقيمهم وشعوبهم وأوطانهم . ولابد ــ آخر الامر ــ من التنبيه الى خطورة الاحكام العامة الشمولية وتوزيع الاشخاص ما بين أبيض وأسود فهذا يتضمن نوعا من التجنى والبعد عن الحكم الموضوعى السليم .

والكتاب الذى نقدمه الى القراء كان فى الاصل رسالة دكتوراه قدمت الى جامعة اكسفورد تحت اشراف البروفسور **البرت جورانى** ، ثم ادخلت الدكتورة **عفاف لطفى السيد** ــ التى تشغل الان وظيفة استاذ مساعد للتاريخ الحديث بالجامعة الامريكية بالقاهرة ــ تعديلات على رسالتها ، وأخرجتها فى صورتها الاخيرة ، موفرة بذلك اضافة لها قيمتها عن تاريخ الاحتلال البريطانى لمصر على عهد كرومر .

ومما يبرز اهمية هذا البحث الذى نقدمه أن مؤلفته قد رجعت الى المصادر البريطانية الاصلية : وثائق دار المحفوظات البريطانية Public record office وكثير من الاوراق الخاصة التى خلفها بعض رجال الاحتلال : كأوراق هارى بويل [المودعة بكلية سانت أنتونى بأكسفورد) ، وأوراق كرومر وجرانفل [**المودعتان بدارالمحفوظات البريطانية**]، وأوراق ملنر (المودعة بنيوكوليج بأكسفورد) وأوراق سولسبرى (المودعة بكلية كرايست

تشيرتش بأكسفورد] ، وأوراق ونجت [المودعة بجامعة درهام) . كما رجعت المؤلفة الى ما تيسر من الوثائق المصرية ، فلم تفد الا من ملفات الثورة العرابية والمراسلات السرية بين مصطفى كامل وعبد الرحيم أحمد .

ومن الطبيعي أن تعبر المؤلفة - وهي بنت اخ « أستاذ الجيل » **أحمد لطفي السيد** - عن وجهة نظر مصرية ، وأن تنحو منحى الموضوعية التي هي ركن أساسي من أركان البحث الجامعي - هذا برغم أنها لم يعها وهي تكتب في هذا الموضوع الحساس في تاريخ الحركة الوطنية المصرية ، أن تخفي انفعالها بالاحداث الهامة : كضرب الاسكندرية ، وحادثة دنشواي ، ووفاة **مصطفى كامل** ، وغير ذلك . وهذا أمر طبيعي ، اذ الموضوعية المطلقة في العلوم الانسانية خرافة طالما أن من يكتب كائن حي له ميوله واتجاهاته ونزعاته العاطفية ، بشرط أن يوضع كل ذلك ، في اطار الحد الادنى بحيث لا يمس الحقيقة التاريخية بالتحريف أو التزييف أو الخيال والادعاء . ولهذا ليس من عجب أن تنظر المؤلفة الى الاحتلال البريطاني نظرة نقدية ، فتعدد ماله وما عليه ، وكذلك الحال بالنسبة الى الحركة الوطنية المصرية التي نظرت اليها في اطارها التاريخي . وفي كل هذا نجد الدكتورة عفاف تعزز أحكامها بالحقائق التي ساعدها رجوعها الى المصادر الاصلية على التوصل اليها .

ورغم ان الفصل الاول الذي عالجت فيه المؤلفة مقدمات الاحتلال البريطاني وقد جاء طويلا (٣٧ صفحة) لم يضف جديدا الى ما هو معروف عن الثورة العرابية ، الا أن الفصول الخمسة التالية جاءت مليئة بحقائق لم يسبق نشرها على هذا الوجه ، وهي في معظمها مستقاة من الوثائق الاصلية التي رجعت اليها المؤلفة . ففي الفصل الثاني ربطت المؤلفة الاحتلال البريطاني لمصر ربطا محكما بالموقف الدولي الذي كانت له انعكاساته المباشرة على السياسة التي اتبعتها انجلترا في مصر في أوائل عهد الاحتلال . وفي رأي المؤلفة أن بريطانيا لم تكن تهدف في البداية الى الاستقرار النهائي بمصر ، بل كانت مخلصة في وعودها الخاصة بالجلاء المبكر ، وأن استمرار الاحتلال كان وليد عوامل خارجية دفعت الحكومة البريطانية وكرومر الى تبين خطورة مثل هذه الخطوة . وليست الدكتورة عفاف لطفي السيد هي أول من يأخذ بهذا الرأي على ضوء الوثائق البريطانية غير المنشورة ، بل لقد سبق أن أخذ به أيضا مؤرخ أمريكي هو **روبرت تجنور** Robert Tignor في كتابه عن « التجديد والحكم الاستعماري البريطاني في مصر ، ١٨٨٢ - ١٩١٤ » . ومن الجدير بالذكر أن بروفسور تجنور قد حاول أن ينفي عن الاحتلال البريطاني لمصر صفة الامبريالية الاقتصادية ، على اعتبار ان بريطانيا انما احتلت مصر لمحض تأمين مواصلاتها الامبراطورية التي كانت قناة السويس تشكل أهم حلقاتها - وهذا هو الذي يفسر ، في رأيه ، تخبط السياسة البريطانية ازاء مصر في البداية : فلا هي أخذت بالجلاء المبكر ولا هي قررت الاستقرار بالبلاد ووضعت خطة اصلاحية من تلك الخطط المحدودة التي كان يضعها المستعمرون خدمة لمصالحهم المباشرة .

ويتفق الكاتبان في تفسير عرقلة انجلترا لنمو الصناعات المصرية في عهد الاحتلال على اعتبار أنه نتيجة مباشرة لسيطرة الاتجاهات الليبرالية التي كان كرومر من أنصارها ، بحيث لم يجد ما يبرر اتباع سياسة تقوم على الحماية الجمركية - اذ أنه كان يعتقد بأن الصناعة التي لا تستطيع ان تشق طريقها بدون حماية يجب ان تندثر .

وبعد أن تعرض المؤلفة لحكم كرومر وسياسته والرجال الذين استعان بهم ، تخصص الفصلين الاخيرين ، في كتابها لظهور الحركة الوطنية المصرية من جديد - وهي تعرضها عرضا نقديا مبينة أهم التيارات التي أثرت فيها ، مع ابداء العطف الواضح عليها ، وعرض التيارات الفكرية التي أثرت فيها ، واستعراض أهم الشخصيات التي أسهمت فيها : **كمحمد عبده وعلي يوسف ومصطفى كامل ولطفي السيد وقاسم أمين وسعد زغلول وعباس الثاني** . وليس هذا عجباً بالنسبة الى فترة اتسمت بوفرة الشخصيات التي ظهرت على مسرحها . وكل له دوره وصفاته - ومن هنا نجد المؤلفة في سياق بحثها تعرض لكثير من الشخصيات سواء أكانت مصرية أم انجليزية : **فمن شريف ورياض الى نوبار ومصطفى فهمي** ، ومن **جورست وكتشنر وونجت** الى **ويلكوكس وهاري بويل ونازلي فاضل** وغير ذلك . واخيرا فانها تحلل شخصية كرومر تحليلا واقعيا ، وتفسر كثيرا من تصرفاته على ضوء ميله الى العزلة وقلة اصدقائه واعتماده في استقاء المعلومات عن اتجاهات الرأي العام المصري على أفراد قلائل من الانجليز كان بعضهم لا يتقن اللغة العربية - وكل هذا مما تمخض في النهاية عن الهوة التي فصلت الادارة البريطانية عن المصريين .

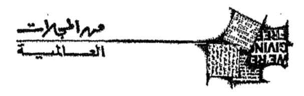
ازدرى كرومر المصريين ودينهم ، ورماهم بالتعصب والغفلة ، وأعلنهم الا أمل لهم في الانفصال عن انجلترا ، بل ان بلادهم - حتى في ظل أبدية العلاقة بانجلترا - لن تخلص لهم وحدهم بل سيشاركهم الاجانب في كل حقوق السلطة . ولم يترك مصر الا وقد استحالت مرجلا يغلي بالكراهية له ولبني وطنه ، وبخاصة بعد محاكمات دنشواي

التى سجلت نقطة تحول خطيرة فى تيار الشعور الوطنى المصرى .

وتنهى الدكتورة عفاف لطفى السيد كتابها بربط فترة الاحتلال البريطانى فى عهد كرومر بثورة ١٩١٩ التى سجلت نتائجها انتصارا جزئيا للحركة الوطنية المصرية ثم ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ التى شهدت استقلال مصر التام بعد مئات السنين من التبعية للحكم الاجنبى .

وأخيرا فان كتاب الدكتورة عفاف لطفى السيد يمثل وجهات النظر المصرية القليلة التى أتيح لها أن تنشر باللغة الانجليزية . وما أحوجنا فى نهضتنا الحديثة أن ننشر تاريخنا من وجهة نظرنا باللغات الاجنبية ، فهذا أدعى الى كسب قطاعات من الرأى العام العالمى صور لها تاريخنا وكفاحنا ومشخصاتنا القومية تصويرا خاطئا كان له اثره فى نظرة الاخرين الى قضايانا القومية .

■ ■ ■



التطور التاريخى للتفكير

مجلة العلوم الاجتماعية
اكاديمية العلوم السوفيتية

أصدرت اكاديمية العلوم السوفيتية مجلة جديدة بعنوان « **العلوم الاجتماعية** » ، وذلك بالتعاون مع وكالة نوفوستى للانباء .

وتهدف النشرة الجديدة التى تصدر باللغات الانجليزية والفرنسية والاسبانية الى اتاحة الفرصة لاكبر عدد من الناس خارج الاتحاد السوفيتى للتعرف على آراء وأبحاث العلماء السوفييت فى الثقافة والتاريخ والاقتصاد والعلوم الانسانية والاجتماعية بشكل عام ، وذلك بالتغلب على صعوبات اللغة التى تمنع الكثيرين من تتبع هذه الاراء والابحاث .

وقد صدر العدد الاول من النشرة فى ظروف الاحتفال بذكرى مرور مائة عام على ميلاد لينين . لذا فقد انصبت موضوعاته ، وهذا بديهى ، على عرض ومناقشة التراث النظرى الخالد الذى خلفه لينين للانسانية من كافة زواياه .

ويتضمن العدد ثلاثة ابواب : الاول بعنوان « الى القارىء » وهو عبارة عن مجموعات من مقالات وأبحاث اقتصادية واجتماعية وسياسية وفلسفية . والثانى بعنوان « عرض الكتب » وهو عبارة عن مجموعة مقالات بقلم عدد من الكتاب يعرضون خلالها مؤلفات وأعمال لينين . والثالث بعنوان « الحياة العلمية » ويتضمن قضايا العلم وتطوراته وأخبار المؤتمرات والابحاث والاحداث العلمية .

وفى الباب الاول مقال بقلم ف . شمياكين بعنوان « **التطور التاريخى للتفكير** » ، وهو عبارة عن مناقشة فلسفية حول علاقة الفكر بالمادة ، حركة الفكر وأشكال تطوره ، ومراحل تطور الفكر وقوانينه . هذا هو الخط الرئيسى الذى يربط جزئى المقال .

والاداة المنهجية للكاتب تتلخص فى أنه يكشف عن العلاقة بين تطور العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية والانسانية من ناحية ، وبين الفلسفة وعلم النفس من الناحية الاخرى ، وخلال ذلك يقدم لنا تحليلا فلسفيا عن الاساس الميتافيزيقى لمعظم نظريات علم النفس التى انتشرت فى مطلع القرن العشرين وأواخر التاسع عشر .

وبعد اشارة موجزة لـ « المادية والنقد التجريبى » ، يتساءل الكاتب : « كيف اعتمدت نظريات علم النفس على الصورة المادية للعالم ، المبنية على الميكانيكا الكلاسيكية ؟ » .

ان هذه النظريات تنطلق من القاعدة الفلسفية للفيزياء الكلاسيكية ، لمفاهيمها عن الزمان المطلق والمكان المطلق والمادة والحركة ، فهى ترى أن الاحاسيس كالذرات فى الفيزياء ، وأن المفهومات والافكار كالاجسام الصلبة المتكونة من هذه الذرات . ويعرض الكاتب لثلاث من هذه النظريات

هى علم النفس الجماعى ونظرية هربرت وعلم نفس الجشتالط · وتشترك جميعها فى أنها تتخذ من الفيزياء الكلاسيكية أساسا لها ومنطلقا ، بالرغم من أن ثمة هوة سحيقة تفصل بينهما ايضا . ان الاساس الفلسفى لكل من الفيزياء الكلاسيكية ، وهذه النظريات هو المادية الميكانيكية ، وهى مادية مثالية فى جوهرها .

ولكن ماذا يعنى هذا الاساس الفلسفى المشترك بالنسبة للاجابة على السؤال الذى يطرحه الكاتب ؟

أولا : ان تفسير الاحاسيس كمقابل للذرات فى الفيزياء ، والمفاهيم والمدركات كمقابل للاجسام الصلبة المتكونة من هذه الذرات يعنى أن الافكار والمدركات هى مركب أحاسيس ، يعنى عزل الفكرة عن واقعها المادى ومحتواها التجريبى ، وعزلها بالمثل عن الممارسة الانسانية .

ثانيا : ان أسس العقل وقوانينه ، وبالتالى أسس التفكير وقوانينه هى نفسها مبادىء وقوانين الهندسة الاقليدية ، وميكانيكا نيوتن وجاليليو ومنطق أرسطو ، ومصادر كل هذه العلوم هو « تأمل الزمان والمكان المطلقين وأشكال الفكر » · وهو ما يعنى أن الفكر يتطور بذاته معتمدا على قوانينه الخاصة ·

ولقد كانت فلسفة « كانط » هى التعبير الفلسفى عن افتراضات ومسلمات الميكانيكا الكلاسيكية وعبر مفهومه للعقل عن الزمان والمكان المطلقين فيهما .

وحينما واجهت الفيزياء الكلاسيكية التطورات العلمية الجديدة فى الكيمياء والبيولوجيا ، انهارت الصورة المادية التى رسمتها للعالم على أسس ميكانيكية ، وأخلت الفيزياء الكلاسيكية مكانها للفيزياء الحديثة التىقدمت لاختبار الديالكتيك فى الطبيعة مادة وفيرة للغاية ، فاذا كانت الفيزياء الكلاسيكية قد عبرت عن حركة حقيقية فى سرعة معتدلة فان الفيزياء الحديثة قد عبرت عن حركة حقيقية فى سرعة هائلة .

لقد أدت الثورة فى الفيزياء الى أزمة فى الفكر الفلسفى للبرجوازية وفى علم النفس المؤسس عليه . غير أن الثورة التى بدأها فى الفلسفة ماركس وانجلز فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، دعمت المادية الجدلية ، وبالتالى ، فقد نسفت الاساس الفلسفى لنظريات علم النفس السابق ذكرها ·

ولقد تغلغلت فكرة التطور فى الوعى الاجتماعى ، وما كان بوسع أحد معارضتها ، تحت تأثير الداروينية ، لكن بعض مفكرى البورجوازية حاولوا استبدال التطور بالتطورية المبتذلة ، ففى المجال الاجتماعى استبدلوا بفكرة التكوين الاقتصادى الاجتماعى فكرة التحول التدريجى من مرحلةالى أخرى، من العشيرة الى القبيلة ، ومن القبيلة الى الدولة ، وبالنسبة للتطور التاريخى للتفكير فان التحول يتم من المفرد الى العام ومن المحدد الى المجرد ·

ويتحدث فندت عن التفكير من وجهة نظر المنطق رافضا استخلاص المفاهيم من الحواس والمدركات والافكار · ان تطور التفكير من وجهة نظره هو تحول مفاهيم من حالة أدنى الى حالة أعلى من البطريركية المنطقية . وهو يميز بين نوعين من المفاهيم : المنطقية أو التجريبية والتكونة لدى الفرد على أساس من خبرته فى الحياة ، والعلمية وهى عبارة عن النتائج المستقاة من العديد من الاحكام العلمية · ويتقدم التطور التاريخى للتفكير من المفاهيم المنطقية الى المفاهيم العلمية · ويمر هذا التطور عبر أربعة مراحل أولها المفاهيم المفردة ، والثانية هى المفاهيم العامة المتكونة من ربط هذه المفاهيم المفردة ببعضها . وتتكون المرحلة الثالثة من مجموعتين من المفاهيم : أولا المفاهيم المحددة وتنضوى على مضمون حسى . ثانيا المفاهيم المجردة ممثلة فى رموز فقط للروابط والعلاقات المتعددة · وتتكون المجموعة الرابعة أيضا من مجموعتينالاولى هىمفاهيمعنالعلاقات، والثانية مفاهيم نسبية مثل المفاهيم الرياضية . أما القوة الدافعة للتحول من مرحلة الى أخرى أى من مرحلة أدنى الى مرحلة أعلى هى التطور الذاتى للروح ، ونموذجه الامثل هو المفاهيم العلمية والتفكير العلمى ·

ان كل هذه النظريات عن التفكير تقودنا الى النتيجة التالية : ان التطور فى التفكير هو تحول تدريجى من مرحلة أدنى الى مرحلة أعلى ، هذا من ناحية ، وانه تطور يعتمد فيه العقل على القوانين الخاصة للمنطق دون ما صلة بالحياة الاجتماعية أوبعلاقة الانسانبالطبيعة التى يعيش فيها . انها تنظر الى الفكرة باعتبارها ذاتا مستقلة وليست انعكاسا للوجود المادى فى عقل الانسان ·

انها التطورية المبتذلة ، لا ترى جديدا فى الطبيعة أو فى الفكر ، بل ترى اضافات كمية أو زيادات كمية ·

أما التطور التاريخى للتفكير من وجهة نظر المادية الجدلية فيقوم على فكرتين رئيسيتين :

الاولى : أن الفكر هو انعكاس للوجود المادى فى العقل المفكر ·

الثانية : أن العلاقة المتبادلة بين الانسان والطبيعة ومراحلتطور هذه العلاقة هىالتىتحدد مراحل تطور الوعى ، وبالتالى فان العمل والصراع الطبقى قد حددا بصورة عامة مراحل تطور التفكير ·

« ففى الصراع بين الانسان والطبيعة نضج وتطور تفكير الانسان البدائى » الذى وجد فى الطبيعة وهو يحمل على كاهله عبء وجوده ، عبء صراعه ضد الطبيعة . ان التحولات الثورية فى التفكير تعنى تحول الشىء الى نقيضـــه ، يعنى النشوء والتطور والتلاشى ، يعنى التحول المستمر فى المفاهيم ، ويعنى التحول المستمر أيضـــا فى أشكال التفكير .

كيف تطور التفكير من وجهة نظر المادية الجدلية وفى أى المراحل مر هذا التطور ؟

يقدم لنا الكاتب المراحل الاتية وخصائصها :

١ ــ لقد عرف انسان ما قبل التاريخ التفكير المنطقى وبعض المعرفة الهندسية الاولية • وقد استعمل تفكيره ومعرفتهبطريقة تجريبية بمعنىانه لم يعرف القوانين وأشكال التفكير التى تؤكد له صحةنتائجه. ولكن لا المنطقالشكلى ولا الهندسة انبثق جاهزا فى شكل كامل ، وانما خلال عملية متطورة من تحليل المفاهيم المتكونة فى العقل الى خلق نظام لقواعد التفكير •

٢ ــ مرحلةأعقبت انبثاقالمجتمعالطبقى، وعبر عنها ظهور المنطق الشكلى والهندسة • ولقد ميز ظهور كل من قواعد القياس الارسطى ونظريات الهندسة الاقليدية مرحلة جديدة فى التفكير ثبتت فيها قدرات العقل وارتفع التفكير التجريبى الى مستوى التفكير النظرى •

٣ ــ ظهور الميكانيكا الكلاسيكية وقد ارتبطت بقدوم الرأسمالية •

٤ ــ وبظهور النظرية النسبية لاينشتين عبر التطور التاريخى للتفكير الى مرحلة جديدة أعلى وأكثر رقيا ارتفعت بالعقل عن المستوى المباشر للتجربة ووضعت مفاهيم جديدة للمطلق والنسبى وللافكار النظرية والعلمية •

ولقد أكد اينشتين أن التفكير وحده لا يمكن أن يؤدى الى أىمعرفة بالموضوعات الخارجية ، وأن الفكر النظرى أو العلمى لا يمكن أن يكون تجريبيا بحتا ، ولكن يجب بالضرورة أن يكون استدلاليا، وأن يكون نظاماً منطقيا متطورا ، كما أنه لا يمكن أن يستقى أسسه من التجربة عن طـريق الاستقراء • ان الفكرة النظرية تنبع من التجربة ومستقلة عنها •

ويقول اينشتين أن النظرية العلمية لا يمكن أن تكون كاملة • ان أى نظرية تصبح قاصرة فى مجرى التطور • ويرى أن نظريته ذاتها ينبغى أن تستبدل فىالمستقبلبنظرية أكثر شمولا قدتحتوى نظريته باعتبارها آخر حدث فى هذا المجال •

ويبرز المقال حقيقة هامة وهى أنه فى مجال الافكار والنظريات تصبح النظريات الوسيطة التى تحاول أن تجمع بين عناصر من المادية، وأخرىمن المثالية انما تلعب دور السمسار الذى يحاول أن يبيع البضاعة الكاسدة للفكر المثالى بعد أن يغلفها بقشرة مادية . فمن **كانط** الى سبنسر ومن **فندت** الى **ماخ** تتهاوى نظريات المادية المبتذلة والتطورية المبتذلة تحت ضربات المادية الجدلية التى تصارع هذه النظريات صراعا حادا لتكشف عن جوهرها المعادى للعلم •

■ ■ ■

الصـــدفة والضرورة •• مقـــال فى الفلسفةالطبيعية للبيولوجيا الحديثة

جــريدة لوموند
جريدة فرانس نوفيل

« **الموضة** » **فى فرنسا** هى احداث أكبر ضجيج ممكن حول اى مؤلف يعتقد القائمون على اجهزة الاعلام انه « تفنيد » او رد على المـاركسية والماركسيين ، خاصة اذا كان هذا المـؤلف « لشخصية عالمية » مثل **جارودى** ، **أو جـــاك مونود** ، وهو عالم له شهرته الدولية ، حائز على جائزة نوبل فى الفسيولوجى والطب فى ١٩٦٥، وباحث مشهور فى بيولوجيـا الخلية ، ومحاضر فى « الكوليج دى فرانس » •

فعلى امتداد ثلاث ليـــال ، تمت مناقشـــة كتاب مونود الاخير « الصدفة والضرورة .. مقال فى الفلسفة الطبيعية للبيولوجيا الحديثة » • هذا غير الاعلانات المدفوعة فى الصحف ، أو التعليقات التى كتبها المهتمون بالموضوع سواء بالتأييد ، والمعارضة • ومن اهم ما كتب مقال **فرانسوا داجونيه** استاذ تاريخ وفلسفةالعلوم فى كلية الاداب والعلوم الانسانية فى ليون ، الذى نشره فى جريدة **لوموند** ، ومقال **جاك ميلو فى فرانس نوفيل** •

والواقع ان جاك مونود قد ساهم فعلا فى تغيير مفهوم أسلوب ومهمة العالم الحديث • فهو لا يتقوقع داخل تخصصه ويترفع عن العلوم الاخرى ، بل على النقيض من ذلك يدرس المنجزات المتحققة فى كل الميادين فى تشابكها ويقوم باستخلاص دلالاتها الثقافية والسياســـية ، ولا يتورع عن

التعرض للاساسيات بالبحث والدراسة . ولاشك ان العلم نفسه يفيد كثيرا من هذا المنهج الجرىء والمتكامل .

وهو بهذا يستجيب للحاجة الملحة بمد نطاق البحث العلمى ــ وهذا أمر منطقى تماما ــ الى مجال العمل الفلسفى . الامر الذى كان لينين قد بدأه فى ١٩٢٢ عندما حدد المسائل والمشاكل التى تطرحها ثورة العلوم الطبيعية وانعكاساتها الفلسفية .

وكتاب مونود ، رغم انه صادر من متخصص الا انه موجه لكل مهتم بالثقافة والعلم و « العصرنة » والباحثين والهواه ، والعاملين فى مجال الفكر ومشاكله وعلماء الاجتماع الذين راعهم فساد حضارتنا . ولكل هؤلاء قدم مونود منهجا اصيلا : هو القدرة على ربط كل المعلومات الضرورية والمستمدة من مختلف انواع المعرفة بالمشكلة محل البحث ، مع مراعاة ان يكون حجم المعلومات المستخدمة يمثل القدر الضرورى لا اكثر ولا أقل ، والا فقد القارىء اهتمامه بالموضوع أصلا .

وقد حاول مونود اعتمادا على بيولوجيا الخلية والجزئى وعلى قانون الوراثة والجنيات ، أن يفند الفلسفات الاساسية القائمة « التى بنيت خطأ وامتلأت بالاوهام » والتى تقوم على الجانب الاشد « علانية واتضاحا » من الفرد ، أى على كيانه واهدافه ، مهملة ــ كما يقول ــ الامور التى تكمن فى أساس هذا الكيان ، والذى يعتمد على ميكانزم لاعادة انتاج الحياة واستمرارها . وفى ظل هذه الفلسفات يقول مونود انه كان لابد من التلاعب والتغرير ، **وتصوير الفرد على أنه مجبر على القيام بانواع اجبارية من النشاط تتفق مع قوانين المادة** . ويؤدى ذلك الى وجود ايديولوجية من نمط المذهب القائل بوجود روح فى كل الاجساد ، تحكم حركتها ونشاطها ، الامر الذى يفرض نوعا من الحتمية العمياء .

ولكن تقدم الوراثة والبيولوجيا يضطر جميع الفلاسفة الى مراجعة ما يقولونه . انهما ينزلان الى اساس تكوين الخلية ، ويتسللان الى الجزئى ، لاكتشاف طريقة عملهما . ويتعرض مونود باكتشافاته هذه للفلسفة التى تمجد الحياة بصورة شعرية [برجسون] والتى تسجل انتصارها وبزوغها (تيلاردى شاردان ، انجلز) » .

ويقول ان المادية الجدلية لا تنجو من وجود عنصر مركز بشرية تدور حوله كل الاحداث : وهو الانسان الذى تجعله دائما فى القمة . ان مونود يعلن هجومه على لاهوتيى التقدم ، وعلى دعاة المذهب القائل بان الروح هى السبب الاول للافعال . ويقول أنهم ينشرون الاوهام المخدرة ، ويستخدمون فى منطقهم مبادىء زائفة . أنهم يؤكدون ان الكائن الحى لا يمكن أن يتخلص ابدا من القوانين الطبيعية والكيماوية وقوانين الحرارة الديناميكية وقوانين ارتباط الجزئى وهى قوانين لا تبشر بالخير للانسان لانها تفرض نوعا من الحتمية لا فكاك منه . ولكنه يؤكد ان العلم الحديث هتك الحجاب ، **فقد بين ان الكائن العضوى لا يسير وفق المبادىء التى لاتنتهك للطاقة فقط ، ولكن ظهوره وانتاجه يقوم ايضا على الصدفة** ، ومن هنا جاء العنوان المثير للكتاب المستوحى من تفكير ديمقريطس القديم .

ومن اهم الافكار الواردة فى الكتاب :

● **ان الوراثة** وان استطاعت ان تضع فى صورة رقمية القانون الشامل لانتقال سمات الخلية ورسالتها ، الا ان هذا لا ينفى أن أى خطأ ينتج فى عملية انتقال الخصائص هذه يولد حتما نموذجا جديدا . ان الحياة تتصف اساسا بانها يعاد انتاجها من أصل معين ، بصورة متطابقة معه على قدر المستطاع . ولكن هناك احتمالات لحوادث طبيعية ، لازدواج محور أو غير متوقع يمكن أن يخلق كائنا جديدا .

● **ان البروتين** المنظم يتسم بسلسلة متتابعة من الوحدات ، ولكن لا توجد رابطة بينها ، اى انه يعرف نوعا من « الانتظام غير المنظم » .

● **اننا لا نصطدم** فى كل مكان بنفس الخليط « النظام الفوضوى » و« **الصدفة ــ الضرورة** » وقد اوضح مونود بجلاء ميكانزم السيطرة والتنظيم الذى يحكم عملية الخلق .

ويؤكد مونود أن الكيمياء الحيوية لا تكتشف قوانين الحياة الا بتطهيرها من تلك المعارف والقيم البالية . وان هناك فارق كبير بين هذا العلم الذى يعادى الخرافى وبين العقائدية المخدرة . ويدعو للتخلص من الاساطير الفلسفية ، ويقول ان المخرج هو « الوضعية » ، وان المعرفة الحقيقية هى أساس العالم العصرى ، وانه يجب تعهدها . ويزعم أن سلسلة من الاحداث المستمرة قد تنتج انسان مملكة الافكار « وان الانسان سيعرف اخيرا انه وحيد فى ذلك الفراغ الشاسع للعالم الذى ظهر فيه صدفة . وان مصيره وواجبه لايثبت فى مكان آخر . وان له وحده الاختيار بين النور والظلام » .

والواقع انه رغم اعتماد مونود على آخر منجزات العلم ودعوته لبحث اية ظاهرة فى ضوء « مختلف العلوم » فانه لا يخفى شعوره بالتعالى على الانجازات السابقة فى المعرفة . ان هولاء الوضعيين قصار النظر الغارقين فى التجريبية ، والقواعد الرياضية ، لا يخفون شعورهم بالتفوق ، تحت شعار البحث العلمى والموضوعى .

ومع ذلك فليس من المعتاد أن يهتم احد العلماء ، باعادة التفكير ، فى ضوء احدث المعلومات ، فى مسألة الصدفة والضرورة ، الثبات والتغير ، تكوين وخلق الكائن وحدود المعرفة، انطلاقا من البيولوجيا ونتائجها انه « يحاول بصراحة ان يستخلص جوهر نظرية الجزئى » . ان عمله يعتبر لغة جديدة لعالم يحاول توسيع نطاق ومجال علمه وتخصصه الى مجموع الثقافة المعاصرة ليغنيه بمختلف أنواع المعارف · وهذا امر حتمى ذلك « ان علم الطبيعة يتقدم بسرعة ، ويمر عبر فترة من الانقلابات الثورية العميقة فى كل المجالات ، الامر الذى لابد وأن تكون له انعكاساته الفلسفية » ·

ويواجه مونود المشاكل الاساسية التى يطرحها ، تقدم المعارف الناجم عن الابحاث التى تمت فى العشرين عاما الاخيرة حول مختلف ظواهر الحياة · وينتهى ـ بصورة حتمية كما يقول ـ الى الافكار التى لا تتعلق فقط بالنوع الانسانى ولكن عن ضرورة وطبيعة الميكانزم الذى يكفل تعاقب الاجيال ·

والحق ان كل فصول الكتاب مليئة بالمعرفة المركزة والافكار التى تهم كل المتخصصين ، والعمل يعتبر من الاعمال الفلسفية الكبيرة ·

ولقد كان هذا الكتاب محلا لعرض ودعاية هائلة وأثار جدلا شديدا حول العقائد الفلسفية والدينية، ولكنه ركز بصفة خاصة على « الطابع الروحى والغيبى للمادية الجدلية » وفشلها ، ونفس الامر بالنسبة للمادية التاريخية · كما تعرض المؤلف للاشتراكية المعاصرة · وكان الهدف هو استخدام هذا الكتاب سلاحا فى الرد على الماركسية .

ولكن الطريقة التى تمت بها مناقشة الكتاب تلفت النظر · فعند مناقشة الجانب الدينى فى الكتاب ، استدعيت شخصية دينية ملمة بالموضوع · ولكن عند مناقشة الجانب المتعلق بالماركسية، تجنب الذين نظموا المناقشة دعوة احد الشيوعيين أو ممثلى حزبهم للنقاش معه ، وجاءوا بواحد « غير مختص » كان من السهل عليه أن يسلم بكثير من النقد الموجه الى الماركسية .

ان محتوى هذا الكتاب وأسلوبه المتفرد الذى يرمى الى تأكيد ما ورد فيه من افكار ، يثير التساؤل حول منهج النقاش الفلسفى والعلمى .

ومما يدعو للدهشة، أن البروفسور مونود يقدم تفسيرا شخصيا للماركسية دون أن يواجه زملاءه الماركسيين والشيوعيين ، ويجادلهم فى افكاره · فلا شك أن النقاش معهم أمر مثمر ومفيد له شخصيا ·

ان الحديث عن الماركسية باعتبارها دينا او فلسفة روحانية دون مناقشة أنصارها أمر زائف وغير لائق ، ولا يساعد فى المحل الاول على التخلص من المشاكل والنواقص التى تعترض طريق « الفلسفة الطبيعية للبيولوجيا الحديثة نفسها ·

ومع ذلك فان كتاب مونود يستحق نقاشا علميا هادئا، وجدلا بناء ، حول اسلوب مد نطاق النتائج المحققة فى مجال العلوم الحديثة الى مجال الفلسفة ، وطريقة استخلاص النتائج الصحيحة فعلا من التقدم العلمى ، والاكتشافات الحديثة ·







الالتزام الثورى في أعمال وحياة بيتهوفن

طارق عزت

احتفل العالم فى السادس عشر من ديسمبر الماضى بمرور ٢٠٠ سنة على مولد « **اميل لودفيج فان بيتهوفن** » . الموسيقى العبقرى الذى استطاع بفنه أن يحدث أثرا واضحا فى تراث البشرية الحضارى ، والذى أضاف الى هذا التراث جزءا أساسيا من أجزائه .

ويجدر بنا فى هذا المقام ، وفى ظروفنا الحاضرة أن نشير الى الدور النضالى لبيتهوفن الفنان ، وأن نؤكد على تمسكه بمبادىء باقية كحرية الانسان ومقدرته على الخلق وعلى تغيير مصيره ، والتزامه بهذه المبادىء ، وذلك اعتقادا بأن بيتهوفن يمكن أن يكون قدوة للفنان المعاصر الواعى .

ولا ترجع أهمية الدور الذى لعبه بيتهوفن فى تاريخ الفن ، بل وفى تاريخ البشرية الى عبقريته الموسيقية وحدها ، بل يمكننا ان نؤكد ان بيتهوفن لم يكن بالقطع أكثر الموسيقيين عبقرية أو موهبة ، فلم يكن فى مقدرة بيتهوفن أن يفعل ما كان يفعله **موزارت أو هايدن** ، فلقد كان انتاجه ضئيلا للغاية بالمقارنة الى انتاج أى منهما ، وبالرغم من ذلك ، فان بيتهوفن كان أقوى وأكثر فاعلية فى فنه من هايدن أو موزارت ، أو حتى **باخ** .

ان بيتهوفن كان ـ فى وقته ـ ممثلا للعصر الجديد ، الجيل الثائر على كل القيم وكل القيود ، فقد كانت أوروبا فى القرن الثامن عشر تشهد تطورات سياسية واجتماعية أساسية ، الثورة الفرنسية ، الحرية والاخاء والمساواة ، كل الشعارات الثورية التى طرحها المجتمع الجديد فى فرنسا . الثورة الصناعية فى أوائلها تنمو وتحطم بقايا النظام الاقطاعى المتهاوى ، على رأس كل هذه الحركة نابليون بونابرت ، ممثل الثورة وقائدها .

وبالرغم من أن بيتهوفن كان ألمانى الاصل ، وبالرغم من العداوة التقليدية بين فرنسا والمانيا ، الا ان بيتهوفن كان شديد الاعجاب **بنابليون**، عدو بلاده ، ولم يكن فى موقفه هذا خائنا ، بل انه شبيه بموقف بعض الفرنسيين الذين حاربوا فرنسا مع الغرب فى حرب الجزائر ، موقف لم يحدد نفسه فى حدود الوطنية الضيقة ، والنعرة القومية الكاذبة ، وانما موقف فيه انحياز الى العدل والحق ، وفيه التزام بحق الانسان فى التحرر والتقدم ، هكذا كان بيتهوفن واعيا وملتزما ومدركا لمشكلة الانسان فى عصره ، ولذلك كتب بيتهوفن سيمفونيته الثالثة فى ١٨٠٤ ، وكان الاهداء الى نابليون ، وكان المؤلف قد أطلق عليها اسم ، [سيمفونية بونابرت] ـ

وعندما علم بيتهوفن أن نابليون قد نصب نفسه امبراطورا ، ثار بشدة وأخذ يصيح .

— **هو أيضا ليس** الا كبقية البشر ؟ هل يدوس بقدميه حقوق الانسان ولا يخدم سوى مطامعه الشخصية بأن يضع نفسه فوق الجميع ، وبأن يصبح طاغية ؟ وجرى الى نص سيمفونيته ، وشطب الاهداء الاول ، وكتب اهداء غيره ، (سيمفونية البطولة،للاحتفال بذكرىبطل)، ويبدو أنه اعتبر أن نابليون البطل قد مات ، فاهدى السيمفونية الى ذكراه ، وأن نابليون الباقى ، ليس الا طاغية انحرف عن أهداف الثورة ومبادئها ، ولقد عرفت السيمفونية بعد ذلك باسم سيمفونية البطولة .

وهناك لمحات كثيرة لثورية بيتهوفن ، ولقد استطاع الرجل بثوريته وباصراره الشديد على تحدى القديم ، استطاع أن يحدث تغييرا جوهريا فى مفهوم الموسيقى ودورها الاجتماعى ، فقد كانت الموسيقى عند موزارت وهايدن تعبيرا عن حياة الترف والبذخ الذىوصلت اليهالطبقات الاقطاعية الحاكمة فى ألمانيا ، كانت الموسيقى وسيلة للترفيه وللاستمتاع الذهنى البحت ، ولم تكن هناك أية علاقة بين الموسيقى وبين آلام الناس واحلامهم وواقعهم ، وتحول مفهوم الموسيقى بفضل بيتهوفن ، من أداة للترفيه الى لغة انسانية تعبر عن الناس ،عن أهداف البشرية ، وعن نضالها من أجل تحقيق أهدافها ، أصبحت الموسيقى حافزا من أجل التغيير ، ومن أجل تجاوز كل القيود التى تعوق حركة البشرية الى السعادة والحرية ، وبدأ بيتهوفن يتجاوز قيود الموسيقى نفسها مصنفه الاول وهو فى الثانية والعشرين ، مجموعة من ثلاث ثلاثيات ، وفى الثلاثية الاخيرة استبدل حركة « المينويت » (١) التقليدية المتهادية استبدلها بحركة سريعة نشطة ، الاسكرتزو (ومعناه الدعابة) ، وهى رقصة ذات ايقاعات شعبية سريعة . لم يكن من الممكن للنبلاء المتمسكين بوقارهم وهيبتهم أن يتخيلوا انفسهم وهم يرقصون على تلك الانغام السريعة المتدفقة، وبالاضافة الى ذلك ، كانت الثلاثية تعتبر خروجا على قواعد وأصول التأليف المتفق عليها فى ذلك الوقت ، وأحدث العمل ضجة فى الاوساط الفنية ، حتى أن أستاذه هايدن نصحه برفق الا ينشر الثلاثية ، ولكن بيتهوفن لم يتوقف ، واتهم استاذه بالغيرة ، واستمر فى حركة تجديد وتطوير شاملة للموسيقى ، وأدخل المارش الجنائزى لاول مرة فى سيمفونية ، وفى الصوناتة ، وكان يقاوم القواعد التى اتبعها من قبله هايدن وموزار وغيرهما .

وكان يعتبرها قيودا لا مبرر لها ، فها هو النشاز والهارمونية المتعددة والاتجاهات الرومانتيكية والتاثيرية والحديثة تظهر فى البناء الموسيقى ، وكأنما يشير بيتهوفن الى كل من برامز وشوبان وديبوسى رافيل وكارل أروف ، وهينـدميث وشوستاكوفيتش وحتى بروكوفييف ، فسوف نجد فى موسيقاه اللمحات والخيوط الاساسية التى بدأ منها كل هؤلاء ، ولم يكن خرق بيتهوفن للقاعدة ضربا من ضروب التحدى الاعمى أو عدم الفهم ، فقد كان بيتهوفن هاضما بوعى وبعمق كل ما توصل اليه الذين سبقوه من الاساتذة حتى أنه قال بصدد ما تردد عن عبقرية نابليون القتالية :

— لو كنت أعرف الاستراتيجية كما أعرف علوم التأليف لهزمته .

لقد كان تجاوز بيتهوفن للقاعدة وللعرف الموسيقى ناشئا عن مقتضيات المضمون الجديد الذى أراده بيتهوفن لفنه ؟

« ان الحرية والتقدم هما الغاية فى الفن ، كما هو الحال فى الحياة بأسرها » ، ولم تكن موسيقى هايدن وموزارت بقواعدها وقيودها قادرة على استيعاب كل هذا المضمون الضخم الذى أودعه بيتهوفن فى موسيقاه ، وقد قال له أستاذه **هايدن** ذات مرة : « لسوف تنجز أكثر مما أنجز اى مؤلف من الذين سبقوك ، انك لن تضحى بفكرة جميلة فى سبيل قاعدة قاسية ، وستكون على حق ، انك رجل متعدد الرؤوس ، ومتعدد القلوب ، وسوف نجد دائما فى أعمالك أشياء غير متوقعة ، قاتمة وغريبة ، ان كانت موسيقاى تبدو مرحة فذلك لان روحى كذلك ، ان مرحى الطبيعى لم يزعزعه شىء أبدا ، ولا حتى امرأة » .

ولعل هذه أصدق شهادة قيلت فى بيتهوفن ، خاصة وأنها قيلت لبيتهوفن نفسه ، والدليل على صدق روايتها ، تلك « القفشة » التى أعتاد هايدن أن ينهى بمثلها أحاديثه .

وكان بيتهوفن شديد التمسك بعدد من القيم المعنوية والانسانية الباقية ، كالحرية ومقدرة

---

(١) المينويت رقصة كانت شائعة فى قصور الامراء فى ذلك الوقت ، وكانوا كثيرا ما يرقصونها فى حفلاتهم .

الانسان، على تغيير واقعه بالكفاح، ومقدرته على تجاوز القدر والانتصار عليه ، وحق النـاس فى السعادة ، وكانت البطولة هى العنصر الاساسى فى اعماله ، بينما الحب هو العنصر الثانى ، ولذلك نجد أن أغلب أعمال بيتهوفن تتبع برنامجا موحدا ، المعركة ـ الحداد ـ السخرية من القدر ـ النصر •

والمعركة كانت معركة بين القيم وبعضها ، بين الخير والشر ، بين القديم والجديد ، ويجب أن نلاحظ أنـه لم تكن موسيقى بيتهـوفن موسـيقى تصويرية ، أو موسيقى وصفية ، بل كانت موسيقى بحتة مجردة ـ أما الحداد فهو على الشهداء ، على الابطال الذين سقطوا من أجل المبـادىء والمثـل العليا ، وكان هذا الحداد يأخذ شكل حركة بطيئة وحزينة، غنائية تارة، ورثائية تارة، أو حتى شكل مارش جنائزى عظيم •• وبالرغم من أن الموسيقى كانت تبدو حزينة أحيانا أو حتى متوسلة (كما فى كونشيرتو البيانو الرابع) ـ الا أنها لا تسلمنا ابدا الى اليأس ، بل تنطوى دائما على رفض الواقع وعلى الاصرار على تغييره ، فـلم يكن بيتهـوفن مستسلما لليأس فى موسيقاه الا فى بعض أعمال نادرة ، ثم السخرية من القدر •• وكان بيتهوفن يلجأ هنـا الى الاسكرتزو ، وكأنه يداعب الجـان والشياطين بلا خوف ولا رهبـة ، انه يتهكم على القدر ، فماذا بيد القدر أمام مقـدرة الانسـان الخلاقة ، ماذا يستطيع الصمم أمام عبقريته وموهبته ـ وفى النهاية النصر ، السعادة تعم على البشرية جمعاء •

وهاهى الناس تنطلق نحو آفاق أوسع، وتتجاوز كل القيود والمعوقات . لقد كان الرجل حريصا على ابراز كل هذه المفاهيم فى أغلب أعماله ، وكانت أسطورة **بروميثيوث** هى الرمز الكامن فى أغلب انتـاجه ، ولعـل بروميثيوث كان رمزا للبشرية ، ولعله كان رمزا لبيتهوفن نفسه ومثله الاعلى ، وأيا كان الوضع فان بيتهوفن كان يؤكد باصرار دور البطولة وأهمية التمسك بالفضيلة، وها هو يثبت فى السيمفونية الخامسة أن الانسان يستطيع أن يتغلب على القدرة ، ثم يقرر فى السيمفـونية السادسة اعتزازه بوطنـه وبشعبه ،ويضع بذلك نواة الموسيقى الوطنية الحديثة ، أما السيمفونية السابعة ، فهى كما يقول فاجنر « الرقص فى أسمى معانيه ••• » ثم مجموعة كبيرة من الاعمال التى يبرز فيها اعجاز الرجل وعبقريته ، وعلى رأسها السيمفونية التاسـعة ، المبينـة علـى قصيـدة لشيللر : « الى السعادة » •• لقد اراد بيتهوفن أن يقيم بهذا العمل نصبا خالدا لاسمى الاهـداف الانسانية ! السعادة ، تلك السعادة التى نسعى اليها جميعا ، والتى آمن الرجل بأن البشرية سوف تصل اليها حتما فى يوم ما ••

ولم يكن بيتهوفن مكتفيـا بترجمـة آرائه الى موسيقى فحسب فقد كانت له مواقف عملية فى غاية الشجاعه ، واستطاع بيتهوفن باصراره وعناده واعتزازه بنفسه وبفنه ، استطاع أن يغير نظرة الطبقات الحاكمة الى الفنان : ان هايدن وموزارت كانا يعيشان مع الخدم فى قصور الامراء ، ولم يتمكن هايدن من ان يحصل على معاملة لائقة من النبلاء الا بعد عدد من رسائل الاستعطاف المكتوبة ، كتبها الى عدد من الامراء والنبلاء ، وكان موزارت يتألم من وضعه فى صمت ، ولكن بيتهوفن ، كان يقول فى رسالة الى صديقه أمندا عن النبلاء والامراء :

ـ اننى استخدمهم كالآلات، أعزف عليها عندما يحلو لى ذلك ، انهم لن يكونوا أبدا جزءا من حياتى الخاصة ولا زملاء حقيقيين فى نشاطى .

وحدث أن دخـل بيتهوفن قصر الارشيـدوق رودلف ، فحاول حارس لا يعرفه أن يمنعه، فدفعه بيتهوفن وصـــاح فى وجهه [أنا بيتهــوفن ! » ودخل •••

وكان بيتهوفن ناقما على هذه الطبقة التى حققت لنفسـها كل الامتيـازات بـدون وجـه حق ، وكان يتحين الفرص ليبدى للامراء احتقاره الشديد لهم، وحدث أنه كان على بيتهوفن أن يقود أوركسترا فى قصر الامير لوبكوفيتش ، وكان أحـد عـازفى الباصون غائبا ، فقال له الامير (إن هذا لا يهم ، لنعزف من غيره ••) فغضب بيتهوفن وغـادر المكان وصـاح بأعلى صوته حتى يسمعه جميع الخدم : [الحمار لوبكوفيتش هذا ! ••] .

وحتى فى أوقات الشـدة ، كان يرفض مجاملة النبلاء من أجل لقمة العيش فهـا هو يكتب الى البارون سميكال :

ـ خزينتى فارغة فى انتظار أتعابى ، و «نحن» يا سيدى مضطرون الى أن « نتنازل » لنطلـب منك « سلفة » ••

وكان لبيتهــوفن عـدد لا يحصى من المـواقف المشابهة، ولكن لم تكن كل مواقفه كهذه أقرب الى الشطحات ، ويحكى أنه كان يتناول العشاء على مائدة الارشيدوق رودولف ، مع بعض ضيوفه من الضباط الفرنسيين ، وضايقه أحـدهم بسـؤال سخيف ، فقام بيتهوفن بعد العشاء ورفض أن يعزف على البيانو ، فهدده الارشيدوق بأن يأمر

بحبسه ان لم يعزف ، فهرب بيتهوفن الى منزل أحد معارفه ، وأراد أن يغادر البلاد ، ولكن كان يجب على الارشيدوق أن يوقع بنفسه على تأشيرة خروجه ، فأرسل فى طلب التأشيرة فحصل عليها ، ثم ارسل الى الامير يقول له :

ــ يا أمير ، ان كنت ما أنت ، فان ذلك بالصدفة ، وان كنت ما انا فان ذلك بنفسى ، كان هناك ملايين من الامراء ، ولن يكون هناك سوى بيتهوفن واحد !

وكان بيتهوفن ميالا الى الرمزية ، وكان الرمز الاساسى الذى ارتكزت اليه أعماله هو الصراع بين الخير والشر ، أو أسطورة بروميثيوث كما سبق توضيحه ، أما الرمز الاخر ، فكان الحب ، وكان الحب عند بيتهوفن احتياجا انسانيا اساسيا وليس فقط مصدرا للحنان والراحة ، فالانسان فى حاجة الى أن يوهب الحنان بقدر ما هو فى حاجة الى الشعور بدفئه ..

ويقول صديقه فيجلر « لم يكن بيتهوفن أبدا بغير حب ، وفى أغلب الاحيان كان يغرق فى الهوى ، ويأتى بانتصارات يصعب على آدونيس أن يأتى بمثلها .. »

ولكن بيتهوفن لم يكن يحاول أن يستفيد من مثل هذه الانتصارات ، وكان يحلم بالحياة العائلية ، ومع ذلك ، فشل فى أن يتزوج (فلم تكن السعادة مناخا مناسبا له) على حد قول أندية موروا . وكان بيتهوفن مرة أخرى واعيا برسالته وبدوره ؟ فكتب يقول :

لو انني استنفدت طاقتى الحيوية فى مباهج الدنيا ، فماذا كان يبقى لما هو أسمى وأفضل ؟

ولعله فعلا كان على حق .

هكذا كان بيتهوفن ، هكذا كان وعيه برسالته ؟ فقد كان دائما يتصرف بدوافع يحكمها التزامه العميق والواعى بدوره الاجتماعى والتاريخى كفنان ، حتى أنه كتب يقول فى وصية « هايليجنستادت » بعد أن وصل به بؤسه الى حد دفعه الى التفكير فى الانتحار !

« آه ! ــ يبدو لى مستحيلا أن أترك هذا العالم قبل أن أتم كل ما كنت أحس أنى مكلف به ! وهكذا عملت على اطالة تلك الحياة البائسة .. »

كان ملتزما بوعى وبصدق ، متمسكا بحق الانسان فى السعادة والحرية .. لم يضح بذلك أبدا ، ولا حتى فى ساعات الشقاء والبؤس ، وكان بوسعه أن يستغل عبقريته فى تجارة رخيصة للفن ، ولكنه كان فنانا ذا مبدأ ، لم يتخل عنه ، ولم ينحرف عنه قيد أنملة ، الى آخر نفس من أنفاسه .



مسئوليات مباشرة

كتب **عبد العال حنفى عجم** ــ مهاجر من السويس ومقيم بشبرا الخيمة ــ فى رسالة طويلة بعث بها حول قضية الصراع بين نضال شعبنا وآماله وبين قوى الاستعمار العالمى والقوى الرجعية ، فيقول :

... **لقد تعددت** المعارك بيننا وبين الاستعمار العالمى . وفى كل معركة كاد يتصور فيها أنه انتصر أو أوشك على الانتصار ، كانت جماهير الشعب تتحرك سريعا لتؤكد لكل القوى المعادية لشعبنا أنها يقظة وأنها واعية . أكدت جماهير الشعب هذه الحقيقة أكثر من مرة وكانت قمتها فى ٩ يونيو ثم ٢٨ ــ ٢٩ سبتمبر حين ظن الاستعمار

ان غياب المناضل عبد الناصر عن القيادة ، نهاية كل شيء .

ولكن هل انتهى تربص الاستعمار بنا وصراعنا معه؟ وهل فشل مخططاته أكثر من مرة تعنى أنه يياس من التربص بنا ؛ ذلك بالقطع غير صحيح ، لان الاستعمار العالمى واعوانه ، سوف يستخدمون كل الاساليب وكل درجات العنف ، لينالوا من الجبهة الداخلية ووحدتها .

ومن هنا فان واجبنا المباشر ، بناء ودعم وحدة القوى الثورية على المستوى المحلى والمستوى العربى . ونقطة البدء فى ذلك هو التنظيم السياسى للاتحاد الاشتراكى الذى يقع على عاتقه الان توفير كل الظروف الملائمة لبناء ودعم هذه الوحدة والتحرك ايجابيا لانجازها .

ومسئولية جماهير شعبنا مواصلة السير فى الطريق الذى بدأه المناضل عبد الناصر : طريق الاشتراكية ، لا للمحافظة فحسب على المكاسب الثورية التى تحققت ، بل ولتدعيمها وتحقيق المزيد منها وتطويرها .

●

بيان من التجمع النقابى العمالى الفلسطينى

جاءنا من « التجمع النقابى العمالى الفلسطينى » بيانا بمناسبة ذكرى تقسيم فلسطين، جاء فيه :

ان المؤامرة التى حيكت عام ١٩١٧ ، وعبر عنها وعد بلفور ، والتى بدأت حلقاتها بقرار التقسيم والتى كانت تهدف الى القضاء على القومية العربية ، ومنع الشعب العربى من بناء وحدته المنشودة .

نجد اليوم الامبريالية الامريكية وقاعدتها اسرائيل ، تريد أن تستمر فى تنفيذ حلقات تلك المؤامرة التى استهدفت فى مراحلها الاولى عرب فلسطين ، وفى حقيقتها تهدف الشعب العربى كله ، فها هى اسرائيل تحتل الان أجزاء من ج٠ ع٠ م وسوريا والجزء الذى لم تحتله من فلسطين سنة ١٩٤٧ .

ان العدوان الغاشم ما هو الا استمرار لتنفيذ حلقات المؤامرة ، فان وحدة كفاحنا المسلح على أرض المعركة فلسطين وتصميمنا وارادتنا وفهمنا لحقيقة العدو وحلفائه ، لابد أن تكون كفيلة بازالة آثار العدوان .

ان سنين التشرد لم تستطع أن تنال من عزيمة شعبنا .بل زادته ايمانا بحقه واصراره على حمل السلاح فى وجه الاستعمار والصهيونية وربيبتهم اسرائيل، وان اخفقت هيئة الامم المتحدة فى اعادة حقوق عرب فلسطين العادلة، فان شعبنا العربى الفلسطينى، ومن حوله الامة العربية المناضلة،لن ترمى السلاح حتى تحرر فلسطين والارض العربية وتبنى المجتمع الاشتراكى الوحدوى، وتقضى على كافة أشكال الاستعمار وعملائه وقاعدته .

لقد أثبتت الاحداث ، كما جاء فى خطاب رائد القومية العربية الزعيم الخالد [جمال عبد الناصر] ان الذى سلب منا بالقوة لا يمكن أن يسترد الا بالقوة . ان أمتنا العربية أمام امتحان تقدرنها وحدها بالحياه ويجب أن نجتاز جماهيرنا الفلسطينية والعربية هذا الامتحان بنجاح .

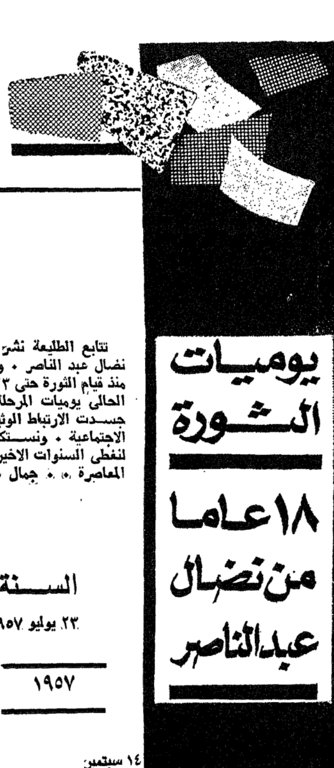
ان الاستعمار يريد استكمال فصول مؤامرته ، لذا علينا أن نعى جيدا ما يريده الاستعمار لنا ، علينا ان نبادر الى حمل السلاح لان الكفاح المسلح الموحد فى عصرنا هو السبيل الوحيد لنيل الاهداف وتحرير الارض ، واثبات الوجود .

يا جماهير عمال فلسطين المناضلة ...

انكم أنتم الزنود المفتولة القوية التى تبنى الحياة الرغدة ، ولكن لابد لكم الا أن تقوضوا دعائم الاستعمار وقاعدته اسرائيل حتى تحققوا المجتمع الاشتراكى العربى ، واتكم لستم وحدكم بالمعركة ، فان الشعب العربى المناضل كله معكم .

وقد خطى شعبنا العربى الثائر خطوة جبارة نحو الوحدة العربية الشاملة ، بقيادة اتحاد عربى ثورى يضم الجمهورية العربية المتحدة وليبيا والسودان وسوريا لتحقيق أمل الجماهير العربية .. بالحرية .. والاشتراكية .. والوحدة العربية طريق تحرير فلسطين . فهيا للكفاح . هيا الى استعادة حقوقكم المسلوبة .

يا شعبنا العربى الفلسطينى المناضل : اجعل من كل مناسبة مريرة ، وكل مؤامرة حيكت ضدك ذكرى تصميم واصرار وارادة على انتزاع حقك بالقوة ، وثق أنك بوعيك وبعزيمتك الفولاذية ، وفى توحيد كفاحك المسلح على أرض المعركة .. ستبلغ النصر .



تتابع الطليعة نشر يومياتالثورة المصرية : ١٨ عاما من نضال عبد الناصر . وقد خصصنا العدد السابق للمرحلة منذ قيام الثورة حتى ٢٣ يوليو ١٩٥٧ ، وننشر فى العدد الحالى يوميات المرحلة التالية حتى ٢٣ يوليو ١٩٦١ التى جسدت الارتباط الوثيق بين الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية . ونستكمل نشر بقية اليومياتفى العدد القادم لنغطى السنوات الاخيرة حتى وفاة قائد الثورة المصرية المعاصرة . جمال عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ .

السنة السادسة

٢٣ يوليو ١٩٥٧ — ٢٢ يوليو ١٩٥٨

١٩٥٧

١٤ سبتمبر

● وضعت مصر وسوريا خطة مشتركة لمواجهة اى عدوان استعمارى يقع على الشعب السورى .

١٣ اكتوبر

● نزلت قوات مصرية فى سوريا للاشتراك مع القوات السورية فى رد اى عدوان استعمارى يقع على سوريا ، طبقا لاتفاقية الدفاع المشترك المعقودة بين البلدين .

٣ نوفمبر

● انشاء هيئة الفتوة .

● صدر قرار جمهورى بالغاء مؤسسة مديرية التحرير وضمها الى هيئة اصلاح الاراضى البور .

٢٥ نوفمبر

● أعلن عن نجاح المباحثات مع الاتحاد السوفيتى ، بشأن مد مصر بالمصانع .

٥ ديسمبر

● القى الرئيس عبد الناصر خطابا فى مؤتمر التعاونيين أعلن فيه عن بناء المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى .

٢٣ ديسمبر

● كشف الرئيس عبد الناصر فى خطابه فى الاحتفال بعيد النصر فى بورسعيد ، عن محاولةمخابرات الدول الغربية احداث فتنة بين القوات المسلحة وتسليم الطيار عصام خليل ١٦٢ الف جنيه سلمها الطيار الى الرئيس .

أول يناير ١٩٥٨

● اعلن اول مؤتمر لشعوب التضامن الاسيوى الافريقى فى القاهرة توصياته بوجوب دعم التعايش السلمى وتاييد استقلال الشعوب وتاييد قرارات مؤتمر باندونج وحل المشاكل الدولية فى نطاق الامم المتحدة ونبذ سياسة الحرب والاستعمار والاحلاف .

٦ يناير

● وزير الدفاع البريطانى يصل الى مصر ويطلب من الحكومة المصرية العمل على اعادة العلاقات بين مصر وبريطانيا .

١٢ يناير

● سوكارنو يزور مصر ويتباحث مع الرئيس عبد الناصر فى توسيع امكانيات التعاون بين البلدين .

١٧ يناير

● بعث شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية برسالة الى الرئيس عبد الناصر يطلب فيها « باسم الشعب السورى » الاسراع فى تنفيذ « الاتحاد بين الشعبين المصرى والسورى .

٢٠ يناير

● اشتركت مصر فى مفاوضات مع البنك الدولى للانشاء والتعمير بشأن تعويض حملة اسهم شركة قناة السويس .

٢١ يناير

● جرت مفاوضات مع الاتحاد السوفيتى لتنفيذ برنامج العون الاقتصادى بين البلدين ومساهمة الاتحاد السوفيتى فى مشروعات التصنيع .

٢٤ يناير

● مجلس الوزراء السورى يوافق على جميع الخطوات التى اتخذت لتحقيق الوحدة بين مصر وسوريا .

٢٨ يناير

● بدأ تشكيل اللجان التنفيذية للاتحاد القومى فى الاقاليم .

٢٩ يناير

● وافق مجلس الامة المصرى بالاجماع على اتحاد مصر وسوريا .

● وافق مجلس الامة السورى بالاجماع على قيام الاتحاد .

٣٠ يناير

تقرر تخفيض ايجار المساكن بنسبة ٢٥ فى المائة .

أول فبراير

● اعلن فى القاهرة عن قيام الجمهورية العربية المتحدة نتيجة وحدة سوريا ومصر .

٢ فبراير

● اعلن شكرى القوتلى ترشيح الرئيس عبد الناصر لرئاسة الجمهورية العربية المتحدة .

٥ فبراير

● اقر كل من المجلس النيابى السورى ومجلس الامة المصرى رسميا بيان الوحدة المصرية السورية وقيام الجمهورية العربية المتحدة .

٧ فبراير

● صدر قرار بدعوة المواطنين المقيدة اسماؤهم فى جداول الانتخاب للاجتماع لابداء الرأى فى الاستفتاء على وحدة مصروسوريا وعلى شخص الرئيس يوم ٢١ فبراير ١٩٥٨ .

١٠ فبراير

● قدمت المانيا الديمقراطية قرضا صناعيا على شكل الات ومصانع قيمتها ٢٠ مليون دولار .

١٣ فبراير

● تقرر وقف الاستيراد بالعملات الاجنبية بصفةنهائية على ان يكون الجنيه المصرى وحده هو اساس التعامل فى عمليات الاستيراد .

١٩ فبراير

● بدات المباحثات فى روما بين مصر ومندوبى حملة اسهم شركة قناة السويس السابقة بشأن التعويضات .

٢١ فبراير

● تم الاستفتاء على الوحدة وشخص الرئيس ، ووافق ٩٩ر٩٩ فى المائة من مجموع الناخبين على قيام الجمهورية العربية المتحدة وانتخاب جمال عبد الناصر رئيسا لها .

٢٤ فبراير

● زار الرئيس جمال عبد الناصر الاقليم السورى لأول مرة والقى عدة خطب فى بعض المدن السورية ، واستقبل استقبالا شعبيا وصفته وكالات الانباء بأنه « لم يسبق له مثيل فى تاريخ سوريا » .

٥ مارس

● اعلن دستور الجمهورية العربية المتحدة المؤقت من ٧٣ مادة مقسمة الى خمسة أبواب .

٦ مارس

● اعلن الرئيس عبد الناصر تشكيل

اول وزارة للجمهورية العربية المتحدة • وقد احتفظ – كما ينص الدستور المؤقت – بمنصب رئيس الوزراء بوصفه رئيسا للجمهورية ومن بين من ضمتهم الوزارة كل من ::

اكرم الحورانى نائبا لرئيس الجمهورية •

صبرى العسلى نائبا لرئيس الجمهورية

عبد الحميد السراج وزيرا للداخلية بسوريا •

حسين الشافعى وزيرا للتخطيط ووزيرا للشئون الاجتماعية بمصر •

حسن جبارة وزيرا للتخطيط بسوريا •

مصطفى حمدون وزيرا للشئون الاجتماعية بسوريا •

نور الدين طراف وزيرا للصحة فى مصر •

شوكت القنواتى وزيرا للصحة فى سوريا •

احمد حسنى وزيرا للعدل فى مصر •

عبد الوهاب حومد وزيرا للعدل فى سوريا •

فتحى رضوان وزيرا للارشاد القومى •

د • محمود فوزى وزيرا للخارجية •

صلاح الدين البيطار وزيرا للدولة •

احمد حسن الباقورى وزيرا للاوقاف •

أحمد عبده الشرباصى وزيرا للاشغال فى مصر •

نور الدين كحالة وزيرا للاشغال فى سوريا •

محمد أبو نصير وزيرا للشئون البلدية والقروية فى مصر •

احمد عبد الكريم وزيرا للشئون البلدية والقروية فى سوريا •

عبد المنعم القيسونى وزيرا للاقتصاد والتجارة الخارجية فى مصر •

خليل الكلاس وزيرا للاقتصاد والتجارة فى سوريا •

كمال رمزى استينو وزيرا للتموين فى مصر •

سيد مرعى وزيرا للزراعة فى مصر •

احمد الحاج يونس وزيرا للزراعة فى سوريا •

فاخر الكيالى وزيرا للخزانة فى سوريا •

حسن عباس زكى وزيرا للخزانة فى مصر •

على صبرى وزيرا للدولة لشئون رئاسة الجمهورية •

عزيز صدقى وزيرا للصناعة •

مصطفى خليل وزيرا للمواصلات فى مصر •

امين النافورى وزيرا للمواصلات فى سوريا •

فتحى رزق نائبا لوزير الحربية •

٨ مارس

● اعلن قيام اتحاد فيدرالى بين الجمهورية العربية المتحدة وبين المملكة اليمنية وانشاء مجلس أعلى لاتحاد الدول العربية المتحدة •

١٢ مارس

● صدر قرار بحل الاحزاب السياسية فى الاقليم السورى •

١٠ ابريل

● وقع اتفاق ثقافى بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتى •

١٢ ابريل

● عقدت الجمهورية العربية المتحدة صفقة كبيرة لشراء طائرات نفاثة ت ١٠٤ لدعم القوات المسلحة •

١٥ ابريل

● تقدمت الجمهورية العربية المتحدة ، الى « مؤتمر أكرا » الذى عقد تحت شعار « افريقيا للافريقيين» بثمانية اقتراحات تنحصر فى وجوب تدعيم السلام والمطالبة بتحقيق مبادىء مؤتمر باندونج وقرارات مؤتمر القاهرة لتضامن الشعوب الافريقية والاسيوية •

٢٣ ابريل

● اعلن الرئيس عبد الناصر ان الجمهورية المتحدة تؤيد وقف التجارب الذرية تدعيما للتعايش السلمى •

٢٧ ابريل

● قرر مجلس جامعة الدول العربية تخصيص ميزانية سنوية ثابتة لمعونة الشعب الجزائرى وتأييد حركات التحرير

٢٨ ابريل

● الرئيس عبد الناصر يزور الاتحاد السوفيتى لاول مرة •

٢٩ ابريل

● تم التوقيع بالاحرف الاولى على اتفاقية التعويضات الخاصة باسهم شركة قناة السويس المؤممة بين الجمهورية العربية المتحدة وبين ممثلى حملة الاسهم والبنك الدولى للانشاء والتعمير •

٣٠ ابريل

● افرجت الولايات المتحدة عن أموال الجمهورية المتحدة المجمدة لديها •

٢ مايو

● تم بناء اول فرن ذرى فوق مساحة ٢٠٠٠ متر مربع بمدينة انشاص •

٧ مايو

● وافقت المانيا الغربية على المساهمة بمبلغ ٥٥ مليون مارك فى تكاليف مشروع السنوات الخمس •

١٧ مايو

● شبت الثورة فى لبنان ضد القوى الاستعمارية والموالية لها وحاصر الاسطول السادس الامريكى شواطىء لبنان بناء على طلب من شمعون رئيس جمهورية لبنان وقتذاك •

٢٣ مايو

● انشئت هيئة عامة لدعم الصناعة مهمتها العمل على تحسين مستوى الانتاج وتسهيل التسويق وتمويل المنشآت الصناعية •

٦ يونيو

● صدر قانون بتخفيض ايجارات المساكن ٢٠ فى المائة على جميع المبانى التى اقيمت بعد ٨ سبتمبر ١٩٥٨ • على أن يسرى اعتبارا من أول يوليو ١٩٥٨ •

١٤ يونيو

● صدر قرار جمهورى بتنفيذ اسس اتفاقية التعويضات المترتبة على تاميم شركة قناة السويس المعقودة فى ٢٩ ابريل ١٩٥٨ •

١٥ يونيو

● وصل كوامى نكروما رئيس جمهورية غانا الى القاهرة ، وتباحث مع الرئيس عبد الناصر وصدر بيان مشترك يعلن تمسك البلدين بمبادىء مؤتمرى باندونج واكرا •

٢٠ يونيو

● هدد وزير الدفاع الامريكى بضرب الجمهورية العربية المتحدة بالقنابل الذرية اذا اضطرت القوات الامريكية الى استخدام القوة للتدخل فى لبنان •

٢١ يونيو

● اعلن الرئيس عبد الناصر ان العرب لن يسكتوا على التهديد الامريكى • وأن امريكا تتهم الجمهورية المتحدة بالتدخل فى لبنان لتبرير تدخلها الاستعمارى فى المنطقة •

١٤ يوليو

● قام الجيش العراقي بثورة أطاحت بالنظام الملكي واعلن قيام الجمهورية العراقية ، كما اعلنت الثورة انسحاب العراق من الاتحاد الهاشمي مع الاردن والاعتراف بالجمهورية العربية المتحدة •

١٥ يوليو

● القوات البريطانية تنزل في الاردن •

● القوات الامريكية تنزل في لبنان •

١٦ يوليو

● أنذر الرئيس عبد الناصر بأن أي اعتداء على الجمهورية العراقية يعتبر اعتداء على الجمهورية العربية المتحدة •

١٨ يوليو

● قام الرئيس عبد الناصر بزيارة الاتحاد السوفيتي • زيارة مفاجئة اثر انتهاء رحلته الى يوغسلافيا •

١٩ يوليو

● عبد السلام عارف عضو مجلس قيادة الثورة العراقية ووفد من الوزراء العراقيين يجتمعون بالرئيس عبد الناصر في دمشق •

٢٢ يوليو

● أعلن الرئيس عبد الناصر في دمشق ان مباحثاته مع الزعماء السوفييت اثناء زيارته لموسكو تركزت حول وجوب تأييد العمل على وقف العدوان على الوطن العربي •

■ ■ ■

السـنة السـابعة

٢٣ يوليو ١٩٥٨ ـ ٢٢ يوليو ١٩٥٩

١٩٥٨

٢٧ يوليو

● افتتح الرئيس عبد الناصر مصنع الحديد والصلب بحلوان والقى خطابا شرح فيه السياسة الخارجية بانها سياسة مستقلة تنبذ الاحلاف والمواثيق •

١٢ أغسطس

● اعلن ايزنهاور مشروعه الثاني الذي يقضي بوضع قوة دولية في منطقة الشرق الاوسط بصفة دائمة تسمى «قوة السلام » •

٢١ أغسطس

● وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة على مشروع القرار العربي لحل الموقف المتأزم في لبنان والمنطقة العربية نتيجة تدخل القوات البريطانية والامريكية •

٤ سبتمبر

● افتتح الرئيس عبد الناصر مصانع الذخيرة الثقيلة وأعلن ان المصانع الحربية قضت على احتكار السلاح •

٢٠ سبتمبر

● صدور قانون بتمليك الاراضي الصحراوية للمواطنين بعد استصلاحها •

٧ أكتوبر

● اعلن تشكيل وزارة جديدة برئاسة جمال عبد الناصر ، من بينهم •

اكرم الحوراني ـ نائبا لرئيس الجمهورية •

الوزارة المركزية

اكرم الحوراني ـ وزيرا للعدل •

حسين الشافعي ـ وزيرا للشئون الاجتماعية •

محمود فوزي ـ وزيرا للخارجية •

عبد المنعم القيسوني ـ وزيرا للاقتصاد •

سيد مرعي ـ وزيرا للزراعة والاصلاح الزراعي •

حسن جبارة ـ وزيرا للخزانة •

صلاح الدين البيطار ـ وزيرا للارشاد القومي •

أمين النافوري ـ وزيرا للمواصلات •

بشير العظمة ـ وزيرا للصحة •

احمد حسن الباقوري ـ وزيرا للاوقاف •

احمد عبد الكريم ـ وزيرا للبلدية والقروية •

احمد عبده الشرباصي ـ وزيرا للاشغال •

عزيز صدقي ـ وزيرا للصناعة •

كمال رمزي استينو ـ وزيرا للتموين •

على صبري ـ وزير دولة لرئاسة الجمهورية •

كمال رفعت ـ وزير دولة لرئاسة الجمهورية •

فاخر الكيلاني ـ وزير دولة لرئاسة الجمهورية •

المجلسـان التنفيذيان من الاقلـيم المصري

نور الدين طراف ـ رئيسا للمجلس التنفيذي في الاقليم المصري •

احمد حسني ـ وزيرا للعدل •

عباس رضوان ـ وزيرا للداخلية •

أحمد نجيب هاشم ـ وزيرا للتربية والتعليم •

توفيق عبد الفتاح ـ وزيرا للشئون الاجتماعية •

حسن عباس زكي ـ وزيرا للاقتصاد •

أحمد المحروقي ـ وزيرا للزراعة •

حسن بغدادي ـ وزيرا للاصلاح الزراعي •

حسن صلاح الدين ـ وزيرا للخزانة •

ثروت عكاشة ـ وزيرا للارشاد القومي •

مصطفى خليل ـ وزيرا للمواصلات •

محمد محمود نصار ـ وزيرا للصحة •

محمد أبو نصير ـ وزيرا للبلدية والقروية •

موسى عرفة ـ وزير الاشغال •

فتحي رزق ـ وزيرا للصناعة •

في الاقليم السوري

نور الدين كحالة ـ نائبا لوزير التخطيط المركزي .
نهاد القاسمي ـ وزيرا للعدل .
عبد الحميد السراج ـ وزيرا للداخلية .
أمجد الطرابلسي ـ وزيرا للتربية والتعليم .
عبد الغني قنوت ـ وزيرا للشئون الاجتماعية .
خليل الكلاس ـ وزيرا للاقتصاد .
أحمد الحاج يونس ـ وزيرا للزراعة .
مصطفى حمدون ـ وزيرا للاصلاح الزراعي .
عبد الوهاب حومد ـ وزيرا للخزانة .
رياض المالكي ـ وزيرا للارشاد القومي .
محمد العالم ـ وزيرا للمواصلات .
شوكت القنواتي ـ وزيرا للصحة .
طعمة العودة الله ـ وزيرا للبلدية والقروية .
نور الدين كحالة ـ وزيرا للاشغال .
وجيه السمان ـ وزيرا للصناعة .

نواب لوزير الخارجية

١ ـ حسين ذو الفقار صبري .
٢ ـ فريد زين الدين .

٢١ أكتوبر

● صدر قانون تنظيم الجامعات في الجمهورية العربية المتحدة ووضع تخطيط جديد للسياسة التعليمية يتفق مع السياسة العامة للدولة .

١٥ نوفمبر

● تقرر صرف فائض أرباح الفلاحين في مناطق الاصلاح الزراعي وبيع أراضي المساكن المملكة لهم بالتقسيط .

٢٧ نوفمبر

● ألقى الرئيس عبد الناصر خطابا في المؤتمر التعاوني بالقاهرة شرح فيه معنى الاشتراكية الديمقراطية التعاونية وتحدث عن سياسة الدس التي يستخدمها الاستعمار للتفرقة بين الجمهورية العربية والدول الاخرى .

١٠ ديسمبر

● صدر قانون التأمين والتعويض عن اصابات العمل . وقد نص على منح العامل معاشا قدره ٦٠ في المائة من أجره اذا أصيب بعجز كامل . ومعاش ٥٠ في المائة لاسرة العامل المتوفى أو ورثته .

١٣ ديسمبر

● مؤتمر الغرف التجارية يقرر انشاء مجلس للوحدة الاقتصادية العربية وانشاء السوق العربية المشتركة .

١٥ ديسمبر

● تم توقيع اتفاقية تجارية ودفع في حدود ٣٠ مليون جنيه بين الجمهورية العربية والصين الشعبية .

١٦ ديسمبر

● اشترت الجمهورية العربية المتحدة من اليابان ٦ قطع بحرية من ناقلات البترول .

١٨ ديسمبر

● الاحتفال بعيد العلم لاول مرة في مصر .

١٩ ديسمبر

● تقرر البدء في تنفيذ مشروع السد العالي ، وتوقيع اتفاقية مع الاتحاد السوفيتي لتمويل السد العالي .

٢٣ ديسمبر

● الاحتفال بعيد النصر على العدوان الثلاثي .

● الرئيس عبد الناصر يلقي خطابا في بور سعيد يقول فيه « اننا نريد تحويل أفراد الشعب الى ملاك في دولة تعاونية ولن نقبل تحكم رأس المال والاقطاع » . وقد هاجم الرئيس في خطابه الشيوعيين العرب واتهمهم بمعارضة الوحدة العربية .

٣١ ديسمبر

● طالبت الجمهورية العربية المتحدة بتعويضات عن حرب السويس قدرها ٣٦ مليون جنيه من بريطانيا ، والافراج عن كل الارصدة المجمدة منذ تأميم شركة قناة السويس البالغ قدرها ٩٠ مليون جنيه .

أول يناير ١٩٥٩

● بدأت المباحثات بين الجمهورية العربية المتحدة وبريطانيا بشأن الافراج عن الارصدة المجمدة والتعويضات عن خسائر حرب السويس .

● وصل الى القاهرة يوجين بلاك مدير البنك الدولي .

٥ يناير

● وصل الى القاهرة أوتوجروتفول رئيس وزراء المانيا الديمقراطية واجتمع بالرئيس عبد الناصر .

٦ يناير

● وصل الى القاهرة أمنتوري فانفاني رئيس وزراء ايطاليا واجتمع بالرئيس عبد الناصر .

٧ يناير

● وصل الى القاهرة داج همرشولد واجتمع بالرئيس عبد الناصر .

١٢ يناير

● تعديل قانون الشركات ويقضي بتخصيص ٥ في المائة من الارباح الصافية للشركة لشراء سندات حكومية وذلك بعد توزيع ربح لا يقل عن ٥ في المائة من رأسمالها على المساهمين . كما يقضي التعديل بالا يزيد ما يصرف للمساهمين من أرباح الشركة في سنة ما عن المبالغ التي وزعت فعلا عام ١٩٥٨ مضافا اليها ١٠ في المائة على الاكثر من قيمة هذه التوزيعات .

١٦ يناير

● تم التوقيع بالاحرف الاولى على الاتفاق بين الجمهورية العربية المتحدة وبريطانيا بشأن الافراج عن الارصدة المصرية المجمدة ورفع الحراسة على الممتلكات البريطانية .

٢٠ يناير

● أبدت بريطانيا رغبتها في عودة العلاقات الدبلوماسية مع الجمهورية المتحدة .

أول فبراير

● صدر القرار الجمهوري بشأن اتفاقية القرض السوفيتي لتمويل المرحلة الاولى من السد العالي .

٢٠ فبراير

● زار تيتو رئيس جمهورية يوغوسلافيا ، الجمهورية العربية وصدر بيان مشترك يؤكد تصميم الدولتين على مواصلة بذل الجهود فى سبيل تدعيم السلام وتحقيق التعاون الدولى الشامل المبنى على المساواة والاحترام التام لاستقلال الدول وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للاخرين والاعتراف بحق الدول جميعا فى تقرير مصيرها حسب مقتضيات ظروفها •

٢٨ فبراير

● اعلن بدء العمل فى أول مدينة ذرية عربية •

١٢ مارس

● الرئيس عبد الناصر يلقى خطابا يتحدث فيه عن الموقف فى العراق ويعلن فيه أن عبد الكريم قاسم قد خان عروبته واتبع أساليب نورى السعيد وفاضل الجمالى •

٢٥ مارس

● تم اجتماع بين الرئيس عبد الناصر والرئيس اللبنانى فؤادشهاب على الحدود بين الاقليم السورى ولبنان • وأعلنا الرئيسان تأكيد ضرورة تدعيم التضامن العربى والحرص على توثيق روابط الاخوة وتنمية التعاون المتبادل بين الجمهورية العربية المتحدة ولبنان •

١٧ ابريل

● صدر قرار بالغاء أوراق النقد من فئة ١٠٠ جنيه و ٥٠ جنيها •

٢٦ ابريل

● أعلن ان ميزانية التعليم ارتفعت الى ٤٢ مليون جنيه •

١٩ مايو

● ظهور أول سيارة من انتاج الصناعة المصرية « رمسيس » •

٣ يونيو

● الرئيس عبد الناصر يؤكد على نقطتين أساسيتين فى رسم الخطة :

١ ـ مضاعفة الدخل القومى فى أقل من عشرين سنة •

٢ ـ وجوب تحديد اتجاه اجتماعى للخطة يحقق العدالة فى توزيع نتائجها •

٨ يونيو

● صدر قرار بفتح باب الترشيح لعضوية لجان الاتحاد القومى •

٢٧ يونيو

● اتفاق الوفدين المصرى والسوفيتى على التصميمات النهائية للسد العالى •

٩ يوليو

● بدأ الاتحاد القومى يزاول نشاطه بعد أن تمت انتخابات القاعدة الشعبية •

■ ■ ■

السـنة الثـامنة

٢٣ يوليو ١٩٥٩ ـ ٢٢ يوليو ١٩٦٠

١٩٥٩

٢٥ يوليو

● الرئيس عبد الناصر يتحدث عن دور رأس المال الخاص فى المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى ، ويعلن أن الحكومة على أتم استعدادللتعاون مع رأس المال الخاص وأن توفر له السبل بكل وسيلة ما دام يحقق الخدمة العامة للمجتمع •

٢٦ يوليو

● مصر تنذر اسرائيل بانها لن تمر من قناة السويس •

٧ سبتمبر

● عقد فى القاهرة مؤتمر للاحتجاج على تفجير فرنسا قنبلتها الذرية فى صحراء الجزائر •

٧ نوفمبر

● الرئيس عبد الناصر يهاجم سياسة عبد الكريم قاسم الغير قومية فى العراق •

● الرئيس عبد الناصر يشرح خطة التنمية والبرنامج الكامل الذى وضع لها والخطوات فى سبيل حياة ديمقراطية سليمة •

٨ نوفمبر

● الاحتفال بتوقيع الاتفاق مع السودان بشان مياه النيل •

● السودان يوافق على انشاء السد العالى والجمهورية العربية توافق على انشاء خزان الروصيرص •

١٠ نوفمبر

● بدات محادثات عبد الناصر ـ سيهانوك (كمبوديا) للعمل على تقوية الروابط بين دول الحياد •

١٦ نوفمبر

● صدرت اللائحة التى تنظم

اختصاصات المجالس الشعبية للاتحاد القومى وتنظم أعمالها .

٢ ديسمبر

● بحث مشروعات اسرائيل لاغتصاب مياه نهر الاردن والاجراءات العربية المضادة .

٢٢ ديسمبر

● تم توقيع قرض البنك الدولى لتمويل مشروع توسيع قناة السويس ، قيمة القرض ٥٦٫٥ مليون دولار .

٧ يناير ١٩٦٠

● محمد الخامس ملك المغرب يزور القاهرة .

٩ يناير

● الرئيس عبد الناصر والملك محمد الخامس يعطيان اشارة البدء فى بناء السد العالى .

١١ يناير

● بدء توليد الكهرباء من خزان أسوان .

١٨ يناير

● الرئيس عبد الناصر ونيكيتا خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى يتبادلان الرسائل حول اتفاق الاتحاد السوفيتى على تمويل المرحلة الثانية للسد العالى .

٢٤ يناير

● بدأ ايرهارد نائب رئيس وزراء المانيا الغربية ، زيارته للقاهرة .

٥ فبراير

● الرئيس عبد الناصر يصدر قرارا بالعفو الشامل عن جميع المصريين الذين صدر فى حقهم أحكام عقابية من كل من محكمة الثورة ومحكمة الغدر .

١٨ مارس

● اجراء تعديل فى الوزارة ينص على تعيين كل من :

● حسنى الصواف ـ وزيرا للاقتصاد بالاقليم السورى .

اكرم ديرى ـ وزيرا للعمل والشئون الاجتماعية بالاقليم السورى .
جادو عز الدين ـ وزير دولة لرياسة الجمهورية .
أحمد حنيدى ـ وزيرا للاصلاح الزراعى بالاقليم السورى .
يوسف مزاحم ـ وزيرا للاوقاف بالاقليم السورى .
جمال الصوفى ـ وزيرا للتموين بالاقليم السورى .
ثابت العريس ـ وزيرا للثقافة والارشاد القومى بالاقليم السورى .

٢٥ مارس

● صدر قانون الادارة المحلية (الحكم المحلى للمحافظات)

٢٨ مارس

● الرئيس عبد الناصر يبدأ زيارته الرسمية لباكستان والهند .

٢٢ ابريل

● الرئيس سوكارنو يبدأ مباحثات رسمية مع الرئيس عبد الناصر فى القاهرة .

٣٠ ابريل

● بدأت مقاطعة السفن الامريكية فى ٢١ ميناء عربيا بعد أزمة مقاطعة الباخرة كليوباترا فى الموانى الامريكية .

٢ مايو

● قبول استقالة أمين النافورى وزير المواصلات المركزى وأحمد عبد الكريم وزير الشئون البلدية والقروية المركزى

٧ مايو

● الرئيس عبد الناصر يعلن فى المنصورة أن تسليح أمريكا لاسرائيل مؤامرة هدفها القضاء على القومية العربية .

١٣ مايو

● أعلن عن تكوين المؤتمر العام للاتحاد القومى .

١٦ مايو

● الرئيس عبد الناصر يبدأ مباحثات رسمية جديدة مع نهرو رئيس وزراء الهند فى القاهرة .

٢٣ مايو

● صدر قانون تنظيم الصحافة الذى يقضى بأن تؤول ملكيتها للاتحاد القومى ، بعد أن كانت ملكا لافراد أو لشركات رأسمالية ، وتوزيع نصف الارباح السنوية على عمال ومحررى دور الصحف .

٥ يونيو

● الرئيس عبد الناصر يبدأ زيارته الرسمية الى اليونان ويوغوسلافيا .

٢٣ يونيو

● الرئيس عبد الناصر يعلن فى الاسكندرية تأييده للمقترحات السوفيتية بشأن نزع السلاح الكامل الشامل تحت رقابة دولية فعالة .

٢ يوليو

● بلغ عدد أعضاء المؤتمر العام للاتحاد القومى، ٨١٠ عضوا منتخبا من الاقليم المصرى و ٥٠٤ عضوا منتخبا من الاقليم السورى بالاضافة الى ٦٥٧ معينين من الاقليمين .

● وصل حجم الميزانية الى ٧٠٠ مليون جنيه .

٣ يوليو

● تخفيض الضرائب على الفئات ذات الدخل المحدود .

٩ يوليو

● افتتاح المؤتمر العام للاتحاد القومى .

١٠ يوليو

● أعلن أن خطة السنوات الخمس تتطلب ١٦٩٧ مليون جنيه كاستثمارات جديدة .

١٤ يوليو

● المؤتمر العام للاتحاد القومى يحدد القواعد العامة التى يجرى على أساسها تشكيل مجلس الامة . وينص على أن الوزراء لا يدخلون المجلس كأعضاء وعلى كل وزير منهم أن يقدم استقالته اذا سحب المجلس منه الثقة ، كما تقرر أن يتكون مجلس الامة الجديد من ٦٠٠ عضو ، ٤٠٠ من الاقليم المصرى و ٢٠٠ من الاقليم السورى . والى أن يتم تشكيل المجلس الجديد تقرر أن يكون جميع أعضاء مجلس الامة المصرى السابق ممن فازوا فى انتخابات القاعدة الشعبية للاتحاد القومى ، أعضاء فى المجلس المؤقت على أن تطبق نفس القاعدة على أعضاء مجلس النواب السورى السابق عند اعلان الوحدة .

١٥ يوليو

● الرئيس عبد الناصر يعلن فى رسالة لنكروما رئيس جمهورية غانا أن طائرات الجمهورية العربية المتحدة تحت تصرف حكومة غانا لنقل قوات غانا الى الكونجو ٠

● الرئيس يعلن فى رسالة الى داج همرشولد السكرتير العام للامم المتحدة عن استعدادالجمهورية لكل ما يطلب منها لمساعدة شعب الكونجو ٠

١٦ يوليو

● الجمهورية العربية المتحدة تعلن عن استعدادها بتقديم المساعدات للكونجو ٠

● المؤتمر العام للاتحاد القومى يصدر قراراتهالنهائية التىبلغت ٢٧٥ قرارا فى الشئون الداخلية والعربية والدولية ٠

١٧ يوليو

● صدر قرار بالاستيلاء على جميع مخازن الادوية والكيماويات والمستلزمات الطبية لدى المستوردين ووكلاء الشركات ٠ كما تقرر انشاء مؤسسة عامة تابعة للدولة تتولى استيراد الادوية والاشراف على توزيعها ٠

١٨ يوليو

● صدر قرار جمهورى بالتشكيل الكامل لاعضاء مجلس الامة الوحدوى ٠

١٩ يوليو

● صدرت القوانين الخاصة بوضع الخطة الخمسية موضع التنفيذ ٠

٢١ يوليو

● بدأ الارسال التليفزيونى لاول مرة فى الجمهورية العربية المتحدة ٠

٢٢ يوليو

● اجتماع مجلس الامة الوحدوى وانتخاب أنور السادات رئيسا لمجلس الامة ٠

■ ■ ■

السنة التاسعة

٢٣ يوليو ١٩٦٠ – ٢٢ يوليو ١٩٦١

١٩٦٠

٢٣ يوليو

● ظهور الطائرة العربية «القاهرة» المصنوعة بمصر لاول مرة ٠

● رءول كاسترو وزير الدفاع فى حكومة كوبا الثورية يشارك فى احتفالات الثورة بالقاهرة ٠

٢٤ يوليو

● افتتاح الاستاد الرياضى الجديد بمدينة نصر ٠

٧ أغسطس

● القاهرة تعلن رسميا استعدادها لمعاونة الكونجو عسكريا ٠

٨ أغسطس

● اتصالات بين الرئيس عبد الناصر ونكروما رئيس جمهوريةغانا وسيكتورى رئيس جمهورية غينيا ، لمواجهة التطورات الخطيرة فى أزمة الكونجو ، نتيجة التدخل الاستعمارى فى شئونه ٠

١١ أغسطس

● الرئيس عبد الناصر يرسل برقية الى مويس تشومبى بعد أن أعلن انفصال اقليم كاتنجا عن الكونجو ، يقول له فيها « ان تفتيت الكونجو لن يفيد سوى الاستعمار الطامع فى ثرواته » ٠

١٢ أغسطس

● همرشولد يطلب كتيبة عربية لتشترك فى قوات الامم المتحدة فى الكونجو ٠ والقاهرة توافق على طلب همرشولد ٠

١٤ أغسطس

● طارت من القاهرة الكتيبة العربية التى طلبتها الامم المتحدة ، الى الكونجو ٠

٢٧ أغسطس

● تم توقيع الاتفاق بين الجمهورية العربية والاتحاد السوفيتى لتمويل المرحلة الثانية من السد العالى ٠

١١ سبتمبر

● تقرر أن يرأس الرئيس عبد الناصر وفد الجمهورية العربية المتحدة فى دورة الجمعية العامة ٠

١٢ سبتمبر

● القاهرة تقرر سحب كتيبة المظلات العربية من الكونجو ، لان قيادة قوات الامم المتحدة خرجت عن المهمة الموكلة اليها تنفيذها ، وانحيازها ضد القوى الوطنية والسلطه الشرعية التى تمثلها حكومة باتريس لومومبا ٠

٢٠ سبتمبر

● تم اجراء تعديل فى الوزارة ، كما ضمت :

نور الدين كحالة – نائبا لرئيس الجمهورية ووزيرا مركزيا للتخطيط ٠

نور الدين طراف – وزيرا مركزيا للصحة ٠

عبد الحميد السراج – رئيسا للمجلس للثقافة والارشاد القومى ووزيرا للثقافة بالاقليم الشمالى ٠

فاخر الكيالى – وزيرا مركزيا للعدل ٠

طعمة العودة الله – وزيرا مركزيا للشئون البلدية والقروية ووزيرا للشئون البلدية والقروية بالاقليم الشمالى ٠

محمد العالم – وزيرا مركزيا للمواصلات ووزيرا للمواصلات بالاقليم الشمالى ٠

جادو عز الدين – وزيرا مركزيا للثقافة والارشاد القومى ووزيرا للثقافة بالاقليم الشمالى ٠

عبد القادر حاتم – وزيرا للدولة ٠

٢٤ سبتمبر

● الرئيس عبد الناصر يجتمع بتيتو وخروشوف ونكروما بعد وصوله الى نيويورك لحضور اجتماع الجمعية العامة للامم المتحدة ٠

٢٥ سبتمبر

● الرئيس عبد الناصر يجتمع بكاسترو بحى هارلم بنيويورك •

٢٦ سبتمبر

● الرئيس عبد الناصر يجتمع بايزنهاور ونهرو والحسن وتيتو فى نيويورك •

٢٧ سبتمبر

● الرئيس عبد الناصر يلقى خطابا فى الجمعية العامة للامم المتحدة يوجه فيه نداء الى ايزنهاور وخروشوف ويدعوهما للاجتماع فورا من أجل السلام •

ويطالب بضم الصين الشعبية للامم المتحدة • وبازالة القواعد العسكرية والقضاء على الاسلحة النووية وخفض ميزانيات التسلح •

٢٨ سبتمبر

● الرئيس عبد الناصر يستقبل هارولد ماكميلان رئيس الوزراء البريطانى بنيويورك لاول مرة بعد العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ وقطع العلاقات بين مصر وبريطانيا •

٢٩ سبتمبر

● عقد فى نيويورك مؤتمر لاقطاب الحياد الخمسة عبد الناصر - تيتو - نهرو - سوكارنو - نكروما •

١٢ أكتوبر

● الرئيس عبد الناصر يقدم تقريرا لمجلس الامة عن نتائج زيارته للامم المتحدة •

أول نوفمبر

● الرئيس عبد الناصر يعلن فى يوم الاحتفال بثورة الجزائر فى القاهرة أن مساندة الجمهورية العربيةلشعب الجزائر لا تقف عند حد •

٥ نوفمبر

● بدأت زيارة أيوب خان رئيس جمهورية باكستان للقاهرة •

١٥ نوفمبر

● الرئيس عبد الناصر يبدأ زيارته للسودان •

أول ديسمبر

● صدر قرار جمهورى بتأميم البنك البلجيكى فى الجمهورية العربية المتحدة وشركة الكهرباء المصرية ومرفق الترام •

٣ ديسمبر

● مندوب الجمهورية العربية فى الامم المتحدة يحمل همرشولد مسئولية حياة لومومبا بعد أن تم القبض عليه من جانب القوى الاستعمارية والعميلة فى الكونجو •

● الدكتور مراد غالب سفير الجمهورية العربية فى الكونجو يغادر ليوبولدفيل مع جميع افراد السفارة ، الى القاهرة •

٤ ديسمبر

● الرئيس عبد الناصر يبعث برسائل عن أزمة الكونجو الى كل من نهرو رئيس وزراء الهند ونكروما رئيس جمهورية غانا وسيكوتورى رئيس جمهورية غينيا وهيلاسلاسى امبراطور الحبشة ومحمد الخامس ملك المغرب وسوكارنو رئيس جمهورية اندونيسيا •

٨ ديسمبر

● الرئيس عبد الناصر يبعث برسائل خاصة الى عدد من زعماء الدول الافريقية والاسيوية شارحا أسباب سحب القوات العربية من الكونجو •

● الجمهورية العربية تصدر بيانا تفصيليا عن موقفها من أزمة الكونجو وتبعث به الى الدول الاعضاء فى الامم المتحدة •

٩ ديسمبر

● القاهرة ترفض المساهمة فى نفقات القوات الدولية فى الكونجو وتطلب تحميل بلجيكا جميع النفقات •

١٤ ديسمبر

● الجمهورية العربية المتحدة تعلن انها ستسلح جيش الصومال الوطنى •

١٧ ديسمبر

● مظاهرة شعبية ضخمة فى القاهرة لاستنكار المجازر الرهيبة التى ارتكبها الفرنسيون فى الجزائر •

١٩ ديسمبر

● صدر بيان مشترك عن محادثات الرئيس عبد الناصر مع ادوارد كارديلى نائب رئيس جمهورية يوغوسلافيا • ويعلن البيانتصميم البلدينعلى استخدام طاقاتهما من أجل الحيلولة دون عودة السيطرة الاستعمارية فى الكونجو ومن أجل وقف اراقة الدماء فى الجزائر وضرورة اعتراف فرنسا باستقلالها •

٣ يناير ١٩٦١

● الرئيس عبدالناصر يصل الى الدار البيضاء لحضور مؤتمر أقطاب دول الدار البيضاء ويستقبل استقبالا شعبيا ضخما •

٦ يناير

● الرئيس عبد الناصر يطالب بحلول عملية لمشكلة الكونجو لا مجرد قرارات حماسية وذلك من أجل تمكين الشعب الكونجولى من ممارسة سيادته •

● مؤتمر دار البيضاء يعتبر اسرائيل قاعدة عدوانية استعمارية ضد الشعوب الافريقية •

● الرئيس عبد الناصر يعلن ان الصحراء الكبرى لم تعد فاصلا بين دول افريقيا •

١٥ يناير

● الموافقة على تبادل السفراء مع بريطانيا بعد أن وافقت لندن على طلبات الجمهورية المتحدة الخاصة بفتح قنصليات فى هونج كونج وسنغافورة وليفربول ومانشستر •

١٧ يناير

● حكومة الكونجو (كازافوبو) تتهم الجمهورية العربية المتحدة بارسال طائرة تحمل مساعدات لانصار لومومبا • والقاهرة تذيع بيانا رسميا تؤكد فيه أن الطائرة حصلت على اذن من الامم المتحدة •

٢٣ يناير

● الرئيس جمال عبد الناصر يدعو مجلس الامة لوضع دستور دائم للجمهورية العربية المتحدة •

٦ فبراير

● مجلس الامة يقرر تكوين لجنة لوضع الدستور من ٩٠ عضوا يمثلون جميع المهن والاتجاهات •

١٣ فبراير

● الرئيس عبد الناصر يعلن أن جريمة اغتيال لومومبا سوف تؤرق الضمير الانسانى كله •

١٤ فبراير

● الجمهورية المتحدة تعترف بانطوان جيزنجا رئيسالوزراء الكونجوبعداغتيال لومومبا •

١٥ فبراير

● القاهرة تخرج فى جنازة شعبية من أجل لومومبا •

● أبناء لومومبا يحضرون مؤتمرا شعبيا فى القاهرة •

١٦ فبراير

● زوجة لومومبا تطير الى القاهرة لتقيم بها مع أولادها •

١٧ فبراير

● القاهرة تعتبر أن أمريكا مسئولة قبل غيرها عن جريمة اغتيال لومومبا •

١٨ فبراير

● القبض على مساعد المستشار الصحفى بالسفارة الامريكية فى القاهرة وهو يوزع منشورات تهاجم الدول التى تؤيد لومومبا ، اجراء التحقيق معه وابعاده •

٢١ فبراير

● وافق مجلس الامن على مشروع قرار قدمته الجمهورية المتحدة وليبريا وسيلان بشأن استخدام القوة فى الكونجو لوقف الحرب الاهلية التى تثيرها القوى الاستعمارية والعميلة .

٢٥ فبراير

● قطع العلاقات الدبلوماسية بين القاهرة وبروكسل .

١٣ مارس

● القاهرة تقرر دعوة مجلس الامن الى اجتماع طارىء لبحث مؤامرة تصفية استقلال الكونجو .

● الرئيس عبد الناصر يعلن تأييد الجمهورية العربية المتحدة لاية تسوية لمشكلة الجزائر تقبلها الثورة الجزائرية .

٢٤ مارس

● افتتاح مؤتمر الشعوب الافريقية فى القاهرة .

● الرئيس عبد الناصر يقول لوفود المؤتمر ان المعركة ضد الاستعمار مستمرة . ويحدد ان خطان وقع فيهما النضال الافريقى : ١ - استسلام الاستعمار . ٢ - تفرق كلمة افريقيا . وقدطلب الرئيس بازالة القواعد العسكرية الاجنبية واستعادة الاراضى والمناجم الافريقية .

١١ ابريل

● بلغت ميزانية الدولة (الاقليم المصرى) ٧٧٤ مليون جنيه .

١٣ ابريل

● افتتاح مشروع الصوت والضوء السياحى الثقافى للاهرام وابى الهول بالجيزة .

١٧ ابريل

● تيتو يزور الجمهورية المتحدة .

١٨ ابريل

● بعث الرئيس عبد الناصر برسالة الى فيدل كاسترو يعلن فيها تأييد الجمهورية العربية المتحدة لكوبا ضد العدوان الامريكى وان مايتعرض له شعب كوبا يعد جريمة ضد السلام العالمى وضد الضمير الحر للانسانية .

٢٢ ابريل

● البيان المشترك بين عبد الناصر وتيتو يعلن استنكار العدوان على كوبا ومنع استخدام القوة فى حل المنازعات العالمية .

٤ مايو

● الرئيس عبد الناصر وتيتو يبعثان برسالة الى رؤساء الدول غير المنحازة يطلبان فيها بعقد اجتماع لرؤساء هذه الدول .

٦ مايو

● الدخل الزراعى يبلغ ٤١٤ مليون جنيه عام ١٩٦٠ بزيادة قدرها ١٦٢ مليون جنيه عن عام ١٩٥٢ . (الاقليم المصرى) .

● تم استصلاح ١٠٤٦١٠ فدانا من الاراضى البور سنة ١٩٥٢ حتى عام ١٩٦٠ . (الاقليم المصرى) .

٨ مايو

● سيكوتورى يجتمع بالرئيس عبد الناصر فى القاهرة .

١٥ مايو

● الرئيس عبد الناصر يقول لجريدة التايمز البريطانية « ابعدوا الحرب الباردة عن افريقيا » .

● القاهرة تتلقى رسائل من عدد من رؤساء الدول الموافقة على حضور مؤتمر عدم الانحياز .

١٦ مايو

● الرئيس عبد الناصر يبحث فى القاهرة مع سيكوتورى وسوكارنو اجتماع رؤساء دول عدم الانحياز .

٣٠ مايو

● الجمهورية العربية المتحدة تقطع العلاقات الدبلوماسية مع حكومة جنوب افريقيا بسبب سياستها العنصرية ضد الافريقيين .

٣ يونيو

● الاسقف مكاريوس فى القاهرة . الرئيس عبد الناصر يقول لمكاريوس ان انتصار الحرية فى قبرص تامين للحرية فى الجمهورية المتحدة .

٥ يونيو

● افتتاح الاجتماع التمهيدى لمؤتمر الدول غير المنحازة فى القاهرة .

● وضع خمسة شروط للدول التى تريد الاشتراك فى المؤتمر .

١ - ان تكون سياستها مستقلة مبنية على التعايش السلمى وعدم الانحياز . أو يكون اتجاهها وديا ازاء هذه السياسة . ٢ - أن تكون مؤيدة لحركات التحرر الوطنى . ٣ - ان تكون غير مشتركة فى أى حلف عسكرى جماعى يجعلها طرفا فى الصدام بين الدول الكبرى . ٤ - أن تكون غير مشتركة فى أى تحالف ثنائى مع دولة كبرى . ٥ - الا تكون قد سمحت لدولة أجنبية باقامة قواعد عسكرية فى اراضيها .

١٢ يونيو

● موديبو كيتا (مالى) فى القاهرة لاجراء محادثات مع الرئيس عبد الناصر .

● الرئيس ناصر والرئيس كيتا يستنكران فشل الامم المتحدة فى الكونغو ويقرران أن اسرائيل راس جسر للاستعمار فى أفريقيا والشرق الاوسط .

● الجمهورية المتحدة تمد مالى بقرض قدره ٦ ملايين جنيه يسدد على ٧ سنوات .

٢٢ يونيو

● وافق مجلس الامة على مشروع القانون الخاص بتنظيم الازهر وتطويره كجامعة عصرية تهتم بالعلوم الحديثة بالاضافة الى علوم الشريعة والفقه الاسلامى .

٢٧ يونيو

● القاهرة تعلن أن حل ازمة الكويت - العراق التى اثيرت بسبب مطالبة عبد الكريم قاسم رئيس حكومة العراق بضم الكويت ، يجب أن يعتمد على مبادىء النضال العربى وعلى أساس « اننا نؤيد منطق الوحدة ولا نؤيد منطق الضم » .

٢٨ يونيو

● توقيع اتفاقية اقتصادية جديدة بين القاهرة وبون .

٤ يوليو

● صدر قرار بان يقتصر الاستيراد من الخارج على الشركات الحكومية والمصانع .

٥ يوليو

● الجمهورية العربية المتحدة تعلن فى مجلس الامن المطالبة بجلاء القوات البريطانية فورا عن الكويت جلاء تاما .

● القاهرة توافق على انضمام الكويت الى الامم المتحدة

٧ يوليو

● القاهرة تشترى صواريخ لابحاث الفضاء .

٩ يوليو

● أحمدو بيللو رئيس وزراء نيجيريا الشمالية يجرى مباحثات مع الرئيس عبد الناصر فى القاهرة .

١٠ يوليو

● الرئيس عبد الناصر يؤكد لوفد حكومة الجزائر المؤقتة استمرار المساعدات للجزائر حتى تتحقق أهدافها . نقل ملكية شركة بواخر البوستة الخديوية الى الدولة . وضم كل شركات الملاحة الى هيئة حكومية .

● نقل ملكية ٤ شركات لكبس القطن وانشاء مؤسسة عامة لكبس القطن تضم هذه الشركات .

● تعديل قانون المناقصات والمزايدات لمسايرة نظام الاستيراد الجديد .

● قصر أعمال الوكالات التجارية على الشركات الحكومية والمؤسسات العامة التى تساهم الحكومة باكثر من ٢٥ فى المائة من رأس مالها .

١٢ يوليو

● القاهرة توافق فى اجتماعات مجلس الجامعة العربية على ارسال قوات عربية الى الكويت من دول ليست لها جبهات مشتركة مع اسرائيل .

١٩ يوليو

● بدء صدور « قرارات يوليو الاشتراكية » (فى اقليمى الجمهورية) القرارات تنص على :

- تخصيص ٢٥ فى المائة من أرباح المؤسسات والمشروعات والشركات لعمالها .
- ان يكون العمال ممثلين فى مجالس الادارات .
- الحد الاقصى للمرتبات فى الشركات والمؤسسات ٥ آلاف جنيه سنويا .
- ضريبة الدخل تصل الى ٩٠ فى المائة اذا زادت عن ١٠ آلاف جنيه .

٢٠ يوليو

● استمرار صدور قرارات « يوليو الاشتراكية » - القرارات تعلن - فى الاقليم المصرى .

- تأميم جميع البنوك وشركات التامين و ١٤٩ شركة أخرى .
- تملك القطاع العام لما قيمته ٥٠ فى المائة من ٩١ شركة .
- ١٥٩ شركة تحدد الملكية الفردية الخاصة فى ١٥٩ شركة أخرى بما لا يزيد عن ١٠ آلاف جنيه (قيمة سوقية) .
- اسقاط الالتزام عن مرفق ترام القاهرة وشركة ليبون للكهرباء بالاسكندرية .

وتعلن فى الاقليم السورى : تاميم عدة شركات أهمها الشركة الخماسية وذلك بعد تاميم جميع المصارف والبنوك السورية .

٢١ يوليو

● صدر قانون يمنع شغل الشخص اكثر من وظيفة واحدة فى وقت واحد .

٢٢ يوليو

● الرئيس عبد الناصر يتحدث الى الجماهير فى احتفال أعياد الثورة فيقول : « ان الاشتراكية طريق لا نهاية له ، لانها تطوير مستمر للمجتمع يساير احتياجاته » .

● اعلان تخفيض ساعات العمل الى ٧ ساعات بدلا من ٨ ساعات .

● اعلان أن بنك التسليف الزراعى سيقدم القروض للفلاحين بدون فائدة .

- خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بالازهر (٢ نوفمبر ١٩٥٦)

((البقية فى العدد القادم))

شركة القاهرة للأدوية

الخدمات الاجتماعية :

شركة القاهرةللادوية لا تدخر جهدا فى سبيل توفير وسائل الراحة للعاملين بها، من أجل رفع مستوى معيشتهم • وتقدم الشركة الخدمات الاتية :

العلاج :

بالشركة عيادتان احداهما بالمصانع والاخرى بالادارة ، ويقوم بالعمل بهما طبيب وطبيبة وهيئة تمريض كاملة • وتصرف الادوية بالمجان للحالات العامة . أما الحالات التى تحتاج الى رعاية الاخصائيين أو الى مزيد من الابحاث الطبية أو العمليات الجراحية فتحول الى مستشفى دار الشفاء • وتتحمل الشركة كافة نفقات العلاج •



كل هذا تقوم به الشركة من ناحية علاج الافراد مع توفير الادوية وتسهيل كافة نواحي العلاج الاخرى ومن ناحية علاج الاسر فان اللجنة النقابية قد اتفقت مع احد الاطباء على الكشف على عائلات العاملين وتقوم الشركة بصرف الادوية لهم مجانا •

الغذاء :

بالشركة مطعم حديث يتسع لحوالى الف عامل وعاملة تقدم فيه الوجبات الغذائية نظير مبلغ رمزى •

دار الحضانة :

وتعد الشركة دارا لحضانة اطفال العاملات لتوفير كل سبل الراحة والرعاية الصحية والاجتماعية للجيل الجديد •

الانتقالات :

ومساهمة من الشركة فى تيسير انتقال العاملين بها فانها تقوم بنقلهم فى سياراتها الخاصة من والى منازلهم فى الصباح والمساء •

الملابس :

تمد الشركة العاملين بها بالملابس اللازمة حسب طبيعة عملهم حتى يستطيعوا تاديته باتقان فى ظروف صحية •

المكتبة والخدمات الثقافية والرياضية

بالشركة مكتبتان تتوفر فيهما الكتب الثقافية ، لرفع المستوى الثقافى بين العاملين هذا بخلاف المكتبات العلمية بادارتى الابحاث والتخطيط .

وبالشركة فريق لكرة القدم وآخر لكرة السلة وتهتم الشركة بالرحلات فتنظم اللجنة النقابية رحلات ترفيهية وثقافية فى كثير من المناسبات ، وتتوفر فى هذه الرحلات الروح الديمقراطية والاشتراكية وتقوم الشركة ايضا بتنظيم قضاء الاجازة الصيفية فى الاسكندرية بأجر رمزى زهيد للعاملين واسرهم •

الادارة والعلاقات العامة : ٤٦ مكرر ش القصر العينى ت ٩٤٠٢٥/٩٥ القاهرة
٧٩ طريق الحرية ت ٣٢٤٠٤ الاسكندرية

الطليعة عام ١٩٧٠

فهرس كامل بما نشر من مقالات وتقارير ووثائق يناير – ديسمبر ١٩٧٠

■ الجمهورية العربية المتحدة :

■ سياسة عامة

■ تنظيم سياسى :

■ قضايا فكرية وأيديولوجية :

■ تاريخ :

الوطن العربى

الصراع العربى الاسرائيلى

الوطن العربى :

أفريقيا

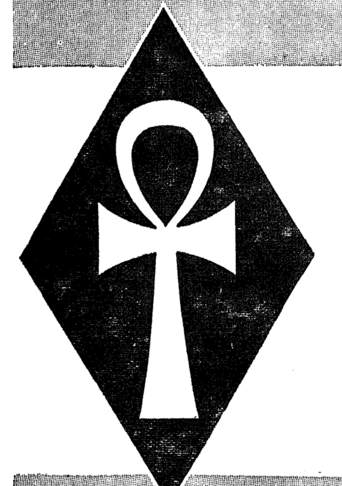
آسيا

العالم الغربى

العالم الشيوعى

أمريكا اللاتينية

مفتاح الحياة
عند قدماء المصريين



رمز
كيما
للجودة
والانطلاق

بإنتاجها الجديد

نتروكيما ٣١٪ آزوت

أعلى نسبة في الآزوت تضاعف
خيرات أرضنا الطيبة وترفع
مستوى الإنتاج الزراعي

شركة الصناعات الكيماوية المصرية «كيما» بأسوان

إحدى شركات المؤسسة المصرية
العامة للصناعات الكيماوية



الثمن ١٠ قروش

مطابع الأهرام التجارية

الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر

العدد الثانى - السنة السابعة - فبراير ١٩٧١

- المنظمات الجماهيرية وتعبئة الجبهة الداخلية
- موقع السد العالى من نضالنا الوطنى والاجتماعى
- حوار حول العلوم الإنسانية
- رسائل من بوخارست - نيقوسيا
- يوميات الثورة
- ملف الطليعة عن التعليم
- حول تكتيك عبور الموانع المائية

الفهرس

العدد الثانى — السنة السابعة — فبراير ١٩٧١



طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

■

عنوان المراسلات :

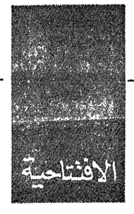
مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون ٤٦٤٦٤ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج.ع.م ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعـــة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ــ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الـــرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حيـــاتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » ! .



موقــع الســـد العـــــالى من نضالنا الوطنى والاجتماعى

فى ١٥ يناير الماضى عاشت البلاد يوماتاريخيا مجيدا هو يوم اعلان الانتهاء من بناء سد أسوان العالى • وهو أيضا يوم الاحتفال بذكرى القائد الخالد **جمال عبد الناصر** • وهكذا أدى التقاء المناسبتين الى أن يصبح سد أسوان لا مجرد بناء صلب شامخ فحسب ، بل وقوة معنوية ، وشاهدا ورمزا حيا يرتفع امام كل قوى الثورة فى البلاد : فيه نتعرف على المرحلة الشاقة التى قطعها حتى الان بكل صعوباتها وتضحياتها ، وفيه نتعرف ـ من واقع التجربة التى عاشتها ـ من اجل بناء السد بناء السد على منهج واضح وراسخ للعمل الوطنى فى المراحل المقبلة •

ولقد يصح ان يقدم السد العالى الى الناس فى لغة الارقام : كم تكلف البناء من جهد واموال ، وماذا اعطى وماذا سيعطى الاقتصاد القومى ، فى المستقبل القـريب للصناعة وللزراعة ، ولانارة آلاف من قرى الريف تدخلهـا الكهربـاء لاول مـرة فى تاريخها ••

وربما يصح ـ فى هذا المقام أيضا ـ أن يزكى السد العـالى من زاويـة الخبـرات المكتسبة ، وعلى أساس عدد العمال المهرة الذين تخرجوا فـى مـدرستـه ، وعـدد المهندسـين والفنيين ـ عمـوما ـ الذين أجابوا بنجاح على المشكلات التى طرحها بناؤه •

ان كل هذا ، هام وضرورى فى الواقع • ولابـد مـن أن تـوضـع الارقـام والوقائع والخبرات ، وتقدم الى جمـاهير العمال والفـلاحين والمثقفين وذلك بالكيفيـة التى تعمق فى وجدانهم حقيقة العمل الوطنى الذى انجزوه ، وتدعوهم الى الانشغال به ، والسـهر على الاسـتفادة منه بأكثر الطرق ترشيدا ، وخدمة لمصلحة تطور الاقتصاد الوطنى فى مجموعه • نقول كل هذا واجب بل لعله أن يكون جزءا من الثقافة السياسية التى يتعين على التنظيم السياسى أن يباشرها فى كافة مستوياته •

غير انه ، مع اهمية دراسة الارقام والخبرات يتحتم أيضا ان نهتم بالتأكيد على الدلالات الرئيسية التى ينطوى عليها انتصار الشعب فى بناء السد :

والدلالة الاولى هى أن سد أسوان العالى يجسد الاندماج التام والتلاحم بين معاركنا الوطنية من اجل الاستقلال والسيادة القومية وبين معارك الشعب من اجل القضاء على الفقر والجهل والمرض ، من أجل التقدم والاشتراكية • فلم يكن صدفة أن جمال عبد الناصر كان قد بادر الى ضرب احتكار من اقوى واعتى الاحتكارات العالمية الامبريالية : « شركة قناة السويس » ليوفر المال اللازم لبناء السد • كما لم يكن صدفة أيضا ان يستقر للسد هذا المعنى الوطنى فى وجدان الجماهير الشعبية التى استقبلت جمال عبد الناصر غداة عودته من الاسكندرية حيث أعلن تأميم القناة • كان هتاف الجماهير وشعارها الراعد « سنبنى السد » منذ ذلك الوقت حزمت القيادة الوطنية أمرها ، ووضعت اقدامها على الطريق المستقل للبناء الاقتصادى : هذا الطريق الذى يبدأ بتصفية مواقع الامبرياليين الاقتصادية ، فى بلد خضع دهرا للسيطرة الامبريالية ، لكن قوى الامبريالية العالمية أدركت بدورها هذه الدلالة ، ورأت فيها بادرة خطرة مدمرة لمواقعها ولمصالحها • ومن ثم أجابت عام ١٩٥٦ على هذه الخطوة بحرب تداعى اليها – أن ذاك – اعضاء الحلف البريطانى الفرنسى الاسرائيلى • وقد لخص عبد الناصر فيما بعد وفى بعض احاديثه هذه المرحلة عندما أشار الى أن بناء السد العالى (أى تحرير اقتصادنا القومى) كلفنا حربا حقيقية ، هى حرب السويس •

هنا ندرك ونحن نحتفل بانتهاء السد العالى ان هذا الانجاز انما يقع فى قلب المعركة الحالية ، معركة تصفية العدوان الاسرائيلى الذى وقع عام ٦٧ • فبعد حرب السويس مضت البلاد بتصميم أكبر على طريق تحرير الاقتصاد القومى من روابط التبعية الامبريالية ، ورفضت كل وعد او وعيد من جانب الاستعمار الجديد بزعامة الولايات المتحدة الامريكية ، لقد مضت البلاد على طريق التحولات الاقتصادية والاجتماعية التى بدأت بقرارات يوليو ٦١ التى صنعت البورجوازية الكبيرة وأنزلت المزيد من الضربات ببقايا الملكية الاقطاعية ، واقامت القطاع العام ورتبت للعمال والفلاحين عددا من المكتسبات والحقوق كان اهم نتائجها على المستوى السياسى ، عزل قوى الثورة المضادة والقضاء على أملها فى اللعب على المشاكل التى تواجه العمال والفلاحين • وعلى العكس ، وفيما بعد أثبت تطور الاحداث انه ما أن تعرض أزمة او مناسبة قومية حتى تقف جماهير العمال والفلاحين وتبادر دفاعا عن قضايا الاستقلال القومى والتقدم الاجتماعى •

ولقد جاءت حرب ٦٧ ، كما جاءت حرب السويس لتحقق نفس الهدف الذى عجز الامبرياليون وشركاؤهم الصهيونيون عن تحقيقه بحرب ٥٦ ، الا وهو : وقف وأجهاض حركة التطور الاجتماعى والبناء الاقتصادى فى البلاد •

واذا كانت صدمة العدوان الاسرائيلى قد خلقت جوا ساعد قوى الثورة المضادة على أن تروج لمزاعمها القائلة بأن « العمل من أجل التقدم والاشتراكية » هو الذى أوقع البلاد فى هزيمة يونيو ، واذا كانت بعض القوى الاجتماعية الاخرى التى تزعمتها البيروقراطية العسكرية وقوى اليمين التى حاولت أن تضرب قيادة عبد الناصر فى أغسطس ٦٧ قد طالبت – هى أيضا – بوقف السير على طريق التقدم الاجتماعى ، وتجميد حركة الثورة – نقول اذا كان هذا كله قد حدث ، فقد حدث أيضا أن وقعت بعض القوى الوطنية فى شرك الشعار القائل بأن معركتنا الحالية مع العدو معركة وطنية صرفة ، وأنه يجب – حفاظا على الوحدة الوطنية – أن تجمد وأن تتوارى « شعارات

الاشتراكية » حتى يتم تحرير البلاد • لكن عبدالناصر الذى كان قد أوضح ـ بكل جلاء ـ أن عدوان يونيو قد استهدف فى الاساس ردالبلاد عن طريق الثورة الاجتماعية ، أكد بأن النضال الوطنى التحريرى من أجل ازالة آثار العدوان لا يعنى بحال وقف العمل من أجل التقدم الاجتماعى •

هنا أيضا نذكر أن الذين وقفوا ضد اقامة السد لم يكونوا الامبرياليين وحدهم ، بل لقد أوضحت معركة السد حقيقة أن الطبقة الرأسمالية الاقطاعية قد رفضت أن تضع أموالها من أجل اقامة هذا المشروع القومى • وظل السد عشرات السنين فكرة على الورق لا تخرج الى حيز التنفيذ • والواقع أن موقف هذه الطبقة الاجتماعية هو موقف الطبقة البرجوازية فى كل البلدان النامية ، هذه الطبقة التى لا توظف رأس المال الا فى المشروعات التى تدر عائدا سريعا • لكن السد لم يكن من قبيل هذه المشروعات • لهذا ابتعدت عنه ورفضت ـ كموقف عام ـ أن تشارك فى مشروعات التنمية • وهذا ما دعا السلطة الثورية فى عام ٦١ الى أن تصفى مراكزها ، باعتبارها امتدادا للرأسمالية العالمية التى تعارض التنمية والتحرر الاقتصادى فى جميع البلدان النامية •

وهنا بالدقة يتأكد معنى قولنا أن اتمام السد العالى والاحتفال باعلان الانتهاء من بنائه يقع ـ من حيث دلالته ـ فى قلب معاركنا الوطنية والاجتماعية ، وعلى الاخص فى قلب معركتنا مع العدو الصهيونى الامبريالى • ذلك أن الامر المؤكد أن معركتنا مع هذا العدو الشرس ستكون طويلة ومريرة ، هى معركة استراتيجية بكل معنى الكلمة ، ولن يغير من هذه الحقيقة نجاحنا المرحلى فى تصفية عدوان ٦٧ • ذلك أن العدو ـ حتى بعد تصفية هذا العدوان ـ سيظل هو العدو : الصهيونية التوسعية أداة وشريكة الامبريالية الامريكية • ولسوف يحاول العدو أن يفرض علينا المعركة تلو المعركة مقاتلا بعناد ضد أهداف الحرية والاشتراكية والوحدة العربية •

واذا كانت هذه المعركة الاستراتيجية تتطلب شيئا فانها تتطلب ـ فى المقام الاول ـ تصورا استراتيجيا ، وخطا سياسيا ، يضع فى الاعتبار حقيقتين :

الاولى : أن بلادنا ستظل أمدا طويلا تحارب المعارك الوطنية بمضمونها الاجتماعى العميق والمتزايد العمق • وان هذا وحده يحدد خط تجميع وتعبئة القوى الاجتماعية الاستراتيجية والاعتماد عليها فى الاساس ، وهى القوى صاحبة المصلحة فى اقامة وبناء الاشتراكية ، هى ـ باختصار ، وفى الاساس ـ قوى العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين •

اما الحقيقة الثانية : انه اذا كانت معاركنا واشتباكاتنا مع الاعداء ستستمر من وقت لآخر ، ولزمن طويل ، ولمرحلة تاريخية بأكملها هى مرحلة اتمام التصفية الكاملة للمواقع والنفوذ الامبريالى ـ على الاقل فى الشرق العربى ـ فان هذا كله يتطلب أن تكون لبلادنا خطة قومية تحكم كل مظاهر البناء الاقتصادى والاجتماعى ، تضع للتنمية اهدافا محددة فى اطار الاستجابة لمصالح الطبقات الشعبية ، وتطوير قوى الانتاج ، وذلك بالكيفية التى تمكن بلادنا من الافادة بمنجزات الثورة العلمية والتكنولوجية •

● ●

والدلالة الثانية التى ينطوى عليها قيام السد تتمثل فى أن نجاح الشعب والقيادة الثورية فى اتمام بنائه يفصل بين أسلوبين ويفرق بين منهجين •

هناك من جانب اسلوب مواجهة المشاكل مواجهة ثورية ، وتقديم المنهج الثورى لحلها • وهناك من جانب آخر المنهج الاصلاحى الذى يفشل فى الرد على متطلبات وضع هو بطبيعته وضع ثورى • والفرق بين المنهجين هو أن الثوريين يحددون أهدافهم مدخلين الواقع فى اعتبارهم ومتجاوزين – فى نفس الوقت – حدود هذا الواقع •

وبعبارة أخرى ، فان الثوريين يحددون التغيير المطلوب اعتمادا على القوى الكامنة فى صفوف أوسع الجماهير ، وعلى الثقة فى مقدرة هذه الجماهير البسيطة التى حرمت من التعليم والثقافة على الاستجابة لوضع أو لموقف ثورى ، وذلك متى تمت توعيتها بمتطلبات هذا الموقف • اما « الاصلاحيون » فيبدأون من زاوية ضيقة ، هى الادعاء بأن الجماهير « **غير واعية** » و « **غير مثقفة** » أو أنها عاجزة عن تحقيق الطفرة • وهم بالتالى يفرضون وصايتهم عليها ويعطلون مبادراتها الخلاقة •

وهكذا ، اذا عدنا بنظرنا أربعة عشر عاما الى الوراء لرأينا ان قوى الامبرياليين كانت تضغط بكل عنفوانها على قادة البلاد لتضع مصر فى دائرة نفوذها • هذا على الصعيد الخارجى • وعلى الصعيد الداخلى ، كان مجرد التفكير فى حل مجموع المشكلات المالية والفنية والادارية والاجتماعية المتعلقة ببناء السد فى بلد فرض عليه التخلف وحرم على عماله وفلاحيه من فرص التعليم ، كل هذا كان كفيلا باشاعة روح اليأس والهزيمة وترجيح كفة الاصلاحيين وتغليب وجهة نظرهم •

لكن الذى حدث ، هو أن أسلوب بناء السد كان فى الاساس اسلوبا « ثوريا » ، من حيث أن بناءه مر عبر معركة وطنية لتصفية مواقع الرأسمالية العالمية ، معركة تمت فيها ايقاظ وتعبئة أوسع الجماهير فى بلادنا ، ودعوتها الى بناء بلادها وتحرير اقتصادها القومى • ولقد ظلت هذه المعانى سائدة تؤثر فى جموع العاملين فى بناء السد وتحفزهم الى ضرورة انجاز المشروع • وفى ظل مناخ وطنى وتعبئة سياسة لم تتوقف صمد ابناء العمال والفلاحين ولم تكن لهم خبرات سابقة ، بل واكتسبوا خبرات وعادات جديدة • وصمد المثقفون الذين اشتركوا فى البناء امام ظروف جوية وطبيعية قاسية • وفى ظل قيادة فنية وادارية مستنيرة قام هذا المشروع العظيم •

وان تجربة السد لتضع ايدينا على الاسلوب الثورى الذى ينبغى أن يطبق على نطاق قومى من اجل بناء أعظم المشروعات المطلوبة لارساء الاساس المادى امام التحولات الاجتماعية الكبرى • أن تجربة بناء السد ، تلخص – باختصار – هذه الخبرة :

وهى أن ايقاظ الجماهير وتثقيفها سياسيا باهمية هذا العمل الوطنى أو ذاك ، واثارة حماسها ، وتقديم الحوافز المادية والمعنوية للعاملين ، وحشد وتوفير القيادات المقتدرة ، كل هذا انما يفتح الطريق امامها لتحقق منجزات تدخل فى باب المعجزات •

ونستطيع بعد ذلك ، أن نقرر مطمئنين الى أنه اذا كان السد العالى على اهميته وضخامته يمثل مشروعا محدودا فان شعبنا بعماله وفلاحيه ومثقفيه الثوريين مستعدون وقادرون على الدوام لكى يملأوا بلادنا بانجازات ضخمة مماثلة وجديدة • هذا يتطلب الامر أن ترسم وتحدد وتوضع امامهم الاهداف بوضوح •

وهنا نعود مرة اخرى الى الاهمية الملحة لوجود خطة قومية للتنمية ، واذا كان لنا أن نرحب فى الواقع بما اشارت اليه الصحف فى الفترة الاخيرة من الاتجاه الى

وضع خطة خماسية للتنمية على النطاق القومى ، فان لنا أن ندعو الى حشد جهود المختصين حتى لا يتأخروا فى تقديم مشروع هذه الخطة ليطرح بعد ذلك بالطريق الديمقراطى على الشعب فى كافة تنظيماته ومواقع عمله • ذلك أن وجود خطة للتنمية تضمن تطويرا حقيقيا لقوى الانتاج ، وتأخذ باحدث منجزات العلم الحديث ، وتستهدف تحسنا ثابتا ومضطردا برفع مستوى معيشة العمال والفلاحين ، وتقضى على الفروق الفاحشة بين الدخول ، وتقدم للشعب الحجم والنوع المكنين من الخدمات الصحية والتعليمية والثقافية ، نقول ان وجود خطة قومية للتنمية بهذا المعنى ، انما يعنى فى واقع الامر أن الشعب انما يوضع فى وضع التعبئة الثورية التى تمكنه من أن يبنى اكثر من سد عال فى كل مجال ، أى أن يعزز مكتسباته وأن يردع بوعي ويحسم كل قوى العدوان الخارجى وكل قوى الرجعية الداخلية •

ثم نأتى الى الدلالة الثالثة لانتصار الشعب فى أتمام بناء السد العالى ، وسوف نرى أن هذه الدلالة تمثلها هذه الحقيقة وهى :

أن التعاون المتبادل والمنزه مع أسرة البلدان الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى انما يشكل فى عالم اليوم ، وبالنسبة للبلدان المتحررة ، ضمانة اساسية لتحقيق التقدم الاجتماعى بسرعة اكبر وعلى قاعدة أكثر ثباتا •

وهذه الحقيقة ليست مجرد فكرة أوصياغة نظرية مجردة ، وانما تؤكدها وتدلل عليها الشواهد العملية وذلك على مدى المراحل التى مر بها التعاون والصداقة العربية السوفيتية منذ عقد صفقة الاسلحة والقضاء على احتكار السلاح •

ان هذه الحقيقة كانت أيضا – وفى الايام الاخيرة موضع اهتمام الرئيس **انور السادات** فى لقاءاته السياسية التى عقدها فى اكثر من مكان • لقد عقد الرئيس السادات مقارنات بسيطة وحاسمة بين موقفين : موقف الولايات المتحدة الامريكية التى تتحدث عن مد يد المساعدة للبلدان النامية ولكنها عند الامتحان لا تقدم سوى معونات رمزية لا تصلح باية حال لتطوير الاقتصاد القومى بكيفية تدعم استقلال البلاد •

ان امريكا – كما أوضح الرئيس – لم تقدم لنا مصنعا واحدا يمكن أن يكون له وزن فى بناء الصناعات الاساسية التى يتطلبها بناء اقتصاد قومى مستقل ، وعلى العكس من ذلك كان موقف الاتحاد السوفيتى الذى لم يقصر تعاونه معنا على المجالات العسكرية ، بل لقد تعاون أكثر فى مجال انشاء صناعات حيوية ورئيسية فى بناء عشرات المصانع ، وفى مجال البحث عن البترول ، وتطوير الزراعة ، وفى مجال تقديم الخبرة الفنية •

هكذا ، لم يكن من قبيل الصدفة أن ترفض الولايات المتحدة الامريكية أن تتعاون مع بلادنا فى تمويل مشروع السد ، ولم يكن من قبيل الصدفة أيضا أن يقبل الاتحاد السوفيتى أن يشارك بالمال وبالخبرة فى بنائه • ذلك أننا – ببساطة – أمام قوتين بينهما تناقض أساسى لا سبيل الى تخطيه أوتجاوزه : هناك من جانب الولايات المتحدة الامريكية زعيمة المعسكر الامبريالى ، وقائدة قوى الاستعمار الجديد وهدفها الذى لا تحيد عنه احتواء البلدان النامية وادخالها تحت أشكال مختلفة فى نظام التبعية لسيطرة الاحتكارات العالمية • وهناك – من جانب آخر – الاتحاد السوفيتى الذى يقف فى طليعة قوى الاشتراكية العالمية ، والذى تجمعه مع البلدان النامية وحدة النضال ضد قوى الامبريالية العالمية ، ومن أجل التقدم الاجتماعى •

ومن هنا ندرك ، لماذا جاءت موافقة الاتحاد السوفيتى على بناء السد لتشكل بداية لتعاون امتد وتدعم وأصبح يشكل أساسا ونموذجا لهذه الصداقة التى تقوم

على احترام السيادة القومية والمنفعة المتبادلة وعدم التدخل في الشئون الداخلية ٠

ولكننا ، من هنا ندرك أيضا ، لماذا وصلنا الى الصياغة التى انتهى اليها فكر جمال عبد الناصر عندما حدد أن صداقتنا مع الاتحاد السوفيتى ليست صداقة مرحلية : بل صداقة استراتيجية ٠

وتكمن سلامة هذا التصور فى أن عبد الناصر بذكاء القائد الثورى ـ قد لخص فى تلك الصياغة ، وفى غمرة نضاله ضد قوى الامبريالية العالمية ، السمة الرئيسية لعصرنا والتى تتمثل فى قيام وانتصار الاشتراكية كنظام عالمى ، ذلك أن وجود هذا النظام انما يلعب دورا أساسيا فى خلق الظروف الدولية المواتية أمام البلدان النامية ، لكى تشرع فى حل مشكلاتها متحررة من الشروط التى يحاول الامبرياليون أن يفرضوها على هذه الدول ٠ ان قيام نظام الاشتراكية العالمى يضعف ـ الى حد كبير ـ من قوة الضغوط السياسية والاقتصادية التى يمارسها الامبرياليون على البلدان النامية والمتحررة ويمكنها فى نهاية الامر ـ وبفضل القيادات الثورية والوطنية المستنيرة أن تنجو من الوقوع فى مصيدة العلاقات الاقتصادية الرأسمالية ، وتحفظ لنفسها طريقا مستقلا للنمو وللتطور يفتح بحق ـ وبوتيرة أسرع ـ طريق التقدم الاجتماعى ، بل يفتح فى ظروف معينة طريق التطور الاشتراكى ٠

واذا صح بعد ذلك أن علاقات بلادنا مع الاتحاد السوفييتى قد أصبحت مثلا يحتذى فى بلدان العالم الثالث ، فانه لهذا السبب ركز الامبرياليون وأعوانهم الرجعيون ـ ويركزون ـ كل مجهوداتهم من أجل تخريب الصداقة العربية السوفييتية بكل الوسائل المتاحة لديهم ، الى هذا الخطر أيضا نبه الرئيس السادات فى لقاءاته الاخيرة بالمواطنين ، وفيها دعا الى اليقظة الكاملة ، مبينا أن الدوائر الامريكية تحاول أن تنشر سموم الفرقة بين بلادنا وبين الاتحاد السوفييتى ٠

على أن الامر المؤكد هو أن وعى الجماهير كفيل باحباط مساعى الامبرياليين والرجعيين ٠ ذلك أن صداقة بلادنا مع الاتحاد السوفييتى تقوم على أسس راسخة ٠ انها ترتكز بلا شك على منجزات مادية صلبة كالسد العالى وصناعات الحديد والصلب والسلاح الحديث الذى يتسلح به جنودنا وضباطنا ٠ لكن لعل أقوى هذه الاسس وأشدها رسوخا هو أن علاقتنا الحرة مع الاتحاد السوفييتى هى ثمرة الوطنية المستنيرة ، التى تميز بين الصديق وبين العدو ، وأن هذه الصداقة قد تمت واشتد عودها فى لهيب معاركنا المجيدة على امتداد الجبهات الوطنية والاقتصادية والاجتماعية ٠

أما الاحتفالات التى جرت فى أسوان باعلان الانتهاء من بناء السد العالى فقد كانت مظاهرة للصداقة والاخاء ، كما كانت تأكيدا لضرورة استمرار سياسة ناضل من أجلها جمال عبد الناصر : سياسة التحرر الوطنى ، ودعم الجبهة المعادية للامبريالية ، سياسة التقدم الاجتماعى ، والتعاون من أجل صيانة السلم العالمى ٠

« الطليعة »

الجبهـــة الداخليـــة والمؤسسات الشـعبية

فى الحرب الحديثة تصبح الارض كلهـا عرضة للانتهاك ، وجميع السـكان مهددين بالعدوان ، ومن ثم يصبح كل مواطن مسئولا عن حماية الوطن والذود عنه .

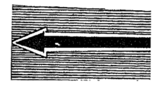
ان جبهة القتال وقوى الصدام العسكرى مع العدو هما حصيلة وثمرة السـكيان الاكبر المتمثل فى الجبهة الداخلية وقــوى الشعب العاملة ، اى أنهما جزء من كل ، يتأثر بالاوضاع السائدة فى المجتمع ، فالروح القتالية بين الجنود والقدرات النضالية للقوات المسلحة هى انعكاس لمـا هــو ســائد فى الجبهة الداخلية ، ونتــاج طبيعى لحــالة التعبئــة والتنظيم ومدى الفاعلية فى توجيه الطاقات البشرية والموارد الاقتصادية فى خدمة جبهة القتال ومن أجل المعركة .

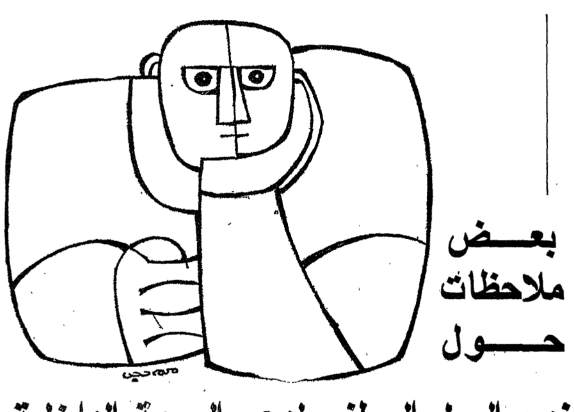
والتاريخ المعاصر بأجمعه يؤكد حقيقة أن الانسان هو العنصر الحاسم للنصر فى أية معركة ، وليس بالسلاح وحده يمكن احراز النصر ، بل بالوعى والتنظيم والتصــميم على القتال فى قضية عادلة ، فلقد هزمت أعظم أجهزة عسكرية عرفها التاريخ أمام عزيمــة الانسان المناضل فى بلدان « متخلفة » .

والســلاح الحاسم فى أية معركة هــو وحدة الصف ، فالجبهة الداخلية هى الصخرة التى تتحطم عليها أية محــاولات مهما بلغت ضراوتها ، كما أن التنظيمات الشعبية هى بمثابة الجهاز العصــبى للامــة ، يربط بين جميع خلاياها ، ويعبىء نشاطها فى خــدمة المجموع ، ومن هنا تبدو أهمية هذه المؤسسات فى معركتنا المصيرية الراهنة .

وكما لا يمكن الحديث عن جبهة القتــال فى انعزال عن الجبهة الداخلية ، كذلك تستحيل تعبئة طاقات الاخيرة بدون تنشيط ، ودعــم المؤسسات الشعبية بالديموقراطية والمشاركة الجماهيرية الواسعة والواعية لكل القــوى العاملة ، وفى مقدمتها العمال والفلاحــون ، عماد معركة التحرر الوطنى والاجتماعى .

واذ ينبىء تطور الاحداث باننا على مشارف مرحلة حاسمة من تاريخنا ، يتوقف نجــاحها على صلابة الجبهة ومن ثم المؤسسات الشعبية تقدم « الطليعة » هذه الدراسة عن الجبهة الداخلية .





بعض ملاحظات حول منهج العمل الوطنى لدعم الجبهة الداخلية

ميشيل كامل

لقد أصبح من البديهيات التى تجمع عليها كل القوى الوطنية أن كسب معركة التحرر الوطنى يتوقف على النجاح فى التعبئة الشاملة لكل طاقات المجتمع وحشد قوى الجبهة الداخلية . حقا ، سبق أن حاولت بعض قوى التحالف – او بالاحرى البورجوازية الوطنية بالذات – أن تصور المعركة على أنها العمل العسكرى وحده ، أن تحدد نطاقها **على خط القتال ، وقواها بأنها الجيش النظامى دون غيره ، وكان هدفها من ترويج هذا المنطق الحرص على امتيازاتها ،خشية أن تمسها متطلبات التعبئة الاقتصادية الشاملة ، اذا ما امتدت المعركة الى « الجبهة الداخلية » .**

ورغم أن الجماهير الشعبية قد رفضت هذا الاتجاه منذ اللحظة الاولى ، فقد تمادت البورجوازية فى الدعوة له، الى الحدالذى أصبح يهدد المصالح الوطنية ، فهو يؤدى الى فقدان اليقظة ضد احتمالات تطور الموقف ، بحصر نطاق الخطر فى منطقة محددة ، صوروا استحالة تجاوزها ، وهكذا ، وبعد تجارب مريرة من واقع المعركة ، افتضح فساد وخطر هذا الموقف ، ودعا الرئيس **أنور السادات** الى « تعبئة الجبهة الداخلية للوقوف على خط المعركة بجانب القوات المسلحة » ، وأوضح أنه فى مجال **الجبهة الداخلية** لابد من الاشتباك مع القوات الاسرائيلية اذا حدث وأنزلت فى أى مكان ، وأن العدو لا يجب أن ينسحب سلبيا على أى وضع من الاوضاع .

ان تجارب العالم الثالث عامة أثبتت أن ادراك أهمية التعبئة الجماهيرية **الواسعة والثابتة** عادة ما يظل محصورا فى دائرة الشعارات ، لا تنتقل الى مجال التطبيق العملى الا فى ظروف تأزم الموقف وعندما تحدق الاخطار بالنظام القائم لتهدد كيانه كله ، وعندئذ تتم تعبئة عاجلة يعوزها الاستقرار ،طابعها **معنوى اثارى** أكثر منه تنظيمى **مخطط مستقر** ، لذلك فان هذه التعبئة سرعان ما

يصيبها التفكك والتمزق بمجرد زوال الخطر المباشر ، أو تصور زواله ، هذا الاسلوب من التعبئة أثبت قصوره عن القدرة على التصدى للتحديات ، وأدى الى سقوط أنظمة وطنية تمسكت باتباع هذا المنهج فى العمل .

فالاتجاه السائد بين البورجوازية الوطنية ـ طالما كانت لها اليد العليا فى السلطة ـ هو **استدعاء** الجماهير وقت الشدة ، لتناضل وتقاتل وتضحى من أجل حماية « **السيادة الوطنية** » ، ثم تسارع الى تسريح هذا الحشد عندما تطمئن لقدرتها على الاستمرار ، وهى بذلك تتجنب الاثار الاجتماعية والسياسية بعيدة المدى التى تترتب على تنظيم الجماهير ، خشية بلورة ارادتهم الجماعية وممارستها ، مما يهدد بزعزعة نفوذها ، فالرأسمالية الوطنية حريصة على الانفراد بالسلطة بحكم طبيعتها « اللاديمقراطية » وبسبب موقفها البينى فى عدائها للامبريالية من جانب وخوفها من الجماهير المنظمة من جانب آخر .

الحركة التلقائية والتنظيم الثورى

ولا شك أن رفع شعار الوحدة الوطنية ودعوة الجماهير الى تعبئة جهودها فى معركتنا المصيرية الحاسمة ضد الاعداء تلقى استجابة عارمة ولا تحتاج الى عناء كبير ، فقد أثبتت الاحداث المتلاحقة خلال الاعوام الحافلة الماضية أن قوى الشعب العاملة متحفزة للعمل ، تملك قدرا من الوعى والحماس يدفعها الى التحرك بفاعلية لا تقهر ، بل وهى تتحرك تلقائيا بمبادرتها الذاتية عندما تتفاقم حدة التناقضات .

لكن هناك فرق أساسى بين **استثارة المشاعر والوجدان الجماهيرى** وحفز قوى الشعب العاملة **للاستعداد** للقتال ـ وهو أمر ليس فى حاجة الى جهد كبير كما أسلفنا ـ وبين **الاعداد الحقيقى** للقتال والنضال مع توفير الظروف الموضوعية التى تتيح الاستفادة من هذه الطاقات ، وهنا تبدو اهمية عناصر **الجدية والتنظيم والاستمرار** ، أى تحويلها من تعبئة **اثارية مؤقتة** الى تعبئة **تنظيمية دائمة** .

لقد تفجرت مجموعة من التحركات **التلقائية** ـ منذ مأساة يونيو ١٩٦٧ حتى مشهد توديع جثمان القائد **عبد الناصر** ـ رفعت الشعارات المناسبة فى المواقف الحرجة والمنعطفات الخطرة ، كانت صمام أمن للنظام الوطنى وعنصر دفع فى اتجاه الصمود فالتحرير ، الا أن حركة الجماهير التلقائية ـ رغم كل نتائجها الايجابية ـ لاتكفى بحال من الاحوال للتصدى للمهام الصعبة فى المرحلة المصيرية التى نجتازها اليوم .

ان الحركة التلقائية هى هبة جماهيرية تغير من موازين **القوى** داخل التحالف الوطنى لمصلحة **الفئات الكادحة** ، أى فى **اتجاه الخط الثورى** الاصيل الا أنه بسبب أنها تلقائية ، سرعان ما **يعود** التوازن لمصلحة « **الفئات الاخرى** » بمجرد انحسار المد وأفول جذوته ، وحينئذ يبرز نفوذ هذه « الفئات » وتنفرد باتخاذ القرارات وتتبع منهجا فى العمل يتوخى ابعاد وعزل الجماهير الشعبية مما يضعف من قوة وتماسك **الجبهة الداخلية** .

ان مصير الحركة التلقائية هو التفكك والانهيار فى متاهات السلبية ، وحينئذ يبرز دور الفئات المتميزة وتشرع فى اجهاض ثمار الحركة ، والانقضاض على المكاسب الشعبية ، وهذا بدوره يؤدى الى مزيد من التفكك والسلبية ، فتعود شراذم الرجعية الى العمل بنشاط لاحتواء النظام ثم الاطاحة به مستندة أساسا الى انعزال الجماهير عن معترك العمل السياسى .

أين الحلقة الرئيسية فى الموقف ؟

ان تماسك وصلابة الجبهة الداخلية **هو** اعظم ما يخشاه التحالف الاستعمارى ـ **الرجعى** ، ويعمل على هدمه وتحطيمه لبلوغ أهدافه ، ومن ثم يصبح فى مقدمة مهام القوى **الوطنية** أن تفسد مخططه ، لان هذه الوحدة هى الصخرة التى تتحطم عليها كل محاولة مهما بلغت ضراوتها للانقضاض **على** السيادة القومية والسلطة الوطنية .

لكن صلابة الجبهة الداخلية لها مقومات أساسية لابد من توافرها ، وتطور الوحدة الوطنية يتطلب كفالة الظروف التى تهيىء لها المناخ المناسب للانتعاش والدعم .

يواكب حركة التعبئة الشعبية اتجاه الى حل مشاكل الجماهير ـ أو قطاعات منها ـ فتقفز الى المقدمة قضايا **النظافة والمواصلات والاسكان والتعليم** .. الخ . ورغم **أهمية هذه الجهود** ، فليست هى الحلقة الرئيسية فى الموقف الراهن . كما أن **تحديد** المشكلات وتقدير **أسبقية** أى منها **واسلوب العلاج** يرجع مرة أخرى الى المنطق السائد وعلاقات القوى داخل التحالف ، بل وقد

يترتب عليها آثار سلبية اذا لم توجه الجهود أولا الى حل القضية المحورية فى الظروف الراهنة ، وهى قضية توسيع **قاعدة الديمقراطية والتنظيم الديمقراطى للسلطة** .

وحتى لا نقع فى خطأ التبسيط المخل ، لا يجب أن تكتفى القوى الوطنية بالدعوة الى وحدة الجبهة الداخلية ، بل أن تحلل **طابعها ومكوناتها ومتطلبات دعمها** من خلال الواقع المعاش والخبرة العالمية والتجربة السابقة ، وليس عن طريق نظرة مثالية أو أحادية الجانب ، كما أن المعركة المصيرية التى نخوضها تفرض علينا ضرورة المواجهة الصريحة والجريئة لسلبيات التجربة .

ان الاصالة الثورية التى اتسمت بها قيادة **عبد الناصر** كانت تتمثل فى قدرته على التطور ، فأجرى عدة تعديلات جذرية فى التنظيم الشعبى ، من هيئة التحرير فالاتحاد القومى - مفهوم الامة كلها ، وقبل تبنى قانون الصراع الطبقى - الى الاتحاد الاشتراكى ، الصيغة التى ارتضاها الشعب لتحالف القوى العاملة بقيادة « الحزب الاشتراكى » ، وهو **الاساس والمبدأ** فى العمل الوطنى ، أما **الشكل** الذى يتخذه هذا التحالف فيتوقف على عدة عوامل ، مرنة متطورة ، اذ لا يجب التجمد فى اطار معين تضفى عليه قدسية اللانهائية ... ان **جمال عبد الناصر** لم يضع المحظورات على تصوراته حتى أنه ذكر فى اجتماع للامانة العامة « ان تفكيرى وصل فى بعض الاوقات أن نقوم بعمل حزبين اشتراكيين ، وكل منهما ينزل الانتخابات » ، ولكنه بادر الى انتقاد هذه الفكرة لما تؤدى اليه من «تقسيم القوى الاشتراكية » (١)

الشكل مرن متغير

يسخر فى خدمة المضمون

وهكذا فان **تحالف قوى الشعب العاملة** ، هو ركيزة نضالنا الوطنى والتحول الاجتماعى ، **والاتحاد الاشتراكى العربى** هو الصيغة الملائمة ، وعلينا أن نطور الشكل ليصبح **الشكل الامثل** فى خدمة الهدف . ودعم التحالف وحشد قوى الجبهة الداخلية .

ان نقطة البدء فى الصراع الطبقى - الذى أقره ميثاقنا الوطنى - داخل صفوف قوى الثورة ، هى ضرورة التسليم بان هذه القوى ، قوى اجتماعية متعددة وليست قوة واحدة ، فالجبهة الداخلية ليست متجانسة ، وان كانت تلتقى على مصالح مشتركة وحول أهداف واحدة ، خاصة فيما يتعلق بموقفها من الامبريالية ، وتحالف قوى الشعب العاملة يضم فئات وطنية وان اختلفت مصالحها فى الحقل الاقتصادى والاجتماعى ، ورغم تباين مواقعها ومفاهيمها السياسية وتفسيراتها للقضايا الاساسية .

وهناك تصوران خاطئان فى مفهوم الوحدة الوطنية ، **أحدهما** يتخيل امكانية **الاستقلالية الكاملة** بقيادة التحالف عن مجرى الصراع ، دون الانتماء الى القوى المتصارعة ، وأن فى استطاعة هذه القيادة أن تنأى بنفسها عن التحيز لهذا الاتجاه أو ذاك ، أن تعلو على مستوى الصراعات وتخرج عن دائرة النفوذ الطبقى لاية فئة اجتماعية ، اى أن تقف « خارج المجتمع» أو فوقه ، تعمل لمصلحة الجميع دون تفرقة وتؤدى عملية التوسط السياسى والايديولوجى بين فئات المجتمع المختلفة . وفى هذا المجال تشوه صورة « **الاشتراكى** » على أنه « **غير المنتمى** » فى تعارض صارخ من المبادىء الاولية للفكر العلمى الذى يعتبره المنتمى فكريا الى الطبقة العاملة .

والتصور الاخر يفترض امكانية **حفظ التوازن** بين جميع القوى الوطنية ، وتوزيع السلطة **بالتساوى** فيما بينها ، وهو ما يتعارض تماما مع الواقع ، اذ دائما تتفوق مصالح وفكر احدى فئات التحالف فى قيادته ، والتجارب التقدمية جميعها أوضحت أن القوة القيادية فى الجبهة اما أن تكون البروليتاريا أو البورجوازية الوطنية ، والفارق الوحيد بين الحالتين هو أن البروليتاريا تعلن عن وضعها القيادى وتمسكها به ، بينما تحاول الرأسمالية الوطنية اخفاء موقعها القيادى بمسميات براقة .

اذن ما الفرق بين الجبهة والحزب ؟

الجبهة هى صيغة للتحالف بين جميع الطبقات والفئات والكتل الاجتماعية التى تؤيد قضية معينة وتسهم فيها . والصورة النموذجية تتمثل فى تحالف بين تنظيمات - فئوية - كاتحادات العمال والفلاحين والشباب ... الخ أو تشكيلات حزبية هى مطابقة هذه الفئات، وتستطيع التعبير عنها فى المسائل السياسية والايديولوجية ، لان الفئة التى

تفتقر الى تشكيلها ومنبرها الخاص يصعب عليها أن تعبر عن مصالحها كطبقة ، خاصة الطبقـة العاملة « التى تخضع لضغوط فكرية هـائلة . والبورجوازية الوطنية تحـاول جـاهدة أن تحيل « **صيغة التحالف** » الى حـزب طبقى ، اذ تنحو الى الانفراد بالقيادة والسلطة » .

ولقد ظهرت صيغة جديدة للتحالف فى بلدان العالم الثالث تتمثل فىتنظيم « **الافراد المجردين** » لا **الفئات الاجتماعية المتميزة** داخل الوعـاء التنظيمى الواحد ، وتتمسك بالسماح **بالتعبير الفردى** ـ الحرية الشخصية ـ دون **التعبير الجماعى** لكل من القوى المتحالفة ، وهى الصيغة التى تنحو وتمهد لتحويل التحـالف الى تنظيم حزبى ، لكن الظروف الخاصـة لبعض البلدان النامية ، عندما تتميز بضعف البورجوازية وقوة الحركة الشعبية تسمح للطبقات الكادحة بقدر من المشاركة فى اتخاذ القرارات . الا أن ضمانات الاسـتمرار غير متوفرة ، طالما كانت الجماهير الفقيرة غير منظمة فى تشكيلاتها الخاصة داخل اطار التحالف ، وخاصة عندما ترسخ صـورة التمايز الاجتماعى والطبقى فى المجتمع .

ان صمام الامن ضد تحـول الجبهة الى حزب طبقى يمثل فئة بعينها ، يحتكر السلطة و « يلحق » الفئات الاخرى به ببعثرتهم كأفراد مجردين .. الضمان الوحيد لحرية التعبير والصراع السلمى البناء بين قوى الشعب العاملة هوفى ان تتاح لكل فئة أن تعبر عن نفسها ـ فكريا وتنظيميا ـ داخل اطار الاتحاد الاشتراكى ، ملتزمة ببـرنامج التحالف ـ الميثاق وبيان ٣٠ مارس وتحقيـق أهدافهما .

لقد أكد القائد **عبد الناصر** « ليست الديمقراطية الحقيقية أن تجعل الناس ينفثون عن شكاواهم ، ولكن هى أن تجعل الناس يغيرون بارادتهم ما يريدون تغييره »، والناس هم الغالبية العظمى من أبناء الشعب ، العمال والفلاحين الذين ضمن لهم الميثاق حق التمثيل بنسبة ٥٠ فى المائة على الاقل فى مختلف المؤسسات الشعبية ، وقدرة الناس على التعبير عن مصالحهم وموقفهم السياسى والفكرى تجاه القضايا الوطنية المختلفة ، وأن « يغيـروا بارادتهم ما يريدون تغييره » لن تتأتى الا **بمشاركة** حقيقية فى السلطـة ، ولـيس بمجرد **التفـويض** بالسلطة ، وهنا تبرز حتمية تعدد المنابر و **التعبير الجماعى المنظم** داخـل اطـار الاتحـاد الاشتراكى .

والصراع الطبقى بين القوى الوطنية يقتضى فتح قنوات التفاعل داخل نطاق التحالف ، ومحاولة طمس هذا الصراع ـ بين الطبقات لا الافراد ـ سيؤدى بالضرورة الى تحوله الى صراع « ضار » بالتحالف ، لانه لا يحقق حرية التعبير عن الذات لفئات معينة ، بينما يكفل لغيرها هذا الحق ، ومن ثم الانفراد بالقيادة والتحكم فى القطـاعات الاخرى، وبحكم قانون الصراع الطبقى نفسه، فأن الصراع سيحتدم من أجل حق التعبير من جانب ، ولكبت هذا الحق والتضييق عليه من جانب آخر ، ان السبيل الوحيد لحل جميع المسائل ذات الصفة الفكرية ، وكافة القضايا الخلافية داخل صفوف الشعب هو استخدام الاسـاليب الديمقراطية ، أساليب المناقشة والنقد والاقناع والتثقيف ، لا وسائل الاكراه والضغط .

ان صياغة واقرار **برنامج مرحلى مشترك** ـ موقف وسط للتحالف ـ أمر ممكن وضرورى من **أجل دعم التحالف الثورى للقوى الوطنية . أما** التوصل الى **أيديولوجية مشتركة** ، فيتعارض مع أى منطق علمى أو واقعى ، ان سيطرة طبقة على أخرى لا يتمثل فقط فى السلطة السيـاسية والاقتصادية ، بل فى عملية الاحتواء الفكرى الذى يضفى الشرعية على « **أيديولوجية المجتمع كله** » أو «الفكر الموحد» لجميع قوى الشعب العاملة !

ولا تقتصر الخلافات على المسائل الفكرية ولكنها تمتد الى **التفسير والتطبيق** لما هو مشترك ومتفق عليه .. مئات المشكلات والقضـايا فى جميع مجالات العمل الوطنى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى .

وقد يكون هناك تصور يرى فى « **تجميع الافراد دون تمايز داخل الوعاء التنظيمى الواحد** » ، ضمان لتوثيق عرى الوحدة والتضامن القومى ، لكن التجربة التاريخية والواقعيـة اثبتت عكس هذا المنطق على طول الخط . فالعمال المبعثرون ـ دون رابط فئوى ـ بين جمهـرة متنـاقضة الاتجاهات والفكريات عرضة للبلبلة ، يفتقرون الى الـوعى الطبقى ، ويسـهل وقوعهم فى شراك الانحرافات من كل نوع واتجاه ، ولنتذكر أعمال التخريب وتحطيم الالات والتيارات الارهـابية واليسارية الطفيلية التى سادت قبل بلورة الطبقة العاملة كقوة سياسية مستقلة ، ولنقارن هـذه المواقف بالتحالفات الوطنية العريضة بقيادة الطبقة العاملة فى البلدان الاشتراكية ، حيث تعلـو المصالح القومية العامة على النظرة الفئـوية الضيقة ـ عندما تفتقر الى الوعى السياسى الطبقى المتميز ـ ففى بعض البلدان الاشتراكية تقدم كثيرا من التيسيرات للبورجوازية الوطنية فيسمح فى بولندا مثلا بامتلاك ٥٠ هكتارا للقطاع الخاص ،

بينما قامت البورجوازية الصغيرة بعد استلامها للسلطة فى سوريا ابان الحكم السابق ، بتأميم ممتلكات الرأسمالية الوطنية المتوسطة بل والصغيرة فى حالات كثيرة ، وليس مجال المقارنة هنا هو حد الملكية ، انما مدى الحرص والوعى فى كلا الحالتين على الوحدة الوطنية والمصالح القومية فى شمولها ، فى ظروفهما الخاصة ٠

تحيز طبقى أم تنازل واع

ان الحرص على صلابة الجبهة الداخلية يقتضى اقتناع جميع القوى المتحالفة بالسياسة العامة والاجراءات التفصيلية المتخذة فى اطارها ، وقد تفرض الظروف اتخاذ خطوات تتضمن تنازلات لفئة بعينها ، كأن يكون التنازل بمنح امتيازات للبورجوازية الوطنية ، أو احدى فئاتها ، وهنا تبرز عدة اعتبارات لابد من ادخالها فى حسابنا مراعاة للوحدة الوطنية ٠

● أن يكون التنازل يمثل ضرورة حقيقية تقتضيها المصلحة القومية ، وليس مجرد انحياز لاسلوب الانتاج الرأسمالى واتجاها الى دعم مصالح الرأسمالية على حساب الطبقات الاخرى او خضوعا لضغوطها ٠

● وضع الضمانات الكافية فى هذه الحالة حتى لايتحول هذا التنازل — الامتياز — الى نقطة ارتكاز لتدعيم وتوسيع مواقع الرأسمالية ونفوذها ، حتى لا يتحول من تنازل مقبول و « محكوم » الى اتجاه ومنهج عمل ٠

● أن يحصل القرار على « قناعة » الفئات الاخرى ويتم برضائها بطرح المشروع على القاعدة الشعبية المنظمة ، قبل اتخاذ الاجراء لاستقصاء وجهة نظرها ، وادارة حوار حوله ٠ حتى يتم قبوله عن وعى وهنا أيضا فان الاستغلال الذاتى للفئات المختلفة داخل اطار التحالف يتيح لها من الوعى واتساع الافق والطمأنينة — بحكم قوتها الذاتية — ما يسمح لها باتخاذ الموقف السليم ٠

ان بيان ٣٠ مارس ، ثمرة نضال شعبنا والذى قدمه الرئيس **انور السادات** كبرنامج له فى فترة رئاسته للجمهورية ، ولسنا من القيادة السياسية الاتجاه الى التوسع فى تطبيق ما جاء فيه ، وخاصة فيما يتعلق بالمؤسسات الشعبية واطلاق الحريات وتأكيد الطابع الديمقراطى للحكم ، هذا البرنامج فى شموله هو ضمان صمود الجبهة الداخلية ٠

وبيان ٣٠ مارس نص على « اطلاق القوى الخلاقة للحركة النقابية سواء فى نقابات العمال أو نقابات المهنيين » وذكر ان العيوب الاساسية فى المؤسسات جاءت نتيجة انها « لم تبن على الانتخاب الحر من القاعدة الى القمة ٠ وقد تأجل اجراء انتخابات النقابات العمالية المرة تلو المرة — رغم اجرائها فى المؤسسات الاخرى — وكان الاحرى أن يتم التأكيد على أهمية اجراء هذه الانتخابات لتجديد دماء تلك المؤسسات المحورية فى دعم الوحدة الوطنية ٠

ان تدعيم التيار المتجه من القاعدة الى القمة « حشد كل القوى الشعبية **بوسيلة الديمقراطية ، وعلى أساسها** » (٢) تشجيع مبادرة الجماهير وزيادة وزنها وفاعليتها داخل التحالف « **بالتركيز على الوحدات الاساسية (٣)** فى الاتحاد الاشتراكى ، أطلاق حرية التعبير **الفئات الاجتماعية** المختلفة ، استخدام وسيلة الديمقراطية — المناقشة والحوار — لا أساليب الاكراه — فيما يتعلق بالمسائل ذات الصفة الفكرية والغاء الرقابة على الصحف — الا فيما يتعلق بالامور العسكرية وحدها ، الافراج عن المعتقلين السياسيين ٠ الخ ٠ ذلك هو محتوى بيان ٣٠ مارس وهو قاعدة **التنظيم الديمقراطى للسلطة** ، والطريق الواقعى والعملى لدعم الجبهة الداخلية على أسس ثابتة ٠

مفهومان للتعبئة السياسية

وتقودنا هذه الوقائع الى المنهج المتبع فى التعبئة السياسية ومفهومها لدى بعض القيادات ، فهو يتلخص فى اتخاذ القرار ، ثم التوجه الى الجماهير للدعوة له واقناعها به فى « محاضرات » ولقاءات للشرح والتفسير ، بينما التعبئة السياسية يجب أن تجرى على أسس ديمقراطية بمشاركة جماهيرية باطلاع القاعدة الشعبية على « الحقائق » وتعريفها بالمشكلات والاحتمالات والتوقعات والحلول المقترحة ، وادارة حوار واسع على أسس ديمقراطية للتعرف على اتجاهات الرأى العام ولتشجيع المبادرة للتوصل الى الموقف الامثل

(٢) بيان ٣٠ مارس ٠

(٣) خطة العمل السياسى للامانة العامة للاتحاد الاشتراكى ٠

قبل اتخاذ القرار ، حيث تشارك الجماهير فى صياغته •

وليست العبرة فى الحالة الاولى بمدى صحة القرار ـ فكثير من القرارات التى اتخذت بطريقة علوية كانت لمصلحة الجماهير الكادحة ، لكن التعبئة السياسية الشاملة لا تتحقق الا من خلال المنهج الثانى، فبالاضافة الى أنه المنهج الديمقراطى فهو السبيل ايضا الى تثقيف الجماهير وتدريبها على المشاركة فى العمل السياسى ، واقناعها عمليا بأنها قطاع مسئول وفعال من الكيان القومى العام، وهوكذلك ضمان ضد ضغوط ونفوذ القوى الضاغطة الاكثر نفوذا وتأثيرا بحكم تميزها ـ التاريخى ـ فى المجال الاقتصادى والاجتماعى والفكرى ، ذلك النفوذ المرتبط بواقع اجتماعى عميق الجذور ، خصوصا فى الريف •

واتباع هذا المنهج يجنبنا الحاجة الى تصوير بعض القرارات على غير حقيقتها •

وكثيرا ما أوضح القائد عبد الناصر ان ما يميز النظم الغربية الرأسمالية الاوتوقراطية ليس بالدرجة الاولى غياب المجالس المنتخبة والمؤسسات « الديمقراطية » اوالافتقار الى سيادة القانون ، فهذا لم يمنع تسلط الرأسمالية الاحتكارية مما يرجع أساسا الى طبيعة السلطة والمؤسسات القائمة وجوهرها الطبقى ، ان اشكال الدول البورجوازية متنوعة لكن جوهرها واحد ، والديمقراطية هى شكل السلطة ـ أيا كانت الصياغة التنظيمية له ـ الذى يضمن خضوع الاقلية للاغلبية •

ماذا نقصد بالمؤسسات

وما معنى التنشيط ؟

ان مفهوم المؤسسات الديمقراطية نفسه يختلف باختلاف زاوية الرؤية الطبقية ، وعندما أثيرت قضية تنشيط المؤسسات الجماهيرية والدستورية لملء الفراغ الذى خلفه وفاة عبد الناصر ولدعم النظام فى مواجهة التحديات المتفاقمة ، حينئذ برز المنطق الذى يقصر حدود المؤسسات فى اللجنة التنفيذية العليا ومجلس الوزراء ، واتجاه آخر يوسع اطارها لتشمل اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ومجلس الامة ، وهى نظرة « علوية » مرتبطة بمواقع ومجال تأثير وتحكم متبنى هذا الموقف او ذلك ، اما التيار الشعبى فكان مدى رؤيته يمتد بحكم الموقع والمصلحة ايضا ـ الى كل المؤسسات القاعدة قبل القمة ، الوحدة الاساسية قبل اللجنة القيادية .

ومفهوم « التنشيط » لدى الجماهير يتضمن التغيير ، أى التجديد « تجديد الدماء » فى المؤسسات الجماهيرية جميعها ، ابتداء من تشكيلات العمال والفلاحين ـ عمال الثورة الوطنية والاجتماعية ـ على أن تهيأ كل الضمانات التى تكفل اندفاع التيار المتجه من القاعدة الى القمة ، ومنهج العمل بالتركيز على الوحدة القاعدية • بوسيلة الديمقراطية ، لتصبح المنبع ، ومركز الاشعاع وصاحبة السلطة الحقيقية ، بحق المشاركة فى ادارة شئون المجتمع وصياغة القرارات الهامة •

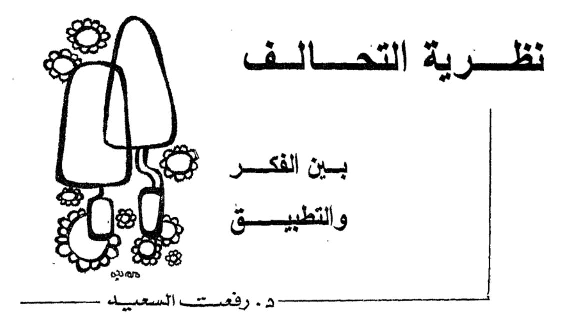
ان التعبئة الشاملة لقوانا والحشد الكامل لكل الطاقات الشعبية ، سوف يدفع الاعداء الى اعادة حساباتهم على أسس جديدة لمصلحتنا ، فالجبهة الشعبية الداخلية ليست أقل شأنا من الجبهة العسكرية ، والتنظيم الديمقراطى للسلطة واشاعة جو من الديمقراطية فى المؤسسات الجماهيرية وتحقيقها فى وحدات الانتاج انما يمثل الحلقة الرئيسية فى المعركة المصيرية المريرة التى نخوضها لتحرير الارض والانسان العربى •

والاسلوب الوحيد لدعم الجبهة الداخلية هو الاعتماد على جماهير الشعب العامل المنظمة سياسيا ونقابيا ، للمشاركة الحقيقية فى تقرير وادارة أمور البلاد ، وحتى ننجز الهدف الذى رسمه بيان ٣٠ مارس ، وهو « تسليم السلطة لقوى الشعب العاملة ضمانا لاستمرار الثورة • وضمانا لتحقيق اهدافنا وضمانا للنصر !!

وتحقيق هذه الديمقراطية هى عملية طويلة تتم خلال سلسلة من الخطوات يقود بعضها الى البعض الاخر ، وقد بدأت القيادة السياسية فى التخطيط لبعض هذه الخطوات ، كما قامت الجماهير وعدد من القيادات بمبادرات ذاتية فى هذا المجال ، ومتابعة الطريق فى هذا الاتجاه البناء هو سبيلنا الى دعم الوحدة الوطنية ■

نظرية التحالف

بين الفكر والتطبيق



د. رفعت السعيد

عندما صاغ **عبد الناصر** فكرته عن تحالف قوى الشعب العاملة كان يدرك أنه يتحتم على هذه الفكرة — لكى تتحقق — أن تشق لنفسها طريقا بالغ الصعوبة ، فما أسهل أن تصاغ الشعارات السياسية ، لكن الصعوبة الحقيقية تكمن فى غرسها غرسا فى ارض الواقع الملىء بالمتناقضات ، وما أسهل أن تتحدد ملامح تحالف طبقى ما وقواته والافكار التى سيلتف حولها هذا التحالف والاهداف التى سيسعى لتحقيقها ، لكن وضع ذلك كله موضع التطبيق يحتاج لوقت طويل وجهد كبير والى المرور عبر منحنيات عديدة .

فالتحالفات الطبقية عملية اجتماعية غاية فى التعقيد ، ولا يمكن أن تتحقق بين يوم وليلة والطبقات التى تقبل شعارات هذا التحالف ـ كثيرا ما تقبلها ـ من منطلقات مختلفة ، وكثيرا ما تحاول أن تفرض نفوذها على التحالف أو أن تستأثر بالسلطة فيه ، أو أن تجعل من التحالف الذى يفترض فيه أن يقوم على أساس العلاقات المتكافئة بين قوى اجتماعية مختلفة ، مجرد لافتة تخفى خلفها تحكما منفردا لطبقة أو فئة من فئات هذا التحالف .

لقد ادرك عبد الناصر كل ذلك ، وأدرك أيضا ان شعار التحالف بين قوى العمال والفلاحين والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية ، سوف يكون ـ ولفترة طويلة من الزمن ـ مثارا لتناقضات طبقية بالرغم من قبول مختلف هذه الطبقات لفكرة هذا التحالف من حيث المبدأ .

والتحالف — من الناحية النظرية — لا ينفى وجود مثل هذه التناقضات بل هو يفترض وجودها ، وإلا لما كانت هناك ضرورة لهذا التحالف ، وانما هو ينظم هذه التصارعات ويحدد لها اطارا صحيا تعمل فى داخله ، وينفى عن تناقضاتها صفة العداء .

ولقد أدرك عبد الناصر ذلك أيضا ، فهو يقول « القوى اللى احنا قلنا عليها قوى الشعب العاملة ، ماهياش قوى متصارعة .. ولكن برضه رغم هذا حيبقى فيه نواحى طبقية ، .هذه النواحى

الطبقية اللى بتمثل التناقض اللى علينا اننا نحله بالوسائل السلمية » (١) .

ولقد حدد عبد الناصر الاطار التنظيمى لهذا التحالف وهو الاتحاد الاشتراكى العربى مؤكدا فى وضوح تام أن « الاتحاد الاشتراكى العربى يجب أن يكون هو الاطار السياسى الشامل للعمل الجماهيرى لقوى الشعب المتحالفة . والاتحاد الاشتراكى العربى هو التجسيد الحى لسلطة الشعب التى تعلو جميع السلطات ، وتوجهها فى كافة المجالات وعلى جميع المستويات .

والاتحاد الاشتراكى يتحتم عليه أن يكون الدرع الحامى لضمانات الديمقراطية .. وفى مقدمتها النسبة المكفولة لتمثيل الفلاحين والعمال » (٢) .

كذلك فان عبد الناصر قد حدد بوضوح تام أن العمال والفلاحين هم قلب هذا التحالف وعماده الاساسى ، فهو يؤكد فى الميثاق ان جماهير العمال والفلاحين « هى القوى المكونة للاغلبية ، وهى القوى التى طال استغلالها ، والتى هى صاحبة مصلحة عميقة فى الثورة ، كما أنها بالطبيعة الوعاء الذى يختزن طاقات ثورية دافعة وعميقة بفعل معاناتها للحرمان » .

لكن المعركة لم تكن سهلة ، ولم تكن معركة يوم وليلة ، فالقوى الاجتماعية المختلفة التى التفت حول شعارات عبد الناصر ، جاءت اليه محملة بتناقضاتها وتطلعاتها الطبقية المختلفة ، وتداخلت ظروف موضوعية عديدة ، منها انتشار الامية بين صفوف العمال والفلاحين ، وضعف العمل السياسى وسطها ، واستمرار تواجد العلاقات الاجتماعية المتخلفة داخل الريف ، وتحكم الطبقة الوسطى وتغلغلها فى مختلف الاجهزة الادارية والسياسية ، وتغلغها فى مختلف الاجهزة الادارية واستعدادها لتغيير ثيابها سريعا لتساير الموكب الثورى وتتغلغل فى صفوفه ، رافعة اعلامه محاولة امتطاء الموجة الثورية ، ويضاف الى ذلك عدم التوصل الى تعريف واقعى : من هو العامل والفلاح ؟ كل هذه الظروف تداخلت معا لتفرض على صيغة التحالف التى نادى بها عبد الناصر طابعا يحاول ان ينأى بها عن مرماها الحقيقى ، ولقد حاولت فئات معينة أن تستفيد من قدرتها على التسلق ، ومن نفوذها العائلى أو التقليدى فى الريف ، ومن تسللها عبر التعريف المطاط لمن هو العامل ، ومن عدم الحرص تجاه اساليبها الملتوية .. حاولت أن تستفيد من ذلك كله كى تفرض وجودها وحدها فى قمة التحالف ، مانعة القوى الاخرى وهى قوى اساسية ، بل وهى القوى صاحبة المصلحة فى استمرار الثورة وتقدمها من أن تصل الى ما تستحقه من مكانة فى صفوف التحالف .

ولم يغب ذلك عن عبد الناصر فقد شهد صيغة التحالف التى أرادها والتى دعا لها وهى تتعرض فى التطبيق لبعض التحريف .. ومن هنا كانت دعوته الحارة والمستمرة « لتطهير الاتحاد الاشتراكى باستمرار من القوى الانتهازية او القوى الرجعية التى تسللت داخله » (٣) .

ومرة اخرى يقول عبد الناصر « ان التنظيم السياسى اللى هو الاتحاد الاشتراكى العربى مش كله عبارة عن مؤيدين للثورة ، هناك بعض افراد أو بعض ناس يمكن يعتبروا من القوى المعادية للثورة ودخلوا برضه فى الاتحاد الاشتراكى ، ومش واجبى أنا كشف هؤلاء الناس، وانما واجب الشعب كله ، الشعب بعماله وفلاحيه ومثقفيه ، انه يكشف هؤلاء الناس » (٤) .

والان وبعد وفاة عبد الناصر فان القضية تبدو أمامنا أكثر صعوبة وأكثر الحاحا فى نفس الوقت ، ذلك أن الثقل الهائل لشخص عبد الناصر كان يمثل فى ذاته عنصرا هاما فى تصحيح التوازن داخل التحالف لصالح قوى التقدم ..

ماهو المفهوم الصحيح للتحالف ؟

التحالف هو تجمع اختيارى بين طبقات ذات مصالح ومواقع اجتماعية متباينة لكنها تنسجم مع بعضها فى خط واحد لتحقيق هدف واحد ، والصيغة المقبولة للتحالف هى التعامل على قدم المساواة ووفقا للثقل الاجتماعى لكل طبقة ولمدى انسجام مصالحها الاصيلة مع متطلبات العمل الثورى .

وصيغة التحالف التى قدمها عبد الناصر لمصر

---

[١] مباحثات الوحدة ــ الجلسة الختامية ١٩٦٤/٤/٩
[٢] جلسة المؤتمر الوطنى ٢٦ مايو ١٩٦٢
[٣] خطابه فى الهيئة البرلمانية ١٦ مايو ١٩٦٥
[٤] خطابه فى الاسماعيلية ١٩٦٤/١٢/٢٤

وهى تحالف العمال والفلاحين والمثقفين والرأسمالية الوطنية تفترض بالضرورة أن العمال والفلاحين هم :

اولا : اصحاب الثقل الاكبر اجتماعيا وسياسيا وعدديا ٠

ثانيا : القوى الاكثرثورية والاكثرتعلقا بالثورة وتمسكا بضرورة استمرارها ٠

لكن الذى حدث هو أن قوى اجتماعية معينة استطاعت متسترة خلف شعارات الثورة ومستفيدة من بعض الاخطاء أن تقتنص لنفسها داخل التحالف الجزء الاكبر من السلطة ومن الفاعلية بصورة لا تتفق لا مع الثقل الاجتماعى ولا السياسى ولا العددى لهذه الفئة ٠

والخطر الاساسى لهذا التسلط غير المنطقى هو أنه يعوق عناصر العمال والفلاحين عن ممارستهم لدورهم القيادى فى التحالف ، بل انه يعوق أجزاء كبيرة من هذه القوى عن التواجد الفعلى فيه ، ومن ثم فانه يؤدى وبالتدريج الى أن يعزل العمل السياسى نفسه عن الغالبية الساحقة من جماهيره ، ذلك أن التحالف ليس مجرد كلمات تتردد وانما هو احساس وجدانى ، فما أن تشعر طبقة كالعمال أو الفلاحين بوعيها الطبقى الكامن والبالغ الحساسية انها لا تحصل على نصيبها المنطقى من المشاركة داخل التحالف حتى تتباعد عنه ، والتباعد ليس قرارا يتخذ ، وانما هو تباعد وجدانى أيضا يتراكم من خلال الممارسة اليومية التى يستشعر فيها العمال والفلاحون أن صوتهم الحقيقى لا يتردد بصورة مسموعة داخل أبهاء التحالف ، وأن ثمة أصوات أخرى تعلو وحدها خانقة كل صوت آخر ٠٠ والموقف الطبيعى والمنطقى هو التباعد غير المعلن أو كما قلت التباعد الوجدانى ٠٠ والذى يجد تعبيره فى أن يوجد الانسان داخل اطار التحالف عضوا من بين ملايين الاعضاء ولكن بغير احساس فعلى بأنه جزء فعال ومتجاوب ومتفاعل داخل هذا الاطار ٠

ولقد كان عبد الناصر يدرك ذلك كله ، وعبر عن هذا الادراك فى الميثاق قائلا « ان الوحدة الوطنية التى يصفها تحالف هذه القوى الممثلة للشعب ، هى التى تستطيع أن تقيم الاتحاد الاشتراكى العربى ليكون السلطة الممثلة للشعب والدافعة لامكانيات الثورة ، والحارسة على قيم الديمقراطية السليمة » ٠

وهكذا فانه بغير وحدة وطنية حقيقية تقوم على أساس تحالف بالمعنى الصحيح لكلمة التحالف ، فان أى اطار تنظيمى سيعجز ــ فى واقع الامر ــ عن أن يكون السلطة الممثلة للشعب والدافعة لامكانيات الثورة ٠

من هو العامل ٠٠ ومن هو الفلاح ؟

والسؤال غريب جدا ٠٠ لكنه متكرر بقدر ما هو غريب ، ولعل مصر هى البلد الوحيد الذى ترددفيه هذا السؤال ، واخذ من النقاش أكثر كثيرا مما يجب ٠

والسر فى كل هذه الضجة هى الضمانة التى صاغها **عبد الناصر** وجعلها أساسا وشرطا للتحالف الثورى الصحيح وهى نسبة الـ ٥٠ فى المائة للعمال والفلاحين ، ولم يكن من الممكن أن ترضى بعض قوى التحالف بذلك ، ومن هنا فقد بدات محاولاتها للاستيلاء على هذه النسبة أو على أكبر قدر ممكن منها ٠

وهكذا بدات معركة البحث عن تعريف من هو العامل ؟ ٠٠ ومن هو الفلاح ؟

والحقيقة أن المسألة ليست بحثا فلسفيا عن تعريف دقيق ومحكم ، فان تعريف الوضع الطبقى لانسان ، أو ــ بالدقة ــ التمييز بين مدى انتمائه لهذه الطبقة أو تلك ، ليس بحاجة الى كل هذه الابحاث والمساجلات ، فهى شىء جلى وواضح تنطق به طبيعة عمله وظروفه المعيشية ومدى ونوعية اسهامه فى عملية الانتاج ٠ وأى انسان بسيط يستطيع (دون أن يقدم لنا صياغات أو تعريفات) أن يشير بأصبعه ٠٠ هذا عامل ٠٠ وهذا موظف ٠٠ وهذا مدير ٠٠ الخ ٠

لكن المشكلة هى أن بعض أفراد الطبقة الوسطى يريدون أن يفرضوا لانفسهم ما يمكن تسميته « **بازدواج الشخصية الطبقية** » ٠٠ أى أن يحصلوا على كل المميزات الاقتصادية والاجتماعية التى تتيحها لهم أوضاعهم الاجتماعية ، وأن يحصلوا فى نفس الوقت على ما للطبقة العاملة والفلاحين من حقوق سياسية شرعتها الثورة ليس لمجرد منح هذه الجماهير حقوقها وانما ــ وفى الاساس ــ تحقيقا لفائدة مؤكدة لمسيرة الثورة ٠

والمسألة هنا ليست مجرد انانية فردية او حتى طبقية ، وانما هى اخطر من ذلك بكثير فهى تفرض على التحالف شكلا لا يتسق مع طبيعته وتعزل عن اطاره القوى ذات المصلحة الاساسية فى استمرار

الثورة ، ومن ثم فان الاطار التنظيمى للتحالف لا يتعرض فحسب لسيطرة قوى سياسية متخلفة ، وانما – وهذا هو الخطر الاكبر – يتعرض أيضا لتباعد القوى الاكثر ثورية عنه ٠

وعلى أية حال ، فقد كانت نتيجة ما جرى من مناقشات ومساجلات أن وضع تعريف مطاط مكن احدى قوى التحالف من أن تحصل لنفسها – بغير حق – على الثقل الاساسى فى الاطار التنظيمى للتحالف (٥) ٠

ولقد كان عبد الناصر يدرك ذلك كله ، ومن هنا كان تأكيده المستمر والمتكرر على أهمية الدور الذى يجب ان يلعبه العمال والفلاحون ، وتأكيده المستمر على ضرورة أن يقوم الاتحاد الاشتراكى العربى وبشكل مستمر بتطهير صفوفه ، لكنه كان يدرك أيضا انها معركة طويلة ، وأنها لن تحسم فى يوم وليلة ٠

لكن الوضع الذى تركه غياب عبد الناصر عن الميدان يفرض علينا أن ننشط ، وأن نعمل سريعا ، والا فان غياب الثقل الذى يمثله عبد الناصر سوف يؤدى الى اختلال ميزان القوى داخل اطار التحالف ، وعلينا ٠٠ وفاء لعبد الناصر – وسيرا على طريقه – أن نبذل أقصى ما نستطيع من جهد لتلافى ذلك ، مدركين أن غياب زعيم كعبد الناصر لا يمكن أن يسد الثغرة الناجمة عنه الا آلاف من الكوادر الثورية من أبناء العمال والفلاحين التى تستطيع أن تخلق بنشاطها الثورى داخل الاطار التنظيمى للتحالف ثقلا موازيا للثقل السياسى والثورى لعبد الناصر ، هذا الثقل الذى كان ولا يزال ضروريا لتصحيح ميزان القوى داخل التحالف لصالح الثورة وتقدمها ٠٠

ان آلافا من الكوادر السياسية والعمالية والفلاحية هى الممكن الثورى الوحيد لدعم تنظيم التحالف وربطه بالجماهير ربطا حقيقيا ، وتمكينه من أن يعبر بصدق عن تحالف ثورى حق يستهدف السير بالثورة الى الامام ٠

وليس من الصعب الان – وبعد الممارسة العملية الطويلة ، وبعد عمل سياسى امتد طويلا – التعرف على هذه الكوادر ، وانتقاؤها وابرازها ، واتاحة الفرصة أمامها ٠٠ فهى موجودة فعلا ، وهى أيضا قادرة بل ومتحفزة للعمل الثورى النشيط ، كل ما هنالك أن ثمة قوى اجتماعية أخرى تحول بينها وبين مكانها الطبيعى فى التحالف ٠

لكن ما هو السبيل الى ذلك ؟

اعادة البحث فى التركيب العضوى لتنظيم التحالف

وليس هذا عيبا ، فكل الاحزاب والتنظيمات السياسية الحاكمة تلجأ الى هذا الاسلوب ، مدركة أن التركيب الطبقى لكيانها العضوى سوف يتعرض دوما للغزو من قبل طبقات وفئات اما معادية وأما حليفة ، لكنها تحاول أن تفرض وجودها على قمة التحالف بصورة تفوق ما تستحقه وفقا لكيانها الاجتماعى والعددى والثورى ٠

وفى كل مكان ٠٠ وفى كل تنظيم سياسى ، يوجد دوما أناس كل مؤهلاتهم أنهم يتكلمون أفضل أو يتلونون أسرع ، وأنهم قادرون على أن يلتفوا حول كل شعار ، وأن يتسلقوا الى أهم المناصب ، فيصبح وجودهم – وهو خطر شديد فى ذاته – حجبا للعناصر الاكثر ثورية والاكثر اخلاصا ، والنابعة من مصادر طبقية تؤهلها بالفعل للولاء التام لعملية التقدم الثورى ٠

ومقياس جدية التنظيم وثوريته هى قدرته وكفاءته على أن يفرز وباستمرار مثل هذه العناصر بعيدا عنه ، وأن يقوى نفسه بتطهير صفوفه منها ٠

ان فى المصانع المصرية آلافا من الكوادر العمالية الاصيلة التى يمكن اذا ما أتيحت لها الفرصة أن تصبح كوادر سياسية على مستوى رفيع من المقدرة والولاء الثورى ٠٠ وانما يحجبها عن ذلك أن كبار الموظفين ورجال الادارة يستولون

[٥] ثمة احصاء بالغ الدلالة ، أجرى على عينـة من أعضاء المؤتمر القومى العام قوامها ٥٦٤ عضوا ، وقد وجد أنه من بين ممثلى العمال والفلاحين فى هـذه العينة عناصر مثل : ١ وزير سابق ، ١ لواء سـابق بالجيش ، ٤ رؤسـاء مجالس ادارات شركات ، ٢٥ من مديرى الشركات وبنـوك التسـليف والادارات الحكومية المختلفة ، ١ مدير جامعة ، ١ وكيل جامعة ، ١ استاذ بمعهد عال ، ١١٧ موظفين كتابيين ومحاسبين وصيادلة ، ٢٩ رؤسـاء اقسـام ووكـلاء ادارات ورؤساء حسابات ، ٤ صحفيان ، ١ مخرج اذاعى ، ٤ ، ١ مأذون ، ١ جزار ٠

على الغالبية العظمى مما أتاحته الثورة من فرص أمام العمال كى يمارسوا مشاركتهم فى السلطة ٠

وفى القرى المصرية ـــ كذلك ـــ ألوف عديدة من الكوادر الفلاحية التى تحوز ـ بالرغم من قلة ثقافتها ـ على أعلى درجات الحماس الثورى ، والتى تحوز فى وجدانها على كل حكمة ونقاء وعزيمة الفلاح المصرى الاصيل ، وانما يحجبها عن ممارسة دورها أن الممثلين التقليديين للاسر الغنية وأغنياء الريف قد حولوا النسبة التى يتيحها الميثاق للفلاحين «..» الى غنيمة لهم «.

تنشيط منظمات العمال والفلاحين

لكن حل مشكلة « ازدواج الشخصية الطبقية » التى يفرضها الكثير من أبناء الطبقة الوسطى وكبار الموظفين والمهنيين الذين يحتلون مناصب وظيفية وادارية ويحصلون على مرتبات ودخول ويعيشون حياتهم اليومية والاجتماعية كأبناء طبيعيين للطبقة الوسطى ، بينما يمارسون دورهم السياسى عن طريق اقحام انفسهم كممثلين للعمال والفلاحين ٠٠ ان حل هذه المشكلة لا يمكن أن يتم فقط من خلال استصدار قرارات ادارية أو وضع تعريفات جديدة ، ذلك أن باب التحايل والتلون مفتوح دوما ، ولا يمكن اغلاقه اغلاقا محكما طالما أن التنظيمات الجماهيرية للعمال والفلاحين لم تمارس دورا فعالا وجماهيريا للدفاع عن المكتسبات السياسية للقوى التى تمثلها ، ومن أجل بث الحماس الثورى والفاعلية السياسية فى صفوف العمال والفلاحين ، وشل كل العناصر الانتهازية والمتسلقة والمتلونة وكشفها ، ومن أجل تحقيق شعار عبد الناصر (٥٠ فى المائة للعمال والفلاحين) تحقيقا فعليا ٠

أن نتخلص من الوهم

ولقد نجحت بعض عناصر الطبقة الوسطى أن تفرض على الاذهان وعلى التفكير العام وهما كبيرا مفاده أن كل ما هو موجود من سلبيات فى عملنا السياسى هو أحد السمات الاساسية فى تجربتنا ، وأن أية محاولة لتعديل أو تصحيح هذه الاوضاع الخاطئة هو تطرف يسارى غير محمود العواقب ٠

ولقد تسرب هذا الوهم وتراكم ـ رويدا رويدا ـ فى نفوس الكثيرين من خلال الممارسة اليومية والانغماس فى العمل مع العناصر المستفيدة من استمرار هذه السلبيات ، ومن خلال ما روجته هذه العناصر من تفسيرات ذاتية وغير صحيحة مستندة أساسا الى بعض أخطاء التطبيق (وهى أخطاء لابد لها وأن تقع فى ظل الظروف الموضوعية لمجتمعنا) متجاهلة تماما المنطلق النظرى والفكرى لعبد الناصر فى هذا الصدد ، ناسية أو متناسية تأكيداته القاطعة وتحديده الحاسم لدور العمال والفلاحين كعنصر أساسى وحاسم فى اطار التحالف باعتبارهم القوى الاكثر ثورية والاكثر ارتباطا بمصالح الثورة ٠

ان التقيد بأخطاء التطبيق ، هو تقنين للخطأ واتجاه لتحويل هذا الخطأ الى قيد قانونى يحول دون تقدم الثورة وانطلاقها ٠

وليس امامنا الا ان نشهر فى وجه هذا الخطأ كلمات الميثاق وبيان ٣٠ مارس ومواقف وآراء وفكر عبد الناصر ، انها سلاحنا الذى يتعين علينا أن نتمسك به فى هذه المعركة تمسكا مستميتا من أجل تصحيح الاخطاء وليس تقنينها ٠

ان علينا أن نعود الى أنفسنا وأن ندرس ومن جديد وبتمعن شديد كلمات عبد الناصر وموقفه من قضية التحالف ، وأن نستخدمها مرشدا لنا فى تصحيح الاخطاء ، واضعين فى اعتبارنا حقيقة هامة هى أن البناء النظرى المتسق والواضح المعالم الذى صاغه عبد الناصر لفكرة التحالف ، قد تعرض عند التطبيق ـ وهذا طبيعى ـ لبعض التحريف ، وأن ندرك أنه ما من عمل ثورى يستند الى ما هو قائم فقط بغير الاسترشاد بالتحديدات والمفاهيم النظرية المتقدمة ، والا بقى ما هو قائم متجمدا وعاجزا عن التطور ٠

ان القيمة الاساسية للنظرية هى أنها معيار لفهم ما هو قائم واخضاعه ـ وباستمرار ـ لنظرة انتقادية تستهدف تطويره ودفعه دوما الى التخلص من أخطاء التطبيق حتى يقترب رويدا رويدا من النموذج الذى يحاول الفكر النظرى أن يتصوره ٠

ان الميزة الاساسية لعبد الناصر كمفكر وكقائد لثورة ، هى أنه قد عمد وباستمرار الى تطوير فكره

ومواقفه ، وأنه كان يؤمن أن أى تجميد للثورة هو تمهيد للتراجع بها الى الوراء ، ذلك أنه ما لم تستمر الثورة فى زحفها الى الامام فانها تتيح الفرصة لعناصر الثورة المضادة أن تبدأ فى محاولة جرها الى الخلف ·

ان اسكات الثورة المضادة واخماد أنفاسها لن يكون بغير التقدم المستمر على طريق الثورة التى خطط لها وقادها عبد الناصر ودفعا للاسس الفكرية التى صاغها ·

وعلى أية حال فان أية دراسة لصيغة التحالف ولاسلوب العمل بها ، يتعين عليها لكى تكون مجدية أن تخضع للمناقشات على اكبر قدر من الديمقراطية ـ بين كل القوى المعنية بهذا التحالف ، وعلى وجه الخصوص بين جماهير العمال والفلاحين باعتبارها أكثر قوى التحالف ارتباطا بقضية الثورة ، وأقلها قدرة ـ على أن ترتفع بصوتها الى القدر الملائم لثقلها الاجتماعى والثورى ·

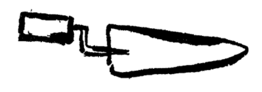
لكن المسألة ـ فوق حاجتها الى نقاش ديمقراطى واسع ـ بحاجة أيضا الى اعادة نظر شاملة فى أسلوب تركيب الاطار التنظيمى للتحالف بحيث يصبح هدفه المحورى أن يكون بالفعل تجمعا لممثلين طبقيين لمختلف القوى المنتمية الى التحالف ·

لقد حدد « الميثاق الوطنى » بوضوح تام أن التحالف هو تحالف بين طبقات ، ومن ثم ، فان الصورة التى تجسده يجب أن تعكس حقا وبصدق هذا الهدف ·· التحالف بين طبقات ·

والمسألة ليست تمسكا بلفظ،ولا بشكل،وانما هى فى الاساس محاولة لاحياء التحالف فى اطار يمكنه من أن يجمع ـ وبالفعل ـ القوى المفترض فيها أنها تنتمى اليه ·

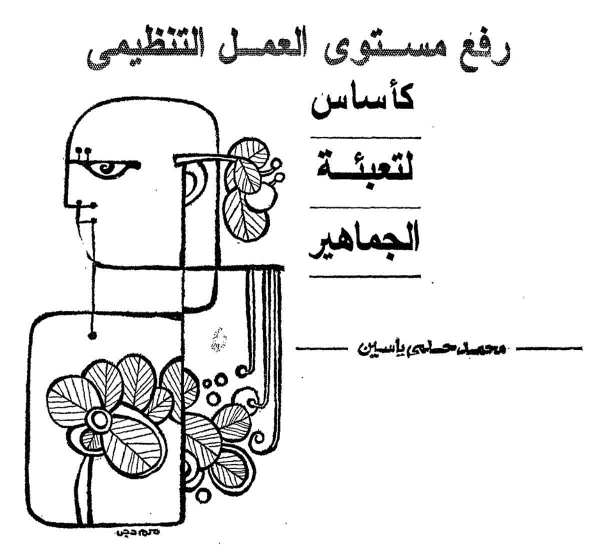
ان جموع العمال والفلاحين بالذات يتعين اشعارهم ـ ليس بمجرد الكلمات وانما بالوجود التنظيمى ـ انهم ممثلون كفئات اجتماعية متميزة فى الاطار العام للتحالف ، تمثيلا يمكن لمسه والاحساس به وتحديد مواقعه دونما أى لبس أو ابهام ·

ومثل هذا التمثيل ـ وفى حدوده الطبقية المحددة المعالم سواء من الناحية الايديولوجية أو العملية ـ مسألة ضرورية بشكل مطلق والا فان العزلة الوجدانية التىتستشعرها جموع العمال والفلاحين قد تتطور لتتخذ مسالك أخرى ··



رفع مستوى العمل التنظيمى

كأساس لتعبئة الجماهير



محمد حلمى ياسين

تمكن الاتحاد الاشتراكى من ان يجسد الشعارات العامة التى اطلقتها الجماهير على اثر الوفاة المفاجئة لقائد الثورة « هنكمل المشوار » — ان يجسدها فى نقاط سياسية برنامجية محددة ، تشكل فى مجموعها اطارا عاما لفكر ونضال الزعيم الراحل لحظة رحيله المفاجىء — وعندما استطاعت القيادة أن تطرح هذه النقاط فى بياناتها وقراراتها وتلتزم بها فى خطوات، عمل المؤسسات السياسية والدستورية — منحها الشعب المساندة والتأييد ٠

وأكدت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى فى تقريرها المقدم للمؤتمر القومى العام « **أن تحرك الشعب ومؤسساته السياسية والدستورية بعد غياب عبد الناصر ، قد أكد الحقيقة الرائعة التى أكدها دائما منذ قيام ثورته عام ١٩٥٢ — وهى أن الجبهة الداخلية كانت دائما الدرع الصلبة التى تكسرت عليها كل مؤامرات أعداء الوطن والثورة**

فى الخارج والداخل ـ وأن الشعب فى كل الظروف حمى ثورته ودافع عنها ضد كل أعاصير العدوان وضد كل المخاطر ومخططات الاعداء وآمالهم، وسوف يظل موقف الجماهير التاريخى وعند سماع نبأ استشهاد « الرئيس القائد كما كان فى ٩ و ١٠ يونيو شاهدا على عمق وترابط الوحـدة الوطنية وقدرتها على التحدى » .

ولقد طرحت حركة الجماهير المذهلة العديد من الاسئلة ـ وهى أسئلة يدور أغلبها وبشكل أساسى حول الاسلوب الذى يمكن للاتحاد الاشتراكى بوصفه اطارا لتحالف قوى الشعب العاملة واداة لتنظيم الجماهير ـ كيف يمكن للاتحاد الاشتراكى أن يجذب هذه الجماهير لساحة العمل السياسى المنظم والمستمر ، وكيف يستطيع الاتحاد الاشتراكى أن يستخلص أعمق ما لديها من ايجابية وقدرة على العطاء ، وأن يمسك بيديه القدرة على تفجير هذه الطاقات الهائلة ، ليدفع بها وبطريقة أكثر فعالية الى خضم المعركة الكبرى ـ معركة التحرير الشاملة .

خطة جديدة لتنشيط العمل السياسى

لقد أكد المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى فى ختام دورته الخامسة التى تم عقدها تتويجا لتحرك المؤسسات السياسية والدستورية لمواجهة الاوضاع المفاجئة بعد وفاة القائد ، وبعد أن بلور المؤتمر القومى المبادىء الاساسية التى تلخص أفكار ونضال وسياسة جمال عبد الناصر أكد المؤتمر على « أن الضمان الاساسى لهذه المبادىء حماية واستمرارا هو فى قوة التنظيم السياسى المتمثل فى الاتحاد الاشتراكى العربى ، وفى قيامه بدوره ومسئوليته الكاملة وبكل فاعلية ، فى تخطيط ومتابعة السياسة التى تضع هذه المبادىء موضع التنفيذ وفى تعبئة قوى الشعب العاملة وحشدها المستمر من أجل تنفيذ هذه المبادىء التى آمنت بها ومن أجل حمايتها باستمرار وفى كل الظروف » .

ولا شك أن قرار المؤتمر القومى جاء تعبيرا حقيقيا عن شعور عام تولد من واقع عشناه جميعا بعد ٢٨ سبتمبر ، وكان له مقدمات خلال عامين قبل سبتمبر الماضى .

لقد حقق الاتحاد الاشتراكى العربى منذ اعادة تشكيله بالانتخاب انجازات سياسية وتنظيمية ، على الجبهة السياسية حقق عددا من النتائج الايجابية فى مجالات الدفاع المدنى والتدريب على أعمال الدفاع الشعبى ، وفى مجال رعاية أسر المهجرين وفصائل خدمة الجبهة ، والتوعية الصحية للشعب خلال التعرض لخطر انتشار الاوبئة ، وفى العمل السياسى بين الطلاب ، وتجربة معسكرات الطلائع وانشاء بعض دور حضانة لاطفال العاملات فى أقسام القاهرة ، وكذلك فصول للخدمات التعليمية مقابل مصروفات لا تصل الى نصف ما يدفعه التلميذ فى مدارس التعليم الخاص ، ويتعلم فيها أبناء المهجرين والمقاتلين مجانا ، وكذلك فصول للتقوية على أساس المجاميع لقاء مبالغ صغيرة .

وفى مجال العمل التنظيمى تم الجانب الاساسى فى ضبط العضوية وسجلاتها وتصنيف العضوية العاملة والعضوية القيادية ، وتم توسيع اللجان الاساسية بضم عناصر نشطة اليها ـ وتعزيز قاعدة التنظيم بين الجماهير بتشكيل لجان فرعية ولجان للمربعات السكنية ، ولجان توعية لتعزيز العمل القيادى ـ كما بدأ تشكيل التنظيم النسائى على مستوى الاقسام .

وفى مجال العمل التثقيفى ، أصدرت لجنة التثقيف المركزية البرنامج الثانى للتثقيف العام ، وتم عقد عشرات من الدورات التثقيفية على مختلف المستويات، وأعيد افتتاح المعهد العالى للدراسات الاشتراكية .

ويتعين علينا لكى نضع هذه الانجازات فى مكانها الصحيح أن نلاحظ ثلاثة مسائل :

● أن أكبر قدر منها قد تم فى محافظة القاهرة وبعض المدن ، وأنه بالرغم من بعض التجارب الناجحة فى عدد من المحافظات خارج القاهرة الا أن العمل السياسى المنظم مازال بعيدا عن الريف حيث تعيش الاغلبية الساحقة من السكان وحيث يوجد الفلاحون جيش الثورة .

● أن العمل خلال الفترة الماضية قد كشف عن أن الانتخابات التى أجريت عام ٦٨ لم تأت دائما بأفضل العناصر ، وأن كثيرا من الذين أتت بهم الانتخابات ليسوا فى مستوى المسئولية فهم اما غير قادرين على العمل ، أو غير راغبين فيه، وأن هناك عددا غير قليل من الوحدات استولت على مراكزه الاساسية بعض العناصر الادارية ، وحاولت تسخيره لارادتها ، وكذلك لقيت بعض الوحدات النشطة ، أو العناصر المخلصة والمتحمسة ، لقيت تضييقا وصل الى حد الاضطهاد من قيادتها الادارية ، ولم تتوافر لها فى الوقت المناسب الحماية الكافية .

● عدم وجود خطة مركزية للبناء التنظيمى •

وأدى ذلك كله الى أن تعانى اجتماعات لجان الوحدات الاساسية ولجان الاقسام بما فى ذلك بعض اللجان النشطة ـــ تعانى نقصا واضحا فى عدد المنتظمين فى الحضور ، وبالتالى المساهمين فى تحمل المسئوليات الاساسية .

كما أن الجهود التى بذلت لجذب قيادات جديدة لضم عناصر نشطة الى اللجان الاساسية المنتخبة وتنشيط اللجان النوعية على مستوى الاقسام (لجان التثقيف والتنظيم والدفاع المدنى) هذه الجهود لم تستطع أن تحدث التحول المطلوب فى دعم صلة الاتحاد بالجماهير الواسعة وبقى أثرها محدودا •

وعلى ضوء خبرة المرحلة التى انقضت منذ الانتخابات بايجابياتها وسلبياتها ، ومن واقع الاقتناع العام بضرورة أن يتصدى الاتحاد الاشتراكى للمسئولية الضخمة الملقاة عليه ، فى هذه المرحلة المصيرية ، فان محاولة جديدة جادة ومخلصة تأخذ مجراها فى هذه الايام وعلى أساس أنها تغطى الشهور الخمسة القادمة •

لقد تم تشكيل أمانة عامة للاتحاد الاشتراكى تحت مسئولية أمين عام للاتحاد ـــ ويقود الامانة مكتب دائم من خمسة ـ هم مقررو اللجان الاساسية فى اللجنة المركزية ـ وجاء تحديد اختصاصات الامانة العامة بمايسمح لها بأن تكون القيادة الفعلية **للنشاط اليومى** لمنظمات الاتحاد ، وأصبحت هى الجهة الوحيدة المختصة بالاتصال بأمناء المحافظات ، ويصب فيها نشاط اللجان النوعية المشكلة فى اللجنة المركزية ، كما شكلت لجنة النظام المركزية التى تنص عليها قانون الاتحاد الاشتراكى ، وهى اللجنة المختصة بالنظر فيما يعتبر خروجا على قانون الاتحاد •

ولقد بادرت الامانة العامة فورتشكيلها الى طرح تصورها لتنشيط العمل فى منظمات الاتحاد وزيادة قدرتها على التحريك ، ويتضمن هذه الخطة المركزية الاولى المعدة لتغطية فترة خمسة الشهور التالية ، تنظيم دورات تدريبية للوحدات الاساسية لتنمية قدراتها فى كيفية ادارة ومناقشة المسائل المدرجة فى جدول الاعمال، وأسلوب التعامل مع الاجهزة الادارية ، كما تتضمن الخطة اعداد برنامج فكرى لاعضاء الوحدات الاساسية حول بعض القضايا العامة التى تتعلق بظروفنا الحاليةوقضية التحول الاشتراكى •

وفى مجال الانتاج من أجل دعم المعركة تدعو الخطة الوحدات الاساسية لان تقوم باستيعاب العناصر الفنية والنشطة فى لجانهالاثراءعملها ورفع قدرتها على العمل وفهم المسائل المتعلقة بالانتاج ، وأن تقوم اللجان بالتعبئة الشاملة لتنفيذ أهداف الانتاج ، مستعينة بالعناصر المخلصة ، ويمكن لها أن تشكل من بين هذه العناصر « **فرق الانتاج الناصرى** » التىتعمل فى أوقات أخرى غير أوقات العمل للوفاء بمتطلبات تحقيق الانتاج وزيادته •

وفى مجال الخدمات تستهدف الخطة أن يعمل التنظيم السياسى على وصول الخدمات للمواطنين بالطرق المناسبة ، والقضاء على تعقيدات الروتين ، وشمول الخدمة لاكبر قطاع من المواطنين •

هذا وقد تضمنت الخطة الجديدة تحديد أهداف جزئية من الخطة يتعين انجازها فى كل شهر من شهور الخطة ، بحيث يمكن المتابعة والتقييم .

الاتحاد الاشتراكى والجماهير

ان الخطة الجديدة تستهدف أساسا وقبل كل شىء وضع التنظيم السياسى فى خدمة الجماهير ورفع قدرته على التعبير عن مصالحها واستيعاب حركتها ، وقيادة هذه الحركة بما يخدم أهداف المعركة ، وبالتالى فان مقياس النجاح الحقيقى للاتحاد الاشتراكى سوف يقاس بمدى ما حققته لجانه وقياداته من الارتباط بالجماهير، وبمدى ما أكتشفته من قيادات جديدة مؤمنة ومناضلة •

ولقد ركزت الخطة الجديدة لتنشيط العمل السياسى على **الوحدات الاساسية** ، وتتفق الخطة فى ذلك مع الاتجاه العام السليم الذى نادت به قرارات المؤتمر القومى فى دوراته المتتالية ، وآخرها الدورة الخامسة التى عقدها فى يوليو ١٩٧٠ ، نظرا لان الوحدات الاساسية للاتحاد الاشتراكىالعربى هما الخلايا السياسية التىيقوم عليها التنظيم ، والتى تقاس فاعليته بمقدار فاعليتها وسط الجماهير فى القرى والمصانع والاحياء والمدن ومرافق الخدمات ، فانه ينبغى أن يركز على دعمها وتنشيطها والارتفاع بكفاءتها السياسية والتنظيمية .

توسيع وتأكيد المناخ الديمقراطى

وأية محاولة لدعم الوحدات الاساسية وتنشيطها لابد وأن تتجه الى القاعدة الجماهيرية الواسعة فى مجالات عملها ، تلك الجماهير التى تمنح الثورة تأييدها ومساندتها الحاسمة كلما واجهت محنة أو ازمة حادة ، ولكنها تقف على عتبات الاتحاد مترددة ، تنقصها الثقة حينا ومتشككة فى جدوى العمل حينا آخر ، وعلينا لكى نجذب هذه الجماهير وأن نحطم اخطار العزلة ، علينا أن نفتح أمامها الطريق ، ولن يكون ذلك الا بتوسيع وتأكيد المناخ الديمقراطى داخل التنظيم .

والديمقراطية فى التنظيم السياسى ليست هى الانتخابات ، وانما هى أوسع من ذلك بكثير ، انها حق العضو فى أن يشارك فى قضايا الوطن والمصير ، وأن يبدى رأيه بحرية تامة فى اطار الالتزام العام بالميثاق وبيان ٣٠ مارس ، وأن يناقش ما يراه من سلبيات أو اخطاء وقصور فى التنفيذ ، وأن يمارس النقد والنقد الذاتى البناء ، وان يستخلص منهما الدروس اللازمة للتخلص من سلبيات العمل وتدعيم ايجابياته .

بل أن عملية الانتخابات فى حد ذاتها لا يمكن أن تكون تعبيرا عن اختيار ديمقراطى حقيقى الا اذا سبقها واقترن بها ممارسة حقيقية للديمقراطية .

مؤتمرات الوحدات الاساسية

والوعاء الذى يمكن أن تدور داخله الممارسة الديمقراطية للقاعدة التنظيمية بشكل سليم وفى اطار تنظيمى بناء ، هى مؤتمرات الوحدات الاساسية .. وهى نفسها اذا احسنا تشغيلها واستغلال امكانياتها ، سوف تكون أقوى الوسائل فى ربط التنظيم بالجماهير ربطا عضويا قويا وكذلك سوف يتيح لنا اكتشاف القيادات الجديدة .

وبالرغم من أن المادة السابعة من قانون الاتحاد الاشتراكى تنص على أن مؤتمر الوحدة الاساسية يعتبر أكبر سلطة للاتحاد الاشتراكى العربى على مستوى الوحدة ، وأنه ينعقد دوريا مرة كل أربعة شهور أو فى دورات غير عادية ، وبناء على طلب لجنة الاتحاد الاشتراكى العربى للوحدة الاساسية ، أو ثلث عدد اعضاء المؤتمر ، بالرغم من هذا فانه منذ اعادة تشكيل الاتحاد الاشتراكى بالانتخابات عام ١٩٦٨ **لم تطبق اللائحة فيما يختص بمؤتمرات الوحدات** ، ولم ترسم سياسة ثابتة ازاء هذه المؤتمرات ، وفى معظم الاحيان تدعى فقط مؤتمرات الوحدات الاساسية ذات الثقل الجماهيرى ، قبيل عقد المؤتمر القومى - وفى أغلب اجتماعاتها تتكلم القيادة أكثر مما تسمع ..

ولم تعد الجماهير تهتم بحضور اجتماعات شكلية تعقد لمجرد اثبات عقد الاجتماع ، ولا تجد الجماهير لصوتها صدى بعد انتهاء الاجتماع ، واجدى الوسائل الاساسية لجذب الجماهير الى ساحة العمل السياسى هى تنمية دور هذه المؤتمرات واثراء اجتماعاتها واثارة الاهتمام بطرح موضوعات حيوية تمس مشكلات الناس .

ولهذه الموضوعات مستويان : أولهما **موضوعات ذات طابع محلى** يستطيع المؤتمر أن يصدر فيها قرارا ، وأن ينفذ قراره بالاعتماد على الجهود الذاتية والامكانيات التى يمكن توفيرها محليا . وثانيهما **موضوعات ذات صفة عامة** تطرحها القيادة أو القيادات ، وتقدم فيها وجهة نظرها واطارا عاما لتصور أسلوب معالجتها ، وتناقش هذه المؤتمرات هذه التقارير وتدعمها بآرائها واقتراحاتها او تصحح مسارها وتنتهى المناقشة بأن يصدر المؤتمر توصيات تتضمن وجهة نظره كما بلورتها المناقشة وفى جميع الاحوال لابد من التأكيد على النقاط التالية :

- لابد أن يتأكد لدى الجماهير أن ما تقوله لا يذهب صرخة فى واد ، وأن اجتماعها ليس مجرد تنفيس عما فى صدرها .

- ان القيادة تسعى سعيا حقيقيا للتعرف على رأيها ، وانه كان لديها الوقت الكافى للدراسة والتفكير فيما هو مطلوب منها .

- ان الحوار يدور بين قوى الشعب العاملة صاحبة المصلحة فى الثورة فى اطار الالتزام بالميثاق وبيان ٣٠ مارس ، وبالتالى فهو ليس حوارا بين الثورة واعدائها .

- ان هذا الحوار والانفتاح الديمقراطى تحكمه فى نهاية الامر قواعد المركزية الديمقراطية ولا يمكن أن يكون وسيلة لتعطيل القرارات المركزية ، أو يؤجل تنفيذها بعد عرض المشكلة على القاعدة الشعبية واتخاذ القرار فيها .

اكتشاف وتقييم القيادات

ان اشاعة وتأكيد المناخ الديمقراطى فى لقاء التنظيم مع قاعدته العريضة سوف يذلل الكثير من

الصعاب ، وسوف يسهل الكثير من العمل التنظيمى للنهوض بالوحدات الاساسية وبشكل خاص ما يتعلق بتقييم القيادات وأسلوب العمل والعلاقة بين المستويات ٠

أولا : لقد أكد المؤتمر القومي في دورته الرابعة [يوليو ١٩٧٠] على أنه نظرا لما قررته اللجنة المركزية من تأجيل انتخاب لجان الوحدات الاساسية ، فيجب القيام بعملية تقييم ومحاسبة ، وابعاد العناصر السلبية والمعوقة ، واعطاء الفرصة للعناصر المؤمنة والنشطة للمشاركة فى العمل السياسى على اوسع نطاق ، وفتح مجال التصعيد للقيادة أمامها ، وعلى أن تكون عملية التقييم والمتابعة والمحاسبة مستمرة ، سواء بالنسبة للقيادات ، أو للاعضاء لجانا وأفرادا ٠

ولقد اشترط **جمال عبد الناصر** أن يتم اختيار العناصر القيادية على أساس العمل الجماهيرى ، وأن يتم اكتشافها أثناء ممارسة العمل نفسه ، وليس على أساس الاختيارات الشخصية ، وأكد الزعيم على انه « **لايمكن للقيادة أن تنحو الا على مبدأ الاتصال بالجماهير** » وأن أى شخص غير مرتبط بالجماهير غير مفيد مهما كان علمه « نحن نحتاج للشخص المؤمن بالناس المؤمن بالجماهير القادر على الالتحام بالناس » ٠

والممارسة الديمقراطية سوف تسمح للجماهير أن تقيم القيادات ، ولن تعطى الجماهير ثقتها للقيادات الا اذا كانت هذه القيادات نشطة وقدوة حسنة فى مجال عملها ، وان يتوفر لها الايمان بالمبادىء والاخلاص والحماس لتنفيذها ، وان تكون قادرة على تفهم مشكلات الناس وآرائهم ، ومستعدة للتعبير عنها ٠

وعلى هذا فسوف يمكن التخلص من العناصر السلبية والمعوقة ، وسوف تكتشف عناصر جديدة قادرة على العمل مؤهلة لتحمل المسئولية ٠

وفي كل الاحوال لابد من التركيز فى اختيار الكادر وتثقيفه ودفعه لتولى المسئولية على توافر الصفات التالية الى جانب ارتباطه بالجماهير والثقة المتبادلة بينه وبينها ٠

١ ــ النظرة الشاملة للمشكلات والقضايا التي يعالجها دون أن يفقد القدرة على وضع الحلول العملية والممكنة لهذه المشاكل ٠

٢ ــ مواقفه من النضال الفعلى على أساس تحركه وليس على أساس ما يقوله من كلام محفوظ ٠

٣ ــ مدى ايمانه والتزامه بمبادىء المركزية الديمقراطية ٠

٤ ــ مدى ايمانه وممارسته لمبادىء القيادة الجماعية دون أن يفقد قدرته على الابداع ، ودون التهرب من التصدى للمسئولية ٠

ثانيا : ضرورة تحديد الواجبات المطلوبة من كل وحدة ، وذلك بتحويل الخطة العامة الى خطة تفصيلية لمجال عمل الوحدة ، وتوزيع مسئولية العمل على أساس استغلال كل الطاقات المتاحة والراغبة فى العمل والقادرة عليه ٠

ثالثا : تدعيم شبكة الاتصال تنظيميا وسياسيا ، وجعلها شبكة حية سريعة الفعالية فى الاتصال ، مزودة بالمعلومات والحقائق اللازمة لمد الوحدات ، وبالتالى القيادات المرتبطة بالجماهير بما يمكنها من التصدى للشائعات ، وتهجمات قوى الثورة المضادة على أسس صحيحة ٠

رابعا : ضرورة التوسع فى حقوق الوحدات الاساسية لمواجهة متطلبات العمل ، وأن يتوفر الاحترام اللازم لرأى لجان الوحدات فى مشكلات مجالها ٠

خامسا : ولا شك أنه مما يزيد فى فاعلية وتأثير الوحدة الاساسية ، هو نشاط التنظيمات المساعدة الموجودة فى المجال وبشكل أساسى ... لجنة منظمة الشباب ، واللجنة النقابية ٠

ويجب أن تبذل الجهود لوضع العلاقة بين لجنة الاتحاد ولجنة الشباب واللجنة النقابية وضعها الصحيح ، بحيث تتوفر للشباب فرصة الحماية والمساندة ضد العراقيل والتسلط ، وبحيث تقوم اللجنة النقابية بدورها كاملا ٠

ان ذلك لن يضعف لجنة الاتحاد ، بل سيزيدها قوة ، وسوف يمكنها من الانطلاق فى العمل السياسي دون الاغراق في مسائل هي من صميم عمل اللجنة النقابية ٠

الاتحاد الاشتراكى فى القرية

والتحدي الاكبر الذي يواجهه الاتحاد الاشتراكي العربي ، يكمن فى الريف المصرى حيث

يعيش أكثر من ٦٠ فى المائة من السكان ، يعيشون على الزراعة ملاكا كبارا وصغارا وعمالا زراعيين (تملية أو تراحيل) — والاغلبية الساحقة من سكان الريف تؤيد الثورة على أساس ما قدمته لهم من تحرير للوطن وضرب للاقطاعيين ، وتوزيع الارض على الفلاحين واقامة المؤسسات السياسية والتعاونية والتعليمية والفلاحية فى القرية المصرية .

وفى الريف تسود علاقات الانتاج القائمة على الملكية الزراعية الخاصة والانتاج الفردى ، وتتفشى الامية والافكار والتقاليد الرجعية البالية، هذا كله يجعل العمل السياسى فى الريف أكثر صعوبة منه فى المدينة — بل ان كثيرا من المواقع فى الريف نفسه تختلف عن مواقع أخرى لاختلاف ظروفها .

والمناخ الديمقراطى أكثر لزوما وأهمية وأساسية للتنظيم السياسى فى الريف من أى مكان آخر ، فسكان القرية يعرفون كل ما يدور فيها ، يعرفون موقف كل انسان ، يعرفون المالك الجشع والتاجر المرابى ، ويتحركون ويعيشون ويتنفسون مع اعضاء لجنة الاتحاد الاشتراكى ، ويلاحظون بسرعة أى تغيير فى الوضع الاجتماعى لاى واحد من ابناء القرية ، واشاعة الديمقراطية فى المجالات الريفية ، سوف يمكن الفلاحين الصغار والعمال الزراعيين وعمال التراحيل، سوف تمكنهم من الدفاع عن مصالحهم .

وبالنسبة للريف ستبقى ولفترة غير قصيرة ، أهمية خاصة للاتصال المباشر بين القيادة السياسية وبين الجماهير الفلاحية لشرح قضايا الثورة، وتخطى كل المعوقات والمستويات المانعة، ولابد وأن تعزز ندوات القيادة السياسية ولقاءاتها مع الفلاحين باستخدام كل الوسائل المتاحة لتوصيل فكر الثورة واهدافها وانجازاتها الى أعماق الريف [من ذلك البرامج المواجهة فى الاذاعة — الصور والرسوم — الفنون الشعبية كالمسرح الشعبى والاراجوز وخيال الظل] .

وفى الظروف الراهنة فى الريف يمكن أن يتركز العمل السياسى على محورين — العمل التعاونى ، ومجالات خدمة البيئة المحلية .

١ — ان مشكلات تنظيم الدورة الزراعية والتجميع الزراعى ، والتسويق التعاونى والجمعيات الزراعية وجمعيات الائتمان ، كلها مجالات خصبة لتعبئة الفلاحين اصحاب المصلحة فى الثورة ، ولاكتشاف القيادات من واقع نشاطهم ومواقفهم من هذه الاعمال كلها .

وتحقيق ذلك يتطلب أولا وقبل كل شىء مقرطة الجمعيات وضمان سيادة الفلاحين الفقراء على مجالس اداراتها ووظائفها الرئيسية وتعزيز الرقابة الشعبية على أعمالها ، ومن السهل عندئذ فرز العناصر الامينة النشطة من العناصر الفاسدة .

وسوف يستطيع الفلاحون عزل الملاك الكبار [أكثر من ٢٥ فدانا] الذين يتشدقون بالشعارات مجاراة للثورة ، وبهدف الالتفاف والاستغلال . ويكفى للتدليل على مدى ما حققته هذه الفئة أن نذكر أنها استحوذت على ٦٠ مليون جنيه من اجمالى الديون لدى المزارعين وقدره ٨٠ مليون جنيه ، أى أن هذه الشريحة وهى تمثل ٥ر٢ فى المائة من الحائزين تسيطر على ٧٥ فى المائة من المتأخرات ، وهذه الملايين تتحول الى آلات ومعدات ووسائل للاستغلال الرأسمالى فى القرية .

٢ — غرس روح التطوع لخدمة مجالات النهوض بالقرية [محو أمية — ردم البرك — اصلاح الطرق — انشاء مدرسة بالجهود الذاتية — توزيع التموين — تنظيم الاسواق) ، على ان يكون العمل تطوعيا واختياريا فعلا ، وأن تتم حملة تعبئة ومناقشة اقناعية ، ومن الافضل دائما البدء بأعداد صغيرة تكون العناصر القيادية على رأسها وفى مقدمتها ، بحيث تقدم للفلاحين النموذج والمثل .

من هذين المنطلقين ، ومعركة بعد أخرى سوف يتعلم الفلاحون وسوف يشعرون بالثقة فى التنظيم أكثر فأكثر ، وسوف يبرز دوما قيادات جديدة من صفوفهم .

ومن المفيد أن تحدد مناطق بعينها لبدء المعركة فيها ، ولا شك أن مناطق الاصلاح ، والقرى القريبة من المصانع الكبرى هى أصلح المناطق لبداية العمل لبناء قواعد تنظيمية قوية ، وخلال الاجازة الصيفية يمكن الاعتماد على جهود الطلاب الطلائعيين من أبناء القرى والمدربين فى معسكرات ، وكذلك أعضاء منظمة الشباب ، ويمكن أيضا ان نبعث بالعمال البارزين فى العمل السياسى الى قراهم فى فترات منتظمة لدفع عملية الاستكشاف والبناء التنظيمى .

ان انفتاح التنظيم السياسى على الجماهير متخطيا كل التحفظات والمخاوف من حركة هذه الجماهير ، سوف يثرى العمل والحوار الديمقراطى ، ليس فقط فى قواعد التنظيم الجماهيرية ، وانما سوف يدفع الى المستويات الاعلى بطاقات أعلى من الفكر والقدرات النضالية .

ولما كانت لجان الاقسام فى الاتحاد الاشتراكى العربى هى بمثابة العمود الفقرى لنشاط الاتحاد والقيادة الفعلية لوحداته القاعدية ، فسوف يزداد العبء الملقى على عاتق لجان الاقسام ، ولابد ان تطبق عليها نفس القواعد المقترحة للنهوض بالوحدات الاساسية ، مع تشدد أكثر فى المقاييس بالنسبة للقيادات ، ولابد من تعميم ما سبق أن قررته لجنة محافظة القاهرة من تشكيل هيئات قيادية فى لجان الاقسام تضم القائمين على المسئوليات الاساسية [الامين والامناء المساعدين والتثقيف والتنظيم والمتابعة والشباب والعمل النسائى] .

وهذه الهيئات الصغيرة ، يمكن أن تجتمع بسهولة أو تتحرك بشكل أوسع لتنشيط ومتابعة العمل السياسى ، ويمكن لها أيضا أن تثرى عمل اللجان الكاملة باعداد الدراسات حول مشكلات العمل السياسى والتنظيمى وطرحها للمناقشة .

وفى المرحلة الجديدة من مراحل العمل لتنشيط الاتحاد الاشتراكى ، وبعد تشكيل الامانة العامة ومكتبها القيادى ، لابد وأن يعاد تشكيل الامانات النوعية التابعة لها [الفلاحين — العمال — الرأسمالية الوطنية — النقابات المهنية] .

ان هذه الامانات الفرعية ، وان كانت ليست مستوى تنظيميا ، الا ان وجودها على أعلى مستوى ، وهو اللجنة المركزية لاشك يتيح لها اذا توافرت لديها سلوك اتصال جيدة وارتباط عضوى قوى بالمنظمات الجماهيرية المساعدة ، يتيح لها أن تشعر بنبض الجماهير ، وأن تكون أكثر ادراكا لحركة القوى الاجتماعية التى تعمل فى أوساطها ، وأن تكون أكثر تعبيرا عنها .

ان تعزيز هذه الامانات بعدد مناسب من طلائع قوى التحالف المختلفة التى تعمل فى المنظمات الجماهيرية لهذه القوى (كاتحاد نقابات العمال ونقابات العمال الزراعيين ، والنقابات المهنية والغرفة التجارية) ، سوف يؤدى الى فوائد مزدوجة للتنظيم السياسى وللمنظمات المساعدة .

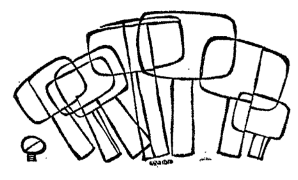
وهذه الامانات بعد اعادة تشكيلها على النحو المتقدم يمكن أن تلعب دورا مؤثرا وبناء فى الحوار الديمقراطى ، بان تتولى بلورة اهداف القوى الاجتماعية التى تعمل فى اطارها ، وأن تعبر عن وجهة نظرها فى معالجة قضايا الثورة ، وأن توائم بين الاهداف الخاصة لهذه القوى وبين الاهداف العامة لتحالف قوى الشعب العامة ، وبذلك يصبح فى الامكان أن تعرف كل من القوى الاجتماعية داخل التحالف معالم تكوينها ووضعها داخل التحالف ، وأن تعرف ما لها وما عليها فى اطار الميثاق وبيان ٣٠ مارس ، وأن تعرف أيضا المسار الذى يتعين عليها أن تسلكه لكى تحتفظ بمواقفها فى التحالف .

ان الحوار الخلاق القائم على الوضوح وتحديد الفروق بين القوى الاجتماعية المختلفة المشكلة للتحالف ، هو أكثر الوسائل سلامة لتعزيز الوحدة بين قوى الشعب العاملة ، هذه الوحدة التى لا يمكن أن تتعزز بطمس الفروق ولا بأن تحتل قوة مكان قوة أخرى وأن تتحدث بلغتها بينما هى تحقق مصالح قوة أخرى .

وهذا الحوار هو المسئولية الاولى للتنظيم الطليعى وتحت قيادته وباشرافه يمكن تنمية هذا الحوار ودفعه الى المسالك والمسارات الطبيعية ، وفى اتجاه الحل السلمى لقضية الصراع الطبقى . وعلى عاتق هذا التنظيم الذى يجب أن يضم جميع الاشتراكيين على اختلاف أصولهم ودون أية حساسيات ، على عاتقه يقع عبء تنمية دور الطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين الثوريين فى قيادة تحالف قوى الشعب العاملة .

التعبئة

واطلاق الطاقات الخلاقة للحركة النقابية



محمد علي عامر

منذ أن فقد الشعب المصرى فى يوم ٢٨ سبتمبر زعيمه وقائده جمال عبد الناصر ، ومنذ أن خرج من احزانه العميقة خلال فترة تشييع الجنازة ، وضع يده على الحل للمعادلة التى تواجد فيها منذ الساعة الخامسة مساء ذلك اليوم الحزين .

لكن الشعب سرعان ما وضع يده على الحلقة الرئيسية بعد فقد قائده . وتمثلت هذه الحلقة فى ضرورة الالتفاف حول المؤسسات السياسية والتشريعية التى خلفها عبد الناصر والتى عمل الزعيم الراحل على ارسائها بشكل جاد منذ عام انشاء هيئة التحرير الىيوم اعلان بيان ٣٠ مارس، وهو البيان الذى ارسى تفاصيل وقواعد تلك المؤسسات وكذلك بنائها التنظيمى المتكامل .

واذا كان الشعب قد سار وراء كافة القرارات التى اتخذتها تلك المؤسسات وعلى رأسها اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى ثم لجنته المركزية ثم مجلس الامة ، فان الطبقة العاملة قد حددت موقفها المبدئى لحظة اعلان الوفاة من خلال مجموعة من الخطوات والمواقف التى تعد نموذجا وقدوة . وقد تبلورت هذه الخطوات فيما يلى :

■ تجمع غالبية العاملين فى كل وحدة داخل وحداتهم منذ لحظة اعلان الوفاة .. وهى الساعة الحادية عشرة مساء يوم الاثنين .. **وهى لحظة تشكل فى معظم وحداتنا الصناعية موعد خروج وردية بعد الظهيرة ودخول وردية المساء .**

■ قيادة مسئولى العمل السياسى لحركة العاملين فى كل وحدة . وقد تميزت هذه الحركة فى أكثر من موقع بدرجة عالية من الوعى العام لانها استطاعت أن تلتقى بحركة جماهيرها التلقائية فشكلت منهم كتائب عمل ، بعضها سار فى المسيرات الشعبية رافعا شعارات جادة حافزة للنضال الوطنى والاشتراكى ، وبعضها مسئول مسئولية مباشرة عن حماية الوحدات الصناعية (خاصة وحدات القطاع العام) . وبعضها وضع نفسه تحت تصرف واشارة مكاتب الاتحاد الاشتراكى فى الاحياء . **وكل هذا قد حدث قبل صدور اية تعليمات سياسية عليا .**

■ عقد المؤتمرات العامة فى كل وحدة ـ حتى قبل وصول توجيهات المكاتب التنفيذية ـ لاتخاذ القرارات السياسية التى يراها العاملون مناسبة بعد ذلك الحدث الخطير . وقد طالبت هذه

المؤتمرات الجماهير بالوقوف وراء الاتحاد الاشتراكي، ورفضت أى عمل منفصل عن التنظيم السياسى أو عن أشكال التنظيرية سواء كانت اللجنة التنفيذية العليا أو اللجنة المركزية . ثم طالبت العمال بالمزيد من الانتاج لتعويض فترة توقف الانتاج التى بدأت مع انتهاء وردية بعد ظهر يوم الاثنين وانتهت صباح يوم السبت ١٣ اكتوبر عام ١٩٧٠ .

والملاحظة الهامة التى لابد أن تسجل اليوم ، هى ان كافة القيادات العمالية التى تحملت مسئولية عمل تلك الايام الصعبة **بادرت بالقيام بكل تلك الاعمال دون التواكل على أى مستوى علوى لها . وانما حدث كل شيء من خلال مبادرة شخصية للقائد المحلى وللجماهير .** وبعد أن اتخذت القرارات وبعد أن نفذتها .. تم ابلاغها للمستوى التنظيمى الاعلى .. حيث وجدت كل تأييد وكل موافقة ..

ثم — وهنا لابد من أن نسجل أنه — لم يحدث أى خلل طوال فترة الحداد فىأى موقع انتاجى.. فقد سهر العمال حارسين امناء على مواقع الانتاج ، أكثر من ذلك فقد وقفوا مدعمين للجان الدفاع المدنى المكونة من العمال والتى تناوبت العمل الصباحى والليلى فى حراسة المصانع .

وهكذا فان حركة العمال فى تلك الليلة تتميز بميزتين :

● **المبادرة السريعة التى توازت مع مبادرة يوم ٩ يونية عام ١٩٦٧ .**

● **الوعى الكامل بمتطلبات المرحلة والظروف.**

واذا كنا اليوم — ومنذ ليلة التاسع والعشرون من شهر سبتمبر عام ١٩٧٠ — نقف صفا واحدا وراء المؤسسات السياسية والديمقراطية التى خلفها لنا جمال عبد الناصر .. الزعيم العظيم .. فان تلك المؤسسات تضم كافة الاشكال الجماهيرية التى تنظم حركة المجتمع : **من الاتحاد الاشتراكى العربى** — تنظيم تحالف قوى الشعب العامل بقيادته السياسية — الفلاحين والعمال.. الى **مجلس الامة** الجهاز الديمقراطى التشريعى الى **التعاونيات الزراعية** ، وهى المؤسسات الاقتصادية التى تقع



عليها مسئولية تطوير الريف اقتصاديا .. الى **التنظيم النقابى العمالى** ، ذلك التنظيم الاقتصادى الذى يهدف الى حماية مكاسب وحقوق الطبقة العاملة وقيادة نضالها اليومى .

واليوم ونحن نجد فى تلك المؤسسات الديمقراطية، وفى تنشيطها وفى تدعيمها الضمان الاساسى لاستمرار الثورة ، لابد أن نحدد الخطوات التى تستطيع من خلالها الطبقة العاملة — ذات الاصالة فى المبادرة والوعى — أن تحقق فاعلية الحركة النقابية العمالية فى هذه المرحلة من مراحل نضالنا الوطنى والاجتماعى .

واذا كان بيان ٣٠ مارس الذى اتخذه الرئيس السادات برنامجا له قد نص على الضرورة الملحة « لاطلاق القوى الخلاقة للحركة النقابية ، سواء فى نقابات العمال أو فى النقابات المهنية » فان تحقيق هذه المهمة يتطلب اتخاذ الخطوات التالية :

● **اعادة صياغة علاقة الحركة النقابية العمالية بكافة المؤسسات الاخرى وكذلك بالاجهزة الادارية فى الدولة .**

وهذه قضية كثيرا ما أثيرت من عديد من قيادات

نقابية وفى عدد من المناسبات • والسبب فى اثارة هذه القضيـــية بصفة مســـتمرة هى أن وزارة العمل ـ من خلال تطبيق قانون العمل منذ عام ١٩٥٩ ـ تمارس أنواعا من الاشراف والوصاية الادارية على الحركة النقابية •

فوزارة العمل لها حق التفتيش على النقابات ، وعلى ميزانياتها •

ووزارة العمل هى المسئولة عن اجـراء الانتخابات النقابية العمالية •

ووزارة العمل لها حق الموافقة أو الاعتراض على عقد الجمعيات العمومية فى الحركة النقابية العمالية ، وغيرهـــا من انـــواع الاشراف التى اصبحت مع الوقت ومع استمرار ممارستها قيودا من قبل جهاز ادارى على تنظيم ديمقراطى •

ووزارة العمل فى أساسها تمثل **جهازا اداريا فنيا تكمن صلاحياته ويستمد دوره من كونه جهازا يطور القوانين والتشريعات المتعلقة بالقوى العاملة المصرية •**

ان وزارة العمل تمثل الجهاز المسئول عن وضع الخطة الخاصة بالقوى العاملة •• وســـائل تدريبها •• وأسس اعدادها اعدادا يتواءم مع خطة التنمية الاقتصادية •• ثم توزيعها علـــى مجالات الانتاج • أى أن هذه الوزارة تمثل الجهة التى تضع الخطة العامة الطويلة الاجل للقوى العاملة، الخطط السنوية لها والتشريعات الخاصـة بها •

ولكن مـــع اســـتمرار وجـــود قـــانون النقابات ـ كجزء من قانون العمل استمدت وزارة العمل صلاحيات الرقابة والاشراف على الحركة النقابية •

وبقوة الممارسة ، وبعامل الوقت ، قللت من قدرة الجماهير العاملة ومن حقها فـــى الاشراف والمحاسبة • وأكثر من ذلك سلبت من الحركة النقابية قدرتها على أن تصبح هى فى حد ذاتها جهاز اشراف ومحاسبة للاجهزة الادارية الاخرى بغرض المحافظة على مكاسب وحقوق الطبقـــة العاملة •

وأولى الخطوات التى لابد أن تتخذ هى فصل قانون النقابات عن قانون العمل، بمعنى أن يتحدد دور قانون العمل فى اطار علاقة العاملين واللوائح المنظمة لتلك العلاقة بالادارة التى يعملون تحت قيادتها الفنية فى المؤسسات، ذلك أن **قانون العمل هو القانون الذى ينظم علاقة الفرد بجهة العمل •**

أما عن قوانين النقابات ، فتلك تصبح لائحة عمل **الاتحاد العام لعمال الجمهورية العـــربية المتحدة** •• شانها شأن اللوائح التى يعمل بها فى النقابات المهنية فى البلاد •

فمثلا كافة المحامين العاملين فى القطـــاع العام •• تسرى عليهم قوانين العمل •• الموجودة فى قانون العمل • أما علاقتهم بنقابتهم المهنية •• فتحددها لائحة داخلية فى النقابة • لائحة •• **وافقت عليها الجمعية العمومية للمحامين ثم مرت على مجلس الامة لدراستها والموافقة عليها ••**

نفس الشىء ينطبق على قانون نقابة الاطباء أو الصحفيين •• الخ •

ولذلك لابد لهذا المبدأ أن ينطبق على القوانين الخاصة بالحركة النقابية العمالية •• بأن يصبح لها لائحة عمل خاصة بها منفصلة عن قانون الدولة •• ولكن يوافق عليها من **القـــاعدة الجماهيرية** يصوغها العمال أنفسهم ثم من مجلس الامة •• مثلها مثل كافة قوانين النقابات المهنية •

تحقيق ديمقراطيـــة حقيقية للتنظيم النقابى

ان أهم ما يميز التنظيمات النقابية العمالية عن التنظيمات السياسية مثلا •• هو أن التنظيـــم النقابى هو تنظيم كل « العاملين » •• بمعنى أنه تنظيم كافة العاملين بغض النظر عن انتمائهم السياسى أو الدينى •

على أن الديمقراطية داخل التنظيم النقابى لا تتحقق بمجرد أنه يضم « كل العاملين » فحسب ، وانما تتحقق عندما يحس الكل ويعى بأن لهم يدا فى ادارة وتوجيه نشاط ذلك التنظيم • مثلا ، أن يكون للقاعدة حق محاسبة القيادة • سواء كان ذلك على مستوى الوحدة أو النقابة أو الاتحاد العام •

ان تمسك اللجان النقابية القاعدية بهذا المبدأ يضمن تحقيق ما يلى :

١ ـ أن تمارس الجماهير حقها فى المحاسبة والجدل والمناقشة والتعبيـــر عما تريده ، وتجسيد ارادتها فى المجال العملى ، ومن خـــلال هـــذه

الممـارسة تتعلم الجماهيـر الاسـاليب العلمية والسليمة للمحاسبة والمناقشة .

٢ ــ أن تتعود القيادة على احترام القاعدة ، وذلك بأن يوضـع العمل العام بكافة سـلبياته وايجابياته أمام الجماهير صاحبة الحق وصاحبة المصلحة فيه ، وبتأكيد واعمال الديمقراطية داخل التنظيم الديمقراطى .

ومن خلال تلك المحاسبة نضمن ممارسة أفضل أنواع الاشراف ، فلا تتكرر حـوادث التبديد فى الاموال العامة أو حركات تجميد النشاط النقابى .

اعـادة النظر فى البنـاء التنظيمى للحركة النقابية

لاشك ان جماهيرية الحركة النقابية مستمدة اساسا وقبل كل اعتبار آخرمن جماهيرية خلاياها فى الوحدات الانتاجية . فاذا ما كانت اللجان النقابية جماهيرية ومتقدمة فى نشاطها انعكس ذلك جليا على الحركة ككل وأصبحت كلها من أدنى مستوى لها الى أعلى مستوى جماهيرية ومتقدمة فى نشاطها العمالى .

اما اذا حدث العكس وكانت اللجان النقابية متخلفة فى أشكال عملها ونضالها ، انعكس ذلك أيضا على الحركة ككل وأصبحت متخلفة عن ركب قوى الانتاج البشرية التى تنتسب اليها .

ومع ذلك فنشاط وجماهيرية اللجان النقابية ليستمستمدة منمواقعها فقط، وانما تساندهامن أعلى ــ دائما ــ أشكال ومستويات تنظيميـة تستطيع الحركة وممارسة النضال على مستوى أفقى أوسع من مستوى حركة ونضال اللجـان النقابية .

فمثلا ، اذا تحركت لجنة نقابية فى مجال الثقافة العمالية باتت حركتها محصورة فى حـدود امكانياتها المالية وامكانيات اتصالاتها ، أما اذا تحركت النقابة العامة فى نفس المجال وجدناها تقود حركة أوسع ماديا وكذلك أوسع ثقافيا ، لانها تملك القدرة الواسعة على التحرك على مستوى الصناعة ككل .

كما ان اللجنة النقابية مهما تحركت فهى تقود حركة الوحدة الاقتصادية الواحدة .. وهى دائما أصغر من حركة النقابة العامة التى تقود حركة الصناعة كلها .

لذلك ظهرت اتجاهات منذ عام ١٩٦٤ وبعد تطبيق كامل لقانون النقابات المعدل فى ذلـك العام .. ينادى بضرورة اعادة النظر فى البناء التنظيمى للحركة النقابية .

وعلى سبيل المثال فان هذا يعنى :

● ان تعود الى الوجود وتعمم النقـابات الفرعية فى التنظيم النقابى بعد أن ألغيت عام ١٩٦٤ من بنائه التنظيمى ، وهى النقابات التى كانت تقود عمل عدد من اللجان النقابية فى المنطقة الواحدة وفى الصناعة الواحدة ، خاصـة وأن هذه النقابات الفرعية كان لها دور بارز فى حماية كافة العاملين فى كل صناعة على حدة وخاصة فى القطاع الخاص من الفصل التعسفى ثم مراقبة نظم أجورهم وكذلك مراقبة عضويتهم واشتراكهم فى التأمينات الاجتماعية .

● أن يطبق النص الخاص فى قانون النقابات الحـالى ، والذى ينص على تكوين الاتحـادات العمالية على قمة كافة التشـكيلات النقابية ، وكذلك المستويات الاخرى فى كل محافظـة .. ليشـكل قـوى ديمقراطية جـادة وفعالة فى كل محافظة ، تسـاعد اللجان النقابية على التنسيق فيما بينها ، وعلى أن تصبح قوى نشطة فى تنظيم العمال ، وفى الحفاظ على مكاسبهم .

● ان تصاغ علاقة مالية جديدة بين اللجان النقابية والنقابات العامة بحيث لا يستقطع الجزء الاكبر من اشتراك الاعضاء للنقابة العامة ، فلا يتبقى بعد ذلك للجنة النقابية الا الجزء الصغير الذى لا يفى بالتزامات اى نشاط نقابى (النقابة العامة تحصل على٧٠ فى المائةمن الاشتراك، اما اللجنة النقابية فتحصل على ٣٠ فى المائة) .

● **ضرورة الالتزام بتطبيق القانون بالنسـبة للنصوص الخاصة باجراء الانتخابات النقـابية العمالية كل عامين، وكذلك بعقد الجمعيات العمومية لكافة تشكيلات التنظيم .**

فمع بداية عام ١٩٧١ يكون قد مرت سبعة أعوام على اجراء آخر انتخابات للحركة النقابية رغم ما قد طرأ من تغيير على طبيعة وتطور الطبقـة العاملة .. فقد زادت مشاركة العمال والفلاحين فى الحياة العامة سواء كانت من خلال العمل

السياسى فى الاتحاد الاشتراكى العربى ، أو من خلال العمـــل التشريعى فى مجلس الامة ،او من خلال العمل الانتاجى فى القطاع العام .

● لازم تلك الفترة تغير فى عدد من المفاهيم الخاصة بالمشاركة العامة للطبقة العاملة سواء كان ذلك فى مجالس ادارات الشركات او فى لجان الانتاج .

لذلك يمكن انتقول انه خلالتلك الفترة الطويلة تشكل تيار فى صفوف الحركة النقابية العمالية أهم ما يميزه انه نما وتبلور فى ظل ممارسة طويلة للعمل الذى **تسيطر عليه الملكية العامة لوسائل الانتاج**، تيار استمد من التطبيق مفاهيمه الجديدة للعمل الاقتصادى الديمقراطى .

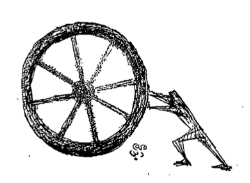
هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فعلى الرغم من مرور كل هذه الفترة ، فان عدد الجمعيـات العمومية التى انعقدت قليل حتى انه لم يكن لها صوت مسموع داخل الحركة .. ولدرجة اننا لا نستطيع ان نقول أن بند قانون النقابات الذى ينظم عقد مثل تلك الجمعيات قد طبق على الاطلاق .

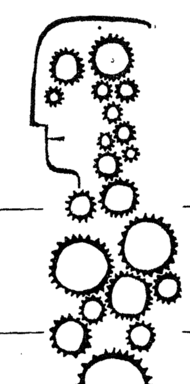
ومع عدم اجراء الانتخابات فى موعدها المحدد ، ومع عدم عقد الجمعيات العمـومية للتشكيلات النقابية تحولت بعض القيادات التى كانت قد ظهرت خلال الانتخابات الماضية كقيادات ميدانية تقف مـع العمـال وبجـانبهم الى مجرد « موظفين » يحتلون مناصب داخل هــذا التنظيم .

حدث ذلك داخل الحركة النقابية العمالية رغم ان الانتخابات الخاصة بالنقابات المهنية قد جرت فى مواعيدها القانونية بالتقريب ثم تم عقد كافة الجمعيات العمومية لهذه التشكيلات .

ان الانتخابات وكذلك الجمعيات العمومية لم تكن فى يوم ما مجرد اجراءات شكلية تجرى فى الحركة العمالية ، وانما هى دائما حركة تدفع بالتطور الى الامام .. وتجدد الدماء داخل ذلك التنظيم حتى لا يصيبه الجمود وانما يسرع بالخطى نحو الشكل والمضمون المثاليين .

ان تخلص التنظيم النقابى العمالى من كافة السلبيات التى تعوق حركته ومن ثم قيادته لحركة الجماهير العاملة فى مواقع عملها فى نضالها الاقتصادى اليومى لهو استمرار للمسيرة التى تهدف من جعل مرحلة التحول الاشـتراكى عملا جماهيريا واصيلا . ليس هذا فحسب ، بل انه اداة وركيزة هامة من ادوات تعبئة الطبقة العاملة وحشد قواها ، واطلاق طاقاتها فى معركة التحرير ومعارك الانتاج سواء بسواء .





التعبئة الاقتصادية الراهنة

د. فؤاد مرسى

فرضت حرب يونيو ١٩٦٧ ضرورة وضع الاقتصاد القومى فى خدمة المعركة .. وتبلورت عندئذ أهم الاتجاهات الاقتصادية فى ضرورة الدفاع عن منجزات الثورة الاقتصادية والاجتماعية والحرص على استمرار التنمية الاقتصادية وتعبئة الاقتصاد للحرب . وكانت القيادة الثورية التى إختارت من قبل الحل الاشتراكى لتعبئة جهود الشعب العامل من أجل التنمية الاقتصادية تستند فى التعبئة الاقتصادية الى أرضية صلبة من المنجزات التى لا رجوع فيها وهى : وجود قطاع عام مملوك للدولة ، الاخذ بمبادىء التخطيط ، التأكيد على دور الصناعة الثقيلة ، قيادة القطاع العام للاقتصاد القومى ، الاصلاح الزراعى وتنظيم الزراعة ، الاخذ بالتعاون لحماية وتطوير الانتاج الصغير والحرفى ، المكتسبات الاجتماعية للعمال والفلاحين .

وكان الادراك عندئذ عميقا بحقيقة أن المعركة الاقتصادية ستكون طويلة ومريرة ، بل ستكون أطول واشد مرارة من المعركة العسكرية ذاتها . كانت ضراوة العدو تتطلب حشدا هائلا للموارد للوصول بالمقدرة الحربية الى أقصى طاقاتها والوصول فى الوقت نفسه الى أعلى معدل ممكن من التنمية الاقتصادية فى ظروف الحرب ، كما ان همجية العدو كانت تطرح احتمالات لتدميرات هائلة يلحقها العدو بثرواتنا ومرافقنا ومواقع انتاجنا .

لذلك كان من الضرورى اختيار سبل مناسبة لتحقيق التعبئة الاقتصادية ، سبل تراعى معيارين اساسيين هما :

أ ـ الاعتماد على النفس بصورة رئيسية .
ب ـ عدالة توزيع الاعباء اجتماعيا .

ولقد جاءت أول ميزانية بعد الحرب وهى ميزانية ٦٧ ـ ٦٨ ففرضت ضرائب مباشرة وغير مباشرة ورسوما جديدة . واستطاعت أن تحصل من واقع رسوم الانتاج وفروق الاسعار وأتاوات السلع على ١٠٦ر٧ مليون جنيه ارتفعت فى السنة التالية ٦٨ ـ ٦٩ الى ١٤٤ر٥ مليون جنيه تحملها الشعب من مأكله وملبسه . اذ بلغت فروق الاسعار وحدها ٩٥ مليون جنيه فى ميزانية ٦٨ ـ ٦٩ وارتفعت فى السنة التالية ٦٩ ـ ٧٠ الى ١٠٥ ملايين جنيه ، ومن المعروف أن ٨٠ فى المائة من السلع التى فرضت عليها هذه الزيادة هى سلع شعبية . كذلك استطاعت الخزانة أن تحصل من واقع ضريبتى الدفاع والامن القومى على ٥٠ مليون جنيه تقريبا .

ولقد استقبل المواطنون هذه الاعباء الاضافية بالرضا والتقدير السليم ، تعبيرا عن استعدادهم الذى لايحد للتضحية من اجل قضية الوطن الاولى . ومع ذلك فيجب القول بأن الاعباء الجديدة من الضرائب والرسوم قد أصابت دخول الافراد بآثار عميقة ، فمن المعروف أن متوسط دخل الفرد

فى بلادنا لايزيد كثيرا عن ٦٠ جنيها فى السنة ، ومن المعروف أيضا أن متوسط الدخل يتفاوت تفاوتا كبيرا من المدن الى الريف . فالفرد فى المحافظات الحضرية يحصل على متوسط دخل يبلغ ضعف متوسط نصيب الفرد فى محافظات الوجه البحرى والوجه القبلى . فدخل الفرد فى المدن يبلغ ٩ر١٠٠ جنيه فى المتوسط مقابل ٥١ جنيها فى الوجه البحرى و٧ر٥٠ جنيها فى الوجه القبلى .

ومن المعروف أيضا أن الزيادة فى دخل الفرد وهى التى تحققت بفضل التنمية الاقتصادية قد تعرضت لعوامل اقتصادية معاكسة جعلت منها بعد الخطة الاولى زيادة ظاهرية أكثر منها حقيقية .

يكشف تقرير وزارة التخطيط بعنوان (المسح الاقتصادى والاجتماعى للمحافظات) فى الفترة من ٦٤ — ١٩٦٥ الى ٦٧ — ١٩٦٨ الصادر فى ديسمبر ١٩٦٩ ، انه من قبل حرب يونيوكان معدل الضرائب المباشرة على الافراد فى سنة ٦٦ـ٦٧ من الكبر بحيث أنه لم يؤد الى امتصاص الزيادة التى تحققت فى متوسط نصيب الفرد من الدخل فقط ، بل أدى أيضا الى انخفاض متوسط نصيب الفرد من الدخل الممكن التصرف فيه بنحو ٩ فى المائة عن مستواه فى ٦٥ـ٦٦ ، والدخل الممكن التصرف فيه هو الدخل الفردى بعد استبعاد الضرائب المباشرة واشتراكات التأمينات .

ويكشف تقرير وزارة التخطيط بعنوان (متابعة وتقييم خطة السنة ١٩٦٧ـ١٩٦٨) أنه مع أن استهلاك الافراد قد زاد بمعدل ٧ر٤ فى المائة فانه (يعتبر معدل الزيادة ظاهرى أكثر منه حقيقى نظرا لارتفاع الاسعار ونتيجة للضرائب غير المباشرة الجديدة وخاصة المعروف منها بفروق الاسعار . بحيث لو استبعد أثر الاسعار فان استهلاك الافراد ينخفض بمعدل ٦ر فى المائة) .

ومن المعروف أن استهلاك الفرد هو دخله الممكن التصرف فيه بعد استبعاد الادخار ، ان وجد . وقد بلغ متوسط استهلاك الفرد المصرى ٦ر٥٤ جنيه فى السنة فى ٦٧ـ٦٨ . ويكشف تقرير وزارة التخطيط بعنوان (متابعة وتقييم النمو الاقتصادى فى الجمهورية العربية المتحدة عن السنة ٦٦ـ١٩٦٧) الصادر فى أغسطس ١٩٦٨ عن حقيقة أن (عدد الافراد فى فئات الانفاق من ١٠٠ جنيه فأكثر فى السنة تبلغ نسبتهم ٨ر٩ فى المائة فقط من مجموع الافراد ، فى حين تعلو نسبة انفاقهم الى ٥ر٤٤ فى المائة من مجموع الاستهلاك الفردى) . كما تشير احصائية أخرى الى أن الافراد الذين يزيد انفاقهم عن ٢٠٠ جنيه فأكثر سنويا تبلغ نسبتهم ٣ر٢ فى المائة من مجموع الافراد الذين يزيد انفاقهم عن ٢٠٠ جنيه مجموع الاستهلاك .

ومع ذلك تستمر بل وتضطرد مقدرة المواطنين على تمويل الانفاق العسكرى المتزايد . فميزانية ٧٠ـ٧١ تخصص ٥٥٣ مليون جنيه اى ربع الدخل القومى تقريبا للدفاع عن استقلالنا وتحرير أرضنا . وهى نسبة تمثل حوالى ٣٠ فى المائة من حجم الميزانية كلها .

وقبل النكسة كانت نفقات الدفاع على ضخامتها تمثل حوالى ٣٠ فى المائة من استثمارات التنمية . وفى أعقاب النكسة ، عندما وضعت فى التطبيق سياسة التحفظ فى الاستثمار ، كانت نفقات الدفاع تمثل حوالى ٥٠ فى المائة من استثمارات التنمية ، وفى السنة المالية الماضية بلغت نفقات الدفاع ٥٠٥ ملايين جنيه مقابل ٣٢٠ مليون جنيه انفقت فعلا على الاستثمارات الجديدة . وفى العام الحالى نرصد لنفقات الدفاع ضعف مانرصده لنفقات التنمية تقريبا .

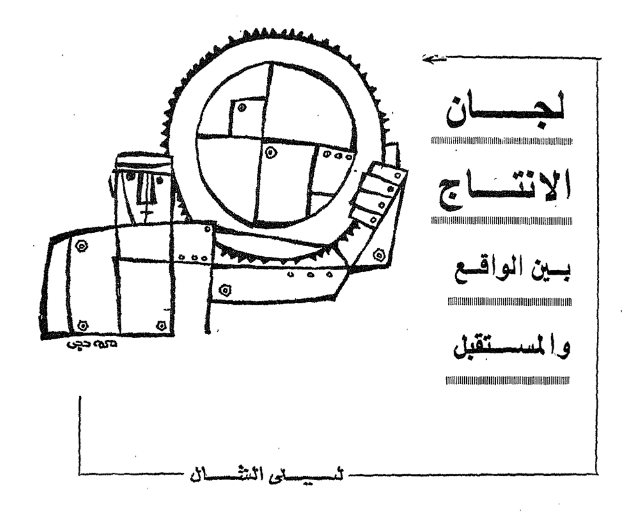
فى عام ٦٦ـ٦٧ كنا نخصص ١٦٠ مليون جنيه للدفاع ، وفى عام ٦٨ـ٦٩ أنفقنا ٣٥٣ مليون جنيه، وفى عام ٦٩ — ٧٠ انفقنا ٥٠٥ ملايين جنيه ، وفى العام الحالى سنتجاوز حتما مبلغ ٥٥٣ مليون جنيه .

حقا انها لاعباء هائلة تفرضها ضرورات التعبئة الاقتصادية لمواجهة الحرب والتنمية معا . ولهذا كانت هذه الاعباء وراء الدراسات التى جرت وتجرى أخيرا والتى اتخذت بصفة خاصة اتجاهين جوهريين هما :

أولا : المحافظة على التوازن الاقتصادى ، باستقرار الدخول وتثبيت مستويات الاسعار ان لم يمكن خفضها ، وتكوين جهاز مركزى للاسعار يتولى تخطيط اتجاهات وحركات الاسعار على المستوى القومى .

ثانيا : السعى لتعبئة المدخرات الخاصة لاغراض الحرب والتنمية بدلا من اتجاهها وجهات قد تبددها . ومن هنا كانت فكرة اصدار سندات الحرب أو للتحرير ، أطلق عليها اسم (سندات الجهاد) . بيد ان هذه الفكرة لم تنتقل بعد الى ميدان التنفيذ .

ان استعداد المواطنين للتضحية من أجل تحرير الارض أمر مفروغ منه ، وكل ما يطلبونه هو التأكيد على ضرورة عدالة توزيع الاعباء بين المواطنين حتى لا يثرى البعض على حساب تضحيات الملايين . أما المعركة فلها كل ما نملك ولها أرواحنا فداء للوطن . فأننا ندرك بوضوح أن المعركة الراهنة سوف تفتح الباب واسعا لاعادة بناء بلادنا على أسس التقدم الاجتماعى التى أرساها القائد المناضل جمال عبد الناصر .



لجان الانتاج بين الواقع والمستقبل

لـيلى الشال

كان ميلاد القطاع العام ايذانا باثارة سلسلة من التساؤلات الهامة حول العلاقة بين الاجهزة السياسية والنقابية داخل الوحدة الانتاجية ، وحول سلطان العاملين كمجموع ، وسلطان ممثليهم المنتخبين سواء فى لجنة الاتحاد الاشتراكى العربى او فى اللجنة النقابية على سير العمل اليومى فى الوحدة الانتاجية ومدى قدرتهم على التأثير فيه ، وحول امكانيات مشاركتهم فى وضع الخطط الانتاجية للوحدة ، وتوجيه العمل فيها بصورة تتفق مع مصالح المجتمع ككل .

والحقيقة أن ثمة عوامل موضوعية عديدة قد أدت الى نشوء اتجاهات بين التكنوقراطية والبيروقراطية ترفض أى اشراك للعاملين أو ممثليهم فى عملية توجيه الانتاج أو سير العمل اليومى ، وتعتبر ذلك تدخلا فى شئون الادارة ووضعا للعراقيل أمامها من قبل عناصر غير مسئولة وغير مؤهلة اداريا او ثقافيا أو مهنيا .

ومن الجانب الاخر برزت اتجاهات خاطئة تحاول فرض نوع من القيد السياسى على أيدى أجهزة القيادة الادارية . ومع نضوج التجربة بدأت امكانية البحث الجاد عن الصياغة الصحيحة لعلاقة صحية بين الاطراف المختلفة داخل الوحدة الانتاجية كمحاولة لوضع أساس جاد لفهم اشتراكى لنوعية عملية الانتاج واسلوب تطويرها ، ومحاولة لحشد كل كفاءات العاملين وخبراتهم واخلاصهم وتفانيهم لسد الثغرات والنواقص فى عملية الانتاج ، دونما اعاقة العمل الادارى عن الحركة .

واخيرا توج هذا البحث بصدور القرار الجمهورى ٢٨٠ لعام ١٩٦٩ والخاص بانشاء اللجان الانتاجية وتحديد اختصاصاتها .

والحقيقة أن قضية العلاقات داخل الوحدة من جانب القيادة السياسية فى محاولة اصلاح الاساليب الخاطئة فى فهم العلاقة بين الاجهزة المختلفة داخل الوحدة الانتاجية ، وفى محاولة لرفض الاتجاهات التى تتصور عملية الادارة عملا علويا وكهنوتا لا يمكن لغير القائمين به أن يطلوا عليه ولو من بعيد .. أو أن يشاركوا فيه ولو بالمشورة

والحقيقة ان قضية العلاقات داخل الوحدة الانتاجية قضية بالغة التعقيد يزيد من تعقيدها فى تجربتنا أن كثيرا من القادة الاداريين هم فى نفس الوقت أعضاء فى لجان الاتحاد الاشتراكى ، ومن ثم فانهم يستخدمون نفوذهم الادارى ونفوذهم السياسى فى حماية ذلك الكهنوت الادارى الذى يرفض أى تدخل أو أية مشاركة .

وهنا تكمن الصعوبة التى واجهت عملية صياغة قرار تشكيل اللجان الانتاجية ، ثم واجهت محاولات وضعه موضع التنفيذ .

والقرار يحدد المهام الاساسية للجان الانتاج فيما يلى :

● **مناقشة** خطط الانتاج والبرامج اللازمة لتنفيذها على أساس تحديد واضح لاختصاصات الادارات والاقسام المختلفة ومسئولية كل منها بالنسبة لتنفيذ الخطة .

● **متابعة تنفيذ** خطة الانتاج واقتراح الحلول لجميع المشاكل التى تعترض التنفيذ .

● **اقتراح** ومناقشة الخطط التى تكفل تطوير الانتاج واحكام الرقابة على جودته وحسن استخدام الموارد المتاحة استخداما اقتصاديا سليما .

● **اقتراح** معايير ومعدلات الاداء وتقييمها (*)

● **اقتراح سياسة** لرفع الكفاية الانتاجية للعاملين وتدريبهم ، ودراسة حوافز العمل المادية والمعنوية .

● **مناقشة سياسة** العمالة بمراعاة الادارة الاقتصادية السليمة بالوحدة (*)

● **اقتراح سياسة** لتنمية الوعى لدى العاملين تهدف الى العمل على خفض التكاليف ومحو الاسراف والمحافظة على ممتلكات الوحدة الانتاجية والارتفاع بمستوى جودة الانتاج .

● **دراسة ومناقشة** التقارير الدورية التى تعدها الادارة عن نشاط الوحدة ومدى ما حققته فى تنفيذ الاهداف المقررة .

● دراسة ومناقشة الميزانية العمومية والحسابات الختامية وتقرير مجلس الادارة فى شأنها وابداء الملاحظات والمقترحات عليها ، وللجنة أن تطلب كافة البيانات التى تراها لازمة لتحقيق الغرض من انشائها .

وقد حاولت القيادة السياسية التى خططت لقيام لجان الانتاج أن تكفل نوعا من الحماية للقرارات الصادرة عنها ، وأن تجعل لهذه القرارات قدرة — ولو محدودة على الالزام — فنصت المادة الخامسة من القرار الجمهورى على أنه فى حالة ما اذا رأى مجلس الادارة رأيا مخالفا لما أوصت به اللجنة ، يعرض الامر على مجلس ادارة المؤسسة العامة المختصة للنظر فيه واصدار قرار بشأنه ، ولا يعد قرار مجلس ادارة المؤسسة نهائيا الا بعد اعتماده من الوزير المختص » .

وعندما صدر هذا القرار الجمهورى استقبل من جانب القيادات الادارية بمواقف متباينة :

ا — البعض وضعه موضع التطبيق المخلص وأقام بالفعل لجانا للانتاج تتفق مع نصوص القرار وروحه وتسهم بشكل ايجابى فى وضع أسس العلاقات السليمة فى عملية الانتاج .

ب — والبعض تقبله تقبولا شكليا محضا ، فأقام لجانا شكلية لم تحقق شيئا من آمال واضعى القرار الجمهورى .

جـ — **أما البعض** الاخر فقد تجاهل هذا القرار تماما ولم يشكل حتى الان اللجان الانتاجية فى وحدته

ولعل هذا الموقف الاخير يستحق بعض التأمل فهو ليس ناتجا فقط من تعنت بعض القيادات الادارية وتصميمها على تحدى أية محاولة لاشراك العاملين فى الاشراف على سير عملية الانتاج واسهامهم فى وضع خطتها .. وانما هو نابع

ايضا من بعض النواقص التى شابت القـرار الجمهورى ذاته ، فهو ينص على تشكيل هذه اللجان لكنه لا ينص على تحديد جهة ما تشرف على عملية التشكيل وتفرض ضرورة البدء فيها ، وتتابع نشاط اللجان وقيامها وتمتعها بما منحه لها القرار الجمهورى من اختصاصات •

ومن هنا فان اللجان الانتاجية هى مسألة محلية مقطوعة الصلة بما هو خارج حدود الوحـدة الانتاجية ، فما من جهاز يشرف على سير عملها ، وما من جهة خارج الوحدة تملك الحق فى السؤال لماذا لم تجتمع اللجنة الانتاجية ؟ أو لماذا لا تتمتع باختصاصاتها كاملة ؟ أو حتى لماذا لم يطبق القرار الجمهورى أصلا ؟

كذلك فان القرار الجمهورى قد ترك موعد تشكيل هذه اللجان مفتوحا فلم يحدد موعدا نهائيا يتعين عنده أن تشكل اللجان الانتاجية فى كل الوحدات ••

ولقد حاولت بعض القيادات المحلية للاتحاد الاشتراكى ، أن تتدخل فى هذا الامر لكنها لم تجد لتدخلها أى سند سواء من القرار الجمهورى أو من تقاليد العلاقة بينها وبين الاجهزة الادارية •

وبعد عامين من صدور القرار يمكننا أن نقف وقفة تأمل لنلاحظ أن التطبيق المخلص لنصوصه قد أثمر بالفعل جهدا ايجابيا فى بعض الوحدات أدى الى تطوير عملية الانتاج والى اشعار العاملين جميعا بأن قيادة العمل الادارى والاشرافى ليست غريبة عنهم ، وأنهم بالفعل يشاركون فى ارساء تقاليد جديدة للعلاقة مع الادارة ويشاركون فى وضع خطط الانتاج وفى التخلص من النواقص ، واستطاعت أن تجد صياغة صحيحة لعـلاقة صحية بين الاجهزة الادارية والسياسية والنقابية داخل الوحدة ، كذلك استطاعت هذه اللجان أن تناقش وأن تسهم فى كثير من المسائل التى تمس حياة العاملين ومستقبلهم مثل العلاوات والاجر الاضافى والمكافآت وتقارير النشاط الخ ••

وبعد عامين أيضا من صدور القرار تستمر بعض الوحدات الانتاجية فى معاناتها من شكلية لجان الانتاج أو عدم وجودها أصلا •

ومن هنا فان نقطة البدء هى فرض وجود لجان الانتاج كضرورة ثورية تستهدف دعم الانتـاج واشراك العاملين فى الرقابة عليه ، ان على القيادة السياسية أن تبحث عن الصيغة الملائمة التى يمكن بها فرض تطبيق قرار جمهورى صدر منذ عامين ومازال البعض يتجاهلونه حتى الان •

كذلك يتعين ايجاد نوع من الرقابة السياسية على سير العمل فى هذه اللجان حيثما وجدت وذلك لتلافى أية امكانية لفرض وجود شكلى لها ••

الايجابى والسلبى فى التشريع

لكن القضية ليست مجرد تأكيد وجود هـذه اللجان فى ظل القرار الجمهورى وعلى أساسه ، وانما يتعين أيضا دراسة تجربة العامين السابقين والاستفادة منها فى وضع التشريعات الملائمة والتى يمكنها أن تجعل من لجان الانتاج حقيقة واقعة وفعالة ..

فالقرار الجمهورى ينص على أن لجنة الانتاج تتكون من رئيس مجلس الادارة رئيسا ، ومن ١٥ عضوا .

— **ثلاثة** من أعضاء مجلس ادارة الوحـدة يختارهم المجلس •

— **أربعة** أعضاء يمثلون لجنة أو لجان الاتحاد الاشتراكى بالوحدة تقوم اللجنة باختيارهم

— **اربعة** من أعضاء اللجنـة النقابية تتولى اللجنة اختيارهم .

— **أربعة** أعضاء يمثلون رؤساء الاقسـام الانتاجية والمشرفين عليها ، ويختارهم رئيس مجلس الادارة •

فماذا يعنى مثل هذا التشكيل ؟

اولا : أن رئيس مجلس الادارة والمجلس يملكان اختيار ثمانية اعضاء ، اربعة من اعضاء المجلس وأربعة من رؤساء الاقسام الانتاجية •

ثانيا : أن الادارة تمتلك فرصة الحصول على ثمانية أصوات على الاقل (١ رئيس مجلس الادارة زائد ٣ يمثلون المجلس زائد ٤ يمثلون رؤساء الاقسام الانتاجية) مع ضرورة أن نضع فـى الاعتبار تواجد عدد من القادة الاداريين داخل لجان الاتحاد الاشتراكى وداخل اللجان النقابية •

فاذا وضعنا فى اعتبارنا نوعية العلاقة التاريخية بين العمال والادارة وضعف المستوى الثقافى والفكرى والتنظيمى لكثير من العمال وعدم قدرتهم على متابعة المشكلات الادارية المعقدة فان وضع العاملين فى موضع الاقلية يخلق مقدما امكانية جعل اشتراكهم فى مثل هذه اللجان اشتراكا شكليا .

كذلك يتعين البحث عن الشكل الملائم للاشراف من أعلى ومن أسفل على سير العمل فى هذه اللجان ، الاشراف من أعلى بمعنى ضرورة وجود جهة ما يتعين على لجان الانتاج أن ترفع اليها محاضر اجتماعاتها وما قد يطرأ من مشاكل متعلقة بنشاطه أو مترتبة على هذا النشاط ، ومثل هذا الجهاز يمكنه أيضا أن يواجه محاولات البعض لفرض الوجود الشكلى لهذه اللجان أو لتجاهل وجودها أصلا ..

ولست أعنى بذلك خلق أجهزة اشرافية جديدة بما يتطلبه ذلك من تعقيدات ادارية وبيروقراطية ، وانما يمكن أن نتصور البناء التنظيمى لهذه اللجان كصورة بناء هرمى نواته لجنة الانتاج فى الوحدة الانتاجية ولجانها الفرعية ثم تتصاعد قمته فى صورة لجنة تمثل فيها لجان الانتاج فى الوحدات التابعة لمؤسسة واحدة ثم لجنة أعلى للانتاج فى الصناعة الواحدة .

ومثل هذا التنظيم لا يكفل وجود أجهزة اشرافية علوية تتابع أعمال لجان الانتاج وتنفض عنها غبار الشكلية فحسب ، وانما أيضا يمكن من تصعيد المشاكل التى قد لا تستطيع لجنة الوحدة لها حلا الى جهاز أعلى ذى نظرة أشمل وأقدر ، كما أنه يتيح الفرصة لبحث المشكلات العامة لصناعة ما بحثا شاملا واضعا فى الاعتبار الخبرات المحلية التى تتجمع من خلال نشاطه لجان الانتاج بالوحدات ..

لكن الرقابة من أعلى لا تكفى وحدها ، والا فانها تكون مجرد ضمان للانتظام البيروقراطى ، مثل انعقاد الاجتماعات فى مواعيدها وما الى ذلك دون ضمان التحام هذه اللجان بجماهير العاملين مستفيدة من خبراتهم وتجاربهم ومقترحاتهم ، متيحة لهم فرصة المشاركة الديمقراطية والايجابية فى عملية قيادة وتوجيه وتخطيط عملية الانتاج .

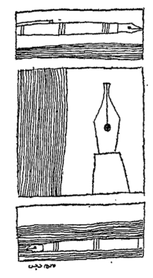
ان لجان الانتاج ليست مجرد جهاز يستهدف فنيا رفع الكفاية الانتاجية ، والا لامكن الاستعاضة عنها بعدد من الخبراء المتخصصين فى الصناعة ، وانما أيضا وربما هى فى الاساس جهاز سياسى يستهدف تحقيق جنينيات العلاقات الاشتراكية فى عملية الانتاج ، وهى علاقة بذرتها الاساسية المشاركة الجماعية وعلى أسس ديمقراطية من مجموع العاملين .

ومن هنا فان مفتاح الحياة للجان الانتاج هو اخضاع نشاطها لنوع من الاشراف من أسفل .. من القاعدة العريضة لمجموع العاملين بالوحدة الانتاجية ، بحيث يكون المؤتمر العام للعاملين بالوحدة الانتاجية شكلا ثابتا من أشكال الرقابة على أعمال لجان الانتاج ، ومن أشكال احيائها وربطها بمجموع العاملين ، ودعمها بخبرات وأفكار ومقترحات المجموع .

مرة اخرى أؤكد أن لجان الانتاج **ليست لجنة فنية متخصصة** ، وانما **هى منهج سياسى لتمثيل العاملين جميعا** فى المعترك اليومى لعملية الادارة والقيادة والتوجيه بالوحدة الانتاجية ، ومن هنا فان ربط نشاط اللجنة ربطا وثيقا بمجموع العاملين هو شرط أساسى وضرورى لنجاحها فى مهمتها ، وضمان أكيد لحمايتها من أية محاولة لاضعافها أو تجاهلها من جانب بعض الاداريين .

واخيرا فان تجربة لجان الانتاج على أهميتها البالغة ، وعلى قدر ما تتضمن من معان ثورية وايجابية ، وبالرغم من كل ما يمكن أن تقدمه هذه التجربة اذا نجحت وعممت سواء فى مجالات السياسة او الاقتصاد ، فانها لم تحظ بعد بالاهتمام الكافى ، لا من جانب القيادة السياسية ولا من جانب الباحثين .

ومن هنا فان الهدف الاساسى من هذا المقال هو لفت الانظار الى هذا التراث الحى والهام الذى خلفه لنا عبدالناصر والتأكيد على أنه اذا كان قصر مدة التجربة لم يتح لها النضج الكافى ، فان روح الميثاق الوطنى والاتجاه الحقيقى لفكر عبد الناصر يقتضى منا أن ننظر الى هذه اللجان كمحور أساسى فى تدعيم القطاع العام ، وتخليصه من نواقصه ومن نفوذ البيروقراطية فيه ، ودعمه بحماس واخلاص ونشاط ملايين العاملين فيه ، واتاحة الفرصة للعناصر الثورية أن تبذل الجهد من أجل استخدام هذه اللجان كجهاز فعال يستهدف غرس قيم جديدة وأساليب جديدة فى عملية الانتاج ، هى القيم والاساليب التى تمليها العلاقات الاشتراكية فى عملية الانتاج .



الاعـــلام من أجـل المعـركة

محمد سيد أحمد

ما من شك فى أن ازمة الشرق الاوسط تقترب من مرحلة بالغة الخطورة مع حلول موعد ٥ فبراير الذى ينبغى فيه أن يتقرر استمرار الجهود الدولية المبذولة حاليا من خلال يارنج للتوصل اما الى حل يحقق تنفيذ قرار مجلس الامن بالطرق السلمية ، واما الى وقف مد اطلاق النار ، وما ينطوى عليه من احتمال تجدد القتال على نحو لا يستبعد تصعيد الى اخطر مما كان عليه من قبل .. ذلك اذا اتضح قصور هذه الجهود الدولية عن تحقيق الحد الادنى الذى ينبىء باحتمال وصولها الى نتائج ملموسة فى تنفيذ القرار .

ومن المحقق أنه لا ينتظر حدوث تغيرات جذرية فى الموقف ما لم يتحقق تغير جذرى فى توازن القوى بين الاطراف المتنازعة ، ومن هذه الوجهة ، ينبغى أن ندرك أن التوصل الى حل للازمة ، سواء بالطرق السلمية أو بغير الطرق السلمية ، أمر يتوقف التعجيل به على قدر تعجيلنا باحداث هذا التغير الجذرى فى توازن القوى ، وهو أمر ليس من السهل اختزال الزمن فيه ، أو افتعال أى اختزال للزمن لا يعبر عن تغيير حقيقى يناسبه فى واقع القوى المتصارعة . الا أن هذا لا يقلل – مع ذلك – من خطورة القرار السياسى المطلوب اتخاذه فى ٥ فبراير القادم . فهذا القرار يتوقف عليه شكل ممارسة الصراع فى المرحلة المباشرة القادمة ، سواء كان هذا الشكل ، هو استمرار الشكل القائم حاليا ، المرتكز على وقف اطلاق النار ، واعطاء الاولوية لاتصالات يارنج ولتدخل المجتمع الدولى والدول الكبرى من أجل تحريك القضية واخراجها من « التجميد » الذى تريد اسرائيل فرضه ، احتفاظا بالاراضى المحتلة ، وتحقيقا لاهداف توسعية .. أو اتخذ شكل ممارسة الصراع ، شكلا مغايرا ، لا يرتكز على وقف النار ، بل يترك الباب مفتوحا **لاستخدام الوسائل العسكرية** كوسيلة لالزام العدو بالتراجع عن اطماعه ، والتخلى عن موقفه الراهن ، **وفى كلتا الحالتين ، ما من شك فى أن الظرف الحالى يستدعى حشد كل الجهود وتركيزها على المعركة ، واعلاء صوتها فوق كل صوت ، وتنشيط طاقات مجتمعنا المختزنة والكامنة ، وتحريكها لتؤثر باقصى ما هو متاح لنا من قوة فى مجريات المواجهة ، وليس من شك فى أن للاعلام دورا بارزا فى هذه التعبئة ، دورا ينبغى التخطيط له بتصميم على القتال مؤكد ، وبفكر علمى دقيق .**

ومن المؤكد أن الاعلام **ليس هدفا فى حد ذاته ، بل هو وسيلة لتحقيق هدف ، هو أداة للتنشيط والتحريك** ، له دور **وظيفى** من أجل تحقيق التعبئة ، ولا يغنى عن التعبئة **الفعلية** ، ولا يحل محلها ، ولا يعتبر فى حد ذاته « تعبئة » . ومن هذه الوجهة ، ترتبط فكرة « الاعلام » بفكرة « **الدعـاية** » . ولا نعنى بمصطلح « الدعاية » المعنى المبتـذل الذى يوحى بأن القصد منه هو الخداع والتضليل ، وتصوير الامور على غير حقيقتها لمجرد « تلميع » طرف ، أو « تزيين » صورته أمام الرأى العام ، بل نقصـد بمصطلح « الدعـــاية » معنـــاه العلمى التقدمى ، بالوظيفة الموكولة اليه فى التنظيمات السياسية المقاتلة ، والذى ينطوى على فكرة أن الاعلام ليس لمجرد العلم ، بل للحركة وللتأثير على الاحداث ، **ولتغيير** الواقع **نضاليا** فى اتجاه مخطط له سلفا ، وليس لمجرد تأمله .

وضـــوح الهدف

وهذا بطبيعة الحال يفترض **وضوح الهدف** . وليس هناك اعلام متسق وموجه لا يرتكز على هدف واضح . وقد تتنوع الاساليب ، وقد تختلـف الصياغات وطرق المعالجة مع اختلاف الجمهور الذى يخاطبه هذا الاعلام ، تنشيطا وتحريكا لهذا القطاع من الرأى العام او ذاك ، نحو هذا الهدف الجزئى أو ذاك ، ولكن الهدف العام والمجرى الاساسى للخط الاعـــلامى ، لابد وأن يظل واحـــدا محددا ، ليس فيه لبس أو غموض ، تتوافر فيه كل عناصر الاتساق كشرط لا غنى عنه حتى يحتفظ الخط الاعلامى بجديته وطابعه النضالى .

ومن المؤكد أن الهدف من الخط الاعلامى العام فى الظرف الراهن هو حشد واستثمار كل الطاقات المتاحة اجتماعيا ودوليا القائمة والكامنة ، للضغط على العدو بكافة الوسائل العسكرية وغيـر العسكرية فى سبيل أن ينفذ قرار مجلس الامن ، وفى سبيل الزامه بان يقدم على ازالة آثار عدوانه فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، وفى سبيل أن يرضـخ لارادة المجتمع الدولى ، وللشرعية الدولية كما هى مجسدة فى قرارات الامم المتحدة ، وفى سبيل كشف واحباط مناوراته التى تستهدف تضـليل الرأى العام بغرض اعاقة تنفيذ قرار مجلس الامن ، والامتناع عن الانسحاب من الاراضى الغـربية المحتلة كلها ، والحيلولة دون تحقيق الحقـوق القومية المشروعة لشعب فلسطين فى تقـرير مصيره .

هذا هو الهدف العام ، أما فيما يتعلق **بالتوزيع النوعى والوظيفى للعمل الإعلامى** ، فلا شك فى أنه يخاطب قطاعات من الرأى العام جد متنوعة ، ويمكن بوجه عام تقسيمها الى قطاعين رئيسيين متميزين باختلاف **وظيفة** الاعلام حيال كل منهما ،

■ **الرأى العام الداخلى :** أى « الجبهـة الداخليـة » ولـلاعلام هنـا دور يتخطـى وظيفة « التوعية » الى وظيفة أضطلاعه بـدور توجيهى قيادى مباشر فى « التحريك العملى » .

■ **الرأى العام الخارجى والدولى ،** حيث الهدف الاساسى للاعلام هو « التوعية » وكشف دعايات العدو ومناوراته ، وابطال مفعـولها وآثارها ، وتأكيد الحشد وتنميته عربيا ودوليا ، على ان « التحريك العملى » لا يتوقف على هذا الجهد الاعلامى ، بل تصدر من جهات اخرى ـ خارجية ـ تملك سلطة البت فيه ، ويمكن لاعلامنا أن يقوم بدور فى تحديد القرار الذى تتوصل اليه ، ولكنه ليس وحـده المحدد له .

التعبئة الداخلية

التعبئة الداخلية هى بالقطع الاساسى ، والمحور الذى بدونه لا يمكن أن ينجح أى نـوع مـن التعبئة ، فلا ينتظر أن ينظر بجدية لمجهود يبذل من أجل التعبئة فى مجالات خارجية ، لا يصاحبه فى الوقت ذاته جهد واضح مبذول للتعبئة فى الجبهة الداخلية ، لذلك ، كان أمرا بديهيا أن نبدأ ـ منهجيا ـ بقضية التعبئة فى الداخل .

ومعركة **الإعلام** تختص فى **الجبهة الداخلية** أســاسا « بالصفوف الخلفيــة » ـ بـالجماهير العريضة ـ ذلك أن الجيش الذى يحتل « الصفوف الامامية » فى المواجهة مع العدو ، تختص به وسائل أخرى للتعبئة والحشد والاسـتعداد للمعركة ، لا ترتكز **أساسا** على « الاعلام » ، بل قواعد الضبط والربط العسكرى . هذا لا يـنفى بطبيعة الحال الاهمية القصوى للتوعية والتعبئـة بالاعلام لجميع المواطنين بدون استثناء ، وما من شك فى أن « الاعلام » المخطط بهدف تحقيق أقصى حشد للمعركة ، يجب أى تمييز وظيفى يميز الجيش عن الشعب ، وهو لا شك من الادوات الهامة التى تدعم التقارب المنشود ، وجدانيا وانفعاليا ، بين الصفوف الامامية والخلفية .

وأيا كان هدفنا في محاولة ارغام العدو على التراجع ، واستنفاذ كل وسيلة لازالة آثار العدوان وتنفيذ قرار مجلس الامن بالطرق السلمية ، فمن المحقق أن هذا الهدف لن يتحقق ما لم تكن على تمام الاستعداد للبديل ، ولاستخدام القوة فى استرداد ما اخذ بالقوة ، فبقدر تصميم الشعب على خوض الحرب - اذا أقتضى الامر اللجوء اليها ، وتهيئة المناخ المناسب للاقدام عليها متى لزم الامر ، بنفس القدر ، تتوافر الظروف التى تهيىء أوسع قدرة على الحركة والمناورة ، وتجنب خطر أن نضطر الى صرف النظر عن تحركات معينة يمكن الاقدام عليها لا لسبب الا لان الجبهة الداخلية غير مهيأة لها .

ويدخل ضمن الاستعداد لاستئناف القتال والتعرض لاحتمالات تصعيده وتعميمه ، توعية أعرض القطاعات فى الصفوف الخلفية ، وعلى امتداد الداخل بأسره ، وعلى اتساع الجماهير كلها ، بما ينبغي عمله لدرء آثار الضربات المقابلة ، وللاعلام دور مؤكد فى انجاز هذا الهدف .

فهناك قضايا معقدة ينبغى الاستعداد لها ، وهذه القضايا تفترض - بحكم طبيعتها - أوسع مشاركة من جانب الجماهير فى التخطيط لها ، وابتداع الحلول المناسبة التى تستبعد الاختناقات والارتباكات فى مسائل مثل التموين - والدفاع المدنى ، ودرء الحرائق واسعاف المصابين فى حالة ضرب المدن ، أو مراكز التجمع المدنية . الخ .. وهذه استعدادات لا نملك التغاضى عنها ، أو طرحها جانبا بدعوى أنها مستبعدة الوقوع ، فقد وقعت بالفعل - كما أثبتت تجاربنا الماضية - بتمادى العدو الى ضرب أعماق مصر فى بداية العام المنصرم . ومن المحقق أن أعماق مصر قد وجدت الان وسائل للدفاع عنها لم تكن متوافرة من قبل ، غير أن هذا لا يجب - وليس من مصلحتنا - أن يكون سببا لالهائنا عن احتمال تجدد هذا الخطر فى أية مواجهة قادمة ، ينتظر لها تصعيد لاساليب القتال يفوق كل ما جرب فى هذه المنطقة من قبل . ومن المحقق أن خير وسائل ردع العدو ، ليس بافتراض عدم حدوث الاسوأ ، بل باجراء هذا القدر من التعبئة التى تضمن له مقدما ان أية محاولة من جانبه لمحاولة النيل من معنويات الجبهة الداخلية سوف يصادفها الفشل الذريع ، ومجرد التأهب والتعبئة ، هو فى حد ذاته انذار بأن الاسلحة التى قد يغرى على استخدامها لضرب الداخل لن تجدى فى تحقيق أهدافه .

وما من شك فى أن هذا المجال - مجال اعداد وتجهيز الداخل لتلقى الضربات وتدارك آثارها - هو مجال واسع وخصب للنشاط الإعلامى ، تحقيقا لاهداف الحشد على نحو يكسبه جديته الكاملة .

غير أن الجهد الاعلامى - استعدادا للمعركة - لا ينبغى أن يقتصر على هذه الاهداف وحدها ، بل ينبغى أن نطرق كل المجالات الكفيلة بتنشيط الحركة الجماهيرية ، بهدف اكسابها القدرة على التحرك عموما ، وبهدف توفير الظروف الانسب لانتقاء عناصر قيادية مسئولة تنبثق من صفوفها من خلال الممارسة ، وهى عملية لا غنى عنها لبناء أجهزة متحركة وفعالة ترتكز على قيادات جماهيرية مختبرة ومجربة ، تشكل دعامات التنظيم الجماهيرى وتجدد حيويته اطارات الاتحاد الاشتراكى وكافة الاجهزة السياسية المسئولة عن توجيه الجماهير وقيادتها ، وتكسبها بعد أوثق صلة بنبضها .

وربما كان من أسباب احجام الناس عن الاستجابة الى دعوة التعبئة - بالقدر ، وعلى المستوى الذى تقتضيه المعركة - هو تعرض الناس لمعوقات واختناقات مختلفة فى حياتهم اليومية ، تصرفهم عن التركيز على متطلبات المعركة ، وتحول دون الحشد على صورته المثلى والمنشودة ، وكذلك أن هدف « التعبئة للمعركة » ، يظل شعارا خاليا من أى محتوى عملى حقيقى ما لم يرتبط بمهام تنفيذية محددة ، ممكنة الانجاز ، وما لم تذلل هذه الاختناقات التى تعوق الحشد المطلوب .

وهناك مسائل شغلت الدولة فى الاونة الاخيرة ، وطرحت للمناقشة وفرضت نفسها كأمثلة بارزة لهذه « الاختناقات » التى تجذب اهتمام الناس ، وتصرفها عن الالتفات الى مقتضيات المعركة المباشرة ، مثل مشاكل النقل والمواصلات ، ومشاكل التعليم ، والنظافة ، والصحة ، والتزايد السكانى وتحديد النسل وغيرها . وبعض هذه المشاكل تبدو وكأنما ليس لها حل جذرى الا فى الامد البعيد ، وبتوفير امكانيات مادية ليست كلها متاحة فى الوقت الحاضر . ويبدو طرحها وكأنما هو جذب للانتباه الى غير ما تتطلبه المعركة فى المستقبل القريب . غير أن هذه المسائل ، وغيرها مما يشد انتباه الناس بعيدا عن مقتضيات المعركة المباشرة ، ليس من السليم ولا من المفيد اغفالها ، وليس من المحتم أن تطرح كأنما هى موضوعة فى اطار يبدو معاكسا لاغراض التعبئة ، ويمكن - بل يجب - تحويلها الى عوامل مساعدة لهذه التعبئة ، وذلك بالالتفات اليها ، والاهتمام بها بالقدر الذى يخدم التعبئة ، بعيدا عن تصورات طموحة وغير واقعية تتعارض مع حقيقة الامكانيات المتوافرة لها حاليا .

غير أن هذه المسائل لن تحتل موقعها ضمن ما ينبغى الالتفات اليه ، دون مبالغة فى الاهتمام بها ، ولا التهوين من هذا الاهتمام حتى يقتصر على مناقشات بيزنطية لا تعقبها قرارات محددة وتحرك حقيقى ، ولن يتدرج هذه المسائل فى المكان المناسب لها فى سلم الاولويات ، ولن ينظر اليها بما تستحقه من جدية ما لم تصاحب عرضها مصارحة ومكاشفة **بحقيقة ما يمكن عمله الان بصددها** ، ودون مفاتحة الناس وتوعيتهم بـأرتباطهـا حقيقـة بتحديـات تواجهنا لا نملك اغفالها ، ولعامل الزمن أهمية خاصة فى زيادة تفاقمها ، ومالم نقدم الان على محاولة التخفيف من وطأتها بما هو متاح لنا من وسائل فسوف تزداد احتداما وتعثرا سنة بعد أخرى .

ومن المؤكد أنه من الممكن منذ الان الحد من مشكلة الامية بجهد جدى يبـذله الاتحـاد الاشتراكى ، مستفيدين من تجـارب دول أخرى فى هذا الصدد حققت المعجزات خلال فترة زمنيـة محدودة ، ومن المؤكد أن العناية بالنظافة والصحة اذا ما ارتبطت بأمراض الصيف مثلا فسوف يكون ذلك حافزا للتحرك على أوسع نطاق جماهيرى ، بينما مجرد طرحها كمسألة تقتضيها قيم مجردة ، لن تأتى بأى أثر فعال ، والتعبئة حول هـذه المشاكل ـ التى تتطلب ضمن ما تتطلبه جهدا اعلاميا متصلا ـ فى أمكانها أن تنهض بدور **فى ارساء تقاليد العمل الجماهيرى** ، وتحويله الى واقع دائم فى المجتمع ، وهو أمر نحن فى مسيس الحاجة اليه لمواجهة التحديات المباشرة والبعيدة على حد سواء .

وعموما ، فان عملية المصـارحة ، والمكاشـفة عملية وثيقة الارتباط بفعالية التعبئة، شرطلاغنى عنه حتى يحرك الاعلام الحـوار المنتج مـع الجماهير ، وحتى يضمن مشاركتها الفعلية ، وهذه المصارحة لا ينبغى أن تقتصر على القضايا الجزئية فحسب بل ينبغى أن يتصـل بكافة القضـايا الحيوية ، والتى تشغل الرأى العام الداخلى فى الوقت الراهن .

ونموذج له أهميته الخاصة فى هذا الصدد ، هو فعالية **المصارحة** التى تطرح أبعاد المواجهة الراهنة مع العدو على أنها عملية لن تتحقق لها نتـائج حاسمة فى أى مستقبل قريب ، وهى معركة كلما كان أدراكنا لهـا على أنهـا سـوف تتطلب وقتا وجهدا وتضحيات أكبر ، فوفرنا بذلك مقومات **تقريب الحل ، بينما الوهم بأن الحل قريب هو الذى يبعده باستمرار .**

التعبئة الخارجية

وما من شك فى ان الاعلام فى خدمـة التعبئـة الخارجية ينطوى على اكثر من مشكلة ، غير ان هناك مشاكل بالذات تكتسب أهميـة بارزة فى المرحلة الدقيقة الراهنة من المواجهة مع العدو ، تستحق لفت النظر اليها :

■ ربط فكرة « السلام » بفكرة « استـرداد الحق » كشرط لا غنى عنه لتوفير عناصر الاستقرار واسـتبعاد أيـة أوهـــام قـد تراود بعض قطاعات الرأى العام الخارجى حول امكانيـة استمرار سلام مزعوم ، و « مخادع » يبدو محققا لمجرد ان اطلاق النار قد اوقف ، وان هذا الموقف ينقض أبسط عوامل الاستقرار ويعرض الموقف كله لاخطر الانفجارات واسترداد الحق لا يفترض فقط انسحاب اسرائيل من الاراضى المحتلة ، بل كذلك توفير الحقوق القومية المشروعة لشعب فلسطين .

■ مناهضة الدعاية الاسرائيلية والصهيونية ، التى يدعمها الاستعمار ، والتى تفضـل بين قضية « السلام » وقضـية « التحرر » وطـرحها الاقدام على أية خطوة تقتضيها قضية « التحرر » فى حالة فشل المساعى الدولية للتوصل الى حل بالطرق السلمية ، على أنها تهديد للسلام ، وتتسم بطابع العمل « العدوانى » المهدر للجهود الدولية ، وكأنما تتحمل هى مسئولية اعاقة هذه الجهود ، بدلا من اسرائيل التى عقدتها ومازالت تعقدها بتعنتها فى رفض كل منطلق يسمح بتحريك المـوقف ، واحراز أى نجاح للاتصالات الدولية .

وينبغى الالتفات هنا الى أن الرأى العام الدولى غير المتحيز لاى طرف من أطراف النزاع قد يجد فى الدعايات التى تركز على ضرورة استمرار تجنب تجدد الاشتباكات ما هو اقرب الى تحقيق رغباته المشروعة فى تدارك حدوث موقف يهدد بانفجار خطير ، مما يتطلبه الحق فى تحرير الارض ، ما لم يقترن تأكيد هذا الحق اعلاميا ودعائيا ، بعمل متصـل يكشف وهم « السـلام المخادع والمراوغ القائم على التسويف والمماطلة » وتجنب التعرض لاساس المشكلة بحل جذرى لها .

■ اهمية ربط قضية الشرق الاوسط بالقضايا « الساخنة » الاخرى فى عالم اليوم ، وأثبات أن الحق العربى ينتمى الى موقف القوى الدولية المناصرة لقضية الاستقلال والسلام والتقدم والديمقراطية والاشتراكية . وتأكيد ضرورة الترابط بين هذه القضايا ، كأساس لتحقيق تقدم محسوس فى أى

منها ، وفى كل منها ، فليس من المتصور على سبيل المثال تحقيق « أمن اوروبا » الذى أصبح يشغل الشعوب الاوروبية جميعها ، دون تقدم محسوس فى حل أزمة الشرق الاوسط ، وكذلك ليس من شك فى أن تاكيد ان الموقف العربى فى مواجهة اسرائيل هو مماثل لموقف شعب فيتنام من العدوان الامريكى ، أمر يعود بالنفع لقضية التحرر عموما ، ومن شأنه التأثير على هذه القطاعات من الرأى العام العالمى التى تتبنى قضية فيتنام ، ولكنها لا تقف من الحق العربى فى أزمة الشرق الاوسط موقفا مماثلا ، وهذا التلاحم مع هذه القضايا لا يتاتى بمجرد تبنيها بشكل مجرد ، بل بجعلها جزءا لا يتجزأ من قضيتنا ، تحتل مكانا بارزا فى اعلامنا الخارجى والداخلى على حد سواء ..

■ كذلك ينبغى تحديد أولويات فى القوى والاتجاهات التى نخاطبها دوليا ، تكسب موقفنا الدولى قدرا واضحا من الاتساق بدلا من التركيز فقط على تلك القوى التى يبدو ضمان كسب تأييدها هو الاسهل ، ونموذج صارخ فى هذا الصدد ، هو الموقف من حكومة اليونان التى لا ينبغى اهمال موقفها فى أعطاء صوتها لنا فى المحافل الدولية ، ولكن بدون أن يكون ذلك سببا فى عدم تنمية علاقة مع المعارضة الديمقراطية فى اليونان ، وهى معارضة يقف بجانبها ويؤيدها كافة القوى المناصرة للحرية والديمقراطية فى مختلف أرجاء العالم .

■ **وأخيرا لا ينبغى أن تهمل دعايتنا جهدا لاستثمار وتعميق التناقضات فى صفوف العدو ،** فمن المعروف ان فى اسرائيل احزابا وقوى اجتماعية بينها خلافات ليست بالقليلة ولا بالهينة ومن ثم فان الدعاية المستنيرة ينبغى أن تركز لعزل وفضح مواقف العناصر الاكثر عدوانية وتعصبا ، وأكثرها انغماسا فى الاتجاهات التوسعية ، وربما وجدت قوى أخرى تتمنى أيضا الى معسكر العدو ، لكن التركيز على عزل القوى الاشد عدوانية من شأنه ان يحدث تغييرات تدريجية فى موقف تلك القوة الاخرى تخفف من وطأة مواقفها المتشددة الامر الذى يضعف ويخلخل جبهة العدو بشكل عام ، كما أن عمل الدعاية فى فضح الاتجاهات الاكثر عدوانية يجب أن يدار بذكاء للتفتيش عن القوى التى يمكن أن يتم تحييدها ، وعن القوى التى يمكن أن تشجع لتأخذ مواقف معارضة للقوى الاكثر عدوانية ، وبقدر نجاحنا فى تحقيق هذا ، بقدر ما ننجح فى الواقع فى ايجاد لغة مشتركة مع قطاعات مختلفة من الرأى العام العالمى . وان هذا النجاح يعتبر احدى الركائز الاساسية فى محاصرة العدو ، ووضعه تحت ضغوط مادية حقيقية ، تعزله وتثير الارتباك والتفكك داخل صفوفه ، وتفقده القدرة على المبادرة ..



من أجل حماية مكاسب الفلاحين



د. على النويجى

د. جلال رجب

تناقش لجنة التنمية الزراعية بمجلس الامة اقتراحا بتعديل ثلاثة قوانين وصفتها « بأنها تمس جماهير الفلاحين وتمنع عنهم حالات الاستغلال » • وقد أثير الموضوع أمام الرئيس أنور السادات فى اجتماعه مع رجال الإعلام ، فأكد أن المكاسب الشعبية لن تمس ، وهكذا فانه رغم تضاؤل احتمال اجازة مثل هذا المشروع ، الا أنه من المفيد أيضا أن نلقى الاضواء على التخطيط الذى تقوم به الرأسمالية الزراعية للانقضاض على هذه المكاسب ، اذ أن كشف تلك الحالات على نطاق شعبى ، وطرح مثل هذه المشاريع على القاعدة الجماهيرية هو الضمان الاساسى لدحر الهجمات المتعاقبة على حقوقها •

والتعديلات التى تناقشها اللجنة كما صرح الدكتور سعد السمان رئيس اللجنة لجريدة الاهرام التى نشرتها يوم ٨ ــ ١٢ ــ ١٩٧٠ تحت باب اخبار الدولة هى :

١ ــ اشتراط موافقة المالك على السلف النقدية التى يحصل عليها الفلاح المستأجر من الجمعية التعاونية الزراعية حتى لا يترك الارض محملة بديون يلزم المالك بتسديدها طبقا للقانون الحالى •

٢ ــ يكون من حق المالك الذى لاتزيد ملكيته على ثلاثة أفدنة اخلاء الارض من المستأجر فى حالة بيع الارض ، وذلك بعد أن تبين أن المستأجر يرفض اخلاء الارض الا بعد أن يحصل على مقابل نقدى ، فضلا عن أن الوضع الحالى يشكل قيدا على حرية المالك •

٣ ــ ادخال العنصر القضائى فى لجان فض المنازعات الزراعية وفرض رسم على هذه المنازعات التى ترفع الى هذه اللجان لضمان جديتها ، وايجاد مصرف مالى لمواجهة المصاريف الايجارية وتقرير حوافز مالية تشجع الاعضاء فى هذه اللجان على الاستمرار فيها •

أولا ـ بخصوص التعديل الاول

يمس التعديل الاول حسب تعبير السيد الدكتور رئيس اللجنة مصالح الفلاحين الذين يستغلون الارض بالايجار النقدى ، وتقدر المساحة بـ ٠٠٠ر١٤٣ر٣ فدان حسب تقدير وزارة الزراعة فى كتابها السنوى (الاقتصاد الزراعى) الصادر فى ديسمبر ١٩٦٣ وهى تمثل حوالى ٥٤ فى المائة من الارض المنزرعة ، ولا ندرى كيف تنظر اللجنة الى هذا التعديل ، ولكن من الواضح ان الدافع وراء ذلك ليس مصلحة الانتاج القومى ولا مصلحة الفلاحين ولا وضعت فى حسابها الحقائق التاريخية والواقعية ، لا فى بلادنا فحسب وانما كذلك فى بلاد آخر لا يمكن أن توصف بالاشتراكية أو الشيوعية أو حتى بعدم معاداتها ٠

هذه الحقائق التى طالما رددها كتابنا الاقتصاديون قبل ثورة ١٩٥٢ ، وبعدها والتى أجمعت كل المصادر على أنها أصبحت من حقائق الانتاج الزراعى ٠

ونحب هنا ان نشير الى بعض هذه الحقائق ، لا تذكيرا للجنة فان رئيسها الدكتور سعد السمان لابد أن يعرفها ويقدر مغزاها :

١ ـ الائتمان الزراعى والتسليف من أجل الانتاج الزراعى هو ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها سواء فى الاقتصاد الاشتراكى أو الاقتصاد الرأسمالى ـ ويقول المهندس « **سعد هجرس** » فى كتابه (الاصلاح الزراعى) ص ٨٢٩ « ٠٠٠ ويجدر ان تولى السياسة الزراعية فى الدولة عناية خاصة لتوفير الاقراض الزراعى للمستأجر ، حيث أن توافر موارد ائتمانية سهلة يحدد فعلا مركزه الاقتصادى ، وله فى نفس الوقت تأثير فعال على طاقاته وامكانياته وقدرته على المساومة ، وان توفير موارد التمويل والاقراض تعتبر عاملا أساسيا فى توفير أسباب تأمين المستأجرين ، وتدعيم الحيازة الايجارية ، وعلى أن يتم ذلك عن طرق التشريعات والاجراءات التى تصدرها وتنفذها الدولة » ٠

كما يقول أيضا فى موضع آخر ص ٧٧١ « ٠٠٠ ومن ناحية اخرى فان تدعيم امكانيات الزراع وعلى وجه الخصوص صغار الحائزين الذين هم أحوج ما يكونون الى هذا التدعيم وبصفة مستمرة فان هذا يدعو الى تحقيق زيادة انتاجهم ، ورفع معدل النمو واستخدام الموارد المتاحة على أفضل مستوى » ٠

ولا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان توفير الاقراض الزراعى انما هو ضرورة اقتصادية لا علاقة لها بالنظام الاجتماعى والسياسى السائد ، ففى دول غرب أوروبا ـ وهى دول لا شبهة فى عدائها للنظام الاشتراكى تنتهج سياسة يصفها المهندس سعد هجرس فى نفس كتابه ص ٧٨٢ « ٠٠٠ كما تعمل سياستها الزراعية باستمرار على تدعيم الزراعة عن طريق الاساليب العلمية وتعزيز مركز الزراع بتوفير الاقراض الزراعى وتسعير الانتاج الزراعى ومستلزماته على أسس اقتصادية ، مع ايجاد المؤسسات التعاونية والتسويقية والتموينية على طول مراحل الانتاج ، وفى كل هذه الدول يؤخذ فى الاعتبار تأمين الزارع وحمايته من سوء الاستغلال وضمان حقوقه كاملة » ٠٠٠

ولا يمكن أن يوصف المهندس سعد هجرس بالتطرف حين يذكر فى كتابه المذكور ص ٧٦٩ « ٠٠٠ ولكن عندما يكون للمالك نفوذ تجاوز الحد المشروع بسبب المنافسة للحصول على حقوق الحيازة الزراعية ، أو بسبب احتكار بعض الموارد التى تستخدم فى الزراعة سواء كان هذا الاحتكار للارض الزراعية ، او لرءوس الاموال ، فان ذلك كله يتسبب عنه اتجاه العلاقة لغير مصلحة المستأجر ، وبالتالى اهدار حقوقه فى الحصول على دخل عادل من العملية الانتاجية ، ويتمشى مع ذلك تضاؤل او انعدام الحوافز المؤدية الى استغلال زراعى كفء ، والنتيجة المتوقعة هى فقد الزراع وسوء استخدام الموارد الزراعية ، وتقع آثار ذلك بصورة مباشرة وأشد وطأة على المستأجرين كطبقة تمثل الطرف الضعيف بسبب عدم حيازتها لموارد رأسمالية ثابتة » ٠

لا يمكن أن نصف المهندس **سعد هجرس** بالتطرف لقوله سالف الذكر ـ ذلك أن السيد المهندس **سيد مرعى** نائب رئيس الوزراء الحالى لشئون الانتاج يذكر فى كتابه (الاصلاح الزراعى ومشكلة السكان فى القطر المصرى) ص ١٨٧ منتقدا نظام بنك التسليف الزراعى والتعاونى فى الاقراض « ٠٠ الا ان هذا النظام الذى سار عليه البنك نفسه ، كان محرضا بطريق غير مباشر لكبار المزارعين على الانضمام للجمعيات التعاونية لا لينتفعوا وينفعوا حسب ماتقضى مبادىء النظام التعاونى وانما ليستغلوها لمنفعتهم الخاصة ، وكانت النتيجة الطبيعية لذلك أن فقد صغار الفلاحين ايمانهم بالنظام التعاونى ٠

ولم يكن ذلك بدعا فان تسهيل الاقراض من أجل تمويل الانتاج الزراعى لم يكن مطلبا خاصا بالفلاحين المصريين فقط ، ففى بريطانيا قام (الاتحاد الوطنى للفلاحين) فى سنة ١٩٢١ برسم « سياسة تؤدى الى تسهيلات الاقراض الزراعى للفلاحين ، ووضع نظام يكفل الامان والاستقرار

لحيازة الارض الزراعية وحماية المزارعين ـ ويعد قانون الملكيات الصادر فى عام ١٩٤٨ من أهم القوانين التى وفرت الاقراض الزراعى للفلاحين ، وأتاح للحكومة التوسع فى تقديم القروض والمنح والتسهيلات الائتمانية للفلاحين .

وفى اسبانيا ، تقوم (المؤسسة القومية للتعمير) باعطاء الفلاحين اعانات مالية وقروض طويلة الاجل .

اما اليابان ، فقد صدر فى سنة ١٩٥٣ قانون (بنك الزراعة والغابات والمصايد) الذى أنشأ مؤسسات مالية لتسليف الفلاحين ، وفى سنة ١٩٦١ صدر قانون الاعانة المالية لتطوير الزراعة وتقديم القروض دون ما شروط تذكر .

وفى الفلبين ، صدر فى سنة ١٩٦٣ قانون الاصلاح الزراعى الذى حرم المشاركة واعتبرها مخالفة لسياسة الدولة ، واتاح للفلاحين المستاجرين الحصول على سلف نقدية لا يشترط فيها سوى شرط الحيازة .

وفى كوبا ، قرر قانون الاصلاح الزراعى الذى صدر فى مايو سنة ١٩٥٩ حق الزارع فى اقتراض المواد اللازمة للانتاج دون ما حاجة الى ضمان الا ضمان المحصول بربح قدره ٤ فى المائة للزراعة الخاصة ، ٣ فى المائة للزراعة التعاونية . وفى سنة ١٩٦٢ أنشأت منظمة الحكومة لصغار الزراع ، وذلك من اجل تقديم الائتمان الزراعى اللازم للزراعة .

وفى المكسيك ، خول البنك الوطنى للتجارة الخارجية والبنك الزراعى الوطنى تقديم السلف النقدية للمزارعين .

هذه أمثلة فقط من كل بلدان العالم على اختلاف نظمها وسياستها ، ولن نجد فى نص قانون واحد منها ما يحاول الدكتور سعد السمان تضمينه للتعديلات الجديدة ، وليس فيها شرط موافقة المالك أو أية جهة أخرى ، واتفقت كلها فى ان ضمان القرض هو محصول الارض التىمولها القرض .

٢ ـ كما ان المستأجر الذى يتقاضى السلفة لابد أن تكونالحيازة باسمه ، ولابد أن يكون مساهما فى الجمعية التعاونية ، ومحصوله لا يمكن أن يتصرف فيه حسب قواعد التسويق الا بوساطة الجمعية التعاونية .

ومن هنا نتساءل : كيف لاتستطيع ان تسترد الجمعية التعاونية السلف التى أقرضتها للفلاح ؟ أن ذلك مستحيل ، بل القانون يسمح للجمعية بتحصيل الايجار من المستأجرين لحساب الملاك الذين يرغبون فى ذلك ، فكيف لا تستطيع الجمعية تحصيل ديونها الا اذا كان ذلك نتيجة لكارثة زراعية عامة ، وهى حالة أعطت فيها حكومة الثورة معونة وقسطت ديونها على الفلاحين وكبار الملاك على السواء ـ بل ان حكومات ما قبل الثورة سبق لها أن راعت هذه الكوارث ، فقد قررت الحكومة تخفيض قيمة الايجارات الزراعية عن سنة ١٩٢٥ ـ ١٩٣٠ بمقدار الخمس ، وكذلك أصدرت قانونا بتخفيض الايجارات عام ١٩٣١ بمقدار ثلاثة أعشار قيمتها ، كما قررت تأجيل تحصيل ٨٥٠ر٠٠٠ جنيه من السلف التى سبق أن أقرضتها لصغار الزراع ، وتأجيل تحصيل مبالغ أخرى عن أسمدة بيعت لهم .

٣ ـ هل يحتمل أن يمتنع المالك عن صرف السلف النقدية للمستأجرين ؟ .. الواقع نعم والذى يرقب الخلاف الحالى بين الملاك والمستأجرين سيرى أن المالك الذى يؤجر أرضه نقدا يرغب بحرارة أن يخلى الارض من مستأجرها ، فان نظام الايجار بالمشاركة هو نظام أكثر ربحا له فى الوقت الحالى ، فضلا عن نظام التأجير لفترة زراعية واحدة أو محصول واحد حيث يصل ايجار فدان البرسيم مثلا بموجب هذا النظام الى ٥٠ جنيها وايجار فدان الذرة الى ٣٦ جنيها أى أن ايجار الفدان فى السنة يصل الى نحو ٨٦ جنيها وهذا يعادل نحو ٤ اضعاف الايجار النقدى فى حالة الايجار المستديم . فاذا استطاع أن يضع أمام المستأجر العقبات حتى لا يقوم بالخدمة المثلى للارض فهو لن يتردد فى المطالبة أمام لجنة فض المنازعات بانهاء عقد الايجار لاهمال المستأجر الذى لن يحقق انتاجا دون ائتمان كاف ، ان منطوق التعديل يوحى بأنه قد اقترح حتى يستطيع المالك أن يطرد المستأجر عن طريق منعه من الحصول على السلف النقدية فيفشل المحصول ولا يستطيع المستأجر أن يفى بالايجار فيطرد بحجة عدم دفع الايجار ، أو تنقص غلة الارض فيطرد بحجة الاهمال .

٤ ـ ماذا يفعل الفلاح حينما يواجه بعدم موافقة المالك على السلفة النقدية ؟

ان التاريخ القريب يتولى الاجابة ، ان الفلاح سيلجأ الى عملية الاقتراض بالربا الفاحش الذى يتصاعد حتى يستغرق حياة الفلاح بأكملها ـ ففيما قبل الائتمان الزراعى الحالى : كان الفلاح يلجأ فى تمويل انتاجه الى بيع محصوله قبل نضجه وهو ما يعرف بالبيع الصافى ويتم على الصورة التالية :

يتعاقد الفلاح على بيع محصوله أو جزء منه

ويقبض الثمن ، ولما كانت البضاعة غير حاضرة لانها لم تنضج بعد ، فان ثمن البيع يتراوح بين ٥٠ فى المائة و٦٠ فى المائة من السعر الاصلى وعند نضج المحصول يكون لدى الفلاح مسئوليات أخرى هى مسئوليات الحياة اليومية فيعجز عن توريد ما تعاقد عليه ٠ وللخلاص من هذا المأزق يتم بين البائع والمشترى عملية تسمى بالتدبير ، وهى ان يقيم ما كان مفروضا أن يحصل عليه المشترى وذلك بالسعر الحقيقى ، ويكتب عقد جديد يبيع فيه الفلاح محصول السنة القادمة للمشترى السابق ، وفى هذه الحالة نظرا لطول المدة التى سينتظرها المشترى لا يزيد الثمن عن٥٠ فى المائة من الثمن الحقيقى وبهذه الطريقة يكون ثمن المحصول الذى يبيع به الفلاح لا يتجاوز٢٥ فى المائة من الثمن الاصلى ، فيكبل الفلاح بديون لايستطيع التخلص منها الا ببيع ما يملكه من ماشية ، ان كان يملك ماشية ـ وفى حالتنا هذه سيكون على المستأجر أن يتنازل عن عقد الايجار نظرا لان المشترى غالبا ما يكون هو **المالك الذى رفض الموافقة على السلفة النقدية من الجمعية التعاونية** ، ونحب أن نذكر لجنة التنمية الزراعية بمجلس الامة ورئيسها الدكتور سعد السمان ان تلك هى الطريقة التى جرد بها صغار الملاك من املاكهم قبل ثورة ١٩٥٢ ٠

يقول الاب **هنرى عيروط اليسوعى** الذى لم يكن اشتراكيا ولا شيوعيا فى كتابه عن الفلاح المصرى « الفلاحون » ص ٤٥ ٠ ٠ فمثلا فى عدد يناير من الجريدة الرسمية لسنة ١٩٣٧ ـ احصينا ٧٣٢ نزع ملكية كلها ملكيات صغيرة وهى دائما فى صيغة واحدة .. وفى ١٩ ينساير ، ثلاثة قراريط يملكها ، ومحجوز عليها بمقتضى صورة دعوى ٠٠ وذلك لسداد ٠٠ »

ولكن فى حالتنا الجديدة حيث لا يملك المستأجر سوى حقه فى الحيازة ، فان المالك الدائن الذى يرى أن المشاركة أجدى عليه من الايجار النقدى سيرى طرد المستأجر نهائيا من الارض لان القانون يمنع تحويل تعاقده النقدى الى مشاركة ، ليؤجرها بعد ذلك الى مستأجر آخر بالمشاركة

٥ ـ ان الثورة المصرية لم يتعرف عليها الفلاحون من صيغتها الفلسفية وانما تعرفوا عليها بالاجراءات التى اتخذتها لصالحهم ، **والان يضع التعديل الجديد للقانون الخاص بالائتمان الزراعى ، أعظم اجراءات الثورة فى ميدان الزراعة رهن اشارة المالك ان شاء نفذها وان شاء امتنع** ، ولا نظن الدكتور سعد السمان قد غفل عن هذه الحقيقة فهو رئيس لجنة التنمية الزراعية بمجلس الامة التى لابد أن تعرف المسار الذى سارت فيه الثورة المصرية ، ان التعديل المقترح يوفر الشرعية لاجراءات تعسفية طالما تاق اليها الملاك الكبار للخلاص من مستأجريهم بل واستعبادهم ٠

يقول الاب هنرى عيروط اليسوعى فى كتابه الذى ذكرناه ص ٨٩ « وعندما لا يكون لدى الفلاح مال قبل الموسم يطلب مقدما من المالك وهذه الاقتراضات التى تزيدها الفوائد تفوق أحياناحصته من الشركة ولذلك لا يتقاضى وقت الحساب شيئا ، وليس هذا فحسب بل هو أيضا يصير رهينة للسنة القادمة » ٠

وبعد كل ذلك نحب ان نضع فى دائرة النور الحقائق الخاصة بالاجراءات المتبعة حاليا فى تحصيل الاموال المستحقة لدى المستأجرين والمنتجين الزراعيين عموما حتى يتضح لنا أن اشتراط موافقة المالك ليس لها مبرر مشروع ، اذ أن احتمال عدم تحصيل المطلوب لا يتعلق الا باهمال الاجهزة الحكومية القائمة على التحصيل ٠

نظام المحاسبة المعمول به حاليا

● يقوم معاونو الزراعة عن طريق مشرف الجمعية بحصر الارض الواقعة فى زمام الجمعية بأسماء الحائزين بمحصول معين ـ وفقا لنوع الدورة الزراعية ، ويتضمن ذلك المستأجرين بالنقد ٠

● ترسل استمارات مدون بها أسماء هؤلاء الحائزين ـ مبينا فيها المساحة المزروعة الى بنك التسليف الزراعى ليرسل صورة منها الى مأمورية الضرائب العقارية لوضع الاموال المقررة ٠

● ترسل الجهات الاخرى التى لها حق الامتياز على المحصول مديونياتها الى الجمعية ٠

● يقوم المنتجون بتوريد حاصلاتهم الى مركز التجميع اجباريا وفقا لقرارات التسويق التعاونى ، ويقوم مركز التجميع بوزنها واستخراج علوم وزن لها وارسالها الى الشركة المسوقة للمحصول التى تقوم بدورها باخطار البنك بثمن الحاصلات اسما اسما ٠

● يرسل الكشف المدون به ثمن المحصول الى الجمعية لترصد بدورها الاموال ومطلوبات بنك التسليف (السلف النقدية والعينية) والمطلوبات الاخرى ذات الامتياز ويخصم كل ذلك من ثمن المحصول ليصرف للمنتج الباقى بعد عملية الخصم ٠

الضمانات المتبعة حاليا

لضمان سداد السلف

● يقوم بنك التسليف بالحجز على المحصول بوساطة صراف القرية ـ ويتم الحجز فى الحقل ٠

● يفرض البنك غرامات توريد على المنتجين الذين يقومون بتوريد كمية من المحصول تقل عن الكميات المقررة ، ويكون للغرامات حق الامتياز وتخصم من المحصول المسوق بعد ذلك ٠

ثانيا ـ بخصوص التعديل الثالث

ويهددهذا التعديلحياة ١٧مليون فلاح وابناءهم يشتغلون بالانتاج ايجارا بالنقد والمشاركة فى مساحات تقدربـ٣٠٠ر٠٠٠ر٤ فدان تمثل ٧٤٪ من الارض المنزرعة فهم بذلك التعديل يقعون تحت سيف التهديد بالطرد من الارض بحجة بيعهابعد التحايل على تقسيمها صوريا الى ملكيات لا تزيد عن ثلاثة افدنة ، وهى طريقة اتقنها كبار الملاك المصريين الذين يستطيعون ان يتحولوا « على الورق » الى فقراء ، بل ان هذه الطريقة معروفة على نطاق العالم كله وقد تنبهت لها كل الحكومات التى اتخذت من قوانين الاصلاح الزراعى أداة لحماية الانتاج الزراعى والفلاح ٠

ففى فورموزا التى عرفت حكومتها « حكومة تابوان » بالعمالة المباشرة للاستعمار الامريكى صدر قانون الاصلاح الزراعى الذى ينص فى أحد بنوده عن انتقال حق التأجير تلقائيا مع المالك الجديد وأوجب على هذا المالك الجديد تجديد عقد الايجار وتوثيقه ٠

وفى أوربا الغربية كلها بلا استثناء تنص قوانين المزارعة والاصلاح الزراعى على أن بيع الارض المؤجرة لا يؤثر على حق المستأجر ولا ينهى التعاقدات الايجارية ٠

بل لقد ذهب القانون الزراعى البريطانى الصادر عام ١٩٤٦ الى حد توريث التعاقدات الايجارية لورثة أى من الطرفين ٠

أما الهند فقد قررت الخطة الخمسية الرابعة التى أتم بحثها مجلس الانماء القومى ـ قررت حق الملاك فى اخلاء المستأجرين من الارض ومنح المستأجرين كافة الحقوق الدائمة والمشروعة بالميراث ـ وحتى فى الحالات التى يتنازل فيها المستأجرون عن حقوقهم فى الايجار فان هذه التنازلات لما كانت عرضة للشك فقد أوجب القانون ان يكون التنازل عن الايجار للحكومة وبحيث لا يكون للملاك الحق فى استعادتها ـ وقطعا لكل شك فان حكومة الهند تدرس الان مشروعا لانهاء العلاقة المباشرة بين المالك والمستأجر وتتولى الحكومة تحصيل الايجار من المستأجرين وتسديده للملاك ٠

وفى السويد يقرر « قانون تأجير المزرعة الصادر فى ١٩٤٣ » ان بيع الارض المستأجرة لا ينهى التعاقدات الايجارية القائمة عليها ٠

وفى هولندا ـ يقضى قانون التأجير بعدم جواز فصم العلاقة الايجارية عند وفاة أى من المالك أو المستأجر ٠وفى النرويج نص قانون المزرعة الذى صدر فى سبتمبر ١٩٥١ على أنه فى حالة وجود عقد مكتوب فان الايجار يعد ساريا مدى حياة المستأجر وزوجته ، بغض النظر عن المالك ٠

وفى بلجيكا ينص القانون الصادر فى ٧ يوليو ١٩٥١ على أنه يصبح من حق المستأجر بعد نتهاء فترة الايجار الثانية ومدتها لا تقل عن ٩ سنوات ينبح للمستأجر حق فى امتداد الايجار الى اجل غير مسمى ٠

وفى المناطق الغربية من الباكستان أعطى حق توريث الايجار لابناء المستأجرين ٠

وفى فيتنام قرر القانون الصادر فى ١٩٥٣ الا يلغى عقد الايجار بموت أحد الطرفين والورثة يتمتعون بنفس الحقوق ٠

ولعلنا نلاحظ ان كل التشريعات السابقة على اختلاف البلدان والشعوب ومراحل تطورها قد هدفت الى استقرارالمستأجر الذى لا يمكن ان يتوفر دون استمرار حيازته للارض ٠

وكما يذكر المهندس سعد هجرس فى كتابه (الاصلاح الزراعى ص ٨٠٦) ٠٠٠ يعتبر طول فترة الايجار احدى الدعامات الرئيسية فى تحسين نظام التأجير الزراعى ـ اذ يتمكن المستأجر من الاستقرار فى عمليات انتاجية وفى أموره المعيشية ، فمن المعروف أن الزراعة عبارة عن عملية معقدة ومتشابكة المراحل والخطوات ٠ ومن هنا فهى تحتاج الى خطة طويلة الاجل « كما يقول فى موقع آخر ص ٨٠٩ » ٠٠٠٠ ان أخطر شىء ينتج عن عدم تأمين الحيازة الزراعية هو ما يتعرض له الفلاح وأسرته من اضطهاد شديد عندما يضطر الى اخلاء الارض التى يزرعها فضلا عن تضاؤل الحوافز الايجابية التى تدفع الفلاح الى الانتاج ورفع مستوى انتاجية المزرعة ووحدة العمل الزراعى ـ ويتمشى مع ذلك جنبا الى جنب عدم توافر مقومات العدل الاجتماعى وصيانة

الكرامة الانسانية للزراع وجميع هذه العوامل تؤثر على سلوك الزراع تأثيرا مضادا للتنمية الاقتصادية والاجتماعية وشعورهم بالمواطنة ٠

ثالثا ـ فرض رسوم

في لجنة فض المنازعات

ان محاولة فرض رسم بحجة ضمان جدية المنازعة هي محاولة أخرى لاحكام الحصار حول الفلاح الصغير ، ووضع العراقيل امام تمتعه بأي حق يكفله له القانون ٠

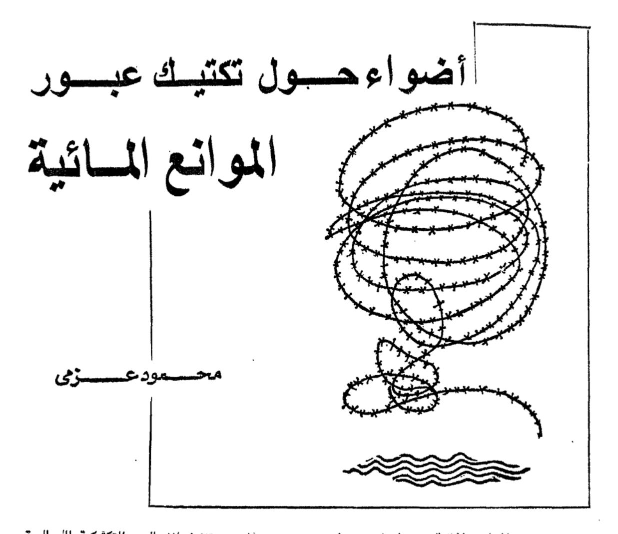
وليس مناسبا أن نتوقف عند هذا التعديل الاخير فلا شك أن حرمان الفلاح من الاستقرار ، واضفاء الشرعية على اجراءات طرده وافقاره تجعل غير ذي موضوع مناقشة للتعديل الثالث، فلماذا يلجأ الفلاح الى لجنة فض المنازعات ؟ وقد اضفيت شرعية قانونية على عملية طرده وتشريده ٠

وأخيرا فيمكننا القول أن التعديل الاول يكبل الفلاح بالديون ويرجعه قنا للارض من جديد ، والتعديل الثاني يحقق عملية الطرد الجماعي للفلاحين من الارض ، ويلقي بهم في احضان الفاقة من جديد ، والتشريعان بهذا يضربان عرض الحائط بكل منجزات الثورة في واقع الفلاحين ويقضي على كل أمل في تحسن حالتهم ، ويلقي بالظلال السوداء على مستقبلهم ، ولما كان هذا يعني اعادة تقسيم الدخل القومي في الزراعة بحيث يتمتع الملاك بالنصيب الاكبر على قلة عددهم ، فلا شك أن الصناعة النامية سيصيبها الكساد نظرا لتقلص حجم السوق التي ستفقد هذه الملايين الغفيرة من الفلاحين ٠

ان المناقشة الجادة لهذه التعديلات وتبين حقيقة مراميها وأهدافها التي تشكل خطرا على حقوق الطبقات الشعبية ومستقبلها كفيل بكشف كافة الخطوات الاخرى الى تشير اليها هذه التعديلات ، وهو واجب وطني وقومي في أمة تخوض معركتها ضد الصهيونية والرجعية والاستعمار ٠



أضواء حول تكتيك عبور الموانع المائية



محمود عزمى

تكتسب الموانع المائية من انهار وتنوات وترع اهمية خاصة اثناء المعارك البرية بين القوات المتحاربة وبعضها بعضا ، وذلك بحكم التأثير الجوهرى الذى تمارسه هذه الموانع فى معظم الحالات على مجرى العمليات الحربية التى تقوم بها قوات كلا الجانبين ، وينبع هذا التأثير الهام الذى تمارسه هذه الموانع على سير القتال من حقيقة ان التغلب على مثل هذه العوائق الطبيعية كان وما زال يمثل مشكلة من اكثر مشكلات التكتيك العسكرى فى جميع العصور وحتى يومنا هذا ، ولذلك تلجأ بعض الجيوش متى ساعدتها على ذلك ظروف طبيعية مواتية على اصطناع بعض الموانع المائية ، ويحضرنا فى هذا الصدد مثل اغراق مساحات كبيرة من الاراضى المنخفضة بمياه البحر او فيضانات الانهار ، أو السدود ، ونتيجة لذلك كله تلقى مشكلة عبور الموانع المائية اهتماما كبيرا من جانب الفكر العسكرى العامل فى مجالى التكتيك وفن العمليات، وذلك سواء من حيث ضرورة توفير وتطوير معدات القتال اللازمة لانجاز مثل هذه المهام، اومن حيث تطوير وتنفيذ الاساليب التكتيكية الصالحة لانجاح تلك المهام ، وتهدف هذه الدراسة الموجزة الى القاء بعض الاضواء العلمية على الجوانب الاساسية لهذه المشكلة والتكتيكات الخاصة بها مع تركيز أساسى على التكتيك السوفييتى بوجه خاص بحكم أهميته وتطوره السريع فى هذا المجال سواء فى جانبه التكنيكى أو الفكرى •

الخصائص العسكرية للموانع المائية

تمثل الموانع المائية عقبة لا يستهان بها فى وجه القوات المهاجمة أو المطاردة لعدو متراجع ، وذلك لانها تضطرها الى البحث عن وسائل كافية وآمنة لنقل قواتها وعتادها الثقيل من ضفة الى أخرى ، الامر الذى يفرض على هذه القوات أن تضيق من اتساع جبهة تقدمها بحكم أنها لا تستطيع بطبيعة الحال أن تواصل زحفها عبر المانع المائى الا عن

طريق الجسور الثابتة أو العائمة أو مختلف وسائل العبور المائية ، ولذلك تصبح نقاط العبور بالضرورة نقاط اختناق خطرة قد تعرض القوات المتقدمة الى نيران مركزة أو هجمات مضادة قوية تتم على نطاق مساحات محصورة للغاية من الارض ، ونتيجة ذلك كله فان هجوم القوات التى اعترضت الموانع المائية طريق استمراره قد يتوقف تماما أو يتعطل بطريقة لا تتفق ومصلحة أو خطط هذه القوات ، الامر الذى يعرض هذه القوات لمخاطر كبرى خاصة فى ظل احتمالات استخدام الطرف الاخر للاسلحة النووية التكتيكية فى ظل ظروف الحرب الحديثة .

ولهذا كله كانت الموانع المائية وما زالت تعتبر مواقع ملائمة للغاية بالنسبة للطرف المتخذ موقف الدفاع لانشاء خطوط دفاعية فعالة الاثر على مجرى العمليات القتالية الجارية ، وذلك بحكم أن هذه الموانع حتى الصناعى منها ــ مثل الاراضى المنخفضة المغرقة بمياه البحر أو السدود ــ لا تحتاج الى وقت طويل أو جهد كبير شديد التكلفة المادية من أجل اعدادها ، وجعلها صالحة لاداء الغرض المطلوب منها ، مثلما هو الحال مثلا بالنسبة للموانع الصناعية الهندسية الاخرى كحقول الالغام أو الخنادق المضادة للدبابات ، وانما يكفى فى حالة المانع المائى أن تقوم القوات المتمركزة وراءه بحفر مجموعة من الخنادق والحفر المختلفة التى توفر زوايا ضرب مناسبة لاحكام السيطرة بالنيران على صفحة الماء ، والنقاط الصالحة لعبور القوات المعادية على الضفة المقابلة ، وتوزيع جماعات من جنود المشاة المسلحين بالبنادق والرشاشات ومدافع الهاون ومختلف الاسلحة المضادة للدبابات والمضادة للطائرات على هذه المواقع الميدانية البسيطة بعد تحصينها بأكياس الرمل أو الاتربة الناتجة عن الحفر نفسه وتغطيتها بشباك التمويه أو بأية موارد متاحة محليا ، حتى يصبح من المتعذر فى أغلب الحالات على القوات المهاجمة أن تواصل تقدمها السابق بنفس معدل السرعة فى أحسن الفروض ، خاصة اذا ما كانت هذه القوات لم تستطع الاستيلاء على أى جسور أو معابر سليمة .

وفى مثل هذه الحالات ، وبعد أن يتيح المانع المائى للمدافعين فرصة التقاط الانفاس بعض الشىء ، قد ينجح هؤلاء المدافعون فى تدعيم مواقعهم الدفاعية التى لم تكلفهم كثيرا سواء فى عدد القوات أو عتادها ، وذلك بوساطة انشاء مزيد من المواقع مثلا أو مد أسلاك شائكة وحقول ألغام أو تدعيم مدفعية الميدان الموجودة خلف المواقع الامامية ؟ فتزيد بذلك قدرة المدافعين على القصف المركز لمواقع العدو المهاجم على الضفة المقابلة ولطرق الاقتراب منها ولمناطق حشوده من الرجال والعتاد فى العمق ، هذا فضلا عن امكان خلق احتياطى متحرك فى مؤخرة الخط الدفاعى قادر على شن هجمات مضادة فى النقاط التى قد ينجح عبور العدو فيها ، وذلك متى كان الوقت المتوفر للمدافعين نتيجة لاعمال الاعاقة الاولية السابقة يسمح بذلك .

وهكذا يمكن للمانع المائى خاصة اذا ما كان عريضا أو عميقا أو سريع التيار ، أن يهيىء للقوات المدافعة ظرفا مساعدا لاستعادة توازنها وسيطرتها على الموقف ، وقد يؤدى ذلك الى شروعها من جديد فى استعادة المبادأة الاستراتيجية مرة أخرى التى أفقدها اياها هجوم العدو السابق لتوقفها خلف المانع المائى .

ونظرا لكل هذه المزايا التكتيكية التى يوفرها أى مانع مائى هام للقوات المدافعة ، فان القيادات العسكرية عادة ما تلجأ الى الاعتماد بصورة جوهرية على مانع مائى معين عند وضعها لخططها الاستراتيجية الدفاعية ، ومن الامثلة البارزة فى هذا الصدد والتى يحفل بها التاريخ العسكرى الحديث اعتماد القيادة البلجيكية فى ربيع ١٩٤٠ على قناة « ألبرت » ــ التى يبلغ عرضها نحو ٦٠ مترا وتسقط ضفافها العمودية الى عمق نحو ٣٦ مترا فى بعض المناطق مثل منطقة حصن « أيبن ايمايل » ــ كعنصر أساسى فى اعاقة زحف المدرعات أو القوات الالمانية بصفة عامة نحو قلب سهول بلجيكا الوسطى حال قيامها بهجوم من جهة الشرق عبر أقليم « مايستريخت » الهولندى ، وذلك لمدة أسبوع على الاقل لحين أن تصل جيوش الحلفاء الزاحفة من شمال فرنسا وتستكمل مواقعها الدفاعية ، وقد بنت القيادة البلجيكية تصورها الاستراتيجى هذا الذى شاركتها فيه قيادة الحلفاء أيضا ــ الجنرال جامبلان ــ على أساس الصعوبات الفنية الشديدة فى عبور هذه القناة التى كانت مشهورة بأنها أفضل خندق مضاد للدبابات فى أوربا ، متى تم نسف الجسور الثلاثة المقامة عليها فى هذه المنطقة ، خاصة وان محاولات الالمان فى العبور ستتم فى مثل هذه الحالة تحت وابل نيران قلعة «ايبن ايمايل» المنيعة المقامة خلف القناة لحماية هذه الجسور (١) ، واعتماد القيادة الهولندية أيضا على الموانع المائية الطبيعية المتعددة فضلا عن خطة اغراق الاراضى المنخفضة بمياه البحر كعنصر أساسى من عناصر الدفاع عن مثلث المدن الرئيسية فى البلاد ــ لاهاى أمستردام

---

(١) تفاصيل هذا معروضة فى مقالنا عن « قوات المظلات والحرب الخاطفة » ــ مجلة الكاتب ــ اكتوبر ٦٨ ــ صفحات ٤٨ ، ٥٠ .

روتردام ـ ضد احتمالات أى هجوم المانى برى من جهة الشرق فى ربيع ١٩٤٠ أيضا .

ومن الامثلة البارزة فى هذا الصدد ايضا محاولة القيادة الالمانية فى الصمود وراء نهر « الدنيبير » فى صيف ١٩٤٣ عقب فقدها تماما وحتى نهاية الحرب للمبادأة الاستراتيجية فى بداية أغسطس من ذلك العام كنتيجة لفشل هجوم منطقة « كورسك » ـ وهو آخر هجوم المانى كبير فى الجبهة السوفييتية ـ وذلك بحكم أن هذا النهر الكبير الذى يعد ثالث أنهار أوروبا بعد « الفولجا » و « الدانوب » والذى يبلغ طوله نحو ٢٣٠٠ كيلومتر، ويتراوح عرضه ما بين ٧٠٠ الى ٩٠٠ متر فى منطقة «كييف» ونحو ٣٥٠٠متر فى المناطق السفلى منه قرب مصباته عند البحر الاسود ، فضلا عن أن عمقه كان يصل الى ١٢ مترا وسرعة تياره متران فى الثانية الواحدة ، كان لذلك كله يعتبر مانعا طبيعيا قويا وملائما للغاية كى يتحول عند تحصينه بسرعة الى خط دفاعى منيع أطلق عليه من جانب الالمان « الجدار الشرقى المنيع » أو « المتراس الشرقى » ـ Eastern Rampart. ـ وقد انعقدت عليه آمال « هتلر » الى درجة كبيرة فى تحويل الحرب فى الجبهة الشرقية الى حرب دفاعية طويلة تتيح الفرصة لعقد مساومة مع الغرب أو استعادة المبادأة الاستراتيجية مرة أخرى (٢) .

ومن الامثلة البارزة أيضا فى هذا المجال استفادة القيادة السوفييتية من نهر « الفولجا » كمانع مائى بالغ الاهمية فى تحقيق الصمود عند ستالينجراد فى عام ١٩٤٢ ، وكذلك محاولة القيادة الالمانية اطالة فترة الحرب الاخيرة فى عام ١٩٤٥ على أمل النجاح فى التوصل الى تسوية سياسية مع الغرب على حساب الاتحاد السوفيتى ، وذلك عن طريق الصمود اطول زمن ممكن وراء نهر « الراين » فى غرب المانيا لاعاقة زحف جيوش « ايزنهاور » ، ووراء نهر « الاودر » فى الشرق لمنع جيوش « زوكوف » من مواصلة زحفها صوب « برلين » .

الاساليب الاساسية فى العبور

تتحدد طريقة أو أسلوب التغلب على الموانع المائية وفقا للظروف العامة التى تحكم الموقف العسكرى للعمليات الجارية ، فهناك أسلوبان أساسيان للعبور وهما : العبور الهجومى « Assault Crossing » والعبور غير الهجومى أو العادى ويتم العبور الهجومى دائما عن طريق القتال بشكل مباشر عند وفوق المانع المائى نفسه بسبب وجود دفاع منظم للعدو « وينفذ العبور الهجومى ، كقاعدة عامة ، فى اثناء التقدم ، أو على نحو أكثر دقة ، خلال معركة أو عملية هجومية ، وذلك عندما تستطيع القوات ، بدون أن تغير من تشكيلاتها المتقدمة أن تتوقف أمام الحاجز المائى ، ان تقهره فورا وفى المكان نفسه » [٣] . أما العبور غير الهجومى فيتم عندما لا يكون هناك عدو متحصن عند الضفة الاخرى للمانع المائى ، او عندما تنجح القوات فى احتلال رؤوس جسور عريضة وعميقة على الضفة الاخرى مع ابعاد او منع العدو من توجيه نيران ارضية الى القوات العابرة ، وان كان هذا لا يمنع العدو فى مثل هذه الحالة من محاولة قصف عمليات العبور جوا [٣] ، هذا ويتم العبور الهجومى او القتالى اما اثناء التقدم متخذا بذلك اسلوب العبور « اثناء الحركة او التقدم »

« Crossing from the Move » ـ وهو الاسلوب الذى يتبع غالبا عندما يكون العبور قتالا ـ واما بعد فترة من التوقف الزمنى امام الحاجز المائى يتم خلالها اعداد خطة مدروسة جيدا لانجاح العبور متخذا بذلك أسلوب « العبور المتأنى » ـ « Debliberate Crossing » ـ وهو العبور الذى تسبقه تجهيزات واستعدادات وحشود معينة ، وهو أسلوب يتبع فى حالة فشل العبور أثناء التحرك أو فى حالة وجود اشتباك عنيف مباشر مع العدو عند الخط المائى يحول دون عبور سريع أثناء التقدم نفسه ، ويتطلب العبور فى هذه الحالات توفير مزيد من الوسائل اللازمة لاسكات نيران العدو عما كان يتطلبه الحال فى « العبور الهجومى أثناء التقدم » أى أثناء نفس الموجة الهجومية الجارية من مبدأ الامر ، وذلك بحكم أن العدو فى حالة « العبور المتانى » سيكون أكثر قوة واستعدادا عنه فى الحالة الاخرى التى لا يتوفر له فيها الوقت المناسب [٤] . هذا ومن الممكن بطبيعة الحال ان يتم عبور غير قتالى أى عادى اثناء التقدم وذلك فى حالة تخلى العدو عن الدفاع عن المانع المائى لاى سبب من الاسباب وفى مثل هذه الحالة لا يتعرض هذا العبور الا لاخطار الهجمات الجوية

---

[٢] Soviet Military Review - « The Battle for Dnieper » - September 1968 - P. 35, 36, 40.

[٣] Soviet Military Review - « The Army Forces, The Dnieper » July 1970 - P. 15

[٤] Soviet Military Review - «Crossing Water Obstacles» - February 1968 - P. 43

المحتملة ، ولكن يجب فى جميع الاحوال أى فى جميع الاساليب والطرق المتبعة لقهر المانع المائى أيا كان نوعه أو حجمه « عدم السماح للقوات العابرة أن تحتشد بصورة مركزة عند نقاط العبور ، ويمكن الحيلولة دون ذلك بوساطة تخطيط مفصل لعملية العبور وعن طريق تنظيم فعال لحركة المرور » (٤) · وذلك حتى لا تتعرض لاحتمالات الهجوم الجوى أو تكون هدفا طيبا لنيران مدفعية العدو فتحدث نتيجة لذلك فوضى وارتباكا شديدا قد يؤثر على عملية العبور كلها ويهدد مصير القوات الاخرى التى تكون قد عبرت من قبل ·

ونظرا للاهمية الخاصة التى يوليها الفكر العسكرى للعبور أثناء التقدم وخاصة السوفييتى منه فسنفرد له بحثا خاصا ·

العبور أثناء التقدم

لما كانت النتائج المترتبة على ايقاف الهجوم أو حركة المطاردة الناتجة عنه عند اى مانع مائى ، هى نتائج خطيرة الآثار على الخطة الاستراتيجية العامة للمهاجم وخاصة فى ظروف الحرب الحديثة الميكانيكية وأكثر خطورة فى ظل استخدام الاسلحة الذرية الميدانية ، فقد اتجه علم التكتيك وفن العمليات فى خلال الحرب العالمية الثانية التى اتسع فيها استخدام الاليات المختلفة فى القتال وعقب انتهاء هذه الحرب أيضا بسبب اختراع الاسلحة النووية ، الى محاولة التغلب على الموانع المائية التى قد تصادف حركة الهجوم او المطاردة دون التوقف أمامها والتجهيز الطويل نسبيا لعبورها ، وذلك لابطال الآثار الجوهرية التاكتيكية والاستراتيجية لها على مجرى العمليات ، خاصة وان امكانيات زيادة معدل سرعة الزحف ومدى العمق الذى يصل اليه قد زادت بدرجات كبيرة عند نشوب الحرب العالمية الاخيرة وبدرجات أكبر كثيرا خلال السنوات الخمس والعشرين التى تلتها حتى الان ·

وبطبيعة الحال ، فان أول المهام التى يمكن فى حالة نجاحها أن تساعد كثيرا على تحقيق أسلوب العبور أثناء حركة المعركة أو العمليات الهجومية نفسها ، هى الاستيلاء على أية جسور سليمة مقامة فوق المانع أو الموانع المائية المراد اجتيازها بسرعة ، وقد ابتكرت القيادة الالمانية فى سبيل تحقيق تلك المهام أسلوب الاحتلال العمودى لتلك الجسور ، أى الاستيلاء عليها فى حركة خاطفة مفاجئة بوساطة القوات المحمولة جوا من خلال عمليات الاسقاط لجنود المظلات أو الابرار الجوى لمشاة الطائرات الشراعية ، وقد كانت عملية « ايبن ايمايل » فى بلجيكا فجر يوم ١٠ مايو ١٩٤٠ فاتحة وضع هذا الاسلوب فى التطبيق لاول مرة فى التاريخ العسكرى الحديث ، اذ أمكن لنحو ٥٠٠ من المظليين وجنود الطائرات الشراعية الاستيلاء على جسور قناة «البرت» سليمة، فضلا عن قلعة « أيبن ايمايل » المنيعة نفسها (٥) ·

وفى نفس الوقت أيضا كانت تجرى فى هولندا سلسلة من عمليات الاستيلاء على الجسور السليمة المقامة فوق عديد من الانهار والقنوات التى تشكل عقبات خطيرة فى طريق زحف الفرقة التاسعة المدرعة الزاحفة من الحدود الالمانية عبر جنوب البلاد من مسافة تبعد نحو ١٠٠ ميل عن الجسور التى جرى الاستيلاء عليها فى « روتردام » وغيرها من المناطق الهولندية الموجودة فى عمق المعقل الهولندى الاساسى الذى يضم مدن « روتردام ـ لاهاى ـ امستردام » (٥) · وقد استهدف الحلفاء بقيادة «مونتجمرى» نفس الشىء فى هولندا ايضا فى سبتمبر ١٩٤٤ ، عندما قاموا بعملية ـ اسقاط وابرار جوى ـ كبيرة لثلاث فرق محمولة جوا فضلا عن لواء آخر مستقل ، بلغ مجموع قوتها حوالى عشرين الف مظلى ، واربعة عشر ألفا من مشاة الطائرات الشراعية ، من أجل الاستيلاء على الجسور المقامة فوق ستة موانع مائية متتالية تبدأ من قناة « اسكت » وتنتهى « بالراين الاسفل » ، وذلك فى محاولة « لمد بساط لين من الجسور السليمة » ، على حد تعبير « مونتجمرى » ، عبر طريق « أيند هوفين ـ أرنهيم » تجرى من فوقه مدرعات الفيلق البريطانى الثلاثون لانجاز زحف سريع عميق نحو حوض « الروهر » الالمانى عبر « الراين » دون أن تعيقه فى ذلك العوائق الهولندية المتعددة ، وارض الحقول الرخوة المحيطة بالطريق المرصوف بالاسمنت الممتد فوقها ، وقد نجح الحلفاء فى الاستيلاء فعلا على جميع هذه الجسور باستثناء جسر « أرنهيم » المقام فوق الراين الاسفل حيث نجح الالمان فى الحيلولة بين الفرقة البريطانية الاولى المحمولة جوا وبين تحقيق هدفها ، بل وأمكنهم أيضا أسر معظم رجالها أو القضاء عليهم ، وبقى « الراين الاسفل » فى حوزتهم ، ففشل بذلك الهجوم البريطانى فى تحقيق أهم أهدافه الاستراتيجية ، ولكن ذلك الفشل لم يكن راجعا الى خطأ فكرة الهجوم الجوى الرأسى لتأمين الجسور فى حد ذاتها وانما يرجع أساسا الى عدة أخطاء تكتيكية ارتكبها البريطانيون عند الهبوط هناك (٦) ، ومن أمثلة الاستيلاء على الجسور لتأمين عمليات العبور اثناء التقدم والتى لم

[٥] تفاصيل الموضوع معروضة فى مقالنا السابق الاشارة اليه المنشور بمجلة الكاتب .
[٦] تفاصيل هذه المعارك مذكورة فى الجزء الثانى من مقالنا عن « قوات المظلات والحرب الخاطفة » ـ مجلة الكاتب ـ نوفمبر ٦٨ ـ صفحات ٣٢ ـ ٣٧ .

تستخدم فيها القوات المحمولة جوا ، عملية استيلاء الفرقة المدرعة التاسعة الامريكية على جسر « ريماجين » الواقع على نهر « الراين » يوم ٧ مارس ١٩٤٥ بعد أن نجح الالمان فى نسف ١٢ جسرا فى ذلك فوق الراين » ، وكذلك ايضا من أبرز الامثلة العملية فى الاستيلاء المفاجىء والسريع على الجسور بوساطة قوة برية أثناء تقدمها ، استيلاء قوة سوفييتية صغيرة مؤلفة من فصيلة دبابات ـ حوالى أربع دبابات ـ وبعض الجنود حاملى الرشاشات وبعض رجال سلاح المهندسين ، على جسر مقام فوق نهر « فارتا » فى بولندا بالقرب من مدينة « برزينين » يوم ٢٠ يناير عام ١٩٤٥ (٧) ، رغم أن الجسر كان محميا بقوة وأن المدينة كان بها حامية مكونة من نحو ١٠٠٠ جندى من المشاة الالمان وتعززهم نحو ٣٠ قطعة مختلفة من المدفعية ، وذلك بأن اندفعت القوة المذكورة ـ والتى كانت تمثل دورية صغيرة أمامية من قوة متقدمة تتألف من ١١ دبابة تحمل فوق ظهرها ٤٥ جنديا مسلحين بالرشاشات و ١٦ من جنود سلاح المهندسين ـ فجأة وبسرعة الى الجسر بمجرد أن رأته سليما ، بينما كان الجنود الالمان ما زالوا يعدون مواقعهم الدفاعية على كلا الضفتين ، وتمكنت الدبابات من أن تصل الى الضفة الاخرى وتشتبك هى وحاملو الرشاشات مع جنود العدو الموجودين هناك فى قتال متلاحم بالنيران ، بينما قفز المهندسون فوق الجسر وقطعوا الاسلاك الكهربائية المتصلة بالعبوات الناسفة المركبة فيه تمهيدا لتدميره ، كما أخذوا يرفعون الالغام الاخرى الموضوعة ، وتلا ذلك وصول بقية القوة المتقدمة التى تتبعها الدورية المذكورة فعبرت هى الاخرى الجسر دون توقف ، وكان أن عبرت اثر ذلك القوة الرئيسية للهجوم دون أن تتعطل لحظة واحدة فى زحفها بسبب المانع المائى .

ولقد كانت هذه القوة المتقدمة تشكل مجموعة ضمن المجموعات القتالية الخاصة التى أعدتها القيادة السوفييتية ودربتها لاداء مثل هذه المهمة على ضوء الدروس المستفادة من الحرب الجارية والتى أكدت أهمية انجاز مهام عبور الموانع المائية أثناء التقدم نفسه وضرورة اعداد القوات والوسائل اللازمة لذلك .

هذا وقد أوضحت الخبرات المستفادة من عمليات هذه المجموعات الخاصة بالاستيلاء على الجسور سليمة أن المفاجأة شرط جوهرى لنجاح مثل هذه المهام فضلا عن ضرورة انجازها بجرأة بالغة وشجاعة جسورة من جانب أفراد المجموعة القائمة بمثل هذه الهجمات الفدائية الخاطفة .

ولكن كان يحدث فى كثير من الاحيان ان يتعذر لسبب أو لاخر الاستيلاء على جسر سليم ، فكانت القوات الزاحفة تلجأ الى استخدام مختلف انواع القوارب والاطواف والمعديات وتقوم باجتياز المانع المائى تحت حماية نيران المدفعية والدبابات المصاحبة لها وهى تطلق النار أثناء عبورها على المواقع المعادية فى الضفة المقابلة حيث تستأنف هجومها مرة أخرى بمجرد وصولها اليها ، واثر ذلك تصل وحدات المهندسين لتنشىء جسرا عائما بعد تأمين المنطقة التى تم فيها العبور الهجومى أثناء التقدم عن طريق توسيع رأس الجسر الذى أحدثه الهجوم ، وهكذا يتوالى عبور القوات الرئيسية وتستمر الحركة العامة للتقدم أو المطاردة .

وفى مثل هذه الحالات كان قادة الوحدات العابرة يختارون أكثر الجنود قوة وشجاعة وخبرة كى يقوموا بالتجديف أثناء العبور القتالى تحت نيران رشاشات وهاونات ومدفعية العدو ، وذلك لان الجندى حديث الخبرة ، أو الذى لا يتمتع بأعصاب قوية لا يستطيع مواصلة التجديف أو الاسراع فيه تحت مثل هذه الظروف الخطرة للغاية ، وقد أوضحت الخبرة العملية لمثل هذا العبور ـ أى إثناء التقدم ـ أن المفاجأة المتولدة عن اختيار مكان غير متوقع من جانب العدو وبسبب وعورته مثلا تلعب دورا رئيسيا فى نجاح مثل هذا العبور ، وأن العبور على مواجهة عريضة عامل مساعد أيضا فى نجاح هذه العمليات ، وان من الضرورى أيضا استخدام أكبر قدر ممكن من قوة النيران لاسكات مواقع العدو لتأمين عمليات العبور قدر الامكان (٨) .

ويقدم لنا « روميل » فى مذكراته صورة حية واضحة لعملية عبور لفرقته المدرعة السابعة اثناء تقدمها السريع فى فرنسا يوم ١٣ مايو ١٩٤٠، عند « دينان » حين واجهت نهر « الموز » البالغ عرضه نحو ١٢٠ مترا كمانع مائى قد يعيق حركة تقدمها خاصة وأن فرقة مشاة فرنسية كانت قد بدأت تحتل ضفته المقابلة وتعزز مواقعها هناك ، فيوضح لنا انه ازاء شدة نيران الرشاشات

---

[٧] Soviet Military Review- «Crossing Water Obstacles» - February 1968 - P. 42.

[٨] Soviet Military Review - « River Crossing on the Move » - July 1970 - P. 17.

الفرنسية المخفاة جيدا داخل الاعشاب والصخور والشجيرات توقفت عملية العبور الاولية التى كانت تتم بالقوارب المطاطة وبالمعدية ، فأسرع «روميل» باحضار المدفعية من المؤخرة حيث قامت بتوجيه نيران مركزة على كل نقطة يحتمل وجود مواقع فرنسية فيها متعاونة فى ذلك مع الدبابات التى سارت على الشاطىء بفاصل ٥٠ مترا بين الواحدة والاخرى وقد أدارت أبراجها ناحية الضفة المقابلة وأخذت تطلق نيرانها بشكل متواصل ، وتحت هذه الحماية بالنيران التى جرى ترتيبها بسرعة استمرت عملية عبور القوات وأمن رأس الجسر ثم أنشأ المهندسون جسرا عائما عبرته الدبابات بسرعة لتعزز زحف المشاة (٩) ، هذا ويهتم التكتيك السوفييتى كثيرا بأسلوب العبور اثناء التقدم أو الحركة الهجومية وبطريقة العبور الهجومى التى تقترن بها عادة ، ولعل ذلك راجع الى وجود كثرة هائلة من الموانع المائية المختلفة الاحجام والانواع فى أراضى الاتحاد السوفييتى واوروبا عامة، ولذلك فقد ركز التكتيك الصناعى المرتبط بمتطلبات التكتيك المباشرة على صنع وتطوير وسائل ومعدات للحركة قادرة على اجتياز الموانع المائية بسهولة وبسرعة لتساعد القوات الزاحفة على انجاز مهمة العبور هذه بكفاءة وسرعة وفقا لمتطلبات التكتيك وفن العمليات السابق ايضاحها بخصوص أهمية اجتياز الموانع المائية دون توقف زمنى ، فكان أن اخترعت وأنتجت على نطاق عملى أنواع متقدمة من الدبابات البرمائية ومن العربات المجنزرة البرمائية وناقلات الجنود المصفحة القادرة على السير فى الماء فضلا عن السير العادى فوق الارض ، هذا بالاضافة الى صنع وتطوير مجموعة من مختلف انواع الجسور البسيطة الحمل والتركيب والتى لا تستغرق وقتا طويلا فى مدها فوق المانع المائى وبعض هذه الجسور تحمله السيارات على أجزاء وبعضه الاخر تحمله عربات مجنزرة أو دبابات ، وسوف نعرض بشىء من التفصيل لبعض هذه الوسائل والمعدات فيما بعد عند تناولنا بالبحث الوسائل الفنية أو التكنيكية المستخدمة حديثا فى انجاز مهام العبور بمختلف أساليبه وطرقه .

ويتطلب تنفيذ العبور أثناء التقدم ايجاد أكبر قدر ممكن من التنسيق بين مختلف الوحدات الزاحفة بسرعة نحو المانع المائى ، وأن تكون كل وحدة منها فى نفس الوقت الذى تعمل فيه كجزء من كل زاحف نحو المانع قادرة على اجتيازه بشكل مستقل ومجهزة مقدما بالمعدات اللازمة لذلك ولو فى حدها الادنى ، وذلك لان المفروض فى مثل هذه الحالات الا تشغل القوات الامامية المتقدمة ، والتى تمثل رأس الرمح للقوات الرئيسية المهاجمة ، نفسها كثيرا بتصفية جيوب المقاومة التى قد يتركها العدو المتراجع فى مؤخرته وأن تتقدم مباشرة صوب المانع المائى لتحول دون انشاء العدو لدفاعات مناسبة عنده ، ولكن قد تضطر بعض أجزاء الوحدة الزاحفة الى التأخر قليلا أمام بعض تلك الجيوب المدافعة، ولذا فعلى بقية تشكيلاتها ان تمضى قدما وتعبر المانع مستقلة عن بقية التشكيل ، وعموما فان نجاح أى عبور سواء أثناء التقدم أو بعد التوقف واعداد الترتيبات اللازمة يتوقف على توفر بعض الشروط والعوامل أهمها :

١ ــ تنظيم استطلاع فعال للمانع المائى قبل الوصول اليه وعبوره أو قبل عبوره بصفة عامة يستهدف معرفة دقيقة لعرض المانع وعمقه وسرعة تياره وتحديد المخاضات الضحلة فيه والتى يمكن عبور الجنود أو الدبابات أو الخيل عبرها ، وتعيين أفضل الاماكن للعبور من حيث مدى انحدار الضفاف وصلاحيتها لنزول وصعود الآليات البرمائية ولاقامة مختلف أنواع الجسور العائمة ، هذا فضلا عن معرفة مدى قوة دفاعات العدو فى المنطقة، ومواقع مدافعه وحشود قواته فيها فى حالة وجود قوات معادية فى المنطقة ، وأن يتم هذا الاستطلاع المتعدد الجوانب على اعرض مواجهة ممكنة حتى تكون هناك فرصة للمناورة واختيار نقاط عبور تبادلية فى حالة تعثر العبور لاى سبب من الاسباب فى نقطة ما .

٢ ــ أن يتم اعداد خطة مفصلة للعبور قبل الوصول الى المانع نفسه بفترة مناسبة فى حالة العبور اثناء التقدم او قبل موعد العبور فى حالة العبور المتأنى ، وأن تخطر التشكيلات المشتركة فى العملية بها وتنظم وفقا لها قبل أن تبدأ العملية بوقت كاف ، ضمانا للتنفيذ السريع الفعال وعدم التجمع الكثيف قرب نقاط العبور .

٣ ــ أن يتم توجيه ضربات مؤثرة بوساطة المدفعية والدبابات والطائرات للدفاعات الموجودة وراء المانع المائى ولكافة طرق الاقتراب منه ولتحركات القوات الاحتياطية الموجودة فى مؤخرته لحرمان العدو من امكانية تنظيم واعداد دفاع ملائم عند المانع ولتأمين عمليات العبور المختلفة .

٤ ــ أن يتم وصول معدات العبور المختلفة فى توقيت زمنى مناسب سواء كان العبور أثناء التقدم أو خلاف ذلك ، وأن يجرى تمويه واخفاء تحركات

---

(٩) تفاصيل هذه الواقعة واردة بمقالنا عن « حرب الهول » المنشور بمجلة « الطليعة » ــ عدد فبراير ١٩٦٨ ــ صفحة ٢٥ .

هذه المعدات الى اكبر حد ممكن مع بعثرة عديد من المعدات الهيكلية فى عديد من الاماكن لتضليل العدو عن اماكن المعدات الحقيقية ونقاط العبور الفعلية ·

٥ ـ أن يجرى تدعيم رأس الجسر أو رؤوس الجسور التى تقيمها القوات العابرة على الجانب الاخر من المانع بسرعة وتوصل اليها أكبر كمية ممكنة من المدافع والمدرعات ووسائل الحركة كى تعطى المعاونة المباشرة للقوات الموجودة هناك فى وجه الهجمات المضادة المحتملة ، ويمكن حاليا لطائرات الهليكوبتر التكتيكية أن تساهم بشكل فعال فى انجاز هذه المهمة بعد أن اصبح فى مكنة الانواع الحديثة الكبيرة منها أن تنقل عشرات الجنود والعديد من العربات المصفحة والمدافع المدرعة ذاتية الحركة المضادة للدبابات أو للطائرات الخ · وذلك لان العدو المدافع سيلجأ فى حالة نجاح عمليات العبور الهجومى الاولية الى بذل محاولات مستميتة من أجل سد هذه الثغرات التى فتحت فى خطه الدفاعى قبل أن ينساب منها سيل القوات المهاجمة وينتشر فى الاراضى الواسعة الممتدة وراء المانع المائى ، وستتخذ تلك المحاولات شكل الهجمات المضادة ، وبصورة اساسية التى يقوم بها الاحتياطى المتحرك غالبا ، وتزداد مخاطر ذلك الاحتمال فى حالة العبور المتأنى الذى يتم بعد فترة طويلة من التوقف أمام المانع المائى نظرا لان العدو سيكون قد توفر له الوقت اللازم والامكانيات المادية لاعداد مثل هذا الاحتياطى المتحرك القوى ، بل وغالبا ما تعتمد خطته الدفاعية أساسا على ذلك فى مثل هذه الظروف خاصة اذا ما كانت حالة ميزان القوى الجوية لم تمكنه خلال فترة الاستعدادات السابقة للعبور من شل جهود العدو فى هذا الصدد ، ومن كل ذلك تتأكد لنا أهمية التدعيم السريع للقوات التى تعبر المانع المائى اثر نجاح العمليات الاولى للعبور الهجومى أو غير الهجومى حتى تستطيع أن تؤمن رؤوس الجسور الذى أنشأتها على الضفة الاخرى عن طريق توفر امكانيات صد الهجمات المضادة المتوقعة ، ويتم ذلك التدعيم السريع بعدة وسائل : منها عودة المركبات البرمائية التى حملت الموجات الاولى من جنود المشاة الى نقاط العبور مرة أخرى لحمل المدافع المضادة للدبابات أو المدافع الخفيفة المضادة للطائرات وتكرار هذه العملية عدة مرات بسرعة ، ومنها ايصال أكبر عدد ممكن نقله من الدبابات الى الضفة الاخرى قبل أن تنشأ الجسور العائمة اللازمة بوساطة المعديات مثلا أو باستخدام الدبابات البرمائية أو عبور الدبابات العادية للمانع عن طريق الغوص الى قاعه والسير فوقه حتى الضفة الاخرى مستخدمة التلسكوبات المماثلة لتلسكوبات الغواصات فى مهمتها متى كانت منحدرات الضفتين وطبيعة قاع المانع المائى تسمح بذلك ، هذا فضلا عن امكانية استخدام الهليكوبتر كما سبق أن قلنا فى نقل قطع المدفعية المختلفة والدبابات الخفيفة والعربات المدرعة ·

٦ ـ ويأتى فى ختام عرضنا الموجز هذا لابرز عوامل نجاح عمليات العبور المختلفة للموانع المائية ضرورة توفير الحماية الجوية والاستطلاع الجوى اللازم لتحركات العدو فى عمق خطوطه ، وأهمية اشتراك الطيران فى القصف التمهيدى للعبور الهجومى وفى تقديم المعاونة المباشرة للقوات العابرة فى تدعيم رؤوس جسورها ومواصلة تقدمها بعد ذلك وفقا للخطة العامة الموضوعة للهجوم ، هذا فضلا عن الاهمية القصوى لوجود نظام متكامل الاداء منسق التنفيذ مع حركة القوات المهاجمة للدفاع الجوى الارضى ـ مدفعية مضادة للطائرات من مختلف الانواع متحركة فوق آليات أو ثابتة وصواريخ أرض جو لمختلف الارتفاعات ثابتة ومتحركة اذا أمكن ـ يكفل توفير الحماية اللازمة للقوات العابرة أو المهاجمة فى حالة عدم وجود مقاتلات صديقة فوق سماء المنطقة فى أى وقت من الاوقات · وأن يمتد هذا النظام الدفاعى الجوى بحيث يمكنه أن يغطى أيضا حركة قولات التموين والخدمات المختلفة والقوات الاحتياطية الزاحفة من المؤخرة صوب نقاط العبور فى جبهة القتال المباشر الدائر عند المانع المائى ·

دور المهندسين فى العبور

تلعب وحدات المهندسين المختلفة دورا رئيسيا فى انجاح وتنفيذ عمليات العبور أيا كان أسلوبها أو نوعها ، ذلك لان عليها كواجب أساسى عام وهو كفالة تقدم سريع آمن من العوائق المختلفة للقوات المكلفة بالعبور الهجومى أثناء التقدم ، وتوفير امكانيات وظروف مناسبة لتحقيق اجتياز المانع المائى نفسه فى أسرع وقت ممكن لاى نوع من أنواع عمليات العبور ، هذا فضلا عن تهيئة الشروط اللازمة لنشر القوات العابرة فى جميع الاحوال على مواجهة واسعة قدر الامكان بعد وصولها للضفة الاخرى حيث تواصل زحفها أو هجومها ، ولضمان أداء هذه المهام الرئيسية تقوم وحدات المهندسين الملحقة بالوحدات المتقدمة أو العابرة بالاتى :

١ ـ تشكيل دوريات استطلاع خاصة بها تعمل جنبا الى جنب مع دوريات الاستطلاع الاخرى العاملة من أجل رصد دفاعات وتحركات العدو ، وذلك بهدف اكتشاف وتحديد العوائق والالغام الموضوعة فى طريق تقدم القوات نحو المانع المائى ، ومعرفة عرض وعمق المانع وسرعة تياره ونوع التربة ودرجة تحملها للمركبات المختلفة الحمولة وذلك على كلا الضفتين وفى القاع ايضا ، فضلا عن معرفة درجة ميل أو انحدار جوانب المانع

على كلا الضفتين وارتفاعات هذه الجـوانب ، وتحديد الاماكن الصالحة لحشد معدات العبور وتحميلها وتفريغها بالافراد أو العتاد ، والاماكن الصالحة لاقامة الجسور العائمة ولتحميـل المعديات ، هذا بالاضـافة الى اكتشاف الاماكن الضحلة المياه التى يمكن للدبابات أن تخوضها الى الضفة ، والاماكن الصالحة لعبور الدبابات تحت سطح الماء ، والامكانيات المحلية الموجودة من وسائل العبور والاخفاء والتمويه والحمـولة التقريبية للجسور القائمة حال وجودها سليمة ، كما تقوم أيضا هذه الدوريات بالتعاون مع دوريات الاستطلاع الاخرى بتحديد نوع وطبيعة دفاعات العدو ، وتستعين دوريات المهندسين فى اداء مهمتها هذه بالصـور الجـوية والخـرائط الطبوغرافية ، وبعديد من اجهزة القياس والكشف عن الالغام المدفونة فى الارض او المغمورة فى الماء وبمعدات خاصة بالغوص وبعربات مصـفحة برمائية .

٢ ـ القيام بعد انتهاء مهام الاستطلاع بازالة العوائق الموجودة على الشواطىء أو فى الماء وازالة الالغام وردم الحفر الناتجة عن القنابل وحفر المنحدرات اللازمة لنزول الدبابات والعربات البرمائية الى المخاضات أو فوق سطح الماء أو تحته ، وكذلك المنحدرات الصاعدة الى الضفة الاخرى بـوساطة مختلف آلات الحفـر و «البولدوزر» ، واعداد وتحديد الطرق والممرات اللازمة بعلامات معينة لايصال العربات والمعدات المختلفة الى الشاطىء ، ثم اثر عبور القوات الى الضفة الاخرى تقوم وحدات المهندسين بـازالة العوائق والالغام وشق الممرات اللازمة لسير مختلف المركبات الخ .

٣ ـ تقوم وحدات الكبارى العائمة والمعديات باعداد الارض والاماكن اللازمة لانزال معداتها وتركيبها وشق الممرات اللازمة ، ويتم بعد ذلك تشغيل المعديات لنقل الدبابات ومختلف أنواع العربات غير البرمائية بسرعة ، بينما يجرى فى نفس الوقت بناء الكبارى التى تستغرق بطبيعة الحال وقتا وجهدا اطول من الوقت والجهد المبذول فى تركيب وتشغيل المعدية العائمة ، ولذلك فان المعديات تبدأ عملها مباشرة وفى وقت متعاصر تقريبا مع وصول الموجات الاولى من القـوات العابرة الى الضفة الاخرى مستخدمة وسـائل العبور الاخرى ـ آليات برمائية ودبابات ـ وقد أمكن فى أحد تدريبات الجيش السوفيتى الاخيرة أن نجح المهندسون فى تشغيل معديات عائمة حمولة الواحدة منها ١٧٠ طنا فاستطاعت بالتالى أن تحمل فى كل مرة أربع دبابات دفعة واحدة لتعبر المانع المائى الذى بلغ عرضه نحو ٢٥٠ مترا ، الامر الذى ساعد الدبابات بصورة فعالة على القيام بهجوم مفاجىء للعدو عبر الضـفة الاخرى (١٠) .

المعدات الحديثة للعبور

لقد اتاح التطور التكنولوجى الهائل والسريع فى مجال الصناعة الحربية الحديثة امكانية تزويد القوات البرية بوسائل نقل وعبور ملائمة للغاية لاجتياز الموانع المائية أيا كان عرضها أو عمقها بسرعة نسبية تفوق كثيرا السرعة والكفاءة التى كانت تتم بها مثل هذه العمليات أثناء الحرب العالمية الثانية ، الامر الذى جعل علم التكتيك وفن العمليات يركز كثيرا على العبور الهجومى اثناء التقدم كأسلوب أساسى سائد حاليا فى قهر الموانع المائية ، وذلك بسبب توفر الوسائل المادية التكنيكية اللازمة لتنفيذه بكفائة عالية وسرعة كبيرة ، ويتركز هذا التطور التكنيكى فى اتجاهين أسـاسيين متوازيين هما :

١ ـ الاكثار من صنع وتطوير أنواع مختلفة الاحجام والقدرات من الاليات البرمائية لحمل الجنود والعتاد بسرعة ودرجة أكبر من الحماية عبر المانع المائى ، الامر الذى جعل عمليات تحميل القوات والمعدات تتم من مسافات آمنة الى حد كبير بعيدا عن ضفاف المانع نفسه وكذلك أيضا عمليات التفريغ ، وذلك على خلاف ما كانت عليه الحال خلال الحرب العالمية الثانية حيث كانت عمليات التحميل والتفريغ لوسائل العبور تتم عند المانع نفسه مما كان يترتب عليه زيادة نسبة الخسائر نتيجة نيران العدو الصادرة من الضفة الاخرى .

فهناك مثلا من هذه الاليات البرمائية السوفييتية الصنع جرار مجنزر مكشوف السقف مصـفح الجوانب قادر على نقل حمولات تصل الى خمسة اطنان يعرف باسم « كَ ـ ٦١ » ـ
« K - 61. Amphibious Tracked Carrier »
وهو مزود بمروحتين تدوران فى الماء ويمكن لهما أن تدورا فى اتجاهين مختلفين ، الامر الذى يكفل للجرار البرمائى قدرة كبيرة على المنـاورة والدوران السريع لتغيير الاتجاه وهو فى مكانه نفسه (١١) ، وهناك مثلا عربة صغيرة برمائية

---

[١٠] Soviet Military Revie°- «Engineer Support of Assault Crossing » - July 1970 - P. 23.

[١١] Soviet Military Review - « Technical Means of Assault Crossing » - July 1970 - P. 25.

ذات أربع عجلات تدور جميعا مثلها مثل جميع العربات البرمائية أو العربات القادرة على السير فوق الرمال ، ولها ثلاث مراوح مائية تضمن لها سيرا منتظما فوق الماء ، وغطاء علوى من قماش الخيام يحمى الطاقم من مياه الامواج أو الامطار ، وهى مزودة بونش يساعدها على الخروج من الماء على الضفاف الحادة الانحدار وللتغلب على عوائق الطرق التى تصادفها ، وتستخدم دوريات المهندسين الاستطلاعية هذا النوع من العربات فى استطلاع مجرى المانع المائى وضفافه ، كما يستخدمها جنود وحدات الكبارى فى الاعمال المساعدة فى تركيب الكبارى العائمة او ذات القوائم المثبتة ، وهناك أيضا عربات نقل برمائية كبيرة قادرة على حمل طنين ونصف من المعدات أو الرجال ولها باب خلفى مجهز بسلم صعود أو هبوط يفرد بوساطة ونش مركب فى نفس العربة ، ويساعدها ذلك على سرعة التحميل والتفريغ ، كما أن الونش يساعد العربة نفسها فى الخروج من الماء وفى ازالة العربات المحطمة أو المتعطلة عن الحركة • وهناك كذلك ناقلات الجنود المصفحة البرمائية ذات الثمانى عجلات المعروفة باسم «A.P.C» وهى سوفييتية الطراز أيضا ، هذا فضلا عن الدبابات البرمائية والتى يبدو أن التكتيك السوفييتى يفضل استخدامها فى عمليات الانزال من البحر نظرا لقدرتها على تحمل أمواج البحر وصعوبة تزويد كل الوحدات البرية بها الى جانب الدبابات العادية •

٢ ــ الاتجاه الى ابتكار وصنع أنواع عديدة من الكبارى البسيطة التصميم والسهلة الحمل والنقل والتى لا تستغرق وقتا طويلا فى تركيبها وانشائها أى جعلها صالحة للعمل ، من ذلك مثلا الكبارى المتحركة المركبة فوق عربة كبيرة أو دبابة مثلا « Mobile Treadway Bridge » ويبلغ طول الواحد منها ٧ أمتار وعرضه ٣ أمتار وله قوائم تتوسطه تثبت آليا ، ويمكن استخدام خمسة من هذه الكبارى لانشاء كوبرى طوله ٣٥ مترا ، وتبلغ حمولة هذا الكوبرى ١٥ طنا وهو يعرف باسم : The K. M. M. Mombile Bridge ويتم انشاؤه فى نحو نصف ساعة فقط بوساطة الاطقم الجيدة التدريب خلال النهار ونحو ٤٥ دقيقة أثناء الليل ، وتستخدم هذه الكبارى فى اجتياز الموانع الضحلة العمق أو الحفر الكبيرة وما الى ذلك ، وهناك أيضا الكبارى العائمة التى تحمل مطوية فوق عربات ضخمة ، ثم تلقى كل عربة الجزء الذى تحمله فى الماء حيث ينفرد سطحه الصلب أوتوماتيكيا ويجرى ربطه بالاجزاء الاخرى الطافية على مقربة منه بوساطة الاطقم العاملة داخل اللنشات أو العربات البرمائية الخفيفة .ومن فوق سطح الاجزاء الجاهزة التركيب من الجسر ، ويسمى هذا النوع من الكبارى باسم « Pontoon Bridge » • كما تعرف مختلف الاليات أو المركبات التى تحمل الكبارى المتحركة باسم « Bridge Layers »

هذا وتستطيع الكبارى العائمة أن تحمل عدة دبابات فى وقت واحد ، كما توجد منها أنواع قادرة على تحمل مرور قطارات السكة الحديد بسرعة مناسبة •

وهكذا يمضى التطور التكنولوجى فى امداد القوات البرية بوسائل قوية وميسرة تساعدها على مواجهة مشكلة اجتياز الموانع المائية بسرعة وكفاءة ، الامر الذى يدفع هذه القوات بالتالى الى تطوير تكتيكات العبور وجعلها أكثر مرونة وملائمة لتحقيق الاهداف الاستراتيجية للهجوم فى الزمن المناسب .•





الرأسمالية وفكرة العودة للطبيعة

د. عبد الوهاب محمد المسيرى

ثمة ضرب من الافكار يشيع بين الناس ويتغلغل فى لا شعورهم ، ويسيطر على أفئدتهم ووجدانهم ، ومثل هذه الافكار ، بغض النظر عن صدقها أو زيفها ، تساهم فى تشكيل رؤية الانسان للواقع وللنفس البشرية ، وقد آثرت أن أسمى هذه الافكار معتقدات أو رؤى شائعة، لا أيديولوجيات ، لانه بينما تحاول الايديولوجية أن تشرح الظواهر الاجتماعية والاقتصادية المعقدة ليتسنى للافراد والجماعات أن يتخذوا قرارا فيما يواجههم من مشاكل تاريخية واجتماعية ، نجد أن المعتقدات الشائعة تحدد سلوك الانسان فى المشاكل التى قد يبدو أنها بدون طابع اجتماعى مباشر ، مثل الحب والزواج والعلاقات الاسرية، كما أنها تؤثر على الحضارة اليومية ومنتجاتها مثل الاغانى والافلام والتمثيليات الاذاعية ، مثل هذه المعتقدات يحددها ولا شك الاطار الايديولوجى العام للمجتمع ، ولكنها فى الوقت ذاته تحقق ضربا من الاستقلال النسبى عن الايديولوجية (١)

واذا حاولنا أن نحدد الفرق بين الايديولوجية والمعتقدات الشائعة نجد أنه أساسا يتركز فى النقط التالية :

أولا : الايديولوجية رغم غموضها ، أكثر تحددا من المعتقدات الشائعة وأقل انفتاحا على عناصر فكرية من ايديولوجيات أخرى ، على العكس من ذلك نجد أن المعتقدات الشائعة غائمة الحدود ، فمعتقدات المجتمع الاشتراكى الشائعة قد تدخلها عناصر كثيرة من حضارات بلاد مجاورة بل وحضارات سابقة لظهور المجتمع الاشتراكى ، بل ومن الممكن نظريا أن يوجد مجتمع اشتراكى كل معتقداته الشائعة بورجوازية رغم أن ايديولوجيته الرسمية اشتراكية .

ثانيا : مما لا شك فيه أن كلا من الايديولوجية والمعتقدات الشائعة يشكلان رؤية الانسان للواقع ، الا أن تأثير الاولى يتم بشكل واضح بينما يتم تأثير الثانية بشكل مستتر لا واع ، فشعار الحرية والاخاء والمساواة ، رغم عدم تحدده اجتماعيا وطبقيا ، استخدمته طليعة البورجوازية الفرنسية أثناء الثورة لاعادة صياغة الاطار الايديولوجى للمجتمع ، وفى الوقت ذاته قامت البورجوازية الفرنسية بمحاولات كثيرة غير واعية لتحطيم اساس الاقطاع عن طريق نشر أفكار جديدة عن الطبيعة والحب والاسرة ، وهذه الافكار نفذت بشكل بطىء الى لا وعى الشعب (بل الى لا وعى الاستقراطية ذاتها) معيدة صياغة رؤيتها للواقع .

ثالثا : بينما يعرف الجميع أن الايديولوجية مرتبطة بفلسفة سياسية معينة وبالتالى فهى

خاضعة لقوانين التغير والتطور التاريخية ، يظن المؤمنون بالمعتقدات الشائعة أنها من المسلمات الابدية ، وأنها تستمد جذورها من النفس البشرية ذاتها ، وليس من أى نظام اقتصادى أو سياسى ٠

هذه المعتقدات الشائعة رغم صدقها أو كذبها تلعب دورا هاما فى تحديد سلوك الانسان ، فاسطورة « الانسان العصامى » الشائعة فى الولايات المتحدة ساهمت ، رغم زيفها ، فى اطلاق طاقات الملايين من الامريكيين ودفعتهم الى زيادة انتاجهم ، والى الادخار ، وبذلك ساعدت ولا شك فى بناء الصرح التكنولوجى المتقدم فى الولايات المتحدة ٠

وما تقدم من حديث لا يعنى بالضرورة أن المعتقدات والاساطير الشائعة لا علاقة لها بتاتا بالواقع ، بل اننا فى الغالب نجد أن الذى يساعد هذه المعتقدات والاساطير على الشيوع وزيادة فاعليتها ، أنها لها جذور فى العالم الموضوعى ، فأسطورة الانسان العصامى تعبر عن جزء هام من واقع المجتمع الرأسمالى ، فى أن هذا المجتمع قد أعطى بعض أعضائه على الاقل حرية كبيرة نسبيا والجماعاتفى المجتمع العبودى أو الاقطاعى (بل والاشتراكى فى بعض الاحيان) ، هذا كما أن بعض الافراد فىالمجتمع الرأسمالى يمكنهم بالفعل الانتقال من طبقة الى أخرى ، الامر الذى لا يتيسر لاى فرد كائنا ما كان فى النظام الاقطاعى ٠

وفى رأيى أن مفهوم « المعتقدات الشائعة »قد يحل بعض المشاكل التى تواجه المؤرخ أو الناقد الادبى الماركسى ، حينما يحاول أن يحدد علاقة القاعدة الاقتصادية للمجتمع بالصرح الفكرى الفوقى ٠

فالمعتقداتالشائعة أشبه ما تكون بالعدسة التى تلتقط اشعاعات من القاعدة الاقتصادية وأيديولوجية المجتمع (ومن مصادر كثيرة أخرى مثل الاساطير السائدة فى المجتمع وعاداته وتقاليده) وبعد أن تمزجهمجميعا تضعهم فى اطار محسوس مباشر يمكنلخيال المرء أن يستجيب له ، واذا كان الامر كذلكفيمكن للناقد الماركسى بدلا من أن يحاول تحديد « دخل » الشاعر أو طبقته ليحدد طبيعة رؤيته ، يمكن لهذا الناقد أن يدرس بعض المعتقدات الشائعة التى آمن بها الشاعر ، ثم يحاول بعد ذلك أن يحدد هذه المعتقدات ويقيمها ، بهذه الطريقة قد يمكننا أن ندرس الدور الفعال الذى تلعبه الافكار فى تطور التاريخ ، كما أننا سنتمكن من الانتقال من علم الاقتصاد الى علم الجمال دون أى تعسف ، بل قد يمكننا الاجابة عن السؤال الذى لم يجب عليه كثير من النقاد الماركسيين : لماذا لا يكون كل بورجوازى هو بول فاليرى ، رغم أن بول فاليرى كان بورجوازيا صغيرا ؟ ٠

وقد حاولت فى هذا المقال أن ادرس فكرة العودة الى الطبيعة ، وهى فى رأيى « معتقد بورجوازى شائع » ،محاولا ايضاح علاقته الوثيقة باقتصاديات المجتمع الرأسمالى ٠

فى الطبيعة والتاريخ

اذا ما نظرنا لاى كائن غير بشرى من زاويتنا البشرية ، فاننا نكتشف أنه ليس لديه أية معرفة (على الاقل حسبفهمنا الانسانى للكلمة)، وفى هذا المضمار يقول أحد أساتذة علم الانثروبولوجيا (الاستاذ تشابلد فى كتابه **المجتمع والمعرفة**) « ان الحيوانالرخوىيغلق محارته كلما انقطعت عنه كمية الضوء التى تصل « عصبه البصرى » عادة ، وهذا ما يسميه علماء النفس «الفعل المنعكس»، انالاستجابةالمنعكسة عن العامل المنبه هى جزء من البناء العضوىلهذا المخلوق ، ان الانفعال فىهذه الحالة مسألة داخلية متوارثة بيولوجيا تماما مثل الدورة الدموية » ٠

ومما لا شك فيه أن بعض الفئران تتعلم القيام ببعض الحيل مثل أن تصل الى قطعة جبن موضوعة داخل متاهة ، الا أنه من الثابت أن هذه الفيران « المتعلمة » نسبيا لا تورث معرفتها الى نسلها ، وقد حاول أحد العلماء أن يربى أجيالا كاملة من الفيرانالمدربة ، الا أن تجاربه فشلت فى أن تظهر أى تحسن ملحوظ فى مهارات آخر جيل ٠

واذا كان هناك ثمة سمة مشتركة بين الحيوان الرخوى الذى يغلق محارته والفيران المدربة ، فلا شك أنها الثبات نتيجة فشلها فى التعلم وتوريث أو تطوير المعرفة ، فالحيوان الرخوى يتصرف حسب نموذج سلوكى محدد بيولوجيا ويتكرر عبر آلاف السنين ، ولا يتغير حسب سنن التطور التاريخية ، فاستجابته فى المرة الاولى للعامل المنبه تماثل استجابته لهذا العامل فى أية مرة أخرى ، والفيران، رغم أن بعضها تحت ظروف معملية معينة قد يغير من سلوكها،٠ الا أنها كنوع حيوانى تبقى ثابتة السلوك والمعرفة ٠ لذا ففى امكان ذكر وأنثى من الفيران أن ينجبا بمفردهما أجيالا كاملة من الفيران ، كما أنه لا يوجد أى تغير يذكر بين فيران الماضى والحاضر ، أو بين فأر وآخر (وحتى لو تغير سلوك هذه الحيوانات ، فانه تغير يتم على فترات زمنية متناهية فى الطول ، لا يمكن للعقل البشرى استيعابها ، ولذا لا يمكن استخدام اصطلاح« تاريخ» لوصفها ، كما أنه تغير يتم فى النوع ككل ، ونتيجة لتغير التركيب العضوى) ٠

نظرا لهذا الثبات والتحدد ، **لا تحتاج الفيران الى مجتمع** ، فانه بعد أن يرث الفار ذيله ومعدته يمكنه أن يحيا حياة كاملة مثله مثل بقية الفيران ، ولنفس السبب **لا تحتاج الفيران الى قوانين أو تقاليد أخلاقية** فالطبيعة هي التي تنظم حياتها الخارجية مثل تنظيمها لحياتها الداخلية (الجهاز الهضمي ، الجهاز العصبي ٠٠ الخ) ٠ كلما على الفأر هو أن يتصرف حسب غريزته أو حسب طبيعته (ان شئت) ، واذا كانت للحيوانات حياة لها شكل اجتماعي (مثل النحل أو النمل) فمثل هذه الاشكال الاجتماعية لا يرجع الى أية معرفة أو وعي ، بل هي أشكال تمتد جذورها في الطبيعة ذاتها ، تماما مثل السلوك البيولوجي للحيوان الرخوي ٠

ونظرا لان الحيوانات تعيش في الطبيعة خارج أي مجتمع فانها تتمتع بما يشبه **الحرية المطلقة** الا أنها لنفس السبب **منعدمة الحرية** لاعتمادها المطلق على الطبيعة ، والطبيعة – كما نعرف – نواميسها ثابتة ، وتتحرك في دورات لا تتبدل ولا تتغير ٠

ومما لا مراء فيه أن الانسان لا يزال يعتمد على الطبيعة لبقائه ومعاشه ، وأنه لا يزال يحتفظ بكثير من سماته *الطبيعية* مثل رغبته *الجنسية* ، وغريزة القتال ، الا أنه على الرغم من ذلك يمكنه أن يجرد من الطبيعة أشكالا وآلات يمكنه عن طريقها التحكم في الطبيعة ذاتها فالانسان كائن طبيعي ، الا أنه أيضا كائن أجتماعي ، « غير طبيعي » له تاريخ صنعه هو بنفسه ٠

وقد تمكن الانسان من الاستقلال عن الطبيعة لانه تمكن لا من الحفاظ على ما وصل له من معرفة فحسب بل تمكن أيضا من **تطوير هذه المعرفة** وتوريثها لنسله ، وكلما تراكمت هذه المعرفة ، زاد استقلال الانسان عن الطبيعة ، وبالتالي زاد تطوره وتنوعه وتعقده ، وعملية تراكم الخبرات الانسانية هذه تداصطلحنا على تسميتها بالتاريخ، فالتاريخ هو محصلة تجارب الانسان الاجتماعية في محاولته هزيمة الطبيعة ٠

ولقد كان من الممكن على الانسان أن يطور المعرفة ويورثها (وبذا يتخلص من الثبات الذي تتسم به الكائنات الطبيعية) لانه يعيش **داخل مجتمع** ، مكنه من أن يتخطى قدراته وتجربته الفردية ، الا أن حياة الانسان داخل المجتمع رغم أنها **حررته من الطبيعة ، قد حدت من حريته** الفردية ، لانه عليه أن يلتزم بالقيم والقوانين الاجتماعية (لان حياته لا تنظمها قوانين الطبيعة الازلية) ٠

اذا كانت الحيوانات ثابتة؛فالانسان متطور ، واذا كانت الحيوانات غير اجتماعية ، فالانسان كائن اجتماعي ٠

واذا كانت الحيوانات حرة حرية مطلقة ، مستعبدة استعبادا مطلقا ، فالانسان قد حقق قسطا من الاستقلال عن الطبيعة ، وفقد جزءا من حريته ، *في الطبيعة يوجد ثبات واستقطاب* ، وداخل التاريخ يوجد صراع وتمازج هذا التمييز بين الكائنات الطبيعية والكائن الوحيد الاجتماعي صاحب التاريخ ، سيساعدنا في محاولتنا فهم حقيقة الرؤية البورجوازية للواقع ٠

الرؤية البورجوازية للواقع

لاحظ أحد مؤرخي انجلترا في القرن الثامن عشر أن معظم الناس كانت ترهقهم الرغبة في أن يحصلوا على شيء مقابل لا شيء ، هذه الرغبة ولا شك تمتد جذورها الى رؤية الرأسمالية لنفسها ، فالاقطاعي يرى بنفسه الفلاح يضع البذور في الحقل ، ويعرق حتى تنمو الثمرة ، ولذا فهو يعرف تمام المعرفة ان العمل الانساني لزم لخلق القيمة والربح ، أما تجربة الرأسمالي اليومية فتعلمه عكس ذلك ، فهو يرى بعينيه أن ربحه يأتي من السوق من الصفقات الرابحة،وأن أسعاره تعتمد على قوانين العرض والطلب ، وفي هذا الاطار العام قديلعب العمل الانساني دورا ما ،ولكنه ولا شك – حسب رؤية الرأسمالي – دور محدود بالمقارنة بدور السوق مثلا ، السوق هذا الكائن الخرافي الذي له كيان مستقل عن ارادة الانسان ووعيه ، اذ أن له قوانينه الميكانيكية « العلمية » التي لا تتغير ٠

في هذا الاطار لا يصبح الهدف من العمل الانساني هو الانتاج لاشباع رغبات الانسان ، وانما هو سد حاجات السوق ، وداخل السوق نفسه تأخذ العلاقات طابعا غير انساني ، اذ أنه لا توجد علاقات بين الانسان واخيه الانسان ، بل هي – كما قال كارل ماركس « علاقات مادية بين الاشخاص (يتبادلون فيها السلع نظير النقود) ، وعلاقات اجتماعية بين الاشياء » ٠

في عالم الاشياء هذا ، يفقد الانسان ارادته وحريته ، ويصبح مجرد شيء بين الاشياء العديدة التي توجد في السوق (**هذه الحتمية هي السمة** الاولى للرؤية البورجوازية للواقع) ٠

في عالم تسوده الاشياء **تختفي كثير من القيم**، فاذا كان العرض والطلب **هو القانون السائد** ، فليس للانسان كبير حاجة لمقاييس اخلاقية أخرى يحكم بها على نفسه أو على افعاله ، اذ أن القيمة المعنوية **الوحيدة التي تسود هي الانتاج ومزيد من**

الانتاج بغض النظر عن الهدف أو الغاية الاجتماعية، قال ماركس ان الرأسمالى ان لم يتوسع يمت ، وهذا ما قصده اندرو كارنيجى المليونير الامريكى حينما أعلن أنه فشل تماما فى محاولته التوقف عن الانتاج والتوسع لانه اكتشف انه اذا ما توقف سبقه الاخرون ، وأنه اذا ما توقف عن النمو بدأ فى الانحلال .

وسيادة الاشياء فى المجتمع الرأسمالى واضحة تماما فى رؤية هذا المجتمع للانسان ، فتبعا لهذه الرؤية لا يخلق الانسان ، أو يبدع للسيطرة على الطبيعة ، انما هو يفعل ذلك لتحقيق رغبته فى زيادة ما يملك (من الاشياء) ، وعلى الانسان الراغب فى تحقيق المزيد من الارباح أن ينافس الاخرين منافسة لا هوادة فيها ، والا يعتبر منافسيه من بنى البشر (لانه لو آمن بآدميتهم ولو للحظة واحدة ، فانه سيدخل عنصر القيم الاخلاقية التى قد تقضى عليه » ، بل عليه أن يعتبرهم أشياء أو وحدات متنافسة،ان عين المنافس يجب أن تظل مركزة على هذا الكائن الخرافى : السوق ، حتى يتسنى له معرفة قوانينه والاستفادة بها لتحقيق مزيد من الارباح .

الحتمية المطلقة وفقدان الارادة الانسانية ، وعدم جدوى القيم التى خلقها الانسان هى بعض صفات الرؤية البورجوازية للانسان ، ولكن الغريب فى الامر ان الجانب الاخر من هذه الرؤية يناقض الجانب الاول تمام التناقض ، فالفرد المسير فاقد الارادة ، هو فى الوقت ذاته حر تمام الحرية ، بل ان العالم الموضوعى لا وجود له خارج ذات هذا الفرد ، فى عالم الاشياء الحتمى نجد ان ذات الرأسمالى لا تحدها حدود أو قيود ، فمثلا اذا ما سألنا : كيف يجمع الرأسمالى ثروته ؟..نجدان الاجابة متناهية فى البساطة : مصدر ثروة الرأسمالى ليس عمل العمال بل هو عقله الخلاق ، اذ أن الرأسمالى وحده هو الذى يستثمر أمواله ويراقب تطورات السوق ، ويقرر ما ينتج وما لا ينتج ، ونفس الشىء ينطبق على المستهلك ، فالافتراض الرأسمالى أنه هو الاخر عنده مطلق الحرية فى شراء ما يريد وما لا يريد، بل والعامل نفسه عنده الحرية نفسها فى أن يبيع عمله فى السوق والا يبيعه (هذا بغض النظر عن انه يبيع عمله بأبخس الاسعار وأنه قد يتضور جوعا اذالم يفعل) .

ولكن سواء كان الانسان مسيرا أم مخيرا ، فانه حسب الرؤية البورجوازية لا يدخل فى أية علاقة اجتماعية مع اخوانه من بنى البشر ، فعملية الانتاج كما يتصورها الرأسمالى ليست عملية جماعية ،بل انها عملية فردية يقوم هو بتنظيمها، وكل ما يفعله العمال هوانهم يبيعون عملا يشتريه هو بحر ماله ، فالعلاقة بينه وبين العمال ليست مباشرة ، بل تتم من خلال شىء مجرد هو النقود ، كذلك علاقته بالمستهلكين تتسم بنفس التجرد واللا انسانية ، فهو كما قلنا من قبل ، لا ينتج ليشبع رغباتهم الانسانية والاجتماعية ، بل ليحقق أرباحا عن طريقهم ، كما أن المستهلك لا يتعامل الا مع أشياء ، (البضائع والنقود) .

عالم الاشياء عالم ثابت غير متطور ، وسمة الثبات هذه سمة أساسية فى الرؤية البورجوازية للواقع ، فحركة المجتمع الرأسمالى كما يتصورها الرأسمالى حركة دائرية ، ثابتة تتكرر برتابة مدهشة حسب قوانين ثابتة لا تتغير (أو هى على الاكثر حركة حلزونية ينتج عنها نوع من التقدم للامام دون أى تحول راديكالى) ، والرأسمالى نفسه خاضع لهذه الحركة الدائرية ، لا ينعتق منها ـ فهو يستثمر أمواله ليربح مزيدا من الاموال ، فنقطة البدء تماثل نقطة النهاية التى بدورها تماثل نقطة البدء الجديدة ، وهكذا يبدأ الرأسمالى فى عالم الاشياء وينتهى بمزيد من الاشياء وليس بمزيد من الوعى .

هذه السمات الاساسية للرؤية البورجوازية (معاداة المجتمع ، والحرية المطلقة ، والحتمية المطلقة ، والثبات) تنعكس على كثير من الافكار البورجوازية ، ولعل تصور جون لوك ، الفيلسوف المادى البريطانى ، للعقل (وهو تصور يعد الاساس الفلسفى للفكر الليبرالى البورجوازى كله) مثل واضح على استقطاعات الرؤية البورجوازية ، فالعقل ـ حسب تصوره ـ صفحة بيضاء ، خالية من أية معلومات مسبقة أو مفاهيم متوارثة ، وهذا التصور بلا شك يمنح الانسان حرية مطلقة ، ويحرر عقله من العادات والتقاليد المتوارثة ، ولكن حينما يبدأ لوك فى تعريف الطريقة التى يحصل بها هذا العقل على المعرفة نجده يتصور ان العقل يسجل المعلومات تسجيلا آليا ليس فيه كبير اختيار أو ابداع .

(نفس الاستقطاب يوجد فى كتابات روسو وهيوم وداروين ، كما أنه يوجد ، وبشكل جاد ، فى علم الاقتصاد السياسى البورجوازى ، الذى يؤمن بالتنافس الحر الا أنه حتمى الى أقصى درجة) .

الفكر البورجوازى وفكرة العودة الى الطبيعة

الانسان داخل التاريخ يبنى وعيه ويحول المادة والطبيعة الى صورته اى يستأنسها وهو بفعله هذا

يحرر نفسه من قوانين الطبيعة الثابتة المفروضة عليه ، ويخضع لقوانين المجتمع التى هى من صنعه ، اى انه يهرب من استقطابات الطبيعة التى فيها حرية وضرورة مطلقتان ، ليدخل فى ديالكتيك التاريخ الذى فيه حرية وضرورة نسبيتان .

ولكننا لو راجعنا التصور البورجوازى لرايناه يتسم بالاستقطاب ، فالانسان حر عبقرى متفرد ، لا تحده حدود اجتماعية ، ولا قوانين أخلاقية ، ولكنه فى الوقت ذاته عبد مسير خاضع لقوانين السوق الثابتة منصهرة ذاته فى حركة المجتمع الرتيبة الدائرية ، كما أن الانسان حسب هذه الرؤية تسيطر عليه الاشياء والاسعار والبضائع .

الا أن نفس هذه الصفات هى صفات الكائنات غير الاجتماعية التى ليس لها تاريخ ، والتى وصفناها فى الجزء الثانى من هذا المقال .

ولعل هذا التماثل بين الرؤية البورجوازية للواقع وحالة الفطرة الاولى أو حالة الطبيعة ، هو الذى يفسر شيوع فكرة العودة الى الطبيعة فى الحضارة البورجوازية ، فرغم أن هذه الحضارة هى حضارة الصناعة والطرق والكبارى ، بل وهى الحضارة التى لوثت الجو والانهار والبحار فى الولايات المتحدة ، الا انها رغم ذلك تؤكد فى ادبها وحضارتها عامة فكرة العودة للطبيعة والانسان الطبيعى .

فابتداء من الطبيعيين — الفيزيرقراط — (وهم جماعة من المفكرين الاقتصاديين الفرنسيين الذين كتبوا معظم أعمالهم فى القرن الثامن عشر) نجد أنهم يؤمنون — فان المجتمع يحكمه «قانون طبيعى» يسير المجتمع ويتحكم فيه وأن الطبيعة هى المصدر الحقيقى لكل ثروة . كما أن آدم سميث ، فيلسوف الليبرالية الاقتصادية ، يؤمن بأن ثمة يدا خفية تسير المجتمع ، بحيث أنه لو ترك كل شىء وشأنه ، تماما كما هو الحال فى الطبيعة ، فانه لن يكون فى الامكان أبدع مما سيكون . أما فى الفلسفة فقد جعل روسو من الطبيعة مقياسا له يميز به بين الخير والشر ، فكل ماهو طبيعى فهو خير ، وكل ما هو غير ذلك فهو شر مستطير ، فى مقابل الطبيعة الخيرة ، يضع روسو حضارة الانسان وكل ما بنته يد البشرية ، ونفس الاتجاه تتميز به كتابات الفيلسوف الاديب الامريكى أمرسون وخاصة فى كتابه الشهير الطبيعة ، حيث يلقى الفيلسوف البورجوازى بنفسه فى أحضان الطبيعة حتى ينسى نفسه ويفقد وعيه وذاته .

والادب الرومانتيكى ، وهو أدب النهضة أو الثورة البورجوازية ، على عكس كل الاداب التى سبقته ، ملىء بالإشارات للاشجار والطيور والانسان الذى يعيش على الفطرة ، وسواء كنا نتحدث عن أشعار شللى أو وتيمان أو فكتور هيجو أو عن نقد كوليردج أو هازليت فان فكرة العودة للطبيعة هى الفكرة السائدة .

أما بالنسبة للحضارة اليومية ، فهى تمجد أبطالا وشخصيات ليس لهم كبير علاقة بعالم الانسان ، فطرزان مثلا يعيش فى الغابة ، والكاوبوى (راعى البقر) يعيش هو الاخر فى المراعى ، واذا نظرنا الى ابطال هذه الحضارة الجدد ، مثل البلاى بوى (الوجه المسرف) والباتمان (الرجل الخفاش) فاننا نكتشف أنه رغم أن الاول يلبس أفخر الثياب ويشرب أفخر أنواع الويسكى ، ورغم أن الثانى يستخدم سيارة صاروخية والعقل الالكترونى ، فانهما فى واقع الامر لا يختلفان كثيرا عن طرازان والكاوبوى ، اذ أنهما مثل هاتين الشخصيتين الاخيرتين غير خاضعين للقوانين الانسانية أو لاية حدود ، كما أنهما لا يدخلان فى أية علاقة اجتماعية مع أى انسان ، فالتركيب العام لهذه الشخصيات متماثل رغم اختلاف المظهر .

ان فكرة الانسان الطبيعى والعودة الى الطبيعة مبنية على نقض بل ومعاداة للتاريخ ، ولعل هذا يفسر قصور الرؤية فى فلسفة التاريخ البورجوازية ، فكثير من مؤرخى هذه الحضارة يتصورون أن التاريخ « يعيد نفسه » وأنه « لا جديد تحت الشمس » ، اذ أن التاريخ تبع تصورهم ان هو الا حلقات متكررة ، وأن كل حضارة دورة مستقلة تولد تماما مثل الطفل الرضيع وتنمو وتترعرع حتى تصيبها الشيخوخة ، [والتشبيه هنا بين التاريخ والطبيعة) ، هذا بدلا من رؤية تاريخ الحضارة البشرية ككل ، وبدلا من رؤية الجهد البشرى المبذول لهزيمة الطبيعة كظاهرة جماعية متداخلة ، الى فضل هذا ، يتضح القصور فى الرؤية التاريخية فى محاولة كثير من مفكرى البورجوازية ترجمة تاريخ البشر الى تاريخ أفراد خلاقين وتاريخ عباقرة وأبطال (ولكنهم رغم حريتهم هذه عادة ما يجسدون فكرة ما ، يخدمونها دون ارادة أو وعى ، وحتى اذا وجد الوعى ، فالارادة دائما منتفية) .

قد تعبر الرؤية البورجوازية عن واقع قائم بالفعل أو عن تصور لهذا الواقع ، ولكنها فى الوقت ذاته تدرب الجماهير وتعدها لتقبل الحياة فى المجتمع الرأسمالى ، فالانسان اذا تقبل فكرة العودة الى الطبيعة ليغرق فيها ذاته ، فانه يسهل عليه أن يتقبل فكرة أن يتحكم فيه السوق أو الاسعار أو الاقتصاد أو كل هذه المجردات ، كما لو كانت لها كيان مستقل عن وجوده ، بل وتعلو على

ذاته ، تماما كما تقدمها له البورجوازية ، وهو اذا قبل حركة الطبيعةالدائرية الرتيبةالثابتة علىأنها هى الحركة المفروضة أن تكون ، فانه سيقبلكل أعاجيب النظام الرأسمالى ، ويقبل قوانين العرض والطلب كما لو كانت قوانين أبدية (أليست هذه القوانين منصنع «الطبيعة»؟) ، وتجعله يحيا حياة لا معنى لها ، ولا نشاط خلاق فيها ، ينتج مالا يستهلك ، ويستهلك ما لا يريد ، كما أن فكرة الطبيعة والانسان الطبيعى تجعل من السهل على المواطن العادى أن يتقبل لا أخلاقية هذا النظام ، وبشاعة استغلاله ، لانالانسانالطبيعى — تماما مثل الرأسمالى — ، ولان الطبيعة — تماما مثل الرأسمالية غير خاضعتين للمقاييس الاخـــلاقية والاجتماعية .

هذا الانسان الرأسمالى « الطبيعى » سـماه ماركس «الانسان الاقتصادى» وهو انسانيعانى من جميع اسـتقطابات الطبيعـة والمجتمـع البورجوازى ، اذ أنه يخضع خضوعا تاما لبيئته، رغم عدم التزامه الاخلاقى تجاهها ، فى مقابل هذا الانسان ، آمن ماركس ، مثـل كل دعاة الانسانية ، بالانسان العاقـل الذى يمكنه أن يتخطى البيئة ، هذا الانسان رغم أن جذوره فى الطبيعة الا أنه يحاول جاهدا تقليمها وهزيمتها ، الانسان حسب هذه الرؤية ليس مخلوقا طبيعيا فحسب ، بلهوايضا مخلوق مركبيتميز بوعيه التاريخى الذى يحرره ويجعله مركز الـكون ، ولكنه فى الوقت ذاته يلزمه بتقبـل حـــدوده الانسانية كعضو فى جماعة .

والخلاف بين أبعاد الانسان الاقتصادى وأبعاد الانسان العاقل تتضح فى الاختلاف بين تصور البورجـوازيين ، وتصـــور الاشتراكيين لدورة المجتمع ، فبينما يقارن علماء الاقتصاد السياسى البورجوازيون دورة المجتمع بدورة الطبيعة ، وهى دورة — كما بينا من قبل — لا دخل للعقل البشرى فيها ، يؤكد الاقتصاديون الاشتراكيون أن دورة المجتمع قد تكون معتمدة الى حد ما على الطبيعة ، الا انها أساسا شىء صناعى ، تماما كالفن ، من خلق الانسان ومن تخطيطه .

ان أسطورة العودة للطبيعة فكرة فيها امكانيات ثورية دون شك ، وقد استخدمتها البورجوازية لتغيير خيال وعواطف الجماهير (انلم يكنفكرها أيضا) لتساعدها على التمرد على النظـام الاقطاعى وعلى تقبل المجتمع البورجوازى ، بل ان الماركسيين فى بعض كتاباتهم يستخدمون هذه الاساطير ، فالحديث عن المجتمعات الشيـوعية البدائية،رغم أنه لايتسم بالتأليه والرومانسيةفى كثير من هذه الكتابات ، الا أنه يستخدم كمثال على أنه فى مقدور الانسان أن يعيش فى سلام ووئام ودون تنافس مع أخيه الانسان ، وهذا لا بأس به بتاتا ، ولكن ينبغى على الاشتراكى الانسانى أن يحذر من الجوانب الطبيعية المعادية للانســـان والمجتمع فى أسطورة العودة للطبيعة ، وان يكون مثل العالم السوفيتى الذى يعمل فى أبحاث تحديد النسل والذى لخص فلسفته فى أنه « يعمل مع الطبيعة » لتنظيمها والانتصار عليها .

الاستعارة العضوية

والاستعارة الجدلية

الاستعارة العضوية لوصف الواقع (بمعنى أن توصف علاقة الانسان بالطبيعة على انها علاقة عضوية ، وأن يوصف تطور الحضارة بأنه تطور عضوى ، وأن يوصف العمل الفنى بأنه يتمتع بوحدة عضوية) هى استعارة الرؤية الطبيعية ، بينما نعتقد أن الاستعارة الجدلية (بمعنى أن توصف علاقة الانسان بالطبيعة على أنها علاقة جدلية ، وانيوصف تطورالحضارة علىأنه تطور جدلى ، وأن يوصف العمل الفنى بأنه عمل مركب وبالكتيكى) هى استعارة الرؤيـــة الثـورية التاريخية ، فالاستعارة العضوية تفتـرض أن الانسان جزء من الطبيعة يشاكلها فى كثير من النواحى،وأنه لايزال خاضعا لنواميسها ، فنحن حينما نتحدث عن « النمو العضوى » لانسان ما، نعقد مقارنة، عن وعى أو دون وعى ، بين الطبيعى والانسانى ، بل ونساوى بينهما ، وتماما كما هو الحال فى الطبيعة خارج التاريخ ، ثمة حتمية شديدة تتميزبها الاستعارة العضوية ، فاننا حينما نقول ان التاريخ أو الحضارة يتطوران بشكل عضوى ، فاننا نعنى انهما مثل النبات ، وبالتالى فان النهاية (الثمرة) كان من الممكن التنبؤ بها منذ البداية (البذرة) ، وعلاوة على ذلك ، فالاستعارة العضوية تتضمن اختفاء عنصر الارادةالانسانية، فنحن حينما نقول أن هتلر أو حرب فيتنام هما نتيجة عضوية للتطـور (العضوى الحتمـى) للحضارة البورجوازية فى الغرب ، فاننا ، فى الواقع ، نقول ان هاتين الظاهرتين كان لابد وأن يحدثا ، وان الانسان لا يملك بتاتا أن يوقفهما بأى شكل كان ، ان حتمية ولا أخلاقية الاسـتعارة العضوية ينبعان من الافتراض الاساسى بـأن الانسان (خيرا كان أم شريرا ، ثوريا كان أم بورجوازيا ، لا يملك أى وعى تاريخى يميزه عن الكائنات الطبيعية ، فانه بالتالى غير قادر على تشكيل واقعة أو على ما يتحكم فيه من ظواهر ، تارخية كانت أم طبيعية .

في حقل الفن ، تفترض الاستعارة العضوية أن الشكل (الجمالي) للعمل جزء عضوي لا يفترق عن المحتوى الاخلاقي والتاريخي، وحيث ان الشكل هو الشيء الواضح أمامنا ، فانه بذلك يزداد في الاهمية ، حتى يصبح هو مركز اهتمام الفنان والناقد (لان الماء الذي يسقي الزهرة والتربة التي تنبت فيها يتواريان عن الانظار حينما تنمو الزهرة ذاتها) .

هذا اذا ركز الناقد على الثمرة ، ولكنه في كثير من الاحيان يضطر الى التركيز على عملية النمو نفسها ، لكي يتحاشى انغلاق وضيق الاستعارة العضوية ، في هذه الحالة ينصح الناقد الفنان الا يكمل عمله الفني ، بل وعليه أن يطلق لخياله العنان ، والا يحدد أية صور أو مفاهيم في عمله حتى يحاكي عملية النمو المستمر في الطبيعة .

وكما وجدنا استقطابا في الطبيعة ، واستقطابا في الرؤية البورجوازية ، يوجد استقطاب في الاستعارة العضوية : استقطاب بين الشكل الجامد النهائي ، والنمو المستمر ، بين التركيز على الشكل الموضوعي البارد ، وعلى الخيال الذاتي اللامحدود ، بين الانغلاق المطلق والانفتاح المطلق .

تحاول الاستعارة الجدلية أن تتخطى حتمية واستقطاب الاستعارة العضوية، فهي تفترض أن العقل جزء من الطبيعة الا انه منفصل عنها ومتفوق عليها ، ولذا فهي تعترف بتناقض أساسي بين الانسان والاشياء (والطبيعة) بين الذات والموضوع ، بين الشاهد والمرئي ، ولان الاستعارة الديالكتيكية تفترض انفصال الانسان ووعيه عن الطبيعة ، فهي تفترض ان في مقدوره أن يعيد صياغة الواقع (رغم أن الواقع هو مصدر رؤيته) ولذا فهي في صميمها استعارة ثورية ، والاقتصاد الرأسمالي اقتصاد عضوي لانه يصل الى مايشبه الاتزان لا عن طريق تدخل العقل الانساني (والذات الواعية) ، بل عن طريق الحركة الاتوماتيكية للاشياء [الموضوع غير العاقل) مثل السلع والنقود والعمال والالات والرأسماليين .. الخ ، وبغض النظر عن مقدار التضحية الانسانية المرتفعة (حروب وبطالة) ، والاقتصاد الاشتراكي ، على العكس من ذلك ـ اقتصاد ديالكتيكي وانساني ، لان عقل الانسان (العاقل) يراقب حركة المجتمع ويحاول ـ بقدر الامكان ـ التقليل من التضحية التي لا مبرر لها في الاقتصاد الرأسمالي يتحد الذات والموضوع (الانسان والاشياء) لتساويهما اما في الاقتصاد الاشتراكي فتدخل الذات في صراع جدلي مع الموضوع ، تبدله ويبدلها ، تغير منه ويغيرها ، الا أن الذات الواعية تعلو دائما على الشيء لان هذا وحده هو الذي يضمن استمرار الصراع .

واذا كانت الاستعارة الجدلية تتخطى حتمية الاستعارة العضوية ، فهي أيضا تحاول تخطي استقطابها ، فالتركيز على شكل المطلق الجامد غير ممكن لان المحتوى (التاريخي والنفسي) متغير دائما ، وهو في تغيره يغير الشكل ، والتركيز على المحتوى وحده لا يكفي أيضا ، لان المحتوى لابد وأن يأخذ شكلا محددا يسمح للمحتوى بالوجود : مثل علاقة الذات بالموضوع ، كذا علاقة الشكل بالمحتوى ـ منفصلان لكنهما لا يمكن للواحد أن يوجد بدون الاخر .

واذا أردنا أن نختتم مقالنا ، فانه يمكن أن يقترح المرء أن خير علاقة مع الواقع هي أن يحمل الانسان عبء وعيه التاريخي دون أن ينسى جذوره في الطبيعة ، وأن يعيش في المدينة دون أن ينسى الاشجار والتلال ، أن يهرب من ضيق الطبيعة الى رحابة التاريخ على أن يعود للطبيعة من آونة لاخرى ، وهو بهذا يمكنه أن يحمل لواء الثورة والحرية والوعي دون أن يتحول الى بيروقراطي ارهابي يعبد رؤيته الذاتية ووعيه الزائف ، غير قادر على ملاحظة الاشياء والتفاصيل الدقيقة ، أو على ممارسة الاحاسيس المباشرة ، أو على الرؤية الانسانية البسيطة .



حوار حول علم الاجتماع

تلقت ((الطليعة)) اكثر من مقال يشارك فى الحوار الذى بدأته منذ شهرين حول :

« الأيديولوجية والعلوم الانسانية »

ولما كان الموضوع يحظى باهتمام اقسام واسعة من جانب علماء الاجتماع والمهتمين بالدراسات الانسانية ، فان ((الطليعة)) يسرها أن تقدم هذين المقالين مساهمة فى الحوار الدائر •

①

علم الاجتماع بين الاشتراكية والرأسمالية

د. سمير نعيم أحمد

كثيرا ما يضطر المرء قبل البدء فى حديثه عن موضوع ما الى التذكير ببعض الحقائق الاساسية حتى ولو كانت معروفة للجميع وخاصة حين تكون هذه الحقائق هى الركيزة التى تستند عليها القضايا التى سيثيرهافىموضوعه من جهة ، وحين تكون عرضة للاغفال او التناسى من جهة اخرى ، وسوف نبدأ هذا المقال بالتذكير بثلاث حقائق أساسية من حقائق القرن العشرين ترتكز عليها مناقشتنا لموضوع « علم الاجتماع بين الرأسمالية والاشتراكية »

● من الحقائق الاولية التى يعرفها كل مثقف عادى ، أن العالم ينقسم اليوم الى معسكرين او كتلتين كبيرتين ، هما الكتلة الغربية (الرأسمالية) والكتلة الشرقية (الاشتراكية) وتضم الاولى بصفة أساسية دول غرب أوربا والدول الواقعة غرب القارة الاوروبية عبر المحيط ، واهمها الولايات المتحدة الامريكية ، بينما تضم الثانية دول شرق أوربا والدول الواقعة فى القارة الاسيوية شرقى أوربا ، وأهمها الاتحاد السوفيتى والصين ، ومنذ عشرات السنين بات مألوفا الاشارة الى كل مجموعة من هذه الدول باسم « الكتلة الغربية » و « الكتلة الشرقية » . ومن المعروف ان هذين التعبيرين يشيران الى نظامين اجتماعيين مختلفين ، هما النظام الرأسمالى والنظام الاشتراكى ، وأنهما ليسا مجرد تقسيم جغرافى لدول العالم ، وهكذا يصبح اقتراح تقسيم العالم الى كتلة شمالية وجنوبية أو حسب الجهات الاصلية كما اقترح الدكتور محمود عودة فى مقاله فى العدد السابق من باب الدعاية التى ليس لها مجال فى المناقشات العلمية الجادة ، تماما مثل اقتراح اضافة « الامام والخلف » حين يتحدث احدهم عن اليمين واليسار •

● ومن هذه الحقائق أيضا أن هناك صراعا مريرا بين المعسكرين الكبيرين ، او النظامين الاجتماعيين ـ الاقتصاديين فى العالم ، وهذا الصراع يشمل كل المجالات .. الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعسكرية والايديولوجية ، وكلما زاد ادراك الاثار الرهيبة المدمرة للصراع العسكرى الشامل ، فان الصراع يتجه اكثر فاكثر للمجالات الاخرى وخاصة الايديولوجية منها ، حيث يحاول كل نظام أن ينشر ايديولوجيته على اوسع نطاق ، لا من اجل اكتساب

مزيد من الدول فى صفه فحسب ، ولكن من اجل الحفاظ على كيانه وتدعيمه ، وتعكس كل ايديولوجية الاساس الاقتصادى ـ الاجتماعى لكل من التكوينين المتباينين ، وتمجد الايديولوجة الغربية الرأسمالية بالطبع النظام الرأسمالى القائم على الملكية الخاصة الاحتكارية لوسائل الانتاج ، وتدافع عن مصالح الراسمالية والامبريالية ، بينما تدافع الايديولوجية الاشتراكية عن الملكية الجماعية العامة لوسائل الانتاج ، وعن عدالةتوزيع الثروة الاجتماعية على أساس من التكافؤ .

● وثالثة هذه الحقائق أن العلم والتكنولوجيا يستخدمان فى هذا الصراع الدائر بين المعسكرين وفى كافة جوانبه ، فبينما يسخر المعسكر الرأسمالى الغربى جهود علمائه الفيزيقيين والبيولوجيين لانتاج وتطوير اسلحة الدمار الذرية والالكترونية والبيولوجية من أجل الهجوم على المعسكر الاشتراكى ومن أجل اخضاع الشعوب ونهب ثرواتها،كما تفعل الولايات المتحدة الامريكية فى فيتنام وفى المنطقة العربية مستعينة باسرائيل)، نجد أن المعسكر الشرقى الاشتراكى يبذل هو الاخر جهده لتطوير وسائل الدفاع عن جماهيره والحفاظ على مكاسبها وحماية نفسه من محاولات تدمير كيانه او اعاقة تطور شعوبه ، ومن اجل مساندة الشعوب المناضلة فى سبيل حريتها واستقلالها وحماية ثرواتها وجماهيرها من الاستغلال (مثلما يساندنا الاتحاد السوفيتى فى صراعنا ضد الامبريالية الامريكية والاستعمار الصهيونى] ؟ وبينما يستخدم المعسكر الغربى الرأسمالى وعلى رأسه الولايات المتحدة الامريكية العلم الفيزيقى وتطبيقاته التكنولوجية من أجل تحقيق المزيدمن الثراء والنفوذ للرأسمالية ، مما يترتب عليه بالضرورة مزيد من البؤس والشقاء للطبقة العاملة (انتشار البطالة وازديادها وارتفاع الاسعار) يستخدم المعسكر الاشتراكى العلم الفيزيقى لتحقيق مزيد من الرفاهية والاشباع المادى والثقافى لجماهيره العريضة بناء على خطة اجتماعية اقتصادية وعلمية تضع الانسان ورفاهيته فى بؤرة اهتمامها (بدلا من المال وتكديسه لدى القلة الحاكمة)

قضايا أساسية

هذه حقائق بسيطة اظننا نعرفهاجميعا ويجب ان تثير فى أذهاننا عدة أسئلة تتعلق بعلم الاجتماع مثل : هل يمكن ان يشذ علم الاجتماع عن غيره من العلوم فلا يستخدم بطريقة أو بأخرى فى الصراع الايديولوجى الدائر بين المعسكريين بوجه عام ، وبين الرأسمالية والطبقات العاملة الكادحة المستغلة فى المجتمع الرأسمالى بوجه خاص ؟ واذا كان هذا العلم يستخدم فى هذا الصراع الايديولوجى (الذى يعكس الصراع الاقتصادى الاجتماعى) فكيف يكون استخدامه ؟هل تستخدم النظريات ومناهج البحث والمفهومات ، بل وحتى الحقائق (أى العلم ذاته) أم أن تطبيقاته هى التى تستخدم فقط؟ وهل يمكن حقا الفصل بين النظريات والتطبيق ، ام ان النظريات تشير دائما الى كيفية الاجراءات التى تتبع حيال ظاهرة ما ، بل أحيانا ما تنشأ أصلا من أجل ذلك ؟ واذا اتضح لنا أن النظريات الاجتماعية وثيقة الصلة بالايديولوجية،بل وتعبر عنها، فما هو موقفنا من كل من الايديولوجيتين وما تعكسه من نظريات ؟وهل يجوز أن ننشر فى بلدنا النظريات الايديولوجية الاجتماعية الغربية الرأسمالية ، ونعمل على هديها [كما يفعل الان معظم المشتغلين بعلم الاجتماع فى مصر] ، أم يجب ان نحدد موقفنا منها بوضوح ؟ وهل يمكن أن يوجد علم اجتماع واحد منفصل ومستقل عن أية أيديولوجية ؟

علم الاجتماع والصراع الايديولوجي

أعتقد أنه لا يمكننا افتراض أن علم الاجتماع هو العلم الوحيد الذى لم يستخدم ولا يستخدم الان فى الصراع الايديولوجى الدائر بين الرأسمالية والطبقات الكادحة فى المجتمعات الرأسمالية ، وبين النظام الرأسمالى بعامة والنظام الاشتراكى بخاصة فقراءتنا لمعظم مراجع علم الاجتماع الغربى الرأسمالى تدلنا على الفور أن المؤلف يتبنى ابتداء الايديولوجية البورجوازية بل ويكرس كل جهده للهجوم على الايديولوجية الاشتراكية وما تعبر عنه من نظام اقتصادى اجتماعى . مهما حاول المؤلف ادعاء الحيدة والموضوعية ، ويكفى استعراض أهم كتابات مشاهير علم الاجتماع الغربى من أمثال **تالكوت بارسونز وبتيريم سوروكين وروبرت مرتون وماكيفر وبيج ويتماشيف** . فماكيفر وبيج مثلا يكرسان كل جهدهما فى كتابهما « المجتمع » لتصوير المجتمع الرأسمالى على أنه المجتمع النموذجى ، ويحاولان بشتى الطرق تبرير الاوضاع فيه ، والدفاع عنه ، ومهاجمة الملكية الجماعية لوسائل الانتاج ـ فهما يقولان :«ان الخطأ الجسيم فى الحتمية الماركسية هو افتراض أن القضاء على رأس المال الخاص ـ الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ـ سوف يقضى على استغلال الانسان للانسان ، وهذه الدعوى ليست تبسيطا مخلا للامور ولكنها ايضا خطأ جسيم » . ثم يهاجمان فى نفس الفقرة النظام الاشتراكى بقولهما : « ان لسيطرة الانسان على الانسان جذورا أعمق من المزايا الاقتصادية ، وأن هذه السيطرة تتخذ صورة الطغيان الفظيع فى الاقتصاد الاشتراكى

على الاقل مثل أى نظام آخر» (1). أليست هذه دعوى صريحة لبقاء استغلال الانسان للانسان الذى يحدث فى المجتمع الرأسمالى ؟.

ويبذل تالكوت بارسونز هو الاخر قصارى جهده فى مهاجمة النظام الاشتراكى والايديولوجية الاشتراكية وتمجيد النظام الرأسمالى والدفاع عنه، كما يتضح من مقاله عن « الطبقات الاجتماعية والصراع الطبقى فى ضوء النظرية الاجتماعية الحديثة » فيصف النظرية الماركسية باليوتوبية ، والاهم من هذا كله أنه يكشف فى أول صفحة من مقاله عن المهمة الحقيقية التى قام بها **فلفريدو باريتو واميل دوركايم وماكس فيبر** فى مؤلفاتهم الاجتماعية والذى كان هدفها الاساسى تشويه الافكار الاشتراكية وهدمها فيقول : « ان هؤلاء الكتاب الثلاثة الذين يمكن اعتبارهم أهم المؤسسين النظريين لعلم الاجتماع قد اهتموا اهتماما بالغا بالقضايا التى أثارها ماركس ، وتناول كل منهم وجهة النظر الماركسية باهتمام وجدية عظيمين ، ولكن أحدا منهم لم يصبح ماركسيا ، فقد اتجه كل منهم اتجاها آخر ، وعلى الرغم من تنوع اتجاهاتهم فانها جميعا ترتبط بخط فكرى عام مشترك وواضح » ، وينطلق تالكوت بارسونز بعد ذلك ليدافع عن النظام الرأســمالى ، ويبرر كل شروره فيقول « لان نظامنا يتيح للافراد اختيار مهنتهم ، ويعطى فرصا متكافئة ، **فلابد أن ينقسم الناس الى منتصرين وخاسرين مما يترتب عليه بعض النتائج السيكولوجية مثل الميل الى التحكم لدى المنتصرين ، والاســتياء والمــرارة لدى الخاسرين !** » ترى ألا يتحدث هذا الكلام عن نفسه ! **وفى نهاية مقاله المذكور يقرر بارسونز أن** الافكار الاشتراكية التى عبر عنها ماركس وانجلز أفكار قديمة وباليــة ، وأنها قامت بدورها فى وقتهما ، وأن النظرية الاجتماعية الحديثة (**التى** تهدم الاشتراكية وتمجد الرأسمالية) اصبحت أكثر تطورا وتقدما ، وحديث بارسونز فى هذه المقالة كلها مرسوم بعناية من أجل تحقيق هذا الهدف لدرجة أنه قد استخدم أسلوبا قد يخدع البعض فيظن أن بارسونز يمتدح الماركسية ولكنه يأخذ عليها بعض العيوب فقط (**بينما هو يقوض جوهرها** فى الحقيقة (2).

ويفعل **نيقولا يتماشيف** نفس الشىء فــى مؤلفه « نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها » فيقارن بين **أوجست كونت (العظيم)** الذى ظهر اكتشافه قبل ماركس بخمسة وعشرين عاما وبين كارل ماركس ، ومن المعروف الان جيدا للمستنيرين ممن درسوا كونت أن نظريته جاءت أساسا لتدعيم النظام الرأسمالى القائم والحفاظ عليــه ، وأن نظرية ماركس قد كشفت أساس هذا النظـام الاستغلالى ورسمتا الطريق لتغييره (3) ومع هذا فان يتماشيف يشيد بأوجست كونت ويشوه ويهدم أفكار كارل ماركس .

أليســت هذه النصــوص من مراجع فى علم الاجتماع الغربى ؟! أليس واضحا اذن أن هذا العلم رأسمالى ؟!

وعلى الرغم من أن معظم المؤلفين البورجوازيين يحاولون الفصل بين علم الاجتماع والايديولوجيا ، أو بالاصح يحاولون اخفاء هذه العلاقة وادعاء الحياد والموضوعية ، نجد أن المؤلفين الاشتراكيين فى علم الاجتماع يبرزون هذه العلاقة ويؤكدون عليها، ومن خلال ذلك يكشفون دور علم الاجتماع البورجوازى فــى خــدمة الرأســمالية ونشر أيديولوجيتها ، وفى الوقت الذى يحاول علماء الاجتمــاع البــورجوازيون نفــى التــزامهم بالايديولوجية الرأسمالية ، يؤكد علماء الاجتماع الماركسيون هذا الالتزام ويحددون موقفهم بوضوح قائلين : ان علم الاجتماع الغربى ملتزم بخــدمة مصالح الرأســمالية الاحتكارية ، بينــما علم الاجتماع الاشتراكى ملتزم بمصالح جماهير الشعب العاملة ، وقد شرح **اوســيبوف** هاتين القضيتين باسهاب فى مؤلفه « قضايا علم الاجتماع » .

علم الاجتمــاع اذن يرتبط ارتبــاطا وثيقا بالايديولوجية فى كل من الكتلتين الرئيسيتين المتصارعتين وبايديولوجية الطبقات المتصــارعة وهو يستخدم كأداة فى هذا الصراع ، وبالتالى فلابد أن يكون هناك علم اجتماع غربى أو رأسمالى أوبورجوازى، وعلم اجتماع شرقى أو اشتراكى، أو بروليتارى ، وحين نقول علم الاجتماع الغربى فاننا نعنى بالطبع أن الاتجاه الغالب عليه ، هو اتجاه الايديولوجية الرأسمالية ، الا أن هذا لا يمنع من وجود بعض الافراد القلائل من بين المشتغلين بعلم الاجتماع هناك الذين يشذون عن هذا الاتجاه العام ويتحالفون مع الطبقات الكادحة هناك ويحاولون تسخير علمهم للدفاع عنها ، ولو أنهم يتعرضون لكافة الضغوط من الرأسمالية القوية فيضطرون فى أغلب الاحوال الى التحايل فى عرض أفكارهم

---

[1] C.Paige and L.Mackeiver, Society, P.565

[2] Talcott Parsans, Social Classes and Class Cinflict in the light of Recent Socialogical Theary, in Essays in Socialogical Theory.

[3] انظر : السيد يسن — الباحث الاجتمــاعى والاختيــار الايديولوجى — الطليعة — عدد ديسمبر ١٩٧٠ — وانظر ايضا : هربرت ماركوز ، العقل والثورة، ترجمة د . فؤاد زكريا

ونظرياتهم [مثل رايت ميلز وريدببن فى الولايات المتحدة الامريكية) ٠

النظريات الاجتماعية والتطبيقات العملية

وقد يرد البعض على ذلك بأن هناك استخداما رأسماليا واستخداما اشتراكيا للعلم ، ولكن لا يمكن أن يكون هناك علم اجتماعى رأسمالى وآخر اشتراكى ، أى انهم يحاولون الفصل بين مضمون العلم وتطبيقاته، والواقع ان هذا الفصل قائم على تصور خاطىء فى أساسه، فالتاريخ يبين لنا (٤) أن الحاجات العمليـــة للناس عموما ، أو للذين يسيطرون على المؤسسات العلمية هى التى تحدد نوع المشكلات التى يبحثها العلماء ، وبالتالى تحدد الحقائق التى يجمعونها ثم النظريات التى تبنى على هذه الحقائق ، أى هى التى تحدد مضمون العلم واتجاهه فى النهاية ، كما أن ما يتوصل اليه العلم يجـد تطبيقا فى الحيـــاة العملية للمجتمع ان آجلا أو عاجلا ، واذا كان ذلك يصـــدق على العلوم جميعا فانه اكثر صدقا بالنســـبة لعـــلم الاجتماع بوجه خاص ، ونحن نعلم الآن أن عـــلم الاجتماع الوضعى الذى أسسه أوجست كونت كان استجابة مباشرة للحاجة الى دعم المجتمع البورجوازى ومهاجمة الافكار الاشتراكية التى تهدده وتدعو الى تغييره (انظر كتاب العقـل والثورة تأليف **هربرت ماركيوز** لمعرفة تأثير ذلك على النظرية ومناهج البحث والمفهومات التـــى قدمها كونت] ، وسوف نبين هنا بأمثلة عملية ان نفس هذه الحاجة هى التى توجه غالبية علماء الاجتماع الغربيين المعاصرين فى دراستهم لمختلف ظاهرات المجتمع ونوع الحقائق التى يجمعونها ، ظاهرات المجتمع ونوع الحقائق التى يجمعونها وأسلوب جمع هذه الحقائق والمفهومات التـــى يستخدمونها ، والنظريات التى يفسرون بها هذه الظاهرات ٠

لنأخذ ظاهرة يدرسها كافة علماء الاجتماع الغربيين ، ولا يكاد يخلو منها مرجع اساسى واحد مثل ظاهرة الطبقات الاجتماعية ، يتضح لنا على الفور أن معظم هذه الدراسات تتجاهل التقسيم الطبقى للمجتمع على أساس ملكية وسائل الانتاج بل وحتى تخفى كل الحقائق المتعلقة بهذه الناحية ، وتركز بصفة اساسية على تقسيم المجتمع الى طبقات كثيرة على اساس المهنة او الدخل ، او السلوك والمشاعر والاتجاهات ، ويعكس ذلك بالضرورة اهتماما بالغا بالابقاء على الطبقيـــة ، وبالتالى فان هذه الدراسات والنظريات التـــى تترتب عليها لايمكن ان تشير ضمنا أو صراحة الى اجراءات القضاء على الطبقية فى المجتمـع الرأسمالى، بل تشير بالضرورة الى كيفية الحفاظ عليها وتدعيمها والى أساليب اقناع الجماهير بها بوصفها شيئا طبيعيا وأبديا ، وهكذا نرى أن عالمى الاجتماع الامريكيين ماكيفر وبيج يعرفان الطبقة الاجتماعية بأنها « تكوينات تلقائية تعبر عــن الاتجاهات الاجتماعيـــة ! » ثم ينطلقان لتحـــديد معايير الطبقة الاجتماعية بأنها المكانة والمهنـة أساسا ، ليس هذا فحسب، ولكنهما يقرران أن الاساس الاقتصادى لا يمكن أنيدخل فى حسابهما كمعيار للتقسيم الطبقى ، وحتى عند حديثهما عن الاساس الاقتصادى الذى ينسبانه الى « المدرسة » الماركسية فانهما يتجنبان تماما شرح ما يقصده ماركس بحيثيفهم منه أى شىء ،ثم يقرران أن التقسيم الاقتصادى ليس هو الذى يوحد بين الناس أو يفرق بينهم ، ولكن الذى يحدد ذلك هـو احساسهم بأنهم مثل بعضهم أو مختلفين ! ويصر المؤلفان على الفصل بين النظام الاقتصادى والنظام الاجتماعى ، وبعد ذلك يدعيان أن من مزايا النظام الرأسمالى « تحرير الثروة » ! ويهاجم المـؤلفان بمرارة المفهومات الماركسية عن الطبقة والوعى الطبقى مع تشويه معناها الاصلى عن عمد ، وحين يعرضان للوضع الطبقى فى الولايات المتحـدة الامريكية فانهما يقرران أن هذا المجتمع يتيح كل الفرص الاقتصادية لجميع الناس ، ثم يعرضان للاحصاءات (الرسمية الحكومية) للتقسيمـــات الطبقية فى الولايات المتحدة والتى تتعمد تماما اخفاء التقسيم على أساس الملكية ولكنها تقوم على أساس المهنة ، وللتمويه على ملكية وسائل الانتاج يخلقون اسما غريبا مثـل « مهنة أصـــحاب الاملاك » ولكن حتى لا ينكشف عددهم الضـــئيل فانهم لا يفردون لهم فئة واحدة مثل بقية المهن ، ولكنهم يضمونهم جميعا فى فئة واحدة هـــى فئة « أصحاب الامـــلاك والمـــديرين والمـــوظفين الرسميين » ، وحين يتحدثون عن المزارعين فانهم يضمون الناس جميعا فى فئة مهنية واحدة هى مهنة (أصحاب الاراضى والمستأجرين) ! وهـــم يقسمون الطبقات الى ست طبقات مهنية ، وهكذا

[(٤)] اوسيبوف — قضايا علم الاجتماع — دراسة نقدية سوفيتية لعلم الاجتماع الرأسمالى ، ترجمة د٠ سمير نعيم احمد و د٠ فرج احمد فرج — دار المعارف ٠ القاهرة ٠

يتجنبون اظهار التقسيم على أساس الملكية وعدم الملكية ، ويحاول المؤلفون الغربيون الايحاء للناس بانهم يستطيعون دائما الانتقال من طبقة لاخرى عن طريق الحراك الاجتماعي ، ولكن هذا التقسيم يضلل الناس الذين لا يستطيعون أبدا الانتقال الى فئة اصحاب الشركات الاحتكارية (٥) .

ينطبق نفس الشيء على دراسة وتفسير ظاهرات اجتماعية أخرى، مثل الجريمة وانحراف الاحداث والصراع العنصري والبطالة واضرابات العمال وثورة الشباب .. الخ . فالنظريات التي تفسر هذه الظاهرات تعتمد على ابراز حقائق معينة [قدتكون نتاجات ثانوية لحقائق أخرى أكثر أهمية وجوهرية تخفيها) وتشير في نفس الوقت الى الاجراءات التي تستخدم في التعامل معهذه الظاهرات ، وتميل مثل هذه النظريات دائما الى تفسير هذه الظاهرات تفسيرا سيكولوجيا أو ثقافيا وتسرف في استخدام مفهومات مثل المشاعر والاتجاهات والقيم والاراء والعادات والتقاليد والثقافات الفرعية، والحلول التي تستخدمها لمثل هذه المشكلات الاجتماعية الخطيرة التي تعاني منها المجتمعات الرأسمالية حلول اخلاقية أكثر منها حلول سياسية او اجتماعية ، لان النظريات تتعمد أساسا اخفاء الاسباب الاجتماعية الحقيقية لهذه الظاهرات ، وكل هذه النظريات تتبع بأمانة ما سبق أن قرره كونت مؤسس علم الاجتماع الغربي في كتابه « مقال في الروح الوضعية » من أن « الصعوبات الاجتماعية الرئيسية اليوم ليست في أساسها سياسية بل أخلاقية .. ويقتضي حل هذه الصعوبات تغييرا في الاراء والاخلاق لا في النظم » .

وهكذا يتضح لنا أن عالم الاجتماع الغربي الرأسمالي **ملتزم** بالتعبير عن الايديولوجية الرأسمالية والحفاظ على النظام الرأسمالي ، في الوقت الذي نجد فيه عالم الاجتماع الاشتراكي **ملتزما** بالايديولوجية الاشتراكية ومصالح جماهير الشعب العاملة ، ويقرر بوضوح أن مهمة علم الاجتماع الرئيسية هي ترشيد التقدم الاجتماعي وتحقيق الرفاهية للجماهير والكشف عن السلبيات التي تعوق نموها وتطورها .

الاساطير الاجتماعية وعلـــم الاجتمـاع

ومن هنا نستطيع القول ، بناء على هذه الادلة ، أن هناك بالضرورة خلافا بين علماء الاجتماع الاشتراكيين والرأسماليين حول المسائل التي ذكرها د . **محمود عودة** وتصور خطأ انها لا تثير الجدل مثل أهمية الموضوع الذي يعالجه الباحث أو المؤلف والاجراءات المنهجية التي يتبعها في الحصول على مادته وأسلوبه في تفسير النتائج ومدى ما يسهم به عمله في تنمية معرفتنا ، فالعالم الاجتماعي الرأسمالي يرى أن موضوع تقسيم المجتمع على أساس ملكية وسائل الانتاج ودراسة ما يترتب على ذلك من نتائج اجتماعية وثقافية موضوعا غير هام كما سبق أن ذكرنا ، بينما يراه العالم الاشتراكي على جانب كبير من الاهمية ، وهو حين يحاول الحصول على مادته لدراسة هذا الموضوع فسوف يستخدم اجراءات منهجية تخالف تلك التي يتبعها العالم الاشتراكي (المنهج الوضعي مقابل المنهج المادي الجدلي وما يترتب عليهما من دراسات امبريقية محدودة وجزئية أو دراسات تحليلية وتاريخية) كما أن كلا منهما سوف يقوم بجمع مادة مخالفة تماما عن الاخر (مادة عن الافكار والمشاعر مقابل مادة عن واقع حياة الناس المادية والمعنوية) وأخيرا فان أسلوبهما في تفسير النتائج لابد وأن يختلف (التفسير على أساس مثالي مقابل التفسير على أساس مادي) ، كما أن اسهام كل منهما في تنمية معرفتنا بالظاهرات موضوع الدراسة سوف يختلف [حجب الحقائق المادية مقابل اظهارها وتعريفنا بها) . والذي نرجوه أن يوفق المشتغلون بعلم الاجتماع في مصر فعلا الى « التمييز بين المنطقي وغير المنطقي وبين الخطأ والصواب وبين ما هو علمي وما هو غير ذلك » ، وأن يدركوا جيدا أن الذي يهمل دراسة واقع الحياة الاجتماعية واليومية لجماهير الناس، ويقيم نظريات وهمية ومثالية ، ويتلاعب بالحقائق الموضوعية (مثل احصاءات الملكية التي ذكرناها) ، ويعمل على ابقاء استغلال الجماهير والتأثير على وعيها ضد مصلحتها ، لا يمكن أن

[٥] ارجع الى : Sernal, J.D. Science in History, New York, 1965.

[٦] انظر كتاب ماكيفر وبيج «المجتمع» السابق الاشارة اليه ص ٣٤٩ — ٣٥١ .

يكون علما ، ولكنه يصلح لان يكون أساطير اجتماعية ، اما علم الاجتماع الحقيقى فهو الذى يبرز حقائق الحياة الاجتماعية الفعلية للناس من اجل تحقيق مصلحتهم ورفاهيتهم وتقدمهم ويحللها ويفسرها بطريقة علمية موضوعية • وحتى يأتى ذلك اليوم الذى تسود فيه الاشتراكية بلدان العالم وتندثر الراسمالية الامبريالية فستظل هناك تفرقة قائمة بين الاساطير الاجتماعية [النظريات الاجتماعية الغربية الرأسمالية] ، وبين علم الاجتماع العلمى الاشتراكى ، وأى دعوة « للوحدة » بين الاثنين لن تكون سوى دعوة غير علمية ذات نتائج اجتماعية خطيرة على مجتمعنا الاشتراكى •

علم الاجتماع والالتزام

واخيرا يتضح لنا ان التزامنا بالايديولوجية الاشتراكية وبعلم الاجتماع العلمى هو السبيل الوحيد للالتزام « بمشكلات المجتمع المصرى وقضاياه أو المشكلات التى تهم القطاع الاكبر من أبنائه » • ولابد ، على عكس ما يقرر د • محمود عودة فى مقالهبالعدد السابق، من ضرورة وجود اطار نظرى واضح يوجهنا فى دراسة هذه القضايا والمشكلات ، فهذا الاطار هو الذى يفرق بين الدراسة العلمية والدراسة العشوائية المتخبطة التى لا تعلم أية حقائق ستبحث عنها وسط ملايين الاشياء التى توجد فى المجتمع ، ولا لماذا تبحثها ولاكيف تربط بينها وتفسرها • وليس صحيحا على الاطلاق أن نيوتن وداروين قد قاما بمجردجمع حقائق دون اطار نظرى ، وأن كل العلوم مجردة من الاطار النظرى ، وليس على من يشك فى ذلك سوى ان يرجع الى أى كتاب يتناول تاريخ العلم والعلماء •

ومن حسن الحظ أن الاجيال الجديدة الشابة ممن بدأوا تخصصهم فى علم الاجتماع فى مصر ، وممن نشأوا فى ظل ظروف اجتماعية واقتصادية جديدة ،وجاءوا من بين طبقات الشعب الكادحة أكثر وعيا ، وأوسع أفقا ، وأكثر تمثلا للفلسفة والقيم التقدمية ، وانهم لم يتشربوا بعد بعلم الاجتماع الغربى وما يعبر عنه من ايديولوجية رأسمالية ، ومن حسن الحظ أيضا أن بعضا من المتخصصين فى هذا العلم لديهم من العقلية العلمية ما يمكنهم من ادراك أن كيانهم وذاتهم لا ترتبط ارتباطا عضويا بالعلم الذى تعلموه ، وأنهم قادرون على مناقشته بشجاعة ، وحكمة ، ورفض نظرياته ومسلماته اذا اتضح خطؤها ، وتبنى نظريات أكثر صدقا ، دون أن يهتز كيانهم ، وأن ذلك هو أهم خصائص العلماء ، ترى ماذا كان يمكن أن يحدث لو لم تكن لدى أنيشتين أو نيوتن أو كوبرنيكس أو جاليليو أو داروين القدرة على رفض ما تعلموه من نظريات على أساس المنطق والعقل حين اتضح لهم خطؤها واصروا على التمسك بها !



(٢)

علـم الاجتمـــاع

وضرورة العـودة الى المنبـع

عبد الباسط محمد

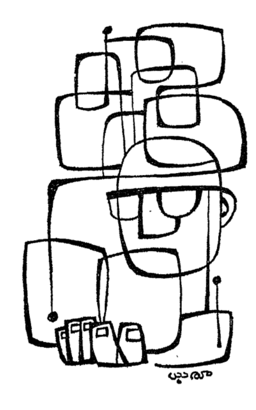
ماجســتير فى علم الاجتمـــاع
باحث بالمـركـز القـــومى
للبحوث الاجتماعية والجنائية

عندما فتحت « **الطليعة** » صفحاتها لحوار جاد حول « الايديولوجية والعلوم الانسانية » انتقل اليهـا الصراع الفكرى بين المهتمين بعلم الاجتماع. وليس بخاف على المتتبع لمقالات العددين الاخيرين، انها تنحصر او قل تعكس موقفين يفصح كل عن اتجاهه ولونه بغض النظر عن العناوين التى وسمت بها هذه المقالات . فالموقف الاول والذى كانت له المبادرة يريد أن يثبت ما للايديولوجية من تأثير فى اتجاهات علـم الاجتمـاع وأطـره النظـرية وموضوعات دراسته ومسالك تفسيره • غير أن هذا الموقف يوحى الينا فى بعض كتابات انصاره بتبنى الاتجاه الماركسى فى علم الاجتماع ، مدللين على ذلك بما أسهمت به الماركسية فى فهم الانسان والمجتمع، واقعا وفكرا وسلوكا، وبأن مجتمعنا قد اتخذ من الاشتراكية موقفا ومنهجا وأسلوبا . أما الموقف الثانى فيقف من قضية الايديولوجية وعلم الاجتماع موقفا مناهضا ، ومن ثم يطالب بعـدم التزام الباحث الاجتمـاعى بايديولوجيـة معينـة ، وفى الوقت نفسه يحاول هدم شرعية ما يسمى بعلم الاجتماع الماركسى والتشكيك فيه • ولا يـرغب أنصاره فى أن يعلنوا صراحة تمسكهم بالاتجاهات السوسيولوجية الاخرى ـ مـع أن أعمـالهم وترجماتهم تفصح عما يلوون ـ حتى لا يفسر موقفهم تفسيرات أيديولوجية معينة ، ولذلك نراهم يرفعون يافطة الموضوعية والحياد العلمى ، ومنهم من يبدو اكثر ذكاء بندائه بضرورة الاهتمام بقضايا المجتمع المصرى ومشكلاته •

واذا وقفنا أمام الموقف الاول نجد أنه أبرز لنا قضية هامة تتركز فى تأثير الايديولوجية فى علم الاجتماع : ماضيه وحاضره وربما مستقبله أيضا . ودلل على ذلك بأمثلة من داخل المعسكر الرأسمالى نفسه • ففى مقال الاستـاذ « **السيد يسن** » حول « الباحث الاجتمـاعى والاختيـار

الايديولوجى» تقدم لنا أمثلة للتيار اليسارى فى علم الاجتماع الامريكى والذى من أبرز علمائه « **رايت ميلز** » و «**لويس كوزر** » (١) وتضيف الى امثلته أن هناك مؤلفات خصصت لدراسة هذه القضية من بينها كتاب « **ارفنج زيتلن** » [٢] الذى دلل على ان الايديولوجية كانت دائما موجها للنظرية السوسيولوجية (*)

وتتضح جدية هذا الموقف من تنبيهه الى أنه مادام للايديولوجية هذا التأثير ، يجب علينا أن نأخذ بالحيطة والاستناد الى العقل قبل النقل من تراث علم الاجتماع وخاصة الاتجاهات الامريكية التى تتغذى على الايديولوجية الرأسمالية ، التى تفصح عن نفسها فوق مسرح السياسة العالمية . ومع تحذير أنصار هذا الموقف ، يشيرون علينا بتبنى الاتجاه الماركسى فى علم الاجتماع . وهنا نتوقف لنرصد ملاحظتين : تتعلق الاولى بدقة ما يسمى بعلم الاجتماع الماركسى ، فاذا كان المشتغلون بهذا العلم سواء فى الاتحاد السوفيتى أو غيره من البلدان الاشتراكية يستخدمون نفس المناهج وطرق وأدوات البحث ، واذا كان ليس ثمة علم اعتبر اطاره النظرى فقط محورا له [٣] فانى اتصور ان التسمية الاقرب للصواب تكون : « الاتجاه الماركسى فى علم الاجتماع » . وأما الملاحظة الثانية فتتعلق باشارة انصار هذا الموقف الينا بتبنى الاتجاه الماركسى . ومع الاعتراف بوجود قدر واضح من الاخلاص فى هذه الاشارة ، ومع التسليم أيضا بالانجازات العبقرية للماركسية فى فهم المجتمع ، فان نداءهم لا يجد من الركائز العلمية ما يدعمه ، فلم يقوموا هم باختبار سوسيولوجى للقضايا السوسيولوجية الماركسية فى مجتمعنا . وبالرغم من أن قضية الايديولوجية وتأثيرها كانت الشغل الشاغل لانصار ، هذا الموقف ، فقد عالجوها علاجا عاما دون أن يبينوا لنا بوضوح المجالات التى يفصح فيها هذا التأثير عن نفسه ، هل فى النظرية كما يهتم الكثيرون ؟ هل فى المنهج ؟ هل فى التفسير ؟ أم أنه تأثير يضمها جميعا ويحتويها ؟ .



وبصدد الموقف الثانى فسوف نعرض له من خلال مستويين : أحدهما عام والثانى خاص . أما العام فيتركز فى دعوى أنصار هذا الموقف الى رفض فكرة تأثير الايديولوجية ، مع أن هذا التأثير يميط اللثام عن وجهه فى كثير من المحاولات التى اهتمت بالتنظير لعلم الاجتماع والتأريخ له . وأما عن رفضهم للاتجاه الماركسى والتشكيك فى نضجه ، فيعنى رفض مسبق متحيز لا يستند الى اختبار علمى ، ومن ثم يحكمون على أنفسهم بموقف أيديولوجى مضاد للماركسية ، ولمجرد مخالفتها بكل وسيلة ممكنة . وعن ندائهم المتذاكى بضرورة الرجوع الى المجتمع المصرى لفهمه ، فهو تحصيل حاصل لا يقدم اختراعا ، فكلنا سواء أراد أن يتبنى اتجاها نظريا معينا أو لا يتبنى اتجاها على الاطلاق انما يهدف من ذلك الى دراسة الواقع المصرى ويسهم فى فهمه .

وفيما يتعلق بالمستوى الخاص فيدور حول مقال « الوحدة والتعدد فى علم الاجتماع » الذى

---

[١] السيد يسن « الباحث الاجتماعى والاختيار الايديولوجى » الطليعة ديسمبر ١٩٧٠

[٢] ارفنج زيتلن Irving Zetlen « الايديولوجية وتطور النظرية السوسيولوجية » الطبعة الانجليزية ١٩٦٩ .

* د. ارفنج زيتلن استاذ علم الاجتماع بجامعة انديانا الامريكية .

[٣] ريمون آرون ، ثمانية عشر درسا من المجتمع الصناعى ، الترجمة العربية [بسيم محرم] عالم الكتب — القاهرة ١٩٦٨ ، ص ١٠ .

وافانا به الدكتور محمود عوده (عدد يناير ١٩٧٠ من الطليعة) . وبالرغم من أن رد « الاستاذ لطفى فطيم » عليه فى نفس العدد أثار ملاحظات هامة فيمكن تسميته ردا عاما ، تضيف اليه التساؤلات التالية :

أولا — حاول الكتاب ان يصنف علم الاجتماع تصنيفات تشير الى تعدده ، مع أن بعض هذه التصنيفات لم يقصد منها تصنيف العلم ، ولكن النظرية السوسيولوجية فقط ، فالتصنيف الذى أسماه جغرافيا ليس تصنيفا بالمعنى العلمى ، لان الذى حدث هو تسمية بعض النظريات شرقية أو غربية عند محاولة التأريخ لنشأة النظرية السوسيولوجية . وهذا ما دلل عليه « **ارجا ليتيونن** » * فى مقال له يكاد يشبه عنوان المقال الراهن « وفيه يعترف بوجود تحدد وتعدد فى النظرية السوسيولوجية وليس فى العلم كلية » (٤). هذا بالاضافة الى تندر الكاتب ومداعبته التى تضيف تطوعا نظريات شمالية وجنوبية .. الخ ، تجعلنا نتساءل عن موقع الشمال والجنوب من خريطة العالم ، هل هما القطبين الشمالى والجنوبى أم هما غير ذلك ؟ ثم أن التسمية بغربى وشرقى لم تأت حبا فى الجغرافيا ، بل تعبيرا مجازيا يشير الى نوعين من الفكر والقوى سائدين فى العالم .

ثانيا — أن استفساره عن الظروف التى تبرر الاعتراف الذى أسماه مفاجئا ، بامكان قيام علم اجتماع بجوار المادية التاريخية، استفسار يعرف اجابته كل متتبع للفكر الماركسى ، وللتغيرات التاريخية التى مر بها الاتحاد السوفيتى فى أعقاب الحقبة « الستالينية » خاصة . كما أن الكاتب الذى وجه اليه هذا السؤال ، كتب مقالا أوضح فيه بعض مبررات هذا الاعتراف والتى من بينها : وجود تراث وتقاليد لعلم الاجتماع فى البلاد الاشتراكية، ورغبة علماء الاجتماع الماركسيين فى ربط مجالات عملهم بالحركة السوسيولوجية العالمية ، والاحتياجات التطبيقية والسياسية للتخطيط والتحولات الاجتماعية .. الخ [٥] .

ثالثا — أنه استند فى قوله بعدم نضج الاتجاه الماركسى فى علم الاجتماع الى واحد فقط من الكتب السوفيتية فى علم الاجتماع « **لأوزيبوف** » وهذا استناد لا ينهض دليلا على ما يقول ، لان الاتحاد السوفيتى ليس البلد الاشتراكى الوحيد فى العالم الذى يتبنى الاتجاه الماركسى ، فقد أحرز علم الاجتماع فى أكاديمية العلوم « بوارسو » مثلا خطوات واضحة نحو دراسة المجتمع البولندى على يد مجموعة من الاساتذة المعترف بهم دوليا من أمثال « **جيرزى فياتر** » كما أن أوزيبوف ليس الممثل الاوحد لعلم الاجتماع فى الاتحاد السوفيتى ، فهناك آخرون نذكر من بينهم « **ف . كونستانتينوف** ، **ف . كيل** » لهم وجهة نظر واضحة فى تحديد موضوعات علم الاجتماع وعلاقته بالمادية التاريخية ومكانته فى نسق المعرفة . . الخ » [٦].

رابعا — وعن الدراسة التى وسمها بالطرافة حول اتجاهات بعض علماء الاجتماع الامريكيين نحو علمهم . فنود أن نقول لماذا لا يكون السؤال : ماهى النقاط المشتركة بين الاتجاهات الامريكية فى علم الاجتماع وغيرها ؟ بدلا من صيغته التى جاء بها فى المقال . واذا كنا جميعا نعرف أن ثمة فرقا بين الاتجاه والموقف الفعلى ، فان القول بوجود نقاط مشتركة أو موضوعات للدراسة بين اتجاهات العلم — كدور الاقتصاد فى الحياة الاجتماعية ، والصراع الطبقى وغيره من ضروب الصراع . الخ لا يعنى أن هذه الاتجاهات أوشكت على التوانى الذى تذوب معه كل الفروق المجتمعية والايديولوجية ، تلك قضية يثيرها الرأسماليون لتغليف واقعهم وواقع الآخرين ، فمثلا موضوع « الصراع الطبقى والاجتماعى » وهو من نقاط الاتفاق فى اتجاهات الامريكيين نحو علم الاجتماع ، ماذا صنع ويصنع به هؤلاء العلماء ؟ فقد يكون هناك اتفاق حول المسميات ولكن العبرة بالتناول العلمى والتصميم النظرى والتفسير . فهذا « **تالكوت بارسونز** » من أبعد علماء الاجتماع الامريكيين شهرة ، لم يشغل نفسه بدراسة الصراع ، باستثناء مقال وحيد حول « الطبقات الاجتماعية والصراع الطبقى » ، اعتبر فيه الصراع مرضا بشريا وازاه بالسلوك الانحرافى ، ولم ير فيه سوى أنه معوق لتوازن النسق الاجتماعى الذى يسعى فيه الى تحقيق نظرية الاوانى المستطرقة(٧).

---

[٤] Yorja Litlunen, « Restricted and Multitheoritical Social Research » in Sociologia, No. 3, 1969, P.P. 128-132.

* ارجاليتيون استاذ علم الاجتماع بجامعة تامبر Tamper بفنلندا

[٥] السيد يسن «الاتجاهات الحديثة فى علم الاجتماع الماركسى » الفكر المعاصر، يناير ١٩٧٠ .

[٦] Tallcat Parsons, « Social classes and class conflict » in Economic Review, 1949, P.P. 16-26.

[٧] F.Koustantinov, F.Kell, HistoricalMaterialism- Maxist Socialogy, Mosco.

خامسا ـ يرى الكاتب أن ثمة تصنيفا وحيدا لعلم الاجتماع، ميز فيه بين علم اجتماع علمى وغير علمى . وذلك أمر لا يستند الى منطق ، فكلمة غير علمى محذوفة « مبنى ومعنى وليس من حقنا أن نحاكى ونصنف » لمجرد الرغبة فى ذلك ولمجرد النظر الى اتجاهات العلم من خارجها . وأما بصدد محكاته الاربع لعلم الاجتماع فنتفق مع « **الاستاذ لطفى فطيم** » بأنها تنطبق على البحث السوسيولوجى الذى لا يمكن أن يحل محل علم الاجتماع كلية . فالمحك الاول الذى يتعلق باختيار الموضوعات للبحوث ، ما هى الاسس التى تحدد وفقا لها الموضوعات ، هل بناء على مصالح الجماهير ؟ ولماذا لا نترك الجماهير تقول لنا بحل مشكلاتها أيضا ؟ واذا كنا نخشى بعض المصالح الشخصية فلماذا لا نخشى مصالح الباحث ؟ ونترك العلم يتحول الى نوع من الخبرة التى تضيع معها الاهداف العلمية والمجتمعية ؟ . وأما عن المحك الثانى الذى يقول بسلامة اجراءات البحث ، فما هى هذه الاجراءات ؟ اذا جاز أن نصنفها الى اطار نظرى ومنهج وأدوات وتفسير، فالاطار وفقا للمقال عمل غير مشروع ، وأما المنهج فكل يختار المنهج ، تاريخيا كان أوتجريبيا .. الخ وفقا لمزاجه الخاص ، وأما الادوات فعلينا أن نختارها ذاتيا ، فمثلا لو أردنا تصميم صحيفة بحث لدراسة أية ظاهرة ، من أين نأتى ببنودها وأسئلتها ؟ وفقا للمقال نأتى بها من فراغ أو حسبما نريد دون أى توجيه نظرى؟! وتكون الشروط المنهجية التى تعنى ثبات وصدق أسئلة وبنود الاستمارة شروطا ذاتية لاننى أختبر بنودا وضعتها من عندى . وكل هذا يعنى أنه حتى الحد الادنى من الموضوعية التى ينادى بها الكاتب يصبح أمرا مستحيلا ، **فالموضوعية لا تعنى التحرر من القيم بل هى القيمة التى على الباحث أن يؤثرها باختياره** ، داعيا أنه موجه بقيم سواء أراد أم لم يرد [٨] . واذا جئنا الى المحكين الاخيرين وهما « التفسير ـ وتنمية معرفتنا بالمجتمع » فهل توافقون على أن المادة التى تجمع من هنا وهناك دون اطار نظرى ، وبمنهج وأدوات تركوا للاجتهاد الذاتى يمكن أن يحقق هذين المحكين .

سادسا ـ اذا كان الباحث يتمسك بالاختيار بعد الاختبار ، فنقول اختيار ماذا ؟ ان الاختيار يعنى ، اختبار شىء أو اكثر ثم نقبله أو نرفضه أو نختار من بينها .. أما المقال فيريد أن يختبر الواقع بالواقع ، ويشهر الواقع الذى لم تكتشف بعد سوى بعض أبعاده على الواقع الكلى ويعده موجها للدراسات . واذا كان الكاتب يتساءل عن الايديولوجية الرسمية التى فى مرحلة تاريخية معينة، فلماذا يتمسك بالمشكلات الملحة وهى أيضا مرتبطة بظروف تاريخية ؟ أم انه يتوقع أن هذه المشكلات ستواكب المجتمع المصرى كظله والى الابد ؟ .

ومن كل ما سبق يتضح أن المقال مع أهميته لم يحل لنا المشكلة . فكلنا متفق على ضرورة دراسة المجتمع المصرى ، ولكن كيف ؟ هل نتبنى النزعة الامبريقية التى تفصل بين النظرية والبحث فصلا مملوءا بالمثالب ؟ أم نتبنى خط الدراسات المسحية غير المخططة أو المصممة نظريا والتى تحتاج مئات السنوات لتغطية المجتمع وبشرط أن نطلب من هذا المجتمع أن ينتظر دون أى تغير حتى ندرسه ، على أن نحكم أبديا بعدم تقدم البحث السوسيولوجى . وملاحقته للاتجاهات السوسيولوجية العالمية . واذا كنا نتفق مع كاتب المقال فى ضرورة دراسة المجتمع المصرى ، ولكن مع وجود اطار نظرى ، فاننى أقترح أن يكون هذا الاطار مستندا بالضرورة الى تاريخ المجتمع المصرى ، فاستقرائه وتحليله يساعد فى بناء اطار نظرى ـ للبدء فى الدراسات السوسيولوجية ـ اذا صيغ بدقة ، يمكنه توجيه البحوث والوصول الى شواهد واقعية نحقق بها هدفين : أحدهما محلى يساعد فى فهم المجتمع المصرى ، والثانى عالمى لان المادة التى سوف تجمع تتيح فرصة لاختيار بعض الاتجاهات النظرية المعاصرة، ومن ثم نسهم فى التراث العالمى باختياره وتحقيقه دون أن نتخلف عنه تماما ونستطيع أن **نختار بعد الاختبار** من بين هذه الاتجاهات أو نرفضها .

---

[٨] صلاح قنصوة ، القيم والعلم فى ضوء نظرة انسانية شاملة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب جامعة القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٢٥٤ .



التعليم

محو الأمية

التعليم الابتدائى

التعليم الثانوى

التعليم الجامعى

من تجارب الدول الاشتراكية

لا شك ان التعليم قد اصبح ضرورة انسانية حيوية من الاحتياجات المادية الرئيسية للانسان وهو ايضا عنصر رئيسى من عناصر قوة الهيكل الاجتماعى وانطلاق القوى الانتاجية لخلق القاعدة الاقتصادية للبناء القومى • كما ان السياسة التربوية لها اثرها الحاسم على تشكيل الاتجاهات الفكرية للمجتمع بأسره •

ومن هنا كان الاهتمام بقضايا التعليم ، خاصة فى بلدان العالم الثالث حيث حرصت السياسة الاستعمارية على منع الخدمات التعليمية عن الشعوب ، او حصرها فى اطار خدمة مصالحها •

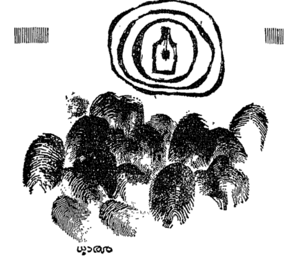
وبعد الثورة وعلى اثر تحرير بلادنا السياسى عملت القيادة الثورية على الوصول بالتعليم الى قاعدة عريضة من جماهيرنا العاملة ، واقتسام خدماته وتوزيعها بصورة اكثر عدالة

وقد اشار بيان مجلس الوزراء الى ضرورة تطوير اساس عريض وعميق للتعليم ، وتقرر عقد مؤتمر خاص لتطوير التعليم خلال الشهر الحالى •

واسهاما منها فى مناقشة قضايا التعليم ، تقدم « الطليعة » هذا الملف الذى يتضمن دراسات عن محو الامية والتعليم الابتدائى والثانوى والجامعى بالاضافة الى عرض لخلاصة تجربة البلدان الاشتراكية المختلفة فى هذه المجالات •

مبادىء أساسية في تخطيط التعليم





د. اسماعيل صبرى عبدالله

عادت قضية تطوير التعليم الى سطح الاحداث مرة اخرى ، والملحوظ انه لا يكاد يمر عام دون ان تطرح تلك القضية نفسها فى شكل او آخر على الدولة والرأى العام ، ولا يعنى تجدد طرحها التهوين من شأن ما تم منذ ١٩٥٢ فى مجال نشر التعليم ، ولا اهدار ما يبذل المعلمون والمسئولون عن التعليم من جهد . ولكنه يعنى ان التعليم عندنا قد تجاوز مرحلة التوسع المصحوب بتعديلات جزئية فى نظمه ، بحيث اصبح من الضرورى تطويره تطويرا شاملا يصيب فلسفته وأسسه ليعبر عن التحول الاشتراكى ويفى بحاجات التنمية .

قضية سياسية

ويجب التسليم ابتداء بأن اى مسعى للتطوير يبدأ بمقررات الدراسة او سنوات التعليم او نظم الامتحان .. الخ سيقصر بالضرورة عن الوفاء بحاجة التطوير الشامل .. اذ يشبه مسلك من يدقق النظر فى شجرة او مجموعة من الاشجار فلا يرى الغابة ولا يدرك حقيقة ابعادها ، وقد جربنا هذا المسعى بالفعل ، وكانت حصيلته مجموعة من الاجراءات الجزئية اتخذت فى تفرق ، يناقض بعضها البعض احيانا ، تتوالى كل سنة فى غير منطق ظاهر . وأدى ذلك الى عدم استقرار نظم التعليم فى حين ظلت « ديمقراطية التعليم » و « اشتراكية التعليم » و « ربط التعليم باحتياجات المجتمع » شعارات تردد ولا تترجم الى واقع عملى . ولا تقع مسئولية هذه الاوضاع على رجال التعليم فهم خبراء فنيون فى التربية والتعليم ، يبرز دورهم حين يحدد المجتمع فلسفته التعليمية واحتياجاته من نظام التعليم . فعندئذ ، وعندئذ فقط ، يستطيع الخبراء الفنيون الاجتهاد فى تفصيل ما يلزم لتحقيق رغبة المجتمع .

ان التعليم استثمار ضخم ، يكلف المجتمع غاليا ، ولابد ان يحدد المجتمع نوع وتعداد العائد الذى ينتظره من ذلك الاستثمار . وبعبارة اخرى ان نقطة البدء فى تطور التعليم يجب ان تكون مجموعة من القرارات السياسية ذات المحتوى الاجتماعى والاقتصادى تتخذها السلطة السياسية بعد مناقشة مستفيضة وديمقراطية . وليس التعليم فى هذا الشأن استثناء ، فالتخطيط فى كل المجالات يبدأ دائما بعدد من القرارات السياسية تحدد له اطاره العام ويأتى بعد ذلك دور مخططى التعليم — وهم بالضرورة من خبراء التعليم وخبراء التخطيط — الذين يعدون الخطة التفصيلية بكل ما يجب ان تتضمنه من اهداف جزئية ومرحلية ووسائل لتحقيق تلك الاهداف ، وحسابات اقتصادية للتكلفة والعائد .

لماذا محو الامية ؟

وفى اطار السياسة العامة لتطوير التعليم ، والتخطيط لهذا التطوير ، تبرز عدة قضايا جاسمة ، وأولى تلك القضايا هى قضية محو الامية . ولنؤكد

فورا وقبل اى تفصيل ان **محو الامية هو القاعدة الصلبة للثورة التعليمية ، وأن كل سياسة لتطوير التعليم تقوم على التسليم ولو ضمنا باستمرار ظاهرة الامية بأبعادها الحالية تكون قطعا خاطئة من حيث التصور ، قاصرة من حيث الامكانيات .**

● **فمحو الامية ضرورة اقتصادية قبل كل شىء** ، فالتنمية الاقتصادية بما تعنيه من تصنيع سريع وكثيف ، وتطوير للزراعة ، وارتفاع لمستوى الخدمات ، لايمكن ان تتحقق بالمعدلات العالية المنشودة فى ظل أمية تسود اغلبية العاملين . ان الفرق بين العامل الامى والعامل الذى يجيد القراءة والكتابة فارق كيفى ، لان الثانى يستطيع أن يقرأ التعليمات والتوجيهات ، وأن يحضر دورات التأهيل والتدريب ، وان يتعلم اشياء كثيرة . وهكذا يمكن باستمرار رفع كفاءته الانتاجية . ومن المعروف ان الارتفاع المستمر بانتاجية العمل هو حجر الزاوية فى نجاح التصنيع ، لانه يحقق خفض التكاليف وبالتالى خفض أسعار البيع والتصدير . والفلاح الذى نريده انيأخذ بسبيل «الزراعة العلمية» ، لن يتأتى له شىء من ذلك مادام ايضا يعجز حتى عن قراءة « نشرة الارشاد الزراعى » أو الاطلاع على حساباته لدى الجمعية التعاونية .

● **ومحو الامية ضرورة سياسية ، فقد نص الميثاق** على ان جماهير الفلاحين والعمال هى صاحبة المصلحة الحقيقية فى الاشتراكية ، وأنها بالتالى المحرك الاساسى فى اتجاه التحول الاشتراكى . ومن المسلم به أن المصلحة وحدها لا تكفى ، بل لابد من الوعى بها الذى يسهل بدوره النضال المنظم من أجل تحقيقها . والوعى سلاحه الاول الكلمة المكتوبة . ان ضرورات النضال من أجل التحول الاشتراكى تجعل من محو الامية فرض عين حتى تتمكن ملايين الفلاحين والعمال من ممارسة حقها الاصيل فى المشاركة فى تسيير أمور البلاد السياسية والاقتصادية .

● **ومحو الامية ضرورة تربوية** ، ذلك أنه من العسير جدا نشر التعليم فى بيئة ليس لديها أدنى حظ منه ، ان الاسرة الامية تستهين احيانا ولا سيما فى الريف بتعليم أبنائها ما لم تكن تتطلع لان تراهم لايفلحون الارض . وهى بالتأكيد اطار اجتماعى لا يساعد الطفل على الدراسة ، بل يزيد من العبء الواقع على المدرسة . والاحصائيات المتاحة لدى وزارة التربية والتعليم عن التعليم الابتدائى تثبت بما لايدع مجالا للشك ارتفاع نسبة هجر المدرسة ــ وهو ما يسمى ظاهرة « التسرب » ــ فى مدارس القرى ، وكذلك ضعف المستوى العام لتلاميذها .

لقد حاربت بعض مدارس الفكر التربوى فى بلادنا نشر التعليم بحجة أن التوسع فيه يعنى الهبوط بمستواه ، وان الافضل للوطن هو توفير التعليم الممتاز لعدد محدود . ونظرية «الصفوة» هذه مردودة ، ليس فقط باسم الاعتبارات الاجتماعية ، ولكن باسم التربية ذاتها . فالثابت اليوم هو انه كلما اتسعت قاعدة التعليم زاد عدد العلماء المبرزين . وعلى العكس من ذلك اذا تمكن بلد من أن يكون به عدد **من العلماء وسط غالبية من غير المتعلمين . عجز عن احداث الثورة العلمية . فالعالم اليوم ليس عبقريا فردا ، ولكنه قائد مجموعة من الباحثين ، يعاونها عدد كبير من المساعدين الفنيين ومن الاداريين والكتبة وغيرهم ، ويستند جهدها فى التحليل الاخير الى درجة عالية من حسن التنظيم** والتقدم التكنولوجى والمستوى الثقافى العام للبيئة **الاجتماعية .**

معركة ضخمة

واهمية محو الامية بالنسبة للدول النامية قضية مسلم بها عالميا ، بغض النظر عن الايديولوجيات ، والمنظمات الدولية لا تفتأ تؤكدها وتنظم الدراسات حولها ، ولكن الدول النامية ــ لا سيما تلك المكتظة بالسكان ــ تواجه فى هذا الصدد تناقضا رهيبا . فمحو الامية ضرورة مطلقة لزيادة الانتاج والارتفاع بالدخل القومى ، ولكن موارد تلك البلاد تعجز عن تغطية تكاليف محو الامية ، وهذا التناقض ، شأنه فى ذلك شأن عدد كبير من تناقضات ظاهرة التخلف ، لا يمكن حله بالطرق التقليدية ، بل لابد من أساليب ثورية . واذا قدرنا أن فى مصر أكثر من عشرين مليون أمى ، ادركنا على الفور انه من غير المتصور ان تتضمن ميزانية وزارة التربية والتعليم الاعتمادات الكافية لتعليمهم القراءة والكتابة فى ظرف سنتين أو ثلاث .

والواقع أن محو الامية يجب أن يكون معركة شعبية يقودها الاتحاد الاشتراكى العربى وتعبأ لها كل التنظيمات النقابية والجماهيرية على أساس ان يكون على كل متعلم فريضة أن يعلم ثلاثة مواطنين القراءة والكتابة ، وفاء رمزيا بما انفقه المجتمع على تعليمه . وفى هذا فليتنافس المتنافسون . وما هذا الحديث بحلم او خيال ، فقد سبقتنا الى تحقيقه عدة دول ، ولنذكر منها مثالا واحدا : كوبا الصغيرة التى قضت على الامية فى عام واحد . ويكون على وزارة التربية والتعليم ان تتولى الجانب الفنى فى المعركة . فتعد برامج محو الامية وتوفر لها ما يلزم من مادة تعليمية تتناسب مع قواعد تعليم الكبار التى تطورت الى حد بعيد فى العشرين عاما الماضية .

واذا كانت ظروف معركة ازالة آثار العدوان لا تجعل من الممكن او من المطلوب جذب الاهتمام نحو معركة أخرى ، فان ثمة اجراءات يمكن الاخذ بها فورا فى اطار النضال ضد الامية نذكر منها :

● **فى المصالح** والشركات التى تكون أغلبية العاملين فيها من المتعلمين ، يمكن تصفية الامية تماما بان تنظم لجنة الاتحاد الاشتراكى بالتعاون مع الادارة واللجنة النقابية تعليم الاميين اعتمادا على تطوع العاملين المتعلمين • ويجب بعد ذلك عدم تعيين أى عامل أمى ، بشرط اتاحة فرصة تعلم القراءة والكتابة أثناء فترة الاختبار •

● **وفى المصانع** يجب أن يصبح النضال ضد الامية مهمة أساسية من مهام العمل النقابى • ان الضمانات التى وفرتها الثورة للعمال أعفت التنظيم النقابى من مهام كثيرة كان يناضل من أجلها ، ويتعين عليه الان ليؤكد وجوده ، أن يحدد المهام التى تتفق وطبيعة مرحلة التحول الى الاشتراكية • والتنظيم النقابى بطبيعته يعمل من أجل رفع مستوى معيشة العمال وتحسين ظروف عملهم وضمان حقوقهم • ولا شك أن تعلم القراءة والكتابة ، بما يتيحه من امكانيات التأهيل والتدريب ، وسيلة أساسية لزيادة دخل العامل •

● **وبالرغم** من الاعباء الضخمة التى تفرضها معركة التحرير على القوات المسلحة ، فان قضية محو الامية بين المجندين واردة ، ويتعين بحث امكانياتها العملية •

● **أما فى الريف** حيث العدد الاكبر من الاميين ، فان ابعاد المشكلة يجب الا تجعلنا نحفل أمامها • وما لا يدرك كله ، لا يترك كله • ولا شك أنه من الممكن تنظيم فصول محو أمية فى الجمعيات التعاونية وفى لجان الاتحاد الاشتراكى • كما أن منظمة الشباب واتحاد طلاب الجمهورية يقع عليهما عبء أساسى فى استخدام جزء من طاقات الشباب المتعلم فى النضال ضد الامية •

الاستيعاب والتسرب

وأخيرا ، ان الامية تتجدد مادامت طاقة المدارس فى مرحلة الالزام تقصر عن استيعاب كل الاطفال الذين فى سن التعليم • لقد حققنا فى هذا الصدد نجاحا مرموقا ، ووصلنا بنسبة الاستيعاب المدرسى الى حوالى ٧٥ فى المائة • ولكن القضية هنا لا يمكن أن تكون قضية نسبة مهما ترتفع ، لان ٢٠ فى المائة أو حتى ١٥ فى المائة بدون تعليم ، يعنى بعد بضع سنوات عدة ملايين من الاميين • بل انه من المتصور رغم الجهد التعليمى الضخم المبذول ، أن يبقى عدد الاميين كما هو أو حتى يزيد ، وان انخفضت نسبتهم الى مجموع السكان • ومن ثم فان الاستيعاب الكامل هو الاسلوب الوحيد للقضاء على الامية قضاء مبرما • واذا كان محو الامية شرطا للتنمية فان التعليم الابتدائى لكل الاطفال شرط ضرورى للتنمية يبرر اعطاء ما يلزمه من استثمار أولوية كبيرة فى الانفاق الحكومى • ولكن لابد من الاشارة هنا الى ضرورة تخفيض تكلفة التعليم ، وبالذات تكاليف المبانى • ان مدرسة تحت « الشجرة » فى أرض سوق القرية أفضل من لا مدرسة أصلا • ومدرسة من « الطوب الاخضر » فى الصعيد تؤدى نفس الدور الذى تؤديه مدرسة تبنى بالاسمنت المسلح وتتكلف أضعاف تكلفة الاولى •

ولا يكفى أن نصل بالاستيعاب الى ١٠٠ فى المائة فى السنة الاولى من التعليم الابتدائى ، بل لابد من ضمان جدية التعليم طوال سنى الالزام الست • وهذا يعنى القضاء على ظاهرة التسرب من المدارس بعد السنة الاولى ، ومراجعة محتوى المادة التعليمية واسلوب التعليم ونظام الامتحان • وهذا ما ينقلنا الى المبدأ الثانى فى سياسة تطوير التعليم : المدرسة القومية الشاملة •

المدرسة القومية الشاملة

تخصص الدولة للتعليم اعتمادات كبيرة • وفى الميزانية الحالية وبالرغم من مقتضيات المجهود الحربى الضخمة ، بلغت ميزانية التعليم أكثر من ٢٠ فى المائة من اجمالى مصروفات الجهاز الادارى الحكومى • ومع ذلك فان عائد هذا الانفاق السخى يبدو غير مرض بدليل تكرار الشكوى من عيوب نظام التعليم • واذا تركنا جانبا التفاصيل لنرد الامور الى امهاتها ، يمكن أن نوجز عيوب التعليم — فى المراحل السابقة للتعليم العالى والجامعى — الى ظواهر ثلاث رئيسية : التسرب من التعليم الابتدائى — ضعف مستوى التعليم بصفة عامة — عجز التعليم الفنى عن الوفاء باحتياجات التنمية الاقتصادية والدفاع الوطنى •

مقدمتان ونتيجة

وعبثا نحاول البحث عن علاج لتلك الظواهر الرئيسية فى هذه الجزئية ، أو تلك من جزئيات نظام التعليم ، فحين تكتسب الظواهر طابع العموم يجب تلمس أسبابها فى فلسفة النظام وأسسه ، والا كنا كمن يجهد نفسه بحثا عن تخفيف الاعراض منصرفا عن اصل الداء حتى يودى بالمريض • والامر بعد لا يحتاج الى تحليل عميق • لقد ورثت الثورة نظاما تعليميا قام فى الاساس لتوفير عدد محدود من المتعلمين تستوعب الدولة فى وظائفها غالبيتهم العظمى ، ينتمون للطبقات الغنية والوسطى ، لم يمارسوا فى حياتهم عملا يدويا ولن يمارسوه بل ويزدرون من يمارسه • وفى ظل هذا النظام كان من ينجح فى اختراق حواجز المال من ابناء الطبقات الشعبية يرى فى التعليم وسيلة « للارتقاء » الاجتماعى ، اى للانفصال عن

طبقته والتعلق بأذيال الطبقات الوسطى ، وقد تركزت جهود حكومة الثورة على اتاحة فرص التعليم لاكبر عدد ممكن من ابناء الشعب ـ بناء المـدارس ، زيادة عـدد الفصـول ، مجـانية التعليم . الخ . دون تغيير جذرى فى هيكله . وترتب على هذا الوضع نتائج خطيرة . فمن ناحية مازالت الفكرية السائدة هى أن التعليم سبيل الى التخلص من وضـع طبقى ، من الانتمـاء الى الفلاحين والعمال . والتعبير العملى عن ذلك هو الاقبال الشديد على التعليم العـام . فالتعـليم الجامعى والعالى بهدف « الجلوس الى مكتب » ومن ناحية اخرى الانصراف عن التعليم حين لاتملك الاسرة الفقيرة امكانية التطلع لان يكون ابنها من فئة الجالسين الى المكاتب . وهكذا تختفى من هذا الأطار الفكرى الرغبة فى تلقى التعليم لذاته او « طلب العلم » كما كان السلف يقولون ، كما تختفى احتياجات المجتمع الى تطوير الانتاج .

واعادة النظر فى فلسفة التعليم وأسسه يجب أن تبدأ من مقدمتين تترتب عليهما نتيجة حتمية .

أما المقـدمتان فهما :

- التعليم حق للجميع ، بل وواجب عليهم .
- المجتمع يحتاج الى اغلبية ضخمة من العاملين اليدويين ، وأقلية من العاملين الذهنيين .

والنتيجة الحتمية هى :
ان يصبح التعليم الفنى هو الاصل المتاح للجميع والالزامى لكل الأطفال ، فى حين يصبح الاعـداد للتعليم العالى مقصورا على أقلية يثبت حسن استعدادها له .

تعميم التعليم الفنى

ان هذه النتيجة ، تعنى ثورة شاملة فى نظام التعليم . فنحن بالرغم من التوسع الضخم فى التعليم ، ما زلنا فيما يسمى بالتعليم العام نفصل الطفل عن بيئته وطبقته وعن النشاط الانتاجى ولا نلقنه الا ما يهيئه ، وما يفتـرض انه يهيئه ، للاستمرار فى التعليم حتى اعلى مـراحله . وحصيلة ذلك مجموعة من الاخطاء الفادحة تدور حول الضعف المتزايد لمستوى التعليم ، والضغط الشديد على الجامعات ومعاهد التعليم العالى ، والتزام الدولة بتوفير العمل لخريجين لا تحتاج اليهم ، وعجز التعليم الفنى عن الوفاء باحتياجات التصنيع ، وتطوير الزراعة وتعزيز القوات المسلحة .

وتنتصب فى وجه هذه الثورة الضرورية فى نظام التعليم مصاعب جمة نجد على رأسها الخلفية الفكرية والاجتماعية التى مازالت تحكمها رواسب ما قبل الثورة ويغذيها الفكر الرأسمالى . ويعنينا منها هنا على وجه التخصيص النظرة الى العمل اليدوى . فان الزعيم الراحل عبد الناصر يقول ان العمل اعلى قيمة فى المجتمع الاشتراكى . والميثاق وبيان ٣٠ مارس يتضمنان سطورا مشرقة فى تمجيد دور الفلاحين والعمال . ولكن مجتمعنا مازال يضع العمل اليدوى دون اشكال العمل الاخرى . مازالت « **الملكية الفردية** » هى القيمة الكبرى فى نظر الكثيرين . ثم يليها الوظيفة « ذات المستقبل » اى التى تتضمن احتمال زيادة الدخل وفرصة التطلع الى الملكية . وفى أدنى السلم نجد العمل المكتبى مفضلا على العمل اليدوى . ولا يكفى « **الحافـز المـادى** » لتغيير تلك النظرة الاجتماعية الخاطئة ، فكلنـا يعرف أن الاسرة المصرية مازالت تفضل عند المصاهرة « الموظف » على العامل ولو كان مرتب هذا الاخير يفوق مرتب الاول بكثيـر .

ويؤكد الوضع الحالى للتعليم الفنى هذا الاتجاه الاجتماعى الخاطىء . فهو يتم فى مدارس منفصلة تقبل من حصلوا على أدنى مجموع من الدرجات . وهكذا يصبح الالتحاق به انفصالا ماديا ومعنويا عن الفئات العليا للمجتمع . والاختيار على أساس مجموع الدرجات يعنى ألا يلتحق بالتعليم الفنى الا أضعف العناصر أو أكثرها استهتارا ، ومع ذلك فخريجوه مطالبون بأن يكونوا عماد التصـنيع وتطوير الزراعة ودعم القوات المسلحة ... الخ . بل ان الامر أخطر من ذلك بكثير : فالاتجاه نحـو التعليم الفنى ينبغى أن يعتمد على ميل الصبى للعمل اليدوى . وهذا الميل لا يعنى أنه أقل ذكاء من زميله الذى تستهويه الدراسة النظرية . ومن ثم فقد يحصل على مجموع كبير من ميوله الحقيقية تتجه نحو العمل اليدوى ، كما يحدث أن يفرض التعليم الفنى على من يكون استعداده الطبيعى هو الدراسة النظرية ، ولكنه لم يحصل على المجموع المطلوب لسبب أو لاخر . ومن ناحيـة أخـرى الحصول على المجموع المطلوب ليس دليلا مطلقا على الذكاء أو القدرة على التحصيل والرغبة فيه . بل انه كثيرا ما يكون محصلة الوضـع الطبقى للتلميذ وليس التعبير عن استعداده العقلى نحو الاسرة المتعلمة فى ذاته يزيد من قدرات التلميذ على التحصيل . فاذا أخذنا فى الاعتبار الدروس الخصوصية ودورها الهام وجدنا أن المجموع يشير فى النهاية ظاهرة طبقية ، ولا يقدح فى هـذا الاستنتاج أن يكون أول الثانوية العامة ابـن فلاح أو صانع حرفى ، فتلك ظواهر فردية . وانما الظاهرة الاساسية هى النسبة العالية لابنـاء الطبقات الوسطى بين أصحاب المجموع الكبير . وأخيرا فان الاختيار على أساس المجموع يؤدى منطقيا لان يكون مرتبات خريجى التعليم الفنى أقل من مرتبات خريجى التعليم العام ، وهكذا يفقد

التعليم الفنى حتى الحافز المادى الذى كان من المتصور أن يقلل من أضرار النظرة الاجتماعية الخاطئة .

المدرسة الشاملة

والخلاصة هى أن تقسيم التعليم الى تعليم عام وتعليم فنى لا يذوب الفوارق بين الطبقات ـ وذلك هو الهدف الاسمى لمجتمعنا ـ وانما يعمق تلك الفوارق ويوفر لها أسسا جديدة . وهو من ناحية أخرى يجعل نظام التعليم فى مجموعه عاجزا عن الوفاء بحاجات المجتمع فى مرحلة التنمية السريعة . **ولا يمكن مواجهة أوضاع التعليم عندنا بالاستعارة من هنا وهناك ، ففلسفة التعليم جزء لا يتجزأ من فلسفة المجتمع . ولا شك أنه يمكن فى المستوى الفنى أن نستفيد من نظام التعليم فى اليابان أو حتى فى الولايات المتحدة . ولكن عند تحديد الفلسفة الاساسية لنظام التعليم فى مجموعه فليس من هاد الا أمران : الفكر الاشتراكى من ناحية ، وتراثنا وواقعنا الملموس من ناحية أخرى .**

وتقوم كل التجارب الاشتراكية فى التعليم على نظام المدرسة الشاملة ، أى المدرسة الواحدة التى تجمع بين التعليم العام ، والتعليم الفنى . ففى مكان واحد يتلقى التلاميذ مبادىء العلوم الاساسية ويتعلمون المهن والحرف التى تؤهلهم لممارسة النشاط الانتاجى فى الصناعة والزراعة والنقل والتشييد .. الخ . وبعبارة أخرى تستهدف المدرسة تمكين التلميذ من تحصيل القدر المناسب من العلم وفى نفس الوقت اكتساب مهارات يدوية . ان المدرسة تستهدف تطوير شخصية المواطن فى تكامل ، تعنى بعقله وثقافته ، وتنمى قدراته على العمل اليدوى ، وتهتم بجسمه بالرياضة والرعاية الصحية والتغذية . وفى مثل هذه المدرسة يقضى على التناقض بين العمل اليدوى والعمل الذهنى ، اذ أن الجميع يمارسون الاثنين فى نفس الوقت ، وعندئذ يصبح من السهل نسبيا توجيه التلميذ فى مراحل الدراسة اللاحقة حسب ميوله واستعداده الشخصى ، لا سيما وأن نظام المرتبات والاجور يتخلى تماما عن فكرة « تسعير الشهادات » ويقوم على تقدير لقيمة العمل المؤدى ، ومقدار الجهد المبذول فيه وظروف العمل . وفى الوقت نفسه يصبح كل من يغادر المدرسة فى أى مرحلة قادرا على الاندماج مباشرة فى النشاط الانتاجى ، ولا نصادف مثلا حامل الثانوية العامة الذى لا يصلح لاى عمل انتاجى لان المدرسة أعدته فقط للالتحاق بالتعليم العالى .

والمدرسة الشاملة تجعل من الممكن ربط التعليم بالبيئة ربطا كاملا والقضاء على التناقض بين احتياجات الانتاج وضرورة التعليم الذى نشهده فى الريف عندنا ويتمثل فى تسرب التلاميذ من المدرسة الابتدائية . فالفلاح غير المتعلم الذى يعمل بيديه يسحب ابنه من المدرسة لانه يحتاج اليه فى الحقل ، ولا يرى فيما يتعلمه الابن ما يمكن أن يفيده فى حياته كفلاح ، وهو لا يملك اقتصاديا ما يمكنه من التطلع الى استمرار ابنه فى التعليم .

تصفية التعليم الخاص

ويجب أن تكون المدرسة الشاملة بوتقة تنصهر فيها الفوارق الطبقية ، وتوحد بين أفراد الجيل الناشىء الذى نرجو له أن يزدهر فى ظل الاشتراكية . ولذلك فانها يجب ان تكون «**مدرسة قومية » أى مدرسة واحدة لكل التلاميذ بغض النظر عن أصولهم الطبقية .**

وهذا ما يقتضى تصفية التعليم الخاص ، لانه ذو محتوى طبقى بالغ الوضوح . فالمدارس الخاصة عندنا نوعان : المدارس ذات المصروفات ، والمدارس المعانة . والاولى تتقبل أبناء الطبقات الميسورة التى تريد ألا يختلط أولادها بأبناء الشعب ، وهى تحاول أن توفر لهم مستوى من التعليم أفضل مما توفره مدارس الدولة . والثانية تقبل أبناء الطبقات الشعبية الذين لم يجدوا مكانا فى مدارس الدولة وتقدم لهم عادة أدنى مستوى من التعليم . ان التعليم فى مجتمع يتحول الى الاشتراكية يجب أن يتخلص من المفاهيم الطبقية ، ويجب قبل كل شىء ألا يكون مصدر ربح أو موضوع تجارة ، وتأميم المدارس الخاصة لن يكلف الدولة شيئا يذكر . وتوحيد التعليم فى مدرسة قومية شاملة لا يتنافى مع تشجيع الجهود الذاتية فى مرحلة تحتاج فيها الى انشاء أكبر عدد ممكن من المدارس . ولذلك فلابد من أن يبقى من حق التنظيمات النقابية وغيرها من الهيئات التى لا تسعى الى الربح انشاء مدارس تخضع لوزارة التربية والتعليم مع حظر المصروفات حظرا تاما .

المدرسة القومية الشاملة التى تستوعب كل من هم فى سن التعليم هى أساس الثورة التعليمية . ولذلك فانها يجب أن تكون فى رأس أهداف التخطيط المتوسط الاجل (حتى منتصف السبعينات)، ثم يكون الهدف التالى ادماج الاعدادى فى مرحلة الالزام لتصبح المدرسة القومية الشاملة مدرسة سنوات تسع ..

المعلم .. العمود الفقرى لنظام التعليم

يتوقف نجاح كل نظام أو تنظيم فى نهاية الامر على البشر القائمين عليه ، على مدى ايمانهم به

وكفاءتهم • واذا كانت تلك قاعدة عامة فى كلّ النظم البشرية ، فانها تصدق بنوع خاص على نظام التعليم حيث دور المعلم بارز لا تحجبه الالات أو المعدات أو تحد منه طبيعة الارض • ولذلك فان أى قصور لتطوير التعليم لا يولى للمعلم اهمية كبرى ، يظل على الارجح حبرا على ورق • ونحن ، ولله الحمد ، نفضل معظم الدول النامية من حيث امكانية توفير العدد اللازم من المعلمين فى مستوى لائق بهذه المهنة الشريفة • فحين تضم الجامعات والمعاهد العليا أكثر من ١٥٠ ألف طالب ، يكون من اليسير أن يخرج التعليم العالى عشرة آلاف معلم كل عام •

مشكلة الكم

ولهذا فانه من العجيب حقا أن نسمع تصريحات المسئولين عن التعليم الذين يشكون من النقص فى المعلمين • ويزداد العجب حتى يصل الى الذهول حين نقرن هذه الشكوى بما هو معروف من التزام الدولة بتعيين كل خريجى التعليم العالى وما يترتب على ذلك من عمالة فائضة فى قطاعات كثيرة • ولا يجوز تبرير هذا الوضع باسم الخطأ فى تخطيط التعليم العالى ، ثم التسليم به كأمر واقع ، فاعادة تخطيط التعليم العالى مرتبطة باعادة تخطيط التعليم فى المراحل السابقة • والتطوير الشامل المنشود لن يؤدى ثماره كاملة الا بعد سنوات طويلة • ولقد سبق أن كتبنا أكثر من مرة أن التزام الدولة بتوفير العمل للخريجين يجب أن يقابله التزام الخريجين بقبول القيام بالاعمال التى يحتاج اليها المجتمع ، وبذل الجهد اللازم للتدرب عليها • والامر الذى يجب ان يقال بصراحة هو : أن **وزارة التربية والتعليم يجب أن تتمتع بأولوية مطلقة عند توزيع الخريجين عن طريق ادارة القوى العاملة ، وخريجو كليات الاداب والعلوم ودار العلوم والتجارة والزراعة يمكن أن يصبحوا جميعا معلمين اذا تلقوا القدر المناسب من علوم التربية •** وعلى سبيل الاقتراح المبدئى يمكن أن تنظم وزارة التربية والتعليم لمن تختارهم دراسة فى التربية لمدة سنة ، يقابلها زيادة فى المرتب لتوفير الحافز المادى كما يقال ، وعلى أية حال ليس هنا مقام الافاضة فى الاجراءات التنظيمية لمواجهة هذه المشكلة ، ولكننا نكرر مرة أخرى أنه من السهل توفير الحلول الملائمة •

والى ان يتم اعادة تخطيط شامل للتعليم الجامعى والعالى ، لابد أن تتخذ فورا الاجراءات التى تكفل توجيه العدد الكافى من الشباب نحو الاشتغال بالتعليم • فلابد من التوسع فى كليات المعلمين • ولابد من فتح باب دراسة مواد التربية فقط لطلبة كليات الاداب والعلوم الراغبين فى الاشتغال عندتخرجهم بالتدريس • ولابد من تنظيم دراسة فى حدود سنة لخريجى مختلف الكليات والمعاهد الذين يتجهون نحو مهنة التعليم • بل ويمكن أن نفكر فى منح دراسية متواضعة (خمسة جنيهات شهريا مثلا) يقابلها الالتزام بالاشتغال بالتدريس لمدة خمس سنوات على الاقل عند التخرج •

ولما كان قانون العرض والطلب ما زال يلعب دورا فى تخطيط القوى العاملة ، فلا ضير فى أن نجعل مهنة التعليم أكثر جاذبية • حقا ان عدد المعلمين ونسبتهم الى موظفى الدولة (حوالى النصف) تجعل أى زيادة فى مرتباتهم تشكل عبئا ماليا ثقيلا • ولكن لابد من مواجهة هذه المشكلة ومحاولة حلها عن طريق بدل طبيعة عمل أو شىء من هذا القبيل [على الا يحصل عليه الا المشتغلون بالتعليم بالفعل) • وربما كان أهم من ذلك اتاحة فرص أكبر أمام المعلمين للترقى ، وللارتفاع بمستواهم العلمى عن طريق الدراسات العليا •

مشكلة الكيف

وليس صحيحا أن ثمة تناقضا بين الكم والكيف بحيث يكون قدرامحتوما على كل بلد يتوسع فى التعليم أن يقبل الهبوط بمستوى المعلم • وفى ظروف مصر بالذات يمكن أن نوفر العدد المطلوب من المعلمين فى مستوى لائق دون أن يؤدى ذلك الى أعباء مالية باهظة • لقد كان من العبث أن ننشىء كليات للمعلمين تعتمد على حملة الاعدادية ، فى حين أننا نتوسع كل يوم فى التعليم العالى الجامعى • وليس أدل على خطأ ذلك الاتجاه مما انتهى اليه الرأى أخيرا من الحاق كليات المعلمين بالجامعات • ولهذا فانه لابد من أن يتقرر بشكل واضح وحاسم أن المعلم يجب أن يحصل على تعليم عال • وتحديد شكل هذا التعليم واطاره قضية يحسمها المسئولون عن التعليم والتعليم العالى • ولكن الامر المؤكد هو أن اعداد المعلم يجب أن يجمع بين توفير المعرفة العلمية اللازمة ، وبين الدراسات التربوية ، لقد اقترن الحديث عن « البداجوجيا » عندنا تاريخيا بمدرسة معينة من مدارس التربية لها طابع رجعى واضح وقد حمل ذلك عددا من المشتغلين بالتعليم ذوى التفكير الليبرالى أو التقدمى الى السخرية من هذا العلم أو نفى صفة العلم عنه أصلا • وهذا خطأ فادح ولا شك • فالتربية كنظرة عامة لتكوين الطفل وتعليمه وتفصيل لطرق التدريس فى مختلف المواد والمستويات على قدر عظيم من الاهمية ، أما محتواها الايديولوجى فانه يختلف باختلاف النظم الاجتماعية والمدارس الفكرية • وعلينا أن نوفر للتربية عندنا المحتوى الوطنى والتقدمى الذى يعبر عن اختيارنا الايديولوجى •

يبقى بعد ذلك أن نوفر للمعلم وسائل الاستزادة من العلم ، ومتابعة التطور فى مهنته • وبعبارة

اخرى يجب أن تشجعه الوزارة على الانتظام فى الدراسات العليا ، وتأخذ فى اعتبارها عند الترقية نجاحه فى مثل تلك الدراسات جنبا الى جنب مع ترقيته فى التدريس . فاهتمام المعلم بالتعليم فرع عن اهتمامه بالعلم ، ولو سدت أمامه منافذ الاستزادة من العلم فقد الكثير من اهتمامه بالمهنة . كما أن تشجيعه على الدراسات العليا - بما يتضمنه من تخفيف الجدول - لا يجعله يهجر التعليم كلما كان متطلعا الى مزيد من العلم ، أو للتقدم الاجتماعى عن طريق الدرجات العلمية - وهو بعد أشرف طريق .

ومن ناحية أخرى ، تنعكس الثورة العلمية والتكنولوجية على التعليم وأساليبه . ويكفى أن نشير هنا الى « الرياضيات الحديثة » وما أحدثته من تغيير جذرى فى لغة الرياضة فضلا عن طرق تدريسها . ومن ثم لابد من دورات تدريبية للمعلمين تتيح لهم التفوق على هذه التطورات ، فضلا عن مناقشة ما يواجهون من مشكلات ومقارنة ما يعن لهم من حلول .

وأخيرا لابد أن تتبنى وزارة التربية والتعليم عددا من مراكز البحث فى قضايا التعليم والتربية وطرق التدريس . فلا يمكن أن نعيش الى الابد معتمدين على ما يبدعه غيرنا فى هذا المجال . بل إن التعليم من ألصق الانشطة بحضارة المجتمع وثقافته وتقاليده وظروف بيئته واتجاه تطوره . ومن ثم يجب دراسة واقع التعليم فى بلادنا الدراسة الوافية لنبتدع له ما يلائمه من حلول ، أو على الاقل نطوع ما اكتشف غيرنا من حلول لواقع مجتمعنا .

الوعى السياسى

وفيما وراء هذا كله تظهر قضية الوعى السياسى للمعلم . لقد كان التعليم دائما رسالة يؤمن بها المعلمون ، ولقرون طويلة كان الاشتغال بالتعليم صنوا للتفرغ للدين ، لان المعلم اذا نظر الى مهنته كمجرد مورد للدخل ، وقوم جهده بالمال فبذل منه بقدر ما يأخذ ما استطاع أن يؤدى رسالته .

وفى المجتمعات النامية ذات الامكانيات الاقتصادية المحدودة ، يعجز المجتمع عن أن يستخدم الحافز المادى وحده ليوفر العدد اللازم من المعلمين الاكفاء ، بل انه حتى لو تخيلنا امكان ارضاء المعلم ماديا ، فانه لايوجد ثمن يضمن معه الحماسة والايمان والاخلاص اللازمة لاداء رسالة المعلم . ولكل ذلك لابد أن يتلقى الشباب المتجه للاشتغال بهذه المهنة تربية سياسية خاصة تجعله يدرك أهمية هذه المهنة ودورها الحاسم فى تشكيل مستقبل الوطن كله . ان المعلم فى القرية يجب أن يكون رسول التقدم ومنارة المعرفة وداعية الاشتراكية . ويجب أن ننمى فيه الاحساس بهذا الدور العظيم بحيث يشعر بمكانة كريمة بين مواطنيه تجعله يعتز بمهنته ويتمسك بها ويحرص على حسن آدائها .

وليست تلك مهمة معاهد اعداد المعلمين وحدها ، بل ان الاتحاد الاشتراكى العربى يجب أن يولى موضوع التوعية السياسية للمعلمين اهتماما خاصا وأن يجذبهم الى صفوف أعضائه النشطين . لقد نجحت فى الماضى بعض الاحزاب فى اجتذاب معلمى المدارس الالزامية القديمة فكانوا لها خير عون وافضل دعاة فى الريف . ومجتمعنا الذى يعلى من شأن العلم ويريد أن يحقق ثورة فى العلم ضمن ثورته الشاملة على أوضاع التخلف والتبعية لابد أن يفرد محلا ممتازا للمعلم وأن يجعل منه نموذجا للمواطن الواعى . ان مهنة التعليم بطبيعتها السامية تهيىء صاحبها للتعلق بالمثل العليا والتطلع للقيم الرفيعة . ولهذا فان المعلمين فى معظم البلاد من أكثر الفئات الاجتماعية تقدما ، وأوفرها اسهاما فى النضال الوطنى والاجتماعى . واذا كان الوضع عندنا حاليا لا يعكس تماما هذا الاتجاه الاصيل فان ذلك أمر عارض ولدته تناقضات فترة التحول الى الاشتراكية واختلاط كثير من القيم . وان العمل السياسى الجاد بين المعلمين لكفيل باعادة الامر الى نصابه بما يدعم العمل السياسى بين الجماهير ، ويرفع فى الوقت نفسه من مستوى التعليم .

● ● ●

وبعد ، ان قضية تطوير التعليم هى فى الاساس قضية سياسية . ولقد حدد الزعيم الخالد جمال عبد الناصر اتجاهات أساسية فى شأنها أصبحت مكتسبات لا يمكن الرجوع فيها أو الدوران حولها ، مثل مجانية التعليم ، وتكافؤ الفرص أمام الجيل الجديد ، ونشر التعليم على أوسع نطاق . واستلهاما لهذا الفكر يتعين أن نطرح فى المستوى السياسى المرحلة الراهنة فى تطوير التعليم لتكون استمرارا لا انتكاسا يتمثل فى التوسع فى التعليم الخاص بدعوى تخفيف العبء على الدولة ، أو التضييق فى فرص التعليم بدعوى العمالة الفائضة أو باسم الارتفاع بمستواه . ومن هنا كانت هذه المبادىء الثلاثة التى يجب أن تحكم - فى رأينا عملية التطوير - وهى : أولوية النضال ضد الامية - المدرسة القومية الشاملة - توفير المعلم الاشتراكى ، وبعدها يمكن الدخول فى التفاصيل .



التعليم الابتدائى

قضايا ومشكلات

ممدوح عبد الرحمن

يحظى التعليم الابتدائى باكبر قدر من الاهتمام فى جميع الدول التى ترغب فى التقدم واللحاق بالتطورات الاجتماعية والاقتصادية والعلمية الحديثة ٠ ويرجع ذلك لعدة أسباب : منها أن هذا التعليم ينتشر ـ أو المفروض أن ينتشر ـ بين جميع أبناء الشعب ، وأن أغلبية الشعب تقتصر فى تعليمها على هذا التعليم اذا استطاعت الحصول عليه ٠

السياسة التعليمية للتعليم الابتدائى بعد الثورة : لقد أبدت « وزارة المعارف » اهتماما كبيرا فى سياستها بالتعليم الابتدائى ، بل انها فى غالت فى ابراز تلك الاهمية برفضها التوسع فى أية مرحلة أخرى غير الابتدائى ٠

فقد حدد وزير المعارف فى شهر ديسمبر ١٩٥٢ سياسة الوزارة التعليمية بأن « **هدفها الاول العمل على تعميم التعليم الابتدائى فى أقرب وقت مستطاع ، ومن الواجب أن تجعل لبرامج هذا التعليم الاسبقية على سائر الاهداف التعليمية** » ٠

وفى عام ١٩٥٧ أوضح وزير التربية والتعليم سياسة الوزارة فى أنه قد « **تقرر أن يكون التعليم الابتدائى اجباريا ومجانيا لمدة ست سنوات كاملة ، وأن تكون لبرامجه الاولوية فى التمويل** والتنفيذ ٠٠ ويقتضى ذلك أن نقف فى تعليم ما بعد **المرحلة الابتدائية ـ من ناحية الكم ـ عند الموجود حاليا على وجه التقريب ، فلا نزيد فيه الا بعد أن نيسر الفرص الكاملة لجميع أبناء الشعب وبناته فى المرحلة الابتدائية ٠٠ ويجب أن نتذكر أبدا ، أن كل تفكير فى زيادة عدد مدارس ما بعد المرحلة الابتدائية الان ، لابد ان يكون له اثره فى وقف نمو التعليم الابتدائى** » ٠

واذا كان من الواجب الاشادة باهتمام الدولة بالتعليم الابتدائى ، فانه يجب التنبيه الى أن وقف التوسع فى المراحل الاخرى كان اتجاها خاطئا وضارا تسببت عنه كثيرا من مشكلات التعليم الحالية. وأن هذا الاتجاه كان العمود الفقرى لسياسة التعليم التى شجعها الاستعمار بحجة ان الهرم التعليمى فى مصر قمته متضخمة فى الوقت الذى كان الهرم التعليمى يعانى من ضمور شديد فى قمته وفى قاعدته وفى كل جزء منه ٠

وقد وضعت الوزارة برنامجا لعشر سنوات تعمم فيه المرحلة الابتدائية ، ويتضمن هذا البرنامج

انشاء أربعة آلاف مدرسة واعداد ٥٨ الف مدرس .

وقد اعتبرت الوزارة هذا البرنامج ثورة كبرى فى التوسع فى هذا التعليم .. ولكن اذا راعينا أن هذا البرنامج قد تم وضعه بعد ثورة اجتماعية ليساهم فى تحقيق أهدافها وتثبيت قيمها الجديدة لاكتشفنا أنه برنامج متواضع ، خاصة وأنه قد ركز كل التوسع التعليمى فى المرحلة الابتدائية. هذا ، علما بأن وزارة المعارف فى عام ١٩٤٥ قدمت مشروعا لتعميم التعليم الاولى ذى الست سنوات على نظام اليوم الكامل فى فترة قدرها ٢٠ عاما . وفى هذا المشروع اعتذرت الوزارة بأنه « **كان بود الوزارة أن تزيد السرعة وأن تنقص الزمن عما هو فى البرنامج ولكنها لا تستطيع الا أن تعمل فى حدود المستطاع** » . والمستطاع هنا هو تلك الامكانيات المالية الضئيلة التى كانت تخصصها الدولة لمشروعات التعليم بوجه عام ، وكانت الوزارة فى ذلك الوقت تتقدم بمشروعات « **تتحاشى الطفرة ، وتتمشى مع الاحوال السائدة فى مصر** » .

مكانة التعليم فى سياسة الدولة : ان ادراك الثورات لاهمية دور التربية والتعليم فى احداث التحولات الاجتماعية والاقتصادية ، وفى محاربة التراث الفكرى الرجعى الذى يعتبر أخطر مجال من مجالات الصراع بين الثورة وبين القوى الرجعية ، ان ادراك تلك الاهمية قد حتم على الثورات أن تضع التعليم فى المقدمة بين كافة الاحتياجات الاخرى ، وتوفر له كافة الاعتمادات المالية اللازمة لتنفيذ السياسة التعليمية السليمة . ولكن ما حدث بعد يوضح أن التعليم لم ينظر اليه النظرة السليمة التى تتطابق مع أهداف ثورة يوليو ، وأن احتياجات السياسة التعليمية قد تراجعت لتحل محلها قضايا أخرى .

هكذا يقول وزير التربية والتعليم عام ١٩٥٧ عن مشروعات التعليم الابتدائى السابق الاشارة اليها « أخذت الوزارة فى تنفيذ هذا البرنامج ومضت فيه شوطا ، الى أن بدت الحاجة الى التحول نحو الانتاج ، كما بدأت معركة التسلح والحصار الاقتصادى ، فاضطررنا الى تهدئة السرعة مؤقتا » .

وهذه الفقرة توضح أن الوزارة كانت ترى أنه لكى يتم التحول نحو الانتاج فانه لابد من وقف التوسع فى التعليم وهذا مخالف لكل ما أكدته التجارب والنظريات من أنه لايمكن بناء اقتصاد سليم دون التوسع فى التعليم الى أقصى حد لتوفير القوى العاملة اللازمة لبناء ذلك الاقتصاد . وأن خير سلاح لمحاربة الأعداء هو توفير أعلى مستوى من التعليم لاكبر عدد من أبناء الشعب ، وأن مقاومة الحصار الاقتصادى يلزمها نظام تعليمى سليم يرفع درجة هذه المقاومة ويزيد من كفاءتها .

لقد اصبح من المسلم به أن يستحيل على اية دولة بناء اقتصاد سليم واحداث تحولات اجتماعية بواسطة شعب تتفشى فيه الامية ويهبط عنده مستوى التعليم .

وقد كان من نتيجة ذلك أن تقدمت لجنة بحث التعليم الابتدائى مسترشدة بالامكانيات التى تتيحها الدولة للتعليم بمشروع يهدف الى تعميم التعليم الابتدائى فى فترة ثلاثين عاما بدلا من عشر سنوات وتؤكد اللجنة أنها « **قد راعت امكانيات البلاد – من الناحية المالية الخالصة ، ومن ناحية قدرة البلاد الفعلية على انشاء المبانى ، كما راعت تناسق الخدمات التى تؤديها الدولة فى ميدان التعليم وغيره من الخدمات الاخرى** » .

« وقد حاولت اللجنة أن تحقق فكرة تعميم التعليم الابتدائى فى عشرين سنة فوجدت أن ميزانية الدولة عام ٧٥ – ٧٦ تعجز عن ذلك » .

القسمات الاساسية لسياسة التعليم الحالية فى التطبيق : اعتمدت الوزارة فى تنفيذها للسياسة التعليمية على مجموعة من الاتجاهات لتحقيق توسع كمى فى التعليم يمكن أن يغطى صورة مكبرة للتقدم التعليمى .. ومن أهم هذه الاتجاهات مايأتى :

أولا – نظام نصف اليوم : فى عام ١٩٢٥ عندما وضعت الوزارة مشروع تعميم التعليم الالزامى ظهرت فكرة جعل التعليم لمدة نصف اليوم لتوفير النفقات وزيادة عدد التلاميذ . وكانت انجلترا قد قررت فى عام ١٨٧٠ ان تكون مدة الدراسة بالتعليم الالزامى خمس سنوات على نظام نصف اليوم . ولكن هذه التجربة قد أخفقت رغم الجهود التى بذلتها وزارة المعارف وبذلها المعلمون ، واضطرت انجلترا الى الغاء هذا النظام ولم يستقر هذا النوع من التعليم الا بعد أن زيدت مدته عام ١٩١٨ الى تسع سنوات على نظام الدراسة طول اليوم .

وفى **جريدة الاهرام** فى عدد ٣٤/١٢/٢٨ تحت عنوان « **حول التعليم الالزامى** » جاء أنه « **قد أجمع الكتاب وأطبقت آراؤهم ، أو تلاقت أفكارهم عند نقطة واحدة ألقوا عليها القسط الاكبر من الفشل ، وحملوها وزر تدهور التعليم الالزامى الاكبر ، وهى قيام التعليم على نصف النهار** » .

وفى تقارير الوزارة عام ١٩٤٠ أكدت كافة اللجان أن نظام نصف اليوم ، نظام فاشل وضار ، وبدأت الوزارة فعلا فى تحويل مدارسها الى نظام اليوم الكامل .

وفى تقرير **نجيب الهلالى** عن اصلاح التعليم فى مصر جاء أن « ضعف مستوى التعليم الالزامى انما يرجع سببه الى قصر مدة الالزام ، فانها لاتزيد فى مصر عن سنتين ونصف سنة فى الواقع .. وليس ثمة من سبب لاخفاق هذا التعليم غير النظام نفسه ، فهو نظام فاسد من كل وجه ، على ان اظهر عيوبه انما يرجع سببه الى قصر المدة المخصصة له » .

وفى تقرير لجنة بحث التعليم الابتدائى عام ٥٧ جاء أن « أغلبية المدرسين والنظار والمفتشين ترى أن التعليم الابتدائى لا يحقق غايته الا اذا كان اليوم المدرسى كاملا ، حتى يتحقق للتلميذ كامل نشاطه تحت اشراف مدرسيه ..

وكل ما نود أن نؤكده هنا أن المدرسة الابتدائية لا يمكن أن تحقق هدفها ما لم تتبع نظام اليوم الكامل ، وهذا ما درجت عليه كل الدول » .

ورغم هذا الاجماع على ضرر نظام نصف اليوم وتسببه فى فشل التعليم الابتدائى فى مصر وفى الخارج ، فان سياسة التعليم لم تكتف حتى بنظام نصف اليوم ، بل ادخلت نظام ثلث اليوم الذى تخلت عنه اخيرا بعد أن استمر حتى عام ١٩٦٨ .

ثانيا — الغاء التغذية المدرسية : لقد كانت التغذية أحد المكاسب الديمقراطية التى حققها الشعب قبل الثورة ، وذلك لما ثبت من آثارها الصحية والنفسية وأثرها على تشجيع التلاميذ على المواظبة خصوصا فى مدارس الريف . وفى محاولة تحقيق قدر من تكافؤ الفرص للفقراء من التلاميذ الذين يعانون من أمراض سوء التغذية والذين كان عليهم ان يدخلوا فى سباق مع الاخرين الذين تتوفر لهم التغذية الصحية ، على عدد محدود من الاماكن فى المراحل الاعلى .

ولكن الوزارة قامت بتخفيض عدد الوجبات وقيمتها الغذائية تدريجيا حتى الغيت تماما . وجاء فى تقرير عن التغذية أصدرته الوزارة « **ان الدولة قد واجهت عجزا كبيرا فى ميزانيتها فى نهاية عام ١٩٥٢ ، وكان لابد من ضغط مصروفاتها فى شتى النواحى، وكان طبيعيا أن تضغط ميزانية التغذية** » . وحاولت الوزارة أن تجد لها عذرا فى ذلك ولكنه كان أسوأ من الغاء التغذية ! فقد جاء فى كتاب تطور تعليم المرحلة الاولى عن الغاء التغذية « كل ذلك اقدمت عليه الدولة ووزارة التربية والتعليم وهى مضطرة ، نظرا لان **التغذية ليست هى كل شىء أمام العهد الحاضر** ، وليس من المعقول أن تستنزف التغذية وحدها حوالى خمسة ملايين من الجنيهات » .

وكان غريبا أن يتمكن الشعب من تحقيق ميزانية للتغذية قدرها ٢٦٦ر٤٧٠ر٢ فى عهد الرجعية لتأتى وزارة التربية لتلغى هذا المكسب تحت أى حجة من الحجج . لقد كان المفروض أن تزداد ميزانية التغذية باستمرار وبخطوات واسعة لتحقق الوزارة طفرات فى هذا المجال . وقد أدانت لجنة بحث التعليم الابتدائى هذا الاتجاه عندما أكدت أن تقديم هذه الوجبة فضلا عن أنها ضرورية لنمو التلميذ — عملية تعليمية فى حد ذاتها — وتوصى اللجنة بتدعيم هذه العملية وزيادة اعتماداتها باعتبارها عملية ضرورية للنهوض بالتعليم الابتدائى بنوع خاص فاذا أردنا أن يعود التعليم الابتدائى بنتائج تتناسب مع ما ينفق عليه فلابد من تدعيم ميزانية التغذية وتنسيقها .

ثالثا — انشاء المدارس الحكومية الخاصة : لقد كانت سياسة الرجعية فى التعليم تهدف الى انشاء مدارس خاصة بأبناء الطبقات الغنية تفرض لها من المصروفات ما يمنع ابناء الشعب من دخولها .. وفى نفس الوقت ينشىء مدارس لابناء الطبقات الفقيرة .. وكانت تقارير وزارة المعارف والمسئولين لا تخفى هذه الاهداف . ففى تقرير مراقبة البنات عام ٣٥ — ٣٦ عن انشاء المدارس الاولية الراقية للبنات أوضح « **الحاجة الماسة الى افساح المجال لبنات الطبقات الفقيرة لتعليمهن تعليما أرقى** » . وتضمن التقرير نفسه توصية بعدم خفض مصروفات رياض الاطفال » . أما رياض الاطفال بالقاهرة والاسكندرية فتبقى المصروفات بها كما هى وذلك لتحتفظ الرياض فى المدن الكبيرة بطابعها الخاص فلا تهجرها الطبقات الراقية الى غيرها من المؤسسات الاجنبية » .

ومن الغريب انه بعد الثورة سيطر هذا الاتجاه على سياسة الوزارة التعليمية ، فقامت بانشاء المدارس التجريبية ذات المصروفات تحت حجج تحقيق فرص أكبر للفقراء ومحاربة المدارس الاجنبية وغير ذلك مما عبر عنه وزير التربية عام ٥٤ بقوله « عمل مدارس تجريبية يدفع فيها بعض الناس قدرا معينا من المصروفات لكى نضع حدا للانتفاع الزائد الحد نحو المدارس الاجنبية ، وتجعل تربيتنا مقصورة على المدارس المصرية ، حتى نحافظ على القومية المصرية والروح الوطنية لدى ابنائنا ونمكن القادرين أن يدفعوا مصروفات

لابنائهم فى هذه المدارس التجريبية ، وبدلا من أن يحجز هؤلاء الابناء أماكن بالمدارس كان أولى بها من يعجزون عندفع هذه المصروفات ممن يتعلمون بالمجان » ٠

واذا علمنا ان سياسة وزارة المعارف قبل الثورة فى عام ١٩٥١ كانت تحددها الفقرة الاتية لوزير المعارف « اما أن تكون مدارس الدولة عامة وخاصة فهذا لايمكن أن يحصل ، اذ لا يمكن أن يصد طالب عن مدارس الحكومة لفقره أو لعدم استطاعته دفع المصروفات » ٠

اذا علمنا ذلك لادركنا مدى ما أقدمت عليه الوزارةبانشاء تلك المدارس، **وقد ادانت لجنةبحث التعليم الابتدائى هذا الاتجاه لمعاداته للديمقراطية وتدعيمه للطبقية وعدم اتاحته فرصا متساوية للتعليم فى المرحلة الاولى »** ٠ وعندئذ لجأت الوزارة الى المعاهد القومية وسلمتها تلك المدارس لتديرها بالمصروفات حتى تتحاشى النقدالذى وجه للوزارة ٠ ولكن المعاهد القومية هى مؤسسة حكومية ، وان كانت تضع لافتة كتبت عليها « الجمعية التعاونية التعليمية للمعاهد القومية » لان الحكومة تملك أكثر من ٩٩ر٩٩ فى المائة من رأس مالها ٠

رابعا ـ الغاء الامتحانات : لجأت الوزارة رغبة منها فى التوسع الكمى على حساب الكيف الى الغاء الامتحانات فىالمرحلة الابتدائية، واتباعنظام النقل الالى ٠ ولم يكن هذا الاجراء لاسباب تربوية وتعليمية ولكنه كان من أجل التوسع فى الكم بأى شكل ، فجاء فى تقرير لجنةبحث التعليم الابتدائى : **« ثم خطت الوزارة خطوة أخرى نحو الاصلاح الجرىء فألغت امتحان النقل بين سنوات هذا التعليم، وذلك حتى يتحقق مبدأ تكافؤ الفرص فى صورة فعالة عادلة ، وقد تبدو أهمية هذه الخطوة اذا عرفنا أن الذين كانوا يمرون فى التعليم الابتدائى حتى نهايته لم يكونوا يتجاوزون ٥ر١٢ فى المائة من مجموع الملتحقين ٠ وهى نسبة ضئيلة لم تكن تتكافأ مع ما كانت ترصده الوزارة من جهد ومال ووقت »**

وقد حددت الوزارة مسئوليتها ازاء الاطفال بأن توفر لهم تعليما لفترة ست سنوات دون أن تكون مسئولة عن مستوى التحصيل أو أى شىء آخر ٠ وقد تنبهت الوزارة الى خطورة هذا الاتجاه وأثره فى هبوط مستوى التعليم فأعادت الامتحان كشرط للانتقال من الصف الرابع الى الخامس ٠٠ فقد ألغى القانون ٦٨ لسنة ١٩٦٨ النقل الالى ووضع النصوص التى تكفل الارتقاء بكفاءة التعليم الابتدائى ٠

النتائج التطبيقية لسياسة التعليم : لم يكن هناك اجماع فى قضية من قضايا التعليم مثل ما حدث فى هذا الاجماع على هبوط مستوى التعليم الابتدائى هبوطا خطيرا ففى تقرير عن حالة التعليم الابتدائى عن عام ٦١ ـ ٦٢ جاء : « **بالرغم من كل هذه الجهود التى تبذلها الوزارة والاجهزة المعنية بالتعليم الابتدائى فى المناطق فلا تزال الشكوى تتكرر من هبوط مستوى التحصيل فى المدرسة الابتدائية ، ومن أن النتائج التى توصل اليها فى تعليم أبناء الامة لا توازى الجهود والاعباء المالية الضخمة التى تنفقها فى سبيله** ٠ وفى تقرير ٦٤ ـ ٦٥ جاء « يمكن القول أن الخطة الخمسية الاولى قد حققت اهدافها فى النواحى الكمية ، بل أنها تجاوزتها فى بعض النواحى ، غير أن هذا التجاوز كان يجرى أحيانا على حساب الناحية النوعية والكيفية الى حد ما » ٠

وأوضح تقرير لجنة بحث التعليم الابتدائى ضعف مستوى هذا التعليم وقصوره عن تحقيق أهدافه ، هذا من ناحية الكيف ، اما من ناحية الكم فعلى الرغم من النجاح النسبى فى هذا المجال،فان هذا النجاح ضئيل بالنسبة لما كان يجب أن يتم فى فترة طويلة من عمر الثورة المصرية ويتضح مما جاء فى « **أهداف واتجاهات التربية والتعليم خلال الخطة الخمسية الثالثة** » انه كان مقدرا فى الخطة المتواضعة للتعليم أن تكون نسبة المقدر قبولهم عام ٦٢ ـ ٦٣ من الملزمين ٩ر٨١ فى المائة ٠ ولكن الذى قبل فعلا ٦ر٧١ فى المائة وأن المقدر قبوله عام ٦٧ ـ ٦٨ هو ٣ر٩٥ فى المائة من الذين بلغوا سن الالزام ، ولكن ما قبل فعلا هو ٩ر٧١ فى المائة .

لقد كانت الزيادة فى نسبة الاستيعاب ضئيلة الى أقصى حد بالرغم من عمليات التحول الاجتماعى الخطيرة التى تمت عام ٦١ ٠ فقدكانت نسبة الاستيعاب ٦٩ فى المائة عام ٦٠ ـ ٦١، ٨ر٦٩ فى المائة عام ٦٢/٦١ ، ٦ر٧١ فى المائة عام ٦٣/٦٢ ، هذا بخلاف تركز الخدمة التعليمية فى المدن وخاصة القاهرة وانخفاض مستوى هذه الخدمة ، فقد بلغت نسبة المقيدين بالسنة الاولى الابتدائية الى عدد الذين يقع عمرهم بين ست سنوات وأقل من سبع سنوات فى سوهاج عام ٥٧/٥٦ ٧ر٥٨ فى المائة ، وفى البحيرة ٥٠ فى المائة، بينما يبلغ فى القاهرة ١٢٦ فى المائة. بينما

متوسط نسبة القبول العامة فى الجمهورية ٧٦ فى المائة فانها تصل الى ٦ر٥٦ فى مرسى مطروح • ١ر٥٩ فى سوهاج ، ٢ر٦٠ فى قنا • كما أوضح تقرير عام ٦١ ـ ٦٢ تفاوت الخدمة التعليمية بين المدينة والريف اذ جاء به « سوء توزيع الكفايات بين المدارس وتمييز بعض مدارس المدن علـى مدارس الريف ومنحها أكثر من نصـــابها على حساب مدارس الريف » •

كما أن نفقات التلميذ فى منطقة القـاهرة الشمالية تزيد على ضعف زميله فى منطقة المنيا وهى تقل قليلا عن نفقات تلميذ من احدهما فى منطقة طنطا والاخر فى منطقة المنيـا (يتكلف التلميذ فى طنطا ١١١ر٨ ، المنيا ٣٣٠ر٦ ، القاهرة الشمالية ٨٢٢ر١٣] •

أساليب الاصلاح

لا يمكن ان نتوقع من التعليم الابتدائى النتائج المطلوبة الا اذا تحققت هذه الاسس الضرورية ، وان لم تكن وحدها كافية الا انها تعتبر الدعامات الاساسية لسياسة تعليمية تتفق مع روح العصر •

١ ـ تحقيق نظام تعليمى على أساس نظام اليوم الكامل وزيادة مدته ، فاذا كان وزير المعارف عام ١٩٤٣ قد وجد أنه لايمكن أن يكون التعليم الابتدائى لفترة تقل عن سبع سنوات على نظام اليوم الكامل لكى يكون تعليما ناجحا : فاننا بعد الثورة وبعد هذا التقدم العلمى لا نستطيع أن نقنع بهذه المدة •

٢ ـ اعادة التغذية فى أسرع وقت وزيادة اعتماداتها باستمرار •

٣ ـ العمل على اعادة شكل من أشكال الامتحان يدفع الى الاهتمام بمستوى التحصيل الى أن يتم اكتشاف طرق أخرى •

٤ ـ توفير الخدمة التعليمية للريف حتى ترتفع الى مستوى الخدمة التى تقدم للمدينة •

٥ ـ فتح باب الالتحاق بكليات المعلمين على نطاق واسع لخريجى مدارس المعلمين العـامة لمساعدتهم على تحسين مستواهم العلمى لكى تزيد استفادة الدولة منهم فى رفع مســتوى التعليم الابتدائى •

٦ ـ توفير الاعتمادات اللازمة لتحقيق تعميم التعليم بأسرع ما يمكن •





مسألة تنويع المرحلة الثانوية — دون اخلال بمفهوم تكافؤ الفرص التعليمية — من قضايا الثقافة والتعليم التى تمليها الثورة العلمية التكنولوجية وما تتطلبه من معارف وقدرات فكرية على أعلى المستويات ، كما تمليها ، فى الدول الاشتراكية والاخذة بطريقها الى الاشتراكية ، الملكية الجماعية لوسائل الانتاج وسلطة الشعب عليها ، كذلك تفرضها على الدول الوطنية النامية — لا سيما فى أسيا وأفريقيا — حاجتها الى تطوير طاقاتها الثقافية والعلمية والادبية والفنية ، تلك الطاقات التى جردتها منها عهود طويلة تحت ربقة السلطات الاستعمارية .

ابراهيم الابيارى

قضية

التعليم فى المرحلة الثانوية من قضايا العصر المثارة ،والتى تفرض نفسها بالحاح فى غالبية الدول ، لا فى مصر وحدها ، رغم اختلاف هذه الدول عن بعضها وتباينها تباينا شديدا ، فهى تختلف من حيث الفلسفة السياسية التى تعتنقها كل دولة ، ومن حيث النظرية التربوية السائدة فيها ، وهى تتباين من حيث مستوى كل منها بين دول العالم من التقدم والتخلف ، وهى تتفاوت من حيث سماتها السكانية ، وهيكل العمالة فيها ، ونشاط حركة التنمية وفعاليتها ، وما يترتب على كل ذلك من طلب على التعليم ، ومن تزايد الاحتياج الى نوعيات من القوى العاملة ، وهى بعد كل ذلك — بل قبل كل ذلك — تختلف وتتفاوت من حيث نظمها التعليمية التى هى حصاد وثمار تاريخها وتراثها الثقافى ، ومن حيث منزلة التعليم فى المرحلة الثانوية من هذه النظم .

ويرجع الاهتمام بقضية التعليم فى المرحلة الثانوية فى هذه الدول المختلفة الى ان هذه المرحلة تشغل بال كل من المربين ، وأولياء الامور ، ورجال الدولة ، وغيرهم من رجال السياسة فى كل دولة ، فهى تشغل بال المربين وأجهزة التعليم نظرا لمكانتها من السلم التعليمى ، فهى تمثل الحلقة الوسطى من هذا السلم ، حيث يمر النشء بأخطر فترات حياتهم وبأهم فترات اعدادهم لمقابلة احتياجات الحياة اليومية ، وهى تشغل بال أولياء الامور — ومن ورائهم أبناؤهم من التلاميذ — نظرا لاهميتها فى تحديد مستقبل التلميذ وفى تحديد نوع المهنة التى سوف يأكل منها عيشه مستقبلا ، والتى تتحدد بموجبها مكانته فى المجتمع ، وقد كان هذا هو السبب الذى من أجله حظيت المدرسة الثانوية الاكاديمية بمكانة أفضل من نظيراتها من المدارس الثانوية الفنية فى الدول التى تؤدى فيها المدرسة الثانوية الاكاديمية الى الجامعة ، والتى ينال فيها خريجو الجامعة مكانة اجتماعية ممتازة عن غيرهم من أرباب المهن ، وهذا نفسه هو السبب فى فشل الجهود التى تبذل لجذب اهتمام الاهالى الى التعليم الثانوى الفنى فى الدول التى ما زالت المدرسة الثانوية الاكاديمية تحظى فيها بهذه المكانة ، وتشغل هذه المرحلة بال رجال الدولة ورجال السياسة أيضا لانها قاعدة التعليم العالى والجامعى ، ومن ناحية أخرى لانها مرحلة اعداد الشباب للوفاء بمطالب الدولة واحتياجاتها من القوى البشرية اللازمة لتحقيق أهداف الدولة وانجاز خططها ومشروعاتها فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

وتحاول كل دولة من الدول أن تجد الحلول لمشكلات هذه المرحلة بما يتفق مع ظروفها الخاصة ، وذلك فى مختلف المجالات : فلسفة هذه المرحلة وأهدافها ، مكانتها فى سلم التعليم وعلاقاتها بالمراحل التعليمية التى تسبقها والتى تليها ، وبأجهزة الثقافة الاخرى ومؤسساتها غير المدرسية ، مناهجها وكتبها الدراسية ، ألوان الانشطة فيها داخل المنهج وخارجه ، اعداد معلميها ، تقويم طلابها وامتحانهم وتوجيههم ، ادارة مدارسها .. الى غير ذلك ، وتأتى الحلول الصائبة بما يتمشى مع التركيبة (التوليفة) القائمة فى هذه الدولة أو تلك من مجموع العوامل المختلفة المتباينة التى أشرنا الى بعضها فى صدر هذا المقال .

وتعتبر مشكلة تنويع التعليم فى المرحلة الثانوية بما يفى بمطالب اعداد القوى البشرية العاملة ، ودون اخلال بمبدأ تكافؤ الفرص التعليمية ، ومع تيسير استفادة الطالب من أقصى ما تسمح له به قدراته ، تعتبر هذه المشكلة بحق مشكلة التعليم الثانوى الاولى ، وقد وجدت بعض الدول الحل فى المدرسة الثانوية الشاملة ، وهى مدرسة للجميع ، تضم فى اطارها أنواعا من الدراسات الاكاديمية والمهنية والفنية النظرية والعلمية ، وتتاح لمختلف الطلاب فى اطار هذه المدرسة فرص عدة من الاختيار المتوازن بين فروع المواد والدراسات ، بما يغطى فى النهاية قدرا مكافئا لما يختاره أى تلميذ آخر من المواد الاخرى .

ونظرا لاختلاف ما يعنيه المصطلح « المرحلة الثانوية » من دولة لاخرى — شأنه فى ذلك شأن مصطلحات التعليم الاخرى — فقد حاولت منظمة اليونسكو تحديد معانى هذه المصطلحات وتقنينها ووضع التعاريف لها على المستوى الدولى ، الا أن ما وصلت اليه اليونسكو فى هذا الشأن لم يصل بعد الى حد الاكتمال من ناحية ، أو الذيوع والشيوع من ناحية أخرى ، مما يجعلنا فى هذا المقال فى حل من الالتزام بهذا التحديد ، ومما يجدر بنا معه أن نتذكر دائما — وبوضوح — المقصود بهذه التسمية فى بلد أو بلدين سوف نلقى فيما يلى بنظرة خاطفة على طريقة كل منها فى معالجة مشكلة التنويع والتوحيد فى هذه المرحلة ، وذلك قبل أن نعرض للمدرسة الثانوية المصرية .

ففى انجلترا — على سبيل المثال — تتنوع المدارس الثانوية تنوعا كبيرا ملفتا للنظر ، اذ توجد هناك ستة أنواع من المدارس الثانوية ، وهى رغم اشتراكها فى الاهداف العامة ، الا أن لكل منها وظيفة محددة تميزه عن غيره من الانواع الاخرى ، وتتولى السلطات التعليمية المحلية ، بالاشتراك مع ولى الامر ، توجيه التلميذ الى هذا النوع أو ذاك من هذه المدارس ، ولما كانت المرحلة الابتدائية هناك تستمر لمدة ٧ سنوات ابتداء من سن الخامسة ، فان المدارس الثانوية تبدأ باستيعاب تلاميذها من سن ١٢ ، وتدخل السنوات الاربع الاولى من هذه المدارس الثانوية (أى حتى سن ١٥ — ١٦) فى مرحلة الالزام ، ثم تنتهى الدراسة الثانوية عند هذا الحد فى المدارس الخاصة ، أو تمتد لمدة عام آخر فى المدارس الحديثة ، أو تمتد لمدة ثلاث سنوات أخرى فى باقى الانواع : المدارس المعانة — المدارس غير المعانة — المدارس الاكاديمية — المدارس الفنية — المدارس الشاملة .

وقد اخذ مجلس مقاطعة لندن منذ سنة ١٩٤٧ بنظام المدارس الثانوية الشاملة — التى اقترحتها بعض الهيئات التعليمية والسياسية — كحل لمشكلة تنويع المدرسة الثانوية ، وقد ناصر حزب العمال هذه المدارس ، وطالب الحكومة بالموافقة على نشرها ومساعدة السلطات التعليمية المحلية التى تأخذ بها ، وفى سنة ١٩٥١ أصدر هذا الحزب تقريرا عن التعليم الثانوى اعترض فيه على التنويع القائم فى المدارس الثانوية محذرا أنه من شأنه أن يدعم النظام التقليدى فى الفصل بين الطبقات ، ورغم ان وزارة التربية والتعليم لم تكن مستعدة لنشر هذه الفكرة ، بل وقد أبدت تخوفها منها عندما أخذ بها مجلس مقاطعة لندن ، الا أن عدد هذه المدارس قد بلغ فى عام ١٩٦٦ فى مقاطعة لندن وحدها ٧٩ مدرسة أكثر من ثلثها مشترك للبنين والبنات .

وفى الاتحاد السوفيتى — كمثال ثان — لايبدو أن هذه المشكلة تظهر كظاهرة حادة ملحة ، نظرا لما يسود المدارس من جوانب عملية تطبيقية ونظام موحد ، ذلك أن رجال الحزب والحكومة يوجهون اليها أصدق العناية وأخلص الجهود لا سيما فى مجال توثيق الرابطة بين التعليم والعمال والانتاج ، ولذلك يتسع مفهوم التربية ليضم كافة المؤسسات الثقافية والاعلامية ، وهى تعتبر ركنا اساسيا فى العملية التربوية ، ولما كان العمل الانسانى فى النظرية الماركسية هو مصدر كل قيمة ، والطبقة العاملة هى البانية للمجتمع الجديد فان برنامج التعليم السوفيتى — وهو اجبارى مجانى للجميع من الجنسين حتى سن ١٧ — برنامج عام عملى تطبيقى يهدف الى تعريف النشء نظريا وعمليا بكل الفروع الهامة للانتاج القومى فى مدرسة تسمى « مدرسة العمل الموحدة » ، ولذلك فان المصطلح « التعليم الثانوى » لا يشير

الى مرحلة محددة قائمة بذاتها فى نظام التعليم السوفيتى ، بل انهم أحيانا يستخدمون هذا المصطلح للاشارة الى هذا البرنامج التعليمى باكمله من أوله الى آخره ، وكثيرا ما يستخدمونه للاشارة الى الصفين الاخيرين فقط من هذه المدرسة التى أطلق عليها لقب « الموحدة » لانها تضم المدارس الثلاثة : المدرسة الابتدائية ومدتها ٤ سنوات وينتظم بها الاطفال من سن ٧ الى ١١ ، والمدرسة الثانية غير الكاملة وتضم الاطفال حتى سن ١٥ وتشمل الصفوف الاربعة التالية ، وتكون هاتان المرحلتان معا المدرسة الالزامية الاساسية ذات الثمانى سنوات ، ثم تأتى المدرسة الثانوية الكاملة التى تضم الصفين الاخيرين من مدرسة العمل الموحدة ، وينتظم بها الطلاب من سن ١٥ حتى سن ١٧ أو ١٨ حيث يتابعون برامج عامة واسعة ، وقد زاد الاهتمام فيها – منذ سنة ١٩٥٨ – بالاتجاه البوليتكنيكى وبالتدريب على الانتاج ، كما زادت الاستفادة أيضا من نظم التعليم لبعض الوقت وبالمراسلة ، وتوجد الى جانب المدرسة الثانوية العامة الكاملة أنماط من التعليم الفنى والمهنى والثانوى المتخصص مدتها ٣ أو ٤ سنوات ، وفى أغسطس سنة ١٩٦٤ أوصت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى ومجلس الوزراء بتوصيات فى شأن التعليم الثانوى أسفرت عن تخفيف الاهتمام بالاتجاه البوليتكنيكى ، كذلك أسفرت أعمال أكاديمية العلوم البياجوجية سنة ١٩٦٥ وتوصيات اللجنة المركزية للحزب ومجلس الوزراء فى أواخر سنة ١٩٦٦ عن استمرار هذا الاتجاه مع زيادة الاهتمام بنشر المدرسة ذات عشرة الصفوف (وكانت هذه المدرسة فى ضوء اصلاحات خروشوف قد زيدت الى ١١ سنة) ، مما دعا عددا من المراقبين الى ابداء مخاوفهم من أن نظام التعليم السوفيتى قد أخذ يعود أدراجه الى المدرسة القديمة ذات عشرة الصفوف ، الا أن ما شهدته السنوات الثلاث الاخيرة من اصلاح فى محتوى التعليم فى جميع الصفوف ، ومن تعديل فى سنوات الدراسة ، ومن تخلص من المناهج الزائدة والحشو ، ومن اهتمام بالمدارس الفنية (تكنيكم) الموازية للمدرسة الثانوية ، يجعل مثل هذه المخاوف محل كثير من اعادة النظر .

نحو مدرسة ثانوية قومية شاملة

ولا يتسع المقام لمزيد من الامثلة فى هذا المجال ، الا أن الخبرات المستفادة من هذه النظرة الخاطفة يمكن أن تلقى بعض الضوء على قضية المرحلة الثانوية المصرية .

ومن المعروف أن نظام التعليم فى ج . ع . م . يسير وفق نظام ٦ ابتدائى + ٣ اعدادى + ٣ ثانوى ، وقد كانت مختلف وثائق التعليم تشير الى المرحلتين الاعدادية والثانوية كشقين لمرحلة واحدة هى المرحلة الثانوية ، وهذا هو أصلهما التاريخى ، فقد كانتا كذلك بالفعل ، واقتضت ظروف الغاء الازدواج من المرحلة الاولى واصلاح التعليم الابتدائى وجعله ٦ سنوات ، بالاضافة الى عدد من العوامل الاخرى ، اقتضت تقسيم هذه المرحلة الى ٣ سنوات للاعدادى و٣ سنوات للثانوى .

الا أن القانون الحالى للتعليم (رقم ٦٨ لسنة ١٩٦٨) يضع التعليم الاعدادى (الباب الثالث المواد من ٥١ الى ٥٨) كمرحلة مستقلة قائمة بذاتها ، كما يضع التعليم الثانوى (الباب الرابع المواد من ٥٩ الى ٦٨) كمرحلة اخرى منفصلة ، وقد اقترن ذلك فى السنتين الاخيرتين بعدد من التصريحات عما يزمع من ادخال التعليم الاعدادى فى نطاق مرحلة الالزام ، كذلك صدر القانون رقم ٧٥ سنة ١٩٧٠ فى شأن التعليم الفنى متناولا التعليم الصناعى والتجارى والزراعى كشىء مستقل منفصل تماما عن التعليم الثانوى العام ، ويحدد هذا القانون (فى المادتين ٩ و٣٥) مدة الدراسة فى المدارس الثانوية الفنية بثلاث سنوات لفئة العمال المهرة ، يمنح الناجحون فى نهايتها شهادة تسمى « دبلوم المدارس الثانوية الفنية » ، وهى موازية بذلك للتعليم الثانوى العام ، كما تحدد المدة بخمس سنوات لفئة العمال الفنيين يمنح الناجحون فى نهايتها شهادة تسمى « دبلوم الدراسة الفنية الصناعية » أو الزراعية او التجارية حسب الاحوال .

وغنى عن الذكر أن المسالك منعدمة بين هذه الانواع من المرحلة الواحدة وبعضها ، فطالب المدرسة الثانوية العامة لا يستطيع التحويل الى أحد أنواع المدارس الفنية الثانوية ، كما لا يمكن حدوث العكس بل انه لا يمكنه الانتقال من مدرسة فنية الى مدرسة فنية أخرى . وغنى عن الذكر أيضا أن الطريق الممهد الى الجامعة والمعاهد العليا لا يمر الا من خلال الشهادة الثانوية العامة ، اما فى الانواع الفنية الاخرى فدون ذلك عقبات وعقبات ، وغنى عن الذكر كذلك أن السبيل الى الالتحاق بهذه المدارس محدودة للغاية ، اذ تقف عند حد التقدم للامتحان من الخارج .. أى من منازلهم .. !!

ولعل فى هذه الصورة – دون استطراد الى مزيد من التفاصيل – ما يدعو الى توجيه مزيد من الاهتمام نحو علاج هذه المشكلة على ضوء الخبرات المستقاة مما عرضناه آنفا ، وعلى ضوء

ما يسفر عنه التجريب فى بيئتنا الخاصة ، وذلك قبل أن يصبح الوقت متأخرا حتى على التجريب ٠

ولنا كذلك فى خبراتنا الخاصة السابقة أسوة حسنة ، فلقد جربت وزارة التربية والتعليم ـ ولمدة خمس سنوات فى أواخر الخمسينات ـ نظام المدارس الاعدادية العملية ، ورغم ما صاحب هذه التجربة الهامة من ملابسات وانهاء مبتسر ، الا ان الزاد الذى أسفرت عنه والخبرات التى أسفرت عنها قد انعكس أثرها على التعليم الاعدادى الفنى عند تصفيته نهائيا ، وعلى التعليم الاعدادى العام الحالى مما ظهر فى الصبغة العملية لعدد من المواد الدراسية فيه ٠

كذلك تجرب الوزارة حاليا فى مدرسة « شبرا الثانوية الميكانيكية » نظاما لتخريج الفنيين على أساس خمس سنوات من الدراسة ، مستفيدة فى ذلك من الخبرات البوليتكنيكية وبالتعاون مع جمهورية المانيا الديموقراطية ، وينتظر أن يمتد التجريب الى مدارس اخرى ، الا ان النظـــرة الموضوعية تؤكد منذ الان أن هذه انما هى تجربة فى التعليم الثانوى الفنى وحسب ، وليس فى علاج قضية التنويع بالمرحلة الثانوية كلها ، وهو أمر سوف يتبين بعد سنوات قليلة انه أصبح متخلفا عن حاجات العصر من ناحية وعن مطالب الاشتراكية من ناحية أخرى ، فهما يتطلبان توحيدا شاملا للمرحلة الثانوية كلها مع توفير التنويع الاكاديمى والفنى والمهنى كله داخل اطار هذا التعليم الثانوى الموحد ٠

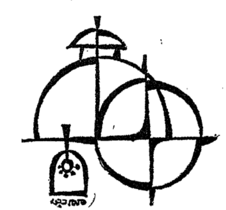
والدعوة المطروحة التى نخرج بها من هذا المقال مقدمة الى مؤتمر التعليم العصرى ، والى المجلس الاعلى للبحوث التربوية بوزارة التربية والتعليم ، والى وكيل وزارة التربية والتعليم لشئون التعليم الاعدادى والثانوى والمشرف على ادارة البحوث الفنية بالوزارة ، وهو الرجل الذى سبق له أن أشرف على ادارة البحوث الفنية وقت أن مارست تجربة المدارس الاعدادية العملية ٠ دعوة الى تجريب المدرسة الثانوية الشاملة المصرية ، التى تضم فى اطارها أنواع التعليم المختلفة الاكاديمية والفنية والمهنية على مستوى المرحلة الثانوية ، وتفتح المسالك بين أنواع هذه المرحلة وبعضها ، وبينها وبين المعاهد والجامعات ، وبينها وبين الحياة ، وبين الحياة وبينها ٠

انها تجربة ـ لعمرى ـ بالغة الضخامة والجلال والخطر ، ولكنها ايضا بالغة الالحاح والاهمية .



وظائف التعليم الجامعي

وسياسته العامة



د. رشدي لبيب

مع اننا ندرك تماما ان التعليم في المجتمع وحدة متكاملة ، وان الدعوة التي ظهرت في الايام الاخيرة لاعادة النظر فيه ينبغي ان تشمل جميع مراحله ، الا اننا نرى ان تطوير التعليم الجامعي يمكن ان يعد مدخلا سليما للتطوير الشامل للتعليم ، وذلك لامرين : أولهما ، أن الجامعات مسئولة مسئولية مباشرة عن اعداد الكادرات الفنية لتطوير جميع جوانب حياتنا بما فيها التعليم ، وأي دعوة للتطوير لن تتحقق واقعيا ما لم تتوافر الكادرات المؤمنة بضرورة هذا التطوير ، والقادرة على احداثه . أما الامر الثاني ، فينبع من ادراكنا أن اصلاح التعليم الجامعي سوف يعطينا العائد المناسب بالسرعة التي تحتاجها بلادنا ، في نفس الوقت الذي يقدم فيه نموذجا للتطوير المرغوب في أنواع التعليم الاخرى .

وفي الحق أن قضية التعليم الجامعي في بلادنا ، أصبحت في السنوات الاخيرة احدى القضايا الهامة التي تشغل اذهان المواطنين على اختلاف مستوياتهم . فبالرغم من التوسع الكمي الذي حدث فيه ، والذي أدى الى زيادة عدد الطلاب المقيدين بالجامعات من ٤٢ر٤٩٤ طالبا سنة ١٩٥٢-١٩٥٣ الى ١٤١ر١٨٩ سنة ١٩٦٩ ، وبالرغم من التعديلات العديدة التي حدثت في نظمه ومناهجه ، الا أن الاحساس بعدم الرضا عنه ظاهرة عامة تظهر في تقارير عديدة يكتبها المسئولون عنه ، كما تظهر في شكوى قادة الانتاج والخدمات من عدم كفاية الخريجين في القيام بالاعمال التي يحتاجها المجتمع . بل ان الطلاب أنفسهم يبدون اعتراضات كثيرة على مناهجه وأسلوب الدراسة فيه وأنشطته السياسية والاجتماعية والصحية (١) .

---

(١) احتياجات طلاب الجامعات - بحث قام به المركز القومي للبحوث الاجتماعية بالاشتراك مع وزارة الشباب - عام ١٩٧٠ .

ويبدو أن المنهج الاصلاحى الذى اتبع فى علاج مشكلات التعليم الجامعى لم يكن كافيا لتطويره ، ولذلك اصبح من الضرورى أسقاط هذا المنهج ، واتباع المنهج الثورى العلمى الذى يقتضى القاء نظرة جذرية شاملة على التعليم الجامعى فى محاولة لوضع تخطيط متكامل له فى ضوء الايديولوجية الاشتراكية الديمقراطية لمجتمعنا ، وتمشيا مع احتياجات نمونا الاقتصادى والاجتماعى فى مواجهة التطور العالمى المعاصر ، اخذين فى الاعتبار ايضا احتياجات الشباب الحالية والمستقبلة ٠

وحديثنا التالى ليس الا محاولة مبدئية فى هذا الاتجاه ٠

التعليم الجامعى ــ شأنه فى ذلك شأن أى نوع من التعليم ــ عملية مقصودة تتم فى مجتمع ما وفى مرحلة معينة من تطوره لتعليم فئة من الافراد لتحقيق أهداف محددة ٠ ومن ثم ، فان أى تغيير فى المجتمع أو فى نوعية الطلاب الذين يتلقونه يقتضى بالضرورة تغيير هذا التعليم شكلا ومضمونا ، والا فقد معناه بالنسبة للمجتمع والافراد الذين يتلقونه ٠ ولعل تعليمنا الجامعى مازال يعانى من بعض المفاهيم والاساليب التى صاحبت نشأته وتطوره ولم تعد قادرة على الاستجابة للاوضاع الاجتماعية الجديدة العالمية والمحلية ، ولا للتغيرات التى حدثت فى كم الطلاب ونوعيتهم ٠ ومع أن المجال ليس متسعا لمناقشة تطور التعليم الجامعى فى بلادنا لنكشف عن جذور بعض المشكلات المتعلقة به ، الا أننا نشير الى الاتجاهات الاكاديمية ، واتجاه اعلاء العقل على الحس ٠ وبالتالى الاهتمام بالجوانب النظرية دون النواحى العملية ، والتنظيم المنطقى التقليدى للمعرفة ، وأساليب التدريس التلقينية ، التى مازالت سائدة فى تعليمنا الجامعى باعتبار أنها موروثة من نظام التعليم الجامعى الذى نشأ فى ظروف مغايرة لظروفنا ٠

وثمة عوامل ثلاثة ينبغى أخذها فى الاعتبار عند محاولة بلورة فلسفة للتعليم الجامعى وتحديد لوظائفه وسياسته العامة : أيديولوجية المجتمع وظروف نموه الاقتصادى والاجتماعى ، الظروف العالمية المعاصرة ، نوعية الطلاب الذين يقبلون على التعليم الجامعى ٠

● **التعليم الجامعى وأيديولوجية المجتمع : هناك اتجاهان متكاملان يحددان فلسفة المجتمع :** الاشتراكية والديمقراطية ٠ وفى محاولة اجرائية لاعادة النظر فى التعليم الجامعى وفقا لهذين الاتجاهين المتلازمين نشير الى بعض النقاط الهامة :

● أن هذا التعليم مطالب أساسا بتربية الانسان الاشتراكى القادر على تمويل مقومات اشتراكيتنا الى واقع عملى ٠ ولا تتطلب هذه التربية وعيا نظريا بالاسس التى يقوم عليها المجتمع الاشتراكى ، وبأهدافه القريبة والبعيدة فحسب ، بل يقتضى تغييرا جذريا فى مضمون التعليم وأسلوبه ٠ فالى جانب الفهم العلمى لمعنى الثورة الاشتراكية ، والفلسفة التى تقوم عليها الاشتراكية وقيمها ، لابد من جعل العمل هو المحور الاساسى للتعليم باعتبار أن العمل الانسانى المفيد اجتماعيا يعد القيمة الاساسية فى المجتمع الاشتراكى ٠ وهذا يعنى أن تتحقق فى التعليم الجامعى الوحدة بين العلم والتطبيق التى يمكن من خلالها تخريج الانسان الذى يرى فى العمل طريقه نحو حياة أفضل للمجتمع ٠ والى جانب هذه الصياغة الجديدة للتعليم الجامعى ، لابد لهذا التعليم أن يخلق المناخ الملائم لانماء قيم جديدة يحتاجها المجتمع الاشتراكى ، مثل الايمان بالوحدة بين الفرد والمجتمع ، والملكية العامة ٠

● ان الايمان بالديمقراطية باعتبارها أسلوب الحياة الذى يقوم على التخلص من جميع أنواع القيود الاستغلالية المفروضة على الانسان أيا كان ، واتاحة الفرصة لجميع أفراد الشعب للاشتراك فى تشكيل الحياة وفق آمالهم وأهدافهم المشتركة ، يفترض تقديم صورة جديدة لاعداد الشباب الجامعى تقوم على أساس زيادة وعى الافراد بمجتمعهم ومشكلاته وانماء قدراتهم نحو العمل الجاد الخلاق ٠ وهنا يبرز أمامنا قيمة تدريب الشباب على اتباع الاسلوب العلمى **كمنهج للتفكير** فى جميع المشكلات على اختلاف أنواعها ، واطلاق العنان لقواهم الابداعية ، الى جانب الربط بين ما يتلقونه من تعليم وبين واقع مجتمعهم وقضاياه الهامة ٠

وينبغى علينا أن ندرك أيضا أن الدعوة للديمقراطية تثير لدى الشباب الجامعى الحاجة الى قيم جديدة ، ينبغى أن تسود المجتمع ، ويجب أن يعاملوا وفقا لها ٠ فمظاهر السيطرة ، سواء كانت سيطرة ادارية ، أو سيطرة باسم العلم أو سيطرة جيل على جيل لم تعد مقبولة بالنسبة للشباب ٠ فهم فى حاجة الى أن يعاملوا باعتبارهم مواطنين مسئولين يقفون على قدم المساواة مع غيرهم من المواطنين ٠ وهذا يقتضى اعادة النظر فى العلاقات والنظم داخل الجامعات بحيث تتيح الفرصة للطلاب لإظهار شخصياتهم وتحمل جزء من المسئولية فى اتخاذ القرارات التى تتصل بهم ٠ كما أن ممارسة الشباب للتفكير الحر ، الذى يعد أمرا ضروريا فى المجتمع الديمقراطى يقتضى مراجعة المناهج وأساليب التدريس التى تقوم على

تلقى المعلومات وحفظها • وكل هذا يشير الى جانب هام ينبغى الاهتمام به فى التعليم الجامعى الا وهو التربية السلوكية التى تعتمد على وجود القدوة وتوافر الفرصة لممارسة القيم الديمقراطية الحقيقية •

● **التعليم الجامعى وظروف التنمية الاقتصادية والاجتماعية :** ان ظروفنا ـ شأننا فى ذلك شأن أى دولة نامية ـ تقتضى منا جهودا كبيرة وتضحيات عديدة • ولعل من الطبيعى أن تختلف استجابتنا لهذه الظروف ، فالبعض قد يضيق بها ، والبعض الاخر قد يستكين لها ويرضى بواقعه • ولعل الشباب هم أكثر فئات الشعب حساسية لهذه الظروف ، وفى نفس الوقت هم أكثر الفئات تحملا لمسئولية تغييرها • وفى الواقع ان ما قد نلاحظه من تمرد الشباب على هذه الظروف وضيقه منها لا ينبغى أن يعتبر ظاهرة مرضية ، بل هى فى جوهرها ظاهرة صحية ، فهم يهدفون الى تقريب المسافة بين الامل الذى يراد تحقيقه وبين الواقع الذى يراد تغييره ، وذلك من خلال الاسراع فى عملية التغيير • وفى هذا المجال نشير الى بعض الظروف التى يمر بها مجتمعنا ويجدر أخذها فى الاعتبار :

١ ـ **الظروف السياسية :** لم تعد السياسة فى عالمنا المعاصر بوجه عام ، وفى الدول النامية بوجه خاص ، قاصرة على فئة من السياسيين المحترفين • فالاوضاع السياسية الداخلية والخارجية تؤثر فى حياة الناس وتجعلهم على صلة مباشرة بها • وهناك العديد من القضايا السياسية تحتل المكان الاول من اهتمام الشباب وتؤثر فى تفكيرهم ، ولعل ذلك العدوان المتكرر من جانب القوى الاستعمارية والصهيونية يعد من أهم المؤثرات على شبابنا اذ يجعله يحس بالتهديد الدائم له ولمستقبله ولمجتمعه ، هذا فضلا عن حيرته ازاء التيارات السياسية المتصارعة التى يموج بها عالم اليوم • ومن ثم ، فان أحد وظائف التعليم الجامعى أن ينير الطريق أمام الشباب نحو بناء مستقبل أكثر أمنا من خلال تربية سياسية عميقة تقوم على الفهم والاقتناع العلمى ، وتهدف الى تعبئته لاخذ زمام المبادرة المبنية على الوعى بقضايانا السياسية •

٢ ـ **الظروف الاقتصادية :** بالرغم من التقدم الذى حدث فى اقتصادنا القومى ، الا أن امكانياتنا الاقتصادية مازالت محدودة • ولعل هذه الامكانيات المحدودة هى العامل الرئيسى فى العديد من مشكلات التعليم الجامعى مثل عدم توافر الامكانيات اللازمة للتعليم وتقديم الخدمات المناسبة للطلاب • وفى الحق ينبغى أن يدرك الجميع وفى مقدمتهم الشباب أن هذا الوضع الاقتصادى يستلزم بعض الاجراءات ومن أهمها : ضرورة الموازنة بين الاستثمارات المخصصة للتعليم وبين استثمارات النمو الاقتصادى • فمع أن التعليم فى حد ذاته عملية استثمار ، الا أن الموازنة بينه وبين مشروعات التنمية أمر ضرورى ، اذ لا سبيل للاستفادة من الاستثمارات المخصصة لانماء الطاقة الانسانية ، ما لم توجد المجالات الانتاجية التى تحتاج لهذه الطاقة • وهذه الموازنة تقتضى ضمان تنسيق العمل والصلة بين التعليم وبين أجهزة التخطيط الاقتصادى والاجتماعى ، بحيث يصبح التعليم جزءا أساسيا من التخطيط الشامل للبلاد : وبهذا يتحقق لكل متخرج فى الجامعة مكانه الوظيفى فى المجتمع ، فى نفس الوقت الذى يتحقق فيه لمشروعات التنمية احتياجاتها من الطاقات الانسانية المدربة •

٣ ـ **الظروف الاجتماعية والثقافية :** ان التنمية الاجتماعية والثقافية فى مجتمعنا مطالبة بتحقيق عدد من الاهداف ، منها : التوسع فى الخدمات الاجتماعية والثقافية بحيث تشمل مجموع الشعب ، وتعبئة الجماهير لخوض معارك النضال القومى فى المجالات المختلفة ، وبناء ثقافة قومية جديدة ترتبط بايجابيات التراث العربى من ناحية ، وبالحضارة العصرية من ناحية أخرى • ولكن السير فى أبعاد التنمية الاجتماعية يجابه بمشكلات عديدة من أهمها انتشار الامية ونقص امكانيات الخدمات والرواسب الفكرية التى ما زالت تحيط بتراثنا الثقافى • ونحن نعتقد أنه لا سبيل لان يعى الشباب الظروف الاجتماعية والثقافية للمجتمع ، ويلعبوا دورا أكثر ايجابية فى تطوير هذه الظروف الا بانفتاح التعليم الجامعى على المجتمع ومساهمته بصورة مباشرة ومستمرة فى تنميته اجتماعيا وثقافيا • واذا كانت كثير من الجامعات فى البلاد المتقدمة جعلت من تقديم الخدمات العامة للمجتمع احد وظائفها البارزة [٢] ، فمن الواجب أن تنال هذه الوظيفة قدرا أكبر من الاهتمام فى مجتمعنا • فالجامعات فى بلاد تنتشر فيها الامية ويقل عدد المثقفين وتتعدد المشكلات الملحة التى تحتاج الى تعبئة الجهود البشرية ، مطالبة بأكثر من مجرد كفالة تعليم منظم لمجموعات الطلاب • انها مطالبة بأن تنفتح على المجتمع وتندمج مع

---

[٢] انظر : كتاب الارشاد الجامعى ـ تأليف تيودور ج شانون وكلارانس ا • شونفيلد ـ الصادر من مكتبة التربية عام ١٩٦٥ •

الحياة اليومية لجماهير الشعب وتأخذ دورا فى التفاعل المستمر ، وتسهم بدور فى تطوير البيئة والنهوض بها • وفى الحق ، ان هذا الدور غير منفصل عن الدور الدائم للتعليم ، فهو الطريق الذى يجعل الشباب يحس بواقع المجتمع ، ويتلمس مشكلاته ، ويبلور فكره فى طرق التقدم الاجتماعى ووسائله •

● **التعليم الجامعى والتطورات العالمية :** ان أى مجتمع فى عالمنا الحديث لا يستطيع الانعزال عن العالم المحيط به • فبصرف النظر عن الموقف الايديولوجى لاى دولة ، فان الظروف العالمية تؤثر عليها وعلى أفرادها وتفرض عليها بعض المطالب • وقد لا نستطيع فى هذا المجال أن نشرح الموقف العالمى المعاصر فى أبعاده المختلفة ، ولكننا سوف نكتفى بالاشارة الى بعض الاعتبارات التى يفرضها هذا الموقف على التعليم الجامعى :

● ان مجتمعنا فى مواجهة تحدياته لابد وأن يسرع فى ملاحقة الثورة العلمية والتكنولوجية المعاصرة بجميع أبعادها • فهذه التحديات عسكرية واقتصادية واجتماعية تحتاج الى مواجهة عصرية • ونحن فى حاجة الى دراسة مستفيضة للسمات البارزة فى هذه الثورة ، ومتطلباتها بالنسبة للتعليم الجامعى لكى يأخذ دوره فى التطور العلمى والتكنولوجى لمجتمعنا ، ليس المجال متسعا لها فى هذا المجال • ولكن يكفى أن نشير الى بعض النقاط المتصلة بهذا الموضوع :

● ان التطور الكمى والكيفى للمعرفة العلمية والتكنولوجية الذى يتسم بالسرعة والتعقيد يجعل من الضرورى أن تتلقى الاجيال الصاعدة تربية أكثر شمولا وتنوعا تضمن له ـ الى جانب التخصص وهو سمة العصر ـ مزيدا من الاساس الثقافى العريض الذى يمكنها من ادراك العلاقات المتشابكة فى الثقافة الانسانية المعاصرة والوعى بالظروف المتعددة المحيطة بهم • **كما أن سرعة التغير فى المعرفة الانسانية تجعل من أى تعليم نظامى غير كاف لاعداد الفرد لهذا التغير • ومن ثم يصبح من الضرورى تركيز الاهتمام حول اكساب الافراد القدرة على مواصلة التعلم والنمو والتدريب الذاتى ، بدلا من اعدادهم بالعديد من التفصيلات المتغيرة •**

● الارتباط العضوى بين العلم والتكنولوجيا أحد السمات الرئيسية للثورة العلمية المعاصرة • فأولهما يكشف عن الحقائق والقوانين الموضوعية التى تحكم الطبيعة ، بينما تهتم الثانية بمحاولة الاستفادة من هذه الحقائق والقوانين فى عمليات الانتاج وأوجه النشاط الانسانى الاخرى • ولذلك لم يعد هناك ذلك الفصل التعسفى بين العلم النظرى والعلم التطبيقى ، وأصبح البحث العلمى ملازما لعمليات الانتاج الصناعى • ولابد أن تعى الجامعات هذه الحقيقة ، فيبطل ذلك الجدل بين الاتجاه الاكاديمى والاتجاه الوظيفى ، وتزول تلك الحواجز بين التعليم النظرى والتعليم الفنى •

● ان المنجزات التكنولوجية المعاصرة قد أدت الى تجاوز الانسان حدود حواسه الطبيعية ، وبالتالى تغير مفهوم البيئة ولم يعد قاصرا على تلك المواد والاشياء والعلاقات التى يدركها الانسان بحواسه الطبيعية فحسب • والتفاعل مع البيئة بمفهومها الجديد يحتاج الى تغيير فى المقاييس والمفاهيم التقليدية عن الزمن والمسافة ، كما أصبح من الضرورى تدعيم المواهب الطبيعية بأدوات أخرى مثل العقول الالكترونية وغيرها من الاجهزة الحديثة • ونحن هنا نحتاج الى نوع من التعليم مغاير لما هو سائد فى جامعاتنا •

● ان اكتشافات العلم الحديث حررت الانسان من قيود الموارد الطبيعية المباشرة ، فأصبح فى مقدورنا مثلا تخليق مواد بديلة عن المواد الطبيعية ، بل وتتفوق عليها فى الصفات أو الاستخدامات • وبهذا لا يخضع المجتمع لما تمنحه له الطبيعة من خامات ومواد ، بل تنفتح أمامه آفاق جديدة يستطيع من خلالها أن يشكل حياته دون وجود تلك الحدود التقليدية التى تفرضها عليه الطبيعة • ولكن هذا كله يتطلب مزيدا من الاهتمام بالعمل الانسانى (فكرا وأداء) • ومن الطبيعى أن يتغير نوع التعليم الذى يتيح للافراد القيام بمثل هذا العمل ، والذى يهدف قبل كل شىء الى تغيير مفهوم الانسان عن الطبيعة وعلاقته معها •

● ان ظهور التكنولوجيا الحديثة وانتشار الالية ، أحدث تغييرا فى الدور الانتاجى للعمل الانسانى ، أشرنا الى أسبابه فى النقطة السابقة ، مما أدى الى ظهور الحاجة الشديدة لا الى العمل اليدوى ، بل الى البحث العلمى ، وتوفير الطاقة الانسانية المدربة تدريبا عاليا • وبصرف النظر عن متطلبات ذلك بالنسبة للتعليم الجامعى وظهور الحاجة الى الاهتمام به كما وكيفا ، الا أن ما يعنينا فى هذا المجال أن الطلب على مثل هذه الطاقات قد تخطى الحدود الاقليمية والقومية ، وظهرت سوق دولية للكفاءات فى مجالات النشاط المتعددة • وقد بدأ الشباب يعى هذا الوضع ، فهو يتطلع الى نوع من التعليم يتيح له تخطى الحدود المحلية ، ويهتم بمتابعة التعليم لما بعد المرحلة الجامعية الاولى • ومع أن هذا التطلع والاهتمام يعد ظاهرة حتمية ، الا أننا ينبغى أن ندرك مدى حاجتنا الى ربط الشباب الجامعى بمجتمعنا بحيث تستغل هذه التطلعات والاهتمامات فى تطوير

مجتمعنا • ولعلّ ظاهرة هجرة المتخرجين فى الجامعة تثير لدينا العديد من التساؤلات حول الاتجاهات التعليمية والاجتماعية التى ينبغى التركيز عليها فى اعداد الطلاب فى الجامعات •

● ان التطور المعاصر يهز كثيرا من المفاهيم والقيم التى يمتصها الشباب من المجتمع المحيط بهم • وفى الحق ان أى تطور تكنولوجى لن يؤتى ثماره ، بل لن يسير قدما ، ما لم يصاحبه تطوير فى قيم الناس وعاداتهم • ومع التقدم فى وسائل المواصلات ، اجتاز الشباب الحدود التقليدية ، وتعرفوا على مختلف الثقافات ، وبدأوا يضيقون ذرعا بالغرض الجامد للقيم والتقاليد السائدة • ومع أن الصراع الفكرى والاخلاقى بين الاجيال يعد احدى المشكلات المزمنة ، بل ويعتبر فى احد أبعاده ظاهرة ضرورية للتطور ، الا أن الامر قد وصل فى عالم اليوم الى الحد الذى يمس كيان المجتمعات الحديثة فى أساسها • ومع أن شبابنا لم تظهر فيه هذه الظاهرة بصورة واضحة بعد (٣) ، الا أنه من المهم أن نأخذ مثل هذا الصراع فى الاعتبار عند وضع سياسة التعليم الجامعى • وفى تقرير لليونسكو ، نجد دراسة للمطالب العامة التى يبديها الشباب فى عالمنا المعاصر تدور معظمها حول محاولة تقليل الضغوط التى يتعرضون لها ، ورغبتهم فى التحرر والمشاركة فى الحياة العامة ، وتطلعهم الى نيل بعض الحقوق التى تسمح لهم بالمشاركة فى حل مشكلاتهم وتقرير البرامج التى تقدم لهم (٤) •

● **التعليم الجامعى وتوعية طلابه :** ان فتح أبواب التعليم الجامعى أمام أبناء الطبقات الاجتماعية التى كانت محرومة منه من قبل يجعل الجامعات تواجه واقعا جديدا ونوعا مختلفا من الشباب لديه ظروفه واحتياجاته المتنوعة • وادراك هذا الواقع الجديد أمر هام عند رسم سياسة التعليم الجامعى • وفى هذا المجال نشير الى النقاط التالية :

● ان التعليم الجامعى لم يعد بالنسبة لعدد كبير من طلابه غاية فى ذاته او مجرد حلية يتحلون بها ، بل هو وسيلة لكسب العيش بصورة أفضل • وهذا يعنى أن الاتجاه الاكاديمى لم يعد ملائما لهؤلاء الطلاب الذين يرغبون فى القيام بأعمال وظيفية فى المجتمع • والى جانب هذا ، لم يعد مقبولا فى مجتمع يحاول تذويب الفوارق الطبقية أن يكون التعليم أداة للانتقال الطبقى ، بل ينبغى أن يكون وسيلة لتحقيق هذه الاذابة عن طريق اعداد الافراد للقيام بعمل منتج ومفيد اجتماعيا ، يخدم أساسا مصالح فئات الشعب العاملة •

● ان جامعاتنا اليوم تضم اعدادا كبيرة من الطلاب لاتتوافر لهم الظروف الاقتصادية المناسبة لتوفير الحياة المريحة أثناء دراستهم بالجامعة • واذا كان المجتمع قد أخذ بمبدأ تكافؤ الفرص فوفر لهم التعليم المجانى ، فان هذا المبدأ لن يتحقق بصورته الشاملة الا اذا توافرت لمثل هؤلاء الظروف الاقتصادية والاجتماعية التى تتيح لهم الاستفادة بالتعليم الذى يقدم لهم • وليس هذا أمرا تحتمه قوانين العدالة فحسب ، بل هو أمر يتصل برفع مستوى التعليم ، وحسن الاستفادة من الطاقات الانسانية التى تملكها والتى لا تقتصر على فئة قليلة من الشباب •

● ازاء تزايد عدد المقبولين فى الجامعات ، يجب ألا نتوقع امتيازا عقليا عاما وشاملا ، اذ تتفاوت مستوياتهم العقلية وقدراتهم التحصيلية تفاوتا كبيرا • ويدعونا هذا الى مراجعة نظرتنا الى التعليم الجامعى باعتباره يضم الصفوة ، فنعيد النظر فى مناهج وأساليب التدريس فيه بحيث تلائم هذا التفاوت الكبير ، وتحقق لكل منهم حسن الاستفادة من التعليم الذى يقدم له •

نحو وضع سياسة جديدة للتعليم الجامعى

فى ضوء ما سبق ، يمكن أن نحدد بعض الخطوط العريضة لسياسة التعليم الجامعى فى مجتمعنا :

ان التعليم الجامعى فى مجتمعنا مطالب بتحقيق الوظائف التالية :

---

[٣] يدل على ذلك النتائج الاولية لبحث عن « الاثار النفسية للصراع بين الاباء والابناء » يجريه المركز القومى للبحوث الاجتماعية

[٤] تقرير عن « الشباب فى المجتمع المعاصر » عرض فى المؤتمر العام الخامس عشر لهيئة اليونسكو — عام ١٩٦٨ •

● اعداد الفنيين المتازين والمتخصصين فى اوجه النشاط المختلفة :

وفى هذا المجال ينبغى أن يتخذ التعليم الجامعى من العمل المفيد والنافع اجتماعا محورا أساسيا لبرامجه ودراسته مع الالتزام فى ذلك بأهداف المجتمع وامكانياته وظروفه • كما أنه فى ظل ظروف التحول الاشتراكى يصبح من الضرورى العناية بالاعداد الفكرى والسياسى لهؤلاء الفنيين بما يضمن تكوين شخصيات واعية لمسئولياتها الاجتماعية وقادرة على الحركة الفعالة فى سبيل تحقيق اهداف المجتمع •

● نشر الثقافة الانسانية وتطويرها :

ان دراسة التراث القومى والعالمى ومحاولة تفهمه أمر هام فى التعليم الجامعى • ولكن ينبغى ألا يؤدى ذلك الى معايشة هذا التراث والتمسك به واعتبار المحافظة عليه هدف فى حدذاته • فمع أن التراث الثقافى ملىء بالنواحى الايجابية التى يجدر الافادة منها ، الا انه لايخلو من الشوائب والاخطاء والمغالطات فى تفسيره • ولذلك فان العناية بالتراث تستلزم التنقيب عنه وتخليصه من الشوائب والافكار المضللة ، واعادة تفسير الماضى تفسيرا يتفق مع روح العصر • وبهذا لا يكون حجر عثرة فى طريق تطورنا ونمونا ، بل يؤدى دورا هاما فى تحرر الفكر والتخلص من القيود البالية وفهم أسس الحضارة الانسانية •

● الربط بين متطلبات البحث العلمى وبين الفلسفة العامة للتعليم :

من الخطأ تصور انفصال هذه الوظيفة عن الوظيفتين السابقتين • فالبحث العلمى هو الطريق نحو تجديد حيوية التعليم الجامعى ، واتجاهات البحوث ونوعيتها ينعكس على الاتجاه العام للتدريس فى الجامعة ويؤثر فى الخبرات التعليمية التى تنظمها للطلاب • ومن ثم ، يصبح الربط بين فلسفة البحث العلمى فى الجامعة وبين الفلسفة العامة للتعليم فيها أمرا هاما •

● تقديم الخدمات العامة على المستوى الرفيع :

ان الجامعات ، وهى تمثل تجمعا لاكبر قدر من الكفايات فى مجتمعنا ـ مطالبة بأن تمد خدماتها لتشمل المجتمع المحيط بها ، فتنشر العلم والمعرفة لجميع فئات الشعب ، وتعد البرامج المتقدمة للعاملين فى المجالات المختلفة ، وتسهم فى مشروعات التنمية • ولن يعود ذلك بالفائدة على المجتمع فحسب ، بل على الجامعة أيضا حيث تزداد ارتباطا بالمجتمع فتنمو برامجها وتزداد ثراء •

● تربية طلاب الجامعات من خلال نظرة شاملة للحياة الانسانية :

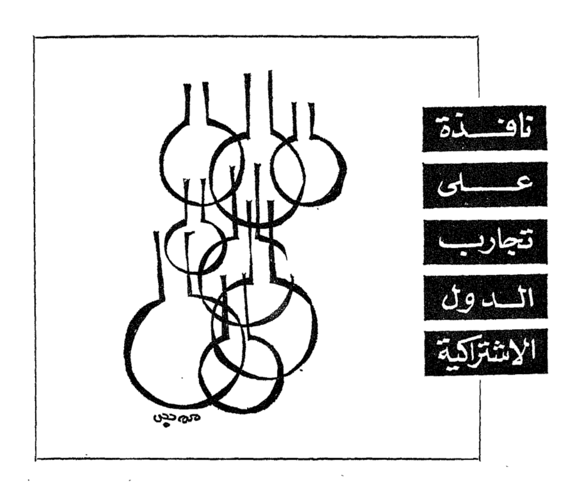
اذا كان المحور الاساسى فى التعليم الجامعى هو اعداد الفرد للمشاركة فى الحياة سواء على المستوى المحلى أو المستوى الانسانى العام ، فان هذا الاعداد لا يكفيه امداد الفرد بجانب ثقافى معين أو تدريبه للعمل فى جانب واحد من الحياة • حقا ان التخصص أمر حتمى فى حياتنا المعاصرة ، الا انه ينبغى أن ندرك أن أبعاد هذا التخصص لا تتضح الا من خلال نظرة شاملة للحياة الانسانية ، فالحياة بطبيعتها وحدة واحدة ، كما أن الانسان نفسه وحدة متكاملة • ومن ثم ، يصبح من واجب الجامعة أن تهتم بتربية الانسان بنفس القدر الذى تهتم به بتربية المتخصص •

● تخطيط التعليم :

اذا كان التعليم فى المجتمع الحديث عملية استثمارية ، فان التخطيط له يصبح أمرا هاما • الا أن نجاح أى تخطيط للطاقات الانسانية لا يمكن أن يتحقق عن طريق القسر والاجبار ، بل من خلال عمليات التوجيه الدراسى والمهنى للطلاب التى تقوم على أسس نفسية واجتماعية سليمة •

● ضمان تكافؤ الفرص التعليمية خاصة لابناء العمال والفلاحين :

لكى يحقق التعليم الجامعى اقصى عائد ممكن ، لابد أن تتوافر له الظروف الملائمة للتعليم المثمر • والامر هنا لا يقتصر على توفير الامكانيات والوسائل اللازمة للتعليم ، بل ان توفير الجو النفسى الملائم للطلاب ، وتقديم الخدمات المختلفة لهم أمر ضرورى لضمان حسن استفادتهم من التعليم الذى يقدم لهم • بل ان تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية يتطلب الاهتمام بهذا الجانب وخاصة بالنسبة لابناء العمال والفلاحين الذين حرموا طويلا من هذا النوع من التعليم ، والذين لم تتطور ظروفهم المعيشية الى الحد الذى يتيح لهم نفس الظروف المحيطة بأبناء القوى الاخرى للشعب •



أولا : نظام التعليم العالى فى الاتحاد السوفييتى
ثانيا : المدرسة البوليتكنيكية فى ألمانيا الديمقراطية
ثالثا : التعليم الثانوى فى المجر
رابعا : بعض قضايا التعليم فى رومانيا
خامسا : التعليم العام فى بولندا
سادسا : الصين الشعبية والثورة البروليتارية فى التعليم

تتميز النظم التعليمية فى البلاد الاشتراكية المختلفة بأنها جميعا نشأت على أنقاض نظم تعليمية رجعية متخلفة ، كما أنها تكاملت من خلال معارك بالغة الضراوة سواء ضد الامبريالية أو الثورة المضادة فى الداخل ، وعلى هذا النحو فقد تحدد منذ البداية الهدف الرئيسى لهذه النظم ، وهو أن تكون سلاحا فى يد الطبقة العاملة والجماهير الشعبية فى كفاحها من أجل بناء الحياة الجديدة التى قامت الثورة الاشتراكية من أجلها ·

فالنظم التعليمية فى الاتحاد السوفيتى مثلا نشأت فى مواجهة أوضاع روسيا القيصرية بكل رجعيتها وتخلفها ، ومن خلال صراع طبقى حاد ومرير ضد قوى الثورة المضادة فى الداخل ، وضد

حروب التدخل، ثم فى مواجهة ظروف الحرب المريرة التى خاضها الشعب السوفيتى ضد الغزو النازى ، كانت روسيا - قبل الثورة - بلد الامية والجهل ، ولكن **لينين** ، انطلاقا من الثقة المطلقة بالجماهير وقدراتها ، أمن بأن الثورة تستطيع أن تستكشف وأن تنمى المواهب الكامنة للشعب ، وأن العمال والفلاحين - وقد ألقوا عن كاهلهم نير الاستغلال والقهر يستطيعون استيعاب واتقان العلوم الحديثة والتكنيك المتقدم ، وعلى هذا الاساس هدفت النظم التعليمية السوفيتية قبل اى شىء الى تمكين العمال والفلاحين من كل فرص العلم والمعرفة ، فأصبح العلم حقا للجميع ، كما اصبح اجباريا بالنسبة للاطفال والبالغين ، وبصرف النظر عن اية أوضاع متعلقة بالملكية أو الطبقة أو القومية أو الجنس أو الدين ، كما فتحت لاول مرة فى التاريخ أبواب التعليم العالى للعاملين وابنائهم ، وأصبحت الدراسة الجامعية مجانية ، بل وأصبحت الدولة هى التى تعول الطلبة وتقدم لهم المنح .

وأما بالنسبة لمجموعة البلاد الاشتراكية فى شرق أوروبا ، والتى انتصرت فيها الثورة الاشتراكية مع دحر الفاشية الهتلرية ، فقد ترك هذا الظرف التاريخى طابعه الخاص على طبيعة النظم التعليمية التى اختطتها السلطة الثورية الجديدة فى كل منها ، ففى المانيا على وجه التحديد أصبح من المحتم مراقبة الجهاز التعليمى بما يقضى على التعاليم النازية والعسكرية ويضمن ازدهار الافكار الديموقراطية ، واجتثاث الاسس الفكرية للدعاوى العنصرية عن تفوق « **الجنس الارى** » ، والدعاية للحرب والعدوان ، وبينما كان شعار النبلاء الالمان فى المجتمع القديم هو « **أريد ثورا أمام المحراث وثورا خلفه** » أصبح هدف الدولة الاشتراكية الجديدة هو أن تفتح طريق التعليم على مصراعيه أمام الكادحين حتى أعلى الدرجات ، وبشكل عام فقد تحدد للسياسة التعليمية الالمانية الجديدة طريق واضح المعالم يتمثل فى الاستفادة من الدروس المريرة المستخلصة من حربين عالميتين ، وضرورة استئصال جذور الفاشية والنازية والروح العسكرية ، وتأكيد خبرات الطبقة العاملة الالمانية والدولية .

وكذلك كان الحال بالنسبة لبولندا ورومانيا والمجر ، فعلى انقاض نظم التعليم القديمة التى خططت لصالح الاقلية الحاكمة من الاقطاعيين والرأسماليين ، وفى مواجهة التخريب والدمار الذى سببه الغزو النازى ، ومع تركة مثقلة من الامية والتخلف ، شرعت السلطة الاشتراكية فى كل من هذه البلاد فى وضع نظم جديدة للتعليم هدفها الاول فتح كل الافاق أمام الطبقة العاملة والجماهير الشعبية .

وسنحاول فى هذا العرض أن نتناول من بعض التجارب الاشتراكية كل على حدة ، مركزين على أحد جوانبها بالتفصيل ، وفى الختام سنطرح تجربة الصين فى مجال النظم التعليمية كتجربة تحمل طابعها الخاص :

أولا : نظام التعليم العالى فى الاتحاد السوفيتى

يقوم نظام التعليم العالى فى الاتحاد السوفيتى على عدة مبادىء رئيسية منها :

١ - وضع خطته وفقا لاحتياجات عملية البناء الاشتراكى ، بحيث يوفر للملايين من العاملين التدريب والتعليم وفقا للضرورات العلمية والتكنولوجية والثقافية والاجتماعية .

٢ - مواكبة وتحقيق التقدم الاقتصادى والثقافى .

٣ - تحمل الدولة لكافة نفقات التعليم وفتح ابواب الجامعات امام الجميع .

٤ - مراعاة مبادىء الوطنية والاممية .

٥ - القضاء على انفصال الفكر عن العمل .

وينقسم التعليم العالى فى الاتحاد السوفيتى الى أنواع ثلاثة هى الجامعات ، والمعاهد العامة ، والمعاهد المتخصصة .

● **الجامعات :** وهى مراكز علمية فى الاساس تقوم بمختلف الابحاث وبتدريب المتخصصين المؤهلين للمنشآت العلمية والثقافية والتعليمية وأجهزة الدولة ، والهدف الاساسى للجامعات هو تزويد طلابها بأساس نظرى متين ، وتعويدهم على الجمع بين الدراسة والبحث ذى الفائدة النظرية والتطبيقية ، وذلك لتوفير الاساس النظرى العصرى للتقدم التكنولوجى فى كل فروع الانتاج والحياة .

● **المعاهد العامة - المعاهد المتخصصة :** يمثل هذان النوعان مؤسسات التعليم التكنولوجى فى الاتحاد السوفيتى ، اما الاول - المعاهد العامة - فيحتل مكانة خاصة فى نظام التعليم العالى ويضم اقساما متعددة لتدريب المهندسين على المهن المختلفة ، وهذه الاقسام توضح التغيرات التى طرأت على الاقتصاد والعلم السوفيتى خلال الثورة الاشتراكية ، اما المعاهد المتخصصة فهى التى تقوم باعداد القوى العاملة المتخصصة مثل معاهد

التعدين، والمناجم، والبناء، والهندسة الكيميائية، والنقل .

وبالاضافة الى هذين النوعين من المعاهد يوجد نوع ثالث متوسط مثل معهد موسكو للطاقة، والذى يضم ٣٦ تخصصا مختلفا رغم اقتصارها جميعا على مجال الطاقة ·

وقد اولت السلطة السوفيتية عناية فائقة للدراسات التكنولوجية بأنواعها، ويكفى أن نذكر أن عدد المهندسين ازداد فى ظل الثورة الاشتراكية بمقدار ٢٢٥ مرة، وأنه قد تم انشاء ٢٢٧ كلية تكنيكية تضم ٢٦٠ تخصصا، كما تصل نسبة طلاب الهندسة الى ١ر٤٥ فى المائة من مجموع الطلاب، كما تستهدف الخطة الخمسية (٦٦-١٩٧٠) تدريب وتعليم أكثر من مليون مهندس و ٢ر٢ مليون فنى ·

والى جانب الجامعات والمعاهد النظامية انشأت الدولة، ولصالح العمال والفلاحين بشكل خاص، نظام الدراسات المسائية والدراسة بالمراسلة والتى تقدمها الان ٢٩ كلية تضم أكثر من الف قسم وبها ما يزيد عن ٥ر٢ مليون طالب ·

● نظام القبول بالجامعات السوفيتية :

تصدر وزارة التعليم العالى قواعد للالتحاق كل عام، وبموجبها يقبل كل طالب تقل سنه عن ٣٥ سنة، ويجتاز مسابقة القبول التى تجريها الكليات على اساس مناهج الدراسة الثانوية لكشف مدى قدرته على استيعاب برامج الكلية المتقدم لها، كما تؤخذ أيضا فى الاعتبار درجات الطالب فى المرحلة الثانوية، وتقسم الاماكن بنسبة عدد المتقدمين من الطلبة والعمال والفلاحين والجنود المسرحين، ولكل فئة من هذه الفئات امتحان للقبول خاص بها يسبقه نوع من الدراسات الخاصة كاعداد له، كذلك تعطى بعض الامتيازات فى القبول للمتفوقين فى المرحلة الثانوية أو فى المهنة . هذا وتقوم المنظمات الجماهيرية والنقابية والصناعية والزراعية بدور كبير فى تشجيع أعضائها على الالتحاق بالجامعة ·

● أساليب التدريب الرفيع والمتخصص :

من أهم ما يميز نظم التعليم العالى فى الاتحاد السوفيتى أن الدراسة الجامعية لا تعتبر نهاية للتعليم، فالتعليم العالى بالجامعات يهدف اولا وقبل كل شىء الى تقديم الخريج القادر والراغب فى مواصلة الدرس مدى الحياة، فيراعى فى اختيار مواد الدراسة وأساليب البحث والتعليم أن تكون على النحو الذى يشجع ويمكن الطالب من العمل والبحث المستقل، كما تراجع المواد الدراسية باستمرار لتتفق مع انجازات العلم والتكنولوجيا ·

وفى البدء تزود الكليات طلبتها بالمعارف العامة، أما التخصص فيبدأ بعد سنتين أو ثلاث سنوات ·

وفى الدراسات النظرية يتبع أسلوب المحاضرات والعمل فى المعامل والندوات (يقضى طلبة الدراسات الانسانية من ٥٠-٦٠ فى المائة من الوقت فى المحاضرات، أما الدراسات التكنيكية فتستغرق محاضراتها من ٣٥-٥٠ فى المائة من الوقت) · وبعد طلبة الدراسات التكنيكية مشروعات تبين مقدرتهم على ممارسة المهنة، أما طلبة العلوم الانسانية فيقدمون أبحاثا ·

وتقوم الكليات بالعمل العلمى والابحاث - الى جانب العمل التعليمى - اذ يجمع اساتذتها بين التدريس والبحوث (٢٦٠ ألف أستاذ ومدرس، ٥٤ ألف معيد) · والبحث العلمى ضرورى لرفع مستوى التعليم ذاته، علاوة على حل المشاكل العلمية والتكنولوجية، وعادة تتم الابحاث بصورة مشتركة بين الكليات أو فى مراكز الابحاث التابعة للكليات ·

● الاشراف على الجامعات :

لكل جمهورية وزارة أو لجنة مسئولة عن الكليات والمعاهد الموجودة بها، كما تتبع بعض الكليات الوزارات المختصة مباشرة، مثل كلية المواصلات التى تتبع وزارة المواصلات، وكلية الاشجار والغابات التى تشرف عليها وزارة الزراعة ·

ويدير الكلية رئيس له ثلاثة مساعدين مسئولين عن الدراسات والابحاث العلمية والوقاية والصيانة، ويقود الرئيس المجلس الاكاديمى المكون من المشرفين على الدراسات والابحاث، ويوجد بالكليات الكبرى مجالس يرأسها العمداء ·

أما مجلس الاساتذة فهو الوحدة الاساسية بالكلية، ويشرف على المناهج والتدريس والبحث العلمى، ويرأس المجلس استاذ يشرف على المعامل وفصول الدراسة، ويلقى المحاضرات، ويقدم المشورة لهيئة التدريس ويراقب تقدم الطلبة ·

● الروابط الاممية والتعاون الدولى :

للجامعات السوفيتية روابط دولية واسعة، فيتم تبادل الدراسات والابحاث مع ٤٠٠ جامعة، كما تتم اعارة الاساتذة والمحاضرين، وقد قام ١٦ ألف

أستاذ سوفيتى بالعمل بأكثر من ١٠٠ بلد قاموا فيها بالتدريس أو المشاركة فى التدريب ٠

ومنذ ١٩٤٥ أصبح لطلبة البلدان الاشتراكية حق تلقى العلم فى الاتحاد السوفيتى ، كما يتم تعاون جامعى واسع مع البلدان النامية (حوالى ٢٤ ألف دارس) ، كذلك أقام الاتحاد السوفيتى ٢٢ كلية جامعية فى البلدان النامية ٠

ثانيا : المدرسة الثانوية البوليتكنيكية العامة فى جمهورية ألمانيا الديموقراطية

يؤمن المربون الالمان بفكرة القس التشيكى وعالم التربية **كومينوس** بأن الاطفال يجب أن يتعودوا على العمل فى سن مبكرة حتى يؤمنوا بأن البطالة شىء لا يمكن احتماله ، فالعمل « **نصف معلم** » ، ولكن من الاهمية بمكان التوصل الى الاساليب التربوية السليمة للتعليم أثناء العمل ٠

والغرض الاساسى من التعليم التكنيكى هو تزويد الطلاب بأساس تكنيكى متعدد الجوانب ، لا تدريبهم على مهنة معينة ، فالتعليم التكنيكى على أساس هذا الفهم الذى تهدف اليه المدرسة الثانوية البوليتكنيكية فى جمهورية المانيا الديموقراطية يختلف تماما عن التدريب المهنى المتخصص فى غاياته وبرامجه ووسائله ٠

وهذه المدرسة التى تتميز بها التجربة الالمانية هى مدرسة موحدة ، مدتها عشر سنوات ، والزامية لجميع الابناء ، وسواء انتهى الشاب الالمانى الى أن يصبح عاملا فى مصنع أو استاذا فى جامعة فلا بد له من المرور بهذه المدرسة ، وبسنواتها العشر ٠

وتنقسم الدراسة فى هذه المدرسة الى نوعين من المواد :

١ - المواد النظرية التقليدية ومنها : اللغات والرياضة والطبيعة والفلك والكيمياء والجغرافيا والاحياء ٠

٢ - المواد التطبيقية العلمية مثل : مقدمة فى الانتاج الاشتراكى ، والعمل فى الانتاج ، والرسم الصناعى ٠٠ الخ ٠

والواقع ان التعليم التكنيكى لم يهدف الى سد تدريسها الا فى الفصل الدراسى السابع خلال ما يسمى « **باليوم التعليمى للانتاج** » ، حيث يخصص يوم للتدريب على الانتاج ، بأعتباره اساسا للتربية التكنيكية العملية ولتعلم القواعد العلمية والمبادىء الاساسية للانتاج حتى يمكن تعريف الصغار بالناحيتين النظرية والعملية ، وفى هذا اليوم العملى يتلقى التلاميذ دروسا مدتها ٣ ساعات (فى الصف السابع والصف الثامن) و ٤ ساعات (فى التاسع والعاشر) فى أحد المصانع أو المزارع أو المراكز التكنيكية العملية ، داخل ما يسمى « **الفصل التكنيكى العملى** » و « **أقسام أنتاج التلاميذ** » ٠

كذلك يدرس التلاميذ فى مادة « **مدخل للانتاج الاشتراكى** » مقدمة فى اسس التكنولوجيا الالية والهندسة والاقتصاد ٠

أما عن المشاركة الفعلية لتلاميذ المدرسة فى الانتاج فيراعى ألا تكون مجرد عملية مظهرية أو شكلية ، وأنما هى بالفعل مشاركة تتصف فى وقت واحد بالانتاجية الفعلية ، وبالفائدة وبالتناسب مع قدرات التلاميذ القائمين بها ، كما يكلف التلاميذ بفحص بعض المشكلات كوسيلة لاكتساب المعلومات التى لا يمكن أن تتكامل دون استخدام المعلومات النظرية التى سبق لهم استيعابها فى دروس الرياضة والعلوم وغيرها ، وتؤدى هذه المهام العملية الى تأكيد واظهار العلاقة بين مختلف المعارف كما تكسب التلاميذ خبرات يستفيد منها مدرسو الرياضة والعلوم والكيمياء وغيرها فى توضيح وشرح دروسهم ٠

ويكتسب هذا التعليم التكنيكى اهميته من عدة عوامل :

١ - أن الانتاج المادى يلعب دورا حاسما فى حياة الناس ٠

٢ - أنه يؤكد فكرة الربط بين النظرية والتطبيق ٠

٣ - أنه يمثل عنصرا هاما من عناصر الثقافة العصرية ، وشرطا ضروريا القيام بالواجبات والمحافظة على الحقوق فى المجتمع الاشتراكى ٠

٤ - أنه يمكن التلاميذ من التحرر من الشعور بالغربة بعد انتهاء دراستهم ودخولهم الى الحياة العملية ٠

٥ - كما أنه يعطى الطبقة العاملة ، بفكرها وأساليبها ، فرصة للتأثير الثورى على تعليم الاجيال القادمة ٠

والواقع أن التعليم التكنيكى لم يهدف الى سد

نقص عاجل في الايدى العاملة بتشغيل الطلاب لبعض الوقت ، والا ما كانت فترة التعليم العام وحدة لتمتد من ٨ — ١٠ سنوات ، أن الغرض الاساسى من هذا التعليم هو خلق الشخصية الجديدة المسئولة عن بيئتها وعن مجتمعها وعن الانتاج فيه ، وأن تصبح متعة الخلق لدى الصغار حاجة ضرورة لديهم تكسب حياتهم معناها وقيمتها ٠

ولما كانت الديمقراطية الحقة لا تقوم الا على أساس المشاركة فى تحمل المسئولية واتخاذ القرارات ،فان ذلك لا يمكن أن يتحقق الا على أساس من المعرفة الفنية المتنامية ٠

وتنقسم الدراسة فى المدرسة البوليتكنيكيةالى المراحل التالية :

الاولى : وهى المرحلة الابتدائية وتمتد حتى الصف الثالث ٠

الثانية : وهى المرحلة المتوسطة وتمتد حتى الصف السابع ٠

الثالثة : وهى المرحلة الثانوية وتنتهى فى الصف العاشر ٠

فى المرحلة الابتدائية يتم تعليم الدروس الاساسية كاللغة والرياضيات والالعاب والرسم والموسيقى ، وفى المرحلة المتوسطة تدرس العلوم الطبيعيةوالمواد الاجتماعيةواللغات الاجنبية ، أما فى المرحلة الثانوية فتزيد مواد مثل الكيمياء والاحياء والجغرافيا ، علاوة على الدروس العملية التى تهدف كما ذكرنا الى دفع الطلاب وتمرينهم على الحصول على الخبرات بأنفسهم ، وتربيتهم على الادراك العميق بأن المعرفة الحقة هى تلك التى تتضمن فائدة عملية ٠

وفى رأى علماء التربية الالمان ، أن البوليتكنيك ليس موضوعا يتم تعليمه فى المدرسة فحسب ، انما هو أيضا منهج فى التربية ، فهو لا يقتصر على ساعات مفروضة تقضى فى المصانع ، وانما هو يهدف فى الاساس الى ربط كل موضوعات التعليم بالحياة ٠

هذا ومن الملاحظ ان هذا الواجب الضخم المنوط بالمدرسة البوليتيكنيكية لا تنهض به وحدها ، وانما يشارك مع مدرسيها عديد من الافراد والهيئات على النحو التالى :

١ — **المشرف العمالى بالمصنع** أو المركز التكنيكى ، لانه أكثر الماما بالمشروعات وبالعمل اليدوى ، وهو فى هذا يتعاون مع المدرس ، ويتبادلان الرأى فيما جاء بالمكتبة وفيما يحدث فى التطبيق العملى ٠

٢ — **المجلس البوليتكنيكى الاستشارى :** ويضم ممثلى ادارة المشروع والمهندسين والمشرفين والعمال المهرة والملاحظين والمدرسين وممثلى النقابات ومنظمات الشباب ، وذلك لتقديم خبراتهم وتقييم التعليم البوليتكنيكى فى المشروع وتطويره باستمرار ٠

٣ — **اجتماعات مجلس الاباء الاستشارية** فى المدارس والتى تعقد دوريا وتتم فيها منافسة مواد الدراسة والاساليب التعليمية ٠

أن الطريق الى السياسة الالمانية الجديدة فى التعليم ، والذى يتمثل أصدق تمثيل فى هذه التجربة الرائدة ، تحدد معالم الحقائق التالية :

١ — الاستفادة من التجارب المريرة للحربين العالميتين ٠

٢ — استئصال جذور الفاشية والامبريالية والروح العسكرية ٠

٣ — تحقيق أحلام ومثل أكثر المفكرين والمربين تقدما وانسانية

٤ — تأكيد خبرات الطبقة العاملة الالمانية والعالمية ٠

٥ — الاستجابة لاحتياجات المستقبل ٠

ثالثا : التعليم الثانوى فى المجر

قبل الثورة ، كان التعليم الثانوى ترفا لا يقدر عليه الا الموسرون ، ولم تزد نسبة أبناء العمال والفلاحين فيه عن ٢ر٧ فى المائة ، أما بعد الثورة فقد أزيلت كافة الحواجز الطبقية وفتحت الابواب كلها أمام جماهير الشعب الكادحة ٠

وعندما وجدت الدولة — وحتى بعد تقرير مجانية التعليم الثانوى ، أن الالتحاق به على أساس مجموع الدرجات فحسب مازال يتيح فرصا أكبر أمام أبناء الاسر الموسرة بسبب قدرتهم على الحصول على فرص أكبر للتعليم على نفقتهم الخاصة فى منازلهم ، بينما يحرم أبناء العمال والفلاحين من هذه الامكانية ، توصلت الدولة الى نظام يقضى بتقسيم الطلبة المتقدمين الى المدارس الثانوية الى شرائح طبقا لاوضاعهم

الاجتماعية ، وبحيث يوضع فى الاعتبار الشريحة التى ينتمى اليهـــا الطـــالب الى جـــانب المعـــرفة والاستعداد ، وعلى أساس هذا التقسيم أصبح أبناء العمال والفلاحين ينتمون الى الشريحـــة الاولى صاحبة الافضلية ، بينما ينتمى أبنـــاء الطبقات صاحبة الامتيازات السابقة الى الشريحة الاخيرة •

ولقد أتاحت هذه التجربة الفرصة لابناء العمال والفلاحين للالتحاق بالمدارس الثانوية بـــأعداد متزايدة ، وأخذت نسبتهم فيها ترتفع بالتدريج •

ولكن فى الوقت الراهن ، وقد أمكن مواجهة الرواسب الطبقية التى كان لابد من مواجهتها بشكل حاسم فى المرحلة الاولى للسلطة الثورية ، فقد تم العدول عن هذا النظام الذى لم يعد له ما يبرره ، والذى رأى فيه البعض تمييزا يتم ضد مشاعر القطاعات الاخرى من الشعب •

وكانت المرحلة الثانوية فى نظام التعليم بالمجر تشمل ثلاث شعب مدة كل منها أربع سنوات وهى : **شعبة الكلاسيكيات ، وشعبة اللغات الحديثة . وشعبة العلوم الطبيعية** ، ثم تم اختصارها الى شعبتين فقط ، الاولى **شعبة العلوم** والثانية **شعبة الانسانيات** •

كما أنشىء نوع آخر من المدارس الثانوية ، هو المدارس الثانوية الفنية ، بهدف اعداد الفنيين للمجال الصناعى والزراعى ، وقد أمكن لهـــذه المدارس بالفعل أن تحقق المهام المرسومة لهـــا ووصلت الى قمة ازدهارها فى الخمسينات عندما تمكنت من تلبية المطالب المتجددة للمجـــالات الانتاجية المختلفة •

ولكن ثبت فيما بعد أن المدارس الثانوية الفنية ، ورغم ما حققته من نجاحات لم تعد قادرة على ملاحقة التقدم العالمى السريع فى مجـــال الثورة العلمية والتقدم التكنولوجى ، كما ان خريجى هذه المدارس من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين الثامنة عشرة والعشرين بخبرتهم العملية القليلة ودرايتهم الادارية الاقل لم يتمكـــنوا من شـــغل مراكزهم فى المواقع الانتاجية والادارية بالكفاءة المطلوبة بسبب القصور فى مستوى التعليم الذى حصلوا عليه فى المدرسة الثانوية الفنية ، بل ان عددا كبيرا منهم كان مضطرا الى الحصول على المزيد من التدريب والمران قبل أن يتمكن من الحصول على وظيفة •

لقد نتج هذا الوضع ، من ضمن عوامل أخرى ، عن التخصص الضيق المبالغ فيه ، والذى أدى الى صعوبة التحول من مهنة الى أخرى دون ضياع كثير من الوقت والجهد ، فى الوقت الذى تندثر فيه صناعات كثيرة قائمة ، وتطرح الحياة صناعات وتخصصات جديدة لم تكن معروفة من قبل •

فى مواجهة هذه الازمة لجأت الدولة الى انشاء نوع جديد من المدارس الثانوية المهنية لتلافى عيوب ونقائص المدرسة الثانوية الفنية •

● **المدرسة الثانوية المهنية :**

أنشئت هذه المدارس عام ١٩٦١ ، ومـــدة الدراسة بها ٤ سنوات ، ويتم الالتحاق بها بعد الانتهاء من المرحلة العامة ذات الـ ٨ سنوات •

وتوفر هذه المدارس الجديدة لتلاميذها تأهيلا مهنيا مناسبا فى نفس الوقت الذى تعدهم فيه للحصول على شهادة اتمام الدراسة الثانوية ، وعلى هذا النحو أمكن وضع أساس علمى لازالة التفاوت فى النظرة الاجتماعية لكل من التعليم الثانوى النظرى والتعليم المهنى مما أدى الى تزايد الاقبال على هذه المدارس الثانوية المهنية التى تجمع بين التدريب المهنى الجيد والحصول على شهادة الدراسة الثانوية ، بحيث يستطيع من لا يلتحق بالجامعة من خريجيها أن يشق طريقه فى الحياة بسهولة بفضل ما لديه من اعداد مهنى •

● **أزمة المدرسة الثانوية النظرية :**

لما كانت المدرسة الثانوية النظرية لاتمد خريجيها بالمهارات أو التدريب اللازم للانخراط فى الحياة الاجتماعية ، ولما كان حوالى ٧٥ فى المائة من هؤلاء الخـــريجين لا يســـتطيعون الالتحـــاق بالجامعات ، فقد تعرضت هذه المدارس وخريجوها لازمة حادة ، خاصة بعد انتشار المدارس الثانوية المهنية الحديثة وارتفاع نسبة المقبولين مـــن خريجيها فى الجامعات الى ٥٠ فى المائة ، لما ثبت من تفوقهم على أقرانهم من خريجى المـــدارس الثانوية النظرية •

وقد واجه المسئولون عن التعليم هذه الازمة بعدة اجراءات أهمها :

١ ـ تجديد المناهج بحيث تكون أكثر ملاءمة لواقع الحياة والتقدم •

٢ ـ ادخال التدريب العملى لمدة يوم كامل كل أسبوع بهدف اكساب التلاميذ أحد المهـــارات الفنية وهو ما عرف بنظام ٥ + ١ (اى خمسة أيام دراسة+يوم تدريب عملى كل اسبوع)،وذلك بهدف تضييق الهوة بين التعليم الثانوى النظرى ، والتعليم المهنى •

على أن هذا التحول ووجه منذ البداية بعقبات كبيرة ، وظلت احدى المشكلات الكبرى للحياة الاقتصادية وللتعليم الثانوى العام فى نفس الوقت ، هى كيفية الملاءمة بين التدريب المهنى والتعليم العام ، حيث يمثل الربط الناجح بينهما السبيل الوحيد لمواجهة المتطلبات المتزايدة للانتاج ٠

وقد تمثلت أخطر العقبات فيما يلى :

١ ـ جمود المناهج ٠

٢ ـ التعارض بين محاولات التجديد وبين أساليب التدريس العتيقة الراسخة ، والمعدات والادوات والوسائل المختلفة .

ولم يكن من الممكن تخطى هذه الازمة الا بوضع مناهج جديدة تلتقى مع متطلبات الثورة العلمية والتقدم التكنولوجى ، والا بانشاء المدرسة القادرة على تلبية احتياجات المجموعات الكبيرة من أبناء العمال والفلاحين التى أتاحت لهم الثورة الاشتراكية كل فرص العلم ٠

رابعا : قضايا التعليم فى رومانيـا

حققت التجربة الرومانية انجازات هامة كما وكيفا ، ولقد كانت أولى المشاكل التى واجهتها السلطة الثورية الجديدة مشكلة الامية ، اذ وصل عدد الاميين الى أربعة ملايين ، ولذلك كانت المعركة الاساسية الاولى التى خاضتها الدولة فى مجال التعليم موجهة لمحو الامية ، والحقيقة البارزة فى هذا المجال ، الى جانب جهود الدولة التى رصدت كل ما يلزم من امكانيات متخطية كل العقبات التى يفرضها واقع التضاريس المعقدة والعزلة الكاملة للمناطق الجبلية النائية ، ومدها القرى بالمعلمين متى توفر فى القرية ٧ أطفال فى سن الالزام ، الحقيقة البارزة الى جانب هذه الجهود المثمرة من جانب الدولة هى اشتراك المثقفين والكوادر العلمية فى برامج وحملات محو الامية على أساس التطوع مما أتاح الفرصة للقضاء على الامية بين البالغين خلال سبع سنوات ٠

● التعليم فى رياض الاطفال :

تعتبر رياض الاطفال أول خطوة فى النظام التعليمى ، ورغم أن الالتحاق بها اختيارى الا أنها فى ازدياد مستمر ، حتى انها استوعبت عام ٦٩ ـ ٧٠ نصف عدد الاطفال بين الثالثة والخامسة ، وهذه الرياض لا تهدف فحسب الى تطوير النمو العقلى والبدنى والروحى للاطفال ، وانما هى تلعب أيضا دورا اجتماعيا هاما بتوفيرها الاقامة والتعليم المجانيين لاطفال الامهات العاملات ٠

هذا وتقوم الدولة باقامة رياض اطفال موسمية فى المناطق الريفية تعمل لمدد تتراوح بين ٥ ـ ٦ ساعات فى الفترة من أول مارس و ٣٠ نوفمبر عندما ينشغل الوالدان فى الاعمال الزراعية ، كما يستمر العمل فى بعض رياض الاطفال ، وبناء على رغبة الفلاحين ، الى ٩ ـ ١٢ ساعة يوميا فى فترات اشتداد العمل ٠

● التعليم العام :

يشمل التعليم العام جميع الاطفال بين سن السادسة والسادسة عشرة وهو يهدف الى تعليم التلاميذ أسس الثقافة العامة ، والى تطوير نموهم العقلى والبدنى وتنمية حب العمل واحترامه فى نفوسهم ، كما يقدم لهم فرص تعلم بعض المهارات العملية ويرشدهم ويوجههم ـ تبعا لميولهم ومواهبهم ـ لاستكمال تعليمهم ، أو للقيام بدورهم فى مختلف قطاعات العمل ٠

على أن الاهتمام بهذه المرحلة انما ينبع من أنها الحلقة الرئيسية فى نظام التعليم التى يعود اليها الفضل فى تشكيل صانعى المستقبل ٠

ويتم أول توزيع للتلاميذ بعد مرحلة التعليم العام على مراحل التعليم التالية عند الصف الثامن ، حيث تجرى مسابقات القبول بالمدارس الثانوية العامة والمدارس الثانوية الخصوصية (الفنية) ، أما التلاميذ الذين لا يلتحقون بالمدارس الثانوية وما فى مستواها فهم ملزمون باستكمال دراستهم بالصفين التاسع والعاشر بالمدرسة العامة حيث يتلقون تدريبا يعدهم للانخراط فى الحياة العملية ، الى جانب تلقيهم لنفس المواد الثقافية العامة التى يدرسها تلاميذ الصفين الاول والثانى بالمدرسة الثانوية العامة ٠

وحتى تتاح الفرصة للمواطنين الذين لا يتمكنون لسبب أو آخر من استكمال دراستهم فى المدرسة العامة ، زودت هذه المدارس بأقسام للدراسات المسائية والاقسام الداخلية ٠

هذا وتستمر الدراسة فى مدارس المدن أول سبتمبر حتى ١٥ يونيو ، وفى مدارس الريف من أول نوفمبر حتى ٣٠ أبريل ، ويستطيع التلاميذ كبار السن المنضمون لهذه الدراسات أن يجتازوا صفين دراسيين خلال سنة دراسية واحدة ٠

● المدرسة الثانوية العامة :

تهدف هذه المدرسة الى تزويد تلاميذها بثقافة على مستوى جيد تجعلهم وثيقى الصلة بالمشكلات الفنية والعلمية المعاصرة ، كما تعد خريجيها لمواصلة التعليم العالى ، وللمساهمة النشطة فى المجالات الاقتصادية والثقافية ٠

وتنقسم الدراسة الثانوية العامة الى شعبتين : احداهما **للعلوم** ، والاخرى **للانسانيات : ويجرى** التقسيم ابتداء من السنة الاولى ٠

وقد انشئت بعض فصول للتخصص فى

الرياضيات والطبيعة والتاريخ الطبيعي واللغة اليونانية واللاتينية للتلاميذ حسب تفوقهم ، أما مواد التخصص فتدرس بعمق كبير وترصد لها ساعات اضافية فوق المخصص لها في الفصول العامة .

كما يوجد نوع من التخصص في احدى اللغات الاجنبية على مستوى رفيع . ويبدأ من السنة الاولى حيث يركز عليها في السنوات الاولى ، ثم تبدأ دراسة المواد الاخرى تدريجيا ، وبهذه اللغة نفسها .

● **المدرسة الثانوية الخصوصية :**

وهي تشمل المدارس الزراعية والصناعية والاقتصادية والطبية ومدارس المعلمين ، ويحصل خريجو هذه المدارس في نهاية دراستهم (وهي ٥ سنوات للمدارس الزراعية والصناعية و ٤ للمدارس الاقتصادية) على دبلوم في مادة تخصصهم يسمح لهم بالمساهمة العملية في المجالات المختلفة ، ويسمح لهؤلاء الحاصلين على الدبلومات باستكمال دراستهم العالية في الجامعات والمعاهد العليا ، هذا ويتم الالتحاق بهذه المدارس الخصوصية عن طريق امتحان مسابقة .

● **المعلم وسياسة التعليم الرومانية :**

تهتم الدولة بتوفير العدد اللازم من المعلمين ، وقد وصل عددهم الى ٢٠٠ر٠٠٠ في عام ٦٩ ـ ١٩٧٠ بعد أن كان ٤٥ر٠٠٠ عام ٣٨ ـ ١٩٣٩ ، هذا وتقدم الدولة كافة الدراسات التربوية والتخصصية لخريجي الجامعات عند تأهيلهم لوظيفة التدريس .

ويحظى الوضع المادي للمعلم بقدر فائق من العناية سواء من ناحية المرتب أو من ناحية الحوافز ، فالمعلم يعامل معاملة متميزة عن غيره من موظفي الدولة ، وقد وضع له نظام خاص يراعي تخصصه وأقدميته ومدى اتقانه لعمله ونجاحه في أداء واجباته .

وهناك أسلوبان لمعاملة المعلمين :

الاول : يأخذ أقدمية المعلم بعين الاعتبار حيث يزداد المرتب مع زيادة سنوات الخدمة العامة .

الثاني : يعتبر السنوات الثلاث الاولى من الخدمة العامة تعيينا مؤقتا يتعين على المعلم في نهايتها أن يجتاز امتحانا تقرر نتيجته ما اذا كان سيستمر في مهمته ، وهو امتحان شاق للغاية .

وعند الترقي الى درجات أعلى بعد هذا الامتحان يتعين اجتياز امتحان جديد ، وبمقتضى هذا النظام يستطيع خريج الجامعة الجاد في عمله وفي زيادة محصوله العلمي واتقانه لمهنته أن يصل في خلال ١٣ سنة الى أعلى السلم الوظيفي مما يكفل له وضعا ماديا وأدبيا مرموقا ، أما اذا لم يدخل المعلم هذه الامتحانات فيبقى مرتبه بعد ٢٥ سنة عند المستوى الذي يصل اليه من اجتاز الامتحانات بعد ١٣ سنة .

هذا ويعطى المعلمون العاملون في المناطق الجبلية مرتبات اضافية بل وكانت الدولة في بعض الاحيان تمنح العاملين في الريف قطعة من الارض وسلفة نقدية تسدد على عشرين سنة بفوائد ضئيلة .

خامسا : التعليم العام في بولندا

لعل أبرز ما يصادفنا في التجربة البولندية في مجال التعليم أن ميزانية الدولة غداة التحرر من النازية لم تكن كافية للتوسع في التعليم واعادة بنائه ، فلجأت السلطة الثورية الجديدة الى الجماهير الشعبية التي اكتتبت لتمويل مشروعات التعليم ، وتمت حملات لجمع التبرعات مكنت الدولة من بناء ١٠٠٠ مدرسة جديدة .

● **المدرسة الابتدائية والمدرسة الثانوية :**

وكان أول ما اتجهت اليه سياسة التعليم بعد التحرير هو جعل التعليم الابتدائي عاما وموحدا ، مجانيا والزاميا ، ولمدة سبع سنوات زيدت فيما بعد الى ثمانية ، تليها المدرسة الثانوية ذات الصفوف الاربعة ، وفي نفس الوقت أدمجت المدرسة الثانوية في المدرسة الابتدائية لتشكل مدرسة واحدة للتعليم العام مدتها ١٢ سنة ، كما ألغيت التفرقة بين دراسة الانسانيات ودراسة العلوم الطبيعية والرياضيات ، وبحيث تم التركيز على دراسة العلوم الطبيعية والرياضيات مع احتفاظ المواد الانسانية باهتمام ونصيب وافر في برامج الدراسة .

● **برامج الدراسة الثانوية :**

أعيد النظر في برامج الدراسة من كلا الزاويتين العلمية والتربوية ، وأصبحت المدرسة الثانوية تقدم لجميع التلاميذ درجة واحدة من التعليم العام والتكنولوجي ، وأدخل نظام الدراسات الاختيارية على مستوى أعلى في مجموعات الانسانيات ، والرياضيات ، والطبيعة ، والتاريخ الطبيعي ، والكيمياء ، والجغرافيا والاقتصاد ، واللغات الاجنبية ، ومن أجل تمهيد واعداد التلاميذ لاختيار احد هذه التخصصات فقد نص نظام المدرسة الثانوية على مساهمة التلاميذ في حلقات الهوايات ابتداء من الصف الثالث .

كما أتيحت فرص **التدريب المهني** للتلاميذ

الراغبين فى العمل عقب الانتهاء من مرحلة التعليم الثانوى ، وذلك باعفائهم من الدراسات الاختيارية ، وتخصيص الوقت المحدد لها للتدريب ، كما أصبح للتلاميذ من هذه الفئة حق مواصلة تدريبهم المهنى على مستوى أرفع فى المدارس العالية أو المتوسطة أو فى البرامج المهنية القصيرة الاجل .

● **التعليم المهنى :**

لقد أدركت السلطة الثورية الجديدة مدى ارتباط مهام التعمير بعد الخراب الذى سببه الغزو الهتلرى الفاشى بالتعليم المهنى ، وقدرته على تزويد مجالات العمل والتصنيع المختلفة بالفنيين اللازمين ، ولذلك أعادت الدولة بناء التعليم الفنى حتى يتلاءم مع متطلبات الاوضاع الاجتماعية الجديدة .

وكان مبدأ « التسرب » هو أهم الاسس التى تم عليها البناء الجديد ، بمعنى أن كل مدرسة تتيح لخريجيها الالتحاق بمدارس المستوى الاعلى وهكذا حتى التخرج من الجامعة ، وكان هذا يعنى أن المدارس المهنية لم يعد طريقها مسدودا الى التعليم العالى ، وهو أخطر ما كانت تعانى منه هذه المدارس ، ولان فتح طريق التعليم العالى أمامها كان يعنى تضييق الهوة فى النظرة الاجتماعية بينها وبين المدرسة الثانوية ، ويؤكد مبدأ تكافؤ الفرص بين مختلف أنواع التعليم .

سادسا : الصين الشعبية والثورة البروليتارية فى التعليم

احتلت ثورة التعليم فى الصين الشعبية المكانة الاساسية من كتابات الذين تعرضوا للاحداث الاخيرة فيها ، والتى شغلت الرأى العام العالمى طويلا ، والواقع أنه كان من الطبيعى أن تركز الصين الشعبية جهودها على « **ثورة التعليم** » حيث تمثلت الفكرة الرئيسية التى قامت عليها حركة التجديد هناك فى أن الثورة الثقافية انما هى هز « **البناء الفوقى** » للقضاء على كل الانحرافات والمعوقات وارساء قيم وتقاليد الاشتراكية الحقيقية .

● **قيادة الطبقة العاملة فى ثورة التعليم :**

المسألة الاساسية التى تبرزها الكتابات الصينية هى أن ثورة التعليم البروليتارية لا يمكن أن تتم دون قيادة الطبقة العاملة والفلاحين والجنود ، ودون مشاركة جماهير الطلاب والمعلمين ، ويتحقق ذلك بتكوين « **فرق الدعاية** » العمالية التى تقيم فى المدارس والكليات لتشارك فى مهام « **الصراع - النقد - التحويل** » التى تجرى فيها ، ولتشارك فى قيادة هذه المؤسسات ، ومع أهمية هذه الفرق فى نشر سياسة الطبقة العاملة الا انه يتعين عليها ان تستمد أفكارها من الجماهير ، وأن تتعلم منها .

ان قيادة الطبقة العاملة هى الضمان الاساسى للقضاء على نظام التعليم البورجوازى ، وبناء نظام بروليتارى وضمان سيطرة وسيادة فكر الطبقة العاملة على البرجوازية فى مجال الثقافة ، وهذا يستلزم :

١ - شغل ممثلى الطبقة العاملة لمراكز القيادة فى التعليم .

٢ - النقد الجماهيرى الواسع للنظم التعليمية البرجوازية .

٣ - النضال الطبقى فى الميدان الايديولوجى .

٤ - القيادة السياسية والايديولوجية .

وكانت نقطة البدء فى الثورة العلمية هى القيام بحركة جماهيرية واسعة تسير فى اتجاهين متضادين فى وقت واحد ، وهما :

١ - انطلاق جماهير المتعلمين ، طلابا وأساتذة ، الى مواقع العمل الجماهيرى للارتباط بالممارسة الاجتماعية والمشاركة فيها ، والاستفادة من دروسها وتطوير انجازاتها .فالنظرية ليست كل شئ والعلم ليس امتيازا بل خدمة » و « على من يختارون العمل فى الريف أن يفرحوا ويهللوا » و « فى البدء كانت الممارسة ، فهى المصدر الاول للمعرفة » .

٢ - فتح أبواب الجامعة أمام العمال والفلاحين والجنود ليتخرجوا مهندسين وعلماء وفنيين ، فالمعرفة « **ليست ملكية خاصة** » .

ولقد شكك المعادون دائما فى قدرة الطبقة العاملة على استيعاب العلوم المتقدمة ، وقيادة التطور فيها ، ومن الجانب الاخر طالب بعض المتطرفين بنبذ المثقفين جانبا ، ان فصل القيادة فى المجال السياسى عنها فى المجال التعليمى أمر ضار ، ورجعى تماما ، كما أن كل الجيوب الايديولوجية الرجعية ، والعقبات التى تسببها «**قوة العادة**» تستلزم وجود ثورة أيديولوجية مستمرة ، سلاحها الاساسى هو النقد الجماهيرى الواسع ، ذلك أن للنقد الجماهيرى ، أهمية استراتيجية حاسمة فى بناء الجامعة الاشتراكية باعتباره الطريق الى فضح كل الصور المستحدثة التى يعود منها الفكر البرجوازى الى الظهور من جديد .

ان ثورة فى التعليم لا يمكن أن تتم دون تعبئة شاملة للجماهير ، ودون توافر أقصى درجات الديموقراطية الاشتراكية التى تسمح للشعب بأوسع الحملات للمناقشة والنقد . وفى مقدمة القوى التى يتعين مشاركتها فى الثورة قوى المثقفين الثوريين ، ان ثورة التعليم « ستسقط » ما لم تكن الجماهير واعية بها وراغبة فيها .

والعمل فى الثورة التعليمية يفترض عدة اعتبارات :

- الحذر والحرص .
- التواضع والالتصاق بالجماهير .
- المشاركة فى العمل اليدوى .
- التعمق فى دراسة الواقع .
- النظرة الكلية للامور .
- النقد والنقد الذاتى .

كذلك يتعين لاتمام الثورة التعليمية القيام بجهد مركز فى المجالات التالية :

١ ـ اعادة تكوين المعلم :

فالمعلمون هم المشكلة الرئيسية فى قضية التعليم ، ولما كان تكوين المعلم الاشتراكى مسألة ضرورية وحاسمة للقضاء على سيطرة الاشتراكيين فانه من الممكن اعداد هؤلاء المعلمين من بين صفوف العمال والفلاحين والجنود والفنيين والمعلمين الثوريين ، فهؤلاء هم القادرون على المساهمة فى ارساء القواعد الجديدة ومحاربة الخرافات وممارسة النقد الشجاع ، كما أنهم يجلبون معهم الى المعاهد الدراسية الخبرات المتقدمة فى مجال الانتاج الاشتراكى واختراعات العمال ، ويدعمون الروابط بين المصانع والجامعة ، فضلا عن أن لغتهم أكثر سهولة ويسرا .

وقد اختير بالفعل بعض العمال الذين برزوا فى حركة النضال الثلاثية ـ **النضال الطبقى والعلمى والانتاجى** ـ ليعملوا كمعلمين كل الوقت أو بعضه ، وتم اعدادهم لمهنة التدريس ، وتؤدى مشاركة أمثال هؤلاء العمال الى تدعيم قيادة الطبقة العاملة فى الجامعة ، والى سيادة الاتجاه السياسى السليم والمشاركة فى اعادة تشكيل المثقفين وتحويل التعليم ، لقد اعتلى العمال والفلاحون منصة الجامعة .

ومن الجانب الاخر كان لابد من الاستعانة بقوى المثقفين « فالصين فى حاجة الى خدمات اكبر عدد منهم » ، مع مساعدتهم على تبنى النظرة الاشتراكية العلمية ، وتلك مهمة صعبة وطويلة الامد ، حتى يمكن توجيه معارفهم المتخصصة لخدمة أهداف الطبقة العاملة ، وتتم عملية اعادة تشكيل هؤلاء المثقفين من خلال ممارستهم لمهامهم الجديدة ، كما نظم بعضهم فى فرق للعمل فى المزارع التجريبية أو فى المصانع ، وفقا لنوعية تخصصهم ، وذلك حتى يمكن التغلب على انعزالهم عن الجماهير .

ان « نظرة المثقفين الى العالم » تتضح من « نظرتهم الى العمل المهنى واليدوى » ولا يمكن أن تتغير هذه النظرة تلقائيا ، ومع أن تغيير الظروف المحيطة يساعدهم كثيرا ، الا أن ذلك يقتضى جهدا واعيا مخططا ودؤوبا للقضاء على ترددهم وأفكارهم الخاطئة ، « أن سياسة صائبة بالنسبة للمثقفين شرط أساسى لانتصار الطبقة العاملة » .

٢ ـ ربط الجامعة بالمجتمع :

تؤدى منجزات التكنيك المتقدم والمخترعات الحديثة الى اثراء التعليم وتجديد محتواه ، كما تكسب التعليم الجامعى حيوية ، وكذلك يدفع البحث العلمى المزدهر فى الجامعة بالبناء الاشتراكى الى الامام ، ويزيد من معدلات التقدم فى الانتاج .

ولربط الجامعة بالمجتمع تم انجاز الخطوات التالية :

- انشاء مصانع وورش تابعة للجامعة ، تقوم بمهام تعليمية وانتاجية فى نفس الوقت .

- وضع معامل الجامعة فى خدمة التدريب وحل مشاكل الانتاج ، الى جانب مهامها فى التعليم والبحث .

- ايجاد علاقات قوية وثابتة بين الجامعة والمصانع والمزارع .

وقد اكدت تجربة الصين انه لابد من التصدى بحزم للفكرة الخاطئة عن « فصل الانتاج عن التعليم » ، كما اكدت أن تبعية بعض المصانع للجامعة هامة للغاية لاعداد كافة التخصصات وتزويد الدارسين بالخبرة العملية وربط النظرية بالممارسة ، ان تطور الانتاج الزراعى والصناعى ، وثورة العلم والتكنولوجيا ، وضرورة اللحاق بالدول المتقدمة ، كل ذلك يقتضى كسر حواجز الجامعة وربطها بحركة المجتمع والممارسة العملية ، كما أن ربط الجامعة بالمصانع يكفل وحدة القيادة فى المجالين ، ويضع خطة التعليم والانتاج على أساس من التكامل ويقضى على مضار « انعزال الوحدات التعليمية » المستقلة عن سياسات واحتياجات الطبقة العاملة ، لابد من ربط التعليم بالانتاج والبحث العلمى ، ويمكن ان يتحقق ذلك من خلال اشتراك العمال مباشرة فى التعليم ، ومساهمة الاساتذة مباشرة فى الانتاج ، وربط الدراسة بالتطبيق .

٣ ـ اعادة النظر فى المناهج :

وقد تمثل ذلك فى الاصرار على تأكيد فكرة أن الصراع الطبقى هو المادة الرئيسية فى التعليم ، والربط بين النظرية والتطبيق ، لقد اصبح التعليم السياسى هو الحلقة الرئيسية فى النظام التعليمى فى الصين ، وتم دحر الشعارات الخاطئة مثل أن « **العمال ليسوا فى حاجة الى تعليم سياسى** » ، والواقع أن النضال الطبقى فى الميدان السياسى لن يتوقف . والافكار الخاطئة لن تكف ، ومن ثم يصبح التعليم السياسى أمرا ضروريا على الدوام للقضاء على الافكار البورجوازية مثل « **الدراسة وسيلة للتسلق** »، فالتعليم دون السياسة يؤدى بالقطع الى طريق البورجوازية ، وأن كان البعض يعتقدون خطأ أنهم « **ولدوا حمرا** » ـ أى أن ثوريتهم ليست فى حاجة الى صقل ، الا أن الواقع أثبت أن المهمة الاساسية لمعاهد العلم هى تحويل وتطوير الايديولوجية بشكل مستمر .

ومن جانب آخر تمت مراجعة مختلف المناهج لتنقيتها من الافكار التى تخدم البورجوازية ، حتى فى مجال الرياضة والطبيعة وغيرهما، اذ أن كثيرا من هذه العلوم قد تطور تاريخيا لخدمة أهداف الانتاج الرأسمالى وحل مشكلاته .

ان تغيير المناهج الدراسية عمل سياسى ، فلابد أن يعبر المحتوى العلمى للمناهج عن المجتمع ، كذلك لابد من مراعاة التبسيط والسهولة فى أساليب العرض ، ولا يمكن تحقيق ذلك الا عن طريق تجنيد ذوى الحماس الثورى والمعرفة العلمية فى وقت واحد ، حتى يمكن ربط المادية الجدلية بآخر المنجزات العلمية .

كذلك تتمثل النقطة الرئيسية فى تطوير المناهج فى البدء من الواقع الصينى وانجازات الانتاج والفكر « فالماضى لابد أن يخدم الحاضر ، ولابد من تطويع ما هو أجنبى لخدمة الصين » .

٤ ـ طرق التدريس :

تتجه طرق التدريس لتحقيق غرضين ، هما : ربط الانتاج بالدراسة ، وربط المعاهد العلمية بالجماهير .

وتمثل أساليب التعليم مسألة مبدئية تعكس المصالح والمناهج الطبقية ، ففى حين تركز البورجوازية على الكتاب والمدرس وتبعد بالطلاب عن الممارسة ، فان الاشتراكية تعتبر الممارسة هى مصدر المعرفة ، وتركز على أهمية التدرج والتعمق وربط العام بالخاص ، وعند اختيار النماذج الدراسية لابد من مراعاة سيادة أفكار وسياسة البروليتاريا وخدمة التطبيق فى الصراع الطبقى والانتاج والبحث العلمى ، وتوجيه التقدم التكنولوجى لخدمة الطبقة العاملة وأهدافها .

٥ ـ سياسة القبول فى الجامعات :

العمود الفقرى فى القبول هو فتح طريق الجامعة أمام الطلاب من العمال والفلاحين والجنود على أساس من معايير الاختيار الثلاثة :

- مدى المساهمة فى النضال الطبقى .
- مدى المساهمة فى الانتاج .
- مدى المساهمة فى البحث العلمى .

على أن يكون الطالب قد أتم ما يعادل دراسة ثانوية متوسطة ، وسنه فى حدود العشرين ، ولديه خبرة عملية لا تقل عن ثلاث سنوات .

أما بالنسبة للفلاحين والعمال القدامى فيستثنون من شرط السن والدراسة النظامية ، وتعطى الاولوية للدارسين الذين قبلوا العمل فى الريف بعد الحصول على مؤهلاتهم السابقة على التقدم للجامعات .

هذا ويتم اختيار طلاب الجامعة من العمال والفلاحين والجنود فى اجتماعات جماهيرية عامة فى وحدات العمل بهدف اشراك الجماهير فى الاختيار .

وهكذا ، ومهما تعددت التجارب واشكالها ، فبلدان الاشتراكية ما أن تحقق ثورتها حتى تفتح أبواب العلم على أقصى اتساعها لجماهير العمال والفلاحين والكادحين الذين طالما حرمتهم النظم الاستغلالية البائدة من كل الفرص ، وفرضت عليهم كل الوان التخلف والظلام .

ان الثقة فى الجماهير وقدراتها الخلاقة ، وعلى وجه التحديد قدرتها على استيعاب آخر منجزات الثورة العلمية والتكنولوجية ، بل وتطويرها والاضافة اليها ، هى المنطلق الذى يعطى نظم التعليم الاشتراكية كل ثوريتها وحيويتها .

ولعل أروع ما تحاول تحقيقه نظم التعليم الاشتراكية من منجزات ، هو تحطيم الفكرة الرجعية التى يروج لها دعاة البورجوازية لتغطية المضمون الطبقى الاستغلالى لنظامهم عن ذلك التقسيم غير العادل للبشر الى أولئك الذين يعملون بالفكر وأولئك الذين كتب عليهم العمل اليدوى الشاق فحسب ، أن نظم التعليم الاشتراكية تسير فى حزم وثبات نحو ازالة التناقض بين العمل اليدوى والعمل الذهنى ، وتفتح الافاق بلا قيود للجمع بين النظرية والتطبيق حتى ينطلق الانسان الجديد نحو الحياة الجديدة وقد انسجمت جهوده الفكرية والعملية وتيرة واحدة .



- ج ٠ ع ٠ م : تحرك سياسى واسع ٠٠ داخليا وعالميا
- الصراع العربى الاسرائيلى : هل يوفق مجلس الامن فى التوصل لحل ؟
- اليمن الديموقراطية الشعبية : جهود ايجابية لتحقيق وحدة وطنية
- الولايات المتحدة الامريكية : انجيلا ديفيز ٠٠ والهجوم الدموى

■ الجمهورية العربية المتحدة :

الندوة الطلابية العالمية حول دور عبد الناصر فى حركة التحرر العالمى

عقد فى القاهرة فى الفترة من ٨ الى ١٢ من يناير ١٩٧١ اللقاء الطلابى العالمى حول « دور جمال عبد الناصر فى حركة التحرر العالمى » ونظم الندوة الاتحاد العام لطلاب الجمهورية العربية المتحدة بالتعاون مع الاتحاد العالمى للطلاب ، اشترك فى اللقاء وفود تمثل ٦٠ منظمة طلابية عالمية ووطنية ، أتاح لها حضورها المشاركة فى الحوار العميق الذى جرى فى لجان الندوة حول دور القائد عبد الناصر فى حركة التحرر العالمى ، وكذلك الاحتفال مع الشباب المصرى باتمام سد أسوان العالى الذى تحقق تحت قيادة عبد الناصر الشجاعة والشريفة ، وخاض مع الشعب ومن أجله اصعب المعارك وأمجد البطولات وقد أتاح المؤتمر لوفود طلاب العالم أن يناقشوا العديد من القضايا التى فرضت نفسها من خلال الحوار حول مواقف القائد عبد الناصر من قضايا الحرية والسلام ٠

وقد استمعت الوفود الى دراسات واعية عن نضال الانسان المعاصر ٠٠ فى فيتنام ٠٠ فى الكنغو ٠٠ فى كمبوديا ٠٠ فى زمبامبوى ٠٠٠ فى الجنوب الافريقى ٠٠ فى أمريكا اللاتينية ٠٠ وفى غيرها من بقاع العالم الثالث ٠٠ عالم التطلع نحو الغد الافضل الكريم ٠

وحققت الندوة ايجابيات عديدة ابرزها : تقديم رؤية واضحة وصادقة ـ من خلال حوار عميق اسهمت فيه الدراسات والمناقشات ـ عن انفتاح القائد جمال عبد الناصر على فكر عالمه وقضايا

عصره الذى يشكل بعدا اساسيا من أبعاد نضاله الشريف ، ولعل ذلك يتضح من المبدأ الاستراتيجى الذى أعلنه فى كتابه « فلسفة الثورة » أول الوثائق الفكرية للثورة المصرية المعاصرة ٠٠ المبدأ الذى يقول ٠٠ « لقد مضى عهد العزلة وما أعقبه ايجابيا من رحلات السلام فى باندونج ، ودعم قضايا الكفاح الشعبى فى آسياوافريقيا ، ثم مشاركة عبد الناصر فى بناء سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز ٠٠ استكمالا للانفتاح على قضايا القارة الامريكية اللاتينية التى تجمعنا وشعوبها صلات النضال ضد الاحتكارات الامبريالية الامريكية ٠

والجديد فى هذا اللقاء الطلابى العالمى الذى يمثل تيارا واعيالمفهوم الشباب للقيادة الناصرية ـ انها ربطت نضال عبد الناصر وقيادته الرشيدة التى برزت وسط ظروف بالغة الشدة شديدة التعقيد على الصعيد الوطنى والقومى والعالمى ، ووضع طلاب العالم ايديهم بصدق وموضوعية على ابرز الظروف التى تحرك عبد الناصر فيها :

أولا ـ بروز ظاهرة الاستعمار الجديد ، وازدياد ضراوة المعسكر الامبريالى بزعامة الولايات المتحدة الامريكية ، والتى خرجت من عزلتها بعد الحرب العالمية الثانية ، كى ترصد بعين الاطماع امكانات الدول النامية وموارد الشعوب المناضلة فى المستعمرات ٠

ثانيا ـ ارتباط ظاهرة الامبريالية منذ بداية الخمسينات بمخططات الاحتواء السياسى والتخريب الفكرى وسياسة الردع العسكرى والضغوط الاقتصادية التى مارستها النظم والقيادات الامريكية ، ضد الشعوب المناضلة من اجل التقدم .

ثالثا ـ أشتداد ساعد الحركات الثورية فى دول العالم الثالث ٠

رابعا ـ ظهور المعسكر الاشتراكى بانجازاته البارزة على مستوى الفكر وعلى صعيد التطبيق ٠٠ وبروز هذا المعسكر كقوة جديدة على الساحة الدولية ، تربطها صلات بحركات التحرير الوطنى فى افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ٠

خامسا ـ مد الرفض الشعبى المصرى والعربى للاوضاع الاستغلالية والرجعية القائمة فى هذا الوطن ، تشهد بذلك ما يحويه تاريخنا من انتفاضات وثورات فى مواجهة المستعمر وعملائه وأدواته فى الوطن العربى ٠

فى ضوء هذا التفهم الواعى من شباب العالم لمفهوم قيادة عبد الناصر وتلمسهم عن قرب نضاله ضد الاستعمار دعما لقضية السلام وكشفا لصور الاستعمار وأشكاله القديمة والجديدة، توصلت الندوة الىاعداد وثيقة عملتوجهنشاط المنظمات الطلابية لرسالتها نحو ابراز فكر القائد عبد الناصر ، الذى كان مثار تقدير شعوب عديدة ، وموضع اعجاب تيار جديد وسط الشباب ، على ضوء اعجابه بمواقف عبد الناصر ؟ كان دعم منظمات الطلاب والشباب فى العالم للقضية العربية ومساندتها ماديا وبالتطوع فى منظمات العمل الفدائى الفلسطينى ٠

كما وافقت وفود الندوة التى تمثل ٦٠ منظمة طلابية عالمية على قرارات وتوصيات الندوة العالمية التى كانت ثمرة حوار أعضاء الوفود ، وأبرز هذه القرارات والتوصيات :

- تعبئة جماهير الطلاب للتضامن مع الشعوب العربية .واستخدام مختلف الوسائل لتحقيق هذه التعبئة ٠
- تنظيم مؤتمر عالمى للطلاب يفضح السياسة التوسعية الاسرائيلية وارتباطها بالمخططات الامبريالية ٠
- عقد ندوات خاصة تهدف الى اجراء تحليل عميق لنواحى المشكلة ، مثل الروابط الاقتصادية بين اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية ، وسياسة القهر التى تمارسها سلطات الاحتلال الاسرائيلى والجذور التاريخية لقضية فلسطين .
- تنظيم لقاءات ثنائية بين ممثلى اتحادات الطلاب العربية والفلسطينية وبين المنظمات الطلابية الاخرى ، للتعرف على وجهة النظر العربية ووجهة نظر الشعب الفلسطينى وتنظيم زيارات الى المناطق التى يقع عليها العدوان .
- العمل على نشر الوثائق التى تدين العدوان الاسرائيلى وتساعد على تعريف الرأى العام العالمى بحقيقة المناورات الاستعمارية .
- تنظيم المساعدات المادية لضحايا العدوان الاسرائيلى باعتبار أن الجهود التى تبذل لجمع هذه المساعدات تسهم اسهاما فعالا فى التعبئة ضد العدوان ٠

ان اشتراك منظمات الطلاب فى ندوة ناصر العالمية حققت ايجابيات كثيرة ، ونجحت فى أن تجمع هذه المنظمات ضمن نشاط مواجهتها للامبريالية العالمية والتصدى لها ، بأن تلتف حول شعار « اجبار المعتدين الاسرائيليين على الانسحاب من الاراضى المحتلة فى عدوان يونيو ١٩٦٧ وايقاف أعمالهم العدوانية تجاه سكان الاراضى المحتلة ٠

●

تحرك سياسى واسع ٠٠ داخليا وعالميا

اتسع التحرك السياسى الذى قامت به الجمهورية العربية المتحدة ـ على امتداد الاسابيع الستة الماضية ـ **ليشمل كل القارات ماعدا استراليا ،وشمل التحرك الدول الصديقة التى تؤيدنا والدول التى نسعى لكسبها الى جانبنا ، وشمل ايضا تلك الدول**



التى مازالت لسبب او آخر تقف على الجانب الاخر .

والى جانب الوفود التى تم تشكيلها على أعلى مستوى برئاسة أعضاء اللجنة التنفيذية العليا ، شاركت فى التحرك الواسع وفود شعبية من النقابات العمالية والمهنية والاتحادات الطلابية ومنظمة الشباب .

ولقد تم تخطيط هذا التحرك الواسع على ضوء النجاح الذى حققناه فى الدورة الاخيرة لهيئة الامم ، وعلى ضوء قرار الجمعية العامة الذى طالبت فيه السكرتير العام بأن يبلغ مجلس الامن قبل السادس من يناير الماضى عما حققته جهود المبعوث الدولى جونار يارنج ، كما جدد قرار الجمعية العامة فترة وقف اطلاق النار حتى يوم ٥ فبراير الحالى .

ولقد حرصت الجمهورية العربية فى هذا التحرك السياسى الواسع ، على أن تقدم للدول حقيقة موقفها ومساعيها من أجل السلام واحترام رغبات المجتمع الدولى فى اقرار السلام ، وأكدت الجمهورية العربية على تصميمها فى السير الى أقصى مدى تستطيعه لتحقيق الحل السياسى لازمة الشرق الاوسط ، على أساس تنفيذ قرار مجلس الامن .

كما فضحت الجمهورية العربية فى تحركها السياسى الواسع ، وفى وقت مبكر ، حقيقة النوايا الاسرائيلية ازاء الجهود الدولية التى تبذل من أجل السلام ، وكشفت أبعاد المناورة الاسرائيلية التى تهدف لكسب الوقت على أرضية من الاصرار على استمرار العدوان وكسب الاراضى بالقوة وارغام العرب على الاستسلام .

ولم تكتف الجمهورية العربية المتحدة باعلان موقفها الحاسم من رفض مد وقف اطلاق النار بعد ٥ فبراير الحالى بدون جدول زمنى لتنفيذ قرار مجلس الامن ، بل قدمت خلال تحركها السياسى أفكارا ايجابية تقوم على أساس اشراك الدول الكبرى تحت علم الامم المتحدة فى حفظ السلام فى الشرق الاوسط .

ويرى المراقبون أن هذا الاقتراح يسقط حجة اسرائيل فى الاحتفاظ بأراضى جديدة تحت اسم الحدود الامنة ، لان هذا الاقتراح يعنى أن تتحمل الدول الكبرى باسم الامم المتحدة مسئولية منع أى عدوان جديد .

وخلال التحرك السياسى الواسع ، احتلت المحادثات وتبادل الرأى مع قادة الاتحاد السوفيتى مكانا بارزا واساسيا ، ولقد جرت هذه المحادثات خلال زيارة السيد « **على صبرى** » نائب رئيس الجمهورية وعضو اللجنة التنفيذية العليا الى موسكو على رأس وفد يضم **عزيز صدقى** والفريق **محمد فوزى ومحمود رياض** ، وهذه الزيارة تمت فى أعقاب زيارة وفد سوفيتى كبير برئاسة **بوريس يونا ماريف** سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى للقاهرة ، واستكملت المحادثات خلال زيارة الرئيس **بودجورنى** للجمهورية العربية للمشاركة فى الاحتفال بانتهاء بناء السد العالى .

وخلال هذه اللقاءات كلها تأكد من جديد بما لا يدع مجالا لاى شك أن الاتحاد السوفيتى يقف بثبات وحزم الى جانب قضيتنا العادلة .

لقد أكد **كوسيجين** « أن الاتحاد السوفيتى سيقف بقوة الى جانب الشعب العربى فى كفاحه العادل ، وأن أحدا ليس على استعداد لقبول حلول وسط مع اسرائيل وحماتها الامبرياليين ، وأن الشرق الاوسط أصبح من أخطر المناطق التى تهدد بحرب عالمية نتيجة العدوان الاسرائيلى المؤيد من الولايات المتحدة » .

كما أكد بودجورنى فى نهاية زيارته للجمهورية العربية « أن بلاده سوف تستمر فى تقديم كل دعم وتأييد لمصر والشعوب العربية حتى يتحقق الهدف من نضالها فى ازالة آثار العدوان . وأن اجلاء القوات الاسرائيلية من جميع الاراضى المحتلة عام ١٩٦٧ وتنفيذ أحكام قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ واحترام جميع الحقوق المشروعة لشعوب الشرق الاوسط بما فيها شعب فلسطين هو البرنامج الواقعى لاقامة السلام العادل فى المنطقة » .

وأكد البيان المشترك الصادر بنتائج المحادثات العربية السوفيتية « أن الجانب السوفيتي قد أكد من جديد لقادة الجمهورية العربية المتحدة والشعب المصرى كله، أن الاتحاد السوفيتي سوف يستمر فى تاييده للشعب المصرى فى نضاله العادل ضد العدوان الاسرائيلى من أجل تحرير الاراضى العربية التى تحتلها اسرائيل وفى سبيل التسوية العادلة للنزاع فى الشرق الاوسط، وأعرب الجانبان عن ثقتهما الاكيدة فى أن اقرار السلام العادل والدائم فى منطقة الشرق الاوسط لا يمكن تحقيقه الا بانسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضى العربية المحتلة وتنفيذ قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ٦٧ تنفيذا كاملا، وكذلك تنفيذ قرارات الامم المتحدة التى تؤكد الحقوق المشروعة للشعب العربى الفلسطينى .

وبعد انتهاء زيارة السيد **حسين الشافعى** نائب رئيس الجمهورية وعضو اللجنة التنفيذية العليا ليوغوسلافيا، اكد البيان العربى اليوغوسلافى « أنه لن يسود فى الشرق الاوسط سلام عادل ودائم ما لم يتم فورا الانسحاب الكامل وغير المشروط للقوات الاسرائيلية من كافة الاراضى العربية المحتلة وما لم يسترد الشعب الفلسطينى كافة حقوقه العادلة والمشروعة » .

وقام الوفد المصرى الذى ترأسه السيد **محمد فائق** وزير الارشاد بحضور مؤتمر منظمة الوحدة الافريقية فى لاجوس، ثم زار عددا من الدول الافريقية واتصل برؤسائها، وقد توصل الوفد الى نتائج ذات أهمية فى ضوء المرحلة الراهنة من الصراع العربى الاسرائيلى، وقد اعلن السيد محمد فائق أن هناك تفهما كاملا لوجهة النظر العربية فى الدول الافريقية التى زارها . وأن عددا من الدول الافريقية « نيجيريا - غينيا - الصومال مالى - السنغال » قد اثارت موضوع العدوان الاسرائيلى، وأستصدرت قرارا من المؤتمر بان عدوان دولة من خارج القارة على احدى دول القارة يعتبر عدوانا على القارة كلها .

وخلال جولة السيد محمود رياض والاستاذ محمد حسنين هيكل فى اوروبا كان الجهد موجها اساسا لدعوة الدول الاوروبية ذات الوزن (انجلترا - فرنسا - ايطاليا) لبذل المزيد من الاهتمام بقضية الشرق الاوسط، وكانت النقطة الاساسية فى كل الاتصالات الاوروبية هى شرح ابعاد الدور الايجابى الذى اتخذته القاهرة بعرض فكرة اشتراك الدول الكبرى تحت علم الامم المتحدة فى حفظ السلام فى الشرق الاوسط، وعلى أساس أن هذا الاقتراح هو أول نمط من أنماط التعاون بين الدول الكبرى لحفظ السلام، وأنه تفسير حقيقى لميثاق الامم المتحدة الذى أعطى للدول الكبرى مسئوليات كبرى فى حفظ السلام .

وفى اطار خطة التحرك السياسى على المستوى العالمى سافر الدكتور **لبيب شقير** لدول شرق وجنوب شرق آسيا . وسافر **كمال رمزى ستينو** عضو اللجنة التنفيذية العليا الى قبرص واليونان وبلغاريا، واشتركت وفود عمالية ومهنية وطلابية وشبابية فى العديد من المؤتمرات الدولية التى عقدت خلال الاسابيع الماضية فى مصر أو خارجها، وهى مؤتمر المهندسين للدول الافريقية، ومؤتمر الزراعيين العرب، ومؤتمر وزراء التعليم فى السودان، ومؤتمر الصحفيين الدولى فى كوبا، ومؤتمر الاطباء البيطريين العرب، ومؤتمر نقابات عمال افريقيا .

وجاءت الى مصر وفود من منظمة الشباب للحزب الديمقراطى الحاكم فى السويد، ووفد من منظمة الشباب الديجولى الفرنسى .

وعلى المستوى العربى عقدت دول ميثاق طرابلس دورتها الرابعة فى القاهرة وهى أول دورة تعقد بعد انضمام سوريا لدول الميثاق .

وفى نفس الوقت الذى اتسع فيه التحرك السياسى على النطاق العالمى والعربى - قاد الرئيس **أنور السادات** حملة تعبئة داخلية لرفع درجة يقظة القيادات والجماهير واعدادها لمواجهة كافة الاحتمالات، وذلك بعقده سلسلة من اللقاءات الجماهيرية مع القيادات السياسية والتنفيذية على كافة المستويات، ابتداء من أعضاء اللجنة التنفيذية العليا والوزراء والمحافظين الى قيادات العمل السياسى فى المحافظات ورجال الصحافة والاعلام والادباء والفنانين ورجال القضاء وضباط القوات المسلحة والقيادات النقابية وأساتذة الجامعات .

وفى كل هذه اللقاءات حرص الرئيس **السادات** على أن يقدم صورة واضحة وشاملة للموقف الذى تواجهه القيادة السياسية للبلاد، وفى جميع اللقاءات ركز الرئيس السادات على النقاط التالية :

١ - شرح أهداف العدوان الاسرائيلى الاستعمارى، وأساليبه وأصرار اسرائيل على رفض كل محاولات السلام، وفضح فى خطاباته مناورات اسرائيل لكسب المزيد من الوقت واستمرار احتلال الاراضى العربية وتحويله الى احتلال دائم .

٢ - فضح دور الولايات المتحدة الامريكية زعيمة الاستعمار الجديد وكشف دورها فى دعم العدوان وتأييد استمرار احتلال الاراضى العربية، بتقديم المعدات الالكترونية الحديثة والاسلحة والطائرات الهجومية والدعم السياسى بتغطية مناورات اسرائيل التى تهدف لتمييع الموقف واستمرار الاحتلال، وأكد الرئيس السادات : « أن أمريكا هى عدونا الاصلى وليس اسرائيل، انها تريد منا أن نقبل وضع المهزوم، ونتفاوض مع

اسرائيل ونتنازل ، ولقد حاولوا معنا بكل الوسائل ، بالترغيب والوعيد ، ولكن الزعيم الخالد جمال عبد الناصر وضع شرطا وحيدا أمام عودة العلاقات وهو أن تعلن أمريكا ضرورة انسحاب [illegible] ولكنها لم ترد .

٣ — أبرز الرئيس السادات مدى التقدم الذى حققته قواتنا المسلحة فى التدريب والتسليح الحديث ، ومدى ما حققه الصمود الداخلى الاقتصادى والسياسى من نتائج مؤثرة فى الموقف .

٤ — ابرز أهمية دور الاتحاد السوفيتى

تعليق

« الغـــول » على مسرح الجيب

حين يكون الفنان ملتزما ، لا يمكن لمعاناة الخلق أن تصبح ترفا ممتعا فى حد ذاته ، فالترف قضية مؤجلة ، طالما ظل الفنان مؤرقا فى غمرة بحثه عن وسيلة بسيطة يخاطب بها كل الناس ، وتصل اليهم جميعا دون لبس ، فقضيته لا تحتمل التأجيل ، وحين تكون القضية بهذا الالحاح أمام ضمير الفنان وطاقاته الخلاقة ، فانه لا يرى غيرها .

هذا هو المنطق والموقف الذى يقدم به الكاتب الالمانى « بيتر فايس » معظم أعماله ، ومن بينها مسرحيته « أنجولا أو غول لوزبتانيا » ، التى يقدمها مسرح الجيب الان فى القاهرة .

والغول مسرحية تستجيب فى شكلها التقريرى هذا للمرحلة التى يصل فيها الصراع بين القوى الاستعمارية ، بكل اشكالها ، وبين الشعوب التى تجهد لتعيش حياتها وتطلق كل امكانياتها من أجل التحرر والتقدم الى مداه .

انها اللحظة الفاصلة فى تاريخ الانسان الحديث ، تلك التى يكلفه عبورها ملايين الارواح والتضحيات ، صنوف الجوع والتجهيل والبؤس والقهر .. هى مأساة عصرية تحتوى فى شمولها قضية الانسان المطحون والمستغل فى كل مكان ، أبيض كان أو أصفر أو ملونا .

وليس من باب الصدفة ان يقول « بيتر فايس » فى ارشاداته ، أنه لا ينبغى ان نحدد لون الافريقيين ، بالاسود ، والا بحدد لون الاوروبيين بالابيض .

بطل المأساة ليس فردا يصارع الاقدار والقوى المجهولة والغيبيات ، انما هو يصارع قوى معلومة تواجهه وتلقاه ، ولا يدور الصراع أيضا فى داخل الانسان ، بين قوى النفس المتناقضة ، وبين المشاعر والعواطف والغرائز والنزعات ، انه صراع عصرى بمعنى الكلمة ، صراع دفع بعشرات الفلاسفة لان يؤجلوا تأملاتهم فى أصل الوجود ومنتهاه ، وفى الدنيا والاخرة ، وينغمسوا حتى أظفارهم فى مشكلة الصراع الضارى بين القوى المقهورة وقاهريها .

« بيتر فايس » واحد من الذين يؤمنون أن مهمة الفنان اذا عجز عن صياغة العالم ، فعليه — على الاقل — أن يعمل على تعبئة الناس من أجل هذا الهدف ، ان نعيد صناعة هذا العالم على أسس جديدة ، أن نغيره بالغضب ، وأن نستحث طاقة الغضب والسخط العميق لدى كل الناس ، كل الناس الذين يقفون تاريخيا وحتميا فى صف الثورة ، والذين هم جنودها الحقيقيون .

ووجد فايس ان اختيار الشكل التقريرى السياسى ، هو افضل وأبسط الاشكال ، واختياره هذا ليس مقصورا على استخدام البناء التقليدى للمسرح ، وليس كذلك رفضا لكل هذه الاشكال الكلاسيكية ، ولكنه اقرار متواضع بأن مهمة الفنان الان ، أن يقول ما يريد ، بأوضح شكل وأسلوب ممكن ، فما يحدث فى الواقع أغنى كثيرا من أية توليفة خيالية تطمح الى اعادة تقديمه وصياغته .

الغول فى المسرحية ، هو الاستعمار البرتغالى فى أنجولا وموزامبيق ، فى تفصيلاته الواقعية ، ولكن ايحاءه العام ، وصياغة فكره ، وموقفه ، هو الاستعمار ، مضافا اليه قوى القهر فى كل مكان .. الاحتكارات .. الدكتاتوريات العسكرية .. النظم الفاشية .

والشعب الانجولى ، هو كل الشعوب التى تعيش تحت وطأته ، وتناضل للخلاص ، ومن هنا ينطلق العمل من الخاص الى العام ، من الموقف المحدد الان على المسرح ، الى القضية الاعم ، والاشمل ، قضية الانسان فى كل مكان .

ولاستخدام الارقام والحقائق المجردة ، فلسفة خاصة فى هذا العمل ، كما فى كل الاعمال التى تنتمى الى هذا التيار الجديد ، مثلما يقول « فايس » : لابد ان تكون الاضاءة ساطعة وكاملة طول الوقت ، يقول أيضا من خلال العرض كله : ان المتفرج لابد ان ينحاز دون ما لبس او ذبذبة ، الى جانب المقهورين الثائرين .

فالارقام والحقائق حين تلقى الينا تكون لها لسعة الجرح المفاجىء ، الذى يؤلمنا ويوترنا ، وبعدها ينفتح القلب والعقل معا لاستيعاب وتبنى قضية الناس الذين ينبغى أن نحبهم ، ونكون جزءا منهم ، وعليه فاننا نكره ظالميهم ، ويعلو توترنا لحظة بلحظة ، حتى يصل الى حد الرغبة فى تغيير هذا العالم واعادة صنعه واحتوائه دفعة واحدة ، والاتجاه الى العالم الثالث ، حيث نتجسد أقصى مراحل الصراع ، وسيلة من وسائل خلاص الفنان الغربى ، الذى يعرف جيدا أنه ينتمى الى حضارة استمدت كل سطوتها واستقرارها من نهب واستغلال شعوب هذا العالم ، وليس غريبا ان تتعدد زيارات « فايس » الى فيتنام ، وان يكون عمله المسرحى الجديد عنها ، بعد أن قدم هذا العمل عن أنجولا .

أما العرض الذى يقدمه مسرح الجيب ، فهو يستجيب — دون جدال — للمرحلة التى نعيشها ، عرض متكامل ، الا من سقطات صغيرة ، ويعود نصف تكامله — على الاقل — الى الصياغة الشعرية الرائعة التى قام بها الشاعر الكبير فؤاد حداد .. الذى وجد فيه قضيته الخاصة ، وصنع من ترجمة « يسرى خميس » الدقيقة ، عملا مصريا جميلا ، اقترب بالنص من جمهورنا أكثر فأكثر ، وأصبحت قضية ايصاله الى الناس عن طريق الغناء والالقاء مهمة أسهل كثيرا من ذى قبل .

وقد توفر للعمل أيضا مخرج شاب متواضع ، هو أحمد زكى الذى لم يفرض نفسه على العمل ، ولم يقدم تفسيرا خاصا ، وانما استمد براعته واتقانه من الالتزام بالعمل ، وتقديمه بصدق ، ودون خلط ، ساعدته فى ذلك ألحان وموسيقى عبد العظيم عويضة ، وديكورات سمير أحمد ، وقدم فى النهاية عرضا جديرا بأن يشهده الناس فى الميادين العامة ، فهو يروى ، دون شك ، عطشهم القاتل ، لعمل يهبهم القدرة على الصمود ، ويبث فيهم الاحساس العميق بوحدة قضية الانسان ، وبأنهم ليسوا وحدهم مغلقين على قضية تبدو مستعصية ومغلقة الابواب .

وأشترك فى تقديم هذا العرض من الممثلين : سناء يونس ، أحمد زكى ، مديحة حمدى ، ليلى سعد ، ابراهيم عبدالرازق ، المرسى أبو العباس ، فاروق يوسف ، على عزب ، رءوف مصطفى ، عادل زكريا ، فهمى الخولى .

وشارك فى الغناء : كورال الطليعة ، وكورس من « طلبة المعهد العالى للفنون المسرحية » .

فريدة النقاش

ومساندته للشعوب العربية « وأن الدعم السوفيتى مكننا من قطع اشواط التخلف الرهيبة حتى لا نظل أمة متخلفة ، وحتى لا يفرضوا علينا ما يشاءون من شروط » ، وأفاض الرئيس السادات كثيرا فى شرح الموقف السوفيتى خاصة فى « الايام السوداء » أيام الهزيمة فى عام ٦٧ وأيام « المأتم » موضحا الاثار التى ترتبت على حركة الاتحاد السوفيتى الايجابية والتى تمت دون شرط وبأكثر مما تفرضه الاتفاقات والالتزامات ، حتى أن الاتحاد السوفيتى قد أوفى بعقود واجبة التنفيذ فى نهاية عام ٧١ ، أوفى بها فى اعقاب وفاة الرئيس عبد الناصر •

كما شرح النتائج البالغة الاهمية للرحلة السرية التى قام بها الزعيم الراحل الى موسكو فى يناير ٧٠ ، والاثار التى ترتبت على ما قدمه لنا الاتحاد السوفيتى من وسائل الحرب الاليكترونية ••

وفضح الرئيس السادات الدعاوى المغرضة التى تروج لها الدوائر الاستعمارية والرجعية عن علاقتنا مع الاتحاد السوفيتى معلنا ، أننا بلغنا سن الرشد ، وكل تشكيك فى علاقتنا بالاتحاد السوفيتى خيانة لهذا البلد ، وكل محاولة للتفريق بيننا وبين الاتحاد السوفيتى خيانة » •

وعلى أساس هذه العناصر التى تشكل حقائق الموقف كان الرئيس السادات يطرح فى كل لقاء القرار الذى اتخذته القيادة السياسية برفض مد وقف اطلاق النار بعد ٥ فبراير الا اذا كان هناك جديد فى مهمة يارنج ، والجديد كما حدده الرئيس السادات هو « جدول زمنى لتنفيذ قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ » — ويسأل عشرات الالوف رأيهم فيأتى الرد تأييدا حماسيا جارفا يرفض الاستسلام ويعلن الاصرار على التصدى للمسئولية •

ويؤكد السادات على ضرورة اليقظة والاستعداد لكافة الاحتمالات ، فالمعركة القادمة سوف تكون فى المدينة والقرية والحقل والمصنع والشارع والحارة والبيت » • — وينبه الجماهير الى أن رفض مد وقف اطلاق النار بعد يوم ٥ فبراير لا يعنى بالضرورة أننا سنقوم بهجوم شامل فى ذلك اليوم ، فهذه مسألة تخضع لاعتبارات كثيرة ، ولكنه يعنى اطلاق حريتنا فى العمل ••

ويعنى أيضا ضرورة رفع درجة اليقظة والاستعداد لاقصى حد وفى كل موقع وقبل ذلك الموعد بوقت كاف حتى لا تفاجئنا الاحداث بعمل غادر من العدو الشرس •

ومن هنا بدأت اللجنة العامة للجان المواطنين فى تشكيل لجان المواطنين من أجل المعركة على مستوى المحافظات برئاسة المحافظ وعضوية أمين الاتحاد الاشتراكى فى المحافظة ومدير الامن ورئيس المجموعة البرلمانية بالمحافظة ، وتشكل اللجان أيضا على مستوى الاحياء والمراكز برئاسة رئيس الحى وعضوية أمناء اقسام الاتحاد الاشتراكى وعضوية أعضاء مجلس ومديرى الادارات الصحية والهندسية والشئون الاجتماعية كما بدأت عملية تشكيل لجان المواطنين على مستوى الوحدات الجماهيرية •

•

معرض الكتاب الدولى الثالث

يعتبر معرض الكتاب الدولى الثالث الذى افتتحه وزير الثقافة فى ٢١ يناير ، بأرض المعارض بالجزيرة ، أكبر مهرجان ثقافى فى الشرق الاوسط •

ولقد كانت اقامة أول معرض للكتاب فى عام ١٩٦٩ نصرا سياسيا كبيرا فى مواجهة الضغوط الصهيونية على الناشرين الاجانب لمنعهم من الاشتراك فى المعرض ، فعلى الرغم من ضخامة النفوذ الصهيونى فى أجهزة الاعلام الخارجية ، وفى كثير من دور النشر الاجنبية ، فقد اشتركت فى المعرض ٢٦ دولة وحوالى ٤٥٠ دار نشر ، وعرض مليون كتاب •

والواقع أن معركتنا مع العدو الصهيونى ليست معركة عسكرية فقط ، بل هى أيضا معركة حضارية واعلامية ، وتفرض علينا اقتحام كافة المجالات لعرض قضيتنا على الرأى العام العالمى بأسلوب علمى ، وتقديم فكرنا وحضارتنا وتراثنا الذى شوهته الصهيونية والاستعمار ، ومعارض الكتب من أحسن المجالات التى يجب أن نوليها اهتماما خاصا ، فالكتاب أحد الاسلحة الرئيسية فى هذه المعركة ، وهو الوعاء الذى يمكن من خلاله أن نوضح وجهة نظرنا ، وأن نرد على الاتهامات التى توجه الينا •

ومن جانب آخر كان معرض الكتاب فرصة للقاءات بين دول العالم من خلال التعرف على أحدث ما صدر فى الفكر والعلم والثقافة ، وكذلك فرصة لتبادل الخبرات بين الشعوب بمعرفة الكتب والمؤلفات فى جميع قطاعات العلوم والفنون والاداب بمختلف اللغات ، ولاستعراض آخر ما وصل اليه العلم الحديث فى صناعة الكتاب ، فالكتاب أقدم وسائل النشر ، ولكنه ما يزال أوسعها انتشارا وأعمقها نفاذا ، وهو وسيلة التقدم العلمى والرقى والثقافى والتطور الحضارى ، وصناعة الكتاب صناعة حديثة معقدة تتحكم فيها عوامل كثيرة ، وهى كأى صناعة تتطور مع التقدم العلمى والصناعى الحديث ، وتنعكس عليها آثاره بصورة مباشرة فى الطباعة واخراج الكتاب ، وتوزيعه ،

علاوة على نوعية الموضوعات التى تناقشها هـذه الكتب ·

ويفى المعرض ـ الى حد كبير ـ باحتياجات الجامعات ومراكز البحوث من الكتب العلميـة ومراجع البحث الاجنبية ، ويلقى ضوءا كبيرا على ما يصدر فى العالم من ابحاث جديدة ودراسات جادة مما يعطى الفرصة لتطوير البحث العلمى عندنا ، وكذلك يلعب المعرض دورا هائلا فى تدعيم حركة التاليف والترجمة عندنا ، وذلك عن طريق الحصول على حقوق النشر للكتب والمـراجع الاجنبية واعادة نشرها ـ بعد ترجمتها ـ الى العربية مما يفيد القارىء العربى ، ويفتح له نافذة على الفكر العالمى ، كما تم فى المعرض السابق عقد اتفاق مع بعض مؤسسات النشر الايطالية على انتاج مجموعة ضخمة من كتب الاطفال وموسوعة علمية لهم ، وكذلك الاتفاق الذى تم مع بولندا على ترجمة أعمال كبار الكتاب المصريين الى اللغتين البولندية والانجليزية ، وكذلك فى مجال العلوم فقد قام عديد من الناشرين الاجانب بنشر بعض الكتب العلمية لعدد من العلماء المصريين واســـاتذة الجامعات ·

وقد أتاح المعرض الفرصة للكتاب العـربى المصرى للعودة الى مكانه الاول ، بعد محاولة نقل مركز الثقل فى طباعة واخراج الكتاب الى بعض العواصم العربية ، والذى لم يكن يقوم على أساس علمى سليم ، وقد أدرك الكثير من الناشرين العرب اهمية موقع مصر الجغرافى كمركز توزيع نموذجى للكتب ، ودفع كل هذا بدور النشر المحلية الى التنافس فيما بينها من أجل اخراج كتاب مصرى ذى مستوى فنى عال سواء من ناحية الطباعة أو الاخراج ، وكذلك التقليل من التكاليف حتـى يستطيع أن يقف فى مواجهة المنافسة الاخرى ، بالنسبة لعمليات التصدير ·

وفى معرض الكتاب هذه السنة زاد عدد الدول المشتركة الى ٣٤ دولة وعدد الناشرين الى ٧٥٠ ناشرا ، وعدد الكتب المعروضة الى مليون ونصف مليون كتاب حوالى ٨٠ فى المائة منها طبعات لنفس السنة ، والظاهرة الهامة فى هذا المعرض هى زيادة عدد الكتب التى تتناول العلوم التطبيقية والتطور الحـديث فـى العلـوم العسكريـة والاستراتيجية فى الحرب الحديثة ، وقد نالت كتب الاطفال اهتماما زائدا فى هذا المعرض ، لدرجة أن معظم ما عرضته اليابان كان عبارة عن أشكال جديدة ، وأنواع مختلفة من كتب الاطفال ·

ولا شك أن معرض الكتاب فرصة للقاءات بين العقول المختلفة ، ولتبادل الخبرات ، وللتعرف على الافكار والمعلومات ، وهو سوق حقيقية للصداقة بين الشعوب على أساس من الفهم المتبـادل والمشترك والواضح ·



حول مشكلة « عمال التراحيل »

ثمة مثل سودانى يعيب على هؤلاء الذين يرون الفيل ويكتفون بضرب ظله .. وأعتقد أن كثيرا من الحديث الذى جرى حتى الان حول مشكلة عمال التراحيل هو نوع من تجاهل القضايا الاساسية فى المشكلة ، أو محاولة الضرب فى الظل ·

وفى اعتقادى أن أولى هذه القضايا الاساسية التى يتعين عليها أن تفرض نفسها عند اثارة موضوع عمال التراحيل هى تساؤل محدد ·· هل من حق انسان أن يتاجر فى عرق انسان آخر فى ظل مجتمع يبنى الاشتراكية ؟ ·

وانا أزعم أن الاجابة عن هذا السؤال ـ هامة ـ من الناحية المبدئية والنظرية والسياسية ، وهى أيضا هامة جدا من الناحية العملية ، لان منع الاتجار فى البشر المتمثل فى توريد عمال واقتضاء عمولة على هذا التوريد ·· هذا المنع سوف يسكت أصواتا كثيرة لم ولن ترتفع الا بدافع من الرغبة فى الحصول على العمولة ·

والقضية الاساسية الثانية هى أنه ليس مقاولو الانفار وحدهم الذين يستغلون عمال التراحيل استغلالا لا يتنافى فقط مع مبادىء الاشتراكية وانما يتنافى أيضا مع أبسط حقوق انسان النصف الثانى من القرن العشرين ، وانما هناك قوى أخرى تتستر خلف ستار رسمى لممارسة استغلالها لعمال التراحيل

فالمشاريع التى تستخدم عمال التراحيل وهى فى غالبيتها العظمى مشاريع حكومية أو تابعة للقطاع العام ترفض أن تلتزم بما كفله القانون من حقوق وضمانات لعمال التراحيل ··

وثمة جهة رسمية أخرى تستغل عمال التراحيل بصورة لا منطقية هى الهيئة العامة للتامينات الاجتماعية ، التى فهمت رسالتها فهما خاطئا وتحولت الى جهاز يجبى ضرائـب أشبه « بضريبة الرأس » القديمة ، فهى تحصل أقساطا على أرقام مجردة للعاملين ، ولا تضمن فى مقابل ما تجبيه اية معاشات أو ضمانات لهؤلاء العمال .

ان فكرة التامينات الاجتماعية لا غبار عليها ، لكننى أقول وبأعلى صوتى انه ليس من حق أية هيئة ، أن تقتطع جزءا من مرتب أى مواطن دون أن ترتب له حقوقا فعلية ·

والقضية الاساسية الثالثة هى أن عمال التراحيل ليسوا شيئا فائضا ولا عبئا على المجتمع ، فان مجرد طلبهم للعمل يعنى أن مشاريع معينة فى عماية البناء بحاجة اليهم · ومن هنا يتعين النظر اليهم كعنصر اقتصادى ضرورى ،

وبعد هذا التبسيط للمشكلة الذى قد يبدو مخلا ، لكنه ضرورى ، يمكننا أن نخلص الى بعض النتائج والمقترحات :

- الغاء العمولة وما يترتب عليها من الغاء نظام المقاولين
- استصدار تشاريع صارمة تحمى أجر العـامل وانسانيته ..
- دعم نقابات عمال الزراعة فى القرى دعما حقيقيا عن طريق ابعاد المقاولين من صفوفها ·
- البحث عن شكل للعلاقة بين جهة الطلب (شركات القطاع العام) ·· وجهة العرض (عمال التراحيل) ·· ويبدو أن المرشح الوحيد للقيام بهذا العمل « التطوعى » طالما أنه لن تكون هناك عمولة هو وحدة الاتحاد الاشتراكى ومنظمة الشباب الاشتراكى بالقرية ·

واذا احتاج الامر الى بعض الاعمال الروتينية أمكن الاستناد الى بعض موظفى مجلس القرية أو مجلس المدينة بالانتداب .

وأخيرا فان القضية فى جوهرها هى قضية سياسية يمكن حلها من خلال دعم العمل السياسى والنقابى دعما حقيقيا ووضعه ـ بالفعل ـ فى خدمة الجماهير ·

رفعت السـعيد

■ الصراع العربى الاسرائيلى :

هل يوفق مجلس الامن فى التوصل الى حل ؟

يعتقد كثير من المراقبين السياسيين ان طرح أزمة الشرق الاوسط من جديد على مجلس الامن على اساس مشروع كامل بخطوات عملية لتنفيذ قرار المجلس الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ يمكن أن يكون المخرج الوحيد فى الظروف الراهنة ، وبعد ان فشلت محاولات يارنج ودبلوماسية الدول الكبرى فى تخطى حالة الركود التى سيطرت على الاوضاع فى الشرق الاوسط منذ أن سكت صوت المدافع فى يوليو الماضى .

وكانت اسرائيل قد اعلنت قبولها لاستئناف اتصالات **يارنج** قبل أسبوع واحد من تقديم تقرير المبعوث الدولى ، وربطت هذا القبول بشرطين هما نقل مقر الاتصالات من نيويورك ، وأن تجرى تلك الاتصالات على مستوى وزراء الخارجية .

واستؤنفت الاتصالات رسميا فى ٥ يناير بعد أن أجرى يارنج مشاورات مع كافة الاطراف كل على حدة ، وقدم تقريره لمجلس الامن .

ورغم عودة اسرائيل الى اتصالات يارنج الا أنها واصلت مناوراتها لتعطيل الاتصالات لاطول فترة ممكنة وتخريبها ، وسافر يارنج الى اسرائيل فى محاولة لايجاد مخرج من أزمة الشروط الاجرائية التى تثيرها اسرائيل فيما يتعلق بالاتصالات ، وبعد أن عاد يارنج الى نيويورك أعلنت اسرائيل أنها تقدمت بمقترحات جديدة ، وأشارت الدوائر الدبلوماسية المطلعة الى أن مقترحات اسرائيل تتلخص فى مد وقف اطلاق النار الى أجل غير مسمى بحجة اتاحة الفرصة للمبعوث الدولى كما أصرت اسرائيل على اعتبار قرار مجلس الامن مجرد جدول أعمال لمفاوضات بينها وبين الدول العربية .

وسرعان ما أعلن « **ابا ايبان** » بأن حكومتى امريكا واسرائيل متفقتان فيما يختص بأزمة الشرق الاوسط على :

- عدم انسحاب اسرائيل من الاراضى العربية قبل التوصل الى اتفاق للسلام .
- أن يتفق أطراف النزاع فيما بينهم على الحدود .
- تقدير عدد اللاجئين العرب الذين يعودون الى بلادهم
- أن تظل القدس مدينة موحدة .
- رفض أى حل يفرض من الخارج .

وازاء محاولات اسرائيل مواصلة التهرب من تنفيذ قرار مجلس الامن لعام ١٩٦٧ أبلغت الجمهورية العربية المتحدة يارنج ويوثانت وكل الدول الاعضاء فى مجلس الامن بتفاصيل موقفها ، كما ورد بمذكرتها التى سلمتها ليارنج ، ويتلخص موقف ج٠ع٠م فى اصرارها على وضع جدول زمنى محدد لتنفيذ قرار مجلس الامن وذلك قبل موعد انتهاء فترة وقف اطلاق النار ، والا فانها لن توافق على تحديد وقف اطلاق النار ، واعلن « **محمد فائق** » وزير الارشاد أن ج٠ع٠م تحتفظ لنفسها بحق العمل بالسبل التى تراها لتحرير الارض المحتلة ، وفى الوقت المناسب الذى تراه ، وستكون فى حل من وقف اطلاق النار مالم يوضع جدول زمنى لتنفيذ قرار مجلس الامن ،وفى نفس الوقت يتجه رأى القاهرة والدول المؤيدة لموقفها الى دعوة مجلس الامن للانعقاد قبل انتهاء موعد وقف اطلاق النار لبحث أزمة الشرق الاوسط ، وتشير المصادر المطلقة الى أن الولايات المتحدة ستحاول استخدام حق الفيتو ضد اصدار أى قرار معاد لاسرائيل داخل المجلس خلال مناقشته لازمة الشرق الاوسط .

وقد نشطت القاهرة على النطاق الدولى استعدادا لما قد يترتب على انتهاء فترة وقف اطلاق النار ، وواصل مبعوثوها جولاتهم فى عواصم العالم لشرح وجهة النظر العربية تجاه التطورات المحتملة للازمة ، كما اجرى **محمود رياض** مباحثات هامة مع المسئولين فى كل من فرنسا وبريطانيا .

كما عقد الرئيس **أنور السادات** عددا من المؤتمرات السياسية فى القاهرة وطنطا وأسيوط التقى خلالها بالقيادات السياسية والعمالية والمهنية والجامعية ، واكد الرئيس خلال تلك اللقاءات أن الشهور الستة القادمة لن تكون حاسمة فقط ولكنها ستكون مصيرية كذلك ، كما أشار الى أن استراتيجيتنا خلال الشهور القادمة هى ألا نسمح على الاطلاق بأن يكون وقف اطلاق النار وقفا دائما .

وواصلت الولايات المتحدة دعمها لاسرائيل فامدتها فى الفترة الاخيرة بالمعدات والاسلحة الالكترونية الحديثة ، كما أشار نيكسون الى ان الشهور القادمة ستكون حاسمة فى أزمة الشرق الاوسط وأكد أن الولايات المتحدة ستواصل تقديم كل مساعدة ممكنة لاسرائيل ، ورغم هذا التأييد من جانب الولايات المتحدة لاسرائيل ، الا أن قضية الحق العربى تجد مساندة متزايدة فى المجال الدولى ، مع تزايد افتضاح موقف اسرائيل ، وتزايد تفهم كثير من الدوائر لعدالة الموقف العربى ، وقد أشار الرئيس « **بودجورنى** » الى ذلك خلال زيارته للقاهرة فقال « ان الرأى العام العالمى يقرر الموقف البناء للجمهورية العربية

المتحدة تقديرا عاليا ، وتجد اسرائيل نفسها فى حالة من العزلة المتزايدة نتيجة لخطها السياسى القائم على التوسع والتعصب »

والامر الجدير بالاشارة اليه فى المجال الدولى هو ماأعلنه رئيس وزراء بريطانيا من انها تطالب بتنفيذ قرار مجلس الامن الذى ينص على مبدأ الانسحاب الكامل من الاراضى العربية المحتلة بعد ٥ يونيو ، كما عبرت الحكومة البريطانية كذلك عن قلقها الشديد لاستمرار اغلاق قناة السويس لما يؤدى اليه ذلك من أضرار بالاقتصاد البريطانى ، هذا بالاضافة الى ان دول السوق الاوروبيـــة المشتركة قد اتفقت فى المؤتمر الوزارى الذى انعقد فى الشهر الماضى على ضرورة تنفيذ قرارمجلس الامن وانسحاب اسرائيل الى حدود ما قبل ٥ يونيو ٠

ونشطت الاتصالات بين العواصم العربية فى محاولة لتنسيق الجهود وتبادل الاراء حول ما يجب أن تتخذه الدول العربية من خطــوات فى المرحلة القادمة ، وتوجت هذه الاتصالات بانعقاد مؤتمر القمة الرباعى لدول ميثاق طرابلس ، حيث تدارست دول الاتحاد الرباعى خطوات تــدعيم التنسيق فيما بينها ، كما ناقشت التطــورات المحتملة لازمة الشرق الاوسط .

كما اقترحت ليبيا على العواصم العربية عقد مؤتمر قمة عربى فى أسرع وقت فى الكويت للبحث عن حل لازمة الشرق الاوسط ويجرى الاعداد لهذا المؤتمر الذى ينتظر أن ينعقد قبل حلول موعد انتهاء وقف اطلاق النار ٠

■ ■

■ **بترول :**

على طــــريق الخمســين مليون طن بترول سنويا

كل التوقعات التى أعلنها مؤخرا خبراء البترول تكاد تؤكد أنه خلال السنوات الخمس القادمة سوف يصل انتاج الجمهورية العربية المتحدة من البترول الى رقم مذهل حقا يقترب من حــدود الخمسين مليون طن كل سنة ، وهو كما يبدو رقم ضخم بالقياس الى انتاج حقول البترول الان ، والذى سجل مع بداية هذا العام رقما فى حدود ٢٠ مليون طن ٠

ورقم الخمسين مليون طن من البترول أعلنه هذا الاسبوع ـ بنفسه ـ الدكتور « **عزيز صدقى** » وزير الصناعة ونائب رئيس الــوزراء ، وقال : « ان الانتاج المحلى من البترول كان بعد ٩ يونيو ٦٧ فى حدود ٢ **مليون ونصف مليون طن**، وأصبح اليوم ٢٠ **مليون طن ، وأننى أتوقع أن يرتفع الانتــاج البترولى فى الخطة الخمسية الى ٤٠ أو ٥٠ مليون** طن ، وهذا التوقع من حصيلة المناقشات مـع الخبراء ووفق الابحاث الجارية » ٠

وقد بدأ عام ١٩٧١ بدلائل تدعو الى التفاؤل فيما يتعلق بتطور الانتاج البترولى ٠

● ففى أول يوم من العام الجديد انبثق البترول فى بئر استكشافية فى الصحراء الغربية ، والبئر يقع جنوب حقل العلمين ، وقد ظهر البترول فى البئر على عمق ٤٦٩٥ قدما ، وهو عمق بسيط بالقياس الى عمق البترول فى حقل العلمين مثلا الذى وصل الى ٨٠٠٠ قدم ، وفى بئر « مباركة » وصل العمق الى ٩٠٠٠ قدم ٠

وبعد اختبارات أجريت على البترول المتدفق من البئر الجديدة التى أطلق عليها أسم « ص ٠ غ ٨ » تقرر أجراء مزيد من الحفر للوصول الى أعماق أبعد ، حيث أن كميات البترول التى ظهرت فى البئر قليلة ، وثمة احتمال أمام الخبراء بالعثور على كميات أكبر عند الوصول الى أعماق بعيدة تحت سطح الارض ٠

● فى نفس الوقت ظهرت شواهد غازية مشجعة فى البئر التى يجرى حفرها فى جنوب رشيد على عمق ٥٣٠٠ قدم فى طبقة سمكها ٤٠ قدما ، وستستمر عملية حفر البئر حتى نهايتها ، ثم يقوم المهندسون بعملية تبطين البئر من الداخل لمنع انفجار الغاز عند اختباره وتقدير كمياته لتحديد قيمتها الاقتصادية للاستغلال ٠

● وبالنسبة الى حقل سيوة ، فان الامال معلقة الان عليه للعثور على البترول فيه ، ان الحفر الاول الاستكشافى قد أيد هذا القول، وقد تم حفر بئرين حتى الان فى حقل سيوة ، وستحفر بئر ثالثة ، والنتائج الاولية تشير الى أنه من المتوقع العثور على البترول فى هذا الحقل قبل نهاية هذا العام ٠

● وخلال شهر يناير من هذا العام يوقع الدكتور عزيز صدقى وزير الصناعة والبترول عقد تنفيذ **مشروع خط أنابيب البترول** الذى سيتم مده بين السويس والاسكندرية لنقل ٦٠ مليون طن بترول كل سنة ، وقد تم حتى الان التعاقد مع ٦ شركات عالمية للبترول لاستخدام هذا الخـط ، والشركات هى : شركة موبيل أويل الامريكية وشل الهولندية الانجليزية ، والبترول البـريطانية ، والبترول الفرنسية ، وأموكو الامريكية ، وايراب الفرنسية ، وقد تم توقيع عقودها بالفعل ٠

وقد أشتركت عــدة دول لتمويل المشروع ،

وساهمت فرنسا بـ ٤٠ مليون دولار ، وأسبانيا بـ ٢٠ مليون دولار ، واتحاد البنوك العربية الفرنسية بـ ٢٠ مليون دولار ، واليابان بـ ١٢ مليون دولار ، والكويت بـ ١٠ ملايين دولار ، وشركة أموكى الامريكية للبترول بـ ٥ر٧ مليون دولار ، ومن المنتظر أن تعلن ايطاليا اشتراكها فى تمويل المشروع بـ ٣٥ مليون دولار ، ذلك كله بالاضافة الى ما سوف تسهم به الجمهورية العربية لكى يبدأ تنفيذ المشروع على الفور .

وفى النصف الثانى من عام ١٩٧٠ حققت صادرات الجمهورية العربية فى البترول أرقاما قياسية ..

والارقام تقول هنا : انه خلال الفترة من يوليو حتى سبتمبر من عام ٧٠ صدرت الجمهورية العربية بترولا قيمته ٦ ملايين جنيه ، وهو رقم يعادل تقريبا نصف قيمة الصادرات البترولية خلال عام ١٩٦٩ كله .

كذلك تمت عدة تعاقدات جديدة ، منها عقد مع الاتحاد السوفيتى على تصدير مليون ونصف مليون طن بترول من خام حقول المرجان ، وعقود أخرى مع الصين الشعبية ويوغسلافيا وأسبانيا ، وعقد مع بيت « نيسى » السويسرى لتصدير ٣ ملايين طن من حقول المرجان أيضا خلال السنوات الثلاث القادمة .

وقد غادر القاهرة خبراء تسويق البترول المصرى الى اليابان والارجنتين وغانا وتنزانيا فى افريقيا لفتح أسواق جديدة أمام البترول المصرى فى آسيا وأمريكا اللاتينية وأفريقيا .

●

السد العالى يحكى قصته

استقبلت الجماهير الشعبية بالفرح الشامل وبروح الامتنان ما أعلنه الرئيس بودجورنى من أن الاتحاد السوفيتى قرر المساهمة فى كهربة الريف واستصلاح الاراضى .

ويرى المراقبون أن الاستقبال الشعبى الحار الذى لقيه الرئيسان السادات وبودجورنى عند زيارتهما للاسكندرية فى أعقاب انتهاء احتفالات اتمام بناء السد العالى ، كان تجسيدا لرد فعل الجماهير الشعبية ازاء هذا الدعم الجديد الذى يقدمه الاتحاد السوفيتى على طريق العلاقات العربية السوفيتية .

وطبقا للاتصالات الاولية التى تمت مع الحكومة السوفيتية فان مشروع كهربة الريف سوف يستغرق خمس سنوات وسوف يقدم الجانب السوفيتى جميع التكاليف الاجنبية التى يحتاجها توصيل الكهرباء الى جميع قرى الجمهورية . وهى تقدر بحوالى ٧٥ مليون جنيه من النقد الاجنبى من اجمالى التكاليف المقدرة بحوالى ١٢٥ مليون جنيه ، فضلا عن الدراسات والخبراء والمعدات والمواد اللازمة لتنفيذ المشروع .

وجدير بالذكر أنه تقرر أن تشمل مشروعات كهربة الريف ، مد خطوط القوى المحركة لتغذية الورش والصناعات المختلفة التى ستقام مستقبلا فى القرى بالتيار الكهربائى الى جانب خطوط انارة القرى .

وخلال الاحتفالات الشعبية والرسمية باتمام بناء السد يوم ذكرى مولد الزعيم الخالد **جمال عبد الناصر** ، وقع الرئيسان السادات وبودجورنى باسم الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتى وثيقة تعلن « أن بناء السد العالى فى أسوان قد تم تحقيقه بنجاح وفى الميعاد المقرر له ، وأن هذا البناء الشامخ هو أحد المنجزات الرائعة التى سوف يسجلها التاريخ للزعيم الخالد جمال عبد الناصر وسوف يحمل اسمه على الدوام » .

كما سجلت الوثيقة « ان السد العالى فى أسوان عمل فريد من نوعه ليس فقط من ناحيته الفنية ، ولكن من ناحية ضخامة حجم الاعمال التى تم تحقيقها . كما أنه يمثل تقدما جديدا فى مجال بناء الانشاءات المائية فى العالم . ويعد انجازا هاما للمدرسة الفنية السوفيتية ونجاحا للعلم والفن السوفيتى ومجالا للتعاون الانسانى المثمر بين العلماء والمهندسين والعمال السوفيت والمصريين » .

وكان اسم القائد الخالد جمال عبد الناصر وصورته وكلماته تتألق فى كل مكان من البقعة التى قال عنها ذات يوم : « **ليست هناك بقعة من الارض تصور المعركة للانسان العربى المعاصر فى أبعادها الشاملة كهذا الموقع الذى نقف أمامه على سد أسوان العالى . وهنا تختلط المعارك السياسية والاجتماعية والقومية والعسكرية للشعب المصرى وتمتزج كأنها الاحجار الضخمة التى تسد مجرى النيل القديم وتختزن مياهه فى أكبر بحيرة صنعها الانسان لتكون مصدرا دائما للرخاء** » .

واعلن الرئيس انور السادات فى خطابه امام المؤتمر الشعبى فى أسوان « أن السد العالى

يستطيع أن يحكى كل جوانب القصة الهائلة لعمل ودور جمال عبد الناصر » • واستعرض الرئيس السادات فى خطابه موقف أمريكا من تمويل السد العالى وقارنه بموقف الاتحاد السوفيتى ثم تابع المقارنة بين موقف الدولتين فى مختلف القضايا والمعارك التى واجهتنا مؤكدا « ان كل وعد أمريكى مكسور منقوص يقابله وعد سوفيتى تحقق أو هو فى سبيل التحقيق فى كل المجالات أمل وعمل فى الصناعة وفى استصلاح الاراضى فى مد شبكات الكهرباء فى السلاح فى التدريب • فى المساندة السياسية اللامحدودة واللامشروطة لانها واثقة من أن موقفها شركة فى الدفاع عن الحرية والدفاع عن السلام » •

وأكد الرئيس السوفيتى بودجورنى فى خطابه أمام المؤتمر : « ان السد العالى ، بأسوان ليس قاعدة متينة لتطوير الاقتصاد فى البلاد ومدرسة للكوادر الوطنية فحسب ـ بل هذا المشروع العظيم يؤثر تأثيرا بالغا على جميع مرافق الحياة فى الجمهورية العربية المتحدة • وأصبح السد العالى رمزا لتحرر الشعب المصرى تحررا حقيقيا ووطنيا » •

وقال فى خطابه للجماهير « انكم تبنون حياة جديدة فى ظروف حرجة متوترة ـ عندما يحتل المعتدون الاسرائيليون جزءا من أراضيكم وينهبون خيراتكم ويغيرون على السكان الامنين ـ ولكن الشعب اذا حشد قواه واختار الاسلوب الصحيح وحرص على اليقظة نحو أعدائكم واعتمد فى نضاله على الاصدقاء المخلصين يستطيع التغلب على ما فى طريقه من مصاعب » •

وفى نهاية كلمته « وتذكارا لاتمام بناء السد ورمزا للصداقة السوفيتية المصرية المتينة متانة الجرانيت بل الفولاذ » قدم لبناة السد ـ كادحى أسوان ـ هدية تذكارية هى نسخة من التمثال المشهور الذى يرمز الى اتحاد الطبقة العاملة والفلاحين الكادحين ، وقدم للرئيس السادات نموذجا مصغرا لخريطة كهربة ج • ع • م التى يتم تحقيقها وفقا لما رسمه جمال عبد الناصر الخالد •

وفى الاسكندرية ، ووسط استقبال شعبى ضخم ـ زار الرئيسان الترسانة البحرية وألقيا خطابين فى ألوف العمال الملتفين حولهم فى حماس بالغ •

قال الرئيس السادات فى خطابه « اليوم يشهد الرئيس بودجورنى عواطف شعب بأكمله • أريد أن ينقلها باسم الاسكندرية وباسمكم الى الشعب السوفيتى الصديق الذى قدم لنا المساعدة الشريفة ، ويقدمها فى كل المجالات ويبنى معنا المصانع ووضع معنا أسس قيام دولة صناعية حديثة • اريده ان يحمل شكر هذا الشعب وشكركم أنتم أيضا وأن يحمله الى الرفيق **بريجنيف والرفيق** كوسيجين عرفانا منا » •

كما طلب الرئيس السادات من الرئيس بودجورنى « أن ينقل للشعب السوفيتى الصديق أن الشعب المصرى على مستوى المسئولية التاريخية وانه مستعد من أجل الحفاظ على كرامته واستقلاله وعرضه ـ أن يدفع الثمن مهما كان غاليا » •

وركز الرئيس بودجورنى فى كلمته التى القاها فى ألوف العمال خلال زيارته للترسانة البحرية ـ على دور العمال فى تحقيق الانجازات والتغييرات الى الافضل التى حققتها ثورة ٢٣ يوليو تحت قيادة الابن العظيم للشعب المصرى الرئيس الخالد جمال عبد الناصر •

« أثناء زيارتنا للجمهورية العربية المتحدة نجد باستمرار دلائل جديدة على تصميم شعب مصر وطبقتها العاملة على السير الى الامام فى الطريق الى بناء حياة جديدة • وقد عاد ذلك بنتائج نشاهدها باستمرار تتجسد فى مشروعات أسوان الكهربائية الكبرى ، ومصنع الحديد والصلب فى حلوان وفى ترسانتكم البحرية • وكذلك فى ألوف جديدة من افدنة الاراضى الخصبة التى كانت منذ زمن غير بعيد قاحلة جرداء ويتجسد فيها مجد العامل والاعمال الباهرة للذين قاموا بتصنيع وتشغيل هذه المصانع والمحطات الكهربائية بأيديهم ومهاراتهم وكذلك من أصلحوا هذه الحقول •

وامتدح الرئيس بودجورنى النشاط الواسع الذى قامت به الطبقة العاملة المصرية والفلاحون والمثقفون والتقدميون والعناصر الوطنية الاخرى التى تستند عليها قيادة الجمهورية العربية المتحدة هذا النشاط الذى يتمثل فى نجاح التحولات الاجتماعية التقدمية • وأكد على حتمية الانتصار على المصاعب والدسائس التى تثيرها الرجعية الداخلية والقوى الامبريالية الخارجية •

ولقد وصف الرئيس السادات احتفالات السد العالى فى أسوان وزيارته مع الرئيس بودجورنى للترسانة البحرية فى الاسكندرية بـأنها كانت مهرجانات للصداقة العربية السوفيتية والتعاون المشترك الشريف بلا قيد ولا شرط ، الامر الذى عبر عنه البيان المشترك عن نتائج مباحثات السادات ـ بودجورنى •

تعليق

تجارة الفن ..
والفن التجارى

فى نطاق التعليقات التى صاحبت اقامة السوق الرابعة للفن التشكيلى فى ديسمبر — يناير ٧٠ — ٧١ كثر الحديث عن « الفن التجارى » واختلط بالحديث عن « تجارة الفن » ،

وتبدأ القصة حين شرعت ادارة الفنون الجميلة منذ اربع سنوات فى اقامة السوق فى أكبر قاعاتها فى القاهــرة ، حيث جمعت اعمال الفنانين التشكيليين فى عرض تجارى يتسـم بملاءمة الاســعار للذواقة العاديين من المواطنين ، وكانت فكرة موفقة لعبد القادر رزق فتح بها مجالا للفنــانين لتسويق اعمالهم المكدسة فى مراسمهم ، خاصة وأن الفنان يستمد دوافـع ، ابداعه من عــوامل مختلفة منها عمليــة « التقدير او التشجيع » التى تتخذ شكل الاقبال على اعماله

كانت الســوق الاولى ناجحة تماما : فالاسعار منخفضــة نسبيا .. والاعمال اصيلة غير مفتعلة .. واستطاع سبعون فنانا ان يحصلوا على ١٥ الف جنيه ، شاركتهم فيها وكالة

توالت الاسواق بعد ذلك فى ديسمبر — يناير من كل عام، حتى كان العــام الماضى ٦٩ — ٧٠ حين صرح بعض النقاد والمسئولين — من بينهم حسن عبد المنعم وكيل وزارة الثقافة — بأن لفيفا من الفنانين عملوا طوال العام بفرض تسويق أكبر عدد من اللوحات ، بعد أن تعرفوا على أذواق الجمهور ولمسوا مواطن اثارته ، مستخدمين فى ذلك أساليب آلية سريعة والوانا اخاذة وموضوعات شيقة ، غالبا ما كانت مقتبسة او منقولة من العناصر الشائعة فى الفن الشعبى ، فجمعوا بذلك بين الابهار ورخص الاسعار ، والاسم اللامع والعرض الزاخر المتنوع ، مستفيدين من ظاهرة هبوط الوعى الفنى بين الجمهور العادى متوسط الدخل .

الواقع ان هذه النزعة قد استمرت على نطاق ضيق فى السوق الرابعة هذا العام ٧٠ — ٧١ ، الى جوار النزعات الاصيلة التى تبدت فى لوحات الراحلين : احمد صبرى وكمال خليفة ، والمعاصرين : صلاح طاهر وجمال محمود وجاذبية سرى وانجى افلاطون وغيرهم ... ومنتجات وكالة الغورى التى لايمكن اغفالها ابدا .

هنا .. يبرز الفارق بين «الفن التجارى» و «تجارة الفن» ، فالفن التجارى معروف بأنه عملية اعلانية وايضاحية وتصميمية بهدف ملاءمة الابداع الفنى لتذوق الجماهير واستخداماتهم ، أما تجارة الفن فشىء مختلف تماما ، انها مجـرد تســويق للاعمال الفنية الاصيلة .. وهى الاعمال التى ترقى الى مستوى الابداع الفنى الرفيـع كما تحـدده جمهـرة النقاد والمختصين المعترف بهم ، وهى اعمال يذيب فيها الفنــان احاسيسه وفكره ومواهبه .. وقدراته ومهاراته التكنيكية ، وهى صفات ثقافية انسانية شأنها شأن صفات اى فن آخر .

ولكن تبقى كلمة ...

نرى أن يعاد النظر فى كيفية اقامة السوق ، فتخصص لجنة لتصفية اعمال المشــتركين .. فنيا ، ولجنة لتحديد الاسعار .. تجاريا .. ولجنة لتنظيم المعرض ذاته والاشراف على اخراج « كتالوج » مناسب وتخطيط الدعاية اللازمة على اسس علمية تجارية .. وليس على اسس فنية .. او شخصية .

مختار العطار

■ **المقاومة الفلسطينية :**

نقد ذاتى واستقطابات جديدة

طرأت على حركة المقــاومة الفلسطينية فى الشهر الماضى . جملة تطورات هامة .. فللمرة الاولى خرج قادة المقاومة يمارسون النقد الذاتى بصوت عال .. وحلت منظمتان من منظمــات المقاومة .. كما شهد قطاع غزة اتساعا كبيرا فى عمليات المقاومة ضد الاحتلال الاسرائيلــى .. وشنت القوات الاردنية هجوما واسعا شمل معظم المناطق التى أقام فيها الفدائيون مؤخرا بموجب اتفاقيات عمان والقاهرة .

● وقد بدأ **محمد يوسف النجار** (أبو يوسف) حملة النقــد الذاتى ، وأبو يوســف هو فى وقت واحد أحد قادة فتح ، وعضو اللجنة التنفيذية واللجنة المركزية لمنظمة التحرير ورئيس اللجنة العليا لشئون الفلسطينيين فى لبنان ... فقد ألقى خطابا فى مقبرة الشهداء بمنطقة المرج فى بيروت يوم أول يناير (كانون ثان) المــاضى ، أعلن فيه « ان فتح لن تسكت بعد اليوم على مزيفى الشعارات ، والعابثين بالثورة الفلسطينيــة ، وستعمل فتح على ازالة كل الشوائب من الساحة مبتدئة بنفسها » !

وبعد خطاب أبو يوسف بيومين عقد **صلاح خلف** (أبو اياد) — الرجل الثانى فى فتح وعضو أمانة اللجنة المركزية لمنظمات المقاومة — مؤتمرا صحفيا فى بيروت أكد فيه أن « المقاومة مصممة على عدم الخروج من الاردن وعلى عدم تسليم أسلحة الميليشيا » . وأن قادة المقاومة « يعارضون انشاء دولة فلسطينية ، وأنهم يتطلعون الى دعم علاقاتهم مع الصين » .

وفى مجال النقد الذاتى قال أبو ايــاد « ان النعرة الاقليمية كانت احدى الاخطاء التى وقعنا فيها . فثورتنا هى جزء من الثورة العربية » . وطالب أبو أياد بضرورة « تحـديد الجبهـة التى ينبغى أن تقاتل فيها المقاومة » . ويرى صلاح خلف أن الحل « يكمن فى العودة الى العمل السرى » . وأعاد أبو اياد الى الاذهان صورة العمل الفدائى قبل ست سنوات حيث « لم نكن شيئا كبيرا وكنا نتكلم قليلا » وألح أبو اياد على ضرورة « أن نعود الى هذه الروح الثورية » .

وعندما تحدث عن مذبحة ســبتمبر (أيلول) الماضى قال أبو اياد « ان بعض الشعارات التى أطلقت خلال المعركة كانت أكبر بكثير مــن الامكانيات الحقيقية للمقاومة ، مثل (لن نوقف

المعارك قبل سقوط العرش» • ويرى أبو اياد أنه «لم يكن للشعارات من هدف سوى زيادة تضييق الخناق على الفدائيين ودفعهم الى الهلاك بتضخيم الاهداف أمامهم بصورة مصطنعة» • واعترف أبو اياد فى ختام ما أسمته وكالة الانباء الفرنسية (أول نقد ذاتى علنى لعمل المقاومة الفلسطينية)، واعترف بأنه «فى اليوم الرابع للقتال فى سبتمبر كانت المقاومة تتمنى وقف اطلاق النار» •

وجاء **كمال ناصر**، عضو اللجنة التنفيذية واللجنة المركزية لمنظمة التحرير، ليدلى بعدهما بحديث لمجلة (**الحوادث**) اللبنانية، نشرته فى عددها الصادر فى ٨ يناير الماضى، أكد فيه «ان المقاومة ولدت تحمل معها بذور مأزقها الاستراتيجى» • ولم ينكر كمال ناصر وجود أخطاء فى صفوف المقاومة، لكنه يرى أن هذه الاخطاء ليست السبب الرئيسى الاساسى للمذابح التى تنظمها قوى الثورة المضادة ضد المقاومة • وأكد كمال ناصر ان «اللجنة المركزية تناضل من أجل تصحيح الأمور وازالة العقبات الكبيرة» و«ترسيخ الوحدة الوطنية» و«تصحيح العلاقات بين فصائل المقاومة» واعتبر أحداث أيلول (سبتمبر) بداية ولادة لثورة حقيقية بالرغم من قسوتها وعنفها»، وأشار الى «بعض التغييرات فى قيادة المقاومة» فالثورة فى رأيه «مدعوة أن تكون صارمة مع نفسها ومع خصومها» •

● ولعل التطور الثانى الجديد والهام فى صفوف المقاومة كان حل (**الهيئة العاملة لتحرير فلسطين**) • وكانت هذه المنظمة الصغيرة قد انشقت فى أواخر ١٩٦٨، عن منظمة فتح، وترأسها **دكتور عصام سرطاوى**، وقد جاء حلها فى أعقاب اقدام ثلاثة من أعضائها على قتل أحد عناصر فتح بتهمة خيانة الثورة !! وكان كل ذنب الشهيد أنه ترك (الهيئة العاملة) وانضم الى (فتح) وأنه طلب من بعض أعضاء الهيئة العاملة الالتحاق بفتح • وفى نفس الوقت أعلن حزب **البعث** فى العراق عن حل منظمته الفدائية (**الجبهة العربية لتحرير فلسطين**)، وأنه طلب الى أعضاء المنظمة المذكورة الالتحاق بفتح •

● وفى قطاع غزة اتسعت دائرة أعمال المقاومة، وألقى القبض فى الاسبوع الاخير من ديسمبر (**كانون أول**) الماضى على مجموعة تنتمى الى (**الجبهة الوطنية المتحدة**)، وتقدر بحوالى خمسين عضوا • ونسفت السلطات الاسرائيلية العديد من المنازل لمواجهة موجة الاعمال الفدائية العنيفة • وصرح وزير الداخلية الاسرائيلى بأن حكومته تنوى ضم قطاع غزة الى اسرائيل •

● وشهد الاسبوع الثانى من الشهر الماضى صداما جديدا بين المقاومة والجيش الاردنى، نجحت بعده الجهود العربية فى التوصل الى اتفاق لوقف الصدام، بعد سقوط ٣٢ قتيلا وأكثر من ١٠٠ جريح من الجانبين حسب تقديرات دوائر المقاومة •

ويرى المراقبون ان افتعال الازمة المذكورة، بحجة وجود متفجرات لدى المقاومة، كان هدفه صرف أنظار العالم عما تقوم به اسرائيل وأمريكا من محاولات لتعطيل مهمة يارنج • واجهاض جهود مصر لفضح هذا الموقف الامريكى ــ الاسرائيلى، وتشتيت طاقة الجمهورية العربية المتحدة وتبديدها، بعدما لوحظ من تركيز للجهد المصرى فى انتظار ٥ فبراير، وهو يوم انتهاء مدة وقف اطلاق النار على خط القناة •

■ ■

■ السودان :

الخطة الخمسية الاولى

أعلنت الحكومة السودانية الخطة الخمسية الاولى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية لاعوام ١٩٧٠ / ٧١ ــ ١٩٧٤ / ١٩٧٥، وقد استهدفت الخطة الخمسية الاولى مهاما رئيسية على الثورة السودانية أن تنجزها خلال فترة الانتقال التى تمر بها الثورة فى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية :

أولا : استكمال عملية تحرير الاقتصاد الوطنى من التبعية والخضوع للنفوذ الاجنبى فى علاقاته الداخلية والخارجية •

ثانيا : ازالة التباين والاختلاف بين مستويات النمو الاقليمى داخل البلاد وتحقيق التكافؤ فى وضع أسس للتكامل الاقتصادى بين القطاعات الانتاجية، وبين أقاليم البلاد المتنامية الاطراف•

ثالثا : زيادة الدخل القومى واعادة توزيعه ليكون حافزا للطبقات والفئات الاجتماعية التى تسهم فى دعم وتوسيع قاعدة الانتاج وتحقيق الفائض الضرورى للانفاق الاستثمارى والاستهلاكى خلال فترة الانتقال •

رابعا : تفتيت وسحق مواقع النفوذ الرجعى والاستعمارى فى الاقتصاد الوطنى، بتحديد أشكال امتلاك وسائل الانتاج الرئيسية وكيفية الانتفاع بها، والسبل لتكوين علاقات انتاج جديدة تنبثق منها، وتتحدد هذه الاشكال فى **قطاع**

الدولة وهو القطاع الرائد فى توفير تراكم الفائض الاقتصادى وتوجيهه ، بالاضافة الى **القطاع التعاونى** • **والقطاع الخاص** الذى يمارس نشاطه فى نطاق علاقات اقتصادية جديدة تحكمها ادوات التخطيط والتوجيه وتحدد اتجاهه أهداف الخطة الخمسية •

وهكذا تعلن الخطة فى صدرها « **ان خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية لجمهورية السودان الديمقراطية للسنوات ٧٠/١٩٧١ ـ ٧٤/١٩٧٥ هى برنامج شامل يهدف الى تحقيق الاهداف الاساسية التى حددتها ثورة مايو عندما أعلنت اتباع الطريق الاشتراكى فى التنمية وذلك من أجل خلق اقتصاد وطنى متحرر ومن أجل زيادة رفاهية الشعب السودانى وتطوير ثقافته وزيادة الخدمات التعليمية والصحية** » •

وتستهدف الخطة زيادة الناتج القومى الاجمالى بمعدل سنوى يصل فى المتوسط الى ٨ر١ فى المائة مقابل ٤ر٧ فى المائة للسنوات الخمس الماضية ٦٥/١٩٦٦ ـ ٦٩/١٩٧٠ ، وذلك حتى يصبح الدخل القومى ٨٣٣ مليون جنيه سودانى فى ١٩٧٤/١٩٧٥ مقابل ٥٦٤ مليون جنيه سودانى فى ٦٩/١٩٧٠ • والعمل على زيادة الايرادات الحكومية لتصبح ٨٨٧ مليون جنيه سودانى مقابل ٥٣١ مليون جنيه سودانى فى السنوات الخمس الماضية ، مع تحقيق التوازن بين الايرادات على أساس اجتماعى واقتصادى عادل •وزيادة نصيب الفرد الواحد من الناتج القومى الاجمالى الى ٦ر٤٧ جنيها سودانيا مقابل ٤ر٣٦ جنيها سودانيا •

وفى مجال الزراعة والثورة الحيوانية ، فان السودان تمتلك أراضى واسعة منها ٨٠ مليون هكتار صالحة للزراعة ومصادر هائلة للمياه ، وأراضى وظروف مناخية صالحة لتنمية وتطوير الانتاج الزراعى فى الاراضى المروية صناعيا ومطريا ـ والسودان بامكانياته تلك وموارده هو القطر الوحيد فى الشرق الاوسط المؤهل لان يكون مكتفيا ذاتيا من ناحية المواد الغذائية والمواد الخام كما يمكنه أن يصدر فائضا كبيرا من هذه المواد ، ومن ناحية أخرى فان السودان على خلاف كثير من البلدان النامية تمتلك الدولة معظم الارض فيه ، وأن اكثر من ٢٧ فى المائة من مجموع الاراضى المزروعة تديرها مؤسسات حكومية توزع الارض على المزارعين على أساس قاعدة الشراكة التقليدية • ومن هنا فان الخطة تستهدف فى مجال الزراعة زيادة حجم الانتاج الزراعى بحيث يمثل ٣ر٧٧ فى المائة من مجموع الانتاج القومى ، وذلك بزيادة الانتاجية وزيادة غلة المحاصيل وادخال محاصيل زراعية جديدة وتنمية مساحات جديدة بالرى الصناعى وبمياه الامطار وتوسيع وسائل الرى واقامة وحدات رى جديدة والتوسع فى المكننة واستعمال الكيماويات ومكافحة العطش •

واذ تمتلك السودان ثروة حيوانية تصل الى عشرات الملايين من رؤوس الماشية والضأن والجمال ، فان الخطة الخمسية الاولى تستهدف زيادة حجم الانتاج الحيوانى بنسبة ٥ر٧٥ فى المائة •

وفى مجال الصناعة فان الهدف هو زيادة حجم الانتاج الصناعى بحيث يمثل ٤ر٧٥ فى المائة من اجمال الانتاج القومى ، وادخال أنواع جديدة من المنتجات الصناعية لمقابلة الاحتياجات المحلية وتقليل الواردات السلعية المختلفة ، ولاول مرة فان الصناعات الحكومية الثقيلة ستنشأ فى مجالات المناجم والزراعة والهندسة •

كما سيتم زيادة الطاقة الانتاجية للمؤسسات الحكومية والخاصة العاملة حاليا بنسبة ٩٠ فى المائة ، وزيادة مدة تشغيل كثير من الوحدات الانتاجية التى لا تشتغل بكامل طاقتها ،فمثلا ستزاد مدة تشغيل المحالج الى ٣٥٠ يوم عمل فى السنة بدلا من ١٢٠ و ١٣٠ يوم عمل حاليا ، كما سيتم مسح الثروة المعدنية فى البلاد لارساء الاساس المادى لخلق وتطوير المناجم والصناعات الانتاجية • ان من المقرر أن يبدأ العمل فى ١٩٧٢/١٩٧٣ فى أول مشروع للتنجيم لاستخراج خام الحديد بمعدل ٢٥٠ طنا سنويا ، الى جانب احداث توسعات كبيرة فى مجال الصناعات الغذائية •

وفى مجال القوة الكهربائية فان الخطة تعمل لزيادة حجم القوة الكهربائية المائية بأسعار رخيصة وأمداد المدن المختلفة والمناطق الزراعية الهامة بالقوة اللازمة ، وسيستثمر فى هذا المجال ١٤٠ مليون جنيه لتنمية القوى الكهربائية •

وفى مجال النقل ، فان الهدف الاساسى لخطة تطوير المواصلات هو العمل على تحقيق كفاءة استقلال وسائل المواصلات لترحيل البضائع والجمهور ووضع المستوى الفنى لتطوير وسائل المواصلات على أساس حجم البضائع الخاصة بالصناعة والزراعة والانشاءات الرأسمالية والتجارة الداخلية والخارجية والسكان •

وفيما يتعلق بالمواصلات والاذاعة والتليفزيون فتستهدف الخطة احداث توسعات فى دوائر الارسال واقامة شبكات جديدة ، وفى مجال الثقافة تستهدف تحسين وخلق تسهيلات للطبع والنشر ، واقامة مؤسسات للنزهة والترويح وتوسيع المتاحف •• الخ •

وفى ميدان التعليم وتدريب العمال المهرة والاخصائيين فان الخطة قد حددت أهدافا لادخال نظام جديد للتعليم العام والثانوى يرمى الى مقابلة

احتياجات القوى العاملة والاخصائيين ، ولضمان نجاح تنفيذ برنامج التعليم الجديد ستبنى مدارس جديدة وستوسع المدارس الحالية • كما ستقام مراكز تدريب للعمال بالاضافة الى انشاء عدد من المعاهد •

والهدف الاساسى فى التجارة الخارجية زيادة حجمها وتحسين تكوين عناصرها بالاضافة الى تنشيطها وتحسين ميزان المدفوعات • أن الخطة تهدف الى تخصيص الكمية اللازمة للبضائع المصدرة وتحديد نوع البضائع المستوردة لمقابلة الاحتياجات المحلية وتطوير القوى الانتاجية للبلاد ولزيادة كفاءة التجارة الخارجية الاقتصادية ترمى الخطة الى انشاء وكالات حكومية للتجارة الخارجية يكون لها حق الاحتكار ،آخذة فى الاعتبار تطوير التجارة الخارجية مع الوكالات الحكومية للتجارة الخارجية فى البلدان الاشتراكية •

وفى مجال العلاقات الاقتصادية وضعت الخطة اجراءات لدعم العلاقات الاقتصادية والعلمية والفنية والتجارية وزيادتها مع البلدان الاشتراكية والعربية والصديقة وسوف يمكن برنامج العلاقات الاقتصادية المحدد فى الخطة من استغلال استثمارات رأسمالية تبلغ ٩٥ مليون جنيه سودانى على هيئة قروض وتسهيلات ائتمانية ومنح ومعونات فنية بشروط مناسبة • وسيتم انشاء عدد من المشاريع الاجتماعية والثقافية ومشاريع حيوية فى مجال الصناعة والزراعة بمساعدة الاخصائيين والعمل فى البلدان الصديقة •

■ ■

■ اليمن الديمقراطية الشعبية :

جهود ايجابية لتحقيق وحدة وطنية حقيقية

حققت حكومة الثورة فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية فى الاسابيع الاخيرة خطوة هامة من أجل تدعيم الجبهة الداخلية فى مواجهة المؤامرات الامبريالية والرجعية فى المنطقة بعد انفتاح التنظيم السياسى الحاكم واجراء حوار مع القوى الاشتراكية والعناصر الوطنية الديمقراطية ، وفى مقدمتها « المنظمة المتحدة للشبيبة اليمنية » ويرجع تاريخ تأسيس منظمة الشبيبة الى عام ١٩٦١ على يد المناضل والقائد النقابى « عبد الله عبد المجيد السلفى » شهيد الطبقة العاملة اليمنية الذى اغتيل صبيحة يوم ٢٨ ابريل ١٩٦٦ برصاص الرجعية والاستعمار فى الجنوب، وقد لعبت المنظمة دورا بارزا بقيادة **الشهيد السلفى** فى تخليص قيادة الطبقة العاملة فى الجنوب من أيدى القوى الرجعية والانتهازية ، وربط نضال الطبقة العاملة بالثورة الوطنية ومساندة وتدعيم ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ فى اليمن الشمالى ، وثورة ١٤ اكتوبر ١٩٦٣ فى اليمن الجنوبى •

وأعلن فى جمهورية اليمن الديمقراطية عن عودة عدد كبير من المناضلين وهما من العناصر التى اشتركت منذ البداية فى ثورة اكتوبر المسلحة عام ١٩٦٣ ضد الاستعمار البريطانى وحكم السلاطين ، كما يجرى حاليا الاتصال **بعبد القوى مكاوى** رئيس الوزراء السابق فى الجنوب الذى استقال من منصبه فى عام ١٩٦٥،واشترك فى تأسيس جبهة تحرير جنوب اليمن فى بداية عام ١٩٦٦ وذلك من أجل المشاركة الفعالة مع حكومة الثورة فى تحقيق مصلحة الشعب وحماية مكاسب ثورة ١٤ أكتوبر وبناء اليمن الديمقراطى الموحد •

وقد اعتبر كافة المثقفين الثوريين والمراقبين السياسيين فى عدن هذه الخطوة ضرورة هامة لتحقيق التحالف الوطنى الديمقراطى واستجابة لمطلب شعبى عام ، وهدف أساسى من أهداف الثورة الشعبية فى البلاد لخلق القاعدة الصلبة للحكم ولبناء المجتمع التقدمى •

وأكد قادة اليمن على ضرورة قيام جبهة وطنية ديمقراطية موحدة للرد على المحاولات الامبريالية والرجعية فى المنطقة لتصفية مكاسب الشعب ، وتعميق الديمقراطية عن طريق المجالس الشعبية وتدعيم المنظمات ــ الجماهيرية ، وعلى ضرورة تطوير تنظيم الجبهة القومية الحاكمة وبناء الحزب الثورى الطليعى الذى يقوم على المركزية الديمقراطية، والقادر على قيادة الجماهير وانجاز مهام مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية وتحقيق استراتيجية الثورة بكاملها •

ويتم فى الوقت الحاضر التمهيد لاعلان تشكيل **مجلس الشعب الاعلى المؤقت** ، من ١٠١ عضوا ومشاركة جميع الفصائل والعناصر الديمقراطية فى صلاحيات المجلس وتحمل مسئولية الحكم فى هذه المرحلة وذلك وفقا لما جاء بالدستور الذى حدد استكمال الثورة الوطنية الديمقراطية على أساس النظرية الثورية ــ الاشتراكية العلمية ــ وذلك حتى يتم اجراء احصاء عام لسكان الجمهورية وحصر الدوائر الانتخابية وعدد الناخبين واعداد قانون الانتخابات ، لاجراء أول انتخابات ديمقراطية حرة وعامة ومباشرة فى البلاد على ألا يتعدى ذلك فترة أقصاها ٣١ أكتوبر ١٩٧١ •

وتولى القيادة الثورية فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية اهتماما خاصا لتحقيق قضية الوحدة بين شطرى اليمن واجراء الاتصالات بمجلس الشورى فى الشمال ، وأن كان من الواضح

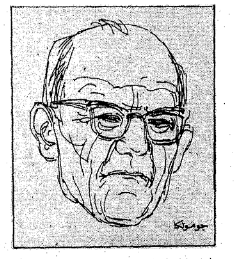
حتى الان أنه لم يتم تحقيق أى قدر من التقدم بين البلدين فى هذا الشأن. الامر الذى يرجع فى رأى المراقبين الى اتجاه كل من الجنوب والشمال فى طريقين متعارضين .

وتجتاز العلاقة بين القطرين الشقيقين مرحلة دقيقة فى الوقت الحاضر، بسبب أقدام القيادة الثورية فى الجنوب على تغيير اسم جمهورية اليمن الجنوبية الى **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية**، وذلك فى مناسبة الاحتفالات بالذكرى الثالثة لاستقلال البلاد فى ٣٠ نوفمبر الماضى، الامر الذى أعتبرته صنعاء احراجا واستفزازا لها. هذا وتبذل المساعى من جانب الدول العربية التقدمية والقوى التقدمية فى كل من الجنوب والشمال لازالة آثار الازمة مع صنعاء وتصفية الجو بينهما وقطع الطريق على القوى الامبريالية والرجعية التى تسعى للاستفادة فى هذه الظروف وتعميق الخلاف بين القطرين الشقيقين .

■ ■

■ **بولندا :**

اصلاح اقتصادى وربط الحزب بالجماهير



أعلنت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى البولندى فى بيانها الصادر بتاريخ ٢٠ ديسمبر الماضى استقالة « **فلاديسلاف جومولكا** » السكرتير الاول للحزب من منصبه، وتعيين **ادفارد جيريك** » خلفا له .

وتضمن بيان اللجنة المركزية اعفاء اربعة من أعضاء المكتب السياسى وترشيح أعضاء آخرين بدلا عنهم، وذلك فى أعقاب الاضطرابات التى اجتاحت بعض مدن بولندا بسبب رفع الاسعار .

وفور اعلان استقالة جومولكا، القى **جيريك** - السكرتير الاول الجديد للحزب - بيانا فى التليفزيون قال فيه : « ان رفع الاسعار قد أدى الى زيادة اعباء الجماهير العاملة، وان القيادة الجديدة سوف تقوم باعادة دراسة المسألة وأعادة النظر فى خطة التنمية لعام ١٩٧١ » . وأضاف : « **انه لا يمكن لشىء ان يجعل بولندا تتخلى عن الاشتراكية وعن تحالفها مع الاتحاد السوفيتى** »، وأعلن جيريك أن الحزب **سيقدم اجابة واضحة تتضمن نقدا ذاتيا حول الاسباب التى ادت الى وقوع الاحداث التى منيت بها بولندا** وأسفرت عن مصرع اكثر من ٢٠ شخصا وأصابة مئات آخرين .

والواقع ان هذه الاضطرابات التى اندلعت فى موانى بولندا على بحر البلطيق لم تقتصر هذه المرة على فئات الطلبة والمثقفين، بل انطلقت اساسا من مواقع العمال . ورغم انضمام عناصر مشاغبة اليها، فان قيادة الحزب اعترفت بان هذه الاضطرابات قد نبعت من مشاكل داخلية عميقة ولم تتهم أية جهة خارجية باثارتها .

ولقد أثارت الاجراءات الاخيرة التى اتخذتها قيادة الحزب القديمة برفع الاسعار سخط قطاعات من الجماهير العاملة . فالسمة الرئيسية لرفع أسعار كثير من المنتجات الغذائية وأسعار الملابس والوقود تتميز بطابع غير شعبى . اذ ارتفعت أسعار اللحوم بنسبة ١٧٫٦ فى المائة، والدقيق بنسبة ١٦ فى المائة والبن ٩٢ فى المائة والملابس من ١٠ - ٢٥ فى المائة . بينما تضمنت التغيرات فى الاسعار تخفيضا لاسعار بعض المنتجات الصناعية كأجهزة التليفزيون والثلاجات وأجهزة التسجيل بغرض تنشيط القدرة الشرائية لها . وقد اتضح ان هذه التعديلات فى الاسعار تحد من القدرة الشرائية للجماهير العاملة بما يتراوح بين ٥ و ١٠ فى المائة من أجورهم فالمواطن البولندى يخصص ٧٠ فى المائة من دخله لنوعية المواد التى شملتها اجراءات رفع الاسعار .

غير ان اجراءات رفع الاسعار تعكس من جانب آخر، الصعوبات التى يواجهها الاقتصاد القومى البولندى . فقد تناولت صحيفة تريبونا لودا - الناطقة باسم حزب العمال الموحد البولندى - اجراءات تعديل الاسعار بالشرح والتفسير بوصفها ذات أهمية كبرى فى تطوير الاقتصاد القومى وتنمية قدراته الصناعية أمام انفتاح الاسواق الخارجية أمامه . وعقبت على هذا التعديل بقولها : « ان الهدف من رفع أسعار المواد الغذائية فى الوقت الحاضر هو الموازنة بين الطلب والعرض وليس تخفيض الاستهلاك »

الا أن **ادفارد جيريك** أشار فى خطابه

التليفزيونى الى ان بعض الحلول التى طرحت لم تكن مدروسة ، وان قيادة الحزب القديمة لم تستلهم الواقع سواء فى سياستها العامة أو الاقتصادية ، وأوضح أن اسباب الاضطرابات الاخيرة يرجع بعضها الى صعوبات حقيقية بينما يرجع البعض الاخر الى قصور فى السياسة الاقتصادية يجب ازالته ، كما أشار **جيريك** الى عدم احترام القيادة السابقة لروح الزمالة والديمقراطية فقال : « أن القاعدة الثابتة لسياسة الحزب يجب ان تكون احترام مبدأ الديمقراطية الجماعية واتخاذ القرارات بصورة جماعية » .

واذ القت هذه الاحداث الاضواء على عدد من المشاكل التى تعترض طريق التنمية الاشتراكية ، فانها ابرزت ضرورة تكييف وسائل التنمية الاشتراكية للظروف الموضوعية المعاصرة ، وضرورة الالتحام مع الجماهير .

ومن هنا اقتضت الضرورة ادخال تغييرات فى المكتب السياسى شملت اعفاء كل من **بوليسلاف ياشتوك** ، مسئول التخطيط الاقتصادى ، **وستريزيلسكى** المسئول عن التنظيم ، **وزينون كليسكو** المسئول الايديولوجى ، **وماريان سبيخالسكى** رئيس الدولة . وقد دعم التعديل الاخير من مراكز بعض القيادات القديمة التى تتبنى آراء مذهبية أكثر تشددا ، وذلك بتصعيد الجنرال **موتزار** وزير الداخلية السابق — الى المكتب السياسى . غير ان التعديلات الاخيرة قد دفعت الى مراكز القيادة بعناصر قيادية اكثر شبابا وفى مقدمتها السكرتير العام ، واكثر قدرة على ادراك التحديات الراهنة ومواجهة متطلباتها .

ويرى المراقبون أن القيادة الجديدة ستمضى قدما فى تطوير الاقتصاد القومى البولندى بتصحيح الاخطاء السابقة ودعم التلاحم كما قال جيريك — بين الحزب والجماهير ، وذلك فى نطاق تدعيم حلف وارسو وفى ارتباط وثيق مع دول المعسكر الاشتراكى . وهذا ما أكده الوفد البولندى برئاسة السكرتير العام الجديد خلال زيارته الى المانيا الشرقية واجراء مباحثات ودية بين البلدين كذلك فقد اتخذت الحكومة البولندية قرارا برفع أجور قطاع كبير من العمال البولنديين، كما اتخذت عددا من الاجراءات التى تستهدف التخفيف عن الاسر الكبيرة العدد التى تتأثر اكثر من غيرها بارتفاع الاسعار ، كما تقوم الحكومة بدراسة عديد من الاجراءات الاقتصادية لمحاولة تقويم الاقتصاد البولندى والانطلاق به مرة أخرى .

■ الولايات المتحدة الامريكية

انجيلا ديفيز .. والهجوم الدموى الجديد



فى الثالث عشر من اكتوبر عام ١٩٧٠ القى رجال مكتب التحقيقات الفيدرالى الامريكى القبض على **انجيلا ايفون ديفيز « ٢٦ عاما »** وهى المناضلة الزنجية المعروفة ، ومدرسة الفلسفة وعلم الاجتماع بجامعة كاليفورنيا بلوس انجليس ، وقد وجه لها الاتهام بالاشتراك فى مؤامرة اختطاف عدد من المتهمين من محكمة **سان رفاييل** بكاليفورنيا فى السابع من اغسطس الماضى ، ونتج عنها مقتل أربعة أشخاص منهم أحد المحلفين ، ومرتكب الحادث **جونا ثان جاكسون** ، نتيجة لرصاصات رجال البوليس .

وعلى الرغم من أن انجيلا ديفيز لم تكن فى قاعة المحكمة أصلا ، ولم يثبت أن لها أية صلة بجاكسون سوى كونه زنجيا مثلها ، فان رجال مكتب التحقيقات من تلامذة « **مكارثى** » لم يعدموا وسيلة لاتهام انجيلا ، مدعين أن البندقية التى استخدمها جاكسون فى الحادث مسجلة باسم انجيلا ، وهى تهمة تتيح لهم المطالبة لها بعقوبة الاعدام أو السجن مدى الحياة .

وقد علقت اللجنة السياسية للحزب الشيوعى فى الولايات المتحدة فى بيانها فى ٢٧ أغسطس ١٩٧٠ على حملة مكتب التحقيقات بقولها « ان حملة مكتب التحقيقات لا تهدف الا الى تلطيخ سمعة الشابة الزنجية .. وليست سوى اطار للهجمة الدموية التى تعد للشخصيات والاحزاب اليسارية فى الولايات المتحدة ، وعادت اللجنة فى ١٤ اكتوبر لتعلن « أن انجيلا ديفيز ليس لها من ذنب سوى كونها سيدة سوداء تحارب بشجاعة ضد السياسة العنصرية للحكومة التى تحطم معنويات ووحدة الامة ، وترمى الى تجريد ملايين

الامريكيين من انسانيتهم » . ودعت اللجنة الى تشكيل حركة قومية من أجل اطلاق سراح انجيلا ديفز .

وسرعان ما اتخذت حركة الدفاع عن انجيلا ديفيز شكلها المنظم فى انبثاق عشرات من لجان الدفاع عنها ، وفى المظاهرات الصاخبة التى قامت أمام الجمعية العامة فى نيويورك فى المدة من ١٦ ـ ٢١ نوفمبر الماضى ، والتى شارك فيها عدد ضخم من الشخصيات الامريكية البارزة ، موجهين نداء الى الامم المتحدة يطالبون فيه بالتدخل لانقاذ حياة المناضلة الشابة . لقد كانت ظروف ومجرى حياة انجيلا ديفيز هى الاساس الراسخ الذى أكسبها عطف وتأييد ودفاع ممثلى الرأى العام الديمقراطى .

لقد ولدت انجيلا فى برمنجهام بولاية الاباما موطن احتكار مورجان للفحم والحديد والسكك الحديدية ، وشبت فى ولاية حزام القطن فى الجنوب القديم حيث مازالت تعيش بقايا نظم العبودية الصريحة للزنوج ، وفى طفولتها رأت الارهاب البوليسى الواقع على اهلها وعشيرتها ، وفى شبابها ، وبالتحديد فى ١٩٦٤ رأت بعينيها مقتل أربع من زميلاتها تناثرت أشلاؤهن بفعل قنبلة زمنية دسها العنصريون المتطرفون فى الكنيسة المجاورة لمنزلها .

وفى الوقت نفسه رأت انجيلا نمو نضال شعبها من أجل الحرية والمساواة ، وشاركت فى هذه النضالات بحماس وجرأة ، وكانت هذه النضالات هى الاسباب الحقيقية التى أثارت حفيظة مكتب التحقيقات ضدها ، فبدأ حملته لسحقها منذ سبتمبر ١٩٦٩ حين أصدر ريجان حاكم كاليفورنيا المشهور بعنصريته الصريحة قراره بفصل انجيلا من منصبها فى جامعة كاليفورنيا بتهمة مناصرتها لحركة « الفهود السوداء » ، ولم تستسلم انجيلا ، ورفعت الامر للقضاء ، واستطاعت ان تحصل على حكم بعودتها الى منصبها فى الجامعة ، فما كان من حاكم الولايات الا ان تحدى قرار المحكمة ، واعاد فصلها فى يونيو ١٩٧٠ ، ولم تستسلم ايضا وعاودت النضال واثارت قضيتها احتجاجات عنيفة من جانب الرأى العام فى كاليفورنيا وغيرها ، واستشاط ريجان ومن حوله غضبا وسرعان ما تلقفوا حادثة محكمة سان رافاييل لتوجيه ضربتهم الحاسمة للمناضلة الزنجية الشابة .

ويرى المراقبون أن هناك خطرا حقيقيا على حياة المناضلة الشابة ، فالولايات المتحدة تعانى أزمة اجتماعية حادة وتندفع القوى الرجعية الى اختلاق أية مبررات لاغراق هذه الازمة فى بحر من دماء اليسار ، وهم يشيرون الى سوابق شهيرة مثل محاكمات عمال أول مايو ١٨٨٢ ، ومحاكمة الزعيمين النقابيين ساكو وفانزيتى اثناء ازمة الثلاثينات ، ومحاكمة ايثيل وروبرت روزنبرج فى الخمسينات ، ثم تأتى محاكمة انجيلا ديفيز لتشهد بأن جعبة الامبريالية الامريكية لا تنفد منها المؤامرات .

ومن زنزانتها علقت انجيلا فى ٩ نوفمبر القبض عليها بقولها لقد ألقى القبض على لكونى شيوعية ثورية أشارك مع ملايين المضطهدين فى العالم ضمن حركة عالمية ثورية تهدف الى تحطيم الظروف التى تعترض طريق حريتنا ، وعبرت عن ثقتها فى انتصار هذه الحركة وثقتها فى انتصارها الذاتى على مدبرى المؤامرة على حياتها .

■ ■ ■

رسالة من نيقوسيا

مشكلة التوازن
بين حقوق الأقلية التركية وفاعلية الحكومة

ان قبرص هى مشكلة الشرق الاوسط الثانية ، وهى ترتبط عن قرب بمشكلة الشرق الاوسط الاولى ، فالكفاح القبرصى من أجل صيانة الاستقلال ووحدة الاراضى والسير فى طريق عدم الانحياز هو الوجه الاخر المكمل لكفاح الشعوب العربية ضد الامبريالية والصهيونية .

وقد حملت لنا الانباء أخيرا أن طائرات التجسس الامريكية تستخدم القاعدتين البريطانيتين المقامتين على السواحل الجنوبية لقبرص فى التجسس على جبهة قناة السويس . وقبل ذلك استخدم الامريكيون هاتين القاعدتين كمحطة لتزويد اسرائيل بأسلحة العدوان ، ولقد شاهد القبارصة بأعينهم طائرات الفانتوم الامريكية وهى تجئ الى قبرص وتوضع عليها العلامات الاسرائيلية .

وفى حرب يونية ١٩٦٧ استخدمت الامبريالية الامريكية قواعد قبرص فى التجسس ومساعدة العدوان الاسرائيلى ، وفى العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ كانت اراضى قبرص تستخدم كقاعدة مباشرة للعدوان البريطانى الفرنسى كل ذلك جرى ويجرى رغما عن ارادة الشعب القبرصى ، ذلك الشعب الذى يتمسك بروابط

الصداقة وحسن الجوار مع الشعوب العربية ، ويشعر بالاسف لاحداث الماضى الاليمة ، ويناضل من اجل تصفية القواعد العسكرية الاجنبية ، الا أن هذا النضال يقف الان امام عقبة كبرى لان الشعب القبرصى لم يستطع بعد أن يحقق وحدته الوطنية من اجل ان يقف صفا واحدا وراء حكومته الشرعية فى المطالبة باستكمال استقلال قبرص وسيادتها على أراضيها .

فان هناك الان عزلة تكاد تكون كاملة بين القوميتين اليونانية والتركية اللتين يجمعهما الوطن القبرصى الواحد ويستظلان بالعلم القبرصى الواحد . وهذه العزلة هى الواجهة التى يراها الزائر لمشكلة عميقة الجذور هى مشكلة النزاع بين طائفتين مختلفتين فى الاصل واللغة والدين قدر لهما أن يعيشا معا فى جزيرة واحدة ، وليس امامهما الا ان يتعايشا بوسيلة ما .

وحتى الان - ورغم المحاولات الطويلة - فهما لم يستطيعا الوصول الى وسيلة للتعايش ، ذلك لان كل طائفة لا تثق تماما فى نوايا الطائفة الاخرى ، ولان هناك مصالح أكبر منهما تحاول فرض نفسها على الجزيرة .

وابرز هذه المصالح هى المصالح الامبريالية لحلف الاطلنطى ، فهذا الحلف يضم الى عضويته كلا من تركيا واليونان وهما الدولتان اللتان تستقطبان الطائفتين القبرصيتين فى اتجاهين متضادين ، ويحاول الحلف أن يكون له وجود فى قبرص عن طريق تمزيقها الى قطاع تركى وقطاع يونانى ، وهو الامر الذى عارضته ومازالت تعارضه بشدة حكومة الرئيس مكاريوس الذى يصر على بقاء واستمرار وحدة قبرص ، وانتاجها سياسة عدم الانحياز ووقف الجهود الاستعمارية المستمرة لمحاولة تحويلها الى قاعدة كبرى لحلف الاطلنطى .

وتطلق الطائفة اليونانية على قبرص اسم جزيرة افروديت ، وعندهم أسطورة تقول ان افروديت الهة الحب والجمال ، خرجت من بين أمواج البحر مكان قريب من الشواطىء الجنوبية لقبرص .

وقد لا يكون هناك خلاف فى أن قبرص جزيرة الجمال ولكن الخلاف هو : هل هى جزيرة الحب ؟ .. فالامر المؤكد ان هناك حبا مفقودا بين الطائفتين .

وقد وقعت بين الجانبين اشتباكات دامية قبل الاستقلال (١٩٥٥ - ١٩٥٨) . وبعد أن تحقق الاستقلال فى أغسطس ١٩٦٠ جرب الجانبان أن يشتركا معا فى حكم الجزيرة ، حيث حددت نسبة معينة لكل جانب فى المناصب التنفيذية والقضائية وفى التمثيل النيابى وفى قوات الامن والجيش بمقتضى دستور الاستقلال الذى صاغته بريطانيا ووافقت عليه الطائفتان ، كما وافقت عليه اليونان وتركيا ، ونص الدستور ايضا على اعطاء ضمانات وحقوق خاصة للطائفة التركية - على اعتبار أنها أقلية - بحيث تستطيع الاعتراض على أى قرار تتخذه الاغلبية اليونانية فى المسائل الهامة المتعلقة بالامن والدفاع والشئون الخارجية والضرائب . كذلك فقد وضعت كل من اليونان وتركيا حامية عسكرية فى قبرص لضمان تنفيذ الدستور .

واستمرت التجربة أكثر من ثلاث سنوات ثم فشلت ، لان الجانب اليونانى وجد أنه لم يعد من الممكن الالتزام بحرفية دستور الاستقلال على أساس أن الاقلية التركية هى التى اصبحت تتحكم - عن طريق حقها فى الاعتراض - فى الاغلبية اليونانية . وفى نوفمبر ١٩٦٣ تقدم الجانب اليونانى بمقترحات من ١٣ نقطة لادخال تعديلات على الدستور ، ورفضت تركيا هذه المقترحات من قبل أن يعلن القبارصة الاتراك رأيهم بشأنها . وتوتر الجو . وفى ٢١ ديسمبر وقع اشتباك صغير بين الجانبين سرعان ما تحول الى موجة عنيفة من أعمال العنف والقتال التى شملت كل أنحاء الجزيرة تقريبا .

الخط الاخضر :

وتدخلت الامم المتحدة وارسلت قوات دولية للفصل بين الجانبين المتنازعين ، وأقيم « الخط الاخضر » فى كل من نيقوسيا وفاما جوستا ، وأصبحت كل من المدينتين منقسمة الى قطاع تركى وقطاع يونانى ، كذلك هاجر الكثيرون من ابناء الجالية التركية من القرى المشتركة الى المناطق التى تضم أغلبية تركية ، وجرت عملية استقطاب لكل من الجانبين ، فأصبحت هناك مناطق تحت السيطرة التركية ومناطق أخرى تحت السيطرة اليونانية ، وعلى الحدود بينهما خط أخضر تعمل عليه دوريات القوات الدولية لمنع وقوع اشتباكات بين الجانبين .

وأقيمت فى القطاع التركى (الشمالى) من نيقوسيا « حكومة مؤقتة » منفصلة عن الحكومة الشرعية ، وذلك بعد ان قررت الجالية التركية مقاطعة الحكومة المشتركة . كذلك فقد قاطعت أيضا البرلمان والقضاء وسائر الاجهزة المشتركة الاخرى واصبحت منفصلة فى برلمانها وقضاتها وأجهزة الامن والقوات المسلحة الخاصة بها ، وكذلك فى أجهزة الخدمات العامة .

الا ان ذلك لم يمنع من بقاء عدد من المدن والقرى المشتركة أبرزها مدينة ليماسول ، اهم موانىء قبرص ، حيث يعيش أبناء الجاليتين فى وئام تام ،ويتعاونون فى العمل والكسب دون تفرقة فى الاجور أو الضمانات ، كما أنهم يتزاورون ويتبادلون الدعوات والمجاملات فى المناسبات الاجتماعية .

ومن ناحية أخرى فان ابناء الجالية التركية

الذين يعملون فى السلك الدبلوماسى لم يتركوا مناصبهم ، وما زالوا قائمين بمهامهم فى السفارات القبرصية التى تتلقى تعليماتها من حكومة مكاريوس الشرعية) سفير قبرص فى أنقرة تركى ، وقنصل قبرص فى القاهرة تركى) • وفى داخل نيقوسيا ذاتها استمر بعض الاتراك فى العمل بالمناصب الكبرى فى الحكومة الشرعية ، ومنهم مثلا احسان على الذى يعمل مستشارا للرئيس مكاريوس للشئون التركية •

محادثات استطلاعية :

وفى البداية لم تكن قيادة الجالية التركية فى قبرص تسمح لابناء طائفتها بمغادرة مراكز تجمعهم،وعبور الخط الاخضر الى المناطق الخاضعة لسيطرة الحكومة الشرعية ، الا أن ذلك أدى الى سوء الاحوال الاقتصادية فى مناطق التجمع التركية • لذلك فقد سمحت لهم ابتداء من يونيو ١٩٦٨ بالخروج والتنقل فى شتى أنحاء الجزيرة فى حين أنه ما زالت سلطات الحكم التركية تمنع القبارصة اليونانيين من الدخول الى المناطق التى تسيطر عليها الجالية التركية • لذلك فان الخط الاخضر اصبح الان قيدا على اليونانيين فقط دون الاتراك •

ومنذ منتصف عام ١٩٦٨ بدأت بين الجانبين محادثات « استطلاعية » لمحاولة الوصول الى تسوية نهائية للمشكلة ، وما زالت هذه المحادثات مستمرة حتى الان دون الوصول الى نتيجة محددة ، ولكنها تمثل خيط الامل فى الوصول الى وسيلة للتعايش بين الجانبين • ويمثل الجانب اليونانى فيها جلافكوس كليريدس رئيس البرلمان القبرصى والقائم بمهام رئيس الجمهورية فى حالة غيابه ورئيس « الحزب الاتحادى » أكبر الاحزاب القبرصية (١٥ مقعدا فى البرلمان) ويمثل الجانب التركى رؤوف دنكتاش الرجل الثانى فى زعامة القبارصة الاتراك بعد الدكتور فاضل كوتشوك الذى كان نائبا لرئيس الجمهورية خلال فترة الحكم المشترك لقبرص والذى ما زال يعتبر نفسه نائباً لرئيس الجمهورية ، ويقيم الان فى قصر فاخر فى الحى التركى من نيقوسيا • وتجرى المحادثات مرة فى بيت المفاوض التركى ومرة فى بيت المفاوض اليونانى •

وسوف أعرض هنا وجهتى نظر الجانبين فى المشكلة حسب ما أوردها أكبر زعيمين للطائفتين خلال احاديثى معهما وهما الدكتور كوتشوك وكليريدس (لا أستطيع أن أعتبر الرئيس مكاريوس زعيما للطائفة اليونانية فى قبرص ، حيث أنه رئيس جمهورية « كل قبرص » بطائفتيها) •

وجهة نظر كليريدس

■ « العقبة الرئيسية فى المحادثات الجارية الان بين الجاليتين والتى امثل انا الجالية اليونانية فيها ، هى موقف الجالية التركية من موضوع الحكومة المحلية • وهناك خلافات حول مسائل اخرى من الممكن تخطيها • أما مسألة الحكم المحلى فهى التى يدور حولها الخلاف الخطير • ولقد حاولنا كثيرا فى خلال الثلاثين شهرا الماضية ان نتوصل الى حل لهذا الخلاف ولكننا لم نستطع ايجاد موقف مشترك • فوجهتا نظرنا مختلفتين تماما •

« نحن نرى أن سلطات الحكم المحلى للطائفة التركية ينبغى أن تشمل الشئون الدينية والثقافية والتعليمية والاجتماعية ، على ألا تمتد الى السلطة المركزية للدولة التى يتحتم أن تكون مشتركة بين الجانبين بنسبة محددة يتفقان عليها •

« اما الاتراك فيريدون أن يكون حكمهم المحلى انفصالا عن سلطة الدولة ، بحيث تكون الحكومة المحلية مسئولة عن شئون جميع الاتراك وأيضا أن يكون لهم مجلس تشريعى خاص ، وبذلك يتخطون سلطة البرلمان المركزى ، وان يكون لهم قضاء مستقل مما يتعارض مع مبدأ وحدة القضاء •

« ولم يمكن التوفيق بين وجهات النظر بيننا وبينهم •

■ « لا شك أن التعايش ممكن ومرغوب فيه خصوصا فى دولة فى مثل حجم قبرص ، وعاجلا أو آجلا يجب العثور على وسيلة التعايش • فى مدينة ليماسول لا يوجد تقسيم ولاتوجدمناطق محرمة على أبناء الطائفة اليونانية وذلك يبين ان التقسيم مصطنع فى نيقوسيا وفاما جوستا • واذا كان أتراك ليماسول يعيشون فى أمان وليسوا منعزلين فلماذا لا يشعر أتراك فاما جوستا أيضا بالامان ؟

« ان سياسة القيادة التركية قائمة على أساس أن الطائفتين يجب أن تعيشا منفصلتين ومنذ عام ١٩٦٣ عندما انشق الاعضاء الاتراك عن البرلمان ، وهم يجتمعون فى القطاع التركى ، والحكومة لا تعترف بمثل هذه الاجتماعات •

■ « ان وجود الحاميتين اليونانية والتركية فى قبرص لم يزد كثيرا من التوتر فى الجزيرة ، حيث أنهما موجودتان بمقتضى معاهدات لندن وزيوريخ ، وهما لايقومان بنشاط فعلى فى التدخل فى الشئون الداخلية لقبرص • ولكن الامر الأكثر خطورة هو ذلك العدد من الضباط الاتراك الذين جاءوا الى قبرص لا كأفراد فى الحامية وانما للعمل مع قوات القبارصة الاتراك التى يجرى انشاؤها منذ عام ١٩٦٣ •

« ومنذ هددت تركيا بالتدخل العسكرى فى قبرص اضطررنا الى انشاء قوة « حرس وطنى » من القبارصة اليونانيين للدفاع عن قبرص فى حالة وقوع هجوم تركى • وليس من السهل خلق جيش بدون ضابط ومدربين ، وحيث أن قبرص ليس لديها

ضباط على مستوى كاف من الخبرة لتدريب هذه القوة فقد دعونا ضباطا متطوعين من اليونان .

■ « ان محاولة الاعتداء على حياة الرئيس مكاريوس لم تحدث حتى الان أية نتائج على العلاقات بين الجاليتين القبرصيتين . لقد حاولت « الجبهة الوطنية » (وهى منظمة متطرفة من القبارصة اليونانيين) أن تخلق جوا معينا بين اليونانيين عن طريق التخويف والارهاب لكى تملى سياستها على الحكومة ، فهى ضد سياسة البحث عن « الحل الممكن تحقيقه » الذى تريد الحكومة الوصول اليه . ولقد سبق لاعضاء « الجبهة » أن هاجموا أقسام البوليس ووزعوا المنشورات المعادية للحكومة ، وسببوا بعض الاضرار لموقفنا . ولقد أدان رئيس الجمهورية كل هذه التصرفات .

■ « ليس لدينا أى اعتراض فى أن يمثل الجانب التركى فى أجهزة الدولة على أساس نسبة تعداده ، والاتراك قالوا انهم مستعدون لخفض النسبة التى حددها لهم دستور عام ١٩٦٠ ، (٣٠ ــ ٤٠ فى المائة) لكى تتناسب مع تعدادهم (١٨ فى المائة) بشرط أن يجدوا حلا مناسبا لمسألة « الحكومة المحلية » .

■ « لقد قال الرئيس نيكسون فى لقائه مع الاسقف مكاريوس أن الولايات المتحدة تحترم سياسة عدم الانحياز التى تتبعها قبرص . وفى رأيى أن هناك مصالح اقتصادية متضاربة بين الشرق والغرب حول مسألة قبرص ، والوسيلة الوحيدة للوصول الى حل سلمى هى ايجاد ما أسميه « العامل المشترك » لهذه المصالح لانه اذا اتبع الجانب اليونانى سياسة غربية فان الشرق سيتدخل لحساب الجانب الاخر والعكس بالعكس . عدم الانحياز هو أحسن « موقف » لقبرص ، وبه نستطيع الحصول على تأييد دول عدم الانحياز ولكن اتجاه عدم الانحياز وحده لا يقدم حلا للمشكلة ولا يغير من توازن القوى فى العالم .

■ « أبناء الجالية التركية هجروا عددا من القرى وجاءوا الى القطاع التركى من نيقوسيا وذلك خلافا للاتجاه الطبيعى للهجرة ! (يقصد أن هناك دوافع سياسية وراء الهجرة التركية الى نيقوسيا لكى يشكلوا نقطة تجمع فى العاصمة تحدث ضغوطا على الحكومة) .

وجهة نظر كوتشوك :

■ « ما دام القبارصة اليونانيون يصرون على موقفهم فى الحصول على كل شىء لانفسهم وفى عدم التخلى عن فكرة اقامة دولة يونانية ثانية فى قبرص يكون الهدف النهائى منها هو الوحدة مع اليونان .. فان احتمالات الوصول الى تسوية عن طريق المحادثات تبدو ضئيلة . ولكنى آمل أن يسود التعقل فى النهاية بين القبارصة اليونانيين وبالتالى يصبح فى الامكان الوصول الى حل عادل يحفظ حقوق ومصالح الجاليتين .

■ « ان الجالية التركية لم ترفض أبدا أن تتعايش فى سلام مع الجالية اليونانية فى قبرص ، وفى الحقيقة أن التعايش أصبح غير ممكن نتيجة للهجوم المسلح الذى شنه القبارصة اليونانيون والمظالم الاخرى التى ارتكبوها ضد الجالية التركية بهدف حرمان هذه الجالية من حقوقها المشروعة والمقررة بمقتضى دستور الجمهورية . والمهم أن تتخلى الجالية اليونانية عن سياستها العدوانية ضد الجالية التركية . وبمجرد أن يتم ذلك فان هذا التعايش سيصبح ممكنا بطريقة تلقائية .

■ « لا أعتقد أن وجود الحاميتين اليونانية والتركية فى قبرص قد ساعد على زيادة حدة التوتر فى الجزيرة ، بل على العكس ، فقد أثبتت الحوادث أن وجود هاتين الحاميتين كان عامل تهدئة وتسكين . فالحامية اليونانية قد أدت دورها كرادع للاعمال التى تخلو من الاحساس بالمسئولية والتى تقوم بها العناصر المتطرفة من القبارصة اليونانيين . وهذه الحقيقة اتضحت بجلاء عندما وقعت محاولة الاعتداء على حياة الاسقف مكاريوس .

« ومن ناحية أخرى فانه عن طريق وجود الحامية التركية فى قبرص أمكن وقف مذبحة القبارصة الاتراك على أيدى العناصر المسلحة من القبارصة اليونانيين . ولولا وجود هاتين الحاميتين ــ وهما موجودتان بمقتضى تحالف دفاعى اقليمى ــ لكان قيام الامم المتحدة بعمليات المحافظة على السلم فى قبرص قد جاء متأخرا جدا بعد فوات الاوان .

■ « من بين الاهتمامات الرئيسية للقبارصة الاتراك تحقيق الامن لارواحهم وممتلكاتهم سواء على المستوى الفردى أو الجماعى . ولقد أوضحت محاولة الاعتداء على حياة الاسقف مكاريوس الى أى درجة كان الاتراك على حق فى مطالبتهم بالاعتماد على امكانياتهم الذاتية فى المحافظة على أمنهم .

■ « ليس صحيحا القول بأن القبارصة الاتراك قد قاطعوا المجالس التنفيذية والتشريعية لجمهورية قبرص كما نص عليها الدستور ، بل على العكس فقد دأبنا على المطالبة باعادة العمل بالدستور فى وجه السياسة المعلنة لزعماء القبارصة اليونانيين وهى الغاء الدستور . وتمشيا مع سياستهم هذه فان القبارصة اليونانيين منعوا الوزراء الاتراك واعضاء البرلمان الاتراك وموظفى الحكومة الاتراك من الحضور الى مكاتبهم والقيام بمهامهم ، وفى نفس الوقت فانهم حرموا الجالية التركية من كل الخدمات العامة . لذلك فقد كان

على الزعامة التركية ان تقيم ادارة قبرصية تركية مؤقتة لتقديم الخدمات الى الجالية التركية داخل اطار دستور عام ١٩٦٠ (يستطيع الان الوزراء والنواب الاتراك العودة الى مناصبهم فى اى وقت يتم فيه الاتفاق بين الجانبين . والخدمات العامة تتوفر فى المناطق التركية والماء والكهرباء تصلهم بالمجان) .

■ « ان دستور عام ١٩٦٠ لجمهورية قبرص كان ينص على قيام مشاركة متوازنة للجاليتين فى ادارة شئون الدولة ، واذا أخذنا الدستور ككل نجد أنه أساس عادل للتعايش فى سلام واخلاص بين الجاليتين ، ولا ينبغى أن نأخذ مادة بذاتها من الدستور ونبحث مدى ما تنطوى عليه من عدالة . واذا كان المطلوب نسبة جديدة لتمثيل الجاليتين فى المناصب المختلفة فان تحقيق ذلك يعتمد الى حد كبير على المتطلبات الاساسية الاخرى للقبارصة الاتراك (يقصد متطلبات الحكم الذاتى) .

■ « لقد برز مطلب تقسيم قبرص كدعوة مضاده لدعوة « اينوسيس » (وحدة قبرص مع اليونان) ، لذلك فان أحسن ضمان ضد اى تكهن بأن القبارصة الاتراك قد يستخدموا وسيلة « الحكم الذاتى » فى أحداث تقسيم سياسى للجزيرة ، هو أن يتخلى القبارصة اليونانيون عن فكرة « اينوسيس » التى ظلت — لمدة طويلة — تشكل السبب الاساسى للعنف والانقسام ، واراقة الدماء فى قبرص » .

من هذا العرض لوجهتى نظر أكبر زعيمين للطائفتين القبرصيتين ، نرى ان نقطة الخلاف الرئيسية هى كيفية تحقيق نوع من الحكم الذاتى للطائفة التركية باعتبارها اقلية من نوع خاص ، وذلك مع المحافظة على الوحدة الوطنية لقبرص .

قبرص : حسن فؤاد

■ ■ ■



انطباعات رومانية

بدعوة من مجلة « **لوبتادى كلاسا** » الرومانية قمت بزيارة رومانيا لمدة أسبوعين ، وقد تصادف أننى وصلت الى بوخارست بعد أسبوع من اجتماع اللجنة السياسية الاستشارية للدول الاعضاء فى معاهدة وارسو ، وفى هذا الاجتماع الذى عقد فى أوائل ديسمبر من العام الماضى اتخذ المجتمعون **قرارا حول أزمة الشرق الاوسط** أكد بوضوح على بعض النقاط من بينها :

١ — أن الدوائر الحاكمة فى اسرائيل « تمارس سياسة امبريالية » تسندها قوى خارجية هى قوى الرجعية الدولية ، وأن تلك السياسة تضع العراقيل فى طريق التوصل الى حل سياسى للازمة ،

٢ — أنه ما لم تنسحب اسرائيل من جميع الاراضى العربية المحتلة فانه لا يمكن أن يستقر السلام فى الشرق الاوسط .

٣ — أن هناك طريقين متضادين فى الشرق الاوسط : طريق تسلكه الجمهورية العربية المتحدة وبعض الدول العربية الاخرى وكل الدول المحبة للسلام ، وهو طريق التمسك بتنفيذ قرار مجلس الامن والتعاون مع الممثل الخاص للسكرتير العام للامم المتحدة ، أما الطريق الاخر ، فهو طريق الاحتفاظ بالاراضى العربية عن طريق ضمها ، والابقاء على التوتر فى الشرق الاوسط ، والعمل على قلب النظم التقدمية فى البلاد العربية ، وتخريب حركة التحرر الوطنى العربية ، وأشار قرار اللجنة الى أن اسرائيل تحاول أن تفرض مطالبها الامبريالية لاقامة « اسرائيل الكبرى » والا فانه لن يكون — فى رأيها — سلام فى المنطقة .

٤ — وعبر البيان عن ثقة الدول الاشتراكية فى أن نضال الشعوب العربية سيحبط جميع مؤامرات الرجعية الدولية ، وعبر المجتمعون عن ارتياحهم للخط الذى تسير عليه الجمهورية العربية المتحدة ، ولاحظوا أنه يبرهن على التمسك الحازم من جانب قادة البلاد بخط جمال عبد الناصر .

٥ — وأكد المجتمعون على استعداد بلادهم لدعم الشعوب العربية فى نضالها العادل ، بما فى ذلك نضال شعب فلسطين ، والتعاون معها ضد سياسة العدوان الامبريالية ، من أجل تحرير الاراضى المحتلة ، ومن أجل الحرية والتقدم الاجتماعى .

ولما كان **الرفيق شاوسيسكو** السكرتير العام للحزب الشيوعى الرومانى ورئيس الدولة قد اشترك فى اصدار هذا البيان مع قادة الدول الاشتراكية الاعضاء فى معاهدة وارسو ، فقد وجدت أن هذه المناسبة ستساعدنى أكثر على أن أتعرف على أبعاد موقف رومانيا من أزمة الشرق الاوسط .

وقد رحب الاصدقاء الرومانيون كل الترحيب بمطلبى ، وأتاحوا لى الفرصة لكى ألتقى بقادة وشخصيات بارزة فى الحزب كان فى مقدمتهم الرفيق **ديمتريو بوبيسكو** سكرتير اللجنة المركزية

وعضو اللجنة التنفيذية ، والرفيق **شتيفان فويكو** عضو اللجنة المركزية ورئيس تحرير مجلة « **لوبتادى كلاسا** » ، وبعض أعضاء هيئة تحرير هذه المجلة النظرية ٠

أما الحوار فقد دار فى جو طابعه المصارحة التامة لاسيما وأن الاصدقاء الرومانيين يعلمون أن هناك تحفظات من جانب العرب على بعض مواقف لهم بعد عدوان يونيو ، وهى مواقف يراها العرب غير مطابقة لمواقف الدول الاشتراكية الاخرى ٠

وفى خلال المناقشات حرص الاصدقاء الرومانيون على أن يؤكدوا على عدد من النقاط :

● أن رومانيا وقفت دائما مع البلدان العربية من أجل تحررها الوطنى والاجتماعى ، وأن انتصارات الشعب العربى فى مصر قد قوبلت بفرح فى رومانيا ، وأعادوا الى الاذهان موقفهم فى عدوان ١٩٥٦ ، حين قامت فى رومانيا حركة شعبية قوية لتأييد مصر ، كما استنكر الشعب الرومانى ـ حينئذ ـ وبكافة منظماته مظاهرات الاسطول السادس ، ومحاولة الامبريالية الامريكية فرض مبدأ ايزنهاور على الدول العربية ، كما اشترك الرومانيون فى تطهير القنال ٠

● أن رومانيا لا تزال تؤمن بأن حركة التحرر الوطنى فى ج ٠ ع ٠ م وفى البلاد العربية الاخرى هى جزء لا يتجزأ من الحركة الثورية العالمية ، وأن ج ٠ ع ٠ م تكافح ضد الامبريالية بحزم ، وتنفذ اصلاحات اقتصادية واجتماعية هامة هى لمصلحة الشعب ، لانها تمكنه من أن يستغل بنفسه ولنفسه موارده القومية ٠

● وفيما يتعلق بالوضع الراهن فان الحزب والشعب فى رومانيا لا يمكن أن يقبلا استمرار احتلال الاراضى العربية بالقوة ، وأنهم يؤيدون تحرير الاراضى التى احتلت بعد عدوان يونيو ، وأن ارضاء مطالب شعب فلسطين هى ركيزة أساسية لحل مشكلة الشرق الاوسط ٠

ويضيف الاصدقاء الرومانيون أن أبرز الانتقادات التى توجه الى موقفهم هى :

١ ـ أن رومانيا لم تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل بعد العدوان ٠

٢ ـ وأن الحزب الشيوعى الرومانى والدولة لا يعطون العناية الواجبة للنضال ضد الايديولوجية الصهيونية فى صحافتهم وأجهزة اعلامهم ٠

٣ ـ أنه يجرى فى رومانيا تشجيع لليهود الرومانيين لكى يهاجروا الى اسرائيل ٠

وفى رأى الاصدقاء الرومانيين انه :

● فيما يتعلق بالنقطة الاولى فان الحزب والدولة فى رومانيا يسيران على خطة دقيقة فى الالتزام بالقوانين والعرف الدوليين ، وفى اعتقادهم ان قطع العلاقات مع هذه الدولة او ذاك لا يحقق نتائج ايجابية فى الحياة الدولية ٠

● وفيما يتعلق بالنقطة الثانية الخاصة بفضح الأيديولوجية الصهيونية ، فقد اوضح الاصدقاء الرومانيون أن صحافة الحزب تواصل بدون توقف هجومها على كافة الايديولوجيات الامبريالية والرجعية بما فيها أيديولوجية الصهيونية ٠

● وفيما يتعلق بما يقال عن « تشجيع يهود رومانيا على الهجرة الى اسرائيل » فقد اكد الاصدقاء الرومانيون أن هذا لا يحدث الان ٠ وانه اذا كان قد حدثت هجرة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية فلم يكن ذلك على شكل « **تصدير اليهود الرومانيين** » ، بل تم بالنسبة لبعض اليهود ولغيرهم من الاقليات التى تعيش فى رومانيا [الالمان ـ الاوكرانيون] لاسباب انسانية كوجود عائلة يهودية مجزأة بين رومانيا واسرائيل او بين رومانيا واوكرانيا ... الخ ..

وقد يختلف البعض أو يتفق مع الحيثيات التى تحكم موقف الرومانيين من أزمة الشرق الاوسط ٠ وفى المناقشات التى دارت وافقت على بعض الآراء واختلفت مع بعض الآراء الاخرى ٠ واذا صح ـ بناء على اجتهاد شخصى ـ أن اشير الى مصدر أساسى من مصادر الاختلاف بيننا وبين الرومانيين حول قضية الشرق الاوسط ، فانه يمكن القول بأن الرأى العام الرومانى لا ينظر الى اسرائيل كتجسيد واداة نشطة محركة وخطرة على السلم العالمى وعلى الاشتراكية ، هى حركة الصهيونية العالمية ، ومن ثم فان تصور العلاقة بين البلاد العربية وبين اسرائيل كمجرد علاقة يحكمها القانون والعرف الدولى فقط ، نقول ان هذا التصور يؤدى الى اختلاف بيننا وبين الاصدقاء الرومانيين فى تقدير هذا الموقف أو ذاك ، والقضية التى يجب ان توضع امام الرأى العام الرومانى هى أن اسرائيل بحكم نشأتها وتكوينها والايديولوجية السائدة فيها وارتباطها المصيرى بقوى الامبريالية العالمية لا يمكن الا أن تكون عدوانية وتوسعية ٠

على أية حال ، وأيا ما كانت الاختلافات بين وجهتى النظر الرومانية والعربية حول هذه المسألة او تلك من المسائل المتعلقة بأزمة الشرق الاوسط ، فان هناك اكثر من عامل ايجابى مشجع يتيح لوجهة النظر العربية أن تجد اهتماما بدراستها ومناقشتها فى أوساط الحزب والحكومة ٠ من بين هذه العوامل :

١ ـ الموقف المشترك للدول الاعضاء فى حلف

وارسو — ومن بينهم بالطبع رومانيا — فى ادانة اسرائيل ٠

٢ — الاهتمام المتزايد الذى تبديه الاوساط الحزبية فى رومانيا هناك [مدرسة الحزب] والاوساط العلمية [اكاديمية تاريخ الحزب ، والجامعات) بتوسيع دائرة اهتمامها ودراساتها بحركة التحرر العربى فى كافة جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ٠

٣ — اهتمام اوساط الحزب فى رومانيا بخلق حوار بناء مع المنظمات السياسية والجماهيرية فى البلدان العربية، واستعدادها لان تقوم بمبادرات فى هذا السبيل ٠

٤ — التقدم المضطرد والنمو فى العلاقات الداخلية بين رومانيا وبين البلاد الاشتراكية الاخرى ، خاصة دول معاهدة وارسو ٠

هنا سيكون مما يخدم القضية العربية أن تستفيد المنظمات السياسية والجماهير العربية من هذا الوضع المواتى ، وان تتحرك لتعريف الرأى العام الرومانى فى اتجاهين للتعريف :

اولا — بالحقائق الجوهرية المتصلة بأزمة الشرق الاوسط ٠

ثانيا — بالانجازات التى حققها شعبنا فى مجالات الصناعة والزراعة والثقافة ٠٠ الخ ٠

فى نفس الوقت وفى أثناء زيارتى وجهت اهتمامى أيضا لمحاولة التعرف على القسمات الرئيسية للبناء الاشتراكى فى رومانيا ، فزرت أكثر من مؤسسة علمية ومعهد ومدرسة ومتحف وزرت بعض المصانع ومزرعة تعاونية ٠ كان فى مقدمة الانطباعات التى خرجت بها :

● اهتمام الرومانيين بتأكيد ودعم دور التنظيم السياسى (الحزب) فى حياة البلاد وهذا ما يلمسه الانسان بسهولة فى مجالين :

— **مجال اعداد الكوادر الحزبية** ، وتقوم «مدرسة الحزب» بمهمة تعليم وتثقيف هذه الكوادر ، وهى بمثابة جامعة تضم ثلاث كليات للاقتصاد والفلسفة وعلم الاجتماع ، والعلوم السياسية ، ومدة الدراسة فيها ٤ سنوات ، وتلاميذها ترشحهم مناطق الحزب وفقا لمقاييس نضالية ويلتحقون بها بعد اختبار قبول وفى اكاديمية الحزب مواد مشتركة تدرس فى جميع الكليات منها على سبيل المثال دراسة السيرناطيقا والتدريب على العقول الالكترونية ، وجميع موظفى الحزب — تقريبا — قد مروا بهذه المدرسة ٠

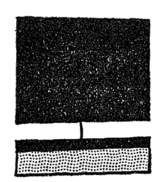
— وفى مجال اهتمام الحزب بدعم علاقاته العضوية بالجماهير أخبرنى الرفيق **فويكو** رئيس تحرير « **لوبنادى كلاسا** » بأن جميع اعضاء اللجنة المركزية سيتوجهون الى عقد اجتماعات (بدأت الان فعلا) فى جميع المدارس الثانوية ليجيبوا على الاسئلة والاستفسارات التى كان تلاميذ هذه المدارس قد وجهوها الى قيادات الحزب ، وهذه الاسئلة تشمل الحياة الدولية ومشكلات بناء الاشتراكية ومشاكل التعليم ، اما الاسئلة والاستفسارات المتعلقة بمشاكل الطلاب الشخصية والعاطفية فقد حولت الى متخصصين فى العلوم الاجتماعية والنفسية ليتولوا الاجابة عنها

● وبهذه المناسبة يولى الرومانيون اهتماما كبيرا بمسائل تطوير التعليم فى جميع مستوياته ٠ ويحظى التعليم الفنى بعناية خاصة ، وتبنى الان مدرسة للتكنولوجيا فى ضواحى بوخارست فى شكل مدينة جامعية كاملة ، وقد بدأت بعض أقسامها فى العمل ، وينتظر آن تضم ١١ كلية ، ومن الامور الملفتة للنظر العناية الكبيرة بتقديم خدمات السكن والمأكل للطلاب، كما ان المنح التى تقدم للطلاب تشمل ٧٠ فى المائة من مجموعهم ٠

● ويلفت النظر ايضا فى رومانيا الى جانب البناء الصناعى الاهتمام الكبير بتطوير الزراعة ، وفى هذا المجال الاخير استمر تطور الانتاج الزراعى طوال السنوات التى اعقبت تحرير رومانيا ، وكان من أبرز النجاحات التى تحققت اقناع ملايين من صغار الفلاحين بالانضمام الى مزارع تعاونية انتاجية ، وقد تم هذا عام ١٩٦٢ بالنسبة للغالبية الساحقة من الفلاحين ، اما النجاح الثانى فهو النمو المضطرد للانتاج الزراعى ، واذا استثنينا عام ١٩٧٠ الذى اصاب رومانيا بفيضانات مدمرة ، فان رومانيا قد أنتجت فى ١٩٦٩ حوالى ١٣ مليون طن من الحبوب ، وهى الان بلد مصدرة للحبوب واللحوم ، اما النجاح الثالث فى هذا الميدان فهو التقدم فى تطبيق الاساليب العلمية من اجل زراعة مكثفة ، ويعطينا عدد التركتورزات فكرة عن حجم هذا التقدم، فبينما لم يكن فى رومانيا عام ١٩٣٨ سوى ٤٥٠٠ تراكتور فى حوزة كبار الملاك فان الزراعة الرومانية تملك الان ١٠٥ الف تراكتور وغيره من الالآت الحديثة ٠

واخيرا فاذا كان المجال لا يتسع لتسجيل كل الانطباعات الايجابية عن أوجه الحياة فى رومانيا فاننى اذكر ان الاصدقاء الرومانيين بينما كانوا يتحدثون عن النجاحات التى تحققت لم يكونوا يخفون ان هذا العمل قد صحبته أخطاء ، وأن امامهم مشكلات لاتزال تنتظر الحلول ٠

بوخارست : أبو سيف يوسف







حول بعض المسائل النظرية فى الأقتصاد الاشتراكى

■ تأليف :

كيم ايل سونج

■ عرض وتعليق :

خيرى عزيز

■ الناشر :

دار النشر باللغات الاجنبية

بيونج يانج ـ كوريا ١٩٦٩

بحث الرئيس كيم ايل سونج ، رئيس جمهورية كوريا الديموقراطية الشعبية ثلاث قضايا أساسية فى هذا الكتاب هى : ١ ـ مسالة الترابط بين حجم الاقتصاد ، وبين سرعة نمو الانتاج فى المجتمع الاشتراكى . ٢ ـ مسالتا الشكل السلعى لوسائل الانتاج ، واستخدام قانون القيمة فى المجتمع الاشتراكى . ٣ ـ مسائل السوق الفلاحية فى المجتمع الاشتراكى ، والوسائل المؤدية الى الغائها .

وقد فند « **كيم ايل سونج** » فى بحثه للقضية الاولى ، النظرية التى رددها بعض علماء الاقتصاد فى الفترة الاخيرة ، ومفادها « **انه بقدر ما ينمو الاقتصاد وتتسع أبعاده ، بقدر ما تتناقص امكانية زيادة الانتاج** » وان الاقتصاد الاشتراكى عندما يبلغ مرحلة معينة من تطوره ، لن تتجاوز سرعة نموه من ٤ فى المائة الى ٥ فى المائة أو من ٦ فى المائة الى ٧ فى المائة فى السنة ،كذلك بحثها ردا

على بعض الكوادر القيادية فى الاجهـــــزة الاقتصادية لجمهورية كوريا الديموقراطية التى ترى انه حتى لو لم نزد انتاجنا الصناعى الا بنسبة ٦ فى المائة أو ٧ فى المائة فى السنة فان هذه السرعة تعتبر مرتفعة بما فيه الكفاية،نظرا لان الانتاج الصناعى فى البلدان الرأسمالية تكاد لا تبلغ زيادته من ٢ الى ٣ فى المائة فى السنة !!

ويرى كيم ايل سونج ان الذين يفكرون على هذا النحو ، لم يفهموا التفوق الحقيقى لنظام الاقتصاد الاشتراكى ، أو انهم لايريدون أن يروه . **فالمجتمع الاشتراكى يملك امكانيات غير محدودة لمواصلة تنمية الاقتصاد بسرعة كبيرة ، لا يمكن حتـى تصورها فى المجتمع الرأسمالى ، وكلما تقدم فيه البنـاء الاشـتراكى وتـوطدت فيـه الاسس الاقتصادية ، كلما ازدادت هذه الامكانية .** ففى المجتمع الرأسمالى لا يمكن أن يستمر نمو الانتاج بسبب التوقف الدورى فى مناهج اعادة الانتاج ، وبسبب تبذير كثير من العمل الاجتماعى نتيجة لازمة فائض الانتاج . **اما فى المجتمع الاشتراكى فان كل موارد اليد العاملة وكل الثروات الطبيعية يمكن استخدامها على الوجه الارشد ، ويمكن زيادة الانتاج باســتمرار وبطريقــة مخططة ، وتتضاعف هذه الامكانيات لزيادة الانتاج ، بقدر ما ينشأ توازن رشيد بين فروع الاقتصاد الوطنى ، وبقدر ما يتحسن تنظيم اقتصاد البلد ، على اثر توطيد وظيفة المنظم الاقتصادى التى تضطلع بها دولة دكتاتورية البروليتاريا ، وعلى اثر ارتفاع مستوى المسئولين فى ادارة الاقتصاد .** وتستطيع الدولة الاشتراكية ان تخصص اموالا كثيـرة للتراكم ، لانها تنفرد بالاشراف على الانتـاج والتوزيع ، والتراكم والاستهلاك وتحققها بطريقة مخططة . فاذا ما استخدمت الدولة الاشتراكية هذه الاموال على الوجه الارشد استطاعت مواصلة اعادة الانتاج الاشتراكى الموسع ، على نطـاق عظيم .

واوضح ان انتاجية العمل ترتفع باستمرار فى المجتمع الاشتراكى ، وان **الانتاج ينمو فيه بسرعة كبيرة بقدر ما يتطور فيه التكنيك سريعا . وان الحمية الثورية العالية لدى الانسان ، هى العامل الحاسم فى المجتمع الاشتراكى لاحداث اندفاع جبار فى تطور القوى المنتجة .** فالعامل فى المجتمع الرأسمالى الذى يستغله لا يهتم ابدا بتطور الانتاج والتكنيك ، أما فى المجتمع الاشتراكى فان العمال يعملون بحماس من أجل تطوير الانتاج ، لانهم يدركون تماما ان ثمرة عملهم تعود لهم ولشعبهم ولوطنهم ، **وكلما قام الحزب ودولة الطبقة الكادحة بتنشيط الثورة الفكرية بين العمال ، كلما عملوا على تطوير الانتاج الاشتراكى باذلين جمـاع مواهبهم وقدراتهم .** وعلى هذا النحو سـوف يستمر ظهور التحسينات والابتكارات فـى كل الميادين .

وقدم كيم ايل سونج عددا من الامثلة على ذلك ، منها : مصـنع « **كانغ سون** » للفولاذ . فعندما طلبت اللجنة المركزية للحزب من المصنع أن يزيد انتاجه من ٦٠٫٠٠٠ طن الى ٩٠٫٠٠٠ طن ، أوضحت الكوادر القيادية فيه بان ذلك أمر عسير . ولذا يقول كيم ايل سونج « دعونا العمال عندئذ الى الاجتماع وعندما شرعنا بعملنا السياسى على هذا النحو ، تعهد العمال ان ينتجوا ٩٠٫٠٠٠ طن ، وانطلقوا الى العمل وكافحوا وهم يتقنون الالات والتجهيزات الموجودة ويحلون العقـد . وبذلك فقدانتجوا فى تلك السنة ليس ٩٠٫٠٠٠طن بل ١٢٠٫٠٠٠ طن من الفولاذ . أما اليوم فقدرفع هذا المصنع الطاقة الانتاجية فيه الى ٤٥٠٫٠٠٠ طن ، أى حوالى ٨ أضعاف طاقته الرسمية . كذلك اوضح كيم ايل سونج ان مشروع السنوات الخمس الذى كان يحدد زيادة قدرها ٢٫٦ ضعفا فى مجمل الانتاج الصناعى ، قد تم انجازه فى غضون سنتين ونصف .

وقال : انه لو صحت تلك النظرية التى مفادها ان سرعة تزايد الانتاج تنخفض بقدر ماتتسع ابعاد الانتاج ، لما استطعنا بعد انجاز مشروع السنوات الخمس ، أن نؤمن سرعة كبيرة لتزايد الانتاج فى بلدنا . **اما واقع الامر فى بلدنا ، فهو ان الاقتصاد يواصل نموه بسرعة كبيرة حتى فى فترة مشروع السنوات السبع** ، رغم ان جزءا كبيرا من التراكم يضاف الى مخصصات بناء الدفاع الوطنى ، من جراء اشتداد مراوغات العدوان التى تقوم بها الامبريالية الامريكية . واشار كيم ايل سونج الى انه **بينما كان مخطط الاقتصاد الوطنى لعام ١٩٦٧ يحدد زيادة مجمل الانتاج الصناعى بنسبة ١٢٫٨ فى المائة عن السنة السابقة ، الا أننا فى الواقع تجاوزنا المخطط تجاوزا بالغا فى عام ١٩٦٧ . وبذلك ، فقد زدنا الانتاج الصناعى بنسبة ١٧ فى المائة فى سنة واحدة ، ولو لم تحدث فى تلك السنة اضرار فيضان نادر الضخامة ، لزدنا الانتـاج الصناعى بحوالى الـ ٢٠ فى المائة .**

واوضح كيم ايل سونج انه « **اذا تم القيام بعمل سياسى جيد ، وفق التوجيه الذى يسديه الحزب ، بغيه رفع المستوى السياسى للجماهير واستنهاض حماستها الثورية واتقان التكنيك باستمرار ، فان من الممكن عندئذ تنمية الاقتصاد بسرعة وحسب المطلوب ، مهمـا بلغ نطاقه من اتساع** » أو ركز فى **النهاية على تلك الحقيقة وهى انه لايمكن مواصله تطوير الاقتصاد الاشـتراكى بسرعة كبيرة اذا اهمـل احـد هذين الامرين وهمـا : دكتـاتورية**

البروليتاريا ، والثورة التكنيكية اللذين ذكرهما لينين .

وفيما يتعلق بالقضية الثانية ، اجاب « كيم ايل سونج » على سؤالها الرئيسى حول ما اذا كانت **وسائل الانتاج فى المجتمع الاشتراكى هى سلع أم لا ؟ وما اذا كان قانون القيمة يؤثر او لا يؤثر فى ميدان انتاجها وتداولها** ، بانه فى المجتمع الاشتراكى يمكن أن تكون وسائل الانتاج سلع ، ويمكن الا تكون حسب الحالة ، وبالتالى فان قانون القيمة يؤثر عندما تكون سلع ، ولا يؤثر عندما لا تكون ، اذ ان قانون القيمة ، هو قانون للانتاج السلعى .

وطرح كيم ايل سونج ذلك التساؤل : « فى أية حالة تكون وسائل الانتاج سلعا فى المجتمع الاشتراكى ، وفى اية حالة لاتكون سلعا ؟ يجب البحث عن الجواب فى تمايز الملكية ، ففى المجتمع الاشتراكى لاتكون وسائل الانتاج سلعا ، حتى لو انتقلت من مكان لاخر مادامت فى حوزة مالك واحد . بيد انها تكون سلع فى حالة انتقالها من حوزة مالك الى مالك آخر . اى عندما تنتقل مثلا من ممتلكات الدولة الى ممتلكات التعاونيات وبالعكس او بين المزارع التعاونية وبعضها الخ كذلك تكون وسائل الانتاج سلعا عندما يتم تصديرها الى الخارج .

اما فيما يتعلق باستخدام قانون القيمة فى المجتمع الاشتراكى ، أوضح كيم ايل سونج « **ان الشىء الاهم فى استخدام قانون القيمة ، هو تحديد سعر السلع تحديدا صحيحا** » . ينبغى تحديد السعر على أساس تقدير صحيح لمقتضيات القانون الاقتصادى الاساسى للاشتراكية وقانون القيمة .

ففى تحديد سعر السلعة يجب الاعتماد بدقة أولا على العمل اللازم اجتماعيا والمتجسد فيها . اما اذا لم يتم الاعتماد فى تحديد السعر على ما يقدم من العمل اللازم اجتماعيا ، فلا يمكن الحفاظ على التوازن بين الاسعار ، ولا تطبيق التوزيع الاشتراكى تطبيقا مناسبا ، مما قد يؤثر تأثيرا سيئا على تطور الانتاج الاجتماعى .

وفيما يتعلق بالقضية الثالثة ، وهى **السوق الفلاحية فى المجتمع الاشتراكى ، والوسائل المؤدية الى الغائها** ، أوضح كيم ايل سونج ان السوق شكل متأخر من التجارة ، ولد فى المجتمع الاقطاعى ، ولذلك يفضل مبدئيا الا تكون هناك سوق فلاحية ، هذا الشكل المتأخر من التجارة ، فى النظام المتقدم الاشتراكى .

الا ان السوق الفلاحية لا يمكن الاتوجد فى الاشتراكية مادام الاقتصاد التعاونى ، والانتاج الاضافى الخاص موجودين . ومن جهة اخرى فأن وجودها ليس سيئا قط وانما هوحسن ، لانه اذا كانت الدولة مازالت قاصرة عن توفير كفاية من كل الاصناف الضرورية لمعيشة الشعب ، وبخاصة اشياء عديدة ذات استعمال يومى ، كالمقشة والقصعة المتخذة من القرع المجفف ، والسلع الغذائية الثانوية كاللحم والبيض والسمسم والسمسم البرى ، فما هو وجه السوء فى أن ينتجها اشخاص فى أعمالهم الاضافية ويبيعوها فى السوق ؟ أنه اسلوب متأخر بالتأكيد ، **ولكنه ينبغى استخدام الاساليب المتأخرة ، اذا لم تستطع الاساليب المتقدمة أن تحل كل شىء** » .

وقال : « ان بعض المسئولين يخشون ان يؤدى الانتاج الاضافى ، والسوق الفلاحية الى بعث الرأسمالية مباشرة ، ولكن لاحاجة لمثل هذه المخاوف ، فلو كانت تمنح لاعضاء المزرعة التعاونية حديقة مفرطة فى الكبر لاستطاعوا أن يستخدموا استثمارهم الفردى ، دون ان يسهموا بنشاط فى العمل الجماعى ، مما يشجع العناصر الرأسمالية . الا أن حدائق فلاحينا لا تتجاوز بضع عشرات من « البيونج » واما تربية ماشيتهم الخاصة ، فهى لا تتجاوز خنزيرا واحدا او اثنين ، وعشر دجاجات وحتى لو زرع فلاح بعض غرسات التبغ فى حديقته ، فلن يشكل ذلك استثمارة رأسمالية ، وحتى لو باع بضع دجاجات بسعر مرتفع ، فى السوق الفلاحية ، فلن يصبح رأسماليا .

وطرح كيم ايل سونج ذلك التساؤل : ماذا سيحدث لو الغيت السوق الفلاحية بقوة القانون ، بدعوى ان الانتاج الاضافى والسوق الفلاحية تحدثان تأثيرا سيئا فى الاستثمار الجماعى ، وتحفزان الانانية ؟ سوف تلغى السوق طبعا ، الا أن السوق السوداء سوف تبقى كالمعتاد ، وسوف يذهب الفلاحون من مطبخ لاخر ، أو من حارة لاخرى ، ليبيعوا الدجاجات أو البيض الذى ينتجه عملهم الاضافى ، وأثناء ذلك ، فقد يقبض عليهم ثم يحكم عليهم بالغرامة أو يؤنبون بمقتضى القانون . اذن لن يتم حل أى شىء بالغاء السوق الفلاحية قسرا ، هذا فى حين سوف يتسبب الغاؤها فى بعض المزعجات لمعيشة الشعب ، ويجعل كثير من الناس مذنبين دون طائل .

ولذلك **ففى الظروف التى لا تكون فيها الدولة قادرة على أن تنتج وتقدم كل ما هو ضرورى لمعيشة الشعب بكمية كافية ، ينبغى الاحتراز جيدا من الانحراف « اليسارى » القاضى بالغاء السوق الفلاحية على عجل .** ان الانتاج الاضافى الخاص والسوق الفلاحية لا يمكن أن يزولا الا متى وجدت وفرة من كل السلع الاستهلاكية التى يحتاجها الشعب بفضل تصنيع البلد وتطوير التكنيك الى مستوى أعلى . فعندما يمكن شراء سلعة ايا كانت من مخزن الدولة ، فلن يبقى

هناك أحد يعلم بالامر ويبحث عن شرائها فى السوق الفلاحية ، ولن تعود مثل هذه السلعة تباع فى السوق الفلاحية .

والخلاصة ، حسبما أوضح كيم ايل سونج فى نهاية كتابه أنه **لن تزول السوق الفلاحية والسوق السوداء ؟ ولن تنتقل التجارة تماما الى نظام التسليم ، الا متى تطورت القوى المنتجة الى حد أن تستطيع الدولة أن تنتج وتقدم بوفـرة كل الاشياء التى يطلبها الشعب،ومتى تحولت الملكية التعاونية الى ملكية الشعب بأسره .**



اتجـاهـات جـديـدة فى حركات التحرر القومية

● عن مجلة العلوم الاجتماعية السوفيتية

بقلم : ا . اسـكندروف

تعتمد حركة التحرير الوطنى الحديثة الى حد كبير فى كفاحها **على الفـلاحين ..** فالهنـد ، والجزائر وموزمبيق ، وكينيا ، وانجولا ، وفيتنام فى حربها ضد امريكا أمثلة واضحة لدور الفلاحين فى معركة التحرير، وعلى هذا الاساس نشأت أسس نظرية جديدة، هى امكان قيام ثورة فلاحين خالصة فى قارتى آسيا وافريقيا . فهل يتعارض هذا الواقع مع الفكر الماركسى اللينينى الذى يعتبر ان الدور القيـادى من أجل التحـرر الوطنى والاجتماعى تقوم به الطبقة العمالية ؟ ان الملاحظ ان قيـادة حـركات التحـرير تكون فى ايدى البورجوازية الصغيرة ، او ما يسمى بالطبقة المتوسطة والطبقة البيروقراطية ، ولقـد ثبت افتقارها الى القدرة على اجراء تغيرات جذرية فى الاوضـاع الاجتمـاعية ويرجـع ذلك لان القطاع الزراعى يتضمن اتجاهين متناقضين : طبقة الاجراء والعمـال الـزراعيين ، وطبقة الملاك والبورجوازية الصغيرة فهذا التكوين الطبقى غير المتجانس لا يظهر أثناء فترة الحرب من أجل الاستقلال ولكن بعد الاستقلال تبرز صعوبات وضع برنامج موحد للتنمية ، وذلك عند مناقشة موضوع ملكية الارض وطريقة استغلالها ، وبذلك تفقد طبقة الفلاحين قادتها وتجد صعوبة فى تكوين قيادة بسبب ضعف الثقة فى أى قيادة جديدة، وهنا يأتى دور الطبقة العمالية فهى الطبقة الكادحة وحالها مشابه لحالة الفلاحين وليس هناك غير هذه الطبقة التى يمكنها أن تخلص الفلاح من الاستغلال وتحت هذه القيادة السياسية تستطيع قوى ثورة الفلاحين أن تكون مؤثرة ، وعلى هذا لا يمكن القول بأن هناك نظرية ثورية خالصة للفلاحين، وذلك من التجارب التى مرت بها هذه الثورات، كما ان الدور القيادى للعمال سوف يأتى حتما وبذا ينطبق التحليل الماركسى اللينينى .

ان تجربة حركة التحرير الوطنى تبين انه فى الامكان بناء روابط قوية بين الفلاحين والعمال والطبقة المتوسطة وهذا التحالف مهم فى مرحلة الاستقلال الوطنى فاذا استطعنا أن نؤثر على الطبقات المتوسطة لامكننا أن نجعلهم بدلا من القيام بأصلاحات اجتماعية واقتصادية فقط، يتبنـوا مواقف اشتراكية ويزاولون تأثيرهم من خـلال الاحزاب السياسية والنقابات وغيرها من الاجهزة المؤثرة فى الوعى القومى والتى يرأسونها .

نعود فنقول أنه من الطبيعى من وجهة النظر الاقتصادية أن الدول التى تكون فيها الرأسمالية متطورة تطورا كبيرا هى اقرب الى الاشتراكية من الدول المتخلفة صناعيا ، والدول المستقلة حديثا تختلف بعضها عن بعض اساسا فى الدرجة التى تطورت بها الرأسمالية وبالتالى فى درجة وعى الطبقة العاملة فيها . ويجب بهذا الصدد أن نفهم دور الطبقة العاملة فهما واضحا حتى نتجنب الوقوع فى خطأ التقليل أو المبالغة من شأنها وحتى تكون النتائج مطابقة لتقديراتنا . ويجب أن ندرك أن الحركة الثورية بها عناصر غير عمالية تؤثر فيها ، وان الاسراع فى حركة التصنيع يؤدى الى تكوين الطبقة العاملة الحديثة ، ويزداد اثرها ودورها كما يجب أن ندرك أن الشعارات التى تـرفعها البـورجوازية الصـغيرة والدعـوة بالاشتراكية الوطنية أثناء فترة التحرير الوطنى سوف تكون عاملا مهما فى اعداد وتفتح الوعى السياسى للطبقة العاملة . ويمكن القول أنه لن يحدث أن تتخطى دولة ما مرحلة الرأسمالية وذلك

على اساس ان ثورات التحرير الوطني هدفها الاساسي هو التحرر السياسي ، بينما الثورات الاشتراكية هدفها تحويل جذري في الاوضـــاع الاجتماعية والاقتصادية ، **ويكون الخطأ في الخلط بين الثورتين واعتبارهما نوع واحد من الثورات.**

وهنا يجب أن نعطي اعتبارا خاصا لدور الجيش في سياسة البلاد النامية . ففي السنين الحالية تحرك الجيش الى مقدمة المسرح السياسي في كثير من الدول الاسيوية والافريقية وله تأثير حاسم على مجرى الحوادث ، وهذا يخلق عديد من المشاكل. ففي كل مجتمع طبقي نجد أن صراع الجماهير من أجل التحرير يجر الجيش الى المعترك السياسي، ويحدث تحت الظروف الاجتماعية أن يقوم جزء من الضباط المتحمسين معتمدين على تأييد الجماهير بثورة تحرير وطني ، وهناك جزء آخر من الضباط الواقعين تحت تأثير الرجعية المحلية والاستعمار يأخذون موقفا سلبيا أو معارضا ، على أنه لابد للقادة العسكريين التقدميين أن يدركوا أن الجيش عامل فعال في نجاح ثورة التحرر ، **ولكن لا يعتبر التنظيم العسكري تنظيما سياسيا جماهيريا ، ولا يمكن أن يحل محله .**

أن نمو الطبقة العاملة سوف يبدأ بعد اقصاء الاستعمار ، اما حاليا فلا يمكن القول بأن هناك حركة عمالية في البلاد المستقلة حديثا ، فهي لم تتطور بعد وهي عبارة عن مجموعات صغيرة لم ترتبط مع بعضها ولم تحس بعد بأنها طبقـة اجتماعية لها قوة التنظيم السياسي . وعلى ذلك فان على هذه الدول المتحررة اذا أرادت التقدم نحو الاشتراكية فلابد من الاسراع بعملية التصنيع حتى تكون هذه الطبقة القيادية وهي في سبيل ذلك عليها ان تتعاون مع الدول الاشتراكية الاخرى لتكتسب منها الخبرات اللازمة للاسراع نحو التطور والتقدم الاجتماعي ، ومن الخطأ أن نجهل عمق التغير الحادث في الدول المتحررة حديثا، ونقلل من اهمية ظهور الطبقة العاملة في المستقبل نتيجـة الى الاتجاه نحو التصنيع ، ولابد ان نعى ان استعجال نمو التطور الاشتراكي قبل اتمام وعى الطبقة العمالية بدورها السياسي قد يوقعنا في أخطاء ونكسات . فالثورة الاشتراكية لا تقوم الا عندما تتكون الطبقة العاملة وعندما تكون واعية بأنها أصبحت طبقة ، وأنها تحولت الى قوة سياسية باستطاعتها قيادة برنامج ذو أساس علمي لبناء المجتمع الجديد ...

■■

الانســـان والتكنولوجيـا

- شتوتجارتر زايتونج
- « الصحفي الديمقراطي »
- سوددويتش زايتونج

> **لثورة العلم والتكنولوجيا تأثير مباشر على الانسان ، على عمله وراحته ، صحته وحيويته ، مستوى معيشته وطول عمره . وفي العلاقة بين التكنولوجيا والانسان يثور نقاش عالمي عن الطـرف الذي تكون له اليد الطولى في هذه العلاقة . وفي النظام الرأسمالي او الاشتراكي على حد سواء يحتدم هذا النقاش ويضطرم . ولكن كل ينطلق من رؤيا اجتماعية مختلفة ، تؤثر بلاشك على نوعية الحلول والمقترحات المقدمة .**

فجريدة « **سوددويتش زايتونج** » التي تصدر في المانيا الغربية ، نشرت مقالا مطولا عن « ثورة الخضرة » ، ناقشت فيه انعكاسات التكنولوجيـا على حياة الناس ، ولكن بمنطق « الماني غربي » . وجاء في المقال أن « **النسل في العالم الثالث أسرع من عمل المحراث** » أي أن الافواه أكثر من الطعـام المتاح ، لان العالم سيصل في عام ٢٠٠٠ الى ٦ مليار نسمة منهم ٤ر٥ مليار في العالم الثالث . وانه لا أمل في زيادة انتاج الطعام هناك الا باستخدام آخر منجزات العلم والتكنولوجيا ، ولكن لهـذا مشاكله . وتقول الصحيفة أن آفاق جهود مقاومة

المجاعة ، وسوء التغذية والنقص الغذائى تبدو جد مظلمة ، ما لم تقم الدول الصناعية المتطورة بدورها فى مساعدة بلدان العالم الثالث فى احداث « ثورة الخضرة » ، فذلك شرط اساسى للخروج من الازمة ، وبالطبع فان الحل الذى تقدمه الجريدة حل زراعى صرف ، أما الجانب الصناعى فالمقال يوحى لنا بأن من اختصاص الدول المتقدمة وان هذه بديهية لا تحتاج حتى لتبرير •

وتتمثل انواع المساعدة من الدول الصناعية فى توفير المعدات والالات أو فى انتاج سلالات جديدة من الحبوب الاكثر انتاجية — وبالفعل نجح عالم أوروبى فى الحصول على جائزة نوبل للسلام لانتاجه نوعا من بذور القمح الوافرة الانتاج • وتركز الصحيفة على الاهتمام بالبذور التى تنتج اكثر وتنضج اسرع مما يتيح الفرصة لزراعة الارض ٤ محاصيل فى العام بدلا من محصول واحد • ولكن زراعة هذا النوع من الحبوب ، يقتضى كما تقول الجريدة انفاقا هائلا : لاعداد نظام جيد للرى ، والاستمرار فى أبحاث تحسين البذور ، وتوفير الاسمدة والمخصبات الصناعية ، وتحسين طرائق العمل ، ومقاومة الافات ، وتوفير وسائل نقل المحاصيل •

وتلفت الصحيفة النظر الى مسألتين هامتين فى الثورة الزراعية ، وهما :

● ان المزارع التى تستخدم الوسائل الجديدة والبذور الجديدة ، ومن ثم ترتفع انتاجيتها ، تدخل فى تناقض مباشر مع المزارع التى لا يتسنى لها ذلك ومن ثم تبقى انتاجيتها منخفضة ، بل وتعمل على تصفيتها مما يزيد التوتر الاجتماعى • والحلول التى تقدم هنا هى : عدالة توزيع الارض ، بناء شبكات الرى وافادة الجميع منها ، تمويل صغار الزراع ، وبالطبع لا حديث عن الزراعة الجماعية •

● ان استخدام الالات فى الزراعة قد يصحبه الاستغناء عن كثير من اليد العاملة • فالعاملون حاليا فى العالم الثالث مليار نسمة (٨٠ فى المائة منهم فى الزراعة) ، منهم ١٠٠ مليون عاطلين حاليا ، وانه يجب البدء فورا فى توفير ٣٠٠ مليون وظيفة جديدة لتوظيف كل السكان خلال العقد الحالى •

وهنا ايضا تقتصر اقتراحات الصحيفة على خلق وظائف جديدة فى مجال الزراعة : فاستخدام البذور المحسنة وزراعة الارض اكثر من مرة يتطلب يدا عاملة للحصاد المتكرر ، وللعمل على الالات ، وبذر السماد والبذور ، ومقاومة الافات ، والنقل •

● ● ●

أما مجلة « **الصحفى الديمقراطى** » التى تصدرها منظمة الصحافة الدولية ، فتناقش **المشاكل التى تواجه العمل الصحفى بسبب استخدام التكنولوجيا** • وتقول أن لجنة تكونت فى النمسا من نقابات عمال الطباعة والصحفيين وموظفى الصحف لبحث مشاكل التقدم التكنيكى • وان اللجنة قد سجلت ان هذا التقدم فى مجال صناعة الطباعة أقل منه فى الصناعات الاخرى ، خاصة فى المشروعات المتوسطة الحجم ، والسبب فى ذلك ارتفاع تكلفة تجديد المعدات ، فضلا عن أن هذه الالات من النوع المعمر • وان هناك مشاريع طباعية فى النمسا بها آلات صنعت فى أوائل القرن وان ارباب الاعمال فى مجال الطباعة ، فيما عدا الجدد منهم ، نادرا ما يريدون تجديد معداتهم بمجموعة كاملة أو أقامة مشروعات جديدة ، بل يكتفون بوضع بعض الالات الحديثة فى مشروعاتهم القائمة • ولكن رغم هذا فقد حدثت تحولات جذرية فى اعمال الطبع ، وبالذات فى اعمال الجمع ، اذ يتم ذلك الكترونيا فى كثير من المشروعات • بل ويستطيع أحد الصحفيين ، وليس مكتب التحرير ، ان يملى فورا — ومن بعيد — موضوعا ما على آلة جمع الحروف ، وذلك ما تفعله وكالات الانباء السويسرية مثلا ، والتى توزع الاخبار عن طريق « الاشرطة المثقبة » التى يمكن ان تغذى مباشرة ثلاث آلات للجمع الالكترونى • وبالطبع يفترض هذا وجود عقل الكترونى فى الصحيفة ليكيف ما جاء فى هذا الشريط المثقب الحامل للاخبار مع احتياجات الصحيفة •

وهذا التكنيك يوفر سرعة خيالية فى أعمال الجمع ولكنه مكلف ، ويتطلب يقظة دائمة ، فضلا عن أن كثيرا من الصحف يرفضه لانه يجعل ما ورد بها من موضوعات متشابهة وموحدة ، لصدوره عن مركز واحد هو وكالة الانباء مثلا • كما انه يقضى على « الطابع الخاص » للصحيفة ، فضلا عن انه يمكن أن يصبح اداة خطيرة للتحكم فى مجموع الرأى العام عن طريق هذا التوحيد • ومن جانب آخر فان استخدام الالات المتقدمة ، والتى تقوم الرأى العام عن طريق هذا التوحيد • ومن جانب آخر فان استخدام الالات المتقدمة ، والتى تقوم على الجمع الالكترونى ، غير رشيد فى كثير من الاحيان ، لان باقى الاجهزة والاقسام فى الصحيفة ، خاصة مكتب التحرير ، قد لا تستطيع ان تلاحقه بالمادة ، ومن ثم فان التبديد يتزايد حيث أن الانتاج يتحدد حسب أبطأ الحلقات فى العملية الانتاجية ، ولذلك لا يكون المشروع مجزيا لان استخدام الالات الحديثة لا يحقق غرضه الا اذا استخدمت بكامل طاقتها •

● ● ●

أما جريدة **شتوتجارتر زايتونج** الصادرة فى

المانيا الغربية ، فقد أفردت مساحة كبيرة لموضوع عن « بناء الطرق والشوارع المضادة للصوت » ، وذلك للتغلب على ضوضاء المرور ، اعلنت فيه أن التقدم التكنولوجى لا يجب أن يكون على حساب آدمية وأعصاب الانسان ، فالمزايا التى تحققها احدث وسائل النقل ، لها جوانبها السلبية المتمثلة فيما تحدثه من ضوضاء تؤثر على حياة الانسان وتقلق راحته • ولذلك كان لابد من التفكير أيضا فى استخدام منجزات العلم والتكنولوجيا ، للاقلال من هذه الاثار الضارة •ولهذا السبب عقد فى برلين الغربية مؤتمر حضره ١٧٠٠ عضو من مختلف الدول الاوروبية ، بمبادرة من « جمعية ابحاث بناء الطرق » وفى هذا المؤتمر اتضحت الافكار التالية :

- أن بناء الطرق التى تقاوم الضوضاء أمر يجب تخطيطه على النطاق الاقليمى والمركزى معا • وان هناك مواصفات معينة لابد من مراعاتها عند البناء •

- وبناء هذه الطرق يجب أن يتم بعيدا عن المناطق السكنية الحالية او على الاقل فصل الاثنين بمنطقة « حماية » •

- لابد من تجنب المنحنيات الطويلة والاخاديد فى الطرق قرب اماكن البناء السكنى لان المرور عليها اكثر ضجة •

- ابعاد مواقف السيارات عن المناطق السكنية •

- أنه اذا لم يتيسر منع الضوضاء ، فلابد من امتصاصها •

صحيح ان ذلك يتكلف كثيرا ، ولكنه امر له أهميته بالنسبة لراحة الانسان الحديث •

وفى هذا الصدد ابرز المؤتمر الحقائق التالية :

- ان وجود حوائط على جانبى طريق مرور الناقلات يزيد من ضوضاء هذا الطريق •

- ان « الخضرة » على جانبى الطريق ممثلة فى صفوف متوازية من الشجيرات هى خير طريق لامتصاص الضوضاء ، وفى هذا تفضل الشجيرات على الشجر لمنع الحوادث •

- اقامة عوازل على جانبى الطرق مكونة من ألياف معدنية متنوعة لامتصاص الضوضاء أيا كانت درجة ترددها • وقد اجريت تجربة لقياس الضجيج بعد اقامة هذه العوازل ، وعلى مسافة ٤٠ ياردة منها ، فوجد ان الضوضاء انخفضت بنسبة ٥٠ فى المائة •

ولكن واضح طبعا أن هذه الحلول المكلفة قاصرة على سكان الدول المتقدمة ، بل وعلى جزء من مدنها واحيائها •

■■

تشيكوسلوفاكيا تخرج من الأزمة

((مجلة السلم والاشتراكية))

فى مقال كتبه م • موك ، لمجلة السلم والاشتراكية (اكتوبر ١٩٧٠) اشار الكاتب الى أنه رغم تعدد وجهات النظر فقد ثبت أن هناك أدلة دامغة على أن قوى الرجعية الداخلية والامبريالية العالمية ـ بالتحالف مع قوى اليمين الانتهازية فى الداخل ـ حاولت فى عام ١٩٦٨ القيام بانقلاب مضاد للثورة ، وكانت خطتهم مبنية على تحطيم الاشتراكية وتصفيتها تدريجيا بهدف اضعاف النظام الاشتراكى وقدرته الدفاعية ، وأن يغير ـ فى النهاية ـ ميزان القوى بين الاشتراكية والامبريالية ، ولكن بجوار هذا الواقع هناك حقيقة أن لدى الشعب التشيكوسلوفاكى القوى الثورية القادرة على ضرب الثورة المضادة بمساعدة الشعوب الصديقة فى البلدان الاشتراكية ، كذلك كان فى مقدور الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى وحده أن يضع نهاية للوضع السىء الذى كان فيه البلد يتخبط فى أوضاع سيئة ، ويمكن ان نلخص أهم هذه العوامل فيما يلى :

- **منذ فبراير عام ١٩٤٨** طرأ على تركيب الحزب الشيوعى الطبقى والسياسى تغيير ذو دلالة : فمن بين أكثر من مليون عضو جديد كان ثلاثمائة الف منهم ينتمون الى احزاب سياسية أخرى ، وتمت الوحدة مع الديمقراطيين الاشتراكيين ، ومع عدم وجود وحدة مع الاشتراكيين الوطنيين انضم منهم الى الحزب الشيوعى أكثر من مائة وخمسة عشر ألف عضو •

وبينما كان العمال فى نهاية عام ١٩٤٧ يكونون نصف عضوية الحزب ، فقد انخفضت هذه النسبة الى ٤٠ فى المائة بعد المؤتمر الثالث عشر ، ووصلت الى ٣٠ فى المائة عند بدء عام ١٩٦٨ ، فى الوقت الذى ارتفعت فيه نسبة المثقفين الى ٣٤ فى المائة ، ولم يقتصر الامر على ذلك بل تعداه الى الشلل فى النشاط الايديولوجى للحزب •

- اتصفت قيادة الحزب بالبراجماتية ، وعدم وضوح الهدف ، وعدم تطبيق الماركسية اللينينية فى العمل الحزبى ، مما فتح الباب أمام التلقائية

والليبرالية والمواقف غير السياسية • ومن الامثلة على ذلك أننا رفضنا النظرية القائلة بأن نمو الاشتراكية يصحبه تفاقم الصراع الطبقى ، ولكن هذا لم يكن يعنى أن الصراع الطبقى فى بلد اشتراكى ما لا يمكن ان يتفاقم تحت تأثير أوضاع خارجية أو داخلية ، فقبل عام ١٩٦٨ بمدة أشار كثير من الشيوعيين ـ وكانوا على حق ـ الى الخطر الذى كان يتشكل فى تشيكوسلوفاكيا ، ويزداد خطره بالتخريب الفكرى الذى كان يقوم به الامبرياليون •

● **فى بداية الستينات** قادت تلك النظرية المبسطة [التى تقول بامكانية تخطيط التطور دون ادخال العوامل الداخلية والخارجية فى الاعتبار) الى أخطاء جمة فى حسابات الخطة الخمسية الثالثة ، ولقد أظهرت سنة البداية أن أهداف هذه الخطة لم تكن واقعية ، ولقد صححت الاخطاء بعد مدة ولكنها لم تؤد الى النتائج المتوقعة نظرا لان القيادة الحزبية وقادة الدولة فى ذلك الوقت لم يتخذوا اجراءات طويلة الامد ، وألقوا الكثير من المشاكل بدون حل ، ولقد خفضت الاستثمارات بعد المؤتمر الثالث عشر للحزب (١٩٦٦) وهو ما أضحى فى السبعينات معوقا للتطور الاقتصادى •

ثم تطرق الكاتب بعد ذلك الى تحليل قرارات الاجتماع الشهير الذى عقدته اللجنة المركزية فى يناير ١٩٦٨ ، ولاحظ أن قيادة الحزب بزعامة دوبشيك فشلت فى وضع هذه القرارات موضع التنفيذ لانها عجزت عن مواجهة قوى اليمين الانتهازى ، هذه القوى التى حولت النقد والنقد الذاتى سلاحا فى أيدى أعداء الحزب حتى أن المدة التى انقضت بين ينايروأغسطس ١٩٦٨ كانت فترة تراجع مستمر من جانب دوبشيك ، تم فيها تشويه كفاح الحزب الشيوعى على مدى عشرين عاما ، وظهرت هذه النظرية التى تقول بأن الطبقة العاملة لم تعد قوة ثورية تقوم بدور فعال فى بناء الاشتراكية، أما المرحلة السابقة فقد وصفت بأنها مرحلة الظلام ، واندفعت قوى اليمين تتجمع فى نواد متعددة وروابط مختلفة مكونة بذلك أحزابا سياسية ، وأخذت تطالب بتحريم الحزب الشيوعى •

فى ظل هذه الردة ، وفى صيف ١٩٦٨ دخل تشيكوسلوفاكيا أكثر من مائتى شخص من أوربا الغربية ، وأكثر من ثلاثمائة عضو من المخابرات المركزية الامريكية قادمين من ألمانيا الغربية كسياح •

وعند هذا الحد كانت الاجهزة السياسية والاشتراكية قد تفككت ، وفقدت الطبقة العاملة الاتجاه السياسى ، ولم يعد الحزب يمارس أى تأثير على تطور الاحداث •

وتعرض الكاتب بعد ذلك للرد على الذين عارضوا دخول القوات الحليفة الى البلاد ، فأشار الى أن كل هذه الاخطار التى واجهت النظام الاشتراكى لم تكتشف بعد دخول هذه القوات ، بدليل أنه فى مايو ١٩٦٨ انعقد مؤتمر للجان المناطق أشار الى ازدياد نشاط القوى المعادية للاشتراكية وللحزب وللاتحاد السوفيتى ، وكان قائل هذا الكلام هو دوبشيك •

أما الذين يقولون انه لم تكن هناك أخطاء من قبل الثورة المضادة بدليل أنه لم تحدث اراقة للدماء ، فان الكاتب يسألهم : وهل كان من الحكمة أن ننتظر حتى تراق الدماء ويسقط الضحايا •

وفى النهاية هناك وقائع ترد بنفسها على كل من يزعم بأن تشيكوسلوفاكيا لم تكن مهددة ، يكفى أن نشير الى بعضها :

ـ أعلن كيسنجر عن ابتهاجه للتطورات التى تجرى فى تشيكوسلوفاكيا •

ـ تأييد الكنيسة الكاثوليكية لدوبشيك ، بينما هى تمول النشاط المعادى للشيوعية فى غرب أوربا •

ـ الثناء الحار الذى كاله الاشتراكيون اليمينيون « لابطال « التجديد » •

ـ الاموال التى أنفقتها المخابرات الامريكية بسخاء لنشر آراء عن « اشتراكية أفضل » •

وانتقل الكاتب بعد ذلك الى الكيفية التى واجه بها الحزب الموقف فى أبريل ١٩٦٩ ، وركزت اللجنة المركزية على هدفين : **الحزب والاقتصاد** •

وفيما يتعلق بالحزب فقد بدىء فى اعادة تنظيمه وتطهيره من العناصر التى شوهت سمعته ، واتجهت القيادة الى اعادة الثقة فى قيم المجتمع الاشتراكى ، وبفضل هذه القيم أخذت الوحدة تنمو فى الحزب ، وأخذت موجة السلبية واللامبالاة تنحسر •

أمام هذا العمل كان اليمين الانتهازى مستعدا لان يعترف بقدرة القيادة الجديدة على اعادة الوحدة السياسية ، ولكنه كان يتنبأ بفشلها فى حل المشاكل الاقتصادية المعقدة ، وكان يعقد على هذا الفشل الامال •

ومع أهمية دعم الوحدة السياسية ، فقد وجهت القيادة الجديدة الشيوعيين الى معالجة المشاكل الاقتصادية، وفى شهر مايو كانت اللجنة المركزية

قد بحثت مشاكل التطور الاقتصادى ووضعت فى التنفيذ كل مبادىء الادارة الاشتراكية الموجهة مما أدى الى ازدهار ملموس فى الانتاج وفى عائد العمل فى النصف الاخير من عام ١٩٦٩ وتوقف عمليات التضخم وتجمد الاجور والاسعار .

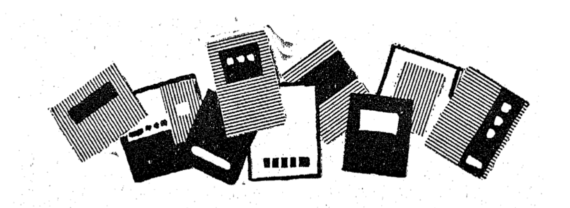
كذلك اتضح التغير فى الجو السياسى فى أثناء احتفالات العيد المئوى لميلاد لينين وفى يوم أول مايو ومرور ٢٥ عاما على تحرير تشيكوسلوفاكيا واليوم ، بعد مرور ثمانية عشر شهرا على السير على الخط الجديد ، تم القضاء على الفوضى وعلى التفكك الحزبى وتحلل المجتمع ، كما اتجهت الاوضاع الاقتصادية والسياسية الى التحسن ، ووضح لعدد أكبر من الشعب أن سياسة الحزب الشيوعى صحيحة فزاد تأييدهم له .

كل هذه حقائق دامغة لا جدال فيها رغم عدم اعتراف اليمين الانتهازى بها .

ولعلم الامبريالية بعدم قدرتها على تحطيم الاشتراكية سواء عن طريق الضغط الاقتصادى أو الابتزاز السياسى ، ولا حتى باللجوء الى السلاح (فشل الولايات المتحدة فى فيتنام) فهى تبذل قصاراها لاضعاف المجتمع الاشتراكى ، ولفصم عرى التعاون بين البلاد الاشتراكية والاتحاد السوفيتى ، وهى فى هذا تعقد أهمية عظمى على الانحراف الايديولوجى ، ومن البلاهة انكار أن الرأسمالية مازال فى استطاعتها التأثير - لمدة طويلة - فى الايديولوجيا والفكر ومناحى الحياة الاخرى .

وتضع أحداث عامى ١٩٦٨ و١٩٦٩ فى تشيكوسلوفاكيا عددا من المهام العاجلة على الجبهة الايديولوجية الماركسية ، فلابد من مناقشة مسائل مثل : الانتصار النهائى للاشتراكية ، والوسائل التى تلجأ اليها الامبريالية للتأثير الايديولوجى ، وأضعف حلقة فى النظام الاشتراكى (فى ١٩٦٨ كانت تشيكوسلوفاكيا) ، والطرق التى تنتهجها الثورة المضادة ، و « الطريق السلمى » لاعادة النظم الرأسمالية .

ان صياغة الوعى الاشتراكى لا تتم تلقائيا ، فالغالبية العظمى من شعبنا كانت ، ومازال ، الى جانب الاشتراكية ، ولكن الايمان وحده لا يكفى ، فالوعى الاشتراكى فى حاجة الى ان تكون لدى الجماهير - وخاصة أعضاء الحزب - فكرة واضحة عن العالم الحديث وعن تقسيماته الطبقية وعن دلالات النضال القائم ، كذلك يتضمن هذا الوعى موقفا واضحا من حزب الطبقة العاملة الماركسى اللينينى ، وموقفا أمميا متماسكا من الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية الاخرى .







الدبلوماسية الصهيونية .. كيف تعمل ؟

مصطفى النجار

يكتب هذا المقال مصطفى النجار — من القاهرة — يعرض من خلاله وجهة نظره فى اساليب عمل الصهيونية فى المجال الدبلوماسى

قررت اسرائيل تجميد اتصالاتها مع يارنج .. وبررت قرارها بأنها تنتظر كلمة من واشنطن عن موقفها ، مما تذيعه اسرائيل عن الصواريخ المصرية .. وقالت وكالة رويتر ان هذا القرار ليس الا اجراء مؤقتا ، وانه لا يعنى ان اسرائيل سوف تستأنف اتصالاتها مع يارنج فى الامم المتحدة ! !

ومن قبل صرحت المصادر الاسرائيلية المسئولة، بأن جولدا مائير قد تلقت رسالة من الرئيس الامريكى نيكسون تضمنت تأكيدات جديدة لاسرائيل .. فقد اشتملت الرسالة على ضمانات محددة من جانب الولايات المتحدة ، ابرزها : المحافظة على توازن القوى ، وعدم التزام اسرائيل بالانسحاب من الاراضى المحتلة الا بعد اتفاق كامل على سلام دائم ، وأن امريكا سوف تحمى مصالحها فى الشرق الاوسط وهى متوازية تماما مع مصالح اسرائيل !!

وقد أعلنت جولدا مائير فى حديث تليفزيونى مع اذاعة كولومبيا الامريكية يوم ٣٠ أغسطس الماضى .. أن الولايات المتحدة أعطت اسرائيل تأكيدات قبل وقف اطلاق النار فى الشرق الاوسط .. وهذه التأكيدات يجرى تنفيذها الان ، ثم استطردت تقول ان اسرائيل لن تقبل الانسحاب من جميع الاراضى التى احتلتها قبل يونيو ١٩٦٧ !! .

من هنا فان وصول هذه الضمانات الامريكية لاسرائيل فى الوقت الذى تقدم فيه الحكومة

الامريكية مبادرةسلام فى الشرق الاوسط من شأنه أن يثير الشكوك .

وقد يكون لنا أن نسمى ذلك مناورات صهيونية تفتح بابا للمراوغة وللمساومة وللتقدم بشروط وتحفظات .. لان الدبلوماسية الاسرائيلية فى الواقع امتداد للدبلوماسية الصهيونية .. ومنها نقف على الحقيقة كاملة ، ويرى العالم من هم الذين يسعون الى السلام ، ومن هم الذين يريدون الحرب ، ومن هم الذين يطالبون بالحق ويتمسكون به ، من هم الذين يسعون الى التوسع واحتلال الارض ، ومن هم الذين يصدقون الكلمة ويحافظون على الشرف ، ومن هم الذين يكذبون ويحتالون ولا يعرفون للشرف مكانا ولا يقيمون له وزنا .

ماهى القواعد الرئيسية

للدبلوماسة الاسرائيلية

تحكم الدبلوماسية الاسرائيلية عدة قواعد منهجية اهمها :

● **ان اسرائيل** فى سعيها لكسب مزيد من الاصدقاء والحلفاء تعمل على الا يظل اعداؤها على عدائهم لها ، والمحافظة على أن تظل الاهداف الرئيسية البعيدة المدى لاسرائيل ماثلة فى أذهان الدبلوماسيين الاسرائيليين حين يتصدون لاية قضية وحين يقومون بأى عمل .

● **اما القاعدة الثانية** ، فهى الربط بين العمل الدبلوماسى والانجازات المادية . بمعنى أنها تعتبر أن العهود والاتفاقات السياسية التى تتمكن من احرازها تظل تحت سيطرة القوى الاخرى ، الا اذا أرفقت بالانجازات المادية التى تؤكدها وتحميها . مثال ذلك : أنه عندما اصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة توصيتها بتقسيم فلسطين فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، بادر بن جوريون يحث اتباعه على عدم التراخى والاستسلام للتفاؤل ، مشيرا الى امكانية تراجع الامم المتحدة عن توصيتها ، وداعيا الى العمل العسكرى لجعل التقسيم أمرا راهنا .

● **اما القاعدة الثالثة** ، فهى الواقعية ،حيث تعتمد اسرائيل فى دبلوماسيتها على التقدير الواقعى للموقف الموضوعى ، لا الهدف والرغبات الصهيونية الذاتية وحدها ، وهذا التقدير يعنى مقارنة العوامل المؤيدة وقوتها والعوامل المعارضة وقوتها ، وتقدير الطاقة الصهيونية الذاتية واعتبار عنصر الزمن .

فالواقعية فى الدبلوماسية الصهيونية تعنى القبول بأفضل ما هو موجود .. فهى لا تفرط فى العصفور الموجود فى قبضة يدها طمعا فى « العصافير العشرة التى على الشجرة » ، فهى تتمسك مثلا باتفاقية لتبادل الفرق الرياضية بينها وبين دولة افريقية وتسعى لدعمها ظنا ان بمقدرها الوصول الى اتفاقية تعاون اقتصادى شامل مع تلك الدولة .

● **والقاعدة الرابعة** ، المرونة ، مثال ذلك .. ان اسرائيل كانت تخطط للعدوان قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ ، فقالت فى بداية الامر ان القضية قضية فدائيين ، ثم قالت ان القضية قضية مضايق تيران ـ وما دامت الغاية واحدة فلا مانع من تغيير الوسيلة وتبديلها ، وحين أصدرت قرارا بضم القدس المحتلة حديثا الى القدس المحتلة سابقا .. قالت ان ذلك اجراء ادارى فقط يتعلق بتنظيم الشئون البلدية المحلية فقط ، قالت هذا الكلام حين كانت الجمعية العامة للامم المتحدة تناقش وضع القدس .. وبعد ذلك قالت أن موضوع ضم القدس كلها الى اسرائيل غير قابل للنقاش أو التفاوض !!

● وبالاضافة الى الواقعية والمرونة فهناك ـ **مبدأ اللاتراجع ـ بحيث لا تعود الى حيث كانت** ، واذا تعارضت الواقعية والمرونة مع مبدأ اللاتراجع رجحت كفة اللاتراجع ، فقد صرح أبا ايبان أن اسرائيل لن تعود الى خطوط الهدنة القديمة حتى لو صوتت الجمعية العامة ضد اسرائيل ١٢١ صوتا ضد صوت واحد !! واصدر مجلس الامن قرارا بالاجماع فى ٢٨ مايو ١٩٦٨ يدعو اسرائيل بموجبه الى الغاء العرض العسكرى فى القدس ، فرفضت اسرائيل القرار فور صدوره ، ولكنها ، وفى محاولة لعدم مواجهة نقمة الرأى العام قالت على لسان وزير خارجيتها ان العرض العسكرى .. سيكون عسكريا محضا ، وأنه سيكون قصيرا ومدته ٤٥ دقيقة ، وكان مجلس الامن قد اعترض على مدة العرض ، أو كأنه اعتبره عرضا سيضم أعضاء الكنيست أو موظفى وزارة الخارجية !!

أساليب الدبلوماسية الاسرائيلية

ان الاساليب التى تلجأ اليها الدبلوماسية الاسرائيلية هى ـ كما أشرنا ـ امتداد لاساليب الدبلوماسية الصهيونية .. وتتمثل هذه الاساليب فيما يلى :

● **تزييف** المعنى الاصلى للاتفاقات أو القرارات الدولية ، وخير تمثيل لتزييف الدبلوماسية الاسرائيلية ، مهاجمة اسرائيل للتقرير الذى رفعه أوثانت الى مجلس الامن ، والذى طلب فيه استئناف مهمة يارنج ، وضمنه ردود كل من الجمهورية العربية المتحدة والاردن واسرائيل على

المقترحات الامريكية التى أقرتها الدول الاربع الكبرى المنبثقة من مجلس الامن .. فقال يتحدث باسم الخارجية الاسرائيلية ان التقرير لا يعبر عن وجهة نظر الحكومة الاسرائيلية كما ابلغته الى الامم المتحدة ، وحقيقة الامر أن أوثانت لاحظ أن الرد الاسرائيلى الذى تسلمه من الحكومة الاسرائيلية مختلف عن رد اسرائيل الذى بعثت به الى الحكومة الامريكية ، خصوصا فيما يتعلق بموضوع الانسحاب ، فاعتمد أوثانت نص ردها الذى سلمته لواشنطن . فاحتجت اسرائيل لدى الولايات المتحدة على موقفها من تقرير أوثانت ، واحتجت لدى السكرتير العام لانه كتب هذا التقرير دون أن يضع فى اعتباره التحفظات التى قالت اسرائيل انها ابلغتها الى السكرتير العام ، علما بأن السكرتير العام لم يتلق أية مذكرة عن تحفظات قالت اسرائيل انها وضعتها حول موضوع الانسحاب .

● كما تلجأ الدبلوماسية الاسرائيلية الى **المطالبة بالتطبيق الحرفى** لبعض القرارات والاتفاقات ، كما فعلت بصدد قرار الجمعية العامة للامم المتحدة بشأن قوات الطوارىء التى أنشئت على أثر العدوان الثلاثى على مصر ، ومكان مرابطتها . فقد رفضت اسرائيل مرابطة القوات الدولية داخل حدودها باعتبار أن القرار نص على أن ترابط القوات على خط الهدنة المصرية الاسرائيلية .. وليس الى جانب خط الهدنة بينما فى حالات أخرى تدعو الى التقيد بالنية التى كانت وراء صدور بعض القرارات أو ابرام بعض الاتفاقيات .

● أما بالنسبة للاسلوب الثالث ، فيقوم على أساس **المعاملة بالمثل** أو ما يسمى بالاسلوب التبادلى فى العلاقات الدولية، وقد تجلى هذا الاسلوب فى موقف اسرائيل من اتفاقيات الهدنة ، فادعت اسرائيل أن العرب لم يستطيعوا تنفيذ البند الخاص بمنع التسلل عبر خطوط الهدنة ، وهذا من شأنه أن يحرر الطرف الاخر – أى اسرائيل – من قرار وقف اطلاق النار المنصوص عليه فى اتفاقية الهدنة ، ويعطى اسرائيل الحق بالتالى لشن هجمات عسكرية ضد الدولة العربية صاحبة العلاقة !!

● **التمسك بالاتفاقيات ثم رفضها**، وفق مايتفق مع مصلحتها واهدافها ، فقد اعلنت اسرائيل موافقتها على قرار التقسيم ، لانها كانت بحاجة اليه ، وحين استنفدت اغراضها منه رمتـه جانبا ودفنته فى التراب كما فعلت فيما بعد بشأن عودة عرب فلسطين الى أراضيهم والتعويض عنهم .

● ومن بين الاساليب التى تلجأ اليها اسرائيل **اخفاء الطابع الالزامى** لبعض القرارات أو الاتفاقات والتنكر لهذا الطابع اذا ما تعارض مع مصالحها ، ويتمثل ذلك فى رفض اسرائيل استعمال كلمة الانسحاب فى مباحثاتها مع يارنج وتستعمل بدلا منها كلمة اعادة توزيع القوات .

● كما تلجأ الى **اختلاق اتفاقات لم تعقد** أصلا ثم تعمد بعد ذلك الى المطالبة بالحقوق الناشئة عن هذه الاتفاقات المختلفة ، مثال ذلك الادعاء الاسرائيلى المتكرر بأن ثمة اتفاقا دوليا وزعت بموجبه مياه نهر الاردن وروافده فيما بين الدول العربية واسرائيل .. فكانت لكل من الفريقين حصة يتصرف بها كما يشاء بشرط ألا يتعداها .

● والدبلوماسية الإسرائيلية لا تتورع عن الالتزام بعهود ووعود للمدى البعيد أو القريب مع ادراكها المسبق بأنها لن تنفذها . فقد وافقت اسرائيل على الشروط التى أرفق بها قرار قبولها فى عضوية الامم المتحدة وأعلنت عن اعتزامها تنفيذها ، ومن بين هذه الشروط بند يدعو الى السماح للاجئين العرب الفلسطينيين بالعودة الى أراضيهم والتعويض عنها .. وبعد أن استتب الامر لاسرائيل بقبولها فى هيئة الامم المتحدة ، وبتوقيع اتفاقيات الهدنة رأت الوقت قد ناسبها لاعلان تحللها من هذه الالتزامات ، فسلمت مذكرة الى اللجنة الفنية التابعة للجنة التوفيق الفلسطينية التابعة للامم المتحدة فى ٢٨ يوليو ١٩٤٨ قالت فيها : ان الساعة لا يمكن أن تعاد الى الوراء ، وأن العودة الانفرادية للاجئين العرب الى أماكن سكنهم السابقة شيء مستحيل .

● وعندما تدرك الحركة الصهيونية أن مطلبا من مطالبها أو شعارا من شعاراتها يضم عبارة قد تستثير أمامها الصعوبات .. تمضى بضغط من واقعيتها ومرونتها الى اختيار عبارة بديلة عنها ، وتتعمد أن تكون العبارة أوسع قاعدة وأشمل مدى من الكلمة المستبدلة ، بحيث يندر أن تطلق على المفهوم الذى تدل عليه بالتأكيد العبارة المستبدلة ، ولكن يكون من المستطاع تفسير العبارة البديلة الشاملة تفسيرا قد ينطوى على مدلول العبارة المستبدلة الضيقة ، ولعل موقف اسرائيل من قضية

القدس بعد حرب الخامس من يونيو مثال واضح على هذا الاسلوب ٠٠ فقد قامت اسرائيل منذ اللحظة الاولى لاحتلالها القطاع الاردنى من القدس بضمه الى القدس المحتلة سابقا ، لكنها لم تعلن ذلك تلافيا لما قد يثيره هذا الاعلان من مضاعفات على الصعيد الدولى ، وحين أعلنت ذلك اختارت لفظة (الضم الادارى) وبعد أن توطد لها الامن على الصعيد الدولى بفضل ستائر الدخان التى نشرتها أمريكا لتحجب أهداف اسرائيل الحقيقية ، بدأت تستعمل تعبير (الضم الفعلى) بكل ما تتضمنه الكلمة من مفاهيم قانونية وسياسية وادارية !!



---

٠٠٠ « التجريبية الموجهة » !

كتب المواطن اللبنانى جلال مختار بگداش — من بيروت — رسالة الى الطليعة يقول فيها :

المشكلة الاساسية فى بلدان العالم الثالث هى مواجهة التخلف بأبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، فمواجهة التخلف هو حجر الاساس فى اية حركة سياسية هادفة الى أن تلعب دورا ايجابيا فى التاريخ ، ونحن فى العالم العربى وفى كل قطر من اقطاره ، حاولت كافة التنظيمات والمدارس السياسية مواجهة التخلف ضمن واحد من خطين عريضين ثبت فشلهما تاريخيا :

١ — الخط المذهبى المتحجر ، الذى كان كل هدفه محاولة فرض وصفات سياسية جاهزة على واقع التخلف العربى ، وكان اكبر خطأ وقع فيه انه جرد منهج التحليل الاشتراكى العلمى من مكامن قوته واتعظ بنتائجه فقط ووقف عند حدودها ، فسقط بذلك تاريخيا وثبت فشله ، كما وانه لم يتحسس مواقع القوة التى يضفيها عليه الاحتكاك بالواقع العربى المحدد ، وخصوصية للخروج بدليل للعمل الثورى ، قادر على مواجهة تحديات المنطقة بكافة جوانب هذا التحدى ، والعلاقة الجدلية مع خصوصيات الساحة علاقة اخذ وعطاء ، لابل عملية اغناء للمنهج الاشتراكى العلمى وتوضيح له وتحويله الى قوة فعالة فى مجتمع التغيير .

٢ — **الخط التجريبى** ، أو تطوير البعد النظرى من خلال التجربة والخطأ ، والذى يرفض مسبقا المبادىء الانسانية العامة ، والتى ثبتت صحتها ، ويحاول من خلال تخبطه فى عملية التجربة والخطأ برغم تكاليفها الباهظة الى الوصول الى جملة مستندات وقواعد فكرية عامة تشكل له نواة دليل للعمل ، ولكن عدم انفتاحه على المبادىء الانسانية العامة تطيحبه الى ان يضيع فى مواقف متذبذبة متناقضة يدفع المجتمع ثمنها غاليا الى أن يسقط تاريخيا وتلفظه حركة الجماهير بعد وقوعه أسير تذبذباته وفشله المتكرر .

ما تدعو اليه هو رفض كل من هذين الخطين، واعتماد التجريبية الموجهة كأساس لتكون دليلا للعمل الثورى ، فهو الذى يتدارك اخطاء كل من هذين الخطين ، ويستند على منهج التحليل الاشتراكى العلمى كأساس ، ثم يطعمه ويجعله متفتحا على الواقع العربى المحدد ، ويتفاعل مع هذا الواقع جدليا ، اى عـلاقة اخـذ وعطاء ، التجريبية الموجهة بنظرنا هى دليـل العمـل الثورى لمواجهة التخلف بكل ابعاده ، والمطلوب تأطيرها وجعلها تنظيما فعالا فى حركة التاريخ والمجتمع العربى ، وفى كل قطر من اقطاره .

والناصرية ليست تعلقا بشخص ترك وراءه انجازات رائعة على صعيد الاقتصاد والسياسة القومية والاجتماعية ، انها اول حركة سياسية فى العالم العربى حاولت التصدى للتخلف السياسى [التجزئة] والتخلف الاقتصـادى عن طـريق البرمجة الاقتصادية ، والتخلف الاجتماعى عن طريق التطبيق الاشتراكى باعتمادها التجريبية الموجهة ، ومن هنا كان نجاحها ، ومن هنا كانت حركة فعالة فى التاريخ العربى . .

المطلوب الان من الجماهير النـاصرية وعلى مسـتوى كل قطر عربى الاخذ بهذه التجـريبية الموجهة التى وضع قواعدهـا الرئيس جمـال عبد الناصر ، والانطلاق بهذه التجربة الى مداها الكامل .

هذه هى انطلاقتنا ، وهذا هو حجر الاساس فى تطلعنا الى دليـل للعمل الثـورى يتخطى الاخطاء التى وقعت فيها التنظيمات السياسـية والمدارس الفكرية العربية والتى لفظتها الجماهير وانتهت الى مزبلة التاريخ .

الطليعة : ننشر هذا الرأى رغم اختلافنا مع الكاتب فى التقسيم الذى يقدمه للمدارس الفكرية فى المنطقة العربية .

ان حـديثك عن « الخط التجريبى » صـحيح فى رأينا ، ولكننا لانجد فارقا هاما بين «الخط التجريبى» وما تسميه « بالتجريبية الموجهة » ، فعندما تعتمد « التجريبية » منهجا ، فانك تسلم ضمنا ــ اردت او لم ترد ــ بقضية « التوجيه » . فالتجريبية تعنى انه لا هدف محدد ولا قوانين محددة للحركة يلتزم به العمل مقدما ، وربما تكون هناك قضايا كثيرة لا يهم فيها مسألة « التسمية » ، ولكن عندما تتعلق القضية بمنهج العمل الوطنى والقومى فاننا نكون اشد حاجة الى الدقة ومعرفة « رأسنا » من « اقدامنا » ، «فالتجريبية الموجهة» ــ التى تتسميها ــ هى فى رأينا تعريف او مصطلح يماثل ــ مع الفارق ــ الحديث عن « الرأسمالية الشعبية » و «الرأسمالية الجديدة» و « الاشتراكية الافريقية » .. الخ . وكلها ــ فى رأينا ــ محاولات لترقيع المناهج والنظم التى أكدت التجربة العملية والتاريخية عدم ملاءمتها وعدم صحتها .

ثم لماذا تذهب « وتلف » ، لتقول « التجريبيـة الموجهة ..... يستند على منهج التحليل الاشتراكى العلمى كاساس ثم يطعمه ويجعله منفتحا على الواقع العربى ... الخ » . لماذا لا نقول منهج الاشتراكية العلمية وفقط ، وذلك يعنى ــ ضمنا ــ تطبيق هذا المنهج وفق معطيات الـواقع القـومى للشـعوب العربية .

وفى النهاية ، لابد من ايضاح هذه الحقيقة ، وهى انه اذا كان القائد جمال عبد الناصر قد تحدث عن التجربة والخطأ فليس معنى هذا انه كرس منهج التجريبية وحوله الى « مذهب فلسفى » ، والدليل على ذلك ان « ميثاق العمل الوطنى » قد وضـع الاساس لمرحلة جديدة تجب وتتجاوز « التجريبية » كاسلوب للعمل الوطنى .

■■

وحـــدة القـــوى التقدميـــة فى ســـوريا

ومن سوريا يكتب المواطن رفعت الشـعرانى :

..... لقد وجدت القوى الرجعية صـفوفها منذ وقت مبكر ورغم كل ما يفرق بينها ، ولعل احد العوامل المكونة لهـذه الوحدة ، يكمن فى التباعد والتبعثر الموجود بين القوى التقدمية .

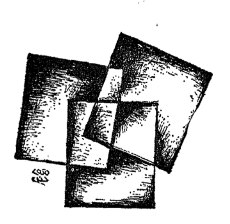
وهنا أقول ان التحولات التقدمية التى جرت فى سوريا كانت لصالح الجماهير القادمة ، ولذا فان من واجب تلك الجماهير ان تدافع عنها ، ويلزم لذلك ان تعطى الجماهير الحرية الكاملة اولا ، وان تكون موحدة ثانيا .

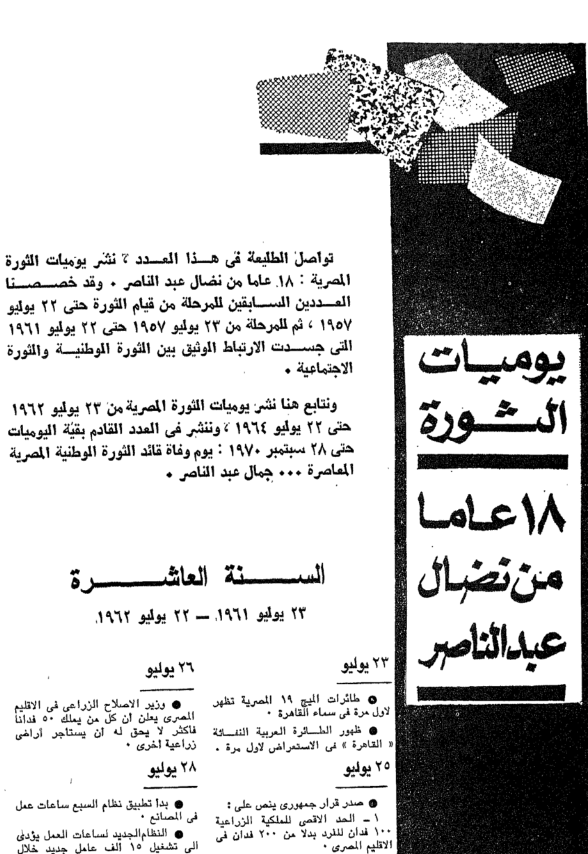
ان التحالف المضاد الذى انشأته القوى الرجعية يجب ان يقابل بتحالف آخر ، تحالف تقدمى ، ذلك لانه ليس بوسع اية قوة تقدمية مهما ادعت ان تقضى على التحالف الرجعى بمفردها ، من كل هذا يبدو بوضوح أن الجماهير الشعبية لابد ان تكون موحدة الصف اذا كانت جادة فى تحقيق النصر .

وعند الحديث عن وحدة الصفوف لابد من الاعتراف بأن الجماهير فى قطرنا العربى السورى موزعة بين عدد من القوى التقدمية ، ولا سبيل لتوحيد الصفوف الا بتعاون تلك القوى على أساس برنامج واضح ومحدد .

ان ما يوحد بين القوى التقدمية اكثر بكثير مما يفرق ، ولذا فاننا عندما نتحدث عن وحدة القوى التقدمية لا نفترض ان يكون هناك اتفاق تام فى وجهات النظر ، فمن الموضوعى ان يوجد خلاف فى وجهات النظر ، ولكن ليس موضوعيا ابدا اذا اعتمدنا هذا الخلاف مبررا للانشقاق والتباعد ، يجب على القوى التقدمية الا تسمح باية حال من الاحوال ان تقف اوجه الخلاف عقبة فى طريق وحدتها وتعاونها ، فالقوى اليسارية فى سيلان مثلا لم يكن بينها اتفاق تام عندما خاضت مشتركة مع بعضها معركة انتخابية انتهت بفوز المناضلة التقدمية باندرانيكة ، وهكذا بالنسبة لجمهورية تشيلى حيث تعاون القوى اليسارية استطاع ان يوصل مرشح اليسار الدكتور الليندى الى الرئاسة .

ان من واجب القوى التقدمية الا تغمض العين عما يجرى فى العالم اليوم ، حيث ثبت بالتجربة الحية ان تعاون القوى الوطنية التقدمية هو افضل السبل للسير بالبلاد نحو آفاق التقدم الاجتماعى ، والاشتراكية والوحدة العربية الصحيحة ، واليوم فان الجبهة الوطنية التقدمية التى اعلن عنها بيان القيادة القطرية المؤقتة لحزب البعث تتعرض لهجمة يمينية تهدف الى عرقلتها فى المهد ، ولذا فمن اولى واجبات القوى التقدمية فى هذه المرحلة ان تناضل بكل قواها لاخراج هذه الجبهة الى الواقع العملى ، وهذا بدوره يتطلب من القوى التقدمية ان تتخلى عن الحساسيات السابقة والسلبيات الموجودة او التى يمكن ان توجد .





تواصل الطليعة فى هذا العدد ، نشر يوميات الثورة المصرية : ١٨ عاما من نضال عبد الناصر . وقد خصصنا العددين السابقين للمرحلة من قيام الثورة حتى ٢٢ يوليو ١٩٥٧ ، ثم للمرحلة من ٢٣ يوليو ١٩٥٧ حتى ٢٢ يوليو ١٩٦١ التى جسدت الارتباط الوثيق بين الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية .

ونتابع هنا نشر يوميات الثورة المصرية من ٢٣ يوليو ١٩٦٢ حتى ٢٢ يوليو ١٩٦٤ ، وننشر فى العدد القادم بقية اليوميات حتى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ : يوم وفاة قائد الثورة الوطنية المصرية المعاصرة ... جمال عبد الناصر .

السنة العاشرة

٢٣ يوليو ١٩٦١ — ٢٢ يوليو ١٩٦٢

٢٣ يوليو

● طائرات الميج ١٩ المصرية تظهر لاول مرة فى سماء القاهرة .

● ظهور الطائرة العربية النفاثة « القاهرة » فى الاستعراض لاول مرة .

٢٥ يوليو

● صدر قرار جمهورى ينص على :

١ — الحد الاقصى للملكية الزراعية ١٠٠ فدان للفرد بدلا من ٢٠٠ فدان فى الاقليم المصرى .

٢ — تخفيض اقساط الدين وفوائده على المنتفعين بالاصلاح الزراعى الى النصف .

٣ — ضريبة تصاعدية على ايراد العمارات السكنية .

٤ — الغاء ضريبة الدفاع على الايراد العام .

٢٦ يوليو

● وزير الاصلاح الزراعى فى الاقليم المصرى يعلن أن كل من يملك ٥٠ فدانا فاكثر لا يحق له أن يستأجر أراضى زراعية اخرى .

٢٨ يوليو

● بدأ تطبيق نظام السبع ساعات عمل فى المصانع .

● النظام الجديد لساعات العمل يؤدى الى تشغيل ١٥ الف عامل جديد خلال عام .

٢٩ يوليو

● بدأ المفاعل الذرى العربى فى العمل بعد نجاح تجربته فى انشاص .

● القاهرة تقدم امدادات عسكرية

لتونس لصد العدوان الفرنسى على بنزرت .

● القاهرة تطالب مجلس الامن بجلاء فرنسا عن الاراضى التونسية .

● تعيين ٨٨٠٠ عامل جديد فى ٢٣٣ مؤسسة حددت ساعات العمل فيها بسبع ساعات .

أول أغسطس

● الجمهورية العربية المتحدة تقدم مساعدات قيمتها ٢٠٠ الف جنيه لاسر ضحايا العدوان الفرنسى على تونس .

٤ أغسطس

● تقرر تقديم معاشات للعمال فى نهاية مدة الخدمة بدلا من المكافآت .

● الحكومة تتنازل عن نصيبها فى معاشات الموظفين لصالح أسرهم .

١٢ أغسطس

● الدولة تدفع ١٠٠٠ جنيه نقدا من قيمة السندات المستحقة لكل من لا تتجاوز أسهمه المؤممة طبقا للقوانين الاشتراكية ٥٠٠٠ جنيه .

● قصر عضوية مجالس ادارات الشركات على شركة واحدة .

● تم الاتفاق على احلال القوات العربية محل القوات البريطانية فى الكويت .

١٦ أغسطس

● تم تاليف حكومة جديدة برياسة جمال عبد الناصر ، تضمنت تعيين ٧ نواب لرئيس الجمهورية منهم :

نور الدين كمالة — نائبا لرئيس الجمهورية لشئون الانتاج .

حسين الشافعى — نائبا لرئيس الجمهورية لشئون المؤسسات العامة للخدمات .

عبد الحميد السراج — نائبا لرئيس الجمهورية للشئون الداخلية .

وتضم الوزارة كلا من :

نور الدين طراف — وزيرا للصحة

أحمد حسنى — وزيرا للدولة .

عبد الوهاب حومد — وزير دولة للتخطيط .

محمود فوزى — وزيرا للخارجية .

أحمد عبده الشرباصى — وزيرا للاشغال .

عبد المنعم القيسونى — وزيرا للاقتصاد والخزانة .

فاخر الكيالى — وزيرا للدولة .

كمال رمزى استينو — وزيرا للتموين .

عزيز صدقى — وزيرا للصناعة .

مصطفى خليل — وزيرا للمواصلات .

سيد مرعى — وزيرا للزراعة والاصلاح الزراعى .

على صبرى — وزيرا لشئون رياسة الجمهورية .

أحمد الحاج يونس — وزيرا للدولة للزراعة واصلاح الاراضى .

حسن عباس زكى — وزيرا للاقتصاد والخزانة .

شوكت القنواتى — وزيرا للصحة .

أمجد الطرابلسى . وزيرا للتعليم العالى .

كمال الدين رفعت — وزيرا للعمل والدولة .

طعمة العودة الله — وزيرا للاسكان والمرافق .

نهاد القاسم — وزيرا للعدل .

ثروت عكاشة — وزيرا للثقافة والارشاد القومى .

عباس رضوان — وزيرا للداخلية .

أحمد جنيدى — وزيرا للاصلاح الزراعى .

أكرم ديرى — وزيرا للاقتصاد والخزانة .

أحمد المحروقى — وزير دولة للاصلاح الزراعى .

جادوعزالدين — وزيرا للادارة المحلية .

جمال صوفى — وزيرا للتموين .

موسى عرفة — وزيرا للسد العالى .

أحمد عبد الله طعيمة — وزيرا للاوقاف .

عبد القادر حاتم — وزيرا للدولة .

ثابت العريس — وزيرا للشئون الاجتماعية .

يوسف مزاحم — وزيرا للاوقاف .

صلاح الدين هدايت — وزيرا للبحث العلمى .

عبد المحسن أبوالنور — وزيرا للادارة المحلية .

السيد يوسف — وزيرا للتربية والتعليم .

فريد زين الدين — وزيرا للدولة .

أحمد فرج — وزير دولة للتخطيط .

نواب الوزراء :

حسين ذوالفقارصبرى — نائبا لوزير الخارجية .

محمد على حافظ — نائبا لوزير التربية والتعليم .

عبد الوهاب البشرى — نائبا لوزير الحربية .

● تم افتتاح برج القاهرة .

أول سبتمبر

● الرئيس عبد الناصر يطرح امام مؤتمر اقطاب عدم الانحياز ببلجراد الاقتراحات التالية :

١ — وضع خطة واضحة لدعم المفاوضات بين الكتلتين .

٢ — تمكين الامم المتحدة من اداء رسالتها .

٣ — اتاحة فرص التقدم أمام الشعوب التى لم تستكمل نموها الاقتصادى والاجتماعى .

٤ — أن تواصل دول عدم الانحياز جهودها من أجل السلام .

٥ — العمل على ضرورة تصفية الاستعمار .

٦ — العمل على تحريك كل القوى المستعدة للخير .

٤ سبتمبر

● مؤتمر بلجراد يوافق على اقتراح الرئيس عبد الناصر بان يحمل ٤ من اقطاب المؤتمر رسالتين الى كل من خروشوف وكيندى .

١٢ سبتمبر

● تقرر تأجيل سداد قروض الزراع على القطن وتقسيطها على سنتين او ثلاث سنوات .

● قرار بمنح سلفيات فورية للزراع .

٢١ سبتمبر

● الحكومة تدفع ٢,٥ مليون جنيه اعانة للزراع بسبب الخسائر الناجمة عن دودة القطن .

● انشاء صندوق تامين تضع فيه الحكومة مليون جنيه لتامين مستقبل الفلاحين ضد الخسائر .

● القاهرة وعشر دول تضع مشروعا لتعيين خلف مؤقت لهمرشولد بعد مصرعه فى حادثة سقوط طائرته فى روديسيا .

٢٣ سبتمبر

● الرئيس عبد الناصر يبعث برسالة الى رئيس الجمعية العامة للامم المتحدة يقول فيها ان انفصال كاتنجا كان السبب فى اغتيال لومومبا وهو الذى صنع الظروف المؤسفة التى أودت بحياة همرشولد .

٢٥ سبتمبر

● الجمهورية العربية توقع اتفاقا مع ايطاليا يقضى بتقديم تسهيلات ائتمانية للجمهورية العربية . واعلن أن التسهيلات الائتمانية مع ايطاليا ستوجه كلها لتنفيذ مشروعات صناعية وبترولية .

٢٨ سبتمبر

● وحدة عسكرية من معسكر « قطنة » تقوم بتمرد عسكرى انفصالى رجعى فى دمشق وتحتل الاذاعة والقيادة العامة .

● الرئيس جمال عبد الناصر يعلن انه لن يقبل مساومة ولن يقبل حلا وسطا لحركة العصيان .

٢٩ سبتمبر

● الرئيس جمال عبد الناصر يعلن « ان الوحدة ارادة شعبية ولن

اصولها حتى جسانبى الى عمليـة عسكرية .

● الرئيس يطالب الامة « ترتفع على جراحها الى مستوى الموقف » .

٣٠ سبتمبر

● مظاهرات فى دمشق وحمص وحلب وحماه لتأييد استمرار الوحدة ضد الانقلاب العسكرى الانفصالى وتهتف بحيـاة الاشتراكية وناصر وبسقـوط الانفصال والرجعية والشركة الخماسية .

أول أكتوبر

● تعطيل جميع المدارس والجامعات فى سوريا الى أجل غير مسمى .

● قطع العلاقات الدبلوماسية بين القاهرة وكل من الاردن وتركيا .

٢ أكتوبر

● الرئيس جمال عبد الناصر يخطب فى شباب الجامعة ويقول : « خدعتنا الرجعية . وأخذنا الغرور واعتقدنا أن الكفاح انتهى . وعلينا أن نحول النكسة الى اندفاعة الى الامام » .

٣ أكتوبر

● الغاء الانفصال لقرارات تأميم الشركات الكبرى فى سوريا طبقا لقوانين يوليو ١٩٦١ واعادتها الى أصحـابها السابقين .

٤ أكتوبر

● الرئيس جمال عبد الناصر يذيع بيانا على الشعب يقول فيه :

« اننى أطلب الى جميع القوى الشعبية المتمسكة بالجمهورية العربية المتحدة وبالوحدة العربية أن تـدرك الان ان الوحدة الوطنية داخل الوطن السورى يجب أن تحتل المكانة الاولى فقوة سوريا قوة للامة العربية . والوحدة الوطنية دعامة للوحدة العربية وتمهيد حقيقى لأسبابها » .

● الرئيس يعلن انه أرسل الى وفد الجمهورية العربية المتحدة الدائم لدى الامم المتحدة بأن لا يقف فى وجه طلب قبول سوريا عضوا فى الامم المتحدة . وطلب الى وزارة الخارجية أن لا تقف حائلا دون عضوية سوريا فى الجامعة العربية

٧ أكتوبر

● الوزراء السوريون فى القاهرة يقدمون استقالاتهم الى الرئيس عبد الناصر وهم :

نور الدين كحالة ـ فاخر الكيالى ـ عبد الوهاب حومد ـ نهاد القاسم ـ أحمد الحاج يونس ـ شوكت القنواتى ـ طعمة العـودة الله ـ أحمـد حنيـدى أمجد الطرابلسى ـ يوسف مزاحم ـ أكرم ديرى ـ جادو عز الدين ـ ثـابت العريس ـ فريد زين الدين .

١٠ أكتوبر

● الجمهورية العربية المتحدة تعلن انها لا تقف فى وجه اعتراف أى حكومة عـربيـة بسـوريا ، وتقـول ان ذلك هو الطـريق الوحيـد لاجتمـاع الدول العربية وتأليف لجنة للتحقيق فى حملة الاتهامات الانفصالية ضد القاهرة .

١١ أكتوبر

● القاهرة ترفض الاستجابة الى نداء الوحدة (المزيف) الذى « يتلاعب به الانفصاليون فى سوريا » .

● الجمهورية العربية المتحدة تسحب قواتها من الكويت

١٧ أكتوبر

● الرئيس جمال عبد الناصر يعلن فى بيان له الى الشعب والامة العربية « ان معركتنا مع الرجعية اليوم تشبه معركتنا مع الاستعمار عام ١٩٥٦ » ويقدم نقدا ذاتيا علنيا لاول مرة فى تاريخ الوطن العربى ويحدد مهمات الثورة المقبلة .

● الرئيس يشرح لامير الكويت فى رسالة له ، اسباب سـحب قـوات الجمهـوريه العـربيـة المتحـدة ، فيقول : « اننى حريص كل الحرص على الا يهتز الايمان بالعروبة لدى الشعب العربى فى مصر بعد كل ما أحس به هذا الشعب من طعنات فى الظهر » .

● تاليف وزارة جديدة برئاسة جمال عبد الناصر . وتعيين ٥ نواب لرئيس الجمهورية . الوزارة الجديدة تضم كلا من :

حسين الشافعى نائبا لرئيس الجمهوريه ووزيرا للاوقاف والشئون الاجتماعية .

محمود فوزى وزيرا للخارجية .

أحمد عبده الشرباصى وزيرا للاشغال

عبد المنعم القيسونى وزيرا للاقتصاد

كمال رمزى استينو وزيرا للتموين

عزيز صدقى وزيرا للصناعة .

مصطفى خليل وزيرا للمواصلات .

علـى صبرى وزيرا لشئون رياسـة الجمهـورية .

كمال الدين رفعت وزيرا للعمل .

ثروت عكاشة وزيرا للثقافة والارشاد القـومى .

عباس رضوان وزيرا للدولة .

موسى عرفة وزيرا للسد العالى .

عبد القادر حاتم وزيرا للدولة .

عبد المحسن أبو النور وزيرا للاصلاح الزراعى والاراضى .

أحمد فرج وزيرا للدولة للتخطيط

السيد يوسف وزيرا للتربية والتعليم .

صلاح هدايت وزيرا للبحث العلمى .

عبد العزيز السيد وزير التعليم العالى .

فتحى الشرقاوى وزيرا للعدل .

محمد نجيب حشاد وزيرا للزراعة .

محمد النبوى المهندس وزيرا للصحة .

نواب الوزراء :

حسين ذو الفقار صبرى نائبا لوزير الخارجية .

محمد على حافظ نائبا لوزير التربية والتعليم .

عبد الوهاب البشرى نائبا لـوزير الحربيه .

٢٠ أكتوبر

● الرئيس عبد الناصر يحدد ثلاث اتجاهات للعمل الوطنى :

١ ـ اعتبار المصالحة مع الرجعية مرحلة انتهت .

٢ ـ الاتجاه الى خلق التنظيم الشعبى .

٣ ـ اعادة تنظيم جهاز الدولة وتخليصه من كل العوائق .

٢١ أكتوبر

● اعتقال ٣٧ من كبار المـلاك والرأسماليين ووضع الحراسة على أموال ١٦٧ من الرأسماليين ، فى مصر .

أول نوفمبر

● قرار جمهورى بتخفيض ٢٠ فى المائة من ايجارات المساكن التى بنيت منذ عام ١٩٥٨ . واعفاء المساكن أقل من ٣ جنيه للغرفة من جميع الضرائب العقارية والتصاعدية على المبانى واعفاء المساكن من ٣ الى ٥ جنيه للغرفة من الضريبة التصاعدية على المبانى وحدها .

٤ نوفمبر

● الرئيس عبد الناصر يصدر بيانا سياسيا عن تنظيم العمل الشعبى ويتضمن ٣ خطوات :

١ ـ لجنة تحضيرية تتولى الاعداد لمؤتمر وطنى للقوى الشعبية .

٢ ـ مؤتمر القوى الشعبية يناقش تقريرا من الرئيس لتكون نتيجة المناقشة ميثاقا وطنيا .

٣ ـ الميثاق الوطنى هو أسـاس الانتخابات العامة التى ستجرى فـى الجمهورية .

٧ نوفمبر

● صدر قرار جمهورى بانهاء مهمة مجلس الامة .

● صدر قرار جمهورى بابقاء مواد الدستور الوحدة المؤقت لسنة ١٩٥٨

بأحكامها وقوتها حتى يتم وضع دستور جديد دائم .

١٣ نوفمبر

● الرئيس عبد الناصر يتسلم برقيه من محامى « الزعيم الجزائرى » أحمد بن بيلا ليتدخل من أجل انقاذ حياة بن بيللا ورفاقه فيسجنه ، بعدالاضراب عن الطعام والقاهرة تتابع الموقف باهتمام وتطالب الامم المتحدة ورؤساء الدول بالتدخل الفورى السريع لدى الحكومة الفرنسية .

١٧ نوفمبر

● تيتو يجتمع بالرئيس عبد الناصر فى القاهرة لدراسة تطورات الموقف الدولى منذ انتهاء مؤتمر بلجراد .

١٨ نوفمبر

● صدر قرار جمهورى بتشكيل اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية من ٢٥٠ عضوا .

١٩ نوفمبر

● الرئيس عبد الناصر يجتمع بنهرو وتيتو .

● صدر بيان ثلاثى فى القاهرة ونيودلهى وبلجراد يعلن ان بذل كل جهد من اجل السلام هو الهدف الحيوى للسياسة الخارجية للدول الثلاث .

٢٥ نوفمبر

● افتتاح الجلسة الاولى للجنه التحضيريه للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية .

● الرئيس يعلن فى الجلسة عن ضرورة عزلأعداء الشعب وتوفير الحرية والديمقراطية كاملة للشعب

٢٨ نوفمبر

● الرئيس عبد الناصر يعلن « انه لا يمكن أن يتولى الاقطاعيون والرأسماليون قيادة تحرير الشعب من الاستغلال فى مرحله الثورة الاجتماعية » .

٥ ديسمبر

● اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ، تؤلف لجنة فرعية من ٢١ عضوا لبحث مفهوم القوى الشعبية ونسبة تمثيلها فى المؤتمر الوطنى .

١٤ ديسمبر

● اللجنة الفرعية للجنة التحضيرية تقرر عزلكل مناشترك فى افساد الحياة السياسية وجميع أفراد الاسرة المالكة السابقة واصهارها .

١٦ ديسمبر

● صدر قرار جمهورى بانشاء مجلس اعلى للمؤسسات العامة برياسة رئيس الجمهورية وعضوية نواب الرئيس والوزراء

١٨ ديسمبر

● اللجنة الفرعية للجنة التحضيرية توصى بان يكون عدد اعضاء المؤتمر ١٥٠٠ عضو يمثلون القطاعات الشعبية الثمانية : ٢٥ فى المائة للفلاحين ، ٢٢ فى المائة للعمال ، ١٥ فى المائة للنقابات المهنية ، ١٠ فى المائة لهيئة التدريس ، ١٠ فى المائة لموظفى الحكومة ، ٨ فى المائة للرأسمالية الوطنية ، ٥ فى المائة للقطاع النسائى ، ٥ فى المائة للطلبة .

٢٠ ديسمبر

● اللجنة التحضيرية توافق على أن يكون اعضاء المؤتمر الوطنى ١٥٠٠ عضـو .

٢٣ ديسمبر

● الرئيس يعلن فى عيد النصر عن العدوان الثلاثى اضافة ٣ فرق عسكرية جديدة الى القوات المسلحة .

● صدر قرار بالغاء تملك الاجانب للاراضى الزراعية فى مصر .

٢٤ ديسمبر

● أونو رئيس بورما يزور الجمهورية العربية ويجرى محادثات مع الرئيس عبد الناصر .

● تم حصر ١٥١ر١٤١ فدانا كان يمتلكها الاجانب لتوزيعها على الفلاحين .

٢٦ ديسمبر

● القاهرة تعلن من جانبها انهاء الاتحاد الفيدرالى مع المملكة اليمنية .

٣٠ ديسمبر

● منع دخول وخروج البنكنوت المصرى ابتداء من اول يناير ١٩٦٢ منعا للتهريب والتلاعب باسعاره فى الخارج .

١٦ يناير ١٩٦٢

● صدر قانون العزل السياسى ويقضى تطبيقه على الذين افسدوا الحياة السياسية والذين تضمنتهم قوائم الحراسات والذين جرى اعتقالهم فى وقت من الاوقات بعد الثورة .

استثناء ١٢٥٧ شخصا من العزل السياسى منبين الذين انطبق عليهم قانون الاصلاح الزراعى .

قانون العزل يقضى بوقف مباشرة الحقوق السياسية والانتخابية للمعزولين لمدة عشر سنوات .

١٧ يناير

● صدر قانون تشكيل المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية لدراسة مشروع الميثاق الذى يقدمه المناضل عبد الناصر والتصديق عليه .

٢٧ يناير

● صدر قرار جمهورى بدعوة الناخبين ليدلوا بأصواتهم فى انتخابات المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ابتداء من يوم ٥ فبراير حتى ٢٤ فبراير .

٢٩ يناير

● جاجارين السوفيتى اول رائد للفضاء فى التاريخ يزور القاهرة .

٣١ يناير

● انشاء مؤسسة عامة للمخابز والمطاحن ومضارب الارز .

● تاميم ٥٠ فى المائة من ٧٧ مخبزا ، و ٩٨ مطحنا ، و ٧٧ مضربا للارز .

● قرار جمهورى بتعيين ٢٧١٩ من أبناء غزة فى وظائف مختلفة بالحكومة .

٨ فبراير

● الملك سعود والملك حسين يطلبان اجتماعا للجامعة العربية لا تشترك فيه القاهرة حتى يتقرر نقل مقر الجامعة من القاهرة .

٢١ فبراير

● قرار جمهورى يحدد ايجارات المبانى الجديدة علىأساس ٥فى المائة من قيمة الارض والبناء كصافى فائدة لاستثمار العقار مضافا اليها ٣ فى المائة من قيمة البناء .

١٢ فبراير

● افتتاح مؤتمر الكتاب الافريقيين والاسيويين فى القاهرة .

● الرئيس يقول فى رسالته للمؤتمر « أرجو أن يضىء مؤتمركم مشعلا جديدا من مشاعل الخير والمحبة والسلام فى العالم » .

١٣ فبراير

● نيكيتا خروشوف رئيس الوزراء السوفيتى يبعث برسالة الى الرئيس عبد الناصر يقترحفيهاعقد اجتماع للجنة نزع السلاح على مستوى رؤساء الدول .

١٤ فبراير

● الرئيس عبد الناصر يرد على رسالة خروشوف مبديا استعداده للسفر الى جنيف اذا كان ذلك خدمة للسلام .

● الرئيس عبدالناصر يجتمع بمبعوث كيندى رئيس الولايات المتحدة ، فى القاهرة .

١٨ فبراير

● الرئيس عبدالناصر وتيتو يواصلان محادثاتهما حول مؤتمر نزع السلاح

٢٢ فبراير

● القاهرة تحتفل بعيد الوحدة السورية المصرية .

● الرئيس عبد الناصر يعلن للجماهير العربية شعار وحدة الهدف قبل وحدة الصف .

٢٤ فبراير

● تم انتخاب جميع أعضاء المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية .

٣ مارس

● الدولة تتحمل ١٤ مليون جنيه فى ميزانية التموين لخفض تكاليف المعيشة .

٩ مارس

● اصـــدار نظام دستورى مـؤقت للشعب الفلسطينى فى غزة الى حين قيام دولة فلسطين .

١١ مارس

● خفض مدة التجنيد الاجبارى لحملة المؤهلات العالية بأثر رجعى من أول سبتمبر ١٩٦١ يقضى بثمانية أشهـــر لخريجى معاهدالتربية الرياضية للمعلمين وسنة لخريجى الجامعات والمعاهد العليا وسنة ونصف لحملة الثانوية العامة .

١٩ مارس

● الرئيس عبد الناصر يبعث برسالة تهنئة الى أحمد بن بيلا ورفاقه بمناسبة توقيع اتفاقية وقف اطلاق النار بين فرنسا والجزائر

٢١ مارس

● الجمهورية العربية المتحدة توجه نداء الى الدول الذرية للامتناع فورا عن إجراء مزيد من التجارب النووية .

٢٧ مارس

● صدر قـرار جمهـورى بدعـوة المؤتمرالوطنى للقوى الشعبية للانعقاد فى ٥ مايو لمناقشة مشروع الميثاق الوطنى .

٣١ مارس

● أحمد بن بيللا وحسين آية أحمد ومحمد خيضر ورابح بيطاط فى القاهرة لاول مرة بعد الافراج عنهم .

أول ابريل

● القاهرة تعلن رسميا مساندتها لسوريا ضداىخطر خارجى بعد الانقلاب الجديد الذى وقع فى ٢٨ مارس

٣ ابريل

● الرئيس عبد الناصر يوجه الى سوريا « نداء سلام » ويطلب فيه تجنيب شعبها ما يتهدده من أخطار .

● القاهرة تعلن انها رفضت عقد صفقة مع حكومة فرنسا لاغلاق الاذاعة العربية التى توجهها ضد الشعب المصرى .

٢٦ ابريل

● القاهرة تقف مع الراى العام العالمى احتجاجا على سلسلة التجارب الذرية الامريكية .

٢٧ ابريل

● صدر قرار جمهورى يقضى بتوزيع الارباح على العمال والموظفين طبقـا لقوانين يوليو ١٩٦١ الاشتراكية .

أول مايو

● القاهرة تحتفل لاول مرة بعيد العمال العالمى .

١٠ مايو

● تقرر صرف مكافاة سنوية لجميع موظفى الحكومة وعمالها بما يساوى أجر ١٢ يوما .

١٥ مايو

● صدر قرار جمهورى يقضى بتعيين أنور السادات وكمال الدين حسين أمينان عامان للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية .

٢١ مايو

● المناضل جمال عبد الناصر يقدم الى المؤتمر الوطنى مشروع الميثاق الوطنى .

٢٢ مايو

● بدأت اجتماعات المؤتمر الوطنى لدراسة مشروع الميثاق .

٢٧ مايو

● اعلن جمال عبد الناصر فى المؤتمر الوطنى انه لايقبل فكرة رياسة الجمهورية مدى الحياة التى اقترحها بعض الاعضاء .

٢٨ مايو

● جمال عبد الناصر يتقدم بنقد ذاتى لسير العمل فى المؤتمر الوطنى .

٢٩ مايو

● صدر قرار جمهورى بتطبيق الحد الادنى للاجور (٢٥ قرشا يوميا) فى القطاع الخاص للصناعة .

١٠ يونيو

● اعلن ان مشروع الميزانية الجديدة يزيد على ١٠٠٠ مليون جنيه

١٥ يونيو

● الرئيس عبد الناصر يفتتح مؤتمر دول الدار البيضاء فى القاهرة .

٣٠ يونيو

● أقر المؤتمر الوطنى مشروع الميثاق الذى قدمه المناضل جمال عبدالناصر فى ٢١ مايو .

٢ يوليو

● الرئيس عبدالناصر يوجه نداء الى قادة الجزائر يناشدهم فيه المحافظة على وحدةالصف الوطنى لصيانة كفاح الشعب الجزائرى ومكاسب ثورته .

٢٢ يوليو

● أطلق الصـاروخـان العـربيان « القاهـر » و « الظافر » .

السنة الحادية عشرة

(٢٣ يوليو ١٩٦٢ ـ ٢٢ يوليو ١٩٦٣)

٢٨ سبتمبر

● أذيع الاعلان الدستورى الجديد الذى ينظم سلطات الدولة العليا ويقضى بانشاء مجلس للرياسة ومجلس تنفيذى الى جانب رئيس الجمهورية •

● أعلن تشكيل مجلس الرياسة والمجلس التنفيذى على النحو الآتى :

مجلس الرياسة :

جمال عبد الناصر ـ رئيس الجمهورية ـ رئيسا للمجلس •
حسين الشافعى ـ نائب رئيس الجمهورية ـ عضوا •
أنور السادات ـ عضوا
حسن ابراهيم ـ عضوا •
على صبرى ـ رئيس المجلس التنفيذى ـ عضوا •
أحمد عبده الشرباصى ـ عضوا •
نور الدين طراف ـ عضوا •
كمال رفعت ـ عضوا •

المجلس التنفيذى :

على صبرى ـ رئيسا للمجلس التنفيذى
محمود فوزى ـ وزيرا للخارجية •
عبد القادر حاتم ـ وزيرا للثقافة والاعلام •
عبد المنعم القيسونى ـ وزيرا للخزانة والتخطيط •
عباس رضوان ـ وزيرا للحكم المحلى •
عزيز صدقى ـ وزيرا للصناعة •
كمال رمزى استينو ـ وزيرا للتموين •
مصطفى خليل ـ وزيرا للمواصلات •
نجيب حشاد ـ وزيرا للزراعة •
النبوى المهندس ـ وزيرا للصحة •
عبد المحسن أبو النور ـ وزيرا للاصلاح الزراعى •
السيد يوسف ـ وزيرا للتربية والتعليم •
عبد العزيز السيد ـ وزيرا للتعليم العالى •
صلاح هدايت ـ وزيرا للبحث العلمى •
فتحى الشرقاوى ـ وزيرا للعدل •
حسن زكى ـ وزيرا للاشغال •
عبد الوهاب البشرى ـ وزيرا للحربية •
عبد العظيم فهمى ـ وزيرا للداخلية •
أحمد زندو ـ وزيرا للاقتصاد •
محمد البهى ـ وزيرا للاوقاف •
صدقى سليمان ـ وزيرا للسد العالى •
أحمد محرم ـ وزيرا للاسكان •
أنور سلامة (أول عامل يتولى منصبا وزاريا فى تاريخ مصر) وزيرا للعمل •
الدكتورة حكمت أبو زيد (أول سيدة تتولى منصبا وزاريا فى تاريخ مصر) وزيرة للشئون الاجتماعية •
محمد طلعت خيرى ـ وزيرا للشباب •

نواب الوزراء :

حسين ذو الفقار ـ نائبا لوزير الخارجية •
محمد على حافظ ـ نائبا لوزير التربية والتعليم •
لبيب شقير ـ نائبا لوزير التخطيط •
ابراهيم نجيب ابراهيم ـ نائبا لوزير الاسكان •

٣٠ سبتمبر

● القاهرة تعترف بحكومة الثورة فى اليمن ، ومساندتها ماديا وعسكريا ومعنويا •

١٢ نوفمبر

● القاهرة تستقبل قائد الطيران الاردنى سهل حمزة الذى لجأ الى القاهرة ورفض ضرب ثورة اليمن •

١٣ نوفمبر

● القاهرة تستقبل طيارين أردنيين بطائرتيهما المقاتلتين رفضا الاشتراك فى ضرب ثورة اليمن •

٢٥ نوفمبر

● البنك الاهلى يعلن أن الدخل القومى عام ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ بلغ ١٥٥٦ مليون جنيه مقابل ١٢٨٢ مليون جنيه عام ٥٩ ـ ١٩٦٠ • وان قيمة الانتاج الصناعى بلغت ٧١٧ مليون جنيه فى عام ١٩٦١ مقابل ٦٥٦ مليون جنيه عام ١٩٦٠ •

٨ ديسمبر

● صدر القانون الاساسى للاتحاد الاشتراكى العربى كتنظيم سياسى جماهيرى لقوى الشعب العامله (الفلاحون والعمال المثقفون والجنود والرأسمالية الوطنية) فى مرحلة التحول الاشتراكى •

١٠ ديسمبر

● على صبرى يرأس وفد الجمهورية العربية فى مؤتمر كولومبو بسيلان لتسوية النزاع بين الهند والصين •

٢ يناير ١٩٦٣

● وقعت الجمهورية العربية المتحدة مع الجزائر اتفاقية صناعية تقضى باقامة مصنع نسيج بالجزائر تبلغ تكاليفه ٨ مليون جنيه • كما تقضى بايفاد خبراء لتشغيل ٨٠٠ مصنع معطل بسبب الهجرة التخريبية التى قام بها المعمرون الفرنسيون •

٣ يناير

● قررت القاهرة تقديم قرض قدره ١٠ ملايين جنيه لتنفيذ برامج مرحلة بناء الدولة الجزائرية الجديدة •

٩ يناير

● أعطى الرئيس عبد الناصر اشارة البدء فى بناء جسم السد العالى وسط مجرى النيل •

● الرئيس عبد الناصر يعلن المضى فى تأييد ثورة اليمن بكل قوة ودون حدود باعتبارها ثورة الوطن العربى كله ضد الاستعمار والرجعية •

٤ مايو

● الرئيس عبد الناصر يبدأ زيارته الاولى للجزائر واقامة مباحثات مع الرئيس احمد بن بيللا •

٨ فبراير

● القاهرة تعترف بحكومة الثورة فى العراق ، اثر الانقلاب الذى وقع فى نفس اليوم وادى الى سقوط حكومة عبد الكريم قاسم ومصرعه •

٨ مارس

● القاهرة تعترف بحكومة الثورة فى سوريا ، اثر الانقلاب العسكرى الذى تم ضد حكومة خالد المعظم •

١٤ مارس

● بدأت المحادثات فى القاهرة بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق وسوريا لاقامة الوحدة بين الدول الثلاثة • بناء على طلب كل من الحكومتين الجديدتين فى العراق وسوريا •

١٨ مارس

● افتتح مطار القاهرة الجديد وبلغت تكاليف انشائه ٦ مليون جنيه .

١٣ ابريل

● بدأت عودة بعض القوات العربية المسلحة من اليمن .

● فتح باب الترشيح لانتخاب اللجان الاساسية والجماهيرية للاتحاد الاشتراكي .

١٧ ابريل

● تم توقيع مشروع اتفاق الوحدة بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق وسوريا .

٢٣ ابريل

● اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي توافق على قبول أعضاء عاملين ومنتسبين فى الاتحاد الاشتراكي ، وعلى قبول العمد والمستبعدين سياسيا أعضاء منتسبين . وعلى قبول الصحفيين واساتذة الجامعات والمدارس اعضاء عاملين .

١٢ مايو

● تمت انتخابات لجان الاتحاد الاشتراكي .

● الرئيس عبد الناصر يقوم بزيارة جديدة ليوغوسلافيا .

١٩ مايو

● تاميم جميع المطاحن ومضارب الارز القرار يشمل ١٦٧ مطحنا و ٧٨ مضربا .

١٨ مايو

● الرئيس أحمد بن بيلا رئيس جمهورية الجزائر يبدأ زيارته للقاهرة لاول مرة بعد انتخابه .

٢٢ مايو

● الرئيسان عبد الناصر وبن بيلا يغادران القاهرة الى اثيوبيا لحضور مؤتمر اديس ابابا للقمة الافريقي .

٢٦ مايو

● اعلان ميثاق منظمة الوحدة الافريقية .

● مؤتمر اديس ابابا يوافق على اقتراح الرئيس عبد الناصر بعقد اجتماع للاقطاب الافريقيين مرة كل سنة .

٣٠ مايو

● القاهرة تستقبل الرئيس عبد الله السلال رئيس الجمهورية العربية اليمنية لاول مرة بعد قيام ثورة اليمن .

١٦ يونيو

● تاميم (١٤) من شركات الادوية وخفض أسعار الادوية بنسبة ٢٥ فى المائة . كما تم سحب تراخيص ٤٠ مصنعا ومعملا للأدوية .

١٨ يونيو

● ادماج ١٦ شركة للنقل فى ٧ شركات .

● تاميم ٨ شركات للمقاولات والنقل والملاحة .

٥ يوليو

● الرئيس عبد الناصر يدلى بتصريح لايرك رولو مراسل صحيفة لوموند يقول فيه بأنه سيتم الافراج عن جميع المعتقلين والمسجونين السياسيين قريبا .

٢٢ يوليو

● اعلن الرئيس عبدالناصر انسحاب مصر من اتفاقية الوحدة مع حزب البعث . وقال « لقد غدر حزب البعث بميثاق الوحدة بعد ثلاثة أيام من توقيعه »

■ ■ ■

السـنة الثـانية عشـرة

٢٣ يوليو ١٩٦٣ ــ ٢٢ يوليو ١٩٦٤

٣١ يوليو

● القاهرة تقطع علاقاتها الدبلوماسية معحكومة البرتغالتنفيذا لقرارات مؤتمر القمة الافريقي ، بسبب حربها الاستعمارية فى افريقيا .

٨ اغسطس

● وافقت الجمهورية العربية المتحدة على اتفاقية حظر التجارب النووية التى عقدت فى موسكو بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدةوبريطانيافى ٥ اغسطس وتقضى بتحريم التجارب النووية فى الجو والفضاء الخارجى وتحت الماء .

● صدر قرار جمهورى بتاميم ٢٢٨ شركة للغزل والنسيج والصناعات الغذائية والكيماوية والهندسية ومواد البناء والحراريات والتعدين . كما يقضى بتاميم ٤٣شركة للنقل البرى والبحرى كما يقضى بانهاء عقود استغلال المناجم والمحاجر التى كانت تقوم بها بعض الشركات الاجنبية والمحلية التابعة للقطاع الخاص .

٢ اكتوبر

● القاهرة تعترف بحكومة الثورة لجمهورية انجولا فى المنفى .

١٠ اكتوبر

● الرئيس عبدالناصر يستقبل السيدة سيريمافو باندرانيكة رئيسة وزراء سيلان فى القاهرة وبدأت محادثات رسمية بينهما .

١٦ اكتوبر

● صدرت خمس قرارات جمهورية تنصعلى زيادة أعضاء مجالس الادارات بالشركات الى تسعة أعضاء يكون من بينهم أربعة منتخبين من جميع العاملين بالشركة .

٣ نوفمبر

● الامبراطور هيلاسلاسى يبدأ زيارته للقاهرة للمرة الثانية واقامة محادثات رسمية مع الرئيس عبد الناصر .

٩ نوفمبر

● تم توقيع العقد الخاص بانقاذ معبدى ابى سمبل بين القاهرة وهيئة اليونسكوبسبب بناء السد .

١٠ نوفمبر

● تم ارسال قوات من جيش الجمهورية العربية الى الجزائر بناء على طلب حكومة الجزائر لمواجهة خطر العدوان المغربى علىالحدود الجزائرية .

١٠ نوفمبر

● صدر قرار جمهورى بدعوة الناخبين لانتخاب أعضاء مجلس الامة وتقسيم الجمهورية الى ١٧٥ دائرة ينتخب عن كل دائرة عضوان أحدهما من العمال والفلاحين ٠

١٤ ديسمبر

● شواين لاى رئيس وزراء الصين يبدأ زيارته الرسمية للقاهرة واقامة مباحثات رسمية مع الرئيس عبد الناصر ٠

٢٣ ديسمبر

● الرئيس عبد الناصر يوجه دعوة عاجلة الى رؤساء وملوك الدول العربية لعقد اجتماع قمة بالقاهرة فى نطاق الجامعة العربية لمواجهة الخطر الاسرائيلى بتحويل مجرى نهر الاردن ٠

٤ يناير ١٩٦٤

● قدم « عبد المنعم النجار » سفير الجمهورية العربية فى فرنسا أوراق اعتماده الى الرئيس ديجول كأول سفير من القاهرة بعد قطع العلاقات الدبلوماسية بين القاهرة وباريس عام ١٩٥٦ ٠

٨ يناير

● أعلن ان الجمهورية العربية المتحدة نجحت فى انتاج الوقود الذرى من الخامات الموجودة محليا ٠

١٣ يناير

● عقد بمقر الجامعة العربية بالقاهرة مؤتمر الملوك والرؤساء العرب الذى دعا اليه الرئيس جمال عبد الناصر ٠ وقد حضره كل ملوك ورؤساء الدول العربية ٠

٣١ يناير

● أعلن ان قوات الجمهورية العربية المتحدة التى سافرت الى الجزائر تلبية لطلب حكومتها ،فى طريق عودتها الى القاهرة بعد أن هدأ الموقف على الحدود المغربية الجزائرية ٠

٢ فبراير

● صدر قرار ينظم عملية بيع شقق العمارات لسكانها ٠ كما أعلن عن تكوين جمعيات تعاونية من سكان العمارات لشرائها بعد موافقة الملاك ٠ وأعلن ان الدولة تشجع انشاء جمعيات تعاونية للاسكان وأنها ستمنحها التيسيرات والقروض اللازمة للبناء ٠

٣ فبراير

● صدر قرار جمهورى بتعيين حسن صبرى الخولى ممثلا شخصيا لرئيس الجمهورية العربية المتحدة فى لجنة متابعة تنفيذ قرارات مؤتمر القمة العربى التى تضم ممثلين شخصيين للملوك والرؤساء العرب ٠

٤ فبراير

● أعلنت الجمهورية العربية المتحدة ترحيبها بعقد مؤتمر القمة الافريقى فى القاهرة فى ١٧ يوليو من عام ١٩٦٤ ٠

٥ فبراير

● أعلن ان نسبة الفلاحين والعمال فى لجان الاتحاد الاشتراكى على مختلف المستويات قد بلغت ٧١ فى المائة وبلغت نسبتهم فى مراكز الامناء والامناء المساعدين للجان الوحدات الاساسية ٥٣ فى المائة ٠

٩ فبراير

● أعلنت وزارة التخطيط ان فى مقدمة اهداف الخطة الخمسية الثانية الارتفاع بالدخل القومى فى نهاية ١٩٦٩ – ١٩٧٠ الى ٢٥٧٠ مليون جنيه

١٢ فبراير

● وجه الرئيس عبد الناصر نداء سلام الى هيلاسلاسى امبراطور الحبشة وآدم عبد الله عثمان رئيس جمهورية الصومال لوقف القتال فورا بين أثيوبيا والصومال الذى نشب بسبب مشاكل الحدود ، وطلب الرئيس نقل الخلاف الى اطار منظمة الوحدة الافريقية لحله سلميا ٠

● صدر قانون بمنح معاشات للموظفين والمستخدمين الذين انتهت خدمتهم قبل أول أكتوبر ١٩٥٦ ولم يحصلوا على معاش ٠

● نفذ قرار تمليك الاراضى البور لعمال التراحيل الذين استصلحوها فى محافظة الشرقية ٠

١٤ فبراير

● الرئيس عبد الناصر يعلن عن تأييد الجمهورية العربية المتحدة لاقتراح خروشوف بشأن الامتناع عن استخدام القوة لحل مشاكل الحدود والمنازعات الاقليمية ، الذى تتضمن رسالة خروشوف الى الرئيس عبد الناصر فى أول يناير ٠

٢٢ فبراير

● الرئيس عبد الناصر يعلن فى احتفالات عيد الوحدة :

– ان الحرب مع اسرائيل حتمية طالما بقى العدوان على العرب ٠

– ضرورة تصفية القواعد البريطانية فى الشرق الاوسط وخاصة فى ليبيا وقبرص ٠

– ان الجمهورية العربية المتحدة تتبع أسلوبين فى العمل القومى والثورى : ١ – أن تكون الدولة النموذج فى التطبيق الاشتراكى ٠ ٢ – أن تساند كل حركة ثورية تثبت أصالتها على الواقع الوطنى ٠

– ستبقى قوات الجمهورية العربية المتحدة فى اليمن الى أن يتم انشاء جيش يمنى قوى ٠

٢٧ فبراير

● صدر قرار جمهورى يقضى بأن تتوفر ٨ شروط فى عضو مجلس الامة ٠

– أن يكون قد مضى عليه كعضو عامل فى الاتحاد الاشتراكى مدة سنة على الاقل ٠

– الا تكون أملاكه وأمواله قد فرضت عليها الحراسة ٠

– الا يكون ممن حددت ملكيتهم الزراعية أو طبقت فى شأنهم القوانين الاشتراكية بما يزيد على مبلغ عشرة آلاف جنيه ٠

٢٨ فبراير

● أصدر الرؤساء عبد الناصر وتيتو وباندرانيكة ، بيانا يدعون فيه لعقد المؤتمر الثانى لاقطاب الدول غير المنحازة ٠

● صدر بيان فى القاهرة والرباط يعلن عودة العلاقات الطبيعية بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المغربية وتبادل السفراء بين البلدين ٠

٤ مارس

● تم الاتفاق على أن تحصل الجمهورية العربية على ٣٠ مليون جنيه من حصيلة فائض الحاصلات الزراعية الامريكية طبقا للاتفاق المعقود بين البلدين على أن تسدد خلال ٤٠ عاما بالعملات المحلية بفائدة ٤/٣ ٪ (*)

٧ مارس

● صدر قرار جمهورى بتأميم ١١ شركة للتجارة الخارجية وبذلك أصبحت التجارة الخارجية تحت الاشراف الكامل للدولة ٠

٩ مارس

● صدر قرار جمهورى بتأميم ١١٩ شركة للمقاولات ٠

٢١ مارس

● اعلنت نتائج الانتخابات لمجلس الامة · فاز فيها ١١٣ فلاحا و ٧٣ عاملا و ١٦٢ من الفئات الاخرى طبقا لتعريف لجنة المائة للعامل والفلاح ·

● صدر قرار جمهورى برفع الحراسة عن الذين فرضت عليهم بمقتضى أوامر جمهورية طبقا لاحكام قانون الطوارىء ·

● صدر قرار جمهورى ينظم عملية تعويض الخاضعين لقوانين التأميم ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ لسنة ١٩٦١ · بما لا يتجاوز ١٥ الف جنيه كحد اقصى ·

● صدر قرار جمهورى باعفاء ٢٥ فى المائة من الارباح الصافية لاصحاب المهن غير التجارية من الضريبة · القرار يسرى على الفنانين ·

● صدر قانون التامين الصحى للعاملين فى الحكومة والهيئات والمؤسسات ·

● صدر قرار جمهورى بالتامين ضد البطالة ·

● صدر قرار جمهورى بتنظيم النقابات ويقضى بحل روابط العاملين فى الحكومة وضمها للنقابات ·

٢٢ مارس

● صدر قرار بانهاء الحراسة على اموال الرعايا البلجيكيين فى الجمهورية العربية المتحدة ·

● صدر قرار بقانون يقضى بان تؤول الى الدولة بدون مقابل ملكية الاراضى الزراعية التى تم الاستيلاء عليها ، طبقا لقوانين الاصلاح الزراعى ·

٢٣ مارس

● صدر الدستور المؤقت الجديد (١٦٩ مادة) · وينص على العمل به حتى يتم مجلس الامة مهمته بوضع الدستور الدائم ·

● صدر قرار جمهورى بتعيين النائب الاول لرئيس الجمهورية · وبمقتضى الدستور الجديد يحل النائب الاول لرئيس الجمهورية تلقائيا محل الرئيس اذا واجه أى طارىء لمدة ستين يوما حتى يختار مجلس الامة رئيسا جديدا يطرح اسمه للاستفتاء العام على الشعب ليتولى الرياسة ·

● صدر قرار جمهورى بانهاء العمل بقوانين حالة الطوارىء فى الجمهورية العربية المتحدة والافراج عن جميع المعتقلين والمسجونين السياسيين ·

٢٤ مارس

● صدر قرار جمهورى بتشكيل الوزارة الجديدة برياسة على صبرى وعضوية كل من :

الشئون العلمية :

كمال رفعت ــ نائبا لرئيس الوزراء ·

عبد العزيز السيد ــ وزيرا للتعليم العالى ·

د · أحمد رياض تركى ــ وزيرا للبحث العلمى ·

الادارة المحلية والخدمات :

عباس رضوان ــ نائبا لرئيس الوزراء ·

السيد يوسف ــ وزيرا للتربية والتعليم ·

د · النبوى المهندس وزيرا للصحة ·

حكمت أبو زيد ــ وزيرة الشئون الاجتماعية ·

محمد ابو نصير ــ نائبا لوزارة الاسكان ·

محمد على حافظ ــ نائبا لوزارة التربية والتعليم ·

الاعلام والثقافة والارشاد :

د · عبد القادر حاتم ــ نائبا لرئيس الوزراء ·

الشئون الخارجية :

د · محمود فوزى ــ نائبا لرئيس الوزراء ·

محمود رياض ــ وزيرا للخارجية ·

د · حسين خلاف ــ وزيرا للعلاقات الثقافية والفنية الخارجية ·

العدل والعمل والشباب :

د · نور الدين طراف ــ نائبا لرئيس الوزراء ·

بدوى حمودة ــ وزيرا للعدل ·

طلعت خيرى ــ وزيرا للشباب ·

أنور سلامة ــ وزيرا للعمل ·

شئون الاوقاف والازهر :

أحمد عبده الشرباصى ــ نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للاوقاف ·

الشئون المالية والاقتصادية :

د · عبد المنعم القيسونى ــ نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للاقتصاد والتجارة الخارجية ·

د · نزيه ضيف ــ وزيرا للخزانة ·

التموين والتجارة الداخلية :

د · كمال رمزى استينو ــ نائبا لرئيس الوزراء ·

الصناعة والثروة المعدنية :

· عزيز صدقى ــ نائبا لرئيس الوزراء ويتولى فى نفس الوقت وزارتى البترول والصناعات الخفيفة ·

سمير حلمى ــ وزيرا للصناعات الثقيلة ·

د · عزت سلامة ــ وزيرا للكهرباء ·

شئون المواصلات :

د · مصطفى خليل ــ نائبا لرئيس الوزراء ·

محمود عبد السلام ــ وزيرا للنقل ·

د · محمود رياض ــ وزيرا للاتصالات السلكية واللاسلكية ·

د · عبد الملك سعد ــ نائب وزير لوزارة المواصلات السلكية واللاسلكية ·

الزراعة والرى :

عبد المحسن أبو النور ــ نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للاصلاح الزراعى واستصلاح الاراضى ·

د · شفيق الخشن ــ وزيرا للزراعة

حسن زكى ــ وزيرا للرى ·

الوزارات الاخرى :

عبد الوهاب البشرى ــ وزيرا للحربية ·

صدقى سليمان ــ وزيرا للسد العالى ·

عبد العظيم فهمى ــ وزيرا للداخلية ·

د · محمد لبيب شقير ــ وزير دولة لشئون التخطيط ·

● صدر قرار جمهورى بتأميم شركة شل للبترول وشركة النصر لآبار الزيوت ·

● أصدر الرئيس عبد الناصر قرارا بتعيين عشرة أعضاء فى مجلس الامة ، طبقا للدستور المؤقت · وبذلك أصبح مجلس الامة مكونا من ٣٥٠ عضوا منتخبا ، عشرة أعضاء معينين ·

● صدر قرار بقانون بتنظيم اختصاصات وسلطات القوات المسلحة (٧ مواد) ، ويقضى بأن يكون نائب القائد الاعلى للقوات المسلحة مسئولا أمام رئيس الجمهورية عن القوات المسلحة من الناحيتين الادارية والعسكرية · وينص على فصل ميزانية الجيش عن ميزانية القوات المسلحة · كما يقضى بانشاء قيادة للقوات البرية بالقوات المسلحة · وينص كذلك على أن تنقل الاختصاصات المتعلقة بالقوات المسلحة التى كانت تمارسها وزارة الحربية الى القيادة العليا للقوات المسلحة ·

٢٦ مارس

● القى الرئيس عبد الناصر بيانا فى افتتاح مجلس الامة ·

● انتخب أنور السادات رئيسا لمجلس الامة وانتخب سيد مرعى وسيد على شعير (عامل) وكيلين للمجلس ·

٢٧ مارس

● أعلن قانون بتخفيض ثلاثة أرباع ثمن الارض التى وزعت بالاصلاح الزراعى على الفلاحين والاعفاء من جميع الفوائد ·

● أعلن القانون الخاص بمنح المؤسسات الصحفية شخصية اعتبارية تسمح لها باستقلال كامل فى جميع التصرفات · ويمنحها امتيازات المؤسسات العامة فى ان تستورد مباشرة ما تكون فى حاجة اليه ·

● أعلن قانون تعديل تشكيل المجالس المحلية ويقضى باسقاط عضوية المنتخبين بالمجالس المحلية من غير أعضاء لجان الاتحاد الاشتراكى ·

٣ ابريل

● وافق صندوق النقد الدولى على تقديم قرض قيمته ٥٠ مليون جنيه للجمهورية العربية المتحدة يستخدم فى تمويل العملات الاجنبية اللازمة لمشروعات التنمية ·

٦ ابريل

● على صبرى رئيس الوزراء يقدم بيانا ببرنامج الوزارة الى مجلس الامة يتضمن أربع نقاط أساسية :

١ ــ اتمام مرحلة التحول الاشتراكى ·

٢ ــ تأكيد الحقوق الاساسية للانسان فى المجتمع ·

٣ ـ العمل على أساس خطة شاملة تضع تفاصيل بناء التنمية ومضاعفة الدخل ودفع عجلة الانتاج ٠

٤ ـ تحقيق الحرية السياسية المدعمة بالحرية الانتاجية ٠ واقامة الحياة الديمقراطية السليمة ٠

● على صبرى يعلن فى مجلس الامه انه قد تم الافراج عن جميع المعتقلين بعد الغاء حالة الطوارىء ٠

١٨ ابريل

● صدر قرار جمهورى بضم المستشفيات المملوكة للجمعيات الخيرية الى مؤسسة العلاج التى انشأتها الدولة ٠

● صدر قرار وزارى بحل الجمعيات الماسونية فى الجمهورية العربية المتحدة ٠

● بلغت ميزانية الدولة ١١٢٨ مليون جنيه ٠

٢٢ ابريل

● أعلن الرئيس عبد الناصر ان الجمهورية العربية المتحدة ستواجه اسرائيل اذا حاولت شن عدوان ضد المشروعات العربية لتحويل نهر الاردن ٠

٢٣ ابريل

● الرئيس عبد الناصر يزور الجمهورية اليمنية لاول مرة ويعلن أمام القوات المصرية التى تساهم مع شعب وجيش اليمن فى الدفاع عن الثورة ٠

ـ لن نسمح للاستعمار أن يبقى فى أى جزء من الوطن العربى ٠

ـ على انجلترا أن ترحل عن عدن وتخرج من المنطقة كلها ٠

٢٥ ابريل

● الرئيس يجتمع بشيوخ القبائل ورجال الدين فى اليمن ٠

● وزارة الخارجية تبلغ يوثانت الامين العام للامم المتحدة عن تأييد الجمهورية العربية المتحدة لقضية تحرر عدن والجنوب المحتل وتكشف عن محاولات بريطانيا لتغطية سياستها الاستعمارية وعدائها لثورة اليمن ٠

٢٦ ابريل

● الرئيس عبد الناصر يتهم حكومة سوريا بنقض قرارات مؤتمر القمة العربى ٠

٢٨ ابريل

● صدر بيان مشترك بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية اليمنية يعلن مساندة الجمهورية العربية المتحدة بشكل كامل لشعب اليمن كما يعلن ان امل الوحدة الذى نادى به شعب اليمن وحكومته ،هو قضية ترى القاهرة ان بحثه لايمكن ان يتم الا بعد عودة القوات المصرية الى وطنها بالنصر الكامل ٠

● تم الاتفاق على انشاء مجلس أعلى مشترك بين القاهرة وصنعاء لتنسيق السياسة المشتركة بين البلدين ٠

٦ مايو

● خروشوف رئيس الوزراء السوفيتى يبدأ رحلته لاول مرة الى القاهرة فى زيارة رسمية وجهها اليه الرئيس عبد الناصر ٠

٩ مايو

● الرئيس عبد الناصر يعلن فى حفل تكريم خروشوف بعد وصوله الى القاهرة ، « لقد قامت بين الشعبين العربى والسوفيتى أنبل العلاقات كانت بدايتها زمالة فى طريق الكفاح للقضاء على الاستعمار » ٠

● خروشوف يقول « ان الشعب السوفيتى يقدر الانتصارات الثورية للجمهورية العربية المتحدة ويراها مرحلة هامة فى النضال التحررى الذى تخوضه شعوب افريقيا ٠ وان الشعب السوفيتى يتابع باهتمام نجاح الجمهورية العربية المتحدة فى بناء الحياة الجديدة » ٠

١٤ مايو

● الرئيس عبد الناصر وخروشوف يفتتحان الاحتفال بتحويل مجرى النيل وانتهاء المرحلة الاولى فى بناء السد العالى ٠

٢٤ مايو

● صدر البيان المشترك عن محادثات عبد الناصر ـ خروشوف ٠ جاء فى البيان :

ـ ان الاتحاد السوفيتى يقدم قرضا للجمهورية العربية المتحدة مقداره ٢٥٢ مليون روبل (١٠٠ مليون جنيه استرلينى) ٠

ـ أن يهدى الاتحاد السوفيتى الجمهورية العربية المتحدة ١٠ آلاف فدان يعدها الاتحاد السوفيتى ويزودها بأحدث الالات هدية لمصر ٠

ـ تأكيد أهمية الاتصال الشخصى بين قادة البلدين ٠

ـ التأييد التام للقضايا العربية والافريقية ٠

ـ التمسك بسياسة التعايش السلمى ٠

ـ الدعوة الى تدعيم الامم المتحدة

ـ تأييد قضايا الشعوب فى حقها فى تقرير مصيرها والدفاع عن سيادتها ٠

٢٦ مايو

● أعلن عن توقيع اتفاق سياسى بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية ينص على :

ـ تشكيل مجلس رياسة مشترك من رئيسى الجمهورية وعدد من الاعضاء ٠

ـ يتولى المجلس تخطيط سياسة البلدين وتنسيقها فى المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وفى ميدان الاعلام ٠

ـ يعاون المجلس ٦ منظمات من بينها قيادة عسكرية مشتركة تتولى تسليح قوات البلدين وتدريبها وقيادة جيوشها وقت الحرب ٠

٢٨ يونيو

● صدر قرار جمهورى بتعيين أمين حلمى كامل وزيرا للصناعات الخفيفة ٠

● صدر قرار جمهورى بتعيين شعراوى جمعة وعلى السيد على وكمال الدين الحناوى أعضاء متفرغين لتمثيل الجمهورية العربية المتحدة فى مجلس الرياسة المشترك مع العراق ٠

٤ يوليو

● السلطان أحمد عبد الله الفضلى رئيس المجلس الاعلى لجمعيات الجنوب العربى يصل الى القاهرة ويجتمع بالرئيس عبد الناصر بعد انشقاقه على مؤتمر لندن وكشفه للمؤامرات الاستعمارية البريطانية فى المنطقة ٠

١٣ يوليو

● بدأت جلسات مجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية بالقاهرة ٠

١٧ يوليو

● بدأ انعقاد مؤتمر القمة الافريقى فى القاهرة ٠

٢١ يوليو

● مؤتمر القمة الافريقى يصدر قراراته (٢٣ قرارا) تتناول تصفية الاستعمار والتفرقة العنصرية ومساعدة حركات التحرر ودعم الوحدة الافريقية ٠

● مؤتمر القمة الافريقى يصدر قرارا بتوجيه الشكر الى الرئيس عبد الناصر على الجهود التى بذلها من أجل انجاح المؤتمر ٠

البقية العدد القادم



أهداف تحققت

تناولنا خلال الصفحات الخمس التى نشرتها بمجلة الطليعة قصة البداية فى شركة القاهرة للادوية والصناعات الكيماوية ، وتتبعنا تطورها فى سبع سنوات .. تخطيط الشركة للمستقبل .. انتاج المستحضرات الطبية بما فيها مراجعة الاصناف التى تنتج بها والابحاث التى تقوم بها لانتاج اصناف جديدة وابحاث متابعة الجودة وتخليق الخامات الدوائية ...ثم تناولنا التوسعات فى مبانى المصنع وانشاء اقسام جديدة ، وكذلك التدريب ورفع الكفاية الانتاجية للعاملين ، مما جعلنا نتطرق الى قطاع الخدمات ونرى الجهود التى تبذلها الشركة من اجل خدمة العاملين .

وشاركت الشركة فى زيادة التوريد للقطاع الحكومى وايضا فى التصدير الى جميع البلاد العربية الشقيقة بالاضافة الى بعض الدول الافريقية والاوربية ، ولذا تكون الشركة قد استطاعت فى هذه الفترة الوجيزة ان تحقق انطلاقة متجدده فى عالم السلعة الدوائية وتسير بخطوات ثابتة فى سبيل تحقيق الاكتفاء الذاتى لتصنيع الدواء محليا وجعله فى متناول كل مواطن فى كل ركن من الوطن العربى . وتتمثل انجازات الشركة فى الفترة الماضية فى :

اولا — بحوث علمية متطورة لانتاج احدث المستحضرات الطبية .

ثانيا — انتاج معظم المجموعات الدوائية بمختلف اشكالها الصيدلية .

ثالثا — جودة فى الانتاج .

رابعا — تنفرد الشركة بانتاج المستحضرات الطبية الجيلاتينية .

خامسا — تغطى بانتاجها الاسواق المحلية والعربية والأفريقية .

جهود الشركة فى عالم مستحضرات التجميل

لم تقتصر جهود الشركة على انتاج الدواء فقط بل استطاعت ان تنتج فى مصانعها مستحضر التجميل « فاليانت » و « فاليانت » معجون الاسنان و « فاليانت » كريم الحلاقة وهما من احدث مستحضرات التجميل ، واذا كان الامتياز هو الصفة الخاصة بكل ما هو اسمى حقا من المعتاد ، فان « فاليانت » دليل الجودة والامتياز ، ان هذا المستحضر لم يوجد صدفة ، بل انتج من اجل تحقيق الراحة والمتعة للمواطن ، والشركة الان فى طريقها الى انتاج المزيد من مستحضرات التجميل « فاليانت » .

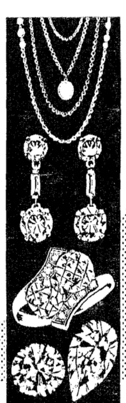


بنك مصر

ينفرد بالتسليف للمواطنين

بضمان ذهب ومجوهرات

ويتم التسليف في سرية مطلقة وحماية كاملة لمصالحكم بواسطة أجهزة فنية متخصصة .. هذا بالإضافة إلى قيامه بكافة الأعمال المصرفية الأخرى.



بفروعه الآتية :

- بنك مصر - أحمد عرابي ٢١ ش أحمد عرابي بالاسكندرية ت ٢٩٨٠٥
- بنك مصر - محمد فريد ١٤٩ ش محمد فريد بالقاهرة ت ٩١٥٨٠٠
- بنك مصر - السيدة زينب ٣١٥ ش بورسعيد بالقاهرة ت ٩١٧٧٥٢
- بنك مصر - باب الخلق - ش بورسعيد بالقاهرة ت ٩٠٦٧٢٢
- بنك مصر - الجيزة - ميدان الجيزة ت ٨٩٦٦٣٦
- بنك مصر - طنطا - شارع الجيش بطنطا ت ٥٥٦٢
- بنك مصر - مصر الجديدة ١١ شارع الأهرام ت ٦٠٣٢٠
- بنك مصر - الزقازيق ٢٩ ش طلعت حرب ت ٣٩٧٧

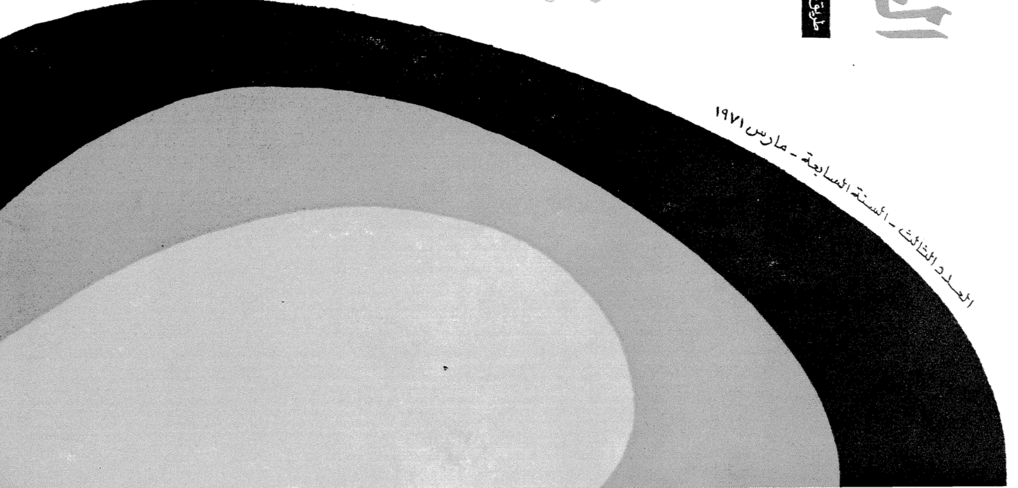
بنك مصر المنصورة - بالمنصورة ت ٢٢٩٩

تقاليد وخبرة العمل المصرفي على أرفع مستوى

مطابع الأهرام التجارية

الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر



التعبئة الشعبية: خبرات وتجارب ثورية

- أوغندا .. والمخطط الامبريالى الاسرائيلى
- معركة الأوبك .. وشركات البترول
- مواجهة العدو لتحقيق النصر

العدد الثالث - السنة السابعة - مارس ١٩٧١



طريق المناضلين الى
الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
ابو سيف يوسف
د. اسماعيل صبرى عبد الله
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف
محمد سيد احمد

مدير التحرير :

ميشيل كامل

■

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون ٤٦٤٦٤ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

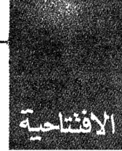
لسنة بالبريد العادى ج.ع.م ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

الفهرس

العدد الثالث — السنة السابعة — مارس ١٩٧١

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعـــة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الــرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حيـــاتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » !.



كلمتان عن أخطار مرحلـة مقبـلة

فى هذه الايام تدخل المواجهة بين شعوب الامة العربية وبين الاعداء الامبرياليين والصهيونيين مرحلة حاسمة ، لعل أهم ما يميزها دقتها وتعقدها البالغ والاخطار التى تنطوى عليها • ونستطيع أن نتبين هذا كله بالنظر الى امثلة من النشاطات المحمومة التى يبذلها العدو ،

هنـاك فى اسرائيل لا تخـفى قـوى الصهيونية الحاكمة اطماعها فى تحقيـق التوسع على حساب الارض العربية • وفى الوقت نفسه ، تتمسك بوقف اطلاق النار وقفا مطلقا غير مشروط • فاذا أحست بأن شعوب الامة العربية ترفض التسليم بالامر الواقع الذى فرضه عدوان يونيو هددت الطغمة العسكرية بان الحرب القادمة ستكون حربا شاملة •

— **اما الولايات المتحدة الأمريكية** فتلعب لعبة مزدوجة • فبينما هى تساند اسرائيل بالسلاح وبمعونات هائلة لا تتـوقف ولاتتناقص تعلن أنها تقف مع « الحل السلمى » وانها تريد أن تتعاون مع الدول الكبرى فى الوصول الى هذا الحل • وفى الوقت نفسه ترفض أن تمارس أى ضغط حقيقى على حليفتها اسرائيل • وتصر على وقف غير محدود لاطلاق النار ، وتسعى الى خلق « دولة فلسطينية » علـى نمط امـريكى اسرائيلى • وهدفها من كل ذلك خلق وضع متميـع تأمل أن يؤدى الى تفتيت عـوامل الوحدة والصمود داخل البلاد العـربية وداخل الدول الوطنية التقدمية بـوجه خاص •

وهذه المواقف الاسرائيلية الامريكية يصاحبها عمل على الجبهة الفكرية لا يتوقف بل يتفاقم • وهذا العمل يهدف الى احداث بلبلة واسعة تساهم فى نشرها قوى اليمين الرجعى • ويتجه هذا النوع من النشاط الى بث اليأس فى نفوس الشعوب العربية من قياداتها الوطنية ، والى عزل الجمهورية العربية المتحدة عن الصف العربى ، والى عزل الشعوب العربية عن الاتحاد السوفياتى والاسرة الاشتراكية ، والى رفع التناقضات بين فصائل الثورية العربية الى صدامات مدمرة •

واذا كنا نكتب هذه السطور فى فترة بلغ فيها التحرك السياسى ذروته على الصعيد الدولى من أجل ايجاد تسوية تتفق مع قرار مجلس الامن رقم (٢٤٢) ، فان هذه الفترة كما قلنا تظل مليئة باخطار لا يمكن التهوين منها ، بل لابد من كشفها والتحذير منها • وسنقصر كلمتنا هنا على التحذير من خطرين ماثلين :

احدهما : الخطر المتمثل فى محــاولات الاعداء تشويه طبيعة المواجهة القائمة فى هذه المنطقة وتجميل صورة الامبـريالية الامريكية • **والثانى** الخطر الذى أطل برأسه فعلا والمتمثل فى تفاقم التناقضات فــى صفوف بعض فصائل الثورة العربية •

عن خطـــر البلبـــلة الفـــكرية

وضرورة تحديد اطار المواجهة مع العدو!

عندما نتحدث عن الثورة العربية ، ثورة التحرر الوطنــى المعــادية لــلامبريالية والصهيونية والرجعية فسوف نرى أننا بازاء حقيقة من حقائق عصرنا الراهــن • وهــذه الحقيقة تقــول انه أيا كانت الصــعوبات والنكسات التى تعرضت لها حركة الثورة العربية خلال الخمســة والعشرين عــاما الماضية ، فان هذا لا ينفى أن حركة التحرر العربى قد احتلت دورا بارزا داخل حركة الثورة العالمية ، وأنها قد دعمت مــواقع النضال ضد الامبريالية وضد الاستعمــار الجديد فى العالم كله ، خاصة فى الشرق الاوسط وفى افريقيــا ، وهذه حقيقة •

وكما أثرت حركــة التحرر العربى فــى مجمل حركة الثورة العالمية ، فــان الثورة العربية قد تأثرت بعمق بانجازات العملية الثورية التى تجرى فى عصرنا ، والتى تصب فيها روافد الثورات الاشتراكية ، ونضال الطبقة العاملة ضد الاستغلال الرأسمالى ، وحركات التحرر فى أركان العالم الأربعة ، بحيث يمكن القول بأن حركة التحرر العربى جزء لا يتجزأ من حركة الثورة العالمية • وهذه حقيقة ثانية •

حقيقة ثالثة أيضا ، هى أن المعركة على صعيد العالم كله تدور بين جبهتين : جبهة قوى السلام والاشتراكية والتحرر من ناحية وبين جبهة قوى الحرب والامبريالية من ناحية أخرى •

وهذه الحقائق الموضوعية والثــابتة ، والمستقلة عن رغبات الافراد ، هى التــى

تحكم وتحدد طبيعة الصراع الذى يدور بين الشعوب العربية وبين العدو الصهيونى ٠ بمعنى أن كل محاولة لتصوير هذا النزاع على اعتبار أنه نزاع محلى يجرى خارج نطاق المواجهة العالمية بين قوى الاشتراكية والتقدم وبين قوى الامبريالية والرجعية ، نقول كل محاولة من هذا القبيل ، ليست خاطئة من الناحية العلمية ــ فحسب ، بل لقد أنزلت ولا تزال تنزل أضرارا جسيمة بالنضال العربى ضد التوسع الصهيونى ، وضد قوى الاستعمار الجديد التى تتزعمها الولايات المتحدة الامريكية ٠

واذا أخذنا فى الاعتبار دروس وخبرات أربع سنوات من النضال والقتال ضد العدو الصهيونى ، أى منذ يونيو ٦٧ ، فسوف نرى أن كثيرا من الصعوبات التى واجهت حركة التحرر العربى وحدت من انطلاقها الكامل ، وعطلت قضية التعبئة الشاملة والحشد المطلوب ، انما ترجع الى محاولات انتزاع الصراع العربى الاسرائيلى من اطاره الصحيح ، ومعاملته كقضية لا تهم الا الدول المعنية ، والا دول الشرق الاوسط بوجه عام ٠ ولعل خطيئة أقصى اليمين وأقصى اليسار المغامر قد تمثلت فى هذا الموقف بالذات ، وهو عزل المواجهة العربية الاسرائيلية عن الاطار العام للمواجهة المحتدمة بين قوى الاشتراكية والتقدم وبين قوى الامبريالية والرجعية ٠ وليس غريبا أن يتم الالتقاء الموضوعى بين اتجاهات أقصى اليمين العربى وبين اتجاهات أقصى اليسار المغامر ٠ فهذه احدى حقائق الحياة ٠ ان اقصى اليمين قد طرح ــ ويطرح القضية على هذه الصورة : أنه يزعم أن مفتاح الموقف كله هو أن نتقدم الى الولايات المتحدة الامريكية طالبين الصفح ، وطالبين القرب ، وسوف تتكفل أمريكا بعد ذلك بحل الموقف كله ، وباختصار فان موقف أقصى اليمين ، انما يتجه عمليا الى تبييض صفحة الامبريالية الامريكية والقاء اللوم على القيادات الوطنية الثورية التى خاضت بجسارة وعلى نطاق الوطن العربى المعركة ضد النفوذ الامبريالى ، وضد محاولة الاستيعاب الامريكية بحركة التحرر ٠

وأما أقصى اليسار المغامر ، فهو وان كان لا يطالب بحل القضية على أساس تنازلات تقدم للامبريالية الامريكية ، الا أن مواقفه العملية وبعض مواقفه الفكرية تؤدى فى التطبيق الى تحويل المواجهة بين الثورة العربية وبين التوسع الاسرائيلى الى نزاع محلى صرف ٠ واذا أردنا أمثلة فيكفى أن نشير الى أن الهجوم على القيادات الوطنية الثورية ومحاولة وضعها فى صف القوى الرجعية ٠ والطعن فى الاتحاد السوفيتى ، والزعم بأنه تخلى عن قضية الثورة العربية ، وترديد شعارات الكفاح المسلح بكيفية انفصالية لا تخضع هذا الكفاح لمعطيات الوضع العالمى الراهن والوضع السياسى والاجتماعى القائم فى الوطن العربى ، نقول أن كل هذا من شأنه ــ أردنا أو لم نرد ــ أن يعرضنا لخطر عزل كفاحنا ــ أو على الاقل ــ يحرمنا من الافادة من الامكانيات الجبارة التى تقدمها حركة الثورة العالمية فى مجموعها ٠

من هنا ، ومن أجل دحر جميع هذه الاخطار مجتمعة ، خصوصا الخطر الذى يمثله النشاط المتفاقم لليمين داخل حركة التحرر ، لابد من أن تتحدد صورة المواجهة الدائرة بيننا وبين الاعداء ٠

- **ان احد قسمات هذه الصورة أن المواجهة بيننا وبين اسرائيل تجرى فى نطاق مواجهة عالمية ٠**

- **قسمة اخرى فى هذه الصورة هى أن اسرائيل وان كانت شريكا أصغر للولايات**

المتحدة الامريكية الا أنها أداة الامبريالية الامريكية لردع حركة الثورة العربية وللاطاحة بالنظم التقدمية ، ولحجم نضال الشعوب العربية نحو التقدم والاشتراكية ·

القسمة الاولى من الصورة تعنى أن قوى الثورة العالمية تساندنا بدعم وامكانيات هائلة ، ومن ثم نستطيع معتمدين – فى الاساس – على قوانا أن نخطط لاحراز نصر مؤكد على الاعداء الامبرياليين والصهيونيين · والتمسك بهذه الحقيقة يشكل موقفا حاسما · لا لانه يكسر حاجز الرهبة والخوف من العدو الامبريالى الصهيونى فحسب ، ولا لانه يبدد تأثيرات الحرب النفسية والفكرية التى تتعرض لها الشعوب العربية فحسب ، بل لانه يؤكد اليقين بالنصر مهما طال الامد ، ولانه يمكن قوى الثورة العربية من أن تتحرك وتنطلق –فى الخط العام – من مواقع الهجوم على الامبريالية والصهيونية لامن مواقع التراجع والاستسلام · وعلى العكس يؤدى التهوين من المساندة التى تقدمها لنضالنا حركة الثورة العالمية الى خطأ مدمر فى الحسابات ، يتمثل فى الظن أو الاعتقاد بأن الامبريالية الامريكية تملك فى يديها مصائر البشرية وتقاليد الامور · وليس هذا بصحيح على الاطلاق ، لانه على النقيض من أى تحليل علمى لعلاقات القوى على الصعيد العالمى ولانه على النقيض أيضا من الخبرات النضالية للشعوب التى تواجه الامبريالية الامريكية ·

القسمة الثانية من الصورة تعنى أننا لانواجه اسرائيل ذات المليونين منفردة · بل **أننا نواجه** قوى الصهيونية العالمية ومعها الامبريالية الامريكية ككل بشراستها وضراوتها · ومن ثم يتحتم علينا بازاء هذا الحلف الامبريالى العدوانى أن نبدأ برفض موقفين :

١ – **موقف الذعر والتراجع أمام** الامبريالية الامريكية ، لان كل موقف من هذا النوع لن يترتب عليه الا اغراء قوى الاعداء بمطالبتنا بمزيد من التراجع والتنازلات التى لا تقف عند حد ·

٢ – **موقف المغامرة ونفاذ الصبر** الذى يدفعنا الى استعجال معارك فاصلة لم تتضح الشروط اللازمة لتحقيق النصر فيها ·

ورفض هذين الموقفين يتطلب بداهة مستوى من الحشد الشعبى قادر على التصدى لمخططات العدو ومغامراته المحتملة ·

ونحن عندما نؤكد على الحقائق الاساسية المتصلة بمواجهتنا مع العدو ، فليس الهدف من وراء ذلك مجرد الاقناع النظرى بحقائق العصر ، ولكننا أيضا نؤكد أن هذه الحقائق النظرية قد أثبتتها وبرهنت على صحتها خبرات شعبنا فى معاركه التى خاضها ضد قوى الامبريالية والرجعية · ومعروف أن النجاحات والانتصارات الكبرى التى حققتها قيادات ثورة يوليو الوطنية والثورية فى دعم الاستقلال الوطنى والاقتصادى للبلاد كانت تتحقق بالدقة من خلال هذا المنهج ، منهج وضع معاركنا الوطنية فى اطار الصراع العالمى بين قوى السلم والاشتراكية والتحرر وبين قوى الحرب والامبريالية والرجعية · وفى غمرة المعارك التى خاضها الشعب وصلت القيادات الوطنية الثورية الى تحديد أوفى وأكمل لمعسكرات الاصدقاء الاستراتيجيين ، ومعسكرات الاعداء الاستراتيجيين ، بحيث ان أية تغيرات مؤقتة وطارئة فى تاكتيكات العدو لم تكن قادرة على تضليل وخداع القيادات الوطنية والثورية عن حقيقة أهداف العدو ومراميه

الاصلية • ولذلك كان من الاهمية بمكان ما اوضحه الرئيس السادات فى اللقاءات الجماهيرية وتأكيده على دور الولايات المتحدة الامريكية وعملها الثابت فى دعم العدوان الاسرائيلى ، وما اوضحه عن دور الاتحاد السوفيتى كقوة صديقة تساندنا بثبات ضد العدوان • ولذلك ايضا ، رحب الرأى العام بتصريحات الامين العام للاتحاد الاشتراكى الى التليفزيون (٢ ـ٢ ـ٧١) عندما اشار الى انه أيا كانت اللغة المعسولة التى تتحدث بها الدبلوماسية الامريكية الى الشعوب العربية فان هذا لا يتناقض مع حقيقة أن الولايات المتحدة الامريكية انما تعادى الثورة العربية من موقف القوة الامبريالية التى لا تريد أن تتراجع عن استغلال ونهب ثروات الوطن العربى • هذا من ناحية ، ولان الامبريالية الامريكية تريد من ناحية أخرى أن تحول بلادنا الى قاعدة للاحلاف والقواعد العسكرية ضد الاتحاد السوفيتى •

واذا كان ثمة شيء مطلوب فى هذه المرحلة المقبلة ، مرحلة اتساع النشاط السياسى والدبلوماسى ، من أجل ايجاد حل للأزمة ، فهى أن تشرع القيادات الوطنية والتقدمية فى مواجهة محاولات البلبلة الفكرية بتثقيف واسع ومكثف للجماهير يحدد اطار المواجهة مع العدو ، ويحدد طبيعة العدو الرئيسى ،ويرتب على هذا كله النتائج النضالية المطلوبة ، هذه النتائج التى يجب ان تنعكس بالضرورة على مجموع حياة الامة فى المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية • ذلك أن مثل هذا العمل لا يحبط محاولات البلبلة الفكرية فحسب ، ولا يشل قوى اليمين الرجعى فحسب ، ولا يدعم الجبهة الداخلية فحسب ولكنه يساعد ايضا على أن نصل الى منهج لعلاج المشاكل الداخلية الملحة بالكيفية التى تسمح بالتقدم فى حل هذه المشاكل اوبعضها ، ولا تسمح بأن ينصرف انتباه الجماهير عن قصة القضايا : معركة تحرير الارض المحتلة •

عن خطر الانقسام فى قوى الثورة

اذا كانت حرب يونيو قد استهدفت ردع حركة التحرر العربى ووقف الاتجاه نحو التقدم الاجتماعى ، فقد ردت القوى الكامنة فى هذه الحركة بنهوض مجدد تمثل فى اليقظة العامة التى دبت فى حركة الجماهير العربية ، كما تمثل فى الصمود المصرى ، ومولد ونمو حركة الكفاح المسلح الفلسطينية وقيام انظمة وطنية وتقدمية فى جنوب اليمن والسودان وليبيا •

ان هذه الحصيلة تثبت أنه أيا كانت الخسائر المؤقتة التى تلحق بالحركة الثورية فى البلدان العربية ، فان فى مقدور قوى الثورة ان تستأنف مسيرتها بقوة اعظم اذا أصرت على أهدافها ، ووحدت فصائلها •



وقد ادركت الامبريالية الامريكية مع شريكتها الصغرى اسرائيل هذه الحقيقة ، ورأت أن الضغوط العسكرية والعدوان المسلح قد لا تكون دائما أفضل الوسائل لتحقيق أقذر الغايات .. ومن ثم فقد ضاعفت قوى العدوان من نشاطها فى فترة وقف اطلاق النار ـ على أمل ان تحقق أهدافها من خلال نسف وتصديع الصف العربى على صعيد الدول العربية ، وعلى صعيد كل بلد عربى .

وباختصار ، تدرك قوى الامبريالية والصهيونية انه اذا ما نجحت فى تفجير واستغلال التناقضات الثانوية بين القوى الوطنية والتقدمية فان ضغوطها العسكرية ستحقق النتائج المرجوة منها ، بل ربما لن تجد نفسها فى حاجة الى تكثيف هذه الضغوط أو ممارستها فى شكل حرب شاملة ضد البلاد العربية .

وعلينا أن نعترف ـ للاسف ـ أنه خلال ستة الشهور الماضية ، وفى أكثر من بلد عربى ، استدرجت او انساقت بعض القوى الوطنية والتقدمية الى منازعات داخلية ، ومعارك جانبية بينها وبين البعض . وكان أفدح ثمن دفعته الثورة العربية تعريض **حركة الكفاح المسلح الفلسطينية لضربات غادرة ومخططه استهدفت تصفيتها تصفية بدنية** . واذا كنا لا ننسى أن نسجل ان قوات المقاومة قاتلت ولا تزال تقاتل ببطولة فائقة دفاعا عن كيانها ، وأن مخطط التصفية لم يقدر له حتى الان ان يحقق اهدافه ، واذا كنا نسجل أن حركة الكفاح المسلح الفلسطينى قد بدأت تستخلص الدروس والعبرات اللازمة من مرحلة كفاحية سابقة فيها نواقص وسلبيات الا أن هذا كله لا ينفى أن الخطر الداهم لا يزال محيطا بهذه الفصيلة الثورية من فصائل الثورة العربية . ان هذا الخطر يأتى بالطبع من جانب المخطط الامريكى الصهيونى الرجعى الموجه ضد الثورة الفلسطينية . لكنه يأتى أيضا من داخل فصائل الثورة الفلسطينية التى تعانى من ضعف شديد فى وحدتها وتلاحمها الداخليين ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى تعانى من خارجها من ضغوط وتدخلات تعمق الانقسام فى صفوفها . ومن المؤسف أن هذه الضغوط والتدخلات تباشرها بعض القوى الوطنية العربية ، على مستوى الحكومات ، أو على مستوى الاحزاب السياسية

وفى هذه الظروف البالغة الدقة ، فان أى تحليل سليم لمجمل الوضع العربى يبين أن كل ضعف يصيب حركة الكفاح المسلح الفلسطينية ، وكل تعميق للانقسام فى صفوفها سينعكس بدوره على الصعيد العربى معمقا الانقسامات ومفجرا مزيدا من الخلافات داخل حركة التحرر الوطنى العربية فى مجموعها . ولن يكسب من هذا الوضع سوى الامبريالية الامريكية وسوى الصهيونية وقوى اليمين الرجعى . وفى هذا الصدد تتحدد بعض المهام الملحة والعاجلة :

● ● مهمة تقع على **فصائل الثورة الفلسطينية ذاتها** وهى أن تدعم وحدتها على ضوء برنامج سياسى محدد يوحد قوى الثورة الفلسطينية ويربطها ـ باعتبارها جزءا من حركة الثورة العربية ـ بروابط كفاحية بكل فصائل الثورة العربية ، ويحل مشكلات الوحدة الضرورية بينها وبين الحركة الوطنية فى الاردن .

● ● مهمة أخرى تقع على **القوى الوطنية والتقدمية فى جميع البلدان العربية**

بدون استثناء ، كمـا تقع أيضـا على عاتق الانظمة الوطنية والتقدمية ، وهى ضرورة اقامة العلاقات مع حـركة الكفـاح المسـلح الفلسطينية على أساس صحى ، من التعاون والمسـاندة النشطة والايجابية، وتغليب جانب الحوار البناء على جانب التدخل والضغوط المادية والمعنوية ٠

مثل هذه المهمة لم تعد تحتمل التأخير ، لاسيما ، اذا نظرنا الى أن المخطط الرامى الى تصفية حركة الكفاح المسلح الفلسطينية ينفذ بشراسة لم تتوقف منذ مذابح سبتمبر ١٩٧٠ ٠ ونعتقـد أن مـشروع الحـكومات والتنظيمات والاحزاب السياسية فى القيام بمساع محددة فى هذا الاتجاه انما يشكل الحل العملى لاخلاص الاطراف المعنيـة لقضية فلسطين ولقضية تحـرير الارض المحتلة من الاغتصاب الصهيونى ٠

واذا تحدثنا أيضا عن أمثـلة لما يصيب فصائل الثورة العربية من انقسـامات ، فسوف نشير ـ والالم يعتصر قلوبنا ـ الى الاحداث الاخيرة فى السودان ٠

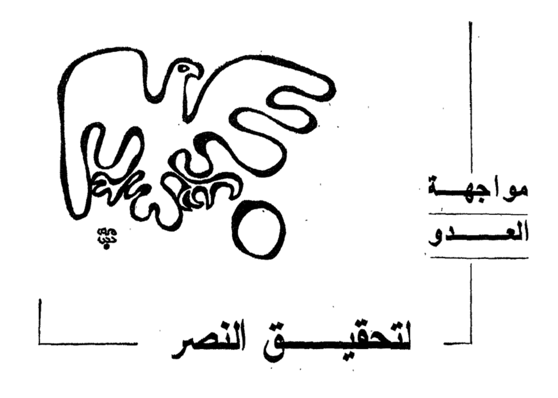
وأخيرا ، فنحن عندما نشير الى الاخطار الكامنة فى أقسـام صـفوف قـوى الثورة العربية ، فان السؤال الذى يتعين على جميع القوى الثورية أن تطرحه وتجيب عليه هو :

هل يتم حسم النزاع العربى الاسرائيلى فى اتجاه دفع الثورة العربية نحو مواقع أكثر تقدما ، وتأمين انطلاقة جبـارة لهذه الثورة بمحتواها الوطنى والاجتماعى، أم أن التناقضات بين القوى الوطنية والثورية تؤدى الى أن يحل ذلك النزاع فى ظروف تراجع وتسليم ؟

ان الاجابة عن هذا السؤال تحـددها درجة الوعى الذى تواجه به فصائل الثورة العربية قضية وحدتها الداخلية، فى كل بلد، وعلى نطاق الوطن العربى ٠

وليس هناك خيار أمام فصائل الثورة العربية بين أن تتوحد وبين أن تنقسم لانه لا مجال للخيار بين الحياة وبين الموت ، بين النصر وبين الهزيمة ٠

((الطليعة))



مواجهة العدو لتحقيق النصر

ابراهيم سعد الدين

حقائق ومسلمات أولية

هناك من المسلمات ، ومن الحقائق الاولية المعروفة ما يحسن دائما الرجوع اليها وتأكيدها لا لانها قد تكون موضع خلاف أولانها تحتاج لمزيد من الشرح والايضاح ، **وانما** لحاجتنا الدائمة أن نقيم ونراجع سلوكنا الفعلى على ضوء هذه المسلمات والحقائق التى نعتقد جميعا فى صحتها وفى هذه المرحلة الحاسمة من مراحل صراعنا الوطنى والقومى • وفى ظروف قد تختلط فيها الرؤيا ، وتشتد فيها المناورات ، وتتعدد الاقتراحات والمناورات ، يحسن مرة أخرى التأكيد على مثل هذه المسلمات الرئيسية ، وتوضيح الشروط التى لا يمكن بلوغ أهداف النضال الوطنى الحالى دون تحقيقها •

والحقيقة الرئيسية فى الموقف الحالى هى أننا نواجه احتلالا صهيونيا تم بقوة السلاح لجزء من أراضى ثلاث دول عربية ، اثر هزيمة عسكرية بواسطة الجيوش الصهيونية المدعمة بقوة الولايات المتحدة الامريكية الاقتصادية والسياسية والتكنولوجية والعسكرية • وكان هذا النصر العسكرى للصهيونية ضربة موجعة للثورة العربية التى كانت قد استطاعت فى السنوات الخمسة عشر السابقة على هزيمة يونية ١٩٦٧ أن تحقق عددا من الانتصارات الهامة ، تمكنت خلالها من تصفية السيادة الاستعمارية على الجزء الاكبر من المنطقة واستطاعت تحقيق تطور اقتصادى واجتماعى مستقل فيها •

وقد كان من الطبيعى أن تنتهز الصهيونية والاستعمار الامريكى فرصة هذه الهزيمة العسكرية لتصفية حسابات قديمة مع قوى الثورة العربية ولاعادة رسم خريطة الشرق الاوسط بما يحقق الاهداف التى يطمع الحليفان فى تحقيقها • **ان الولايات المتحدة الامريكية تهدف اساسا الى بسط نفوذها السياسى والعسكرى على المنطقة وتهدف الى استغلال مواردها الاساسية دون تهديد يمكن أن تتعرض له من حركة قومية نامية ومتزايدة • واسرائيل تهدف الى تحقيق التوسع لاقامة حلمها القديم اسرائيل الكبرى •** على أنه مهما اختلفت الاهداف التفصيلية لكلا الحليفين

فالمؤكد أن كليهما لا يستطيع تحقيق أهدافه دون تصفية الثورة العربية الساعية الى التحرر والاستقلال والاشتراكية والوحدة ٠

على أن ذلك لا يتم الا بهزيمة مصر وابعادها عن مباشرة دورها الطليعى فى الثورة العربية ٠ ان مصر بثقلها التاريخى والحضارى وبعدد سكانها وقدرتها الاقتصادية هى القوة الاساسية فى البلاد العربية ٠ وهزيمتها أو ابعادها انما يفتح الطريق امام بسط السيطرة الاستعمارية كاملة على المنطقة العربية وتحقيق حلم التوسع الاسرائيلى ٠ واذا كانت الهزيمة العسكرية فى يونية ١٩٦٧ لم تؤد الى اذعان مصر وتسليمها بفضل نضال شعبها وتماسكه وصموده فى أشد الاوقات ظلاما ، واذا كانت مصر قد استطاعت اعادة بناء قوتها العسكرية بل وزيادة مقدرتها بالمساعدة الفعالة والكبيرة من الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية الاخرى ، فما زالت أمريكا واسرائيل تأملان فى الحصول على عائد للهزيمة العسكرية التى منيت بها مصر فى عام ١٩٦٧ ٠ وهذا العائد يتحقق اذا ما أمكن استمرار احتلال الاراضى التى غزتها اسرائيل مدة كافية تدفع المصريين الى اليأس من امكان تحرير الارض أوالى تنازل يؤدى فى النهاية الى تحقيق عزلة مصر وتصفية الثورة العربية وبقاء اسرائيل كالقوة الرئيسيةالمنتصرة وسط دول حاقت بها الهزيمة ولم تتمكن رغم كل الجهود من تغيير نتيجة المعركة العسكرية التى خسرتها جيوشها ٠ وفى هذا الاتجاه تعمل الولايات المتحدة واسرائيل ٠

ولعل هذا أن يكون المبرر للتمسك باحتلال الارض ، وعدم التنازل عن شبر منها قبل الوصول الى اتفاق عن طريق المفاوضة مع أسرائيل ٠ وهو الدافع لهذا الدعم العسكرى والاقتصادى الضخم الذى تقدمه الولايات المتحدة الامريكية لأسرائيل ، ومحاولاتها المستمرة للمحافظة على ما تسميه بتوازن القوى العسكرية بين العرب واسرائيل ٠ وهو أيضا سبب تمسك اسرائيل بمعنى خاص للحدود الآمنة يتطلب تعديلا فى حدود اسرائيلعام ١٩٦٧ ، وتأييد الولايات المتحدة لاحداث مثلهذا التعديل ، حتى وان وصفت التعديل بأنه غير أساسى ولا يعكس وطأة الهزيمة العسكرية للعرب ٠ **وهكذا فان ما يبدو أنه تمسك بالشكل فى بعض الاحيان هو شروط وعوائق تضعها اسرائيل والولايات المتحدة لمنع الوصول الى أى حل لا يتضمن اخضاع للعرب وابراز حقيقة النصر الاسرائيلى ٠ وأن أسلوب المناورة والمماطلة التى تلجأ اليه اسرائيل ليسا سوى وسيلة للتأثير فى الشعوب العربية وشعب مصر بالذات وابراز عدم قدرة هذه البلاد على تغيير نتيجة المعركة العسكرية التى هزمت فيها جيوشها فى يونية ١٩٦٧ ٠**

واذا كانت اسرائيل هى التى تقوم بدور الصدام المباشر فى المنطقة فان الولايات المتحدة الامريكية ليست مجرد قوة خارجية مساعدة لاسرائيل تدعمها من أجل تحقيق أهدافها وتحميها اذا ما تعرضت للخطر بل ان الولايات المتحدة هى خصم أساسى للثورة العربية لها أهدافها الذاتية التىلا تتحقق الا بهزيمة هذه الثورة ٠ واذا كانت الظروف الدولية والمحلية تؤدى بها الى تفضيل اسلوب الاعتماد على القوة العسكرية الاسرائيلية المدعمة بالترسانة الامريكية لتحقيق أهدافها ، فان ذلك لا ينفى اطلاقا الدور الاساسى للولايات المتحدة الامريكية فى الصراع . فهى تقف وستظل تقف موقفا معاديا للثورة العربية وان غيرت أساليبهاوالوسائل التى تعتمد عليها فى تحقيق أهدافها ٠ ومن هنا فان صراعنا الحالى لا يتم فى مواجهة اسرائيل المدعمة بالنفوذ والقوة الامريكية وانما هو يدور فى الحقيقة فى مواجهة كل من اسرائيل والولايات المتحدة سويا.ونجاح العرب فى تصفية آثار العدوان الاسرائيلى وتحرير الارض المحتلة هو فى نفس الوقت ضربة قوية موجهة للنفوذ الامبريالى الامريكى فى المنطقة وخطوة أساسية فى سبيل تصفيته ٠ وعلى العكس من ذلك ، فان نجاح اسرائيل فى فرض تسوية لصالحها ، وعلى حساب العرب ، هو تدعيم للسيطرة الامبريالية الامريكية على المنطقة العربية ٠ ان هذا هو الاساس الذى تستند اليه السياسة الامريكية فيما يختص بتحديد موقفها من تصفية العدوان ٠ وهى سواء فى مجلس الامن أو فى المحادثات الرباعية أو الثنائية ، وفى مفاوضاتها مع اسرائيل أو فى اتصالها مع البلاد العربية لا تباشر دورا لصالح اسرائيل وحسب وانما هى طرف أصيل فى الصراع تحرص على الاستفادة من الهزيمة العسكرية التى حاقت بالجيوش العربية فى يونية ١٩٦٧ من أجل التصفية الكاملة للثورة العربية ٠

ان استيعاب هذه الحقيقة، وليس مجرد ترديدها بين وقت وآخر ، يجبرنا على النظر الى صراعنا الحالى نظرة جديدة فهو ليس صراعا

محدودا بين العرب واسرائيل نحاول أن نبعد عنه الولايات المتحدة ونضمن حيدتها أو ندفعها الى الضغط على اسرائيل لتغيير موقفها • فالولايات المتحدة نفسها هى أحد أطراف النزاع حتى واذا كان الصدام المسلح يدور مباشرة وفى الاساس مع اسرائيل • وستظل الولايات المتحدة مهما طال الصراع تقف بكل قوتها الى جانب اسرائيل عاملة على منع أى هزيمة عسكرية لها وتحقيق أى نصر للقوة العربية يهدد بانتشار جديد للثورة العربية وتهديد أشد قوة للمصالح الامريكية •

الحشـــد المطلوب

لمثل هذه المعركة

ان النصر فى مثل هذا الصراع يتطلب حشدا أضخم ومجهودا أشق ونوعا من الحرب يختلف تماما عن ذلك الذى يمكن أن يدور بين العرب واسرائيل منفردين . فهو من ناحية يتطلب شمول المعركة لتشمل جبهة أوسع من جبهة اللقاء المباشر بين الجيوش العربية واسرائيل • **ولا نعنى بذلك فقط أن الصراع العسكرى قد يمتد ليشمل قلب البلاد العربية المحاربة وشـــعوبها ، بل نعنى بالاضافة الى ذلك ، أن الصراع لابد وأن يمتـــد ليشمل مواجهة مع المصالح الامريكية فى البلاد العربية كلها** • والا تكون أداة المواجهة هى فقط الجيوش العربية فى الميدان — حتى وان كانت هذه الجيوش تلعب دورا أساسيا وحاسما وانما يشترك فى المواجهة والنضال كل الشعوب العربية التى ما فتئت تناضل من أجل استقلالها وحريتها واستعادة أراضيها والتى ستستمر فى النضال رغم ما قد يصيب حركتها من تعثر أو انتكاسات بين وقت وآخر •

ان النصر فى مثل هذا النضال يتطلب من ناحية أخرى حركة ايجابية ومشاركة واعية من كل القوى الوطنية والتقدمية • ان تحقيق ذلك يتطلب اعادة تنظيم الجبهة العربية ، ووقف التفكك الحالى ، وانهاء النزاعات المحلية الصغيرة • **واذا كانت هـــذه هى مســئولية كافة القـــوى الوطنية والثورية فى الوطن العربى ، فانها فى المقام الاول واجب هذه القوى التى أتاح لها التطور التاريخى أن تتولى السلطة فى هذه الفترة من فترات التاريخ** وخاصة فى البلاد التى تحررت من الاستعمار **والتى تسير فى طريق التطور المستقل** • ان حشد الشعوب العربية فى معركة طويلة وشاقة مع الاستعمار الامريكى والاسرائيلى يتطلب مشاركة كل القوى الوطنية والثورية فى الوطن العربى فى حكم بلادها • انه يتطلب أن تطلق لكل القوى الوطنية والديموقراطية امكانيات التعبير المستقل والحركة • وأن تتوقف محاولات الاســتئثار بالسلطة وأن يكون لفئات محدودة ، دون الشعب ، حق التقرير فى أهم شئونه وقضاياه ، وأن ينحصر دور الشعب فى التأييد أو الموافقة بدلا من المشاركة الحقيقية فى مناقشة الامور الحيوية والهــامة بواسطة القوى الشعبية صاحبة المصلحة الاصيلة فى تحقيق الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى •

واذا كان الحشد العربى والدور الايجابى لكل القوى الثورية ووحدة هذه القوى هـــى شروط أساسية للنصر فان مفتاح هذه الشروط جميعا هو ما يمكن أن تحققه مصر من حشد فعلى ومن نضال فعال لا لجيشـها فقط، بل لكل شعبها فى المعركة . ان مصر بحكم موقعها الجغرافى وبحكم قـــدرتهـــا الاقتصادية وتقدمها الحضارى وثقلها السكانى تشغل مركز القلب فى المعركة الوطنية والقومية الحالية • ومصر اذ تخوض هذه المعركة دفاعا عن الثورة العربية فى مجموعها فانها تخوضها أولا دفاعا عن شعب مصر ذاته ، لا لان جزءا من الارض قد احتل ، ولا لان تحرير هذه الارض المحتلة هو واجب أساسى من واجبات شــعبنا وحسب ، بل لان ما تهــدف اليه الصهيونيـــة والاستعمار من عزل مصر عن الثورة العربية وحصر تأثيرها فى حدودها الاقليمية — وهو الحد الادنى التى تسعى اليه كل منهما — كفيل ليس بهزيمة الثورة العربية وحسب ، بل وبالتأثير على امكانيات مصر فى تحقيق التقدم الاقتصـــادى والاجتماعى لابنائها • ذلك أن قدرة مصر والعالم العربى بصفة عامة على تحقيق النمو والتقدم رهن بالتعاون العربى ، وخاصة بين الدول المســـتقلة والتى تبنى اقتصادها الوطنى المتطور فى هذا الجزء من العالم، وان عزل مصر ونجاح اسرائيل فى تحقيق مخططها الاقتصادى والسياسى فى الجزء الشرقى من الوطن العربى (وهو ما تحاول اسرائيل والولايات المتحدة تحقيقه) •• ان هذا كفيل ، ليس فقط بايقاع البلاد العربية المختلفة فى اطـــار الاستغلال الرأسمالى الصهيونى ، بل انه ، أيضا ، يؤدى الى الحد من امكانيات التقدم الاقتصادى فى مصر ويؤدى فى المستقبل الى مضاعفات خطيرة ،

على الاخص فى اطار من التزايد المستمر للسكان فى جمهوريتنا ٠

ومهما كانت المرارة التى قد يشعر بها المصريون كنتيجة لتفكك الجبهة الشرقية ، أوبسبب المحاولات المستمرة لتصفية قوى الثورة الفلسطينية ومحاولة القضاء على قوى المقاومة المسلحة ، ومهما كان مقدار الالم الذى يحسون به هم وكل القوى الوطنية فى العالم العربى كنتيجة لتقاعس عدد من الدول العربية عن القيام بالدور الذى تفرضه عليها واجبات المعركة فان ذلك لايبرر اطلاقا ما قد يسود لدى البعض من رغبة فى العزلة أو الاتجاه الى التركيز على حل مشكلة الجلاء عن أرض سيناء المحتلة ٠ فحدوث ذلك سيؤدى ، فى النهاية ، الى اطلاق العنان لسيطرة اسرائيل على المنطقة الشرقية للوطن العربى ، وهو ما ينزل أشد الاضرار بمصالح مصر الحالية والمستقبلة ٠ وهذا كله انما يعنى — ببساطة — أن حمل مصر لامانة القيادة فى هذه المعركة المصيرية مع الاستعمار الامريكى والصهيونية يتطلب حشدا لكل قوى الشعب من أجل معركة طويلة وقاسية ، واستعدادا كاملا من أجل خوض صراع مسلح وطويل يمكن أن تتعرض مصر من خلاله لكل ضراوة الهجوم الاستعمارى الصهيونى وشراسته ، لا على جيوشها المحتشدة على جبهة القناة وحسب بل وعلى مدنها وقراهاومصانعها وطرقها وموانيها ٠ فمثل هذا الاستعداد يمكنها من أن تكيل فى نفس الوقت ضربات موجهة ومجهدة للعدو الذى تحاربه حتى تضطره الى تغيير خططه ، وتجبره على التسليم بضرورة الجلاء عن كل الارض المحتلة ٠ وبغير استعداد لخوض مثل هذه المعركة ، وبغير الاقدام على خوضها بالفعل ، فان تحقيق الجلاء عن كل الارض العربية المحتلة يصبح من قبيل الاحلام غير القابلة للتحقيق ٠

نجاحات تحققت

لكن المطلوب أكثر

ان مصر قد استطاعت الصمود لما يقرب من أربع سنوات بعد أن هزمت جيوشها فى سيناء فى صيف ١٩٦٧ ٠ وقد استطاعت فى خلال هذه السنوات أن تحقق تطويرا أساسيا فى قواتها المسلحة والتى أعادت بنائها وعملت على استكمال تسليحها وتدريبها واعدادها القتال باعتبارها قوة الصدام الاساسية فىالمعركة القادمة .وكمادعمت مصر قدرة قواتها المسلحة على جبهة القناة كذلك عملت على استكمال استعداداتها الدفاعية أو تقويتها لمواجهة احتمالات الهجوم الجوى للعدو وخاصة على منشآتنا الحيوية وعلى المراكز الاقتصادية الرئيسية ٠ وقد استطاعت مصر — بسياستها الوطنية والتحررية والمرنة فى نفس الوقت أن تحقق مزيدا من مناصرة القوى الاشتراكية وقوى التحرر الوطنى بصفة عامة لقضية العرب ، واستطاعت أن تنجح فى عزل اسرائيل والاستعمار الامريكى وكشف موقفهما الحقيقى ومحاولتهما استغلال الهزيمة العسكرية التى حاقت بالجيوش العربية لغرض التوسع الاسرائيلى والسيطرة الامريكية على المنطقة العربية ٠ كما أمكن — بالفعل — بناءجبهة قوية بين البلاد العربية من جانب وبين الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى من الجانب الاخر . ان صمود قوى الثورة العربية وخاصة فى مصر ووضوح طبيعة المعركة الحالية كمعركة ضد قوى الاستعمار العالمى قد أدى الى مزيد من دعم الدول الاشتراكية للنضال العربى ، سواء كان ذلك فى جوانبه الاقتصادية أو السياسية أو العسكرية ٠ وكان الدعم السوفيتى لمصر بالذات وخاصة فىاقامة نظام دفاعها الجوى مثلارائدا لما يمكن أن يحققه التعاون بين قوى التحرر الوطنى من ناحية وبين القوى الاشتراكية من ناحية أخرى من تدعيم قدرة قوى النضال الوطنى على خوض معاركها فى مواجهة الاستعمار ، ومن افشال محاولاته لغرض الاستسلام على الدول المناضلة ، وكما أمكن بناء هذه الجبهة القوية مع البلاد الاشتراكية ، ومع القوى المناضلة من أجل التحرر والسلام ، فان السياسة السلامية لمصر وتأثر المصالح الاقتصادية والسياسية لعدد من الدول بالصراع الدائر فى الشرق الاوسط قد مكن مصر بالفعل من تحقيق تغيير أساسى فى موقف العديد من الدول ، بحيث استطاعت مصر فى الامم المتحدة أن تهزم وتعزل اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية ، وأن تحصل من هذه المنظمة الدولية على قرار من جمعيتها العمومية يطلب من اسرائيل الجلاء عن الاراضى المحتلة واحترام حقوق شعب فلسطين ٠ وكان هذا القرار عاملا ايجابيا قد دفع كل من اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية الى الاقدام على العودة الى اتصالات يارنج والتقدم بعدد من المقترحات لحل القضية بغض النظر عما تتضمنه هذه المقترحات من مناورة ومن محاولات لاستخدام الاتصالات الدولية من أجل اطالة مدة الاحتلال للاراضى العربية وفرض الامر الواقع على العرب ٠

ان هذه النجاحات العربية والمصرية — بوجه خاص — لا تكفى وحدها — وذلك على الرغم من أهميتها ودلالتها — ولا يمكن أن تكفى لتحقيق الحد

الادنى للاهداف العربية الاوهو تصفية آثار عدوان يونيو ١٩٦٧ خلال التطبيق الكامل لقرار مجلس الامن فى ٢٢ نوفمبر ١٩٥٧ ٠

وسيلة الردع العسكرى

ان اسرائيل تواجه الزيادة المستمرة فى القوة العسكرية المصرية بمزيد من التطوير لقـواتها المسلحة خلال المساعدات الامريكية الضـخمة وخاصة للسلاح الجوى الاسرائيلى،وهى تعوض انفاقها العسكرى المتزايد ايضا خلال الدعـم الاقتصادى الامريكى ٠ وتقف الولايات المتحـدة الامريكية خلف اسرائيل تتعهد لها بأن تعمل على موازنة كل زيادة فى القوة العسكرية المصرية بزيادة مقابلة فىالقوة العسكرية الاسرائيلية او فى مدى فعالية هذه القوة ٠ وفى مثل هذا النوع من السباق فان امكان التفوق المطلق لاحد الطرفين على الاخر بما يجبره على تغيير أهدافه دون قتال يبدو مستحيلا ٠ ان اسرائيل التى تحتل الارض العربية بالفعل يكفيها أن تحقق من الحشد ما قد يؤدى الى تردد بعض القوى العربية فى خوض القتال ٠ وهى تسعى الى تثبيت الوقف الدائم لاطلاق النار لتتمكن من استيعاب واستكمال ابتلاع الارض العربية التى احتلتها بالفعل ٠ وهى لن تجبر علىتغييرموقفها هذا كنتيجة للضغط الدولى وحده ، أو كنتيجة للحشد العربى وحده ، أو كنتيجة لكل من الحشد العربى والضغط الدولى معا ـ مادامت الولايات المتحدة المصدر الاساسى للسلاح الاسرائيلى ماضية فى دعمالقوة العسكرية لاسرائيل ٠ ومن هنا فان الوسيلة الوحيدة لاجبار اسرائيل على الجلاء هى وسيلة القوة المسلحة التى تنزل بالقوات الاسرائيلية واسرائيل ذاتها مـن الخسائر ما يجعل العدو الاسرائيلى يعيد النظر فى خططه العسكرية والسياسية ٠ ان ذلك لا يفترض بالضرورة تحقيق نصرعسكرىسريع وحاسم على اسرائيل يجبرها على الجلاء السريع عن الارض المحتلة ٠ ولكنه يفترض ، فقط ، قدرة على انزال خسائر اساسية ومستمرة فى حرب طـويلة بالجيوش الاسرائيلية ، وقدرة فى نفس الوقت على تحمل كل احتمالات الخسائر فى الاموال والانفس التى يمكن أن تترتب على كل الشراسة التىقديلجأ اليها الاستعمار واسرائيل فى خوض معركتها الحاسمة من أجل اخضاع البلاد العربية وتصفية قدرة شعوبها ٠ ان النصر سوف يكون فى النهاية للقوى الاقدر على تحمل التضحيات التى تفرضها المعركة على الجانبين ٠ ان مثل الحرب الفيتنامية يوضح لنا ان الشعوب المكافحة من أجل استقلالها وحريتها هى أقدر دائما على الصبر من أجـل تحقيق النصر ٠ ان ترسانة الحرب الامريكية كلها تصب الدمار الشامل على ارض فيتنام ، جنوبها وشمالها ، ومع ذلك فقد فشل أكثر من نصف مليون جندى أمريكى فى تحقيق نصر علىفيتنام الصغيرة المكافحة ٠ وعلى العكس من ذلك ، فان الخسائر التى أصابت القوات الامريكية الغازية والتـى تحارب منأجل فرض النفوذ الاستعمارى الامريكى قد أدت الى رد فعل عنيف فى الولايات المتحده الامريكية نفسها الامر الذى أجبر الولايات المتحدة الامريكية على تعديل خططها ٠ حقا ان الولايات المتحدة الامريكية لم تزل مصرة على الاستمرار فى الحرب عن طريق استخدام الاسيويين لمحاربة الاسيويين ٠ ولم تزل تحاول توسيع نطاق الحرب لتشمل الهند الصينية كلها لعلها تحصل على نصر عز عليها خلال أكثر من ست سنوات من الحرب الفيتنامية ، ولكن اصرار شعوب الهند الصينية على كفاحها العادل كفيل فى النهاية بانزال هزيمة ساحقة بالغزو الاستعمارى فى هذه البلاد ، لا لان هذه الشعوب المكافحة قد استطاعت أن تنزل بالجيوش الامريكية من الخسائر ما يفوق الخسائر التى احتملتها هى نفسها بل لانها استطاعت فقط أن تنزل بهذه الجيوش من الخسارة ما يجعل المغامرة الامريكية مغامرة خاسرة بالنسبة للولايات المتحدة ذاتها ٠ ورغم كل الالام ، ورغـم كل الخسائر التى تعرض لها الشعب الفيتنامى والتى تتعرض لها شعوبالهند الصينية مجتمعة فى خلال المرحلة الحالية من الحرب فان عظم الهدف الذى تسعى اليه هذه البلاد ، ومدى الخسارة التى يمكن أن تحيق بها اذا ما انتصر الغزو الاستعمارى كان هو الدافع الاساسى لتحمل هذا الثمن الباهظ الذى استطاعت هذه الشعوب أن تتحمله ولم تستطع القوى الغازية أن تتحمل مثله بل أقل منه كثيرا ٠

ان أهم ما يبرزه مثل شعوب الهند الصينية هو أن هناك ثمنا باهظا لابد من دفعه اذا أرادت الشعوب الصغيرة المناضلة هزيمة محـاولات السيطرة الاستعمارية ٠ وانه دون الاستعدادلدفع هذا الثمن فان ثمة خطرا حقيقيا أن تفقد هذه الشعوب استقلالها وسيطرتها على مقـدراتها ٠ ومن ناحية أخرى ، فان دفع هذا الثمن كفيل فى النهاية بهزيمة حتى اقوى القوى الاستعمارية فى العالم ٠

ان ما يمكن أن تحشده اسرائيل فى المنطقة ـ حتى بمساعدة الولايات المتحدة الامريكية ـ لا يقارن بحال من الاحوال بما تحشده الولايات المتحدة وحلفائها من قوة فى الهند الصينية ٠ وان مدى ما يمكن حشده من قوة عربية يفوق كثيرا ما يمكن حشده من قوى بواسطة شعوب الهنـد

الصينية • ان القضية الرئيسية تكمن الان فى تحويل هذه الامكانية الى واقع فعلى • فلم يزل فى تقدير اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية ان الشعوب العربية ليست على استعداد لدفع الثمن اللازم للنصر • ومادام هذا الشعور سائدا فلن تفلح الضغوط المختلفة فى أن تجبرهما على تغيير موقفهما وتحقيق الانسحاب من الارض العربية أو احترام حقوق شعب فلسطين تطبيقا لقرار مجلس الامن • وذلك مهما زاد الضغط الدولى ، ومهما بذلت الامم المتحدة ووسيطها من محاولات لاجبار اسرائيل على الخضوع للقرار المذكور •

ان هذه ليست دعوة للاشتباك مع القـوة العسكرية للعدو،ولاهيمطالبةبعدم الاستمرارفى الاقناععن وقفاطلاق النار اذا ما اقتضت الظروف مثل هذا الوقف ، أو اذا كان هناك من المكاسب الدولية ما يمكن تحقيقه عن طريق مثل هـذا الوقف • كما ان ما أشرنا اليه سابقا من عدم امكان الاعتماد على الجهود الدولية وحدها فى اجبار اسرائيل على الانسحاب لا يعنى التقليل من أهمية الرأى العام الدولى ولا من أهمية وضرورة العمل المستمر على كسبه الى جانب قضيتنا العادلة وكفاحنا من أجل تحرير أرضنا المحتلة • **ولكن ما نؤكد عليه فقط هو ما سبق وأن أعلنه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وهو أن ما أخذ بالقوة لن يسترد بغير القوة • والقوة هنا لاتعنى بالضرورة تفوق ساحق للجيوش العربية فى خط المواجهة وحسب بل قوة البلاد العربية وخاصة مصر على احتمال كل الآثار التى يمكن أن ترتبها المعركة عليها** • ومفتاح هذه القدرة هو الوضوح الكامل لابعاد القضية ومتطلباتها لدى شـعبنا العربى بصفة عامة وشعبنا المصرى بصفة خاصة وتنظيم حشد كل طاقات شعبنا من أجل المعركة • ان هذا يتطلب توفير العلم الكامل والصحيح مجريات الامور لكل الشعب ، كما يقتضى توفير تنظيم وحشد كل الطاقات ليؤدى كل فرد دورا واضحا ومعلوما فى خدمة المعركة • ولا يتم ذلك الا خلال تنظيم سياسى قوى وفعال على اتصال عميق بكل القواعد الشعبية قادر على التفاعل معها ، وتوضيح الامور لها ، وتنظيم صـفوفها والتعبير الواضح عن ارادتها • ان مهمة مثل هذا التنظيم هو تحقيق المشاركة الشعبية فى القرارات الرئيسية التى تمس حياة أمتنا وليس مجـرد الحصول على تأييد الشعب لمثل هذه القرارات • ودون تحقيق هذا الشرط يصبح من المتعـذر استخدام وحشد كل الطاقات الضرورية من أجل النصر فى المعركة ، وبدونه أيضا يثقل عـبء التضحيات التى يحتمل أن تتعرض لها جماهير شعبنا فى حربهم الطويلة والقاسية مع عدو شرس متشبث بتحقيق أقصى ما يمكن تحقيقه من النصر الذى أحرزه .. هذا النصر الذى يعلم العدو تكراره فى المستقبل قد بات مستحيلا .



التعبئة الشعبية : خبرات وتجارب ثورية

• كوبا • ڤيتنام

• أنجولا • موزمبيق

• غينيا بيساو

■ **الحزب الشيوعى الكوبى**

■ السكرتير العام فيدل كاسترو

■ تكون الحزب نتيجة لاتحاد ثلاث منظمات :

● حركة ٢٦ يوليو [فيدل كاسترو]

● الحزب الاشتراكى الشعبى [الحزب الشيوعى]

● حركة ١٣ مارس [حركة الطلاب الثوريين]

■ اتحدت المنظمات الثلاث على أساس اعترافها جميعا بالنظرية الماركسية اللينينية كمرشد للعمل وعلى أساس بناء الاشتراكية على أرض كوبا

■ **الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية :**

■ رئيس الجبهة : نجوين هو تو

■ تأسست فى عام ١٩٦٠ على أساس برنامج من عشر نقط ، يهدف الى توحيد الشعب فى فيتنام الجنوبية للكفاح ضد الامبرياليين الامريكيين وعملائهم .

■ **حزب العمال الفيتنامى :**

■ سكرتير اول الحزب : لو ديوان

■ قام الرئيس الفيتنامى الشمالى هوشى منه وعديد من كبار المناضلين الفيتناميين بتاسيس هذا الحزب سنة ١٩٣٠ من ثلاث منظمات شيوعية كانت توجد بالهند الصينية

■ **الحركة الشعبية لتحرير انجولا (مبالا) :**

■ تأسست فى ديسمبر ١٩٥٦ من عدة تنظيمات يسارية مثل الحزب الشيوعى الانجولى ، وحزب النضال المتحد الافريقى لانجولا .

■ وضعت الحركة منذ قيامها برنامجا سياسيا ، يدعو للتحرر والديمقراطية والوحدة الوطنية ، كفل لها تعبئة أقسام عريضة من المثقفين والعمال والفلاحين والموظفين ، دون مراعاة للفوارق الدينية أو القبلية أو الاجتماعية .

■ **جبهة تحرير موزمبيق ((الفريليمو)) :**

■ سكرتير عام الجبهة : مارسلينو دوسانتوس .

■ تأسست فى يونيو ١٩٦٢ من ثلاثة منظمات هى : اتحاد موزمبيق الديمقراطى الوطنى ، والاتحاد الوطنى لموزمبيق المستقلة واتحاد موزمبيق الوطنى الافريقى .

[] كوبا []

مثل ملهم فى أمريكا اللاتينية

[] فيتنام []

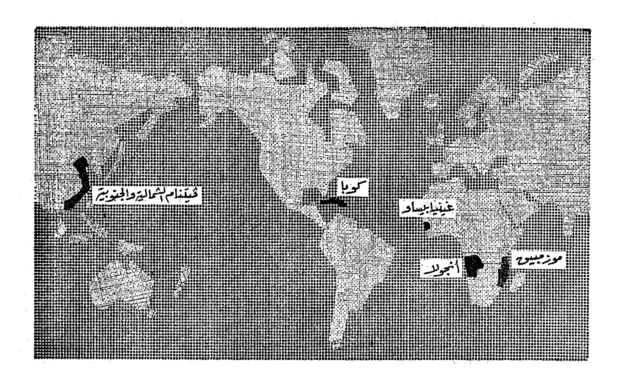
ذروة النضال الدموى
فى مواجهة أعتى قوى الامبريالية

[]تجارب من القارة الأفريقية[]

موزمبيق ـ انجولا ـ غينيا بيساو

اشترك فى اعداد الدراسة

د . رفعت السعيد سعد رحمى	كوبا
خيرى عزيز	فيتنام
كمال السيد	انجولا
حسين شعلان	موزمبيق
وديع وهيب	غينيا بيساو

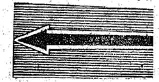


تخوض شعوب القارات الثلاث ــ آسيا وافريقياوأمريكا اللاتينية ـ نضالا بطوليا ضاريا ضد قوى الاستعمار العالمى ، الجديد والقديم ، وبأساليبه الحديثة والتقليدية ، وهو نضال يمثل بحق جبهة رئيسية وحاسمة فى معارك التصفية النهائية للامبريالية ونظامها الاستعمارى البغيض .

وعلى اتساع القارات الثلاث التى تضم أغلبسكان العالم ، ومع تعدد المعارك وأساليب الكفاح وميادين المواجهة ، تتجمع خبرات وتجارب ثمينةبالغة الخصوبة تلتقى فى آفاق عامة وأهداف عريضة واحدة ، وتتعدد فيها فى نفس الوقتأشكال النضال ومناهج العمــل وفقا للظروف التاريخية والموضوعية الخاصة بكل فصيلة منفصائل حركة التحرر الوطنى على النطــاق العالمى .

وفى عالم اليوم الذى تزول فيه ـ أو زالت فيهبالفعل ــ حواجز الزمن والمسافة ، لم يعد من المحتم أن تتوحد وتتلاقى جهود قوى التحــررالوطنى فحسب ، وانما أصبح من المحتم أيضا أن تنفتح هذه الحركات ، فى وعى وادراك ، علىتجارب بعضها البعض ، استفادة من الخبرات المتراكمة واستخلاصا لاسلم المناهج وأســاليبالنضال التى أثبتت تفوقها وفاعليتها فى مجال التطبيق العملى .

وعلى هذه الصفحات تعرض « الطليعة » نماذجمتفاوتة وأشكال متباينة من معارك التحرير على نطاق القارات الثلاث ، يمثل بعضها ـ كما هوالوضع فى تجربة كوبا ـ نضال شعب انتصرت ثورته بالفعل ويواصل الان مسيرته الظافرة فىمواجهة مهام البناء الداخلى والتحول الاجتماعى



الجذرى بكل تعقيدها ؟ وفى مواجهة محاولات الغزو المتكررة والتخريب من الداخل من جانب قوى الامبريالية العالمية ، ويمثل البعض الآخر ـ كما هو الحال فى فيتنام ـ ذروة الصدام السافر والمسلح بين قوى شعب يناضل ببسالة حفاظا على استقلاله وانجازاته التقدمية ومن أجل وحـدته القومية وبين قوى الغزو الامبريالى الامـريكى الغادر التى تحتل أجزاء من أراضيه، وتستند فى الجنوب الى حكم مجموعة من العملاء ٠ كما تطرح النماذج الثلاث التى نقدمها من القارة الافريقية ـ موزمبيق وغينيا بيساو وانجولا ـ اشكالا متميزة من الحركات الوطنية لبلاد تكافح شعوبها فى ظل أقسى درجات التخلف والحكم الاستعمارى المباشر والدموى ٠

على هذا النحو تتفاوت النماذج التى تقدمها هذه الدراسة فى الدرجة والشكل ، وفى طبيعة المعارك التى تخوضها وفى أساليب الكفاح التى تنهجها ، ولكنها مع هذا التفاوت تلتقى فى عديد من الجوانب التى تتأكد فى كل منها على حدة بشكل أو آخر ، مما يجعل من تواترها واشتراك كافة التجارب فى الاخذ بها تبريرا سليما وواقعيا لاعتبارها نوعا من القواعد العامة والمشتركة فى حركات التحرير المعاصرة ٠

فالى جانب هذا الالتقاء الموضوعى العام بين كل هذه الحركات فى الاهداف النهائية والذى يشكل منها جميعا ـ وبشكل موضوعى لا يقبل الجدل ـ تيارا ثوريا عالميا واحدا هو فى واقع الامر أحد السمات الرئيسية والبارزة لعصرنا الراهن ، الا انها تلتقى أيضا فى عديد من الجوانب التى يهمنا ابرازها فى هذا المدخل لدراستنا ، والتى سنلتقى بها فى كل تجربـة عـلى حدة ، متخـذة الشـكل والمنهاج الذى تفرضه الظروف وأوضاع كل تجربة على حدة ٠

● وأول ما تتميز به هذه الحركات جميعا هو أنه فى قلب كل منها فصيلة صدام رئيسية ، منظمة طليعية قائدة ، قد تكون حزبا وطنيا أوماركسيا أوشيوعيا ، أو تجمعا وطنيا ، ولكنها فى جميع الاحوال تنظيم قيادى صلب يمثل صمام الامان لاستمرار الحركة الثورية وثباتها ٠

● كما تتميز هذه الحركات جميعا بالمحاولات الجادة والمضنية لفصائل صدامها الرئيسية فى مجال الدراسة العلمية المتعمقة للواقع وصياغتها لمواقفها فى برامج وأهداف محددة يتم وضعها على أساس التحليل الواعى للظروف الـموضوعية والاوضاع والعلاقات الطبقية واكتشاف انسب أشكال التنظيم والعمل الثورى فى كافة المجالات ٠

● كما يفرض عصرنا الراهن الذى أصبحت الاشتراكية فيه هى المثل الملهم والمنارة المرشدة لكل الشعوب ، هذا الربط المحكم والطبيعى بين أهداف التحرر الوطنى وأهداف الثورة الاجتماعية ، ومنذ الخطوات المبكرة للنضال الوطنى ٠

● ومع كل أهمية هذه الجوانب جميعا ، تعنى دراستنا بالتركيز على جانب محدد فى هـذه التجارب ، يتمثل فى خبراتها فى مجال حشـد الجماهير وتعبئتها وتنظيمها وتحريكها فى اتجاه تحقيق أهدافها الثورية ٠ فالواقع ان كل تجارب حركات التحرير الناجحة والصامدة تؤكد أن مثل هذا الكفاح الناجح او الصامد لا يتحدد بوجود النواة الصلبة القادرة والواعية فحسب ، وانما يتحدد بالدرجة الاولى ـ وبدون اغفال لسـائر العوامل المتداخلة ـ على مدى نجاح فصـائل الصدام الطليعية فى التعبير عن واقعها ومصالح جماهيرها والتمكن من قيادتها على أسـاس الارتباط الوثيق بأوسع فئات الشعب صـاحبة المصلحة فى تحقيق أهداف المرحلة الثورية الراهنة فى كل بلد ٠

وعلى هذا النحو تمضى دراستنا على النهج التالى ٠ ٠ ٠

● أولا ـ كوبا : المثـل الملهـم فى أمريكا اللاتينية ٠

● ثانيا ـ فيتنام : ذروة النضال الدموى فى مواجهة أعتى القوى الامبريالية ٠

● ثالثا ـ تجارب من افريقيا : موزمبيق ـ أنجولا ـ غينيا بيساو ٠

أولا : كـــوبا

مثل ملهم فى أمـــريكا اللاتينيـــة

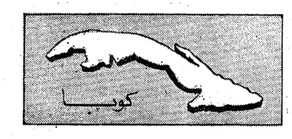
افسدت الثـورة الكوبيـة كل المخططـات الاستراتيجية للامبرياليـة الامريكية فى امريكا اللاتينية ، وفجأة شعر الامبرياليون الامريكيون أن نيران الثورة تشتعل قريبا جدا من خزائنهم ، وكان من الطبيعى أن تتوقع كوبا حربا ضارية ، وحصارا اقتصاديا مريرا ، وضغوطا من كل نوع ، وبالفعل جرب الامبرياليون كل ما فى جعبتهم من الغزو السافر الى جيوش المتسللين والمرتزقة الى عمليات التخريب الى اضطرابات تنظمهـا قوى الثـورة المضادة ، بالاضافة الى كل وسـائل التجسس والاختطاف والتهريب والتخريب ، وكل ما يمكن أن تحفل به جمعية المخابرات الامريكية .

ولم يكن أمام كوبا الا أن تتحصن خلف تجربة ثورية ورائعة تتمثل فى تعبئة كل قوى الشعب وتوحيدها فى مواجهة الغزو الامبريالى المتربص .

القلب النابض .. وحدة الطـلائع الثـورية أولا

وقد أدرك قادة الثورة الكوبية ان وحدة القوى الثـورية هى بالضرورة النواة الاساسية لاية محاولة لتوحيد الجماهير ،ومن ثم ، وبعد العدوان الامريكى الاول ، بدأ العمل لتوحيد المنظمـات الثورية الثلاث : حركة ٢٦ يوليو (فيدل كاسترو) والحـزب الاشـتراكى الشـعبى (الحزب الشيـوعى) ، وحـركة ١٣ مـارس (الطلاب الثوريين) .

لكن توحيد الطلائع الثورية لم يكن مسألة سهلة ولا مجرد عمل روتينى أو ادارى يتم من خـلال ادماج عدة منابر سياسية ــ علويا ــ فى منبر واحد ، وانما اتفقت المنظمات الثلاث منذ البداية على ارساء الاسس التى تكفل قيام وحدة ثورية



حقيقيـة ، فاتفق على أن تراث وتـاريخ الحزب الجديد هو مجموع تراث وتاريخ كل المنظمات الثورية المنتمية لهذا الحزب ، ودون هذا التاريخ كله فى كتاب واحد يتعين على كل عضو فى الحزب الجديد أن يدرسه ــ وحتى فى المسائل الشكلية ــ أو التى قد تبدو شكلية ــ روعيت مسألة الوحدة مراعاة دقيقة : فعندما بدأ الحزب مثلا فى تخليد ذكرى عدد من الشهداء اتفق على تخليد ذكرى أوليد أنطونيو ماير (شيوعى استشهد فى ١٩٢٩) وهاسوس منيدى (رئيس حركة عمال السكر الذى اسـتشهد فـى ١٩٤٦) ، وهـوستـانتو أنشيكاريا (رئيس اتحاد الطلبة الذى استشهد فى ١٩٥٣) ، وفرانسيس بايير (عضو حـركة ٢٦ يوليو الذى استشهد فى ١٩٥٣) .

أما مسألة العضوية فى الحزب الجديد وهى احدى المشاكل التى قد تثير بعض المشكلات فى حزب نتج عن اندماج تنظيمات سابقة ، فقد اتفق على أن تترك بالكامل لتحسمها الجماهير فى كل مؤسسة أوحى ، فالذين يرغبون فى عضوية الحزب الجديد يرشـحون أنفسهـم ، وفى اجتمـاع عـام يحضره المواطنون جميعا فى المؤسسة أو الحى تعرض الاسماء اسما اسما ويخضع الاختيـار النهائى لنقاش مفتوح ، يشارك فيـه جميـع الحـاضرين ، وعلى هذا النحو ، ووفقـا لقواعد اخرى ، أمكن ارساء القواعد الراسخة لتحقيق وحـدة حقيقية للطلائع الثورية ..

تعبئــة وتوحيد الحركة الجماهيرية
بعــد وحــدة الطليعـــة الثــورية

لكن توحيد الطليعة الثورية لم يكن سوى مقدمة ضرورية لتوحيد الجماهير • والحقيقة أن كوبا كانت تتعرض فى السنوات الاولى لنجاح الثورة لمؤامرات استعمارية بالغة العنف والضراوة ، كما واجهت مشكلات داخلية بالغة التعقيد • فقد تقرر تحطيم جهاز الدولة القديم تحطيما كاملا ، وحل الجيش الرجعى وازالته من الوجود،وكذلك الغاء البوليس وكافة أجهزة الامن السابقة كخطوة حتمية لضمان اقامة أجهزة ثورية بالفعل لتحل محل هذه الاجهزة التى عاشت كل حياتها فى خـدمة الاستعماريين والرجعيين ومعاداة الشعب وقهره • وهكذا أخذ وجه الحياة فى كوبا يتغير فى سرعة وحسم وعمق ، فكل قديم رجعى متخلف يزال من الوجود بلا تردد ، ليحل محله الجديد الثورى المتقدم ، حتى ولو كانت الكوادر والقيـادات الجديدة الموثوق بها أقل خبرة فنية أو كفاءة •

وعندما بلغ نشاط الثورة المضادة ذروة خطيرة فى ١٩٦٠ لـم يكن الجـيش (الجـديد) ولا البوليس (الجديد) ولا أجهزة الامن (الجديدة) بقادرة على مواجهة هذه القوى المعادية المدعومة من جانب المخابرات الامريكية ، خاصة وأن هذه الاجهزة كانت مطالبة فى نفس الوقت بالتأهب لمواجهة احتمالات الغزو الخارجى •

الجمـاهير تحمى الثـورة
لجـان الدفاع عن الثورة

هنا كانت الجماهير المنظمة المعبأة هى طوق النجاة وصمام الامان ، ومن ثم تطورت فكرة اللجوء الى الجماهير وضرورة الاعتماد الكامل عليها ، واذ أصبح على قوى الجيش وأجهزة الامن أن تركز جهدها كله لحماية الوطن ضد أى عدوان من الخارج ، فقد وضعت بين أيدى الجماهير ــ القادرة والمؤتمنة ــ المهمة النبيلة والشاقة لحماية الثورة من الداخل •

وفى ٢٨ سبتمبر ١٩٥٨ ، عندما انفجرت القنابل فجأة فى الاجتماع الجماهيرى الذى كان فيدل كاسترو يلقى فيه خطابه بعد عودته من اجتماعات الدورة الخامسة عشرة للامم المتحدة ، وفى اللحظة التى انفجرت فيها أيضا صيحات الجماهير الملتهبة بـالحقد علـى أعـداء الوطـن والمخـربين مطالبة « بالثار » هنا ، فى هذه اللحظة على وجه التحديد أعلن كاسترو تشكيل « لجان الدفاع عن الثورة » •

وفى الحال ، تكونت مجموعات من الكوادر لتتولى حشد وتعبئة الجماهير ، لتقف درعا صلدا فى مواجهة الثورة المضادة ، ومن خلال الممارسة اليومية والنضال الفعال ضد تحركات القـوى المضادة تبلورت «لجان الدفاع عن الثورة» وبدأت تشق طريقها الى الوجود • وعندما كانت الرجعية تحــرك مظاهراتها ، كانت « لجان الدفاع عن الثورة » تتصدى لها على الفور : اذا حشدت الرجعية ١٠٠٠ شخص حشــدت اللجـان فى مـواجهتهم ١٠٠٠ شـخص ، وتبـدأ المعـركة بالمناقشات ، حشد فى مقابل حشد ، يتناقشون ويتجادلون ، فالهدف هو عزل القوى المضادة عن الجماهير وتعريتها وحرمانها من أى نصير بين صفوف الشعب • وبعد أن يطمئن قادة الحشد الثورى الى أن محرضى التجمعات الواقعة تحت التأثير الرجعى قدتكشفوا سياسيا تبدأ معركةفض من تبقى من فلول التحرك الرجعى بالقوة،بالضرب بالايدى واللكمات والاحذية ، ولكن دون استخدام السلاح على الاطلاق ، ودون أن يتدخل البوليس ، وانما فقط ، الشعب فى مواجهة الرجعية •

ومن خلال النجاح فى مقاومة القوى المعادية بدأت « لجان الدفاع عن الثورة » تتأسس وتنتشر فى كل حى بل وفى الشوارع والمبانى الكبيرة ، وفى المدارس والمصانع ، وحتى فى بعض المنازل •

وكانت نقطة البداية لنشاط هذه اللجان الثورية هى دراسة المجال الذى تعمل فيه دراسة دقيقة وتفصيلية وتجميع المعلومات بهدف خلق نظـام جماهيرى وثورى للامن • فأعضاء اللجان يدرسون كل شخص : اسمه وعمله واتجاهاته وميوله ، كما يدرسون حالة كل وافد جديد . وهكذا حصرت كافة علاقات القوى المضادة ورصدت تحركاتها •

وفى الفترة من سبتمبر ١٩٦٠ حتى أبـريل ١٩٦١ ــ أى قبيل الهجوم على خليج الخنازير ــ كانت قد تكونت ٨٠٠٠ لجنة ، ثم جاء يوم ١٦ أبريل ليحدد بداية انطلاقة جديدة لعمل هذه اللجان الثورية . لقد استفزت وحشية الغارات الامريكية على كوبا مشاعر الجمـاهير والهبت حقـدها وحماسـها ضد أعداء الوطن ، وخرجت الجموع الغاضبة لتشيع جنازات شهداء الغارات ، وعلى

الحشود المتجمعة فى الجنازات اعلن فيدل كاسترو ، ومن داخل لهيب المعركة المضطرمة « الطبيعة الاشتراكية للثورة» دعا الجماهير للدفاع عن ثورتها الاشتراكية » .

وفى ١٧ أبريل أصدر كاسترو أمرا يوميا للمليشيا والجيش بالقضاء التام على المعتدين فى خليج الخنازير ، الى « لجان الدفاع عن الثورة » لحماية الجبهة الداخلية عن طريق شل وتعقب نشاط القوى المعادية • وكان المعتدون قد رتبوا حساباتهم الواهمة على أساس تحرك قوى الثورة المضادة فور الهجوم على خليج الخنازير ، ولكن الـ ٨٠٠٠ لجنة تحركت فى سرعة خاطفة : فتم حصار كل شخص مشكوك فى ولائه للثورة داخل منزله ومنع من مغادرته ، وكل العناصر التى كان من المحتمل أن تستدرج للاشتراك فى أى تحرك رجعى جرت مناقشتها سياسيا ووضعت تحت المراقبة الدقيقة ، وهكذا شلت يد الرجعية شللا تاما ولم تستطع أن تتحرك طوال فترة الغزو •

ومنذ ذلك اليوم تفتحت الافاق أمام انطلاق وتطور « لجان الدفاع عن الثورة » ، واتساع مجالات عملها الثورى ، وفى ٥ اغسطس ١٩٦١ بلغ عددها ١٠٠ر٠٠٠ لجنة ، ثم وصل عددها الى ١١١ر٢٠٠ لجنة بعد ذلك، فاذا كانت مساحة كوبا ١١٠ر٠٠٠ ك ٢٥٠ م فان ذلك يعنى أن هناك لجنة ثورية فى كل كيلو متر مربع أو أقل .

لجان الدفاع عن الثورة

حشد شعبى حقيقى

يبلغ عدد سكان كوبا قرابة الثمانية ملايين ، منهم حوالى خمسة ملايين تزيد سنهم على ١٥ سنة ، ومن بين هذه الملايين الخمسة نجد أن ثلاثة ملايين أعضاء فى « لجان الدفاع عن الثورة » نصفهم تقريبا من النساء — فنساء كوبا يتدفقن حماسا لنشاط هذه اللجان ، وعندما يشاركن فى نشاطها وفى حراسة المؤسسات وفى العمل التطوعى وفى مختلف اوجه النشاط يضفين على عمل ونضال هذه اللجان جوا رائعا من الحماس الدافق .

ومنذ البداية ادركت قيادة الثورة الكوبية أن العمال الصناعيين والزراعيين هم الدرع الاساسى الذى يمكن للثورة أن تجد فى أحضانه الحماية الحقيقة ، ومن هنا انعكس هذا الادراك فى التركيب الاجتماعى للجان الدفاع عن الثورة الذى يتمثل على النحو التالى :

— ٦٧ فى المائة عمال زراعيين وصناعيين •
— ١١ فى المائة فلاحين •
— ١٦ فى المائة ربات منازل •
— ٦ فى المائة طلاب ومهنيين وفئات اخرى •

كذلك كان هناك تخطيطا واعيا يستهدف حشد الشباب بكل طاقاته المبدعة والخلاقة فنجد أن ٣٦ فى المائة من الاعضاء تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين •

النضال الاكبر ••

معارك البناء الداخلى

ومنذ اليوم الاول لنجاح الثورة الكوبية كان من الواضح أمام قيادتها الثورية أن التدعيم الحقيقى للثورة انما هو فى الاستمرار بها حية أبدا متجددة على الدوام منطلقة نحو انجاز المهام الاساسية للتحويل الاجتماعى وتحقيق الاصلاحات الاقتصادية الجذرية على طريق الاشتراكية .

وان كان الكفاح الوطنى قد استلزم ، وما يزال حشد وتعبئة جميع القوى الوطنية فى البلاد وهو الامر الذى حققته الثورة الكوبية بنجاح انطلاقا من توحيد قوة الطليعة فى حزب واحد وحتى انتشار « لجان الدفاع عن الثورة » الا أن مهام البناء الداخلى بما تطرحه من قضايا بالغة التعقيد ، وبما تثيره من تناقضات طبقية من نوع جديد ، تجعل من مهمة حشد وتعبئة الجماهير مهمة ملحة وحاسمة ، فبالنسبة للثورة الكوبية — ولكل ثورة — ربما لا يمثل النصر السياسى ووصول الطلائع الثورية الى مراكز السلطة سواء مرحلة من النضال فحسب — بل وربما كانت أقلها تعقيدا ، بينما يبقى النضال الاكبر متمثلا فى معارك البناء الداخلى ، ويزداد الوضع تعقيدا فى بلد مثل كوبا تفرض الاوضاع عليه أن يعيد بناء بلاده وهو تحت التهديد الحقيقى والمستمر بالغزو من الخارج ، الامر الذى يستنزف قدرا كبيرا من الطاقة والامكانيات والجهد البشرى •

يد تحمل السلاح

ويد تبنى المجتمع الجديد

ولقد أثبتت « لجان الدفاع عن الثورة » أنها

ليست أجهزة صالحة وناجحة للكفاح الوطنى فحسب ، ولادارة المعارك السياسية وحدها ، بل سرعان ما كشفت هذه اللجان عن اهميتها الفائقة فى عمليات البناء الداخلى ، وخاصة عندما يقترن هذا البناء بمحاولات للتخريب من جانب الاستعماريين وقوى الثورة المضادة •

ومع تطور وانتشار « لجان الدفاع عن الثورة » انتشرت لجانها القاعدية فى كل مكان ، وفى بعض الاحيان ـ كما ذكرنا ـ أصبحت هناك لجان فى الشوارع بل واحيانا فى المساكن ، وتشرف على هذه اللجان القاعدية لجنة الحى ـ وقد بلغ عدد لجان الاحياء ٥٦٠٠ لجنة ـ تشرف كل منها على عدد يتراوح بين ٢٠ ، ٢٥ لجنة قاعدية •

هذا وتضم لجنة الحى من ١٢ ـ ٢٠ عضوا ، ليس فيهم متفرغين ، فتجربة لجان الدفاع عن الثورة تقوم على أساس العمل التطوعى تحت شعار « ثمانى ساعات عمل ثم النشاط السياسى » •

وفوق لجان الاحياء توجد ٢٤٠ لجنة منطقة ، ثم ٦ لجان محافظات •

وبالاضافة الى هذا التسلسل القيادى الهرمى هناك تشكيل هرمى آخر : فاللجان تتولى القيام بأربع عشرة مسئولية ، هى : التنظيم ـ المالية ـ الدعاية ـ النظافة ـ السلام والتضامن مع الشعوب ـ الاطفال ـ حماية الثروة العامة والمساكن ـ النشاط الايديولوجى ـ التعليم ـ الصحة العامة ـ العمل التطوعى ـ المراقبة والنظام العام ـ الرياضة والترفيه •

وفى كل مستوى قيادى فى التنظيم الخاص باللجان يوجد مسئول نوعى عن أحد هذه النشاطات يمارس نشاطه من خلال ما يسمى «جبهة العمل» ، فاذا اخذنا الصحة كمثال ، نجد أن هناك لجنة ذات اتصال رأسى ومباشر عبر كل مستويات التنظيم تسمى «لجنة الصحة» تعمل فى تعاون مع وزارة الصحة ، هذا وتنقسم « جبهة العمل فى مجال الصحة » الى ٧٠ فرعا منها مثلا رعاية المرافق الصحية ، والنظافة العامة ، والنظافة الخاصة ، ومقاومة الحشرات الضارة ، وردم البرك ، وحل مشاكل المجارى ، والتطعيم ضد الامراض •• الخ •

وكمثال أيضا على ما أمكن « لجبهات العمل » هذه أن تنهض به من مسئوليات نضرب المثل « بجبهة العمل فى مجال الصحة » . ففى خلال عام ٦٢ ـ ١٩٦٣ كان اعداء الثورة قد روجوا الشائعات عن أن المصل السوفيتى لشلل الاطفال ضار بالصحة ، ويؤدى الى اصابة الاطفال بعاهات • هنا بدأت جبهة العمل نشاطها الثورى وسط الجماهير ، ويدل تطور الارقام على مدى تطور ونجاح النشاط الذى قامت به جبهة العمل فى مجال الصحة •

ـ ففى عام ١٩٦٢ تم تطعيم ٢ر١٨٧ر٨٥٥ طفلا فى عشرة أيام •

ـ وفى عام ١٩٦٣ تم تطعيم ٢ر٢٤٨ر٧٥٠ طفلا فى ستة أيام •

ـ وفى عام ١٩٦٤ تم تطعيم ٢ر٣٨٠ر٤٦٢ طفلا فى يوم واحد •

أما فى عام ١٩٦٥ حيث تولت « جبهة العمل فى مجال الصحة » المسئولية الكاملة للاشراف على التطعيم ، فقد تمت عملية تطعيم جميع الاطفال فى ساعة واحدة من السابعة حتى الثامنة صباحا • ولقد كان هذا النجاح الساحق نتيجة طبيعية لجهد سياسى ، واعلامى واسع ، شاركت فيه « لجان الدفاع عن الثورة » تحت اشراف جبهة العمل ، فقد تم مثلا عقد ٤٨٩ر٧٨٠ اجتماعا جماهيريا حضرها ٧ر٤٩٦ر١١٦ شخصا لمناقشة مسألة التطعيم وأهميته •

ونقدم مثلا آخر من نشاط « جبهة العمل الايديولوجى » : قامت هذه اللجنة بانشاء ٣٠٠٠ مدرسة ليلية تعمل ثلاثة أيام فى الاسبوع تتم الدراسة فيها تحت شعار « ثمانية ساعات عمل ثم النشاط السياسى » ـ ومن ثم فان مدارس التوعية الاشتراكية تصل ليلا وتبدأ الدراسة فى الثامنة مساء وتستمر حتى الحادية عشرة ، وتستمر الدورة الدراسية خمسة اشهر يدرس الطالب خلالها النظرية الاشتراكية ، والتطبيقات الاشتراكية العملية ، وأسس الاشتراكية الكوبية ، ودفاع كاسترو أمام المحكمة • وهناك دورتان دراسيتان كل عام ، يحضر كل منها ٤٢ر٠٠٠ طالب • وفوق كل ذلك هناك أيضا ٦٢ر٠٠٠ حلقة دراسية تنعقد مرة أومرتين كل شهر لشرح تطورات الموقف السياسى مع بعض المحاضرات النظرية المبسطة ، ويحضر هذه الحلقات ٧٠٠ر٠٠٠ شخص كل عام •

الاجتماعات الجماهيرية الموسعة

ممارسة حية للديمقراطية

وتميز النشاط الثورى فى كوبا فى مجال حشد وتعبئة الجماهير الشعبية فى اتجاه التصدى لمهام البناء الداخلى بتقليد ديمقراطى أصيل • فما من مشكلة تواجه البلاد أو مشروع هو بصدد البدء فى التنفيذ او تشريع هو مقبل على الصدور الا

ويطرح للمناقشة الجماهيرية الواسعة ، وعلى كل المستويات من القاعدة الى القمة ، بحيث يأتي القرار الاخير ثمرة للمشاركة الشعبية الجماعية،الامر الذى يتيح للقضايا العامة حماسا دافقا فى التنفيذ ينتج من احساس كل مواطن بأنه قد ساهم بالفعل فيما يلتزم به من مواقف ، ومن ثم يتحقق أعلى مستوى ممكن من الاحساس بالمسئولية العامة ، والموقف الايجابى تجاه المجتمع • وعن هذه الاجتماعات يقول فيدل كاسترو « ان مثل هذه الاجتماعات لن تأتى بالحل السحرى للمشاكل المتعددة التى تواجهنا ، ولكننا نؤمن أنها تمثل الطريق السليم والمناسب لمواجهة قضايانا • انها تنقلنا الى عالم الواقع وتخلق لدينا الادراك والوعى بمشاكلنا ، وتقدم لنا الصورة الحقيقية والشاملة لهذه المشاكل ، وفى نفس الوقت تفتح أمامنا أرحب الافاق للتوصل الى افضل الحلول » •

وعندما تطرح القضايا المختلفة على أوسع الجماهير الشعبية على هذا النحو ، تدور المناقشات وفقا للشعار الذى حددته القيادة الثورية « البحث عن أفضل الحلول الممكنة ، على أساس الامكانيات التى يتيحها المستوى الراهن للانتاج ، وعلى أساس الواقع الفعلى فى جوانب التقدم التكنولوجى والفنى والموارد المالية » •

وقد أثبتت المناقشات الجماهيرية أنها مدرسة حقيقة للطبقة العاملة والجماهير بل ولاعضاء الحزب والقادة الاداريين أيضا ، انتقلت بهم — كما يقول فيدل كاسترو — « من عالم الخيال والتجريد الى وقائع الحقائق الصلدة » •

وعندما واجهت الثورة الكوبية مشكلة « الانقطاع عن العمل » وكادت أن تتحول الى ظاهرة واسعة الانتشار (نتيجة لتوفر المدخرات لدى الافراد وتحديد الاستهلاك فى نفس الوقت) ضغطت الجماهير والمنظمات النقابية مطالبة باصدار تشريع لمواجهة هذه الافة الاجتماعية قبل استفحالها ، وهنا كان موقف القيادة الثورية بالغ الدلالة : لقد رفضت فرض التشريع المطلوب كقرار علوى من الدولة • وطرحت مشروعا للمناقشة فى هذه الاجتماعات الجماهيرية المنظمة على نطاق البلاد جميعا ، ومن مجموع المناقشات والنتائج التى تنتهى اليها الجماهير تتم الصياغة النهائية للتشريع المطلوب .

ولعل أروع ما يمثله هذا الاسلوب الرائد فى حشد وتعبئة الجماهير — الى جانب ما يحققه من نجاحات مباشرة فى اتجاه حل المشاكل المطروحة — هو أنه يحقق بالفعل ما تهدف اليه القيادة الثورية من خلق أوثق الروابط بالجماهير ، وتكشف أفضل أساليب العمل التى تمكن كل مواطن ، أيا كان موقعه ، من أن يشعر بواجباته الاجتماعية العامة والتزامه نحو الوطن ، وان تثير الاهتمام الجدى بالقضايا العامة والمشاركة الايجابية فى انجاز المهام الجديدة •

التنظيمات المحلية والحلول الذاتية

ولعل من أحدث التجارب التى توصلت اليها الثورة الكوبية هى تلك التى تعرض لها فيدل كاسترو فى أحد خطبه فى ديسمبر ١٩٧٠ ، والخاصة بالتنظيمات المحلية وتنظيمات المدن والاحياء • فهناك عديد من مشاكل البناء الداخلى ذات الطابع المحلى ، والتى لا يمكن أن يلقى على عاتق الاجهزة المركزية مهمة التصدى لها ، دراسة أو تنفيذا . ان مثل هذا النهج — بالاضافة الى فداحة ما يحمله للدولة من أعباء فوق طاقتها الفعلية — منهج عاجز عن التوصل الى اسلم الحلول ، بالاضافة الى ما يربى عليه الجماهير من اتكالية وسلبية ، وانتظار الفرج بقرار يصدر من أعلى » ، ومن ثم طرحت القيادة الكوبية الثورية اهمية خلق اشكال جديدة من التنظيم الشعبى داخل المقاطعات والمدن والاحياء عليها أن تنهض بشكل كامل بكل أعباء البناء الجديد فى مجالها والاشراف بالكامل على ما يقدم فى مجالها هذا من خدمات ، ومن ثم تتفرغ أجهزة الدولة المركزية لدورها السياسى القيادى،أو القضايا ذات الطابع القومى العام •

ويكمن فى خلفية هذا التصور الثورى لاساليب العمل وممارسة المسئولية مفهوم جرىء ومحدد لمعنى الدولة الثورية ، انها ليست جهازا علويا « يسوق » الجماهير — حتى ولو كان ذلك فى اتجاه الجنة الموعودة • وانما هى قبل كل شىء سلسلة من المهام والالتزامات التى تشمل جميع نواحى الحياة ، ولكنها فى نفس الوقت مهام والتزامات موزعة على الجميع ، كل فى موقعه •

لقد انتهت الثورة الكوبية فى تجربتها التنظيمية الى أن الاجهزة المركزية ينبغى أن تختص بالقضايا ذات الطابع القومى العام ، والتى لا يمكن — بطبيعتها — أن تواجه وأن تدرس الا من قبل الاجهزة صاحبة النظرة الشاملة ، أما بالنسبة لتنظيمات المحافظات والمدن والاحياء ، فيجب أن تنتقل اليها مباشرة ، وبشكل كامل — مهمة الحكم والادارة والانتاج والخدمات فى مجالها فهى أقدر على فهم واقعها ، وأقدر على تكشف أنسب الاساليب والحلول لحل مشاكلها •

وهكذا — فكما قلنا — تصبح الدولة فى المفهوم الجديد لكوبا الثورة ، مجموعة متكاملة متشابكة من المهام والواجبات ، بعضها مركزى بطبيعته تتولاه سلطات الحكم المركزية ، بينما تمثل الاغلبية الساحقة منها مهاما وواجبات لا يمكن أن تضطلع

بها بنجاح الا أوسع الجماهير الشعبية المنظمة حيث تعمل وتنتج : فى قراها ومدنها وأحيائها •
وهكذا ، ففى القلب من الثورة الكوبية حزب قائد ، يشق طريقه الحافل بالمشاق والمهام الصعبة والنبيلة فى ارتباط وثيق بأوسع الجماهير كالضمان الوحيد ليس فقط لاستمرار الثورة ، وانجاز مهام بناء المجتمع الجديد ، وانما لتثبيت الثورة ذاتها وضمان صمودها •

ثانيا : فيتنـــام

ذروة النضـــال الدموى فى مواجهـــة أعتى قـــــوى الامبرياليـــــة



١ ـ التعبئة من أجل التحرر الوطنى فى فيتنام الجنوبية

يتمثل مفتاح فهم قضية التعبئة فى فيتنام فى فهم طبيعة الثورة الفيتنامية نفسها وطبيعة قيادتها الطبقية ، وموقف هذه القيادة من الجماهـــير الشعبية ونظرتها اليها • ومع اختلاف الاوضاع فى جنوب فيتنام عنها فى شمالها الا أن المنهج الكفاحى الثورى يكاد يكون واحدا فيهما معا لانهما يستخدمان فى الحقيقة أسلوب « حرب الشعب من أجل التحرر الوطنى فى الجنوب والمرتبط بالدفاع عن النظام الاشتراكى فى الشمال » •

التحديد السليم للاهداف الاستراتيجية

تقوم استراتيجية « الجبهة الوطنية لتحـرير فيتنام الجنوبية » على أساس تعبئة الشعب بأسره للكفاح ضد العدوان الاجنبى ، وعلى أساس تحديد الاتجاه والاهداف الاستراتيجية العـامة بشكل سليم ، ثم تحديد الاتجاه والاهداف المحددة فى كل مرحلة بشكل سليم أيضا • ويرتبط هذا التحديد أيضا بالسعى لتكشف أفضل الطرق وأجـداها لالحاق الهزيمة بالعدو • فالبسالة وحدها لا تكفى لاحراز النصر ، وانما يمثل منهج العمل الثورى علما وفنا فى نفس الوقت ، يتعين أن يستجيب تماما لمتطلبات الموقف ، وان يسمح بتعبئة كل الفئات الوطنية الى أقصى حد ، ويؤدى الى أفضل استغلال لنقط ضعف العدو •

كذلك تؤمن الجبهة الوطنية لتحرير فيتنـــام الجنوبية بأن الثورة ونضال التحرر الوطنى انما هى من عمل الجماهير الواسعة ، وأن تعبئـــة وتجميع قوى هذه الجماهير ، وتكوين وتنميـــة الجيش السياسى للثورة ، انما هى مسألة أساسية وحاسمة ينبغى أن يتم فى كافة الظروف ، المواتية وغير المواتية •

واذ تؤمن الجبهة الوطنيـــة لتحرير فيتنـــام الجنوبية أن مهامها الاساسية انما تتحقق عن طريق قيام أوسع وحدة وطنية ممكنة ، فهى تعمل من ناحية على دعوة كل القوى والاشخاص الذين

يتصدون للمعتدين الامريكيين الى الانضمام اليها ، كما تدعو فى نفس الوقت جميع القوى التى لا تستطيع ـ لسبب أو آخر ـ الانضمام اليها ، الى تنسيق الاعمال المشتركة معها ضد المعتدين .

وفى نفس الوقت الذى تدعو فيه الجبهة جميع الفئات فى المناطق المحررة الى الاتحاد واقامة الانظمة المحلية للسيطرة الشعبية ، وانشاء السلطة الوطنية الديمقراطية على المستوى المحلى ، فهى تسعى فى المدن والقرى التى لاتزال تحت السيطرة المؤقتة للعدو الى تنسيق الجهود معها من أجل تحطيم قبضة المعتدين وعملائهم ، واستعادة الحريات الديمقراطية والسيادة الوطنية وتحقيق حياة أفضل ، ومن أجل معارضة الانخراط فى الجيش العميل ومعارضة الثقافة الانحلالية الذرية .

شرح الموقف لكل فرد

واستنادا الى سياسة الوحدة الوطنية الواسعة المرتكزة على القاعدة الصلبة لوحدة وتضامن العمال والفلاحين تعبىء الجبهة الشعب والقوات المسلحة لتحقيق شعار « كل شىء من أجل الخط الامامى ، كل شىء من أجل النصر » . ومن أجل تحقيق هذا الهدف تعمل كوادر الجبهة يوميا وسط الجماهير وتوثق من ارتباطها بها فى كل مكان ـ حتى داخل منظمات العدو ـ لشرح الموقف بوضوح لكل فرد ، وبحيث يصبح كل فرد على ادراك ووعى واضح بالموقف . كذلك تقوم الاجهزة التابعة لقيادة الجبهة ـ على كافة مستوياتها ـ بدراسة موقف العدو عن قرب من جميع جوانبه ومن ثم تحدد الشعارات المناسبة لجذب وتعبئة الجماهير وضمها للكفاح .

التعبير عن مصالح أوسع الجماهير

وفى نفس الوقت الذى تعمل فيه الجبهة الوطنية من أجل التعبئة والتربية السياسية والنضال الوطنى المسلح ، فهى تعمل من أجل تحسين معيشة الشعب العامل تدريجيا وبخاصة من أجل الحفاظ على الحقوق الوطنية والديموقراطية وسائر المكاسب التى انتزعها الشعب فى مرحلة المقاومة ضد المستعمرين الفرنسيين .

١ ـ فبالنسبة للفلاحين ينص البرنامج على تحقيق اصلاح زراعى ثورى .

٢ ـ وبالنسبة للعمال والكادحين والموظفين المدنيين ، يولى برنامج الجبهة اهتماما خاصا لمستوى معيشتهم وضمان مشاركتهم فى ادارة المؤسسات ، وتوفير كافة الضمانات التى تؤمن حياتهم وفقا لارقى من أنجزه كفاح الطبقة العاملة العالمية من مستويات .

٣ ـ وأما الرأسمالية الوطنية فينص برنامج الجبهة على تشجيعهم وحمايتهم فى قطاعى الصناعة والتجارة وانتهاج سياسة مرنة معهم تحشد جهودهم من أجل المساهمة فى عملية البناء الوطنى ، وتكفل حماية وتطوير المنتجات الوطنية مع تطبيق سياسة ضرائبية عادلة .

٤ ـ وتدرك الجبهة حق الادراك الدور الكبير الذى تلعبه المرأة فى معركة التحرير ولذلك تعمل بكل جهودها لتعبئها فى المعركة بتحقيق مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة فى كافة المجالات ، واعطاء أهمية فائقة لرفع المستوى السياسى والثقافى والمهنى للنساء مع الاهتمام بتقاليد المرأة والثقافى والمهنى للنساء مع الاهتمام بتقاليد المرأة الفيتنامية فى البطولة والصمود والاخلاص والمقدرة على تحمل المسئوليات . كما يكفل البرنامج حماية الامهات والاطفال ، وبشكل عام يقفز برنامج الجبهة بالمرأة الفيتنامية الى المستوى الجدير بالمرأة فى القرن العشرين .

٥ ـ كذلك يعترف برنامج الجبهة بالحقوق المشروعة للاقليات القومية ليقضى على سياسة التفرقة الرجعية أو الدمج الجبرى للقوميات ، كما ينص على تنفيذ سياسة زراعية تستهدف تحقيق مصالح الفلاحين فى مناطق الاقليات .

حرية العقيدة والمساواة

بين الجماعات الدينية المختلفة

وتعنى الجبهة عناية فائقة باحترام حرية العقيدة وتحقيق الوحدة والمساواة بين مختلف الجماعات الدينية ، ملتفتة فى يقظة تامة لدور بعض الادعياء الذين يستخدمهم الامبرياليون تحت شعار الدين لاعاقة تقدم نضال الشعب ضد العدوان وبذر بذور التفرقة بين المؤمنين وغير المؤمنين وبين الجماعات الدينية المختلفة ، وتتبع الجبهة بكل دقة سياسة المحافظة على المعابد البوذية والكنائس والاماكن المقدسة وكل دور العبادة ، كما ينص برنامجها على عدم التحيز لعقيدة دون أخرى وعلى الوحدة بين معتنقى مختلف الديانات من أجل توحيد الامة كلها فى الكفاح ضد العدوان الامبريالى وعملائه .

حتى جنود وضباط الجيش العميل

تبذل الجبهة كل جهد لجذب هؤلاء الجنود والضباط الى الكفاح التحررى وضمهم الى صفوف

القوى الوطنية وترحب فى برنامجها بعودتهم الى صفوف الشعب وتهيىء لهم أنسب الظروف لتمكنهم من ذلك مقدمة لهم كل الفرص ــ اذا رغبوا ــ فى العمل فى السلك الحكومى ، ومعاملتهم ــ عند العودة الى صفوف الثورة ــ على قدم المساواة مع بقية أفراد الجيش . وأما اذا وجدت جماعات وأفراد ، تهجن الجيش العميل وتود المحافظة على استقلالها فى نفس الوقت ، فهنا تتخذ الجبهة موقفا وطنيا توحيديا مرنا معلنة استعدادها للقاء معهم فى أعمال مشتركة ضد العدو .

وحتى الذين سبق لهم ارتكاب الجرائم فى حق الشعب ثم تابوا ، فان الجبهة تفتح لهم أبواب التكفير عن ذنوبهم ، ليس ذلك فحسب ، بل ان الجبهة تعمل على مساعدة رجال الجيش العميل الذين أصيبوا بعاهات .

فهم الالتزامات والمصالح ضرورة

تنتهز الجبهة كل المناسبات لزيادة وعى الشعب وتعبئته فى المنظمات الجماهيرية بكافة الاشكال الملائمة . وفى ظل أشد السنوات ظلاما (١٩٥٧ــ١٩٥٩) استطاعت القوى الثورية أن تبتكر أشكالا تنظيمية غاية فى التنوع والاتساع والمرونة من أجل استخدامها فى الكفاح وتطويرها الى أشكال أرقى وتربية الجماهير من خلال ذلك وتوسيع صفوف الثورة .

ولكى يتخذ الشعب موقفا سليما ، كانت نقطة الانطلاق هى أن يتفهم التزاماته ومصالحه الراهنة وفى المستقبل . ومن أجل انجاز هذه المهمة كان على الجبهة أن تقوم بتثقيف الجماهير بكافة الاشكال ، وأن ترفع ــ بالتدريج ــ من مستوى الدراسة والمعلومات العامة عن المجتمع والطبيعة والحياة والكفاح ، فى كل مكان ، فى المدرسة والمصنع والحقل ، وفى مناطق التدريب ، مع الربط بين الكفاح والانتاج ، وربطهما معا ــ الكفاح والانتاج ــ بالدراسة والثقافة العامة والثقافة السياسية .

ان كل الجهود تركز من أجل خلق انسان جديد ، يسير على هدى مبدأ جديد ، يكرس نفسه من أجل الشعب وقضية تحرره ، ومن أجل بناء البلاد فى المستقبل .

الشعب المنظم أقوى ألف مرة

تتعدد التنظيمات الجماهيرية لحشد الجماهير ، فمن منظمة الفلاحين واتحادات النقابات واتحادات النساء والشباب والطلبة (وهى منظمات نوعية) الى مجموعات كرة القدم وتنظيمات المساعدة الاجتماعية (وهى منظمات حسب نوع العمل) الى منظمات بوذية أو مسيحية ، أو منظمات اقليمية فى المناطق والقرى والاحياء ، وينضم كل مواطن ــ وبشكل اختيارى ــ الى التنظيم الملائم لاسلوب حياته ، كل هذا بهدف واحد ، هو تعبئة طاقات الامة كلها للكفاح من أجل الاستقلال والحرية والكرامة الانسانية .

وبتجميع الشعب فى التنظيمات الجماهيرية تخلق الجبهة الظروف الملائمة لتعليمه وتثقيفه ، وعن طريق هذه التنظيمات ، تتعرف الجبهة على أمانى الشعب وآرائه من أجل تحديد اسلم التوجيهات والمواقف .

ان الشعب المنظم قوة لا تقهر ، وهو أقوى ألف مرة من الشعب غير المنظم ، وتجربة الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية تثبت ان القوى الثورية التى يتصلب عودها فى الكفاح ، هى التى تنمو بشكل أكثر اتساعا وقوة ، وتخلق القاعدة الصلبة من أجل التقدم نحو النصر النهائى .

٢ ــ التعبئة من أجل الدفاع عن النظام الاشتراكى فى فيتنام الديمقراطية

يمثل حزب العمال الفيتنامى الحاكم (الحزب الشيوعى الفيتنامى) بجدارة واستحقاق ، قلب وروح الحركة الثورية ، واليه والى قيادته الحكيمة وعلى رأسها « هوشى منه » ترجع كافة النجاحات المجيدة التى حققها الشعب الفيتنامى ، عبر حربين مريرتين للمقاومة ضد الامبريالية الفرنسية ثم الامريكية ، ومن خلال ثورتيه الوطنية الديموقراطية الشعبية ، ثم الاشتراكية .

وتعبر هذه الانتصارات جميعا عن حقيقة بسيطة هى مدى ما يمكن أن يتحقق لشعب صغير ــ فى مواجهة أعتى الاعداء ــ عندما يتوفر الحزب القائد ، ويتعمق التلاحم بينه وبين الجماهير ، على أساس خط سليم وتعبئة شعبية ناجحة .

ان نقطة الانطلاق فى كل انجازات الشعب الفيتنامى فى الشمال انما هى الخط السليم للحزب . واذا كان حزب العمال الفيتنامى (الحزب الشيوعى) قد استطاع ان يضع خطا سياسيا سليما فى كافة مراحل النضال ، وان يقود الثورة الفيتنامية من نصر الى نصر ، فان ذلك لم يتحقق الا لانه التزم بحزم بمواقف الطبقة العاملة ، والتزم بالماركسية اللينينية ، النظرية الثورية للطبقة العاملة . كذلك كان جذب الفلاحين ــ الذين يشكلون الاغلبية

العظمى من السكان ـ الى جانب الطبقة العاملة القائدة، واقامة كتلة التحالف بين العمال والفلاحين، كان ذلك هو الشرط الاساسى لضمان نجاح الحركة الثورية عامة ، ونجاح التعبئة الجماهيرية بشكل خاص، ففى عصرنا الراهن لا يمكن لاى حركة تحرر وطنى أو حركة تحرر اجتماعى أن تتخذ طابعا ثوريا حقيقيا الا اذا كان العمال والفلاحون يشكلون قواها الاساسية .

الاستقلال ... والارض

وفى التطبيق العملى رفع حزب العمال أعلام الوطنية والديمقراطية بالشعارين الاستراتيجيين « الاستقلال الوطنى » و « الارض لمن يفلحها » ومن ثم تمكن بالفعل من جذب جماهير الفلاحين الواسعة الى جانب الطبقة العاملة وان يعبىء فئات اجتماعية اخرى ليقودها مع العمال والفلاحين فى جبهة ثورية موحدة ومعادية للامبريالية والاقطاع ، وان ينشىء فى غمار الكفاح جيشا ثوريا حقا يقاتل من أجل التحرر الوطنى ومصالح الشعب .

الحزب القائد ...

خادم مخلص للجماهير

يقول الرئيس الفيتنامى الراحل هوشى منه : « ان حزبنا عظيم لانه ليست لديه مصلحة اخرى غير مصلحة الطبقة والشعب والامة . ينبغى المحافظة على نقاء الحزب وشرفه كقائد للشعب وخادم مخلص له » . كما يقول : « لقد بنيت تجربة حزبنا بوضوح أثناء الثورة ، ان الثورة تتقدم بسرعة حيث تحل كوادر الحزب بشكل جيد القضايا المتعلقة بمصالح الفلاحين ، وتتمسك بقوة بمبادىء التحالف العمالى الفلاحى » .

ولقد نجح حزب العمال الفيتنامى بشكل باهر فى تعبئة الفلاحين من حوله فى النضال ضد المستعمرين الفرنسيين عندما حل مشكلتهم الرئيسية المتعلقة بالارض واجرى اصلاحا زراعيا ثوريا لمصلحتهم . ففى أثناء حرب المقاومة ضد المستعمرين الفرنسيين كان الحزب يحقق مهام الثورة الزراعية خطوة بعد أخرى ، وعندما دخلت حرب المقاومة مرحلتها الاكثر ضراوة فى ١٩٥٣ قرر الحزب تعبئة الجماهير من أجل خفض الايجارات بشكل شامل ، والبدء فى تنفيذ شعار « الارض لمن يفلحها » فلعبت هذه الحملة دورا حاسما فى النصر الكبير الذى تحقق فى « ديان بيان فو » .

الثورة .. عمل

الجماهير الواسعة

والثورة كما يراها حزب العمل الفيتنامى ليست « انقلابا » ، ولا هى نتاجا للتآمر ، وانما هى عمل الجماهير الواسعة ، ولذا فان تعبئة وتجميع قوى هذه الجماهير وتكوين وتنمية الجيش السياسى للثورة انما تعد مسائل أساسية وحاسمة . ولذا ينهمك أعضاء الحزب وكوادره فى العمل وسط الجماهير ويوثقون صلاتهم بها ، يعيشون كما تعيش ، ويساعدونها على حل المصاعب والمشاكل اليومية التى تواجهها ، ويتحركون حيثما توجد هذه الجماهير ، ومن خلال هذا الجهد المخلص والدؤوب يتمكن الحزب أكثر فأكثر من دفع الجماهير للاتحاد الوثيق معه لمجابهة كافة التحديات والاخطار التى يطرحها استمرار العدوان الاستعمارى .

ان الحزب يثقف الجماهير ويرفع من وعيها السياسى لتتعلم معه كيفية تحقيق الاستقلال الحقيقى والديموقراطية الحقيقية والغاء القهر القومى واستغلال الانسان للانسان ـ كما يساعد الجماهير على الكفاح ضد القاهرين الامبرياليين وعملائهم ، ويعلمها كيف تحلل الموقف ، وكيف تكتشف نقاط القوة والضعف فى العدو ، وفى الشعب ، وكيف يمكن التغلب على النقائص والازمات .

وكل الاساليب تستخدم فى هذه العملية النبيلة والجسيمة : قصائد الشعر ، والبرامج الدراسية القصيرة والطويلة من أجل أن يتعمق لدى الجماهير الاحساس بالخط الثورى والمناهج الثورية .

التنظيم .. نظم وكافح

ان تنظيم الجماهير هو وحده الذى يسمح بتعليمها وبناء القوة الكبيرة للثورة لان الجماهير تجد بمجرد تنظيمها أن قوتها قد تضاعفت مائة مرة ، لذلك ينبغى طبقا لخط الحزب أن ترتبط الدعاية ، والتنظيم والكفاح فيما بينها ارتباطا وثيقا، لان كل هذه النشاطات تستهدف معا تشكيل وتنمية الجيش السياسى للثورة .

لقد عرف حزب العمل الفيتنامى فى مختلف الفترات كيف يستغل الفرص من أجل تنظيم الجماهير ، باستخدام المناهج والاشكال الملائمة ، وحتى فى أصعب الظروف السرية عرف هذا الحزب كيف يبتكر أكثر الاشكال التنظيمية تنوعا

واتساعا ومرونة لتجميع الجماهير وقيادتها فى الكفاح •

نظم وكافح ، كافح ونظم ، ثم كافح مرة أخرى — فالكفاح يولد كفاحا آخر وآخر — تلك هى الميادين التى يسير على هداها حزب العمال • فمن خلال الكفاح المستمر يزداد وعى الجماهير بسرعة ، وتحتاج مع كل تطور فى كفاحها الى اكتشاف انسب الطرق لتعبئتها وتنظيمها •

وحتى تنجح الثورة ويتحقق النصر ، فليس يكفى تحديد الاهداف الاستراتيجية والتكنيكية بشكل سليم ، وأنما ينبغى أيضا أن يخدم العمل التنظيمى فى كل مرحلة الاهداف المحددة وأن يسمح بأوسع تعبئة وتحريك للجماهير فى اتجاه انجازها •

ولقد التزم حزب العمال دائما بهذا المبدأ فنظم الجماهير فى جبهة النضال الشعبى مرات عديدة فى مجرى الكفاح ، ثم أعاد تنظيمها وفقا لمتطلبات الموقف من « الجبهة المعادية للامبريالية » الى « الجبهة الشعبية » ثم الى « جبهة استقلال فيتنام » (فيت منه) ثم اندمجت هذه الجبهة مع جبهة أخرى لتكوين « ليين فيت » ثم أصبحت فى الوقت الحالى « جبهة الوطن » .

وجرت نفس التحولات فى المنظمات الاخرى الخاصة بالشباب والنساء والعمال والفلاحين والمثقفين لتواجه على الدوام — وبمرونة فائقة — متطلبات الاوضاع السياسية والعسكرية المتغيرة •

وبعد •• فان اعضاء حزب العمال الفيتنامى، واعضاء التنظيمات الجماهيرية التى تعمل تحت قيادته ، يعيشون كما يعيش الشعب ، ويتعرفون من خلال كفاحهم على آمال الجماهير العميقة ومطالبها العادلة ويساعدونها كل يوم على حل مشكلاتها ومواجهة المصاعب التى يلاقونها ، ولذا تلتف جماهير الشعب الفيتنامى بقوة حول الحزب ، وتصبح قوة الشعب المنظمة ، المسلحة بالنظرية الثورية ، قوة لا تقهر ، تدحر كافة المؤامرات ، وكافة الخطط الامبريالية •

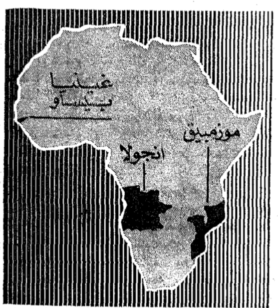
ثالثا :

تجـــارب من القـــارة الأفريقيـــة

[] موزمبيـق [] أنجـولا [] غينيـا – بيسـاو

قضايا التعبئة والحرب الثورية

عجزت السلطات الفاشية البرتغالية ، بكل قهرها وبطشها عن اخضاع الموزمبيقيين ، بل لقد ولد القهر المتزايد تأثيرات مضادة تماما ، لقد خلق العنف الاستعمارى الوعى الوطنى ونماه ، ومنذ عام ١٩٢٩ شهدت البلاد ظهور حركات الاحتجاج الوطنى التى أثمرت تأسيس روابط وتجمعات وطنية ذات طابع اقتصادى ونقابى ، ولكنها — مع ذلك — لم تكن لتخلوا من محتوى سياسى وطنى عام • ومع تصاعد نشاط هذه التجمعات والروابط وتبلورت داخلها التناقضات • وبشكل عام كان هناك اتجاهان : احدهما اصلاحى يقول بالكفاح القانونى أو التدرج السلمى ، والاخر ذو محتوى ثورى يرى القيام بأعمال أكثر عنفا ضد القهر الاستعمارى الذى سحق — مع الوقت — كل المحاولات القانونية والسلمية •



ومع تطور حركة النضال الوطنى اعلنت الاحزاب الوطنية عن برامجها ، ثم قرر حزبا « اتحاد موزمبيق الوطنى الديموقراطى »

و « الاتحاد الوطنى لموزمبيق المستقلة » (وقد تأسسا فى مالاوى خارج البلاد) نقل مقر قيادتهما السياسية عام ١٩٦١ الى تنجانيقا التى تكونت على أرضها قيادة « حزب اتحاد موزمبيق الوطنى الافريقى » ، وفى يونيو ١٩٦٢ توحدت هذه الاحزاب الثلاثة وتأسست « جبهة تحرير موزمبيق » وانعقد مؤتمر عام لها ناقش ظروف موزمبيق وواقعها وأقر خطة عمل للكفاح المسلح •

التعبئة • • وجبهات العمل

ومنذ انعقاد المؤتمر الاول للجبهة « الفريليمو » فى يونيو ١٩٦٢ ، أخذت هذه الجبهة تعمل من أجل تعبئة المواطنين فى الداخل ، وكسب تأييد الرأى العام فى أكثر من مكان فى الخارج ، وذلك وفق الخطوط السياسية العامة التى حددتها والاساليب التنظيمية التى أقرتها للتطبيق •

وقد بدأت الجبهة بتحديد طبيعتها : حركة وطنية ديموقراطية معادية للاستعمار والعنصرية ، **قواها :** الفلاحون أساسا (وهم يشكلون الان اكثر من ٨٠ فى المائة من مجموع العضوية) والعمال والمثقفون الثوريون ، والفئات الوسطى والصغيرة من البورجوازية كحلفاء . أما **هدفها** فهو تحقيق الاستقلال السياسى وتحرير الانسان الموزمبيقى ، **وحلفاؤها فى الخارج :** هى دول المعسكر الاشتراكى وحركات التحرر الوطنى والقوى الديموقراطية المعادية للفاشية والاستعمار فى الدول الرأسمالية وأحزابها العمالية والتقدمية ، وأما **أعداؤها :** فهم الاستعمار البرتغالى وسنده الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية والقوى العنصرية ، **وقد تحدد طريق تحقيق هدفها :** فى الكفاح المسلح •

ووفق هذه الخطة تحركت « الفريليمو » فى الجبهة الخارجية من خلال « المكاتب السياسية » التى تتبع القيادة المركزية للجبهة ، وحددت اصدقاءها وأعداءها ، وأقامت دعايتها وسط الرأى العالمى الاوروبى على محورين :

ــ ان حركة الفريليمو هى حركة تحرر وطنى معادية للاستعمار ونظام الاستغلال الذى لا يمس الموزمبيقيين وحدهم ، وانما الاوربيين أيضا .

ــ ان حركة الفريليمو هى حركة غير عنصرية بل ومعادية للعنصرية ، وذلك فى مواجهة الدعاية الاستعمارية بأنها حركة سود ضد بيض •

كما أكدت الفريليمو ضرورة العمل وسط البرتغاليين أنفسهم وعلى أرض البرتغال من خلال نشراتها ومنشوراتها السرية ، مركزة على حقيقتين :

ــ أنها ضد الاستعمار العالمى الذى يستغل شعب البرتغال نفسه ، ويقيم على أرضه قواعده العسكرية وينهب اقتصادياته •

ــ أنها ضد الفاشية التى يرزح تحت نيرها شعب البرتغال نفسه ، وأنها تؤمن بتعاون كل الاجناس ضد الفاشية •

كذلك حرصت على تأكيد أنها لا تهدف الى طرد المواطنين البرتغاليين المقيمين فى موزمبيق ، وانما تسعى الى تصفية النظام الاستعمارى وتحقيق استقلال البلاد .

كما أكدت قرارات المؤتمر الاول للفريليمو ضرورة تأييد **الحركات والقوى والنظم الثورية والوطنية** فى مختلف انحاء العالم والتعاون معها فى كافة مجالات التعاون السياسى والدبلوماسى • كذلك أكد برنامج الفريليمو أن معركتها انما هى جزء لا يتجزأ من المعركة الدائرة ضد الاستعمار والعنصرية فى القارة الافريقية ، بل وجزء من حركة الثورة العالمية فى الصراع ضد الاستعمار العالمى •

التعبئة • • • والجبهة الداخلية

حددت الفريليمو أن نقطة البدء فى أى كفاح ناجح انما يتمثل فى وجود « نواة صلبة » لا تسمح بأن يتستر وراء التنظيم لا البيروقراطيون ، أو الانتهازيون أو أصحاب الكليشيهات الذين لا يعملون » •

من برنامج الفريليمو ، ومن أجل ذلك يتعين أن يكون للوطنى الحق نظرة سياسية ثورية ، ومن ثم أقامت الفريليمو مدارس لتثقيف الكادر سياسيا ، وكذلك مراكز للتدريب العسكرى •

ولكن تنظيم الرجال وتثقيفهم وتدريبهم يلتقى بالعديد من الظواهر المعوقة • فظاهرة القبلية واحدة من أهم المصاعب التى واجهت الفريليمو بكل ما تمثله من تمزق وحزازات وفرقة ، ومن هنا بدأت الفريليمو تفضح شيوخ القبائل ورؤساءها الذين يمثلون النظام التقليدى ولهم مصالح متناقضة مع الحركة الوطنية خاصة وأن ٩٠ فى المائة منهم معينون من قبل سلطات الاستعمار البرتغالى • كذلك عمدت الفريليمو ــ بقدر

الامكان ـ الى تمثيل أبناء القبائل فى مستوياتها القيادية • كما عمدت الىتشكيل المجموعة الحزبية من أعضاء ينتمون الى اكثر من قبيلة مركزة على شعار «لكى نبنى وحدتنا لا يمكن أن نكون قبليين أو عنصريين لاننا نريد أن نحطم الاستغلال فى كل صوره » .

كما واجهت الفريليمو مشكلة عدم وجود لغة قومية واحدة ، هذه المشكلة والتى تزداد تعقيدا بتفشى الامية • هنا وجدت الفريليمو أن الحل الممكن ـ فى البداية ـ هو تعميم تعليم « اللغة البرتغالية » ، حتى يمكن وجود أداة واحدة مشتركة للتفاهم والخطاب •

وفى مرحلة الاعداد لبدء الكفاح المسلح من ١٩٦٢ حتى سبتمبر ١٩٦٤ مهدت الفريليمو لهذا التطور فى أساليب كفاحها بالعمل السياسى الواسع وفقا للاساليب التالية :

ـ استغلال أى اجراء تقوم عليه السلطة الاستعمارية ، ويمس مصالح الجماهير كرفع الاسعار أو زيادة الضرائب •• الخ للقيام بأكبر اثارة سياسية ممكنة ، والتحريض على القيام بحركات الاحتجاج والاضراب عن العمل والامتناع عن دفع الضرائب أو الزيادات فى الاسعار وعدم التعاون مع الحكومة ، مع عدم الاكتفاء بمجرد القيام بهذه المهام فى ذاتها ، وانما يجب العمل فى نفس الوقت على تجنيد العناصر الواعية والنشيطة والشجاعة من خلال هذه التحركات الجماهيرية وضمها الى صفوف الجبهة •

ـ سد الطريق أمام العناصر الوسطية والانتهازية عندما تتقدم بعروضها لحل مشكلة جماهيرية ما ، الامر الذى يستدعى قيام الجبهة بتحديد الموقف السريع والحاسم من عروض هذه العناصر وكشفها وفضحها وتعبئة الجماهير ضدها •

ـ تحطيم « هيبة » السلطة الاستعمارية واثبات أنه يمكن مواجهتها من خلال اغتيال العناصر الارهابية التى تبطش بحياة المواطنين العاديين والوطنيين المنظمين ، ومن خلال التعرض لرجال البوليس وجرهم كمجموعات بسيطة الى كمائن يضربون فيها أمام المواطنين ، وتخريب المراكز الادارية للسلطة الاستعمارية وبخاصة تلك المراكز التى تعمل فى دائرة « الامن » •

ـ مراعاة الحاق الضرر بمصالح الحكام الاستعماريين والخونة دون المساس بالمرافق ومراكز الخدمات التى تقدم للجماهير ، ومواجهة الشائعات التى تروجها السلطة الاستعمارية بهدف عزل حركة الكفاح المسلح •

ـ تحريض الفلاحين على التمرد على أعمال السخرة ، وتحريض العمال على التمرد على سياسة خفض الاجور وزيادة ساعات العمل وكافة أشكال استغلالهم •

ـ التركيز على نشر وتعريف الجماهير بالمقاومة الثورية لشعب فيتنام كنموذج رائع للقدرة على الصمود من جانب شعب فقير بسيط •

ـ تعريف الجماهير بحركات المقاومة والكفاح الوطنى فى مختلف أنحاء العالم •

ـ ربط الجماهير بالعمل السياسى من خلال مجلة « ثورة موزمبيق » ، مع تعريفهم بمبادىء العمل العسكرى على صفحات المجلة ، وتقديم قصص البطولة والتضحيات التى يقوم بها الوطنيون .

والى جانب كل ذلك تعمل الفريليمو بين « البيض » الذين قسمتهم الى فئتين :

أولا : عناصر بيضاء تعد نفسها منتمية الى موزمبيق ، وغالبا ما انضم كثير منهم الى عضوية الفريليمو •

ثانيا : عناصر تنقسم بدورها الى :

١ ـ من يعد نفسه برتغاليا ولكنه يعادى الاستعمار •

٢ ـ من يقف ضد الفاشية •

٣ ـ من يتخذ موقفا عاما سلبيا .

وقد عملت الفريليمو على كسب تأييد هؤلاء أو على الاقل كسب البعض وتحييد البعض الاخر .

وقد واجهت محاولات الفريليمو للعمل فى وسط البيض بعض الصعوبات فى بادىء الامر ، ولكن تأكيد الفريليمو على طابعها وموقفها المعادى للعنصرية حطم الكثير من الحواجز والسدود خاصة عندما تركزت دعايتها على توضيح أن جلادى الشعب فى موزمبيق هم أنفسهم الذين يستغلون الشعب البرتغالى •

التعبئة فى المناطق المحررة

تمكنت الفريليمو من تحرير اقليمى « كابو ديلجادو » و « نياسا » تحريرا كاملا ، كما تمكنت

من فتح جبهة جديدة فى اقليم « تيت » وحررت جزءا من أراضيه ٠

وعلى الفور واجهت الفريليمو المشاكل التى طرحها هذا الوضع على ضوء حقيقتين رئيسيتين :

أولا : ضرورة اقامة نظام جديد فى المناطق المحررة يحقق مصالح الجماهير التى أنكرتها السيادة الاستعمارية طوال خمسة قرون ، وذلك باعطاء هذه الجماهير حق اختيار مستقبلها مع توعيتهم بالنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تحقق مصلحتها بالفعل ٠

ثانيا : توسيع القاعدة الجماهيرية لحركة الكفاح المسلح ٠

وبشكل عام أقامت الفريليمو فى المناطق المحررة أبنية سياسية واجتماعية واقتصادية حديثة مستوحاة من الحياة العصرية وتطويعها لملاءمة الواقع القومى الخاص ، متجنبة كافة مظاهر البناء القبلى التقليدى ٠

وكانت أولى المشاكل هى بناء السلطة الثورية فى المناطق المحررة ، وقد واجهتها الفريليمو بنجاح تام ٠

ثم كان لابد من استحداث نظام جديد للزراعة والانتاج يقوم على استخدام الالات الحديثة والنظام التعاونى وانشاء « محلات الشعب » لتلبية احتياجات السكان ٠

كذلك كان لابد من مواجهة مشكلة الصحة بانشاء « العيادات العلاجية » ومواجهة مشكلة الجهل بانشاء العديد من المدارس الابتدائية والثانوية ، كذلك اتخذت قرارات حاسمة من أجل محو الامية وتوسيع قاعدة الكفاح المسلح وتطوير عمليات التدريب والتثقيف السياسى ٠

ولعل من أخطر ما واجهته الفريليمو بعد تحرير هذه المناطق هو اقناع الجماهير بمواصلة الكفاح المسلح لتحرير بقية الاراضى تأمينا لما حققوه من مكاسب ٠ ومن خلال أوسع أشكال العمل الجماهيرى خاضت الفريليمو هذه المعركة بحيث اصبحت جماهير الشعب فى المناطق المحررة مقتنعة بمواصلة الكفاح من أجل التحرير الكامل ايمانا منها بأنه دون ذلك فسيظل خطر عودة قوات السلطة الاستعمارية لاحتلال المناطق التى تم تحريرها قائما ٠

ويؤكد قادة الفريليمو فى أحاديثهم أن عملية الكفاح المسلح نفسها ، وتعامل المواطن البسيط نفسه مع السلاح وفى مواجهة العدو ، توفرهى نفسها المناخ العام الذى يخلق علاقات جديدة وعادات جديدة وسلوكا جديدا يسهل على القيادة السياسية أن تواصل العمل الثورى من أجل تحقيق الاهداف النهائية ٠

٢ ـ من تجارب الحركة الثورية فى انجولا

لم يكف الشعب فى انجولا يوما عن النضال ضد الغزاة والمستعمرين ، وبعد تاريخ حافل بالمشاق والتضحيات ، وبعد سلسلة من التطورات والتغيرات ، بقيت فى الميدان القوى السياسية التالية :

١ ـ **الحركة الشعبية لتحرير انجولا ـ « المبالا » :** قامت فى ديسمبر ١٩٥٦ بعد اندماج عدة تنظيمات يسارية ، منها الحزب الشيوعى الانجولى ، وكانت هى أول حركة ذات برنامج سياسى محدد ، وضمت العمال والمثقفين والموظفين وعمال الزراعة ٠ وبعد اعتقالات ١٩٥٩ انتقلت الحركة الى كوناكرى ثم الى ليوبولدفيل حيث تعرضت لمضايقات حكومة أدولا ، ولم تعترف بها الدول الافريقية ، ولكن مصر والجزائر وغانا قادت حملة لتصحيح الامور والاعتراف بالحركة ٠ وللحركة برنامج متكامل يعكس المطالب السياسية والاجتماعية والاقتصادية للشعب الانجولى بشكل واقعى ودقيق ٠

٢ ـ **الحكومة الثورية لانجولا فى المنفى :** وقد انشأتها الحركة الشعبية لتحرير انجولا « المبالا » بالاشتراك مع بعض التنظيمات الثورية الاخرى كالحزب الديموقراطى الانجولى الذى يضم المهاجرين الى ليوبولدفيل ، والانقسام الذى خرج من الحركة الشعبية لتحرير انجولا » ٠

٣ ـ **كذلك توجد فى حلبة النضال بعض** الجماعات الاخرى مثل « الاتحاد القومى لاستقلال كل انجولا » و « الجبهة الوطنية لاستقلال الكونغو ـ المسمى بالبرتغالى » ٠٠ الخ ٠

ولقد كان القلب النابض لكل هذه التنظيمات الثورية هو ذلك الجيل الجديد الذى اتجه الى الفكر الاشتراكى العلمى ، وارتكز على جماهير الشعب الانجولى يعبئها وينظمها من أجل تحقيق آمالها بعد أن فقد الثقة بكل الاتجاهات الاصلاحية والمعتدلة ٠ ٠

ولقد تركزت عوامل نجاح الحركة الثورية

الحديثة فى انجولا فى حقائق رئيسية يمكن التعبير عنها فيما يلى :

ــ أن النضال الوطنى لا ينجح الا بقيام جبهة متحدة لكل القوى الوطنية ، وأن هذه الجبهة لابد أن تتسم بطابع وطنى على أقصى درجة من التفتح والمرونة •

ــ أن مهمة تحرير أنجولا انما هى مهمة أبنائها جميعا،وأن تعبئة ووحدة كل الطاقات الوطنية هو الضمان الاكيد للنصر •

ــ أن ظروف وأوضاع أنجولا الموضوعية تفرض عليها حربا طويلة وصراعا مستمرا فى كل الجبهات ، وفى ظل ظروف دائمة التغير •

ــ ان الطريق الوحيد لتحقيق الاهداف الاساسية للنضال ــ تصفية الوجود الاستعمارى وبناء دولة مستقلة وطنية ديموقراطية تحقق مطالب الشعب ــ انما هو طريق الكفاح المسلح •

وفى ٤ فبراير ١٩٦٤ بدأ الكفاح الثورى المسلح وكان ذلك هى الشرارة التى ألهبت الموقف،ولكن هذه الشرارة لم تكن وليدة المغامرة أو التلقائية أو أعمال البطولة الفردية ، وانما استلزم انجازها اعدادا سياسيا واسعا على جبهات متعددة :

ــ فقد تم نشر الوعى السياسى بين مختلف فئات المواطنين مع التركيز على العمال والفلاحين والمثقفين لجذبهم الى المعركة •

ــ كما تم وضع برنامج للعمل الوطنى وخط سياسى واضح المعالم •

ــ أما بالنسبة لاساليب العمل فقد جاءت متمشية مع الخصائص الجغرافية والاجتماعية لتحقيق أكبر قدر من النجاح بأقل قدر من التضحيات •

ومن خلال عشر سنوات من العمل فى المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية تأكد دور الحركة كقائدة للنضال الثورى الوطنى الامر الذى حتم اعتراف العالم التقدمى بها وسحب الاعتراف بحكومة انجولا فى المنفى •

ومن واقع هذا النضال البطولى لشعب انجولا أثبتت خبرات النضال طوال تلك السنوات الحقائق الصلدة التالية :

● ان التعاطف الفكرى مع برنامج حزب من الاحزاب لا يكفى بل لابد من التنظيم العضوى للجماهير ، ففى الفترات التى تراخت علاقة الحركة بالجماهير تمكنت القيادات المتعاونة مع الاستعمار من السيطرة •

● ان القيادة الحقيقية لاى حركة وطنية لابد وأن توجد فى داخل البلاد ، على أرض المعركة ، على رأس المقاتلين وفى مقدمتهم •

● ضرورة تربية الكادر على أساس عقيدة ثورية ، وتدريبه على أرقى أساليب النضال المسلح وغير المسلح مع رفض المشاعر القبلية والعنصرية بكل نتائجها التى تمزق وتفرق صفوف المناضلين •

● ضرورة انشاء المنظمات الجماهيرية وتحقيق أوسع مشاركة من جانب الجماهير ، وتقديم الاجهزة البديلة لاجهزة القمع الاستعمارى •

وكقاعدة عامة،وبواسطة الجماهير ، ومن أجل مصالح الجماهير يجب أن تركز وتعبأ كافة الجهود ••

٣ ــ تجارب حية من غينيا ــ بيساو

منذ عام ١٩٥٦ بدأت جهود القوى الوطنية فى غينيا بيساو تتخذ شكلها المنظم بتكوين الحزب الافريقى لاستقلال غينيا وجزر كاب فيرو (بياجيك) ، والذى يتزعمه أملكار كابرال. ويمثل هذا الحزب رغم وجود العديد من التنظيمات الاخرى القوة الاساسية والقيادية لثورة غينيا بيساو •

ولقد بدأ هذا الحزب نشاطه كحزب علنى مركزا نشاطه فى المدن ، ولكنه بعد سلسلة من التضحيات الجسيمة اعاد النظر فى استراتيجيته وتكتيكه مؤكدا ضرورة اللجوء الى العمل السرى لتعبئة واعداد الشعب فى المدينة والريف على السواء لخوض الثورة المسلحة ضد السيطرة الاستعمارية البرتغالية .

الثورة •• معرفة وعلم وتعبير عن مصالح الجماهير

وقد اتسمت مرحلة التعبئة والاعداد السياسى (١٩٥٩ ــ ١٩٦٢) بالدراسة العميقة لواقع المجتمع الغينى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، بحيث تمكن الحزب القائد (بياجيك) من تحقيق التفاف الفلاحين حوله بدلا من ولائهم القبلى القديم، ومن ثم امكن الدخول بالنضال

الوطنى الى مرحلة الثورة الحقيقية التى تميزت بتطورين هامين :

● **الاول :** هو تحويل حرب العصابات المحدودة الى عمليات اكثر شمولا فى مواجهة الوحدات العسكرية البرتغالية الكبيرة .

● **الثانى :** هو تفجير الثورة الاجتماعية فى المناطق التى يتم تحريرها باقامة السلطة الشعبية فى كل هذه المناطق ، وما أن تقوم هذه السلطة حتى تشرع على الفور فى انجاز الاصلاحات الجذرية التى طالما حرم الشعب منها فى ظل السيطرة الاستعمارية .

هذا وقد تبلورت تجارب الحركة الثورية لشعب غينيا بيساو وحشد وتعبئة جماهيرها فى مبادىء أساسية يمكن تركيزها فيما يلى :

ــ ان نضال شعب غينيا بيساو انما هو جزء من نضال كل الشعوب فى اوربا وآسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية فى اطار المعركة العامة المعادية للامبريالية .

ــ ان النضال التحررى يتقبل المساعدة من كل انسان ، ولا يمكن أن يكون معاديا للشيوعية .

ــ ان القوى الوطنية تضع خطا فاصلاً بين القوى الاستعمارية التى تقهرها وبين الشعوب التى تقع فى نفس الوقت تحت نير نفس هذه القوى الاستعمارية .

ــ ان العمل السياسى للقوى الثورية يجب أن يمتد الى عقر دار القوى الاستعمارية نفسها،على أساس وحدة المصالح بين الشعوب المستعمرة ، وشعوب البلد الاستعمارى نفسه .

ــ ان الوحدة الوثيقة بين قوى التحرر الوطنى فى جميع أنحاء العالم ، انما هى شرط أساسى لتحقيق الاهداف المحلية .

ــ ان التحالف مع قوى الاشتراكية العالمية انما هو ضرورة موضوعية وواقعية تؤكد صحتها المواقف الثورية والمشرفة للمعسكر الاشتراكى العالمى فى مساندة وتدعيم حركات التحرر الوطنى .

ــ ان شعوب الدول الاستعمارية تمثل قوى احتياطية يمكن أن تقدم أعظم المساعدات للكفاح الوطنى،عندما تفلح القوى الثورية فى المستعمرات فى خلق المناخ السياسى الملائم لتنويرها بحقائق الاستغلال والاستعباد الذى يمارسه العدو المشترك لها وللحركات الوطنية .

وفوق كل ذلك فان تجربة غينيا بيساو تثبت بما لا يدع مجالا للشك ان النضال الناجح من اجل التحرر انما يستلزم قبل كل شىء :

ــ التحليل النظرى الصائب لطبيعة المرحلة والمشاكل التى تواجهها القوى الثورية .

ــ بناء النواة الصلبة التى تضمن ثبات واستمرار النضال .

ــ الاستفادة من الخبرات المكتسبة ومراجعة الاخطاء والنواقص .

ــ الدراسة المستمرة لكل مناحى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية .

ــ تكوين الكوادر القادرة على شن الكفاح الشامل ضد القوى الاستعمارية والعميلة .

لقد قدمت ثورة غينيا بيساو تجربة ناجحة لحركة ثورية متطورة ، وليس أدل على ذلك مما أجمع عليه رجال الاستراتيجية العسكرية البرتغالية فى اجتماعاتهم فى لشبونة من اعتبار الوضع العسكرى فى غينيا وضعا لا يمكن حمايته ازاء تزايد واتساع نشاط الثورة الافريقية المسلحة ، لقد أصبحت الثورة فى غينيا بيساو « خطرا لا يستهان به ، فقادتها مدربون على النضال الحربى ومزودون بالاسلحة ، وأظهروا مهارات واضحة فى العمل السياسى بروح الابتكار على حد قول جريدة الاخبار البرتغالية الرسمية .

وهكذا .. فمن كوبا التى وصلت فيها القوى الثورية الى السلطة وطفقت تبنى المجتمع الجديد .. الى فيتنام التى يشتبك شعبها ـ فى الشمال والجنوب ـ فى أشرس حرب ضد اعتى قوى الامبريالية العالمية ، الى الثورة الافريقية التى تشق طريقها فى أكثر الظروف تعقيدا ، تتأكد حقائق لا جدال فيها كقوانين عامة لنجاح النضال الثورى ، النواة الصلبة ، والادراك الواعى والعلمى لحقائق الظروف الموضوعية ولمتطلبات العصر ، وحشد وتعبئة الجماهير الشعبية كالقوى الاساسية التى تسيطر على الواقع ، وتصنع ــ وحدها ــ وتصوغ آفاق الحياة المزدهرة القادمة .

معركة الاوبك
وشركات البترول

ولماذا حتمية انتصار الدول المنتجة فيها ؟

صلاح منتصر

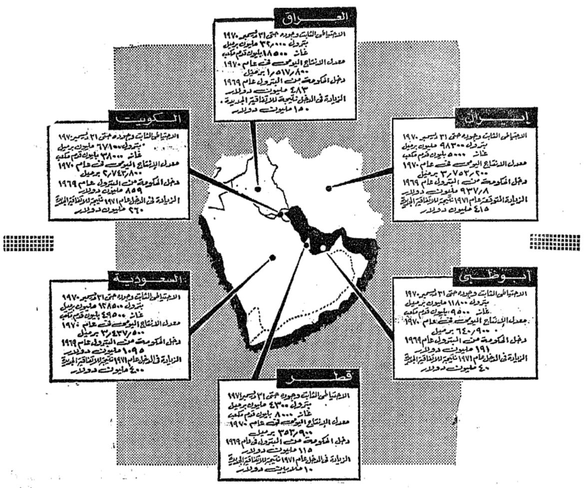
« اننا سنضطر الى اقامة صلاة تذكارية على روح منظمة الدول المصدرة البترول اذا لم تثبت وجودها هذه الايام ، وتقف دولها موقفا واحدا » .

كان هذا ما قاله شاه ايران فى طهران **اخيرا** وهو يتحدث فى مؤتمر صحفى عن احتمالات فشل دول المنظمة (الاوبك) فى مفاوضاتها التى بدأتها مع شركات البترول العالمية منذ ١٢ يناير الماضى لتحقيق ٥ مطالب رئيسية أقرتها المنظمة فى دورتها التى عقدتها فى العاصمة الفنزويلية كاراكاس فى منتصف ديسمبر من العام الماضى .

واذا كانت هذه المطالب قد تركزت على **زيادة الاسعار** التى تدفعها الشركات ثمنا لبترول دول الاوبك ، **ورفع انصبة هذه الدول فى الارباح التى تحققها تلك الشركات** ، الا أن الواضح من هذه المطالب هو رغبة الدول المنتجة فى تأكيد المركز القوى الذى بدأت تشعر به منذ منتصف الستينات ، وممارسة فرض ارادتها على الشركات التى تعودت لسنين طويلة أن تكون هى وحدها صاحبة الكلمة الفاصلة فى العمل البترولى . كانت هذه الشركات هى التى تملك تحديد السعر ، وتحديد الانتاج ورفعه فى دولة وخفضه فى دولة اخرى .. ولربما ضاعف من وقفة دول الاوبك المتشددة أمام الشركات رغبة هذه الدول فى أن يكون انتصارها نخبا ترفعه فى مناسبة تجىء هذه الايام ، وهى **مرور ٢٠ عاما على محاولة تاميم البترول الايرانى ، تلك التى انتهت بالفشل** ، حتى لقد قيل أن صوت شاه ايران فى مؤتمره الصحفى الذى عقده فى الشهر الماضى (وهو أول مؤتمر صحفى له بعد ١١ سنة) كان يحمل صدى مرارة تعود الى ما قبل ٢٠ سنة .

وأيا كانت هذه المرارة ، فلقد كان فشل دول الاوبك فى وقفتها أمام الشركات جريمة لاتغتفر من جانب هذه الدول .

لقد فشل تاميم البترول الايرانى قبل ٢٠ سنة لاسباب كان واضحا فى ظلها عندما صدر قرار التأميم انه لن يستطيع الحياة والمقاومة لاكثر من شهور قليلة .. ذلك أن ايران فى ذلك الوقت كان يعوزها المال الذى تستطيع به مواجهة الضغوط الاقتصادية العنيفة التى تعرضت لها ، بالاضافة الى نقص ما تملكه من امكانيات فنية ظهرت بوضوح عندما سحبت شركة البترول البريطانية



المؤممة ، خبراءها الاجانب الذين كـــانوا يديرون العمل فى ذلك الوقت ، ولم تستطع ايران أن تواصل دفع عجلة العمل ، كما لم يستطع موظفو الدولة أن يجدوا مرتباتهم فى آخر الشهر ، ومن ثم ساد الجوع تلك الشوارع التى كانت تموج بالثورة وتطالب بالموت لاعداء التأميم ٠٠

لكن ذلك كان قبل ٢٠ سنة ٠٠

وفرق كبير بين مركز بترول الشرق الاوسط فى ذلك الوقت ومركزه الان. ولاشك أنه كان من أهم التغيرات التى شهدتها حقبة الستينات ما حدث من تحول فى القوى من الشركات الى الدول المنتجة ، يساعد على ذلك معرفة هذه الدول المنتجة بازدياد حاجة المستهلكين الى بترولهم وازدياد هذه الحاجة سنويا ، واضطرار شركات البترول فى النهاية الى التسليم بمطالبهم .

وفى فترة الستينات تضاعف استهلاك البترول ، وكان معدل الزيادة السنوية ٥ر٧ فى المائة ، وفى العام الاخير وصلت هذه الزيادة الى أكثر من ١٢ فى المائة ، وفى حساب استهلاك حقبة السبعينات يقدر أن يستهلك العالم خلال هذه الفترة من البترول حجما يساوى كل الانتاج البترولى منـــذ بدأت صناعة البترول فى عام ١٨٥٩ قبل ١١٢ سنة ٠

ويعتمد العالم فى الحصول على احتياجاته من الطاقة على خمسة موارد نسبها اليوم ومقارنتها بما سوف تكون عليه عام ١٩٨٠ على الوجه التالى :

●● **البترول** ٤٥ فى المائة ترتفع عام ١٩٨٠ الى ٤ر٥٢ فى المائة ٠

●● **الغاز الطبيعى** ١٧ فى المائة يرتفع الى ١ر١٨ فى المائة ٠

●● **الفحم الحجرى** ٣٣ فى المائة ينخفض الى ٢١ فى المائة ٠

●● **الطاقة المائية** ٨ر٥ فى المائة تنخفض نسبتها الى ١ر٥ فى المائة ٠

●● **الطاقة الذرية** اليوم نصف فى المائة ترتفع خلال عشر سنوات الى ٤ر٣ فى المائة ٠

وبالارقام فان الطلب العالمى على البتـــرول سيرتفع من ٤ر٣٨ مليون برميل يوميـــا (عام ١٩٧٠) الى ٦٣ مليون برميل يوميا عام ١٩٨٠ منها ٢٠ مليون برميل فى الولايات المتحدة و ٤٣

مليون برميل يوميا فى سائر البلاد غير الشيوعية .

لكن الاهم من كل هذا انه رغم كل ما بذله العالم الخارجى من جهود فى السنوات الاخيرة للتقليل من اعتماده على البترول العربى « غير المأمون » فانه قد أصبح اكثر اعتمادا عليه من اى وقت مضى ، وليس أمام العالم حاليا ومستقبلا مورد آخر يمكن ان يجد منه احتياجاته البترولية المتزايدة غير الشرق الاوسط بما فيه ليبيا والجزائر. لقد فشل تطور الطاقة النووية فى بلوغ ما كان محددا له ، فى حين يهبط انتاج صناعة الفحم بسرعة تزيد عما كان متوقعا ، أما حقول البترول التى كثر الحديث عنها فى الاسكا فقد اتضح أنه يصعب استغلالها ، وحتى فى أحسن الاحوال ، فان كل ما تستطيعه أن تسد جزءا من النقص الكبير الذى سيتعرض له الانتاج الامريكى فيما اذا لم يوفق فى العثور على مكامن أخرى بترولية . بالاضافة الى كل ذلك فان بترول بحر الشمال لا يمثل حتى الان سوى قطرة فى محيط .

من يقبض ثمن البترول ؟

ودول الاوبك العشر (ايران - السعودية - الكويت - العراق - ابو ظبى - قطر - ليبيا - الجزائر - فنزويلا - اندونيسيا) تقوم بسد ٨٠ فى المائة من احتياجات دول أوربا الغربيه البترولية، و ٩٠ فى المائة من سد احتياجات اليابان .

بالاضافة الى ذلك فان هذه الدول لا تأخذ من بترولها الثمن العادل الذى يجب أن تحصل عليه.

ولقد ظلت الشركات منذ سنوات طويلة جدا وهى تعلن كل يوم أنها - الشركات - تعطى الدول أكثر مما يجب ! ومن كثرة ما تردد صدقت بعض الدول هذا الكلام ، ثم كانت المفاجأة بعد ذلك عند ما تقدمت شركات جديدة بعروض أفضل . وبين عام وآخر تفوق العقود الجديدة تلك السابقة من حيث المزايا والدخول التى تحصل عليها الدول ، ولان الشركات صاحبة العقود الجديدة ليست مغرمة بهواية البترول وتعريض اموالها للخسارة كان معنى ذلك أن الشركات القديمة تستنزف ثروات تلك الدول البترولية .

وفى دراسة قامت بها منظمة الاوبك حول ثمن برميل البترول من البئر الى المستهلك اتضح ما يلى :

- أن متوسط تكلفة انتاج البرميل (فى دول الاوبك) ٥ر٢٨ سنت .
- أن متوسط تكلفة شحنه الى الدول المستهلكة (بما فى ذلك أرباح الشركة الناقلة) ٦٨ر سنتا .
- أن متوسط تكلفة تكرير البرميل (أيضا بما فى ذلك ربح الشركة المكررة) ٣٥ سنتا .
- متوسط تكلفة التوزيع والتسويق : ٢٧٩ سنتا .
- صافى ربح الشركة المنتجة : ١ر٦٨ سنت
- متوسط عائد الدول المنتجة : ٣ر٨٥ سنت .
- متوسط الضرائب التى تفرضها دول الاستهلاك على برميل البترول : ٥١٠ سنت . نتيجة لذلك فان المستهلك الاوروبى يدفع ثمنا لبرميل البترول ١٠ دولارات وحوالى ٧٤ سنتا ، بينما لا تحصل الدولة المنتجة من هذا الثمن الا على ٨٥ سنتا فقط .

ومن الغريب انه عندما تطالب الدول المنتجة بزيادة دخلها يرتفع صراخ الشركات وتحاول تصوير الطلب على أنه تعريض للمستهلك واجباره على دفع ثمن اعلى فيما يحصله عليه من منتجات بترولية .

هذا مع أن شركات البترول رفعت الاسعار فى العام الماضى (قبل أن تتقدم دول الاوبك بطلبات الزيادة) بمقدار ٥ر٨٧ سنت فى بريطانيا للبرميل، و ٦٥ سنتا فى دول أوربا الغربية الاخرى واليابان .

وثلث هذه الزيادة يمكن أن تعود الى ارتفاع تكاليف النقل نتيجة اغلاق قناة السويس ، ولكن الذى يجب الا ننساه هو أن **معظم شركات البترول تملك ٥٠ فى المائة وأكثر من الناقلات التى تتولى نقل بترولها** ، وعلى سبيل المثال فان شركة شل تنقل ٨٠ فى المائة من انتاجها على ناقلات ملك لها .. بالاضافة الى ذلك فان هذه الشركات تقوم بعقد عقود تأجير طويلة الاجل (لفترات تصل الى عشر سنوات) مع الناقلات ، ومن ثم لا تهتز كثيرا بارتفاع اجور النقل نظرا لانها من ناحية تملك ناقلاتها ، ومن ناحية اخرى تسيطر بعقود الايجار طويلة الاجل على نسبة عالية من الناقلات .

مواقف بالغة الظلم

تواجهها الدول

بالاضافة الى ذلك واجهت الدول المنتجة موقفا بالغ الظلم عندما جمدت أسعار البترول منذ عام ١٩٦٠ ، وكانت الشركات فى هذه السنة قد قامت للمرة الثانية فى سنتين متتاليتين بتخفيض سعر البرميل بما بلغ فى التخفيض ٣٠ سنتا .

وأمام ذلك أسرعت الدول التى تعتمد فى دخلها على البترول الى تكوين منظمة يمكن من خلال

تجمعها فيها أن تواجه تصرفات الشركات، وبالفعل ظل السعر المعلن مجمدا منذ ذلك التاريخ لم يتعرض لاى تخفيض ، لكن الواقع ان هذا السعر وان لم يخفض اسميا الا انه خفض فعليا نتيجة لانخفاض القوة الشرائية للدولار — الذى يتم على أساسه حساب السعر — خلال هذه الفترة بنسبة قدرها شاه ايران بما يعادل ٣٧ فى المائة .

كما عبر عن حالة الغبن نفسها سفير فنزويلا فى الولايات المتحدة الامريكية عندما قال فى بيان له مؤخرا : فى خلال عشر السنوات الماضية هبطت أسعار البترول الخام الفنزويلى بمقدار ٢٠ فى المائة ، بينما ارتفعت قيمة الوحدة من واردات فنزويلا خلال هذه الفترة بمقدار ٥٠ فى المائة ، ونتج عن ذلك عجز قدره ٥ر٢ بليون دولار فى ميزان مدفوعاتنا مع أمريكا خلال هذه الفترة .

ولعل ذلك ما جعل دول الاوبك تصر فى مطالبها على أن ترتفع أسعار البترول سنويا بما يوازن بين انخفاض القوة الشرائية للعملات التى تدفع ثمنا لهذا البترول ، وارتفاع قيمة الواردات الصناعية التى تستوردها هذه الدول .

ولقد نجحت دول الخليج العربى الست الاعضاء فى منظمة الاوبك فى تحقيق زيادة عائداتها . ومن دائرة المفاوضات التى شهدتها طهران منذ ١٢ يناير الماضى خرجت هذه الدول يوم ١٤ فبراير باتفاقية تعطى ايران زيادة فى الدخل هذا العام قدرها ٤٦٠ مليون دولار ، والسعودية ٤٠٠ مليون دولار ، والكويت ٢٦٠ مليون دولار ، وأبو ظبى ٤٠ مليون دولار ، وقطر ١٠ ملايين دولار .

وهذه الزيادات سترتفع هى الاخرى كل عام حتى تبلغ أقصاها عام ١٩٧٥ . ونظير ذلك فلقد التزمت دول الخليج ألا تعود للمطالبة بزيادات جديدة خلال السنوات الخمس القادمة مما يعطى الشركات استقرارا تستطيع من ورائه تحديد المبالغ التى سوف تدفعها ، وفى نفس الوقت — وهذا هو الاهم بالنسبة للشركات — محاولة العثور على البترول فى مناطق جديدة ، بحيث يمكن أن تكون هناك — بعد السنوات الخمس القادمة — مناطق أخرى بترولية تقف بانتاجها فى وجه دول الخليج عند انتهاء مدة الاتفاقية وارتفاع صوتها بمطالب جديدة . وهذا هو السبب فى اصرار الشركات على عدم الالتزام باعادة استثمار جزء من ارباحها فى داخل الدول المنتجة. فمنذ اصبح لهذه الدول «صوت قوى» ، والشركات تبحث عن مناطق أخرى « أكثر أمنا » . وكان ذلك دافعها فى السباق الجنونى الذى اشتركت فيه فى منطقة الاسكا الجليدية وقد دفعت الشركات فى هذا السباق الف مليون دولار ، دفعتها فى يوم واحد من أجل الحصول على امتيازات البحث فى هذه المنطقة المحاطة بالمخاطر والأهوال .

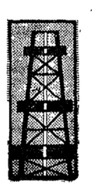
الهدف ليس زيادة العائدات

ان ما حصلت عليه دول البترول من زيادات ليس هو الهدف ، ولسوف يكون ظلما لمستقبل هذه الدول أن يتركز الهدف على زيادة العائد دون محاولة حقيقية لاستثمار هذا العائد بما يحقق ترابطا واضحا بين اقتصاديات هذه الدول وبين بترولها ، فالوضع الحالى فى معظم الدول البترولية يجعل اقتصاد هذه الدول معزولا عن البترول ، ويتضح ذلك فى أن دول الاوبك التى تنتج أكثر من نصف الانتاج العالمى تملك طاقة تكرير أقل من ٨ فى المائة من الطاقة العالمية ، كما يندر أن توجد فى هذه الدول صناعات بترولية تمكنها من خلق الكوادر الفنية الضرورية لاحتياجاتها المستقبلة بالاضافة الى ما تقيمه من اسس لاقتصادها القومى .

ان من حق دول البترول أن تحصل على حقها العادل عما تنتجه وما تعطيه للعالم من مصدر للطاقة وللقوة .

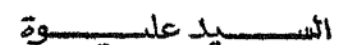
كذلك فان من واجب هذه الدول أن تعطى أجيالها القادمة حقها فى تلك الثروات التى يمكن بحق اعتبارها ملكا لكل الاجيال .

ومن طبيعة البترول انه انتاج لا يعوض ، ما ينتج منه ينقص من باطن الارض ، ومصير كل حقل مهما كبر الى النضوب .



مخططات اسرائيل لتهويد الأرض المحتلة





السيد عليوة

من بين العوامل التى ينبغى أن تحفز الاستراتيجية العربية للبحث عن حل عاجل للموقف الراهن من الصراع العربى ــ الاسرائيلى ، وضع المعاناة والعذاب والالم الذى يعيشه أكثر من مليون مواطن عربى في الاراضى العربية التى احتلتها القوات الاسرائيلية منذ يونية ١٩٦٧ ، هذا الوضع الذى يستهدف فى النهاية سحق هذه الجماعة العربية ، وارغامها على الهجرة ،وتفريغ هذه المناطق منهم تمهيدا لتهويدها وتحويلها الى اراض مندمجة فى اسرائيل .

ونتناول فيما يلى بعض ملامح المخططات الصهيونية لتهويد هذه الاراضى العربية :

اولا : تحديد الاراضى العربية المحتلة :

تبلغ مساحة المناطق العربية التى احتلتها اسرائيل أكثر من اربعة أمثال المساحة الاصلية لها بحكم خطوط هدنة عام ١٩٤٩ (٢٠ الف كم) اذ تقدر بحوالى ٨٨ الف كم مربع بالمقارنة مع ٨٠٠٠ ميل مربع هى مجموع المساحة التى اغتصبتها اسرائيل فى حرب ١٩٤٨ .

وهذه الاراضى تتكون من أربع مناطق: الضفة الغربية (والتى يسميها الاسرائيليون يهودا والسامرا) والقدس العربية وسيناء ، مرتفعات جولان السورية .

ثانيا : تطور الحكم العسكرى الاسرائيلى :

بعد أن تمت السيطرة العسكرية لقوات العدوان الاسرائيلى على المناطق العربية ، تم وضع هذه المناطق تحت الحكم العسكرى ، وقد مر تطور الحكم العسكرى الاسرائيلى بثلاث مراحل :

المرحلة الاولى : عمليات التهدئة والتى جرت بهدف احكام السيطرة على المناطق العربية وتطهيرها من جيوب المقاومة ، ومنع التمرد والثورة والاضطرابات وغيرها مما تعتبره السلطات الاسرائيلية من صور الازهاب والتخريب ، ثم اخضاع المدنيين للسيطرة تمهيدا لتثبيت السلطات المدنية الاخرى مثل الشرطة والصحة والتعليم .

المرحلة الثانية : اعادة تنشيط الحياة الاقتصادية بهدف القضاء على الشلل الذى أصاب اقتصاديات هذه المناطق بفعل ظروف الحرب وتوقف الموارد مثل انقطاع الصلة مع السلطات العربية المركزية فى كل من ج٠ع٠م والاردن وسوريا ، وتوقف الخدمات العامة والنشاط السياحى وفروع البنوك والمعونات المالية التى كان يرسلها الفلسطينيون العاملون فى الخارج الى ذويهم ، واغلاق أسواق تصريف المنتجات الزراعية للضفة الغربية .

والواقع انه كانت هناك مجموعتان من الدوافع : اقتصادية وسياسية وراء انعاش الوضع الاقتصادى ، تتبدى فى السياسة التى حاول « موشى ديان » انتهاجها والتى سميت بسياسة « **الجسور المفتوحة** » او « **الابواب المفتوحة** » بين المناطق المحتلة وبعضها البعض (غزة والضفة الغربية)او بينها وبين الضفة الشرقية للاردن ، لقد كان هناك من يتوقع ان تتحول مثل هذه السياسات الى نوع من سياسة « حسن الجوار» أو « التكامل الاقتصادى » مع المناطق العربية المجاورة .

المرحلة الثالثة : تأسيس الحكم العسكري : اتخذت الاجراءات لتأسيس وترسيخ الحكم العسكرى للمناطق المحتلة ، وقد قامت فلسفته على قاعدة « الحكم غير المباشر » أى حكم بدون ادارة – وهو يماثل الاسلوب التقليدى المعهود للاستعمار البريطانى فى مناطق المستعمرات الذى كان يعتمد على المؤسسات الوطنية القائمة من عمد ومشايخ وبلديات .

وفى هذا الصدد نجد صحيفة هاآرتز الاسرائيلية تشير فى ٢ ديسمبر ١٩٦٨ الى أن « **ديان حاول أن يتلافى المشاكل التى واجهت الامريكيين فى فيتنام** » .

ويتدرج الحكم العسكرى الاسرائيلى على أربعة مستويات : المستوى المركزى أى بتشكيل « **اللجنة الوزارية لشئون المناطق المحتلة** » التى كان يشرف عليها **ايجال آلون** حتى ١٥ فبراير ١٩٧٠ حينما اعفى منها وتولت **جولدامائير** بنفسها منصب الوزير المسئول عن الاراضى المحتلة ، اما المستوى الثانى فهو مستوى الاقليم ، ثم وحدات ادارة الشئون المدنية ، واخيرا مستوى القضاء أو المحافظة .

ويرتكز الحكم العسكرى فى ادارته على عناصر بشرية من ثلاث فئات : رجال الجيش ، وممثلى الحكومة ، والموظفين المحليين .

ثالثا : السياسات الاسرائيلية تجاه السكان العرب :

واذا كانت المساحة الشاسعة التى تحاول اسرائيل احكام قبضتها عليها تمثل معضلة أساسية أمام مطامع التوسع الاسرائيلى ، فان عددالسكان العرب الذين يعيشون فوق هذه المناطق يمثل بالنسبة للاحتلال الاسرائيلى المعضلة الاولى ، حتى بدت صورة إسرائيل امام الفكر الاستراتيجى بأنها بمثابة من « **قضم لقمة أكبر من فمه** » .

ويعيش اليوم فى مناطق الاحتلال الاسرائيلى حوالى مليون وربع مليون مواطن عربى ، بخلاف قرابة ثمانمائة الف نسمة هاجروا أو هجروا بفعل العدوان من كل من الضفة الغربية للاردن والجولان السورية وغزة وسيناء وكذلك منطقة قناة السويس .

ومن الملفت للنظر ذلك الاختلاف الذى يحدث فى تقديرات عدد السكان بين الاطراف المعنية ، فبينما نجد أن السلطات الاردنية وكذلك سلطات الامم المتحدة تقدر عدد السكان فى الضفة الغربية والقدس بحوالى ٨٠٠ الف طبقا لاحصاءات ١٩٦١ أى أنهم حوالى مليون نسمة حاليا ، نجد أن السلطات الاسرائيلية تقدرهم حاليا بنحو ٦٠٠الف نسمة فى الضفة الغربية و ٧٠ ألفا فى القدس ، أى أن اسرائيل تستهدف التقليل من حجم وبالتالى من شأن الوجود البشرى العربى على الارض المحتلة .

حقيقة الامر أن العدد الضخم من السكان العرب يمثل معضلة بدون حل تواجه الاسرائيليين ، لانه اذا حدث ادماج كلى لهم ، فان الاسرائيليين يخشون أن يتحولوا الى اقلية فى « اسرائيل الكبرى» التى تصبح « اسرائيل عربية » بسبب أن معدل التزايد السكانى بين العرب أعلى منه بين اليهود.وقد حدا هذا بحزب المابام أن يهجر برنامجه القديم فى اقامة دولة ثنائية القومية ، وأن يؤيد فكرة اعادة الضفة الغربية الى الاردن .

ومن ناحية اخرى فان هؤلاء الذين يؤيدون قيام «**اسرائيل الكبرى**» يعتبرون من أكبر معارضى فكرة الدولة الثنائية القومية خوفا من تلاشى الطابع اليهودى للدولة ، لذا نجد سكرتير حزب رافى **شيمون بيريز** يقترح الحل .. ومؤداه هجرة العرب الى الخارج ، انه ينادى بأن يهاجر عرب الارض المحتلة الى مناطق البترول الثرية فى الكويت والبحرين وغيرها .

أما سياسات العدو تجاه العمال الفلسطينيين فتتلخص فى تشغيل أكبر عدد ممكن منهم بعد أن تم تهجير بعضهم ، ثم نقل أكبر عدد من عمال قطاع غزة الى الضفة الغربية بهدف ابعاد العمال عن الثورة المسلحة ، بل اننا نجد أن القرى التعاونية (الموشاف) التى كان العدو يعتز بأنها نمط اشتراكى فى الحياة أصبحت تستخدم العمال العرب ، وبذلك انتفت من هذه القرى الصبغة التعاونية ، وأصبح هدف مستوطنيها الربح والراحة، وهو بدوره يؤدى الى ظهور فكرة التملك الشخصى التى هى عماد الرأسمالية والتى تقوض المفاهيم التى تقوم عليها القرى التعاونية، ناهيك عن المستويات الهابطة فى الاجور التى يتقاضاها العمال العرب بالنسبة للاجور التى يتقاضاها العمال اليهود ، اذ أن اجور الاخيرين تزيد عن العامل العربى فى قطاع غزة خمسة أضعاف ، وعن العامل الفلسطينى فى الضفة الغربية ثلاثة أضعاف عن نفس العمل وفى نفس المكان .

رابعا : الاوضاع الاقتصادية للسكان العرب :

تشكل الاوضاع الاقتصادية لعرب الارض المحتلة عنصرا فعالا فى سياسات العدو ازاء مستقبل هذه المناطق ، فمثلا بالنسبة لسكان الضفة الغربية ولانهم يعيشون على الزراعة كان ايجاد اسواق لتصريف منتجاتهم أمرا ضروريا ، وقد عملت السلطات الاسرائيلية على تسهيل التبادل التجارى بين ضفتى الاردن ، ولما خاف المزارعون الاسرائيليون من منافسة المنتجات العربية ، فقد سعى المخططون الاسرائيليون ووزارة الزراعة الى تشجيع تطوير المحصولات العربية غير المنافسة والتحول من زراعة الطماطم والبطيخ

الى الحبوب الغذائية (التى تستوردها اسرائيل) والتين والزيتون التى تنخفض انتاجيتهما فى اسرائيل .

كما ازيلت الحواجز التجارية بالتدريج بين غزة واسرائيل والضفة الغربية ، وكذلك الغيت القيود على التصدير منذ اكتوبر ١٩٦٧ من الضفة الغربية الى اسرائيل .

اما اقتصاديات غزة فقد قامت قبل حرب يونية على عدة عوامل : منها استخدام آلاف من السكان وتدفق العملات الحرة بوساطة قوات الطوارىء الدولية ثم معونات هيئة الاغاثة الدولية ، وكذلك الاعانات التى كان يرسلها العاملون فى منطقة الخليج العربى الى عائلاتهم ، وتصدير الموالح (٩ مليون جنيه استرلينى سنويا) والمزايا التى كانت تعود على غزة كسوق حرة وأيضا انفاق الادارة المصرية ، وقد توقفت تقريبا كل هذه الموارد فيما عدا تصدير الموالح .

ان **هناك** ورطة كبرى امام المخططين الاسرائيليين ، وهى « خطر » الايدى العربية الرخيصة فى المناطق المحتلة ، لقد جرت بعض المحاولات من جانب السلطات الاسرائيلية والهستدروت لتخفيض الفروق فى الاجور بين القدس العربية والقدس اليهودية وكلها خطوات محدودة ، ومن ناحية اخرى فان بعض الاقتصاديين الاسرائيليين يتناقشون فى أنه اذا ما حصل العمال العرب والمزارعون العرب على اجور واسعار لحاصلاتهم مساوية للسائدة فى اسرائيل ، فانه لن تكون هناك قدرة انتاجية كافية فى اسرائيل والمناطق المحتلة معا لتلبية القوى الشرائية المتزايدة ، ومثل هذه النتيجة سوف تزيد من العجز التجارى الاسرائيلى بنحو ٢٥٠ مليون دولار . **ومثل هذه الاعتبارات الاقتصادية ذات تأثير قوى على قرار الوزارة بشأن المستقبل السياسى لكل من غزة والضفة الغربية** ، انها تلعب دور الموازنة فى مواجهة العوامل الاستراتيجية والعاطفية التى أثرت بقوة على الرأى العام الاسرائيلى .

خامسا : خطوات التهويد :

تنفيذا لاطماع التوسع الصهيونى ، فقد قطعت اسرائيل خطوات عديدة لتحقيق تهويد المناطق المحتلة ، فهى منذ البداية اطلقت عليها تسمية « **المناطق المحررة** » ومنذ ١٩٦٧ بدأت اسرائيل اجراءات تحويل القدس العربية من مدينة أردنية الى يهودية ، واعتبار اهلها سكانا اسرائيليين ، فأدمجت البلدية والتعليم وقوة الشرطة والخدمات العامة فى الادارة الاسرائيلية .

وفى المناطق الاخرى ، رغم أن السياسات الاسرائيلية ليست حاسمة تماما فانها تسير فى خط مشابه بهدف الادماج ، فمنذ ديسمبر ١٩٦٧ بدىء فى انشاء المستعمرات الاستيطانية فى كل من الجولان والضفة الغربية وسيناء ، وقد تجاوز عددها اكثر من عشرين مستعمرة ، والملفت للنظر أن اسرائيل تستخدم الصفة العسكرية لمستعمرات الناحال باعتبارها مواقع عسكرية لتنفى الاتهامات التى توجه لها من وجهة نظر القانون الدولى بأنها تنوى تغيير طبيعة المناطق المحتلة .

بالنسبة للتعليم فقد كان هناك ٦٣٠ مدرسة حكومية و ٢٠٠ مدرسة تابعة لوكالة الاغاثة الدولية تضم حوالى ١٧٠ الف تلميذ وستة آلاف مدرس فى الضفة الغربية ، اما فى قطاع غزة فقد كان هناك ١٨٠ مدرسة حكومية وتابعة لوكالة الاغاثة تضم الف تلميذ و ٢٧٠٠ مدرس ، بخلاف حوالى ١٠٠٠ تلميذ و ٤٠ مدرسا فى هضبة الجولان .

فى القدس العربية تم تحويل تبعية المدارس كلية الى وزارة التعليم الاسرائيلية من حيث المناهج والبرامج والنصوص وكذلك الادارة واصبحت مماثلة تماما لوضع المناطق العربية فى فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨ .

اما فى بقية المناطق فان نظام التعليم وضع تحت التوجيه المستمر للحكم العسكرى ، كما اجرت السلطات الاسرائيلية تعديلات جذرية فى المناهج التربوية ، فمن بين ١٣٤ كتابا عربيا فى مدارس الضفة الغربية ألغت اسرائيل ٧٨ كتابا ، ومن بين ١٢٩ كتابا فى مدارس غزة ألغت ٣٩ كتابا ، كما حرمت النصوص التى تتعلق باليهود والصهيونية واسرائيل .

وقد تعددت اضرابات الطلبة والمدرسين العرب للتعبير عن رفضهم الخضوع لسياسات الاحتلال الاسرائيلى التى تستهدف استئصال الوجدان القومى العربى من نفوس الشبيبة العرب .

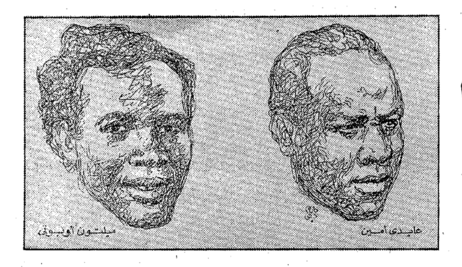
ومن حين لاخر تقوم السلطات الاسرائيلية بهدم منازل السكان العرب وازالة مناطق وقرى بأكملها من الوجود ، وشن حملات الاعتقال والتعسف ضدهم ، الامر الذى دفع الامم المتحدة الى الاهتمام بالموضوع ، الا انه حدث فى ٢٠ مارس ١٩٧٠ ان انسحبت اسرائيل من لجنة حقوق الانسان التابعة للامم المتحدة اثناء مناقشة التقرير الذى اعدته لجنة الخبراء حول انتهاك اسرائيل للحقوق الانسانية للمواطنين العرب فى الارض المحتلة .

كما تدعم السلطات الاسرائيلية سياساتها ازاء السكان العرب بالدعوة لتشجيع هجرة اليهود من الخارج الى اسرائيل **لتحقيق التوازن مع العرب** فى المناطق المحتلة .

خلاصة القول أن اسرائيل تسلك عدة سبل ووسائل لتفريغ الارض العربية المحتلة من أصحابها العرب تمهيدا لتهويدها وضمها تحقيقا لاطماع التوسع الصهيونى .

حول الهجمة الامبريالية الاسرائيلية

ضد أوغندا



عبد المنعم الغزالى

ان الانقلاب العسكرى الذى قام به الجنرال ايدى أمين فى أوغندا ضد الدكتور ملتون أبوتى أثناء تغيبه عن البلاد للاشتراك فى مؤتمر الكومنولث البريطانى ليس الا حلقة من مخطط امبريالى شامل لمواجهة المد الثورى الذى بدأ يزحف على افريقيا من جديد ، ولاجهاض الثورات الافريقية الفتية ، ولقد عبرت الديلى تلجراف المحافظة البريطانية عن فرحتها بذهاب أبوتى عندما عنونت تعليقها على الانقلاب « الى حيث ألقت يا أبوتى » .

أن ايدى أمين قام بانقلابه تنفيذا لمخطط اشتركت فيه دوائر استعمارية عديدة ، بريطانية وأمريكية وألمانية غربية واسرائيلية . وان كانت علاقات ايدى امين الخاصة هى أوثق باسرائيل من أية قوة أخرى ، ويستهدف هذا المخطط الاوضاع الثورية النامية فى شرق افريقيا ، والتى فجرتها بصفة خاصة ثورة الخامس والعشرين من مايو ١٩٦٩ ، وخاصة وأن أوغندا بدأت تمثل بقيادة ملتون أبوتى نقطة ضعف فى مجموعة الدول المحيطة بثورات السودان والصومال ، وهى مجموعة الدول التى يحاول الاستعمار الاحتفاظ بها فيما يسميه بالحزام الافريقى الفاصل بين شمال الصحراء وجنوبها .

لقد عبر د . ملتون أبوتى فى الاعوام الاخيرة — وفى عدد من المواقف التى اتخذها — عن سياسته التى أثارت عليه حنق الاستعماريين ، ففى مايو ١٩٧٠ أعلن وثيقة الاتجاه الى اليسار معلنا قيام نظام جديد يعيش فيه المواطن العادى « حياة اشتراكية » وأعلن تأميم عدد من قطاعات النشاط الاقتصادى ومصادر الثروة والتجارة الخارجية ، وقد عارض الجنرال ايدى أمين سياسة د . أبوتى الاقتصادية تلك ، وخاصة ما تعلق منها بتأميم المؤسسات الاجنبية ومعظمها بريطانية ، وأعلن د . أبوتى معارضته لسياسة حكومة المحافظين البريطانية حيال حكومة جنوب افريقيا « العنصرية » واعلانها التزامها باستمرار تسليحها ، وأعلن أبوتى أن حكومته ستنتقم من المصالح البريطانية فى أوغندا اذا ما استمرت بريطانيا فى بيعها الاسلحة لجنوب افريقيا ، وفى نفس الوقت اتخذ قرارا بمنع توقف خطوط الطيران فى بلاده اذا مرت بروديسيا ، وهو الامر الذى

تضار منه الخطوط الجوية البريطانية لما وراء البحار والخطوط الجوية المتحدة البريطانية والخطوط الجوية الايطالية وخطوط وسط افريقيا وخطوط زامبيا الجوية وخطوط مالاوى الجوية ، كما أصدر قرارا بوقف جميع الخدمات البريدية لروديسيا ، ولقد كان د • أبوتى يبدى معارضته المستمرة لسياسة الولايات المتحدة الامريكية منذ أحداث الكونغو •

وبالنسبة لاسرائيل فقد بدأ د • أبوتى يبدى معارضته الشخصية لتزايد نشاطها المريب فى بلاده واتجاه هذا النشاط لدعم الاعمال التخريبية فى جنوب السودان ، وقد ازداد غضب اسرائيل على ابوتى خاصة عندما اضطر الى ابعاد ابن عمه « نيكون » وهو واحد من الاربعة الذين سرقوا ذهب ثوار الكونغو ، وكان « نيكون » هذا قد استخدم الخبراء الاسرائيليين العسكريين فى أوغندا ، واستخدم منهم أكثر من خمسين خبيرا فى ادارة الامن القومى حيث كانوا يتولون مراكز رئيسية هامة فى هذه الادارة •

ومنذ قيام ثورة الخامس والعشرين من مايو فى السودان ود • أبوتى يقيم وينشأ علاقات ودية مع النظام الثورى فى الشمال وكان مؤخرا قد اتفق مع السلطة الثورية السودانية على وقف نشاط المتمردين الجنوبيين ومحاربة المرتزقة الاجانب الذين يعملون معهم • وكان أن سلم ، فعلا ، وبناء على موقف شخصى منه ، المرتزق الالمانى الغربى شتاينر مؤخرا للحكومة السودانية بعد فراره جريحا من الجنوب اثر هزيمته فى معسكر المتمردين بمورنو بجنوب السودان ، كما اخذ يضيق الخناق على مراكز التمرد المقيمة بأوغندا ، وقد بلغ استياء اسرائيل ذروته نتيجة اتجاه د • ملتون أبوتى الاخير الى توثيق التعاون مع مصر وطلبه عددا كبيرا من الاطباء والمهندسين المصريين لمواجهة احتياجات أوغندا ، وكانت مصر قد سارعت بمد أوغندا بمصل شلل الاطفال •

ان سياسة د • أبوتى مكنته أن يتطور بأوغندا لتصبح الدولة الاولى من بين دول افريقيا الوسطى ، محققة أكبر نمو اقتصادى بين هذه المجموعة ، وأصبح ميزان مدفوعاتها لصالحها ، وبدأ يزدهر فيها نشاط صناعى متسع ، وكان من المقدر أن يتضاعف دخلها القومى خلال عام ١٩٧١ ، كما أخذ د • ملتون أبوتى يتجه الى توثيق علاقاته ببلدان المعسكر الاشتراكى وخاصة الاتحاد السوفييتى •

ولقد حاول بعض المعلقين أن يرد الانقلاب الاخير فى أوغندا الى الصراع الداخلى فيها • حيث تنقسم أوغندا منذ اعلان الحماية عليها فى



١٨٩٤ الى قسمين متباينين شمالى وجنوبى ، وينقسم الاقليم الجنوبى الى خمس ممالك تقليدية
وينقسم الاقليم الجنوبى الى خمس ممالك تقليدية
اقطاعية (بوجندا ـ بوتيورو ـ أنكوك ـ تورو ـ وبوسوجا) تنتمى الى مجموعة قبلية واحدة هى البانتو ، بينما الشمال تسكنه القبائل النيلية والنيلية الحامية • وكان حظ سكان القسم الجنوبى من التعليم أوفر فتولوا الوظائف الحكومية ومارسوا الطب والمحاماة والهندسة والاعمال الحرة ومثلوا مركز المعارضة لسياسة د. ملتون أبوتى ، بينما يسيطر سكان الشمال على الجيش والبوليس ، ورغم أن اقطاعيى الجنوب قد أيدوا انقلاب ايدى أمين فان الانقلاب فى الحقيقة ليس نتيجة هذا الصراع القبلى والتقليدى بين الشمال والجنوب ، انما هو تخطيط مباشر من الدوائر الاستعمارية البريطانية والامريكية والاسرائيلية •

وهكذا فان انقلاب ايدى أمين هو حلقة من حلقات الهجمة الاستعمارية الشرسة الموجهة ضد حركة التحرر الافريقية وضد مجموعة الدول التقدمية والذى تمثل مؤخرا فى محاولة غزو غينيا بوساطة فرق المرتزقة الذين عبأتهم البرتغال بمساعدة حلف الاطلنطى والمانيا الغربية • وباختصار فان هذا الانقلاب يدخل فى محاولاتهم المستمرة لخلق بيافرا جديدة فى جنوب السودان لوقف الزحف الثورى القادم من الشمال حتى لا يتحطم الحزام الافريقى العازل الممتد من كينيا حتى تشاد •

والواقع أن ثورة الخامس والعشرين من مايو

نى السودان بمحتواها الوطنى الديمقـراطى المستشرف آفاق الاشتراكية ، وبآفاقها العـربية والافريقية هى هدف لمخططات الاستعمار ، وبصفة خاصة بعد أن تمكنت هذه الثورة قبل أن يمر عام على عمرها من أن توجه ضربات قوية لبيت من أكبر البيوتات الرجعية فى افريقيا - بيت المهدى - وبعد أن تمكنت من التوصل الى اعلان الحل الثورى لقضية الجنوب المزمنة ، وأن توجه ضربات قاضية لمراكز التمرد التى تشرف عليها دوائر اسرائيلية واستعمارية غربية ، وكانت آخر هذه الضربات التى تلقتها هذه المراكز هى سـحق معسكر المتمردين فى ونجى كابول وهو مركز المتمـرد جوزيف لاقو المدعوم دعما مباشرا من اسرائيل ، والذى كان يعمل معه فيه عدد من الضـباط والخبراء الاسرائيليين ، وكان قد سبقه فشل أخطر محاولة غزو لجنوب السودان من الشرق حيث دحرت القوات المتمردة والتى كان بينها مجموعة كبيرة من الجنود والعسكريين الاسرائيليين فى فشلا .

ان انقلاب ايدى أمين هو فى الحقيقة أخطر حلقات المخطط الاستعمارى - الاسرائيلى ، والذى بدأت تتكشف خيوطه لغزو السودان من الجنوب . ان المخابرات الامريكية قد قررت مؤخرا القيام بعملية غزو بوساطة فرق من المرتزقة لجنـوب السودان بعد أن منيت بالفشل مخططاتها العديدة للقيام بحركات مضادة من داخل السودان .

ان انقلاب ايدى أمين وقد تعرى كعميل موجه ضد حركة الثورة الافريقية ما زال فى عزلة عن الغالبية العظمى من الدول الافريقية . ذلك أن كثيرا من الدول لا ترى فيه الا مجرد عملية من عمليات اختطاف السلطة لصالح دوائر استعمارية ، تنتهز فرصة تغيب رأس الدولة ، ومستفيدة من وضع خاص بكثير من الدول الافريقية المتحررة . هذا الوضع الذى يتمثل فى أن معظم هذه النظم يعتمد على شخص قائدها اكثر من اعتماده علـى مؤسسات جماهيرية ديمقراطية ثابتة للحـكم ، ومؤمنة بسياسته ، ومنظمة بحق لقوى الثورة .. وأن ما حدث من قبل لنيكروما وما حدث فى مالى ليس بعيدا عن الازهان ..

الا أن الموقف الصحيح لمواجهة الهجمـة الاستعمارية الجديدة من قبل البلدان الافريقية قد أصبح يتطلب عملا موحدا وأكثر حزما وايجابية وخاصة من قبل الدول المتحررة فى جميع أنحاء القارة ، وبذل كل جهد لتنفيذ قرارات مـؤتمر لوساكا الاخير لمواجهة المخططات الاسـتعمارية المعدة لغزو البلدان الافريقية التقدمية بوساطة فرق المرتزقة . ان القضية الان هى أن ترفع افريقيـا رأسها لمواجهة العاصفة الاستعمارية ، والتيقظ لابعاد مخططاتها ، وأن تعمل الدول الافريقيـة المتحررة على تعبئة قوى شعوبها وتوحيدها فى مؤسسات جماهيرية وديمقراطية وأن تعمل على تحقيق وحدة قواها الوطنية والثورية لمواجهـة العدو الرئيسى لشعوب افريقيا وللنظـم الثورية فيها . الاستعمار القديم والحـديث وقواعـده العميلة داخل هذه البلاد ، من القوى الاجتماعية الرجعيـة القديمة والمرتبطة مصـلحيا بالدوائر الاستعمارية والتى تعتمد عليها هذه الدوائر فى انجاز مخططاتها .»



حول دروس أزمة تشيكوسلوفاكيا

محمد سيد أحمد

هناك أكثر من سبب يدعو الى الاسراع بجسم الازمة التى اعترت الحزب والمجتمع التشيكوسلوفاكى فى أعقاب مؤتمر الحزب ــ الثالث عشر (الذى عقد فى عام ٦٦) ، وقد بلغت هذه الازمة ذروتها بعد ابعاد نوفوتنى من قيادة الحزب ، والدولة فى مستهل عام ١٩٦٨ ، وأحلال دوبتشيك محله فى مركز السكرتير الاول للحزب ، وهى المرحلة التى شهدت تحولات فى تشيكوسلوفاكيا جذبت انتباه العالم ، وكانت موضع تفسيرات متعارضة حتى داخل صفوف الحركة الشيوعية العالمية ، وانتهى الامر فى ٢١ أغسطس ١٩٦٨ بتحرك قوات حلف وارسو ، وتدخلها بالطريق العسكرى « لدرء خطر تعرض تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية لثورة مضادة » .

وقد أتيحت لى وقتذاك فرصة أن أجرى تحقيقا واسعا حول الاسباب التى دعت الى هذا التحرك ، بكل ما كان ينتظر له أن يثيره من مشاكل ، بزيارة استكشافية فى أعقاب التحرك مباشرة دامت أكثر من شهر ونصف شهر الى أهم العواصم المعنية بالازمة (براج ــ موسكو ــ برلين ــ وارسو) » ونشرت فور عودتى فى « الطليعة » عدد ديسمبر ١٩٦٨ نتائج هذا التحقيق ، وما طرحه من

اجتهادات وآثاره لدى من انطباعات . ومن المحقق أن الحدث البارز الذى آثار أكثر المناقشات احتداما ، هو «شرعية التدخل العسكرى» ، لحسم قضية هى فى أساسها قضية سياسية واجتماعية ، تتعلق بسيادة دولة اشتراكية ، وتمت الى صميم مشاكلها الداخلية . غير أن أحدا — أيا كان منطلقه فى التفسير والاجتهاد — لم يكن يملك اهمال المسببات التى وقفت خلف هذا التدخل ، والملابسات السياسية والاجتماعية والدولية التى احاطت بهذه الخطوة وسبقتها ، فى ظروف عالم اليوم ، وخصائص مجرياته .

وقد خصصت الحلقة الثانية من دراستى وقتذاك لمحاولة تحديد وتقييم «الاسباب المحددة» التى استدعت دخول قوات حلف وارسو . . وقد استعرضت أسبابا متعددة ، تباينت أوجه النظر حول مدى جديتها فى اثبات «قيام حالة» تقبل التشخيص على أنها «ثورة مضادة» . وكانت الاضواء قد ركزت وقتذاك — بحقائق كثيرة محددة — حول صور مبتدعة ومتنوعة لتدخل الغرب ، وتأثيره فى المجريات التى انطبع بها تطور المجتمع التشيكوسلوفاكى بعد يناير ١٩٦٨ . واختصت هذه الوقائع بالذات ، فضلا عن النشاط التقليدى لاقلام المخابرات الغربية . ولدور السياح ، ولمشاكل نوعيه تخص علاقات تشيكوسلوفاكيا التاريخية بالمانيا (الغربية) ، — مشكلة السوديت ، ومطامع الاحتكارات الالمانية فى استرداد مواقعها السابقة فى الاقتصاد التشيكى ، وحاجتها بشكل خاص الى يورانيوم بوهيميا بعد أن أصبح للانتاج النووى أهميته فى الصناعة العصرية المتطورة — اختصت هذه الوقائع ، فضلا عن هذا كله ، بأساليب مبتدعة أصبحت تمارسها أجهزة الاعلام الغربية ، لتنشيط قوى اجتماعية تنتسب الى ماضى تشيكوسلوفاكيا قبل ثورتها الاشتراكية كدولة رأسمالية . الثورة ، وشاركت أخطاء ارتكبتها السلطة الاشتراكية فى عدم اجتثاث جذورها الفكرية ، و ى قوى يمكن حشدها — متى توافرت ظروف محددة ، وارتدت الى الخلف قبضة السلطة الاشتراكية — كى تنهض بدور هام فى التصدى لانتزاع تشيكوسلوفاكيا من طريق الاشتراكية .

غير أن الاثبات — بأسانيد ترتكز على وقائع محددة — كان أكثر صعوبة فيما يتعلق بالاسباب الداخلية فى انشاء حالة «ثورة مضادة» . واذا طرح وقتذاك — بين دول حلف وارسو — تشخيصا للتطورات الداخلية التى أعقبت يناير ١٩٦٨ ، على انها ربما تكون قد بدأت من منطلق بات ضروريا فى تصحيح اخطاء لا خلاف حولها فى اساءتها للاشتراكية ، الا أن مجريات الاحداث بدأت تكسب هذه التطورات طابع الاتجاه نحو «الغاء الاشتراكية» لا «تصحيحها» ، ذلك بالاستناد الى شواهد تشير الى افتقاد الحزب دوره القيادى فى المجتمع ، وباشاعة مفهوم للديموقراطية هو أقرب الى المفهوم الليبرالى البرجوازى منه الى المفهوم الاشتراكى ، وبظهور منظمات وهيئات سياسية تحت لافتات مختلفة تجاهر بتحريضها صراحة على ادخال تعديلات جذرية على صميم هيكل المجتمع ونظمه الاساسية . غير أن هذه الشواهد — التى كانت تستند اليها الاحزاب الشيوعية فى دول حلف وارسو وخارج تشيكوسلوفاكيا — واجهتها السلطة فى الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى وقتذاك بتشخيص مغاير ، ولم تكف عن ابداء تشككها فى انها شواهد تصلح كأساس لتشخيص الموقف على أنه ينطبع بطابع «الثورة المضادة» . والمعضلة هى أن السلطة التى تملك «شرعيا» صلاحية ابداء «التشخيص» ، كانت هى نفسها موضع تغيرات داخلها ، ومعرضة لصراعات داخلية صاحبت هذه التغيرات ، وكان لذلك أثره فى تحديد نوعية «التشخيص» الذى تبديه ، مما كان يفقد «المراقب من الخارج» فرصة الاستناد الى «وقائع محددة» تصلح أساسا لحكمه على طبيعة التطور الجارى ، وتقييمه له .

والجديد فى الموقف هو أن الفرصة قد أتيحت بعد فترة تقترب من الثلاثة أعوام من وقوع هذه الاحداث ، لقيادة الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى كى يقدم تقييما شاملا للموقف فى وثيقة أصدرتها اللجنة المركزية للحزب فى ١٠ ديسمبر الماضى تحت عنوان «دروس مستخلصة من أزمة الحزب والمجتمع بعد المؤتمر الثالث عشر للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى» . ونشرت هذه الوثيقة بجريدة الحزب المركزية فى ١٤ يناير من هذا العام .

وثيقة تصدر فى ظروف مغايرة

ولاشك أن صدور هذه الوثيقة يعبر — على الصعيد الداخلى لتشيكوسلوفاكيا — عن توصل الحزب الى هذا القدر من الاستقرار الذى يسمح بالتصدى لعملية الاتفاق على وثيقة تصدر من الحزب ، وتقيم فترة بالغة التعقيد فى حياته ، تضاربت فيها وجهات النظر ووصلت الى حد من التباعد لم يكن من اليسير تخطيه . يشهد بذلك ما جاء بالوثيقة أن «الحزب قد ابعد من صفوفه خمس أعضائه القدامى ، ممن كشف موقفهم عن ضعف فى الاوقات الحرجة ، وكان سلوكهم لا يستجيب لما كان مطلوبا من الشيوعيين» . وتشير الاحصاءات كذلك الى أن ثانى أعضاء اللجنة المركزية قد أبدلوا بآخرين عينوا مكانهم . وقد قررت اللجنة المركزية

دعوة مؤتمر الحزب الرابع عشر فى ٢٥ مايو القادم ، ليكون على حد تعبير جوستاف هوساك ، سكرتير أول الحزب ، تتويجا « لنهاية المرحلة الراهنة للنضال من أجل وحدة الحزب وتطهيره » ، وهذا المؤتمر الذى سيطرح قضية تعديل لوائح الحزب – تجنبا لثغرات تسببت فى انفلات الامور كما حدث فى الماضى – سيركز على استرداد هيكل الحزب ودعم نوابه ، تتم فقط بطريق التعيين ، القيادية ، بعد أن ظلت التعديلات التى أدخلت على هذه الهيئات طوال الفترة السابقة ، فترة تطهير الحزب ودعم نواته ، فتم فقط بطريق التعيين ، وكذلك سيمهد المؤتمر لاستكمال شرعية المؤسسات ، باجراء انتخابات فى خريف هذا العام ، أو فى الربيع من العام القادم للهيئات النيابية والبلدية ، وجميع أعضاء هذه الهيئات الحاليين ، قد مدت آجال تفويضهم بعد انتهاء هذه الآجال فى ١٩٦٨ .

غير أن ضرورة استجلاء ملامح المرحلة السابقة ، والعمل على تخطيها ، لا تقتصر أهميتها على الظروف الداخلية لتشيكوسلوفاكيا وحدها ، بل تقتضيها أيضا ظروف خارج تشيكوسلوفاكيا على اتساع المعسكر الاشتراكى ، ولها أهميتها بالنسبة للاتحاد السوفيتى ، كما تقتضيها سمات جديدة بدأت تبرز خلال الفترة الاخيرة فى أوروبا .

ففى ٣٠ مارس القادم ، يعقد الحزب الشيوعى السوفيتى مؤتمره الرابع والعشرين . وهذا المؤتمر الذى سوف يتعرض بالتقييم لنشاط الحزب طوال السنوات الاخيرة منذ عقد مؤتمره السابق فى ١٩٦٦ ، لابد أن يمتد هذا التقييم ليشمل قراره الخاص بتحرك قوات وارسو فى ٢١ أغسطس ١٩٦٨ ، فى ضوء ما ترتب على هذا القرار من تطورات داخل تشيكوسلوفاكيا منذ ذاك الوقت . ومن المحقق أن استعادة تشيكوسلوفاكيا استقرارها الداخلى من الامور التى سوف تنهض بدور محقق فى التخفيف من حدة الخلافات التى نشبت على اتساع الحركة الشيوعية العالمية حول القرار .

أما عن الجديد على نطاق أوروبا ، فينبغى الالتفات لتقييم للموقف الاوروبى ، ساد دول حلف وارسو فى الفترة التى شهدت فيها الازمة التشيكية ذروتها ، وهذا التقييم عبرت عنه فى دراستى (الحلقة الرابعة حول ابعاد مشكلة تشيكوسلوفاكيا فى عالم اليوم) على النحو التالى :

« هناك حقائق هامة تتصل بتطور مخططات الاستعمار فى هذه الاونة ، كما تجسدها مخططات حلف الاطلنطى الاخيرة ، وقوة ضاربة طليعية داخل اطار هذا الحلف ، وأقصد بالذات الدوائر الإنتقامية والنازية الجديدة فى ألمانيا الغربية ، التى لم تتخل عن أحلامها فى استرداد أمجادها السابقة ، وظلت طوال السنوات الماضية مصدرا للتوتر لم يخفت فى قلب اوروبا . فمنذ بضع سنوات ، أعادت هذه الدوائر فى بون تقييم سياستها نحو البلدان الاشتراكية الاوروبية . ووضعت مخططا جديدا للوصول الى أهدافها الاصلية بوسائل مبتكرة تساير ظروف العصر والامكانيات التى تتيحها ، وعرفت هذه السياسة « بسياسة بون الشرقية الجديدة » قوامها التظاهر بوجه مسالم عطوف ، يخفى فى حقيقة الامر كل قدرات تكنولوجيا السلاح المعاصرة ، والقدرات العدوانية الرهيبة التى باتت تختزنها . وقد وجدت هذه السياسة تعبيرا ناطقا عنها فى مؤلف جديد للوزير الالمانى الغربى شتراوس بعنوان « مشروع من أجل أوروبا » ، يطالب فيه حكومته بأن تعمل على تشجيع بعض « التطورات الناشئة » فى عدد من دول أوروبا الشرقية ، و « دفعها الى نقطة اللاعودة » .

« وقد التقت الافكار التى يدعو لها أصحاب « السياسة الشرقية الجديدة » فى بون ، مع مخططات مصممى « الاستراتيجية الشاملة » الامريكية ، منذ أن أسهم مكنمارا فى اعادة تحديد ملامحها . ومن المعلوم أن المعاهدة التى بمقتضاها أسس حلف الاطلنطى منذ ١٩ عاما ينقضى فى ١٩٦٩ . وثار جدل واسع قبل أحداث تشيكوسلوفاكيا حول الاستعاضة عن صيغة الحلف الاصلية التى رسمت وفق متطلبات الحرب الباردة ، بصيغة جديدة تحفظ قدرات الحلف الضاربة المهولة ، مستترة وراء مظهر برىء ، متكيف لافضل استثمار ممكن لظروف التعايش السلمى ، كما استقرت خلال السنوات الاخيرة . وكتب برزيزنسكى ، مستشار المرشح السابق للرياسة الامريكية همفرى ، ومن أكبر الخبراء فى شئون أوروبا الشرقية « أن أنسب طرق التحول يجب أن تبدأ باطلاق تطورات داخلية نحو الليبرالية فى دول أوروبا الشرقية . والجو مهيأ لهذه التطورات فى تشيكوسلوفاكيا بالذات ، والى حد أقل فى المجر وبولندا .

« وتدرك الدوائر المسئولة فى موسكو من الجانب الاخر ، أن التوازن الراهن للقوى العالمية لم يعد يسمح للاستعمار الغربى بتصدير الثورة المضادة الى دول أوروبا الاشتراكية عن طريق التدخل العسكرى السافر مباشرة . ولم يعد أمامها ، اتقاء للردع السوفيتى المنتظر ، الا أن تلجأ الى مخططات جديدة ، قوامها تهيئة الظروف لانطلاق الثورة المضادة « بالطرق السلمية ، التى

تستثير الشبهات حول دوافعها المعادية للاشتراكية أصلا • وأن تسير هذه العمليات باسم تجديد الاشتراكية ، أو تصحيح أخطائها ، أو جعلها أكثر ملاءمة لتطلعات الشعوب فى مناخ التعايش السلمى السائد • وهذا « الانتقال السلمى من الاشتراكية الى الرأسمالية ، لا يلغى بطبيعة الحال الاستناد الى القوة بمجرد نزع حق اللجوء الى هذا السلاح من القوى الاشتراكية » •

غير أن عناصر هذا التقييم قد دخل عليها تغيير كبير خلال عام ١٩٧٠ ، بالذات بعد أن تولى فيللى براندت السلطة فى المانيا الفدرالية ، وبعد الانفتاح الجديد لسياسة بون على دول أوروبا الاشتراكية ، كما تجسد فى اتفاقيتى موسكو ووارسو ، وهذه السياسة الجديدة تكسب سياسة بون فى نظر الدول الاشتراكية طابعا مغايرا لذلك الذى قيمت به منذ عامين ، اذ يبرز وجه هذه السياسة بعد الاتفاقات الاخيرة ، كتعبير بارز عن جهود أوروبا الغربية للتحلل من تبعيتها حيال الولايات المتحدة ، وهى السياسة التى سبقت المانيا الفدرالية فى الوصول اليها وتحديد ملامحها ، فرنسا الديجولية ، واصبحت حكومة فيللى براندت فى بون المثل الابرز والاوضح لها بعد اختفاء شخص ديجول ، لا لمجرد ظروف تتعلق بالاشخاص فحسب ، بل لظروف موضوعية يقتضيها تطور المانيا الغربية الاقتصادية فى طليعة الدول الاوروبية الغربية ، وبحثها عن صيغ لسياساتها تتناسب مع مقتضيات أوضاعها الاقتصادية •

ويلاحظ فى الوثيقة التى أصدرتها دورة ديسمبر لاجتماعات اللجنة المركزية للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى عن دروس الازمة ، انها لم تتعرض الا بطريقة عابرة عن العناصر الخارجية ، وبخاصة عن مخططات «السياسة الشرقية لبون» فى تحديد الاسباب التى وقفت خلف انفجار الازمة • وركزت على العكس على العناصر الداخلية ، وقد أصبح التركيز على هذه العناصر أكثر يسرا وسهولة ، بعد استبعاد العوامل التى حالت دون استجلاء هذه الاسباب الداخلية فى الفترة السابقة ، وقد اكتنفها قدر كبير من الغموض بسبب الالتباس الناجم عن تضارب المواقف داخل السلطة ذاتها فى تشيكوسلوفاكيا ، كما وجدت أوضح تعبير لها فى قمة الحزب الشيوعى وهيئاته القيادية •

وينبغى الالتفات الى أن التغيير الذى اعترى تقييم مخططات المانيا الغربية حيال أوروبا الاشتراكية ، لا ينبغى تفسيره على أنه ينطوى على معنى تخطئة التقييم السابق ، أو يقف التقييم الجديد ـ بعد عامين من تحرك قوات حلف وارسو ـ من التقييم السابق الذى أوحى بضرورة هذا التحرك ، موقف عدم الاتساق ، ذلك أن هذا التحرك ربما نهض بدور فاصل فى اسقاط أطماع تستهدف أحداث تغيرات جذرية فى دول أوروبا الشرقية ، وفى ظل تناقض ينمو بين امريكا وأوروبا كان لهذا التحرك ما الزم الدول الاوروبية الغربية ـ والمانيا الغربية بالذات ـ أن تكسب انفتاحها على أوروبا الشرقية الاشتراكية ، طابعا جديدا ، تحكمه النظرة الواقعية الى حقائق أوروبا العصرية اكثر مما تحكمه أهداف دفينة فى استرداد هيمنة سياسية مفقودة •

الجديد الذى تضيفه الوثيقة

وأبرز ما تضيفه الوثيقة الجديدة ، هو عرض متسق يتسم بصفة المسئولية ، باعتبار الوثيقة صادرة من قيادة الحزب الشيوعي التشكوسلوفاكي وباسمها ، عن التطورات الداخلية بعدد من الوقائع المحددة التي كشفت ـ حتى قبل تنحية نوفوتني من السلطة ـ عن مد غلاب لقوى اليمين ، استفادت في عهد نوفوتني من تشبثه بمواقف ذاتية خاطئة ، وبأساليب عمل عتيقة لها صفة الجمود شكلا ، وعوضت عنه بترك ثغرات لمد اليمين ، محتوى • وكان احلال دوبتشيك محل نوفوتني نتيجة اتفاق توفيقى ، أفسح لانطلاق اليمين فرصة • وفى توضيح الظاهرة ، أبرزت الوثيقة حقائق تفصيلية متعددة لا تضيف الي الحقائق المعروفة كثيرا ، غير أن بعض هذه الحقائق التى ظلت مطروحة كاستنتاجات ، أو مستخلصة كاجتهادات فى اطار هذا التفسير للاحداث ، وجدت لها دليلها الناجم عن تحقيق واستقصاء •

وربما كان من المفيد بالذات ابراز ما أكدته الوثيقة ، واستخلصناه فى تحقيقنا بعد وقوع الاحداث مباشرة ـ اجتهادا واستنتاجا بقرائن لا ترتقي وحدها الى مستوى الدليل المقطوع به ـ عن دور الصهيونية في أحداث تشيكوسلوفاكيا ، كفصيلة من فصائل الفكر الاستعماري المعاصر ، وأثرها في تنشيط الدعايات المعادية • وكنا اشرنا فى تحقيقنا الى احداث تتعلق بدور الصحفي التشيكي لوستيك ـ ومقال له في مجلة « ليترارني ليستى » • وقد اكدت الوثيقة هذه الحقائق بقولها « ان دورا بارزا قامت به فى النضال ضد الاشتراكية فى تشيكوسلوفاكيا قوى تحركت من مواقع الصهيونية ، احدى ادوات الاستعمار والعداء للشيوعية على النطاق الدولي • وكان أبرز ممثليها فى تشيكوسلوفاكيا ف • كريجل ، وج. بليكان ، وا . لوستيك ، وى. جولدستوكر ،

و ا. ج. ؟ و ى . لوتي . وك. فينتر ، وآخرين عديدين »

غير انه ظلت قضية بالذات لم تجد فى الوثيقة حسمها النهائى ، وهى القضية التى تركزت حولها الاعتراضات حتى من جانب احزاب شيوعية شقيقة . وتختص هذه القضية بشرعية دخول قوات حلف وارسو ، وكان التوصل الى حسم فى هذه القضية بالذات أمر بالغ الدقة ، ذلك أن السلطة داخل الحزب كانت ـ على حد تعبير الوثيقة ـ قد تبنت كلية الموقف اليمينى ، وتخلت عن مقتضيات الموقف الاممى ، والتعاليم الاساسية للماركسية اللينينية .

وقد تعرضت الوثيقة لهذه الزاوية من المشكلة على النحو التالى :

« ان الشيوعيين واللاشيوعيين الذين أدركوا الخطر المحدق الذى يهدد نظامنا الاشتراكى ، قد طلبوا من قيادة الحزب والدولة أن تدفع بقوة القوى المعادية للثورة ، وأن تدافع عن انجازات الاشتراكية . وهذه النداءات الملحة قد ضمنت فى عدد من القرارات والخطابات ، الموجهة الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى ، ولكنها ظلت دون رد . وفى اللحظة التى انتقلت فيها القوى المعادية للثورة فى براج وأماكن أخرى الى الهجوم المفتوح بهدف الاستيلاء على السلطة ، فقد طمأن ممثلو اليمين فى قيادة الحزب ، الجمهور بأن « كل شيء يسير بنظام » وأن « عملية النهضة ومقرطة المجتمع تتقدم بنجاح »

« أن آلافا من الشيوعيين ، من المواطنين كأفراد وكمجموعات كاملة من العاملين ، ممثلى كل فئات الشعب وممثلى منظمات مختلفة ، بما فى ذلك اعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى ، للجنة المركزية للحزب الشيوعى السلوفاكى ، واعضاء ى الحكومة التشيكوسلوفاكية ، ونواب فى الجمعية الوطنية وفى المجلس القومى السلوفاكى . وقد تحركوا بمقتضى وعيهم الطبقى والوطنى والاممى من أجل مصائر الاشتراكية فى تشيكوسلوفاكيا ، قد بذلوا جهودا ضخمة لايجاد مخرج من الموقف الصعب والحرج . ولما كان اليمين فى قيادة الحزب لا يريد أن يتخذ أى اجراء لاحباط الانقلاب المعادى للثورة ولمنع الحرب الاهلية ، **فقد أخذوا يتوجهون لقيادات الاحزاب الشقيقة ، وللحكومات الحليفة ، طالبين منها فى هذه اللحظة التاريخيه الخطيرة أن تقدم لشعب تشيكوسلوفاكيا مساعدة اممية من أجل صون الاشتراكيه** . وقد تحركوا وهم يؤمنون ايمانا عميقا بأن أشقاءهم الطبقيين لن يتركوا تشيكوسلوفاكيا فريسة الثورة المضادة التى تهدد بالتسبب فى سفك الدماء ، وأنهم سوف يمنعون انتزاع بلادنا من المجموعة الاشتراكية .

« ان التقييم الموضوعى وتوضيح أسباب ونتائج الازمة العميقة التى تعرض لها الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى وكل مجتمعنا فى ١٩٦٨ ، قد أثبت بما لا يترك مجالا للشك ان **القوى الداخلية** التى شلتها سياسة ممثلى اليمين فى قيادة الحزب ، **كانت عاجزة عن أن تحشد نفسها ، وأن تمنع هجوم جبهة الثورة المضادة** . فى مثل هذا الموقف ، كان من الضرورى أن يتقرر هل ينبغى الانتظار ، حتى تتسبب الثورة المضادة فى حرب أهلية ، يهلك بمقتضاها آلاف الناس ، ثم بعد ذلك يتم اللجوء الى مساعدة أممية ، أم كان ينبغى التحرك فى الوقت المناسب ، ومنع كارثة الدموية حتى اذا كان الثمن فى بداية الامر ، هو أحداث بلبله داخل البلد وخارجها . ان دخول القوات الحليفة فى ٢١ أغسطس ١٩٦٨ قد منع سفك الدماء ، وبذلك كان الحل الوحيد الضرورى والسليم .

« أن التحليل العميق للحقائق المتعلقة بالموقف داخل حزبنا وفى كل البلد قبل أغسطس ١٩٦٨ وفى الفترة اللاحقة ، يؤكد أن أى حل لا تصحبه مساعدة خارجية مباشرة من الاتحاد السوفييتى وحلفائنا الاخرين لم يكن له أى أمل فى النجاح ، فى ظروف تم فيها شل نشاط الحزب ، وكان نظام الدولة التشيكوسلوفاكية على حافة الانهيار ، اذ لم يكن من الممكن بدون هذا الحل الحفاظ على الاشتراكية فى تشيكوسلوفاكيا » .

غير أن هذا التفسير الذى يستند الى الشرعية الثوريه التى تجد نفسها فى تعارض مع الشرعية المفترض توافرها ثوريا فى « الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى » ، ظل موضع تحفظ ونقد من جانب بعض الاحزاب الشيوعية الاوروبية . فقد كتبت صحيفة الحزب الشيوعى الفرنسى « **لومانيتيه** » فى هذا الصدد :

« ان موقف الحزب الشيوعى الفرنسى معروف جيدا . لقد أعلن حزبنا أنه **ضد** التدخل العسكرى فى تشيكوسلوفاكيا ، وقد طالب دائما بتسوية سياسية للازمة ، ومع تأكيده على ضرورة أن ترد النشاطات المعادية للاشتراكية ، فيرى أنه من مسئولية الحزب الشيوعى والطبقة العاملة التشيكوسلوفاكية تقرير ما اذا كانت داخل تشيكوسلوفاكيا قوى قادرة على اقامة سلطة معادية ، وهذا الموقف الذى قررناه لا نرى مايدعو الى تغييره .

« ويرى الحزب أن **الوثيقة قد أدخلت عناصر في مفهوم السيادة الوطنية للدول الاشتراكية ، لا تنتمى الى مبادىء الحركة الشيوعية العالمية، كما حددتها هذه الاحزاب مجتمعة فى المؤتمر الدولى للاحزاب الشيوعية والعمالية فى يونيو ١٩٦٩** ٠ أن البيان الذى اعتمد فى مؤتمر موسكو يشير دون ما لبس فيما يتعلق بالعلاقات بين الدول الاشتراكية الى « ضرورة الاحترام الدقيق لمبادىء الاممية البروليتارية ، والمساعدة والتأييد المتبادل ، والحقوق المتساوية ، والسيادة وعدم التدخل فى الشئون الداخلية » وهذه المبادىء قائمة فيما يتعلق بالعلاقات بين الاحزاب الشيوعية ..

ويشير الحزب الشيوعى الفرنسى فى تعرضه لمفهوم « السيادة الوطنية للدول الاشتراكية » الى الفقرة الواردة فى الوثيقة التى تقول :

« **أن اللجنة المركزية للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى ترفض المفهوم المجرد عن سيادة الدولة الاشتراكية، الذى تعلنه الدعاية البرجوازية بهدف تضليل الجماهير ، وتتمسك بموقفها الذى يعكس — فى مسألة السيادة — السمات الطبقية والاممية لدولة اشتراكية** ٠ لذلك تعتبر دخول القوات الحليفة فى تشيكوسلوفاكيا مساعدة أخوية أممية مقدمة للشعب التشيكوسلوفاكى » ٠

وكان تعليق صحيفة « أونيتا » لسان حال الحزب الشيوعى الايطالى على الوثيقة :

« خلافا لما جرى الى الان ، تطرح الوثيقة أحقية التحول الذى جرى فى ١٩٦٨ » ٠

وكان من الممكن تجنب كل خلاف حول الموضوع ، اذا ثبت أن النداء بالتدخل قد صدر من **الجهات الشرعية** فى الحزب ، وهو ما لا تتعرض له الوثيقة الا فى عبارة **غير محددة المدلول** ، هى العبارة التى أوردناها عن توجه « آلاف من الشيوعيين واللاشيوعيين الى الاحزاب الشيوعية والحكومات الحليفة » ٠٠ وحول تحديد من شارك فى هذا النداء — ويعتبر هذا الاجراء **الحلقة المفقودة** التى اذا ما ألقى حولها الاضواء ، كان من الممكن ازالة كثير من اللبس الذى أحاط **بشرعية التدخل** ، عملا بالمبادىء المعترف بها فى الحركة الشيوعية — أشارت الصحافة البرجوازية — وبالذات الصحيفة الالمانية الغربية **«شبيجل»** ، الى أن فازيل بيلاك ، أحد أعضاء مكتب الرياسة للحزب ، قد طرح فى اجتماع ١٠ ديسمبر الماضى للجنة المركزية اسماء ٤٨ من الشخصيات المتفاوتة الاهمية فى قيادة الحزب الشيوعى ، **على أن هؤلاء هم الذين تقدموا بنداء الى الدول الحليفة** ٠

واستطردت الصحيفة الالمانية قائلة : أن القضية التى طرحها بيلاك ، كان لها وقع القنبلة فى الاجتماع ٠ وكان من شأنها حتما أن تثير مشاكل للقيادة الراهنة للحزب ، وبالذات لسكرتيره الاول ، **جوستاف هوساك** الذى لم يشارك فى أصدار هذا النداء ٠ بل لربما كان فى اعلان الاسماء احراج لاخرين — منهم بيلاك نفسه — شاركوا فى أعقاب دخول قوات حلف وارسو فى تصريحات تضمنت معنى القسم بانهم لم ينهضوا بأى عمل « ضد الحزب ، أو شعب تشيكوسلوفاكيا ، يتعارض مع شرف الشيوعى والمواطن التشيكوسلوفاكى » ٠ وأنهت الصحيفة الالمانية روايتها بقولها أن اجتماع اللجنة المركزية قد قرر ارجاء طرح الموضوع برمته لدورة لاحقة فى فبراير أو مارس من العام الحالى ٠

وقد أتيحت لى مناسبة اللقاء فى القاهرة مؤخرا بأحد الذين نسب اليهم التوقيع على هذا النداء ، هو **فيليم نوفى** ، رئيس تحرير جريدة الحزب المركزية ولسان حاله « رودى برافو » سابقا ٠ ومن الحديث الذى جرى معه ، لم أجد ما يتعارض مع فكرة أن دعوة قد وجهت بالفعل للدول الحليفة كى تتدخل ، عملا بالمنطق المتضمن فى وثيقة الحزب دون أن يتضمن نص الوثيقة ما يدل على الواقعة صراحة ٠

يظل بعد ذلك القضية الخلافية حول مدى شرعية هذا النداء الذى لم يصدر عن الهيئات الحزبية المؤهلة لتوجيه النداء ، وفى ظروف خاصة يتهم فيها الحزب رسميا — فى فترة لاحقة — القيادات المسيطرة وقتذاك على هذه الهيئات بأنها وقعت فريسة قوى اليمين ، وتخلت عن تعاليم الماركسية اللينية الاساسية ، وعن الموقف الاممى السليم ٠

وربما يتعذر ايجاد مخرج من هذه المعضلة دون التعرض لقضية نظرية تخص ملامح أساسية للعصر الذى نعيش فيه ، ونتعرض — بالاستعراض — لقضية طرحتها فى ختام تحقيقنا السابق عن تشيكوسلوفاكيا ٠

قضية الشرعية الثورية

ففى النهاية ، القضية التى ما زالت مطروحة حول أزمة تشيكوسلوفاكيا هى قضية **الشرعية** ، خاصة فى هذا الوقت وقد أصبح من الواجب تقييم الاسلوب الذى عولجت به، ولا نقصد فقط أو بالذات قضية « **الشرعية الدولية** » التى اختتمنا بها تحقيقنا السابق ، بل بوجه خاص قضية «**الشرعية الثورية** » ، وصلاحية ما لجىء اليه من أسلوب ، من وجهة نظر القوى الثورية ، بغض النظر عما يمكن أن تكون عليه ردود أفعال القوى المعادية ، أى

بمقاييس قوامها « مصلحة الحركة الثورية » ، وليس قوامها « مبادىء أخلاقية مجردة » أو « قواعد قانونية مجردة » أو غيرها .

وتقول القاعدة العامة أن الشرعية الثورية لابد لها أن تتجسد فى تنظيم سياسى ثورى ، هذا التنظيم السياسى الثورى هو فى حالة « دولة اشتراكية » ، التنظيم السياسى القائد ، وفى حالة تشيكوسلوفاكيا بالذات ، « الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى » . والقرارات التى تتسم بصفة الشرعية الثورية ، هى القرارات الصادرة من قيادته ، ومن هيئاته القيادية ، بمقتضى نظم ولوائح الحزب التى ينبغى أن تتوافر فيها أساليب تصحيح ما يحتمل ارتكابه من أخطاء . ومن هنا يستخلص من القواعد العامة أن أية مجموعة من الافراد ، حتى اذا انتسب بعضهم الى القيادة، لايكتسب أى تصرف لهم صفة الشرعية الثورية ، ما لم يصدر هذا التصرف منسجما مع ارادة قيادة الحزب كهيئات مقررة ،وقت صدور هذا التصرف ، ولا يجوز بأثر رجعى أن يكتسب هذا التصرف شرعية ، لمجرد أن وافقت عليه قيادة لاحقة تتسم هى بكل عناصر الشرعية ..

غير أن هذه القواعد العامة ، هل تحتمل استثناءات ؟

ومن المحقق أن الاستثناء لن نجده فى قواعد الشرعية الشكلية : اذ ينبغى أن تتصف هذه القواعد الشكلية - حتما - بأن تكون « جامعة مانعة » ، لا تحتمل الاستثناء بمقتضى تعريفها . ولذلك ، اذا بحثنا عن الاستثناء ، ينبغى أن ننفذ الى « مضمون » القضية ، ولا نلتزم بالنظرة اليها فقط من الوجهة الشكلية . واحتمال هذا التعرض « للمضمون » ، هو من الخصائص التى تميز « الشرعية الثورية » عن « الشرعية القانونية » بضوابطها « الشكلية » المحضة .

وقضية « المضمون » تجرنا الى مسائل تتصل بصميم ملامح العصر الذى نعيش فيه ، والمبادىء التى ينبغى توخيها من وجهة نظر مصلحة القوى الثورية . وهناك مبادىء تقتضى مراعاتها ، للمواءمة بين اعتبارات تحمل قدرا من التعارض ونطرح كنموذج توضيحى لما نسوقه ، بعض القضايا ذات الصلة المؤكدة بالازمة التشيكوسلوفاكية :

■ قضية الحفاظ على وحدة وتماسك وتضامن أسرة الدول الاشتراكية ، كتجسيد موضوعى لممارسة الصراع الطبقى والاجتماعى على النطاق العالمى ضد وحدة وتماسك وتضامن العالم الرأسمالى والامبريالية العالمية .

■ قضية الحفاظ على السلام العالمى ، وممارسة التعايش السلمى كضرورة لتجنب مواجهة نووية شاملة بين المعسكرين ، تحمل فى عصر أسلحة الفتك بالجملة ، خطر تعريض العالم بأسره لكوارث تفوق كل ما يمكن تصوره من قبل .

وفى أعقاب أهوال الحرب العالمية الثانية ، وفى فترة الحرب الباردة التى أعقبتها ، لم يكن بغريب أن تغلب صفة التماسك على معسكر الدول الاشتراكية ، كضرورة لا غنى عنها فى مواجهة محاولات الاستعمار المتكررة للنيل من هذا التماسك ، واقتحام هذا المعسكر بكافة الوسائل ، بما فى ذلك التهديد بالحرب . ولكن بعد نجاح قوى الاشتراكية والديمقراطية والتقدم على اتساع العالم ، فى أن تفرض التعايش السلمى لفترة زمنية تجاوزت الان ربع القرن ، ومع انكماش احتمالات اللجوء الى المواجهة النووية الشاملة وبروز الحروب المحدودة بدلا منها فى مواطن المواجهة الساخنة ، أصبحت الممارسة المتصلة للتعايش السلمى بما تتضمنه من تعاملات سلمية بين المعسكرين ، تحمل فى طياتها اتجاهات من شأنها المساس بفاعلية التماسك داخل كل معسكر . وأصبح الحرص على التعايش السلمى ، يقتضى من قوى التقدم عدم اغفال ما تنطوى عليه هذه الاتجاهات من جوانب لا يجوز تجاهلها ، وصولا الى الاستثمار الافضل لما يختزنه التعايش السلمى من امكانيات متاحة وغير مستخدمة .

غير أن التمادى فى مراعاة هذه الاتجاهات يحمل خطر تهديد عامل التماسك . كما أن الالتفات الى ضرورة التماسك وحده يهدد بالحيلولة دون الاستثمار الافضل لامكانيات التعايش السلمى . ولكل من المنطقين اذن شرعيته من الوجهة الثورية ، غير أن هذا الاعتبار أو ذاك هو الذى يكتسب صفة الاسبقية فى هذه الفترة أو تلك من تطورات الصراع العالمى المعاصر .

وكنا قد طرحنا فى ختام تحقيقنا السابق ، سؤالا مستنبطا من منطق أحداث تشيكوسلوفاكيا هو ، هل نحن بصدد فترة « انفراج » فى الوضع الدولى « أم نحن على عكس ذلك ، بصدد فترة « تفاقم التوتر » ونحو مزيد من الاستقطاب الدولى ، يعيد فى صورة جديدة ملامح أشبه بالحرب الباردة .

واستطردنا قائلين أن المد الاستعمارى (بعد أحداث الشرق الاوسط وتشيكوسلوفاكيا) يطرح فعلا فى مواجهته ، وجاهة المنطق القائل بأهمية

التركيز على « تماسك الكل » قبل الالتفات الى خصائص الجزء ، وتأكيد العام » (عنصر الاممية) فى الاشتراكية قبل أن يستوعبنا «الخاص» فى كل تجربة على حدة ، وبهذا السبيل فقط يمكن التغلب على تفاقم التوتر فى العالم ، الناجم عن تلاحق المواقع التى يكسبها الاستعمار ، وخلق مناخ عالمى كفيل فعلا باطلاق « انفراج » فى الموقف الدولى ، لا ينهض على الامال قبل الحقائق المرة ، ويفسح بحق « للخاص » كل فرص ازدهاره ، دون أن ينجذب الى مخاطر العداء للاشتراكية .

وأضفنا : ليس من باب المصادفة أن الاحزاب الشيوعية التى تقف على خط النار فى وجه الاستعمار ، هى التى انحازت الى جانب تأييد تحرك حلف وارسو مثل الاحزاب الشيوعية فى فيتنام وكوريا وكوبا والولايات المتحدة ، واسرائيل ، وفى البلاد العربية ، والحزب الجديد فى المانيا الغربية . بينما وقف ضد التدخل ، الاحزاب الشيوعية التى تؤمن بالامكانيات التى ما زالت تختزنها سياسة تنهض على « انفراج الموقف الدولى » ، وفى مقدمتها معظم الاحزاب الشيوعية الاوروبية ـ وطبعا موقف الصين وألبانيا محكوم بخلافهما السابق مع الحزب السوفيتى .

ومن هنا ، نجد أن هناك اعتبارين متنازعين لكل منهما شرعيته من الوجهة الثورية ، ذلك بغض النظر عن مدى « الجماهيرية الداخلية » لهذا الموقف أو ذاك ، ولمدى خضوع هذا السلوك أو ذاك للقواعد الاخلاقية أو القانونية المجردة . فمتى بلغت أزمة تشيكوسلوفاكيا ذروتها ، وهناك ما طرح تهديد ترجيح الاعتبارات التى يحكمها التعايش السلمى ، واستثمار الخصائص الخاصة للتجربة على حساب مقتضيات تماسك قوى الاشتراكية دوليا ، وتغليب الاعتبار الاممى ، كان ـ لا شك ـ للموقف المرجح لعنصر الاممية شرعيته ، رغم عدم جماهيريته وقتذاك . (وهو المنطق الذى يقف خلف سلوك بيلاك وأنصاره) . وفى الوقت الراهن الذى ارتد الى الخلف فى تشيكوسلوفاكيا خطر انفصالها عن أسرة الدول الاشتراكية ، وكان ينبغى مراعاة جماهيرية القيادة الثورية فى نقل الجماهير من مواقع تهدد بتعريض التجربة الاشتراكية للخطر ، الى مواقع مأمونة المحتوى الاشتراكى ، تحتفظ القيادة التى قامت بهذه المهمة بشرعيتها المؤكدة ، بخاصة أن انفصال القيادات عن الجماهير ومتطلعاتها خطر ، سلطت تجربة بولندا الاخيرة ، الاضواء من جديد على عدم جواز اهماله . **ومن هنا ، ليس هناك شك فى أن قضية الشرعية ـ بمدلولها الثورى ـ ، وترجمتها الى قواعد مستقرة تضع فى اعتبارها كل الملابسات العصرية المحيطة بالموضوع ، تكتسب فى الوقت الراهن ، وقبل انعقاد مؤتمرى الحزب السوفيتى والحزب التشيكوسلوفاكى ، أهميته المؤكدة ، وينبغى أن يتسع لمزيد من الاجتهادات ، وصولا لوحدة أكثر رسوخا عبر الدراسة المتأنية والموضوعية للاسباب التى تقف خلف الاختلاف فى الموقف والرأى .●**



رؤية عصرية

للمشروع الوحدوى العربى



د. حسين صعب

نتناول مشاريع الوحدة العربيـة التى عاناها العرب فى العصر الحديث ككل أى كمشروع لاننا نتصورها هادفة لتغـيير الواقع العـربى لا لتدويمه ، ونـرى أن تحققهـا متوقـف على الـوعى ، أى عـلى العقــل والارادة الخــلاقة ، لا على الطبيعــة أو الفـكر او الغيب • والمشروع بمدلوله التاريخى الحركى هو الصناعة الانسانية للمستقبل الافضل • ونحـن نتصور حركة الوحدة العربية صناعة لمستقبل عربى افضل ، ولمجتمع عربى افضل ، ولانسان عربى أفضل ، ولذلك نتصورها « مشروعا » .

ونعتبرهذا المشروع تحديثيا لان التحديث هوفى نظرنا ، فى « أجد » مدلولاته ، التنظيم العقلانى المسـتقبلى والابـداعى للمجتمـع • والمشروع الوحدوى العربى هو مشروع تحديثى من حيث انه :

أولا : انه « يوحد الاجزاء فى كل جديد »(١) فينـــقل بنيـة Structure التكامل الاقليمى العربى من طورى التنظيم الامبراطورى السحرى والتنظيم السلطانى الغيبى **اللذين اختبرهما العرب** فى الماضى الى طور التنظيم العقلانى سواء أكان تنظيما تعاونيا كالذى أقامه ميثاق الجـامعـة العربية ، أو كونفيدراليا كالذى أقامـه ميثاق الدفاع المشترك ، أوفيدراليا كالذىترسى قواعده الان الجمهوريات العربية الاربع الجمهـورية

---

[١] التكامل «Integration» هو تلك العملية الاجتماعية الرامية الىاتساق وتوحيد اجـزاء متنوعه سـواء أكانت هذه الاجزاء عناصر للشخصية اوللافراد او للفئات او للتجمعات الكبيرة ــ قاموس علم الاجتماع ، فييرشيلد نيويورك .

العربية المتحدة ؟ والجمهورية السودانية والجمهورية العربية الليبية ، والجمهورية العربية السورية • واذا كان لكل تنظيم سياسى عقلانيته ، اى موازنته الذاتية للسلطات أو للوظائف ، فان عقلانية التنظيم السياسى الحديث هى عقلانية انسانية تقوم موازنتها للسلطات او الوظائف على العلاقات القدرية الضرورية القائمة بينها لا على اية صلة بين هذه العلاقات وبين قدرة غير انسانية أو مابعد انسانية أيا كانت هذه القدرة . ولذلك يعتبر المشروع العربى الوحدوى صناعة لتنظيم أو لنظام سياسى عربى مستقبلى جديد لا لأحياء أو بعثا لاى تنظيم أو نظام عربى ماضوى •

ثانيا : ان المشروع الوحدوى مشروع تحديثى لانه التنظيم اللازم لتحويل العرب متعاونين ومتكاملين من حال التخلف الى حال التقدم بسرعة تفوق السرعة التى يستطيع اى قطر عربى أن يحقق بها تقدمه منفردا • ان التحول من التخلف الى التقدم قد اقترن فى العصر الحديث بالتحول من السوق الصغيرة الى السوق الكبيرة ، ومن مستوى الانتاج المحلى الى مستوى الانتاج القومى ، فالقارى فالعالمى واذا كنا نعرف « التنمية » بانها اللحاق بالمتقدمين ابتداء من محاولات اللحاق ببريطانيا التى أطلقت الثورة الصناعية فان الدول التى استطاعت ان تلحق ببريطانيا بسرعة وان تتجاوزها هى التى استطاعت أن تنظم انماءها فى سياق فيدرالى على مستوى قارى ، كالولايات المتحدة والاتحاد السوفياتى • واما اليابان ، فانها وان كانت جغرافيا فى حيز الجزيرة الا أن كثافتها السكانية كثافة قارية • والمعجزة الانمائية اليابانية هى قبل كل شىء معجزة انماء الموارد الانسانية وتعبئتها تعبئة انتاجية شاملة • والصين تمارس الان التعبئة الانتاجية الشاملة للموارد الانسانية وان اختلف طريقها الايديولوجى اليه عن طريق اليابان • والمشروع الوحدوى العربى هو مشروع تحديثى من حيث انه مشروع التعبئة التكاملية الشاملة للموارد والطاقات العربية انسانية وغير انسانية فى سبيل التقدم وفى سبيل اختصار الطريق من طور التخلف الى طور التقدم • والتقديرات التى طالعتنا بها لجنة « بيرسون » تبشرنا بان بعض الدول العربية قد تستطيع أن تبلغ فى القرن الواحد والعشرين المستوى الراهن للتقدم الصناعى الاوروبى لا للتقدم المابعد صناعى أو الالكترونى الاميركى ، وتكون أوروبا فى ذلك الحين قد سبقت الدول العربية قرنا جديدا فى طريق التقدم (٢) . أن المشروع الوحدوى العربى هو سبيل العرب لكسر حلقة التخلف المفرغة ، وللتحول من « متاهة » التقدم الى « قادوميته » • ويمكن للتكامل البترولى العربى بجميع أشكاله الانتاجية والتسويقية والتصنيعية والعلمية والتكنولوجية أن يساعد العرب على اختزال فترة التقدم من قرون الى حقب •

ثالثا : ان المشروع الوحدوى مشروع تحديثى لانه يمكن العرب من مجابهة التناقض الذى ولدته « الحداثة » Modernité بين حاجتى التنظيمات السياسية الى الاستقلال والترابط معا • فالتجربة التاريخية الحديثة ، ابتداء من التجربة الاميركية دلت على أن الجماعات التى استقلت هى التى أصبحت أقدر على اختيار طريقها الافضل والاسرع نحو التقدم • ولكن الوحدانية الحضارية التى تشتد يوما بعد يوم بفضل الاعجاز التواصلى التكنولوجى تفرض التعاون فى سبيل التقدم • ولكن الدول الاغنى والاقوى ماتزال تفرض شروط هذا التعاون على الصعيد الانمائى فرضا يزيد المتقدمين تقدما والمتخلفين تخلفا • ولذلك يحتاج العرب للمشروع الوحدوى ليوفروا لانفسهم الدرجة الكافية من الاستقلال لا للانعزال عن الاخرين بل لتنظيم التعاون معهم وفقا لمستلزمات التقدم العربى •

رابعا : ان المشروع الوحدوى هو مشروع تحديثى لانه المشروع الكفيل بازالة هوة التخلف بين العرب والاسرائيليين • انطلقت النهضة العربية فى القرن التاسع عشر سباقا مع التقدم الاوروبى(٣)، ولكن التخلف والاستعمار اللذين فرضا اسرائيل مسخا حركة التقدم العربية حركة سباق مع اسرائيل • ان المشروع الوحدوى العربى هو ضرورة حضارية لكسب هذا السباق، ولاعطاء حركة التقدم العربى ابعادها ووجهتها الحقيقية • وهو ضرورة أيديولوجية لنسخ الفكرة التجزيئية العنصرية الصهيونية التى أنجبت اسرائيل بالفكرة التكاملية العربية الانسانية التى تنجب الديموقراطية الفلسطينية • وهو ضرورة سياسية ودفاعية واستراتيجية لتحرير الاراضى العربية المحتلة فلسطينية ومصرية وأردنية وسورية • ولذلك كان ياسر عرفات فى طليعة المرحبين بالاتحاد الفيدرالى الثلاثى لدى اعلانه ، وأثير امكان انضمام الثورة الفلسطينية منذ الان الى هذا الاتحاد • ولما أعلن الاتحاد الفيدرالى العربى فى نيسان عام ١٩٤٣ بين مصر وسوريا والعراق اعترى الخوف بن جوريون رئيس حكومة اسرائيل آنذاك وكتب لرؤساء مائة

---

[٢] « شركاء فى التنمية » تقرير لجنة التنمية الدولية — ليستر بيرسون ، نيويورك — بريجر ١٩٦٩ .

[٣] — الشرق ، ٢٩ نوفمبر ١٩٧٠

دولة من دول العالم يستنجد الحماية لاسرائيل. بل كان يوم اعلان الاتحاد على حد قول **ابا ايبان** فى مذكراته التى نشرها هذا العام اليوم الوحيد فى حياته الذى شهد فيه زعيمه بن غوريون وجلا يفقد فيه ثقته المعتادة بنفسه ، ويتساءل عما اذا كان بوسع اسرائيل أن تبقى أولا ؟ (٤)

خامسا : ان المشروع الوحدوى العربى هو مشروع تحديثى من حيث انه سيتجاوز بمفعوله التاريخى والحضارى التأثير فى المصير العربى الى التأثير فى المصير الانسانى . والعرب يشغلون احسن المواقع استراتيجية فى قلب الكرة الارضية وأغناها بالثروة البترولية وقد مكن لهم هذا الموقع ان يشاركوا فى الماضى فى صناعة الحضارة الانسانية وفى تكوين الانسان مشاركة خلاقة وعودتهم الى هذه المشاركة عودة فعالة متوقفة على تملكهم أسباب الحرية والتقدم أى أسباب السيادة والامن والازدهار والابداع فى وطنهم ليعملوا لتوفيرها لكل انسان فى أى موطن وفى كل موطن من مواطن الانسان فى الشرق أو فى الغرب .

ان هذه العوامل الخمسة هى العوامل الرئيسية التى تجعل المشروع الوحدوى العربى فى نظرنا مشروعا تحديثيا أى مشروعا مستقبليا أى مشروعا تنظيميا اراديا وعقلانيا وابداعيا . ولكن هذه العوامل تبدو كالالوان الزاهية التى تضفى لوحة خيالية او توهمية على المستقبل العربى أكثر مما تعطى صورة حقيقية للحاضر العربى. ولا يضيرنا هذا فى شيء من حيث المبدأ . فالغد هو دوما لوحة أو رؤيا فى مخيلة انسان اليوم . وحيث لا تكون رؤيا لاتكون حرية ولا يكون تاريخ ولا يكون تقدم . والغد ـ كما نراه الان بضوء الثورة العلمية التكنولوجية أكثر مما رأيناه فى أى وقت سبق ـ هو مشروع أو خطة فى عقل انسان اليوم . ان التقدم هو بمعناه الحديث اختراع الغد . فعلى العرب أن يتوافقوا على اختراع غدهم الوحدوى ليكون غدهم حرية وتقدما وسلاما وسعادة لا عبودية وتخلفا واضطرابا وشقاء .

هذا من حيث المبدأ واما من حيث المنهج فان الصناعة العقلانية للغد تفرض الاستطلاع العلمى الوقائعى لطرق تحويل الحاضر التجزيئى لمستقبل وحدوى . وأسلم طرق الاستطلاع والملاحظة ملاحظة التجارب الوحدوية العربية نفسها مقارنة بالتجارب الوحدوية الانسانية . وهذا ما سنحاول القيام به مركزين أكثر ما نركز على الملاحظة البنيوية ، لان المشروع الوحدوى كما تصورناه هنا هو مشروع صناعة بنية تكاملية اقليمية عربية جديدة . ويعنى هذا اننا نفترض أن التجاور الجغرافى أملى على العرب فى الماضى تكاملا تنظيميا تجلى أول ما تجلى فى الماضى فى البنية الاقليمية الامبراطورية ، فالبنية الخلافية أو السلطانية ، وتجلى أول ما تجلى فى العصر الحديث فى البنية التعاونية للجامعة العربية وكحركة توحيد المغرب العربى ، فالبنية الكونفدرالية لميثاق الدفاع المشترك ، فالبنية المركزية الثنائية للوحدة المصرية ـ السورية ، فالبنية الفيدرالية المرتقبة للاتحاد الجديد .



---

[٤] شعبى ـ قصة اليهود ، ابا ايبان ـ نيويورك ـ دار نشر راندوم ١٩٦٨ .



بعض القضايا الأساسية فى اعادة التنظيم الادارى

د. على السلمى

تحتل مشاكل الادارة فى قطاعات الانتاج والخدمات ، وفى اجهزة الدولة عموما قدرا كبيرا من الاهتمام والعناية فى المرحلة الحالية من تاريخنا الحديث ، وقد اتخذ هذا الاهتمام صورا مختلفة ، منها اعادة تنظيم الجهاز المركزى للتنظيم والادارة ، والبدء بعمليات اعادة التكوين الحكومى ، ثم تكوين لجنة وزارية للتنمية الادارية تنبثق عن لجنة الخطة والاقتصاد التى يرأسها رئيس الوزراء ، واخيرا اعلان تشكيل مجلس للتنمية الادارية يرأسه وزير الخزانة ويضم عشرين عضوا للقيام بالدراسات الهادفة الى تبين اسباب المشكلات الادارية ، والبحث عن حلول لها ، ويندرج تحت تلك المحاولات جميعا مفهوم عام يرى فى « **اعادة التنظيم** » وسيلة اساسية للتغلب على كثير من المشاكل الادارية الظاهرة فى التنظيمات القائمة ، وسبيلا الى الارتفاع بكفاءة الاداء بها ، ولقد تعددت محاولات اعادة التنظيم فى كل من القطاع العام والجهاز الحكومى خلال السنوات القليلة الماضية وكان نصيبها من النجاح والفاعلية ضئيلا بصفة عامة ، الامر الذى يدعونا الى التساؤل عن احتمالات النجاح لحركات اعادة التنظيم الجديدة ، فى محاولة لتوضيح بعض القضايا الرئيسية والابعاد الهامة فى عمليات التنظيم واعادة التنظيم .

ولعله من المفيد أن نذكر فى ايجاز شديد أهم مشاكل الادارة المصرية الحديثة ، والتى تثور من أجلها الدعوة الى اعادة التنظيم :

- **عدم القدرة على تحقيق معدلات غير عادية** من الانتاجية تتناسب مع الظروف غير العادية التى يمر بها الوطن .
- **عدم القدرة على الافادة من مفاهيم الادارة** العلمية العصرية واستيعاب اساليبها المتطورة .
- **الاتجاه الى سلوك الطريق الاسهل فى** تحقيق اهداف الانتاجية (أى زيادة الموارد والامكانيات) وعدم الميل الى الالتجاء للطريق الاصعب والاجدى (وهو زيادة الانتاجية مع تثبيت عناصر الانتاج أو حتى ضغطها) علما بأن السبيل الاخير هو الاكثر توافقا مع طبيعة الموقف العام فى بلادنا .
- **الاهتمام الزائد** بمشاكل العمل المادية الناشئة عن ندرة بعض عناصر الانتاج والرغبة المستمرة فى ضمان الحصول على المزيد من تلك الموارد المادية وذلك دون محاولة الاهتمام بقدر متناسب بالافكار والمفاهيم الادارية المتطورة والتى يتوقف على استيعابها حسن استخدام الموارد المادية .

تلك المشكلات كانت ولا تزال من سمات الادارة المصرية فى مرحلة تطورها الحديث ، ومنها بدأت

كل محاولات الاصلاح والتطوير ؟ والتي انتهت دون تغيير اساسى ملحوظ • ونستطيع ان نقدم تفسيرا لقصور عمليات اعادة التنظيم الادارى السابقة وعدم قدرتها على تحقيق تغييرات جذرية فى مستويات الاداء والكفاءة الادارية بقوم على الاركان الآتية :

١ ــ أن عمليات الاصلاح والتطوير واعادة التنظيم الادارى السابقة كانت تعتمد على النوايا الحسنة أكثر من اعتمادها على الدراسات الميدانية المستندة الى أسس البحث العلمى المتعارف عليها، من ناحية أخرى فان محاولات اعادة التنظيم القائمة على الدراسات المكتبية ، وعمل اللجان الرئيسية والفرعية التى تشل الاجراءات الروتينية قدرتها وتحد من فاعليتها ، ناهيك عن قصور تشكيلها وانعدام الدافع الحقيقى للانجاز بين أعضائها ، لا تمثل بداية سليمة لاية عملية تنظيمية جادة •

٢ ــ أن عمليات الاصلاح الادارى واعادة التنظيم السابقة كانت فى أغلب الاحيان تركز على الشكل دون المضمون ، بمعنى أن الاهتمام كان يتجه فى الغالب الى البحث عن مسميات تنظيمية جديدة وأشكال مبتكرة للتنظيم بغض النظر عن محتوى تلك المسميات والاشكال • فقد تناوبت الفكر التنظيمى فى مصر اهتمامات مختلفة نتج عنها كثير من المسميات المبتكرة من هيئة عامة الى مؤسسة عامة ، ومن ديوان الى جهاز مركزى دون أن يرتبط بتلك المسميات والاشكال التنظيمية الجديدة تغيير جوهرى فى أساليب الاداء أو مستوى الانجاز •

٣ ــ ولعل من أهم العوامل التى ساعدت على عرقلة عمليات اعادة التنظيم الادارى فى مصر فى السنوات السابقة ، الميل الى النمطية والتوحيد بين التنظيمات المختلفة دون ادراك لاهمية الفروق بين مجالات وظروف عمل كل منها ، ولقد تجلى هذا الميل الى النمطية والتوحيد فى شكل قوانين ولوائح عامة تنطبق على كل الشركات والمؤسسات والوحدات الانتاجية بالقطاع العام من ناحية ، كذلك كان هناك ميل الى التوحيد بين تنظيمات القطاع العام والتنظيم الحكومى من ناحية أخرى، ان الاتجاه الى التوحيد والنمطية فى التنظيم يتجاهل حقيقة أساسية هى أن لكل وحدة تنظيمية ظروفها ومشكلاتها الخاصة ، كما أن لها اهدافها وامكانياتها التى تجعلها وحدة متميزة تماما عن غيرها من الوحدات التنظيمية حتى التى تشترك معها فى نوع النشاط ، ولا شك أن قدرا كبيرا من المشاكل التى تعانى منها وحدات القطاع العام يعود الى القيود التى تفرضها تلك النمطية، والتى تحد من قدرة الادارة على اتخاذ القرارات المناسبة مع طبيعة الموقف الذى تتعامل فيه •

٤ ــ وثمة عامل آخر يساعد فى تفسير اسباب قصور عمليات اعادة التنظيم السابقة عن بلوغ أهدافها ، هو عدم وجود تخطيط شامل ودقيق يحدد أهداف وأساليب اعادة التنظيم • وينظم مراحله واجراءاته ، ان كثيرا من محاولات اعادة التنظيميةكانت تتصف بالفجائية واللا منطقية ، الامر الذى يفقدها عادة اقتناع وتجاوب اعضاء التنظيم القائم ، ومن ثم كانت عملية اعادة التنظيم تبدأ وتنتهى دون أن تترك آثرا ملموسا فى اجراءات وأساليب الاداء او مستوى كفاءته ،ان قدرا كبيرا من محاولات اعادة التنظيم كانت ترتبط بمناسبة تغيير القيادات الاساسية للتنظيمات الانتاجية أو الحكومية ، ومن ثم فانها لم تكن تصدر عن نظرة موضوعية وتحليل علمى لانجازات التنظيم القائم ومواطن الضعف فيه بقدر ما كانت تنبع عن الرغبة الطبيعية فى التغيير المجرد •

٥ ــ من ناحية أخرى فقد كانت عمليات اعادة التنظيم الادارى فى مصر تعانى من مشكلة أساسية أسهمت بدرجة كبيرة فى الحد من فاعليتها • ألا وهى مشكلة التناقض بين متطلبات التنظيم الصحيح من ناحية ، وبين اهداف وامكانيات الافراد من ناحية أخرى ، وتعبر هذه المشكلة عن الصراع الدائم بين فكرة التنظيم باعتباره وسيلة لتحقيق غايات الانتاج والخدمة العامة ، وبين خصائص الافراد واهدافهم الشخصية ، والتى قد تنحرف بالتنظيم عن اتجاهاته الموضوعية ، او قد تحد من كفاءته وفاعليته • ان السؤال الاساسى هنا هو : هل ينشأ التنظيم لمقابلة احتياجات العمل اولا • ويتم تكييف الافراد واخضاعهم لمتطلباته ، أم يصمم التنظيم بما يحقق احتياجات الافراد ويتناسب مع قدراتهم ونوازعهم الشخصية ، حتى ولو آدى ذلك الى عرقلة الاداء وخفض الكفاءة ؟ ام هل من سبيل الى التوفيق بين هذين النقيضين ؟ (وليس من شك أن عمليات التنظيم الادارى فى مصر لم تتوصل بعد الى اسلوب التوفيق المطلوب) •

٦ ــ كذلك فان من ابرز عيوب عمليات اعادة التنظيم الادارى السابق الالتجاء الى أسلوب الاصلاح الجزئى ، أو ترميم البناء التنظيمى لوحدة معينة دون ادراك الطبيعة الشمولية للتنظيم ، ان اجراء تغيير فى تنظيم مايترتب عليه بالضرورة حدوث ردود فعل يصل صداها وتأثيرها الى العديد من التنظيمات الاخرى التىلابد وأن يشملها اعادة التنظيم تحقيقا للتوافق والتناسب بينها ، ان الاتجاه فى عمليات اعادة التنظيم اقتصر فى السنوات الاخيرة على تغيير البناء التنظيمى لوحدات بذاتها مع بقاء المناخ التنظيمى العام على ما هو عليه ، الامر الذى جعل آثاراعادة التنظيم

حبيسة وغير قادرة على الانطلاق واحداث التأثير المطلوب فى الكفاءة والاداء ، ان اعادة تنظيم وزارة على سبيل المثال مع بقاء تنظيمات الوزارات الاخرى على ماهو عليه لا يحقق الهدف المنشود ، بسبب التداخل والاتصال المستمر بين تلك الوزارات جميعا واعتماد كل منها على الاخرى فى انجاز بعض مهامها ، وبذلك فانه على الرغم من احداث تغييرات تنظيمية فى بعض وحدات الجهاز الحكومى او القطاع العام فان الوحدات التنظيمية الاقل قدرة وكفاءة ، والتى لم تشملها عمليات التطوير واعادة التنظيم تظل هى المتحكمة فى مستوى الكفاءة العام بفعل ظاهرة الاعتماد المتبادل بين التنظيمات المختلفة .

٧ — **عامل آخر** أسهم فى الحد من فاعلية عمليات اعادة التنظيم الادارى فى مصر فى السنوات القليلة الماضية ، هو اقتصارها على جانب واحد من جوانب التنظيم المتعددة ، الا وهو البناء العام أو الهيكل ، ان ذلك الهيكل التنظيمى ليس الا اطارا عاما يحدد تقسيمات التنظيم ومكوناته ، ويرسم خطوط الاتصال بينها ، ولكن الى جانب ذلك — وقد يكون ذلك اكثر اهمية — هناك عناصر أخرى لم تكن عمليات اعادة التنظيم تلقى اليها بالا ومنها :

- **تحديد** الاعمال وتصميمها ووضع معدلات الاداء لها .
- **تحديد** السياسات والنظم العامة التى تحكم الاداء .
- **الاجراءات** والاساليب المستخدمة فى اداء الاعمال المختلفة .
- **معايير** التقييم والحكم على صلاحية الاداء وكفاءتها .
- **تنظيم** الاتصالات والمعلومات ومدى صلاحيتها وكفاءتها .
- **العلاقات** الانسانية واساليب ادارتها وتنميتها .

تلك العناصر التنظيمية الرئيسية لم تكن على اهميتها وخطورتها محل دراسة أو بحث لسنوات طويلة ، كذلك لم تكن محل اعتبار حين الاقدام على اعادة التنظيم ، الامر الذى يقلل من واقعية وفاعلية تلك المحاولات المبتسرة للاصلاح أو التطوير الادارى فى تنظيماتنا الانتاجية أو الحكومية .

٨ — **وأخيرا** فان عدم وجود معايير لتقييم فاعلية وكفاءة التنظيمات المختلفة ، وغياب نشاط متابعة عمليات اعادة التنظيم جعل الاهتمام بها اهتماما شكليا محضا لا يصل الى اعماق المشاكل ، ولا يحاول البحث عن حلول جذرية لها .

ونحن اذ نقبل على مرحلة جديدة يثور فيها الاهتمام باعادة التكوين والتنظيم ويستأثر باهتمام الدولة بشكل ملحوظ يجب أن نفيد من تجاربنا السابقة ونعمل على احاطة الجهود الجديدة بكل الضمانات التى تكفل لها النجاح والفاعلية ، والامر عندنا يتركز فى ضرورة البدء بفهم واضح وصحيح لطبيعة التنظيم أيا كان مجال عمله من ناحية ، والاستناد الى أسلوب علمى دقيق فى انشاء التنظيمات ، واعادة تكوينها من ناحية أخرى .

والرأى عندنا ان التنظيم (أيا كانت طبيعته سواء كان شركة ، مؤسسة عامة ، وزارة ، جامعة ..) هو اداة يتم بموجبها تحويل موارد معينة الى منتجات (سلع أو خدمات) من خلال عدة انشطة منظمة ومتناسبة ، يمارسها افراد تقوم بينهم علاقات وصلات متبادلة ، والتنظيم بذلك يتصف بعدد من الخصائص الاساسية لابد وأن تكون محل اعتبار حين تقرير انشائه أو اعادة تكوينه هى :

- **الاعتماد على البيئة** فى تصريف منتجاتها على الموارد الاساسية اللازمة للعمل والانتاج ، ومن ثم فالتنظيم لا يعطى أكثر مما يحصل عليه ، ولا يمكن توقع انجاز أو أداء يفوق ما توفره البيئة للتنظيم من موارد وامكانيات .
- **الاعتماد على البيئة** فى تصريف منتجاتها (سلع أو خدمات) ، ومن ثم لا يجوز انشاء تنظيمات تقوم على انتاج أشياء غير مرغوبة من المجتمع المحيط .
- **التأثر المباشر** بالبيئة المحيطة ، فالتنظيم يستمد اهدافه من اهداف المجتمع ، ويستخدم معايير للاختيار والتقييم تتناسب مع القيم السائدة فى المجتمع .

أخذا فى الاعتبار تلك الخصائص المميزة للتنظيم ، فاننا نخلص الى حقيقة اساسية هى أن عملية التنظيم واعادة التنظيم دائمة الحركة والاستمرار تهدف الى انشاء تكوينات تنظيمية تتعايش مع البيئة ، وتخدم اهدافا تنبثق من الاهداف العامة للمجتمع ، أى ان كفاءة التنظيم تتحدد بدرجة خدمته لاهداف يرغبها المجتمع من ناحية ، وبدرجة التزامه بالقيم والمعايير التى يقبلها المناخ العام او يقدر على استيعابها ، وهذا التحديد لمفهوم التنظيم وطبيعته يقودنا بالضرورة الى مناقشة أسلوب انشاء التنظيم أو اعادة تكوينه ، ونحن ندعو الى الاخذ باسلوب التخطيط التنظيمى سواء على المستوى القومى أو القطاع أو الوحدة .

ويرتكز منطق التخطيط التنظيمى على الاركان الاساسية الاتية :

● تحديد الاهداف الرئيسية للتنظيم وتوضيح العلاقات بينه ، وبين التنظيمات الاخرى التى يتعامل معها .

● الاستناد الى تلك الاهداف لتحديد الاعمال والانشطة التى ينبغى على التنظيم ممارستها ، وتوصيف تلك الاعمال والانشطة توصيفا واقعيا سليما .

● تحديد التقسيمات الداخلية للتنظيم (افقيا ورأسيا) بما يتناسب مع أنواع النشاط الموكولة اليه،واخذا فى الاعتبار نوعيات وخصائص الافراد المحتمل الاستعانة بهم فى ممارسة تلك الانشطة .

● التنبؤ بالظروف البيئية التى يحتمل أن يمر بها التنظيم وآثارها المقدرة على كفاءته ، وتوفير امكانيات التغيير والتطوير الذاتى بالتنظيم لمقابلة التنظيم وظروفه المتميزة .

● تحديد أساليب متابعة وتقييم الاداء وفقا للسياسات والنظم التى تتناسب مع طبيعة عمل التنظيم وظروفه المتميزة .

● رسم خطوط الاتصال الداخلية وتحديد مراكز ارسال واستقبال المعلومات بالتنظيم .

● تحديد اساليب متابعة وتقييم الاداء وفقا لاسس ومعايير موضوعية وقابلة للقياس العلمى .

● تحديد مستويات اتخاذ القرارات ومعايير الاحتكام والاختيار المقبولة .

● تحديد نوعيات الافراد ورسم برامج تنميتهم والاشراف عليهم ، وأساليب تقييم الحوافز لهم وتقييم أدائهم .

ان تطبيق اسلوب التخطيط التنظيمى يتطلب بالضرورة التخلص من كل العوامل السابق الاشارة اليها ، والتى ادت الى قصور عمليات اعادة التنظيم السابقة على بلوغ أهدافها ، ولا شك أن السبيل الى ذلك يكمن فى اجراء الدراسات الميدانية الموضوعية ، والاقبال على عمليات اعادة التنظيم بمفهوم واقعى يقوم على الايمان بالفروق الموضوعية بين التنظيمات المختلفة ، والابتعادعن محاولات التوحيد والتنميط غير المجدية ، ولا شك أن الالتجاء الى أسلوب التخطيط التنظيمى يمثل تطويرا أساسيا فى اسلوب انشاء التنظيمات او اعادة تكوينها ، واذا اتخذنا حالات انشاء الاجهزة المركزية المختلفة — التى تمارس وظائف تتعلق بالتخطيط والرقابة على وحدات القطاع العام — كنماذج للدراسة نجد أن الجهاز المركزى للتنظيم والادارة وقد أنشىء فى مارس ١٩٦٤ بموجب القانون رقم ١١٨ لسنة ١٩٦٤ ليحل محل ديوان الموظفين ، ويهدف الى الارتفاع بمستوى الخدمة المدنية وتحقيق العدالة فى معاملة العاملين والتأكد من درجة تحقيق الاجهزة المختلفة لاهدافها فى مجالات الانتاج أو الخدمات ، كذلك نجد الجهاز المركزى للمحاسبات وقد أنشىء فى عام ١٩٦٤ أيضا بموجب القانون ١٢٩ لسنة ١٩٦٤ ليحل محل ديوان المحاسبات ، ويهدف الى تحقيق الرقابة الفعالة على أموال الدولة ومتابعة اداء وحدات الانتاج والخدمات ، كذلك تم انشاء الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء سنة ١٩٦٤ ليحقق الاندماج الكامل بين مصلحة الاحصاء من ناحية وادارة التعبئة العامة من ناحية أخرى ، وحيث كان انشاء تلك الاجهزة المركزية لتحل محل تنظيمات أخرى سابقة ، نجد أن الجهاز المركزى للتدريب وقد أنشىء فى عام ١٩٦٧ باعتباره هيئة مستقلة تتبع رئيس الوزراء ثم انتقلت تبعيته بعد ذلك الى وزير العمل ، والامر الملاحظ بالنسبة لهذه الاجهزة المركزية أن كثيرا من الملاحظات التى أبديناها فى هذه الدراسة عن أسباب قصور عمليات التنظيم واعادة التنظيم تنطبق عليها بدرجة كبيرة ، من حيث عدم وضوح الاهداف أو تداخل الاختصاصات وتميع المسئوليات ، لذلك حين يتجدد الاتجاه الى اعادة تنظيم تلك الاجهزة ، كما حدث بالنسبة لجهاز التنظيم والادارة ، او حين يتجه الرأى الى انشاء أجهزة أخرى تحل محل تلك القائمة الآن أو تتعايش معها ، فاننا نرى أنه يجب الالتزام بأسس التخطيط التنظيمى الموضوعية ، ومن ثم فانه ينبغى توفر المقومات الرئيسية التالية لضمان فاعلية وكفاءة تلك التنظيمات المستحدثة أو المعاد تنظيمها :

● أن تكون هناك حاجة حقيقية لقيام التنظيم او اعادة تكوينه ، وأن تتوفر درجة كافية من الوضوح فى الاهداف التى ينشأ من أجلها .

● أن تكون الحدود واضحة وفاصلة بين اختصاصات التنظيم الجديد وبين اختصاصات غيره من التنظيمات القائمة ، وأن تتحدد المسئولية لكل من تلك التنظيمات تحديدا دقيقا .

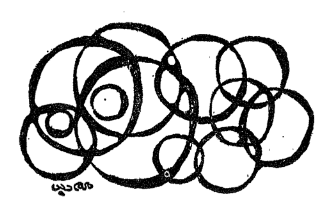
● أن يتناسب المستوى التنظيمى للجهاز مع أهمية أهدافه وحجم مسئولياته بحيث يرتفع هذا المستوى بزيادة خطورة الاهداف وضخامة المسئوليات .

● تناسب التقسيم الداخلى للتنظيم مع الواجبات والانشطة التى يجب عليه ممارستها وصولا للاهداف المحدودة ، بحيث لا تتداخل الاختصاصات او تتوزع المستويات .

● توفر معايير لتقييم انجازات التنظيم الجديد ، وتحديد مدى كفاءته فى تحقيق الاهداف التى أنشىء من أجلها ، كذلك توفر أساليب لمتابعة مدى ملاءمة التنظيم للظروف البيئية المتغيرة .

المؤسسات التعاونية

وحركة الجماهير



فتحي عبد الفتاح

يكتسب التعاون والمنظمات التعاونية اهمية خاصة في المجتمعات المعاصرة ، سواء أكانت راسمالية أم اشتراكية ..

فالمؤسسات التعاونية باعتبارها منظمات جماهيرية في الاساس ، يمكنها أن تقوم في المجتمع الراسمالي بدور هام في تجميع صغار المنتجين وتوحيد نضالهم المشترك لحماية مصالحهم والدفاع عنها ضد طغيان الاحتكارات الرأسمالية الحاكمة ، وذلك في تعاون وثيق مع نضال الطبقات العاملة والفلاحين في تلك البلدان ..

وهي في المجتمع الاشتراكي تمثل شكلا اساسيا من اشكال التنظيم الاقتصادي والاجتماعي ، فالى جانب الملكية العامة لوسائل الانتاج ، تقوم الملكية التعاونية والمنظمات التعاونية في المجتمع الاشتراكي بدورهام في استكمال البناء الاشتراكي ودعم أسسه .

ولقد عبر لينين عن أهمية التعاون في المجتمع الاشتراكي حين أكد أنه « لا يمكن تصور بناء الاشتراكية بدون وجود الاشكال والمنظمات التعاونية » ، واعطاء العمل التعاوني الفرصة الواسعة للانطلاق بمبادرة الجماهير الى آفاق الملكية الاشتراكية ، وتشهد التطبيقات الاشتراكية حتى الان شكلين من الملكية ، ملكية الدولة والملكية التعاونية الاشتركية وكلاهما يكمل الاخر ، وعقبان على أسس من العمل الجماعي والبعد عن الاستغلال والاستخدام الامثل للموارد والامكانيات المتاحة ..

ولهذا كله فمن الطبيعي أن يحتل التعاون مكانا بارزا في البناء الاقتصادي والاجتماعي للبلدان النامية والتي تعمل من أجل بناء اقتصاد مستقل ، والتطور بهذا الاقتصاد في طريق غير رأسمالي . ومن الطبيعي أيضا أن تعتمد الحركة الجماهيرية في تلك البلدان ، وخاصة في اوساط الفلاحين ، والمنتجين الصغار على الاشكال التعاونية بدرجة كبيرة ..

تغييرات هامة

ولقد كان من الطبيعي بعد يوليو سنة ١٩٥٢ أن يستجد التعاون والعمل التعاوني دفعة هامة وخاصة في مجال الزراعة ، وخاصة أن الاصلاح الزراعي الذى اتبع في الجمهورية العربية المتحدة اختط طريق توسيع قاعدة الملاك الصغار مرتبطا بانشاء تعاونيات في الاراضي الموزعة وقد أدى ذلك الى نوع من الموازنة بين مخاطر التفتيت التى أقدم عليها القانون منطلقا من مبدأ توزيع الاراضي قطعا

صغيرة على المنتفعين وبين ضرورات تطوير الانتاج فى الاراضى الموزعة •

وقد نص القانون على ضرورة اشتراك المنتفعين الجدد فى جمعيات تعاونية تقوم بما يلزم من عمليات التمويل وتنظيم الاستقلال الزراعى ، وتوفير وسائل الزراعة وبيع وتسويق المحاصيل الرئيسية والعمل على تقديم مختلف الخدمات الزراعية والاجتماعية للتعاونية الزراعية •

وبالرغم من أن هذا الشكل من التعاون الزراعى لم يصل الى مستوى **المزرعة التعاونية الانتاجية** التى تنظم التعاون فى كل نواحى الانتاج والعمل ورأس المال والتسويق وتوزيع الدخل، الا انها لا شك كانت بمثابة قفزة هامة بالنسبة للتعاونيات الائتمانية التى كانت قائمة قبل الثورة .

وقد بلغت جمعيات الاصلاح الزراعى حتى سنة ١٩٦٨ ٦٥٠ جمعية تحتل كيانا مستقلا فى تركيبها ، كما تشرف عليها أجهزة الاصلاح الزراعى وتصب كلها فى النهاية فى الجمعية العامة لتعاونيات الاصلاح الزراعى •

واذا انتقلنا الى التعاونيات الاخرى ، وهى الشكل السائد حتى الان خارج أراضى الاصلاح الزراعى، فبالرغم من بعض التطورات التى طرأت عليها الا أنها ظلت حتى الان تعاونيات ائتمانية ، ولقد كان أول محاولة لتطوير نظم جمعيات التعاون الائتمانية الزراعية هو القانون رقم ١٧ لسنة ١٩٥٦ ، وكان من أهم المبادىء التى أقرها ، أن يكون لكل عضو فى الجمعية صوت واحد أيا كان عدد الاسهم التى يمتلكها ، ثم توالت بعد ذلك القوانين المعدلة والمطورة سنة ١٩٦٠ ، سنة ١٩٦٣ ، ١٩٦٩ التى أضافت وغدت من نظم وأشكال الجمعيات التعاونية ، وكان من أهم نتائجها :

أولا : من ناحية الكم ، ازداد عدد الجمعيات التعاونية الزراعية فبلغ سنة ١٩٦٧ ، ٤٢٠٠ جمعية يشترك فيها مليون ونصف مليون فلاح •

ثانيا : تحول بنك التسليف الزراعى والذى هو بمثابة الشريان المادى لهذه الجمعيات الى مؤسسة عامة للائتمان الزراعى والتعاونى ، وارتبط بذلك زيادة سلفيات البنك للجمعيات التعاونية، واعفاء السلف من الفوائد مع عدم اشتراط ضمان الارض لتقديم تسهيلات ائتمانية ، لصغار الفلاحين والاكتفاء بضمان المحصول، وكانت نتيجة ذلك أن بلغت سلفيات البنك سنة ١٩٦١ حوالى ٦٠ مليون جنيه أى أربعة أضعاف ما كانت عليه سنة ١٩٥٢ ، كما بلغ عدد المتعاملين مع البنك فى نفس العام ٩٨٠ ألف مالك منهم ٧٣٥ ألف مالك صغير ومتوسط أى بنسبة ٨٠ فى المائة •

ثالثا : أسند الى الجمعيات التعاونية مهام جديدة لم تكن تقوم بها مثل تجميع الاستغلال الزراعى وتسويق المحاصيل والاشراف على تطبيق القوانين الخاصة بالايجار والمزارعة والتوسع فى تصنيع المنتجات .

رابعا : بالنسبة لكيفية تشكيل هذه الجمعيات، جاء أول تغيير مع القرار الوزارى سنة ١٩٦١ والمعدل بعد ذلك سنة ١٩٦٣ والذى اشترط ان يكون اربعة أخماس اعضاء مجلس ادارة الجمعية التعاونية المحلية ممن يملكون خمسة أفدنة فاقل ، مستهدفا بذلك ضرب نفوذ كبار الملاك واغنياء الفلاحين الذين كانوا يسيطرون سيطرة كاملة على جمعيات الائتمان ، ثم عدل هذا النص بعد ذلك واعتبر أن صغار الملاك هو من ملكوا عشرة أفدنة فاقل ، مستهدفا بذلك ضرب نفوذ كبار الملاك وأغنياء الفلاحين الذين كانوا يسيطرون سيطرة كاملة على جمعيات الائتمان ثم عدل هذا النص بعد ذلك بالقانون الجديد الذى صدر سنة ١٩٦٩ ، والذى اعتبر أن صغار الملاك هم من يملكون عشرة أفدنة فاقل ، كما حرم عضوية مجلس الادارة على الاميين •

خامسا : أقر قانون سنة ١٩٦٩ ، ضرورة انشاء اتحاد تعاونى عام يكون بمثابة السلطة العليا للجمعيات التعاونية ، وقد تشكل بالفعل هذا العام أول اتحاد تعاونى أعلى يضم كل التعاونيات العاملة فى المجال الزراعى .

الملكية التعاونية

والمؤكد أن الحركة التعاونية فى المجال الزراعى قد تطورت بشكل ملحوظ فى الخمسينات والستينات ، ولم يقتصر هذا التطور على الزيادة الكبيرة فى الجمعيات التعاونية بأشكالها المختلفة ، بحيث أصبحت الجمعية الزراعية أحد المعالم الرئيسية فى القرية ، بل ان هذا التطور شمل أيضا الاتساع فى مهام العمل التعاونى ، فلم يعد يقتصر على الائتمان العينى والنقدى ، بل أصبح يشمل نواحى انتاجية ، مثل التجميع وتنظيم الدورة وتسويق الحاصلات ، ومن هنا تنبع الاهمية القصوى لتلك الجمعيات لمنظمات جماهيرية مؤهلة لان تلعب دورا خطيرا ليس فى تطوير القرية المصرية فحسب ، بل وفى دفع العمل السياسى والجماهيرى فى البلاد .

وادراكا منا لخطورة الدور السياسى والجماهيرى ، بالاضافة بالطبع الى الدور الانتاجى للجمعيات الزراعية ، فاننا نعتقد أنه من الضرورى العمل على تطوير العمل التعاونى والتنظيمات التعاونية بما يكفل لها القيام بالدور الخطير الذى أسنده اليها ميثاق العمل الوطنى « لتقوم المنظمات التعاونية القادرة على

تحريك الجهود الانسانية فى الريف لمواجهة مشاكله ، ولتصبح التعاونيات بحق « الخلايا التى تستطيع أن تنسج خيوط الحياة فى الريف من جديد ، وتصنع منها قماشا حضاريا يقرب القرية الى مستوى المدينة » .

فالتعاون الزراعى بجميع أشكاله بما فى ذلك الشكل المتقدم الموجود فى محافظتى كفر الشيخ وبنى سويف لم يستطع ان يلعب هذا الدور المطلوب ، وذلك لعدة أسباب يمكن تلخيصها فى :

أولا : الوقوف موقف التردد ازاء اعطاء صفة انتاجية كاملة للجمعية التعاونية الزراعية مع ما يتطلب ذلك من تكييف لشكل الملكية الفردية ، فقضية تجميع الاراضى الزراعية وتنظيم الدورة المناسبة واستخدام الالات والاساليب الفنية يحتاج الى مساحات واسعة من الارض ، وواقع الملكية الزراعية فى مصر ووجود مساحات واسعة من الملكيات الصغيرة (فدان فاقل) وانتشار اسلوب التاجير على اساس المساحات الصغيرة كل ذلك يقف عقبة رئيسية أمام تطور انتاجى حقيقى فى مهام الجمعية التعاونية ، ولا يمكن للتعاون أن يلعب دوره الانتاجى الحقيقى الا على أساس توفير الاسس الموضوعية للانتاج الكبير .

والغريب أن كل الذين يتناولون قضية التعاون الزراعى وتطويره لا يختلفون حول هذه الفكرة ، ولكن الغريب ايضا انهم يخلقون حاجزا وهميا يحول دون الوصول الى الحل الحقيقى ، ومن الثابت أن هناك شكلا تعاونيا لا تلغى فيه الملكية الفردية ، ولكن الارض تزرع بشكل جماعى تعاونى ، ويتسم تقسيم العمل وتوزيع المحاصيل والانتاج وفقا لاسس تعاونية تدخل فيها الملكية الفردية . وبالرغم منتحفظنا اصلا على عمق فكرة الملكية الفردية لدى الفلاح المصرى تلك الفكرة التى تثبت الدراسة التاريخية خطاها تماما ، وبالرغم من أن ملاك ومستأجرى المساحات الصغيرة والذين يمثلون ٩٥ فى المائة من الملاك لا تهمهم الملكية فى واقع الامر ، الا من زاوية أنها السبيل الوحيد لكسب قوتهم ، بالرغم من كل هذا فمن الواضح أن شكل الملكية التعاونية لوسائل الانتاج وخاصة الارض هى المخرج الوحيد لاضفاء فاعلية حقيقية على العمل التعاونى ، وهو شكل يحافظ على الملكية الفردية منناحية الصنع،وأسس الانتاج والعمل الجماعى من ناحية أخرى .

الاشراف والديمقراطية

ثانيا : ان بداية التعاون المشرف عليه من الدولة هو ولا شك خطوة هامة فى تطوير العمل التعاونى سواء فى جمعيات الاصلاح الزراعى ، أو فى جمعيات الائتمان ، فتوزيع الملكية وعلاقات الانتاج السائدة تحتاج ولا شك الى تدخل من الدولة فى الاشراف على العمل التعاونى وتوجيهه وخاصة وقد تغيرت طبيعة الدولة فى اتجاه تمثيل مصالح قوى الشعب العاملة . وهذا التوجيه ـ بغض النظر عن أخطاء التطبيق ـ هو احد الوسائل الهامة لربط وتخطيط الاقتصاد الزراعى والتعاونى بالخطط الاقتصادية العامة ، وخاصة فى مراحل ازدياد التصنيع والتحولات الاقتصادية الهامة .

ولكن هذا الاشراف يتطلب اعدادا وخبرة واسعة وتطوير الاجهزة المشرفة على العمل التعاونى ، وفهما لاغراضه وأهدافه ، والواضح من التطبيقات التعاونية بعد الاخذ بمبدأ الاشراف ، أن الاجهزة المشرفة تفتقد الى حد كبير وعيا وفهما بالعمل التعاونى فى ظروف الانتاج الزراعى فى القرية ، وقد ادت التصرفات الخاطئة من جانب هذه الاجهزة وخاصة منجانبالمشرفين الزراعيين الى التقليل من أهمية الجمعيات التعاونية ودورها ، مما يجعلنا نقول ان سيطرة الاجهزة الادارية على العمل التعاونى وانفصالها عن الفلاح الصغير بالذات مثل فى الستينات القضية الرئيسية امام تطوير العمل التعاونى ، وأعطائه الصفة الجماهيرية الواسعة .

وقبل صدورالقانون التعاونى الجديد، واجراء الانتخابات لمجالس الادارات فى بداية سنة ١٩٧٠ كان هناك حوالى نصف الجمعيات التعاونية الائتمانية تدار عن طريق المشرفين مباشرة ، وليس هناك مجالس ادارة كما أن هناك ما يؤكد أن السلطة فى النصف الباقى كانت فى يد المشرف الزراعى ، وقد أدت هذه الاخطاء الى عكس للهدف المنشود من اشراف الدولة على التعاون . فبينما من المفروض ـ نظريا ـ أن يكون تدخل الدولة واشرافها مرتبط بمد الجمعيات التعاونية بمزيد من الامكانيات الفنية والالية لزيادة فاعلية العمل التعاونى ، تحول الاشراف التعاونى ونتيجة للتراث البيروقراطى العتيق فى تعامل أجهزة الدولة مع الفلاح ، الى قيد على العمل التعاونى نفسه ، مما أفقد الكثيرين من الفلاحين الثقة فى تعاونيات الائتمان الزراعى ، وأفقدهم الحماس الضرورى واللازم لدفع العمل التعاونى .

اتحاد الفلاحين

ثالثا : من ناحية مجالس ادارة الجمعيات التعاونية فانه منالغريب حتى الانأنه يوفق الى ايجاد مجالس ادارات قوية وفعالة ، فى حين أن التعاون أحد الاسس الهامة فى تراث الفلاح المصرى، ولقد حاولت القوانين التى صدرت خلال الستينات مقرطة الجمعيات التعاونية بحيث تمثل اداراتها الغالبية العظمى من المنتفعين ، وهم الفلاحون الصغار (القرار الوزارى سنة ١٩٦٣) ولكن القوانين لم تأت بالثمار المرجوة حتى الان فى

تحويل التعاونيات الزراعية الى مؤسسات جماهيرية وانتاجية ذات فعالية كبيرة لاسباب كثيرة منها : سيطرة الاجهزة الادارية وخاصة مؤسسة الائتمان التعاوني والمشرف الزراعي سيطرة شبه مطلقة ، ومنها أن تشكيل مجالس الادارات وممارستها للمسئولية في السنوات الست الماضية ، ثم في ظروف زاد فيها حجم الملكيات المتوسطة من [١٠ــ٥٠] فدانا، كمازادت نسبة متوسط الملكية لافراد هذه الفئات في حين نقص متوسط الملكية للفلاح الصغير ، وكانت النتيجة الطبيعية اعتماد الفلاح الصغير أكثر وأكثر على الفلاح الغني في عملية الانتاج الزراعي سواء من ناحية التأجير، او من ناحية الاحتياجات المادية، مما ادى الى تزايد نفوذ الفلاح الغني على العمل التعاوني .

وقد ساعد على هذا أيضا عدم وجود حركة فلاحية منظمة سواء في شكل اتحاد للفلاحين أو قيادات فلاحية نابعة من القرية ، ولقد رأينا كيف حرصت السلطات الحاكمة قبل سنة ١٩٥٢ على محاصرة وقتل أي نشاط ديمقراطي أو اجتماعي في القرية المصرية وبوعي طبقي غريب ادراكا بالطبع للخطورة القصوى لتنظيم الفلاحين على مصالح الفئات الحاكمة ، وليس صدفة ألا يكون هناك في مصر حزب للفلاحين أو حتى اتحاد لهم، اذ كانت الاحزاب السياسية في غالبيتها يسيطر عليها كبار الملاك وبورجوازية المدن .

ان هذا العامل الهام قد قلل بدرجة كبيرة من المشاركة الواعية والمنظمة للفلاحين في العمل التعاوني ، وهو شرط ضروري لانجاح أية حركة تعاونية في الريف ، كما أنه يساعد على هيمنة العمل الادارى البيروقراطي في التعاون .

وفي هذا المجال فان اعلان تشكيل أول اتحاد تعاوني مركزي في يوليو سنة ١٩٧٠ يعتبر خطوة هامة، ولاشك في طريق دعم التعاونيات كمؤسسات جماهيرية ينتظم فيها الفلاحون ويمارسون من خلال عضويتها دورا فعالا وحاسما في توجيه التعاون لصالحهم مرتبطا بأهداف الدولة في التحول نحو البناء الاشتراكي .

ويعتقد أنه من الضروري في هذا الصدد ولزيادة اهتمام الاعضاء بالعمل التعاوني وتنمية المبادرات الخلاقة لدى الجماهير التعاونية أن يزيد الاهتمام بالجمعية العمومية للتعاونية باعتبارها السلطة العليا في تصريف شئون العمل التعاوني في القرية ، وهناك ما يؤكد أن كثيرا من الجمعيات التعاونية لم تعقد أية جلسة للجمعية العمومية التي تضم كل المساهمين ، مما أدى الى ذبول الجانب الجماهيري الواسع للعمل التعاوني .

كذلك فان الاخذ بمبدأ « المركزية الديمقراطية » في العمل التعاوني وخاصة بعد تشكيل المجلس التعاوني الاعلى تساعد على ربط البنيان التعاوني كله ، وبأن تكون القرارات التي يصدرها المجلس عبارة عن حصيلة المناقشات والقضايا التي تثار في الجمعية المحلية أو الجمعية المشتركة .

تطوير كيفي

رابعا : ان المساواة المطلقة التي تأخذ الشكل المظهري للديمقراطية في أداء الخدمات الزراعية لكل الاعضاء على قدم المساواة بغض النظر عن التباين الكبير في ملكياتهم قد أدى في واقع الامر الى الاستفادة المطلقة لاغنياء الفلاحين دون غيرهم ، ويبدو هذا واضحا من سلفيات وديون الفلاحين ، اذ الثابت أن أكثر من ٨٠ في المائة من هذه السلفيات والديون تعود الى أغنياء الفلاحين ومتوسطي الملاك .

ويتطلب هذا بعض الاجراءات ذات الطابع الديمقراطي الحقيقي ، والتي تقضي على المساواة الشكلية بين صغار الفلاحين ، والذين هم القاعدة الرئيسية للعمل التعاوني وأحوج الفئات اليه ، وبين كبارهم ومتوسطيهم ، والذي أعنيه هنا أن التسهيلات والخدمات التعاونية سواء أكانت سلفيات أم بذورا أم تكاليف رش ومقاومة ، أم تسويقا يجب أن تقدم للفلاح الصغير بأبسط وأقل التكاليف مع زيادة سعرها بشكل تصاعدي بالنسبة لمن يملكون أكثر من خمسة أفدنة .

ويبقى بعد وقبل كل هذا ضرورة اجراء تطوير كيفي في النظم التعاونية بحيث تقوم على أسس انتاجية علمية توفر المساحات الواسعة التي تجعل من ميكنة العمل الزراعي أمرا ميسورا سواء منه القائم على الجهد الحيواني أم الانساني ، ومن ناحية أخرى تساعد على تطوير المنتج الزراعي نفسه ، ولذا فالبدء في تشكيل التعاونيات الانتاجية القائمة على أسس الملكية التعاونية على الاقل بين من يملكون خمسة أفدنة فأقل يكاد يصبح شرطا ضروريا لاجراء تطوير عملي وعلمي في ظروف التعاون الزراعي ودفعه لان يحقق ثورة تعاونية حقيقية في الريف .

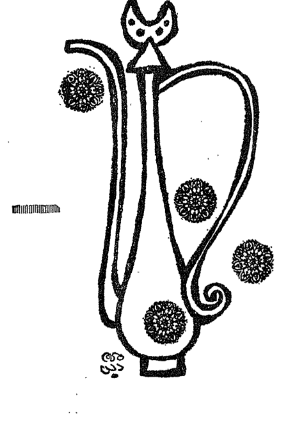
وأشير هنا بسرعة الى اعتبارين أساسيين فيما يتعلق بالتعاونيات الانتاجية :

الاعتبار الاول : هو أن الملكية التعاونية ليست الغاء لحق الملكية ، ولكنها تطوير لمفهوم الملكية بما يخدم المالك نفسه والمجتمع الذي يعيش فيه .

الاعتبار الثاني : فهو ضرورة أن تقوم تلك التعاونيات على أسس ليست اجبارية ، وأن تعتمد في الاساس على مبادرات جماهيرية يلعب فيها التنظيم السياسي دورا مؤثرا ، ويكون على الدولة اثارة حوافز صغار الفلاحين نحو الملكية التعاونية ثم الدعم المادي والتنظيمي لاحتياجات هذه التعاونيات .

التقاليد وعملية تكوين التقاليد

نموذج مراكش



د. عبد الله العروي

د. العروى مقدم هذا البحث القيم لندوة لوفان ـ بلجيكا هو أستاذ علم الاجتماع فى جامعة محمد الخامس بالرباط ، وله مؤلفات عديدة ظهر منها أخيرا « الايديولوجية العربية المعاصرة » و « تاريخ المغرب » ـ دار نشر ماسبيرو ـ

هناك خلط شائع فى آداب علم الاجتماع، بين التقاليد كواقع اجتماعى ، والتقاليد كقيمة ، بحجة ان هذا الخلط هو على وجه الدقة السمة المميزة للمجتمع التقليدى .

ولكن ينجم عن هذا الخلط عدة أمور منها :

● أن كل التحليلات التى يقوم بها علم الاجتماع للتقاليد هى تحليلات « بالسلب والنفى » فى واقع الامر، واننا عندما نصف التقاليد بأنها الروح الزراعية ، الروح الريفية ، السلبية ، اللاتاريخية .. فاننا بذلك لا نغفل سوى أن نعكس بصورة سلبية السمات المميزة للمجتمع المسمى بالمجتمع « الحديث » اللاحق للقرن التاسع عشر .

● انه بدون تحديد الموطن الاجتماعى لهذه التقاليد، لا يمكن تحديد النقطة الاستراتيجية فى سياسة تغييرها ، ومن ثم لا يمكن تصور هذا التغيير بغير تدخل أجنبى ، الذى يفترض بدوره افتقاد التقليديين للاصالة وللقدرة على التأثير والمشاركة .

وعلى العكس من ذلك ، فاننا اذا فرقنا بعناية بين التقاليد كهيكل أو بنـاء ، وبين التقاليد كايديولوجية ، لكان فى مقدورنا أن نطرح السؤالين التاليين :

● فيما يتعلق بالاولى أى بالتقاليد كبناء (المقصود هنا بناء اجتماعى) (المترجم) يحق لنا ان نتساءل عما اذا كان من المنطقى أن نفرض عليها مقولات العلوم الاجتماعية التى تطورت فى اطار المجتمع الحديث .

● وفيما يتعلق بالثانية أى التقاليد كايديولوجية، علينا أن نبحث عن البيئة الاجتماعية التى ترتبط بها هذه التقاليد ، وهذه هى القضية التى اقترح طرحها للنقاش هنا ، متخذا من نموذج مراكش مثالا لها .

نموذج مراكش

لقد دأب البعض فى تصويره للبناء الاجتماعى المراكشى على تخيل وجود فاصل منصف يقسم هذا البناء او الهيكل .

ففى عصر ما قبل الاستعمار ، يقولون ان سلطة « السلطان » كانت هى الفاصل بين مجموعتين بين سكان الحضر والقبائل، واللتان كانتا مختلفتين فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية .

وفى عهد الحماية حلت السلطة الفرنسية محل السلطان ولعبت نفس الدور بين الروح القومية فى المدينة ، وبين روح التمسك بالتقاليد فى الريف ، وبعد الاستقلال تحتل السلطة الملكية الحالية نفس الموقع بين يسارية الاحزاب والنقابات والطلاب فى المدن ، وبين الروح المحافظة لجماهير الريف .

وفى الاحوال الثلاث ، بما فيها من رفض لاية فكرة عن الارتقاء والتطورية فاننا نعطى الانطباع بأن جانبا من سكان الحضر على الاقل ، هم حملة لواء التقدم ، فى حين أن الريف هو موطن التمسك بالعادات البالية ، والروح المحافظة التى تنبع من التقاليد ، وبالانتقال من مجال التحليل الى مجال العمل ، نتبين بوضوح من الذى يتحمل مسئولية ذلك .

ولكننا عندما نلجأ الى التاريخ نستوحيه ، نجد صورة اخرى ، أن أحد الفروض التى قام عليها البرهان السابق هى أن النموذج قبل الاستعمارى ، نموذج صالح للفترة السابقة بأسرها ، ذلك أن فكرة المجتمع التقليدى ، بحكم التعريف كما يقولون ، تستبعد التغيير ، والحقيقة هى أن الامور على غير ذلك تماما .

فى مجال النظام السياسى :

ان السلطة المخزنية [الملكية والبلاط لان القصر الملكى كان يسمى بالمخزن] كما يصفونها، هى نفسها أمر مستحدث وجديد ، لقد كانت محصلة سلسلة من التطورات المتباينة للغاية ، وفى القرن الثامن عشر فقط أصبحت السلطة المخزنية سلطة تقليدية ، أى أنها وجدت مشروعيتها فى الاخلاص والولاء للماضى ، وبالطبع كانت محاولات عديدة قد بذلت فى هذا الاتجاه من قبل ، ولكنها كانت قد فشلت جميعا .

ان حقيقة ان المجتمع قد قبل جزئيا ، وكليا ، وذلك لاول مرة فى القرن الثامن عشر ، فى ظل حكم محمد الثالث ، الاخلاص والولاء لنموذج زعموا انه مستمد من الماضى ، باعتبار ذلك سببا كافيا للمشروعية، فى حين انه كان يرفض ذلك على الدوام من قبل، هذه الحقيقة فى حاجة الى تفسير، وهى فى كل الاحوال تتناقض مع تعريف التقاليد بأنها مجرد الاخلاص والولاء للماضى (ماكس فيبر) .

وهكذا يمكن القول بأن التقاليد لا تقوم ولا تنشأ الا عندما نقبل القيام بعملية استحداث وتجديد ، تحت ستار الاخلاص والولاء للماضى ، ولكن قبول التقاليد فى هذه الحالة يثير بعض التردد والتساؤل ، ويطرح على المؤرخين عديدا من المشاكل .

فى مجال الثقافة :

لندع جانبا الفولكلور، والتقاليد الشفوية . الخ. فهى تطرح مشاكل من نوع آخر ، فاذا تناولنا الثقافة العربية المكتوبة ، التى أصبحت فى القرنين التاسع عشر والعشرين تدعى ثقافة تقليدية ذات مضمون معين ، وأسلوب واستخدام خاصين ، لاستطعنا أن نتبين أن هذه السمات لا تنبع من الثقافة ذاتها بل من وضع جديد نشأ وتطور فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر، فقبل هذا التاريخ ، يمكن أن نقول ، انه كان هناك تضامن « افقى » يربط بين المدن الكبيرة فى العالم الاسلامى بعضها البعض ، اكثر مما يربط بمحيطها المباشر ، فقد كانت فاس من الناحية الثقافية أقرب لتونس ، وللمدن الاندلسية منها للقرى والريف المحيط بها ، وفى اطار هذه الثقافة الحضرية كان العنصر الدنيوى العلمى او الادبى عنصرا سائدا

رغم ما يقال فى الكتب الدراسية ، وبعد أن تغير هذا الوضع الاقتصادى ، وضعفت العلاقات التجارية ، حل محل هذا التضامن الافقى تضامن آخر رأسى مع الريف والجبال المجاورة •

ومن جراء هذه الازمة اضطرت الصفوة الثقافية الى أن تقوم بدور هيئة التدريس ، ولكن نظرا لان سكان الريف هؤلاء الذين كان يتعين « تثقيفهم » ، كانوا معزولين خلال فترات طويلة من الزمان ، فانهم لم يستطيعوا استيعاب الثقافة الحضرية بأكملها ، لقد كان العنصر الوحيد المقبول كلية من المجتمع الريفى ، هو الذى يوطد دعائم المجتمع ، ومن هنا جاء التركيز على الجانب القانونى — الاجتماعى ، وتدهور كل ما يحط الى الثقافة الدنيوية •

ان محتوى التقاليد التى بدأت تتكون فى ذلك الوقت هو الذى سيصبح العنصر المشترك بين الصفوة الحضرية التى كانت علاقاتها بالخارج قد تقطعت ، وبين هذا الجزء من المجتمع الذى لم يكن قد مر بكل مراحل التطور الثقافى العربى ، وأما تحديد وتعريف هذه التقاليد فهو من عمل هذه الصفوة •

فى مجال العاطفة الدينية :

اننا عادة نضع الاسلام الشرعى واللاهوتى والعقلى القائم فى المدن فى مواجهة الاسلام الصوفى الطبيعى القائم فى الريف ، ونرى فى هذا الاخير نوعا من الثأر والانتقام قامت به الديانات الريفية القديمة ، ولكننا مجبرون على الاعتراف بأن المناداة بأكثر العقائد عقلانية ، وهى عقيدة الموحدين قامت بها عناصر من سكان الجبال ، وأن سكان المدن كانوا قد رفضوها ، بل وأن مذهب وجمعيات الاخوية كان على الاقل ظاهرة حضرية مثلما كان ظاهرة ريفية •

لقد كان الانتقال من نمط من العاطفة الدينية الى نمط آخر ، مرتبطا بالتغير الاقتصادى ونتائجه الاجتماعية فى القرن الخامس عشر ، فقد استلزمت الضرورات والاحتياجات السياسية للسلطة وللصفوة الحضرية ، فى مجتمع فقير مفكك الاوصال ، استبدال العاطفة الدينية القائمة على القانون المجرد ، بعاطفة أخرى يبرز فيها ويتضح دور الفرد الرشيد ، فقد كان المجتمع قد كف عن أن يكون مجتمعا موحدا بدرجة تجعل مجرد وجود أحكام الشريعة قادر فى حد ذاته على ضمان تلاحمه واستمراره ، بل كان لابد من أن يضاف اليها النفوذ والتأثير المباشر لوسيط مرئى ، يرتبط هو نفسه بوسطاء آخرين ، سابقين وحاليين ، وبكل الضمانات التى تكفل استمرار المجتمع واتصاله •

ومن ثم لم يكن مذهب « المرابطين » ترياقا ، أو مصلا واقيا من الشرعية الحضرية بل كان عاطفة دينية جديدة فرضتها على الجميع حالة الازمة •

فما هى الاستنتاجات التى يمكن استخلاصها من تلك الحقائق التى مررنا عليها مرورا سريعا ؟

بالقدر الذى تعبر به التقاليد عن نفسها ، أى تفرض به نفسها على المجتمع كأسلوب للسلوك والتصرف ، يكفل لنا نموذج مراكش استخلاص العناصر التالية فيما يتعلق بعملية تكوين هذه التقاليد :

■ **الظروف :** ضغط خارجى شديد ، يؤدى الى اختناق اقتصادى ، والى تفكك المجتمع (هجمات ايبريا فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر] •

■ **القوى :** الصفوة القائمة بمكوناتها الثلاث ، السياسية — العسكرية — الثقافية ، الدينية ، ويمكن تمييز وتعيين هذه المجموعات الثلاث فى نموذج مراكش بصورة دقيقة •

■ **الوسائل :** هى نفس وسائل الفترة السابقة ، ولكن أعيدت صياغتها بصورة تربوية وعقائدية فى اطار علاقة بين « معلم وتلاميذ » •

■ **النتائج الاجتماعية :** تلاحم أكبر ، ولكن فى اطار يجعل من هذا التلاحم فى حد ذاته هدفا وقيمة ، ويجعل الحياة الاجتماعية تتجه بكاملها الى الداخل ، وتتعلق أنظارها فى كل مستوياتها بالماضى •

واذا تكلمنا عن التقاليد باعتبارها نفيا وانكارا للعصرية ، وباعتبارها عقبة أمام التغير والتقدم ، فان معنى هذا انها بالضرورة تقاليد واعية ، ذلك ان التقاليد غير الواعية ، التى لم يتم بعثها وصياغتها فانها لاتستطيع أن تعارض شيئا ، ولا أن تناقض شيئا ، أو أنها معارضة صامتة دائمة ، تدور خارج التاريخ ، ولا يمكن من الناحية المنطقية أن تكون موضوعا لاى علم « حديث » فى السياسة أو علم الاجتماع •

وفى هذه الحال فان التقاليد تعنى عملية تكوين وارساء للتقاليد بوساطة صفوة وجدت نفسها فى حالة دفاع ذاتى ، ومن ثم ارتدت الى الماضى ، وبهذا ندرك السبب فى أن هذه التقاليد كانت تبدو كقوة لا يمكن مقاومتها ، لانها كانت تدعم وتوطد المجتمع بأسره فى مواجهة الخارج ، ولكن هذه التقاليد فى الوقت نفسه تصبح غير ثابتة وغير

مستقرة ، عندما تلوح بوادر الانفتاح أمام الصفوة التى كانت قد صاغتها وساندتها ٠

واذا احتاج الامر ، يمكن أن ندعم هذه النتائج بتحليل ظاهرتين أخريين، ظهرتا فى تاريخ مراكش وهما :

ا ـ الروح القومية :

يصعب تحليل الحركة القومية فى مراكش ، وترجع هذه الصعوبة الى أنه فى الوقت الذى صورت هذه الحركة على أنها حركة تـأخرية معوقة ، معادية للاجانب ، ثيوقراطية (بسبب ولائها للملك محمد الخامس) كانت الادارة الاستعمارية التى تعتمد على الجماعات الدينية ، وعلى المشايخ ، وعلى السادة الكبار فى الجنوب ، تقوم نفسها باعتبارها حاملة للواء العصرية ، ومع ذلك فان علماء الاجتماع يعرفون القوميين بصفة عامة بأنهم أنصار للعصرية ، دائبون للنضال ضد مواطنيهم انصار التقاليد .

والواقع ، اننا لو أخذنا المجتمع المراكشى فى ظل الحماية فى مجموعها، والحركة الوطنية أثناء هذه الفترة لرأينا أنه كان هناك نوعـان مـن العـاطفة القـومية على كل المسـتويات [الايديولوجيـة ، التنظيم ، التـاكتيك] قومية رفض تتجه الى الماضى والى داخل البلاد ، وقومية انفتاح أى مهادنة ، تلعب لعبة العقلانية الاستعمارية، وكان الاتجاه الاول قويا ابان فترات الازمة ، وكان هو المحرك والباعث الاول على الاستقلال، أما الاتجاه الثانى فقد ساد فى فترات الحوار ، وفى نهاية المطاف أصبح هو المسـتفيد الحقيقى من الاسـتقلال ، وفى عهـود القمع [١٩٣٦ ـــ ١٩٣٩] ، [١٩٥٠ ـــ ١٩٥٥] حدثت عملية تعميق « **ارساء تقـاليد** » للحـركة القومية ، ولم يتم فقط رفض ودحر المسـاومات السياسية، بل تم ذلك ايضا بالنسـبة للتنظيم الاقتصادى الحديث ، فى حين تم « رد اعتبار » الماضى وتدعم التلاحم الاجتماعى ٠

ومن المفهوم طبعا ، ان الوضع أصبح على النقيض من ذلك أثناء فترات المفـاوضـات والتسويات، ولكن الامر كان فى الحالتين بيد نفس القيادة ٠

ان الليبرالية كفلسفة سياسية، لم يتم تطويعها وتطويرها الا عندما كان الوطنيـون يرون آفاقا رحبة للمستقبل تتسع أمامهم ، اما فيما عدا ذلك فقد كانوا يفضلون تلاحم والتفاف شعبهم حول معتقد نابع من الماضى على قطع العلائق بمجتمعهم لحساب مستقبل مازال يحيط به الشك ٠

ب ـ سياسة ما بعد الاستقلال :

يمكن استخلاص نفس النتائج من تحليل السياسة التى اتبعت فى الفترة ما بين ١٩٦٠ ، و ١٩٧٠ ، رغم أن غالبية الذين كتبوا عن الموضوع قد برروا هذه السياسة ووصفوها بأنها آية للوعى الصحيح بحقيقة الموقف المراكشى ٠

يقال وعادة يقال ان النظام الحالى هو على وجه الدقة عودة الى نظام ما قبل الحماية ، لان المجتمع المراكشى لم يتطور بصورة كافية، وذلك على النقيض مما يزعمه ويدعيه السياسيون والطلاب الذين لا يضعون فى اعتبارهم سوى تطور سكان المدن ، ان نقد السياسة المتبعة حتى الان تعبير صحيح وكامل عن الهيكل الاجتماعى المراكشى، والواقع ان هذا التحليل « الموضوعى » يخفى وراءه كثيرا مـن السذاجة والتبريرية، اذ نلاحظ أولا أن الاختيار الاساسى الذى حدد كل الامور بلا شك يتمثل فى عدم تغيير الهياكل الاقتصـادية ، ومعنى هـذا ان « ادارة الاشياء » ظلت بيد الاجانب ، ولايبقى بالتالى للسكان المحليين سوى حكم الناس ، أى تشكيل الافراد وتوجيههم فى اتجاه أو آخر ، ولهذا السبب ذاته فان المجتمع والصفوة بصورة خاصة وجدا نفسيهما غارقين من جديد فى بيئة قديمة ، ولكن ليس معنى هذا أن التقاليد هى التى فرضت هذه السياسة ، بل ان هذه السياسة هى التى بعثت التقاليد من جديد ، وأجبرت كل الناس على أن يسلكوا سلوكا تقليديا .

ان النظام الحالى ليس انبعاثا من النظام الذى كان قائما قبل الاستعمار ، بل هو اسـتمرار لنظام الحماية ، ذلك أن هذا النظام الاخير كان يعرف تماما احداث القرن التاسع عشر المراكشى ، واستخلص منها سياسة حاول بقدر الامكان أن يبقيها متلائمة مع الواقع ، وذلك بفصل المجتمع المراكشى ولاطول مدة ممكنة ، عن المجتمع الجديد الذى كانت الرأسمالية الاستعمارية قـد خلقته [ثنائية على كل المستويات] . واذا كانت هذه السياسة قد استمرت بالتجربة، فى اظهار فعاليتها، فان ذلك كان بسبب أن النظام الجديد قد أبقى على الثنائية الاجتماعية ـــ الاقتصـادية التى تكـون الاساس المـادى له ، وليس لأنه كان قد عثر لنفسه على ركـيزة مزعومة من الفـترة قبـل الاستعمارية .

● لو كانت هذه التقاليد موجودة أصلا ولم يفعل النظام الحالى سوى انه اماط عنها اللثام، لما كان لدينـا بالتأكيد ثلاث صـيغ مختلفة لهـذه التقاليد (تقاليد القرن التاسع عشر ، وتقـاليد الروح القومية فى ظل الحماية ، وتقاليد اليوم)

والتى مازال يتعين حتى الان اختيار أكثرها ولاءا للتقاليد .

● اذا كانت التقاليد معطيات أعيد اكتشافها، لما رأينا فيها ذلك التقلب الذى لاحظناه بالفعل فيما يتعلق بالروح القومية : التأكيد على التقاليد والتمسك بها ، يزداد بمقدار ما يكون المستقبل مظلما .

والواقع أننا عندما نتتبع حركة واعادة تأكيد ورد اعتبار واحياء هذه التقاليد ، بعد فترة استراحة تنسى فيها الروح القومية المنتصرة ميولها التقليدية التى كانت قد كرست لها نفسها، وعندما تربط هذه الحركة بمختلف التطورات التى حدثت فى المجال الاقتصادى والاجتماعى والثقافى، فاننا لا نستطيع أن نتغافل عن حقيقة أن نفس المجموعات هى التى لعبت فى الماضى نفس الادوار ، وأنها تتكون من صفوة سياسية — عسكرية [المخزن] ، وصفوة اقتصادية [الطبقة الوسطى فى المدن] ، وصفوة ثقافية (البورجوازية الصغيرة الحضرية) .

والواقع أننا نجد نفس ظروف الضغط الخارجى ، ونفس الاخفاق لدى هذه الصفوة ونفس ظواهر الارتداد ، والانغلاق على الذات ، الى الداخل ، الى الماضى، ولكن فى ظل ظروف جديدة، وبوسائل جديدة ، وفى ظل الوضع الجديد تنشأ تقاليد جديدة ، وتعاد صياغة كل الامور ، ويعاد تفسير كل شىء ، ولكن النقطة الجوهرية هى أن الصفوة تفضل عملا موجها الى الماضى يكون هدفه ومحصلته ضمان السلطة السياسية والاقتصادية ، ولنلاحظ أيضا أن الذين تقدم لهم مرآة التقاليد ليجدوا فيها انفسهم لا يلعبون فى هذه الحركة دورا فعالا .

فى مقدورنا أن نستخلص ما يلى من هذه المناقشة القصيرة السابقة :

● أن التقاليد لكى تستقر وتستمر تتطلب القيام بعمل وبجهد يعادل ذلك الجهد الذى يتطلبه التقدم، وان الذى يختلف فقط هو اتجاه العمل فى الحالتين ، أن فكرة التقاليد الخالدة التى تتماسك من تلقاء ذاتها ، وهم من اوهام الليبرالية وتعريفاتها السلبية .

● ان الابقاء على التقاليد هو مهمة الصفوة السياسية الثقافية التى قد يبدو نشاطها للاخرين منحرفا ، ولكنه يجلب لتلك الصفوة رخاء يعادل ما يجلبه القيام بنشاط وعمل عصرى .

● أن القول بأن قوة التقاليد تكمن فى السكون والجمود يبدو مجرد تلاعب بالالفاظ لأن التقاليد المصاغة لا تعبر عن واقع وحقيقة هؤلاء ، نصفهم بأنهم تقليديون ، ولا يمكن لها أن تحظى منهم بأية قوة تساعدها على البقاء ، ولكن قوتها تنبع فقط من عدم وجود بديل محدد وواقعى أمام أعين تلك الصفوة ، التى تغير مسلكها بطريقة معينة حتى تضمن لنفسها الاستمرار فى القيام بدورها فى المجتمع .

وبمجرد ان يلوح هذا البديل فى الافق ، فان التقاليد لاتجد من يسندها ، ويتبين أنها فى حقيقة الامر ضعيفة واهنة .

أما بقاء التقاليد واستمرارها بعد مرحلة من التحديث والعصرية المتزايدة، لان السلطة المركزية عاجزة عن الوفاء بكل وعودها، فهى حالة مختلفة للغاية وتطرح مشاكل خاصة .

اذا كانت الامثلة المستمدة من التاريخ المراكشى لاتمثل حالة أو وضعا خاصا ومنفردا ، واذا كان فى الامكان العثور على حالات مماثلة على الاقل فى العالم الاسلامى، فانه يمكننا ان نطرح للمناقشة الملحوظات التالية :

١ — فى الحالة التى يوجد فيها تطابق بين التقاليد كهيكل أو بناء ، والتقاليد كقيمة ، وحيث يتعلق الامر بمجتمع متجانس (وهذان هما الفرضان المتضمنان دائما فى ابحاث علماء الاجتماع) ، فاننا نكون ازاء مجتمع ينكر التاريخ، ولا يمكن ابتداء من مثل هذه المجتمعات تكوين نماذج سوسيولوجية ذات استخدام عام ، اذ أن مثل هذا الاستخدام سيكون بالضرورى أيديولوجيا — أى غير علمى . أما المقارنات التى تعقد ابتداء من هذه النماذج فستكون مجرد تصورات واوهام ، والتعريفات التى سنصل اليها تعريفات مجردة بدرجة تجعل النتائج متضمنة دائما فى المقدمات .

٢ — فى الحالات التى توجد فيها تقاليد أعيد بعثها وصياغتها ، ومن ثم قد تتميز فيها التقاليد كهيكل ، عن التقاليد كقيمة ، وهى حالات كثيرة ومتعددة يمكن دراسة هذه التقاليد الاخيرة بصورة مباشرة .

وفى هذه الحالة فاننا نكون بصدد مجتمعات هيكلية — مجتمعات تاريخية ، ويكون من المشروع تماما تطبيق مقولات العلوم الانسانية عليها، ولكن التقاليد فى هذه الحالة تبدو قبل كل شىء باعتبارها عملية ارساء وتكوين للتقاليد تقوم بها الصفوة عبر مراحل مختلفة من تاريخها ، ان التقاليد باعتبارها

هيكلا تستخدم دائما كأساس نظرى للتقاليد التى يتم صياغتها ».

اما تحليل هذه التقاليد فلم يتم حتى الان مطلقا باستخدام مفاهيم دقيقة وما يرد فى مؤلفات علماء الاجتماع تحت هذا العنوان، هو مجرد نفى وسلب للمجتمع الصناعى الحديث ، والواقع اننا عندما نتأمل تاريخ أى مجتمع من المجتمعات المسماة بالمجتمعات التقليدية ، ونتتبع تطوره التاريخى ، نتبين أن كلا منها كان له أيضـــا هيكله الباقى والمستمر من الماضى ، والذى يمكن أن نسميه بالتقاليد بنفس الطريقة التى يصف بها أولئك الذين ينطلقون من أفق الغـــرب الصـــناعى ، مجموعة هذه المجتمعات بأنها مجتمعات تقليدية .

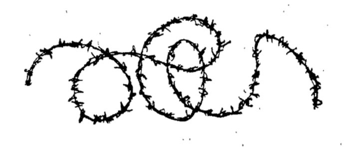
٣ ــ ان افكار السلبية الكموية، الركود والانحسار وعدم الحركة والسكون والتجانس .. والتـــى نصف بها هذه المجتمعات ، هى محصلة هذا الفهم السلبى المتخلف ، انها نتيجة منهج، وليست نتيجة واقـــع أو حقيقـــة ملموســـة بشـــكل مباشر ، ويؤدى هـــذا الى انكـــار الجـــانب الارادى ، الايديولوجى ، وكذلك انكار الخلاف فى المواقف الموجودة داخل المجتمع التقليدى نفسه تجـــاه التقاليد التى تمت صياغتها ، ان الرابطة التى يزعم علم الاجتماع وجودها ، والتى يتم تأكيد قيامها بين روح التمسك بالتقاليد وبين الفلاحين أو القبلية ترجع قبـــل كل شىء الى موقف منهجى مسبق .

وعندما نأخذ بالرؤية الديناميكية نرى أن التقليد والتجديد وصناعة التقاليد وخلق التقدم هى فى الحالتين من عمل صفوة حضرية بشكل دائم تقريبا صفوة تعمل فى اتجاه أو آخر حسب الاوضاع الموجودة فيها .

٤ ــ ان تسليط الضوء على هذه الظروف يطرح مشكلة حرية الاختيار بالنسبة للصفوة . ان علماء الاجتماع ينكرونها من ناحية المبدأ ، ان تعريفهم السلبى قد أدى بهم الى تأكيد أن هذه التقاليد هى قدر ؟ وأن التقدم هو بالضرورة نوع من التدخل الخارجى ، والحقيقة اننا يمكن أن نؤكد ان الامر على العكس من ذلك تماما، ان التقاليد هى اختيار يتم عقب تدخل خارجى ، وعدم ادراك هذه الحقيقة يؤدى الى انكار كل ظروف القهر والسيطرة، ان عملية ارساء التقـــاليد فى مجتمع من المجتمعات يكون غالبا ، وربما دائما ، معاصرا لتهـديد لسيطرة خارجية ، ان التقاليد ليست سببا له ولا يمكن أن تكون مبررا له ».

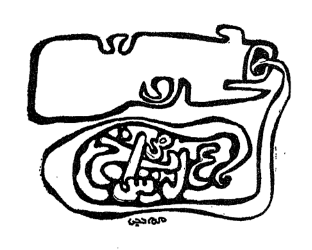
٥ ــ ان هذا التحليل يدخل عنصر التطـــور الديالتيكى ، ان العقبات التى تعـــوق التقدم فى المجتمع التقليدى ليست فقط عقبات داخلية ، اذ أنها نتيجة مركبة لنفوذ وتأثير خارجى ، يتمثل دوما فى صورة تهديد ولرد فعل خاص فى المجتمع المعين، واذا استمرت العقبات الخارجية ، او تدعمت فان عملية ارساء وتكوين التقاليد تتدعم بدورها، ولهذا السبب فان أى نموذج سكونى يقترحه علماء الاجتماع يهمل دور الضـــغط الخارجى [وهذا هو الوضع الغالب] ، ويقدم بالضرورة التقاليد باعتبارها عقبة لا يمكن تخطيها وهو بذلك يدعمها لانه يغذى ريبة وشك الصفوة فيما يتعلق بمستقبلها فى عالم يسيطر عليـــه الاخرون ، ان الترياق الوحيد للتقاليد هو الامل ، اى أن يلوح فى الافق المستقبل مفتوحا ، وفى هذا يكمن المعنى العميق للثورة فى أى شـــــكل من الاشكال .

ان هذا التحليل يكفل أيضا ادراك واستيعاب الوضع العكسى : وضع التطور السريع ، الذى يدهش على الدوام علماء الاجتماع ، ان النماذج السكونية التى يستخدمونها والتى تعطى للتقاليد وزنا رهيبا تجعل كل التطورات غير مفهومة ، ولكن اذا كانت التقاليد هى ايديولوجية للصفوة فى الفترة التى يبدو فيها الافق أمامها مسدودا ، فان ندرك جيدا انه عندما يبدأ الافق يتسع قليلا ، فان الصفوة تأخذ مكانها فى التاريخ وتغير اتجاه عملها وحركتها .



ظلال أزمة ٥ يونيو

والقصة القصيرة المصرية



عبدالرحمن أبوعوف

ان تحديد طبيعة وجوهر التباين فى الموقف الفكرى لكل من التيارات الثلاثة المعاصرة والمتصارعة فى الابداع القصصى المصرى ، الواقعية الاشتراكية والواقعية النقدية والتجريبية أو الوجودية ، تقدم مستوى من التصور الجمالى وتحليلا لدلالة استخدامات الشكل الادبى وتعكس فى النهاية بدرجة أو بأخرى مدى استيعابها لتناقضات عصرنا ، ولحضور الواقع المصرى بكل قلقه وأحلامه وأساطيره .

ومن البداية نقع فى حيرة الالمام بكل الجهود القائمة بالاستجابة لدواعى التغيير الذى نعيشه الان ، فلدينا الكثير من الاسماء لكتاب ينتسبون لاجيال متعاقبة ، غير أننا يمكن أن نضع معيارا فنيا فى اختيار عينات من نماذج المحاولة القصصية الحالية عند من قدم بجهد رصيدا يصلح مادة للمناقشة والتحليل ، ولا جدال فى أن اختيارنا للمعيار تحدده حقيقة الصدام الدموى الذى نعيشه ضد العدوان الصهيونى الامريكى ، وضد كل رواسب وبقايا قيم العلاقات الاجتماعية التى تسببت فى هزيمة ٥ يونيو ، فكل همومنا المعاشة وكل الانهيارات والقلقلة التى نعانيها فى سباق اللحظة التاريخية الآن يستفز فينا كل عوامل النهوض والتمرد والخلاص ، وأيضا محاكمة النفس .

ان دراسة هذه القضايا فى مستوى بنية العمل الفنى كتعبير واع عن شكل للوجود الانسانى ويشارك فى خلق وتجديد الانسان لنفسه .

باستمرار، باعتبار أن هذا الوعى أرقى أشكال الحرية، وأن دراسة هذه القضايا تصبح أكثر وضوحا واكتمالا عندما نناقش التجربة الجريئة بكل سلبياتها وايجابياتها التى يقدمها بعض من كتاب الاجيال السابقة والمعاصرة .

عن نجيب محفوظ

ان كل اختبارات «نجيبمحفوظ» الآن وبالذات فى مجموعته الاخيرة « تحت المظلة » (١) حتى القصص الخمس التى نشرت فى مجلة الهلال أخيرا، ان كل هذه الاختبارات تشكل نوعا من المشاركة الوجدانية فى البناء الخلاق لعالم لا يزال فى طور التكوين مع اكتشاف ايقاعه الداخلى، فحدث القصة له ايقاعه ونموه ودلالته التى تضعنا فى قلب الاهتمام العام لهموم تظلل وتلوم واقعنا النفسى عقب الهزيمة والانكسار والتململ الذى نعانيه، وزمن سرد القصة يفرض ذاته كأنه نسيج الحياة . ان هذه القصص هنا تذهب بالقصة الى ماوراء القصة فهى تتحول بسحر الخلق الفنى لعمل وجدان وموقف أكثر مما هى عمل مخيلة وملاحظة .

نجد هنا اختيارا منوعا لموقف وجداني يجسد الانتظار المتململ المشلول المفتقد الرؤية لوقوع واستمرار الكارثة التى تقضى على الاطمئنان النفسى، فى قصص (**تحت المظلة . النوم، الوجه الاخر، الحاوى خطف الطبق**) يقدم الحدث القصصى فى مستوى الظل بين الواقع والمحتمل، بين العينى والمتخيل، نجد انفسنا مع المنتظرين (تحت المظلة) تحيرنا وتصدمنا الحوادث الغريبة المتتابعة أمامنا، رجل حوله مجموعة من الناس يصيحون لص، يضربونه لحد الموت، ورغم ذلك لا يتحرك شرطى، فجأة يتوقف الضرب ويبدأ الرجل فى التحدث كأنه يخطب، عربتان تندفع فجأة احداهما وتصدم الاخرى بعنف بعض الضحايا يزحف ملطخا بالدم ومع ذلك لا يتحرك الشرطى، رجل وامرأة يتم بينهما لقاء سريع يعقبه ممارسة علنية فاضحة للحب، من الجنوب تأتى قافلة، من الجمال والبدو، ومن الشمال تأتى مجموعة من سيارات محملة بالخواجات، ثم أقبل عمال بناء كثيرون شيدوا قبرا، أودعوا فيه الجثث، وأيضا كلا العاشقين اللذين لم يكفأ عن ممارسة الحب، بعد ذلك رحلوا والناس (تحت المظلة) كأنهم فى حلم أو رؤية مشهد سينمائى يصور أوجنون يتأكد، فهناك رجل ضخم شق الطريق، بيده منظار لعله المخرج،

ولكن ما معنى الرجل الواقف فوق القبر والمرتدى روب القضاء، يتلو من ورقة كأنه ينطق بحكم لا يعرف أحد من أين أتى، من عند الخواجات أو من عند البدو أو من حلقة الرقص المستمرة فى جنون عبثى غريب، ولا يميز أحد ما يقول، فى نفس الوقت نشبت معارك فىمحيط البدووأخرى فى مواقع الخواجات، وبين البدو والخواجات وفجأة تدحرج رأس آدمى نحو المحطة، صاح الرجل صاحب النظارة، برافو، أذهل الموقف الناس، ما معنى ذلك، هو رأس حقيقى توجهوا بالتساؤل عاجزين نحوه، وجدوه يجرى مذعورا وخلفه نفر من الرجال ذوى هيئة رسمية، لعله لص، اذن فالموقف ليس تمثيلا، لعله جزء من المشهد، ولكنهم سيدعون للشهادة، كرروا ذلك وتوجهوا للشاويش، فوجئوا بقوله، ما شأنكم، أين الطاقات الشخصية، ماذا وراء اجتماعكم هنا، تراجعوا الى الخلف مذعورين، أنكروا معرفة بعضهم لبعض، سدد الشرطى البندقية نحوهم، وأطلق النار، تساقطوا واحدا اثر واحد جثثا هامدة .

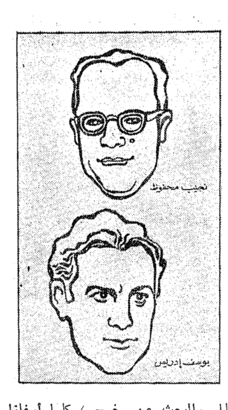
ويصدمنا هنا فى البداية، عبث الواقع ولا معقوليته، ويتوه أكثر من مرة المعنى المبلور لنواة الاثر الادبى، غير أن وضع مستويات الحدث وجزئيات التصورات فى لغة الرمز والتكثيف الموحى، تضىء لنا المعنى، ثمة رفض واحتجاج لخيوط بالية تقيد الطلاق، التعرف على أبعاد الواقع الان فى حياتنا، والمنظر المعاصر مشخص بتركيز معسكر الغرب واحتدام الصراع فى داخله، ومعسكر الشرق فى تخبط وتحفز، يقوم صراع لاهث فى قلب الصورة التعبيرية القائمة، السقوط والموت، وممارسة الجنس، رغم ذلك يستمر ويبدو أن العنف قد أخرس ومزق الحدود المفترضة، لا أمل ولا خلاص الافى دفن الجثة المسممة بسواعد العمال الذين (أتوا فى لورى محمل بالاحجار والاسمنت وأدوات البناء) بغير ذلك سيظل اللص عاريا يرقص ويسخر وستظل المطاردة واقعة ضد الابرياء ونفس جو التأمل وغموض التعرف على تفسير مطمئن لما وقع ويقع يظلل بقتامة، نسيج قصة (النوم) لقد قتلت المولدة الجميلة بلا تبرير، قتلها العبث وجنون العيال، تلميذ ثانوى، كان يحبها، ولكنها لم تشجعه، والقتل يقع على بعد خطوات من مدرس اللغة العربية (المشغول بتحضير الارواح والتساؤل عن المصير، كان متعبا ونائما، وعندما استدعوه للشهادة أجاب عن أسئلة التحقيق بسؤال حائر، وجهه لنفسه أولا، وكيف لم توقظه المطاردة، وأصوات الاستغاثة،

---

[١] انظر مجموعة « تحت المظلة » ، والقصص التى نشرت بعد ذلك فىالاهرام ومجلة الهلال .

أكان نائما أو متناوما .. لقد قتلت وهى تصرخ مستغيثة به ، أن ثمة علاقة حب صامتة بينهمـــا ، ورغم ذلك استسلم للتردد ، أن ايقاعات الحدث المفترض هنا تومىء لحدث أشمل ، يتخطى مألوف وقوع جريمـــة عادية ، انه يـــكون اطارا عاما يستقطب الاهتمامات المعاشة لمرحلتنا التاريخية الان ، هناك مأساة واقعة ، من المســـئول عن تركها تقع ؟ ان الادانة تتم بجرأة الذين يفترض فيهم الوعى والتفكيرومعرفة اتجاهحركة الواقع، ورغم ذلك استسلموا لمناقشات عقيمة فىغيبوبة استجداء المعجزة ، ولان الاهتمام المسيطر على الكاتب هواختيار لقطاتتحتضن الماضىوالحاضر، وتومىء الىالمستقبل ، ويبدو أنالامكانيات الفنية للقصة القصيرة اصطدمت وتناقضت مع طموح هذا الاهتمام المشروع،فولدتهذهالازمة الخصبة، شكلا أدبيا غير مستقر جماليا ، يتوزع بين السرد الحوارى ومسرحية الفصل الواحد ، ويتحقق ذلك بتفاوت فى النضج والاحكام فى كل من « النجاة المهمة » التركة يميت ويحيى ، ودائما تتصاعد وتنمو الافكار هنا من نبع موقف فقدان الاطمئنان، والشعور بالمطاردة والاحساس بخطر داهـــم يتلصص ، يتحين اصطياد ضحاياه فيحيل الكاتب بمهارة كل أحاسيس القلق والمـــرارة ومحاكمة النفس الذى سيطرت عقب النكســـة المؤقتـــة فى عمر بلادنا ، يحيلها من خصوصية موقف جزئى له ادراكه النسبى الى موقف عام له شموله الحى ، حيث يمكن هنا التعامل فنيا مع المأساة الانسانية فى أبعـــادها المتشـــعبة ، وغيـــر المحـــدودة . فى « **النجاة** » تقتحم امرأة مطاردة شـــقة رجـــل غريب كان يقرأ فى اطمئنان يعرف من أحـــداث فيتنام أكثر مما يعرف عن شقة مجاورة في عمارة حديثة يقطنها ، هى تطلب الحماية من خطر داهـــم يتبعها ، يظل هذا الخطر حتى بعد انتحارها لغز القصة الحوارية ، ان البوليس يحاصر الحـــى ويطرق الابواب ، ورجـــل قـــد تورط فى تحمـــل مسئولية وقعت كالقدر ، والحوار المحموم الـــذى تصور فيه أحداث تأخذ اتجاها مجددا لا يلبث أن يصبح حوارا مقطرا لحوار شامل نعيشه كلنا فى موقف انتظار اجتياز أزمة تلقى بظلها علينا عقب النكسة ، يصرخ الرجل فى المرأة عند تعقد الموقف «لم أتوقع أبدا أن أضيع بمثل هذه الطريقة السخيفة ، كل ذلك يحدث وانا لا اعرف من أنت، ولا أدرك شيئا مما يقع حولى » ، وترد عليه المرأة «لا أهمية للتفاصيل ، حسبكأن تعرف أننامطاردون وأن حولنا وفوقنا وتحتنا أعداء مصممون » .

وكلما أوغلنا فى تفاصيل اللحظة القلقة التى تشكل نسيج حياتنا على أصوات القنابل وموت الاطفال الابرياء وبيانات جبهة القتال ، وكل مرارة



الانتظار والبحث عن مخرج ، كلما أوغلنا فى معايشة هذه اللحظة وجدناها تحتم على القصة التحول لان تصبح قانون عمل انقاد الى مفتاح حياة ، لذلك فكل قصص **عنبر لولو** ، **روح طبيب القلوب** ، **موقف وداع** ، **فنجان شاى** ، **شهر العسل** ، **وليد العناء** تشكل مرحلة قائمة بذاتها من ابداع نجيب محفوظ ، فهى تختلف فـــى كل المستويات الفكرية والبنائية عـــن مجمـــوعات القصص الاربع : **دنيا الله** ، **بيت سىء السمعة** ، **خمارة القط الاسود** ، **تحت المظلة** . أما هـــذه القصص الاخيرة فلم تعد تكتفى بنقد كل قتامة الرواسب اللاأخلاقية التى تشكل قروحا فى نسيج الحياة المصرية ، ولم تعد تكتفى بتأمل المأساة الاجتماعية فى بعدها الميتافيزيقى ، بل هى قد اختارت تجاوز « التشوش » الاولى لحياتنا لكى تجد معنى مقبولا للحياة ، فى كل من عنبر لولو وشهر العسل اشارة حاسمة لطريق الخلاص ، انه العنف والمواجهة معالخبث والشر،ان الفتاةالتى تحلم بالمستقبل والبراءة تواجه ثورتيا قديمـــا ، قائلة ... « لقد قالت لى زميلة أن مشكلتى عامة، وان بدت خاصة ، وانها لا تحل بالحلول الفردية ، وان علينا أن نغير تفكيرنا من جذوره لنحقق تغييرا عاما وشاملا » ، ان كل الحوار بين هذه الفتاة وبين الكهل الطيب الذى سجن ذات يوم تلخيص لقصة الصراع الذى عاشته مصر فى السنوات

الاخيرة ، ان ثمة سقوطا وتورطا ينسحب لاعلى اعداء التقدم بل على من كانوا ذات يوم يتشدقون بالتقدم ، ولذلك فعندما يصبح الجدل بين الكهل والفتاة عقيما ككل ثرثرة تستمع لطلقات الرصاص من شخص مجهـــول يقال انـــه كان فى زيارة لمعسكرات اللاجئين انه شاب مطارد حتى الان لانه اعلن (الاخلاص من فوهة الغدارة) ولذلك يصبح الحوار الاخير كل الدلالة الواضحة :

ـ أصغ الى ، نحن نملك مواهب لا تقدر بثمن ٠

ـ ما أريد الا الرقص والغناء والمرح ٠

ـ لن أطالبك بأكثر من ذلك ٠

ـ ماذا تعنى ؟

ـ عنبر لولو ، جنة الاحلام ، ما قيمتها بلا رقص وغناء ومرح ؟

ـ وابتسمت الفتاة بأمل وتساءلت :وانت

فقال بفخار : أنا مولع بالقتل منذ قديم الزمان ، سأطلق الرصاص فى جميع الجهات وسنرقص ونمرح ٠

ان روح الثورة الدائمة فى شعبنا تعانق روح التمرد الشابة ، وهى هنا واضحة ، ولعـــل قصة « **شهر العسل** » تؤكد نفس هذا المعنى ، فكلا الزوجين يجد أن شقتهما محتلة بقزم كريه ينغص عليهما سعادتهما ، لقد جلب فيها أصدقاء من الموالد يرقصون ويعربدون ، وظن العروسان فى البداية أن العملاق الذى ظهر فجأة بيده الخلاص ، غير أن التفكير فى الورطة ومواجهة الخطر عليهما أن يحرقا الشقة بمن فيها ولذلك وعندما يتم لهما الانتصار على كل الاعداء والدخلاء ، تقول الزوجة وهى حزينة على تحول الشقة الى حطام :

ـ ضاع كل شىء ٠

ويرد عليها زوجها ضاحكا متفائلا :

ـ لم يضع شىء لا يمكن تعويضه ٠

أليس ذلك حوارا مجازيا ينطبق على طبيعة صراعنا مع العدوان الصهيونى الامريكى

ان هذا يجعلنا نرد على الكثيرين الذين يحتارون فى تجربة نجيب محفوظ القصصية الان فيتهمونها بالغموض والمباشرة ويكادون يستعبدون عليهـــا السلطة والاخرين يصمتون ويتجنبون مناقشتها ، ورغم أن كل ذلك يحتاج الى دراسة مستقلة فسنكتفى بالقول بأنها تجربة غير منفصلة عن كل مراحل ابداعه السابقة ٠ فنجيب محفوظ كانت دائما قضيته الرئيسية تتمثل فى تأمل طبيعة الحياة المصرية فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، ولقد قدمت كل أعماله تصورا اجماليا لحركة الحياة المصريـــة كجزء من الواقع الانسانى ، وكانت محاولته ولا تزال حتى فى قصصـــه الاخيـــرة طموحـــا الـــى استحضار كلى تمتزج فيه السيكلوجية والتاريخ والتصوير والفلسفة الاجتماعية ٠

ان كل العلاقات بين تكويناتها من أشخاص وأحداث لا يمكن أن ينطبق عليها التفكير وفق القوانين المبتذلة للحياة الدارجة ، بل هى متوترة منذ البداية ، بفكرة ثابتة أو بموقف سابق يمنعان تحديد موضعها وفهمها دون الدخول فى دوامتها الخاصة بها ، والدوامة الخاصة هنا هى استقطاب لجوهر التراجيدية الرائعة التى تعيشها الشخصية المصرية الان ضد كل اعداء تقدمها ونضوجها وطموحها ٠

عن يوسف ادريس

سيظل يوسف ادريس ومهما تعددت التفسيرات النقدية لمحاولاته الابداعية فى القصة القصيرة والمسرح سيظل الابن الشاطر والعاق فى نفس الوقت ، لعلاقات قصتنا المصرية بالواقعية فـــى الفن ، فلقد فهم قبل غيره أن الادب لم يعد يمكنه أن يكون لعبة ولا وثيقة ، لذلك كانت أعماله الاولى اثار طاقة ونشاط والتزام ، وحربة ووجـــدان ، وكانت قانون عمل انقاد الى مفتاح حياة ، فمهدت لنا الطرق التى تواصل شقها ، وربما ساعدتنا على توسيعها ، غير انه ولاكثر مـــن عامل يصعب تفصيله هنا ربما كان حصيلة أزمة مع قـــوى سياسية معينة كان جزءا لا يتجزأ منها ، وربما كانت ماهو أكبر من ذلك صراع ذاتية الفنان مع النظرية والقولية الفكرية والمواقف السياسية التى تحكم بطبيعة اللحظة والامكانية المحددة غير مهمته بالامكانيات المختمـــلة ، وبرؤية الواقع ببعـــد أسطورى ومن أكثر من زاوية وبادراك قوانين العمل الفنى الخاصة ، وبما لكل ذلك مـــرت مخاولات يوسف ادريس بالبحث عن صياغات جديدة لايقاعات الحياة المصرية وبرؤية تختلف مع رؤية تشيخوف الذى باعترافه طالما عانى مـــن قبضته ٠

ويهمنا هنا دراسة جزء من أعماله التى أبدعها فى الفترة الاخيرة كانفعال غريزى بأزمة ، يونية ، فلا جدال أنها أثارت حاسته الفنية وجعلته يقدم بين الحين والاخر تجربة جديدة تجعلنا نثق فى خصوبة هذه الموهبة التى عانت من استهتار صاحبها كما عانت أكثر من أمراض مرحلة التحول المرهقة التى نعيشها ، ان بعضا من قصص مجموعته الاخيرة « **النداهة** » (٢) **مثال المرتبة المقعرة** ، **والنقطة** ، **والعملية الكبرى** ... **ودستور يا سيد** ، بجانب قصص أخرى نشرت بعد صدور هذه المجموعة نذكر منها **جمال الكراسى** ، **الخداعة** ، **حلاوة الروح** ، **الرحلة** . ان هذه القصص معظمها مهما بدت حاضرة وفاعلة لا تشبه الواقع الا جزئيا ، اذ لا نلمس منها سوى مظاهر عنيفة وغامضة للمأساة تجرى فى عالم آخر ، فكان كل شىء فيها يسبح فى نور لا نرى مصدره ، يصبح الاحساس القاتم بالذبول ، والتآكل والعقم حتى الموت ، نبض جسد قصة « المرتبة المقعرة » فزمن سرد القصة يفرض ذاته هنا كأنه نسيج الحياة . ان صوتا غريبا لشخص مايرقد فوق « مرتبة ناعمة وفخمة » يردد تساؤلا واحدا غريبا لزوجته (الواقفة ابدا بجوار النافذة) هل تغيرت الدنيا ؟ وثمة اجابة واحدة باترة تتردد بايقاع رتيب ، تأتى بعد يوم ، وبعد أسبوع ، وبعد شهر ، وبعد عام .. لا لم تتغير .

ويضعنا راوية قصة « **النقطة** » من البداية فى حضور متوتر لاهث يحلم بالانتظار والتوقع الدائم ، ان الشاعرية المركزة واللغة والعبارات غير اليقينية ذات الايقاع ترسم وتشكل فى مستوى الاحتمال أبعاد مكان كأنه نهاية العالم ، ورجل ينتظر قطارا فى مكان ربما كان ذات يوم معبرا لقطار ... أى قطار ، ان دلالة صرخة هذا الراوى لقصة النقطة تتعدى مجال الاستخدام الواقعى لتجسد انتظارا قلقا نستشعره هذه الايام « اننى لا أنتظر القطار لاركبه ، انما فقط انتظر اللحظة التى فجأة ، تماما لابد أن تكون فجأة تظهر رأس القطار من كوة الافق سوداء فلتكن ، ولكن لابد أن تظهر ، تنبثق فجأة فيدق قلبى هلعا أورعبا أرفرحا ، وأوجد وأعيش ، أشعر أننى لاول مرة حى ، وأننى أعى الوجود ، غير مهم بعد هذا أن تستحيل النقطة المفاجئة الى شرطة ، والشرطة الى خط والخط الى جسد القطار ، غير مهم أى شىء ، المهم هو ذلك الظهور المفاجىء المروع للنقطة » .

فى حين تحقق قصة (**الخدعة**) محاولة غاية فى السمو ، فمعالجة فوضى الاشياء وعيشها بوحدة العقل الخلاق يتم باقتدار وتفرد حاد ، فمن البداية سنجد أنفسنا أمام توترات الواقع المعاش ، ونغوص حتى الصمت فى الحضور الانسانى القائم والابدى لكل غموضه وتآكله ... وسيولته ، ان هذا العمل بدلا من أن يدعى أنه قطعة من الواقع يتطور وينمو أمام القارىء على اعتبار أنه خواطر عن هذا الواقع «فصوت الرواية كأنه يأتى من عالم آخر غير أنه يقصد فى النهاية عالمنا بكل ما فيه من حيرة وقلقلة وشعور بالمراقبة بأن كل من نفكر فيه مرصود ومعروف ، أن المهم كله ينبع من وجود ذلك الرأس المطل على الجميع فى الصباح ، أى صباح فلا زمن ، هو مع الرواية داخل الحمام يطل عليه فى سطور الجريدة يوجد فى زحام الاتوبيس وفى المساء داخل حجرة النوم ، هو فى كل مكان وفى كل لحظة ظاهرة احتار الناس فى تفسيرها وانتهوا بقبولها بل علقوا عليها كل أنواع الاعتذارات الممكنة ، ويتم كل ذلك دون أن يثير دهشة أحد ، وربما لو اندهشنا فقط اندهشنا كلما ظهر لما ظهر ، ان عالم يوسف ادريس القصصى الان وبالذات فى قصته الاخيرة [**رحلة**] يدور فى منطقة مقفرة لا حتم فيها ، لكن هذا العالم المقفر هو الذى يحتوى على الينبوع والشعور بالغياب يتضمن الحضور الذى يأتى فيملؤه ... .

رؤية معاصرة

لجيل أدبى جديد

وبرغم كل الاحترام لمواصلة كل من **نجيب محفوظ ويوسف ادريس** ، **ويوسف الشارونى** المشاركة الحالية لنا فى فهم وتجسيد طبيعة حواشى الحياة المصرية بكل احلامها وسقوطها فلا جدال أن رؤيتهم للشكل القصصى امتداد وجزء من خبراتهم السابقة ، فهى فى النهاية مرحلة من كلية عالمهم القصصى الذى صاحب وأثار وتفهم مراحل تاريخية لها احتياجات وهموم تختلف عن هموم جيلنا ، انهم بشكل أو بآخر المعبرون عن احتدام وتصاعد الثورة الوطنية لاستكمال الاستقلال الوطنى ، ولقد شاركوا بمستويات مختلفة فى ادراك أبعاد الثورة الاجتماعية وهى الوجه الاخر لثورة المستعمرات ، ان كل مشاكل ثنائية الثقافة العربية والاوربية برغم جهود كل من « رفاعة الطهطاوى » حتى « طه حسين » و « العقاد » انعكست على فهمهم للشكل

---

[٢] انظر مجموعة [النداهة ليوسف ادريس] وقصص نشرت بالاهرام عقب صدورها .

القصصى ؟ وما أكثر ما وقفوا مبهورين أمام مدارس القصة الاوربية وأمام التيارات الادبية المتضاربة ، ولقد عانوا كثيرا غيبة ثقافتنا النقدية من أبحاث علم الجمال ومن ضعف مناهج العلوم الاجتماعية ، ان كل ذلك قيد وما زال يقيد رؤيتهم للشكل والبناء القصصى الذى يبلور ويقطر شكل الحياة بكل نوعيات وشكل الصراع الطبقى ومستويات تركيب كل طبقة ، وكل ذلك فى غير انفصال عن تشخيص تيارات الثورة العالمية وفهم تطورات العلوم والنظريات الجديدة التى كانت دائما منظورات أعمق لكل عصر ، هل يمكن هنا اغفال نظرية التطور لداروين والماركسية والنسبية والسبير نيتيكا ، وكل المناقشات التى تتأمل معنى القانون العلمى ، هل يمكن انكار مدى أثرها على تطورات الشكل الادبى فى عصرنا ... ان كل هذه الاحتياجات بدأت تتحقق بشكل تدريجى فى ثقافتنا بجانب أن الثورة التكنولوجية والصراعات السياسية التى تمسح حوض البحر الابيض ، كل ذلك يضعنا فى قلب العصر ، ومن هنا بدأت الاصوات الجديدة فى القصة المصرية ، تؤكد بانتاجها وعيا أرقى وحساسية أعمق بالشكل القصصى كبديل لشكل الصراع اليومى ، وأحدثت أزمة ٥ يونية أكبر شرارة للعودة لمناقشة طبيعة تجربتنا فى التحول الاشتراكى ، وتجسدت أزمة بقاء بعض رواسب قيم الطبقات المضروبة اقتصاديا جوا من العفن يسمم الابنية الجديدة ، ومن هنا تحددت صفات التمرد ، ورفض نفاق الطبقة المتوسطة وأخلاقياتها ومنطقها النفعى واحالتها كل العلاقات الانسانية لمنطق البورصة والتقويم السلعى .

ويتم كل ذلك فى مستوى رؤية جديدة لفن القصة القصيرة ، فهى هنا فن الوحدة والاحساس بالغربة والضياع والصراع الباطنى ، والتركيز على اللحظات العابرة التى قد تبدو عادية لاقيمة لها ، ولكنها تحوى من المعانى قدرا كبيرا ، وهذه اللحظات قصيرة ومنفصلة لا تخضع لتسلسل الزمن ولكنها تحوى الماضى والحاضر والمستقبل ، بجانب اعتبارها الشكل أو الصورة أو الصياغة الفنية والادبية ، ليست مجرد ملامح خارجية وانما هى عملية اثارة داخلية، وبرغم أن البناء الفنى له كيان متميز يمكن الوعى به الا أنه أداة ميسرة لمزيد من التعمق فى باطن التجربة البشرية .

ولقد سبق ان درسنا اتجاهات القصة القصيرة المصرية فى السنوات الاخيرة .. وتعطينا هذه الدراسات الآن نتائج احتمالية عن بعض الكتاب الجدد(٣) الذين تمرسوا بالابداع وتخطوا كثيرا من جوانب القصور الفكرى والفنى واستكملوا لحد ما أدواتهم التعبيرية ، بل كانت لديهم الحساسية بطبيعة همومنا المعاشة ، فى الاعتبار الذى وضعناه فى بداية الدراسة وهو ظلال أزمة ٥ يونية وتعقدات مرحلة التحول ، ان من واصل هذا الاتجاه وعلى سبيل المثال لا الحصر هم جمال الغيطانى ، ومجيد طوبيا ، ومحمد روميش، ومحمد البساطى، وابراهيم أصلان، ويحيى الطاهر عبد الله .

فى « أوراق شاب عاش منذ ألف عام » (٤) محاولة تستهدف تنويعات لحن رئيسى هو استدعاء صور متآكلة من قاع التاريخ المصرى واجهت فيها الشخصية المصرية عوامل قهر شرسة ، ان فترة الغزو العثمانى هى الخامة التى يشكل منها الكاتب موقفه من الحاضر الذى نعيشه أمام عدوان قائم .

فى قصة « كشف اللثام عن أخبار بن سلام » يبنى الكاتب بقدر من الوعى شخصية انسانية ذات أبعاد متعددة ، تعكس بشمولية رحبة مأساة الغزو العثمانى البربرى بحيث تصبح لحظة الغزو متجددة الحياة ،لها قدرة العبور من عصر لعصر ، فالفقير الى ربه ، يوسف بن ابراهيم والمشهور بابن سلام ،لا يعرف أحد تاريخ مولده ولا أصل نشأته ، لقد ولد سنة الوباء ، ولكن أى سنين ، لم تخل من الوباء فى ذلك العصر المضطرب ، وأشاع عنه العسكر العثمانى بين العامة انه غريب عن بر مصر ، والشىء الوحيد المعروف عنه هو اقامته قبل الغزو العثمانى فى عشة على رأس حارة درب الرصاص ، بالقرب من قصر الشوق ، هو لم يفارقها طوال السنين لم يدخل بيننا ولم يعبر حتى أسوار المدينة ، وكل هذه التفاصيل تحتوى التساؤل الذى يطرحه وجود مألوف مجسد فى نفس الوقت لمعنى عام له الشمول الحى المحتوى على معنى الضرورة الاجتماعية ، يتحقق ذلك عندما يهجر ابن سلام عيشته وعزلته ويبدأ فى الظهور والانتشار فى كل أنحاء البلاد المنكوبة بالقهر العثمانى ، فى لحظة واحدة أقسم الناس أنهم شاهدوه فى ميدان الريدانية ، وعند سبيل .. علان ، وعند صحراء الرملية .. الخ .. عجوز يتكىء على فرع شجرة .. صوته يتردد فى الاتجاه .. « راح الصالح بالطالح ، ولعب السيف برقاب الابرياء طرش العثمانية من أهل مصر فى يوم واحد ألف انسان » ..... ان احالة لحظة من

---

[٣] انظر : دراستنا [البحث عن طريق جديد للقصة القصيرة المصرية] فى عدد اغسطس ٦٩ من الهلال . ومقدمة فى القصة القصيرة المصرية [عدد اغسطس ١٩٧٠] .

[٤] أوراق شاب عاش منذ الف عام — جمال الغيطانى

الزمن لها مطامحها لرصيد اللحظات الانسانية هو الموضوع الذى تتوقف عنده دائما عدسة هذا القصاص ، ولقد أتيح له من وسط أبناء جيله معايشة قلب اللحظة التاريخية التى تجتازها بلادنا الان ، فنبضها الدائم بصوت المدافع وعدوان الطائرات الامريكية اليومى على جبهة القتال كل ذلك بدأ ينعكس فى محاولاته الاخيرة فهو (محرر عسكرى تحت التدريب) يتلمس تكوين أدواته التعبيرية وسط لوحة الصراع الدموى فى الجبهة وربما عندما تستكمل بعض هذه المحاولات نضجها يولد لدينا أدب خنادق ، أدب مواجهة الانسان مباشرة للموت ، أدب الفاعلية البشرية الحماسية ، والامتحان القاسى للشجاعة ، لقد اطلعنا على بعض هذه المحاولات التى تنغمس فى الاحداث الجارية ورغم كل ما يشوبها من عدم اكتمال ، فبعضها كقصة « اجازة (٧٢) » لهمبررات العمل الفنى الناضج بجانبسمو غايته ، انها قصة تعالج فى آن واحد ، التحليل الاجتماعى ، ونقل الاخبار الصحفية وتقوم فى نفس الوقت على أساس الخياة الخاصة ، أنه جندى مؤهلات يعود الى حياته المدنية لمدة ٧٢ ساعة محملا خلالها علم الجبهة بكل الوانهواحداثه ومآسيه، وايضا ومضات الامل ونوعيات الحياة الجديدة التى تولد وسط الخنادق وتحت النيران الحاقدة علىتقدمشعبنا ، غير أنها تتضمن فى نفس الوقت ادانة لبعض الاطراف المتخاذلة الغير مدركة خطورةأبعاد المعركة والتى تعيش على هامش حركة التاريخ ، ان ما يتصاعد منهذه القصة ويتزاحم فى ذاكرتنا كتتابع حوادث اخراج سينمائى ، يتجسد فى تلك الصور المتشنجة والعنيفة الملعلعة التى تصور لنا جميع اضطرابات عصرناالكبرى .

ان قصاصا آخر [كمحمد روميش] يحوم حول نفسهذا الاهتمام الفائق الحيوية والذى نستشعره فجأة تجاه أسر المقاتلين الذين يشكلون رغمكل العقبات مصير تاريخنا ، ومن كل قلقلة وأسى تفجرات الحاضروأيضا رحلة المعاناة والبحث عن طريق الخلاص ، ينسج هذا الكاتب محاولة تحتار فى تحديد انتسابها لاحدى الاشكال الادبية ، القصة القصيرة أو القصة القصيرة الطويلة . . . أيا كان الامر فقصة الشمس فى برج المحاق تستقطر قلقا لا وجه له ، وعيوب بريح صاعدة من أعماق هاوية الزمن ، ودبيب موت ينشر ظله على كل شىء ويبيد كل شىء ، هى لحظة توحد ومعاناة أب أى أب يستشعر هالة الاخطار التى يتعرض حتما لها ابنه الوديع الطيب فقد جند فى الجيش مع كثيرين مثله ، غير أن مهارة هذا الكاتب تفتت زمنية هذه اللحظة الى ذرات يتشكل من مجموعها زمن حياة يتبدى ابديا وحاضرا فى كل حين.فالقصة تتنفس الجسم ، وتستقطب فى تتابعها كل الحوار الصاخب الذى يناقش أبعاد وأعماق عدوان ٥ يونية، وقضية الحربومعاناة الحب للوطن عندما يستلزم تضحية بالابن ، ان كل ما يؤمن به هذا الاب ويعلمه لتلاميذه وينشرهعلىاصدقائهيتعرض لامتحان صعب. . . ولقد تعددت مستويات السرد انطلاقا من هذه العلاقة بينالاب والابن لنتوغلفى أكثر من معنى كالاختيار بين الاستسلام أو المواجهة وتحديدات مهما كانت قاسية عن مقارنة طبيعةشعبنا وطبيعة العدوالصهيونى، وثمة ادانة ورفض لجوانب القصور وكل النواقص التى تشل انطلاقنا لتخطى وقوع المأساة ، ان هذه القصة فى النهاية شكوى عنيفة ساخطة، ضد التخاذلالذى سبب فشل خطة حياة ماضية، مع ذلك يظل وراء الشكوى ، أمل الخلاص وانتظاره بفارغ الصبر ، ثمة قصص اخرى لهذا القصاص « كالنشيد من الافق الغربى ، والليل ـ الرحم » يمتزج فيها صوت الشاعر الاخذ بصوت المنقب العلمى المدقق ، والشىء الذى تؤمن به هى عزمها على اخضاع السرد للجوهرى ، هذا التصادف بين انشاء جوهرى للحكاية ، وبين انشاء جوهرى للوجود « ان دار النشر تظلمه وتظلم القصة المصرية لانها حتى الان لم تقدم محاولاته فى مجموعة خاصة وسط أبناء جيله الذين أتيحت لهم الفرصة قبله » وتضم هنا محاولات قصاص « كمحمد البساطى » يثبت دائما قدراته الابداعية ويثبت أنه يعى عصب شكل القصة القصيرة كفنللحساسية أو علىحد تعريف فرانك أوكونور « القصة القصيرة لم يحدث ان كان لها بطل قط ، وانما بدلا من ذلك ، « مجموعة من الناس المغمورين » هذه الجماعة المغمورة تغير شخصيتها من كاتب الى كاتب ، ومن جيل الى جيل ، فقد تكون « الموظفين العموميين » عند « جوجول » أو « الخدم » عند ترجنيف » ، أو العاهرات « عند موريسان » ، أو [الأطباء والمدرسين] عند [تشيخوف] . أو

الرئيين « عند شيروود أندرسون » ؟ وهى دائما تبحث عن مخرج (٥)، لقد قدم« محمد البساطى » فى مجموعته الثانية [حديث من الطابق الثالث(٦) بعضا من قصص تشكل ترديدات لمواقع الازمة التى يعانيها جيلنا وهى تنطلق من ذات المحاور التى ناقشها من قبل من تعرضنا لهم بالتحليل ، ان قصصا مثل « العلم ، مغامرات حمزة ، لعبة المطاردة ، ابتسامة المدينة الرمادية » تدل على وعيه للحيرة السياسية المرتبطة بالحرب الاخيرة ، غير أنها اختيار عاطفى لماضى الطفولة ، لكن هذا الوغى يبدو دائما ، محررا تتهافت المجتمعات ، والامكنة ، والاشخاص ، على الاحاطة به ٠

فى قصة (العلم) نغمة تكاد تكون خاضعة فى سطوعها للجمة القصيدة ، انها فياضة لكنها مراقبة ، ومتحررة ، ولكن الى حد مجرد طفل يحمل علما أخضر يهبط به من أعلى التل ويظل يدور به فى حوارى وأزقة القرية المصرية ، فينفجر الواقع المادى والانسانى من حوله ، تتفتح الشمس والحقول ويطير الاوز ، ويتجمع الفلاحون ، ان العلم هنا يصبح دلالة حياة وبكارة وأمل ٠٠٠٠ وفى مواجهته يقف كوخ عم درويش الذى خدم كل مفتشى الرى ، والذى يكاد يصبح رمز الماضى ٠٠٠ فبيت التفتيش بناه أحد الانجليز ، ان الحاضر والماضى والمستقبل يتحدان هنا بلغة غاية فى العذوبة تنشد فى النهاية حبا لا يحد لطبيعة أرضنا ٠

ولقد أصدر أخيراً « مجيد طوبيا » مجموعة ثانية « خمس جرائد لم تقرأ (٧)، « تستحق دراسة مستقلة كدليل على مدى الحساسية والانفعال بكل القتامة والتآكل النفسى والوجدانى الذى يعانيه جيلنا عقب هزيمة ٥ يونية ، لقد دارت معظم القصص حول ذوات تختنق وتموت موتا غير مرئى وترغب وبكل كبرياء فى الانسحاب والاحالة الى المعاش نتيجة عدم اقتناعها بذدوب وقلقلة الواقع المعاش الآن ، [يموت صاحب الثقة الوحيد دون أن يدرى جيرانه ، ان رائحته العفنة هى التى أعلنت عن موته ولقد وجدت بجانبه (خمس جرائد لم تقرأ) ورجل يتضاءل حجمه وتطارده عربة الموت ويصيبه العقم فى قصة (مطارحة غرامية) بطل الموت أيضا فى الجاحظين ، وتقوم فى [الاوراق الخضراء] ان نغمات الموت والانتظار والشلل والعقم كلها تشكل رؤية مهما كانت قائمة فلا جدال أنها تتضمن استبصارا ذكيا للحظات الخطر ٠

ان لدينا الاقتناع فى النهاية ، بأن كل القلق والمحاولة والتجريب فى تحولات القصة القصيرة المصرية ، ليس سوى الخطوة الاولى ٠٠٠ الشرط الاول للخلاص من كل ذدوب وتآكل الركود الفكرى الذى يعانيه لحد ما أدبنا الحديث ، غير أنها فى النهاية ادراك واستبصار لكل الامكانات المحدودة لحاضرنا من أجل تخطيها الى واقع أرحب أكثر انسانية وبكارة ونقاء (*)



[٥] انظر : كتاب « الصوت المنفرد »مقالات فى القصة القصيرة — فرانك اوكونور (*)
[٦] مجموعة « حديث من الطابق الثالث » — محمد البساطى
[٧] مجموعة « خمس جرائد لم تقرأ » — لمجيد طوبيا

حوار حول

الأيديولوجيا والعلوم الانسانية

تحت هذا العنوان تنشر الطليعة فى عددها هذا مقالين أحدهما عن « علم النفس بين المادية والمثالية » للدكتور فرج أحمد فرج ، والآخر عن « الدراسة العلمية للانسان والمجتمع » للطفى فطيم ، وفيه يحاول أن يقدم خاتمة للحوار الذى بدأته الطليعة على صفحاتها من ديسمبر ١٩٧٠ واستمر فى يناير وفبراير ١٩٧٠ •

ان حصيلة هذا الحوار الذى بدأته « الطليعة » تحت هذا العنوان لم تكن قليلة اذا نظرنا الى عدد الموضوعات التى نشرت • كما أنها تكتسب أهمية خاصة اذا نظرنا الى الباحثين المتخصصين الذين ساهموا فيها • واذا كنا ننهى فى عدد مارس هذا الحوار البناء فلعله أن يكون قد حقق أهم أهدافه وهو فى نطاق البحث عن احداث ثورة فى التعليم لابد وأن تمتد هذه الثورة الى مجال العلوم الانسانية فى مجتمع يجذبه المثل الأعلى الاشتراكى •

علم النفس بين المادية والمثالية



د. فرج أحمد فرج

مدرس علم النفس بآداب عين شمس

اذا كان لنا أن نتساءل عن أولى حقائق هذا العصر وأبرزها ، لتبينا على الفور أن عالمنا هذا ينقسم الى معسكرين : معسكر الاشتراكية ومعسكر الرأسمالية ، ولا يقتصر الصراع بين هذين المعسكرين على المجال السياسى والعسكرى والاقتصادى ، بالاضافة الى هذا كله ، هناك صراع ايديولوجى أو عقائدى • بعبارة أخرى للمعسكر الاشتراكى عقائده وفكره وفلسفته الاشتراكية ، وللمعسكر الرأسمالى عقائده وفكره وفلسفته الرأسمالية ، وفلسفة المعسكر الاشتراكى هى الفلسفة المادية الجدلية ، أما فلسفة المعسكر الرأسمالى فهى الفلسفة المثالية ، وان تعددت صورها وتباينت أشكالها ، وتخفت خلف مختلف الاقنعة تمشيا مع روح العصر وتهربا من حكم التاريخ عليها ، كأن يطلق عليها أصحابها الفلسفة البرجماتية ، أو الوضعية المنطقية ، أو الفنومنولوجية ••• الخ • فجميع هذه الفلسفات مثالية فى خدمة المجتمع الرأسمالى ، تعكس مصالح حكامه وطبقاته المسيطرة وتدافع عن حقهم فى البقاء • انها فلسفات الحفاظ على الوضع القائم وان نقدته ودعت الى **تطويره واصلاحه** ، واتاحة فرص الحرية **للفرد** •

ويعكس كل من هذين الموقفين الفكريين موقفا مختلفا من **الحياة بعامة** : من الطبيعة والمجتمع والانسان والفكر ، ومن النشاط الفكرى والمعرفى للانسان •

واذا كان الذى يعنينا هنا هو علم النفس ، ذلك

الفرع من فروع العلم الذي يتناول بالدراسة والتفسير الحياة النفسية للانسان ، فعلينا قبل التصدي لذلك مباشرة أن نعرض بايجاز لموقف كل من التيارين من المعرفة والعلم ، حتى نتبين مبررات اختلافهما ، ذلك الاختلاف الذي يبدو للكثيرين أمرا غير قابل للتصديق • فان يكن ثمة خلاف حول أمور السياسة والاقتصاد فهو أمر غير مستغرب ، أما أن يكون ثمة خلاف حول قضايا العلم فان ذلك يهدد العلم ذاته ويفقد الثقة فيه ، فقضايا العلم أمور تقتضي الاتفاق والا كنا بازاء مزاعم دعائية ، فالعلم يلتمس الحقائق الموضوعية ويقوم على البرهان • ذلك زعم يدعيه أصحاب الفكر المثالي ليضفوا على مواقفهم العلمية صفة الموضوعية والتنزه عن الغرض والمصلحة •• ولكن هل العلم حقيقة موضوعية مطلقة منفصلة عن كل سياق اجتماعي وتاريخي ؟

يجيبنا على ذلك التفسير المادي للمعرفة بعامة والمعرفة العلمية بخاصة ، فالمعرفة وعي الانسان بالوسط المحيط به ، أو بعالمه المادي ، والمعرفة العلمية وعي هي الاخرى ، وان كانت وعيا له طابعه الاجتماعي الموضوعي والذي يعتمد على الممارسة الجماعية للمجتمع التقاء بالواقع وتغييرا له خلال عملية الانتاج الاجتماعي ، المعرفة العملية اذن وفق النظرة المادية معرفة **مادية** ، أي تكتسب من خلال الالتقاء المادي بالعالم ، **واجتماعية اقتصادية** أي تكتسب من خلال العمل المنتج والمشبع لاحتياجات المجتمع ، أو بعبارة أدق **احتياجات الطبقة المسيطرة اقتصاديا** • كما أنها كذلك **تاريخية** ، فلكل عصر من عصور التاريخ ولكل مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي الاقتصادي معارفها العلمية ، والتي تمثل تطورها ، والتي لا ينتقل منها المجتمع الى معرفة أرقى وأكثر تطورا ، الا بانتقاله التاريخي الى مرحلة اجتماعية جديدة ، فالفكر الاوسطي المدرسي مثلا كان فكر الكنيسة والاقطاع في العصور الوسطى ، لذلك كان موقفه المعروف من الفكر الجديد ، فكر الراسمالية الناشئة ، ولعل ما تعرض له جاليليو من اضطهاد ، مثال يوضح لنا ذلك ، والفكر الغربي المعاصر في علم النفس ، كذلك هو فكر المجتمع في مرحلة الرأسمالية ، كما أن الفكر المادي الجدلي في علم النفس هو فكر المجتمع في مرحلة بناء الاشتراكية العلمية •

هذا هو موقف المادية الجدلية من المعرفة العلمية ومن العلم ، أما الموقف المثالي فينظر الى المعرفة العلمية بمعزل عن ظروفها الاجتماعية الاقتصادية وعن سياقها التاريخي فهي لا تعدو كونها عبقرية فردية ، تؤدي الى كشف مطلق للحقيقة دون تأثر بالواقع الاجتماعي الاقتصادي ، أو السياق التاريخي ، ودون اعتبار لموضعها النسبي من هذا كله ، انها شيء مطلق منفصل عن كل ما يحيط به •

ويذهب الفكر المادي ـ فكر الاشتراكية العلمية ـ الى ضرورة أن تعكس المعرفة العلمية الطبيعة **المادية ـ الجدلية** لموضوع المعرفة ، فجميع الظاهرات ، طبيعية كانت أو حيوية أو اجتماعية أو نفسية أو فكرية ظاهرات مادية جدلية ، وبالتالي لابد أن تعكس معرفتنا العلمية بها هذه الطبيعة المادية الجدلية •

وعلى هذا فعلم النفس الاشتراكي يعكس الطبيعة المادية الجدلية للظاهرة النفسية الامر الذي لا تقدر عليه النظرة المثالية في علم النفس ، ونوضح ذلك باختيار بعض القضايا والمفهومات الاساسية في علم النفس ومقارنة موقف كل من التيارين منها وفهمه لها •

١ ـ في الفرق الكيفي بين الانسان والحيوان

أبرز **انجلز** في مقاله الشهير « **دور العمل في الانتقال من مستوى القردة العليا الى مستوى الانسان** » الفرق الكيفي بين الانسان والحيوان ، والذي يتمثل اساسا في علاقة كل منهما بالطبيعة ، فالحيوان علاقته بالطبيعة علاقة تكيف ، اذ يغير من نفسه ، من تكوينه البيولوجي تكيفا مع البيئة الطبيعية ، وهذا التغير يستغرق أجيالا طوالا ويتم دون وعي من جانب الحيوان • انه تكيف سلبي فهو الذي يتغير والعالم من حوله ثابت لا يتغير ، أما بالنسبة للانسان ، فالموقف على عكس ذلك تماما ، انه الكائن الحي الوحيد الذي يغير من عالمه **يغير من الطبيعة بوساطة العمل الاجتماعي** ، حتى تمتثل الطبيعة لاحتياجاته ، هذا الفرق الكيفي أمر يعجز الفكر المثالي البورجوازي عن ادراكه ، انه يعتبر الانسان امتدادا كميا للحيوان ، ان القانون المادي الجدلي الذي يوضح أن التراكمات الكمية البطيئة تؤدي الى تحولات كيفية مفاجئة حقيقة يعجز الفكر المثالي عن استيعابها ، بل ان الفكر المثالي في علم النفس متمثلا في المدارس السلوكية الامريكية عندما اعتمد على اسهامات **بافلوف** في تفسير عمليات التعلم تغافل عن التفرقة الاساسية بين ما أسماه بافلوف « النظام الاشاري الاول » وهو نظام العلامات ، والذي يقوم عليه التعلم الشرطي ، و « النظام الاشاري الثاني » وهو اللغة التي تلعب دورا حاسما في التعلم في السلوك البشري ، ويجب أن نشير هنا الى أن السلوكية تختلف تمام الاختلاف عن اسهامات بافلوف ، كما يجب أن نشير الى أن الوهم الذي يزعم أصحابه أن اسهامات بافلوف هي كل علم النفس في الاتحاد السوفيتي أو في علم النفس المادي لا أساس له من الصحة ، فقد تجاوز علم النفس اسهامات بافلوف

أصحاب هذا الفكر هى أن هذا الخلل ليس سببا لهذا السلوك ، بل ان هذا الخلل ذاته نتيجة الظروف الموضوعية لحياة هؤلاء الافراد ، تلك الظروف التى أدت الى اضطراب البناء النفسى ، وأدت بالتالى الى هذه الاشكال السلوكية المضطربة أو المنحرفة : فالبناء النفسى والسلوك كلاهما نتيجة لسبب سابق ، هو السبب الاجتماعى ، وبالطبع كثيرا ما يبرز هؤلاء المفكرون « هذه الظروف الموضوعية » التى كثيرا ما تكون « عجز الام » أو « اضطراب الاب » الى آخر هذه الالاعيب والحيل التى تستهدف اخفاء العوامل الاجتماعية بمعناها الشامل الكامل •

٢ ـ الذكاء واختبارات

الذكاء والوراثة والبيئة

أشار الاستاذ قدرى حفنى فى مقاله بالعدد السابق من الطليعة « علم النفس بين التشابه والاختلاف » ، الى قرار شهير اصدرته اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى ، تدين فيه علم البيدولوجيا « لمواقفه النظرية والتطبيقية الزائفة» وقد امتدت هذه الادانة لتشمل بالذات اختبارات الذكاء ومفاهيم الذكاء الغربية ، ويبدو هذا الموقف على قدر كبير من التطرف ، لكن الامر ليس كذلك تماما •• ويجدر بنا أن نحاول أن نعرض بايجاز لجذور هذا الموقف الذى يبدو بالغ التطرف ، ولعل خير ما تبدأ به أقدم مفاهيم علم النفس ، مفهوم الوراثة والبيئة . أن من يتتبع تاريخ هذا المفهوم يتبين كيف كان تأكيد أهمية الوراثة بالغا فى عصر الاقطاع وبداية عصر النهضة ، بل ان جمهورية أفلاطون تقسم الناس الى عبيد ومحاربين وفلاسفة حسب معدنهم ، فلكل فئة معدنها الذى لا تستطيع منه فكاكا ، واذا ما انتقلنا الى النظريات العنصرية كما فى نظرية الدماء الملكية الزرقاء والعائلات ذات الاصل العريق ، ثم الشعوب الاوربية البيضاء الراقية، ثم الجنس الآرى سيد الاجناس الى آخر هذه النظريات العنصرية التى لا يخفى على أحد ارتباطها بالاستغلال اقطاعيا كان أو طبقيا أو استعماريا • ان تأكيد أهمية الوراثة يعنى تبرئة الواقع الاجتماعى وتأكيد استحالة التغيير ، وتبرير الاستسلام للامر الواقع ، وهذا هو موقف المدرسة اللامبروزية الجديدة فى تفسير الجريمة فى الولايات المتحدة الامريكية وعندما نقارن مثلا بين نظريات مندل فى الوراثة وكشوف العلماء السوفيت فى هذا المجال وتأكيد (منشورين بالذات) أمكان أحداث تغيير وراثى مباشر ،وعلى شكل طفرة مفاجئة من جيل الى الجيل التالى عليه مباشرة (فى النبات) ، وعندما نتذكر كذلك أحد أقوال بافلوف الشهيرة (ومكانته فى الاتحاد السوفيتى معروفة) **ان الانسان يستطيع أن يتعلم كل شىء وأى شىء ، ما لم يكن هناك عطب أو تلف عضوى فى النصفين الكرويين ، على أن يتم ذلك فى الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة.** ثم نعرف بعد ذلك عزوف العلماء السوفيت عن استخدام مصطلح « الضعف العقلى » فى الحالات التى لا يقوم فيها الدليل على وجود عطب عضوى بالجهاز العصبى ، ثم جهودهم المكللة بالنجاح فى تعليم الرياضات العليا لجميع أطفال المدارس الابتدائية ، وايثارهم استخدام مصطلح « السلبية العقلية » بدلا من الضعف العقلى عندما نعرف هذا كله ، ونعرف كذلك كيف يمكن اعتبار ما يسمى بالتوزيع الاعتدالى للذكاء مجرد انعكاس اجتماعى لتوزيع الثروة فى المجتمع الطبقى ، نستطيع أن نتبين لم ترفض ـ فى الاتحاد السوفيتى ـ اختبارات قياس ذكاء الاطفال وبخاصة بالطريقة التى تستخدم بها فى الدول الغربية ، حيث يكون قياس الذكاء لهدف عملى فردى مباشر ، ولتبرير اجراء نادرا ما يكون له طابع علاجى • ان نجاح السوفيت الهائل فى مجالات التربية والتعليم ، وفى تخريج أجيال من العلماء دليل على أن اتاحة الفرص المواتية ، والعمل بلا تقاعس أو استسلام تحت وهم الامكانيات العقلية المحدودة أو الناقصة ، كفيل بتفجير طاقات الانسان الخلاقة . ان المناخ الاجتماعى المناسب هو العامل الحاسم •

لاشك ، بالطبع ، أن هناك فروقا بين الافراد فى الامكانيات والمواهب ، لكن المطلوب هو اتاحة الفرص المواتية لتناقص هذه الفروق وانكماشها وتوجيهها الوجهة المناسبة لخدمة المجتمع ، ان هذه الفروق ليست قدرا حتميا يتوارثه الابناء عن الاباء • واذا كان من بين أهداف المجتمع الاشتراكى (فى برنامج الحزب الشيوعى السوفيتى فى بناء الشيوعية) القضاء على الفروق بين الريف والمدينة ، وبين العمل اليدوى والعمل العقلى فلا يمكن لهذا المجتمع أن يستسلم لفروق عقلية بين عباقرة وضعاف عقول تظل قدرا لا سبيل لمغالبته •

ان النظر الناقد والمتأمل لاقحام علماء النفس الغربيين لمفهوم الذكاء فى جميع مجالات السلوك وكأنه العامل المسئول عن كل عجز أو فشل أو اخفاق يوضح لنا كيف يمكن أن يستخدم مفهوم علمى مبررا ومهربا يجنبهم ادانة النظام الاجتماعى وكشفه •

٣ ـ علم النفس الاجتماعى والقيم

والاتجاهات وتغيرهما

يتمثل فى علم النفس الاجتماعى الموقف المثالى

وذلك لانها وان كانت حجر الاساس الفسيولوجي فى تفسير نشاط النصفين الكرويين ، والمراكز العصبية العليا ، فانها الشرط الضرورى لحدوث هذا النشاط لكنها ليست الشرط الوحيد ، فهى ضرورية ، ولكنها **غير كافية** لحدوث النشاط النفسى • فالنشاط النفسى وعى بالعالم المادى ، الامر الذى يقتضى بالضرورة وجود هذا العالم المادى ، مضمون الحياة النفسية ، أى **الوعى** يحدده الواقع المادى الخارجي ، من ثمة فمحتوى الوعى أو مضمونه **ظاهرة اجتماعية ـ اقتصادية تاريخية** ، محتوى الوعى يتحدد بالوسط **البشرى** فى المقام الاول ، ونؤكد هنا كلمة البشرى (أنظر « علم النفس الاجتماعى والتاريخ » باللغة الانجليزية) ذلك أن الوسط البشرى ، بمعناه الاجتماعى الاقتصادى التاريخى ، أمر يتجاهله تماما الفكر الغربى وبخاصة المدرسة السلوكية التى تعتمد فى تجاربها على الفئران البيضاء ، هل يمكن أن تنطبق نتائج مثل هذه التجارب على الانسان ؟ وهل يمكن فى ظل أى تعديل أو تحوير أو تلفيق أن نصدق أن ما يصدق على الفئران يصدق على البشر ؟ ان العجز عن ادراك ما يطلق عليه فلاسفة العلوم اصطلاح الطبيعة النوعية للظاهرات يتجلى فى هذا الموقف سافرا دون حاجة الى تعليق ، ان تجريد الظاهرة النفسية من جميع سياقاتها التاريخية والبشرية والاقتصادية والطبقية ، يعنى فى نهاية الامر تجريدها من ماهيتها •

٤ ـ فى العلاقة بالواقع والسواء والانحراف

اذا كانت علاقة الحيوان بالطبيعة علاقة تكيف وعلاقة الانسان بها علاقة تغيير ، واذا كان هذا الفرق الكيفى أمر لا يفطن اليه الفكر المثالى فى علم النفس ، فاننا نتبينه أكثر ما يكون جلاء ووضوحا فى التعريفات التقليدية فى علم النفس (المثالى) لمفهومات السواء والنضج والصحة النفسية • الخ فكلها تقوم أساسا على ذلك العجز عن ادراك هذا الفرق الكيفى •• فالصحة النفسية هى أن يكيف الفرد نفسه لمقتضيات المجتمع وقيمه ونظمه فهى الاصل الباقى الذى لا يتغير والذى لا يحتمل الخطأ ولا يقبل التعديل •• هذه هى علاقة الحيوان بواقعه ، أما الانسان فيغير من هذا الواقع ، أما أن يمتثل له دواما وعلى طول الخط فمعنى ذلك استحالة التغيير والتطور والتقدم ، وكأن المجتمع البشرى ليس ظاهرة تاريخية فى حالة صيرورة دائمة ، على أن الامر ليس عجزا فحسب ، وانما هو عجز فى خدمة مصلحة طبقية ، مصلحة طبقية لا تقبل التغير ولا ترضى به ، ففى ذلك اطاحة بها ، وتقويض لسلطانها • كما أن مفهوم النمو النفسى الاجتماعى (المثالى) يبلوره مصطلح « التطبع الاجتماعى » والذى يعنى أن النمو يتطلب تقبل الشخص للمقتضيات الاجتماعية ، فهو الذى يمتثل ، ويناظر هذا المصطلح ويدعمه التصور المثالى المقابل للانسان بوصفه حيوانا تحكمه مجموعة من الغرائز البدائية الحيوانية الجامحة ذات الطابع الانانى الفردى ، والذى يحمل فى ثناياه من الاخطار ما يهدد المجتمع بالدمار ، ولا مخرج من ذلك كله الا باحكام الرقابة وضرب القيود على هذا الحيوان ، حتى يسلس قياده وتنكسر شراسته وجموحه ، ألا يوضح لنا هذا كله النظرة المغرضة الى الانسان ، الا يزيف هذا التصور الصراع الطبقى فى المجتمع الرأسمالى المستغل ، ألا نستطيع أن نتبين أن الخطر المزعوم والذى يهدد المجتمع هو فى الحقيقة خطر تقويض الانسان عندما يستخلص حريته لنظام الاستغلال الرأسمالى ، ألا يهدف هذا كله الى تدعيم أسلوب تربوى يعتمد على القهر وعلى الاستسلام للأمر الواقع ، ألا يناظر هذا الفكر المغلف بدعاوى العلم والموضوعية فكر العصور الوسطى الذى كان يدعم الفكر الاقطاعى والحق الالهى للملوك ، والذى كان يذهب الى أن الشقاء والالم قدر الانسان وطريقه الى الخلاص •

واذا ما انتقلنا من الصحة النفسية والنمو النفسى الاجتماعى والانسان وغرائزه « **الهدامة** » الى الدراسات التقليدية للأمراض النفسية ، والانحرافات السلوكية والجريمة طالعنا نفس الفكر المغرض الزائف ، فهذه المشاكل جميعها ترجع الى **عجز الافراد أنفسهم** ، الى قصورهم التكوينى أو الوراثى ، أو الجبلى .. قدر آخر فى غلاف من مزاعم علمية زائفة ، والنظام الاجتماعى برىء دائما براءة الذئب من دم ابن يعقوب •• ماذا عن ارتفاع نسب الجريمة والمرض العقلى بين الطبقات الفقيرة فى الولايات المتحدة مثلا ، ماذا عن الارتفاع المستمر لمعدلات جميع أشكال الاضطراب والانحراف ؟ هل يصدق هؤلاء العلماء « **الموضوعيون** » أن تدهورا **تكوينيا** أو « **جبليا** » ، أو « **وراثيا** » طرأ على سكان الولايات المتحدة ، وبهذه السرعة وبهذه الصورة الوبائية ؟ لاشك بالطبع أن لهذه العوامل دورها ، لكن ذلك لا يكون الا فى حالات قليلة ، أما عندما يأخذ الامر شكلا وبائيا ، كما فى تعاطى المخدرات مثلا ، فلا يمكن الا أن يكون العامل الحاسم طبيعة النظام الاقتصادى الاجتماعى •

ان الخدعة التى يلجأ اليها الفكر المثالى هو أن يرجع هذه الاضطرابات على اختلاف أشكالها الى خلل فى البناء النفسى ، ذلك أن من الممكن دائما العثور على مظاهر خلل واضطراب نفسى فى معظم هذه الحالات ، على أن الحقيقة التى يتغافل عنها

وأزمته أصدق تمثيل وأعمقه ، وبخاصة عندما يتناول أهم موضوعاته وأعنى بها تكوين الاتجاهات وتغييرها • فهذا الفرع من فروع علم النفس البورجوازى يتجنب الربط بين الاتجاه والواقع المادى بمعناه العميق ، من حيث هو واقع تاريخى اجتماعى طبقى ، ويقتصر على الواقع النفسى ، أو الاسرى ، أو الخبرات الفردية العارضة ، ومن ثمة لا يتحدث عن اتجاهات اجتماعية طبقية ، وتتجلى هذه الازمة بصورة أكثر عمقا عند تناول موضوع تغيير الاتجاهات ، وتغيير الاتجاه يصبح بالضرورة أقرب الى الوعظ والارشاد ، وان سمى تغيير الاتجاهات بوساطة المناقشة ، أو المحاضرة أو الافلام السينمائية ، كما فى تجارب كورت لفين الشهيرة فى تغيير اتجاهات ربات البيوت الامريكية نحو أكل « الكبدة » •• هكذا ، فهذا هو الاتجاه الاجتماعى الذى يعنى علماء النفس الامريكيين بدراسته وتغييره ، ويجد علم النفس الاجتماعى خلاصه من محنته ، هذا اذا كان المشتغلون به يشعرون حقا بما هم فيه من محنة — فى الهرب الى دراسات هامشية ، أو مباحث ثانوية ، كدراسة الاشاعات مثلا ، أو الكيفية التى تنتشر بها البدع الاجتماعية « كالموضات والتقاليع » ، كما يركزقدرا كبيرا على موضوع « التواصل » وعلى ما يسمى « بديناميات الجماعات الصغيرة » و« سيكولوجية اتخاذ القرار » •• الخ •

ان العجز عن ربط الاتجاه النفسى ، أو القيم ، أو أساليب السلوك الجماعى بالواقع المادى فى حركته التاريخية يرجع الى الموقف المثالى لهذا الفرع من فروع علم النفس ، والى عجز المشتغلين به عن النظر الى السلوك الجماعى والاتجاهات النفسية الجماعية نحو مختلف القضايا والمشاكل بوصفها انعكاسا نفسيا ، او ذاتيا يتكون موضوعيا بفعل الظروف الحقيقية للواقع الفعلى للناس ، ان الفهم السليم للبناء النفسى الاجتماعى لقطاعات المجتمع المختلفة لا يتحقق الا بربط هذا البناء بكل أبعاده وخواصه ربطا ماديا جدليا ، بكل ما تعنيه النظرة المادية الجدلية بقوانينها ومقولاتها بالواقع المادى فى حركته التاريخية ، كما يجب أن نؤكد هنا عقم جميع بحوث ومحاولات تغيير القيم ، والاتجاهات دون تغيير أساسها المادى تغييرا شاملا وحقيقيا ، لايمكن مثلا تغيير القيم الغيبية أو السحرية الا برفع المستوى العلمى والاقتصادى ، اذ ذاك فقط يمكن العمل على تغيير القيم والعادات والاتجاهات والتقاليد •• الخ

ولما كان مثل هذا التغيير أكثر المحاذير خطرا

فى المجتمع الرأسمالى كان من الطبيعى أن نفهم لماذا أصبح علم النفس الاجتماعى مزيجا من التضليل والتزييف والتخدير المؤقت للمشاعر •

علم النفس فى بلادنا

بعد هذا العرض السريع والمبسط للتصورات البورجوازية المثالية لقضايا ومشاكل علم النفس والحياة النفسية ، وموقف الفكر المادى منها لابد لنا أن نتساءل ماهو موقفنا من هذا كله ؟ ان الاجابة عن ذلك تقتضى منا **أولا** : تحديد موقفنا الاجتماعى ، هل نحن مجتمع رأسمالى ، يهدف الى استغلال الفرد وامتصاص سخطه وتضليله واستغلال قدراته واستنزاف امكانياته من أجل مصالح فردية كما هو الشأن فى المجتمع الرأسمالى ؟ الاجابة بالقطع لا •• نحن مجتمع يعيد بناء الحياة على أرضه ، بالعلم والتخطيط من أجل الانسان ، وبالعلم الاشتراكى فهو وحده علم الانسان ، واذا كان ميراثنا التاريخى فى علم النفس وفى جميع فروع علوم الانسان والمجتمع تراثا رأسماليا ، فلم يعد الان ثمة مبرر للحفاظ على هذا التراث والابقاء عليه بفعل التصور الذاتى والكسل ، اننا مطالبون باعادة النظر فى عمق وجدية وتبصر ناقد ، لم يعد مقبولا أن يظل الغرب قبلتنا ، وأن يظل علماءه وأدعياء العلم فيه رسلنا وانبياءنا ، لم يعد مقبولا أن ننقل عنهم دون تفكير ، وكأن عليهم أن يفكروا هم وأن ننقل نحن عنهم ، وأن ننقل عنهم فكرا خرج الى النور فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن فكرا أصبح فى موطنه موضع الشك والتجريح ، فلا شك مثلا أن جميع المشتغلين بعلم النفس وبعلوم الانسان يعرفون أن هناك تيارات جديدة ومحاولات خلاقة للخروج من الازمة ، فى المجتمع الغربى نفسه ، فى الولايات المتحدة ، فى انجلترا ، وفى فرنسا بالذات ، صحيح ان هذه المحاولات هى الاستثناء ، وبخاصة فى الولايات المتحدة الامريكية — الا أنها تولد وتجاهد للخروج الى النور ، ويحضرنى فى هذا الصدد عالمان هما بياجيه السويسرى ، وهنرى فالون الفرنسى •

ان النقل الحرفى للصياغات النظرية الغربية — بوصفها صياغات تخدم مصالح طبقية استغلالية — أمر غير مقبول فى مجتمعنا ، كما أن النقل الحرفى لادوات وأساليب فى البحث والدراسة دون تمحيص هو الاخر أمر لا يمكن أن يكتب له البقاء فى مجتمعنا ، وانى فى النهاية أدعو المشتغلين

بعلوم الانسان بعامة وعلم النفس بخاصة الى ضرورة عقد الحوار الدائم والمستمر فيما بينهم حتى يتحقق لهم الفهم **العميق والواعى** بحاجات **مجتمعنا** ، وأكرر مجتمعنا نحن بكل مافيه من عمق ، وبكل ما له من مطالب وبكل ما يحمل من تراث تاريخى ، وبكل ما يميزه من أبعاد اجتماعية اقتصادية وحضارية ، وفى النهاية اذا جاز لنا استيراد العدد والالات من أجل بناء مجتمعنا ، فاننا لانجيز عن ارتياح وايمان استيراد الكماليات والترف من أجل فئة قليلة ، اذا كنا ندعو الى محاربة السلع المستوردة والتى تهدد مصنوعاتنا، فعلينا بالمثل أن نحارب استيراد **الفكر المنقول** الذى يعمل فى خدمة الاستغلال والاستعباد .

ان المهام المطروحة أمام المشتغلين بعلم النفس فى بلادنا هى ببساطة دراسة واقعنا كما هو فى **حقيقته وفى حركته** ، وبكل أبعاده وعمقه ، وهنا يجب على الباحثين دراسة **التاريخ** تاريخ المجتمع **المصرى** وتاريخ طبقاته ، وتاريخ أجهزته الحكومية وتاريخ الملكية فيه ، **وتاريخ مدنه وأحيائه** ، ان سمات كثيرة فينا تضرب بجذور عميقة فى التاريخ ، كما يجب عليهم **تطوير المناهج** والاساليب العلمية التى تناسب واقعنا وأمكانياتنا ، فاذا كان فى مقدرة مجتمع كالمجتمع الامريكى ان « يقنن » اختبارا للذكاء بكل امكانياته فى **عشر سنوات** فى الوقت الذى قضى فيه المجتمع الكوبى على الامية فى **ستة شهور** ، فان علينا أن نعيد النظر فى جرأة وشجاعة فيما اذا كان مثل هذا الطريق برمته طريقا يجب علينا السير فيه ، أم أنه ليست بنا حاجة اليه ؟ ان الكثير من أساليب وأدوات البحث يجب علينا مناقشة فلسفتها **وجدواها** وأهم من ذلك كله حاجتنا الفعلية اليها .

أعلم أن مثل هذه الدعوة من شأنها أن تثير فزع الكثيرين ممن رتبوا حياتهم وشادوا مكانتهم العلمية على هذه الوسائل والاساليب ، لكن حياة ابناء مجتمعنا ، ومكانة بلادنا تفوق فى أهميتها حاجات الافراد ومكانتهم ، ولنتذكر أخيرا أن القدرة العلمية الحقة فى مواجهة الحياة والعمل من أجل بنائها .



الدراسة العلمية للانسان والمجتمع



ختام للحوار حول الاشتراكية والعلوم الانسانية

لطفى فطيم

لقد كانت القضايا التى طرحت تحت هذا العنوان والمناقشات التى دارت حولها من أمتع المناقشات وأكثرها جدية ، بل أكاد اقول أنها الاولى من نوعها فى مصر ، خاصة فيما يتعلق بعلم الاجتماع ، ولقد جذبت الموضوعات التى نشرت ابتداء من شهر ديسمبر ١٩٧٠ اهتمام عدد كبير من المشتغلين بعلم النفس وعلم الاجتماع ، ويهمنا أن نقرر بادىء ذى بدء اعتزاز « الطليعة » بثقة الكتاب الذين أيقنوا أن هذا المنبر يتسع للاختلاف فى الرأى ، كما نود أن نعبر عن ثقتنا الكاملة فى حسن نية الكتاب وسعة أفقهم ورغبتهم الصادقة فى الوصول الى الوضوح الفكرى ، والموقف الايديولوجى الصحيح ، وان نقول فى ختام المناقشة أنه لن يستبين أمام الباحثين الايديولوجيا التى يجب عليهم أن يتبنوها الا من خلال صراع يخوضونه مع أنفسهم من جهة – لكى تتضح لهم المفاهيم – ومع الافكار المضادة والخاطئة من جهة أخرى حتى يتضح أمام الجميع الايديولوجيا التى يجب أن تسود ، والتى هى فى خدمة أهداف المجتمع المصرى وتقدمه العلمى

تحديات أربعة

ان القضايا التى طرحت واوجه الاتفاق والاختلاف التى ظهرت فى المقالات التى دارت

حولها تشير بلا جدال الى أن هناك مشكلة مطروحة على الباحثين فى العلوم الانسانية خاصة علم الاجتماع وعلم النفس · هذه المشكلة هى أن هؤلاء الباحثين الاكاديميين ، وهم بلا شك من طلائع هذا المجتمع ، يجدون أنفسهم أمام عدة تحديات :

التحدى الاول : أنهم أولا أعضاء فى مجتمع يعانى من هزيمة اوقعها العدو الاسرائيلى الامبريالى مما يثير فيهم شعورا قويا بضرورة البحث عن سبب الهزيمة ، كل فيما يخصه · فيلتفتون الى علومهم محاولين النهوض بها والبحث عن سبب تخلفها وقصورها ، وكيف يمكن أن تكون سلاحا فى معركتنا القائمة ..

التحدى الثانى : هو حركة الصراع الطبقى فى المجتمع المصرى ، تلك الحركة التى اشار اليها ولم ينكرها ميثاق العمل الوطنى · فما زال يوجد بالمجتمع طبقات مالكة وأخرى غير مالكة ، بالاضافة الى الطبقة أو الفئات الجديدة التى ظهرت بعد ثورة يوليو · ولا شك أن لكل طبقة فكرها وأيديولوجيتها ، وأن هذه الطبقات متصارعة حتى فى اطار التحالف · ولابد أن ينعكس هذا فى مختلف المجالات وخاصة مجال العلوم الانسانية ·

التحدى الثالث : أن المجتمع برمته يخوض صراعا عاما ضد التخلف من أجل اللحاق بركب الحضارة الحديثة مما ينعكس فى صراع أشد بين القيم والافكار والمناهج المتخلفة والقديمة وبين الحديث منها ·

التحدى الرابع : وهو تحد نوعى فى مجال العلوم الانسانية · اذ لما كانت هذه العلوم تتصل مباشرة بالانسان ومشاكله اليومية المعاشة ، ولما كان هؤلاء الباحثين يعيشون فى مجتمع لا تتضح أمامهم فيه عناصر الايديولوجية التى يجب أن تسود ، أصبح كل واحد منهم فى موقف صراع مع نفسه : فهو بحكم تقاليد تعليمه ، وغير ذلك من العناصر ، ينتمى الى الافكار التى سادت مجتمعنا فيما قبل الثورة ، وهو بحكم تطور مجتمعه ثائر على هذه الافكار وفى الوقت نفسه لا يدرك ماذا يمكن أن يتبناه من الافكار الاشتراكية الجديدة ·

علم الاجتماع العلمى

وقد تراوحت كافة المقالات التى دارت حول الاجتماع ما بين عرض لافكار المدرسة الاشتراكية بدرجات مختلفة من الوضوح وبين مناقشة لهذه الافكار بدرجات مختلفة من القبول والرفض والبين بين ، فيما عدا مقالة علم الاجتماع بين الرأسمالية والاشتراكية (الطليعة فبراير ١٩٧١) التى كانت أوضح المقالات من حيث التزامها بوضوح بعلم الاجتماع الماركسى ورفضها لما سمته بالاساطير الاجتماعية أى بالنظريات غير العلمية لاساتذة علم الاجتماع البورجوازى · وانعكست كافة وجوه التحديات الاربعة التى سبق ذكرها فى مقالة الاستاذ محمد عبد الباسط « علم الاجتماع وضرورة العودة الى المنبع » (الطليعة فبراير ١٩٧١) فما هو المنبع الذى ــ من الضرورى ــ العودة اليه ؟

بعد أن أفاض الكاتب فى نقد من ينادون بتبنى الاتجاه الماركسى فى علم الاجتماع ونقد من يطالبون بعدم التزام الباحث بأيديولوجية معينة ونقد من « يرفعون لافتة الموضوعية والحياد العلمى » · ونقد « من يبدون أكثر ذكاء بندائهم بضرورة الاهتمام بقضايا المجتمع المصرى ومشكلاته » يقول : « واذا كنا نتفق مع كاتب المقال ــ يقصد مقال « علم الاجتماع بين الوحدة والتعدد » (الطليعة يناير ١٩٧١) ــ فى ضرورة دراسة المجتمع المصرى ولكن مع وجود اطار نظرى فانى أقترح أن يكون هذا الاطار مستندا بالضرورة الى تاريخ المجتمع المصرى » · وهو بذلك يدرج نفسه ضمن نفس الاطارات التى نقدها ولكن اذا سمح لى بتلمس ما بين السطور ، فان الكاتب يقصد تاريخ ثورة الشعب المصرى وصراع الطبقات فيه من أجل الاستقلال والوصول الى مجتمع تتحقق فيه العدالة الاجتماعية بحيث ينصهر الشعب جميعه فى وحدة منطلقة الى تحقيق أبعد الامانى ··

أن هذا المثال يبين ببساطة مشكلة فقدان الايديولوجيا ، فهناك خوف مرضى (فوبيا) من الماركسية ، وهناك خوف حقيقى من الفكر البورجوازى · ولا يجد الباحثون ملجأ يلوذون به الا القول باستلهام جذور حضارتهم ومجتمعهم ·· فما هى الحضارة والمجتمع الذى يريدون استلهامه ؟

اليس هو الطبقات المصرية الفقيرة ــ الفلاحين والعمال وصغار الملاك والموظفين ــ الساعية منذ أزمان لتغيير وضعها وتبوأ مكان لائق بعملها · هل يمكن أن يفكر باحث من هؤلاء الداعين الى دراسة المجتمع فى النظر الى تطور هذه الطبقات وتطور فكرها وتطور مثلها ·

ونحن نتفق مع د · سيد عويس (« علم الاجتماع فى بلد اشتراكى » الطليعة ديسمبر ١٩٧٠) فى قوله بأن « عبادة الحقائق » لا تفيد مجتمعا متطورا كالمجتمع السوفييتى ، ولكن فى مجتمع كمجتمعنا المصرى المعاصر يكون جمع

الحقائق فى ضوء التاريخ المعاصر والواقع الحى يكون ذا فائدة ·· واننا فى حاجة ماسة الى خريطة اجتماعية ثقافية موضوعية عن هـــذا المجتمع ·· ولكن بأى قصد ولاى هدف؟ يقول الكاتب ·· «ان العبرة كل العبرة فى رأيى هى نتاج ما يحدث فى المجتمع عند تطبيق البرامج التى تعتمد على نتائج البحوث» ·

ويدعو الباحث ـ بعد ذلك ـ الى اجراء البحوث الاستطلاعية وجمع الحقائق وانتظار نتائج ما يحدث عند تطبيق البرامج التى ستعتمد ـ ان شاء الله ـ على نتائج تلك البحوث ··

على أن ما يلفت النظر فى تلك المقالة هو القول بأن علم الاجتماع هو علم الاجتماع ولكن دوره يختلف فى المجتمعات البشرية حسب اختلاف ايديولوجيات هذه المجتمعات،أو حسب الفلسفات السائدة فى هذه المجتمعات ·

فأى علم اجتماع يقصد؟ علم الاجتماع القائم على فكرة التطور التاريخى للمجتمعات وفقـا لصراع الطبقات أم علم الاجتماع الذى يغفل صراع الطبقات ويهتمبدراسة ظواهرمعينة فىالمجتمع، كالبغاء أو التشرد ... الخ ..

الحقيقة التى لا جدال فيها أن فكرة انقسام المجتمع الى طبقات والصراع الطبقى ليست فكرة ماركسية فقد وجدت قبل ماركس، ولا يخشين احد من المجاهرة بها فهى قديمة قدم النيل ·· يقول ماركس فى احدى رسائله «ليس لى الفضل فى أكتشاف وجود الطبقات فى المجتمع المعاصر، ولا الفضل فى اكتشاف صراعاتها ضد بعضـها البعض، فقد عرض المؤرخون البورجوازيون من قبل التطور التاريخى لهذه الصراعات الطبقية، وعرض بعض الاقتصاديين البورجوازيين التناقض الاقتصادى القائمبين الطبقات ·· ان الجديد الذى أتيت به هو اننى بينت أن وجود الطبقات لا يرتبط الا ببعض المراحـل التاريخيـة مـن تطـور الانتاج ... الخ» ..

المشكلة فى علم الاجتماع اذن هى أنه يوجد علم اجتماع علمى ينطلق من واقع استقراء تطور المجتمعات الانسانية، ويعترف بحقائق هـذا التطور، ويستند الىالحقيقة العلمية التىلاجدال عليها فى الشرق أو فى الغرب أوفى الشمال أوفى الجنوب وهى تغير الكون والطبيعة والمجتمع وفقا لقوانين الجدل، فالطبيعة جدلية بحكم تكوينها ·

وأحب أن أحيل القارىء الى الفصل الممتع الذى كتبه **هربرت ماركيوز** بعنوان «أسس المـذهب الوضعى ونشأة علم الاجتماع» فى كتابه «**العقل والثورة**» وذلك فى الترجمة البارعة التى صدرت عن هيئة التأليف والنشر للدكتور فؤاد زكريا، وذلك لكى يدرك الاسس العلمية لعلم الاجتماع العلمى، وليعرف الفرق الكبير بين ما يعرف فى جامعاتنا باسم علم الاجتماع وبين علم الاجتماع الحقيقى ·

علم النفس العلمى

أما المشكلة فى علمالنفس فهى أكثرتعقيدا .. فلم يشترك فى الحوار حوله سوى · فرج أحمد فرج بمقالته المنشورة فى هذا العدد ·

والحق أننى لا أظن أن هناك من يمكن أن يتحدث عن علم النفس فىالبلاد الاشتراكية أو حتى يتناول الاساس الايديولوجى لعلم النفس كما يفكر فيه الاشتراكيون · والسبب هو أن كافة أساتذة علم النفس عندنا وتلامذتهم بالتالى لم يدرسوا علم النفس وفقا للاتجاهات المادية بل لم ترد عليهم اطلاقا، وكل ما حصله الباحثون فى هذا المجال انما تم بالجهود الذاتية والتحصيل الشخصى ·· لذلك كانت مناقشة الموضوع تحتاج الى دراسة واسعة ومعرفة عميقة لم يتوفرا للمقالالمذكور ·

لم يعد يكفى فى هذا «الزمن» أن يكتفى المرء بالقول أن هذه الفكرة أو هذا الاتجاه مادى جدلى وأن ذاك مثالى بورجوازى، اذ يحتاج الامر الى التدليل والاقناع · لذلككانت مقالة علم النفس بين المادية والمثالية غير مقنعة، بل لقد وقعت فى عدة أخطاء لا يمكن **السكوت** عليها ·

فأولا: ليست المرحلة التى يمر بها المجتمع الرأسمالى الحالى هى مرحلة الرأسمالية انما هى مرحلة الاحتكارية الامبريالية وتفكك النظـام الاستعمارى أمام تزايد قوة المعسكر الاشتراكى وحركة التحرر الوطنى فى الدول النامية · وتأتى أهمية هذا التحديد من أنه يفسر لنا الكثير مما قد نشاهده من اتفاق الفكر البورجوازى مع الفكر الاشتراكى فى بعض النقاط · فلا شك أن الفكر الرأسمالى قد قدم بعض التنازلات أمام انتصارات الفكر الاشتراكى، وخاصة فى مجال العلـوم الانســانية، وموقـف الفيلســوف البريطانى **برتراند رسل** أشهر من أن يذكر ·

أما عن العلوم الطبيعية فلا شك أن ما حصله العلماء الاشتراكيون فى كافة المجالات ما كان ليوجد لولا نيوتن وأنيشتين المثاليين المولدين فى مجتمع رأسمالى · ومن المعروف أن الفعل المنعكس الشرطى قال به **ديكارت** قبل **بافلوف** بزمن طويل · وفى مجال العلاج العقلى من المعروف أن الاتحاد

السوفييتي يستورد عقار الاستلازين الامريكى الذى يستخدم فى علاج الفصام • بل ان المركبة لونوخود الموجودة الان على سطح القمر تستعمل مرآة عاكسة للاستفادة من الطاقة الشمسية من صنع وابتكار فرنسا •

لذلك فلاشك أن هناك استمرارية للعلم ، هناك جانب عام وآخر نوعى ، وكان بوسع كاتب المقال أن يرجع الى مقالات **قدرى حفنى** فى الفكر المعاصر (فبراير ، أبريل ،يونيو ، أكتوبر ١٩٧٠) التى أوفت هذا الموضوع حقه •

ثانيا : يبين الرجوع الى التاريخ أنه خلال السنوات العشر التالية على قيام النظام الاشتراكى فى روسيا عام ١٩١٧ ، وجد فى موسكو فرع للجمعية الدولية للتحليل النفسى (الفرويدى) • وكان يجتمع بانتظام تحت رئاسة الدكتور م • وولف وتنشر مناقشاته ومحاضرجلساته فى المجلة الدولية للتحليل النفسى ، وكانت تلك المحاضر والمناقشات تبين المصاعب النظرية والعملية التى يلاقيها الاعضاء •

وما أن حل عام ١٩٣٠ حتى توقف نشر المواد التى ترد من الاتحاد السوفيتى •• ومنذ عام ١٩٣٦ لم يظهر اسم أى مؤلف روسى فى المجلة الدولية للتحليل النفسى • وجاء فى الخطاب السنوى الذى ألقاه **ارنست جونز** رئيس الجمعية الدولية للتحليل النفسى عام ١٩٣٦ « أنه لم ترد أى أنباء مباشرة من الاتحاد السوفييتى ولكن أنباء التسامح والانفراج تبعث على الامل فى أن يستعيد التحليل النفسى عمله هناك » الا أن ذلك الامل لم يتحقق اذ سرعان ما قامت الحرب العالمية الثانية بعدذلك وتركز الهجوم على التحليل النفسى بوصفه فكرا بورجوازيا ..

ومن المعروف أنه اتخذ عدد من الاطباء الروس اتجاهات ايجابية نحو التحليل النفسى فى الفترة التى تلت الثورة البلشفية وربما كان أشهر هؤلاء هو **الدكتور لوريا** ــ الذىلايزال يعيش حتى الان ــ أستاذ علم النفس بمعهد علم النفس التجريبى بجامعة موسكو • وقد اعتبر لوريا التحليل النفسى ، فى ذلك الوقت،علما ماديا فى الاساس، يقدم أرضا صلبة لنمو وقيام علم نفس ماركسى حقيقى • وظل الدكتور لوريا عضوا فى هيئة تحرير المجلة الدولية للتحليل النفسى حتى عام ١٩٣٠ ، وكان يعلن بوضوح « أن علم النفس الماركسى يجب أن يكون تحليليا » . وقد أخضع عددا من مفهومات فرويد للتحقق التجريبى فى بعض مؤلفاته •

غير أن آراء التحليل النفسى لم تجد الارض ممهدة أمامها بل كان لها أعداء أقوياء خاصة بعد رسوخ قدم بافلوف،وسرعان ما بدأتتفقدمكانتها، وعانى لوريا من الهجوم عليه فأنكر التحليل النفسى بل وهاجمه واتجه بعد ذلك الى مجالات أخرى أقرب الى الفسيولوجيا •

وقد ذكرت هذه اللمحة التاريخية لابين طبيعة موقف الماركسيين من علم النفس وكيف أن الموقف الفكرى ازاءه لم يكن مستقرا حتى عام ١٩٣٦ •

أما مفهوم التنشئة الاجتماعية الذى تهاجمه مقالة د • فرج احمد فرج فهو مفهوم علمى مائة فى المائة ، فلا يوجد أحد يستطيع أن ينكر أن عملية تنشئة الاطفال ، وتلقينهم القيم الاجتماعية والسلوكية المقبولة من مجتمعهم هى واحدة من أهم وظائف الاسرة وهى التى ينبنى عليها بعد ذلك توافق الفرد النفسى • وهى عملية تتم فى أمريكا مثلما تتم فى الاتحاد السوفييتى وانجلترا • المهم هو مضمون هذه التنشئة هل تشجع العدوان والمنافسة والاستئثار والتملك الانانى والقتل والتعصب •• الخ أم أنها تشجع التعاون والسلام والخير والحرية • ولا يظن أحد أن معنى هذا الكلام أنه لا يوجد خير أو حرية أو سلام أو تعاون لدى أبناء الشعب الامريكى •• كلا هناك صراع بين مختلف القيم ، وتتخذ كل أسرة وكل جماعة موقفها من مختلف القيم حسب طبقتها ، وحسب كافة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية المحيطة بها •

وأهم ما أثارته المقالة هو الاشارة الى الفروق الفردية وهى اشارة تنم عن ابتعاد كامل عن مفهوم الاشتراكية •

ففى ظل المجتمع الاشتراكى لا تتلاشى الفروق الفردية بين الافراد بل تزيد • فحيث تنمحى الفروق الراجعة الى الثروة والمكانة والطبقة تبرز الفروق فى المواهب والقدرات والاستعدادات الشخصية ، بل ويتسع أمامها المجال بحيث يمكن اكتشاف العلماء والباحثين والفنانين والموهوبين منذ الصغر وتكون مهمة المجتمع هى اعطاء كل فرد الفرصة لتنمية مواهبه بل ولكى يكون مختلفا عن الاخرين •

وأخطر ما جاء فى المقال هو القول باننا لا يحق لنا أن « ننقل عن الدول المتقدمة فكرا خرج فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحالى » وهى قضية تسىء الى كاتب المقال ؟• فماذا يريدنا أن ننقل ان لم ننقل عن الدول المتقدمة ما سبقتنا اليه من قرون ؟ أم لعله لا يريدنا أن ننقل شيئا على الاطلاق ونظل نرفل فى حلل الجهل والتأخر ؟ وما الضرر فى أن يتصدى هذا أو ذاك من الباحثين لينقل لنا فكرا مخالفا أو خاطئا ويتصدى له آخرون بالنقد بحيث يتضح أمام الجميع الخطأ من الصواب •

والحق أن المجال لا يتسع لمناقشة كل ما ورد من أفكار لا نتفق معها •• المهم أن القضية التى أود اثارتها وأدعو كافة علماء النفس لبحثها ومناقشتها هى •• مسألة المادية والمثالية فى علم النفس ••

المادية والمثالية فى علم النفس

ان الصراع الحقيقى بين المادية الجدلية والمثالية فى مجال علم النفس انما يرجع فى جوهره الى تعريف ماهية النفس ؟ هل هى شىء آخر فوق ما ينتج عن المخ ·· أم أن النفس هى نشاط يصدر عن المخ ·

■ **ميرلوبونتى ، ومصطفى زيور** ، لقد أجاب مصطفى زيور عن هذا التساؤل فى مقدمته للترجمة العربية لكتاب بوليتزير « أزمة علم النفس المعاصر » بقوله ·· « أما عن المادية فلست أرى أن على عالم النفس أن يختار بينها وبين المثالية ، من حيث أن المادية تنسب فى نهاية الامر الى اعادة القدرة على التفكير ، وفى اعتقادى أن ميرلوبونتى حسم الامر بالقياس الى عالم النفس فى هذا الصدد فى قوله فى كتابه « بناء السلوك » : طالما أننا نواجه سلوك الانسان « فى وحدته » وفى كليته فلسنا ازاء واقعة مادية ولا واقعة نفسية وانما نحن ازاء كل دال (حامل للمعنى) أى بناء لا يحق لنا نسبته الى العالم الخارجى ولا الى الحياة الداخلية .. ان الامر هنا أمر الواقعية بوجه عام ·· » ·

غير أن الامر لم يحسمه ميرلوبونتى فلا يزال الجدل دائرا حتى الان وسأحاول أن أعرض عدة صيغ نظرية قدمها المفكرون فى الشرق وفى الغرب لكى أبين أهمية التفات الباحثين لدراستها ·

■ **هنرى موراى** ، لدينا أولا هنرى موراى الأستاذ الامريكى الشهير وصاحب اختبار TAT يقول هذا العالم (والاعتماد هنا على النصوص الواردة فى كتاب نظريات الشخصية تأليف ليندزى وهول ترجمة فرج أحمد فرج وقدرى حفنى ولطفى فطيم « تحت الطبع ») ·

« يمكن تعريف الشخصية بيولوجيا بوصفها العضو المسيطر أو جهاز التنظيم العلوى للجسم ، وهى بذلك تستقر فى المخ بحيث أنه بدون المخ لا توجد شخصية » ·· « فطالما أن السلوك التوافقى المعقد يرتبط جميعه بوضوح باشارات فى المخ ، فان وحدة نمو الكائن وسلوكه لا يمكن أن يفسرا الا بالرجوع الى تنظيمات تحدث فى هذه المنطقة ·· ان لعمليات المخ أهمية خاصة لدى عالم النفس أكثر أهمية من تلك العمليات التى تحدث فى بقية الجسم » ·

وبرغم ذلك الاصرار على اعطاء الشخصية مستقرا فى المخ فاننا نجد أن موراى يعتقد أن عالم النفس ينبغى أن يشق طريقه مستقلا عن اسهامات علم وظائف الاعضاء وعلم الاعصاب ·· « فسلوك الشخصيات البشرية يقع على مستوى مختلف عن مستوى الظاهرة الفسيولوجية وهو لذلك ينبغى أن يدرس وان تصاغ التصورات الخاصة به دون انتظار علوم أكثر أساسية لتقديم صيغة كاملة » ·

■ **فيجو تسكى — لوريا ، وليونتيف** ، وفى الدراسات الحديثة فى علم النفس فى الاتحاد السوفيتى ، نجد أن البحث فى مجال علم النفس والشخصية يتركز الان حول سيكولوجية الكلام والتفكير ، وكان هذان الموضوعان قبل ذلك لا ينالان من الاهتمام ما يستحقانه · ويعود الفضل فى لفت الاهتمام اليهما الى العالم السوفييتى المعروف فيجوتسكى ومعاوناه **لوريا ، وليونتيف** اللذان جعلا من سيكولوجية الكلام والتفكير المفهوم الرئيسى فى سيكولوجية الشخصية · فقد وجدوا أن الكلام يحدد العمليات النفسية ليس فيما يمكن ملاحظته فحسب وانما فى أعمق أعماق العقل الانسانى كذلك · فالحديث « الظاهر » سواء كان منطوقا أو مكتوبا أو مقروءا أو مسموعا يمكن أن يتحول الى حديث « باطنى » صامت · وقد كشفت الاجهزة الالكتروفسيولوجية الشديدة الحساسية الحديثة والخاصة بتسجيل التيارات الحيوية Bio - Currents التى تسرى فى أعضاء الكلام ، أن الكلام غير المنطوق Subvocal هو نوع مخفف من الكلام المعروف · فعندما يقلب المرء فى ذهنه مشكلة ما ، أو يحاول أن يتذكر قصيدة من الشعر ، فانه يتحدث ولو أنه لا يصدر صوتا · ان الكلام عندئذ « يفرمل » . كما تم اكتشاف أن التفكير يصاحبه تهييج excitation معين لاجهزة التنفس (وهى جزء هام من جهاز الكلام) كالحنجرة وسقف الحلق واللهاة واللسان والشفتان · وأدت هذه الاكتشافات الى التعمق فى بحث سيكولوجية التفكير · فلا يوجد تفكير اذن دون حديث ولكن كيف يفكر الصم والبكم ؟ ·· المسألة بسيطة ·· فالصم والبكم لديهم ملكة الكلام ، ونحن نحول لغتنا الى اشارات عالمية باليد أو بالوجه ، ويتعلم الصم والبكم هذه اللغة مثلما يتعلم بقية الاطفال اللغة الصوتية · وجوهر المشكلة اذن يقع فى ترجمة نظام من الاشارات الى نظام آخر · وكما يحدث لدى الاسوياء فان الحديث المتوقف عند البكم يتحول الى حديث باطنى مختزل لا يمكن ادراكه بضريا ولكن يمكن اكتشافه بواسطة الاجهزة التى تسجل التيارات الحيوية ·

وتحويل الكلام الظاهر الى باطن هو أحد الاوجه فقط المتضمنة فى عملية

الانتقال من التعامل بين الاشخاص وبعضهم البعض interpersonal intercourse الى التعامل بين الشخص وذاته أى الى العالم الداخلى للفرد . ويستخدم فيجوتسكى تعبير الادماج internalization ليصف به هذه العملية . وهو يفترض حدوثها كالاتى : يسمع الطفل — مثلا — آمرا ما فيكرره ثم يقوم بتنفيذه ، وفى المرحلة التالية لا يكرر الامر بصوت عال ، وفى المرحلة الثالثة لا يحتاج الى حث اذ أنه قد جعل من الامر قاعدة لسلوكه .

ان من يهمل هذه الملاحظات والنتائج العلمية قد يلتقط الخيط من طرفه الاخير ، ويستخلص أنه بسبب من نزعات أو ميول طبيعية أو شخصية ، يستجيب الطفل لايحاءات وتعليمات معينة أكثر من استجابته لغيرها ، وينعكس هذا فى التعامل الصوتى مع من يلقنه • وهكذا ينقلب الامر رأسا على عقب •

■ **بياجيه** : ترتبط الافكار السابقة بأفكار علم النفس التكوينى عند بياجيه gentic psychology وهو علم النفس الذى يدرس ارتقاء ونمو الكلام والتفكير لدى الطفل • فقد قال **بياجيه** بأن تفكير الطفل وكلامه ينطلقان مما سماه بالتركز حول الانا egocentricity أو مركزية الذات أى من المناجاة المنعزلة بين الطفل ونفسه الى الاجتماعية socialisation بالتدريج • بينما يقترح الماركسيون كما هو واضح العكس تماما يتحول الحديث — الى مناجاة بين المرء ونفسه — وهى ما سموه بالادماج — تدريجيا » •

على أن بياجيه فى بحوثه الحديثة قد تنازل عن هذا الرأى جزئيا ، ويتخذ الانموقفا وسطا • وهو يشغل الان منصب أستاذ كرسى علم نفس الطفل وتاريخ التفكير العلمى فى جامعة جنيف • كما يعمل مديرا للمكتب الدولى للتربية التابع للامم المتحدة ، ومديرا لمعهد جان جاك روسو لعلوم التربية • وقد صدرت بحوثه فى علم النفس التكوينى تباعا فى المجلة المعروفة بأرشيف السيكولوجية archives de psychologie تحت عنوان بحوث فى تطور الادراك • وهو يدير المركز الذى أنشأه باسم المركز الدولى لنظرية المعرفة التكوينية ، كما ساعده عالم الذرة الامريكى المعروف روبرت أوبنهايمر مدير معهد الدراسات العليا بجامعة برنستون الذى لم يتردد فى التعاون مع علماء النفس ضمن قسم العلوم الرياضية •

وقد أردت من هذا التقديم الطويل نوعا لبياجيه أن ألفت النظر الى بحوثه التى لا يكاد يعرفها أحد فى مصر • وجوهر أعماله هو •• كيف يكتسب الطفل المعرفة ؟ وهذه العملية النفسية هى موضوع علم النفس التكوينى • وأهم بحوثه هى التى دارت حول دور الادراك الحسى perception فى اكتساب المعرفة • وهو يرفض الموقف التجريبى الامبيريقى الذى ينادى بدراسة النشوء التاريخى ولكن دون اهتمام بالصيغ والاشكال التى تتخذها المعرفة ، كما يرفض الموقف القبلى Apriori الذى يهتم بالصيغ والاشكال دون الاهتمام بالنشوء • ويقدم بدلا منهما تفسيرا للادراك الحسى تفاعليا وفاعلا interactionist & active • فصيغ وأبنية الادراك تتشابه مع صيغ الذكاء ويبدو ان هذه الاخيرة تلعب دورا فى تشكيلها وصياغتها بشكل قبلى سبق • وهو يدعم موقفه بالبحوث التجريبية العديدة التى تكشف أن جذور المعرفة لا يمكن أن تكون فى الادراك بل على العكس ان الذكاء النامى الذى ينشأ من النشاط الحسى الحركى هو الذى له يرجع وتأثير على الادراك وذلك من خلال الانشطة الادراكية التى تنشأ هى الاخرى فى النشاط الحسى الحركى •

■ **هنرى فالون** : وقد تعرض فالون من قبل الى هذه الظاهرة التى رأى أنها مفتاح فهم الشخصية والانسان بالتالى ، وهذا العالم معروف فى مصر وغير معروف لعلماء النفس . فقد ترجم كتابه الرئيسى « أصول التفكير عند الطفل » الى العربية ترجمة جيدة على يد اثنين من خارج علم النفس هما الدكتور محمد القصاص أستاذ اللغة العبرية والدكتور محمود قاسم أستاذ الفلسفة .

المهم ان فالون — الذى توفى من عدة سنوات — كان عضوا باللجنة المركزية للحزب الشيوعى الفرنسى وأستاذا فى السوربون • وله نظرية خاصة بتطور الذكاء والمعرفة لدى الطفل تتفق مع الاكتشافات الحديثة فى علم اللغة والسيمانطيقا semantics ، فهو يرى أن التفكير الانسانى يمتلك بنيانا خاصا به منذ اللحظة التى يظهر فيها • وقد حلل فى كتابه الضخم الذى أشرنا اليه نتائج اختباراته التى أجراها على التلاميذ فى السنتين الاوليين من المرحلة الدراسية الاولى — وهى تشبه اختبارات الفهم فى اختبارات الذكاء المعروفة — ويتلخص جوهر اكتشافه فى أن المكون الاساسى — أو ما يمكن أن نقول عنه أصغر أجزاء المادة — للفكر هو التكوين الثنائى binary structure وليس العناصر المفردة التى يتكون منها . ومعنى ذلك أن الثنائية تسبق الوحدانية •

ولابد لشرح هذه الفكرة من عرض شىء من علم

اللغة . فمن المعروف أن أبسط أجـزاء الكلام الواعى هو الفعل (فعل الكلام) الثنائى ، أو الزوجى • اذ لا يوجد فى الكلام العنصر الواحد ، فالحديث المكون من عنصر واحد قد يغير من معنى الكلمة أو اللفظ ولكنه غير كاف لان يكون حاملا للمعنى اى ببساطة الكلام ذوالمعنى يوجد دائما فى أزواج •

وهكذا يقول فالون ان أى مفهوم عام يمكن اختصاره الى أزواج بسيطة ، وهذا هو ما لا حظه فى تجربته الكبرى • ولكنه يلفت النظر أيضا الى أن هذا البنيان هوالحد الادنى لتدهور التفكير لدى البالغين ، وفضلا عن ذلك فانه يمكن ملاحظتهفى بعض الاضطرابات العقلية • ويذهب فالون الى أن هذا التكوين للازواج لا يشمل ارتباط الاشياء او العبارات ببعضها البعض عن طريق التشابه او التقارب او التضاد ، فالطبيعة المنطقية لهـذه الازواج هى أنها [illegible]ية اى أنها ليست ثنائية وجوهرها هو الربط فهى تعمل عمل الجسر بين الضفتين ، والزوج هو بالدقة البنيان الذى لا يمكن ادراك أو تمثيل العناصر المرتبطة بـواسطته بمفردها وخارجة عنه • أما العملية النفسيـة المتضمنة فىهذا التكوين فمازال على علماء النفس أن يفسروها •

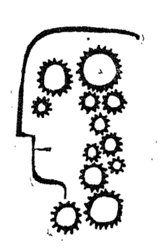
ويعلق بورشنيف فى كتـابه « علم النفس الاجتماعى والتاريخ » موسكو ١٩٧٠ على هذه المشكلة نفسها فيقول ان الفسيولوجيا أيضا لم تجـــد حـــلا لهـذه المشـــكلة . . فهذه العمليــة العقــلية المعـروفة باســم الــربط الثنائى binonial combination فى المنطق التكوينى هى شىء مختلف كلية عما يسميه علماء الفسيولوجيا بالفعل المنعكس الشرطى أو الارتباط المؤقت • فالعناصر المرتبطة فى هذا الربط الثنائى قد ترتبط بعلاقة موضوعية وقد تكون بعيدة عن بعضها كل البعد أى قد ترتبط بطريق السخف او « اللامعنى » وهو نتاج ممكن وخاص بالعقل الانسانى فقط » •

والشىء الواضح فى كل هذا الامـر أن ميكانيزمات الكلام واللغة والتفكير والسخف لم تنشأ فى العقل الانسانى الفردى ، اذ لا يمكن استخلاصها من تطور وظائف الجهاز العصبى المركزى للكائن الانسانى المفرد انها نتاج للتفاعل بين الافراد ، وفى التحليل النهائى نتاج للعلاقات بين المجتمعات والجماعات وليس الافراد •

ان هذا العرض الموجز لبعض الافكار الاصيلة لمفكرين من الشرق والغرب حول طبيعة النفس الانسانية ، والشخصية ، والتفكير وعلاقة ذلك كله بالاطار الاجتماعى للانسان من نـاحية والفكر الجدلى من ناحية أخرى ومقارنتها بالفكر النظرى لعلم النفس فى مصر تبين فورا مدى تخلـف الباحثين فى مصر عن مواكبة التطور فى هذا المجال •

اننا فى أشد الحاجة لفتح كل نوافذ الفكر والنظر الى كافة الاراء بعقلية متفتحة ناقدة ولن يؤدى ضيق الافق والجمود الا الى التهلكة .

ان قضايا تطور المجتمع والصراع الطبقـى وقضايا الانسانوالسلوك وعلاقة الاثنين ببعضهما البعض تشكل تحديا خطيرا للباحثين فى العلوم الانسانية عليهم مواجهته وايجاد حل له .







● الجمهورية العربية المتحدة ●

خطـــوات حـــاســمة
فى مشروع كهربة الريف

● الســـــودان ●

شـــتاينر ** وأهــداف
نشـــاط المـرتـــزقـــة

● الـــــكويت ●

تطـــورات هـــامــة
تعكســـها الانتخـــابات

● الهند الصينية ●

غـــــزو لاوس **
وتنبـــؤات كـيـــاوكى

● العـــالم الغربى ●

مـــوجـــة اضرابـــات
تجتاح العالم الرأسمالى

● الولايات المتحدة ●

أبوللـــو ١٤ وبرنـــامج
الفضـــــاء الامريكى

الجمهورية العربية المتحدة

خطوات حاسمة في مشروع كهربة الريف

أعلن المهندس **حلمي السعيد** وزير الكهرباء انه قد تم الاتفاق مع الاتحاد السوفيتي على توريد أول دفعة من المهمات اللازمة لمشروع كهربة الريف اعتبارا من أول يونيو القادم ، وقال أن هذه الخطة تتضمن كهربة ٥٥٠٠ تجمع سكني من القرى والعزب والكفور والنجوع في ١٦ محافظة . وقد تقرر انشاء هيئة عامة لكهربة الريف تتولى تنفيذ المشروعات ثم تسليمها الى مؤسسة الكهرباء باعتبارها المسئولة عن الادارة والتشغيل والصيانة •

بهذه الخطوات تتحدد الملامح الجديدة لمشروع كهربة الريف بعد أن تقرر أن يتم تنفيذه من خلال التعاون العربي ــ السوفيتي الذي أرسى السد العالي دعائمه القوية في مجال التصنيع والبناء •

ويمكن اجمال هذه الملامح الجديدة فيما يلي:

أولا : أن التنفيذ سوف يتم على أساس كهربة تجمعات سكنية قروية دفعة واحدة ، بحيث لا يمر أحد خطوط الكهرباء على قرية الا وتتم كهربتها مع كل مجموعة القرى التي يمر عليها مما يؤدي الى تسهيل كبير في عمليات التنفيذ وتقليل من نفقاته كما يزيل شكوى عارمة ظلت تعم بعض القرى التي كانت ترى الخطوط تمر عليها وتتخطاها لكهربة قرية أخرى •

ثانيا : أن التنفيذ يشمل لاول مرة أنارة العزب والكفور والنجوع منذ البداية بعد أن كانت الخطط السابقة تقتصر على انارة القرى فقط في المراحل الاولى •

ثالثا : تم حسم قضية الهدف من كهربة الريف وهل هو الانارة فقط أم التصنيع أيضا وذلك بتقرير تعميم الخطوط قوة ٣٨٠ فولت اللازمة للقوى المحركة الى جانب الخطوط قوة ٢٢٠ فولت اللازمة للانارة • وهو قرار له مغزاه بالنسبة لمستقبل الريف المصري كله • ولقد ظلت هذه القضية بالذات مجال أخذ ورد طويلين • وكان هناك مفهوم اقتصادي يؤثر استخدام الطاقة المتولدة عن السد بكاملها في مشروعات تصنيع تعود آثارها بشكل غير مباشر على الريف وذلك يخلق المزيد من فرص العمل بدلا من تبديدها في مشروعات لا ينتظر منها تحقيق فائض سريع يسهم في خطة التنمية • الا أن هذا المفهوم لم يعش طويلا بعد ما تبين وجود فائض ضخم من الكهرباء يحققه السد العالي الى جانب الاهمية الاجتماعية ــ التي يجب أن تأتي في المرتبة الاولى ــ لان يبدد السد العالي جيوش الظلام التي تخيم على قوى أولئك الذين حفروا أنفاقه وركبوا تربيناته ودافعوا ومازالوا يدافعون عنه •

رابعا ــ أنه بعد أن كانت الخطة السابقة تعتمد في حوالي ٧٠٪ من تمويلها على مواطني القرى (باستقطاعها من عائد التحسين للجمعيات التعاونية الزراعية الى جانب التبرعات) فان الخطة الجديدة تعتمد على تمويل متصل من الاتحاد السوفيتي ، وسيقتصر اسهام المواطنين على العمل دون النفقات •

خامسا : أنه تقرر لتنفيذ المشروع خمس سنوات فقط بعد ما كانت التقديرات السابقة تحدد ما بين عشر وخمسة عشر سنة للتنفيذ •

ان مشروع كهربة الريف واحد من المشروعات الكبرى والتي تمس بشكل مباشر حياة الغالبية العظمى من شعب ج ٠ ع ٠ م ٠ ويقدر الخبراء تكاليف مشروعات الانارة وحدها بحوالي ١٢٠ مليون جنيه ، ستزداد عن ذلك بكثير بعد أن تقرر بشكل حاسم امداد القرى بخطوط القوى المحركة •

وتؤكد خبرة التنفيذ المستخلصة من العمل السابق في هذا المجال ، أن مشروع كهربة الريف يمكن أن يكون مجالا واسعا لتحريك الطاقات الشعبية في الريف • فهناك أجزاء ليست بالقليلة من المشروع لا تحتاج لمهارات فنية عالية ويمكن أن يتم تنفيذها بالتطوع من قبل الفلاحين ووحدات الاتحاد الاشتراكي ، ومن المهم والضروري استكمال الدراسة الفنية للمشروع بدراسة اقتصادية واجتماعية تستجلي الآثار العميقة لكهربة الريف على حياة الفلاح المصري وعلى تطور الريف المصري ونصيبه من خطة التنمية •

●

فن تشكيلي

بداية الموسم بين الوحدة والتنوع

اثنا عشر معرضا أقيمت في القاهرة والاسكندرية خلال الشهر الماضي تنوعت بين التصوير والحفر والنحت والخزف والطباعة الفنية والباتيك ، فكانت بمثابة استعراض لوجه الفن المعاصر في الداخل والخارج ، وقد لوحظ فيها جميعا اختفاء الصفة التقليدية والاكاديمية المعروفة ٠٠ ، بل ان بعضها اتجه الى التجريدات

الكاملة ، حتى فى فن الخزف الذى اعتدنا على مشاهدته على شكل أطباق وأوان .

قاعة أخناتون

أقامت المصورة **انعام الشاهد** معرضها الفردى الثانى، فقدمت ٥٢ لوحة من أحجام مختلفة اتجهت بها الى التجريد التعبيرى المستلهمة موضوعاته من رحلات الفضاء والقضايا القومية والتفاعلات الانسانية ، تميزت التشكيلات بمزيد من العفوية وبالوان كثيفة وملامس الكهوف التى اشتهرت بها الفنانة فى معرضها الاول فى العام الماضى ، كما اتسمت اللوحات بطابع درامى يسمح للمشاهد باكتشاف العلاقة بينها وبين الاسماء التى حددتها الفنانة .

ومن الجدير بالذكر أن انعام استطاعت خلال عام واحد أن تفسح لنفسها مكانا فى الحركة التشكيلية المعاصرة فى مصر .

أتلييه القاهرة

صبرى السيد . . المدرس بكلية الفنون التطبيقية قدم فى معرضه الفردى الثانى ثلاثة أساليب من التشكيلات الفنية : **طباعة على القماش .. وطباعة على الورق .. وتشكيلات بطريقة الباتيك** ،ومن المعروف أن الباتيك هو فن التشكيل على القماش بطريقة الصباغة المتتابعة مع استخدام طبقة من الشمع فى كل مرة ، وتميزت تشكيلات صبرى فى هذا الميدان بالتشخيصات المحورة والتكوينات الدرامية مع الاعتماد على التلقائية التى تسفر عنها عمليات التغطية الشمعية المتتالية التى ساعدت على اضافة نوع من التعبير التجريدى ، أما الاقمشة المطبوعة والاوراق المطبوعة بطريقة الشاشة الحريرية فقد اعتمد فيها الفنان على الوحدات التجريدية المنتظمة المكررة أو الموزعة بأسلوب الفن البصرى ، مع مزيد من البساطة التكنيكية .

قاعة مركز الدبلوماسيين الاجانب

أقام المصور المتفرغ **رفعت أحمد** معرضه الفردى الخامس عشر ، وقدم فيه عشرات اللوحات من المقاسات الصغيرة الصالحة للاقتناء الشخصى، استند فى تصويرها الى أسلوبه التعبيرى المعروف وموضوعاته الشعبية المستقاة من الريف بعناصره التى يتميز من بينها الحصان ، اتجه فى بعض حركات الاشخاص الى الطابع الفرعونى وملامس الكهوف الشائعة بين المصورين المحدثين .. مع تأثيرية عامة خالية من التدرجات اللونية أو التنقيطية ، استخدم الفنان الالوان الزيتية فى بعض اللوحات بأسلوب الالوان المائية حتى ظهرت شخصياته سابحة فى سماء من السحب الحمراء، وأضاف الى معرضه مزيدا من نتائج تجربته الجديدة حول استخدام الحروف العربية فى تشكيلات تعبيرية .

قاعدة متحف الفنون الجميلة بالاسكندرية

خمس وخمسون لوحة زيتية من الاحجام الكبيرة قدمها المصور **أحمد فؤاد سليم** لجمهور الاسكندرية ، عرض خلالها مجموعات من أعماله السابقة التى أبدعها قبل أن يتجه نحو التجريد الذى اكتسبت به لوحاته الحديثة ، استند فى « تجريده » على التنظيمات الهندسية وشبه الهندسية مع ميل الى الرمزية والاصطلاحية .. والمعادلات الحسابية مما جمع فى ابداعه اتجاهات الفن البصرى والتجريد الرياضى للهولندى « موندريان » . أما بعض الملامس فتظهر عفويا كنتيجة لتلقائية الخامة ، وأسلوب استخدامها .

قاعة المركز الثقافى التشيكوسلوفاكى

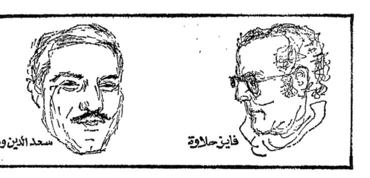
أقامت « **جماعة براتسلافا** » الفنية المعروفة باسم « **دييلو براتسلافا** » معرضا للفنانين السلوفاكيين من مختلف التخصصات بلغ مجموعهم ٣٦ فنانا ، قدموا ٧٠ عملا تشكيليا استخدموا فيه مختلف الاساليب الفنية ، كما تنوعت خاماتهم بين الخزف والزجاج والخشب والبرونز والتمبرا والزيت والاكواريل والباستيل والليتوجراف والطباعة بالافلام، واستخدام بعضهم تكنيكات منوعة فى عمل واحد مثل الفنان : **نيمتشك جوليوس** . ومن الجدير بالذكر أن أعمال هذه الجماعة استهدفت الابداع النفعى والتجميلى فى وقت واحد فجاء المعرض تجسيدا لفكرتهم عن أن الفن فى المجتمعات الاشتراكية يتضمن القيم الفنية الخالصة والقيم الاجتماعية أيضا ، وتنوعت المعروضات بين الاوانى والميداليات والشمعدانات .. ولوحات التصوير والحفر التى اشتملت على كل من الاتجاهات التجريدية المعاصرة والتعبيرية التقليدية .

قاعة معهد جوتة

معرض الطباعة الفنية والحفر لفنانى ألمانيا الغربية ، اشترك فيه ١٢ فنانا بتقديم ٧١ لوحة من المقاسات المتوسطة ، استخدموا فى ابداعها تكنيكات الشاشة الحريرية والالياف الصناعية واللاينو والحفر على المعدن ، مع الاعتماد ـ احيانا ـ على أنواع خاصة من الورق ذات ملامس تساعد على تكامل التشكيل ، تميزت جميع اللوحات بدرجة عالية من الحرفية ، مع تنوع الموضوعات والاتجاهات الفنية ، حيث ظهرت جنبا الى جنب اتجاهات ، التعبيرية والايضاحية والرمزية والتجريدية الهندسية واللاهندسية ، بالاضافة الى فن « **البوب** » المساير لثقافة الجمهور العادى ، أما فى الموضوعات فتوزعت بين الطابع الانسانى الحسى والطابع العقلانى الخالص ، ولم تظهر فى اللوحات عامة تكنيكات تتسم بطابع الاكتشاف الجديد .

●

تقرير شامل عن الموسم المسرحى



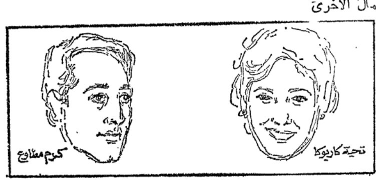
الزهور تتفتح وسط الأعشاب السامة

بالرغم من الضباب الكثيف الذى يغطى المناخ المسرحى فى بلادنا بظلامة حالكة من تهريج القطاع الخاص الى هرولة المخرجين الكبار وراء الانتاج الرخيص الى حالة التفكك فى مؤسسة المسرح .. فان الموسم الحالى قدم زهورا قليلة يانعة وسط كل هذه الاحراش ، فى مقدمتها مسرحية « الجنس الثالث » ليوسف ادريس و ((أنجولا)) أو ((الغول)) لبيترفايس » و « ياسين ولدى » لفايز حلاوة وعبد الرحيم منصور .

ولعل الالتفاف الجماهيرى الحار حول المسرحيتين الاخيرتين يؤكدان الوعى السياسى يتعاظم لدى العاملين فى الحقل المسرحى والمشاهدين على السواء . غير أن الظاهرة تؤكد من زاوية أخرى أن الابنية التقليدية للمسرح لم تعد هى سيدة الموقف الدرامى فى بلادنا خلقا وتذوقا . حتى الاعمال التى استترت فيها النبرة السياسية بأردية كثيفة من عصور خلت مثل « يا سلام سلم الحيطة بتتكلم » ، أو من جو الفانتازيا الحافل بالخوارق مثل « الجنس الثالث » فانها قد تخلت عن الكثير من مقتضيات الدراما التقليدية ولجأت الى « الراوى » كما هو الحال عند سعد الدين وهبة ، والى الفانوس السحرى ورقصات الباليه كما هو الحال عند يوسف ادريس .

وليس هذا انقلابا فى المسرح المصرى ، فلقد سبقت تجارب هذا الموسم محاولات الفريد فرج وميخائيل رومان ورشاد رشدى فى المواسم السابقة .. ولكن الجديد هو هذه التفرقة المفتعلة التى انتهجها البعض فى تقييم « الغول » و «ياسين ولدى» على نحو مختلف عن تقييمهم « للجنس الثالث » و « يا سلام سلم » . ذلك أن منهج التأليف والاخراج والتمثيل فى المسرح السياسى لا يعد « خروجا على الدراما » الا

بنفس القـدر الذى نعتـبر فيه الاعمال الاخرى « خارجة » على الدراما .



ولكن يبدو ان الخط السياسى الذى نبرزه « الفول » أو « ياسين ولدى » هو ما يدعو البعض الى اتهام هذه أو تلك بالتقريرية والمباشرة والهتاف، أما اذا كان الحب أو الارادة محورا دراميا للاحداث ، فان أغلب المعلقين ــ الصحفيين خصوصا ــ سرعان ما يجنبوا العمل المسرحى قسـوة الاتهام بالخروج على التقاليد الدرامية الاصيلة .

ان أحدا لم يتهم « بين النهدين » ـ على سبيل المثال ـ بأنها مسرحية تقريرية ، وانما قـال معارضوها ، وهم أقلية ، انها مسرحيـة هابطـة أخلاقيا ، وقال مؤيدوها وهم الاكثرية ، أنها تلبى رغبات الجماهير !! هذا ، على الـرغم من أن قضية « الجنس المكشوف » هى آخر القضايا التى يجب مناقشتها ونحن بصدد هذا العمل . وبالرغم من أن أحدا من هؤلاء لم يتوقف عند جماهيرية مسرحية أخرى مثل « الفول » .

ان « بين النهدين » لا تخضع لاى تقييم درامى حقيقى ، لانه لاعلاقة « فنية » بينها وبين روح الفن مهما تجسدت فى أزياء قديمة أو حديثة .. وانما هى ـ وان اتخذت شكل التهريج الجنسى المبتذل ـ فانها لا تتخلى عن مضمون سياسى بالغ الوضوح : فها هى ذى الطبقات الشعبية تبدو وكأن لا هم لها الا مشكلة « الجنس » ما دام « العجز » من جانب رجالها و « الرغبة العارمة » من جانب نسائها هى الشغل الشاغل الذى نسجـه المـؤلف « محمود السعدنى » بذكاء شرير من خيوط الطموح الى الهجرة الى مملكة بين النهدين واستيراد السلـع الاستهلاكية المبهرجة . بينما يتربع أبناء وبنات الطبقة الجديدة على عروش المتفرجين ، يقهقهون من الاعماق على « الحقيقة المقلـوبة » أمـام عيونهم !! فالطبقات الشـعبية لا تعـانى من الجنس ـ العجز عنه أو الرغبة فيه بقدر ما تعانى من أنياب أولئك الذين يضحكون ملء الافواه ، أولئك الذين يهاجرون ويستوردون ويقتاتون عـلى فضائح الجنس ومقوياته .. لشغل الفراغ بأكثر ألوان الترف شذوذا .

وهو جمهور يختلف عن جمهـور « الفـول » الاستعمارى الذى يلتهم أنجولا وفلسطين وكمبوديا ولاوس، لان القضية التى يطرحها بيتر فايس على مسرحه الوثائقى أكثـر التصـاقا بمشـكلات هذا « الشعب » الحقيقية .. وبالرغم من لغـة الارقام ولغة الحقائق السياسية والاجتمـاعيـة المجردة ، فقد استطاع بيتر فايس أن يصوغ هذا التجريد فى اطار العلاقات الانسانية الحية، تمكن من حل المعادلة الصعبة فى كل عمل فنى صادق وأصيل ، معادلة الحق والخير والجمال .. وهى معادلة قديمة قديمة جديدة جديدة ، ولكن حلها المعاصر الذى يجسده المسرح التسجيلى يجابه فى شجاعة مؤسسة النفاق الاجتماعى العالمية التى ترى فى ألفاظ الحب والجنس صورا شعرية جميلة ولا ترى فى شعارات العدل الاجتمـاعى الا التقريرية والمباشرة . ان الترجمة الامينة الدقيقة التى وهبها الدكتور يسرى خميس حسه الشعرى الرهيف ومعرفته الواسعة بالمسرح التسجيلى عامة وأدب بيتر فايس خاصة ، وكذلك الصياغة العامية المصرية التى منحها الشاعر فؤاد حداد أعمق طاقاته المبدعة .. أتاح هذان العنصران للمخرج الشاب أحمد زكى بمعاونة الفنان شوقى خميس والمخرج المساعد فهمى الخولى أن يتكامل هذا العمل فى أكثر مواضعه .. وبخاصة تلك المواضع التى أجادت فيها التمثيل ليلى سعد وسناء يونس ومديحة حمدى .

يختلف الامر قليلا بشأن « ياسين ولدى » لان العمل فى أساسه « أوبريت غنـائى » وليس مسرحا .. وبالتالى فلقد كانت أولى المشكلات التى أظنها واجهت العاملين فيه هى الحيز المكانى لخشبة المسرح حيث أنها لا تتسع انطلاقا للاوبريت . ومن ثم كان « الازدحام » هو الطابع المميز للاخراج والتمثيل معا . والاوبريت ليس تأبينا للرئيس الراحل ـ كما يبدو لاول وهلة ـ بقدر ما هو متابعة لالام مصر وأحزانها عبر تاريخها الحديث . ولعل الفصل الاخير كان أكثر الفصول الثلاثة « درامية » وأقربها الى تكنيك فايز حلاوة فى التأليف . على ان الفصلين الاولين ـ من جهة أخرى ـ يعود الفضل الاكبر فيهما الى شاعر العامية المصرية الاصيل عبد الرحيم منصور . ان هذه القضية التى مر عليها البعض مرورا عابرا تستحق الالتفات ، لان الامر هنا ليس « صياغة

شعرية » وانما هو خلق فنى كامل • ربما كان الفضـــل الاول لفايز حلاوة هو التخطيط العـــام للاوبريت ، ولكن عبد الرحيم منصور هو الذى ملاه حياة وحرارة باللحم والدم • ولم تكن تحية كاريوكا فى أحسن أحوالها ، ولكن المرء لا يسعه الا أن يحنى الرأس اجلالا لهذه السيدة التى وقفت وراء هذا العمل الهام •• فالنقلة التى يشهدها مسرحها هذه الايام تعبر عن ايمان عميق برسالة المسرح الاساسية رغم كل الصعاب التى تلقاها الفرقة الخاصة « غير المبتذلة » . ان غناء عفاف راضى وتمثيل أحمد عبد الحليم وفايز حـلاوة واخراج كرم مطاوع كفل الحد الادنى من النجاح الفنى لهذه « المظاهرة الوطنية » •• على النقيض من تمثيل سناء جميل وعبد السلام محمد واخراج سعد أردش ل « بين النهدين » فقد أضفوا عليها بأسمائهم ما لا تستحقه وما يجرد هذه الاسماء من قيمتها .

ولا ريب أن الكثيرين أصيبوا بدهشة بالغة حين توجهوا الى « الجنس الثالث » ليشاهدوا اخراجا لسعد أردش يختلف تماما عن اخراجه فى « بين النهدين » •• ذلك أن الاخراج رسالة فنية وسياسية لا تقل خطورة عن التأليف ، واذا كان النقد يحاسب المؤلف على « اختياره » لهذه القضية أو تلك ، فان يحاسب المخرج بنفس القدر على اختياره لهذا النص أو ذاك • وسعد أردش حين يخرج « الجنس الثالث » و « بين النهدين » فى وقت واحد ، انما يدلل على فساد المعايير واختلاط القيم اكثر كثيرا مما يؤكد على قدرة المخرج وبراعته •

ولقد تعرضت « الجنس الثالث » لسوء الفهم أحيانا ، لا بسبب صعوبتها الفكرية ، وانمـا لمبالغات الاخراج التى تدخل فى باب « استعراض العضلات » أكثر من دخولها فى باب التجديد •



خـــزف مصرى معـــاصر

بعد ٣٥ عاما من الابداع الخـزفى المتواصـل ، بدأ محمد الشعراوى عبد الوهاب مرحلة جديدة من التشكيلات الخزفية ، وأقام معرضه الثانى فى القاعة « ١٠١ » بالجامعة الامريكية ، الا أن هذه المرحلة ليست جديدة بالنسبة للفنان فقط ، بل أيضا بالنسبة للخزف المصرى المعاصر بوجه عام ، فقـد ابتعـد الشعراوى تماما عن دولاب الخزف وعن كل ما يمت للاشـكال التقليدية بصلة ، لا أوانى •• ولا أطباق •• ولا عرائس •• ولا أشكال تراثية تقليدية كلاسيكية ، واذا كانت هناك ثمة علاقة بينه وبين الخزف التقليدى فهى علاقة الخامة والدراية التكنيكية وأسرار الصنعة ، أما التشكيلات الخزفية ، فقد دخل بها الشعراوى عالم الخزف المعاصر جنبا الى جنب مع فنانى تشيكوسلوفاكيا والمجر وغيرهم من خزافى أوروبا ، دخل عالم الاشكال والالوان والمضامين التجريدية والرؤى الفنية •• ذلك العالم الحالم الرائع الذى ظل موصداً من دون الخزف المصرى المعاصر منذ بدأت النهضة الخزفية منذ ٤١ عاما بين يدى خزافنا الرائد : سعيد الصدر •

ان التشكيلات التى أبدعها الفنان كائنات موجودة فى حياتنا •• تجمع بين ماديات خيالاتنا وابتكاراتها المبهمة فى مزيج مثير لمشاعرنا وأفكارنا وعواطفنا الانسانية ، تلك الكائنات الغريبة التى امتلات بها القاعة « ١٠١ » كائنات خاصة بالفنان •• هو خالقها •. وهـو الذى أودعهـا ذاتيتـه ، مع نـوع من « الاوتونومية » جعلهـا مفعمة بالحياة تصـدم الذواقة بطاقتها التشكيلية ، حتى ليتصور أنها قادرة على الحركة فى أية لحظة ، لكنه يستطيع رغم كل ذلك أن يلمس فى كل قطعة نوعا من الالفة يرجع الى ما تحمله من ملامح التاريخ الطويل الذى سجله فن التعبير الخزفى الانسانى عبر العصور •• كما يلمس شخصية الفنان نفسه : العاطفية •• الانفعالية •• الصادقة ، وتمكنه من خامة التعبير وكيفية معالجتها ، من هنا نستطيع أن نؤكد ـ باطمئنان ـ أن لدينا خزفا قادرا على أن يخرج الى معارض العالم : ناقلا رسالة شعب أصيل الوجدان •• معاصر الثقافة •• ومعاصر الابداع •

تتميز أعمال الشعراوى بالطلاقة : طلاقة الادراك •• وطلاقة التعبير •• وطلاقة الاشكال والالوان ، فرغم أن معظم تشكيلاته تجريدية الطابع ، استطاع أن ينوع أسس تصميماته وتكويناته المعمارية ، كما نجح فى تقديم علاقات متزنة متكاملة بين الكتلة والفراغ والشكل والملمس واللون •

والواقع أن تاريخ الخزف فى بلادنا عريق يضرب بجذوره الى آلاف السنين ، لكن تياره انقطع تحت وطأة القهر العثمانى الذى حاصر الحضارة العربية ومنعها عن المضى فى طريقها ، وأطفأ شعلتها قبل أن تأخذ مداها ، وكان السبب المباشر فى كل ما نعانيه من التخلف الحضارى حتى الان ، لقد توقف تطور فن الخزف منذ مئات السنين فى بلادنا حتى مطلع القرن العشرين ، حين عاد من انجلترا الفنان الشاب : سعيد الصدر ، وعلى مدى ٤١ عاما استطاع الصدر أن يصل ما انقطع ويبعث الحياة فى فن الخزف المصرى على أسس من التقاليد الكلاسيكية : التكنيكية والتشكيلية •• الفرعونية والقبطية والاسلامية ، حتى لفت الانظار فى المحافل الدولية بأبحاثه وابداعه ، وكان محمد الشعراوى باكورة تلاميذه منذ ٣٥ عاما ••

كل الخزافين الان تلاميذ سعيد الصدر : نبيل درويش صاحب المعرض الرائع الذى شاهدناه فى الموسم الماضى ، ومحمد طه حسين •• صالح رضا •• حسن حشمت •• قدرى نخلة •• جمال عبود •• أحمد الحنفى •• وغيرهم ، انه باعث النهضة الخزفية فى بلادنا •• العارف بأسرار الاساليب المختلفة ومكتشفها من جديد .. المعلم الرائد الذى مازال ينفق ايامه ولياليه فى معمله الخاص فى الفسطاط ، فاذا كان محمود مختار رائد النحت الحديث ، ويوسف كامل وأحمد صبرى رائدا التصوير فسعيد الصدر هو رائد فن الخزف الحديث فى مصر ، الا أن معظم تلاميذه ـ ما عدا الشعراوى ونبيل درويش وحسن حشمت ـ قد اتجهوا الى فروع أخرى من الفن التشكيلى كالتصوير والحفر والنحت ، ومحمد الشعراوى هو الذى سار على درب أستاذه ٣٥ عاما فى اخلاص كامل قبل أن يقدم الينا هذه الطفرة التى تحدد معالم مرحلة جديدة فى خزفنا المصرى المعاصر ، وتفتح الباب أمام الخزافين الشبان نحو عوالم التشكيل الخزفى •

مختار العطار

فالنص الحرفى للجنس الثالث يخلو من الغموض تماما ، بل لعله كان تقريريا فى بعض المونولوجات. والاهمية الحقيقية لهذه المسرحية ـ وقد تجاهلها معظم النقاد ـ هى انها تحل عقدة فى سياق التأليف المسرحى ليوسف ادريس .. ذلك أن « جمهورية فرحات » و « ملك القطن » كانت بداية ونهاية فى طريقة الواقعى، ثم جاءت « الفرافير » تجسيدا لعنفوان الازمة الفكرية التى مر بها ، والتى مالت به حينا الى جانب الفوضوية وحينا آخر الى جانب العدمية .. هكذا كان فى « المهزلة الارضية » و « المخططين » .. ولكنه فى « الجنس الثالث » أبرق لنفسه ولنا بومضة أمل فى الوصول الى شاطىء الامان ، ومن اليسير طبعا أن ندرج هذه الفكرة أو تلك من الاعمال المسرحية على مر التاريخ فى خانة الفلسفات المعاصرة لها أو السابقة عليها ، ونقول أن الكاتب المسرحى لم يأت بجديد . غير أن الابتسار الفكرى للعمل المسرحى يحرمه ويحرم جمهوره من أعظم أسراره التى تحتوى الفكرة ولكنها تحولها الى شىء بالغ الجدة هو « الرؤيا الفنية » للكاتب ، وهى شىء مختلف تماما عن الفكر النظرى المجرد . على ذلك يسقط القول بأن أفكارا وخواطر فى « الجنس الثالث » لا تزيد عن كونها أفكار بعض الفلاسفة فى القرن الماضى .. ذلك أن كثيرا من الافكار والقضايا تتخذ صفة الديمومة فى كل العصور، ولكن الكاتب يضفى عليها منوجدانه وثقافته وخبراته الاجتماعية ما يجعلها بنت العصر والمجتمع الذى يعيش فيه . وهذا بالضبط ما حاوله يوسف ادريس وأعتقد أنه نجح فيه ، فقد غاص من جديد فى مشكلة الارادة والموت والحب، وحلق بنا فى آفاق الفانتازيا العلمية، وصاغ لنا فى النهاية ما يمكن تسميته بالاسطورة الحديثة التى ترفض الخرافة كما ترفض أن يكون ثمة جنس ثالث فيه خلاصنا .. وانما نحن السبب ونحن النتيجة ، والبشرية بكل آلامها ومنغصات وجودها هى القادرة على تخليص جوهرها من شوائب الزمن .

على غير هذا النحو كانت مسرحية **سعد الدين وهبة** التى جاءت حلقة فى سلسلة الاعمال المقنعة بأردية العصر المملوكى لتقول شيئا خاصا بنا .. أنها ليست خطوة للامام ولا انتكاسة للوراء فى خط سير المؤلف الذى كرر هو وبعض زملائه هذه « الثيمة » عن الحاكم وحاشيته والمحكومين وقدرهم .. بل لعل « سبع سواقى » كادت تقول شيئا اكثر أهمية رغم سرعة المعالجة الدرامية وبقائها اسيرة النص المكتوب ، حتى أنها لم تر أضواء المسرح الى الان .

غير أن هذه الاعمال القليلة ، والتى تنمو فى



مناخ غير صحى ، تتطلب الرعاية الفائقة من مؤسسة المسرح التى تولى **محمود أمين العالم** رئاستها منذ فترة وجيزة .. فالجميع يتطلعون الى اجراءات اكثر حسما ، لان الاعشاب السامة قادرة على اغتيال الزهور القليلة ، ولن نستطيع بطبيعة الحال أن نطلب من هذه الزهور أن تتحمل ... فوق طاقة البشر .

غالى شكرى

•

■ **أدب**

محمود درويش فى القاهرة

كانت مفاجأة للجميع حين أذاعت « صوت العرب » ونشرت « الاهرام » نبأ وصول **محمود درويش** أحد الشعراء البارزين فى الارض المحتلة الى القاهرة . وكان الباعث الاول للمفاجأة هى أن القيمة الرئيسية لشعر محمود درويش **وتوفيق زياد وسميح القاسم وسالم جبران** يستمدونها من المناخ الارهابى المتعصب الذى يعيشونه فى « اسرائيل »

ويصرون على النضال من داخله بهدف تغييره • وقد سبقت وصول محمود درويش بفترة طويلة معركة عنيفة بين النقاد العرب حول تعريف شعر الارض المحتلة : هل هو شعر مقاومة أم أنه شعر معارضة . وكادت القضية فى بعض الاحيان أن تتحول الى محاجاة لفظية ، ولكنها من ناحية أخرى أثارت بعض المشكلات الفنية والفكرية الهامة التى كان محمود درويش نفسه قد بدأها بمقاله الشهير « **ارحمونا من هذا الحب القاسى** » على أثر موجة المبالغات التى أحاطت شعره وشعر زملائه فى الصحافة العربية • وقد أكد محمود درويش هذا المعنى فى لقائه **بأحمد بهاء الدين** فى موسكو قبيل مجيئه حين قال « لست راضيا عن معظم ما يكتب عنى فى الصحافة العربية » •

وكان النقاد العرب ــ من مواقع فكرية مختلفة ــ قد آثرت غالبيتهم تسمية « شعر المقاومة » على ما يكتبه شعراء الارض المحتلة •• غير أن بعض النقاد الذين ينتمون ايديولوجيا الى غير ما ينتمى اليه محمود درويش حاولوا بالمغالاة فى تقدير فنه الشعرى أن يحجبوا وجهه الفكرى الملتزم ــ اختيارا ــ بالماركسية • بينما كان **بعض** الذين وصفوا موقفه **بالمعارضة** للنظام الصهيونى العنصرى فى اسرائيل يلتقون فكريا معه ويشاركونه النضال على جبهة واحدة •

فى غمرة هذه الاشتباكات النقدية حول شعر الارض المحتلة وصل محمود درويش الى القاهرة ، ليؤكد فور وصوله مجموعة المعانى والقيم التى يؤمن بها ويصر على الايمان بها ، سواء فى بيانه الرسمى الذى أعلنه فى المؤتمر الصحفى باحدى قاعات وزارة الاعلام ، أو فى أحاديثه الصحفية . ومن البديهى أن تكون مسألة اختياره **القاهرة** مقرا لاقامته الجديدة فى مقدمة القضايا التى أجاب عليها قائلا بصراحة تامة « **اننى أعتبر مسألة وجودى فى القاهرة مسألة شخصية أتحمل وحدى مسئولية اختيارها** » ، ولكنه يفسر اختيار القاهرة بالذات بقوله « ان الخطوة الخطيرة التى اتخذتها نابعة من اتخاذى مواقع للنضال تبدو أكثر انطلاقا مما كنت عليه فى بلادى ، وتمنحنى مزيدا من القدرة على التعبير والعمل اقدر مما كنت قادرا عليه فى بلادى » • ويؤكد محمود درويش معنى « **البطولة** » فى حياة المواطنين العرب المقيمين فى اسرائيل بأنهم يمارسون هذه البطولة ممارسة يومية « لمجرد تمسكهم بحق الانتماء لبلادهم » •• والانفصال الجغرافى الذى آثره محمود درويش عن مواطنيه يحز فى نفسه كثيرا ، وهو لا ينكر أنه حزين لذلك ، ولكنه ليس نادما « **ان وطنى قضية أدافع عنها من أى موقع ولست أول مواطن أو شاعر يبتعد عن بلاده ليقترب منها** » •

ولعل أهم النقاط التى أثارها الشاعر المناضل فى بيانه الرسمى ، هى تلك التى جاء فيها : « من المعروف تماما أننى قادم لكم من صفوف الحزب الشيوعى الاسرائيلى الذى يقود معركة ضارية مليئة بالضنى والشرف فى جو خانق من العنصرية والاعتداء الصلف على أبسط حريات الانسان • **ومعروف أن هذا الحزب يضم فى جبهة واحدة كل** العناصر المناضلة من المواطنين العرب واليهود ويشير الى امكانية التعايش والحياة المشتركة السعيدة ويرفع شعار **مع الشعوب العربية ضد الإستعمار وليس** مع الاستعمار ضد الشعوب العربية ويحذر من الهاوية التى **يقود** الحكم الاسرائيلى المواطنين اليها **اذا ما استمر فى تنكره** لحقوق الشعب الفلسطينى » •

وكان محمود درويش قد أمضى العام الماضى بأكمله فى الاتحاد **السوفيتى** ، **يدرس ويعيش الادب** والحياة الاشتراكية ، **وهو يسجل انطباعه** عن هذه الفترة التى قضاها **فى موسكو قائلا** « انا مواطن عالمى **وجزء من الحركة الثورية العالمية وأفخر** باننى عضو فى الاسرة التحررية والاشتراكية التى تدعو الى تغيير العالم **تغيير جذريا** ، وأشعر بالسعادة لاننى **أنتمى** للجانب المضىء من عصرنا ، وأشعر بفرح لا حد له لصداقتنا مع الاتحاد السوفيتى **الذى يقف معنا فى جبهة الصدام الاولى** مع أعداء الانسان **ومعوقات التقدم** •• ولقد عشت طيلة العام الماضى فى الاتحاد السوفيتى وأنا مدين له بكل شىء ابتداء من الخبز حتى الامل والتفاؤل • واننى واثق من أن حبى للانسان والمجتمع **السوفيتى الذى يخوض تجربة خلاص** البشرية من العذاب لا حد له » •

وهكذا يحسم محمود درويش بتصريحاته المباشرة العديد من القضايا التى ظلت معلقة فى **سماء النقد العربى وشعر الارض المحتلة** ، الى **وقت قريب** .

■ ■

■ الصراع العربى الاسرائيلى :

جهـــود دولية جــــديدة من أجل انسحاب اسرائيل

عبر الرئيس **أنور السادات** فى البيان المشترك الذى صدر فى القاهرة فى ٢١ فبراير الماضى ، عقب محادثاته مع الرئيس « **تيتــو** » ، عن تقدير الجمهورية العربية المتحدة للاتصالات الواسعة النطاق والجهود التى بذلتها وتبذلها الحكومة اليوغوسلافية للتوصل الى حل عادل لمشكلة الشرق الاوسط . وكان الرئيس تيتو قد قام فى الفترة الاخــيرة بجهود كبيرة لدى قادة الولايات

المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفيتى من أجل هذا الغرض .

وقد أيد الرئيسان المصرى واليوغوسلافى فى بيانهما المشترك جهود سكرتير عام الامم المتحدة، ومهمة السفير يارنج ايمانا منهما بأن فشل هذه المهمة من شأنه أن يؤدى حتما الى تصعيد النزاع المسلح فى الشرق الاوسط . وطالبا دول عدم الانحياز « باتخاذ مواقف ايجابية فى مواجهة أية دولة لا تحترم التزاماتها الدولية ولا تنفذ قرارات الامم المتحدة » .

فتحت المبادرة المصرية الجديدة التى أعلنها الرئيس **أنور السادات** فى بداية الشهر الماضى الباب أمام محاولات جديدة على النطاق الدولى من أجل التوصل الى مخرج من أزمة الشرق الاوسط ، فقد نشطت الجهود سواء فى دوائر الامم المتحدة أو الدول الاربع الكبرى أو الدول الاوروبية التى يزداد اهتمامها باعادة الاوضاع فى الشرق الاوسط الى حالتها الطبيعية من أجل الاستفادة من مبادرة مصر فى اقناع اسرائيل بضرورة قبول تطبيق قرار مجلس الامن واعادة السلام الى المنطقة .

فمع اقتراب أجل وقف اطلاق النار فى ٥ فبراير الماضى كان **اوثانت** قد وجه نداء الى أطراف النزاع ناشدهم فيه الاستمرار فى وقف القتال وممارسة ضبط النفس العسكرى حتى يتيحوا الفرصة لمبعوث الامم المتحدة بالسعى لتطبيق قرار مجلس الامن ، وسارعت اسرائيل فور اذاعة نداء يوثانت وأعلنت استجابتها لمد وقف اطلاق النار .

وجرت فى القاهرة مشاورات على أعلى المستويات لدراسة الموقف ، وارسلت ج٠ع٠م مذكرة الى المبعوث الدولى أشارت فيها الى أنها لا ترى أى تقدم فى موقف اسرائيل بالنسبة لمشكلة الانسحاب الكامل وحقوق شعب فلسطين ، الا أنها تقديرا منها للدور الذى يقوم به السكرتير العام ، وحتى تتيح فرصة أكبر لامكان التوصل الى مخرج سوف تستجيب لنداء السكرتير العام ، واعلن الرئيس **انور السادات** فى خطابه فى ٤ فبراير قرار ج٠ع٠م بالامتناع عن اطلاق النار ٣٠ يوما أخرى قبولا لنداء اوثانت ، كما قدم الرئيس مبادرة جديدة عندما طالب بتحقيق انسحاب جزئى لقوات العدو شرقى القناة كمرحلة اولى فى جدول زمنى لتنفيذ قرار مجلس الامن ، وذلك بهدف تطهير القناة واعادة فتحها للملاحة الدولية ، واشار الرئيس السادات فى هذا الخطاب الى « أننا قد أدينا واجبنا تجاه العالم وتجاه السلام العالمى بأقصى مانستطيع ، ولقد ان الوقت الذى يجب أن يؤدى فيه غيرنا واجبه تجاه العالم وتجاه السلام » .

وأثار القرار المصرى ارتياحا ملحوظا فى عدد من المحافل الدولية ، فأشار الرئيس الفرنسى بومبيدو الى انه يأمل ان يؤدى قرار ج٠ع٠م الى تعزيز رغبة يارنج فى مواصلة اتصالاته وحث الاطراف المعنية على توضيح موقفها بالنسبة لجميع نواحى المشكلة ، كما أشارت النيويورك تايمز الى أن مبادرة ج٠ع٠م الجديدة حول الانسحاب الجزئى جديرة بأن تناقش بشكل جاد فى الامم المتحدة .

واعلنت **جولدا مايير** رفض اسرائيل للمبادرة المصرية وقالت ان انسحاب اسرائيل من شرقى القناة لا يمكن أن يتم الا على أساس اتفاقية سلام ، ووصفت المصادر المسئولة فى اسرائيل المبادرة المصرية بأنها مناورة سياسية بارعة تهدف الى كسب الرأى العام العالمى الى جانب مصر وخاصة أوروبا الغربية التى تعانى اقتصاديا نتيجة اغلاق قناة السويس، كما أشار أبا ايبان الى انه لايتوقع أن يتحقق أى شىء خلال تلك الفترة القصيرة، وانه يأمل الا يتجدد اطلاق النار بعد الثلاثين يوما .

وازاء هذه التصريحات أعلن المتحدث الرسمى لـ ج٠ع٠م ٠ بأنها تعتبر البيان الذى قدمته جولدا مايير فى الكنيست هو رفض صريح لمبادرة السلام المصرية ، وأنه يؤكد من جديد صرار اسرائيل على فرض شروطها على العرب ، كما أشارت البرافدا الى ان حكومة « تل أبيب أوضحت مرة أخرى عدم رغبتها فى أن تتخذ حتى ولو خطوة محددة نحو تنفيذ قرار مجلس الامن .

وعلى أثر اعلان مبادرة ج٠ع٠م نشط مندوبو الدول الاربع الكبرى فى محاولة جديدة للمساعدة على حل الازمة ، واقترح مندوبو الاتحاد السوفيتى وفرنسا وبريطانيا أن تصدر الدول الاربع الكبرى ضمانات للسلام فى الشرق الاوسط، وتتضمن تلك الضمانات بحث المناطق المنزوعة السلاح، ومناقشة الاربع لتنفيذ قرار مجلس الامن ، وبدأ مندوبو الدول الاربع بالفعل فى مناقشة تفصيلية لوجهات النظر فيما يتعلق بهذه الضمانات .

وفى نفس الوقت بدأ الوسيط الدولى جونار يارنج يباشر مهمته فى الاتصال بالاطراف المعنية ووجه أسئلة محددة الى الطرفين لمعرفة الحدود التى يمكن التوصل اليها ازاء تطبيق قرار مجلس الامن ، وأذاعت وكالات الانباء فيما بعد أن يارنج قدم مقترحات جديدة للتسوية طالب فيها اسرائيل بالموافقة على جدول زمنى للانسحاب من الاراضى العربية المحتلة ، وأشارت لوموند الفرنسية نقلا عن مراسلها فى الامم المتحدة بأن مقترحات يارنج تتضمن انسحاب اسرائيل من سيناء على أن توضع

تحت ادارة مدنية مصرية مع وجود قوات طوارىء دولية لضمان حرية الملاحة فى خليج العقبة ، كما تتضمن اعلان مصر انهاء حالة الحرب مع اسرائيل ، وقالت لوموند أن هذه المقترحات قدمت الى الدول الاربع الكبرى والى الاطراف المعنية ، وعلى اثر تقديم يارنج لتلك المقترحات شنت اسرائيل هجوما عنيفا على المبعوث الدولى لمطالبته بجدول زمنى للانسحاب من الاراضى المحتلة .

وبالاضافة الى ذلك قامت يوغوسلافيا بمحاولة للمساعدة فى حل الازمة بالاتصال برؤساء الدول الاربع الكبرى وباطراف النزاع ، وحضر الرئيس تيتو الى القاهرة حيث تدارس مع الرئيس السادات نتائج مشاوراته ، غير أن مساعد وزير خارجية يوغوسلافيا صرح بأن بلاده لا تشعر بالتفاؤل ازاء احتمالات ايجاد تسوية سلمية عاجلة لازمة الشرق الاوسط .

■ ■

■ المقاومة الفلسطينية :

مفتـــرق طـــرق

بعث **ياسر عرفات** رئيس اللجنة المركزية لمنظمة تحرير فلسطين برسالة الى الرئيس **أنور السادات بتاريخ ٢/١٢ يناشده فيها باسم جميع القيم** والمبادىء العربية والانسانية التدخل لحماية الشعب والثورة الفلسطينية من الاعتداءات الاردنية المستمرة التى تستهدف تصفية وتحطيم الثورة الفلسطينية . كما بعث برسائل مماثلة الى الملوك والرؤساء العرب .

وجاء ذلك على أثر الاعتداء الذى قامت به المدفعية والدبابات الاردنية فى ١١ ـ ٢ على مخزن تجميع الاسلحة والذخيرة الخاصة بالمقاومة الفلسطينية فى جبل هملان ، واقتحام القوات الاردنية للمناطق المدنية التى يقطنها الفلسطينيون واعتقال المئات منهم . وقد اضطرت اللجنة المركزية الى اعادة توزيع السلاح على افراد المقاومة للدفاع عن النفس . هذا ومازالت الاشتباكات مستمرة حتى اعداد هذا التقرير وسقوط عشرات القتلى والجرحى من الفلسطينيين ولم يذكر شىء عن عدد ضحايا الجيش وقوات الامن الأردنية .

وقد أثارت انباء هذا الاعتداء الجديد موجات من السخط والاحتجاجات فى أوساط الجماهير العربية ضد العراقيل التى توضع فى طريق المقاومة الفلسطينية ونقض السلطات الاردنية للاتفاق السابق الذى يحظر على الثوار الفلسطينيين حمل السلاح داخل المدن ، وتجميع اسلحة المقاومة فى اماكن خاصه . ونظرا لكون هذا الاعتداء يتم وسط شواهد عديدة تكشف عن اتجاه السلطات الاردنية الى وضع حد لنشاط المقاومة الفلسطينية من داخل الاراضى الاردنية .

وتتجه انظار المراقبين والرأى العام العربى الى القاهرة ، حيث يعقد المجلس الوطنى الفلسطينى دورته الثانية ، وفى أعقاب احداث سبتمبر والضربات العنيفة التى وجهت الى المقاومة فى الساحة الاردنية ، وفى وقت بلغت فيه الازمة الفكرية والسياسية داخل حركة المقاومة قمتها ووقوف المقاومة اليوم فى مفترق عديد من الاتجاهات والشعارات .

ومن ناحية اخرى يبدى المراقبون والاوساط العربية التقدمية اهتماما خاصا بالاجتماعات التى تمت بين السفير السوفيتى فى عمان وبين ممثلى اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ومع ياسر عرفات لاقامة علاقات وثيقة مع المقاومة ، واعتبار هذه الخطوة مرحلة جديدة متقدمة على طريق النضال الفلسطينى واعترافا وتدعيما من جانب القوى الاشتراكية وحركة الثورة العالمية .

ومن بين القضايا الهامة المطروحة امام المجلس الوطنى الفلسطينى . بحث التقارير الخاصة عن المرحلة النضالية السابقة منذ شهر يوليو الماضى حتى الآن ــ وموضوع الصيغة التوحيدية الجديدة بين كافة منظمات المقاومة لانهاء حالة التجزئة فى الساحة الفلسطينية وتكوين جبهة تحرير فلسطينية على غرار جبهة تحرير فيتنام الجنوبية . كما تنص الصيغة الجديدة على ادانة كل من يخرج على مقررات الجبهة فى المستقبل ــ وكذلك بحث علاقة المقاومة الفلسطينية مع السلطات الاردنية وبحث موضوع الدولة الفلسطينية التى اثيرت حولها مناقشات بين ممثلى اللجنة المركزية وبين بعض الشخصيات الفلسطينية فى الضفة الغربية التى تقيم حاليا فى عمان وبيروت مع المسئولين فى الاردن . هذا وقد ثارت مناقشات فى ندوة فلسطين التى عقدت فى الكويت ١٣ ـ ١٨ فبراير ، حول امكانية قيام دولة فلسطين فى قطاع غزة والضفة الغربية المحتلة ، أو اقامة دولة فيدرالية بين شرق الاردن والضفة الغربية وقطاع غزة والتى تعذر الوصول الى قرار نهائى بشأنها داخل اجتماعات اللجنة المركزية .

■ ■



فى يناير الماضى سلمت حكومة « د. ملتون ابوتى » فى أوغندا المرتزق الالمانى الغربى رولف شتاينر الى السلطات السودانية بعد أن كانت السلطات الاوغندية قد ألقت القبض عليه اثر فراره مع مجموعة من قادة المتمردين كانت القوات السودانية قد الحقت هزيمة ساحقة بهم فى معسكر مورتو • وقد اعتبر « ديالو تيللى » السكرتير العام لمنظمة الوحدة الافريقية أن القاء القبض على شتاينر من أكبر الانتصارات التى حققتها افريقيا • وقال فى خطابه أمام المؤتمر الذى أعلنت فيه حكومة السودان الديموقراطية اعتقال شتاينر والذى سيحاكم باسم افريقيا كلها : « اتمنى أن يكون اعتقال شتاينر ، الذى هزم وجرح بواسطة القوات المسلحة السودانية أثناء العراك الدموى فى جنوب السودان ، مدعاة لالقاء الضوء على القوى المختلفة، والمنظمات، والمصالح المالية التى توعز أو تنظم أو تمول أعمال المرتزقة فى افريقيا ، بوجه عام ، وبجنوب السودان على وجه الخصوص ، حتى تتمكن منظمة الوحدة الافريقية من وضع حد عاجل ونهائى لسرطان الارتزاق فى جميع أنحاء القارة الافريقية » •

وشتاينر الذى يعتبر من أخطر المرتزقة العاملين فى افريقيا، قد مارس الكثير من نشاطه السابق مع المرتزق العالمى المشهور كابلان ومع المرتزق موللر الشهير بسفاح الكونغو ، وقد ابتدأ حرفته كمحارب مرتزق فى حرب الهند الصينية الى جانب القوات الاستعمارية الفرنسية واشترك فى معركة « ديان بيان فو » ، كما اشترك فى الحرب الجزائرية مع القوات الفرنسية • وشارك فى أحداث الكونغو مع العميل مويس تشومبى • وبعد أحداث الكونغو اشترك فى الحرب الاهلية فى نيجيريا الى جانب العميل الاستعمارى جنرال أوجوكو الى جانب قوات بيافرا • وفى ١٩٧٠ أشاعت أجهزة الاعلام الغربية أنه توفى بهدف تغطية مجال نشاطه الجديد، والذى كان قد نقله الى جنوب السودان • وانتقال شتاينر الى جنوب السودان جاء بناء على اتفاق بينه وبين منظمة كنسية ألمانية غربية هى « اخوان فيرنو » فى عام ١٩٦٩ • وقد قام شتاينر فى الجنوب ببناء مطارات سرية وتدريب فرق جنوبية تابعه للجنرال اميدون تافانج قائد « الانيانيا » •

وقد ارتبط نشاط شتاينر التخريبى فى جنوب السودان بزيادة حدة النشاط الاستعمارى فى الجنوب بعد ثورة الخامس والعشرين من مايو بهدف الضغط على حكومة الثورة وزيادة المتاعب والمصاعب التى تواجهها ، وتنفيذا لمخطط المخابرات الامريكية ، هذا المخطط والذى يحدد (أخيرا وخاصة بعد هزيمة القوى المضادة للثورة فى جزية آبا) بأنه لا سبيل لوقف الزحف الثورى القادم من الشمال الا بعمل خارجى تكون قاعدته استمرار التمرد فى الجنوب والذى بدأ فى ١٩٥٥ منذ تمرد الفرقة الجنوبية فى الجيش السودانى بعد يومين من اتخاذ أول مجلس نيابى سودانى قرارا باستقلال السودان • وكما ركز الاستعماريون بعد ثورة أكتوبر فى ١٩٦٤ على تقديم عونهم للمتمردين فى الجنوب ضد المخطط الشامل لضرب الثورة • واستخدموا فى ذلك الزنجى الامريكى « لويس » الذى تمكن من انزال معدات وأسلحة ومهمات فى الجنوب عن طريق الجو ، فقد أخذوا - بالمثل - يوجهون مجموعات من المرتزقة للعمل فى الجنوب ، ووراء كل مرتزق دولة أجنبية - ألمانيا الغربية - الولايات المتحدة - اسرائيل - فرنسا - بريطانيا •

وتعمل فى الجنوب اليوم مجموعات مختلطة من الجنوبيين يغذى الاستعماريون الفرقة القبلية بينها حتى يتمكنوا من استغلالهم الى أقصى حد ، وتعمل هذه المجموعات على الحدود الجنوبية للسودان وتتمركز قياداتها فى بعض البلدان المجاورة • فنجد حكومة النيل الانتقالية لدولة النيل

وقد تأسست هذه الحكومة فى ١٩٦٩ برئاسة آلان قوردون مابين الذى انشق من قبل على آفرى جادين رئيس حكومة جنوب السودان الانتقالية

والتى كانت قد تشكلت فى مارس ١٩٦٨ • وقد جاء تشكيل حكومة النيل نتيجة للخلافات والصراعات القبلية والاطماع الشخصية. ومجرد هذا الصراع كان أساسا بين القبائل النيلية نفسها الدينكا والباريا وشبه الباريا ، وقد غذى هذا الصراع الدوائر الكنسية الغربية، ويعمل معهذه الحكومة المرتزق الفرنسى الكابتن « **آرماند** » وهو من بقايا مرتزقة بيافرا • ونجد كذلك حكومة **انيدى الانتقالية** وقد قامت هذه الحكومة فى يوليو ١٩٦٩ بانشقاق الجناح المسلح فى حكومة آفرى جادين والمعروف باسم الانيانيا . وقد تأسست هذه الحكومة بقيادة الجنرال أميديو تافانج ، وقد أعلن تافانج أنه اختار اسم أنيدى لان اسم النيل يرتبط بالعرب فى الشمال، كما يشترك فىقوات الانيانيا العقيد جيمس لورو وهو الذى يتولى الاشراف على مد المتمردين بالسلاح وقد سافر لاسرائيل فى عام ١٩٦٩ ، وحكومة أنيدى هذه هى التى كان يتعاون معها المرتزق الالمانى شتاينر •

ونجد كذلك فى الجنوب مجموعة تعمل مباشرة مع اسرائيل يقودها الكولونيل **جوزيف لافو** وهو من زعماء الانيانيا ، وهو عميل مباشر لاسرائيل تمده بالسلاح والمال ، وتقوم بتدريب رجاله فى معاهدها العسكرية • وقد عاد لافو من اسرائيل فى عام ١٩٦٩ وبصحبته مدربان اسرائيليان وطبيبة اسرائيلية وأقاموا فى توريت • وتنشط اسرائيل أكثر من أى وقت مضى الان لزيادة اشتعال الفتنة فى الجنوب لتستغل تمرد الخوارج كجزء من مخططها العدوانى ضد الشعوب العربية وجزء من استراتيجيتها المتعلقة بالقتال فىالشرق الاوسط.

ونشاط المرتزقة المتزايد فى الجنوب وخاصة منذ سبتمبر ١٩٦٩ ليس الا وجها عسكريا واحدا من وجوه التدخل الاجنبى فى جنوب السودان ، ففى جنوب السودان تمارس هيئات عديدة نشاطها الاستعمارى التخريبى متخفية خلف لافتات الدين أو تقديم العون للاجئين • وفى الجنوب أكثر من أربعة عشر هيئة كنسية ودولية : المنظمة البروتستنتية الالمانية، والوكالة الامريكية الدولية للتنمية ، والوكالة الكاثوليكية للمساعدات ، وهى مؤسسة تتبع الكنيسة الكاثويكية ولها فروع فى معظم الدول الغربية والولايات المتحدة ، والمجلس العالمى للكنائس ، والمجلس الوطنى للكنائس فى الولايات المتحدة الامريكية وهو يتعاون مع القس « **دون ماكلور** » الذى تقدم له عونا خاصا لتنظيم وتدريب المتمردين ومدهم بالسلاح ولتوصيل العون المادى للساسة الجنوبيين ، ومؤسسة Caritas Internationalie وهى مؤسسة فرنسيةتابعة للكنيسة الكاثوليكية. وسبق لهذه الهيئة تقديمها الاسلحة والذخيرة للانفصاليين فى بيافرا ، ورابطة كنائس السودان وتضم القساوسة المبعدين من السودان وبعض البريطانيين المحالين الى المعاش ، من الذين سبق لهم الخدمة فى حكومة السودان ومقرها بريطانيا ، ومجلس الكنائس باديس آبابا برئاسة القس دون ماكلور ، وكنيسة الاباء الفيرونيين ، وتضم القساوسة الذين كانوا يعملون فى منطقة الزاندى ويرأسها المطران « **دومينكو فرارا** » ومجال نشاطها بين اللاجئين فى افريقيا الوسطى ، وهيئة الاغاثة البروتستنتية الكونغولية وهى تشرف على معسكرات اللاجئين فىالكونغوكينشاسا وجماعة **الاكسيون ميدكو** Action Medico وهى هيئة المانيةغربية يرأسها الدكتور **ديتريش لوبا** ومقرها فرانكفورت ، وجمعية مساعدة افريقيا وهى هيئة كاثوليكية المانية غربية (فرانكفورت) ولجنة الانقاذ الدولية ومقرها لندن وهى تتعاون كذلك مع القس دون ماكلور والذى حصل من هذه الهيئة على طائرات صغيرة ليتجول بها بين معسكرات المتمردين واللاجئين ، واللجنة الدولية الجامعية لتبادل الصداقة (بليدن ـ هولندة) ، وال Lurists Universi ty بانترب (بلجيكا) World University Service بجنيف ، ومجلس المهاجرين الدانمركى ، ومجلس المهاجرين النرويجى •

وقد ازداد بعد ثورة الخامس والعشرين من مايو الوطنية الديموقراطية فى السودان الدعم الاستعمارى للمتمردين وقادتهم • وقد أوضح الرائد « **أبو القاسم محمد ابراهيم** » عضو مجلس قيادة الثورة السودانى ووزير الداخلية فى بيانه الذى القاه فى المؤتمر الذى أعلن فيه القبض على شتاينر الاهداف الكامنة خلف هذا النشاط الاستعمارى المحموم : **أولا :** الحيلولة دون تنفيذ مشروعات التنمية فى الجنوب حفاظا على التخلف فى الجنوب ، فالتخلف « **يمثل التربة الخصبة ؛ والمركز الاساسى للاستعمار ومخططاته** » • **ثانيا :** تبديد طاقة القوات المسلحة السودانية وقوات الامن الاخرى الامر الذى يحول دون استكمال اعادة بناء القوات المسلحة بالفعالية والسرعة المطلوبة . **ثالثا :** عرقلة تنفيذ المراحل اللازمة لنجاح الحل الثورى لقضية الجنوب والذى يمثل نموذجا لتعايش القوميات فى اطار الوطن الواحد وهو الامر الذى يخشى الاستعمار من نجاحه وتعميمه خاصة فى افريقيا حيث تمثل الكيانات العنصرية والاتجاهات الانفصالية عنصرا مساعدا وفعالا لاستراتيجية الاستعمار وتحركاته على نطاق القارة الافريقية • **رابعا :** ما يؤدى اليه تنشيط المتمردين من احتكاكات محتملة بين السودان والدول الافريقية المجاورة مما يضعف التضامن بين هذه الدول ويؤثر على الوحدة داخل

منظمة الوحدة الافريقية • خامسا : زيادة نشاط حركة المتمردين يوقف عودة المواطنين الجنوبيين من البلاد التى هاجروا اليها فى ظل العهود البائدة ، وكذلك الحيلولة دون دعـوة المثقفين الجنوبيين من البلدان الاوروبية التى يعيشون فيها مما يمكن الاستعمار من الابقاء على أداة فعالة يستغلها الاستعمار فى تشويه سمعة السودان واعطاء قضية الجنوب حجما أكبر من حجمها الطبيعى وأبعادا غير أبعادها الحقيقية ، وعدم عودة المثقفين الجنوبيين له أثر سلبى على الحركة الجماهيرية الديموقراطية فى جنوب البلاد • سادسا : استخدام الجنوب كمنطلق أساسى للتآمر الاستعمارى وخاصة بعد فشل مؤامرات الاستعمار والرجعية ضد ثورة مايو وهزيمتها الكبرى فى جزيرة آبا . سابعا : ان استمرار فتح جبهـة الجنوب سيؤدى الى استنزاف طاقات السودان الاقتصادية وبالتالى تعويق عملية بناء وتطوير السودان وهو غاية ما تستهدفه القوى الاستعمارية والرأسمالية •

وهكذا تحتل قضية جنوب السودان اليوم مركز الصدارة لمواجهة المخطط الاستعمارى الذى يستهدف لا ثورة مايو وحدهـا ولكن الثورة الافريقية كلها مستهدفا بفصل الجنوب استكمال ما يسميه بالحزام الافريقى لفصل ما يسميه الاستعمار بافريقيا جنوب الصحراء عن افريقيا شمال الصحراء • والثورة الافريقية مواجهة بضرورة اتخاذ موقف حازم وحاسم مع المرتزقة الذين حاولوا مؤخرا أن يعيثوا فى غينيا فسادا وثورة مضادة ويعيثون اليوم فسادا وتخريبا فى الكونغو وفى جنوب السودان والذين يجدون فى انقلاب أوغندا الاخيـر مـرتكزا لمخططـاتهم ومؤامراتهم •

ان خطر المرتزقة فى جنوب السودان هو خطر داهم بالنسبة للثورة الافريقية كلها ، ولذا فان تنفيذ قرار مؤتمر لاجوس الاخيـر (ديسمبر ١٩٧٠) بشأن المرتزقة أصبح واجبا ملحا للقضاء على الوحش الامبريالى الذى يهدد حرية القـارة وثورتها •

وقد أكدت الحكومة السودانية أن محـاكمة شتاينر سوف تكون محاكمة عالمية للمـرتزقة وسادتهـم الامركيين والاسرائيليين والالمان الغربيين ، وعلى ما يرتكبونه فى حق البلاد الافريقية ووحدتها وتقدمها ■

الوطن العربى

■ الكويت

تطـورات هـامة تعكسها الانتخابات

فى أوائل فبراير تشكلت الوزارة الكويتيـة برئاسة الشيخ جابر الاحمد ولى العهد • وجاء تشكيل الوزارة بعد أن شهدت الكويت فى ٢٣ يناير الماضى انتخابات عامة الانتخاب ٥٠ نائبا فى الدورة الجديدة لمجلس الامة .

وهذه ثالث انتخابات فى تاريخ الكويت منذ انتهاء المعاهدة مع بريطانيا فـى عـام ١٩٦١ ووضع الدستور وانتخاب أول مجلس تشريعى فى البلاد عام ١٩٦٣ ، ويقدر عدد الناخبين الحاليين بأربعين ألف ناخب •

ولقد كشفت الانتخابات الاخيرة فـى رأى المراقبين عن بعض الظواهر المثيرة للانتباه ، وذلك من حيث نوعيات الفئات التى دخلت الى المجلس ، من حيث الاتجاه العام المتزايد للناخبين نحو العناصر الشابة المثقفة وخريجى الجـامعات ، وانخفاض نسبة مرشحى التكتـلات القبليـة والعائلات التاريخية والطائفية ، وذلك على عكس تجربة المجلسين السابقين فى أعوام ٦٣ ، ١٩٦٧ وما ارتبط بهما من ظروف وملابسات أدت الى حدوث استقالات جماعية للعناصر الوطنيـة المعارضة من المجلس ، فهذه الاستقالات التـى حدثت ــ اذ ذاك ــ كانت تعكس احساسا عاما فى مختلف الاوساط الكويتية بغياب عنصر المعارضة فى التجربة البرلمانية فى البلاد ، لا سيما أنه من المعروف أن النشاط السياسى الحزبى محظور فى الكويت بموجب الدستور •

وقد أسفرت الانتخابات عن نجاح ملحوظ لقوى المعارضة الوطنية المختلفة الاتجـاهات مـن الناصريين والقوميين العرب والمؤيدين للمقاومة الفلسطينية • كما دخلت المجلس عناصر مـن الرأسمالية الكبيرة ذات الاتجاه اليمينـى • وأظهرت الانتخابات عودة ٣١ نائبا من أعضاء المجلسين السابقين ودخول ١٩ نائبا الى المجلس لاول مرة ، ويعتبر المراقبون أن المجلس الجديد ، هو أكثر المجالس تعبيرا عن واقع المجتمع الكويتى المتطور •

ويواجه المجلس الجديد عددا من المشـاكل والقضايا الهامة المتعلقة بالاوضاع الاقتصادية

والاجتماعية ، ونظام التعليم وأوجه انفاق الميزانية ، كما تطالب المعارضة بتعديل الدوائر الانتخابية للقضاء على السيطرة القبلية على الانتخابات ، وفتح الطريق أمام العناصر المثقفة والمتعلمة فى المستقبل ؛ اذ ان قانون الانتخابات القديم يقوم على تقسيم البلاد الى عشر دوائر انتخابية كل دائرة تنتخب خمسة نواب ، وهناك مطالبة أيضا بتخفيض سن الانتخاب من ٢١ الى ١٨ الامر الذى يتيح الفرصة لاكثر من عشرة الاف من شباب المعاهد الصناعية والتجارية والمعلمين للمساهمة فى الحياة السياسية للبلاد • كما أن الرأى العام لا يكف عن المطالبة باجبار شركات البترول الاجنبية على توظيف جزء معين من أرباحها فى أغراض التنمية داخل الكويت ، وسحب أرصدة الكويت من البنوك الاجنبية لاستثمارها فى مشروعات التنمية المحلية والعربية •

ويتجه الاهتمام الحالى فى الكويت الى ايجاد حلول للمشاكل والاخطاء التى كشفت عنها التجربة البرلمانية فى التطبيق خلال الفترة الماضية ، والعمل على اصلاح الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية وذلك بما يحقق مصلحة الشعب الكويتى فى التقدم والازدهار ، وكان قد أعلن عن تشكيل الوزارة الكويتية الجديدة فى أوائل شهر فبراير برئاسة الشيخ جابر الاحمد ولى العهد •

■ ■

■ **الهند الصينية**

غزو لاوس •• وتنبؤات « كاوكى »

وجه « اكسوان ثوى » رئيس وفد فيتنام الشمالية فى محادثات باريس تحذيرا بشأن احتمال تدخل الصين فى حرب الهند الصينية كما أعرب أفريل هاريمان الرئيس السابق للوفد الامريكى فى محادثات باريس عن اعتقاده بأن الصين الشعبية ستتدخل فى حرب الهند الصينية اذا وقع غزو من فيتنام الشمالية •

وترجع هذه التوقعات الى ما اعتزمت عليه عليه الولايات المتحدة والحكومات العميلة لها فى سايجون وبانكوك من ارسال قوات مسلحة تقدر بعشرات •

أرسلت الولايات المتحدة والحكومات العميلة لها فى سايجون وبانكوك قوات مسلحة تقدر بعشرات الآلاف من الجنود الفيتناميين الجنوبيين أساسا ومن المرتزقة التايلانديين وقوات فينتيان العميلة يساندهم الطيران والقوات الامريكية لغزو جنوب لاوس • كما أرسل الامريكيون قوات فيتنامية جنوبية أخرى لغزو المناطق الشرقية من كمبوديا ، ويعملون منذ مدة لتدبير هجوم وحشى مفاجىء على جمهورية فيتنام الديموقراطية •

وتبرر الولايات المتحدة هذا الغزو كذبا بالرغبة فى تأمين وضع قواتها وقوات حلفائها، خاصة فى حالة الانسحاب التدريجي للقوات الامريكية والمساعدة على نجاح خطة « الفتنمة » ، ووقف التسلل المتزايد من « الشمال » عبر أراضى لاوس • وترى المصادر العسكرية أن هدف العملية هو التوغل الى مسافة ٢٠٠ كيلو متر داخل راضى لاوس لقطع طريق « هوشى منه » تماما ، وهو الطريق الذى تعتبره الولايات المتحدة ، مصدر الامدادات الرئيسى لقوات الثوار •

الا أنه مما سيجعل موقف الامريكيين والفيتناميين الجنوبيين صعبا فى هذه العملية ، هو أن هانوى لم تفاجأ بها ، فقد كان الفيتناميون الشماليون يتوقعون هذا التدخل فى لاوس منذ ٣٠ يناير الماضى • وليس ثمة شك فى نظر عديد من المراقبين الدوليين أن مثل هذه التوقعات ترتب عليها اتخاذ ترتيبات وقائية من جانب فيتنام الديموقراطية ، الامر الذى سيصعب مهمة سايجون العسكرية ، وترى هانوى أن هذا التدخل خطوة جديدة خطيرة فى الخطة الامريكية لتوسيع نطاق الحرب، وأنه من المنتظر أن تتلوها خطوات أخرى ضد فيتنام الديموقراطية التى أعلنت التعبئة العامة وأرسلت تعزيزات عسكرية الى المناطق المتاخمة لحدود لاوس •

يؤكد ذلك ما أعلنه نجوين كاوكى نائب رئيس فيتنام الجنوبية الذى أعلن أن الهجوم على لاوس

يمكن أن يتحول الى « **ديان بيان فو** » أخرى ، **اذا لم يعقبه هجوم على قواعد فيتنام الشمالية عبر المنطقة المنزوعة السلاح ، وأنه ينبغى لضمان النصر مهاجمة فيتنام الشمالية ذاتها** » و « **اننا اذا ترددنا فان الدائرة ستدور علينا نحن** » . وترجع مخاوف **كاوكى** الى أن القوات الفيتنامية الجنوبية فى كمبوديا تحتفظ بميزة القرب من قواعدها ، فى حين **يعتبر الوضع على عكس ذلك فى لاوس** ، بالاضافة الى أن تضاريس لاوس لا تحوى فى تلك **المنطقة سوى غابات وجبال عملت فيها قوات الثوار منذ سنوات وأقامت فيها التحصينات ومن ثم فان لديها ميزة على القوات الفيتنامية الجنوبية والتايلاندية المعتدية** .

وقد أثار غزو جنوب لاوس موجة عنيفة من الاحتجاج فى العالم وبين الرأى العام الامريكى نفسه ، وقامت مظاهرات كثيرة للشباب الامريكى فى عدد كبير من المدن الكبرى فى الولايات المتحدة وفى عديد من الدول الاوربية الاخرى . كذلك ندد **السكرتير العام للامم المتحدة** بهذا الاعتداء ، وكذلك **فرنسا** التى استنكر رئيسها **جورج بومبيدو** الاعتداء وأدانه ، كذلك نددت **الصين الشعبية** « بغزو الامبريالية الامريكية للاوس الذى يعد استفزازا خطيرا لا لشعوب الهند الصينية فحسب ، بل وللشعب الصينى ولشعوب العالم **أجمع** . وقررت حكومة الصين الشعبية وشعبها فحسب ، بل **والشعب الصينى ، ولشعوب العالم** بذل كافة الجهود من أجل تقديم المساعدة والتأييد لشعوب لاوس وفيتنام وكمبوديا الى أن يتم قهر المعتدين الامريكيين » . واتهمت وزارة الخارجية الصينية الولايات المتحدة فى بيان أصدرته بأنها « **تتخذ التدابير لشن هجوم مفاجىء على فيتنام الشمالية** » . كما اكدت وكالة أنباء الصين الجديدة فى ٩ فبراير الماضى « **أن الحكومة الامريكية تفكر فى استخدام الاسلحة الذرية** « **اذا لزم الامر** » **ضد شعوب الهند الصينية** » . والجدير بالذكر أن عديدا من المصادر الموثوق بها فى هانوى أعلنت للمراسلين الاوربيين « **أن الصين الشعبية تدعم قواتها العسكرية على حدود فيتنام ولاوس منذ عدة أسابيع** » .

اما موقف ما يسمى **بحكومة لاوس الملكية** ، فيوضح مدى التأثير اليمينى المباشر الذى أصبحت تخضع له ، فقد ندد القائم بأعمال سفارتها فى سايجون بغزو قوات فيتنام الجنوبية للاوس ، ولكنه أوضح فى نفس الوقت **ان مسئولية انتهاك حياد وسيادة مملكة لاوس تقع على جمهورية فيتنام الديموقراطية** » .

وبالنسبة لغزو جنوب لاوس عامة **اتخذت بريطانيا موقفا متواطئا مع حكومة نيكسون** .

وبررت الغزو « بأن فيتنام الشمالية انتهكت من قبل اتفاق جنيف لعام ١٩٦٢ بشأن حياد لاوس ، وان العملية التى تجرى حاليا تساعد على فتنمة الحرب وانسحاب القوات الامريكية » . والحقيقة ان مثل هذه التبريرات يمكن أن تلقى الضوء على مدى تبعية البريطانيين حتى الان للسياسة الامريكية ، وقد ندد الاتحاد السوفيتى بالموقف البريطانى « الذى يقوم على الدفاع عن الجرائم الدموية التى ترتكبها الولايات المتحدة فى لاوس » .

كذلك نددت صحيفة « نيويورك تايمز » بالموقف الامريكى ، وقالت فى ٩ فبراير الماضى « **ان سفسطة واشنطون لا يمكنها أن تخفى حقيقة تصعيد الحرب فى جنوب شرقى آسيا ، وهو تصعيد لا يهدف الى السلام او الانسحاب بل الى حرب أوسع نطاقا و نهاية لها** » .

وقد هاجم الاتحاد السوفيتى « العدوان الامريكى والفيتنامى فى لاوس بشدة » واتهم الولايات المتحدة الامريكية بانتهاك الحقوق الدولية وميثاق الامم المتحدة ، واتفاقيات جنيف بوقاحة . كما اشارت « برافدا » فى ١٠ فبراير الماضى « **الى أن البيان الذى أصدرته وزارة الخارجية الامريكية ـ حول غزو لاوس ليس سوى محاولة لتبرير سياسة القرصنة الامريكية واخفاء صلب الموضوع فى خليط من الجمل العادية ولتضليل الرأى العام** » . على أن من أهم الملاحظات الجديرة بالذكر هى **نتائج تزايد حدة العدوان الامريكى فى آسيا على العلاقات الصينية ـ السوفيتية** . ويرى عديد من المراقبين السياسيين **أن تزايد حدة العدوان الامريكى يمكن أن تؤدى الى ايجاد تقارب بين الصين والاتحاد السوفيتى** . خاصة وقد اقدمت صحيفة برافدا السوفيتية يوم ١٠ فبراير الماضى لاول مرة على نشر برقية طويلة من مراسلها فى بكين تتحدث عن اصرار الصين الشعبية على **تأييد ومساعدة شعوب الهند الصينية بكل قواها** » ، الامر الذى يعد له مغزاه فى مجال العلاقات السوفيتية ـ الصينية .

■ ■

■ **العالم الغربى**

موجة اضرابات تجتاح العالم الرأسمالى

لا تزال الحكومة البريطانية تواجه المشاكل المترتبة عن اضراب عمال البريد واضراب ٤٨٫٠٠٠ عامل فى شركة فورد . وكانت الحكومة والمؤسسات التابعة لها قد واجهت مصاعب عديدة فى بريطانيا فقد رفض ١٢٥٫٠٠٠ عامل من عمال

الكهرباء فى ديسمبر الماضى للقيام بساعات العمل الاضافية • وفى نفس الشهر أيضا قام أكثر من نصف مليون عامل باضراب للانذار احتجاجا على التشريع المعادى للنقابات الذى تقدمت به الحكومة ، وقام الالاف من عمال المناجم بالاضراب من أجل المطالبة بعلاوات اسبوعية وبلغ عددهم ١٢٠٫٠٠٠ عامل •

على أن ظاهرة اتساع حركة الاضرابات لم تظهر فى بريطانيا فحسب وانما اجتاحت موجة من الاضرابات الحادة العالم الرأسمالى بأسره وبخاصة مع مطلع العام الجديد (١٩٧١) • وقد أدرك هذه الظاهرة وأشار اليهافى وقت مبكر ، فى الاحتفالات بالعيد المئوى للينين ، الرفيق ليونيد بريجنيف السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفييتى اذ أوضح : « ان كفاح الشعب العامل فى الدول الرأسمالية بلغ فى السنوات الاخيرة درجة من الحدة ، يمكن معها أن نقول بثقة أن موقفا سياسيا جديدا يتشكل اليوم » •

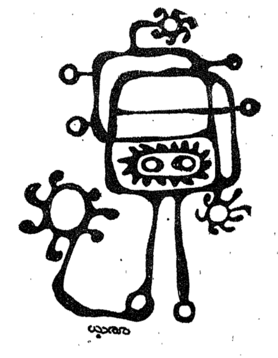
والواقع انعام ١٩٧٠ بالنسبة للولايات المتحدة التى تعد بؤرة الصراعات الاجتماعية ، هو عام الاضرابات الشاملة • فقد اضرب فى ذلك العام عمال البريد الامريكيون و ٤٠٠٫٠٠٠ عامل من شركة جنرال موتورز و ٨٠٫٠٠٠ من سائقى عربات النقل ، وتوقف العمل فى شبكة النقل الضخمة فى الولايات المتحدة بسبب الاضراب العام لعمال السكك الحديدية بالاضافة الى عديد من الاضرابات الشاملة الاخرى •

وفى ايطاليا قامت فى ديسمبر الماضى اضرابات كبيرة فى لومبارديا وليجوريا والفربول وفينيسيا وغيرها من المناطق ، وتوقف العمل فى المصانع والمدارس والبنوك والمحلات التجارية ووسائل المواصلات • ويناضل العمال الايطاليون من أجل تحقيق الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية وضد حملات القمع التى تقوم بها قوات البوليس فى اسبانيا وضد تصاعد نظام الحركة الفاشية الجديدة فى ايطاليا. كذلك انتشرت الاضرابات فى هولندا وبلجيكا والارجنتين وفنزويلا واستراليا واليابان وكوريا الجنوبية وغيرها من الدول الرأسمالية •

ولا تزال حركة الاضرابات تنتشر فى دول مختلفة من العالم الرأسمالى ، فالدول الرأسمالية لم تنجح فى علاج التناقضات التى ترتبت عن الثورة العلمية والتكنولوجية • وقد زادت تلك الثورة من حدة الصراعات الاجتماعية ولم تفلح الطفرات الاقتصادية المؤقتة فى بعض الدول وكذلك الزيادات الضئيلة التى منحت للعمال وسياسة المصالحة التى يسير عليها القادة النقابيون فى حل المشاكل الناجمة عن تلك الثورة • ويزداد فى دول العالم الرأسمالى بعامة الاعتقاد بأن الكفاح الاقتصادى اذا لم يلتحم بالكفاح السياسى فسوف يسير فى حلقة مفرغة •

أبوللو ١٤ وبرنامج الفضاء الامريكى

حققت رحلة أبوللو ١٤ الى القمر نجاحا كبيرا ، وأحرزت انجازات علمية مثيرة محت آثر الفشل الذى منيت به رحلة أبوللو ١٣ التى سبقتها فى أبريل ١٩٦٩ ، وحبست وقتها أنفاس العالم عندما انفجر خزان الاكسجين فى كابينة القيادة واضطر روادها الى قطع الرحلة والعودة الى الارض سالمين بمعجزة •



وهذه الرحلة هى رابع رحلة فضاء أمريكية يقوم بها آدميون الى القمر ، وتعد أبهظ رحلات الفضاء ، اذ بلغت تكاليفها ٤٠٠ مليون دولار ، غير أنها قد تميزت عن الرحلتين السابقتين أبوللو ١١ ، ١٢ فى أن المركبة القمرية انفصلت عن السفينة الأم وهى على ارتفاع ١٥ كيلو مترا فقط بدلا من ١١٢

كيلو مترا ، وهذا التغيير أعطى لقائد المركبة القمرية وقتا أطول لاختيار منطقة الهبوط ٠

واذا كان الانسان قد خطا برحلة أبوللو ١٤ على سطح القمر للمرة الثالثة خلال عامين فان سطح القمر شهد هذه المرة احداثا من نوع جديد تكشف معالم حقائق جديدة عن أصل القمر وطبيعة تكوينه ، فقد وضع رائدا الفضاء أثناء وجودهما على سطح القمر أجهزة لقياس تفجيرات محسوبة ومدروسة سوف يجرى احداثها على القمر خلال ستة شهور بوساطة جهاز خاص استعمل لاول مرة فى الفضاء ، وسوف تنقل أجهزة القياس شدة هذه الزلازل الصناعية (حوالى ٢٧ زلزالا) لاسلكيا الى الارض لتحليلها ودراستها ٠ وقد أجرى رائدا الفضاء بعضا من هذه التفجيرات ، أحدثت اهتزازات فى القشرة القمرية ، رصدها العلماء فى مركز المتابعة الارضية ، كما وضعا محطة أبحاث علمية تعمل بالطاقة الذرية لمدة عام وترسل الى الارض معلومات علمية عن البيئة القمرية ، وتشمل هذه المحطة جهازا يستخدم لاول مرة لقياس الجزئيات التى ترتطم بسطح القمر خلال دورانه حول الطبقة المغناطيسية التى تمتد من الذيل المغناطيسى للارض ، كما تشمل جهازا لقياس الغازات المتسربة من باطن القمر لاكتشاف طبيعة وتكوين القمر ٠

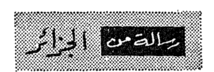
وتمت تجربة (عربة يد) لمحاولة معرفة امكانيات السير فى جاذبية تبلغ سدس جاذبية الارض وفوق تربة ضعيفة ، كما شملت الدراسات العلمية اختبارا للقدرات الصحية لرواد الفضاء ٠

والواقع أن رحلة أبوللو ١٤ قد صادفت عددا من المصاعب أنهكت الاعصاب،وأحاطتها الشكوك منذ بدايتها ، حين تأخرت عن الموعد المقرر لانطلاقها بأربعين دقيقة بسبب سوء الاحوال الجوية ، وبعد ثلاث ساعات من انطلاق السفينة عادت المتاعب من جديد خلال مناورة التحام مقدمة السفينة الام مع مقدمة المركبة القمرية ، فقد جرت خمس محاولات فشلت جميعها ولم تنجح سوى المحاولة السادسة ، وقدصرح **والتر كابريان** مدير عملية الاطلاق خلال هذه الفترة الحرجة : « يراودنى احساس قوى بانه اذا لم تسر رحلة أبوللو ١٤ على ما يرام فقد لا يكون لنا مستقبل على الاطلاق » .

وقد جاء هبوط المركبة القمرية انتاريس فى موقع يبعد ٦٠ قدما عن مركز الهبوط الاصلى فى منطقة « فرامارو » ، ومتأخرة عن الموعد المقرر بدقيقتين ، استغرقها قائد المركبة فى تصحيح مسارها ، وقد سبق هبوطها خلل مفاجىء خطير فى جهاز التوجيه أمكن اصلاحه ٠

وتأخر خروج **شبرد وميتشيل** من « انتاريس » للسير على سطح القمر لمدة ٥٢ دقيقة بسبب خلل فى جهاز الاتصال الذى يحمله ميتشيل ، وقد تجول الرائدان مرتين ، جمعا خلالها ١٢٠ رطلا من الصخور القمرية وشاهدا سطح القمر متموجا وخاليا من أية مساحات مسطحة ، حتى انه توجد فوهة بركانية كل عشر ياردات ، ولم تكن عملية السير الثانية على سطح القمر مرضية وكاملة ، اذ حدث تسرب للاكسجين فى بذلة شبرد ، كما تأخر الرائدان حوالى نصف ساعة فى تركيب المحطة العلمية ٠

واذا كانت رحلة أبوللو ١٤ قد حققت رقما قياسيا حتى الان لسير الانسان على القمر ، فقد صرح المسئولون فى مركز الفضاء الامريكى بأن الرحلة أضاءت النور الاخضر لاطلاق سفن الفضاء أبوللو ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، وهى الرحلات التى سيتوقف بعدها اطلاق سفن الفضاء الى القمر لمدة ١٠ سنوات » ، وبعد نجاح رحلة أبوللو ١٤ تقرر اطلاق أبوللو ١٥ فى موعدها فى شهر يوليو القادم ، وذكر **جورج لو** مدير ادارة أبحاث الفضاء الامريكية بأن رواد أبوللو ١٥ سيستخدمون سيارة تدار بالكهرباء للتنقل على سطح القمر ٠



انتخابات المجالس الشعبية البلدية والتنظيم الديمقراطي للسلطة

أمنية قديمة ملحة تحققت عندما اتيحت لى فرصة زيارة الجزائر بمناسبة اجراء انتخابات المجالس الشعبية البلدية يوم ١٤ فبراير الماضى • كنا نتوق دائما الى زيارة البلد الشقيق ومعايشة شعب المليون شهيد الذى خاض اعنف المعارك وقدم اعظم التضحيات على مدى ١٣٠ عاما من الاحتلال الاجنبى وسبع سنوات من حرب قاسية ضارية، حتى اصبح علامة بارزة فى تاريخ النضال على المستوى العربى والعالمى •

لم يكن مرافقنا فى حاجة الى تذكيرنا بهذه الموقعة أو تلك،فقد عشناها بوجداننا اثناء سنوات النضال منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، ورحنا نجتر الذكريات أبان طوافنا بالجزائر •• هنا بلدة سطيف •• ومدينتى حلما وخراطه حيث سقط ٤٠٫٠٠٠ شهيد فى يوم واحد على أيدى السلطات الاستعمارية عندما خرجت المظاهرات السلمية عام ١٩٤٥ تطالب بالاستقلال •• وتلك مغارة بجوار قسنطينة أبادت فيها القوات الفرنسية ٤٠٠٠ مجاهد جزائرى ••وصعدنا فى حى القصبة بمدينة الجزائر مئات الدرجات التى ارتوت بدماء المقاتلين ، وجلسنا فى مقهى « الميلك بار » نتحدث عن جميلة بوحريد ، فقد فجرت فيه قنبلتها الشهيرة •• وفى كل مكان يرتفع نصب تذكارى لشهداء الشعب الجزائرى البطل •

وللجزائر وضع خاص متميز عن مختلف البلدان العربية الاخرى ، يلمسه الزائر فى كل لحظة يقضيها بالبلاد • فالبصمات التى خلفها الاستعمار والاستيطان الفرنسى على أرضها وسكانها أكثر وضوحا وأشد عمقا ، حيث كان المخطط الامبريالى يتضمن الحاقها « بالوطن الام » كامتداد لفرنسا ، ويعتبرها جزءا لا يتجزأ من ارضه •• ومن هنا كانت محاولات الابادة الشاملة والعنف الاستعمارى وضراوته والجهود الرامية الى القضاء على الشخصية القومية الجزائرية •

وقد يذهل المرء وهو يسير فى أزقة حى القصبة الشعبى فيصطدم بحديث يدور بالفرنسية أو خليط من الفرنسية والعربية • لذلك نجد مشكلة « **التعريب** » تحتل جانبا بارزا فى النشاط الوطنى وتوليها الحكومة الجزائرية ، اهتماما خاصا •• ونلمس آثار هذه المشكلة فى مختلف مجالات الحياة ، بما فى ذلك التكوين الاجتماعى للشخصية الجزائرية ، حتى أن بعض علماء الاجتماع يعزون الطبيعة الانفعالية السائدة الى صعوبة القدرة على التعبير والاتصال بين السكان •

وقد ورثت الثورة تركة مثقلة بالمشكلات ، من أبرزها قضية تحرير الاقتصاد الوطنى من التبعية للاقتصاد الفرنسى ، فمازالت نسبة ٥٧ فى المائة من واردات الجزائر و ٥٥ فى المائة من صادراتها مع فرنسا (كانت النسبة هى ٨٠ فى المائة و ٧٥ فى المائة على التوالى بعد الاستقلال مباشرة) ثم مشكلات التصنيع والاصلاح الزراعى وقضية بناء الدولة الجزائرية بعد أن ظل جهاز الحكم حكرا للفرنسيين • وترتبط بهذه القضايا مشكلة خلق الكادرات ـ الاطارات ـ اللازمة لقيادة جهاز الحكم الوطنى وتنمية الاقتصاد القومى بعد المغادرة الجماعية والفجائية لموظفى الدولة الاداريين والفنيين وملاك المشروعات الخاصة من أصحاب الخبرة فهناك افتقار شديد الى هذه الاطارات • كما أن التركيب الاجتماعى والاقتصادى الذى خلفه الاستعمار غير متوازن بين قطاعات متقدمة عصرية وقطاعات تقليدية متخلفة هى السائدة •• وهناك الحاجة الى استيفاء حاجات الجماهير ومطالبها خاصة على أثر التخريب والدمار الذى ترتب عن حرب التحرير ، ومعالجة مشكلات البطالة والارامل والايتام ومشوهى الحرب واعادة بناء القرى المهدمة ، مما يزيد من متطلبات الانفاق فى هذه المجالات ـ غير

المنتجة ــ ويؤدى الى ضعف الادخار الداخلى والافتقار الى القدرة على توفير الاستثمارات اللازمة للتنمية الاقتصادية ٠

والبترول يعد من اهم مصادر الدخل النامية ولذلك تشغل معركة البترول اهتمام الرأى العام الجزائرى ، وقد رفضت احتكارات البترول بعض المطالب مثل الاثر الرجعى للزيادة فى نسبة الضرائب والمبدأ القاضى باجبار الشركات البترولية على اعادة الاستثمار ، بينما سلمت ببعض ما طالب به مؤتمر الدول المصدرة للبترول الاعضاء فى الاوبيك الذى انعقد فى كاراكاس فى ديسمبر ١٩٧٠ مثل تعديل السعر الضريبى المسجل فى حالة ما أذا حدث تغير فى قيمة عملة البلاد المصنعة بكيفية تؤثر على المقدرة الشرائية للدخول البترولية

ويعمل فى فرنسا حاليا ما يزيد عن نصف مليون جزائرى يشكلون خمس القوى العاملة يرسلون الى عائلاتهم المقيمة بأرض الوطن مبالغ تتراوح بين ٨٠٠ ــ ٩٠٠ مليون فرنك سنويا ، كما تدفع الحكومة الفرنسية نحو ٢٠٠٠ مليون فرنك كل عام الى الحكومة الجزائرية كمعاشات لهؤلاء العمال ٠ ويعمل بالجزائر نحو ٢٠٫٠٠٠ فرنسى (منهم ٦٨٠٠ بمقتضى اتفاقية التعاون الموقعة بين فرنسا والجزائر) ومايزيد عن ٧٠٠٠ مصرى أكثر من نصفهم يشتغل بالتعليم ٠

وتبذل السلطة الجزائرية جهودا مكثفة لحل مشكلة « التعريب » ٠٠ وتحقق فى هذا المجال نجاحا واضحا ، وتعمل على مسابقة الزمن لاختصار هذه المرحلة ٠٠ فالى جانب التوسع فى التعليم العام والقضاء على الامية وتغيير المناهج بما يتسق مع متطلبات التعريب والتثقيف القومى ٠ تهتم السلطات بتكوين وتدريب الاطارات اللازمة لجهاز الدولة وللتنمية الاقتصادية والثقافية ٠ وتتسم السياسة التعليمية بالمرونة ، فيتاح للمجاهدين القدامى الالتحاق بالجامعة بعد تأدية امتحان للقبول ، رغم عدم انتظامهم فى المراحل السابقة للدراسة ٠٠ ولكنهم وبعد تخرجهم يكلفون بالاعمال والمهام الادارية ولا يسمح لهم بالالتحاق بالمعاهد العلمية والجامعات أو العمل بالنشاط العلمى حرصا على مستواه ٠

وتحتل تجربة المجالس الشعبية البلدية مكانا بارزا فى سياسة الحكومة الجزائرية « فالبلدية هى الجماعة الاقليمية الادارية والاقتصادية الاجتماعية الاساسية » وهى « خلية الامة » ، وتكون الوحدة الداخلة بالدولة ، لتقوم بواجب خدمتها فتكون وحدة لا مركزية تتكفل بالتطبيق المباشر لاعمال التنمية المناطة بها « تهدف الى اقامة نظام لا مركزى وتوزيع السلطات واشراك القاعدة الشعبية فى تسيير شئونها وحل مشاكلها » ، كما أنها نقطة الانطلاق فى أصلاح النظام الادارى الموروث عن العهد الاستعمارى ٠

ونظام البلديات كان معمولا به فى ظل الاحتلال الاستعمارى بدأ عام ١٨٤٤ بالمكاتب العربية «بيرو عرب » لتسيير الدائرة المحلية مباشرة من قبل ضابط جيش الاحتلال ، ثم طورت الى بلديات مختلطة ابتداء من عام ١٨٦٨ يديرها موظف من الادارة الاستعمارية يساعده موظفون جزائريون ولجنة بلدية أعضاؤها الاوروبيون منتخبون والجزائريون معينون ، وبصورة جزئية أصبح هؤلاء ينتخبون منذ عام ١٩١٩ ، ورغم ذلك فقد اضطر الاستعمار الى الغاء البلديات المختلطة عام ١٩٥٦ ٠

وقد أعلن الميثاق البلدى وصادقت عليه السلطة الثورية فى اكتوبر ١٩٦٦ ثم صدر القانون البلدى فى يناير ١٩٦٧ ٠ و « الميثاق البلدى » يجعل من البلدية حجر الزاوية فى بناء المجتمع ولاصلاح النظام الادارى ٠ وجرت الانتخابات الاولى لاعضاء المجالس الشعبية البلدية فى فبراير ١٩٦٧ (شارك فيها ٧١ فى المائة من مجموع الناخبين) تلاها بعد سنتين انتخاب اعضاء المجالس الشعبية للولايات فى مايو ١٩٦٩ (شارك فيها ٧٢ فى المائة من مجموع الناخبين) أما الانتخابات الاخيرة ــ ١٤ فبراير ــ فقد شارك فيها ٧٥ فى المائة من عدد الناخبين ٠

كما نص القانون الخاص بالبلديات على توسيع اختصاصاتها ، فبعد أن كانت محصورة فى المهام الادارية وحدها ، امتدت لتشمل اعمالا

واختصاصات فى جميع المجالات الاقتصادية والعمرانية والا[illegible]ية والثقافية والتربوية • وكفلت لها [illegible] المشاركة بصورة أكثر فاعلية فى تنفيذ [illegible] الرباعية [illegible] • وهكذا أصبحت البلديات وحدات [illegible] ادارية تتمتع باللامركزية الادارية وتستطيع التصرف فى ميزانيتها ومواردها • وللبلديات أجهزتها الخاصة اذ تتفرع منها لجان الادارة والتخطيط والاقتصاد والمالية والشئون الاجتماعية والشئون الثقافية •

والاهمية الخاصة التى تتمثل فى نظام البلديات تنبع من عدة اعتبارات عملية ، فى مقدمتها الافتقار الى جهاز الدولة المركزى المتكامل واتساع رقعة الجزائر وظروفها الجغرافية والتاريخية التى جعلت البقاع المأهولة والمعمرة بها ، تفصل بينها مسافات شاسعة •

وقد لاحظ كافة المراقبين ظاهرة الاقبال على صناديق الاقتراع (بلغ عددها ١٥٠٠٠) والحرية فى مزاولة حق الانتخاب الا أن موضع التساؤل الرئيسى كان يدور حول اسلوب الترشيح والدعاية الانتخابية • فالاسلوب المتبع والمعمول به هو أن ترشح جبهة التحرير الوطنى ضعف العدد المطلوب اختياره من جانب الناخبين ، على أن يكون جميع هؤلاء المرشحين من أعضاء الجبهة • وأجرى تعديل فى الانتخابات الاخيرة سمح بمقتضاه الاجهزة الادارية بترشيح عدد لا يزيد من الثلث بشرط أن يكن عضوا فى حزب التحرير وأن يحصل على موافقته •

وينص الميثاق البلدى على « ان البلدية تمثل القاعدة الاقليمية والانسانية **فى هيكل الحزب** » •• ولذلك كان من الطبيعى الا تدور المعركة الانتخابية بين ممثلى وجهات نظر متباينة حول أساليب حل مشاكل الجماهير ، بل تجرى عملية « **اختيار لشعبية الحزب** » طبقا لتفسير بعض المسئولين الذين التقينا بهم ، ومن الطبيعى أيضا أن تقتصر الدعاية الانتخابية على « حملة الشرح والتوضيح لاعضاء مجلس الثورة والحكومة عبر الولايات » • كما جاء فى الصحافة •

وكان مثار التساؤل الرئيسى حينئذ حول علاقة الحزب بالمؤسسات الجماهيرية ، وهل تعد امتدادا له وهياكل بداخله ، أم يتاح لها نوع من واقع الاستقلالية ثم يزاول الحزب تأثيره داخلها من واقع شعبية ونضاله اليومى وتمثيله لمصالح الجماهير ؟ هل هناك اقرار بقانون الصراع الطبقى داخل صفوف قوى الشعب العاملة ، أم أن هذا القانون مرفوض أصلا ؟ كيف تعبر مختلف القوى الاجتماعية الوطنية عن وجهات نظرها تجاه المشكلات القومية ، أذا لم تتح لها فرصة التعبير داخل اطار جبهة وطنية ؟ كيف يمكن تجنب ما نبه اليه **الرئيس بومدين** من « خطر البيروقراطية الحزبية والانعزال عن الجماهير الشعبية وخطر خلق طبقة داخل الحزب » (١) مادام عضو الحزب يضمن ترشيحه ويقتصر حق الشعب على الاختيار من بين اعضائه •

ويزيد من أهمية هذه التساؤلات أن السلطة الجزائرية الوطنية قد أخذت بخط الحزب الواحد لا الجبهة المتحدة . أن خطة اعادة تنظيم هياكل الحزب التى كان مقررا ان تتم خلال « عام الحزب » عام ١٩٦٨ لم تكتمل بعد مراحلها حتى الان (٤) ، هنـاك مـن غلبـه عنصر المثقفين الان ، أماما لاحظنا من متوسطى الاداريين والفنيين الوطنيين وندرة العنصر العمالى والفلاحى بين المرشحين . هناك بعض القوى لا يمكن التشكيك فى وطنيتها او كفاءتها خارج الاطار التنظيمى للحزب •

ورغم ذلك فان هذه التساؤلات التى نطرحها لا بالنسبة للجزائر وحدها بل ومن واقع تجربتنا نحن أيضا وفيما يتعلق بمشكلات العالم الثالث كله ــ لا تقلل من الاهمية البالغة لانتخابات المجالس البلدية الشعبية ، التى تؤكد التفاف الشعب الجزائرى حول حكومته الثورية فى نضالها لانجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية ، كما أن هذه الانتخابات تعد خطوة بالغة الاهمية فى اتجاه التنظيم الديمقراطى للسلطة ، وقد لمسنا مدى اقبال الجماهير على صناديق الاقتراع ، ومدى حماسها وتصميمها على متابعة مسيرتها الثورية .

ميشيل كامل

---

(١) من حديث الرئيس هوارى بومدين ــ عدد الطليعة ــ يناير ١٩٦٧

رسالة من باريس: الفيلم فرنسى والقصة من المغرب العربى

أن يختار المرء ما يجب مشاهدته فى باريس من أفلام سينمائية ليس بالامر السهل دائما .. خاصة اذا لم تتجاوز الزيارة للعاصمة الفرنسية أسبوعا واحدا .. وعلى العموم كان « **أسوار من الطين** » و « **الين أو الحياة الحقيقية** » (وهما فيلمان فرنسيان) من أكثر الاعمال السينمائية التى تناولها النقاد الفرنسيون بالحديث قبل وصولى الى باريس .. ومن ثم كان من الطبيعى ان أسعى لمشاهدتهما ضمن ما اتيح لى أن أراه خلال وجودى بالعاصمة الفرنسية .

أسوار من الطين

و « أسوار من الطين » هو العمل الاول لجان لوى برتوتشيللى الشاب البالغ من العمر ٢٨ عاما ، والمتخرج فى مدرسة السينما بفوجيرار ، وقد عمل برتوتشيللى فى التليفزيون الفرنسى ابتداء من عام ١٩٦٤ حيث أخرج بعض الافلام القصيرة مقاس ١٦ و ٣٥ مللى ، أحدهما باسم « تريكو » وهو فيلم ريبورتاج عن قرية مكسيكية تبعد عن باريس بنحو ستين كيلو مترا .

وقد استوحى برتوتشيللى فكرة فيلمه « أسوار من الطين » عن دراسة اجتماعية لقرية تونسية قام بها جان دوفينيو عالم الاجتماع الفرنسى ، وهذه الدراسة هى خلاصة معايشة خمس سنوات قضاها دوفينيو فى قرية « شبيكة » التونسية ، وعرض المخرج الشاب على المسئولين عن السينما التونسية المساهمة فى انتاج فيلمه ، الا أنهم فرضوا بعض الشروط التى كان من شأنها اعاقة حرية المخرج كما يقول برتوتشيللى .. واتجه الشاب الى المسئولين الجزائريين الذين وافقوا على الفور على تقديم جميع المساعدات اللازمة .

وبالرغم من جهل برتوتشيللى باللغة العربية فهو يقول انها لم تكن أبدا عقبة أمامه فى سبيل التفاهم مع أهالى القرية الجزائرية ، فهو يرى أن النظرات وطريقة المصافحة ، أو دخول أحد المنازل على سبيل المثال أهم من اللغة فى تفهم الشعب .

ومن اهم مميزات « **أسوار من الطين** » انه أول فيلم يتناول الاوضاع المعاصرة فى الجزائر ، وكانت أحداث جميع الافلام الجزائرية تدور حتى الان على النضال الوطنى والكفاح من أجل الحصول على الاستقلال .. أما برتوتشيللى فانه يقدم لنا الحياة فى احدى القرى الجزائرية الصغيرة حيث يعمل الرجال فى كسر الحجر مقابل أجر زهيد ، وبطلة الفيلم هى ريما ، شابة يتيمة تبلغ من العمر عشرين عاما تعمل فى خدمة الاسرة التى تبنتها وكلفتها بأعمال المنزل الى جانب استخراج الماء من بئر القرية الوحيدة ، والفتاة لديها رغبة تنمو يوما بعد يوم فى المعرفة وفى تحطيم القيود التى تمنع انطلاقها ، ونراها على سبيل المثال فى لقطات غاية فى الشاعرية تقترب من الحجرة التى يلقى فيها المدرس دروسه على الاطفال ، فتصغى اليها باهتمام واضح ، كما أنها تطلب من واحد من هؤلاء الاطفال تعليمها القراءة ، وذات يوم يقرر المتعهد تخفيض أجور العمال فيرفض الرجال تسلم النقود ويجلسون وسط الصحراء فى صمت مطبق مضربين عن العمل ، ويرسل المتعهد فى طلب الجنود ، ولكن أهالى القرية يرفضون العودة الى العمل ما لم ترفع أجورهم ، ويستمر الاضراب مدة ثلاثة أيام يضطر الجنود الى الرحيل بعدها على أثر سرقة ريما لحبل البئر مما يهددهم بالموت عطشا ، ويكون لهذا الحادث أثره العميق على الشابة من ناحية دفعها الى اتخاذ قرار نهائى فيما يتعلق بمصيرها .. وبالفعل تقرر ريما مغادرة القرية بحثا عن عالم آخر قد يكون حظها فيه أفضل .

و « اسوار من الطين » فيلم خال من الحوار فى نحو ثلاثة ارباع اجزائه ٠٠ فيلم يعتمد على النظرات المعبرة التى تقول اكثر مما يشير اليه الحوار ، وتلعب المؤثرات الصوتية مثل العواصف الرملية وأصوات كسر الاحجار واستخراج الماء من البئر دورا فى منتهى الاهمية ، ويكثر برتوتشيللى من اللقطات الثابتة ، ومن حركات الكاميرا البطيئة ليزيد من احساسنا برتابة الحياة وسكون الحركة فى هذه القرية ، ولم يستعن المخرج الا بممثلة واحدة هى **ليلى شنا** (المغربية) فى دور « ريما » أما بقية الشخصيات فقد جسدها اهالى القرية الجزائرية التى تم فيها تصوير الفيلم ٠

أليز أو الحياة الحقيقية

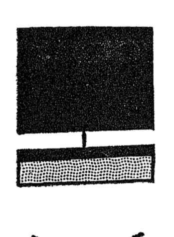
أما الفيلم الثانى فهو « **اليز أو الحياة الحقيقية** » **لميشيل دراش** الذى عانى الكثير فى سبيل عرض عمله فى باريس بسبب الفترة التى تدور فيها أحداث الفيلم وهى فترة حرب التحرير فى الجزائر ، والعقبات التى واجهها دراش لم تكن مصدرها الرقابة التى منحت « اليز » ترخيصا بالعرض [بل انه مثل فرنسا فى مهرجان كان عام ١٩٧٠] وانما الموزعون ، فقد رفض جميع الموزعين الفرنسيين الواحد تلو الاخر تحمل مسئولية توزيع الفيلم ، خوفا من نشوب مظاهرات معادية تنظمها العناصر اليمينية المتطرفة ، كما حدث عندما أعلن عن عرض فيلم « معركة الجزائر » فى مايو الماضى ، مما اضطر موزعه الى العدول عن العرض ٠٠ وفى النهاية اضطر دراش الى القيام بتوزيع فيلمه بنفسه ٠٠ وقد كان ٠٠٠

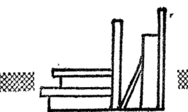
وقد أخذ ميشيل دراش (٤٠ عاما) أحداث فيلمه عن قصة لكلير **اتشيرللى** ، وهى قصة عايشتها المؤلفة بالفعل ، وتدور هذه الاحداث فى باريس فى عام ١٩٥٧ ٠٠ والبطلة هى اليز (**مارى جوزيه نات**) ـ فتاة رحلت عن بلدتها بوردو وجاءت الى باريس بحثا عن أخيها الفوضوى الهارب ، وتعثر اليز على شقيقها الذى يرفض العودة الى بوردو ، وتضطر الفتاة الى البحث عن عمل لدفع ثمن تذكرة عودتها الى بلدتها ، ويدعوها أخوها للعمل فى مصنع لتجميع السيارات ، وهناك تعايش اليز الظروف الصعبة التى يعمل فيها عمال المصانع الاجانب ، وتلتقى بشاب جزائرى تعطف عليه فى البداية ثم يتحول هذا العطف الى شعور بالحب من جانب الطرفين ، ويواجه هذا الحب بين الجزائرى والفرنسية متاعب عدة بالطبع من جانب المجتمع الذى لا يقبل هذه العلاقة ، وفى النهاية يلقى البوليس القبض على الشاب بسبب نشاطه مع المجاهدين الجزائريين ، وتكاد اليز تفقد صوابها وتعود الى بوردو محطمة القلب ٠

وقد نجح دراش كل النجاح فى ابراز النظرة العنصرية السائدة فى فرنسا فى تلك الفترة تجاه العناصر الجزائرية ، (فى أحد المشاهد تقول احدى الشخصيات : لكم أتمنى القاء قنبلة ذرية على الجزائر ٠٠ بينما تقول شخصية أخرى موجهة حديثها الى البطل : بودى لو جمعت الحكومة الجزائريين المقيمين فى فرنسا فى طائرة والقت بهم فى المحيط] ٠٠ والمخرج لا يكتفى بذلك بل انه يدين عنصرية الجزائريين الذين يرفضون افتراض وجود عناصر طيبة بين الفرنسيين ، ومن هنا تأخذ ادانة دراش للعنصرية معنى اكثر عمومية ، وترتفع عن مجرد كونها اتهاما للفرنسيين فحسب ٠٠ ودراش يكشف أيضا الاساليب الوحشية التى كان البوليس يلجأ اليها فى معاملة الجزائريين [فى أحد المشاهد يرغم اثنان من رجال البوليس البطل على خلع ملابسه والوقوف عاريا أمام اليز لاذلاله أمام فتاته بحجة تفتيشه] ، ويظهر الظروف السيئة التى تعمل فيها العناصر الاجنبية فى المصانع الفرنسية ، ، حيث يتحول الانسان الى مجرد آلة صماء ، وتسلب منه آدميته وكرامته [والجدير بالذكر ان دراش لم يتمكن من تصوير هذه المشاهد فى مصانع سيتروين فى فرنسا بسبب رفض المسئولين ، ولجأ الى تصويرها فى مصانع سيارات رينو فى الجزائر] ٠

٠ ان اليز أو الحياة الحقيقية فيلم نابع من عقل وقلب شاب مخلص أراد استغلال الفن السابع فى ادانة مواقف وأوضاع لا يمكن أن يرضى عنها ضمير الانسان ٠٠

يوسف شريف رزق الله







وكالة المخابرات المركزية

مشاكل السرية فى مجتمع ديمقراطى

■ تأليف :

يونج هوم كيم

■ عرض وتعليق :

كمال السيد

■ الناشر :

هيث آند كومباني

أمريكا ـ ١٩٦٨

بلغة القانونيين « **الاعتراف سيد الادلة** » وبكلام **المسيح** « **من فمك ادينك** » ، وبالقول الشائع « **وشهد شاهد من أهلها** » ، يمكن أن نصف بدقة ما جاء فى كتاب « **يونج هوم كيم** » بجامعة كاليفورنيا عن « **وكالة المخابرات المركزية** » والذى صدر ضمن السلسلة المعروفة « **مشاكل فى علم السياسة** » ، التى تهدف كما يقول ناشروها « **الى تشجيع الفكر النقدى** » وصدام الاراء لبيان الحقيقة .

والواقع أن دور **يونج هوم كيم** اقتصر على كتابة مقدمة ضافية للكتاب ثم اختار مقالات وكتابات مجموعة من « **نجوم** » المجتمع الامريكى ، اعضاء مجلس الشيوخ وهيئات التدريس فى الجامعة ووكلاء الوزارات ، بل ورئيس المخابرات ، بين مؤيد ومعارض لوجودها وأساليبها وآثارها على الديمقراطية والحرية الفردية ، وذلك انطلاقا من فكرة « ان صدام وجهات النظر يلقى الضوء على المكونات الفكرية والاخلاقية والعملية لمشاكل علم السياسة » .

وفى المقدمة التى تحمل عنوان « المشكلة : الديمقراطية ، السرية ، والحرب الباردة » يثير يونج هوم من السطر الاول مشكلة السيطرة والرقابة على وكالة المخابرات المركزية • ويورد تساؤل البروفسور هارى رانسوم عن فائدة السرية فى مجتمع ديمقراطى ، وتساؤل البروفسور هانز مورجنتاو عن قدرة هذه الوكالة على النفاذ الى حقائق الامور الفعلية ، وقدرة الرقابة الديمقراطية على السيطرة على وسائلها • كما يؤكد تحذير البروفسور ويليام بنشتين عن ضرورة بذل جهود خاصة للقضاء على خطر استخدام الاساليب « التسلطية » التى تؤدى الى دمار الديمقراطية ، كما يقول يونج ، « شكل للحكم وأسلوب للحياة » يحتم عرض النشاط الحكومى على الرأى العام ، فى حين ان الدكتاتورية تجعل زعيما واحدا مع أقلية ضئيلة «يملون ويقررون سرا كل أوجه العمل الحكومى» • واذا أخذنا بهذا التعريف ، فاننا لا شك سنتبين « مدى الديمقراطية » التي يتمتع بها المجتمع الامريكى والتي لا يخلو الكتاب فى هذا الموضع أو ذاك من الدفاع عنها ، خاصة بعد أن نتبين مدى السلطات التى تتمتع بها تلك الوكالة السرية ، والتى تقرر أخطر أمور الدولة بعيدا عن رئيس الدولة ، رغم انه ابن بار للمصالح السائدة هناك ، بل وبعيدا عن مجلس الشيوخ ، وأقل ما يقال عنه «انه مجلس ادارة لارباب الاعمال للتحكم فى مقدرات المجتمع » • وهذا ما يؤكده يونج فى مقدمته بقوله : « ان السرية فى الحكم نقيض للديمقراطية وغريبة عنه ومرادف للتسلطية ؛ وأى تنظيم حكومى يعمل سرا فى المجتمع الديمقراطى ، مثل وكالة المخابرات المركزية ، لابد وأن يستخدم وسائل تسلطية لتحقيق غاياته » •

والواقع ان يونج يهاجم الوكالة فى مواضع كثيرة من مقدمته ، ويورد فى مواضع أخرى مايمكن أن يكون تبريرا لوجودها ، فالحرب الباردة عنده (وهو لا يحدد لنا بأمانة من المسئول عنها) واتساع ميادين معاركها ، السياسية ، والدبلوماسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والعسكرية ، والايديولوجية ، والعلمية ، والتكنيكية قد جعل « صرخة المعركة هى « الامن القومى » ، وجعل ادواتها عملاء المخابرات وليس الجنود » •

واذا كانت الحرب الباردة هى المسئولة كما يقول المؤلف ، عن نشوء وتضخم وكالة المخابرات الامريكية ، فان بوادر تخفيف حدة التوتر بين الاتحاد السوفيتى وأمريكا قد أدت فى رايه الى ازدياد الهجوم على الوكالة ، والذى يلخصه فى :

■ ان الوكالة تكون حكومة « مينى » و « حكومة خفية » أو « الفرع الرابع للسلطة » والذى يعمل خلال تنظيم سرى ، لا تخضع ميزانيته لرقابة الكونجرس •

■ ان الوكالة فى سعيها لتحقيق أغراض قصيرة المدى ، تتبع طرقا قد تؤدى الى الاضرار بأهداف الامة طويلة الاجل ، وتدمر المجتمع الديمقراطى ، الحر ، المفتوح فى الداخل والخارج •

■ ان الوكالة قد لوثت صورة اتحاد الطلبة القومى الامريكى فى الخارج بعد افتضاح العلاقة الخفية بينهما •

■ ان الوكالة بتسللها الى التنظيمات المستقلة ذاتيا ، كالجامعات ، واتحادات الطلاب ، والنقابات المحلية والدولية تقضى على الطابع « الخاص » لهذه التنظيمات •

■ تدخل الوكالة فى اختصاص تنظيمات واجهزة الدولة الاخرى لا يتفق مع « عدالة اللعب » وينتهك التقاليد الامريكية •

ولا يفوت كاتب المقدمة ، أن يورد أيضا الحجج التى تدافع عن الوكالة ، ليس فقط من باب « عدالة اللعب » ، أو تمشيا مع شعار السلسلة « صدام الافكار » وانما أيضا مراعاة لعلاقات القوى هناك • واهم حجج الدفاع هى :

■ ضرورة وجود قدر من السرية حتى فى المجتمع الديمقراطى ، فى المجالات العسكرية والاستراتيجية ، العلمية والصناعية ، والدبلوماسية ، اى باختصار فى كل مجال •

■ ان أعمال التخابر ضرورية للامن والسلامة القومية •

■ ان غايات الوكالة يمكن أن تبرر وسائلها .

■ ضرورة محاربة « النار بالنار » (*)

■ ان اخطار الوكالة تتناقض لو أن الحكومة الديمقراطية قامت بواجبها ·

وفى ختام المقدمة يورد الكاتب الاسئلة التالية : هل يمكن أن تبقى آمريكا وفية لتقاليدها ، وهى تقوم باعمال سرية تتناقض مع هذه التقاليد ؟ هل يمكن أن تقوم وكالة أمريكية بالاطاحة بالحكومات وتدبير الانقلابات دون تشويه لمثل الحرية وحق تقرير المصير التى ارستها الامة الامريكية ؟ ما هو مكان السرية فى مجتمع ديمقراطى حر ؟

أساس وقوة وخطر الوكالة

تحت هذا العنوان يورد الكاتب مقالا لسميث سمبسون ، أحد مستشارى الخارجية · وفى هذا المقال يوجه الكاتب النقد المرير لتدخل الوكالة فى أعمال وزارة الخارجية ، بل والحلول محلها ، الأمر الذى يؤثر فى رأيه على فاعليتها ، وقدرتها على ادارة العلاقات الدولية ، بل المبادىء الاخلاقية والسياسية التى تزعم أمريكا الدفاع عنها فى الداخل والخارج ·

ومع اتضاح الحاجة الى الرقابة على عمل الوكالة ، لم تفلح مختلف اللجان التى كونت لهذا الغرض فى تحقيق تلك المهمة ، « وظلت وزارة الخارجية فى ظلام دامس فيما يتعلق بكثير من العمليات التى تقوم بها الوكالة فى الخارج ، خاصة تلك التى تتعارض مع سياستها ·· وشيئا فشيئا اصبحت الوكالة تتخذ قرارات ، ينص الدستور على أنها من حق الرئيس وحده ، ونشرت الفوضى والاضطراب فى السياسة الخارجية للبلاد » ·

أن ميزانية الوكالة لا يقدم عنها تقرير سنوى ، وهى متضمنة فى ميزانية وزارة الدفاع ضمن بنود أخرى ، فلا أحد يعرف مقدارها أو حجمها ·

الدفاع عن الوكالة

وفى الجزء الثانى من الكتاب يورد يونج مقالا لفردريك أير وهو مساعد خاص لمخابرات القوات الجوية ، بعنوان « المخابرات تكفل بقاء الامة » يؤكد فيه أن أهم الواجبات التى تواجه أمريكا هى الحصول على معلومات فورية · وكاملة · ويعرف المخابرات بأنها ، « الحصول على معلومات كاملة تتعلق بكل الامم التى يعنينا امرها واستخلاص النتائج السليمة من تقييم هذه المعلومات » · وتضم هذه المعلومات فى رأيه ستة جوانب : ١ ـ قوة الاساس الصناعى للامة ، وطاقاتها الانتاجية الكامنة · ٢ ـ معدل التقدم الذى يحرزه علماء الامة ومدى تقدير الجهد العلمى · ٣ ـ القوة السياسية للنظام ومدى حزمه · ٤ ـ طبيعة الشعب ، ميراثه العاطفى والثقافى ، دوافعه واحكامه المسبقة ، مدى صلابته ، الخ ٥ ـ ما هى احتياجات الامة للاستمرار فى سياسة معينة · ٦ ـ ما هى نوايا وخطط هذه الامة ·

المخابرات خط الدفاع الاول

تحت هذا العنوان يؤكد آلان دلاس ، مدير وكالة المخابرات المركزية السابق ، ان انشاء مخابرات فعالة يقتضى أن يوضع فى مراكزها القيادية رجال وهبوا كل حياتهم لهذا النوع من العمل ويجدون فيه متعتهم ومكافآتهم ·

ويقول دلاس ان مخابرات وقت الحرب تختلف عن مخابرات وقت السلم ، فهذه الاخيرة يمكن فيها الحصول على المعلومات عن طريق القنوات المفتوحة ، من البعثات الدبلوماسية والقنصلية ، والملحقين الجويين والبحريين والعسكريين ، والصحافة ، والاذاعة ، وجموع الامريكيين العاملين فى مختلف المهن والمجالات فى الخارج ، وهذه القنوات توفر ٨٠ فى المائة من المعلومات اللازمة · وينادى دلاس بضرورة أن تكون الوكالة تحت قيادة مدنية لا عسكرية ، وأن تترك هذه القيادة فى عملها لمدة طويلة تمكنها من بناء هيكل متين واحراز نتائج مثمرة ، ولابد من تجنب كثرة التغيير فيها ، خاصة تلك التى ترتبط بالتغييرات السياسية ، وان مساعدى الرئيس لابد وأن يختارهم هو ، والا يفرضوا عليه ، وان هذا الرئيس لابد وان يقدم تقاريره الى مجموعة صغيرة للغاية من المسئولين · ويقول دلاس ان لعمل وكالة المخابرات اهمية بالغة فى وقت السلم حتى بالنسبة لوزارة الخارجية ، اذ أن معرفة حقيقة الوضع فى بلد تستخدم أمهر كفاءات وعلماء الامة فى تقييم وربط معين تقتضى ان تقوم بذلك وكالة متخصصة ، المعلومات الواردة ·

الهجوم على الوكالة

فى هذا الجزء من الكتاب يورد يونج مجموعة من الاراء المناوئة بدرجة او آخرى لاعمال الوكالة ، يبدأها بمقال **لبول بلاكستوك** الذى عمل فى مخابرات الجيش كمحلل واخصائى فى الحرب النفسية • وفى هذا المقال يؤكد الكاتب ان اعمال المخابرات السرية لن تنهى الحرب الباردة ، فالنضال ضد « الشيوعية أو الحركات الثورية الاخرى لن يتم كسبه بالعمليات السرية ••• لان أرقى انواع التكنيك فى العمل البوليسى ، **وفى الرقابة ، والتسلل ، والتدمير والقهر ، لن تقضى على أسباب الثورة** » ويقدم المثل على ذلك من الانقلاب الذى دبرته المخابرات الامريكية فى **جواتيمالا** عندما أطاحت بحكومة ارنبز ، **ومع ذلك** بقيت أسباب الثورة • ويورد الكاتب قول **ليبمان** « **انى اجرؤ على القول بأن السبب الذى يجعلنا فى موقف الدفاع فى كثير من الاماكن لعشرات السنوات هو اننا نفعل تماما ما يتوقع منا خروشوف أن نفعله • لقد استخدمنا الاموال والنقود فى محاولة طويلة خاسرة للابقاء على حكومات محلية ، تحت شعار معاداة الشيوعية ، تعادى كل تغيير اجتماعى** » •

أما البروفسور ريتشاردكوتام فيؤكد ان الوكالة تستحق كثيرا من النقد ، وتحتاج الى مراجعة شاملة ، ويقول ان استبدال آلان دلاس ، بعد مغامرة « **خليج الخنازير** » فى كوبا ، يؤكد انتشار الاحساس بأن الوكالة قد زاد وزنها عن اللازم **فى** المجالين الدبلوماسى والعسكرى • **ان حادثة خليج الخنازير قد أكدت انفصال عمل المؤسسات الامريكية عن بعضه البعض ، وعدم وجود أساس نظرى موحد للعمل الاستراتيجى**

كذلك فان **هانز مورجنثاو** ، الاستاذ بالجامعة ، ومدير مركز دراسة السياسة الخارجية الامريكية ، ومستشار وزارتى الخارجية والدفاع ، يؤكد أن الحكومة الامريكية قد دمرت الطابع « **الخاص** » لكثير من المنظمات عندما الحقتها سرا بالاجهزة التى تخدم سياستها فى الخارج ، مما جعلها تستخدم أساليب الحكم التسلطية ، ولا تضع فى اعتبارها التعاون التطوعى من المواطنين • والوكالة مهما ارتقت أساليبها لاتستطيع فى رأيه أن تسبر غور الامور والواقع • وسرية أساليب الوكالة قد بينت ضعف الديمقراطية فى المجتمع •

لقد تغلغلت الوكالة فى كثير من المجالات الداخلية ، واهتزت ثقة الشعب فى حكومته وهذه ليست أزمة سياسية ترجع الى عمل هذه الوكالة وحدها ، بل انها ازمة اخلاقية تصيب الديمقراطية الامريكية نفسها • وكما قال دبلوماسى انجليزى فى القرن ١٦ فان « الدبلوماسى رجل شريف بعثته بلاده الى الخارج ليكذب باسمها » ، كذلك فان الامريكيين قد أصبحوا يعتقدون أن أى موظف حكومى « هو رجل شريف يكذب نيابة عن حكومته » •

ونشأة « **اليسار الجديد** » وخيبة أمل آلاف الطلاب تعكس فى رأيه ، **افتضاح أساليب الحكومة** فى استغلال المنظمات الخاصة فى اغراض سرية ، وخيانة التقاليد الامريكية التى تنص على استقلال المنظمات الخاصة عن الحكومة ، باعتبار ذلك مصدر حيوى للديمقراطية الجماعية • ان العلاقة اليومية بين كل أجهزة الحكومة ، وفى مقدمتها الوكالة ، **تنتهك مبدأ استقلال المؤسسات الخاصة ، وبالذات التعليمية** «وكما أن تكامل واستقلال الحكومة قد قضى عليه من قبل التجمع « **العسكرى** الصناعى » كما قال **ايزنهاور** فى خطبة الوداع ، فان استقلال وتكامل المجتمع التعليمى قد قضى عليه بواسطة التجمع الاكاديمى السياسى • ان كلا من القادة الطلابيين والاكاديميين قد خانوا ثقة مجتمع العلم بعملهم سرا لحساب الوكالة • « وخيانة المثقفين » هذه تسبب للامة أفدح الاضرار • وليس على الوكالة وحدها أن تكف عن استغلال مجتمع التعليم ، بل على الحكومة بأسرها أن تفعل ذلك • وهذا لا يمكن أن يتم بتكوين لجنة « رئاسية » أخرى ، بل يتطلب اعادة توجيه جذرية واخلاقية للمجتمع الاكاديمى والحكومى •

أما أرفنج لويس هوروويتز استاذ علم الاجتماع بجامعة واشنطن ، فيفضح ارتباط جامعة **ميتشجان** بوكالة المخابرات فى تدريب رجال البوليس السرى لحكومة **ديم فى فيتنام** • ويعارض عسكرة علم الاجتماع الذى يعانى أزمة لا تتمثل فقط فى حاجته الى بيانات واقعية ، بل الى استعادة الثقة فى علمائه • ويؤكد الكاتب ان الحقائق الاتية قد اتضحت أخيرا :

- تعاون الجامعة مع الوكالة فى تدريب رجال البوليس فى الدول العميلة من ١٩٥٥ •
- اعتراف مسئولى الجامعة بوجود وكلاء المخابرات فى جهازها •
- ذهاب بعض اساتذة الجامعة الى فيتنام لخدمة حكومة ديم فى ١٩٥٤ •
- اعتراف بعض مسئولى الجامعة بتلقى الاموال من الوكالة •

● اشتراك المخابرات فى تنظيم شئون الجامعة ٠

اما شارلز ميكولو فينادى بضرورة اتفاق الغايات مع الوسائل ، وان استخدام الاساليب السرية يجب أن يخضع لرقابة حاسمة ٠ فميزانية الوكالة التى تصل الى ١٠٠٠ مليون دولار وموظفيها الذين يقدرون بـ ١٢ الف ، ووسائلها التى تشمل الدعاية ، والتجسس ، والتخريب ، والعمليات شبه العسكرية ، والانقلابات التى تدبرها ، كل ذلك يحتاج الى اشراف حازم ٠ أما الرقابة الحالية للكونجرس وهى غير مباشرة وتمارسها ٤ لجان فرعية ، فهى غير كافية ٠ كما يطالب أيضا بضرورة أن يكون هناك نوع من وحدة الاستراتيجية بين عمل كل الاجهزة ٠

وقد طالبت اللجنة التى شكلها جونسون فى ١٩٦٧ برئاسة كاتزنباخ وكيل وزارة الخارجية: بألا تقدم الوكالة آية مساعدات سرية للمنظمات الخاصة خصوصا التعليمية وأوضح التقرير أن الوكالة تستغل حوالى ١٠٠٠٠ تنظيم أمريكى يعمل فى الخارج ٠

أما وليام فولبرايت رئيس لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشيوخ فيؤكد أن استغلال المخابرات للتنظيمات الخاصة قد نجم عن تورط الولايات المتحدة فى كل مكان فى العالم ٠ ويقول انه فى عصر الصدام العالمى ، تصبح وسائل خوض هذا الصدام غايات فى حد ذاتها ، ومن هنا تتضخم سلطات ووسائل الوكالة ، والتى قد تعتدى على سلطات الرئيس نفسه ٠

والواقع أن هذا الكتاب ، رغم انه يحمل فى ثناياه كثيرا من التبرير لوجود ، بل وأساليب الوكالة ، فانه يلقى كثيرا من الضوء على مدى سيطرة هذه الوكالة ، ونوعية الاساليب التى تستخدمها ، والاثار التى تنجم عنها فى الداخل والخارج ، خاصة فيما يتعلق بالديمقراطية وانتهاك القيم والحريات الشخصية ، وتبديد الموارد ٠

■ ■ ■

« المغيرون » قوة الصحراء الضاربة

■ تأليف :

آرثر سوينسون

■ عرض وتعليق :

محمود عزمى

■ الناشر :

ماكدونالد ـ لندن

مازالت وقائع العمليات الفدائية الجريئة التى قامت بها بعض الوحدات الخاصة البريطانية فى صحراء مصر وليبيا خلال الحرب العالمية الثانية تجتذب اليها أقلام الكتاب ودور النشر فى اوروبا وأمريكا حتى الان رغم انقضاء أكثر من ربع قرن على وقوعها ، ورغم صدور العديد من الكتب والدراسات المختلفة حول هذا الموضوع منذ عام ١٩٤٥ ، فقد صدر مؤخرا فى لندن كتاب جديد باسم « المغيرون قوة الصحراء الضاربة » ضمن سلسلة كتب شعبية متقنة الاعداد شكلا وموضوعا تصدر تباعا منذ عام ١٩٦٨ حول تاريخ الحرب العالمية الثانية تعرف بسلسلة « Purnells »

والمؤلف يعمل ككاتب ومنتج بالاذاعة البريطانية منذ عام ١٩٤٩ حيث قدم العديد من التمثيليات والافلام الثقافية كما كتب بعض المؤلفات العسكرية المتعلقة بالحرب العالمية الثانية ، وقد سبق له الخدمة بالجيش البريطانى منذ عام ١٩٣٩ حتى عام ١٩٤٦ ، واشترك فى العمليات الحربية فى الهند وبورما والملايو ، وتتميز كتاباته العسكرية

بأسلوب العرض القصصي الشيق للمعارك أو الحملات التي يتعرض لها ٠

بدء تكوين جماعات الصحراء الخاصة

تحت عنوان « الماجور يصل الى القاهرة » يبدأ المؤلف كتابه عن فدائيي الصحراء الذين بدأ تشكيلهم الاول والاساسي في التكون بوصول الرائد « باجنولد » الى القاهرة مصادفة فيأكتوبر عام ١٩٣٩ ــ أى بعد نشوب الحرب بين بريطانيا وفرنسا من جهة والمانيا النازية من جهة أخرى بحوالى شهر تقريبا ــ بعد توقف الباخرة التى كان مسافرا عليها من انجلترا الى شرق أفريقيا ليتسلم وظيفة جديدة هناكباعتباره ضابطا بسلاح الاشارة الملكى البريطانى ، وذلك فى ميناء الاسكندرية لاجراء اصلاحات ضرورية طارئة قد تستغرق أكثر من ١٠ أيام ٠ وقد انتهز «باجنولد» هذه الفرصة لتمضية بضعة ايام فى القاهرة لزيارة أصدقائه القدامى فيها الذين عرفهم أثناء عمله بها فى مصلحة المساحة المصرية فى أخريات العشرينات وبدايات الثلاثينات ، وقد قام خلال سنوات تواجده فى مصر خلال تلك الفترة بتكوين جماعة من هواة الرحلات الصحراوية جابت صحارى مصر والسودان وليبيا ، وذلك بمعاونة وتشجيع تال لجهودها الاولى من الجمعية الجغرافية الملكية الانجليزية ، واكتسب «باجنولد» وجماعته هذه نتيجة لهذه الرحلات الاستكشافية الكثيرة والطويلة المدى خبرات واسعة فىاجتياز مسالك الصحراء الليبية غير المعروفة ، خاصة فى المناطق الجنوبية شديدة الجدب ، حيث تترامى بحور الرمال الناعمة الهائلة مئات الاميال التى كان من المعروف استحالة عبورها ، وحيث يتناثر قليل من الواحات كجزر صغيرة فوقمحيط الرمال المتوحش ، واحات مثل « سيوه » ، و « جغبوب »و « الكفرة »و « جالو »و « مرزوق » و « هون » ٠

ولم يطل المقام بباجنولد فى زيارته العارضة هذه للقاهرة حتى استدعى الى مقر قيادة الشرق الاوسط ، حيث عرض عليه الجنرال « ويفل » العمل تحت قيادته فى مصر للاستفادة من خبراته هذه فى الاستعدادات للحملات العسكرية المتوقع القيام بها فى صحراء مصر الغربية وليبيا حال اشتراك ايطاليا الفاشية فى الحرب الى جانب المانيا النازية ، وقبل « باجنولد » علىالفور عرض « ويفل »، وبقى فىالقاهرة حيث عمل فى مبدأ الامر كمستشار عسكرى فى شئون الصحراء ، ثم كلفه « ويفل » فى ٩ يونيو سنة ١٩٤٠ ــ قبل دخول ايطاليا الحرب بيوم واحد ــ بتشكيل جماعة خاصة من المتطوعين تكون مهمتها القيام بدوريات استطلاعلنوايا الايطاليين بالنسبة للجناح الجنوبى من الصحراء وذلك بمراقبة تحركاتهم خلف بحر الرمال الاعظم خشية قيامهم بغارات برية على « أسوان » و « الصعيد » بصفة عامة والواحات المصرية ، فقام « باجنولد » باستدعاء اصدقائه بسرعة من أماكن عملهم المختلفة بالامبراطورية البريطانية فجاء « كلايتون» مثلا من « تنجانيقا » و « كنيدى شاو » من « فلسطين» و «جى برندرجاست» من « انجلترا » الخ ، وهكذا تجمع لديه ٣٠ ضابطا وجنديا خلال شهر تشكلت منهم نواة هذه القوة الخاصة التى أطلق عليها اسم« الدوريات بعيدة المدى » ، ثم عرفت بعد ذلك باسم « مجموعة الصحراء بعيدة المدى »، وبدأت الجماعة على الفور فى التدريب على مشاق الحياة فى الصحراء وفن قيادة السيارات عبر الرمال الناعمة والتلال الوعرة وما الى ذلك من الخبرات اللازمة فى هذا الصدد ، كما بدأ « باجنولد » فى تجهيز جماعته بالمعدات اللازمة فى ظروف صعبة ، نظرا لقلة المخزون من مثل هذه المعدات بسبب صعوبة المواصلات البحرية مع بريطانيا ، ولذلك جمع كثيرا من هذه المعدات بوسائله الخاصة من الاسواق والورش المحلية ومصلحة المساحة المصرية ومخازن الجيش المصرى التى أخذ منها السيارات اللورى اللازمة له والقادرة على السير فى الرمال من طراز « شيفروليه » بالاضافة الى ما حصل عليه من هذه السيارات من شركة « شيفروليه » بفرعها بالاسكندرية ، وبعد خمسة أسابيع من صدور الامر بتكوين هذه الجماعة أبلغ « باجنولد » « ويفل » بأنه على استعداد تام لبدء العمليات !٠ ويعلق المؤلف على سرعة وكفاءة « باجنولد » هذه فيقول «وهكذا وضع الجيش البريطانى فى هذه المرة الرجل المناسب فى المكان المناسب » !

أبرز عمليات « مجموعة الصحراء بعيدة المدى »

بعد القيام ببعض الدوريات الاستطلاعية بقيادة « كلايتون » فى أغسطس ١٩٤٠ عبر بحر الرمال الاعظم ــ الذى يصل عمق الرمال فيه فى بعض المناطق الى نحو ٥٠٠ قدم ، بدأت مجموعة الصحراء عملياتها القتالية فى شهر سبتمبر فهاجمت قافلة ايطالية صغيرة على طريق « الكفرة » برشاشاتها المركبة على سياراتها وأسرت اثنين من الايطاليين وخمسة من الجنود الليبيين و٢٥٠٠ جالون من البنزين ولوريين حمولة ٦ طن ، ثم هاجمت المجموعة بعد ذلك واحة « مرزوق » التى تبعد عن القاهرة بالخط المستقيم نحو ١٠٠٠ ميل فى ١١ يناير ١٩٤١

بالتعاون مع قوة من الفرنسيين الاحرار التابعين لحكومة الجنرال « ديجول » قدمت من مستعمرة « تشاد » الواقعة الى الجنوب من ليبيا ، وقد أسفر الهجوم عن تدمير ٣ طائرات وحظيرة طائرات بمطار الواحة وقتل وجرح وأسر نحو ٣٠ جنديا ايطاليا وليبيا مقابل مقتل اثنين من جنود القوة المهاجمة منهم ضابط القوة الفرنسية وكان يدعى « دورنانو » وجرح خمسة جنود آخرين ، ثم انسحبت القوة بعد ذلك الى « تشاد » خشية الاصطدام أثناء العودة عن طريق مصر مباشرة بالدوريات الايطالية فى « الكفرة » وغيرها من الواحات الليبية ، ومن « تشاد » عادت القوة البريطانية الى القاهرة مرة أخرى جوا عبر السودان ، كما قامت مجموعة الصحراء بعد ذلك بالتعاون مع قوات الفرنسيين الاحرار بقيادة الكولونيل « ليكليرك » بالاستيلاء على واحة « الكفرة » فى أول مارس ١٩٤١ وأسرت حاميتها المؤلفة من ٦٤ ايطاليا و ٣٥٢ ليبيا ومعهم بنادقهم و ٥٣ رشاشا و ٤ مدافع « ٢٠ مم » صالحة للاستعمال ، ومنذ ذلك التاريخ اتخذ « باجنولد » من « الكفرة » مقرا لقيادته ومركزا أساسيا لعملياتها ، وقد تم بعد ذلك أيضا الاستيلاء على واحتى « جالو » و « جغبوب » اللتين أصبحتا قواعد متقدمة لعمليات مجموعة الصحراء تستندان الى كل من واحتى «الكفرة » و « سيوة » كقواعد خلفية رئيسية ، هذا وقد احتلت « الكفرة » بعد ذلك بشكل دائم بوساطة قوة سودانية ، بينما كانت « سيوة » ترابط بها قوات سلاح الحدود المصرى ، كما اصبح لمجموعة الصحراء خلال صيف ١٩٤١ طائراتها الخاصة التى تتبع قيادتها مباشرة وكانت تقوم بأعمال نقل المؤن والرجال والجرحى من « الكفرة » و « سيوة» الى القاهرة وبالعكس ، وفى أغسطس ١٩٤١ رقى «باجنولد» الى رتبة عقيد «بريجادير»، والحق بأركان حرب قيادة الشرق الاوسط وتولى « برندرجاست » بدلا منه قيادة مجموعة الصحراء بعيدة المدى .

هذا وقد قامت المجموعة بتنظيم دوريات استطلاع شبه ثابتة طوال سنة ١٩٤١ و ١٩٤٢ لرصد حركة مرور العدو على الطريق الساحلى الرئيسى وابلاغ تفاصيلها أولا بأول الى قيادة الجيش الثامن ، هذا فضلا عن قيام دوريات المجموعة باعداد خرائط ملونة لكافة الاراضى الصحراوية فى ليبيا ومصر بصورة مفصلة لم تكن متوفرة من قبل ، وتعاونت مع الجيش فى عملياته ضد خط العقيلة عام ١٩٤٢ ، وخط « مارث »عام ١٩٤٣ فى تونس بأن اكتشفت له طرقا للالتفاف الاستراتيجى الواسع حول هذه الخطوط عبر الجناح الجنوبى للصحراء المحيطة بهما .

قوة « ستيرلينج »
تهاجم مطارات العدو

فى احد أيام يوليو ١٩٤١ دخل ملازم أول اسكتلندى الاصل يدعى « دافيد ستيرلينج » مكتب الجنرال «ريتشى» رئيس أركان حرب قيادة الشرق الاوسط فى القاهرة بدون اذن سابق أو موعد ، وعرض عليه فكرة تلح عليه تقضى بتكوين قوة فدائية تسقط بالمظلات خلف خطوط العدو لتدمر طائراته على الارض ! وقد دهش « ريتشى » فى مبدأ الامر ثم استمع الى فكرة هذا الضابط المغامر المتحمس وأبدى تفهمه لها ووعده بدراستها بدقة ، وبعرض الامر على القائد العام وقتئذ وهو الجنرال « أوكينلك » اعجب بالفكرة وبناء عليه استدعى « ستيرلينج » بعد ثلاثة أيام من مقابلته العربية لريتشى الى القيادة العامة وكلف بالمضى فى التنفيذ ! وان فى استطاعته أن يجند لوحدته هذه ٦ ضابطا و ٦٠ جنديا من الرجال الراغبين فى التطوع لمثل هذه المهام الفدائية ، على أن يدربهم على مهامهم هذه فى معسكر خاص يتكفل بانشائه فى « كبريت » بمنطقة قناة السويس ، وقد قام «ستيرلينج» فعلا بذلك كله وأطلق على وحدته هذه اسم «قوة الطيران الخاصة » وكلفت بالقيام بمهاجمة مطارات « روميل » المتقدمة فى الليلة السابقة لبدء هجوم الجيش الثامن الكبير يوم ١٨ نوفمبر عام ١٩٤١ ، وقد استدعى « أوكينلك » « ستيرلينج » قبيل بدء العملية مباشرة وصافحه متمنيا له حظا طيبا من النجاح بعد أن بحث الخطة الخاصة بها تفصيلا كما تمت ترقية« ستيرلينج » الى رتبة نقيب «كابتن» ، وقد قام «ستير لينج» بعمل مناورة تجريبية لمثل هذه الهجمات فنظم هجوما وهميا على مطار « مصر الجديدة » بوساطة ٤٠ من رجاله قاموا بلصق ملصقات رمزية بدل القنابل الزمنية على ٤٥ طائرة وانسحبوا دون أن يحس احد بهم! وقد تم اسقاط القوة بعد ذلك بقيادة « ستيرلينج » فى مؤخرة «روميل» بالمظلات لتدمير خمسة مطارات فى المنطقة الواقعة بين «الغزالة» و «التميمى» فى شرق برقة ، الا أن هذه العملية فشلت بسبب الظروف الجوية التى ادت بعثرة الرجال الهابطين بالمظلات على مساحة كبيرة والى ضياع معظم المعدات والقنابل الزمنية اللازمة لتفجير الطائرات ، ولذلك رؤى بعد ذلك العدول عن

استخدام الطائرات والمظلات كوسيلة لتوصيل فدائيى « ستيرلينج » الى اهدافهم والاستعانة بدوريات «مجموعة الصحراء بعيدة المدى» وسياراتها فى تأمين عملية وصول القوة المذكورة واعادتها ، وقد قامت القوة بعد ذلك بعدة غارات ناجحة فى معظم الحالات على المطارات الايطالية والالمانية من واحة « جالو » بالتعاون مع دوريات مجموعة الصحراء وتم تدمير ٢٤ طائرة ايطالية على أرض مطار « طاميت » و٣٧ طائرة أخرى فى مطار « اجدابية » فى ديسمبر ١٩٤١ ، وفى ليلة واحدة ! وقد أقر المؤرخون الايطاليون انفسهم بتدمير ١١ طائرة فى « طاميت » و١٥ طائرة فى « اجدابية » . ودمرت ١١ طائرة أخرى فى مطار « بركا » جنوب بنغازى و٥ طائرات وورشة اصلاح طائرات فى مطار « بنينا » الالمانى شرق بنغازى ليلة ١٤ يونيو عام ١٩٤٢ بالاضافة لاحدى وعشرين طائرة اخرى دمرتها مجموعة ثالثة فى مطار المانى بجزيرة « كريت » اليونانية قرب « هيراكليون » . وذلك ضمن خطة عامة استهدفت تدمير ٨ مطارات فى حوض البحر الابيض المتوسط وقتئذ لتخفيف ضغط الحصار الجوى على جزيرة « مالطة » التى انقطعت الامدادات والمؤن عن طريق البحر نتيجة لذلك الحصار مما هدد بسقوطها وانقطاع طريق المواصلات البحرية البريطانى عبر البحر المتوسط بين جبل طارق وقناة السويس تماما .

هذا وقد كان « ستيرلينج » ، أو رجال مجموعة الصحراء بعيدة المدى كثيرا ما يتعاونون أو بمعنى أصح يلقون المساعدات المختلفة من جانب كثير من السكان الليبيين ، سواء من أنصار الامير « السنوسى » — الملك فيما بعد — أو من البدو الرحل أو من المجندين الليبيين الفارين من الخدمة فى الجيش الايطالى ، وذلك سواء بالنسبة للمعلومات عن العدو فى المنطقة التى ينشطون فيها أو بالنسبة للاختباء والحصول على ضروريات الحياة فى حالات الاضطرار للعودة الى القواعد الخلفية سيرا على الاقدام نتيجة لتحطيم السيارات بسبب طائرات العدو فى أغلب الاحوال التى تنجح فيها عمليات المطاردة من جانبه ، كما كانت هذه الوحدات الخاصة تستفيد من المعلومات ومختلف المساعدات التى تقدمها لها المخابرات البريطانية عن طريق شبكتها المنظمة وراء خطوط العدو والتى كان يعمل بها بعض الاهالى المحليين وبعض الضباط المتخفين فى زى العرب من نمط مشابه لنمط « لورنس » الشهير .

غارات « الجيب » على مؤخرات العدو

فى يوليو ١٩٤٢ كانت قوات « روميل » تقف عند العلمين على مبعدة ٦٠ ميلا من الاسكندرية بعد أن هزمت قوات « ريتشى » هزيمة منكرة فى « طبرق » فشددت وحدات الصحراء الفدائية عملياتها وهاجمت مواصلات العدو على الطريق الساحلى قرب « مرسى مطروح » و « فوكة » عدة مرات أثناء الليل ، كما نسفت خط أنابيب المياه غرب مطروح مستخدمة فى هذه الغارات قاعدة متقدمة جديدة تقع فى منخفض القطارة قرب حافتة الغربية ، وقد رأى « ستيرلينج » خلال هذه المرحلة أن يطور تكتيكاته فى مهاجمة المطارات على ضوء قصر المسافة التى أصبحت تبعد بها وقتئذ عن قواعده ، فقرر أن يستخدم عربات « الجيب » الخفيفة فى تشكيلات مجمعة بعد أن يسلحها برشاش امامى مزدوج الماسورة مجهز برصاص حارق وآخر مضىء يحدد مسار الطلقات ليلا نحو الهدف حتى يحكم الضارب هدفه (نيشانه) ، فضلا عن رشاش خلفى آخر مضاد للطائرات ، وعلى أن تقتحم هذه العربات أرض المطار أو تطوف حولها — وفقا للظروف — وتطلق نيرانا مركزة وسريعة على الطائرات الرابضة على الارض حتى تشتعل فيها النيران ثم تنسحب الى داخل الصحراء بسرعة ليبتلعها ظلام الليل ، وقد نفذ فكرته الجديدة هذه بالفعل وقام بمهاجمة مطار ألمانى كبير يعرف بمطار « سيدى حانيش » بالقرب من بلدة «فوكة» الواقعة على الطريق الساحلى بين « العلمين » و « مطروح » فى ليلة ٢٧ يوليو ١٩٤٢ واستطاع أن يحطم نحو ٢٥ طائرة ويعطب نحو ١٢ طائرة أخرى ، مستخدما فى هجومه هذا ١٨ عربة «جيب» مسلحة بـ ٦٨ فوهة رشاش ، وكانت خسارته تتلخص فى فقد ٣ سيارات واصابة ٦ أخرى بأضرار ومقتل ضابط واحد ، كما قامت وحدة أخرى بمهاجمة مطار آخر عند بلدة « باجويش » ودمرت نحو ١٥ طائرة ألمانية أخرى ، وبهذا ارتفع رصيد جملة عمليات « قوة الطيران الخاصة » حتى ذلك الوقت الى نحو ٢٥٦ طائرة وفقا لتقديرات « ستيرلينج » !

وقد قامت هذه الوحدة بعدة عمليات أخرى خلال المراحل التالية من الحرب فى شمال أفريقيا ضد ميناء « طبرق » و « بنغازى » وعديد من المطارات الاخرى وعربات نقل البترول ومستودعاته والذخيرة وبعض الثكنات العسكرية ومحطات اللاسلكى الخ لا يتسع المجال لتناولها تفصيلا فى عرضنا الموجز هذا لذلك الكتاب الهام الشيق ، وقد كانت الطائرات هى أخطر عدو

لمجموعات الصحراء الخاصة هذه حال اصطيادها لها فى خلاء الصحراء أثناء ضوء النهار ، وان كانت خسائر هذه القوات فى كثير من الحالات طفيفة ، وذلك حين كان يتوفر للقوة المطاردة بعض الوقت الكافى للالتجاء الى بعض الحفر بين أعشاب الصحراء القصيرة وتغطية العربات بشباك التمويه وقطع النباتات المحيطة بها •

وقد وقع « ستيرلينج » فى أسر القوات الالمانية فى تونس قرب نهاية العمليات هناك أثناء قيامه بدورية استطلاع لطبيعة الارض وراء خط « مارث » بمسافة كبيرة على مقربة من بلدة «قفصة» الواقعة بالقرب من حدود الجزائر الجنوبية الشرقية فى يناير ١٩٤٣ ، وكتب «روميل» فى مذكراته معلقا على ذلك بقوله « وهكذا فقد البريطانيون أكثر قادة مجموعة الصحراء قدرة ومرونة والذى سبب لنا أضرارا أكثر من أية وحدة بريطانية أخرى مساوية لوحدته فى القوة » •

وقد اختتم المؤلف « آرثر سوينسون » كتابه بقوله « ان من الحقيقة أن نقول أن النصر فى شمال افريقيا بدون جهود « مجموعة الصحراء بعيدة المدى » و « قوة الطيران الخاصة » كان من الممكن أن يأتى متأخرا عن موعده وبثمن أفدح » !

والواقع أن القيمة الجوهرية المستفادة من هذا الكتاب أو غيره من الكتب المماثلة فى هذا الخصوص ، هى أن هناك امكانيات حقيقية واسعة النطاق للقيام بعمليات شبيهة بعمليات حرب العصابات الشعبية التى تجرى فى المناطق التى تتوفر فيها ظروف الحياة الطبيعية فى المناطق الصحراوية الجرداء ، متى تمت مراعاة بعض الظروف الخاصة بها ، ولذلك فاننا نرى أن هناك أهمية كبرى فى ترجمة ونشر مثل هذه الكتب التى تتضمن خبرات ثمينة فى هذا المجال ، خاصة وان كثيرا من هذه العمليات تمت فوق صحارينا العربية التى يجثم العدو فوق جزء منها الا وهو «سيناء» منذ ٥ يونيو ١٩٦٧ .

■■

الوجودية والاغتراب فى الأدب الأمريكى

■ تأليف :

سيدنى متنكلشتين

■ عرض :

سعد صمويل

[الطبعة الانجليزية

ـ الناشرون الدوليون ـ نيويورك]

هذه دراسة عن الوجودية ، حول نشأتها كفلسفة فى أوربا ، ثم عن تأثيرها على الادب ، وخاصة تأثيرها على ادب الولايات المتحدة فى العصر الحاضر ، وهدفها هو أن تبين أن التطور الفلسفى واساليب التعبير الادبية يجمعهما تاريخ واحد مستمر ، تترصده أزمات اجتماعية متوالية ، وصلت أقصى حدتها الان فى منتصف القرن العشرين •

وتستدعى هذه الدراسة بكونها تشمل كلا من الفلسفة والفن ، أن نتوقف قليلا لنعرض لمفهوم المؤلف لهما ، ونعرض اوجه التشابه والاختلاف بينهما • يقول المؤلف : ان الفيلسوف أيا كانت التجارب التى يعتمد عليها ، سواء كانت تجاربه الخاصة ، أو تجارب معاصريه ، أو تاريخ المجتمع ـ يستخرج مبدأ عاما عندما يبلغ الدرجة التى تختفى عندها خصوصيات الفرد والحياة العرضية ، ويعرض مفاهيمه ، الموضوعة فى شكل مجرد ، والمنسقة فى نظام متماسك تقريبا ، أو فى

طريقة للتفكير فى الحياة كمفاهيم قابلة للتطبيق على كل الظروف وكل شعب ٠

ومن ناحية أخرى فان الفنان ، كيفما كان تفكيره الفلسفى فى الحياة ومهما وصل الى تعميمات مطلقة ، فانه يسلط عليها الضوء كصور للحياة ، ولا تكون هذه الصور بالضرورة منسوخات أو « محاكاة » لما نراه فى العالم من حولنا ، وحتى عندما تبدو كذلك ، كما فى الرواية أو المسرحية أو التصوير ، فان صفتها كفن لا تستند على وجودها كمنسوخات معروفة ، بل تتوقف على قدرتها فى استثارة ــ عند المتلقى ــ كل مركب من استجابات انفعالية مضافة تتناسب مع نفسية متجسدة بوضوح ، ورد فعل واع نحو العالم الخارجى ، وحالة للحياة يمكن ادراكها ، ويمكن أن نطلق على هذه الحالات من الحياة « صور انسانية » بالمعنى العام لهذه التسمية ، وبمثل هذه « الصور » يبنى الفنان عمله الفنى ٠

اذن ، الفلسفة والفن لا يختلفان من حيث العمق ومن حيث الصفة العامة لتفكيرهما فى الحياة ، بل يختلفان فى الشكل الذى يتخذه تحقق هذا التفكير ، ويعرض العمل الفلسفى نفسه فى مصطلحات مجردة للحياة العينية والظروف الاجتماعية والتاريخية التى أنشأتها ، والعمل الفنى يعرض نفسه كالحياة ذاتها التى يبحثها ، وهكذا ، عندما يتعرض المؤلف لطريقة فهم الفلسفة والفن ، لا يميز فقط الفروق الحاسمة فى الشكل ، لكن يميز أيضا الموضوع الرئيسى الحاسم فى ارضيتهما المشتركة ، وهو العالم الواقعى الذى يشارك فيه الفيلسوف والفنان كل شىء ٠

ويرى المؤلف أننا نستطيع ، بالطبع ، فهم الفلسفة بمصطلحاتها الخاصة ، وعلى نحو صارم ، أى بحث استخدامها للمنطق ، وكلما قد يوجد بها من أخطاء ، وتماسك أو افتقاد النظام الى التماسك ، وهكذا . وعلى هذا النحو ، مع العمل الفنى ، نستطيع أن نحصر اهتمامنا داخل حرفيته أو أدواته الخاصة فى التعبير ، ولكن لن يخرج هذا عن مجرد كونه خدمة سطحية نؤديها للجمهور ، لانه لدى الفلاسفة والفنانين مهام أعظم بكثير ينجزونها ٠

ولا يكفى أن نتخذ خطوة تالية فى بحث أفكار الفيلسوف من حيث هى « **خادعة** » ، أو بحث التجربة التى يزودنا بها عمل فنى من حيث هى مبهجة أو مؤثرة ، لان من شأن هذا أن يهبط بالفلسفة والفن ويدخلهما زمرة « **المسليات** » ، ويصبحان « **مضيعة للوقت** » ، لكن يقتضى أن نتخذ خطوة أبعد بكثير ، لانه لكى نفهم الفلسفة ، علينا أن نأتلف مع أساليب ومعتقدات الفلسفة ذاتها ، وعلينا أن نسأل أولا ان كان من الممكن أن نعيش وفقا « لصورتها عن العالم » أو « نظامها »

وافتراضاتها ونتائجها ، وعلينا أيضا أن نرجعها الى المحيط الاجتماعى الحى الذى انبثقت منه ، والى الواقع التاريخى المتطور والى المسائل الملحة التى كانت مطروحة للاجابة عنها ، ويمكن فى احوال كثيرة أن نتعلم أكثر مما له قيمة بالنسبة لنا اذا ما عنينا بعملية البحث عند الفيلسوف وليس بنتائجه ، وبالمثل ، لكى نفهم عملا فنيا ، علينا أن نأتلف مع احساسات وطرق فهم الواقع التى ينفرد بها الفن ، وعلينا الا ننظر اليه على أنه مجرد نسخة من الحياة ولا على أنه مجرد « تجربة » ولكن على أنه طريقة فى التفكير فى الحياة ، وبهذا فقط يمكن أن نؤكد الى حد ما ، ومهما بدا ما يتكلم عنه الفنان ، أنه يتكلم عنا أيضا ٠

وهكذا نفهم كلا من الفلسفة والفن من خلال وجهتين مختلفتين ، ولكنهما ينتهيان بسؤال مشترك : الى أى مدى يفتحان أعيننا وعقولنا على الواقع ؟ ونعنى بالواقع كلا من ذلك الواقع الذى نعيش فيه فى الوقت الحاضر ، والتطور التاريخى للعالم الخارجى والعقل الانسانى الذى يتمثل وجود هذا الواقع ، ونسأل مرة أخرى كلا من الفيلسوف ، الذى يقدم مجرداته كحقائق خالدة ، والفنان الذى يقدم استنتاجاته فى مصطلحات تبدو كما لو كانت الحياة بذاتها ، أما مدى محيط التجربة التى اعتمدتم عليها ، وليس المقصود هنا التجربة الفردية الخالصة بل التجربة الاجتماعية أيضا ؟ وكيف كان ارتباطكم بحركة المجتمع ذاتها ؟ وبهذا يرى المؤلف الفلسفة والفن على أنها تعبيرات اجتماعية ــ تاريخية ، وقد يزدرى الفيلسوف اختبار فلسفته فيما اذا كان المجتمع يستطيع أن يعيش بفلسفته أم لا ، ولكن هذا اعتراف ضمنى بأن الفلسفة بالنسبة له ليست الا مجرد لهو فكرى ، ولا صلة لها بالقضايا الفعلية التى يواجهها الناس ٠ وقد ينكر الفنان أية غاية أخرى من عمله ، غير أن يكون منفذا لمشاعره الخاصة ، ولكن عليه أن يواجه عندئذ السؤال عن مبرر اهتمام أى شخص على الاطلاق بعمله ٠

ان أهمية « **ذات** » الفنان عند الاخرين تكمن فى النطاق الذى تضمنته حياة الاخرين فى تلك « **الذات** » ، أو ، بطريقة أخرى ، فان أهمية أية صورة فنية أو صورة شخصية تكمن فى وجودها على نحو نموذجى وتكمن فى كشفها عن استجابة لتحدى تفرضه الحياة مما هو موجود عند الاخرين لانهم يشاركون نفس العالم ٠

ويتناول الجزء الاول من هذا الكتاب التعاليم الفلسفية الوجودية ، مركزا على أولئك الفلاسفة الذين أدخلوا الحركة الوجودية فى تيارات الحياة الفكرية الامريكية فى العصر الحاضر ، ويدرس أصول أفكارهم ويبحث صلاتهم الوثيقة بمشكلات الوقت الحاضر ، ويتناول الجزء الثانى ظاهرة

الاغتراب النفسية ، ويبحث جذورها الاجتماعية وأسلوب تعبيرها الادبى ، مبينا اياها كحلقة تصل بين الفلسفة الوجودية وبين آدبها الامريكى السائد الان · وفى هذا السياق يتناول الادب الامريكى « المتحرر من الوهم » الذى أعقب الحرب العالمية الاولى ، متتبعا فيه مرحلة مبكرة لنوع التفكير الذى أصبح فيما بعد وجوديا ، وتمضى الدراسة بعد ذلك حتى تصـــل الى « **التمـــرد** » الادبى فى الخمسينات وليس بهدف تقديم تقييم محدد لكل كاتب من حيث حياته وعمله ، ولكن تتبع فحسب لنموذج متطور من التفكير بين الكتاب ، مبينا صلته العضوية بالاسلوب والشكل والمحتـوى والجماليات فى أعمالهم ، وربط ما يقوله هذا النموذج بحياة البلاد ، وبذلك ألقى الضوء على تلك المشكلات : عصر التنوير من ناحية شكوكه ومفاهيمه عن التقدم · والرأسمالية كما رآهـا كيركيمارد وماركس ودوســـتويفسكى الواقعى والمعادى للواقع ، ونيتشه الاسطورى واللاوعى ، والوجودية والفاشية الالمانية كما هىعند هوسرل وهيدجر وجاسيرز ، ثم عرض لمسئولية الفنان الوجودى الاجتماعية عند كامى وســـارتر ، ثم التصور الادبى والسوسيولوجى للاغتراب كما هو عند ماركس وبلزاك ويوجين اونيل ، والاغتراب كأســـلوب أدبى عنـــد ف. ســـكوت فيتزجرالد وت · س · اليوت · والصراع بيـن الانســنة والاغتراب عند وليم فولكنر ، ثم الاغتراب والتمرد عند جون روس باسوس وهنرى ميللر ، والحرب الباردة والاحياء الدينى والاغتراب العائلى لدى وليم ستايرون وج · د · سالنجر وادوارد البى ، ثم عرض لاسلوب التعبير المغترب والحلـول الوجودية من ناحية قبول الاغتراب عند جون أويدك وجيمس يوردى ، ومن ناحية المعتقـــدات الاجتماعية الضائعة وعلاقتها بالوجودية عند أرثر ميللر وسول بيللو ، ثم عرض للوجودية والمتطلبات الاجتماعية كما عكسها نورمان ميلر وجيمس بالدون ، واختتم الدراسة بدراسة عن أخـــلاق التقدم الانسانى ·

يقول المؤلف : « ان دراسة تأثير الوجـــودية وانتشار الاغتراب فى الادب الامريكى تبين كيف أصاب المجتمع الامريكى نفسه بجـــراح الروح العميقة ، كما تبين أن هذه الجراح ليس من السهل علاجها ·· ولكن اذا قلنا بأنه لا يوجد مستقبل للانسان ، فلن يكون هناك مستقبل للفن ·· ولكن حياة المجتمع فى صراع دائم لا يدركه أصحاب السؤال « أحارس أنا على أخى ؟ » لانهم فرضوا على أنفسهم العزلة ، والتى تحكم على روحهم بالموت .. أما من ربطوا مصيرهم بالصراع فى المجتمع ، بقوى التغيير داخل المجتمع وخارجه ، فهم وحدهم الذين يملكون زمام مصيرهم ويعيشون فى وحدة ليس مع أنفسهم بل مع الاخرين »



قضية ملحة وحلول مطروحة

نشرت مجلة « العمل » فى عـــدد فبراير ١٩٧١ تحقيقا صحفيا عن عمـــال التراحيل · « بعنوان نحن نعترض ·· وهناك أكثر من سبب » وقدمت المجلة تحقيقها كخطاب مفتوح موجـــه الى الدكتور محمود فـــوزى رئيس الوزراء ·

وقد ناقش كاتبو التحقيق أو الخطاب المفتوح الموجه لرئيس الوزراء الحلول المطروحة علـى اللجنة المشكلة لحل قضية عمال التراحيل ـ وهى الحلول المقدمة من وزارة الادارة المحلية ونقابة عمال الزراعة ووزارة العمل ·

فوزارة الادارة المحلية ترى أن تقوم كل محافظة بتشـكيل جهـاز للتشـغيل على مسـتوى المراكز والمحافظات ، ويضم جهاز التشغيل ســكرتير المحافظةرئيسا ثماعضاء منمديرية العملوالاتحاد الاشتراكى ووزارة الداخلية والنقابة العامة لعمال

الزراعة والاجهزة المشغلة للعمال ، ويتم تشكيل لجان مماثلة على مستوى المراكز والقرى .

ويعلق كاتبو التحقيق على مشروع وزارة الادارة المحلية : « لماذا كل هؤلاء الناس ، من الذى سيدفع أجورهم ، من الذى سوف يتحمل نتيجة تعارض وجهات النظر بينهم ، هل المسألة مائدة يسقط عليها كل من يمر بالطريق . ثم سؤال آخر هل نسنيا تجربة محافظة الدقهلية والسلب والنهب والهبش الذى حدث فيها وبعض القضايا ما زالت ماثلة حتى الان أمام القضاء ، ثم سؤال ثالث ، ما هى أولا وأخيرا علاقة الحكم المحلى بتشغيل العمال ولماذا هذا الخلط ، وطبعا نفس السؤال يمكن أن ينسحب على وزارة الداخلية مثلا » .

وعن مشروع نقابة عمال الزراعة يقول كاتبو التحقيق : « نقابة عمال الزراعة أيضا تطالب بدورها أو بنصيبها ، وهى تريد أن ترث المقاول ، وهى بالتالى أولى باستغلال عمال الزراعة من غيرها (*)(*) فقد قامت هى الاخرى بتقديم اقتراحات تشرك معها أكبر عدد ممكن ممن تريد منهم أن يشتركوا معها فى العائد من العمولة ، أو من تريد منهم أن يروا ويسكتوا بصفتهم ضالعين فى القضية » .

ويرى كاتبو التحقيق أن نقابة عمال الزراعة قد خرجت عن رسالتها فبدلا من أن تشغل نفسها بالانتقال الى أماكن وجود هؤلاء العمال وتعقد اتفاقات مع المؤسسات المشغلة لهم بهدف ايجاد مساكن لهم أو حتى خيم معقولة .. وان تقدم لهم وجبات غذائية تشرف النقابة على تقديمها ، وان تنتدب طبيبا لرعاية هؤلاء العمال صحيا ، وان تقيم لهم نشاطا اجتماعيا وثقافيا وترفيهيا فى أماكن العمل وان تتصور مستقبلهم فتنشىء لهم مراكز تدريب متنقلة لتدريبهم على بعض الحرف المتقدمة حتى لا يبقى عامل التراحيل طوال عمره عامل تراحيل ، وحتى تمتص الفائض من هؤلاء العمال بتحويلهم الى اعمال اخرى يحتاجها المجتمع ، راحت النقابة العامة تسعى للحصول على عمولة فى مقابل تشغيل عمال التراحيل ثم الدخول فى عمليات مشبوهة خاصة باموال واختلاسات وخلافه ..

ثم يناقش كاتبو مشروعات وزارة العمل وهى فى النهاية لا تخرج عن مشروعات الادارة المحلية - مؤسسات ومشروعات حشدت فيها هيئات وأجهزة كثيرة جعلت كاتبو التحقيق يتساءلون مرة أخرى : « ونحن نسأل وزارة العمل لماذا كل هذا الحشد من الهيئات ولمصلحة من ، وهل هى تفعل نفس الشىء عندما تقوم بتوزيع الخريجين مثلا كل عام ، أم أنها تخاف أن يتهم موظفوها بالتلاعب فتريد أن تشهد كل الناس على ما تقوم به » .

ويختتم كاتبو التحقيق أو الخطاب المفتوح الموجه الى رئيس الوزراء خطابهم بمجموعة من الاقتراحات :

١ - أن يقوم على رعاية عمال التراحيل وتشغيلهم واعاشتهم جهاز موحد متخصص يتولى العملية من أولها الى اعادة العامل الى قريته .

٢ - ان توفر الاحصائيات السليمة عن عدد العمال وحجم المشكلة خدمة لاغراض التخطيط والتنفيذ ، فهناك تقديرات غير مؤكدة عن عددهم تقدر احيانا بثلاثة ملايين وأخرى تقدرهم بمليون ونصف .

٣ - ان يكون هناك تصور كامل لاحتياجات مؤسسات الدولة ومشروعاتها لايجاد التوازن بين المتاح من العمل وقوة العمل .

٤ - ضمان وصول اجور العمال مقدمها ومؤخرها بطريقة سليمة وأن توضع معدلات أداء عادلة « مقطوعيات العمل » .

٥ - الاهتمام بجانب الرعاية الاجتماعية للعمال باعتبارها عملية انسانية لازمة .

٦ - اشراك اللجان النقابية لعمال الزراعة فى أى جهاز يوكل اليه عملية التنظيم والرعاية (*)

●●

بين برامج الفضاء والشركات الامريكية الكبرى

بقلم .. اسكاشكوف

من سلسلة « مشاكل العالم المعصرى » رقم ٥ - الصادرة عن مجلة « العلوم الاجتماعية اليوم » - الناشر : أكاديمية العلوم السوفيتية . موسكو - ١٩٧٠ .

فوجئت الولايات المتحدة بالقمر السوفيتي الاول سنة ١٩٥٧، فاندفعت الدوائر الحاكمة الامريكية تنظر الى موضوع غزو الفضاء نظرة اساسها محاولة المحافظة على هيبتها ، وأصبح لبرنامج الفضاء الاولوية الاولى في ميدان الاهداف القومية لحكومة واشنطن .

لقد استطاعت الولايات المتحدة الاستفادة من الخبرة التى اكتسبتها فى تحقيق بعض البرامج الكبرى ، مثل تطوير الاسلحة الذرية والطيران الاستراتيجى ، غير ان برامج الفضاء مسألة تستلزم احجاما هائلة من الجهود البشرية المركبة والدراسات العلمية ، وقد ركزت امريكا ما لديها من الموارد وقدرة فى أول الامر بهدف استغلال برامج الفضاء من اجل المحافظة على مركزها ، وأظهر تنفيذ البرنامج الفضائى الامريكى الاشكال والاساليب التنظيمية الحكومية فى ظل الاستعمار المعاصر ، وما للحكومة من احتياطى تستطيع تعبئته عند اللزوم ، كما أظهر التناقضات العضوية التى تكمن فى علاقات الشركات الامريكية الكبرى التى تعمل فى هذا المجال .

وفى سنة ١٩٥٨ تأسست **الادارة القومية لعلوم الطيران والفضاء (نازا)** . وفى الوقت نفسه أقيم جهاز حكومى يرأسه نائب رئيس الولايات المتحدة ، وسمى **بالمجلس القومى لعلوم الطيران والفضاء** والذى أوكل اليه تنسيق الجهود الهادفة الى اكتشاف الفضاء والاستفادة منه للاغراض العملية ، وتركزت أعمال النازا خلال السنوات العشر الاولى فى انزال الانسان على سطح القمر قبل ١٩٧٠ (برنامج أبوللو) ، وقد أخذت تكاليف تنفيذ هذا البرنامج تتصاعد بسرعة « كونية » اذ وصلت فى سنة ١٩٦٤ الى ٦٠٠٠ مليون دولار بعد أن كانت ٢٤٩ مليون عام ١٩٥٨ ، ثم ارتفعت بعد ذلك الى ٧٧٠٠ مليون سنة ١٩٦٧ أى ما يقرب من ٥ فى المائة من مجموع الميزانية الاتحادية الامريكية كلها ، ويضاف اليها فى الحقيقة ١٠ فى المائة تقريبا من الميزانية العسكرية ، اذ تصرف هذه النسبة على الاعمال التى تكلف بها بعض الوكالات المتخصصة المنبثقة مباشرة من وزارة الدفاع ، والحق ان هذه المبالغ الطائلة والتى اعتمدتها الحكومة فى بذخ زادت عن الاحتياجات الفعلية الجارية للنازا ، مما مكنها من تكوين احتياطى بلغ ٣٠٠٠ مليون دولار استغلته فيما بعد للصرف على الطوارىء التى واجهت برنامجها عندما قتل الرواد الثلاثة فى حادث احتراق السفينة الفضائية سنة ١٩٦٧ .

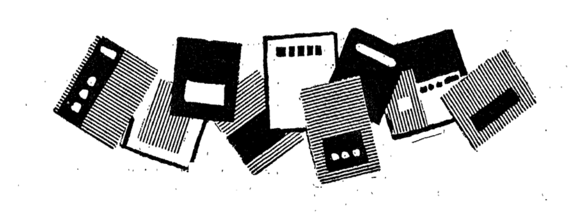
ويعمل اليوم فى مراكز النازا للابحاث البالغ عددها ١٧ مركزا ما يقرب من ٢٣٠٠٠ مستخدم وعامل ، كما أن هذه الوكالة قد أصدرت أوامر توريد وتصنيع لما يقرب من ٢٠٠٠٠ شركة مختلفة لتنفيذ أعمالها ، وفى امكان القارىء أن يتصور ما يترتب على هذا النشاط الهائل من أعباء ادارية وصلت الى مستوى لم يكن معروفا من قبل ، وقد وصفت مجلة « **فورتيون** » الامريكية الاداريين المائتين الكبار فى هذه الوكالة بانهم رجال يستطيع كل منهم الاشراف على أعمال يبلغ حجمها ١٠٠ مليون دولار ، أما فى السنوات العشر القادمة ، فمن المتوقع أن تبلغ الاعتمادات الممنوحة للنازا ما يقرب من ٣٠٠٠٠ مليون دولار .

فى أول الامر ، استهدفت الحكومة الامريكية من برنامج الفضاء رفع مكانتها وهيبتها بالدرجة الاولى ، الا أن هذا البرنامج سرعان ما تحول الى الاهداف العسكرية بصورة أساسية ، وتقوم وزارة الحربية بأبحاث فضائية مستقلة عن النازا بلغت تكاليفها عام ١٩٦٩ ما يقرب من ٢٢٠٠ مليون دولار أدرجت فى أعمال سلاح الطيران ، والى جانب ذلك ، نرى العسكريين الامريكيين يستغلون كل خطوة تخطوها النازا فى أبحاثها استغلالا يخدم تطوير الاسلحة الاستراتيجية ، ويتم هذا بصورة مركزية عن طريق هيئة « كوسبار » التى تتفرع منها برامج فضائية شتى ، ونذكر منها برنامج « مول » الذى يستهدف ادارة محطة فضائية تهبط عليها سيارة من نوع « جيمينى » ولكن ذات أغراض حربية ، وقد مولت وكالة النازا أيضا مشروع الاقمار الصناعية التى تنقل برامج التليفزيون — « انتلستات » — وتستغل وزارة الدفاع ٣٠ قناة من قنواتها لاغراضها الخاصة ، وهناك برنامج « ساموس » الذى قام باطلاق عدد من الاقمار الصناعية المخصصة لاغراض التجسس ، كما أن برنامج « ترانزيت » الفضائى يمكن الغواصات الامريكية بولاريس من ضبط

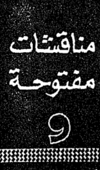
القذائف الذرية التى تحملها ، وأخيرا ، فهناك برنامج « سيكور » للعمليات المساحية والطبوغرافية ، و « ميداس » للانذار باطلاق الصواريخ المعادية •

ان هذه الاموال الطائلة التى تصرف على تنفيذ البرامج الفضائية الامريكية جعلت الرأسمالية تتكالب عليها ، وفى بادىء الامر ، استغلت الوكالات الفضائية الحكومية المنافسة بين الشركات للحصول على عروض بأسعار مناسبة ، غيرانشدة تلكالمنافسة ذاتها أبعدتشيئا فشيئا المؤسسيات الصغيرة عن الميدان ، الى أن تركزت أعمال البحث والتصميم والاختبار والانتاج فى أيدى عدد صغير من الاحتكارات الضخمة مثل **شركة الطيران الامريكية الشمالية ، وبوينج وجنرال الكتريك** التى أصبحت تتقاسم فيما بينها **هذه السوق** « الكونية » ، وذلك لان هذه الاعمال تتطلب استثمارات تمهيدية هائلة بسبب حداثة التكنولوجيا المتعلقة بها ، ان شركة الطيران الامريكية الشمالية مثلا دخلت فى عمليات الانتاج الخاصة بمستلزمات برنامج أبوللو بعرض بلغ ١٤٥٦ مليون دولار فى بادىء الامر ، غير أن تكاليف أعمالها فى هذا الشأن بلغت ٣٦٤٥ مليون عام ١٩٦٨ ، واشتركت شركة روكويل الامريكية الشمالية فى هذا البرنامج بعطاء مجموعه ١٠٠٠ مليون دولار سنة ١٩٦٧ ، أما شركة بوينج ، فهى تعمل الان على تنفيذ بعض التعديلات على السيارة القمرية **جيمينى** التى وصلت تكاليفها ٣٥ مليون دولار فى حالة حملها رائدين ، وما يقرب من ٤٠ مليون دولار لحمل ثلاثة رواد ، وعندما طرحت عملية تنفيذ سيارة من نوع جيمينى لاغراض عسكرية ، اندمجت شركة **لوكهير** مع شركة **دوجلاس** للتمكن من تنفيذ العملية ، التى هى من الضخامة بحيث بلغت تكاليف معامل الابحاث وحدها الضرورية لها أكثر من ٢٠٠٠ مليون دولار ، والملاحظ أن هذه الشركة تعتبر المورد الرئيسى لسلاح الطيران الامريكى ، وخاصة فيما يتعلق بطائرات التجسس « يو ٢ » والاستطلاع « س ٠ ر ٠ ــ ٧١ » ٠

وهكذا نجد أن اندماجا كبيرا قد وقع بين أجهزة الدولة الامريكية الادارية وبين قيادات الشركات الاحتكارية الكبرى وكبار الضباط الامريكيين ، وأن هذا الاندماج يستهدف تحقيق ما تطمع اليه الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة من السيادة التكنولوجية ، واستغلال الفضاء الخارجى للاغراض العسكرية ، مما يفرض مزيدا من الضرائب على المواطن الامريكى ، ولكنه يعطى مزيدا من الارباح لعمالقة الصناعات الحربية ٠







■ نشرت « الطليعة » ، فى العدد الماضى ،موضوعا عن وجود اتجاه لعرض مشروع لتعديل بعض قوانين الاصلاح الزراعى ، وهو المشروع المقدم الى لجنة التنمية الزراعية بمجلس الامة .
ولما كان هذا الموضوع يمس مصالح قطاع ضخم من تحالف قوى الشعب العاملة ، فان متابعة مناقشته ، تكتسب أهمية كبيرة .. وحول هذه القضية ، يعرض احمد حسن ابراهيم ، وجهة نظره الخاصة .

حول التعديلات المقترحة فى السياسة الزراعية

يقضى المشروع المقترح بادخال تعديلات جديدة على بعض الجوانب الاساسية فى سياستنا الزراعية ، والمتعلقة اساسا بالعلاقة بين مالك الارض الزراعية ومستأجرها ، ويهدف التعديل الاول الى جعل موافقة مالك الارض شرطا ضروريا ولازما لحصول مستأجرها على سلف عنها من الجمعية التعاونية الزراعية ، أما التعديل الثانى ، فيهدف الى اعطاء المالك لارض زراعية مساحتها ثلاثة افدنة أو أقل ، الحق فى اخلاء الارض من مستأجرها ، أو بتعبير مباشر ، طرده منها ، فى حالة ما اذا رغب المالك فى بيعها .

قيود على تمويل المستأجر

أن التعديل الاول ، الخاص بضرورة موافقة مالك الارض ، كشرط لحصول مستأجرها على سلف عنها من الجمعية التعاونية الزراعية ، يضع قيدا على اقراض المستأجرين ، سوف يؤدى بالضرورة الى اعادة وضع المستأجر مرة أخرى تحت رحمة مالك الارض ، وهو الامر الذى حرصت الثورة المصرية ، وبادرت منذ أيامها الاولى ، الى العمل على تغييره ، كما ظل **جمال عبد الناصر** ، طوال الثمانية عشر عاما الماضية ، يؤكد على ضرورة وأهمية هذا التغيير .. ولذلك أفرد قانون الاصلاح الزراعى الاول ، الصادر فى ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٢ [الباب الخامس لتنظيم العلاقة بين مستأجر الارض ومالكها] ، واضعا بذلك القواعد الاساسية لتحرير وحماية المستأجر ، وهو الطرف الضعيف فى العلاقة الايجارية ، من استغلال المالك ، وهو الطرف القوى فى هذه العلاقة ، مراعيا فى نفس الوقت ضرورة حماية حقوق ملاك الارض قبل

مستأجريها . وعلى الرغم من ذلك ، وكما ذكر المهندس **سيد مرعى** نائب رئيس الوزراء لشئون الزراعة ، فى الصفحة رقم ١٣٠ من كتابه « **الاصلاح الزراعى ومشكلة السكان فى القطر المصرى** » ، فقد لجأ كثيرون من ملاك الارض الى التحايل على بعض أحكام القانون ، بينما التزم بها المستأجرون بطبيعة الحال ، مما دفع الدولة الى اصدار القانون رقم ١٧ لسنة ١٩٦٣ ، بهدف القضاء على الثغرات التى اتاحت لكثير من ملاك الارض فرصة التحايل على أحكام القانون ، ذلك التحايل الذى تمثلت أهم مظاهره فى الخروج عن الحد الاقصى للقيمة الايجارية ، ورفض بعض المؤجرين اعطاء مخالصات للمستأجرين عما يتقاضونه منهم ، خصما من أصل الايجار ، والمبالغة فى تقدير المصروفات الاضافية التى يجيزها القانون الزام المستأجر بها ... الخ .

سكوت اضطرارى

لم يكن المستأجر فى حقيقة الامر جاهلا بمخالفات الملاك لاحكام القانون ، بهدف الاستمرار فى استغلاله ، الا انه كان مضطرا للسكوت عنها والتسليم بما يفرضه عليه المالك من قيمة ايجارية والتزامات أخرى ، تفوق بكثير ما فرضه عليه القانون . ذلك لان المالك كان يمثل بالنسبة للمستأجر ، مؤجرا للارض ومصدرا للتسليف فى وقت واحد ، نظرا لضعف الامكانيات المالية للمستأجر ، وعدم وجود فائض اقتصادى لديه يعتمد عليه فى الانفاق على عملياته الانتاجية ، فضلا عن عدم كفاية موارده المالية لتغطية جميع جوانب انفاقه الاستهلاكى ، بالاضافة الى غياب مصادر التسليف العامة ، والمنظمة التى تقدم للمستأجر ما يحتاج اليه من سلف ، وقصر خدمات تلك المصادر فى ذلك الوقت على مالك الارض وحده ، الذى كان يحصل منها على سلف بشروط ملائمة ، ثم يعيد اقراضها الى مستأجر ارضه بشروط قاسية ، تحقق له استغلال المستأجر الى أقصى درجة يستطيعها . لذلك كان المستأجر حريصا على الاحتفاظ بمالك الارض التى يستأجرها ، كمصدر للحصول على ما يحتاج اليه من سلف ، سواء فى صورة تقاوى وأسمدة ، أو فى صورة نقود لاستخدامها فى الانفاق على زراعة الارض ، وفى أحيان كثيرة لانفاقها على احتياجاته الاستهلاكية . ولهذا كان دائم الحرص على عدم اغضابه ، ومضطرا لقبول جميع ما يفرضه عليه من شروط والتزامات ، على الرغم من علمه بطبيعتها الاستغلالية .

تأكيد حرية المستأجر

لقد أدركت الدولة هذه الحقيقة ، فعملت على تعديل نظام التسليف الزراعى ، بما يمكن المستأجر من الحصول على ما يحتاج اليه من سلف عينية ، كالتقاوى والاسمدة ، أو سلف نقدية ، للانفاق على زراعته من الجمعية التعاونية مباشرة ، وليس عن طريق المالك ، ولذلك بدأت فى عام ١٩٥٧ ، فى تطبيق نظام جديد للتسليف الزراعى ، عرف باسم « نظام الائتمان الزراعى والتعاونى » ، والذى تم تعميمه فى عام ١٩٦١ ، وكان من أهم ملامحه ، تقديم التسهيلات الائتمانية للمستأجرين الذين لا تتجاوز حيازاتهم الثلاثين فدانا ، بضمان المحصول ، وعدم التمسك بضمان الارض ، وكذلك تقديم الخدمات الائتمانية للزراع فى قراهم ، سواء فى ذلك السلف النقدية أو العينية ، دون حاجة الى الانتقال الى مكاتب بنك التسليف فى المدن . ولقد أشار كتاب أصدره **بنك التسليف الزراعى والتعاونى** ، عن الائتمان الزراعى والتعاونى ، بمناسبة عيد الثورة العاشر ، فى الصفحة رقم ٢٥ ، الى ان « أهداف هذا النظام لم تكن مقصورة على توفير الائتمان لكل من هو فى حاجة اليه ولا يستطيع الحصول عليه ، وانما كانت له أهداف بعيدة المدى ، هى تحسين أحوال الزراع ورفع مستواهم الاقتصادى والاجتماعى ، والعمل على تطوير النشاط الزراعى عن طريق النظم التعاونى ، بما يكفل النهوض بالانتاج » .

كشف مخالفات الملاك للقانون

أدى تطبيق نظام الائتمان الزراعى والتعاونى ، بما اشتمل عليه من تقديم السلف الى المستأجرين بضمان المحصول ، الى استكمال هدف قانون الاصلاح الزراعى فى تحرير المستأجر من استغلال المالك له ، حيث حلت الدولة ، بمقتضى هذا النظام ، محل المالك كمصدر لتسليف المستأجر . وكان هذا الاجراء كافيا لتشجيع المستأجرين على الوقوف فى وجه استغلال الملاك لهم ، فظهرت بذلك مظاهر تحايل الملاك على أحكام قانون الاصلاح الزراعى ، فيما يختص بالعلاقة بين المالك والمستأجر ، والتى صدر القانون رقم ١٧ لسنة ١٩٦٣ ، للقضاء عليها . وفى نفس الوقت ، أجاز هذا القانون لمالك الارض أن يعهد الى الجمعية التعاونية بتحصيل مستحقاته لدى المستأجر . ولقد أكد على ذلك أيضا القانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٦٦ ، والذى أعطى للجمعية

التعاونية الزراعية الحق فى تحصيل القيمة الايجارية المستحقة قانونا عن الاراضى الزراعية بطريق الحجز الادارى . وبذلك كفل القانون لمالك الارض كافة الضمانات للحصول على حقوقه قبل المستأجر ، فى الوقت الذى كفلت فيه القوانين أيضا للجمعية التعاونية الزراعية ، حق تحصيل مستحقاتها لدى المستأجر عن طريق الحجز الادارى أيضا ، وفى الواقع ، فان تطبيق نظام التسويق التعاونى للحاصلات الزراعية الهامة ، وفى مقدمتها القطن والارز ، عن طريق الجمعيات التعاونية الزراعية ، قد كفل لتلك الجمعيات فرصة تحصيل مستحقاتها ومستحقات المالك لدى المستأجر من غير عناء .

لمصلحة من التعديل المقترح ؟

ان تمكين صغار الزراع ، بصفة عامة ، والمستأجرين منهم بصفة خاصة ، من الحصول على ما يحتاجون اليه فى زراعتهم من سلف عينية ونقدية ، بشروط ملائمة ، يعتبر من العوامل الاساسية والضرورية ، لزيادة قدراتهم الانتاجية ، وبالتالى زيادة الانتاج الزراعى والنهوض به ، مما يوجب على الدولة أن تحافظ عليه وتؤكده ، طالما ان ذلك — كما سبق أن رأينا — لا يضر بمصالح الدولة كمصدر للتسليف ، ولا بمصالح ملاك الارض كمؤجرين ، الامر الذى يدفع الى التساؤل عن مبررات طرح هذه التعديلات ، وعن أصحاب المصلحة فى طرحها .

البيع الصورى

أما التعديل الثانى المطروح على مجلس الامة ، والذى يعطى المالك لارض زراعية مساحتها ثلاثة أفدنة — أو أقل — الحق فى اخلاء الارض من مستأجرها اذا رغب المالك فى بيعها ، فلا يختلف فى نتيجته النهائية عن التعديل السابق ، حيث يؤدى كلاهما فى النهاية الى اخضاع المستأجر لتسلط المالك واستغلاله ، وان كانت الوسائل المؤدية الى ذلك مختلفة فى كلتا الحالتين ، فالتعديل الثانى سوف يفتح المجال لعمليات بيع صورية ، تنتقل خلالها ملكية الارض من مالكها الحالى ، الى مالك جديد ، على الورق فقط ، بينما تبقى فى الواقع على ما كانت عليه قبل اجراء عملية البيع الشكلية ، وللملاك فى ذلك أساليب ووسائل شتى ، منها على سبيل المثال ، البيع الى أفراد الاسرة الواحدة ، أو البيع الى الآخرين ، مقابل حصول البائع على ضمانات تكفل له استعادة الملكية الاسمية أو العقدية للارض فى أى وقت يشاء ، وبعد أن يكون قد تم له بالفعل طرد المستأجر منها . ومن هذه الوسائل والاساليب أيضا ، ما يمكن أن يلجأ اليه الملاك من تحايل ، للاستفادة بالتعديلات الجديدة ، كأن يبيع أحدهم

احتلت السياسة الزراعية حول تأجير الاراضى ، اهتمام الرأى العام فى الآونة الاخيرة ، ودار حولها نقاش كبير .

وعلى اثر هذه المناقشات صرح المهندس سيد مرعى نائب رئيس الوزراء للزراعة والرى « بانه لا توجد أية نية لتغيير نظام الايجارات الزراعية القائم ، خلافا لما تردد أخيرا من ان الملاك الذين يمتلكون ٣ افدنة فاقل سيعطون حرية تأجير ارضهم واخلاء المستأجرين عنها » .

وقد استقبل الرأى العام هذا الموضوع بارتياح بدد قلق المستأجرين حول واحد من اهم المكاسب التى حققتها لهم الثورة .

أرضه الى مالك آخر ويشترى منه أرضه فى نفس الوقت . أى ان كلا منهما يقوم بدور مزدوج كبائع ومشتر فى وقت واحد . والنتيجة فى جميع الاحوال هى طرد المستأجر من الارض ، ومن ثم تمكين الملاك من العودة الى استغلال المستأجرين بأساليب جديدة ، منها — على سبيل المثال — التأجير لفترة زراعة محصول واحد ، حيث لا يتقيد المالك ، فى ظل هذا النوع من التأجير ، بأحكام قانون الاصلاح الزراعى والقوانين المعدلة له ، حيث تنص الفقرة الاخيرة من المادة ٣٥ من القانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٦٦ — المعدل لبعض أحكام قانون الاصلاح الزراعى الاول — على حق المؤجر فى طلب اخلاء الارض المؤجرة لفترة زرعة واحدة ، عند انتهاء المدة المتفق عليها .

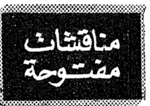
الارض لمن يزرعها

ومن ناحية أخرى ، فان عملية بيع الارض ، اذا كانت حقيقية وليست شكلية ، سوف تؤدى الى تركز ملكية الارض الزراعية فى أيدى فئة الملاك المتوسطين ، والذين يتراوح حجم ملكياتهم بين عشرة وعشرين فدانا ، حيث انها الفئة التى يتوفر لديها فى وقت واحد فائض نقدى ، ورغبة فى شراء مزيد من الارض الزراعية ، الامر الذى يتعارض مع ما أشار اليه الميثاق الوطنى ، من ضرورة توسيع نطاق ملكية الارض ، باتاحة الحق فيها لاكبر عدد من الاجراء ، كواحد من الحلول الصحيحة لمشكلة الزراعة فى مصر .

ان ما أشار اليه ميثاق العمل الوطنى ، من ضرورة توسيع نطاق ملكية الارض الزراعية ، باتاحة الحق فيها لاكبر عدد من الاجراء ، يمكن أن يتحقق من خلال التعديل الثانى المطروح على مجلس الامة ، بشرط أن ينص فى هذا التعديل على اعطاء الاولوية لمستأجر الارض — اذا كان لا يملك أرضا غيرها أو يملك مساحة تقل عن ثلاثة أفدنة — فى شرائها ، اذا رغب مالكها فى بيعها ، على أن يتحدد ثمنها فى ضوء أحكام قوانين

الاصلاح الزراعى ، أى أن يتعادل هذا الثمن سبعين مثل الضريبة المقررة على الارض موضوع التعامل ، وان تقوم مؤسسة الائتمان الزراعى والتعاونى بتقديم سلفة للمشترى ، تعادل ثمن الارض ، وبرهن الارض ، وتسدد على أقساط سنوية ، تعادل قيمة كل منها القيمة الايجارية السنوية التى كان المستأجر يدفعها للمالك ».

ان طرح هذا التعديل ، بتلك الصورة ، يمكن ان يحقق خطوة الى الامام على طريقنا الى المجتمع الاشتراكى ، حيث انه يقدم صيغة تنفيذية ملائمة لوضع شعار [الارض لمن يزرعها] موضع التنفيذ ، دون أن يترتب على ذلك الحاق ضرر بمالك الارض ، طالما كان راغبا بالفعل فى بيع أرضه .



حول قضية « التعليم فى مصر »

■ فى العدد الماضى ، خصصت « الطليعة » ملفا عن قضية التعليم فى مصر ، وقد اثار هذا الملف اهتمام كثير من المواطنين ، نوجز هنا — بسرعة — بعضا من رسائلهم ..

... تناولت مقالة الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله : « **مبادىء أساسية فى تخطيط التعليم** » فكرة المدرسة القومية الشاملة ، كبوتقة تنصهر فيها الفوارق الطبقية ، وتهدف من بين ما تهدف ، الى تصفية التعليم الخاص . وفى مقال : « **نحو مدرسة ثانوية مصرية شاملة** » للاستاذ ابراهيم الابيارى ، دعوة الى تجريب تطبيق فكرة هذه المدرسة الشاملة .

وفى رأيى ، ان هذا الموضوع **فى حاجة الى ندوة مما عودتنا مجلة « الطليعة » أن تنظمها ، لتجلو الجوانب التى ما زالت فى حاجة الى وضوح ، لا سيما وأن هذه هى الدعوة الاولى فى تاريخ التعليم المصرى الى فكرة هذه المدرسة .**

ميلاد صبرى جرجس
دمنهور — بحيرة

... لمست مقالة : « **نحو مدرسة ثانوية مصرية شاملة** » للاستاذ ابراهيم الابيارى ، وترا حساسا فى نفوس الغيورين على اصلاح التعليم الثانوى . **ويا حبذا أن تضم هذه المدرسة الشاملة أيضا أنواع المدارس التابعة للمعاهد الازهرية فى مستوى الثانوى** ، ويكون فى ذلك علاج للازدواج القائم بين التعليم بوزارة التربية ، الاعدادية والثانوية ، وبين ما يناظرها من المعاهد الازهرية .

محمد محمد الدسوقى
مدرس أول لغة عربية
بمنطقة طنطا التعليمية

المهجرون .. والعمل السياسى

كتب المواطن عبد العال حنفى عجم ، من ابناء منطقة القناة المهجرين ، يقول :

.. اتجه المخطط الصهيونى الى ضرب المواطنين والمنشآت المدنية فى منطقة القناة ، بعنف وقسوة ، بهدف اثارة الذعر بين الجماهير ، سعيا وراء خلخلة الجبهة الداخلية ، وتفتيت قدرتها على الصمود . وبادرت الدولة الى تهجير المواطنين الى باقى المحافظات . ومع التهجير — وهذا طبيعى — وجدت مشاكل وصعاب تقابلهم . وتحركت الدولة ، بكل أجهزتها ، للعمل على راحة المهجرين ، وتيسير سبل الحياة لهم فى أماكنهم الجديدة .

الا أن هناك بعض المشاكل التى ظهرت مع طول الوقت ، وتتمثل فى : قيام البعض بالحجز

على منقولات المهجرين المتأخرين فى سداد الايجار ، وتأخير صرف منح الطلبة الشهرية ، مع ان العام الدراسى قد انتصف .

وفى رأيى ، ان التنظيم السياسى وقيادات الاتحاد الاشتراكى ، مدعوة ، بشكل ملح وسريع ، للتحرك وسط صفوف المهجرين » على مستوى الجمهورية ، للتعرف على كل مشاكلهم ومناقشتهم ومحاولة ايجاد الحلول لها ، وتنظيم صفوفهم فى داخل اطار لجان المواطنين من أجل المعركة . لقد صهرت المعركة هؤلاء الناس ، ومن ثم فان العمل السياسى وسطهم .. قضية أساسية وضرورية للغاية .

واجبنا الأول

وكتب المواطن صلاح الدين اسماعيل — من الجهاز المركزى للتنظيم والادارة — يقول :

فى المرحلة الحالية ، ينبغى أن نكون جميعا » على مستوى الظروف الخطيرة والهامة التى نعيشها فى مواجهة العدو المدعم بكل امكانيات الامبريالية العالمية .

واذا كانت اجتماعات القاهرة قد شهدت لقاء القيادات ، فان العمل على المستوى الشعبى يجب أن يتضمن فى رأيى :

— أن ننمى ، بكل ما نستطيع ، مراكز التدريب على أعمال المقاومة الشعبية » وأعمال الدفاع المدنى ، وأن نحول قوانا البشرية الى قوى قادرة ، مدربة وفعالة » ولها دورها المرسوم .

— أن ننمى قاعدة القوى المعاونة على أعمال التمريض والاسعاف » ونرفع من مستوى تدريبها .

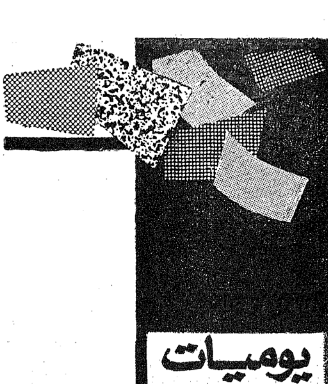
— أن نعيش كافة الاحتمالات المتعددة للمعركة ، والا نترك منطقة الا وبها خندق للحماية .

— أن نغطى الاحتياجات البشرية لجميع مراكز الانتاج ، وأن نحافظ على انتاجيتها الدائمة بمعدلات أعلى . فجبهة الانتاج لا تقل خطورة عن جبهة القتال ، بل هى سندها .

— أن نواجه الشائعات ونتعقبها ، بأن نرفع مستوى وعى ومعرفة الجماهير بحقائق تطورات الاحداث .

ان أهم ما يجب أن يميز عملنا فى هذا المجال » هو أن يكون على كل المستويات » مخططا ومنظما .





يوميات الثورة
١٨ عاما من نضال عبد الناصر

تتابع الطليعة نشر يوميات الثورة المصرية فى ١٨ عاما من نضال جمال عبد الناصر • وكان العدد السابق قد عرض لاحداث الثورة فى ثلاث سنوات من ٢٣ يوليو ٦١ الى ٢٢ يوليو ١٩٦٤ •

ونتابع فى هذا العدد يوميات الثورة فى أربع سنوات من ٢٣ يوليو ١٩٦٤ الى ٢٢ يوليو ١٩٧٠ •

السنة الثالثة عشرة

٢٣ يوليو ١٩٦٤ — ٢٢ يوليو ١٩٦٥

٢٣ يوليو

● رؤساء الدول الافريقية يشاركون فى احتفالات الثورة • ويشيدون بدور الثورة المصرية الايجابى فى حركة التحرر الافريقية •

١٠ أغسطس

● الجمهورية العربية المتحدة تعلن استنكارها للعدوان التركى على شعب قبرص • وتعتبر العدوان تهديدا للسلام فى المنطقة •

١١ أغسطس

● الرئيس عبد الناصر يعلن فى رده على رسالة الاسقف مكاريوس ان الجمهورية العربية المتحدة مستعدة لتقديم كافة المساعدات الى شعب قبرص من أجل المحافظة على حرية الجزيرة ووحدة شعبها وصيانة حقوقه فى المساواة بين القبارصة الاتراك واليونانيين •

٢٥ أغسطس

● تم فى موسكو الاتفاق على توريد المعدات والالات اللازمة لاعمال المرحلة الثانية طبقا للتعديلات التى ادخلت على برامج العمل لاختصارسنة كاملة من فترة تنفيذ المرحلة الثانية ٠

١٨ أغسطس

● الجمهورية العربية المتحدة تدعو جميع الدول العربية للانضمام الى مجلس الوحدةالاقتصادية العربيةوالانضمام الى السوق العربية المشتركة ٠

٢٨ أغسطس

● الرئيس عبد الناصر يستقبل الاسقف مكاريوس بالقاهرة لتبادل الرأى حول الموقف فى قبرص ٠

أول سبتمبر

● تم تشكيل مجلس الرياسة المشترك للجمهورية العربية المتحدة والعراق ٠

٥ سبتمبر

● بدأ مؤتمر القمة العربى الثانى اجتماعاته فى الاسكندرية ٠

١١ سبتمبر

● صدرت قرارات مؤتمر القمة التى تقضى بالامر ببدء العمل الفورى فى مشروعات تحويل نهر الاردن والتأهب لحمايتها بالقوات المسلحة ٠ (القرارات سرية وقد تركزت حول ٢١ موضوعا) ٠

١٤ سبتمبر

● صدر بيان رسمى عن محادثات الرئيس عبد الناصر والامير فيصل وقد أعلن البيان عنتصميم الجمهورية العربية المتحدة والسعودية علىمنع أيةاشتباكات مسلحة فى اليمن ٠ وعلى أن تقوم الدولتان بالاتصالات اللازمة والتوسط لدى الاطراف المعنية لتهيئةجو منالتفاهم للوصول الى حل الخلافات القائمة بالطرق السلمية ٠

٢٢ سبتمبر

● على صبرى يوقع فى موسكو اتفاقا مع الاتحاد السوفيتى يقضى بان يساهم الاتحاد السوفيتى فى استصلاح ٢٠٠ الف فدان فى الجمهورية العربية المتحدة ٠ كما يساهم الاتحاد السوفيتى بما قيمته ١٢٠ مليون جنيه استرلينى فى مشروعات الصناعة فى الخطة الثانية للتنمية ٠

٢٤ سبتمبر

● صدر قرار من رئيس الاتحاد الاشتراكى بان يتولى خالد محيى الدين اختصاصات رئيس مجلس ادارة أخبار اليوم ويتولى أحمد فؤاد رياسة مجلس ادارة روز اليوسف ٠

أول أكتوبر

● بدأ اليوم تطبيق نظام التامين الصحى بالاسكندرية لاول مرة فى الجمهورية العربية المتحدة على سبيل التجربة تمهيدا لتعميمه بعد ذلك فى جميع انحاء الجمهورية ٠

٥ أكتوبر

● انعقد الاجتماع الاول للمؤتمر الثانى لرؤساء دول عدم الانحياز بالقاهرة ٠ وقد اشتركت فى المؤتمر ٤٨ دولة ٠ كما اشتركت ١٠ دول كمراقبين ٠

● الرئيس يقدم فى خطابه فى افتتاح المؤتمر مشروعا باعلان « بيان عن تحقيق السلام بالتعاون الدولى » ٠

● وصل تشومبى فجاة الى القاهرة فى محاولة لحضور المؤتمر ٠

● المؤتمر يتخذ قرارا بعدم حضور تشومبى الى المؤتمر ٠

● الجمهورية العربية المتحدة تحدد اقامة تشومبى فى قصر العروبة ٠

● اغلاق سفارة الجمهورية العربية المتحدة فى ليوبولدفيل مؤقتا ٠

١٤ أكتوبر

● عقد اجتماعمجلس الرياسة المشترك بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية برياسة الرئيسين جمال عبد الناصر وعبد السلام عارف ٠

١٦ أكتوبر

● اعلن اتفاق انشاء القيادة السياسية الموحدة بين الجمهورية المتحدة والعراق ٠ وتنص على انشاء قيادة سياسية موحدة تتكون من رئيسى الجمهورية و ٦ اعضاء من كل من البلدين وهى اعلى سلطة سياسية فى البلدين ٠ انشاء سلطة عليا تشرف على السياسة الخارجية والقوات المسلحة والدفاع والتخطيط الاقتصادى والثقافة والتعليم والامن القومى ٠

٢٢ أكتوبر

● بعث الرئيس عبد الناصر باول رسالة الى كوسيجين رئيس الوزراء السوفيتىالجديد بعداعفاء خروشوف من منصبه فى ١٤ اكتوبر ٠

● قادة الاتحاد السوفيتى يبعثون رسالة الى الرئيس عبد الناصر يؤكدون فيهاان سياسة الاتحاد السوفيتى تجاه الجمهورية العربية لن تتغير ويؤكدون الرغبة فى تطوير وتدعيم العلاقات الودية بين الشعبين العربى والسوفيتى ٠ كما اكدوا فى رسالتهم تقدير الاتحاد السوفيتى للدور الطليعى الذى تقوم به الجمهورية العربية فى حركة الثورة الوطنية ٠

أول نوفمبر

● اجتمع الرئيس عبد الناصر بكينيث كواندا رئيس جمهورية زامبيا الذى يقوم باولرحلة خارج بلاده بعد استقلالها بثمانية ايام ٠

١٧ نوفمبر

● مجلس الامة يبعث برقية الى المجلس الوطنى السورىوبرقية اخرى الى كل برلمانات الدول الاعضاء فى الامم المتحدة ، يعلن فيها استنكاره للعدوان الاسرائيلى على سوريا ووقوف شعب الجمهورية المتحدة بجانب الشعب السورى ٠

١٨ نوفمبر

● مجلس الامة يقر اتفاقيات مجلس الرياسة المشترك والقيادة السياسية الموحدة بين الجمهورية العربية والعراق ٠ كما يقر الاتفاقية المعقودة مع اليمن بشان تشكيل مجلس اعلى للتنسيق السياسى بين البلدين ٠

٢١ نوفمبر

● رئيس جمهورية كوريا الشمالية يزور الجمهورية العربية المتحدة ويبدأ مباحثاته مع الرئيس عبد الناصر ٠

٢٦ نوفمبر

● قامت مظاهرة من الافريقيين المقيمين فى القاهرة ، بحرق مكتبة السفارة الامريكية بالقاهرة ، احتجاجا على عدوان القوات الامريكية على الكونجو من جديد ، بالاشتراك مع القوات البلجيكية ٠

٥ ديسمبر

● انهى الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب مؤتمره للانتاج والتنمية الذى عقده بمدينة بورسعيد بالاشتراك مع الاتحاد المصرى العام للعمال ٠ واعلن انضمام كل من الاتحاد العام للعمال الجزائريين والاتحاد المغربى للشغل ، لعضوية اتحاد نقابات العمال العربى ٠

١٩ ديسمبر

● شيلبين نائب رئيس مجلس الوزراء

السوفيتي يزور الجمهورية العربية المتحدة ويقابل الرئيس عبد الناصر .

٢٠ ديسمبر

● اعلن تشكيل القيادة السياسية الموحدة بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية تنفيذا للاتفاق الذى عقد فى ١٦ اكتوبر . القيادة السياسية الموحدة يراسها الرئيس عبد الناصر وعبد السلام عارف وتضم ٢٥ عضوا من نواب رئيس الجمهورية ونواب رئيس الوزراء ووزراء البلدين .

٢٣ ديسمبر

● الرئيس يقول فى الاحتفال بعيد النصر فى بورسعيد :

— « امريكا تعطينا ما قيمته ٥٠ مليون جنيه من القمح واللحوم والفراخ . ولسنا مستعدون ان نبيع حريتنا نظير اى مبلغ او نخضع لاى ضغط » .

— « ارسلنا السلاح الى شعب الكونجو وسنرسل له المزيد لاننا لا نعترف بتشومبى عميل الاستعمار » .

— « لابد ان يشارك الشعب فى ادارة الخدمات كما يشارك فى ادارة الانتاج » .

٢٧ ديسمبر

● شيلبين نائب رئيس الوزراء السوفيتى يعلن فى مجلس الامة .

— الصداقة السوفيتية العربية الان اقوى من اى وقت مضى .

— الاتحاد السوفيتى سينفذ جميع التزاماته للجمهورية العربية المتحدة .

● انور السادات رئيس مجلس الامة يقول « اننا نقدر للاتحاد السوفيتى معوناته الكبيرة والشريفة التى تقدم من اجل التحرير والتطور » .

٣ يناير ١٩٦٥

● تقرر تخفيض اشتراكات تامين اصابات العمل من ٣ فى المائة الى ١ فى المائة .

٤ يناير

● صدرت عدة قرارات بضمان الحكومة للحد الادنى لاسعار السندات الحكومية

٦ يناير

● سر الختم خليفة رئيس وزراء السودان بعد سقوط الحكم العسكرى اثر ثورة ٢١ اكتوبر من نفس العام يزور الجمهورية العربية المتحدة ويقابل الرئيس عبد الناصر .

٩ يناير

● الرئيس عبد الناصر يطلب الى مجلس الامة البدء فى اجراءات اختيار رئيس الجمهورية لفترة الرياسة الجديدة .

● بدات فى القاهرة اجتماعات مؤتمر رؤساء الحكومات العربية .

● قدرت استثمارات الخطة الثانية للصناعة والكهرباء والتعليم بمبلغ ١٤٤٣ مليون جنيه .

● عقدت الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى اول اجتماع لها .

١٠ يناير

● تم الاتفاق على اعادة التجارة بين الجمهورية العربية المتحدة والسودان وبدء التبادل فى حدود ٣ ملايين جنيه .

● المظاهرات الشعبية تجتاح الجمهورية العربية تطلب ترشيح جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية لفترة الرياسة الجديدة وتستمر حتى اعلان انتخابه .

١٢ يناير

● صدرت قرارات رؤساء الحكومات العربية مؤكدة العمل على تنفيذ الخطط العربية فورا وتاييد منظمة تحرير فلسطين ومجابهة اى دولة اجنبية تسعى لاقامة علاقات جديدة مع اسرائيل .

١٣ يناير

● اعلن الفريق أمين الحافظ رئيس حكومة سوريا ان الرئيس عبد الناصر قد توسط بين سوريا والعراق . وان العلاقات بينهما قد تحسنت نتيجة لهذه الوساطة .

٢٠ يناير

● مجلس الامة يصدر وثيقة اعلان ترشيح جمال عبد الناصر لرياسة الجمهورية .

● الرئيس عبد الناصر يقبل ترشيح مجلس الامة له رئيسا للجمهورية لفترة الرياسة القادمة والتى تمتد لست سنوات .

٢٣ يناير

● تكونت فى الامم المتحدة مجموعة من الدول من بينها الجمهورية المتحدة اطلق عليها اسم « لجنة الـ ١٦ » لوضع مشروع لانقاذ الامم المتحدة من ازمتها المالية .

٢٦ يناير

● مجلس النواب الامريكى يقرر وقف بيع القمح للجمهورية العربية المتحدة .

٢٧ يناير

● الحكومة الامريكية تعلن عدم موافقتها على قرار مجلس النواب بمنع بيع القمح للجمهورية المتحدة .

● الرئيس عبد الناصر يجتمع فى القاهرة بكريستوف جبينى رئيس حكومة الثورة فى الكونجو .

٢٩ يناير

● قررت الجمهورية العربية المتحدة تقديم قرض الى جمهورية داهومى فى شكل سلع وخدمات لانشاء شبكة طرق وفندق .

٣٠ يناير

● أنور السادات رئيس مجلس الامة يزور اليمن ويعقد عدة اجتماعات فى صنعاء مع المسئولين اليمنيين والضباط المصريين فى اليمن .

● قررت الجمهورية العربية المتحدة وقف اعمال السفارة العربية فى ليوبولدفيل وسحب اعضائها ردا على سحب الدبلوماسيين الكونجوليين من القاهرة .

٣١ يناير

● وقع بالاحرف الاولى على ٣ اتفاقيات بين الجمهورية المتحدة والمانيا الشرقية لتوريد معدات المانية لاقامة بعض المشروعات الصناعية فى الجمهورية المتحدة بما قيمته ١٧ مليون جنيه استرلينى . وكذلك تقديم تسهيلات ائتمانية للجمهورية العربية بمبلغ ١١ مليون جنيه . واتفاق خاص بتنمية التعاون الفنى والعلمى بين البلدين .

أول فبراير

● صدر قرار جمهورى بدعوة الناخبين للاستفتاء على رئيس الجمهورية يوم ١٥ مارس .

● تم الاتفاق مع السودان على اجراء تخفيضات على الرسوم الجمركية تصل الى ١٠٠ فى المائة .

٢ فبراير

● تم الاتفاق مع الاتحاد السوفيتى على العمل من اجل ان يتم بناء السد العالى نهائيا فى عام ١٩٦٨ بدلا من

١٩٦٩ . واتمام محطة توليد الكهرباء عام ١٩٦٩ بدلا من ١٩٧٠ .

٣ فبراير

● تقرر رفع مرتبات الذين يتقاضون اقل من ٧ جنيهات شهريا ويستفيد من القرار ٥٢ الف عامل بالدولة .

٦ فبراير

● صدر العدد الاول من « الاشتراكى » نشرة المناضلين من اجل مجتمع الكفاية والعدل ، وهى المجلة التنظيمية الداخلية للاتحاد الاشتراكى العربى (نصف شهرية) .

٧ فبراير

● القاهرة تعلن انها سوف تقطع علاقاتها مع بون اذا استمر ارسال هدايا الاسلحة من المانيا الغربية لاسرائيل .

١٠ فبراير

● المانيا الغربية تصدر قرارا بوقف صفقات السلاح مع اسرائيل .

١١ فبراير

● اعلنت وزارة الخارجية البريطانيه ان مساندة حكومة القاهرة لثوار الجنوب العربى يجعل من الصعب تحسين العلاقات بين الجمهورية المتحدة وبريطانيا .

١٥ فبراير

● وافق مجلس الامة على مشروع قانون يقضى بتخفيض ايجارات المبانى بنسبة ٢٠ فى المائة للمبانى التى تم انشاؤها من اول يناير ١٩٤٤ وحتى يناير ١٩٦١ . وتخفيضها بنسبة ٣٥ فى المائة للمبانى التى اقيمت بعد ذلك .

● بدأت المباحثات بالقاهرة بين الاتحاد الاشتراكى العربى ووفد الحزب الشيوعى الايطالى .

١٦ فبراير

● بورقيبة رئيس جمهورية تونس يزور والجمهورية العربية معركة واحدة .

١٨ فبراير

● الرئيس عبد الناصر يشرح تفاصيل الازمة مع المانيا الغربية امام الجماهير فى أسوان ويصف المانيا الغربية بالاستعمار الجديد .

● بورقيبة يعلن ان المعركة فى تونس والجمهورية العربية معركة واحدة .

٢١ فبراير

● الرئيس عبد الناصر يعلن انه لا يمكن ان نقبل اعتذار المانيا الغربية عن هدية الاسلحة لاسرائيل بانها اجابت طلب امريكا . وتساءل الرئيس هل المانيا الغربية دولة مستقلة ام لا ؟

● الرئيس يعلن ان العام الحالى اهم سنوات النضال العربى .

٢٢ فبراير

● اذيع البيان الرسمى عن محادثات الرئيس عبد الناصر مع بورقيبة البيان يعلن ان تزويد اسرائيل بالاسلحة تشجيع للعدوان على العرب وتهديد خطير لكيان الدول العربية كلها . كما اعلن البيان تأييده لمنظمة تحرير فلسطين ومساعدتها على استرداد حقوق شعب فلسطين .

٢٤ فبراير

● وصل والتر اولبريخت رئيس جمهورية المانيا الديمقراطية فى زيارة رسمية للجمهورية العربية المتحدة

● بون تدرس قطع علاقاتها الاقتصادية مع القاهرة ردا على الزيارة

● مسئول فى الجمهورية العربية يعلن فى مجلس الامة ان خسائر الارواح فى عمليات اليمن بلغت ١٠٥ شهيدا من الضباط و ١٥٠٢ شهيدا من الجنود ، وان تكاليف الحرب قد بلغت ٣ ملايين جنيه استرلينى فى سنتين و ١٥ مليون جنيه كل سنة من النقد المصرى .

٢٥ فبراير

● الرئيس عبد الناصر يجتمع بالهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى ويعلن ان الميثاق هو الحكم فى اجراءات التأمين وان الاتحاد الاشتراكى يضع خطا مبدئيا واحدا امام الصحافة وهو الالتزام بالميثاق ، كما اعلن الرئيس ان المرحلة القادمة لا يمكن ان تكون استمرارا للمرحلة السابقة وانما يجب ان تكون تجديدا للثورة فى مجال الخدمة العامة .

٢٦ فبراير

● اعلن ان الدخل القومى زاد ١١٦ مليون جنيه فى السنة الرابعة للخطة الخمسية الاولى .

٢٧ فبراير

● اعلن عن اكتشاف حقل للبترول (المرجان) تحت مياه خليج السويس يقدر انتاجه السنوى بعشرة ملايين طن

أول مارس

● بدأ ارسال محطة اذاعة صوت فلسطين من القاهرة

● صدر بيان مشترك عن مباحثات الرئيس عبد الناصر واولبريخت . اعلن البيان عن توقيع اتفاق طويل الاجل للتجارة والدفع بين البلدين كما اعرب عن تأييد حقوق العرب فى فلسطين وتأكيد قرارات مؤتمر عدم الانحياز بشأن الدول المقسمة ووسائل توحيدها كما اعلن البيان عن استنكاره للخطط العدوانية التى خلقت اسرائيل .

● طرحت « الطليعة » بتصريح خاص من الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى النقاش حول خطة العمل الجديدة للتنظيم السياسى .

٣ مارس

● ارنست جيفارا وزير الصناعة الكوبى يزور الجمهورية العربية المتحدة .

٩ مارس

● الرئيس عبد الناصر يتحدث عن المهام التى تنتظرها البلاد فى السنوات القادمة وهى : بناء الصناعات الثقيلة ومواجهة الخطر الاسرائيلى والعمل من أجل الوحدة العربية .

١٠ مارس

● الرئيس عبد الناصر يعلن ان الدول العربية اتخذت اربع قرارات للرد على المانيا الغربية اذا اعترفت باسرائيل . تقضى القرارات :

- سحب السفراء العرب من بون فورا .
- انذار بقطع العلاقات الدبلوماسية
- التضامن مع الجمهورية المتحدة
- انذار جميع مؤيدى اسرائيل .

١١ مارس

● الملك الحسن يزور القاهرة ويجتمع بالرئيس عبد الناصر .

١٤ مارس

● الجمهورية العربية المتحدة توافق مع تسع دول عربية على قرارات مؤتمر وزراء الخارجية العرب ، على قطع العلاقات مع المانيا الغربية اذا اعترفت باسرائيل .

١٥ مارس

● تم انتخاب الرئيس جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية للفترة القادمة بنسبة ٩ ر ٩٩ فى المائة من مجموع اصوات الناخبين .

١٦ مارس

● الرئيس عبد الناصر يعلن بعد اعادة انتخابه :

ـ اريدكم جميعا معى .

ـ اننى اطلب اليكم الا تكون نتيجة الاستفتاء تفويضا مطلقا لى لانى احتاج اليكم معى فى كل يوم .

ـ احتاج فكركم ـ جميعا وبغير استثناء ـ مع فكرى وضمائركم مع ضميرى وايديكم مع يدى .

٢٤ مارس

● شواين لاى يبعث برسالة الى الرئيس عبد الناصر يعلن فيها تأييد الصين الشعبية للموقف الذى اتخذته الجمهورية العربية المتحدة من المانيا الغربية .

٢٥ مارس

● الرئيس عبد الناصر يؤدى اليمين الدستورية امام مجلس الامة عن مدة رياسة الجمهورية التى تبدأ يوم ٢٧ مارس ولمدة ٦ سنوات .

٣٠ مارس

● افتتاح الندوة العالمية لقضية فلسطين فى القاهرة .

أول ابريل

● اشتركت الجمهورية العربية المتحدة مع ١٦ دولة من دول عدم الانحياز فى توجيه نداء السلام الى الدول الخمس الكبرى لاجراء مفاوضات مباشرة غير مشروطة لتسوية مشكلة فيتنام تسوية سلمية ووقف كل تدخل اجنبى فى فيتنام .

٤ ابريل

● بدأت الاجتماعات فى القاهرة بين وفد الاتحاد الاشتراكى العربى فى الجمهورية المتحدة ووفد الاتحاد الاشتراكى العربى فى الجمهورية العراقية ، ووفد حزب جبهة التحرير الجزائرية .

١٥ ابريل

● وفد من الجمهورية العربية المتحدة يشترك فى الاحتفال بالذكرى العاشرة لمؤتمر باندونج ، ويجتمع بشاسترى فى نيودلهى .

١٧ ابريل

● على صبرى يفتتح مؤتمر القادة الاداريين ويعلن ان مرحلة التحول القادمة تحتاج الى قيادات ثورية .

٢٦ ابريل

● تيتو يزور الجمهورية العربية المتحدة ويجتمع بالرئيس عبد الناصر .

٢٩ ابريل

● قرر ممثلو الملوك والرؤساء العرب رفض مقترحات بورقيبة بشأن قضية فلسطين .

٣٠ ابريل

● صدر بيان مشترك عن محادثات عبد الناصر ـ تيتو ، يعلن تأييد مطالب شعب فلسطين العربى لاسترداد حقوقه الشرعية كاملة وتأييد كفاح شعب اليمن ويندد بالسياسة العدوانية الاستعمارية ضد شعب الجنوب العربى المحتل . ويرى البيان ان مشكلة فيتنام تهديدا للسلام العالمى ويطالب بوقف الهجمات الجوية ضد شعب فيتنام الشمالية .

أول مايو

● الرئيس عبد الناصر يعلن فى عيد العمال ان قضية فلسطين ليست قضية مزايدات او مساومات . وقد وصف الرئيس موقف بورقيبة من قضية فلسطين على انه لا يخدم سوى الاستعمار واسرائيل . وقد اعلن الرئيس ان العمل الوطنى يتم اليوم تحت حكم قوانين ولوائح وضعت فى عهد تحالف رأس المال والاقطاع ولذلك يجب تغيير هذه القوانين واللوائح ، واعلن الرئيس ان المرحلة القادمة ليست مرحلة مطالب اقتصادية جديدة وانما هى مرحلة عمل لتكوين قاعدة الانطلاق .

٤ مايو

● شارل حلو يزور الجمهورية العربية المتحدة ويجرى محادثات مع الرئيس عبد الناصر حول تأكيد موقف البلدين ازاء العدوان الصهيونى على فلسطين والتزامهما بسياسة عدم الانحياز .

٦ مايو

● الجمهورية العربية المتحدة تدعو مجلس الامن للتدخل لازالة القاعدة البريطانية من الجنوب العربى وانهاء الحكم البريطانى فى المنطقة .

٩ مايو

● افتتح معهد الدراسات الاشتراكية بالقاهرة التابع للامانة العامة للاتحاد الاشتراكى .

١٢ مايو

● نص مشروع قرار ربط الميزانية لعام ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ على ان :

ـ ميزانيه الخدمات ٥٩٤٫٦ مليون جنيه

ـ ميزانية الاعمال ١٢٢٢٫٢ مليون جنيه .

ـ صافى الانفاق العام ١٢٠١٫٩ مليون جنيه

١٣ مايو

● الجمهورية العربية المتحدة تقرر قطع علاقاتها السياسية مع المانيا الغربية بعد أن قررت بون اقامة علاقات دبلوماسية مع اسرائيل .

١٥ مايو

● القاهرة تؤجل الاعتراف بحكومة المانيا الشرقية .

١٦ مايو

● اجتمعت الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى بحضور الرئيس جمال عبد الناصر . وقد تناول الاجتماع التركيز على أهمية التنظيم السياسى والانتاج فى المرحلة القادمة والشئون الاقتصادية

٢٠ مايو

● اعلن « دستور العمل فى مرحلة الانطلاق » يقول بأن عمال الجمهورية العربية المتحدة « قد وطدوا العزم فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ شعبنا ضد قوى الصهيونية والاستعمار الدولى وعملائه ، على ان يكونوا جنود الصف الاول فى معركة الانتاج التى يقودها عبد الناصر » .

● شرع « الاهرام » فى نشر الوثائق السرية لخطط العدوان والتدخل البريطانية المنفردة وبالاشتراك مع امريكا فى كل من ليبيا ولبنان والكويت ، مصحوبة بتعليقات من محمد حسنين هيكل فى مقاله الاسبوعى « بصراحة » .

٢٥ مايو

● صدر بيان القيادة السياسية الموحدة للعراق والجمهورية العربية المتحدة يعلن :

ـ استنكار تصريحات بورقيبة وموقفه

ـ التمسك بقرارات مؤتمر القمة العربى .

ـ ضرورة تدعيم النظام الجمهورى فى اليمن .

ـ ضرورة توحيد جميع القوى الوطنية داخل الاتحاد الاشتراكى .

٢٧ مايو

● مجلس رؤساء الحكومات العربية يرفض بالاجماع موقف بورقيبة من قضية فلسطين ويعتبره خروجا على الاجماع العربى .

٣٠ مايو

● اصدر مجلس رؤساء الحكومات العربية قرارات تدعو الى :

- دعم وحدة العمل العربى لتحرير فلسطين .
- تاييد منظمة التحرير الفلسطينى .
- التمسك بمقرارات مؤتمر القمة العربيين .
- كفالة المزيد من اسباب الفعالية للقيادة العربية الموحدة والمشروع العربى الموحد لاستثمار مياه نهر الاردن وصد الاعمال العدوانية الاسرائيلية على الاراضى العربية .

٣١ مايو

● الرئيس عبد الناصر يحضر المؤتمر الوطنى الثانى لمنظمة تحرير فلسطين ويقول فيه :

- ليس بالجامعة العربية ولا بمؤتمرات القمة ومقرراتها تتحرر فلسطين : هذه كلها عوامل مساعدة
- العمل العربى الثورى هو وحده طريق تحرير فلسطين .
- تحرير فلسطين لن يتم الا بمعركة ولكننا نحن الذين نحدد زمانها ومكانها ولا نقبل ان يحددها لنا العدو .
- الاستعمار فى كل خططه يستهدف قاعدة العمل الثورى العربى فى مصر

٨ يونيو

● اصدر المؤتمر السنوى لقادة الشباب بالاتحاد الاشتراكى العربى توصياته التى من بينها « الاسراع بتشكيل التنظيم السياسى للشباب فى الجمهورية العربية المتحدة » .

٩ يونيو

● الرئيس عبد الناصر يجتمع بشاسترى رئيس وزراء الهند . وتدور المباحثات حول مؤتمر رؤساء حكومات الدول الاسيوية والافريقية الذى سيعقد فى الجزائر .

١٠ يونيو

● احمد توفيق المدنى - مبعوث الرئيس بن بيللا - يجتمع بالرئيس عبد الناصر لاجراءمباحثات حول تصفية الجو العربى وحل مشكلة اليمن .

١٢ يونيو

● تنكو عبد الرحمن رئيس وزراء الملايو يزور القاهرة ويجتمع بالرئيس عبد الناصر حيث قد تم الاتفاق على عدم اثارة الخلافات الثنائية فى المؤتمر الاسيوى الافريقى فى الجزائر .

● بدأت المباحثات بين الاتحاد الاشتراكى ووفد جبهة تحرير فيتنام الجنوبية .

١٣ يونيو

● اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى تبحث موضوع الادخار . اللجنة تقرر ان تكون ساعات العمل ٧ ساعات فقط كما تقرر مكافاة سنوية للعاملين فى الحكومة قدرها ١٥ يوما .

● تقرر اعفاء ٧٩ قرية فى ١٥ محافظة من ضريبة العوائد على العقارات باثر رجعى اعتبارا من يناير ١٩٦٥ .

١٥ يونيو

● قرر مجلس الوزراء تطبيق نظام اللامركزية الكامل بالنسبة لكليات الجامعات ومعاهدها .

● محمد ايوب خان رئيس جمهورية باكستان يزور الجمهورية العربية المتحدة ويجتمع بالرئيس عبد الناصر . وقد تناولت المحادثات بينهما الاعداد للمؤتمر الأسيوى الافريقى فى الجزائر

١٦ يونيو

● تقرر اجراء تعديلات فى شروط القبول بكلية الشرطة تقضى برفع الحد الاعلى لسن القبول الى ٢٢ سنة واعفاء ابناء الكونستبلات والصولات بالشرطة والقوات المسلحة من شرط المجموع اسوة بابناء الضباط .

● الحكومة تخصص ٢٠ مليون جنيه من النقد الاجنبى الحر خلال الشهور الثلاثة القادمة لتغطية التعاقدات على القمح الذى تحتاجه البلاد لتغطية احتياجات الاستهلاك . وقد طلب الرئيس ان يكون تخطيط توفير القمح قائما على افتراض ان الولايات المتحدة لن تجدد الاتفاقية .

١٩ يونيو

● تلقى الرئيس عبد الناصر رسالة سلمها وزير خارجية الجزائر لسفير الجمهورية العربية المتحدة ، وذلك بعد الانقلاب الذى قام به الكولونيل هوارى بومدين ضد الرئيس بن بيللا فى نفس اليوم .

● بدأ مجلس الامة مناقشة الميزانية الجديدة للدولة .

● قرر مجلس محافظة اسوان توزيع الاراضى المستصلحة على اهالى النوبة

ابتداء من اول يوليو .

● شواين لاى يزور الجمهورية العربية المتحدة ويجرى محادثات مع الرئيس عبد الناصر حول مؤتمر التضامن الاسيوى الافريقى الثانى بالجزائر .

٢٠ يونيو

● وصل المشير عبد الحكيم عامر الى الجزائر فى مهمة عاجلة بعد الانقلاب الثورة الجزائرى الجديد وعاد فى اليوم التالى .

● الرئيس عبد الناصر يعلن فى حفل تكريم شواين لاى « اننا نثق فى ثورة المليون شهيد ، ثقة بغير حدود » . واضاف « ان المؤتمر الاسيوى الافريقى لابد ان ينجح » .

● قررت امانة الفلاحين بالاتحاد الاشتراكى « فى مؤتمر بنى سويف » ، استبعاد العضو الذى يملك ارضا هو او زوجته او ابناؤه القصر من اللجان النقابية للعمال الزراعيين .

٢٢ يونيو

● اعلنت الجمهورية العربية المتحدة ان القاهرة حريصة فى الدرجة الاولى على استمرار ثورة الجزائر فى اتجاهها العربى التقدمى . وانها دون اى تدخل فى شئون الجزائرالداخلية ترى ان سلامة بن بيللا هى مطلب على المستوى القومى الواسع ، نضاليا وانسانيا .

● وصل الى القاهرة فى مهمة خاصة وعاجلة عبد العزيز بوتفليقة وزير خارجية الجزائر لامور تتعلق بالاحداث هناك وبالمؤتمر الاسيوى الافريقى الذى حدد لانعقاده يوم ٢٩ يونيو وقابل الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس شواين لاى وغادر بوتفليقه القاهرة فى صباح اليوم التالى .

٢٣ يونيو

● غادر محمود رياض وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة القاهرة الى الجزائر لحضور اجتماع وزراء خارجية المؤتمر الاسيوى الافريقى .

● بلغت الميزانية الجديدة لجامعة القاهرة ٦ ملايين و ١٢٨ الف جنيه .

● محمود يونس رئيس مجلس ادارة هيئة قناة السويس يعلن فى اوسلو ان القناة ستعمق الى ٥٠ قدما خلال ٥ سنوات على الاكثر .

٢٤ يونيو

● اعلنت وزارة الخارجية الامريكية ان ليندون جونسون قد امر بارسال كميات القمح والمواد الغذائية المتبقية من الصفقة السابقة التى اوقفتها الحكومة الامريكية من قبل على اثر خطاب الرئيس عبد الناصر فى ٢٣ ديسمبر

١٩٦٤ الذى هاجم فيه الضغط الامريكى على الدول العربية • وتبلغ قيمة المتبقى من الصفقة ٣٧ مليون دولار •

٢٥ يونيو

● الرئيس جمال عبد الناصر يقابل سوكارنو وشاسترى فى القاهرة ، لاجراء المباحثات حول تطور الاحداث بالنسبة لمؤتمر الجزائر خاصة والتضامن الاسيوى الافريقى عامة •

● عبرت القاهرة عن تقديرها لموقف الاتحاد السوفيتى فى تلبية طلبها بتوريد ثلثمائة الف طن من القمح دون بحث لاى شروط مسبقة •

٢٦ يونيو

● اوصت الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى تأجيل الانتخابات فى الاتحاد الاشتراكى ، الى شهر مارس او ابريل من العام القادم •

٢٨ يونيو

● عاد الوفد العربى من الجزائر بعد أن قررت اللجنة التحضيرية تأجيل المؤتمر الاسيوى الافريقى الى ٥ نوفمبر •

● محادثات الرئيس جمال عبد الناصر مع الرؤساء احمد سوكارنو وايوب خان وشواين لاى بالقاهرة •• وقد أعلن الرؤساء عن ضرورة مضاعفة الجهود من اجل انجاح المؤتمر الافريقى الاسيوى الثانى - الذى عقد بالقاهرة فى هذه الفترة - كما اكد الرؤساء العمل على دفع التضامن الاسيوى الافريقى لمواجهة التحديات لدول القارتين •

٤ يوليو

● اجتمع الرئيس جمال عبد الناصر مع اعضاء اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ، وقد دعا الرئيس لهذا الاجتماع « لبحث المرحلة القادمة من العمل الوطنى » وهى المرحلة التى التزم بها وباهدافها امام الجماهير خلال كلما القاه من خطب رسمية وشعبية اثناء عملية الاستفتاء على رياسة الجمهورية •

وقد بحثت ايضا اللجنه التنفيذيه مسائل داخلية مختلفة وبرنامج العمل الداخلى والنظام الادارى « سياسة الاجور والاستهلاك والانتاج والمواد التموينية ونظام التوزيع بالنسبة للتجارة الداخلية » •

٦ يوليو

● اوفد الرئيس جمال عبد الناصر السيد محمد فايق مدير مكتب الشئون الافريقية برياسة الجمهورية ليقوم بجولة فى دول غرب افريقيا وشرقها ليبحث مع الرؤساء عددا من الموضوعات التى تهم الدول الافريقية ومن بينها المسائل المتعلقة بمؤتمر القمة الافريقى المقرر عقده فى اكرا فى سبتمبر ١٩٦٦ •

١٣ يوليو

● ادلى الرئيس جمال بحديث هام الى محطة تليفزيون واذاعة كولومبيا الامريكية وقد اذيع الحديث فى جميع انحاء الولايات المتحدة ••

وقد اشار الرئيس فى هذا الحديث الى ان :

- اهدافنا تجاه الجزائر (بعد عزل بن بيللا) ان تكون بيننا علاقات طيبة وصداقة ولم يكن لدينا أى اتجاه لنطلب الوحدة معهم •

- لا يمكن تجنب الحرب مع اسرائيل ، وكل ما يقوله الاسرائيليون عن السلام انما هو للدعاية فقط •

- نحن لا نقبل الضغوط ، لا من الولايات المتحدة ولا من الاتحاد السوفيتى •

- الاتحاد السوفيتى اعطانا القمح بلا شروط ، وبدون حتى مجرد اتفاق تجارى على السعر ••

١٣ يوليو

● اصدر الرئيس قرارا بانشاء لجنة عليا للمشروعات الصناعية بمنطقة حلوان •• وان تختص اللجنة بعمليات التخطيط والتنسيق والاشراف اللازمة للانشاءات والتوسعات فى المشروعات الصناعية الثقيلة •

١٨ يوليو :

● عقدت اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى اجتماعا برياسة الرئيس جمال عبد الناصر ، وقد تناولت بالبحث - الخطة واهداف السنة الخامسة

- التجارة الداخلية وتنظيم الاستيراد والتصدير - قانون العاملين بالشركات - وقد طلب الرئيس الانتهاء من تقييم جميع الوظائف فى الشركات قبل نهاية شهر اغسطس القادم ••

٢٢ يوليو

● خطاب عبد الناصر فى ميدان الجمهورية فى مطلع العام الرابع عشر لثورة يوليو ••• قال الرئيس فى خطابه :

- هناك خطة للانسحاب من اليمن فى ستة شهور اذا ما تحقق فى اليمن سلام ،

ونحن مستعدون للسلام مع السعودية ،والا فان الصبر له حدود •

- وعن تفاصيل محاولات الضغط الامريكى علينا قال الرئيس :

- واشنطن طلبت منا التعهد بعدم انتاج اسلحة ذرية ووقف انتاج الصواريخ وتجميد الجيش المصرى عند الحد الذى وصل اليه •

ثم قال : اننا لانبيع استقلالنا بثمانين مليون جنيه ولا بثمانية آلاف مليون جنيه ولا نقبل تدخلا مهما كان الثمن •

السنة الرابعة عشرة

٢٣ يوليو ١٩٦٥ - ٢٢ يوليو ١٩٦٦

٢٤ يوليو

● حضر الرئيس جمال مهرجان الشباب فى استاد القاهرة •

٢٤ يوليو

● أرسى الرئيس جمال حجر الاساس للكاتدرائية المرقسية بالقاهرة •• وقد القى كلمة قال فيها : ان الثورة قامت على المحبة ولم تقم باى حال على الكراهية والتعصب • ان المحبة والمساواة وتكافؤ الفرص نادت بها الاديان السماوية لاننا بالمحبة والمساواة وتكافؤ الفرص نستطيع ان نبنى المجتمع الصحيح السليم الذى نريده والذى نادت به الاديان •

٢٦ يوليو

● خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى الاسكندرية بمناسبة احتفالات عيد الثورة ، وقد اوضح الرئيس فى هذا الخطاب :

- ان ما حدث فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ كان ثورة ولم يكن انقلابا ، وانه حركة شعب وليس تصرف فرد •

- ان الشعب هو الذى خاض معارك الجلاء بالسلاح •

- ان الشعب هو الذى حقق بقوة قرار تاميم قناة السويس •

- ان الشعب هو الذى رد على الانذار البريطانى الفرنسى سنة ١٩٥٦ •

- ان الشعب هو الذى اقام السد العالى وهو الذى صنع بعمله اكبر قاعدة صناعية فى الشرق الاوسط •

٢٨ يوليو

● خطاب للرئيس جمال عبد الناصر فى اللقاء مع اعضاء هيئة التدريس فى جامعة الاسكندرية ،وقداوضح الرئيس فى خطابه ، ان بناء المجتمع الاشتراكى يتطلب من المثقفين تفاعلا كاملا مع قوى الشعب ، واساسا اخلاقيا صلبا .. وان التعليم هو جيش السلام الذى يمكننا من بناء بلدنا ، وتحقيق التغيير الشامل للمجتمع .

٤ أغسطس

● محادثات الرئيس جمال عبد الناصر مع الرئيس الغينى سيكوتورى بالقاهرة . وقد تناولت المباحثات المؤتمر الافريقى القادم فى اكرا والمؤتمر الاسيوى – الافريقى بالجزائر وحرب فيتنام – وآثار مضاعفات النزاع السوفيتى – الصينى .

وصدر البيان المشترك : عن ضرورة وقف الغارات الجوية الامريكية على فيتنام الشمالية واستنكار السياسة الاستعمارية الصهيونية فى فلسطين ..

١١ أغسطس

● الرئيس جمال يبعث برسالة قرئت فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر العالمى ضد القنابل الذرية والهيدروجينية المنعقد فى طوكيو .. وقد حذر الرئيس فى رسالته من أن جميع شعوب العالم تتعرض الان لخوف الابادة الذرية وخطرها .. وقال ان ج.ع.م. تؤيد كل الحركات المناهضة للتسلح الذرى .

١٥ أغسطس

● جمال عبدالناصر يعرض ان يذهب بنفسه الى السعودية للاجتماع بالملك فيصل لبحث مشكلة اليمن والصدام الواقع بسببها بين ج.ع.م والمملكة العربية السعودية والاحتمالات الخطيرة لاتساع نطاق هذا الصدام اذا ما استمر التهديد ضد ثورة اليمن ينطلق من الحدود السعودية .

وقد رفض الرئيس فكرة ترددت بان يعقد الاجتماع المقترح فى عرض البحر وقال انه لا يريد ان يتعامل مع فيصل تعامل الاعداء او الغرباء .. وقال اما ان يتم الاجتماع على الارض المصرية او على الارض السعودية وانا على استعداد للسفر حرصا على السلام ..

٢٢ أغسطس

● سفر عبد الناصر للمملكة العربية السعودية لبحث ازمة اليمن . وقد وقع الرئيس جمال والملك فيصل اتفاقية السلام من ٩ بنود منها :

● تتعهد السعودية بوقف مساعداتها ومنع استخدام اراضيها ضد اليمن .

● تسحب ج . ع . م قواتها من اليمن فى ظرف عشرة أشهر .

● عقد مؤتمر يمنى انتقالى يمهد لاستفتاء شعبى فى اليمن .

● انشاء لجان سلام ولجان مراقبة وقوة مشتركة تؤمن تنفيذ الاتفاق .

٢٧ أغسطس

● سفر الرئيس عبد الناصر للاتحاد السوفيتى .

● وفى أول أيام الزيارة ألقى الرئيس خطابا فى حفل مجلس الرئاسة السوفيتى الذى اقيم للرئيس ، جاء به أن هناك ٤ اخطار تهدد السلام العالمى :

١ – خطورة سياسات القوة .

٢ – شل حركة الامم المتحدة .

٣ – مصاعب الدول النامية

٤ – خطر التآمر ضد الشعوب ، كما يحدث للعالم العربى .

وقد اشار فى خطابه كذلك الى نذر سوف تستفحل ما لم يستطع عملنا وعى الشعوب الحرة ان يضع لها حدودا .

● وقد رد عليه بريزنيف بخطاب قال فيه : نحن نحيى الرئيس جمال عبد الناصر المقاتل والوطنى الشجاع ورجل الدولة البارز الذى أحدث التغييرات التاريخية فى مصر .

٢٩ أغسطس

● ألقى الرئيس عبدالناصر خطابا فى الطلبة العرب فى موسكو ، شرح فيه طريق العمل من اجل تحقيق أهداف النضال المصرى والقومى . وقد كشف الرئيس فى خطابه لاول مرة عن المؤامرة الجديدة للاخوان المسلمين الذين استغلوا العفو عنهم لكى يتآمروا من جديد بأموال ارسلها سعيد رمضان بعد ان حصل عليها من مصادر أجنبية ، وأعلن أن مصر سوف تعلن انسحابها من مؤتمرات القمة العربية اذا استمرت عمليات الاتجار بقضية فلسطين ، ونتحمل مسئولياتنا التاريخية .

٣١ أغسطس

● حدد عبد الناصر والزعماء السوفيت فى بيان مشترك ، موقفهم من كل القضايا العالمية ، وطالبوا ، وقف الغارات على فيتنام – تأييد حقوق عرب فلسطين والجنوب المحتل – استنكار مؤامرة فصل جنوب السودان – تصفية الاستعمار والقواعد العسكرية – ضم الصين الشعبية للامم المتحدة – حل المشكلة الالمانية – وقف انتشار الاسلحة النووية » .

أول سبتمبر

● زيارة الرئيس عبد الناصر ليوغوسلافيا ، وقد بدأت المحادثات بين الرئيسين فى بلجراد ، وشملت قضايا الحرية والسلام ومشاكل الاستعمار ومستقبل الامم المتحدة والعلاقات بين ج . ع . م . ويوغوسلافيا . وقد وجه الرئيسان تيتو وعبد الناصر نداء عاجلا الى حكومتى الهند وباكستان لوقف الصدام المسلح بينهما واعتبرا نفسيهما وسطاء فى وقف القتال .. واعلنا استعدادهما لارسال بعثة عربية يوغسلافية لشرح وجهة نظر الرئيسين فى هذا الموضوع (اثر القتال الذى نشب بين الهند وباكستان) .

كما تضمن البيان المشترك :

● الدعوة الى العمل الجماعى فى الامم المتحدة وعقد اتفاق دولى لوقف انتشار الاسلحة النووية وانهاء الغارات الجوية على فيتنام الشمالية .

● أن مسئولية الدول غير المنحازة فى المحافظة على السلام الدولى اصبحت متزايدة وتدعو الى اليقظة الدائمة لمواجهة ما يطرأ على العالم من تطورات .

٩ سبتمبر

● مباحثات الملك فيصل والرئيس عبد الناصر بالقاهرة قبل عقد مؤتمر القمة العربى الثالث بالرباط .

● وقد تناولت المحادثات تنفيذ اتفاق جدة ومؤتمر القمة العربى .

● وفى البيان المشترك أكد الجانبان التزامهما بالنتائج التى توصلا اليها فى تنفيذ اتفاق جدة – ودعم العلاقات بين ج . ع . م . والسعودية والتعاون بين البلدين فى المجال الاقتصادى والثقافى وغيرهما .

١٢ سبتمبر

● سافر الرئيس جمال الى الرباط (المغرب) لحضور اجتماعات مؤتمر القمة العربى الثالث ، وقد قضى الرئيس ٤ ساعات فى الجزائر وهو فى طريقه الى الرباط .

● وقد القى الرئيس جمال خطابا فى افتتاح مؤتمر القمة العربى قائلا : ان مهمتنا باختصار هى تحرير فلسطين ولا يمكن الفصل بين تحرير فلسطين وبين الحركة الشاملة للامة العربية من أجل تحررها السياسى والاقتصادى .

● وحدد الرئيس فى خطابه ٦ عوامل ايجابية حدثت خلال الفترة التى تلت مؤتمر القمة العربى بالاسكندرية : ١ – انعقاد هذا المؤتمر فى زمانه ومكانه . ٢ – اجتماعه فى المغرب يؤكد وحدة العالم العربى من الخليج الى المحيط . ٣ – اتفاق جدة الذى أقر السلام فى اليمن ليتفرغ الشعب اليمنى لتعويض التخلف الذى فرض عليه والانتقال الى القرن العشرين . ٤ – قيام القيادة العربية الموحدة . ٥ – بدأت هيئة تحويل نهر الاردن عملها . ٦ – قيام منظمة تحرير فلسطين .

وفى مقدمة النقاط التى تضمنها البيان المشترك لمؤتمر القمة العربى :

– الاتفاق على خطة تحرير فلسطين والخطة الموحدة للدفاع عن قضيتها فى الامم المتحدة ومقاومة المحاولات لتصفية قضية اللاجئين .

- دعم القيادة العربية الموحدة ومنظمة تحرير فلسطين وجيش التحرير الفلسطيني والمضى فى مشروعات استثمار نهر الاردن .

- تاييد النضال الوطنى فى الجنوب المحتل وفى عمان ومنطقة الخليج وتاكيد حق هذه الشعوب فى تقرير مصيرها .

- توجيه نداء الى الهند وباكستان لوقف القتال .

- يجب اقرار السلام فى فيتنام وفقا لاتفاقيات جنيف .

- مقاومة الاستعمار فى افريقيا وتاييد كفاح الشعوب المستعمرة فى القارة .

١٩ سبتمبر

● بعد انتهاء اعمال مؤتمر القمة العربى قضى الرئيس الفترة حتى ٢٣ سبتمبر فى زيارة رسمية للمغرب .

وقد صدر البيان المشترك عن الزيارة وقد تضمن :

- زيارة الرئيس جمال للمغرب تاكيد جديد لالتحام المشرق العربى والمغرب العربى للسير معا فى طريق الامل العربى .

- تاييد الجانبين لحقوق شعب فلسطين ومؤازرتهما لمنظمة تحرير فلسطين .

- مساندتهما لمنظمة الوحدة الافريقية .

- ضرورة بذل الجهود لتاييد منظمة الامم المتحدة ولتحريم استخدام الاسلحة الذرية كخطوة فى طريق نزع السلاح الشامل .

٢٦ سبتمبر

● رفض الرئيس جمال مقابلة جورج طومسون وزير الدولة البريطانى الذى يزور القاهرة وقد الغى الموعد الذى سبق تحديده للوزير وذلك بسبب تطورات الحوادث فى عدن وذلك بعد ان الغت الحكومة البريطانية دستور عدن وحلت مجلس الوزراء وفرضت حكم المندوب السامى البريطانى مباشرة وبقوة الارهاب المنظم لسلطات الاحتلال .

٢ أكتوبر

● اصدر الرئيس جمال قرارا بتعيين السيد على صبرى نائب رئيس الجمهورية امينا عاما للاتحاد الاشتراكى ، كما اصدر قرارا آخر باعادة تشكيل الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى بحيث اصبحت تضم ١٦ عضوا .

٤ أكتوبر

● اصدر الرئيس جمال عبد الناصر عددا من القرارات بشأن بعض المناصب السياسية والتنفيذية ، من أهمها : ان يكون كل من الدكتور نور الدين طراف ، وكمال رفعت وعباس رضوان - بوصفهم اعضاء فى اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكى متفرغين للعمل السياسى .

٢٠ أكتوبر

● زيارة الرئيس عبد الناصر لاكرا (غانا) لحضور مؤتمر القمة الافريقى الثالث . وقد بدأ الرئيس فور وصوله مشاوراته مع رؤساء افريقيا بعقد اجتماعات جانبية مع الرؤساء من بينهم نيكروما سيكوتورى ، موديبوكيتا لبحث خطة عمل مؤتمر القمة .

وقد افتتح الرئيس المؤتمر فى ٢١ اكتوبر بكلمة اشار فيها الى ان احداثا كبيرة وهامة وقعت فى افريقيا تحفزنا على المزيد من العمل للحصول على استقلال القارة . وقد اتخذ المؤتمر قرارا لمواجهة الموقف الخطير فى روديسيا (اعلان سميث استقلالها من جانب واحد) . ١ - اعادة النظر فى العلاقات السياسية والاقتصادية مع بريطانيا اذا قبلت استقلال روديسيا على اساس حكم الاقلية . ٢ - استخدام كل الوسائل الممكنة بما فى ذلك القوة ضد اعلان الاستقلال .

٢٦ أكتوبر

● بدأت زيارة الرئيس الرسمية لغانا على اثر الانتهاء من مؤتمر القمة الافريقى وقد صدر بيان مشترك عن محادثات الرئيسين المصرى والغانى جاء فيه :

١ - عبر الرئيسان عن ايمانهما بمنظمة الوحدة الافريقية والحاجة الى ايجاد مجلس تنفيذى للمنظمة .

٢ - استنكر الرئيسان السياسات الاستعمارية العنصرية التى ما زالت بعض الدول تمارسها فى افريقيا ضد شعوب القارة .

٣ - نددا بوجود حكم الاقلية فى كل من جنوب افريقيا وروديسيا .

٤ - استنكر الرئيسان سياسة حكومة البرتغال الاستعمارية .

٥ - ضرورة استعادة شعب فلسطين العربية جميع حقوقه وفق ميثاق الامم المتحدة .

٦ - تأييدهما لعقد اتفاقية دولية لمنع انتشار الاسلحة النووية كخطوة اولى نحو تحقيق نزع السلاح التام .

٣٠ أكتوبر

● بدء زيارة الرئيس الرسمية لمالى على اثر الدعوة التى تلقاها من موديبوكيتا .

وقد صدر البيان المشترك عن محادثات الرئيسين :

- اعرب الرئيسان عن ارتياحهما للنجاح الذى احرزه مؤتمر اكرا .

- استنكر الطرفان السياسة العنصرية فى روديسيا .

- تأييدهما للشعب الفلسطينى المناضل .

- اقتناعهما باهمية وفاعلية هيئة الامم المتحدة .

أول نوفمبر

● قام الرئيس جمال بزيارة رسمية لغينيا (حتى ٥ نوفمبر) وذلك فى نهاية جولته لزيارة دول غرب افريقيا .

وصدر البيان المشترك عن المحادثات تضمن ما يلى :

● دعم حركة الشعوب الافريقية نحو التحرر .

● ايمانهما بمنظمة الوحدة الافريقية .

● التنديد بسياسة التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا .

● استنكار السياسة الاستعمارية فى روديسيا .

● تأييدهما لحركات التحرير فى انجولا وموزمبيق وغينيا المسماه بالبرتغالية .

١٠ نوفمبر

● صدر قرار جمهورى بقانون يجيز لرئيس الجمهورية الحق المخول له بمقتضى المادة الاولى من القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ بالنسبة للاشخاص الذين سبق لسلطات الضبط والتحقيق ضبطهم او التحفظ عليهم وذلك فى جرائم التآمر ضد امن الدولة والجرائم المرتبطة بها والتى تم اكتشافها فى الفترة ما بين مايو سنة ٦٥ وآخر سبتمبر سنة ٦٥ . ولرئيس الجمهورية ان يطبق فى شانهم التدابير الخاصة بوضع اموالهم وممتلكاتهم تحت الحراسة .

١١ نوفمبر :

● اصدر الرئيس عبد الناصر قرارا بوصفه رئيس الاتحاد الاشتراكى بتشكيل اللجان التنفيذية فى محافظات الوجه البحرى . كما اصدر قرارا بضم جميع الاعضاء الجدد الى عضوية لجان الاتحاد فى المحافظات التى اختيروا للعمل فى لجانها التنفيذية .

١٥ نوفمبر

● قام السيد تيودور زينكوف السكرتير الاول للحزب الشيوعى البلغارى فى زيارة رسمية لـ ج٠ع٠م

واختتمت الزيارة يوم ٢٠ نوفمبر باصدار البيان المشترك للمحادثات التى تضمنت النقاط التالية :

● استنكار السياسة الاستعمارية التى تمارسها الصهيونية فى اسرائيل .

● تأييد نضال الشعب العربى فى الجنوب .

● معارضة الاستقلال المزيف فى روديسيا .

● الدعوة الى وقف الاعمال العدوانية ضد فيتنام الشمالية .

١٨ نوفمبر

● امضى الرئيس جمال ٣ ساعات كاملة مع الف من الشباب فى مناقشات سياسية مفتوحة شملت مختلف قضايا الساعة فى الشئون الداخلية والخارجية .. وقد طلب الرئيس الى الشباب الدين زارهم فى معسكرهم فى حلوان – وهو أول معسكر يقيمه الاتحاد الاشتراكى لاعداد قادة منظمة الشباب – أن يوجهوا اليه أى سؤال يريدون الاجابة عليه .

● وقد قال الرئيس للشباب : الاشتراكية بدون تعقيد هى القضاء على استغلال الانسان للانسان واقامة مجتمع الرفاهية .. لم يكن يخيفنا الا عدم وجود قيادات واليوم أقول اننى مطمئن على وجود طليعة الاشتراكيين التى تمثل عنصرا جديدا للقيادات .

٢٠ نوفمبر

● قالت الصحف الاسرائيلية أن صور الرئيس جمال ظهرت فى صناديق الاقتراع فى الانتخابات الاسرائيلية التى اعلنت نتائجها الاسبوع الماضى بدلا من بطاقات الانتخابات . وذكرت الصحف ان العرب فى اسرائيل قد وضعوا هذه الصور .

٢٢ نوفمبر

● بدء زيارة الرئيس ادوارد اوخاب رئيس مجلس الدولة لجمهورية بولندا الشعبية لـ ج . ع . م ، وفى حفل العشاء الذى اقامه الرئيس للضيف قال الضيف ، « اننا نشعر باحترام كبير لسياسة مصر وموقفها ضد الاستعمار » اما البيان المشترك عن المحادثات فكان ينص على توسيع نطاق التعاون بين البلدين وتأييدهما للنضال العربى فى الجنوب وبذل الجهود من اجل نزع السلاح والتزامهما بميثاق الامم المتحدة .

٢٥ نوفمبر

● خطاب للرئيس عبد الناصر فى افتتاح الدورة الثالثة لمجلس الامة ، وقد قام الرئيس بعملية تقييم للمرحلة التى مضت من العمل الوطنى فى كل مجالاته الثلاث : الداخلية والعسكرية والخارجية . ولخص الرئيس نتائج الخطة النهائية بالحساب .. استثمارات ١٥١٣ مليون جنيه – زيادة انتاج ٢ر٩٢٦ مليون جنيه ، زيادة الدخل ٤٧٧ مليون جنيه .

وعن المرحلة القادمة ، قال الرئيس : أن عمل الشعب المصرى هو طريقه الوحيد الى المستقبل ، باعتبار أن زيادة الانتاج هى القاعدة الاولى لمجتمع الرفاهية ، وانه لابد من ربط الزيادة فى الاستهلاك وفى عدد السكان بالتخطيط وضرورة تطوير الزراعة عمليا والدخول بسرعة الى ميدان تنقية مياه البحر بالطاقة الذرية ، والتصنيع بسرعة اكثر والتركيز على الصناعات الثقيلة .

١ ديسمبر

● تقرر تطبيق القوانين الاشتراكية وتحسين الاجور على عمال المخابز فى القطاعين العام والخاص بأثر رجعى ، ويبلغ عددها ٢٨٠٠ مخبز يعمل بها نحو ٥٠ الف عامل .

١١ ديسمبر

● صدر قرار بلائحة قانون نظام الادخار ويقضى هذا القرار بأن يخصم قسط شهرى ثابت قدره ١٠ فى المائة من المرتب او الاجر المستحق ابتداء من يوليو سنة ٦٥ المستحق لكل من العاملين بالحكومة والهيئات العامة والمؤسسات العامة وشركاتها والمنشآت الصحفية والشركات ذات المساهمة الخاصة الخاضعين لاحكام قوانين المعاشات المدنية والعسكرية وقانون التامينات الاجتماعية .

١٣ ديسمبر

● دعت ج . ع . م الى عقد اجتماع غير عادى لوزراء خارجية القارة الافريقية فورا . وقد طلبت القاهرة عقد هذا الاجتماع لاتخاذ موقف موحد بالنسبة لقرار قطع العلاقات مع بريطانيا اذا لم تسحق فورا حكومة الاقلية العنصرية فى روديسيا .

١٤ ديسمبر

● تعهدت ج . ع . م بأن تساهم بمبلغ ٥٠ الف دولار لمساعدة الامم المتحدة فى التغلب على مصاعبها المالية .

١٦ ديسمبر :

● قررت حكومة ج . ع . م . قطع علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا تضامنا مع الدول الافريقية التى اتخذت هذا القرار فى اديس ابابا (تنفيذا لقرارات منظمة الوحدة الافريقية) . وذلك بسبب موقف بريطانيا من مشكلة روديسيا .

١٨ ديسمبر

● القى الرئيس جمال خطابا فى الاحتفال الذى اقيم بجامعة القاهرة بمناسبة عيد العلم الحادى عشر ، وقد وجه الرئيس تركيزا خاصا على بعض القضايا .

– ان كل ما يواجهنا من مشاكل فان العلم هو املنا الحقيقى والوحيد .

– أن الاجيال الجديدة المتأهبة للخلق العلمى والفكرى مطالبة بأن تعانى بجد اكثر متطلبات ما نذرت نفسها له .

– اننا لم نوفر حتى الان اهتماما كافيا او حوافز كافية لاجيال الشباب .

● وقد دعا فى خطابه الى تنظيم حازم يفرض الرجل الصحيح فى المكان الصحيح ويضع كل كفاءة فى مجال التخصص الذى اعدت له ، وطالب بتوجيه اهتمام أكبر بالمبعوثين المصريين فى الخارج ودعا الى مؤتمر فى الصيف القادم يشهده أكبر عدد منهم .

٢١ ديسمبر :

● حضر عبد الناصر احتفالات عيد النصر التاسع فى بور سعيد وخطب فى المؤتمر الشعبى مؤكدا :

– أن معركة السويس كانت بداية الثورة الحقيقية .

– ١٥٠ يوما ما بين ٢٦ يوليو الى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٥٦ صفت رواسب ١٢٠ سنة قبلها واحدثت التحول الثورى العظيم .

– استطعنا مجتمع النصف فى المائة لكى يقوم مجتمع المائة فى المائة .

– وتكلم عن مؤامرة الاخوان فقال : اغتيال عبد الناصر ليس المشكلة ، سوف يخرج بدلا منه ١٠٠٠ جمال عبد الناصر ، المشكلة محاولة اغتيال الشعب .

وقال ان الخطة الاولى احتاجت ١٥١٣ مليون جنيه والخطة الجديدة تحتاج ٣٠٠٠ مليون جنيه ولابد أن تنجح .

٢٦ ديسمبر

● وافقت لجنة الخطة على القواعد الجديدة لتوزيع الارباح بحد اقصى ٥٠ جنيها وما يتبقى منها يوزع مرة أخرى على من لم تتجاوز أرباحه الحد الاقصى . واستقطاع الجزاءات واجور الايام التى تغيبها العامل عن العمل – فى غير الاجازات الاعتيادية – من الاجر الذى تحتسب الارباح على أساسه .

٢٧ ديسمبر

● تقرر أن يكون الحد الادنى للمعاشات ٣٦٠ قرشا بما فى ذلك معاش العجز الكامل ، او العجز الجزئى المستديم ويستفيد من ذلك ٥٠٠٠ مواطن يتقاضون الان أقل من هذا الحد ، كما تقرر أنه يحق للعامل ان يستمر فى العمل – ما دام قادرا على ادائه – حتى نهاية ديسمبر ١٩٧٦ مهما بلغ عمره فى ذلك الوقت .

يناير ١٩٦٦

● الرئيس عبد الناصر يقابل مبعوث جونسون لينقل اليه وجهة النظر الامريكية حول مشكلة فيتنام . القاهرة تقوم بالوساطة لحل القضية .

٦ يناير :

● عمل لائحة الشركات عن قانون العمل واخضاع المؤسسات لاحكام قانون العاملين .

٩ يناير :

● الجمهورية العربية ترأس اللجنة السياسية لمؤتمر القارات الثلاث التى تقرر توسيع نطاق المنظمة الافروآسيوية لتنضم اليها أمريكا اللاتينية .

١١ يناير :

● قرار جمهورى بتنظيم وزارة الارشاد القومى بانشاء هيئتين عامتين للاذاعة والتليفزيون .

١٣ يناير :

● رسائل من عبد الناصر الى بومدين وهيلاسلاسى لاقرار السلام فى فيتنام .

١٨ يناير :

● وزارة الخزانة تصدر قواعد تسوية وصرف المعاشات لمستحقيها على الوزارات والمصالح ، الموظفة المتزوجة تستحق مكافأة عند استقالتها ، ولو قلت مدة خدمتها عن ٣ سنوات ، مبالغ التأمين تصرف فى حالتى وفاة المنتفع وهو فى الخدمة أو الفصل بسبب العجز دون اشتراط لمدة الخدمة .

١٩ يناير :

● انشاء مجلس أعلى للخدمات الصحية والغاء المجلس الاعلى للتأمين الصحى .

٢٧ يناير :

● وضع حجر الاساس لمعبدى ابو سمبل فى موقعهما الجديد .

٢٨ يناير :

● افتتاح المؤتمر الافريقى للتنمية الصناعية فى القاهرة بحضور مندوبى ٢٥ دولة وممثلى ٩ منظمات عالمية .

٣٠ يناير :

● البدء فى تنفيذ مشروع تنظيم الاسرة فى جميع المحافظات

١ فبراير :

● قرار بتيسير ضم مدة الخدمة سابقة للعاملين فى القطاع العام ، قضى بان تحسب فى معاش العاملين الخاضعين لقانون التأمينات الاجتماعية مدة خدمتهم المحسوبة فى قوانين التأمين والمعاشات الحكومية دون أداء أى أعباء مالية .

٢١ فبراير :

● عبد الناصر يدلى بتصريحات هامة للوفد الصحفى العراقى وتحدث اليهم فى مؤتمر صحفى قائلا انه يجب على الدول العربية أن تقوم بالقضاء على كل ما يمكن اسرائيل من أن تنتج قنبلة ذرية . كما اكد ان قضية الوحدة العربية تحتاج الى تمهيد كبير وتعزيز مسبق حتى لاتصاب باية نكسات .

٢٢ فبراير :

● ألقى الرئيس عبد الناصر خطابا سياسيا فى الاحتفال بعيد الوحدة كشف فيه عن التآمر ضد الوطن العربى ابتداء من حلف بغداد حتى الحلف الاسلامى .

٢٤ فبراير :

● قرار باقامةمجمع معدنى فى حلوان وزيادة انتاج الصلب الى ١٫٧٥ مليون طن .

٩ مارس :

● اتصالات هامة وعاجلة تجريها القاهرة وبلجراد مع عدد من الدول غير المنحازة لتحديد موقف موحد ضد المؤامرات الاستعمارية ودراسة التطورات الخطيرة الطارئة فى الموقف الدولى .

١٢ مارس :

● تم اعداد الخطة الثانية للتنمية باستثمارات قدرها ٢٦٠٠ مليون جنيه وتزيد استثمارات الخطة الجديدة ١١٠٠ مليون جنيه عن الخطة الاولى وتنفذ على مدى ٦ سنوات .

٢٣ مارس :

● افتتح الرئيس جمال عبد الناصر مصنع تفحيم المازوت ومحطة الكهرباء، وسيمكن هذا المصنع من الحصول على المقطرات البترولية الوسطى وتحسين خواص البنزين المنتج محليا وزيادة الانتاج من الغازات السائلة وفصل البنزين الخفيف الصالح لانتاج المواد البتروكيماوية .

٢٧ مارس :

● تم استصلاح ٤٣ الف فدان فى الوادى الجديد ، ويقدر عائد الفدان فيها بـ ٢١٫٠ جنيهات سنويا .

٢٨ مارس :

● بدء تنفيذ السياسة الجديدة لتشجيع الاسكان التعاونى ، منح القروض للجمعيات التعاونية لبناء ١٢ الف قطعة ارض تملكها حتى الان، قروض جديدة للاعضاء الذين يرغبون فى تعلية مبانيهم واضافة وحدات اليها .

٢٩ مارس :

● انتاج حقل بترول مرجان يصل الى ٥ ملايين طن سنويا .

٣٠ مارس :

● تسليم مساكن ناصر الجديدة وعدد ١٤٠٠٠ شقة ـ لمستأجريها يبدأ يوم ٢٥ ابريل ، تلبية جميع طلبات أسر الشهداء من المساكن الشعبية والمتوسطة .

١ ابريل :

● الجمعية العمومية لمجلس الدولة تحظر الترقية لحملة الابتدائية الى أعلى من الدرجة الرابعة .

٥ ابريل :

● البدء فى استصلاح ٢٠٠ الف فدان فى النوبارية بالتعاون مع الاتحاد السوفيتى .

● مجلس الدولة يقر سلطة الادارة المطلقة فى قصر بعض الوظائف على جنس دون الاخر

٦ أبريل :

● وضع نظام كامل للتسويق التعاونى للقطن .

٧ ابريل :

● تقديم قضية مؤامرةالاخوان لاحياء حزبهم والاتفاق الجنائى .

٨ ابريل :

● بيع الاراضى الفضاء وعقارات الاوقاف فى جميع المحافظات باقساط على ١٥ سنة .

١١ ابريل :

● تطبيق التأمين الصحى الشامل على ٣٢ الف طالب وطالبة بالمعاهد العليا أو مراكز التدريب ، انشاء ١٤ وحدة لعلاج الطلاب بالمجان .

١٩ ابريل :

● رصد ١١ مليون جنيه في الميزانية للعلاوات الجديدة .

٢٥ ابريل :

● تقديم ثمانية متهمين بالانحراف ، منهم ٦ من افراد قوة الحراسة الملحقة بمكتب نائب القائد الاعلى ، الى مجلس عسكرى .

٢ مايو :

● عبد الناصر يدعو مجلس الامة فى خطابه فى المحلة الكبرى ، الى البدء فى وضع الدستور الدائم

٣ مايو :

● مباحثات بين تيتو وعبد الناصر فى القاهرة حول التطورات الاخيرة فى اسيا وافريقيا

٨ مايو :

● قرار بمنح خريجى المعاهد الصناعية بدلا تفرغ المهندسين اذا كانوا يشغلون وظائف هندسية .

١٠ مايو :

● وصول كوسيجين الى القاهرة لاجراء مباحثات مع الرئيس عبد الناصر حول اتجاهات الاحداث فى العالم وتطوير العلاقات بين البلدين .

١٢ مايو :

● الرئيس عبد الناصر يقرر تكوين لجنة خاصة لتصفية الجيوب الاقطاعية فى الريف .

٢٢ مايو :

● الرئيس سنجور يصل الى القاهرة لاستعراض الموقف الدولى ووضع منظمة الوحدة الافريقية على الرئيس عبد الناصر

● قرار جمهورى بصرف مكافأة الانتاج للعاملين فى الدولة بحيث تعادل مرتب ١٥ يوما من المرتب الاصلى وبحد أقصى ٣٥ جنيها .

٨ يوليو :

● مصر تطالب باشراف دولى فعال للقضاء على الاسلحة النووية .

● لجنة تصفية الاقطاع تصدر قراراتها بفرض الحراسة على بعض الاسر وابعادها عن الريف وفصلها من الاتحاد الاشتراكى .

١٢ يوليو :

● القاهرة ترفض الاحتجاج الامريكى على انشاء مكتب لجبهة التحرير الفيتنامية فى القاهرة .

١٩ يوليو :

● اعتقال الاقطاعيين الذين يتبعون وسائل الارهاب والاجرام لغرض السيطرة .

٢٢ يوليو :

● اعلان قيام منظمة الاتحاد الاشتراكى وتشكيل لجنتها المركزية .

السنة الخامسة عشرة

٢٣ يوليو ١٩٦٦ — ٢٢ يوليو ١٩٦٧

٢٨ يوليو :

● عرض ٩٢ الف فدان من أراضى الدولة للبيع ، مع مراعاة الاولوية للعائدين من اليمن ولمن يملكون اقل من فدانين .

٣٠ يوليو :

● افتتاح اول مؤتمر للمبعوثين العرب فى الخارج لمناقشة المسئولين . قرار باعفاءات جمركية للمبعوثين والمعارين .

٤ اغسطس :

● السماح بالاحتفاظ بالجنسية المصرية للمهاجر الذى يحصل على جنسية اجنبية .

١١ اغسطس :

● انشاء ٩٥ مكتبة فى المدن والقرى .

١٧ اغسطس :

● مجلس الوزراء يقر مشروعا لاعادة بناء كل قرى الجمهورية . لجنة فى كل محافظة تتحمل مسئولية اعادة تخطيط كل القرى اعتمادا على الامكانيات والجهود المحلية

١٩ اغسطس :

● قرار جمهورى بتنظيم العلاج فى الخارج . شرطان للسفر : عدم توافر العلاج محليا وقابلية المريض للشفاء .

١٩ اغسطس :

● فتح باب القبول بالمعاهد العليا امام خريجى مراكز التدريب المهنى .

٢١ اغسطس :

● الحكم على مصطفى امين وحسين توفيق بالاشغال الشاقة المؤبدة .

٢٤ اغسطس :

● صدور القرار الجمهورى بقانون المؤسسات وشركات القطاع العام ، انتخاب نصف اعضاء مجلس الادارة من العاملين .

٢٥ اغسطس :

● الرئيس يصدر قرارات وقف طرد المستأجرين ، وتعديل قواعد استبدال المعاشات (وقف خصم الاقساط من المستبدلين اذا بلغوا الخامسة والسبعين) وتنظيم اعمال الحكر على الاعيان الموقوفة ، رفع عقوبة التجارة فى المخدرات الى الاعدام .

٢٦ اغسطس :

● قرار جمهورى بتنظيم اوضاع العاملين فى المؤسسات والشركات لزيادة الانتاج وتشجيع الحوافز الفردية . منح سلطات واسعة لرؤساء مجالس الادارة مع ضمانات لحماية حقوق العاملين .

● قانون بخفض العوائد على المساكن التى خفضت ايجاراتها ٢٠ فى المائة .

٢٧ اغسطس :

● طرح قانون العلاقة بين المالك والمستأجر للمناقشة على النطاق الشعبى .

٢٩ اغسطس :

● قرار جمهورى بانشاء المنطقة الحرة فى بورسعيد .

٣١ اغسطس :

● تيسير اجراءات التقاضى امام المحاكم ، اختصار اجراءات رفع الدعوة من ١٠ الى ٣ مراحل .

٢ سبتمبر :

● اتصالات واسعة بين القاهرة ونيودلهى وبلجراد لحل المشكلات الاقتصادية للدول النامية . الاتفاق على عقد اجتماعين فى نيويورك ونيودلهى يحضرهما ممثلى ٧٧ دولة نامية لاتخاذ الخطوات التى تكفلتنفيذ قرارات التنمية فى مؤتمر التجارة الدولى الاول .

٨ سبتمبر :

● بدء تنفيذ مشروع تعمير القرى ببناء ١٠٠٠ مسكن جديد . الجمعيات التعاونية للانشاء لها حق دخول المناقصات مثل القطاع العام .

١٣ سبتمبر :

● الغاء تجارة الجملة فى الاسماك والاستيلاء على حلقات بيعه . والقضاء على سيطرة رأس المال للصيادين وخفض اسعار الاسماك .

١٤ سبتمبر :

● مباحثات مع البنك الدولى للمساهمة فى الخطة الثانية .

٢١ سبتمبر :

● دراسة أوضاع وكلاء الوزارات والمديرين فى الدولة وتضخم عددهم . بهدف الربط بين عدد الوظائف والحاجة العملية .

● نصيب العاملين فى الارباح يخضع لضريبة المرتبات والاجور .

٢٤ سبتمبر :

● قرار بعدم السماح باقامة مصانع جديدة الا بعد تشغيل المصانع القائمة باقصى طاقاتها

٢ اكتوبر :

● القاهرة تعلن انها ستتدخل ضد اى محاولة لغزو سوريا من جانب اسرائيل والرجعية المتعاونة مع الاستعمار .

● ممثلو ٤٠ دولة اسلامية يبدأون مؤتمرا فى القاهرة .

٩ اكتوبر :

● لجنة تصفية الاقطاع تنتقل الى بحث الانحرافات فى القطاع العام .

١١ اكتوبر :

● تطبيق نظام التقسيط على الثلاجة والتليفزيون والبوتاجاز .

● حل ٢٣ وحدة اساسية فى الاتحاد الاشتراكى استغلت نفوذها ووقعت تحت سيطرة الاسر الاقطاعية .

١٥ اكتوبر :

● اخضاع الاسهم المؤممة وسندات التعويض لرسوم الضرائب .

٢٠ اكتوبر :

● مؤتمر بين الرئيس عبد الناصر وانديرا غاندى وتيتو فى نيودلهى .

٢٢ اكتوبر :

● الاستيلاء على سلع كهربائية منعها تاجر جملة من السوق .

٢٥ اكتوبر :

● رسالة من الرئيس عبد الناصر الى ندوة افريقيا التى عقدتها مجلتى الطليعة والسلم والاشتراكية .

٣٠ اكتوبر :

● محافظ القاهرة يمهل الملاك ثلاثة شهور لرد خلو الرجل للسكان .

١ نوفمبر :

● محافظ الاسكندرية يقرر البت فى شكاوى خلو الرجل .

● مجلس مدينة الاسماعيلية يبحث تخصيص ١٠ فى المائة من خلو الرجل لانشاء وحدات سكنية جديدة .

٢ نوفمبر :

● اقرار مشروع جديد للحوافز : مكافآت تصل الى ٥٠٠٠ جنيه لكل فكرة أو جديد يؤدى الى زيادة الانتاج ..

٤ نوفمبر :

● توقيع اتفاق للدفاع المشترك بين مصر وسوريا . انشاء مجلس للدفاع وقيادة مشتركة واعتبار اى اعتداء على اى منهما اعتداء على الاخر .

● احالة حالات اغتصاب اراضى الاوقاف الى اللجنة العليا لتصفية الاقطاع .

٥ نوفمبر :

● اجتماع قمة ثلاثى مصرى - جزائرى - سورى لبحث تطورات الموقف العربى واحتمالاته .

٦ نوفمبر :

● عبد الناصر يسافر الى اديس أبابا لحضور مؤتمر القمة الافريقى .

١٠ نوفمبر :

● عبدالناصر يستقبلرئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا .

● قرار باقامة ٦٠٠ مسكن فى حلوان خلال ٤ شهور لتأجيرها لذوى الدخل المحدود . مؤسسة الاسكان تبنى ١٧٠٠ مسكن للتمليك وتمول مساكن القطاع الخاص بمليون جنيه .

١٢ نوفمبر :

● القاهرة تطلب الى صنعاء اعفائها من تسليم السياسيين السابقين الذين جاءوا اليها ومنهم حسين العمرى والنعمان .

١٣ نوفمبر :

● تخصيص حصة من انتاج كل شركة للتصدير ومراقبة الصادرات حرصا على سمعة الانتاج العربى .

● قصر صرف البدلات فى الشركات والمؤسسات على الحالات المؤثرة مباشرة على الانتاج .

● تطبيق قانون التامين على الماشية على من يملك رأسا واحدة بعد أن كان قاصرا على مالك ٥ رؤوس فاكثر .

١٥ نوفمبر :

● صرف الحد الادنى لمنتجى القطن مهما بلغت مديونياتهم ٣ جنيهات على القنطار طويل التيلة وجنيهان لقصير التيلة .

٢١ نوفمبر :

● بدء مباحثات عبد الناصر ورئيس جمهورية رومانيا .

٢٣ نوفمبر :

● عبد الناصر يهدى الى جامعة القاهرة المليون دولار التى ارسلها اليه الامير عبد الله الصباح بشيك على بنك امريكا تاركا له أمر توجيهها كما يشاء ٠

● محافظة الجيزة تحصر الشقق الخالية وتؤجر ٣ عمارات للتأمين ، وتبدأ فى تشكيل لجان خلو الرجل ٠ عمل اللجنة فى الاسماعيلية والدقهلية يمتد الى الارض الزراعية ٠

٢٤ نوفمبر :

● أعلن وزير العمل أن موافقة الاتحاد الاشتراكى شرط أساسى للترشيح لانتخابات مجالس الادارة واللجان النقابية ٠ كما أكد أن التفتيش المالى والحسابى على اللجان النقابية يعرض قبل الانتخابات على الجمعية العمومية ٠

٢٥ نوفمبر :

● التحفظ على أموال شركة فورد فى البنوك وفاء لسداد ٨٠٠ الف جنيه ضرائب وغرامات ٠

٢٧ نوفمبر :

● اعتماد مشروع النظام المحاسبى الموحد وبدء تطبيقه ٠

٢٨ نوفمبر :

● الرئيس يستقبل هوارى بومدين ويجرى معه مباحثات حول الموقف الدولى وافريقيا مع التركيز على الشرق الاوسط

● نائب رئيس الوزراء للزراعة والرى يقرر تأجير أراضى الاصلاح لمن يملكون أقل من فدانين على أن يكون التأجير مؤقتا ولايكسب المستأجر مستقبلا أى حق فى الانتفاع ٠

١٩ نوفمبر :

● اعادة تشكيل اللجنة التنفيذية العليا بحيث تضم : الرئيس ، وحسين الشافعى ، والسادات ، وعلى صبرى ، وصدقى سليمان ٠

● بيان للقيادة السياسية الموحدة بين مصر وبغداد يطالب بتسليح أهالى مناطق الحدود مع اسرائيل ، وتأييد منظمة التحرير الفلسطينية وادانة الرجعية ٠

١ ديسمبر :

● القائد العام للقيادات العربية الموحدة يدعو الى اجتماع عاجل لمجلس الدفاع الاعلى لبحث متطلبات الدفاع العربى

● البدء فى نقل المعينين بمكافأة شاملة الى وظائف دائمة فى الميزانية ٠

١٢ ديسمبر :

● الرئيس عبد الناصر يوافق على اقامة الملك سعود فى مصر ٠

١٧ ديسمبر :

● وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية يعقد اتفاقا للتعاون الاقتصادى مع الهند لانشاء صناعات مشتركة ٠

١٩ ديسمبر :

● الاستعانة بالخبراء السوفيت فى البحث عن البترول فى منطقة سينا ٠

٢٥ ديسمبر :

● وقف قبول طلبات « التمكين » فى الشقق الخالية أو المغلقة ، طريق القانون وحده هو الذى يضمن سلامة كل التصرفات ٠

٢٧ ديسمبر :

● وضع خطة للانجاز مدتها ٣ سنوات تنتهى عام ١٩٧٠ ٠

٣ يناير :

● فوض الرئيس عبد الناصر مجلس الوزراء برياسة المهندس صدقى سليمان اعداد الصورة الكاملة للنظام الجديد لعمل القطاع العام والذى يتكون من قسمين أولهما سياسى على أن يصدر بشانه توجيه من رئاسة الجمهورية والثانى تنظيمى يصدر به قرار جمهورى ٠

٨ يناير :

● قرار جمهورى بالبدء فى تشغيل المنطقة الحرة ببور سعيد ٠

● تقرر تشكيل لجان لبحث مشكلات القطاع الحكومى على كافة المستويات وذلك على غرار اللجان التى شكلت لبحث مشكلات القطاع العام ٠

١٠ يناير :

● طلب الرئيس عبد الناصر اعادة النظر فى كل حالات الحراسة التى فرضت على الابناء تبعا لموقف آبائهم ، وذلك فى كل عمليات الحراسة التى فرضتها لجنة تصفية الاقطاع ٠

٢٥ يناير :

● خطاب للرئيس فى مأدبة العشاء تكريما لرئيس جمهورية فنلندا يقول فيه : « ان الشعب المصرى استطاع بعد ثورته تصفية الامبراطوريات التقليدية » ٠

٢٧ يناير :

● ج ٠ ع ٠ م توقع المعاهدة الدولية لاستخدام الفضاء والتى تنص على تحريم اطلاق أسلحة نووية أو غيرها من أسلحة التدمير الشامل حول الارض أو وضعها على الكواكب أو فى الفضاء الخارجى وأن تتعهد الدول باستخدام القمر وغيره من الكواكب فى الاغراض السلمية ٠

٢٨ يناير :

● الرئيس يستقبل الوفد البرلمانى النرويجى برئاسة مستر برنت انجتالدسن رئيس البرلمان النرويجى ٠

٣٠ يناير :

● بيان مشترك عن محادثات عبد الناصر وكيكونين بعد زيارة الاخير للقاهرة والتى استغرقت خمسة ايام وقد اكد الرئيسان فى البيان اهتمامهما البالغ بقضية السلام والتعاون الدولى والاهمية الحيوية لمبادىء التعايش السلمى ٠٠٠

٢ فبراير :

● وصول الرئيس عبد السلام عارف فى زيارة للجمهورية العربية المتحدة ٠

٤ فبراير :

● مؤتمر صحفى مشترك للرئيسين عبد الناصر وعبد الرحمن عارف مع ممثلى الصحافة العربية يقول فيه الرئيس عبد الناصر « أمريكا حاولت تصفية شعب فلسطين لانهاء القضية لصالح اسرائيل ، ولكن النضال العربى استطاع احياء الكيان الفلسطينى وبلورة كفاح الشعب الفلسطينى » ٠

٦ فبراير :

● حديث خاص للرئيس مع جريدة الاوبزرفر البريطانية ينصح فيه وزير الخارجية البريطانية بأن يجرى اتصالا مباشرا مع جبهة التحرير الوطنى للجنوب العربى وعدن ، ويؤكد فيه أنه لا يوجد أحد يملك أو يقدر على منع الفلسطينيين من الكفاح لاستعادة وطنهم وحقوقهم فيه ٠

● خطاب للرئيس فى عيد العلم الثانى

عشر يعلن فيه شعار « العلم للجميع هذا جانب من الصورة والعلم للمجتمع هذا هو جانبها الاخر » .

٧ فبراير :

● البيان المشترك لمحادثات عبد الناصر ـ عبد الرحمن عارف بعد زيارة للاخير استغرقت خمسة أيام ، وقد أكد البيان ضرورة اللقاء بين القوى الثورية في الوطن العربي ، وتأييد منظمة تحرير فلسطين وجيش التحرير ، وتأييد نضال الشعب في الجنوب المحتل وفي الخليج العربي ، والتأييد المطلق للجمهورية اليمنية ، وتأييد الجانب المصري لموقف العراق من أزمة النفط وتأييد الجانبان لمطالب سوريا المشروعة في هذا الشأن .

١٢ فبراير :

● خطاب للرئيس عبد الناصر في حفل تكريم الرئيس السنغالي سنجور يقول فيه « ان افريقيا في هذه المرحلة أحوج ما تكون الى الفكر النفاذ الاصيل .. ليجيب على أسئلة عديدة مطروحة اليوم بشدة أمام الزحف الافريقي ... » .

١٣ فبراير :

● ج .ع .م تقرر وقف التصريح لجميع الطائرات الحربية الامريكية والبريطانية بالهبوط في مطاراتها ، ومنع مرورها عبر الاجواء المصرية .

١٨ فبراير :

● بيان مشترك بين الرئيسين عبد الناصر وسنجور بعد زيارة للاخير استمرت سبعة أيام ، جاء فيه أن الرئيسين استعرضا الموقف في القارة الافريقية وعبرا عن ايمانهما بان الشعوب الافريقية تمتلك من الطاقات والقدرات ما يكفل لها أن تواجه هذه التحديات بنجاح وان تواصل سيرها الطبيعي نحو آفاق أرحب في مجال العلم والتقدم ..

١٩ فبراير :

● الرئيس يرأس اجتماع اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي لبحث مسائل سياسية داخلية هامة : ١ ـ الانطلاق بعد مرحلة الانكماش ٢ ـ خطة السنوات الثلاث القادمة ٣ ـ القطاع العام الان أكثر استعدادا لمسئولياته .

● الرئيس يقول في رده على برقية وزير التعليم العالي « جامعاتنا تستطيع بالعلم الملتزم تعويض سنوات التخلف » .

٢٠ فبراير :

● رسالة من الرئيس جمال عبد الناصر الى الرئيس نيريري يحملها سفير ج .ع .م . في تانزانيا .

٢١ فبراير :

● خطاب شامل للرئيس في عيد الوحدة يبلور فيه طريق الوحدة العربية في مواجهة الاستعمار والصهيونية والرجعية .

٢٧ فبراير

● خطاب للرئيس امام مؤتمر المحامين العرب يركز فيه على الطريق الى وحدة القوى الثورية ، ويتحدث عن الثورة والقانون .

٦ مارس :

● رسالة الى الرئيس عبد الناصر من رئيس جمهورية تشاد بشأن تنمية العلاقات بين البلدين في جميع المجالات .

٨ مارس :

● جلسة خاصة للرئيس مع أعضاء المكتب الدائم لاتحاد المحامين العرب دارت فيها المناقشة حول طرق توحيد القوى الثورية في الدول العربية (نشر بمجلة الطليعة عدد أبريل سنة ١٩٦٧) .

٩ مارس :

● الرئيس يستقبل سارتر وسيمون دي بوفوار ولانستمان رئيس تحرير « العصور الحديثة » لمدة ثلاث ساعات الا ربع . جرت مناقشة عامة وشاملة عن التجربة المصرية وعن القومية العربية وقضية فلسطين وبعض جوانب الموقف العالمي الراهن .

١١ مارس :

● الرئيس يقيم مادبة عشاء تكريما للشيخ حسن خالد مفتي الجمهورية اللبنانية .

١٤ مارس :

● الرئيس يستقبل السيد عبد القوى مكاوى الامين العام لجبهة تحرير جنوب اليمن المحتل والسيد محمد سالم باسندوه عضو قيادة الجبهة .

١٧ مارس :

الرئيس يرد على رسالة وزير خارجية بريطانيا بشأن الجنوب العربي واحداثه الخطيرة .

١٨ مارس :

● جمال عبد الناصر يحضر مؤتمر الانتاج الذي يضم رؤساء مجالس ادارات ومؤسسات وشركات القطاع العام ويرسم أمامهم صورة لظروف العمل الوطني وحدود كل السلطات في اطاره ويشترك في المناقشات التي دارت حول الانتاج ومشاكله .

٢١ مارس :

● عبد الناصر يقول لاعضاء مؤتمر الانتاج « نحن لا نريد منكم مجرد مصانع تدور بكفاءة ولكن نريد منكم أيضا رجالا يستطيعون قيادة التقدم » .

٢٨ مارس :

● محادثات الرئيس مع الرئيس مختار ولد داده رئيس جمهورية موريتانيا الذي وصل الى القاهرة على رأس وفد سياسي يضم ٢٠ شخصا لزيارة تستغرق سبعة أيام لـ ج .ع .م .

● رسالة من الرئيس عبد الناصر الى مؤتمر الكتاب الافرو اسيويين يقول فيها .. ان شعوبكم تتوقع منكم الكثير .. تتوقع منكم ان تشاركوا من خلال اعمالكم الابداعية معركتها الكبرى ضد كل قوى الشر ، وان تحققوا أمانيها في مستقبل مشرق يتمتع فيه الانسان بالحرية والرخاء ومن أجل عالم يسوده الحب والسلام .

٢٩ مارس :

● الرئيس يستقبل السيد اندريه جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتي الذي وصل الى القاهرة في زيارة هامة تستغرق اربعة أيام .

٣١ مارس :

● الرئيس يستقبل اندريه جروميكو للمرة الثانية .

ـ جمال عبد الناصر يستقبل وفد البرلمان البريطاني وعلى رأسه مستر كريستوفر ميهيو

٤ أبريل :

● الرئيس يفتتح مؤتمر القمة الافريقي لخمس دول افريقية متحررة هي : ج .ع .م . والجزائر وموريتانيا وتانزانيا وغينيا ، وهي الدول التي كانت قد قطعت علاقاتها مع بريطانيا لموقفها من روديسيا .

٦ أبريل :

● صدر البيان المشترك عن اجتماع الرؤساء الخمسة ، وقد ادان البيان السياسة

البريطانية فى روديسيا وتطالب بوقف الغارات على فيتنام واعتبار جبهة التحرير الممثل الوحيد لشعبها – وبجلاء القوات البريطانية عن الجنوب العربى .

٩ ابريل :

● تعليمات الى سفير ج٠ع٠م فى واشنطن بابلاغ اعضاء لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكى ان ج٠ع٠م لا تتلقى أية معونات من امريكا .

١٠ ابريل

● الرئيسان عبد الناصر ونيريرى يتحدثان عن كفاح افريقيا امام مجلس الامة ، ومجلس الامة يقرر بالاجماع ان بيان نيريرى عن تأميم البنوك ، واعلان أروشا ، يعتبر وثيقة اساسية من وثائق تحرير افريقيا ، واتخاذه وثيقة رسمية للمجلس .

١١ ابريل :

● صدر البيان المشترك بين الرئيس عبد الناصر والرئيس نيريرى رئيس جمهورية تانزانيا ، واكد البيان على موضوع الوحدة الافريقية والوسائل الكفيلة بتحقيقها .

١٤ ابريل :

● الرئيس يستقبل وزراء الشئون الاجتماعية فى افريقيا ويتحدث اليهم قائلا « من الطبيعى ان كفاح الشعوب لا ينتهى بالحصول على الاستقلال .. وانما الاستقلال هو نقطة انطلاق على طريق صعب وليس بالسهل . »

١٥ ابريل :

● القاهرة تتابع باهتمام « تطورات الموقف فى نيجيريا والخلافات القائمة بين الاقليم الشرقى والحكومة الفيدرالية وتحث الاطراف المتنازعة على حل خلافاتها بالوسائل السلمية .

١٦ ابريل :

● الرئيس يقول لسفير سوريا عند تقديم أوراق اعتماده « اننى لا استقبلكم كاجنبى ولكن كابن من ابناء الامة العربية التى هى أمة واحدة وهذه حقيقة تاريخية واقعة . ان الشعوب فى نضالها نحو امانيها قد تنتصر مرة وقد تصيبها النكسة مرة ، لكن الانتصار لها فى النهاية ، والافراد مالهم الى الزوال وأما الشعوب فهى باقية » .

● صدر القرار الجمهورى الخاص بنظام حوافز الابتكار فى المؤسسات العامة والوحدات الانتاجية .

١ مايو :

● الرئيس عبد الناصر يلقى خطابا شاملا فى الاحتفال بعيد العمال العالمى فى شبرا الخيمة يقول فيه « الاستعمار لن يغفر لنا مواقفنا وافكارنا . ومعركتنا الاساسية معه وليست مع عملائه . لا أبيع حبة رمل من هذا البلد ولا حتى بمائة مليون دولار ، اسلحة أمريكا الثلاثة ضدنا هى : الضغط الاقتصادى ، نشاط المخابرات ، الحرب النفسية .

١٢ مايو :

● الرئيس يستقبل الفيلد مارشال مونتجمرى

١٣ مايو :

● ج٠ع٠م ترفض زيارة قطع الاسطول السادس الامريكى لموانيها وكان بين ما استندت اليه من اسباب نص تصريح رسمى أدلى به ليفى اشكول قال فيه « ان أمن اسرائيل يعتمد فى حمايته على وجود الاسطول الامريكى السادس فى البحر الابيض » .

١٤ مايو :

● الرئيس يوجه رسالة الى مؤتمر يوم فلسطين الذى عقد فى لندن بمناسبة الذكرى التاسعة لاغتصاب فلسطين يقول فيه « الامة العربية تواجه اليوم تآمرا شاملا يسعى الى الانقضاض عليها »

١٦ مايو :

● اعلان حالة الطوارىء فى القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة بعد ان توتر الموقف على خطوط الهدنة بين سوريا واسرائيل ، وبعد الحشود العسكرية الضخمة ، وبعد التهديدات والاصوات التى ارتفعت علنا فى اسرائيل طالب بالزحف على دمشق .

● القاهرة تطلب سحب قوات الطوارىء الدولية من نقط الحدود المصرية .

● رسائل من الرئيس جمال عبد الناصر الى عارف وبومدين والسلال والى رؤساء الاتحاد السوفيتى ويوغوسلافيا والهند .

١ مايو :

● الرئيس يستقبل الدكتور ابراهيم ماخوس نائب رئيس وزراء سوريا .

٢١ مايو :

● اللجنة التنفيذية العليا تعقد اجتماعا طارئا برئاسة الرئيس جمال عبد الناصر لبحث الموقف ودراسة تطوراته المحتملة .

٢٢ مايو :

● الرئيس عبد الناصر يعلن غلق خليج العقبة وتطبيق نفس القواعد التى كانت تطبقها قبل حرب السويس .

● رسالة هامة من الاتحاد السوفيتى يسلمها السفير السوفيتى للرئيس جمال عبد الناصر .

٢٣ مايو :

● الرئيس يستقبل رئيس وزراء سوريا والوفد العراقى برياسة الفريق طاهر يحيى ، ووزير خارجية الكويت .

– رسالة من الرئيس الامريكى جونسون الى الرئيس عبدالناصر بخصوص الموقف فى الشرق الاوسط .

٢٤ مايو :

● يوثانت يقضى ٤ ساعات مع الرئيس عبد الناصر لبحث الموقف المتوتر فى الشرق الاوسط . الرئيس يبلغ يوثانت استعداد ج٠ع٠م الكامل لتسهيل مهمة السكرتير العام للامم المتحدة فى كل مالا يمس الحق والسيادة والامن العربى .

● الرئيس يتلقى رسالة من الرئيس ديجول .

٢٥ مايو :

● جمال عبد الناصر يرأس اجتماعا هاما فى مقر القيادة العليا للقوات المسلحة .

٢٦ مايو :

● حديث للرئيس عبد الناصر مع وفد مؤتمر العمال العرب الذى قدم من دمشق لمقابلته وابلاغه بقرارات العمال العرب .

٢٨ مايو :

● مؤتمر مفتوح للصحافة العالمية يلقى فيه عبد الناصر بيانا تمهيديا ويجيب فيه على ٤٥ سؤالا .

● اجتماع الرئيس فى القيادة العليا للقوات المسلحة .

٢٩ مايو :

● مجلس الامة يذهب للقاء عبد الناصر ويقدم اليه تفويضا كاملا لمواجهة الموقف . عبد الناصر يتحدث الى اعضاء مجلس الامة ويشرح لهم آخر التطورات .

٣٠ مايو :

● اتفاقية دفاع مشترك يوقعها الرئيس عبد الناصر والملك حسين فى القاهرة .

١ يونيو :

● بعث الرئيس جمال عبد الناصر برسالة الى الرئيس الامريكى جونسون ردا على رسالته التى بعثها للرئيس يوم ٢٣ مايو ١٩٦٧ .

٤ يونيو :

● وقع الرئيس عبد الناصر والفريق طاهر يحيى اتفاق انضمام العراق الى اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر والاردن .

● اعلن فى القاهرة أن الرئيس عبد الناصر قد كلف نائبيه السيد زكريا محيى الدين والدكتور محمود فوزى بالسفر الى واشنطن لموعد مع الرئيس الامريكى ليندون جونسون .

٥ يونيو :

● العدوان الاسرائيلى على ج.ع.م وسوريا والاردن وابلاغ رئيس مجلس الامن بالعدوان .

٦ يونيو :

قررت ج.ع.م قطع العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة لمساندتها العدوان الاسرائيلى على الدول العربية .

٩ يونيو :

● ج.ع.م تبلغ السكرتير العام للامم المتحدة قبولها نداء وقف اطلاق النار .

● الرئيس عبد الناصر يوجه خطابا الى الامة عن الازمة وتطوراتها يعلن فيه انه « برغم اية عوامل قد اكون بنيت عليها موقفى فى الازمة ، فاننى على استعداد لتحمل المسئولية كلها .. ولقد قررت ان اتنحى تماما ونهائيا عن اى منصب رسمى وأى دور سياسى وأن اعود الى صفوف الجماهير » .

● الجماهير المصرية والعربية تخرج فى مظاهرات عارمة تصر على بقاء عبد الناصر فى موقعه ، والقادة العرب والسوفييت يناشدون الرئيس أن يعدل عن قراره بالتنحى .

١٠ يونيو :

● بعث الرئيس عبد الناصر ببيان الى مجلس الامة قرر فيه تاجيل قراره بالتنحى حتى ازالة اثار العدوان معلنا « ان صوت جماهير شعبنا بالنسبة لى أمر لا يرد » .

١١ يونيو :

● الرئيس يصدر قرارات جمهورية بتغيرات كبيرة وواسعة فى قيادات القوات المسلحة .

١٦ يونيو :

● محادثات هامة فى القاهرة بين عبد الناصر والاتاسى .

- الرئيس يتلقى المحضر الكامل لمحادثات بومدين فى موسكو .

١٩ يونيو :

● وزارة جديدة برئاسة الرئيس عبد الناصر نفسه .

٢٤ يونيو :

● بيان صحفى عن محادثات الرئيسين عبد الناصر وبودجورنى رئيس الدولة السوفيتى التى جرت فى القاهرة ، ويشير البيان الى أن البحث « دار حول الاجراءات اللازمة لازالة اثار العدوان » .

١ يوليو :

● وجه الرئيس عبد الناصر رسالة الى الاجتماع الطارىء لمنظمة تضامن الشعوب الافروآسيوية قال فيها : « ان العدوان الاستعمارى الاسرائيلى حلقة من معارك مريرة بين الاستعمار والشعوب المناضلة » .

٥ يوليو :

● بدأت سلسلة اجتماعات فى القاهرة، يشترك فيها الرئيس عبد الناصر والرؤساء هوارى بومدين ونور الدين الاتاسى وعبد الرحمن عارف واسماعيل الازهرى لاتخاذ عمل عربى موحد لازالة آثار العدوان (استمرت حتى يوم ١٦ يوليو) .

٢٣ يوليو :

● القى جمال عبد الناصر خطابا بمناسبة العيد الخامس عشر للثورة تحدث فيه عن تفصيل ازمة العدوان وقال ان ج . ع . م لن تتخلى عن حقوق شعب فلسطين رغم النكسة وانها ستعيد البناء الشعبى والعسكرى .

السنة السابعة عشرة

٢٣ يوليو ١٩٦٧ ـ ٢٢ يوليو ١٩٦٨

١ أغسطس :

● بدات سلسلة اجتماعات للرئيس مع اللجنة التنفيذية لبحث مسالة تكوين اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى . (استمرت حتى ٩ اغسطس)

١٠ أغسطس :

● محادثات بين الرئيس عبد الناصر والرئيس تيتو فى القاهرة استغرقت ثمانية اجتماعات (حتى يوم ١٧) .

٢١ اغسطس :

● ج ع م تتخذ قرارا قاطعا باستمرار اغلاق قناة السويس الى ان تزول آثار العدوان .

٢٧ اغسطس :

● محادثات بين الرئيس عبد الناصر والرئيس اليمنى عبد الله السلال حول التطورات العربية الاخيرة .

٢٩ اغسطس :

● استقبال شعبى كبير للرئيس عبد الناصر فى مطار الخرطوم حيث ذهب لحضور مؤتمر القمة العربى .

الرئيس يلقى كلمة يقول فيها : « ان العاصفة الاستعمارية التى هبت على وطن الامة العربية كلها ابتداء من ٥ يونيو لابد لها ان تهز من الاعماق اوضاعا كانت سائدة قبلها » .

٣١ اغسطس :

● اعلان الاتفاق بين الرئيس عبد الناصر والملك فيصل ملك السعودية على حل مشكلة اليمن ·

١ سبتمبر :

● عاد الرئيس عبد الناصر الى القاهرة قادما من الخرطوم بعد حضور مؤتمر القمة العربي وكان المؤتمر قد اعلن بيانا نص على التزام الدول العربية باربعة مبادىء اساسية تقضى بعدم الصلح مع اسرائيل او الاعتراف بها وعدم التفاوض معها . والتمسك بحق الشعب الفلسطينى فى وطنه ·

٢ سبتمبر :

● محادثات بين الرئيس عبد الناصر والرئيس العراقى عبد الرحمن عارف فى القاهرة ·

٤ سبتمبر :

● نشرت الاهرام عدة اجراءات كان الرئيس قد اتخذها قبل سفره الى الخرطوم · وكانت تستهدف مواجهة الفتنة المسلحة التى حاولت الاستيلاء على قيادة الجيش ·

١٤ سبتمبر :

● الرئيس عبد الناصر يدرس باهتمام النداءات التى وجهتها اليه الاطراف الوطنية المشتركة فى ثورة الجنوب العربى تدعوه فيها للتدخل بنفوذه للحيلولة دون وقوع حرب أهلية بين هذه القوى الوطنية ·

١٧ سبتمبر :

● عقد مجلس الوزراء اجتماعا برياسة الرئيس جمال عبد الناصر لبحث تقرير وزير العدل عن حادث انتحار المشير عبد الحكيم عامر ، وتشكيل وفد ج · ع · م الى الامم المتحدة

١٨ سبتمبر :

● الرئيس عبد الناصر يرسل رسالتين الى الرئيس محمد ايوب خان رئيس الباكستان والسيدة انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند ، يحملها د · محمود فوزى ·

٢١ سبتمبر :

● رسالة من الرئيس عبد الناصر الى الرئيس الفرنسى ديجول يحملها السيد محمود رياض ·

٢٨ سبتمبر :

● اجتماع الرئيس عبد الناصر بالدكتور احمد العراقى وزير خارجية المغرب وعضو اللجنة الثلاثية الخاصة بمسالة اليمن

٣٠ سبتمبر :

● محادثات فى القاهرة بين الرئيس جمال عبد الناصر والملك حسين اثناء زيارة الاخير استغرقت ٤ ساعات ، وقد شملت المحادثات تطورات الموقف العربى فى مختلف مجالاته ونتائج الاتصالات التى جرت فى الامم المتحدة ومع العواصم المختلفة التى زارها ·

● قرار جمهورى بتعيين السيد على صبرى وزيرا مقيما بمنطقة القناة ·

١٢ اكتوبر :

● اجتماع لمجلس الوزراء برياسة الرئيس عبد الناصر لبحث الموقف فى منطقة القناة واعادة النظر فى عمل الجهاز الحكومى ·

٩ اكتوبر :

● القاهرة ترفض محاولة لجس النبض حول اعادة فتح القناة

● قرار جمهورى باعادة تنظيم جهاز الاعلام ·

١٤ اكتوبر :

● تقرر تشكيل محكمة ثورة لمحاكمة الذين تم التحقيق معهم فى قضية محاولة الاستيلاء على القيادة العليا للقوات المسلحة وقضية ما تاكد من ثبوت انحراف جهاز المخابرات العامة ·

١٥ اكتوبر :

● مجلس الوزراء يوافق على تاميم تجارة الجملة ·

١٧ اكتوبر :

● اجتماع الرئيس عبد الناصر بالملك حسين لمدة ساعتين عرض فيها الملك حسين نتائج زيارته للاتحاد السوفيتى ·

٢١ اكتوبر :

● صدر البيان المشترك عن المحادثات بين الرئيس عبد الناصر والسيدة انديرا غاندى التى جرت فى القاهرة على مدى يومين وقد اكد البيان الاهمية العاجلة لانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى المحتلة ···

٢٢ اكتوبر :

● أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارا بمنح اوسمة وانواطا للضباط والجنود الذين اشتركوا فى اغراق المدمرة الاسرائيلية « ايلات » ·

٢٤ اكتوبر :

● الرئيس عبد الناصر والدكتور يوسف زعين رئيس وزراء سوريا يبحثان عقد مؤتمر للقوى الشعبية فى العالم العربى ·

٢٨ اكتوبر :

● الرئيس يستقبل الملك ماهندرا بيراكرام ملك نيبال ·

٣٠ اكتوبر :

● بدات محاكمة المسئولين عما وقع للسلاح الجوى يوم ٥ يونيو ·

١ نوفمبر :

● اجتماع الرئيس عبد الناصر والرئيس اليمنى عبد الله السلال ·

٢ نوفمبر :

● استقبل الرئيس جمال عبد الناصر المستر روبرت أندرسون وزير المالية السابق والمبعوث الخاص للرئيس الامريكى جونسون حيث استمع الرئيس الى وجهات النظر التى عرضها مستر أندرسون · وفى المقابلة الثانية شرح الرئيس عبد الناصر وجهة نظر ج·ع·م· فى أزمة الشرق الاوسط ·

١٠ نوفمبر :

● الرئيس يجرى محادثات مع محسن العينى رئيس وزراء الجمهورية اليمنية حول التغييرات الاخيرة فى اليمن ·

١٦ نوفمبر :

● محادثات بين الرئيس عبد الناصر والسيد بهجت التلهونى رئيس وزراء الاردن تتناول تطورات الموقف فى الضفة الغربية للاردن والتعزيزات العسكرية المتزايدة التى قامت بها سلطات الاحتلال الاسرائيلى هناك ·

١٩ نوفمبر :

● أذيع فى كل من القاهرة ولندن بيان رسمى بعد اتفاق مصر وبريطانيا على استئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين فى النصف الاول من ديسمبر ·

٢٣ نوفمبر :

● القى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا سياسيا فى الجلسة الافتتاحية لدورة الانعقاد العادى الخامس لمجلس الامة ، اكد فيه ايمانه بالمبدأ القائل « أن ما يؤخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة » وقال فيه أن المشروع البريطانى الذى اقره مجلس الامن ليس كافيا لحل الازمة وطالب بالانسحاب الكامل من كل الاراضى المحتلة فى ج·ع·م· والاردن وسوريا ، وانه لا مرور للسفن الاسرائيلية فى قناة السويس ·

٢٩ نوفمبر :

● قررت ج · ع · م الاعتراف بحكومة جمهورية اليمن الشعبية ·

٤ ديسمبر :

● صدر البيان المشترك عن اجتماعات القيادة السياسية الموحدة بين ج٠ع٠م٠ والعراق والتى تناولت الظروف التى تمر بها الامة العربية ٠

٦ ديسمبر :

● صدر عدة قرارات جمهورية برفع الحراسة عن عدد من الاسر التى كانت قد خضعت لقرارات لجنة تصفية الاقطاع ٠

٨ ديسمبر :

تم الانسحاب الكامل للقوات المصرية من اليمن ولم يعد لـ ج ٠ ع ٠ م اية قوات مصرية فى الجمهورية اليمنية ٠

١٩ ديسمبر :

● الرئيس عبد الناصر يستقبل الدكتور جونار يارنج مبعوث الامم المتحدة الى الشرق الاوسط بمناسبة بدء اتصالاته تنفيذا لقرار مجلس الامن الخاص بالشرق الاوسط ٠

٢٨ ديسمبر :

● رسالة من الرئيس عبد الناصر الى منظمة التضامن الافريقى الاسيوى بمناسبة مرور عشر سنوات على تاسيسها ٠

٥ يناير :

● حددت الجمهورية العربية المتحدة موقفها من مشكلة اخراج البواخر المحتجزة فى قناة السويس ، بانها لا تقبل اتمام هذه العملية عن طريق اتفاق مع اسرائيل ، حتى لو كان بالوساطة ٠ كما انها ترفض رفضا مطلقا اقتراح القيام بالعملية تحت علم الامم المتحدة ، ولا تقبل اتمامها الا تحت علم الجمهورية العربية المتحدة ٠

● بعث الرئيس عبد الناصر برسالة الى الملك فيصل ، بخصوص القتال الدائر فى اليمن ، والتدخل الاستعمارى عن طريق المتسللين الملكيين والمرتزقة الاجانب لاسقاط النظام الجمهورى فى اليمن ٠

٦ يناير :

● طلبت الجمهورية العربية رسميا ، تاجيل مؤتمر القمة العربى ، وتقدمت بمذكرة الى الدول العربية تدعو الى افساح المجال امام مزيد من المشاورات ٠

٧ يناير :

● استقبل الرئيس جمال عبد الناصر كيريل مازاروف النائب الاول لرئيس الوزراء السوفيتى الذى حضر الى القاهرة على رأس وفد كبير لاجراء محادثات مع المسئولين فى القاهرة ، وحضور الاحتفال بالعيد الثامن للسد العالى ٠

٩ يناير :

● افتتاح اضخم محطة كهرباء فى الاحتفال بالعيد الثامن للسد العالى ٠

١١ يناير :

● تقرر وقف العمل بقانون الاحكام العسكرية وذلك فى ضوء ما كشفت عنه بعض الظروف عن اوضاع خطيرة ترتبت على هذا القانون ، وقد تقرر تعديل القانون ٠

١٣ يناير :

● أجرى الرئيس جمال عبد الناصر محادثات مع الملك حسين فى القاهرة تناولت الموقف السياسى والعسكرى ٠

٢٠ يناير :

● تقرر تكوين لجنة خاصة من مجلس الامة ووزارة العدل لمراجعة كل القوانين المتعلقة بالحريات ٠

٢١ يناير :

● بدأت محكمة الثورة برئاسة حسين الشافعى محاكمة المتهمين فى قضية المؤامرة ضد نظام الحكم ، التى يتزعمها شمس بدران وعباس رضوان ، وصلاح نصر ، وجلال هريدى ، واحمد عبد الله ، وتحسين زكى وغيرهم من العسكريين ٠

٢٤ يناير :

● اصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارا بتعيين السيد على صبرى أمينا عاما للاتحاد الاشتراكى ، وتعيين السيد عبد المحسن ابو النور وزيرا للادارة المحلية ، والسيد أمين هويدى وزيرا للدولة ، والفريق أول محمد فوزى وزيرا للحربية ٠

٢٥ يناير :

● صدر قانون باعادة تنظيم القيادة العليا للقوات المسلحة ، يقضى القانون بتوزيع السلطات على رئيس الجمهورية بوصفه القائد الاعلى للقوات المسلحة ، ومجلس الامن الوطنى الذى يتولى التخطيط ، ووزير الحربية الذى يتولى القيادة العامة ٠

٢٦ يناير :

● بعث الرئيس عبد الناصر برسالة خاصة ثانية الى الملك فيصل ، بشأن تطورات الموقف فى اليمن ٠

٢٨ يناير :

● اصدر مجلس الوزراء برياسة الرئيس عبد الناصر قرارا بالموافقة على اقرار مشروع قانون الكسب غير المشروع ، واحالة المشروع الى مجلس الامة لاتخاذ اجراءات اصداره وتنفيذه ٠

٢٩ يناير :

● صدر قرار جمهورى يقضى بان يتولى السيد امين هويدى وزير الدولة الاشراف على المخابرات العامة بالاضافة الى عمله ٠

● تقرر وقف العمل بالقانون الذى يخول الشرطة العسكرية صفة الضبطية القضائية بالنسبة للمدنيين ٠

٣٠ يناير :

● قررت الجمهورية العربية المتحدة وقف العمل فى اخراج السفن المحتجزة فى القناة بسبب العدوان الاسرائيلى على قاطرات هيئة قناة السويس التى تقوم بمسح مجرى القناة ٠

٣١ يناير :

● صدر قرار جمهورى بتنظيم صرف مرتبات المجندين ذوى المؤهلات العليا والمتوسطة تعادل ٥٠ فى المائة من مرتباتهم التى كانوا يتقاضونها قبل التجنيد ٠

● وقع الرئيس عبد الناصر القانون الخاص بحظر الجمع بين المرتب والمعاش ٠

٢ فبراير :

● اعلنت القاهرة انها تؤيد كل خطوة تتخذها المملكة السعودية للمحافظة على عروبة الخليج العربى واستقلاله ٠

٣ فبراير :

● استقبل الرئيس عبد الناصر الرئيس اليوغوسلافى جوزيب بروز تيتو والوفد المرافق له ٠

● تقرر رفع الحراسة عن ٢٥ شخصا وعائلاتهم و٨ شركات واعلن مصدر مسئول بالحراسة ، بانه تم حتى الان رفع الحراسة عن ١٤٠٠ شخص وشركة ممن فرضت عليهم الحراسة ٠

٨ فبراير :

● جاء فى البيان المشترك لمحادثات الرئيسين جمال عبد الناصر وجوزيب بروز تيتو التى جرت فى القاهرة انهما توصلا الى اتفاق تام فى وجهات النظر بشأن الموقف فى الشرق الاوسط الناتج عن العدوان الاسرائيلى ، وتأكيد الاهمية الحيوية لسياسة عدم الانحياز واستمرار بلديهما بهذه السياسة ٠

٩ فبراير :

● استقبل الرئيس جمال عبد الناصر الرئيس العراقى عبد الرحمن عارف الذى حضر الى القاهرة ليعرض نتائج محادثاته مع الرئيس الفرنسى ديجول بشأن الموقف فى الشرق الاوسط ـ وقد تركزت محادثات الرئيسين على استراتيجية العمل السياسى والعسكرى فى المرحلة المقبلة ٠

١٠ فبراير :

● بعث الرئيس عبد الناصر برسالة الى مؤتمر الصحفيين العرب بالقاهرة وركزت فى مجموعها على مسئولية اجهزة الاعلام بعد احداث يونيو ، ودورها المنتظر فى المعركة مع الصهيونية والاستعمار .

١٢ فبراير :

● تم توقيع عقد بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتى لتوريد صفقة قمح قدرها ٢٠٠ الف طن الى مصر .

١٦ فبراير :

● الرئيس عبد الناصر يتحدث الى ٢٠٠ من الصحفيين العرب مؤكدا التصميم على النصر الذى لن نبخل دونه باى تضحيات ، وعن الحرب النفسية العنيفة الموجهة الان الى الامة العربية لتشكيكها فى نفسها وامكانية انتصارها ، واننا لم نكن فى المعركة ١٠٠ مليون عربى ، ولم يكن العدو امامنا مجرد ٢ مليون اسرائيلى ، ولابد ان نراجع أنفسنا فى الكثير وان نفرق بين المبادىء والاهداف وبين ما يمكن ان يقع فى التطبيق من خطأ أو قصور أو انحراف ، وشرح الرئيس المعنى السياسى من محاكمات الثورة وعن سقوط الطبقة العسكرية التى كانت تعتقد أنها الوريث الشرعى لحكم هذا الوطن والتصرف فى مقدراته .

● أصدرت المحكمة العسكرية العليا أحكامها فى قضية المسئولين عن موقف سلاح الطيران فى حرب ٥ يونيو .

● استقبل الرئيس جمال عبد الناصر سفير بريطانيا وابلغه وجهة نظره فى شأن صفقة الاسلحة البريطانية لاسرائيل .

١ مارس :

● القاهرة تجرى اتصالات مع العواصم العربية للتشاور فى اجراءات مواجهة الموقف الناشىء عن قرار اسرائيل بضم المناطق العربية المحتلة .

٣ مارس :

● ألقى الرئيس عبد الناصر خطابا فى المؤتمر العمالى بحلوان عن المعركة المزدوجة التى يخوضها النضال الشعبى ضد العدوان ومن أجل التغيير . وأعلن الرئيس انه سيقدم برنامجا للعمل الداخلى فى خطاب يوجهه فيما بعد . وأعلن الرئيس ان قرار اسرائيل بضم الاراضى المحتلة ليس جديدا بالنسبة لنا ، واقسم امام الجماهير على تحرير الاراضى المحتلة مهما كانت التضحيات ، وقدم الرئيس عرضا للتفاصيل الكاملة لعمليات سوء التفاهم التى ادت الى حوادث الايسام الاخيرة المتعلقة بالمظاهرات .

● استقبل الرئيس عبد الناصر الرئيس جوليوس نيريرى رئيس جمهورية تانزانيا .

٥ مارس :

● شاهد الرئيس عبد الناصر عملية تدريب عسكرى كبيرة ، وكان معه وزير الحربية ورئيس اركان الحرب وقائد السلاح الجوى . ثم تحدث بعدها الرئيس عبد الناصر الى القادة والضباط مؤكدا لهم : « ان الوطن كله يعتمد عليكم يثق فى مقدرتكم على تحرير الارض العربية والدفاع عن كرامة العرب » .

٦ مارس :

● صدر البيان المشترك عن محادثات الرئيسين عبد الناصر وجوليوس نيريرى رئيس تانزانيا ، وقد اكد البيان ضرورة انسحاب القوات الاسرائيلية انسحابا كاملا من الاراضى المحتلة ، وعن تقدير الجمهورية العربية المتحدة لموقف تانزانيا ضد العدوان الاسرائيلى .

٧ مارس :

● أعلن المتحدث الرسمي باسم حكومة ج . ع . م عن موقف القاهرة من موضوعين كثر الحديث عنهما ، وهما : ١ ـ العلاقات بين القاهرة وواشنطن ٢ ـ ايفاد مندوبين من الدول العربية واسرائيل الى قبرص لاجراء ما قيل عنه « محادثات غير مباشرة يشترك فيها يارنج مبعوث الامم المتحدة ، فاكد ان القاهرة لم ترسل ولن ترسل الى مبعوث الى قبرص ، وان ما يتردد عن ذلك فى الخارج ليس الا اشاعات تروج لها اسرائيل . أما عن عودة العلاقات العربية الامريكية ، فتلك مسالة ليست مطروحة للبحث الان وليست موضع تشاور مع أية جهة .

٩ مارس :

● استشهد الفريق أول عبد المنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المصرية فى الخط الامامي للجبهة أثناء المعركة التى نشبت مع القوات الاسرائيلية على طول الجبهة .

١١ مارس :

● أمضى الرئيس جمال عبد الناصر يومى (١٠ ، ١١) ثانى وثالث ايام العيد ، مع الضباط والجنود فى جبهة القتال وتحدث اليهم وناقشهم فى كل ما تعلق بمستويات التسليح والتدريب والدروس المستفادة من المعارك التى خاضوها . كما التقى الرئيس بالقوات العربية ـ الجزائرية ـ السودانية ـ الكويتية ـ والفلسطينية ـ المرابطة مع القوات المصرية على خط النار .

١٣ مارس :

● تم تعيين اللواء أحمد اسماعيل رئيسا لاركان حرب القوات المسلحة .

٢٠ مارس :

● تم اعادة تشكيل الوزارة فى ج . ع . م . وقد عقدت الوزارة الجديدة اجتماعا برئاسة الرئيس جمال عبد الناصر لمناقشة خطة العمل السياسى فى المرحلة المقبلة ، وشرح الرئيس الموقف بنفسه مركزا بالدرجة الأولى على اربع نقاط هى : الجانب العسكرى ـ والعمل السياسى الدولى فى المرحلة الراهنة ـ والموقف الاقتصادى ـ ومحاولات التاثير النفسى على الجبهة الداخلية .

٢١ مارس :

● بعث الرئيس عبد الناصر برسالة الى الملك حسين ردا على النداء الذى وجهه بالدعوة الى عقد مؤتمر عربى على مستوى القمة لبحث الموقف الناشىء عن العدوان الاسرائيلى على الاردن جاء فيها « انه ليس هناك بديل الان عن وقفة عربية واحدة تجعل الارض العربية كلها جبهة واحدة وشعوب الامة العربية كلها جيشا واحدا » .

٢٢ مارس :

● أصدرت الحكومة السوفيتية بيانا طالبت فيه بضرورة تنفيذ اسرائيل لقرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، وأن تسحب قواتها قبل أى شىء من الاراضى المحتلة ، واكد البيان أن الاتحاد السوفيتى مستمر فى تقديم مساعداته ودعمه للشعوب العربية .

● اعلنت الجمهورية العربية المتحدة وسبع دول عربية أخرى هى العراق ، لبنان ، الكويت ، السودان ، اليمن الشمالية ، اليمن الجنوبية ، الاردن ، عن موافقتها على عقد اجتماع عاجل للقمة العربى .

٣٠ مارس :

● قدم الرئيس جمال عبد الناصر الى الامة « بيـان ٣٠ مارس » متضمنا برنامج العمل السياسى للمرحلة القادمة . ويتضمن البرنامج بندين اساسيين : تحرير الارض المحتلة ، واشاعة الديمقراطية فى الحياة الداخلية للبلاد . ويحدد البرنامج اجراء انتخابات لاعادة بناء الاتحاد الاشتراكى بالانتخابات من القاعدة الى القمة ، على أن يجتمع المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى يوم ٢٣ يوليو .

● وصل الى القاهرة المارشال أندريه جريشكو وزيرالدفاع السوفيتى على رأس وفد عسكرى .

٩ ابريل :

● القى الرئيس جمال عبد الناصر كلمة فى وفدالصيادلة العرب تحدث فيها عن الموقف العربى قائلا « قبول التفاوض مع اسرائيل معناه قبول الاستسلام لاسرائيل » .

١٠ ابريل :

● تحدث الرئيس جمال عبد الناصر الى وفد المكتب الدائم للمحامين العرب وقال « لابد أن نحرر أرضنا بايدينا ونحن لا نعتمد على الامم المتحدة ولكن لا ينبغى لنا تجاهل الرأى العام العالمى » .

١٥ ابريل :

● تحدث الرئيس جمال عبد الناصر الى وفد المكتب المركزى لاتحاد العمال العرب وقال : ان المسالة الاهم أمام النضال العربى الان هى تنظيم طاقات القوة العربية وحشدها فى المعركة الواحدة .

١٨ ابريل :

● الرئيس عبد الناصر يلتقى بالشعب فى المنصورة ويعلن « اننا لن نكون فى اى وقت من الاوقات بغير دستور أو بغير مجلس أمة » .

٢٥ ابريل :

● تحدث الرئيس عبد الناصر فى جامعة القاهرة عن المثقفين ووضعهم فى المجتمع ومشاكلهم ودورهم فى الثورة .

٢٩ ابريل :

● الرئيس جمال عبد الناصر يتحدث الى الجنود فى أحد معسكرات المدرعات ويقول « اننا نرسم استراتيجيتنا على أساس احتمال المواجهة المنفردة مع اسرائيل اذا اقتضى الامر » .

١ مايو :

● الرئيس عبد الناصر يلتقى بالعمال فى كفر الدوار ويقول « العمل مصدر كل قيمة وصانع الوحدة بين قوى الشعب ومحقق الانسجام بين الجانب المادى والمعنوى للحياة » .

٢ مايو :

● تم الاستفتاء على بيان ٣٠ مارس

٣ مايو :

● ظهرت النتائج النهائية للاستفتاء على بيان ٣٠ مارس وكانت نسبة الذين قالوا « نعم » هى ٩٩ر٩٨٩ فى المائة .

٧ مايو :

● الرئيس عبد الناصر يجرى مباحثات هامة مع الرئيس السورى الدكتور نور الدين الاتاسى فى القاهرة حول متطلبات العمل العربى .

٨ مايو :

● اذيع بيان صحفى عن محادثات الرئيس عبد الناصر والرئيس السورى نور الدين الاتاسى فى القاهرة : أشار البيان الى استمرار المشاورات التى تهدف الى تنسيق وتطوير التعاون بين البلدين الشقيقين فى شتى المجالات ، ودراسة توحيد الطاقات وحشد كافة الوسائل والامكانيات لتعزيز صمود الامة العربية وقدراتها على مواجهة العدوان الاسرائيلى وتحرير الاراضى المحتلة .

٨ مايو :

● تم توقيع اتفاق بترولى مع الاتحاد السوفيتى يقدم بمقتضاه الاتحاد السوفيتى لـ ج.ع.م قرضا مفتوحا يغطى كل احتياجات البحث عن البترول واستكشافاته .

٩ مايو :

● اصدر الرئيس جمال عبد الناصر بوصفه رئيسا للاتحاد الاشتراكى قرارا بالقانون الاساسى للاتحاد الاشتراكى ويتكون من ثمانية أبواب تؤكد فى بدايتها ان أول اهداف التنظيم السياسى هى « تحقيق الديمقراطية السليمة ممثلة بالشعب وللشعب: وحماية الضمانات التى قررها الميثاق وفى مقدمتها كفالة الحد الادنى لتمثيل العمال والفلاحين فى التنظيمات الشعبية بنسبة لا تقل عن ٥٠ فى المائة .

١٥ مايو :

● اعلان تشكيل لجنة الانتخابات من ٥٠ عضوا للاشراف على انتخابات الاتحاد الاشتراكى العربى .

٥ يونيو :

● الرئيس عبد الناصر يتحدث الى الامة العربية فى ذكرى ٥ يونيه ، ويقول « ان القوات المسلحة تعيد بناء نفسها رجالا وعلما وتدريبا ،وان الامة العربية بالاجماع تدرك انها تواجه معركة يتقرر فيها المصير العربى الى عشرات السنين وربما مئات السنين ، وان المقاومة الفلسطينية هى علامات تحول هامة واساسية بالنسبة للنضال الفلسطينى ، وان الرأى العام العالمى اصبح يرى من حقائق الصراع العربى الاسرائيلى ومن ابعاده اكثر مما كان متاحا له لن يرى .

١١ يونيو :

● صدر قرار جمهورى بتعيين ٧٣ رئيسا لمجالس المدن .

١٣ يونيو :

● صدر قرار جمهورى بتشكيل مجالس ادارة ٢٥ شركة تابعة لمؤسسات وهيئات وزارة النقل .

١٧ يونيو :

● قام الرئيس عبد الناصر بزيارة للتشكيلات المقاتلة فى الجبهة المصرية .

٢٣ يونيو :

● معركة عنيفة عند الاسماعيلية بين المدفعية العربية ومدفعية العدو على جبهة طولها ٣٠ كيلو مترا .

٢٤ يونيو :

● بدأت انتخابات أعضاء لجان الوحدات الاساسية للاتحاد الاشتراكى .

٢٥ يونيو :

● افتتح الرئيس عبد الناصر الكاتدرائية المرقسية الجديدة وفى صحبته الامبراطور هيلاسلاسى .

٤ يوليو :

● وصل الرئيس عبد الناصر الى الاتحاد السوفيتى لاجراء مباحثات مع الزعماء السوفييت حول الاوضاع فى الشرق الاوسط .

٧ يوليو :

● اجتماع مغلق بين الرئيس عبد الناصر والزعماء السوفييت فى

موسكو ، جرى فيه تبادل الرأى حول تصفية آثار العدوان والعلاقات بين البلدين •

١٠ يوليو :

● صدر البيان المشترك عن محادثات الرئيس عبد الناصر مع الزعماء السوفيت ، وتعهد السوفيت بالاستمرار فى تعزيز قدرة مصر الدفاعية وكل أنواع العون السياسى والاقتصادى •

● اعلنت القاهرة اعترافها الكامل رسميا بجمهورية المانيا الديمقراطية •

١١ يوليو :

● وصل الرئيس عبد الناصر الى يوجوسلافيا لاجراء محادثات مع الرئيس تيتو بشان الشرق الاوسط ومؤتمر السلام والتنمية ، والقضايا العالمية الكبرى •

١٢ يوليو :

● اعترفت ج٠ع٠م بالحكومة المؤقتة لجمهورية فيتنام الديمقراطية •

١٤ يوليو :

● تم انتخاب اعضاء المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى ، من ١٦٤٨ عضوا صعدوا بالانتخاب من ٧٥٨٤ وحدة سكنية وجماهيرية ـ نتائج الانتخابات تشير الى ان نسبة الفلاحين والعمال لم تتجاوز ٥٠ فى المائة بين اعضاء المؤتمر القومى حتى فى المناطق العمالية ـ كفر الدوار والمحلة الكبرى وحلوان ـ باستثناء محافظة المنوفية التى بلغ فيها عدد الفلاحين حوالى ٦٠ فى المائة ، ٦٥ فى المائة •

٢٣ يوليو :

● القى الرئيس عبد الناصر خطابا هاما بمناسبة ٢٣ يوليو، وافتتاح المؤتمر القومى الاول للاتحاد الاشتراكى ، اعلن فيه ان استقلال مصر ليس للبيع اوالشراء او الرهن ، وانه لا توجد سلطة فوق سلطة المؤتمر القومى ، ولا قيد على اعماله ، ولا دعوى تمنعه من التعرض لكل ما يشاء ، وان السلام فى الشرق الاوسط لا يتحقق بمجرد ازالة آثار العدوان ولكن السلام الحقيقى يرتبط بالحقوق المشروعة لشعب فلسطين ، وان ج٠ع٠م تتحول الى بناء الجيش الهجومى القومى ، وان العمل الفدائى الفلسطينى نقطة تحول فى النضال العربى • وشرح الرئيس دور الاتحاد السوفيتى فى مساعدة الجمهورية العربية المتحدة، ونقطة الالتقاء الأساسية معه وهى الاشتراك فى مقاومة الاستعمار •

● انتخب المؤتمر القومى بالاجماع الرئيس جمال عبد الناصر رئيسا للاتحاد الاشتراكى •

● تم توقيع بروتوكول يقضى بان يتولى الاتحاد السوفيتى تنفيذ مشروع انشاء مصنع للالمنيوم ومجمع فوسفورى •

٢٦ يوليو :

● سافر الرئيس عبد الناصر الى الاتحاد السوفيتى لبدء العلاج الذى نصح به الاطباء •

٢٩ يوليو :

● صدر قرار جمهورى بزيادة ضريبة الامن القومى بنسبة تتراوح بين ١/٤ ١ فى المائة •

٣ أغسطس :

● صدرت قرارات جمهورية بتعيينات فى مؤسسات التموين الست و ٤٩ شركة تابعة لها •

١٧ أغسطس :

● عاد الرئيس عبد الناصر الى القاهرة بعد ان امضى فترة العلاج فى الاتحاد السوفيتى •

٢١ اغسطس :

● تسلم الرئيس عبد الناصر رسالة هامة من زعماء الاتحاد السوفيتى تتعلق بقرار دخول قوات دول حلف وارسو الى تشيكوسلوفاكيا •

٢٣ اغسطس :

● بعث الرئيس عبد الناصر برسائل لكل من رؤساء الاردن وسوريا والعراق تتعلق بالموقف الراهن بعد حرق اسرائيل للمسجد الاقصى ، كما تناولت محادثاته مع زعماء الدول الثلاث لتعزيز الجبهة الشرقية •

٢٦ اغسطس :

● اعلنت محكمة الثورة احكامها فى القضايا الثلاث الكبرى وهى : قضية المؤامرة لقلب نظام الحكم ، وانحراف المخابرات ، والتعذيب ، واصدرت المحكمة احكامها على ٦٣ متهما •

٢٩ اغسطس:

● اصدرت المحكمة العسكرية الميدانية العليا الاحكام الجديدة فى قضية قادة سلاح الطيران، قضت المحكمة بالاشغال الشاقة المؤبدة على الفريق أول متقاعد محمد صدقى محمود ، وبالسجن ١٥ سنة على اللواء متقاعد اسماعيل لبيب •

٣١ اغسطس :

● وجه الرئيس جمال عبد الناصر رسالة الى مؤتمر طلاب اتحاد الجمهورية العربية المتحدة ، تحدث فيها عن اهمية الدور التاريخى الذى يحمله شباب امتنا اليوم فى ظروف التحدى الخطير الذى يواجهنا على طريق المستقبل ، وقال الرئيس : انه واثق ثقة مطلقة اننا قادرون على التغلب على ما تعرض له وطننا من عدوان •

٨ سبتمبر :

● جرى قتال عنيف أطلق عليه اسم « معركة المدافع » على طول جبهة قناة السويس مع اسرائيل ، وقد تم تدمير ١٤ دبابة اسرائيلية ومعظم مراكز خط « بارليف » • وقد اجمع المراقبون على اعتبار هذه المعركة علامة هامة فى المواجهة العربية الاسرائيلية •

١١ سبتمبر :

● اجتمع مجلس وزراء الجمهورية العربية المتحدة وكان الموقف العسكرى هو الموضوع الاساسى فى الاجتماع ، قدم محمد فوزى وزير الحربية تقريرا تفصيليا عن أسباب التصاعد على خط النار كما تعرض لسياسة « الدفاع الوقائى الجديد » التى أعلنها بيان القيادة العامة للقوات المسلحة يوم معركة المدافع •

١٤ سبتمبر :

● اجتمع الرئيس عبدالناصر باعضاء المؤتمر القومى ، واوضح فى كلمته اجتياز الجمهورية العربية المتحدة لمرحلة الصمود ومرورها بمرحلة الردع ومنها الى مرحلة النصر • وقد تم انتخاب اعضاء اللجنة المركزية المائة والخمسين •

١٥ سبتمبر :

● قدم الفريق محمد فوزى أمام المؤتمر القومى تقريرا كاملا عن عملية اعادة البناء العسكرى •

٢١ سبتمبر :

● أنهى المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى اعماله بانتخاب اعضاء اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى من ١٥٠

عضـــوا ، الى جـانب ٥٠ عضـــوا احتياطيا .

٢٥ سبتمبر :

● أصدر الاتحاد السوفيتى مع بداية الدورة الجديدة للجمعية العامة للامم المتحدة بيانا تندد فيه بـالاعتداءات الاسرائيلية على الدول العربية ، وتحدى اسرائيل بتأييد من الولايات المتحدة كل قرارات الامم المتحدة ، وأعلن البيان أن الشعوب العربية سوف تلقى فى كفاحها من أجل تحرير الارض كل تأييد ومساعدة من الاتحاد السوفيتى .

٢٩ سبتمبر :

● قرر مجلس الوزراء برياسة الرئيس عبد الناصر ، تحديد ١٥ جنيها حد اقصى لقيمة الضرائب وملحقاتها التى تخصم من عائد فدان القطن .

٢ اكتوبر :

● عقدت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى أول اجتماع لها برئاسة الرئيس عبد الناصر ، ووضع الرئيس خلال الاجتماع صورة لسلطات اللجنة المركزية والاسس الهامة لعملها .

٩ اكتوبر :

● عقدت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى اجتماعا برياسة الرئيس عبد الناصر ، وتركزت مناقشات اللجنة حول اللائحة الداخلية ، وعلاقة اللجنة المركزية بالحكومة .

١٩ اكتوبر :

● تم انتخاب اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى .

٢٣ اكتوبر :

● عقدت اللجنة المركزية برياسة الرئيس عبد الناصر اجتماعا اتمت فيه تنظيم العمل السياسى بصورة كاملة ، وأقرت اقتراح اللجنة التنفيذية العليا بتأجيل انتخابات بقية أعضاء اللجنة التنفيذية العليا ، والانتهاء من تشكيل اللجان الدائمة لها ، وتكوين الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى من السيد أنور السادات : أمينا للجنة السياسية ـ والسيد على صبرى : أمينا لشئون التنظيم ـ والسيد عبد المحسن أبو النور : أمينا للجنة الشئون الداخلية ـ والسيد ضياء الدين داود : أمينا للجنة الثقافة والاعلام ـ والسيد لبيب شقير : أمينا للجنة التنمية الاقتصادية .

١١ نوفمبر :

● الرئيس عبد الناصر يحضر مناورة ضخمة للمدرعات والطيران فى مكان ما فى الصحراء وراء خطوط القتال

١٦ نوفمبر :

● الرئيس جمال عبد الناصر يزور جبهة ميدان القتال ويتفقد المواقع الامامية ويلتقى مع الضباط والجنود الواقفين على خط النار .

١٨ نوفمبر :

● أعلن فى القاهرة أن مصر ترحب بعقد مؤتمر قمة عربى اذا أجمعت الدول العربية على ضرورته .

٢ ديسمبر :

● عقد المؤتمر القومى دورة أعماله الطارئة لبحث موضـوع الطلبة والجامعات ، وقدم الرئيس عبد الناصر تقريرا الى المؤتمر حدد فيه اسلوب معالجة الموضوع ، وموقف الثورة من شبابها فى الجامعات .

٤ ديسمبر :

● اختتم الرئيس عبد الناصر أعمال الدورة الطارئة للمؤتمر القومى بحديث عن العمل الداخلى وعن التطورات السياسية والعسكرية والمعارك الحربية على الجبهة الاردنية وارادة الجماهير العربية فى الصمود وتحقيق النصر ، كما اعلن رفض ج٠ع٠م٠ للمشروع الامريكى الاخير الذى يهدف الى فصل موقف الدول العربية عن بعضها فى مواجهة اسرائيل وتمزيق وحدتها وتضامنها .

٨ ديسمبر :

● أذاعت المخابرات العامة فى ج ٠ ع ٠ م تفاصيل ٤ قضايا تجسس : ثلاث منها لحساب اسرائيل والرابعة لحساب دولة أجنبية .

٢١ ديسمبر :

● وصل أندريه جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتى لاجراء مباحثات مع الرئيس عبد الناصر حول أزمة الشرق الاوسط .

٥ يناير :

● صدر قرار جمهورى يضيف حكما جديدا الى لائحة اتحاد الطلاب يكفل مشاركة هيئات التدريس فى نشاط الاتحاد كرواد للجان .

١٥ يناير :

● اذاعت وزارة الزراعة امس ان الرئيس جمال عبد الناصر قد وافق على مذكرة قدمها اليه وزير الزراعة والاقتصاد لزيادة أسعار القطن لموسم ١٩٦٩ .

٣٠ يناير :

● حضر الرئيس جمال عبد الناصر جلسة افتتاح مؤتمر العمال العرب وتحدث عن حقيقة الصراع العربى الاسرائيلى .

● أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارين أحدهما بشأن تشكيل مجلس الدفاع الوطنى وقد نص فيه على ان المجلس يتشكل من رئيس الجمهورية رئيسا لمجلس الدفاع الوطنى ثم من عدد من أعضاء اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى يعينون بقرار من رئيس الجمهورية ثم من وزراء الحربية والخارجية والداخلية ثم من رئيس المخابرات العامة ورئيس أركان حرب القوات المسلحة وذلك الى جانب حق المجلس فى أن يدعو لحضور جلساته من يرى الاستعانة بمعلوماته او خبرته من الوزراء وغيرهم .

وكان القرار الجمهورى الثانى الذى أصدره الرئيس جمال عبد الناصر تطبيقا لقانون مجلس الدفاع الوطنى هو اختيار أعضاء اللجنة التنفيذية [illegible] الذين تكون لهم عضويته ، كان القرار بتعيين السادة أنور السادات وحسين الشافعى وعلى صبرى أعضاء بالمجلس .

١ فبراير :

● رسم الرئيس جمال عبد الناصر صورة المعركة القادمة فى الكلمة التى القاها أثناء افتتاح اجتماعات المجلس الوطنى الفلسطينى ، التى بدأت سرية فى القاهرة امس ، تحدث الرئيس فى ٥ نقط محددة عن مسئولية الدول العربية والنضال العربى وموقف الجمهورية العربية المتحدة بوجه خاص . وكانت النقطة الخامسة التى رسمت بوضوح معالم المعركة القادمة .. اساليبها ، وحقائقها واهدافها

قال الرئيس : « اننا نخوض معركة معقدة ، متشابكة تجرى على أرض وعرة ومتفجرة ، وليس هناك طريق واحد نستطيع ان نسلكه لتحقيق اهداف امتنا العربية وانما هناك طرق متعددة نحو هذه الاهداف واستعدادنا لاستعادة اراضينا الضائعة بالقوة لا يمكن أن يعطل عملنا السياسى لاستعادة ما ضاع منا اذا كانت للعمل السياسى وسيلة أو فرصة » .

ثم قال « ولكن الخطر ان نجعل الاستعداد للسياسة يعطل الاستعداد للقتال ، ذلك انه فى نهاية المطاف تبقى حقيقة واحدة على ساحة الشرق الاوسط،هذه الحقيقة هى ضرورة استعادة ارضنا وتطهيرها الى آخر شبر عنها تطهيرا كاملا ونهائيا ٠

٤ فبراير :

● اجتمع الرئيس عبد الناصر بالقيادة الجديدة لمنظمة تحرير فلسطين ٠

٢ مارس :

● أعلن ان الرئيس جمال عبد الناصر قد قضى ثانى وثالث أيام عيد الاضحى مع قوات جبهة المواجهة مع العدو ، وقد تحدث الرئيس فى هذه الزيارة ثمانى مرات وكانت من بين الموضوعات التى لمسها فى احاديثه : حتمية تحرير الارض العربية ٠ تجربة اعادة بناء القوات المسلحة ٠ تطور شكل الحوادث القادمة وما سوف تفرضه على المقاتلين ٠

١٦ مارس :

● بدأت المحادثات الرسمية بين الرئيس جمال عبد الناصر والملك حسين عقب وصول الملك حسين الى القاهرة ، وركزت المباحثات الرسمية على التطورات العسكرية والسياسية فى الاردن والاتصالات التى تجرى مع العواصم الاخرى وفى الامم المتحدة ٠

٢٧ مارس :

● القى الرئيس خطابا فى الدورة الثانية للمؤتمر القومى جاء فيه : ان السياسة الامريكية منذ بداية الازمة سارت فى طريق مؤيد لاسرائيل على طول الخط وليس هناك أى دليل يشير الى اى تغيير فى موقف الولايات المتحدة الامريكية المؤيد لاسرائيل على طول الخط ٠

كما قال : « ان السلاح فى العالم وعندما يكون توريده عن طريق دول وليس عن طريق عمليات التهريب ليس تجارة وانما هو أمر مرتبط ارتباطا وثيقا بسياسات الدول الموردة للسلاح ، فلا يعقل ان تعطى دولة لدولة أخرى سلاحا يتعارض مع سياستها ومعنى ذلك بكل صراحة أن دول الاستعمار لم تعط سلاحا لدول تجاهر بالعداء ضد الاستعمار وتقف تحديا له »

ثم قال : « ان الاتحاد السوفيتى يقدم ما نحتاجه من السلاح بغير ضغط على مواردنا المالية » ٠

٣٠ مارس :

● قال الرئيس فى ختام المؤتمر القومى : « ان النصر ممكن ، بل هو الممكن الوحيد » ٠ وقال « ولواجب الامانة أقول لكم ان النصر صعب وطريقه أشق الطرق وأحفلها بالمكاره والمخاطر ، لكنه الطريق الذى لا بديل له » ٠٠

٣٠ ابريل :

● اصدر الرئيس جمال عبد الناصر امس قرارا بالغاء وزارة الانتاج الحربى ٠

١ مايو :

● القى الرئيس خطابا فى حلوان بمناسبة عيد العمال قال فيه وهو يشير الى محاولة اسرائيل بناء خط بارليف:

– ان الجمهورية العربية المتحدة لا تسمح بهذه التحصينات ولا تسمح بان يتحول خط وقف اطلاق النار الى خط ثابت تقف عليه اسرائيل مستريحة مطمئنة ٠

– وقال عن الجيش : « ان جيشنا يقف على الجبهة والتخطيط وراءه ، تخطيط للهجوم وهذا حقنا ٠

– وعن اصدقائنا قال : « لا يجب أن ننسى فضل اصدقاء كانوا لنا خيرة الاصدقاء ،وقفوا معنا ووفوا بوعدهم لنا وهم قادة وشعب الاتحاد السوفيتى » ٠

١١ يونيو :

● عقد الرئيس جمال عبد الناصر الاجتماع الاول مع السيد / اندريه جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتى ٠ وقد أبلغ جروميكو الرئيس برسالة زعماء الاتحاد السوفيتى اليه ثم بدأت جلسة عمل لمناقشة موسعة فى تطورات ازمة الشرق الاوسط ٠

١٨ يونيو :

● عقد الرئيس جمال عبد الناصر جلسة رسمية مع الوفد السودانى الذى وصل الى القاهرة ظهر امس فى زيارة تجرى خلالها محادثات سياسية على مستوى عال ٠

٢٢ يونيو :

● اصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارا بتعيين قائد جديد للقوات الجوية هو اللواء الطيار على مصطفى بغدادى الذى كان رئيسا لهيئة أركان حرب القوات الجوية ٠

● كما أصدر قرارا بتعيين مساعد جديد لوزير الحربية لشئون الدفاع الجوى هو اللواء محمد على فهمى الذى كان رئيسا لهيئة اركان حرب الدفاع الجوى ٠

٢٣ يوليو :

● القى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا فى مناسبة ٢٣ يوليو فى الجلسة الاولى للدورة الثالثة للمؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى ٠ قال الرئيس « كنا ولا نزال نقول انه ليس هناك معيار أوفى ولا أدق من الموقف الذى يتخذه أى فرد أو أى جماعة ، أو حكومة من قضية المقاومة ومساعدتها والتمكين لها وتدعيم جهودها » ٠

● وفى حديثه تطرق الى المشكلة الزراعية قائلا : « احنا دلوقتى فى أواخر سنة ١٩٦٩ داخلين على سنة ١٩٧٠ وآن الاوان لان نحدد هذه الامور ونبت فيها نهائيا ، ونحن نقترح الان ، ولكى يحسم الامر وتستقر صورة الملكية الزراعية على نحو سليم ان تحدد ملكية الارض الزراعية بـ ٥٠ فدانا للفرد ، على أن يبقى حد الملكية بالنسبة للاسرة الرجل وزوجته وأولاده القصر فى حدود المائة فدان » ٠

٢٣ أغسطس :

● وجه الرئيس عبد الناصر رسالة الى الفريق محمد فوزى وزير الحربية يخاطب فيها الضباط والجنود بمناسبة الاعتداء الاسرائيلى على المسجد الاقصى قال فيها : « ولسنا نجد فائدة فى اللوم والاستنكار ، وليس يجدى ان نقول ان اسرائيل بعد ماحدث للمسجد الاقصى اثبتت عجزها عن حماية الاماكن المقدسة كما انه لانفع من الالتجاء الى اية جهة طلبا للتحقيق او طلبا للعدل » ٠

ثم قال : « هناك نتيجة واحدة يجب أن نستخلصها لانفسنا ويتحتم أن نفرض احترامها مهما كلفنا ذلك ، الا وهى ان العدو لا ينبغى له ولا يحق له أن يبقى حيث هو الان » ٠

٢٥ أغسطس :

● بعث الرئيس برسالة الى الملك فيصل يقترح فيها عليه أن يأخذ المبادرة بالدعوة الى مؤتمر قمة اسلامى لبحث جريمة الاحراق المقصود للمسجد الاقصى ٠

٣١ أغسطس :

● اقر مجلس الوزراء فى اجتماعه برئاسة الرئيس جمال عبد الناصر اربعة قوانين هامة تعتبر مدخلا الى ثورة تشريعية كبرى وهى تختص بـ :

– انشاء محكمة عليا تختص بدستورية القوانين وتفسيرها ٠

– انشاء مجلس اعلى للهيئات القضائية برئاسة رئيس الجمهورية ٠

– اعادة تشكيل الهيئات القضائية بما يكفل فعالية الاصلاح القضائى ٠

– تشكيل مجلس ادارة نادى القضاة بحكم وظائف أعضائه ٠

٩ سبتمبر :

● بعث الرئيس جمال عبد الناصر برقية الى العقيد معمر القذافى قال فيها « ان الثورة الليبية جاءت تأكيدا لسلامة اهداف النضال العربى فى وقت يواجه فيه النضال العربى ظروفا من اصعب ما واجه فى تاريخه كله » ٠

٢٢ اكتوبر :

● بعث الرئيس جمال عبد الناصر برسالة الى الرئيس اللبنانى شارل حلو يناشده فيهاالتدخل لوقف الصدام الخطير بين المقاومة والجيش اللبنانى ، قال الرئيس فى رسالته :

« لقد كنا ولا زلنا نعتبر ان موقف اى دولة عربية فى الصراع المصيرى الذى تخوضه امتنا يرتهن تماما بموقفها من المقاومة الفلسطينية » ٠

١٣ نوفمبر :

● بدأ الرئيس جمال عبد الناصر واللواء جعفر نميرى جلسة العمل الاولى فى المحادثات الرسمية بينهما وتتناول عددا من الموضوعات السياسية الهامة ، تتناول تطورات الموقف العربى ، وموضوع وحدة القوى الثورية العربية ووسائل دعم العلاقات الاقتصادية والتجارية بين البلدين ٠

٢٠ ديسمبر :

● اصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارا بتعيين السيد انور السادات نائبا لرئيس الجمهورية ٠

● وصل الرئيس جمال عبد الناصر الى الرباط لحضور مؤتمر القمة العربى وقد عقد بعد وصوله مباشرة سلسلة من الاجتماعات بدأت بلقاء بينه وبين الملك الحسن ٠

٢١ ديسمبر :

● تحدث الرئيس عبد الناصر فى أول اجتماع مغلق لمؤتمر القمة العربى ووضع امام الملوك والرؤساء صورة كاملة لموقف الجمهورية العربية المتحدة ودورها فى المواجهة العسكرية مع العدو ٠

٢٣ ديسمبر :

● غادر الرئيس جمال عبد الناصر الجلسة قبل الاخيرة لمؤتمر القمة العربى بالرباط نتيجة لعدم الاتفاق على الحشد العسكرى للمعركة ٠

٢٥ ديسمبر :

● زار الرئيس جمال عبد الناصر ليبيا فى طريق عودته من مؤتمر الرباط ٠

٢٦ ديسمبر :

● أكد الرئيس جمال عبد الناصر فى ليبيا امام ٤٠ الفا تجمعوا فى مؤتمر شعبى « اننا مصممون على تحرير الارض العربية ، ولن نتنازل عن شبر منها » ٠

٢٧ ديسمبر :

● صدر بيان مشترك عن محادثات الرؤساء الثلاثة عبد الناصر ونميرى والقذافى واكد البيان اهمية العمل الموحد بين الدول الثلاث٠

١ يناير :

● الرئيس جمال عبد الناصر فى زيارة قصيرة للسودان ، ليشارك فيها شعب السودان احتفاله بعيد الاستقلال ٠

وقد القى الرئيس جمال خطابا سياسيا فى استادالخرطوم الرياضىمؤكدا اننا لن نرضى بالمشروعات المشبوهة التى تدعو للاستسلام ،وقال ان العدو الذى امامنا ليس اسرائيل وحدها ، وانما نحن نحارب ايضا الاستعمار العالمى ،واننا « نطالب بالقدس والضفة الغربية والجولان قبل سيناء » ٠

وصرح بقوله ، لقد اعطانا الاتحاد السوفيتى كل ما طلبناه من سلاح ، ولولاه لاصبحنا بلا سلاح ولاستطاعت امريكا واسرائيل أن تتحكما فينا جميعا ٠

● وافقت هيئة التامينات الاجتماعية على منح مزايا جديدة يستفيد بها نحو مليون ونصف مليون عامل مسؤمن عليهم ٠

١ ـ زيادة نسبة معاش الوفاة ٥٠ ٪ بدلا من ٤٠ فى المائة من المرتبالاخير

٢ ـ الاكتفاء بتخفيض ١٥فىالمائةبدلا من ٢٠ فى المائة من قيمة الاجر الاخير عند الخروج عند المعاش قبل سن الستين ٠

٣ ـ جواز الجمع بين الاجر والمعاش فى حدود الاجر الاصلى قبل ثبوت العجز ٠

١٣ يناير ١٩٧٠ :

« فى حديث لجولد مائير رئيسة وزراء اسرائيل مع ناشرى ورؤساء تحرير مجموعة من الصحف الامريكية قالت :

« ما دام الرئيس جمال عبد الناصر فى الحكم فاننى لا أستطيع ان اقول متى يتحقق السلام » ٠

٢٠ يناير :

● فى حديث لابا ايبان مع بيترلينش مراسل وكالة يونايتد برس قال ٠٠ ان اسرائيل تعتبر الرئيس جمال عبد الناصر هو العقبة الرئيسية فى طريقة الصلح مع اسرائيل وان ١٨ عاما من التجربة علمتنا ان ناصر هو العدو الاول للصلح مع اسرائيل وقال انقيام نظام جديد فى مصر ربما يفتح فرص السلام بنسبة ٥٠ فى المائة ٠ ثم قال : « قد يكون هذا صحيحا وقد لا يكون » ٠

١ فبراير

● كشف قائد حملة السويس عام ١٩٥٦ (الجنرال بوفر) للعقيد معمر القذافى اثناء زيارته لليبيا انه كان يريد احتلال القاهرة بأمل اسقاط حكم عبد الناصر وتسليمه الحكم بعد ذلك لجماعة الاخوان المسلمين ٠٠ واوضح ان قرار الرئيس جمال بسحب القوات المصرية من سيناء كان قرارا حكيما ٠

٢ فبراير :

● التقى الرئيس جمال عبد الناصر بأعضاء مؤتمر البرلمانيين الدولىالذى بدأ اجتماعاته فى مقر الاتحاد الاشتراكى بالقاهرة وقد القى الرئيس خطابا امام الاعضاء قالفيه ان غارات اسرائيل داخل الاراضى المصريةالتىتقصد بها ان تخيف الشعب المصرى ، انما تضاعف من تصميم هذا الشعب ٠وعن دور امريكا فى الازمة قال الرئيس : « ان الولايات المتحدة وسياستها تتحمل المسئولية الكبرى فيما يجرى الان على ارض الشرق الاوسط وما سوف يجرى فيه مستقبلا ٠

ان الامةالعربية تقبل مسئولياتها عارفة بابعادها ومخاطرها وان امتنا تملك مقومات ووسائل معركة التحرير ٠٠

٣ فبراير :

● عرض الرئيس جمال على اللجنة المركزية مقترحات اللجنة التنفيذية العليا بشأن تشكيل « لجان المواطنين من اجل المعركة » الذى سيتم تطوعا ويعمم بالتدريج فى جميع المحافظات ٠٠ وقد وافقت اللجنة المركزية على المشروع بعد مناقشته على ان يتولى الرئيس جمال اصدار القرار الخاص به ٠

٤ فبراير :

● اصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارا بتشكيل المحكمة العليا برياسة المستشار بدوى حمودة وزير العدل الاسبق ٠

٥ فبراير :

● وصل الى القاهرة الملك حسين ملك الاردن وبدأت المحادثاتبينه وبين الرئيس جمال فور وصوله لبحث تطورات الموقف العربى وحضور مؤتمر دول المواجهة مع العدو المقرر عقده فى القاهرة ٠

٦ فبراير

● تقرر تشكيل لجنة عليا لرعاية اسر المجندين تتولى التنسيق بين الجهود الحكومية والشعبية فى مجالات رعاية اسر المجندين •

٧ فبراير

● بدأت فى القاهرة اجتماعات رؤساء دول المواجهة وقد حضر الاجتماع الرؤساء جمال عبد الناصر اللواء جعفر نميرى نور الدين الاتاسى والملك فيصل • وقد ناقش المجلس فى اولى جلساته الموقف الامريكى من الازمة واستعرض المسائل العسكرية المتصلة بمرحلة التصاعد الحالية •

وقد اصدر رؤساء دول المواجهة فى ختام مؤتمرهم الثانى بيانا •• هاجمت موقف امريكا العدائى الجديد من الامة العربية واعلنت ان اسرائيل لم تكن لتتمادى فى عدوانها لولا اعتمادها المتواصل على مساندة الولايات المتحدة لها وتزويدها بالاسلحة والطائرات •

٨ فبراير

ادلى الرئيس جمال بحديث تليفزيونى مع الصحفيان الامريكيان رولاند ايفانز ووليام توهى وقد قال فى حديثه — ان الميزة التى تتمتع بها اسرائيل فى الجو ترجع بالدرجة الاولى الى وفرة ما لديها من الطيارين المدربين الذى تاتى بهم من امريكا وفرنسا وجنوب افريقيا ••

وقال ان ج•ع•م ترفض رفضا قاطعا اية اقتراحات باجراء مفاوضات مباشرة مع اسرائيل وان ج•ع•م قبلت قرار مجلس الامن الذى يقوم فى اساسه على انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى المحتلة •• وان ج•ع•م لا تزال تقبل هذا القرار ولكن القرار لا يحتاج فى تنفيذه الى مفاوضات مباشرة وانما يحتاج الى جدول زمنى •

وقال هناك شرطان بدونهما لا يمكن ان يتحقق السلام •• الانسحاب الكامل وحل مشكلة اللاجئين •

١١ فبراير

● استقبل الرئيس جمال العقيد معمر القذافى الذى وصل الى القاهرة لحضور مؤتمر القمة الثلاثى لمصر والسودان وليبيا •

١٢ فبراير

● عقد الرئيس جمال عبد الناصر واللواء جعفر نميرى والعقيد معمر القذافى مؤتمر القمة الثلاثى الثانى بالقاهرة وقد ناقش المؤتمر الوضع العربى وموقف امريكا العدائى ••

١٤ فبراير

● ادلى الرئيس جمال بحديث صحفى الى جيمس رستون الصحفى العالمى الشهير ورئيس تحرير جريدة نيويورك تايمز الامريكية •

وقد قال الرئيس جمال فى حديثه انه لا يقبل التفسير الاسرائيلى لحادث ضرب مصنع مدنى فى ابوزعبل وتبريرها له بانه كان نتيجة خطأ فنى وقع فيه قائد الطائرة المغيرة وان الامر محل دراسة دقيقة واذا كان الامر سوف يصبح امر ضرب مصانع فان مصانعنا لن تكون وحدها المعرضة للضرب •

وقال : ان امريكا تعطى الفانتوم لاسرائيل لكى تمكنها من ضرب تجمعاتنا العسكرية ومراكزنا الصناعية ومناطق تجمع مواطنينا لارهاب المواطنين المصريين • وقال : ان وقف اطلاق النار لا يمكن فصله عن الانسحاب • وان المفاوضات المباشرة مع اسرائيل مرفوضة وانه لن يكون هناك سلام فى الشرق الاوسط الا بشرطين الانسحاب الكامل من الاراضى المحتلة واعادة حقوق شعب فلسطين •

١٤ فبراير

● تقرر ان يستمر صرف اجور المصابين نتيجة لاى عدوان اسرائيلى على احدى المنشآت الاقتصادية بالكامل كمعونة اصابة •

١٨ فبراير

● ادلى الرئيس جمال بحديث الى جريدة لوموند الفرنسية (ايريك رولد) تحدث فيه عن احتمالات الحرب والسلام فى الموقف المتفجر فى الشرق الاوسط • وقال ، ان الشعب المصرى لا يريد الحرب من اجل الحرب ولكنه مصمم على تحرير ارضه لانه يرفض ان يكون ذليلا • وان السلام غير ممكن اذا لم يحصل اللاجئون الفلسطينيون على حق العودة الى اراضيهم وفقا لقرارات الامم المتحدة • وان ج•ع•م ترفض نزع سلاح سيناء باكملها ، وانما يمكن انشاء مناطق منزوعة السلاح على الجانبين بعمق ١٠ كيلو مترات مثلا ، ولابد ان يبقى قطاع غزه عربيا •

٢٣ فبراير

● وصل الى اسوان الرئيس اليوغسلافى تيتو فى زيارة رسمية لـ ج•ع•م وقد بدأت المحادثات بين الرئيس تيتو وجمال وفى مأدبة العشاء التى اقامها الرئيس تكريما للرئيس تيتو القى خطابا قال فيه •• لنا مطلبان لا ثالث لهما •• الانسحاب الكامل من الاراضى العربية المحتلة وحقوق الشعب الفلسطينى كاملة •

وتحدث عن موقف يوغوسلافيا وشكرها عن موقفها المؤيد لحق المقاومة الفلسطينية وشرعية عملها وموقفها العادل من ازمة الشرق الاوسط •

واكد الرئيسان فى بيانهما المشترك ان السلام العادل والدائم لن يسود الشرق الاوسط ما لم يتم انسحاب القوات الاسرائيلية من كافة الاراضى العربية المحتلة ، ومالم يسترد الشعب الفلسطينى حقوقه الشرعية كاملة •

● ان عدوان اسرائيل المستمر هو تقويض السلام والامن فى الشرق الاوسط •

● اهمية سياسة عدم الانحياز والالتزام بها ومايمكن ان تضطلع به الدول الغير المنحازة فى المشكلات الدولية بالوسائل السلمية •

٥ مارس

● وجه الرئيس كلمة فى اعضاء مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية الذى استقبلهم فى قصر الجمهورية قال فيها •• اننى ارجو الا تنتهى اعمال مؤتمركم بتوصيات ، ولكن لابد من تشكيل لجان فى كل بلد من بلادكم من اجل متابعة العمل لنصره القضية ••

وقال : ان الجهد الذى نبذله الان سواء فى الامة العربية والبلاد الاسلامية ما زال متواضعا اذا قارناه بالجهد الكبير الذى تقوم به اسرائيل واليهودية العالمية ومن ورائهما ، وضرب الرئيس مثلا بالـ ٥٠٠ مليون دولار التى جمعتها اسرائيل فى العام الماضى من اوربا وامريكا لتتمكن من شراء احدث الاسلحة والحصول على ادوات الحرب والدمار •

٢٤ مارس

● تحدث الرئيس جمال الى الهيئة البرلمانية فى جلسة مقفلة واجاب على ١٠٧ اسئلة كان اعضاء مجلس الامة قد تقدموا بها حول المسائل التى تلح على الاهتمام العام ابتداء من ازمة الشرق الاوسط الى الموقف العسكرى الى الموقف الدولى الى الموقف العربى الى مجالات العمل الداخلى المختلفة • وقد اتجه الرأى الى ان يقوم الدكتور لبيب شقير رئيس مجلس الامة باعداد ملخص بما قاله الرئيس فى الرد على ما وجه اليه من الاسئلة بحيث ينشر هذا الملخص للجماهير •

وفى حديثه عن تطورات ازمة الشرق الاوسط :

● ان مشروعات امريكية قدمت تستهدف حل النزاع بين مصر واسرائيل فقط منفصلة عن بقية الدول العربية وقد رفضنا مناقشة هذه المشروعات من حيث المبدأ وقلنا ان الانسحاب يجب ان يتم من كل الاراضى العربية •

● ان الحل السلمى كما نفهمه هو : الجلاء الكامل عن كل الاراضى العربية المحتلة وحل مشكلة اللاجئين وتنفيذ قرارات الامم المتحدة بالنسبة لها •

● انه لا أمل فى الاتفاق على حل سياسى ، الا بوصولنا الى درجة من القوة يشعر عدونا معها اننا سنستطيع بهذه القوة الحصول على حقوقنا اذا لم نحصل عليها بالحل السلمى •

فى حديثه عن موقف الاتحاد السوفيتى :

● اننا متفقون مع الاتحاد السوفيتى على ضرورة العمل من أجل ايجاد حل سياسى للازمة اذا كان هناك سبيل لذلك •

● ان الاتحاد السوفيتى ينسق كل تحركاته السياسية معنا واتفاقنا معه كامل على ضرورة توافر شرطين فى اى حل سلمى الاول : ان العرب لا يمكن أن يقبلوا الا الانسحاب الكامل من أراضيهم ، ثانيا : ان العرب لن يقبلوا اجراء اى مفاوضات مباشرة مع اسرائيل •

● ان الاتحاد السوفيتى أوفى بكل تعهداته تجاهنا فى المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية •

فيما يتعلق بالموقف العربى :

● قال ان المقاومة من أهم التطورات الايجابية فى نضال الامة العربية بعد معارك يونيو سنة ١٩٦٧ •

● واشار الى أن اتفاق العراق مع الاكراد سيتيح للعراق فرصة حشد طاقاته من أجل المعركة •

وعن الجبهة الداخلية :

● ان اقتصادنا سليم وقادر على مواصلة الصمود •

● ان الظروف الان لا تسمح بتعديل ميثاق سنة ٧٠ وانه ليس هناك داع لاجراء تعديلات فى الميثاق الا بعد ازالة آثار العدوان •

٣ مارس :

● صدر قرار الرئيس جمال بتشكيل اللجنة العامة للجان المواطنين من أجل المعركة من ٧٠ عضوا وقد عين السيد حافظ بدوى وزير الشئون الاجتماعية أمينا عاما لها •

٨ أبريل

● وجه الرئيس جمال عبد الناصر رسالة الى مؤتمر اتحاد طلاب الجمهورية قال فيها ان هذه المرحلة المصيرية التى يمر بها الوطن تتطلب منا جميعا صلابة وقوة متماسكة وذلك يفرض على الشباب فى كل المواقع ان يسهم بكل طاقاته وقدراته فى المعركة • وان الظروف الراهنه لابد ان تتمثل فى تعميق جاد لوحدة الفكر والعمل بين الشباب •

٨ أبريل

● بدأت المحادثات الرسمية بين الرئيس جمال وجان بيديل بوكاسا رئيس جمهورية افريقيا الوسطى بقصر القبة • وقد اقام الرئيس مأدبة عشاء تكريما للضيف واهداه وسام الاستحقاق الوطنى • وقد صرح الضيف أثناء زيارته للقاهرة أنه ينبغى على اسرائيل أن تتخلى عن الاراضى التى احتلتها منذ عدوان ٥ يونيو •

● وفى البيان المشترك عن المحادثات اكد الرئيس بوكاسا تأييد بلاده للقضية العربية وضرورة انسحاب اسرائيل من كافة الاراضى المحتلة •

● كما اكد البيان على ضرورة تنفيذ قرارات منظمة الوحدة الافريقية ومنظمة الامم المتحدة الخاصة بتحرير كافة الاراضى التى ما زالت تحت السيطرة الاجنبية ومنها زيمبابوى وانجولا وموزمبيق ، وادانة سياسة التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا وروديسيا •

١١ أبريل

● فى اول جلسة عمل عقدتها اللجنة العامة للمواطنين من اجل المعركة قدم الرئيس جمال عبد الناصر فى حديث له فى بداية الجلسة المغلقة للجنة صورة كاملة ووافية للمعركة • وقال : انى أعرف أن الغارة الاسرائيلية على مدرسة بحر البقر فى أذهان كل مواطنينا داخل الوطن المصرى وعلى امتداد أرض الامة العربية ونحن نثق ثقة كاملة فى مشيئته والعدل الالهى ونؤمن ايمانا لا يتزعزع فى اننا سنكون يد هذه المشيئة فى العدل الالهى حينما تجىء اللحظة المناسبة التى نرد فيها على العدو •

وقال : أن شعبنا المصرى وامتنا العربية كليهما يخوض الان معركة حياته ومستقبله واستقلاله وحريته وحقه فى التطور وليس لدينا بديل عن المعركة •

وقدم الرئيس صورة المعركه التى سنخوضها فقال : نحن لا نقاتل لنغزو ولكن لنتحرر ، ونحن لا نقاتل للتوسع ولكن لنحمى ونحن لا نقاتل للابادة ولكن حتى لا نتعرض للابادة ، ونحن لا نقاتل من أجل صنع حدود جديدة لاوطاننا ولكن لان حدود اوطاننا تتعرض الان لمن يريد أن يستبيحها ويجتاح كل آمالنا وتراثنا عليها وكل آمالنا •

وقال : اننا فى وسط معركة بالنسبة لنا حاسمة ، وأنه لا سبيل أمامنا فى هذه المعركة غير أن ننتصر بما يمنع العدو من تحقيق أهدافه •

١١ أبريل

● أعلن معهد الدراسات الاستراتيجية البريطانى فى تقريره السنوى أن عام ١٩٦٩ يتميز بتدعيم الانظمة السياسية ذات الاتجاه « الناصرى » فى أمريكا اللاتينية التى يبدو أنها حلت محل الكاستروية (نسبة الى كاسترو) فى هذا الجزء من العالم ، وباتساع نشاط الثوار وباتخاذ مواقف أكثر استقلالا تجاه الولايات المتحدة •

١٨ أبريل

● جاء فى حديث للرئيس جمال مع الصحفى الهندى كارانجيا : ان قوتنا وحدها هى التى تستطيع أن تفرض حلا لازمة الشرق الاوسط •• وان تجارب الماضى علمتنا أن قوتنا وحدها هى القادرة على اقناع العدو بعدم جدوى محاولاته لاجبارنا على الاستسلام •

● وقال : ان موقف أمريكا المؤيد بل والمشجع لاسرائيل يعتبرها مسئولة عن جميع الاعمال التى تقوم بها اسرائيل ونحن نرفض المشروعات الزائفة التى تعرض تحت ستار السلام وأن الموقف الاقتصادى فى مصر مستقر •

بقية
يوميات الثورة
العدد القادم



في مجال الاكتفاء الذاتي

ان العمل من أجل تحقيق الاكتفاء الذاتي هو الدليل الواضح لسياسة الشركة وتخطيطها للمستقبل وهى بذلك تطبق حكمة قديمة لا تجعل مقياس العمر هو مرور الزمن بل تقيس الاعمار بما قدمته من تجارب وخبرة تمهد وتضىء الطريق وتعمل من أجل كل مواطن بتقديم ما يحقق له الراحة والسعادة .

ولهذا فان الاعوام القليلة التى مضت على شركة القاهرة للادوية كانت حافلة ومليئة بالعمل المثمر الخلاق لصالح المواطن العربى فى كل مكان .

١ — استخلاص المادة الفعالة من الاعشاب المصرية :

تم اكتشاف عشب حلف البر الذى يزرع فى أسوان وتم استخلاص المادة الفعالة منه وتم تحضير مستحضر دوائى له أثر فعال لعلاج كثير من الحالات المرضية التى ثبت نجاحه بكفاءة عالية فى العديد من التجارب التى أجريت عليه بمعامل الشركة وبمركز البحوث القومى وأقرته اللجنة الفنية المشكلة من كبار أساتذة الطب بالجمهورية العربية المتحدة .

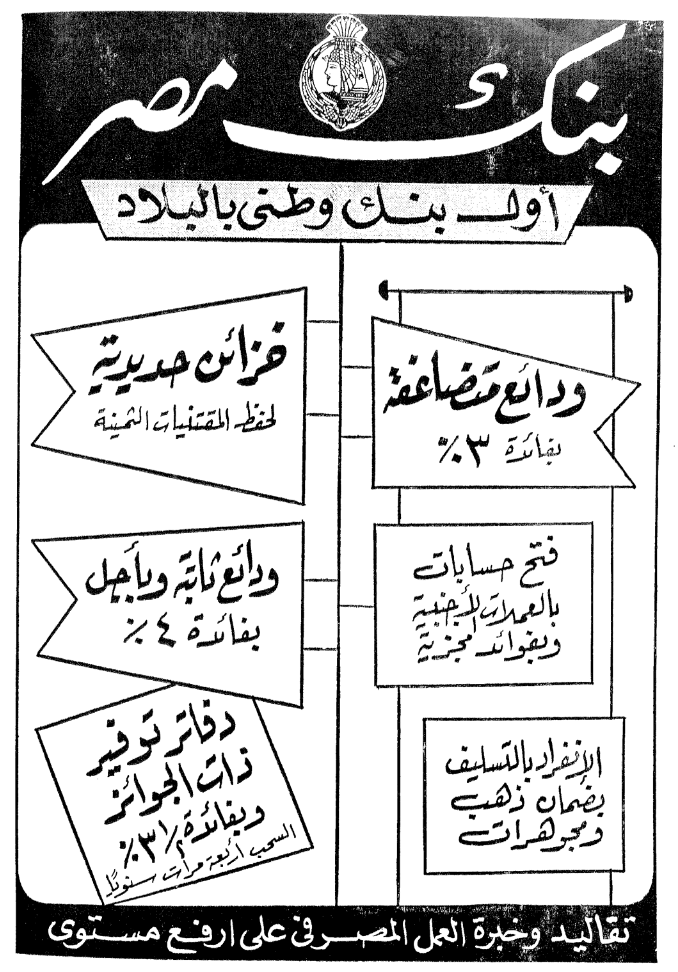
٢ — وجارى البحث الان باجراء العديد من التجارب التى يجريها كبار الفنيين من الصيادلة المتخصصين لاستخلاص المواد الفعالة من النباتات والاعشاب الطبية التى تزرع فى بلدنا .

وفى القريب أن شاء الله ستكون هناك الكثير من المستحضرات الطبية التى تنتج بمعامل أبحاث الشركة وهى تعتمد أساسا على النباتات والاعشاب الطبية التى تزرع فى بلدنا ومن هنا تنشأ فكرة الاكتفاء الذاتى ، التى تسير الشركة عليه لتحقيق هذه السياسة .

٣ — فى مجال الانتاج لا تدخر الشركة جهدا لانتاج الجديد من الدواء وبالفعل تم انتاج كثير من المستحضرات الطبية التى تغطى بعض المجموعات الدوائية التى تمثل نقصا فى بعض هذه المستحضرات .

ومن الواضح أن الدواء المصرى الذى ينتج بمواصفات معينة حتى يتفق مع متطلبات العلاج والامراض المتوطنة فى بلدنا .

● ومن أجل هذا كله ولتحقيق الهدف قامت الشركة أيضا بالجهود والامكانيات الذاتية بانشاء مصنع جديد على أحدث النظم العالمية ومجهز بأحدث الاجهزة المعملية الانتاجية فى ظروف تتوافر فيها جميع متطلبات الانتاج فى ظروف صحية .



بنك مصر
أول بنك وطني بالبلاد
خزائن حديدية
لحفظ المقتنيات الثمينة
ودائع مضاعفة
بفائدة ٣٪
ودائع ثابتة وبأجل
بفائدة ٤٪
فتح حسابات
بالعملات الأجنبية
وبفوائد مجزية
دفاتر توفير
ذات الجوائز
وبفائدة ٢/١ ٣٪
السحب أربعة مرات سنويا
الإنفراد بالتسليف
بضمان ذهب
ومجوهرات
تقاليد وخبرة العمل المصرفي على ارفع مستوى

الطليعة

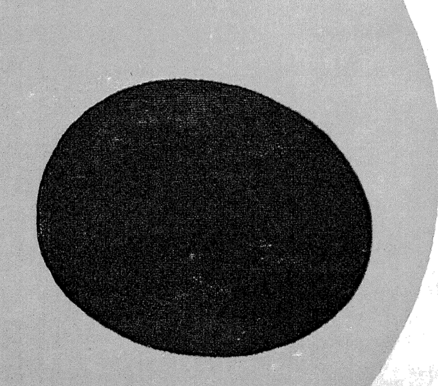
طريق المناضلين إلى الفكر الثوري المعاصر

العدد الرابع - السنة السابعة - ابريل - ١٩٧١

المميزات العامة للتركيب الطبقي عشية ثورة ١٩٥٢

بعض القضايا فى مواجهة العدوان

ملف الطليعة : فلسطين .. ثورة ١٩٣٦





طريق المناضلين الى
الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
ابو سيف يوسف
د. اسماعيل صبرى عبد الله
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف
محمد سيد احمد

مدير التحرير :

ميشيل كامل

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون ٤٦٤٦٤ – ٥٩٠١٠ – ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

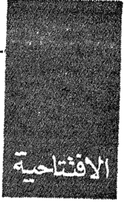
لسنة بالبريد العادى ج.ع.م ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا

الفهرس

العدد الرابع – السنة السابعة – ابريل ١٩٧١

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » ؟ .



رؤيـة واضـحة فى سـاعات الحسـم

لعلنا لا نجاوز الحقيقة اذا قلنا ان بلادنا تواجه فى هذه الايام ساعات حاسمة حقا وذلك اذا وضعنا فى الاعتبار هذا الواقع: وهو ان العمل السياسى الذى قامت به الجمهورية العربية المتحدة منذ وقف اطلاق النار فى أغسطس ١٩٧٠، وساندها فيه الاتحاد السوفيتى وكل القوى الدولية الراغبة فى اقرار تسوية سلمية عادلة وتصفية عدوان يونيو، نقول ان هذا العمل على المستوى السياسى قد طرح امام الشعب العربى وامام شعوب العالم عددا من النتائج فى مقدمتها:

١ ـ ان اسرائيل قد كشفت نفسها تماما كقوة عنصرية توسعية لها مطامعها فى الوطن العربى، وانها لا ترضى حتى الان باقل من فرض شروطها على البلاد العربية.

٢ ـ ان الولايات المتحدة الامريكية ساندت ولاتزال تساند، فى الاعمال والاقوال، مطالب اسرائيل التوسعية.

٣ ـ انه مالم يحدث تطور مفاجىء وضغوط دولية غير متوقعة [على الولايات المتحدة واسرائيل ـ واحتمال هذا مستبعد حتى الان] فان قضية تحرير الارض المحتلة تطرح نفسها بقوة، وتفرض على شعبنا ان يقرن العمل السياسى بالعمل العسكرى .. وربما اصبح التعامل مع العدو باسلوب القوة الرادعة هو الوسيلة الرئيسية.

وعلى اية حال، فانه اذا كتب علينا القتال فان النصر فيه مشروط بالرؤية الواضحة للهدف، وللوسائل ولمعسكرات الحلفاء والاصدقاء ولمعسكرات الخصوم والاعداء. واذا حدث ـ كما أشرنا ـ تطور مفاجىء (وهو احتمال ضعيف) فى اتجاه تسوية عادلة تستعيد الارض المحتلة بعد عدوان يونيو، وتحفظ الحقوق المشروعة لشعب فلسطين اذا حدث شىء من هذا فان حاجتنا الى وضوح الرؤية ستكون اشد لزوما واكثر الحاحا. سنحتاج الى وضوح اكبر فيما يتعلق بتحديد الاهداف ومعرفة الوسائل والتعامل مع الاصدقاء والاعداء. من اجل هذا تحاول فى هذه الكلمة ان نركز على قضيتين رئيسيتين من قضايا النضال ضد الامبريالية العالمية وشريكتها واداتها الصهيونية التوسعية.

القضية الاولى : لماذا نقاتل؟ ومن أى أجل أى شىء نقاتل؟

القضية الثانية : كيف نضع علاقتنا مع الاتحاد السوفيتي على اسس ثابتة تصمد لكل امتحان ، وتهزم كل المحاولات الرامية الى اضعافها من جانب الاعداء ».

لمـــاذا نقـــاتل

الجواب على هذا السؤال يمكن ان يكون بسيطا ومباشرا وليس فيه جديد . اننا نقاتل دفاعا عن أرض الوطن ضد محتل عنصرى تسـنده الامبرياليـة الامـريكية والصهيونية العالمية .

وعندما يوضع امام كل الناس البسطاء هدف تحرير الارض ، وانقاذ كرامة البلاد ، والدفاع عن هيبة الوطن ، ففى هذه الحالة تتفجر ينابيع الشعور الوطنى ، هذا الشعور الذى يزحزح الجبال ويصنع المعجزات ، وربما يكفى أن يوضع أمام المواطنين فى كل مكان وأمام الجنود المرابطين على جبهة القتال هذا الهدف المحدد ، لكى يتقدموا نحو تحقيقه مقدمين — بنفس راضية — كل التضحيات التى تطلب منهم .

ان هـذا صحيح بلا جـدال . لكن من الصحيح ايضا ان النجاح فى تحقيق هـذا الهدف العظيم والنبيل [تحرير الارض] — انما يرتبط بدوافع واهداف لا تقل عظمـة ونبلا . فالحقيقـة أن الشعب المصرى ، قد اصبح ، فى العالم الذى يعيش فيه ، وفى الزمن الذى يتحرك فيه ، يجد نفسه — حين يقاتل من أجل ارضه — انه انما يقاتل من أجل أهداف قومية بل وانسانية واممية تقدمية .

لا يتسع المجال بالطبع لنفصل القول فى تطور آفاق الحـركة الوطنيـة فى بلادنا ، خصوصا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. ولكن قد تكفى الاشارة الى أن هذه الحركة قد تطورت تطورا عاصفا بعد ثورة يوليو ٥٢ . هنا نقول ان بلادنا تخلصت من الاحتلال ومن الاسـتعمار القـديم . لكنها منذ ذلك الوقت وحتى اليوم خاضت المعركة ضد قوى الاستعمار الجديد بزعامة الولايات المتحدة الامريكية . ان كثيرا من البلدان التابعـة والمستعمرة استطاعت — كما نعلم — ان تكسب الاسـتقلال الوطنى ، الاسـتقلال السياسى ، لكن اقلية صغيرة جدا من هذه البلدان استطاعت ان تكسب الجولة الثانية وهى معركة الاستقلال الاقتصادى وتصـد النفوذ الامبريالى المتسلل للسـيطرة على اقتصادها وثرواتها القومية . لكن بلادنا تمكنت — تحت قيادة وطنية مستنيرة — من ان تحرز النصر فى اصـعب معـارك الاستقلال واشدها ضراوة . وقد خاضت هذه المعركة مبتدئة بتأميم قناة السويس . وعندما تمت هزيمة العدوان الثلاثى بعـد التأميم ، لم تكن معركة السويس عام ١٩٥٦ نقطة تحول فى طريق النضال الثورى لشعب مصر وحده فحسب ، بل لقد شقت السويس الطريق أمام الشعوب الصغيرة والمقهورة ، وبرهنت على امكانية احراز النصر ، مهما عبأ المعتدون من جيوش واساطيل .

ان معركة السويس — باختصـار —وضعت امام شعوب البلدان النامية هذه النتيجة :

— ان النضـال فى سـبيل التحـرر الاجتمـاعى والاسـتقلال الاقتصـادى هو الدعامة الاساسية للحرية السياسية، وان هذا النضال ممكن وضرورى .

وهذه النتيجة — بحد ذاتهـا — كانت تحديا صارما لقوى الاستعمار الجديد الذى آمل أن يفرض سيطرته الاقتصـادية من خلال تنازلات تتمثل ، مـن جـانبه ، فى الاعتراف الشكلى بالاستقلال الوطنى . منذ ذلك التاريخ دخلت بلادنا معاركها المباشرة

وغير المباشرة مع الاستعمار الجديد وخاصة مع زعيمته الولايات المتحدة الامريكيـة . وبهذا وحده نستطيع ان نفهم كل استفزازات اسرائيــل التى لم تتوقف ، والحصـــار الاقتصادى لتجويعنا ، والمحاولات اليائسة لتنظيم الانقلابات من الداخل ، ومحاولات فاشلة لربط مصر والبلاد العربية بحلف الشرق الاوسط وبمشروع ايزنهاور . الخ.

على أن مناهضـــة مصر للاســـتعمار الجديد قد شكلت ــ فى نظر الاستعماريين القدامى والجدد ــ خطـرا داهمـا على مخططاتهم ومصـــالحهم . لان مصر قـد استعادت من خـــلال معـاركها روابطهـا التاريخية والمصـيرية بالبلاد العـربية ، وامدت حركة القومية العربية بطاقة هائلة . وفوق ذلك فقد استطاعت مصر ان تمد يد المساعدة والمساندة المادية والمعنوية الاخوية الى اكثر من بلد عربى والى اكثر من بلد افريقى فى معارك التحرر الوطنى . ولم تتوقف ابدا عن مساندة كل حركة تحررية فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

وباختصار فان النضال التحريرى لمصر العربية ، بما حققه من انتصارات ، قـد احدث شرخا فى هيبة قـــوى الامبرياليـــة العالمية ، وقدم المثل فى مناهضة المستعمرين الجدد .

وكما أشرنا من قبل حاول المستعمرون الجدد بكل الوعد والوعيد أن يعزلوا بلادنا عن بقية الوطن العربى وعن حركة التحرر العالمية . وعندما فشلت اساليبهم الحديثة ، عادوا مرة اخرى الى الاسلوب التقليدى ، اسلوب العنف السافر . وهنا فى الشرق العربى ، كما فى آسيا فى فيتنام وكمبوديا وجدوا قوى محلية يمكن ان تخدم اهدافهم . فى فيتنام حركوا العملاء المحليين واشتركوا فى القتال . وفى الشرق الاوسط حركوا اسرائيل وامدوها بترسانة هائلة من السلاح وبدعم مالى ومعنوى لم يتوقف حتى اليوم .

فاذا استمرت اسرائيل بعد ذلك ، واذا استمرت امريكا بعد ذلك فى محــاولاتهم لفرض الاحتلال لاسقاط النظـــم الوطنيــــة بالقوة ، فسوف نتذكر ان الاســـتعماريين الجدد انما يخوضون معركة كبرى فاصلة فى هذه المنطقة ، وانهم يحاولون ان يثأروا لانفسهم من هزائم مرة انزلها بهـــم كفاح الشعب المصرى وقيادته الوطنية الثورية .

هنا يتذكر كل عربى يحمل سلاحه للدفاع عن الوطن انه اذ يقاتل فانما يقاتل ضـد قوى عاتية سبق له أن تحداها ، وانتصر فى أكثر من معركة ضد مخططاتها .

هنا يتذكر المواطن العربى وهو يحمل سلاحه للدفاع عن الوطن انه اذ يقاتل ، فانما يقاتل دفاعا عن حرية الوطن العربى باكمله ، عن شعب فلسطين ، وعن المقاتلين والثوار الفلسطينيين الذين اصـــبحوا منذ سبتمبر الماضى هدفا لمذبحة مستمرة خططت لها الولايات المتحـــدة واسرائيل والقـــوى العميلة .

هنا يتذكر المواطن العربى ، وهو يحمل سلاحه لتحرير ارض الوطن ، انه اذ يقاتل فانما يقاتل دفاعا وتضامنا مع رفاق السلاح فى كل مكان تندلع فيـــه ثورات التحـــرر الوطنى ، وانه يجد نفسه فى خندق واحد مع المقاتلين فى فيتنام ولاوس وكمبوديا ، حتى لا تباد قرى باكملها فى فيتنام وحتى لا تباد قرى باكملها على ارض فلسطين .

هنا يتألق الشعور الوطنى فى معركة التحرير وتتسع آفاقه ، ويفخر المقـــاتلون على الجبهة وفى كل مكان بانهم اذ يقاتلون لتحرير الارض فهم ايضـــا يحملون العبء العظيم عبء الدفاع عن القومية العربية ، وعن البشرية التقدمية فى كل مكان .

هنا تأخذ المعركة كل ابعادها الوطنية والقومية والاممية ، وفى هذا ما يحفز على

مضاعفة الصمود ومضاعفة التضحيات ، وفى هذا فخرنا كشعب يقف فى الصفوف الاولى دفاعا عن قضايا التحرر والتقدم .

علاقاتنا بالاتحاد السوفييتى

عندما وجه الرئيس **انور السادات** بيانه الى الامة معلنا فيه رفض وقف اطلاق النار، تحدث عن زيارته الاخيرة الى الاتحاد السوفيتى ، ولخص موقف الاصدقاء السوفيت بقوله :

« لقد وقف معنا شعب الاتحاد السوفيتى وقادته ، وقفة الرجال الشرفاء والمناضلين الثوار » .

وقبل ذلك ، وبعد ان تولى منصبه رئيسا للجمهورية اهتم **الرئيس السادات** بأن يكشف ويتعقب النشاط الامبريالى الرجعى الذى يحاول ان ينفث سمومه فى العلاقات العربية السوفيتية وهذا الاهتمام من جانب **الرئيس** يذكرنا بحقيقة دللت عليها التجارب خصوصا بعد حرب ٥ يونيو . ففى اثناء الازمات ، وعند المنعطفات الحادة ، تنشط القوى المعادية وتركز عملها الهدام ضد الصداقة العربية السوفيتية حدث هذا على سبيل المثال بعد هزيمة يونيو مباشرة ، وكانت البلاد فى ازمة عنيفة . وحدث هذا بعد وفاة الزعيم الخالد جمال عبد الناصر فتوهمت قوى الثورة المضادة ان الظرف قد يسمح بتصديع علاقات بلادنا مع الاتحاد السوفيتى .

وفى هذه الايام ، وبعد ان رفضت اسرائيل الجلاء عن الارض المحتلة ، وتحتم علينا ان نمضى فى معركة التحرير ، يتطلب الامر ان تبادر القيادات السياسية بنشاط سياسى يقطع على قوى الثورة المضادة اى امل فى النيل من الصداقة العربية السوفيتية . فهذا ما يتطلبه وضوح الرؤية فى معركة فاصلة ومصيرية .

ولا شك انه من الاهمية بمكان ان توضع مساعدات الاتحاد السوفيتى الاقتصادية والعسكرية امام شعبنا باستمرار ، وتوضح مواقفه السياسية والدبلوماسية . كل هذا مطلوب بلا شك . ولكن يجب ان يوسع الاهتمام بتوضيح الاسس الثابتة لعلاقات الصداقة التى تربطنا بالاتحاد السوفيتى ، وبالتالى باسرة البلدان الاشتراكية فى مجموعها ، هذه الاسس التى كان قد لخصها **جمال عبد الناصر** فى كلمة عندما قال انه تربطنا بالاتحاد السوفيتى « صداقة استراتيجية » .

ان شعبنا بلا شك كشعب عريق فى حضارته ، وبالقيم التى توجهه فى حياته اليومية لا يكف عن التعبير عن عرفانه بالجميل لكل من يقف معه ويسانده فى معاركه الوطنية والاجتماعية . لكن علاقتنا بالاتحاد السوفيتى يجب الا تؤسس على مجرد الموقف العاطفى وحده . وفى نفس الوقت يجب الا تقدم هذه العلاقة فى الاساس انطلاقا من واقع ان الاتحاد السوفيتى **دولة كبرى** . ذلك ان البدء من هذه النقطة ربما يثير من التحفظ اكثر مما يتطلب من التعاون والانفتاح .

لابد اذن من التأكد على هذه الاسس المادية والنظرية التى تجعل من التعاون العربى السوفيتى حقيقة فعالة ومؤثرة من حقائق العصر . وفى تقديرنا انه يتعين ان نركز على ما يلى :

اولا : هناك منجانب السوفيتالاساس الفكرى والنظرى لهذه العلاقة . فمنذ عام ١٩٠٠ لم يكف **لينين** كثورى ثم كقائد للاتحاد السوفيتى فيما بعد عن متابعة ودراسة حركة شعوب الشرق فى نضالها ضد قوىالامبريالية العالمية . وفى هذا قدم لينين صياغات هامة :

ـ ان الحركة الوطنية لشعوب المستعمرات والبلدان التابعة تخوض معركة عاتية ضد الامبريالية العالمية ، وانهاتوقظ مئات الملايين وتدفعهم الى الهجوم على مواقع الامبرياليين . وفى هذا رأىلينين ان حركة شعوب الشرق [الهند ـ الصين ـ ايران ـ مصر ... الخ) تمثلمنالناحية الموضوعيةهجوما علىالراسمالية كنظام عالمى ، تهدم مراكزه وتضعفها .

ولما كان الامبرياليون ـ على هذا الوضع ـ هم العدو المشترك للثورة البروليتارية ولثورة التحرر الوطنى ، فقد طرح لينينلاول مرة نظريته فى ان ثورات التحرر الوطنى جزء لا يتجزأ من الثورة الاشتراكية

ـ على هذا الاساس فان التفاعل بينالثورات الاشتراكية والوطنية هو امر واقع موضوعى ، وحتمى . وحتى قبل ان تنتصرالثورة فى روسيا كتب لينين يقول فى عام ١٩١٦ : « اننا سنعمل جهدنا حتى نزدادتقاربا مع المنغوليين والايرانيين والهنود والمصريين . فنحن نعتقد انه من واجبنا ومنمصلحتنا ان نفعل ذلك » ..

ـ ولكن ما هو وجه المصلحة فى ضرورةالتضامن والتعاون مع حركة التحرر الوطنى .

اجاب لينين على ذلك :

« **... من مصلحتنا ان نفعل ذلك والا لما كانت الاشتراكية الاوربية فى أمان** » .

اذن فمن الناحية النظرية رأى لينين ان نمو حركة التحرر الوطنىالمعادية للامبريالية وتدعيم مواقعها من العوامل الاساسية التىتوفر الحماية للاشتراكية .

نحن اذن امام حقيقة علمية وهى انمصلحة الاشتراكية ، ترتبط بتعزيز مواقع حركة التحرر الوطنى وانتصاراتها .

وتطبيقا لهذا ، يمكن القول بأنه كانللاتحاد السوفيتى ـ على الدوام ـ مصلحة مؤكدة فى ان تمضى حركات التحرر الوطنىقدما فى تصفية العدو المشترك : الامبريالية والاستعمار الجديد .

وهذه الحقيقة لم تتغير منذ انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية حتى اليوم . ولسوف نجد ان الانتصارات التى حققتها بلادنا فى رفضالاحلاف والمشروعات الاستعمارية ، وفى اتباع سياسة نشطة فى الحياد الايجابى ،قد حالت بين قوى الامبريالية وبين ان تربط بلاد الشرق العربى الى حلف عسكرىعدوانى فى سلسلة الاحلاف التى يحاول الامبرياليون ان يطوقوا بها الاتحادالسوفيتىواسرة البلدان الاشتراكية . اذن ، فانتصاراتنا الوطنية والاجتماعية لم تكن ابداًلتتناقض مع مصلحة الدفاع عن البلدان الاشتراكية ، بل على العكس من ذلك كانتولا تزال تخدم قضية الثورة الاشتراكية العالمية وتعززا مواقعها . لكن «قضية تأمين الاشتراكية » والدفاع عن بلدان المعسكر الاشتراكىلها وجهها الآخرأيضا وهو انهاذاكانت الثورة الاشتراكية فى روسيا قد حررت هذا البلد الكبير من الاقطاعيةوالامبريالية والراسمالية الكبيرة فقد حولت روسيا فى فترة وجيزة قوة عظمى يكفل لهااقتصادها الجبار ونظامها السياسى

والاجتماعى وامكانياتها البشرية والطبيعية انشاء قوة عسكرية ضخمة . وهذه القوة بما تملكه من اسلحة ذرية وصواريخ تشكل قوة رادعة للامبرياليين والاستعماريين الجدد . وهكذا مضى بلا رجعة ذلك الزمن الذى كانت تتساقط فيه حكومات البلدان التابعة والمستعمرة لمجرد تصريح يلقيه هذا الوزير او ذاك فى هذه العاصمة الاوربية او تلك . وعلى العكس تمكن الاتحاد السوفيتى من أن يقدم السلاح لكثير من بلدان آسيا وافريقيا مساعدا بذلك على تسليح الجيوش الوطنية ، هذه الجيوش المدعوة الى الدفاع عن الاستقلال الوطنى والسيادة القومية ، وعن مكتسبات هذه الشعوب .

فالقضية اذن بين بلادنا وبين الاتحاد السوفيتى هى قضية حيوية ، قضية « **الدفاع المتبادل** » ان صح التعبير . وهو يختلف عن الصيغة البالية والمعروفة لدى شعبنا صيغة « الدفاع المشترك » تلك الصيغة التى حاول الامبرياليون ان يفرضوها بدون جدوى على بلادنا . ووجه الخلاف هنا هو ان الدفاع المتبادل لا يقوم على معاهدات مملاة او مفروضة ولا يقوم بين الشعوب بالطرق الدبلوماسية بل هو قضية موضوعية بين تيارين ثوريين عظيمين يلتقيان على هدف الكفاح ضد الامبريالية والاستعمار الجديد ومن اجل التقدم : تيار الاشتراكية وتيار التحرر الوطنى .

ان هذه الحقيقة فى حد ذاتها تلغى كل الحساسيات التى يحاول العدو المشترك ان يزرعها فى العلاقات السوفيتية العربية : انها علاقة نضالية وحرة لا يدخل فيها مفهوم « الدولة الكبرى » و « الدولة الصغيرة » بالمعنى الدارج والمتعارف عليه فى حلبة الصراعات الدولية .

الاساس الثانى : هو المصلحة المشتركة بين بلادنا وبين الاتحاد السوفيتى فى استقرار وانتصار قضية السلم العالمى .

والنقطة التى ينبغى التأكيد عليها فى هذا المجال هو ان الاتحاد السوفيتى لا يكسب ، ولن يكسب شيئا ، وليس من مصلحته فى شىء ان يضطرب الامن والسلم فى هذه المنطقة من العالم . وهذا راجع ، لا لان الاتحاد السوفيتى يعلم بحسب خبرته فى الحرب الاهلية والحرب العالمية الثانية ماذا تعنى الحرب من دمار بشع للبشر وللموارد ، بل لانه فى ظل السلم يستطيع الاتحاد السوفيتى أن ينافس ببنائه الاجتماعى والاقتصادى البناء الرأسمالى فى أكثر الدول تقدما وهى الولايات المتحدة الامريكية . وينطبق هذا بالمثل على البلدان النامية التى تخوض الكفاح الوطنى ضد الامبريالية العالمية . لانه بقدر ما تعجز الامبريالية العالمية عن شن حرب نووية عالمية ، بقدر ما تتاح الفرصة للشعوب والدول النامية فى ظل السلام لحماية استقلالها ، ولبناء انظمتها الاجتماعية التقدمية . وهو الامر الذى يزيد من قوتها فى مواجهة العدو المشترك : الامبريالية . ولابد من الاشارة هنا الى ان كثيرين ممن يقعون تحت تأثير الدعايات الامبريالية عن « الخطر السوفيتى المزعوم » فى الشرق الاوسط ينسون اولا يعرفون ان الاتحاد السوفيتى لم يدخل اساطيله الى البحر الابيض الا مضطرا لردع العدوان الصهيونى الامبريالى . انهم ينسون فعلا انه فى وقت مبكر وفى **عام ١٩٥٧** دعا الاتحاد السوفيتى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا الى توقيع بيان مشترك للتعهد بعدم استخدام القوة فى حل مشاكل الشرقين الادنى والاوسط ، الا ان الولايات المتحدة والدول الاخرى رفضت الاقتراح السوفيتى حتى تتاح لها حرية العمل ، بدون التزامات او قيود على اعمالها وتصرفاتها العدوانية .

على ان التزام الاتحاد السوفيتى بالدفاع عن السلام يجب ان يفهم فى ابعاده الحقيقية . فاذا كان الاتحاد السوفيتى يرفع باستمرار شعار التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة المختلفة ، فان التعايش السلمى ليس ، ولن يكون ، « معاهدة مكتوبة » بينه وبين الدول الامبريالية . ولا هو موقف عملى يمليه الابتزاز الامبريالى بحرب نووية ، بل هو واقع وضرورة .

أما الواقـــع فتفرضـــه ازدياد قوة البـــلدان الاشـــتراكية وقـــوى التحرر والديموقـــراطية من ناحيـــة وتحلل النظام الاستعمارى من ناحية اخرى. فالامبرياليون، على هذا ، مكرهون على ان يتراجعوا ويدهم مشلولة عن ضرب الثورات الاشـــتراكية والوطنية بقنابلهم النووية . لكن الحرص على السلم العـــالمى ، وعلى التعـــايش السلمى لا يعنى لحظة واحدة أن يوافق الاتحـــاد الســـوفيتى على التفـــريط فى الحقوق الوطنية للشعوب . وهذا يفسر لنـــا التحـــذير الســـوفيتى الموجـــه الى اسرائيل والولايات المتحدة فى ٢٨ فبراير الماضى . ففى هذا التحذير وضع الاتحـــاد السوفيتى القضية بكيفية حاســـمة عندما قـــال : « **يجب أن تدرك كل حكومة، وكل سياسى مسئول أنه ليس هناك بديل فى الشرق الاوسط غـــير الاتى : التســـوية السياسية ، أو الصدام العسكرى** » .

واما الضرورة فى انتهـــاج ســـياســـة التعايش الســـلمى فتمليها حســـابات علمية دقيقة : فلا شك ان أى حرب عالمية نووية ستكون رهيبة على البشرية جمعاء ، وحتى لا يعطى الامبرياليون اية فرصـــة او مبرر لاستخدام الســـلاح النووى يركز الاتحاد السوفيتى فى المجتمع الدولى كل جهوده من اجل ان ينتصر مبدأ حل الخلافات بين الدول بالطرق السلمية .

الاســـاس الثالث للصـــداقة العـــربية السوفيتية هى انها ثمرة الوطنية المستنيرة. فلم يكن صدفة ان نمت هـــذه الصـــداقة وازدهرت **فى ظل قيادة عبد الناصر الثورية**

ان عبـــد الناصر الذى كان يلهمه حب عظيم لبلاده ، وحرص نادر على استقلالها ، ووعى بان هذا الاستقلال لا يصان ولا يتدعم الا ببناء مجتمع متقدم ، نقول ان عبد الناصر قد وضع يده على احد الابعاد الرئيســـية الاستراتيجية فى نضاله الحازم ضد قوى الامبريالية والصهيونية . لهذا لم يكن غريبا حرصه الدوؤب على حماية وتنمية العلاقات مع الاتحاد الســـوفيتى على اســـاس من الاحترام المتبادل والتضامن وعدم التدخل فى الشئون الداخلية ولم يكن غريبا انه كان فى حرصه هذا يتخطى كل العقبات التى وضعتها فى طريقه قوى الثورة المضادة فى الداخل والخارج . وهو فى جميع هـــذه الاحوال يقدم فى عصرنا المثـــل للوطنيـــة المستنيرة ، هذه الوطنية الواعية بحقائق العصر وبالقوى التى تشكل آفاقه .

ولعل مما يؤكد ما قلناه عن « الوطنية المستنيرة » وارتباطها بالثورة الاشتراكية العالمية ان هذا الموقف من الاتحاد السوفيتى كان موقف هؤلاء القادة العظام الذين عرفهم النضال الوطنى . كان هذا موقف ابو الصين الحديثة « صن يات شن » وكان هذا موقف ابو الاتراك « كمال اتاتورك » كما كان موقف جواهر لال نهرو زعيم الهند . ان هؤلاء القادة رأووا ببصيرتهم ان اختلاف مذاهبهم وعقائدهم السياسية عن مذهب وعقيـــدة السوفييت لا يغير من هذه الحقيقة شيئا . وهى أن الاتحاد السوفيتى حليف طبيعى وثابت لحركة التحرر الوطنى ، ولكل قوى التقدم فى العالم . ■

« الطليعة »



بعض القضايا في مواجهة العدوان

بعد أن كشفت الجهود السياسية والدبلوماسية موقف اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية نطرح اليوم قضية التحرير بكل ثقلها وبكل الوسائل المتاحة للشعب .

وترى الطليعة أن هذه الفترة من فترات نضالنا ضد الامبريالية وضد الصهيونية التوسعية تتطلب أكثر من ذى قبل وضوحا فى الرؤية ، هو أن يكون أساسا لوحدة وطنية قوية تهزم مخططات الاعداء .

وفى هذا الاتجاه تقدم الطليعة دراستها الرئيسية فى العدد الحالى :

— فيكتب وديع وهيب محللا بعض العوامل الاجتماعية والاقتصادية فى أمريكا، هذه العوامل التى تضاعف من عدوانية وشراسة المؤسسة العسكرية .

— ويكتب اسماعيل صبرى عبد الله موضحا كيف أن هدف اسرائيل الاساسى والمباشر هو ضرب الجمهورية العربية المتحدة وعزلها عن مجموع الامة العربية حتى تتمكن الصهيونية من تحقيق أهدافها .

— ويكتب ابراهيم سعد الدين عن ضرورة وأهمية ادخال البعد العربى فى أية حسابات تتعلق بالمعركة ، ويؤكد على الاهمية الخاصة التى تمثلها فى هذه الظروف وحدة القوى الوطنية والثورية فى الوطن العربى .

— ويكتب عادل حسين عن أهمية التزام منهج صحيح فى مواجهة العدوان .

— ويعالج ميشيل كامل قضية فلسطين بين الثورة والثورة المضادة

الولايات المتحدة الأمريكية والعوامل التى تحدد موقفها

وديع وهيب

من المفيد — بل من الضرورى — فى اثناء مسيرتنا أن نتوقف احيانا لنعيد دراسة موقف القوى التى نتعامل معها، وان نناقش المفاهيم المختلفة المحيطة بها . ومن الطبيعى أن تحتل الولايات المتحدة الامريكية اهتماما خاصا فى هذا المجال لانها من كافة الوجوه تمثل عنصر التعقيد الاساسى فى مشكلة شرقنا العربى .

قد تبدو « مشكلة الشرق الاوسط » من الناحية المنطقية قضية واضحة وسهلة الادراك ، قضية شعب فلسطين يناضل من اجل حقه فى تقرير المصير، وقضية دول عربية احتل العدو أراضيها بقوة السلاح ، ومن حقها وواجبها أن تسترد الارض التى احتلت ، وتقف كل حقائق التاريخ وتجارب الشعوب مدعمة لهذا الحق .

ومع ذلك ، لايكاد يختلف اثنان على أن مشكلة الشرق الاوسط هذه تبدو من الناحية العملية ، قضية بالغة التعقيد نظرا لما يكتنفها من عوامل خاصة من أهمها :

اولا : ذلك الاندماج العضوى بين راس المال الامريكى وراس المال الصهيونى العالمى داخل الاحتكارات الكبرى التى تسيطر على بترول الشرق الاوسط، ومصلحتهما المشتركة فى ضمان انسب الاوضاع لاستمرار سيطرتها على هذا المورد الطبيعى . وهو مجال لايمكن للولايات المتحدة الامريكية ان تبدى فيه أى تساهل أو تردد ، ومما له مغزى فى هذا الصدد اقدام **نيكسون** اخيرا على تجاهل حتى شكليات الدستور الامريكى وسماحه لشركات البترول بالتكتل فى مواجهة دول منظمة الاوبك بدعوى أن مطالبة هذه الدول بزيادة الاسعار يخلق وضعا خطيرا لايمكن السكوت عليه .

ثانيا : التطابق بين السياسة الامريكية الرامية الى السيطرة على الشرق العربى والابقاء عليه ضمن مناطق نفوذها ، وبين الاتجاهات القومية الشوفينية للرجعية الاسرائيلية ، والتى يعطى للسياسة الامريكية فرصة تغطية تحركاتها تحت ستار « الدفاع عن حق اليهود فى البقاء » ويبدو هذا التطابق مجسما فى الوقت الحالى فى التكامل بين العتاد الامريكى وبين القوة الضارية الاسرائيلية فى الارض المحتلة، ولقد اكد **نيكسون** هذا الامر فى رسالته الاخيرة للكونجرس بطلبه « اعتماد ٥٠٠ مليون دولار لتقديم المساعدات لاسرائيل حتى **يمكن المحافظة على ميزان القوى فى الشرق الاوسط** » .

ثالثا : التكامل بين كل القوى الرجعية فى المنطقة .بين الاسطول السادس فى محاولة فرض صورة معينة للمنطقة ، وهو ماأكدته احداث

سبتمبر الماضى فى الاردن بجلاء ، وما يشير اليه **نيكسون** فى خطابه السابق عندما يقول « لو كانت الاردن قد وقعت فريسة لتخريب داخلى أو عدوان خارجى فان خطر نشوب حرب شاملة فى الشرق الاوسط كان قائما آنذاك » .

فى مثل هذه الظروفيبدو من الامورالمستبعدة أن يتصور الانسان حلا سهلا للمشكلة برمتها عن طريق توقع النضال بين التكاملات السابقة . ان الامر يبدو سهلا فى نطاق الجدل النظرى . الا ان الواقع يؤكد أن هذا الحل السهل ، هو حتى اليوم فى حدود المستحيل ، بل ان مجرد التفكير فيه يمكن أن يقود الى منزلقات والى تعقيدات أشد خطرا ، وهذا ما سوف نتناوله فى هذا المقال .

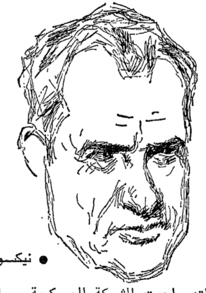
أمريكا ١٩٧١ واشتداد

الاتجاهات العدوانية

ان نقطة البدء فى تفهم تطورات الموقف الامريكى من قضية الشرق الاوسط هو ادراك اتجاه تغير الاوضاع داخل الولايات المتحدة الامريكية نفسها ، وفى أى اتجاه هى تسير ، وأى القوى يتأكد مركزها فى رسم السياسة الامريكية الخارجية .

ومن واقع شهاداتالصحافة الامريكيةوخاصة **مجلة نيوزويك** وثيقة الصلة بوزارة الخارجية الامريكية ، يمكن القول أنه اذا كانتالفترة مابين ١٩٥٦ الى ١٩٦٠ قد شهدت محاولات ضعيفة **من دوايت ايزنهاور** لمقاومة الخضوع الكامل لقبضة الشبكة العسكرية — الصناعية فانه لم يأت عام ١٩٦٧ الا وأصبحت الشبكة العسكرية — الصناعية حقيقة كما أشارايزنهاور الىخطرها فى عام ١٩٦٠ ، حقيقة واقعة وقوية ، تصل بنفوذها الى كل مدينة بل والى كل قرية فى الولايات المتحدة » . [ناشيونال أوبزرفر الامريكية عدد أغسطس ١٩٦٧] .

ولقد كانت النتيجة الاساسية لتدعيم سيطرة هذه الشبكة الموغلة فى رجعيتها هى تشديد الاتجاهات العدوانية للسياسة الخارجيةالامريكية فى شتى مناطق العالم مع كلالنتائج الاجتماعية والسياسية والعسكرية التى عادت لتنعكس على المجتمع الامريكى حتى جاءت السبعينات بشبح أزمة شاملة وصفها محررالنيوزويك [عدد يوليو ١٩٧٠] بأنها « تمثل أكبر تحد واجهته الولايات المتحدة فى تاريخها » .



● نيكسون ●

لقد واجهت الشبكة العسكرية — الصناعية المسيطرة هذه الازمة ، بتحرك اشد رجعية فى الداخل والخارج يميز أواخر١٩٧٠ وأوائل١٩٧١.

لقد تم فى المجال الداخلى فرض مشروع شبكة « الصواريخ المضادة للصواريخ لصالح احتكارات صناعة الاسلحة بعد أنكان **جونسون** قد فشل فى تمريره . وشددت الحملة على الحركة الشبابية والطلابية باستغلال حادثة **مانسون** ، وتم تصعيد اجراءات القمع ضد الحركة الزنجية وحركة السلم ، وهو ماتشهد به قضية المناضلة الزنجية **انجيلا ديفيز** ، وقضية **المؤامرة المزعومة** على حياة **كيسنجر** مستشار البيت الابيض والمتهم فيها عدد من الرهبان والراهبات من أنصار السلام الامريكيين .

وعلى النطاق الدولى تم تصعيد الحرب فى فيتنام الجنوبية، واستؤنف قصف جمهورية فيتنام الديمقراطية بالقنابل ثم كان غزو كمبوديا ولاوس لتتسع الحرب فى الشرق الاقصى وتشمل أراضى الهند الصينية بأكملها ، وتزايد الدعم الامريكى بالسلاح والمال للاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية .

وادراك حقيقة تزايد الاتجاه العدوانى فى السياسة الخارجية الامريكية هو نقطة بدءلايمكن تغافلها عند تخطيط أى سياسة فى عالم اليوم .

ولم يثبت بعد أن الولايات المتحدة قد تضحى أو تتساهل بازاء الشرق الاوسط لكى تتفرغ لحربها فى الهند الصينية . ذلك ان مصالح الولايات المتحدة فى الهند الصينية ليست أكبر من مصالحها فى البلاد العربية ، وآلة الحرب الامريكية لن تعجز ولو لفترة عن مواصلة تشديد عدوانها فى أكثر من منطقة . ولعل تصريحات المسئولين الامريكيين المتتالية عن خطر مواجهة

عالمية نتيجة لازمة الشرق الاوسط توضح مدى اهتمام الولايات المتحدة بالشرق الاوسط ومدى سذاجة التصور السابق .

ومن الطبيعى اذن ان نبنى توقعاتنا بالنسبة للسياسة الامريكية — بعد ادراك التطورات الداخلية فى أمريكا — علىضوء دراستنا لحقيقة وحجم المصالح التى تدافع عنها هذه المصالح .

المصالح الامريكية .. وتعمق الارتباط بين الولايات المتحدة والدولــــة الاسرائيليــــة

ماالذى يحدد موقف الولايات المتحدة الامريكية ازاء أى منطقة فى العـــالم لا ان هـــذا الموقف لايتحدد فى الاساس من زاوية التزامات أمريكا الدولية ازاءالسلم ومبادىء الاممالمتحدة باعتبارها احدى القوتين الدوليتين الكبيرتين ، فعلى نطاق العالم اجمع لايمكن تجاهل حقيقة أن سياسات الولايات المتحدة الباردة والساخنـــة انما تمثل الشكل رقم واحد أمام استتباب السلم وتطبيق مبادىء الامم المتحدة .

ان التزامات الولايات المتحدة هى التزامات ازاء مصالحها ، وهى بديهية يستحسن تكرارها من وقت لاخر .

والمصالح الامريكية فى الشرقالاوسط متشعبة ومتشابكة ، وهى مصالح اقتصادية ومصـــالح استراتيجية .

لقد اصبحت الولايات الامريكية اليوم — وبعد سلسلة التطورات التى جرت منذ فترة مابين الحربين العالميتين — صـــاحبة أكبر استثمارات أجنبية فى الشرق الاوسط . انها تمتلك حوالى ٦٠٪ من انتاج البترول العربى الذى تستثمر فيه حوالى بليونين من الدولارات . والى جانب استثمارات البترول تتواجـــد رؤوس الاموال الامريكية فى بعض البنوك فى البلاد العربيـــة وفى صناعات عديدة مثل صـــناعة التعدين فى المغرب ، ويوجد فى لبنانوحده ٧٠ شركةأمريكية تعمل بالتجارة والصناعة والمال .

وما زال الشرق العربى من أفضل الاسواق لمنتجات الولايات المتحدة لا فيزيد حجم التبـــادل التجارى بين الولايات المتحدة والبلاد العربيـــة على ١٠٠٠ مليون دولار ومن جملة فائض أمريكا فى تجارتها مع العالم والبالغ ٨٠٠ مليون دولار عام ١٩٦٨ كان فائضها مع الدول العربية وحدها ٥٠٠ مليون .

ثم هناك الاموال العربية المودعة فى البنوك الامريكية والتى تتراوح مابين ٥٠٠—٦٠٠ مليون دولار تستخدمها الاحتكارات المالية الامريكية فى استثماراتها وجنى الارباح منها .

والمصالح الامريكية فى البلاد العربية مصالح استـــغلالية صرفة . ان مجموع ماتســتخدمه الولايات المتحدة من أموال فى البترول العربى يبلغ ١٨٠٣ ملايين دولار ، اذا اســـقطنا منهـــا حوالى ٦٠٠ مليون هى أموال عربية مودعة فى البنوك الامريكية لاصبح مجموع ماتستخدمه من رؤوس أموال أمريكية لايزيد عن ١٢٠٠ مليون دولار أى أقل من ٢٪ من مجموع استثماراتها الخارجية ومع ذلك فان البترول العربى يمد الولايات المتحدة بأكثر من٣٣٪ من مجموعالارباح التى تجنيها من جميع استثماراتها الخارجية . ومن كل ماقيمته دولار يخرج من بترول الشرق العربىتأخذ منهحكومة البلد العربى ١٠ سنتات، ويعود منه سنتواحد الى عمالالبترول العرب، بينما تأخذ الحكومة الامريكية ٥٢ سنتا فى شكل ضرائب ويعود البـــاقى وقـــدره ٣٧ سنتا على الاحتكارات البترولية . وهـــذه الارقام وحدها كافية لوضع الولايات المتحدة فىموضع المستغل الاكبر لشعوب البلاد العربية .

وبالنسبة للمخططات الاستراتيجية الامريكية فان البلاد العربية بموقعها الفريد لاتقل أهميـــة عنها بالنسبة لمصالحها الاقتصادية .

لقد أكد **فوستر دالاس** « ان حلف الاطلنطى بنـــاء شاهق ولكنه أقيم على أسس واهيـــة لا وتدعيمه يقتضى اقامة حلف الشرق الاوسط » .

وأعلن ايزنهاور أنه « .. لا النظام العسكرى لمنظمة حلف الاطلنطى ولا استراتيجية المنظمـــة يملكان الاستهانة بأهمية منطقة الشرق الاوسط »

وعاود نيكسون ترديد الامر بقوله « ان علينا أن نقول للاتحاد السوفيتى بوضوح ان لدينا فى الشرق الاوسط مصالح لايمكن أن نتنازل عنها ، واننا على استعداد للمواجهة اذا اقتضى الامر دفاعا عن هذه المصالح » .

والاستراتيجية الامريكية من الالف الى اليـــاء هى استراتيجية رجعية للسيطرة على العـــالم يجسمها بشكل جلى استمرار الولايات المتحـــدة فى تدخلات واشتباكات مسلحة وبلا توقف منذ انتهاء الحرب العالمية الثانيـــة وحتى اليوم .. وهى لاتنظر الى الشرق العربى الا باعتباره أحد المفاتيح الهامة نحو السيطرة العالمية .

ولما كانت المصالح الامريكية فى البلادالعربية مصالح استغلالية رجعية ، تعادى المصالح الحقيقية للشعوب العربية ، فان علاقاتها بالبلاد العربية لايمكن ان تكون غير علاقات سيطرة ، ولابد لهذه السيطرة من قوة قهر تستند اليها . واذا كانت ظروف مابعد الحرب العالمية الثانية قد فرضت استحالة أن تحل القوات الامريكية مباشرة محل القوات الانجليزية والفرنسية التى اضطرت الى الانسحاب من البلاد العربية ،فلقد وجدت الولايات المتحدة بديلا لذلك فى :

١ ـ القواعد العسكرية التى غرستها فى اكثر من مكان فى البلاد العربية .

٢ ـ الحكومات الرجعية العميلة التى يمكن تحريكها ضد الحركة الوطنية فى بلادها من وراء ستار .

٣ ـ الانكشارية الاسرائيلية التى برهنت على كفاءتها فى كل لحظة حاسمة من تطور الاحداث فى البلاد العربية .

٤ ـ الاسطول السادس الامريكى الذى يقف كملجأ أخير للسيطرة الامريكية فى اللحظات الحاسمة عندماتفشل الوسائل السابقة ـ لسبب أو لاخر ـ فى كبح جماح الحركة الوطنية .

ولكن أحداث السنوات الاخيرة اثبتت لمخططى الاستراتيجية الامريكية ان القواعد العسكرية لم تعد تمثل حماية كافية ، وهى كثيرا ماتجد نفسها مضطرةلحماية نفسها وليس حماية غيرها من المصالح، بل ومن الممكن تصفيتها، والحكومات الرجعية العميلة اثبتت عجزها ـ دون مساندة مباشرة ـ عن كبح جماح الحركة الوطنية فى بلادها بل وأخذت تتهاوى الواحدة تلو الاخرى . والاسطول السادس غلت يده الحرة فى العربدة على شواطىء البحر الابيض بدخول الاسطول السوفيتى الى البحر . بينما اثبتت الانكشارية الاسرائيلية أنها القوة التى اثبتت كفاءة حازت اعجاب الغرب فى التصدى لحركة التحرر العربى وفى الوقت المناسب ومن هنا ذلك الارتباط الوثيق بين الولايات المتحدة والدولة الاسرائيلية فى الاونة الاخيرة والمتمثل فى تعهد أمريكا وسعيها بوضوح لان تضمن لاسرائيل تفوقا عسكريا على جميع جاراتها العربيات تحت ستار « حفظ ميزان القوى العسكرية فى الشرق الاوسط » .

سياسة العصا الغليظة ..

ضرورة استعمارية ..

قد لايجادل أحد حول الحقائق السابقة ،

ولكن التساؤل قد يثار فى صورة أخرى تقول : مادامت المصالح الامريكية بهذه الضخامة ، ومادامت روح العصرتنبذ استخدام القوة ،فلماذا لايؤدى خوف الولايات المتحدة على مصالحها الاقتصادية ، ومن تزايد النفوذ السوفيتى فى المنطقة العربية بسبب استطالة أمد الازمة ، لماذا لايؤدى الى أن تلقى الولايات المتحدة العصا الغليظة من يدها وتحاول أن تجد صيغة للتفاهم مع « القوى الجديدة النامية » فى البلاد العربية مما يتيح الفرصة لهذه البلاد لان تستفيد من التناقضات فى صفوف أعدائها ، وتسعى الى احداث تغيير عميق فى موقف الولايات المتحدة فى الصراع الدائر اليوم بينها وبين اسرائيل .

ولكن لنتذكر **أولا** : ان هذا التصور يفترض ان الصراع بيننا وبين اسرائيل هو صراع محلى، والامر على غير هذاالوضع . ان اسرائيل ليست مجرد دولة فى الشرق الاوسط تنازع على الحدود بينها وبين جارات لها . بل هى تجسيم لقوة استعمارية عالمية هى الحركة الصهيونية العالمية المتداخلة مع الاحتكارات الامريكية مما يعطى ابعادا اوسع للصراع ، علينا أن نكون واعين لها حتى لانقع فى مأساة التهوين من شأن العدو .

ولنتذكر **ثانيا** : ان القول الذى تروجه الدعايات الاستعمارية بأن استطالة أمد الازمة يخدم مصالح الاتحاد السوفيتى هو زعم مغلوط من أساسه وطعم قدمته هذه الدعايات للتشكيك فى نوايا الاتحاد السوفيتى ازاء المصالح العربية . ان مصلحة الاتحاد السوفيتى تكمن ـ الى جانب الدوافع المبدئية ـ فى الحيلولة دون انطواء الشرق الاوسط ضمن مناطق النفوذ الامريكية . وكلما طال الوقت على الازمة دون ما حل واضح كلما تزايدت الاتجاهات الانهزامية الداعية الى التفاهم مع الولايات المتحدة . ولذا فالواقع ان الولايات المتحدة هى التى تستفيد سياسيا واقتصاديا من اطالة أمد الازمة .

أما اذا جئنا الى القضية الاساسية المثارة حول امكانية أن تتخلى الولايات المتحدة عن سياسة العصا الغليظة فى مواجهة القوى الجديدة فى البلاد العربية ، فالواقع ان سياسة العصا الغليظة هى وليدة تطورات موضوعية فى كل من الولايات المتحدة والبلاد العربية .

لقد حاولت الولايات المتحدة ، وحاولت كل القوى الامبريالية ، قبلها ، مختلف الاساليب لترويض حركات التحرر ، واقناعها بالاكتفاء بفتات الموائد الاستعمارية ، ولكن فى كل حالة

اثبتت فيها حركة التحرر اصالتها وصلابتها متى كانت تواجه فورا بالعصا الغليظة .

لقد أسقط وعي الشعوب العربية كل محاولات الولايات المتحدة لفرض استمرار سيطرتها بأساليب الاستعمار الجديد ، لقد سقطت مشاريع النقطة الرابعة والاحلاف والمعاهدات الثنائية ومشروع ايزنهاور .. وغيرها من مشاريع مايسمى بالالتقاء بالقوى الجديدة . وتخطت حركة التحرر العربى اطار الاكتفاء بفتات المائدة الامريكية وأعلنت اصرارها على رفض أنصاف الحلول فيما يخص بتحررها السياسى والاقتصادى وبتطورها الاجتماعى المستقل . ومن هنا برزت سياسة العصا الغليظة .

ان الحالة الوحيدة التى أمكن فيهـا أن تقف احدى الدول الاستعمارية موقفا غير متحيز ازاء مشكلة الشرق الاوسط هى حالة فرنسا . وما كان من الممكن لفرنسا أن تتخذ هذا الموقف الا بعد أن كانت قد فقدت بالفعل كل مصالحها فى الشرق العربى ولم تعد فى حاجة الى الانكشارية الاسرائيلية لحماية هذه المصالح . ومع ذلك فان حالة فرنسا لايمكن تطبيقها بشكل ميكانيكى على علاقة الولايات المتحدة باسرائيل حتى لو فقدت أمريكا مصالحها فى البلاد العربية .

هنا نرى أن الفرضية التى تذهب الى أن أمريكا يمكن أن تقف موقفا غير متحيز فى ظل بقاء مصالحها الضخمة ، هذه الفرضية التى لاتسندها الوقائع ، يمكن أن تؤدى فى التطبيق الى نتائج قد لايسلم بها ولا يقبلها أصحاب هذه الفرضية لانها قد تؤدى فى التطبيق الى طريق الاكتفاء من الاستقلال بلافتة رسمية وحكومة ذات وجوه عربية والى طريق القوانين التى تسمح باستثمار رأس المال الامريكى وتحريم تأميمه ، طريق السماح للبنك الدولى بالاشراف على اقتصادياتنا وخططنا للتنمية بحيث لاتتعارض مع مصالح المصدر الامريكى ، طريق السماح للبعثات العسكرية الامريكية بأن تشرف على قواتنا المسلحة ، « ولفرق السلام » الامريكية بأن تدرس كل مقدساتنا الفكرية .. الخ . طريق ملاءمة أوضاعنا مع متطلبات حماية المصالح الامريكية القديمة والجديدة .

وقد لانتعرض فى وضع مثل هذا لعصا أمريكا الغليظة ، ومع ذلك فان هـذا لن يفض الحلف الصهيونى الامريكى القائم على اتفاق المصالح الاساسية .

لعبـة الاعتـدال والتطـرف

بين الولايات المتحدة واسرائيل ..

ان الاهتمام البالغ الذى تبديه الولايات المتحدة ازاء الوضع فى الشرق الاوسط فى هذه الايام لايعنى بأى حال أن هناك تغييرا فى السياسة الامريكية فى صالح العرب ، ان أقصى مايدل عليه — ان لم يكن نوعا من الخداع الدبلوماسى الذى استمرات ممارسته منذ يونيو ١٩٦٧ — هو أن الولايات المتحدة ربما تشعر أن الوقت الحالى أكثر ملاءمة لحل القضية بما يحقق مصالحها والمصالح الاسرائيلية. وليس أدل على ذلك من أنهم فى الوقت الذى يبدون فيه هـذا الاهتمام بحل ازمة الشرق الاوسط يتبنون وجهة النظر الاسرائيلية كاملة .

ان نيكسون يتحدث عن تغييرات فى الحدود يسميها « طفيفة » وهى كلمة مطاطة ، ويتحدث عن أن هذه « الحدود المقبلة ينبغى أن يتم التفاوض بشأنها بين الدول العربية واسرائيل » . وهو يعلن ان الولايات المتحدة معنية ببقاء ميزان القوى فى الشرق الاوسط فى صالح اسرائيل وانه بين أن « الاتحاد السوفيتى يساند الجمهورية العربية المتحدة عسكريا بقوة فان الولايات المتحدة تؤيد بقاء اسرائيل بحزم .. »

ان خبرة السنوات الاربع الماضية تبين بجلاء أن الولايات المتحدة كانت هى دائما التى تعلن مطالب اسرائيل الحقيقية، بينما يلعب حكام تل أبيب لعبة التطرف لتمرير المشاريع الامريكية . لقد ضربت الطائرات الاسرائيلية المصنع المدنى فى أبو زعبل فى عشية أحد المشاريع الامريكية وضربت مدرسة بحر البقر فى عشية مشروع ثان . وهـذا النوع من تنسيق العمل المتكامل ليس غريبا لا على السياسة الصهيونية ولا على السياسة الامريكية .

والذين يأملون فى أن تقف الولايات المتحدة الى جانب العرب وتضغط على اسرائيل عليهم أن يذكروا دائما ان الولايات المتحدة لاتستطيع — بحكم مصالحها — أن تقف الى جانب العرب. فحركة التحرر العربى لايمكنها أن تقوم بدور الحارس على المصالح الامريكية الا اذا قبلت هذه الحركة أن تتحول الى انكشارية تحمى المصالح الامريكية وتثبت أنها أكثر كفاءة من الانكشارية الاسرائيلية فى قمع حركة الشعوب العربية، وهما شرطان تبدو استحالتهما الواقعية من مجرد التفكير فيهما .

وفوق هذا كله فان الاتجاهات الرجعية فى العالم العربى التى تبنى مخططاتها على أساس تعاون عربى أمريكى يحل محل التعاون الاسرائيلى الامريكى ليست اتجاهات مضادة للشعوب العربية وحركتها التحررية فحسب بل هى مخططات خيالية أيضا . ونتذكر هنا أن كواليس السياسة العربية فيما قبل ١٩٥٢ قدمت على لسان اسماعيل صدقى مخططا قريب الشبه من ذلك عندما تصور تعاون مصرى اسرائيلى أمريكى مشترك لاستقلال الشرق العربى . ولقد اثبتت الاحداث والوقائع ان مثل هذا المخطط لم يكن رجعيا فحسب بل وكان خياليا أيضا ، اذ كان يفترض قيام علاقة مشاركة بين السمك الكبير والسمك الصغير فى بحر الرأسمالية الهائج .

بين خضوع للابتزاز

بل مواجهة ثورية

من بين مجموع الاحداث التى تتوالى ، يتبلور اتجاهان واضحان ازاء الموقف من الولايات المتحدة الامريكية :

وبعد . فلا يخفى ان الولايات المتحدة فى تعاملها مع الشعوب تتبع باستمرار طريقة الابتزاز بالحرب النووية وأخطارها المدمرة . وهدف هذا الابتزاز أن تفتح ثغرات فى جبهات الشعوب وان تجبرها على قبول ما لايتفق ومصالح الاستقلال والتحرر .

ومن الواضح ان القوى الثورية لا تخضع بحال لهذا الابتزاز . ان هذه القوى الثورية لا تستخف بمتطلبات السلم العالمى ، ولاتستخف بالحرب الذرية ، لكنها مع ذلك تواجه الامبريالية الامريكية مواجهة قوية . فاذا كان « **ميزان الرعب النووى** » لم يمنع الامبريالية الامريكية من شن ما تسميه بالحروب المحدودة ضد البلدان المستقلة وضد الكفاح التحريرى للشعوب ، فان هذا « الميزان » أيضا لن يمنع القوى الثورية من الصمود بثبات فى مواقع الاستقلال والتقدم الاجتماعى ، كما لم يمنعها هذا من شن حروبها الثورية ضد الامبريالية ، اذا ما اضطرته قوى الامبريالية الى القتال .

وليست القضية ولن تكون بالنسبة لنا أن ندخل حربا ضد الولايات المتحدة الامريكية أو لاندخل هذه الحرب لاننا فى هذا الموقف لسنا مخيرين اذا نظرنا الى أن الولايات المتحدة الامريكية هى التى تبادرنا بسياسة العدوان والاستفزاز ، ولن ننسى انه منذ عشر سنوات اضطرتنا الامبريالية الامريكية الى القتال فى اليمن فى حرب خاصة كان شعارها من جانب الولايات المتحدة « دع العربى يقتل العربى ويستنزف قوى الجمهورية العربية المتحدة » ثم فرض علينا القتال فى يونيو ٦٧ ، وكان الشعار الامريكى « دع الاسرائيلى يقتل العربى ويحتل أرضه ويوقف تقدمه » ..

على أن الامر الذى لا شك فيه هو أنه مهما بلغت شدة التعقيدات التى بسببها التدخل الامريكى فى مشكلة الشرق الاوسط .. فان الصمود والاصرار والمبادرة كفيلة بايجاد الحل .





مصر هى الهدف الاستراتيجى لاسرائيل

د. اسماعيل صبرى عبد الله

كشفت اسرائيل أخيرا ، وبصفة رسمية ، عن مطامع فى ارض مصر ، وظهر امام العالم كله جـزء مـن نوايا الصهيونية فى التوسع حيث مالم يكن منتظرا أن تتوسع اسرائيل ، ولكن أهم ما فى موقف اسرائيل هو أن يكشف أمامنا نحن هنا فى مصر حقيقـة الصراع الذى نواجهه ، ويبدد كل وهم فى امكان أن يأتى يوم يطمئن فيه شعبنا واسرائيل رابضة على حدوده .

حجة ساقطة : الامن الاسرائيلى

لقد دأبت اسرائيل منذ أن وجدت على اشاعة فكرة ان امنها مهدد ، وكانت الدعايات العربية التى يغنيها عن الفعل المتطرف فى الكلام تغذى الحملة الاسرائيلية وتسهم بانتظام فى نجاحها ، وهكذا تمكنت اسرائيل فى يونيه ١٩٦٧ من أن تعتدى على الدول العربية وغالبية الرأى العام العالمى يعطف عليها لانها تتوهم أن أمن اسرائيل مهدد ، وقد ترتب على هذا الوهم الذى استقر فى الاذهان ــ وتسرب حتى الى أذهان البعض منا ــ أن السلام فى المنطقة مرهون بما تحصل عليه اسرائيل من ضمانات توفر لها الشـعور بالامن ، وخطوة بخطوة أنزلقت المناقشـة الى طبيعة تلك الضمانات فاسرائيل تقول انها تتمثل فى حدود جديدة « أى من ضم أراض عربيـة جديدة . وغيرها يقترح قوة دولية ، أو التزام من الدول الاربع الكبرى ... الخ .

وحقيقة الامور غير ذلك تماما ، فليس هناك مشكلة أمن اسرائيلى أصلا ، اللهم الا اذا تخيلنا أن الكلمات يمكن أن تحل محل المدافع والصواريخ . وثمة وقائع يجب التذكر بها فى هذا الصدد :

١ ــ منذ أن وجدت اسرائيل لم يقتحم حدودها جندى عربى واحد ، وعدوانها فى ١٩٥٦ و ١٩٦٧ امر معروف لا يحتاج الى اثبات ، ولكن كثيرا ما ينسى البعض أن الصـهيونية كانت معتدية أيضا فى ١٩٤٨ ، فبينما كانت الحكومات العربية الرجعية غارقة فى الهمجية دون أدنى استعداد

جدى ، هاجمت « الهاجاناه » مدن يافا وعكا وغيرها من المناطق التى قضى قرار التقسيم على بقائها جزءا من دولة فلسطين العربية .

٢ ـ فى المستوى القانونى ، كل من اسرائيل والدول العربية أعضاء فى هيئة الامم المتحدة ، ويقع فى حقها الالتزام بعدم العدوان، وبحل المشكلات بالطرق السلمية،وليست اسرائيل بحاجة الى ضمان قانونى آخر .. ولو كانت ثمة حاجة لكفى قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذى ينص على حق كل دولة فى المنطقة فى الحياة داخل حدود آمنة ومعترف بها .

٣ ـ فى المستوى الواقعى تؤمن علاقات القوى على النطاق المحلى اسرائيل لسنوات طويلة . فقد تمكنت الدولة الصهيونية من بناء قوة عسكرية كبيرة تثبت بالتجربة كفاءتها .

٤ ـ كما أن علاقات القوى الدولية وما تلتزم به الولايات المتحدة بالذات من الدفاع عن اسرائيل يشكل ضمانا للدولة الصهيونية لا يمكن الاستهانة به .

٥ ـ ومن الناحية العسكرية لم تعد هناك حدود آمنة تماما بسبب تطور الاسلحة الحربية،وبالذات فى مجال الطيران والصواريخ ، ومن المعروف أنه لا يوجد على ظهر الارض مكان واحد بمنأى عن الاصابة بقذائف عدد ، ولذلك فان ضم الاراضى لتوفير حدود آمنة يسوق بالضرورة الى المزيد من الضم ، فاسرائيل تطالب باستمرار احتلالها لشرم الشيخ بحجة تأمين ملاحتها فى مضايق تيران ، وهذا يثير بالضرورة اعتبار حماية وجودها فى شرم الشيخ ، ومن هنا كانت المطالبة باحتلال شريط من سيناء يمتد من العريش الى أقصى الجنوب ، مع المطالبة بنزع سلاح بقية شبه الجزيرة المصرية ... وهكذا .

٦ ـ وأخيرا فان الخطر الوحيد الذى تتعرض له اسرائيل هو حركة التحرير الوطنى الفلسطينية، هو نضال الشعب المطرود من وطنه من أجل حقه فى الوجود على سطح الارض ، وهذا خطر لا يوجد أى ضمان ضده مالم تحل مشكلة فلسطين، ولا يمكن لاى شعب عربى أن يقبل أن تقوم حكومة بدور جلاد الفلسطينيين وحارس الوجود الصهيونى .

حتمية التوسع

ان دعوى الامن حجة ساقطة تتخفى وراءها المطامع التوسعية ، ان اسرائيل بالضرورة مندفعة الى ضم الاراضى الجديدة ، فالجزء الاساسى الفعال من سكان اسرائيل قادم من اوربا ، والقادمون لا يبقون فى الدولة الصهيونية ، الا اذا تحقق لهم بالقدر الادنى مستوى المعيشة الاوروبى ، والا لاصبحت « **أرض الميعاد** » فى نظر الكثيرين منفى فقيرا ، وعندئذ لابد أن تتوقف الهجرة الى اسرائيل ، بل لابد أن تنشط الهجرة منها ، لاننا بصدد قوم ألفوا الهجرة والتنقل ، ولكن الارض التى قامت عليها اسرائيل محدودة الموارد للغاية ، ولا يمكن بحال من الاحوال أن توفر باستمرار مستوى المعيشة الاوروبى لسكانها ، وقد تغلبت الصهيونية على ذلك خلال العشرين سنة الاولى بفيض لا مثيل له من المعونات والاموال التى أغدقها عليها الاستعمار والحركة الصهيونية،وهذا الفيض يستحيل أن يستمر الى الابد . ومن هنا كان حكام تل ابيب فى مأزق : أما التوسع على حساب الدول العربية المجاورة ، واما تخلخل أسس البنيان الصهيونى .

بل ان هناك ديناميكية خاصة للتوسع الاسرائيلى، فالحاجة الى الارض تدفع الى التوسع،وكل توسع يستغل لجذب مهاجرين جدد لدعم الوجود الصهيونى وتنفيذ المخطط التاريخى للصهيونية ، وزيادة المهاجرين تجعل الحاجة الى التوسع أكثر الحاحا ، وكلنا نذكر تصريحات أشكول فى أكتوبر ١٩٦٧ التى دعا فيها الى بناء اسرائيل الكبرى وحدد لها هدفا عشرة ملايين من السكان، وبوسعنا أن نتخيل الارض اللازمة لايواء سكان يفوق عددهم عدد سكان سوريا ولبنان والاردن مجتمعة .

واسرائيل كأى مشروع استعمارى تجرى وراء الاهداف التقليدية للاستعمار ، وفى رأسها نهب الموارد الطبيعية للشعوب الاخرى ، ولهذا فهى لا تبغى التوسع فحسب ولكنها تطمع على الخصوص فى الاراضى التى تنتظر منها خيرات جمة ، وكلنا يعرف أن سيناء لم تمسح مواردها حتى الان مسحا دقيقا ، ولكن الدراسات الاولية تبشر بوجود موارد معدنية غنية فى مقدمتها البترول،ومن أحلام الصهيونية أن اسرائيل الكبرى لابد أن يكون على أرضها عدد من العرب يمثلون عنصر « العمل الرخيص » اذ تؤدى السياسة العنصرية الى حرمانهم من الحقوق السياسية والمدنية وفرض الاجور المنخفضة والاعمال الشاقة عليهم .

وفى ضوء هذا كله نرى أن دولة اسرائيل من النيل الى الفرات « ليست مجرد تخيلات لعناصر متطرفة تعيش فى عصر غير هذا العصر ، وعلينا أن نتذكر أن مشروع **هرتزل** نفسه يجلب اليهود

من مختلف البلاد ليقيموا دولة فى قلب الوطن العربى ، استنادا الى أسطورة كانت تبدو قبل سبعين عاما أحلاما وتخيلات ، وها هى ذى دولة الصهيونية قد قامت بالفعل وتوافرت لها عناصر قوة وحملت فى كيانها جرثومة العدوان والتوسع تدفعها دفعا نحو هدف أعلنته رسميا حين رسمت على حائط مبنى الكنيست خريطة دولة صهيونية تمتد من النيل الى الفرات ، وهل تنسى ان الصهيونية تحاول تأييد مطامعها فى سيناء ، بالاستناد الى حديث **موسى** ؟

السيطرة الاقتصادية

على أن التوسع الاسرائيلى له حدود ودونه مصاعب ، فاسرائيل لا تتوسع فى خلاء ، وانما فى أرض لتعيش عليها أمة ذات حضارة عريقة ، قد خسرت فى تاريخها الطويل معارك كثيرة ، ولكنها كانت تنتصر فى النهاية وتحافظ على وجودها وشخصيتها القومية ، وربما كان مايجذب اسرائيل فى سيناء بالذات ما تشيعه دائما من أنها صحراء لا يقطنها الا قلة من البدو الرحل ، ولكن الشعب المصرى يرى فيها منطقة غالية من أرض الوطن شهدت امجادنا الخالدة ومعاركنا الفاصلة ضد الغزاة فى عصر **أحمس** الى عصر **صلاح الدين** وعلى أية حال فان اسرائيل تسعى فى الوقت ذاته الى السيطرة الاقتصادية على الشرق العربى . « **فالعقلاء** » هناك يرون انه ليس من الضرورى ان تمتد اسرائيل سياديا من النيل الى الفرات لتستكمل عناصر الاستعمار الاستيطانى بتوفير اتساع الرقعة واليد العاملة الرخيصة ، وانما يمكن أن تكون اسرائيل داخل « **حدود اقليمية معقولة** » قاعدة صناعية تسيطر اقتصاديا على المنطقة المحيطة بها دون حاجة الى احتلالها عسكريا وتحمل عبء ذلك الاحتلال ومايثيره بالضرورة من مقاومة . فالحلم الذى يردده حتى بعض اولئك الذين يتكلمون فى اسرائيل عن السلام مع العرب هو تحقيق « **التكامل الاقتصادى** » للشرق الاوسط على أساس أن تكون اسرائيل قاعدته الصناعية ، وتكون الاقطار العربية مورد المواد الاولية وسوق تصريف المنتجات الصناعية ، فالصناعة الاسرائيلية فى أمس الحاجة الى المواد الاولية التى تزخر بها البلاد العربية تستثمر فيها خبراتها الفنية ورؤوس الأموال الاستعمارية الضخمة التى تستطيع تعبئتها ، وسوق اسرائيل الداخلية ضيقة لاتستوعب انتاجا يذكر ، والمنافسة فى الاسواق الاوروبية والامريكية عسيرة ، ومن ثم كان أمل اسرائيل هو أن تستوعب البلاد العربية بعشرات الملايين من سكانها وبما تملكه من موارد مالية ، انتاجها الصناعى ، وليس هذا مجرد استنتاج أو استقراء للنوايا . فالمسئولون فى تل أبيب يرددونه ، وحتى حين يكتب بعضهم فى الصحف الاجنبية مظهرا الرغبة فى تحقيق التعايش السلمى مع العرب لا يتردد فى التصريح بذلك ، فهذا الاقتصادى الاسرائيلى **شارل مزراحى** يكتب فى مجلة « اسبرى » الفرنسية (عدد سبتمبر ١٩٦٦) فى غير موارية : « **ان البلاد العربية تنتج البترول والقطن وغيرهما من المواد الاولية التى تحتاج اليها الصناعة الاسرائيلية ، ونحن نملك من أسباب التقدم التكنولوجى ما يسمح لنا بتصنيع تلك المواد وتزويد الاسواق العربية بما تحتاج اليه من منتجات صناعية** » . وفى ذهن قادة الاقتصاد الاسرائيلى ذكريات فترة الحرب العالمية الثانية ، حين نشأت الصناعات اليهودية الاولى فى فلسطين ، وأهمها الادوية ، وكان انتاجها يباع فى الاسواق العربية بفضل قرارات « مركز تموين الشرق الاوسط » البريطانى .

بل أكثر من ذلك يمكن — فى نظرهم — **أن تصبح** اسرائيل بمثابة « **كنتوار** » للاحتكارات العالمية تقيم فيها المصانع للتجميع والتركيب والتجهيز للكثير من منتجاتها التى تبيعها بالفعل فى الاسواق العربية ، كما تطمع اسرائيل فى أن تلعب دور الوسيط فى تصريف حاصلات ومنتجات البلاد العربية فى أوروبا الغربية وأمريكا ، وبهذا كله **تصبح حيفا وتل أبيب** منفذ المنطقة كلها الى العالم الخارجى ، وتضرب فى طريقها الاقتصاد اللبنانى الذى يعتمد بشكل أساسى على تجارة الترانزيت وأعمال الوساطة .

وبعبارة أخرى تعرض اسرائيل علينا كأساس للسلام والوئام « **الميثاق الاستعمارى** » **الذى** فرضه الاستعمار على كل المستعمرات فى القرون الماضية ، والخلاف بين « المتطرفين » والمعتدلين فى تل أبيب ليس خلافا حول الهدف ، وانما حول الوسائل ، فأولئك يريدون فرض الميثاق الاستعمارى بالقوة ، بأساليب الاستعمار القديم ، وهؤلاء يرون أن هذا الاسلوب يجافى روح العصر ، ومن ثم لابد من الاعتماد على أساليب الاستعمار الجديد التى تخدم بقدر الامكان مظاهر الاستقلال السياسى للدول الخاضعة للاستغلال ، ثم تحيطها بشبكة كثيفة من الروابط الاقتصادية التى تزيد ما يقع على شعوبها من استغلال .

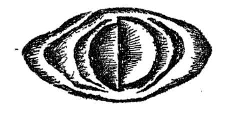
مصر هى العقبة الكبرى

وواضح أن العقبة الاساسية أمام كل التخطيط الصهيونى هى مصر ، فامكانياتها البشرية والاقتصادية والحضارية تجعلها الدولة العربية الوحيدة القادرة على الصمود فى مواجهة عسكرية مع اسرائيل ، وقد زاد خطر مصر بتفجر الثورة

على ضفاف النيل وانطلاق شعبنا بخطوات ثابتة فى طريق التقدم الاقتصادى والاجتماعى واسترداد مصر لوجهها العربى ايمانا منها بأن مصيرها مرتبط بمصير شقيقاتها العربيات ، رباطا اعمق من كل الخلافات وأدوم من كل الحكومات وأعرق من كل الفرق والاتجاهات لانه رباط التاريخ والحضارة والمصلحة المشتركة ، ولذلك فان اسرائيل تدرك أن أمام أى توسع اقليمى لابد من أن يحسب حساب رد فعل القاهرة ، ولسنا فى حاجة هنا الى الاستشهاد بتصريحات زعماء اسرائيل ، ويكفى دليلا على ذلك الوقع المر للساحة العربية حيث تكاد القوات المسلحة المصرية تتحمل وحدها عبء المواجهة .

وفى المدى الطويل يشكل تصنيع مصر التحدى الاساسى لاحلام السيطرة الاقتصادية التى تداعب تل أبيب ، فان لهذا النظر من الموارد البشرية وفى العراقة الحضارية ومن الموقع الجغرافى ما يؤهله لان يكون بلدا صناعيا بمعنى الكلمة تقف صناعته فى وجه غزو الصناعة الاسرائيلية للمنطقة .

ولكل ذلك تركز اسرائيل كل جهودها ضد مصر ، فاما أن تقهرها عسكريا وتحطم فيها ارادة المقاومة واما ان تستدرجها الى المفاوضة ، وعقد معاهدة صلح تنهى ارادة المقاومة وتسجل الاستسلام ، ان اصرار اسرائيل على احتلال شرم الشيخ ليس الغرض منه ضمان الملاحة فى خليج العقبة وانما اجبار مصر على التسليم فى جزء من أرضها ، واستخدام هذا الجزء فى النيل من أعماق البلاد فى الصعيد فى أى صدام مسلح جديد ، والحاح تل أبيب على المفاوضة وعقد معاهدة صلح يمهد فى نظرها لتبادل العلاقات الدبلوماسية وانشاء علاقات اقتصادية ، أى فتح الطريق أمام سيطرة اسرائيل اقتصاديا على المنطقة كلها ، وعلينا أن نعى معنى كلمة **جولدا مائير .. « لن يكون هناك سلام فى المنطقة الا حين يكون بوسعى أن أذهب فى سيارتى من تل ابيب الى القاهرة فى أى وقت »** اننا لا نخوض معركة تضامن مع الشعب الفلسطينى فحسب ، وانما نحن نخوض أولا وقبل كل شىء معركة دفاع عن مصر نفسها ، عن أرضها ، عن حقها فى التطور المستقل ، عن مستقبل الاجيال القادمة من ابنائها ، وعلينا ونحن نسعى للتسوية السياسية الا ننسى لحظة واحدة حقيقية نوايا العدو ، وأن نأخذ فى يومنا الاحتياط لغدنا ، وان معركة مريرة اليوم يمكن أن تكون أهون بكثير مما نعانيه فى الغد لو خدعنا فى نوايا العدو ومكنا له حيث يريد مواقع للقفز ، غدا نحو ما هو أوسع وأعمق .



انتمـــاء مصـــر العـــربى

شـــرط تحقيـــق النصـــر



د. ابراهيم سعـــد الدين

تمر الثورة العربية التحررية فى هذه الفترة التاريخية بمرحلة حرجة ، تنبعث أساسا من امتداد واستمرار الاحتلال الصهيونى للارض العربية ، ومن الضغط المتوالى للاستعمار العالمى وعلى رأسه الولايات المتحدة الامريكية الساعية لاستغلال النصر العسكرى الصهيونى من أجل تصفية الثورة العربية . وبالاضافة الى هذه الضغوط الخارجية تعانى الثورة العربية كذلك من اشتداد ساعد القوى الرجعية التى تستند الى تأييد الاستعمار ودعمه والتى انتهزت هى أيضا فرصة الهزيمة العسكرية التى حاقت بالقوى العربية الاكثر تقدما من أجل شن حملة لا هوادة فيها على التقـــدم والقوى الثورية . وأخيرا فان أزمة الثورة العربية تنبعث أيضا من الانقسامات الكثيرة والمتعددة فى صفوف الحركة الثورية ذاتها التى تعكس شدة الازمة التى تواجهها من ناحية وضعف النضج الثورى الناتج عن التخلف الاجتماعى والحضارى من ناحية أخرى .

وتجتاز الثورة العربية هذه المرحلة الحرجة فى وقت تنتقل المواجهة فيها بين مصر واسرائيل من مرحلة العمـــل الســـياسى والدبلوماسى الى مواجهة عسكرية يمكن أن تهدد لا مصـــير مصر وحدها بل مصير العالم العربى كله لفترة تاريخية طويلة مقبلة . وتبرز هذه الازمة للمصريين على وجه خاص فى أن جيشهم دون الجيوش العربية كلها هو الذى يواجه عبء المعركة العسكرية وحده ، وفى أن الجبهة الشرقية الاقرب الى قلب اسرائيل والقادرة على توجيه ضربات أعنف لهـــا بتكاليف أقل لم تتكون قط رغم كل الجهود المتوالية التى بذلت خلال أربـــع سنوات تلت الهزيمـــة العسكرية . وان السلطة الاردنية تركز كل طاقتها فى تصفية الثورة الفلسطينية وعناصرها الفدائية بشكل خاص ، ومهما كانت الصعوبات .

ومهما يكن من أمر ، فانه لابد وأن ننبه الى خطورة أى اتجاه يحاول عزل قضيتنا الوطنية عن الثورة العربيـــة فى مجموعها . ولعلنـــا نستطيع أن نصوغ الرد على أى موقف انعزالى من هذا القبيل فى الاسئلة التالية :

هل يمكننا حقا أن ننعزل عن الثورة العربية ؟ وما هى مصلحة مصر الوطنية فى مواصلة النضال من أجل تحقيق التضامن العربى والثورة العربية الشاملة ضد الاستعمار ! وما هى امكانيات هذه الثورة الواقعية ؟ . وأخيرا ما هى العقبات التى

تواجه الثورة العربيـــة .. وكيفة يمكن التغلب عليها .

الانعـزال عن الثورة العربية يضر بمصالح مصر الوطنية :

ان من يقـــولون بضرورة التركيز على مصر وحدها ، ينطلقون فى رأينا من أحد موقفين : موقف أولئك الذين يودون لمصر ذاتها ان تكون جزءا من المعسكر الرأسمالى العالمى ، يتم نموها فى اطاره حيث تصبح مصر جزءا من هذا السوق ومرتبطة به ارتباطا عضويا ، ويمكن فى اطاره للبرجوازية المصرية أن تلعب دورا — وان كان ثـــــانويا ومحصورا — فانه دور مريح لبعض فئاتها وخاصة تلك المرتبطة ارتباطا مباشرا بالشركات الرأسمالية الاجنبية . فهؤلاء لا يرون ما يبرر — ليس فقط النضال ضد الاستعمار العالمى فى العالم العربى — بل انهم أيضا لا يرون ما يبرر هذا النضال فى مصر ذاتهـــا . فغايتهـــم النهائيـــة هى « مصر الرأسمالية » التى يحققون لانفسهم فيها أقصى الارباح حتى ولو كان ذلك على حساب الشعب العامل .

أما **الموقف الثانى** فهو موقف بعض العناصر الوطنية التى تتبنى رأيا نعتقد فى خطئه . فهـــم يميزون بين نضال مصر فى سبيل تحرير أرضها وتحقيق تطورها الاجتماعى وبين نضالهـــا مـــع أشقائها وعلى رأس هؤلاء الاشقاء ضد الاستعمار العالمى فى المنطقة العربية . وهم يعتقدون أنه وان كان هذا النضال المصرى يساعد العرب فى تحقيق استقلالهم وتطورهم — وهو أمر مرغوب فيه بواسطة هذه الفئات الوطنية — الا أن هذه المساعدة تتم على حساب الموارد المصرية ، وعلى حســـاب شـــعبها ، وان الموارد المصرية كلها يجب أن تركز لخير شعب مصر . خاصـــة وان النضال المصرى الى جانب العرب لا يجد — فى اعتقادهم — الاستجابة المناسبة له ، كما يقولون ان العرب كثيرا ما يتقاعسون عن النضال ، وعن أداء ما هو ضرورى للدفاع عن مصالحهم ويتوجهون بدلا من ذلك باللوم الى مصر ..

واذا كان الموقف الاول غير جديد بالمناقشـــة لاختلاف أهداف من ينادون به عن أهداف الاغلبية العظمى من أبناء شعبنا ، فاننا لابد أن نعير التفاتا كبيرا لرأى الفئات الوطنية ، خاصة فى فترة يبدو فيها أن مصر تحمل وحدها عبء النضال العسكرى ضد اسرائيل ، وذلك على الرغم من هذه الحقيقة الواضحة وهى أن اسرائيل لا تهدد مصر وحدها ، وانما تهدد العالم العربى اجمع . وهى لا تحتل أرض مصر وحدها وانما تحتل أراضى ثلاث دول عربية بالاضافة الى فلسطين كلها .

ان أول ما يجب ان نلفت اليه النظر هى حقيقة الترابط الشديد بين مصر وبين البلاد العربية بصورة يستحيل معها حفاظ مصر على استقلالها فى اطار من تبعية الشعوب العربية الاخـــرى للنفوذ الاستعمارى . كما يجعل من المستحيل — فى نفس الوقت — على البلاد العربية أن تحقق استقلالها ونموها اذا ما سقطت مصر فى دائرة هذا النفوذ،أو اذا امكن بصورة أو أخرى — ولفترة معينة من الزمن — عزلها عن أى تأثير فعال فى المنطقة . ان هذا الترابط هو انعكاس لاوضاع مصر الجغرافية والسكانية والاقتصادية والثقافية . فمصر تقع فى قلب العالم العربى تصل بين اجزائه الاسيوية والافريقية ، وتشرف على أهم طـــريق استراتيجى فيه وهو قناة الســـويس ، الممـــر الاســـاسى لبـــتروله الى أوروبا . وهى تشرف بشواطئها على كل من البحر الابيض والاحمر . فموقعها الاستراتيجى لازم لاى مستعمر يرغب فى تمكين سيطرته على هذه المنطقة . خاصة وان مصر بعدد سكانها الذين يبلغون نحو ثلث السكان العرب ، ومستوى ثقافتهم وقدراتهم الاقتصادية والتكنولوجية ، تؤثر بسلوكها وبتطورها تأثيرا شديدا فى كل جزء من العالم العربى بعـــد عن القاهرة أو قرب ، وسواء اتخذ حكامه من القاهرة موقف الصداقة أو موقف المعاداة .

ان هذه الحقيقة تعنى أن الاســـتعمار ، اذا ما سيطر على المنطقة العربية خارج حدود مصر — فان تحقيق أمنه واستكمال سيطرته لابد وان يؤدى به الى الضغط المتوالى والمستمر على مصر بغرض اخضاعها لارادته وتحديد طريق نموها وتطورها فى اتجاه لا يختلف أو يتعارض مع ما يعتقد أنه يحقق مصالحه . ومن ناحية أخرى ، فان وقوع مصر تحت النفوذ الاستعمارى ، أو عزلتها تمكنان للاستعمار فى المنطقة ، حيث تفقـــد الشعوب العربية قاعدة هامة من قواعد النضال وينفرد الاستعمار واسرائيل بدول عربية صغيرة وضعيفة يسهل اخضاعها لنفوذه . ان دراسة تاريخ الصراع بيننا وبين الاستعمار فى خلال الثمانية عشر عاما الماضية ، يوضح أن الاستعمار كان يركز على مصر دائما حتى يتسنى له اخضاع باقى العالم العربى لنفوذه أو عندما يواجه صعوبات فى سبيل بقاء سيطرته على هذه المنطقة . ومن ناحية أخرى فان الاستعمار كان يستند دائما الى قواعده فى البلاد العربية عند مهاجمته لمصر . فمصر هى الدولة العربية التى تعرضت لهجـــوم اسرائيل ربيبة الاستعمار فى أعـــوام ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ ،

١٩٥٥ ، ١٩٥٦ على التوالى سواء كان ذلك بهدف اجبار مصر على الانضمام للاحلاف العسكرية فى خلال السنوات الاولى للثورة . أو لضرب سياسة الحياد الايجابى والقضاء على تأثيرها على حركة التحرر العربى التى اشتعلت فى نفس الوقت فى المشرق والمغرب العربى ، وبغض النظر عن حقيقة أن ثورة الشعوب العربية ترتبط **أساسا** بنمو التناقضات الداخلية فى كل قطر عربى وان الدور المؤثر للقاهرة لا يعدو أن يكون عاملا مساعدا — وان كان هاما — من عوامل انتشار الثورة ، فقد اعتبرت مصر مسئولة سواء عن نضال الشعب الاردنى والفلسطينى الذى أسقط محاولة ضمه الى الاحلاف وطرد جلوب باشا فى عام ١٩٥٦ وعن ثورة الشعب الجزائرى المسلحة فى نفس الفترة . وكانت هذه الرؤية التى توافرت للقوى الاستعمارية سببا مباشرا فى التحالف الثلاثى الذى وجه عدوانه الى مصر فى عام ١٩٥٦ من ثلاث دول — يريد كل منها الخلاص من حكمها الوطنى ليتمكن من تحقيق سيطرته على أجزاء أخرى من الوطن العربى أو لسلب مزيد من أرض هذا الوطن ، واستخدام الاستعمار فى هجومه على مصر كل قواعده القريبة خاصة فى ليبيا والعراق .

وعلى العكس من الاثار السلبية التى كانت للوجود البريطانى فى ليبيا فى عام ١٩٥٦ ، فان قيام الثورة الليبية فى أول سبتمبر سنة ١٩٦٩ كان أحد العوامل الهامة فى تعميق جبهة النضال العربى ، وفى تقوية نضال القوى التحررية بما فيها مصر . وكان لليبيا المستقلة دور هام فى توثيق ارتباط فرنسا بقضية الشرق الاوسط وفى استمرار موقفها المستقل والداعى الى جلاء اسرائيل عن الارض المحتلة . ان زيادة الارتباط الاقتصادى بين ليبيا وفرنسا لعب دورا هاما فى هذا السبيل . ومن ناحية أخرى فقد كانت ليبيا المستقلة هى الدولة الاولى التى حاولت استخدام ميزاتها الجغرافية وأهميتها كمصدر من مصادر البترول لتفرض على شركات البترول الاستعمارية دفع ثمن أكثر ارتفاعا لبترولها . وكان نجاحها هو العامل الذى حرك ضغوطا أخرى بوساطة منظمة الاوبك أدى الى حصول الدول المنتجة للبترول جميعا على نصيب أكبر من عائدات بترولها . ورغم ما قد يبدو من عدم الارتباط بين هذه الخطوة ، وبين قضية الصراع فى الشرق الاوسط ، فقد كان ارتفاع أثمان البترول أحد المؤثرات الهامة على بعض الدول الغربية جعلها أشد اهتماما من أى وقت مضى بضرورة انهاء النزاع الحالى لتحقيق فتح قناة السويس أقصر الطرق وأرخصها لنقل البترول العربى الى أوربا .

وخلاصة القول اذن أن استقلال البلاد العربية وحريتها هو شرط أساسى لحماية استقلال مصر ذاتها كما أن تحرر مصر هو شرط موضوعى لامكان تحقيق الشعوب العربية لحريتها . فثورة السودان وليبيا وغيرهما ما كان من المحتمل أن تحدث أو أن تستطيع الثبات والاستمرار دون وجود مصر المستقلة والمؤازرة للنضال التحررى للشعب العربى .

واذا كان استقلال الشعوب العربية هو شرط لحماية استقلال مصر ، فانه بالاضافة الى ذلك شرط لتقدمها الاقتصادى . أن نمو الصناعة المصرية يرتبط ارتباطا أساسيا بنمو التبادل الاقتصادى بين مصر وبين العالم العربى المحيط ، والتخطيط الاقليمى للنمو الاقتصادى الذى تشترك فيه البلاد العربية جميعا ، وخاصة ذلك الذى يتم بين البلاد المتجاورة — مصر وليبيا والسودان مثلا — يمكن أن يؤدى الى المسارعة بالنمو الاقتصادى لكل هذه البلاد . والتطورات التكنولوجية المعاصرة ، وما يرتبط بها من ضرورة زيادة حجم الوحدات الانتاجية يتطلب وجود سوق مشتركة للصناعات العربية ، كما يتطلب التنسيق الكامل بين البلاد العربية وتحقيق أعلى قدر من التخصص وتقسيم العمل يسمح بنموها جميعا بأعلى المعدلات . وشرط حدوث هذا التنسيق والتعاون الاول هو الاستقلال السياسى والاقتصادى لهذه البلاد .

ومن هنا فان تحقيق أهداف شعب مصر فى الاستقلال والنمو الاقتصادى تتطلب أكبر قدر من التعاون السياسى والاقتصادى العربى . ورغم ما قد يحسه بعض المصريين بين الحين والاخر من أن بعض العرب « يتخلون » عن أداء واجبهم القومى . فان واجب المصريين نحو أنفسهم أولا ، يتطلب المزيد من الاهتمام بدفع العمل العربى ، لا الانسحاب والانغلاق على أنفسهم فى مصر . وهو مايسعى اليه الاستعمار والصهيونية ويسعيان الى تحقيقه . ولكن الى أى حد تصح دعوى بعض المصريين عن تخلى العرب عن النضال القومى ؟ هذا ما سنحاول الاجابة عليه فيما يلى :

النضال العربى .. ماذا حقق وما هى أوجه قصوره ؟

لا يوجد ، ولم يوجد حتى الان ، النضال الثورى الذى استطاع أن يحقق صعودا متواليا ومستمرا من مرحلة الى أخرى ومن انتصار الى آخر دون

توقف ودون صدامات ، ودون تراجعات فى بعض الاحيان . والثورة العربية مثلها كمثل كل الثورات الاخرى تمر بمراحل معينة من المد الثورى تحقق فيها انتصارات متتالية ، كما تمر أيضا بمراحل من الجمود والتردد، بل والتراجع فى بعض الاحيان أيضا . أن ما تتعرض له الشعوب فى فترات التراجع والجزر هو فى العادة اشد قسوة ووطأة من كل التضحيات التى تقدمها فى مراحل المد والانتصارات . وبينما قد يتصور البعض فى مراحل الانتصار والمد سهولة المعركة وقرب النصر وامكانية تحطيم كل العقبات بضربة واحدة ، فان مثل هؤلاء هم أنفسهم الذين يفقدون كل أمل ويرون استحالة التغيير وابدية التخلف وعدم امكانية ازاحة السيطرة الرجعية فى ساعات الشدة وفترات الجزر الثورى . ان كلا الاتجاهين هما فى الواقع تعبير عن قصر النفس الثورى ، وعدم التقييم العلمى لطبيعة النضال الذى تخوضه وقدرات العدو الذى تواجهه .

ولسنا فى حاجة الى متابعة انتصارات الثورة العربية فى خلال الخمسينات والستينات بصفة عامة . وما استطاعت أن تحققه من تصفية الوجود الاستعمارى فى دولة اثر أخرى من الدول العربية . وما استطاعت أن تحققه بالاضافة الى ذلك من السير فى طريق النمو الاقتصادى المستقل والتطور الاجتماعى فى عدد من البلدان . كما اننا لسنا فى حاجة أيضا لمتابعة الانتكاسات التى واجهتها الثورة العربية خلال تاريخها النضالى الطويل . وانما يكفينا أن نتابع مسار النضال العربى فى خلال الفترة التى تلت الهزيمة العسكرية فى يونيو سنة ١٩٦٧ .

ان صمود الشعب المصرى الذى عبر عنه فى حركة الشعب العفوية وغير المنظمة فى التاسع والعاشر من يونيو سنة ١٩٦٧ ، قد واكبها حركة شعبية مشابهة فى كل الاقطار العربية وكان هذا تعبيرا عن ارادة كل شعوب العرب فى مواصلة الكفاح وعدم الاستسلام لليأس أو التسليم للعدو رغم انتصاره العسكرى المذهل . وكان لحركة الشعب العربى العارمة آثارها فيما بعد ، فى موقف كل الحكومات العربية التى وجدت نفسها ملزمة فى مؤتمر الخرطوم بتوحيد صفوفها واتخاذ موقف موحد يتضمن رفض كل تسليم للعدو ودعم البلاد التى تأثر انتصارها القومى بالاحتلال العسكرى الصهيونى تمكينا لها من الصمود الاقتصادى ومواصلة الحشد من أجل تغيير توازن القوى الذى كان قد اهتز بشدة لصالح اسرائيل والاستعمار بعد تحطيم الجيش المصرى فى سيناء. واذا كان البعض قد يرى فى هذا جهدا متواضعا فى سبيل المعركة من دول تمتلك الكثير من الامكانيات التى تستطيع أن توفرها — وهذا صحيح — فمن الضرورى هنا أن نتذكر أن هذا القليل ذاته لا يتم الحصول عليه كنتيجة للموقف الشخصى ، أو الذاتى لهذا الحاكم أو ذاك . وانما هو حصيلة لضغوط معينة للشعوب العربية ،وهى ضغوط تقدر أحيانا على تحقيق بعض الانتصارات وتفشل أحيانا أخرى فى الوصول الى أهداف أبعد أو أكثر تقدما . وبغض النظر عن مدى الجهد وتواضعه فلاشك أن الشعوب العربية بضغطها قد آزرت مصر ومكنت شعبها من استمرار الصمود فى أشد الأوقات حرجا . أو على الاقل حدت من الثمن الذى كان لابد أن ينفق من أجل تحقيق مثل هذا الصمود .

وبالاضافة الى الدعم الاقتصادى فلا شك أن انتصارات حركة التحرر العربية فى خلال الفترة بعد العدوان قد عمقت من النضال العربى فى مواجهة الاستعمار وهز اسرائيل بالتالى . لقد كان الاستعمار يأمل أن تتحطم مصر وتتحطم معها الثورة العربية كلها. ولكن نضال الشعوب العربية مكن من تحقيق جلاء البريطانيين عن عدن . وقامت ثورة السودان فى مايو سنة ١٩٦٩ كما قامت الثورة الليبية فى أول سبتمبر من نفس العام . وأمكن بعد ذلك تحقيق الجلاء عن ليبيا ، جلاء القوات البريطانية ، وتصفية القاعدة الامريكية . ودعمت كلا الثورتين قوى المواجهة العربية، وعلى الاخص مصر فألحقت الجبهة المصرية من ناحية وصفت الوجود الاستعمارى المحيط بها من الناحية الاخرى . وكان تحرر ليبيا والسودان أساسا للتخطيط المشترك بين الاقطار الثلاثة ، وللعمل المشترك أيضا ، كما مهد السبيل لتحقيق درجات اكثر تقدما على طريق الوحدة : فكان ميثاق طرابلس الذى انضمت اليه سوريا فيما بعد ليصبح أساسا لجهد جديد تبذله الدول الاربعة معا فى مواجهة العدوان ومن أجل تحرير اقتصادها وتطويره بعد تصفية آثار العدوان .

على أن أهم تحركات الشعوب العربية فى الفترة التالية للهزيمة العسكرية كانت هى بلا شك نضال الشعب الفلسطينى من أجل تحرير الارض التى احتلت واستعادة حقوقه الشرعية . واذا كان أبرز مظاهر هذا الصراع هو بدء العمل الفدائى المسلح ، فان نضال الشعب الفلسطينى الاعزل فى الضفة الغربية وفى غزة فى مواجهة الغزو الصهيونى لايقل فى أهميته عن العمل الفدائى بأى حال من الاحوال . ان صمود الرجال والنساء والاطفال ومظاهراتهم وبطولاتهم المتعددة كانت

بلا جدال احد العوامل الحاسمة فى تعرية حقيقة الاحتلال الصهيونى وقسوته وطبيعته الفاشمة . وكان لهذا النضال أثره الحاسم فى الرأى العام العالمى الذى كانت الصهيونية قد استطاعت خداعه مدعية بأن اسرائيل قد نشأت فى أرض لم تكن مأهولة وعمرت بلادا لم يكن يسكنها أحد . وقد بدأ كفاح الشعب الفلسطينى سواء فى المناطق المحتلة أو بواسطة قواه الفدائية التى اتخذت قاعدة لها البلاد العربية المجاورة ، فى وقت كانت الهزيمة العسكرية وما استلزمته من اعادة بناء القوة العسكرية لمصر قد فرضت على القوات المصرية الصبر على عديد من استفزازات العدو وتبجحه وعدوانه . وادت المقاومة الفلسطينية بذلك دورا حاسما **أولا** فى حشد وحفز الشعوب العربية على مواصلة النضال لتحرير الارض وتصفية العدوان الصهيونى ، **وثانيا** فى اقلاق العدو وعدم تمكينه من استيعاب فتوحاته العسكرية ، **وثالثا** فى احياء قضية الشرق الاوسط وابرازها للرأى العام العالمى فى وقت كانت اسرائيل تحاول أن تجمد القضية وتضعها فى زوايا النسيان . وكان هذا النضال الفلسطينى فى وقت خلت فيه الساحة من كل نضال فعال سواه عاملا حاسما فى تحقيق الصمود على الجبهات العربية كلها بما فى ذلك الجبهة المصرية

حقا لقد تميزت نفس الفترة بعدد من المظاهر السلبية والاخطاء ونواحى القصور ، كان من أبرزها **الانغماس** فى المتاجرة بالجمل الثورية كبديل عن العمل الشاق والجاد من أجل تحرير الارض وتحقيق ماهو ممكن بالفعل . لقد هزت الهزيمة العسكرية الثقة لدى الكثيرين فى امكانيات الجيوش المنظمة التى حملت ظلما بأسباب الهزيمة ، فاندفعوا يرددون شعارات عن الحرب الشعبية . وكان النداء فى بعض الاحيان نابعا عن رغبة فى التهرب من المسئوليات المحددة التى يتطلبها الموقف لتحقيق الشروط اللازمة للنصر . ولكن النداء جذب فى نفس الوقت قطاعات هامة من العناصر الشابة المؤمنة بأوطانها وبحريتها والتى رأت فى المثال البطولى فى فيتنام نموذجا يحتذى الا انها حاولت تكراره دون أن تحقق الظروف الموضوعية التى جعلت ذلك النموذج فى فيتنام والهند الصينية ممكنا . ونعنى بذلك وجود القيادة السياسية الموحدة القادرة على تحديد أهداف واضحة وممكنة التحقيق فى نفس الوقت . والتى تعتمد على العمل السياسى بين الجماهير كأساس لكل عمل عسكرى . وبدلا من الوحدة الوطنية على الساحة الفلسطينية فقد تعددت التنظيمات ، وحاول هذا التنظيم أو ذاك أن ينسب لنفسه أكثر مما يحقق فى الواقع . وبدلا من ضم جهود كافة الدول العربية المتحررة من أجل تحقيق وحدة فى العمل السياسى والعسكرى لتضيق الخناق على العدو حاولت بعض القيادات السياسية هنا وهناك أن تستفيد من هزيمة مصر العسكرية لتحقق أملا قديما لها فى أن تصبح هى التنظيم القائد فى المنطقة العربية . وهكذا شاهدت الساحة العربية العديد من المزايدات التى مكنت فى النهاية للقوى الرجعية فى الاردن والمتحالفة تماما مع الاستعمار والصهيونية ، والمستندة اليهما ، من أن توجه ضربات موجعة لنضال الشعب الفلسطينى محاولة لا لتصفية العمل الفدائى الفلسطينى فحسب بل وتصفية الشعب الفلسطينى نفسه ، والى جانب هذا الهجوم للقوى الرجعية فان القوى الثورية لم تنجح فى المحافظة على نقائها وعملها المشترك. بل شاهد أكثر من بلد عربى ، وخاصة فى الفترة الاخيرة ، سلسلة من الانقسامات فى صفوف القوى الثورية أضعفت من قدرتها على النضال وتعبئة الجهد من أجل مجابهة العدو وعلى العكس من ذلك عرضت أو هى تعرض بعض البلاد المتحررة — السودان — مثلا لاخطار حقيقية .

على أن نواحى القصور على خطورتها وتأثيرها القوى على امكانيات النضال العربى يجب الا تحجب عنا العديد من الايجابيات التى تحققت. أو أن تنزل فى قلوبنا اليأس . بل لابد وأن تدفعنا بدلا من ذلك الى جهد حقيقى وفعال من أجل القضاء على الاسباب المؤدية الى الانقسام والفرقة والعمل من أجل تجميع صفوف وتوحيد كل القوى الثورية فى مواجهة العدو الرئيسى للثورة العربية اسرائيل والاستعمار الامريكى الذى يدعمها ويعمل بتنسيق كامل معها لتحقيق تصفية كاملة للثورة العربية .

ان دورة المجلس الوطنى الفلسطينى الاخيرة هى خطوة — وان تكن محدودة — على طريق توحيد القوى الوطنية والثورية . وبالمثل فان تكوين الجبهة الوطنية فى سوريا واشتراكها فى الحكم هو خطوة فى نفس الطريق ولكن جهودا أكبر لابد أن تبذل من أجل بدء مرحلة جديدة من تصاعد العمل النضالى والثورى على كل الجبهات العربية . ونقطة البدء فى هذا هو السعى النشيط لتحقيق وحدة كل القوى الثورية فى العالم العربى . والدور الاساسى فى هذا التوحيد يقع على عاتق مصر مهما كانت الصعوبات والجهود التى لابد من بذلها فى هذا السبيل .

المشاكل التى تعترض توحيد القوى الثورية

يوما بعد يوم ، بل وساعة بعد أخرى يتضح لكل القوى الوطنية والقومية أن معركتنا مع اسرائيل والاستعمار هى معركة طويلة ومريرة وشاملة. لقد كشفت اسرائيل النقاب عن مخططاتها . وأصبح من الواضح أنها تصر على الاحتفاظ بمنطقة هامة من سيناء والقدس والجولان الى جانب سيطرتها العسكرية على باقى سيناء المنزوعة السلاح وعلى الضفة الغربية للاردن التى تصر على الاحتفاظ فيها بوجود عسكرى . وتلقى اسرائيل الدعم من الولايات المتحدة رغم كل مايمكن أن يذاع وينشر عن خلافات بين الحليفين . فلم تزل أمريكا تصر على رفض توجيه أى نداء لاسرائيل بضرورة الانسحاب ، وترفض أى تنديد باسرائيل وموقفها العدوانى وتوالى اعلان التزامها بالمحافظة على التوازن العسكرى لصالح اسرائيل . ان تحقيق الحد الادنى للمطالب العربية وهو التنفيذ الكامل لقرار مجلس الامن لن يتم مالم يقض على غرور العدو وصلفه خلال نضال لابد وأن يطول ويتسع ليشمل لا الجبهة المباشرة حيث يقف جيش مصر فى مواجهة جيش اسرائيل وحسب بل ليصل الى قلب اسرائيل ذاتها وليواجه أيضا المصالح الامريكية الاستعمارية فى المنطقة . وسوف تلعب الشعوب العربية فى هذه المعركة بالضرورة دورا أساسيا . ان مايبدو من شلل حالى فى ارادة العرب وتفكك فى جبهتهم لايعدو فى رأينا أن يكون ظاهرة مؤقتة . ان الصعوبات الحالية هى نتيجة فى رأينا **لنوعين** مختلفين من الاخطاء : **يتعلق الاول:** بسيادة تقييمات خاطئة لدى بعض القوى الوطنية لطبيعة المعركة التى تخوضها أو لخلط بين الاهداف الاستراتيجية البعيدة لامتنا العربية وبين مايمكن تحقيقه فى المرحلة الحالية من الكفاح عن أساس من مدى النمو الفعلى لقوى الثورة فى العالم العربى وطبيعة التوازن الدولى القائم الان . **أما النوع الثانى** من الاخطاء فيتعلق بمحاولات العديد من القوى العربية الانفراد بالسلطة فى أقطارها أولا ، ثم لفرض نفوذها وسيطرتها وزعامتها على المنطقة ككل بالاضافة الى ذلك .

ومن أمثلة النوع الاول من الاخطاء الميل الى فصل المعركة الحالية عن النضال العالمى والتحررى ضد الاستعمار والنظر اليها باعتبارها معركة ضد اسرائيل فى الاساس ، وما يترتب على ذلك أحيانا من مواقف تركز على العمل الدبلوماسى والسياسى من اجل الفصل مابين القوى الاستعمارية وبين اسرائيل ومن اجل الضغوط على اسرائيل دوليا لتحقيق الجلاء عن الارض العربية. ان العمل الدبلوماسى والسياسى هو جزء لايتجزأ من الجهد الكلى الذى يجب ان يبذل فى جميع المجالات من أجل تحقيق عزل العدو وتحقيق ترابط وثيق مع كل قوى التحرر والسلام واهماله هو اهمال لميدان هام من ميادين النضال. ولكن التركيز عليه باعتباره العامل الاساسى يؤدى الى أخطاء خطيرة فى بعض الاحيان تضعف الصمود الداخلى فى الجبهة العربية فى مجموعها وتؤدى الى سيادة شعور باحتمالات تحقيق تنازلات على حساب هذا الجانب العربى أو ذاك . والوضوح الكامل لدور العمل الدبلوماسى والسياسى فى اطار النضال المتعدد النواحى وبروز حقيقة الترابط الكامل بين تحقيق الحشد الاقتصادى والعسكرى من جانب وبين العمل السياسى من الجانب الاخر كفيل بازالة الكثير من أوجه اللبس . ان صلافة اسرائيل واعلانها الواضح لاهدافها التوسعية فى كل الارض العربية بما فى ذلك سيناء ، وعدم استعداد الولايات المتحدة الامريكية لادانتها أو الضغط عليها من أجل تطبيق قرار مجلس الامن ، يبرز بما لايدع مجالا للشك ضرورة استمرار الاعداد والحشد لمعركة طويلة وقاسية مع العدو وأن خوض مثل هذه المعركة سيصبح لامناص منه . على أن ذلك لاينفى بطبيعة الحال ضرورة الاستمرار فى بذل كل الجهود فى النطاق الدبلوماسى والسياسى لتحقيق أفضل الظروف الدولية لصراعنا الشاق مع العدو .

ومن هذه الاخطاء أيضا الموقف المتشبث بالحصول على كل شىء أو عدم الحصول على شىء بالمرة والمتمثل أساسا فى رفض أى حل لايؤدى الى التصفية الكاملة لاسرائيل . ان هذا الموقف الذى يرفض منطق « المراحل » فى النضال الثورى ، والذى لايستند الى دراسة واقعية لتوازن القوى فى المنطقة العربية ، وعلى النطاق الدولى ، ينتهى فى النهاية الى صدام بين أصحابه وبين الساعين الى تصفية آثار عدوان سنة ١٩٦٧ كما يؤدى كذلك الى التصادم بين أصحابه وبين الجزء الاكبر من القوى التحررية والثورية فى العالم بما فى ذلك الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى . ويؤدى فى النهاية أيضا الى عزل جزء هام من الحركة الثورية عن الجماهير الشعبية — بما فيها جماهير شعبها ذاته — ومن ثم تمكين القوى المعادية للثورة

من أن توجه لها ضربات عنيفة بهدف تصفيتها والقضاء عليها . واذا كان الصلف الاسرائيلى ووقوف الولايات المتحدة الامريكية مؤيدة الاستعماريين الاسرائيليين قد أوضحت ضرورة المعركة الطويلة والشاقة لازالة آثار عدوان سنة ١٩٦٧ فان هذه الحقيقة ذاتها ، بالاضافة الى ماكشفته أحداث الاردن من أخطاء ارتكبتها بعض القوى الثورية — وانتهزها الاستعمار والرجعية — كفيل بتوحيد صفوف القوى الثورية فى البلاد العربية فى نضال مشترك . ان ماحدث فى خلال اجتماع المجلس الوطنى الفلسطينى فى دورته الاخيرة دليل واضح على أن القوى الوطنية الفلسطينية قادرة على تخطى الاخطاء وتحقيق وحدة بين صفوفها اولا ، وبينها وبين باقى القوى المناضلة فى الوطن العربى من ناحية ثانية .

واذا كان مسار المعركة ذاتها كفيل بتصحيح العديد من أخطاء التقييم ، فان أخطاء الصراع من أجل سيطرة بعض الفئات الاجتماعية على السلطة واستبعاد كل القوى الاجتماعية الاخرى ، ومحاولات بعض القيادات السياسية فرض نفوذها وزعامتها على المنطقة هى من أكثر العوامل تهديدا لوحدة العمل العربى ومن أصعبها معالجة .

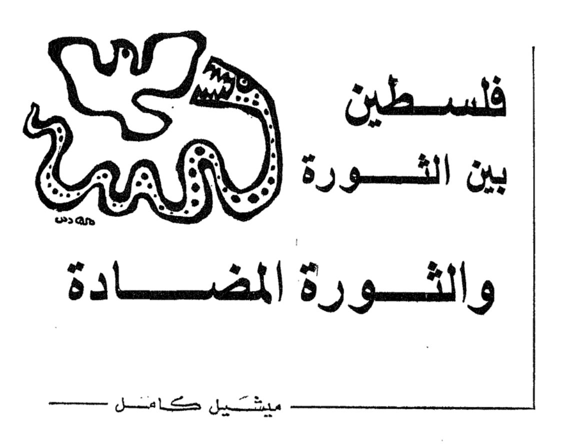
ان تحليلا للواقع الاجتماعى فى الوطن العربى يبرز ان عناصره الوطنية والثورية تضم فئات وطبقات اجتماعية متعددة يوحد بينها هدف هزيمة العدوان الصهيونى وتحطيم السيطرة الاستعمارية وتحقيق التطور الاقتصادى المستقل . ويفرق بينها طبيعة التغير الاجتماعى الذى تهدف الى تحقيقه ومداه وأسلوبه .

ان طبيعة الخطر الذى يواجهنا جميعا يتطلب التركيز على مايوحدنا ، ان ذلك يتنافى مع محاولات البعض استبعاد كل القوى الوطنية الاخرى من المشاركة فى تقرير أمور مجتمعها وحصر السلطة فى فئة محدودة . أو ادعاء حق مطلق فى القيادة بمنع القوى الوطنية الاخرى من المشاركة على قدم المساواة . واننا لنأمل أن توضح التجربة التى عاشتها سوريا — والتى تعيشها الان — بما لايدع مجالا للشك أن محاولة فرض بعض القوى — مهما كانت تقدمية — لسلطتها المطلقة كفيل بعزل هذه الفئة داخليا وكفيل بعزل هذا القطر قوميا . وعلى العكس من ذلك فان تحقيق الوحدة الوطنية على أساس جبهة تضم كل الفئات الوطنية والثورية هو الذى مكن الحكم السورى من الخروج من أزمته ليحقق بذلك تلاحما أكبر مع الجماهير من ناحية ومع باقى الاقطار العربية من الناحية الاخرى . وما يصح بالنسبة لسوريا هو صحيح كذلك بالنسبة لاغلب الاقطار العربية الاخرى .

ان محاولة الانفراد بالسلطة داخليا ، لاتؤدى الى صراعات داخلية وحسب بل هى تؤدى أيضا الى صراعات مريرة بين الاقطار العربية . ولما كان التشابك بين الاقطار العربية يصل الى درجة يستحيل فيها أن يعزل مايتم فى قطر معين من اقطاره عما يحدث فى الاقطار الاخرى ، فان السيطرة الداخلية وما ينشأ عنها من صراعات لابد أن تنتقل الى صراعات بين الاقطار . والجبهات الوطنية التى تضم كل قوى الثورة على المستوى الداخلى هى ايضا الكفيلة بتوحيد النضال الثورى لكل الاقطار العربية .

ومهما كانت الصعوبات التى تواجه تحقيق مثل هذا التحول على النطاق العربى فان السعى الجاد لتحقيقه هو مسئولية كل القوى الثورية وخاصة تلك التى أتاحت لها الظروف التاريخية أن تتولى السلطة فى هذه الفترة من فترات التاريخ . والاتحاد الاشتراكى العربى فى مصر يتحمل مسئولية خاصة فى هذا السبيل . فسوف يظل على مصر — نتيجة لظروفها الموضوعية — أن تلعب دورا قياديا فى كل تحرك ايجابى فى المنطقة العربية . واذا كانت مصر قد استطاعت فى مرحلة من المراحل أن تقوم بذلك الدور خلال زعامة عبد الناصر ذات التأثير الواسع فى الجماهير العربية . فان غياب القائد يتطلب جهودا كبيرة من التنظيم السياسى فى مصر لتحقيق صلة منظمة مع القيادات العربية والمنظمات الوطنية والثورية فى كل الوطن العربى . واذا كان قد بات من الصعب تعدى التنظيمات القائمة الى الجماهير مباشرة ، فقد أصبح من الضرورى لتحقيق الجهود العربية فى جبهة وطنية ثورية موحدة لمقاومة الاستعمار وتصفية العدوان الاسرائيلى ان يعتمد تكوين مثل هذه الجبهة على الصلات والمناقشات المستمرة بين التنظيمات السياسية . ومهما كانت الصعوبات فى هذا السبيل فان شراسة المعركة واهمية الوحدة بين القوى الثورية فى العالم العربى من أجل تحقيق النصر تجعل العمل من أجل تحقيق هذا الهدف واجبا أساسيا .

على أن نقطة الانطلاق الاولى لتحقيقه هو نشاط الاتحاد الاشتراكى العربى داخليا ونجاحه فى تعبئة وتنظيم الجماهير المصرية ذاتها وفى التعبير عنها وفى تحقيق مشاركتها فى القرارات الرئيسية التى تمس حياة أمتنا . فالثقل العربى للاتحاد الاشتراكى هو رهن بالثقل الجماهيرى للاتحاد فى الجمهورية العربية ذاتها . وواجبنا اذا هو التحرك السياسى الواعى لتحقيق فعالية الاتحاد الاشتراكى وتحقيق وحدة القوى الثورية العربية .



فلسطين بين الثورة والثورة المضادة

ميشيل كامل

عقد المجلس الوطني الفلسطيني جلساته بالقاهرة فى مرحلة حرجة معقدة ومشحونة بالاخطار من مسيرة الحركة الوطنية الفلسطينية ، ومناخ عاصف ملبد بالغيوم على نطاق حركة النضال العربي عامة ، مما جعل كل الانظار تتطلع الى القاهرة، تتنازعها مشاعر متناقضة يتسم بعضها باليأس والقنوط ، والبعض الاخر مشبع بالامل فى أن تكون دروس التجربة الدامية لسبتمبر الماضى حافزا على تخطى السلبيات والارتفاع الى مستوى متطلبات الموقف.

ومن قبل وبعد انعقاد المجلس سادت نغمة فى بعض مجالات الاعلام تبغى تصوير المقاومة الفلسطينية بأنها فى طريق الاحتضار ، وتنحو الى التقليل من شأنها والتهوين من أمرها وفاعليتها وتدعو — ان علنا أو ضمنا — الى حذفها من حسابات القوى فى المستقبل ، وترتب على ذلك ضرورة اتباع « **منهج معين** » فى حل المشكلة برمتها . وهو اتجاه يسدل ستارا قاتما على كل مايحيط بنا ، سواء بالنسبة لحركة التحرر الفلسطينية أو العربية والدولية ، ليبرر للنظرة « **الواقعية** » للامور ، ويبث اليأس فى قوانا الذاتية والاستهانة والاستخفاف بحركة التحرر العالمية عامة ، وبكل ماتحقق خلال نحو أربع سنوات من الصمود .. لايرى الا الاخطاء والسلبيات ، يثبتها ويبرزها .. فما من سبيل اذا الا الاستسلام « للواقع » ، اليوم قبل الغد .. قبل أن يتغير هذا « الواقع » .

والغريب ، ان بعض هذه الاوساط هى التى كانت فى الماضى القريب تقيم « **الديكورات** » الزاهية ، وتضخم من الحجم الواقعى لقوانا الذاتية وتبالغ فى قوتها الى أبعد الحدود ، وتتمثل خطورة هذا الاتجاه فى أن أية هزة تصيب البنيان تؤدى الى زعزعة الايمان واشاعة اليأس — وهوما

يترتب تلقائيا عن النغمة الوردية عندما تفتضح — ويقود الى بث روح انهزامية استسلامية ويشكل مناخا مناسبا للضغوط الاستعمارية .. وحينئذ يتقدم « **العدو الرئيسى** » ، ويتدخل فى صورة « **المنقذ** » الذى ثاب الى رشده ! ليعرض مقترحات التسوية و « يضغط » على أداته « اسرائيل » لتقبل الحل وترضخ لمشيئة العرب والتسليم بعدالة مطالبهم ! أليس هناك تناقض ما فى هذا الموقف ؟ الا يثير التساؤل حول مبرر هذا التحول فى وقت يصور فيه الوضع — على النطاق العربى — ضد مصلحتنا ، وفى حالة من الانهيار « **تصعب على الكافر** » .

ما احوجنا اذن الى تقييم موضوعى ، يتجنب الانزلاق فى متاهات هذا الاتجاه أو ذاك ، يقارن الماضى القريب بالواقع الراهن ، ولا يتجمد فى اطار الحاضر وحده ولكنه يقدر على استجلاء آفاق المستقبل ، مع العمل الدائب على تخطى السلبيات والثقة فى حركة الجماهير وتنظيمها .. ومزيد من الاعتماد عليها ، وأن نتصدى ونصد كل المحاولات المضادة .

حركة المقاومة بين الامس واليوم وحتى لا ننسى

فى هذا المقال نعالج جانبا واحدا من الصورة العامة ، وهو الجانب الذى يبرز على أنه أشدها قتامة ومدعاة لليأس .. **وضع حركة المقاومة الفلسطينية بعد خمسة أشهر من المذبحة الدامية البشعة التى استهدفت تصفية القضية الفلسطينية ووأد حركة المقاومة المسلحة ، حملة أيلول [سبتمبر] الماضى .**

ان أى تقييم للوضع الراهن يجب أن يرتبط ببعض **الحقائق البارزة** والتى كثيرا مايسدل عليها ستار من النسيان ، وفى مقدمتها :

● انه كما قال **ياسر عرفات** — عن حق — لابد من ابراز « جوانب الثورة الايجابية التى حولت شعب المخيمات الى شعب محارب ، وان خروج الثورة من أزمة سبتمبر الطاحنة يعبر عن أصالتها وقدرتها على الاستمرار » . كما أن عمر حركة المقاومة الفلسطينية لايزيد كثيرا عن ٣ سنوات .

● الواقع المعقد للقضية الفلسطينية ، وضع استعمار استيطانى يزيد فيه عدد المستوطنين عن السكان الاصليين من العرب [حوالى ٣ ملايين اسرائيلى مقابل نحو ٥ر٢ مليون فلسطينى] ثم التشتت والبعثرة [قطاع غزة ٠٠٠ر٣٥٩ — الضفة الشرقية ٠٠٠ر٩٠٠ مقابل ٠٠٠ر٦٠٠



● ياسر عرفات ●

أردنى — الضفة الغربية ٠٠٠ر٦٠٩ — وهناك ٠٠٠ر٦٠٠ يقيمون بالخارج [منهم ٠٠٠ر١٦٠ بسوريا و ٠٠٠ر٢٥٠ بلبنان و ٠٠٠ر١٧٠ بالكويت] بالاضافة الى هياكل اقتصادية ممزقة طفيلية غير مستقرة أو ثابتة .

● الدور السلبى والمعوق الذى لعبته بعض القوى العربية الحاكمة فى المناطق الفلسطينية التى أخضعت لنفوذها على أثر عقد الهدنة عام ١٩٤٨ ، فكانت تعرقل وتكبت أية محاولة للنضال التحررى الفلسطينى المستقل أو لشن عمليات المقاومة المسلحة ، بدعوى مسئوليتها عن تحرير فلسطين عن طريق قواتها النظامية ، وعندما بدأت منظمات المقاومة فى النشوء والنمو عملت على الحاقها بها واخضاعها لسيطرتها ونفوذها وتوجيهها بما يتمشى مع السياسات الخاصة المتضاربة والمتنازعة فى معظم الاحيان ، بهدف احتوائها فى اطار المصالح الضيقة لهذا البلد أو ذاك ، ومن الملاحظ أن هذا الدور يتضاءل تدريجيا فى المرحلة الاخيرة .

● لم تكن المذبحة الدامية والحملة العسكرية والسياسية للابادة الشاملة التى نظمتها الرجعية فى سبتمبر هى الحملة الاولى ، بل كانت مجرد حلقة فى سلسلة من الحملات المسعورة ، سبقتها أربع محاولات ، نذكر منها حملة **الاغوار** فى ٢ فبراير ١٩٦٨ ثم **عمان** والمدن الاردنية الاخرى فى ٤ نوفمبر ١٩٦٨ واستمرت محاولات القمع والتصفية البدنية فى فبراير ١٩٧٠ ثم يونيو من نفس العام ، وامتدت هذه الحملات لتشمل الحركة الفدائية فى لبنان .

● رغم ضراوة « حملة سبتمبر » ، فان قوات الجيش — بكل ماتملكه من عتاد حديث وأسلحة ثقيلة — لم تتمكن من احتلال مناطق فى عمان تزيد عن ١/٤ المدينة تضم ١/٨ عدد السكان . كما بلغت خسائرها نحو ١٢٠ دبابة ومجنزرة

و ۲۰۰۰ قتيل و ۵۰۰۰ جريح ؟ بينما قدرت خسائر المقاومة بأقل من ۱۰۰۰ شهيد ، بالاضافة الى ۵۰۰۰ شهيد وما يتراوح بين ۱۰ — ۱۵ الف جريح من الاهالى العزل ، وكان مقدرا أن تتم عملية التصفية الكاملة بنجاح خلال أربع ساعات كحد أدنى وثلاثة أيام كحد أقصى ، ولكن المعركة استمرت ۱۱ يوما دون أن تنجز المهمة ، واصطدمت بمقاومة ضارية أبديت فيها بطولات اسطورية ، واظهرت طاقات خارقة على الصمود والتحدى ، وعلى نقيض المستهدف من الحملة ، فقد اكدت حركة المقاومة قدرتها وحيويتها وعمق جذورها فى صلب الشعب الفلسطينى ، خاصة بين الجماهير الفقيرة الكادحة التى كانت تدرك أنها لن تخسر فى نضالها شيئا ، وأثبتت للعالم أجمع — بصمودها وتضحياتها — أن الكيان الفلسطينى حقيقة واقعة ، ولا يمكن ايجاد أية تسوية فى معزل عنه ، وهو ماحاولت الرجعية الاردنية أن تنفيه بحملتها الدامية .

● استندت الرجعية الى الرصيد السلبى لمجموعة من الاخطاء انزلقت اليها قوات المقاومة ، سواء من جراء المنهج السياسى المتبع أو نتيجة الاستفزازات التى تسببت فى عزلها عن ابناء شرق الاردن ، بل والانعزال جزئيا عن الشعب الفلسطينى نفسه ، ولكن ضراوة ووحشية قوات البادية وحملات الارهاب البشعة التى شنتها على مخيمات اللاجئين والقرى الاردنية ، واعمال القمع التى انصبت على كل المواطنين أردنيين وفلسطينيين كان لها **أثر عكسى** فى ارساء عناصر عودة الترابط والتضامن بين الشعبين التوامين ، وتأكيد المصلحة المشتركة فى النضال ضد قوى الرجعية .

الايجابى والسلبى ، بعد حملة ايار

ولا شك ان اجتماع **المجلس الوطنى الفلسطينى والمؤتمر الشعبى الاردنى — الفلسطينى المشترك** جاء تعبيرا صادقا عن وضع الحركة الثورية ، بجوانبها السلبية والايجابية ، بل ان بعض الايجابيات تحمل فى طياتها سلبيات كامنة يمكن أن تنفجر وتقذف بكل آثارها المدمرة من جديد ، اذا لم يراع فى منهج التطبيق الاستفادة من الخبرات السابقة والتجربة الثورية العالمية ، وتتمثل الايجابيات أساسا فى النقاط التالية :

●● اقرار مشروع الوحدة الوطنية — برنامج العمل السياسى الذى طرحه ياسر عرفات — والاتفاق على جعل منظمة التحرير الفلسطينية هى الاطار الذى يضم كافة القوى الثورية .

— الا أنه من الملاحظ أن البرنامج السياسى الذى اقره المجلس يكاد لايحمل من معالم « البرنامج » شيئا ، فهو أقرب الى البيان السياسى الذى ينحو الى التجريد والتلويح بشعارات عامة ، ومن الناحية العملية قد يكون هذا « البرنامج » هو الحد الاقصى « **الممكن** » فى الظروف الراهنة ، ليحظى باقرار الفصائل الثورية المتباينة الاتجاهات والمواقع الفكرية والطبقية ، الا أنه أيضا تبدو أهمية :

۱ — ألا يكتفى بهذا « البيان » ، بل يجرى العمل على تطويره بتوسيع نقاط الالتقاء وخاصة فيما يختص بتحديد العدو والحليف ، قوى الثورة الرئيسية والاحتياطية ، الوسائل والاهداف القريبة والبعيدة .. الخ .

۲ — ألا توضع المحاذير على محاولات تقديم برامج أكثر نضجا وتقدما من جانب الفصائل الثورية المختلفة ، أو تصادر حرية التواجد المستقل لمنابر فكرية متميزة ، طالما يتم النضال المشترك وتراعى الوحدة حول المسائل العامة المتفق عليها .

۳ — أن تتاح فرصة الحوار الديمقراطى الواسع ، بما لايتعارض مع الالتزام بالنشاط المشترك ، وألا تستخدم وسائل القهر والكبت تحت دعوى الوحدة حول البرنامج الذى تم اقراره ، مع مايشوبه من نقص وقصور ، أو من واقع تفسيرات له تنفرد بتحديدها احدى الفصائل الثورية .

— لقد أصبحت أهمية « **وحدة القوى الثورية** » من البديهيات التى لا تحتاج لمزيد من التأكيد ، ولكن تجربة الوحدة فى عديد من البلدان النامية أدت الى نتائج مريرة ، فكم من الاخطاء — ان لم نقل الجرائم — ارتكبت باسم الوحدة ، فهى ان تجاوزت اطارا معينا قد تنقلب الى عكس المقصود منها ، كما أن صيغة الوحدة ليست واحدة جامدة تنطبق فى كل الظروف وجميع الحالات ، وقبل أن نتحدث عن الوحدة كشعار مجرد ، يجدر بنا أن نراعى :

۱ — **وحدة من** ؟ وحينئذ يتعين علينا أن نحدد قوى الثورة والقوى المعادية لها ، حتى لاتتسرب الى صفوف الثورة القوى المناوئة لتسيطر وتخرب وتحرف الاتجاه .

ولنا تجربة فى هذا المجال ، عندما كاد شعار « **الامة كلها** » فى التطبيق ، يودى بالثورة المصرية ويطيح بها ، بعد أن هدم الوحدة بين سوريا ومصر ، لولا أن سارعت القيادة بالفصل بين « وحدة قوى الشعب العاملة » فى مواجهة معسكر أعداء الثورة .

ان تطهير الثورة من العناصر اليمينية المعادية — حتى وأن لبست مسوح الثورية — وتخليص القيادة من القوى المترددة والمتخاذلة — مع الحرص على كسبها داخل اطار الحلف الوطنى رغم ذلك — هو دعم للوحدة ، **حتى وأن تم أحيانا عن طريق** الانقسام .

٢ — وحدة المشاركة ، وليست وحدة التسلط والانفراد بالقرار واحتكار القيادة ، الوحدة مع الحوار والصراع المحكوم والديمقراطى ، وحدة مع التمايز ، داخل أطار العمل المشترك حول البرنامج العريض المتفق عليه ، ان عملية الدمج والاذابة التعسفية للفصائل الثورية المتباينة الاتجاهات والمنطلقات الطبقية ، فى مجتمع طبقى وفى المراحل الاولى من العمل الثورى ، تؤدى بالضرورة الى تفتيت الوحدة وتكريس «التشرذم» .

وقد تميزت جلسات المجلس الوطنى والمؤتمر الفلسطينى — الاردنى بسيادة الجو الديمقراطى ، وهو ما يجب أن تحرص عليه فصائل المقاومة جميعها ، اذ أنه يمثل واحدا من أهم العناصر ايجابية فى حركة التحرر الفلسطينية ، ونحن هنا ننبه ونحذر من اتجاه يخطط لمحاصرة **قوى اليسار** داخل منظمة التحرير — لا بدافع من الحرص على الوحدة — وانما بهدف تطويقها تمهيدا لتصفيتها ، بدعوى « التلاحم » التنظيمى بين فصائل الثورة والقضاء على تعدد المنابر والتجزئة و «الشرذمة» .

— لقد جاء المجلس الوطنى الفلسطينى بتركيبه الراهن نتيجة اتفاقات تمت أساسا بين « المنظمات الفدائية » وفى مرحلة اتسمت بتجاهل العمل السياسى والفكرى والاستهانة بأهمية النشاط فى مجال تعبئة الجماهير ، وبذلك أصبح هذا التشكيل قاصرا عن التمثيل الصحيح للقوى الثورية السياسية والاجتماعية تمثيلا صادقا ، مما يقتضى اعادة النظر فى هذا التشكيل ، عند تكوين المجلس الجديد ، ليصبح أصدق تعبير عن القوى الثورية ووزنها السياسى .

●● جانب آخر ايجابى ، نلمسه فى تطورات الموقف بالاردن على أثر احداث أيلول الدامية ، وانعكس بشكل واضح فى المؤتمر الفلسطينى الاردنى ، يتمثل فى مساهمة عدد كبير من القيادات الاردنية فى هذا المؤتمر ، رغم سيف الارهاب الدموى المسلط عليهم ، وفى تحد شجاع للسلطة الرجعية . وان كنا احقاقا للحق نقول أن الشعور المتنامى بالترابط المصيرى بين الشعبين الشقيقين الاردنى والفلسطينى ناجم عن الاخطاء والفظائع التى ارتكبتها القوات المسلحة ضد الجماهير الاردنية والفلسطينية دون تفرقة اكثر مما يرجع الى وعى وتخطيط من جانب القوى الثورية ، وان كان التخطيط لدعم جبهة النضال الاردنى الفلسطينى بدأ يدخل فى حسابات وتقدير وممارسة حركة المقاومة .

العزل فالتطويق .. فالابادة

كان فى مقدمة اهداف المخطط الامبريالى الصهيونى الرجعى العمل على عزل المقاومة الفلسطينية عن الحركة الوطنية والتقدمية فى الاردن ، بزرع الانقسام العمودى واقامة **حاجز رأسى** بين الاردنيين والفلسطينيين من جانب ، ثم **حاجز أفقى** باجتثاث جذورها الشعبية وتجريدها من الجماهير الفلسطينية نفسها من جانب آخر ، تمهيدا لتصفيتها ماديا وجسديا ، كمقدمة للاجهاز على جماع حركة التحرر الوطنى الفلسطينى الاردنى .

وقد ساعدت السياسة التى انتهجتها بعض قوى المقاومة على تيسير مهمة الرجعية ، الخ من الاخطاء التى أفاضت الاقلام الناقدة فى ابرازها ، اذ أن هذه التصرفات جاءت نتيجة مفاهيم فكرية معينة ومنهج فى العمل خاطىء من أساسه ، أى أن المشكلة تكمن فى المنطلقات الفكرية ، ومن أبرز نواحى القصور والنواقص هنا :

— الفصل بين حركة المقاومة الفلسطينية فى الاردن والحركة الوطنية فيه ، وعدم الاهتمام بواقع الارتباط العضوى بينهما بحكم المصالح المشتركة والمهام الواحدة ، وقد أدى هذا الفصل الى تقسيم المؤسسات المهنية والنقابية والوطنية فى الاردن ، والاصرار على المؤسسات الاجتماعية « **الفلسطينية الخالصة** » . الا أنه بعد حملة سبتمبر صدر قرار من اللجنة المركزية يقضى بحل هذه التنظيمات والاندماج مع المنظمات الاردنية .

هذا من جانب .. ثم ارتبط بهذا الاتجاه العمل على **طمس** الشخصية الاردنية و « **فلسطنة** » الشعب الاردنى .

ورغم كل عناصر الانصهار فى بوتقة النضال المشترك والروابط العضوية فى مواجهة العدو الواحد والمهام الموحدة ، الا انه لا يمكن أن نغفل حقيقة بعض التمايز فى الواقع الاقتصادى والاجتماعى بين الشعبين التوأمين الاردنى والفلسطينى ، المهمة الرئيسية والعاجلة للنضال الاردنى الفلسطينى هى تصفية آثار العدوان وتحرير الارض المغتصبة ، الا أن **مهمة تحرير فلسطين** تقع أساسا على عاتق شعب فلسطين كما يبرز دور حركة التحرر الاردنية فى **حماية العمل**

الفدائي والثورة الفلسطينية المسلحة ، بالاضافة الى المشاركة فيها .»

لقد نشأ هذا الاتجاه عن عدم ادراك طبيعة المعركة ومتطلباتها من زاوية المهام الداخلية التي يحتم انجازها لتمكين الشعب من الاسهام بصورة فعالة من أجل تحقيق أهدافه ، وظهر في صورة « **عدم التدخل في الشئون الداخلية** » — الذي كانت تطرحه منظمة فتح أساسا — **والعزوف عن المشاركة في النضال السياسي** أو في العمل اليومي من أجل كسب الجماهير الشعبية العريضة ، التي كان في استطاعتها أن « **تجهض** » أية محاولة من جانب الرجعية للاستيلاء على السلطة واحتكارها .. وهي العملية التي أعد لها تحت أنظار المقاومة ، بالحملة التي شنتها الرجعية داخل صفوف الجيش والامن العام والمخابرات ، لاحكام قبضتها على مؤسسات الدولة ، ولتوحيد وتطهير قياداتها الرئيسية من العناصر الوطنية والمتعاطفة مع حركة المقاومة ، وختمتها « **بالانقلاب الابيض** » ضد حكومة الرفاعي المحافظة المعتدلة وبدء المجزرة الدامية .»

كانت خيوط المؤامرة تنسج بينما ظلت قوى المقاومة وحركة التحرر الفلسطينية الاردنية عامة تعاني من حالة التبعثر والانقسام ، لقد أظهرت أحداث الاردن كم هي ضرورية وملحة وحدة العمل بين جميع فصائل المقاومة وجميع القوى الوطنية والتقدمية داخل الاردن .»

ان المقاومة لم تطرح فكرة التحالف مع الحركة الوطنية الاردنية باعتبارها خطأ استراتيجيا أساسيا ، ولو أنها فعلت ذلك لتغيرت موازين القوى من حولها ، ولما أمكن للرجعية بحال من الاحوال أن تنجز مخططها الدامي .

ولكن دروس « **حملة أيلول** » يمكن أن تتحول الى رصيد ايجابي ، من الترابط بين فصائل المقاومة المسلحة والجماهير الشعبية العريضة ، ويزيد من ادراك أهمية هذه الوحدة الجرائم الوحشية التي ترتكبها قوات الحكومة ضد الانسان الاردني والفلسطيني على حد سواء .

ومسألة الوحدة الوطنية لا يمكن أن تنفصل عما عداها من المسائل والقضايا الحيوية ، كما أن النضال ضد الاحتلال يتضمن **محتوى طبقيا** بالاضافة الى **المحتوى القومي العام** ، وعلى القوى الثورية أن تولي **العمق الاجتماعي** للقضية الوطنية الاهتمام الجدير به .. مشكلات الحياة اليومية للجماهير التي تفاقمت على أثر حملة سبتمبر والدمار الذي سببته ، فالشعب يعاني من تدهور الاوضاع الاقتصادية والبطالة وارتفاع الاسعار ، وجميع هذه القضايا ليست في معزل عن النضال الوطني لاقامة **حكومة وحدة وطنية** على أنقاض الوضع القائم اليوم ، وهو في نفس الوقت يخدم أهداف حركة التحرر الوطني ، لتهيئة المناخ الملائم لتعبئة كل طاقات البلاد في المعركة .

النظرية .. والبندقية

●● كما أن الموافقة على تمثيل قوات « **الانصار** » في المؤتمر الوطني الفلسطيني بأغلبية ساحقة ، قطع خط الرجعة على الاتجاهات المحافظة والتي تواصل محاولة استبعاد اليسار الثوري وفصائله المقاتلة بحجة أو أخرى .

ودلالة انضمام قوات الانصار لا تقتصر على سقوط الحساسيات المفتعلة ، بآثارها الخطيرة على العمل النضالي بأجمعه ، وبتعارضها الصارخ مع دروس مأساة سبتمبر ، بل تتعداه الى ماهو ابلغ أثرا على مستقبل حركة التحرير الفلسطينية .

— فقوات الانصار مؤلفة من الاحزاب الشيوعية **الاردنية والسورية والعراقية واللبنانية** ، وهي بذلك تفتح آفاق تحويل قضية « **الكفاح المسلح** » من أجل تحرير الارض المغتصبة ، وكأسلوب للنضال ضد التحالف الامبريالي الصهيوني الرجعي ، الى قضية « **عربية** » عامة .

ومما تجدر الاشارة اليه أن قوات الانصار حريصة على دعم وحدة العمل الى أقصى حد ، يضمن فاعلية المقاومة المسلحة ، فقد جاء في المذكرة الموجهة منهم الى رئيس وأعضاء اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية المطالبة « باقامة وحدة فعالة في المجال العسكري ، أي مركزة العمل العسكري بشتى أشكاله تحت قيادة واحدة ، تخضع لها جميع الفصائل المسلحة : جيش التحرير الفلسطيني والفدائيون والميليشيا» . وأن « تحتفظ في الوقت الحاضر مختلف المنظمات بعلاقتها التنظيمية والسياسية مع فصائلها المسلحة دون أن يكون لاية منظمة الحق في تحريك فصائلها لاغراض عسكرية ، فهذه التحركات من اختصاص القيادة وحدها » .

— « **لا ثورة بدون نظرية ثورية** » .. تلك هي القاعدة التي تتأكد كل يوم وفي مختلف مواقع العمل الثوري ، وبسبب تجاهلها دفعت المقاومة ثمنا فادحا ، ولاشك أن مسئولية أساسية في هذه المأساة تقع على خط الاستخفاف بالعمل الفكري والسياسي — ولنذكر شعار « **الايديولوجية من فوهة البندقية** — وتجاهل الاساس النظري »

وغياب المنهج العلمى عن حياة المقاومة وممارستها التكنيكية اليومية ، السياسية والعسكرية ، سواء فى الساحة الاردنية — الفلسطينية وعلى نطاق الوطن العربى أو فيما يتعلق بالعلاقات مع حركة التحرر الوطنى والقوى المناهضة للامبريالية فى العالم .

ان الافتقار الى خطة استراتيجية وتكتيكية ، بل ومجرد تصور أولى لما يجب أن تكون عليه ، وغلبة الاتجاه العفوى والسقوط أسرى التلقائية ، هو الذى أدى الى جملة النتائج التى تعانى منها حركة المقاومة اليوم ، من الطبيعى اذن أن نتوقع تطورا فى هذا المجال ، يرفع من مستوى الاهتمام بالنشاط الفكرى والسياسى ، باسهام الاحزاب التى تتبنى الفكر الاشتراكى العلمى بدور أكثر فاعلية فى حركة المقاومة ، وأن تساعد على « **تطعيم** » الحركة الثورية الفلسطينية بالمنهج العلمى ، وتؤثر فى اتجاه « تسييس » نشاطها وممارستها العملية .

ولسنا ندعى أن الاحزاب التى تتبنى الاشتراكية العلمية — سواء الاحزاب الشيوعية أو غيرها من المنظمات كالجبهة الديمقراطية .. الخ — منزهة عن ارتكاب الاخطاء ، ولكن النظرية العلمية كفيلة بأن تجعل منها **عثرات** ثانوية فى الطريق ، يسهل التغلب عليها قبل أن يستفحل أمرها ، على عكس النشاط التلقائى الانفعالى الذى يهدد الكيان الثورى بأجمعه ، ويقود الى **نكسات** يصعب علاج آثارها .

مشروع دولة فلسطين

●● لم يكتف « **برنامج العمل السياسى** » الذى اقره المجلس الوطنى برفض مشروع دولة فلسطين المقترحة ، وانما قدم فى **مواجهتها** فكرة اقامة «**الدولة الفلسطينية الديمقراطية**» ، فقد جاء بالبرنامج « الوقوف بحزم ضد دعاة اقامة دويلة فلسطينية فوق جزء من التراب الفلسطينى ، على اعتبار أن السعى لاقامة مثل هذه الدويلة انما يقع فى نطاق تصفية قضية فلسطين » ، ثم « ان الكفاح الفلسطينى المسلح ليس كفاحا عرقيا أو مذهبيا ضد اليهود ، ولهذا فان دولة المستقبل فى فلسطين المحررة من الاستعمار الصهيونى هى الدولة الفلسطينية الديمقراطية التى يتمتع فيها الراغبون فى العيش فى سلام بنفس الحقوق والواجبات ضمن اطار مطامح الامة العربية فى التحرر القومى ، والوحدة الشاملة مع التأكيد على وحدة الشعب فى كلتا ضفتى الاردن » .

وأعتقد أن الهدف الرئيسى من طرح مشروع « دولة فلسطين » مازال يدخل فى اطار اثارة البلبلة ، وبث عوامل التفرقة والصراع داخل صفوف القوى الوطنية ، لان اسرائيل قد «تفضل» أن تترك **مسئولية المواجهة والصدام** مع حركة التحرر الفلسطينية فى المستقبل **السلطة الحاكمة « العربية »** فى الاردن ، لا ان تتولى هى عبء هذه المهمة الخطرة ، ولسنا نتصور اسرائيل من السذاجة الى الحد الذى يجعلها تتوقع الضمور والتحلل والتصفية الحقيقية لحركة الثورة الفلسطينية اذا نجحت فى فرض هذه الدويلة .

وعلى أية حال فقد عارضت اسرائيل الفكرة من أساسها واعترضت **جولدا مائير** — فى حديثها يوم ١٢ من مارس الماضى مع مجلة « التايمز » — « على انشاء دولة فلسطينية مستقلة فى الضفة الغربية ، تكون أصغر بكثير من أن تتوفر لها مقومات الحياة ، وكبيرة بشكل كاف للدخول فى حرب مع اسرائيل »، وأعربت عن اعتقادها بأن «الفلسطينيين الذين يشكلون أكثر من ٥٠ فى المائة من سكان الاردن لهم بلد موجود فعلا » .

كما أن **الملك حسين** — رغم تصريحات سابقة يعلن فيها استعداده لمنح الفلسطينيين حق تقرير المصير (بعد الانسحاب) بما فى ذلك حق الانفصال — ليس على استعداد لتقبل هذا الوضع الان ، بل ان أحد أهداف مخطط سبتمبر الرئيسية لتصفية الكيان الفلسطينى هو التأكيد بأن السلطة القائمة بالاردن هى وحدها القادرة على « **التحدث** » باسم الشعبين الاردنى والفلسطينى ، وأن لديها من القوة ما يسمح لها بفرض شروط أية تسوية يتم التوصل اليها ، بعد أن حققت القضاء على « **ازدواجية السلطة** » داخل المملكة ، واخضعت « **الكيان الفلسطينى** » للسلطة المركزية ، وبضربة سبتمبر كان الحكم الاردنى يرد — بصورة عملية — على أنصار دخول الفلسطينيين **كطرف** — لاغنى عنه — فى أية تسوية يجرى الأتفاق عليها .

لكن هذا لا يعنى أن فكرة «الدويلة الفلسطينية» ليس لها دعاتها وأنصارها على النطاق العالمى والعربى ، وبين قطاعات من الجماهير الفلسطينية والقيادات الحالية ، فالمشروع يلقى صدى لدى بعض القوى المؤثرة فى الموقف والمتأثرة بتدهور الاوضاع وافتقاد الهدف الواضح .

وهناك عوامل عديدة معقدة تتفاعل داخل المنطقة وخارجها ، يجب أن ندخلها فى حسابنا ، اذ قد تتجه الى الاتفاق على اقامة « دولة فلسطينية » ما ، فى اطار تسوية عامة للوضع فى المنطقة .

ان رفض « الدولة » حق مشروع لحركة التحرر الفلسطينية ، أما اذا تحقق المشروع بحكم غلبة التيار المؤيد لاقامتها وتحت ضغط الامر الواقع الناشيء عن طبيعة توازن القوى،فان على الحركة الثورية أن تكون من المرونة ، بما يتيح لها تحويل الواقع الجديد الى أرض للانطلاق الى آفاق أبعد ، من خلال وجودها على « ترابها » ، وبنضالها الثابت فى اطار حركة التحرر العربية ، بالاعتماد الى الرجحان المستمر فى ميزان القوى على المسرح الدولى لصالح قوى التقدم .

ان أى حل من هذا القبيل لا يمكن — ولايجب — اعتباره « خاتمة المطاف » ، وأن يتخذ منه — أو على أساسه — موقف من هذا المنطلق ، بل أن تعده القوى الثورية مجرد « خطوة » لمزيد من الخطى الى الامام وأرضا للارتكاز عليها لمتابعة المسيرة الثورية ، فرفض المشروع من ناحية المبدأ قبل أن يتحقق ، لا يتناقض مع « التأقلم » مع الاوضاع الجديدة فى حالة فرضه ، ليس بهدف تثبيت ما هو قائم والاستسلام له ، بل من أجل الدفع به قدما الى الامام .

وعلى اية حال فان أهم ما يجب أن توليه القوى الثورية العربية عنايتها فى المرحلة الراهنة هو الا يتضمن أى حل للمشكلة قيودا على حركة التحرر الوطنى الفلسطينى مما يعصف بحقها المشروع فى تحديد أهدافها واختيار وتقريروسائل تحقيقها ، كان تحمل الدول العربية مسئولية التصدى للحركة الثورية الفلسطينية أو تحريم منظماتها ونشاطها ، بدعوى عدم التدخل فى الشئون الداخلية بين أطراف الاتفاق .

التصدى للتيارات الانهزامية وبناء الجبهة الوطنية الموحدة

●● الظاهرة الصحية التى لمسناها من معظم فصائل الثورة فى ممارسة النقد الذاتى ، والاقرار بالاخطاء وفضح وادانة العثرات التى تردت فيها حركة المقاومة المسلحة ، والرغبة المخلصة فى استخلاص الدروس فى ضوء تجربة ثلاث السنوات الماضية بشكل عام، وحملة سبتمبر بصورة خاصة، فى ظل مناخ تسوده روح المسئولية والعلاقات الديمقراطية ، كان هذا هو الاتجاه السائد رغم محاولة البعض طمس معالم الازمة والصمت على الاخطاء السياسية والعسكرية .

— ولا شك أن بعض الاخطاء التى انزلقت اليها قوى المقاومة كانت عاملا مساعدا للتمكين من شن الحملة العسكرية والسياسية والتبرير لها من جانب الرجعية ، الا أن الادعاء بأن الهجوم الرجعى الامبريالى والمجازر الرهيبة التى نظمت لتطويق وتصفية العمل الفدائى جاءت نتيجة استفزازات وأخطاء بعض الفصائل الثورية ، ومحاولة أن تلصق المسئولية — كل المسئولية — على اليسار بالذات ، هو ادعاء باطل زائف ، يهدف الى تشويه الحقيقة والتستر على السياسات الرجعية واخفاء معالم الاتجاهات التهادنية مع اليمين الرجعى ، وتأليب الرأى العام على اليسار الثورى .

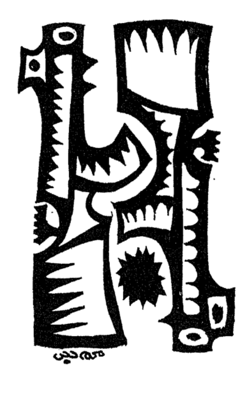
— ثم ان تصوير الامر على أن المقاومة قد هزمت وسحقت — مما يدخل فى اطار المخططين للاستسلام — هو اتجاه من الخطورة بمكان ، حقا لقد أصيبت المقاومة بضربة قاصمة مما أدى الى خلل فى توازن القوى ، وأعطى زمام المبادرة للسلطة الرجعية ، ولكن المقاومة لم تهزم ، وحركة التحرر الفلسطينية لا يمكن قهرها أو تصفيتها ، بل يمكنها على عكس ذلك ، الاستفادة من خبرات المعارك السابقة لاعادة تنظيم صفوفها ، تكسبها قوة ومناعة ضد محاولات التصفية ، وتنتقل بها من وضع الدفاع الى موقع الهجوم واستعادة المبادرة التى فقدتها .

والواقع أنه ليس فى استطاعتنا أن نتجاهل الازمة الطاحنة التى تعيشها حركة المقاومة ، مما يقتضى مراجعه شاملة للاخطار الاستراتيجية والتكتيكية ، والعمل على استيعاب قوانين الثورة وتجسيدها فى الواقع العملى .

لقد نجح كبار الملاك العقاريين وشيوخ العشائر وكبار « الكومبرادور » الرأسماليين فى امتلاك زمام السلطة ، وهم مصممون على ابادة المقاومة وتصفيتها ومواصلة ضرب حركة التحرر الفلسطينية الاردنية ، كما يتطلع التحالف الامبريالى الصهيونى فى مخططاته فى الوطن العربى الى سند داخلى .

ان النجاح فى صد هجمات الرجعية ، وحماية الثورة والانتقال من موقع الدفاع الى موقع الهجوم يتوقف على بناء **الجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية** التى تضم حركة المقاومة وكل القوى والاحزاب والنقابات والعناصر الوطنية المعادية للاستعمار والاحتلال والصهيونية ، للنضال من أجل فرض حكم وطنى ديمقراطى ، باعتباره مهمة مباشرة ، تكفل ضمانات تهيئة المناخ المناسب لانطلاق و « تفرغ » الحركة التحررية لمواجهة العدو الامبريالى الصهيونى .

ان مستقبل الثورة رهن بمدى ارتباط القيادة الوطنية الموحدة بجماهيرها ، وبالحركة التحررية العربية والعالمية .



قضية المنهج فى مواجهة العـــدوان

عـــادل حســـين

هزيمتنا

فى يونيو ١٩٦٧ كشــفت نواقص خطيرة فى بنائنـــا العســـكرى والســـياسى والاقتصـــادى والاجتماعى .. ورغم حجم الهزيمة لم نكن نملك وقتا نضيعه ، وكان علينا ان نتجه فورا الى اصلاح النواقص ، ولنســـتعد لجولات جديدة طويلة .

ولكن اذا كانت الهزيمة قد كشفت عن نواقص فى انظمتنا ، وفى اسلوب عملنا ، فان هـــذا لم يهز ايماننا بصحة الاهداف النهائية ، التى كنا قد حددناها لنضالنا ، وهذه الاهداف ـــ باختصار ـــ هى :

١ ـــ التحرر من السيطرة الامبريالية . هـــذا هو الهدف الاول ، وبدون هذا التحرر لارادتنا لن ننطلق فى التقدم ، ولن نسهم بابداع فى تطور البشرية .

٢ ـــ بناء دولة عصرية . وهو يتم باستخدام الموارد وفق تخطيط شامل يحقق تنمية سريعة ، ويقيم صناعة ثقيلة ، واقتصادا صناعيا زراعيا حديثا، ويصلنا بعهد الثورة العلمية والتكنولوجية .

ولن يتحقق كل هذا بغير ثورة جذرية فى نظامنا الاجتماعى ، ثورة تزيح الطبقات الرجعية المرتبطة بالاستعمار ، والعاجزة عن قيادة المسيرة . وتضع فى السلطة والقيادة تحالف قوى الشعب العاملة صاحبة المصلحة فى التقدم ، وتحقيق العـــدالة الاشتراكية فى توزيع ثمار التنمية .

٣ ـــ مصر لا يمكن ان تنفصـــل عن العـــالم العـــربى ، فلن تبقى مصر بعيدة عن الســـيطرة الاجنبية ، اذا كانت الدول العربية الاخرى خاضعة لهذه الســـيطرة ، واذا تدعمت علاقتنا بالدول العربية ، تكسرت امام جبهتنا محاولات الاستعمار لاستغلالنا والتآمر علينا ، وكذلك فان خطط التنمية الاقتصادية فى عصر الثورة العلمية والتكنولوجية تحتاج تكاملا فى تخطيط الاســـتثمار والانتاج ، وتحتاج سوقا واسعة ، وبالتالى فان وحدة العالم العربى هى السبيل ـــ فى هذا العصر بالذات ـــ لتحقيق كتلة ذات مستقبل ، وقادرة على الاسهام

فى التقــدم الحضارى مع الكتلة الســـوفيتية والولايات المتحــدة واوربا الغــربية والصــين والهند .. وهكذا .

٤ ــ فى كل المسيرة من اجل التحرر والتنمية والاشتراكية والتوحد العربى ، نحن جزء يتفاعل مع العالم من حولنا . واذا استطعنا ، بفضل تحرر ارادتنا ، وقدرتنا على الضغط والمناورة ، ان نحصل على مزايا فى تعاملنا مع الاطــراف المختلفة ، فان هذا لا ينفى اننا نعتمد فى المجال الدولى على تحالف اساسى مع قوى التقــدم ، وخاصة الاتحاد السوفيتى ، ان الحرص على هذا التحالف هدف استراتيجى من اهداف نضالنا .

قــرار مجلس الامــن

والتناقض مع الصهيونية

هذه اهداف النضال لم تغيرها هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وهذه الاهداف تمثل سبب التعارض الحاد فى المصالح بين مصر والدول العربية من جهة ، وبين اسرائيل والصهيونية من الجانب الاخر .

ان صراعنا مع العدو الاسرائيلى لم يكن مجرد تضامن مع الشعب الفلسطينى لاستعادة ارضه وحقوقه ، هذا جانب بلاشك ، ولكن الجانب الاخر هو ان اسرائيل اصابة سرطانية لجسد المنطقة ، وهى تهدد بالانتشار والقضــاء على مســتقبلها وحيويتها .

ان الصهيونية لا تهدف الى الاســتيطان فى ارض الميعاد على شريط ضيق الى جوار الساحل الشرقى للبحــر الابيض ، وهى لا تريد ان تقبع وتستكين خلف « **حدود آمنة** » ، ان الصهيونية العالمية تهدف الى اعتبار العــالم العــربى ــ وخاصة فى المشرق ــ مجالا حيويا لاســتغلالها الاقتصادى ، وهى تدرك أن أهدافنا التى نناضل من أجلها تفشل مخططاتها ، وتهد آمالها ، ولذا فهى تسعى الى اعاقتنا سواء بالحرب اوبالسياسة وهى تركز على عزل مصر [قائدة النضال العربى] وتحاول بكافة اشكال التآمر بث الفرقة وتعميق التناقضات داخل جبهتنا .. لكى تفرض وجودها ، ثم تسيطر وتسود .

وفى كل هذا تلتقى مخططات الصهيونية ــ وادواتها المنفــذة اسرائيل ــ بمخططــات القوى الاستعمارية التى سعت للسيطرة على منطقتنا العربية .. وقد حاولت الحركة الصهيونية ــ بدأب واصرار ــ الاســتفادة من هــذا اللقــاء الموضوعى ، وتحويله الى برنامج عمل مشترك ، تستخدم الصهيونية فيه امكانيات الدول الاستعمارية المادية والاقتصادية .. لقد حاولت الصهيونية قبل نشأتها بشكل منظم على يد هيرتزل اقامة تحالف مع فرنسا نابليون ، وحتى مع الخــلافة الاسلامية فى الدولة العثمانية .. ثم مع المانيا .. ثم مع بريطانيا .. وبعد الحرب العالمية الثانية ، مع الولايات المتحدة ، دون ان تفقد اتصالاتها مع بريطانيا وفرنسا والمــانيا الاتحــادية وكل دول الغرب .. طالما ان هناك طموحا استعماريا لدى هذه الاطراف .. وطالما ان هذه الاطــراف ــ بدرجة او بأخرى ــ تسعى الى ابقاء منطقتنا العربية مفككة يسهل استغلالها .

ان هذا التنقل بين التحالفات الدولية ، وهذا التعدد فى الاتصالات ، يؤكد حقيقة ان الصهيونية تتحرك بمخطط خاص بها ، وقد اتفق هذا المخطط حتى الان مع كل قوة تسعى الى اخضاع المنطقة العربية . وهذا ينعكس حاليا ، وبشــكل بالغ الوضوح ، مع الامبريالية الامريكية ، ولكن اذا قدر لاسرائيل ان تستقر فى هذه المنطقة كدولة ذات تعامل واسع مع البلاد العربية المحيطة ، فان التنافس بينها وبين القوى الاجنبية الخارجة عن المنطقة ، سيبرز ، ويشتد .. فهى فى نهاية الامر تسعى الى الاستئثار بثروات العالم العربى ، ولكن هذه قضية اخرى على اية حال ، ونرجو الا يأتى اليوم الذى نواجه فيه مثل هذا الموقف !

المهم .. ان الاهداف العربية تتناقض تناقضا تاما مع اهداف المؤسسة الصهيونية .. وبالتالى فان الصراع حتمى ، ولن يتقدم النضال العربى نحو اهدافه البعيــدة الا بهــزيمة الســياسة الصهيونية .

وهذه الحقيقة لم تتغير ايضــا بهزيمة يونيو ١٩٦٧ ، بل ينبغى ان نقول انها تأكدت نتيجة لهذا العدوان .

الا اننا قبلنا ــ كنتيجة لهذه الهزيمة ــ قرار مجلس الامن فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ الذى ينص على جلاء قوات الاحتــلال الاسرائيــلى عــن اراضى الــدول العــربية الــتى احتــلت بالقــوة فى يونيـــو ١٩٦٧ ، ومــع ذلك ، فان قرار مجلس الامن لم ينه الصراع بين الدول العربية واسرائيل ، لقد منع القرار اســتخدام الوسائل العسكرية فى هذا الصراع ، ولكنه لم يمنع استمرار الصراع السياسى والاقتصادى .

والحقيقة ان الدول الغربية لم تكن مستعدة لقبول صيغة قرار مجلس الامن عشية الانتصار الاسرائيلى . فمع الانتصار العسكرى الساحق ، كان الكل ينتظر تسليما بدون قيد او شرط من

الجانب العربى . واذا كان المجتمع الدولى — ممثلا فى مجلس الامن — قد قبل التراجع الى حل وسط بين وجهتى النظر العربية والاسرائيلية ، واصدر بمقتضى ذلك قرار نوفمبر بالاجماع ، فان الفضل يرجع الى صمود الجماهير المصرية الذى أذهل العالم ، والى الدعم السوفيتى غير المحدود. بفضلهما معا ثبت اننا لن نسلم بدون قيد او شرط !

ولكن اسرائيل ، رفضت قرار مجلس الامن منذ اليوم الاول ، والولايات المتحدة — رغم موافقتها الشكلية على القرار — ساندت من الناحية العملية — موقف الرفض الاسرائيلى بكل وسائل الدعم .

والسبب الوحيد خلف الموقف الاسرائيلى الامريكى ، هو اقتناع هذين الطرفين بأن حجم النصر العسكرى لا يزال قادرا على انتزاع مكاسب اكثر من تلك التى نص عليها القرار .

والواضح حتى الان ، أن كافة المحاولات لتطبيق قرار مجلس الامن قد فشلت بسبب العناد الاسرائيلى الامريكى ، القائم على هذه التقديرات .

الموقف يختلف تماما عن عام ١٩٥٦

والحل ؟

ان كافة الاطراف الوطنية ، تصر على ضرورة ازالة آثار العدوان ، وترفض تحول الاحتلال الاسرائيلى لاجزاء واسعة من الارض العربية ، الى احتلال دائم ، كما حدث فى اراضى ١٩٤٨ .

ولكن من المتصور ان يكون هناك اكثر من رأى بالنسبة لاسلوب المواجهة ، القادر على تجاوز الازمة . ويهمنا هنا بشكل خاص أن نؤكد أن أسلوب مواجهة هذه الازمة ، لن يكون تكرارا لما تم فى عدوان ١٩٥٦ حين أتفق موقف الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة حول ادانة العدوان الثلاثى، وضغط كل بطريقته ، ولدوافعه المختلفة، لانهاء العدوان واجلاء قواته .

فحالة العالم والمنطقة — فى ذلك الوقت — كانت تختلف كثيرا عن أوضاع اليوم .

ان موقف الاتحاد السوفيتى عام ١٩٥٦ لم يختلف — فى جوهره — عن موقفه اثناء عدوان ١٩٦٧ ، فهو فى الحالتين ايد نضالنا العربى ضد عدوان الامبريالية الغربية ، بلا تحفظ .. ولكن اسلوب الاتحاد السوفيتى فى مساندتنا هو الذى اختلف ، ففى عام ١٩٥٦ كان تدخله فى صورة التحذير الشهير باستخدام الصواريخ البعيدة المدى ضد عواصم العدوان .

أما فى عدوان ١٩٦٧ فقد نما التعاون السياسى بين الدول العربية — وخاصة الجمهورية العربية المتحدة — وبين الاتحاد السوفيتى .

وهذا الاختلاف فى اسلوب المساهمة السوفيتية فى مواجهة العدوان ، يسبب قلقا متزايدا لدى حلف الاطلنطى ، لان آثاره يمكن ان تتعدى منطقة النزاع فى الشرق الاوسط ، فهو يخلق موقفا جديدا فى كل منطقة البحر الابيض ، ويؤثر بالتالى على حساب التوازنات الدولية ، وعلى ترتيبات حلف الاطلنطى فى جنوب اوربا .

ومن ناحية اخرى فان الاختلاف فى اسلوب المساهمة السوفيتية لمواجهة العدوان الامبريالى جاء نتيجة لتقدم الطاقة العسكرية فى الاتحاد السوفيتى ، وفى مدى قدرتها على مساعدة حركات التحرر الوطنى .. وجاء ايضا كثمرة للتغيرات الاقتصادية والسياسية التى حدثت فى منطقتنا العربية منذ عدوان ١٩٥٦ .

ولاشك ان كل هذه التغيرات تجعل موقف الولايات المتحدة — الان — يختلف عن وضعها عام ١٩٥٦ . ففى عام ١٩٥٦ كانت الولايات المتحدة تهدف الى وراثة الاستعمار العجوز لبريطانيا وفرنسا ، وفى نفس الوقت كانت تسعى لوقف اتجاهات التحرر فى البلاد العربية ، وتحطيم اية مبادرات للتعاون الوليد بين هذه البلاد والاتحاد السوفيتى .

اما فى ازمة ١٩٦٧ ، فلم تعد مهمة السياسة الامريكية ان ترث استعمارا قديما ، فقد تلاشى النفوذ الاستعمارى لبريطانيا وفرنسا ، واصبحت المشكلة هى الا يتلاشى النفوذ الاستعمارى الامريكى ، ان استعادة المنطقة الى مجال سيطرته هى الهدف الان .

ان الموقف يختلف تماما عن ١٩٥٦ .. واذا كان التدخل الامريكى فى ازمة الشرق الاوسط عام ١٩٥٦ هو — فى المقام الاول — على حساب الاستعمار البريطانى والفرنسى ، فانه اليوم يتجه ضد علاقات الاتحاد السوفيتى ووجوده فى المنطقة .

ونحن لم نحزن على ضياع مصالح الامبراطورية البريطانية او الامبراطورية الفرنسية ، ولكننا لن نوافق على تخريب العلاقات مع الاتحاد السوفيتي، فهى علاقات سعينا اليها نحن ، واستفدنا بها فى تدعيم استقلالنا وتقدمنا ، ونحن لم نحقق هذه العلاقات الا بفضل قدرتنا على التعامل الدولى الحر ، واختيار الحلفاء ، وليس الاوصياء ، بوحى من مصالحنا القومية وحدها .

هذا هو موقفنا .. ولكن من المنطقى تماما ان نتوقع ان الولايات المتحدة لن تتدخل لاقناع اسرائيل بالانسحاب — اذا حدث وفعلت هذا — الا بثمن تاتى فى مقدمته تصفية او اضعاف العلاقات مع الدول الاشتراكية ، وذلك بهدف الانفراد بنا ، واستعادة سيطرتهم علينا .

وليس هذا كل الثمن .. فيبدو ان الولايات المتحدة — استفادة بخبرة ١٩٥٦ — لا تفكر ابدا بخروج مصر من هذه الازمة بمظهر البطل المنتصر . والا استطاعت مصر ان تواصل قيادة حركة التحرر والوحدة ، فى العالم العربى ، ان الولايات المتحدة تصر على ان يخرج العالم العربى ممزقا بعد اية محاولة للتسوية .

ومن ذلك — على سبيل المثال — الاصرار فى اكثر من مناسبة على تحقيق تسويات منفصلة مع كل بلد عربى ، والهدف اظهار ان مصر قد تخلت عن باقى البلاد العربية .. واذا نجح هذا فى عزل مصر عمليا ومعنويا انهارت المعنويات فى الاقطار الاخرى ، ويمكن فى هذه الحالة أن تنهب ارض كثيرة ، وتفرض اسرائيل شروطا استسلامية على الاطراف العربية الاضعف .. وهكذا .

والمسألة الثالثة بعد هذا هى التغيير فى النظام الاقتصادى والسياسى .. ان الولايات المتحدة لن تتدخل لاقناع اسرائيل بالجلاء عن بعض الاراضى . الا مع ضمانات بتغيير فى النظم الاقتصادية التى تقوم على القطاع العام ، وتستهدف تحقيق تنمية صناعية ، وتقف ضد تسلل رؤوس الاموال الاجنبية ونهبها .

وليس ضروريا ان يتحقق تغيير جذرى فى هذا الاتجاه مرة واحدة ، ولكن ستسعى الولايات المتحدة الى تحقيق بعض التغيير الذى يطمئن الى طبيعة المسار فى المستقبل .

اذا حصلت الولايات المتحدة على هذا الثمن ، او على جزء كبير منه .. يمكن ان تتدخل لاقناع الاطراف المتشددة فى اسرائيل .

ولا ادرى . هل ستعتبر — فى هذه الحالة — محايدة فى الصراع العربى الاسرائيلى ؟ حتى لو عادت لنا اغلب الارض او كلها ؟

بالنسبة لاسرائيل — والولايات المتحدة ايضا — من الافضل ان تخرج اسرائيل من التسوية ببعض التوسع فى الارض ، فكل زيادة فى مساحتها تعنى مزيدا من المهاجرين الصهيونيين ، ومزيدا من القدرة على التأثير فى المنطقة ، خدمة للمخططات المشتركة .. ومن ناحية اخرى فان كل فقدان لارض عربية ، هو تعميق للاحساس بالهزيمة والضياع ، وكل هذا مطلوب من وجهة نظر الاعداء

ولكن حتى اذا لم يكن تحقيق ذلك ممكنا او مستساغا . ماذا تجدى الارض ، اذا كانت فوق بلادنا نظم متهرئة تسمح بتغلغل النفوذ الاقتصادى الاجنبى ، واذا اصبحت البلاد العربية مفرقة وممزقة لا يربطها أمل او تنسيق مشترك .. واذا استبعد من المنطقة حلفاؤنا الدوليون فى الدول الاشتراكية ؟

ان الطريق — فى هذه الحالة — مفتوح تماما امام التوسع الاقتصادى للامبريالية الامريكية واسرائيل . ولعلها — أى اسرائيل — لن تحتاج — فى حالة فرض هذه الشروط — الى ضغط أمريكى بقطع المعونات لكى تقتنع !

ان هذا الاتجاه لحل مشكلتنا مع اسرائيل ، قد يحل — فى احسن الاحوال — مشكلة مباشرة وهى استعادة الارض المحتلة ، ولكنه يهدد الاهداف الاستراتيجية للنضال العربى .

منهج وحيد لمواجهة العدوان

اذا كانت تجربة ١٩٥٦ — بناء على ذلك — غير قابلة للتكرار .. فان المنهج الوحيد ، القادر على صد العدوان ، وهزيمة أهدافه السياسية، يقوم على الاسس التالية :

١ — خلق قوة ذاتية مؤثرة ، والامكانيات البشرية والاقتصادية لمصر قادرة على النضال الطويل .

٢ — المعونات السوفيتية ، ومن الدول الاشتراكية ، تستطيع دعم قوتنا الذاتية ، وبقدر الجدية وبقدر البسالة والتضحية ، سنحصل على مزيد من الدعم من قوى التقدم والتحرر فى العالم

٣ — القوة المصرية المدعمة بالمساعدات السوفيتية قادرة — من خلال النضال والقتال —

على ان تشد الاقطار العربية الى ساحة المعركة باسلحتها العسكرية والاقتصادية والسياسية .

٤ ــ القوة المصرية العربية ــ عند حركتها بكل الطاقة ــ لن تكون عنصرا هاما فى حسابات الموقف . ولكنها العنصر الحاسم ، وهى قادرة على احداث ضغط حقيقى يجبر العدو الاسرائيلى على التراجع .

٥ ــ وهذا الاتجاه لا يلغى اهمية الاتصال المستمر بالولايات المتحدة ، وبالتنسيق مع حلفائنا الدوليين .. ولكن هنـاك فارق بين الاتصال بالولايات المتحدة على انها المنقذ ، وبين الاتصال بالولايات المتحدة لاقناعها بضرورة التراجع امام التغير فى ميزان القوى ، بيننا وبين اسرائيل .

وليس مستبعدا ــ وفق هذا التحليل ــ ان ينشأ تناقض بين الموقف الامريكى وبين الموقف الاسرائيلى اثناء الصراع ، فمن الطبيعى ان تكون هناك تقديرات متباينة بين اسرائيل وبين الولايات المتحدة حول الموقف فى الشرق الاوسط .

فأزمة الشرق الاوسط هى كل شىء بالنسبة لاسرائيل ، وهى تنظر الى كافة المشاكل الدولية من خلال موقعها ومكاسبها فى الشرق الاوسط ، اما الولايات المتحدة فهى تنظر الى مشكلة الشرق الاوسط كجزء من اهتماماتها ومصالحها العالمية ، ووفقا لحساباتها الاستراتيجية حول التوازن الدولى ، ان حساسية الولايات المتحدة قبل المصالح البترولية وقبل الاسطول السوفيتى فى البحر الابيض اكثر بالقطع من حساسية اسرائيل

ويتصور وفقا لذلك أن تستجيب السياسة الامريكية للتغير فى توازن القوى داخل المنطقة بشكل اسرع من استجابة الدوائر العسكرية الاسرائيلية .

ومن التجارب التاريخية نذكر ان النظم الفاشية العسكرية الالمانية ــ خلال الحرب العالمية الثانية ــ فشلت فى اجراء تراجعات سياسية فى الوقت المناسب ، ولو انهت النازية الالمانية حربها قبل وصول الحلفاء الى مشارف المانيا ، لكان بوسعها ان تحصل على بعض الامتيازات السياسية للامبريالية الالمانية .. ولكنها اختارت طريق الاستمرار فى حرب كان واضحا انها خاسرة فانتهت الى التسليم بدون قيد او شرط .

وليس مستبعدا او مستغربا ان تفكر المؤسسة العسكرية الفاشية فى اسرائيل بنفس الاسلوب ، وفى هذه الحالة يمكن ان تتدخل الولايات المتحدة لاجبار اسرائيل على قبول بعض التراجعات لكى لا تفقد ، وتفقد الولايات المتحدة معها كل شىء .

انتصـــارنا لا يوجب تحقيق كــل أهـــدافنا

وبالمناسبة فان هذا التحليل لا ينفى امكانية قبول بعض المساومات السياسية من جانبنا ، فالتعامل مع العدو من مركز قوة لايفترض بالضرورة املاء كل الشروط التى نطلبها ، ونحن نعلم ان الظروف الدولية ومخاطر المواجهات النووية ، قد تفرض قيودا على استمرار القتال ، او تصعيده ، فى مراحل معينة ، ولكن اصرارنا على القتال ، والشجاعة فى مواجهة الموقف ، تحقق لنا شروطا افضل عند اية تسوية .. شروطا قد تحمل بعض التنازلات ، ولكن دون ان تتعارض مع الاهداف العربية الاستراتيجية .

وفى هذه الحالة فان تطبيق قرار مجلس الامن ــ على سبيل المثال ــ سيتخذ طابعا مختلفا .

● فقبولنا بتنفيذه لن يترك احساسا لدى الجماهير العربية بأننا سلمنا بالهزيمة .

● وسنتمكن من فرض ان تكون التسوية شاملة لكل الاقطار العربية ، وليس لمصر وحدها ، وهو المبدأ الذى ركز عليه القائد الراحل عبد الناصر باستمرار : الجولان والقدس والضفة الغربية قبل سيناء .

● سيتمكن الشعب الفلسطينى من تحقيق اكبر جزء ممكن من اهدافه فى هذه المرحلة .

● سيكون من المسلم به ان انهاء حالة الحرب مع اسرائيل لن يمنع الحصار السياسى والاقتصادى حولها ، واذا تذكرنا ان فترة السلام منذ ١٩٥٧ حتى ١٩٦٧ وصلت باسرائيل الى ازمة اقتصادية عنيفة ، فان العودة الى ظروف المحاصرة ، واجبار اسرائيل على استمرار الاعتماد فى حياتها اليومية على المساعدة الخارجية والمعونة ، سيضع العدو فى موقف صعب .

● **اذا تم كل ذلك بعد ضغط عسكرى واضح ، وباجبار للولايات المتحدة على التراجع ، يمكن ان نتصور اثر ضياع هيبة المؤسسة العسكرية الاسرائيلية على اوضاع المجتمع الاسرائيلى المهلهل ، والذى لا يمنع تفتته الا انتصارات جيشه .**

● ومن ناحية اخرى فان المجتمع المصرى الذى يشن هذا القتال سيصل الى أى اتفاق من خلال تأكيد للثقة بالنفس ، ومن خلال تنظيم دقيق لجماهيره وامكانياته ، واثر ذلك واضح على المجال العربى ، وعلى مواصلة النضال من اجل الاهداف الاستراتيجية .

● حركة التحرر العربى اذا كانت عاملا حاسما فى تسوية الازمة ، ستخرج محتفظة بارادتها الحرة فى تحديد علاقاتها الدولية ، وبالتالى ستظل محافظة على ما حققته فى مجال علاقتها بالاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية .

الخلاف تعبير عن تناقض فى موقف الطبقات

هذا هو المنهج الثورى لمواجهة العدوان ، واذا كان هناك من يختلف حوله . فلا ينبغى أن نتصور ان الاختلاف هنا اختلاف بين اجتهادات فكرية مجردة ، فحقيقة الامر انه يعكس خلافا بين موقف الطبقات داخل التحالف الوطنى .

وليس خطأ ان نعترف بذلك ، فنحن نقر بأن التحالف الوطنى يشمل عديدا من الطبقات ، ونحن نقر بوجود تناقض بين هذه الطبقات الوطنية ، ومن المفيد ان نواجه هذا التناقض بصراحة كى نتمكن من علاجه باسلوب ديمقراطى يؤكد وحدة الجبهة الداخلية فى احرج فترة مرت بها بلادنا .

ان الخلاف الجوهرى مع الاتجاه الثورى يتركز بشكل اساسى حول وزن القدرة المصرية فى حسم المعركة ، وكل الاوجه الاخرى من الخلاف هى نتيجة لذلك ، لانه اذا كانت القدرة المصرية عاجزة — ومعها حلفاؤها بطبيعة الحال — فليس هناك من نتيجة عملية ، الا انتظار تغيير الموقف الامريكى والاستعداد لقبول بعض الشروط المجحفة .

والخلاف حول قدرة مصر ، لا يرجع الى تباين فى البيانات أو الاحصاءات المتوافرة .. ولكن هنا — بالذات — السبب هو التناقض بين موقف الطبقات .

ان اعتبار الجبهة المصرية قوة حسم .. يعنى مواجهة شجاعة مع أعداء أقوياء ، وهو يعنى اطلاق كل الطاقات .. والاستعداد للتضحية بلا حدود .

هذا الخط الثورى يعنى أن أحياء كاملة قد تدمر ويعنى أن مدنا كبيرة قد يخرب جمالها ، سيبذل عشرات الالوف ، ولا أقول مئات الالوف ، أرواحهم ، ومن يفلت من القتل سيواجه أزمات فى الاكل ، وأحيانا فى الماء .

أنها الحرب .. بكل قسوتها وبشاعتها !

ولا ينبغى أن نتخيل أن كافة طبقات المجتمع ستواجه هذا الموقف بنفس القدرة على الاحتمال الكل وطنى يريد طرد الغزاة ، ولكن طبائع الامور ، وتجارب التاريخ تثبت أن بعض الفئات الاجتماعية تبدى فى مواجهة معركة طويلة ومريرة ومصيرية ، وملیئة بالتضحيات اتجاها محافظا دفاعا عن مصالحها .

وفى مقابل هذا الموقف ، وفى حياتنا اليومية — وبعيدا عن أية تحليلات نظرية — رأينا بأعيننا أن الجماهير الكادحة استقبلت بحماس بالغ خطب الرئيس عبد الناصر ، ومن بعده خطب الرئيس السادات ، وهما يتكلمان عن التضحيات التى تفرضها الحرب .

ولا يعنى ذلك ان نستبعد فئات معينة من تحالفنا الوطنى ، ولكنه يعنى أن يتأكد الدور الاجتماعى والسياسى للطبقات الاكثر استعدادا لاقتحام المخاطر والتضحية .

ان وجود هذه الطبقات فى قيادة التحالف الوطنى هو طريقنا للمواجهة الثورية مع العدو .. وهو طريقنا للاقتحام وتحمل الصدمات ، وهذه حقيقة موضوعية ، وينبغى أن تصاغ حياتنا السياسية وفق هذه الحقيقة ..

ان اعداد الامة للقتال لا يتحقق — أساسا — بحشد أحدث الاسلحة .. وانما باعادة تشكيل المجتمع اقتصاديا وسياسيا، الى وضع الاستعداد لتضحيات الحرب ، ولقد ثبت بالتجربة أن نضالنا للتنمية يحتم تغيير أوضاع المجتمع ، ويحتم بالتالى التحول الاشتراكى ، وتسليم القيادة للطبقات القادرة ، وصاحبة المصلحة فى التنمية الاقتصادية السريعة والعادلة .

والحرب الساخنة تؤكد نفس النتيجة بالحاح اشد ، وحين يتحقق ذلك — بشكل كامل — من خلال الاتحاد الاشتراكى ، سنطبق الخط الثورى لمواجهة العدو بشكل صحيح .

هـذا خط عبد النـاصر

بقيت بعد ذلك نقطة ، لم أشأ أن أضعها فى بداية الحديث ، حتى لا يؤثر وزنها على سياق النقاش ، هذه النقطة هى أن الخط الثورى لمواجهة العدوان ، هو الخط الذى رسمه القائد الراحل عبد الناصر ، وهو الخط الذى سار عليه حتى سقط فى ميدان المعركة .

ولم يكن هذا الخط خطبا أو كلمات ، ولكن كان عملا متواصلا داخل القوات المسلحة وخارجها .. وكان معارك بالسلاح وبالاتصالات السياسية وفق المفهوم الذى اشرت اليه ، وقد كان النضال لتنفيذ بيان ٣٠ مارس ، واعادة تشكيل الاتحاد الاشتراكى جزءا أصيلا من الاستراتيجية الثورية .

ولكننا فقدنا القائد عبد الناصر فى منتصف الطريق ، لم نكن قد اتممنا — تحت قيادته — كل المهام . وبقى علينا أن نواصل ، وبعزم أشد ، لان حربنا ضد العدو تقترب من مرحلة فاصلة .

وينبغى ان ندرك قيمة الوقت . ليس من حقنا أن نطالب بالتورط فى صدام واسع قبل انهاء الاستعداد ، وقبل التيقن من دقة الحساب ، ولكن من حق كل مواطن أن يشارك فى الاستعداد .. وأن يحاسب كل من يتقاعس فى الاشتراك .. ومن حق كل مواطن ان يحاسب اى عنصر قيادى لا يكون قدوة فى التحمل والبذل .

ان الولايات المتحدة ، ومعها اسرائيل ، تتصور ان امتداد الزمن دون حل للمشكلة ، قد يصل بنا الى اليأس من قدراتنا ومن حلفائنا .. وبالتالى الى الاقتراب من اتجاه الاستسلام ، والقبول بأى شىء .

ولكننا لن نصل الى هذا الموقف ابدا .. مادمنا نشارك بأيدينا فى بناء قوتنا واستعدادنا . ونحن نعلم منذ البداية أن معركتنا طويلة .. ولكن حين نحسن استخدام ما تحت يدنا من امكانيات ، فان النصر أكيد .

فى العـدد القـادم

المسرح المصرى الحديث .. قضـايا ومشـكلات

تقدم « الطليعة » فى العدد القادم دراستها الرئيسية حول المسرح المصرى من حيث المنجزات الايجابية والازمات السلبية التى يتعرض لها . وقد اشترك فى اعداد الدراسة نخبة من النقاد التقدميين المتخصصين ، الى جانب الشهادات الواقعية التى أدلى بها العاملون فى الحقل المسرحى من شتى الاتجاهات والاجيال .



دور القرية المصرية في خطة التنمية

أحمد حسن ابراهيم

يمثل المجتمع الحضرى، او مجتمع المدينة فى مصر امتدادا طبيعيا للقرية المصرية بعاداتها وتقاليدها وانماط الحياة منها وجوهر سلوك سكانها ، ويرجع ذلك الى النشأة الاولى للمجتمع المصرى كمجتمع ريفى زراعى بحكم أماكن تجمعه التى كانت تحددها خصوبة التربة ، وتوفر مياه الرى اللازمة للزراعة التى كانت وما تزال هى النشاط الاساسى لنمو ٦٥ فى المائة من جملة السكان (١) .

أى ان القرية هى الاصل والاساس فى نشأة المجتمع المصرى على العكس مما هو حادث بالنسبة لمجتمع مثل مجتمع الولايات المتحدة الامريكية ، حيث كانت المدينة هى الاصل والاساس ، وكانت القرية هى الامتداد الطبيعى لها بكل عاداتها وتقاليدها وأنماط الحياة فيها وجوهر سلوك سكانها بحكم قيام المجتمع الامريكى على مهاجرين من المجتمع الاوربى الذى يمثل على المستوى العالمى مجتمع المدينة أو المجتمع الحضرى ، جاءوا معهم بكل التراث الحضارى للمدينة الاوربية الى القرية الامريكية .

من هنا تأتى أهمية وخطورة دور القرية المصرية فى تكوين المجتمع المصرى وتنميته وتطويره بصفة عامة ، ودورها المؤثر على برامج وخطط التنمية الاقتصادية بصفة خاصة وبسبب الادراك لمدى خطورة هذا الدور فقد نص فى ميثاق العمل الوطنى على ان « وصول القرية الى المستوى الحضرى ليس ضرورة عدل فقط ، ولكنه ضرورة أساسية من ضرورات التنمية » .

[١] البالغ عددهم فى ٦٧/٦٨ نحو٣٢،٠٥٩ مليون منهم ١٩،٧١٦ مليون منالسكان الزراعيين وذلك حسب تقديرات وحدة السكان والقوى العاملة بوزارةالتخطيط — مذكرة رقم ٦٧٧ عن تقديرعدد السكان فى ج٠ع٠م٠ سنويا للفترة [٦٠/٦١ — ٦٩/٧٠] اعداد عبدالرءوف فرج وحسنى ابو سعدة — مايو١٩٦٤ .

تجمع القوى الانتاجية الزراعية

ترجع اهمية القرية المصرية فى الاقتصاد القومى بالدرجة الاولى الى كونها تمثل على المستوى القومى تجمع للقوى الانتاجية الزراعية ، وهى بذلك تستمد اهميتها من اهمية قطاع الزراعة ودوره فى الاقتصاد القومى ، هذا الدور الذى يمكن تلخيصه فى انه :

● مصدر غذاء السكان سواء فى الريف أو الحضر ، ومن هنا فانه مطالب بالوفاء بالاحتياجات الغذائية للسكان المتزايدة كما ، مع تزايد عدد السكان والمتغيرة نوعا ، مع ظهور وتزايد حجم فئة السكان الصناعيين وارتفاع مستوى دخولهم وما ينشأ عنه من تغير فى نوعية استهلاكهم فضلا عن كميته .

● مصدر المواد الخام اللازمة للصناعة ومن هذه الناحية فانه يمكن أن يلعب دورا هاما فى زيادة معدلات النمو والاسراع بعملية التنمية ، ذلك أن زيادة انتاجية عناصر الانتاج فى الزراعة تعنى انخفاض تكاليف انتاج المواد الزراعية الخام الامر الذى قد يؤدى الى انخفاض ثمنها كجزء من التكاليف الصناعية وبالتالى وجود فائض فى الصناعة يمكن اعادة استثماره ، لذلك فان زيادة الانتاج الزراعى من هذه المواد الخام يتيح الفرصة لزيادة الطاقة الانتاجية التحويلية لهذه المنتجات ، ومن ثم خلق مزيد من فرص العمل فى الصناعة بالاضافة الى رفع الكفاءة الانتاجية لوحدات قطاع الصناعات التحويلية بصفة عامة وكذلك زيادة الطاقات التشغيلية لقطاع النقل .

فعلى سبيل المثال زادت الكمية المنتجة من السكر المكرر من ٣٣٦ الف طن فى عام ١٩٥٩ — ١٩٦٠ الى ٤٠٤ ألف طن فى سنة ١٩٦٤ — ١٩٦٥ أى بنسبة ٢ر٢٠ فى المائة،وذلك كنتيجة لزيادة انتاج قصب السكر من ١٩٣ر٩٦ الف قنطار فى ٥٩—٦٠ الى ٨٤٧ر١٠٨ الف قنطار فى ٦٤—١٩٦٥ اى بنسبة ٢ر١٣ فى المائة ، وتطور انتاج الجبن الابيض من ٥ر٩١ ألف طن فى ٥٩—٦٠ الى ١ر١١٤ ألف طن فى ٦٤ — ٦٥ بنسبة ٧ر٢٤ فى المائة ثم الى ٤ر١١٨ الف طن فى ٦٦—٦٧ بنسبة ٨ر٣ فى المائة زيادة عن ٦٤—١٩٦٥ كنتيجة للزيادة فى انتاج اللبن من ٩٩٠ الف طن فى ٥٩—٦٠ الى ١٣٢١ ألف طن فى ٦٤—٦٥ بنسبة ٤ر٣٣ فى المائة ثم الى ١٤٧٠ ألف طن فى ٦٦—١٩٦٧ بنسبة ٣ر١١ فى المائة زيادة عن ٦٤—١٩٦٥ . كذلك زادت الكمية المنتجة من زيت بذرة القطن من ٦ر١٠٣ الف طن فى ٥٩—٦٠ الى ٨ر١٢٧ الف طن فى ٦٤—٦٥ بنسبة ٤ر٢٣ فى المائة ثم عادت فانخفضت الى ٨ر١٢٥ الف طن فى ٦٦—٦٧ بنسبة ٦ر١ فى المائة اقل عن ٦٤—٦٥ وذلك نتيجة للتغيرات فى انتاج القطن الزهر بالزيادة من ٨٣٨٥٩ ألف قنطار مترى فى ٥٩ — ٦٠ الى ١ر١١٤ الف طن فى ٦٤ — ٦٥ بنسبة ٦٤—١٩٦٥ بنسبة ٧ر٨ فى المائة ثم انخفاضه الى ٨١٨٥ الف قنطار مترى فى ٦٦—٦٧ بنسبة ٨ر١ فى المائة اقل عن ٦٤—٦٥ .

من ذلك يتضح أن كفاءة استخدام الطاقة الانتاجية الصناعية فى الصناعات التى تعتمد على الزراعة كمصدر للمواد الخام تتأثر زيادة وانخفاضا بكفاءة انتاج هذه المواد ، وبالكميات المنتجة منها ، فليس ثمة شك فى ان الزيادة فى انتاج القطن الزهر تؤدى الى زيادة طاقة التشغيل فى صناعات حلج وكبس القطن وعصر الزيوت ، وبالمثل تؤدى الزيادة فى انتاج الارز الى زيادة طاقة التشغيل فى صناعة ضرب وتبييض الارز ، وفى نفس الوقت تؤدى زيادة الكميات المنتجة من المحاصيل الزراعية الى تنشيط حركة النقل وزيادة الطاقة التشغيلية لقطاع النقل .

● والقطاع الزراعى يستوعب حوالى نصف القوى العاملة المشتغلة فى مصر حيث بلغ عدد المشتغلين فيه فى ٦٦ — ١٩٦٧ نحو ٩٠٤ر٣ الف مشتغل من المجموع الكلى لعدد المشتغلين فى نفس السنة ، والبالغ نحو ٧١٤ر٧ الف مشتغل ، كما أنه يمثل المصدر الوحيد لدخل هؤلاء المشتغلين ومن ثم كان العامل المحدد لدخولهم وبالتالى لمستوى معيشتهم حيث أن مستوى معيشة العاملين يرتبط بانتاجهم فكلما زاد الانتاج زادت الدخول وزادت تبعا لها القدرة على الشراء وتحسن مستوى المعيشة ، ولكى يتحقق ذلك ينبغى العمل على تواجد الحد الامثل من العمالة البشرية اللازمة للانتاج الزراعى والعمل على امتصاص فائض العمالة فى قطاع الزراعة وتوفير فرص العمل له فى القطاعات الزراعية بالاضافة الى العمل على تصنيع الريف .

● يساهم بالنصيب الاكبر فى تكوين اجمالى الدخل القومى ، فقد بلغت نسبة مساهمة قطاع الزراعة فى تكوين اجمالى الدخل المحلى ٦ر٢٩ فى المائة فى عام ٦٤ — ١٩٦٥ و ٢ر٢٩ فى المائةفى ٦٥—١٩٦٦ وذلك على أساس أسعار سنة

٦٤ــ١٩٦٥ (٢) . كما أن هذه النسبة محسوبة على أساس تكلفة عوامل الانتاج الثابتة لسنة ٦٤ــ١٩٦٥ بلغت ٧ر٢٩ فى المائة و٧ر٢٨ فى المائة ، ٦ر٢٧ فى المائة فى سنوات ٦٤ــ٦٥ ، ٦٥ ــ ٦٦ ، ٦٦ ــ ٦٧ على التوالى (٣) . وعلى ذلك فان أى تقدم يطرأ على الانتاج الزراعى ويؤدى الى زيادة معدلات نموه السنوى يعنى زيادة فى اجمالى الدخل المحلى ، ومن ثم زيادة الدخل الفردى ، وارتفاع مستوى معيشة السكان ، او على الاقل حماية متوسط الدخل الفردى من التدهور والانخفاض كنتيجة للزيادات السنوية الكبيرة فى اعداد السكان ، ومن الناحية الاخرى فان اى تدهور فى معدلات زيادة الانتاج الزراعى او حتى ثبات هذه المعدلات لا يعنى فقط ثبات دخول الافراد وانما يعنى أيضا انخفاض هذه الدخول وبالتالى لا تكون جهود التنمية قد حققت أهدافها .

● يمثل المصدر الاول لصادراتنا الى العالم الخارجى فقد بلغت نسبة قيمة الصادرات الزراعية نحو ٦٦ فى المائة من جملة قيمة الصادرات فى ٦٦ــ١٩٦٧ وكانت هذه النسبة ٥ر٦٩ فى المائة فى ٦٥ــ١٩٦٦ كما أنها بلغت ٢ر٧٥ فى المائة فى ٥٩ ــ ١٩٦٠ (٤) ، فهو بذلك يمثل الوسيلة أو المصدر الرئيسى لحصولنا على العملات الاجنبية اللازمة لتمويل مشروعات خطط وبرامج التنمية الاقتصادية ، وخلق صناعة متطورة ، وفى هذا المجال ايضا فان أى تقدم يطرأ على انتاجية قطاع الزراعة يزيد من قدرتنا التصديرية وبالتالى من معدلات وسرعة التنمية الاقتصادية .

● يمثل السوق الرئيسية التى تستوعب منتجات قطاع الصناعة فهو اولا يستهلك من انتاج الصناعة الالات الزراعية ومستلزمات الانتاج الزراعى كالمبيدات والاسمدة الكيماوية وبذلك يشجع على نمو الصناعات الوطنية فى هذه المجالات ، كما أنه ثانيا يمتص الانتاج الصناعى من السلع الاستهلاكية حيث يمثل السكان الزراعيين الغالبية العظمى من اجمالى عدد السكان ، ومن هنا كان كل نمو فى قطاع الزراعة مصدرا لزيادة دخول السكان الزراعيين ، وبالتالى زيادة استهلاكهم من السلع الاستهلاكية الصناعية ، الامر الذى يؤدى الى زيادة الطلب على هذه السلع ، ومن ثم تشجيع الانتاج الصناعى وخلق أسباب نموه وتطوره .

● يلعب الدور الرئيسى فى تمويل عمليات التنمية حيث أنه ــ بالاضافة الى ماسبق ــ يخلق الفائض الاقتصادى فى الزراعة الذى يمكن تخصيصه لاغراض الاستثمار فى الصناعة ، فمن المعروف أن تنفيذ المشروعات الصناعية يؤدى الى زيادة عدد المشتغلين ، وبالتالى زيادة الطلب على السلع الغذائية ، فاذا لم يتوفر القدر الكافى من هذه السلع لمواجهة الزيادة فى الطلب الناشئة عن الزيادة فى العمالة المتحققة بسبب زيادة الاستثمارات فى الصناعة ، فان ذلك سوف يؤدى الى ارتفاع أسعار الغذاء وخلق نوع من التضخم فى بقية القطاعات المكونة للاقتصاد القومى الامر الذى يؤدى فى النهاية الى اعاقة عملية التنمية ، وتوفير هذا القدر الكافى من السلع الغذائية لمواجهة الطلب المتزايد على الغذاء يتطلب وجود فائض من هذه السلع ، وهذا الفائض يحدد حجم الاستثمارات التى تدفع بها الزراعة الى القطاعات الاخرى غير الزراعية ، ويظهر ذلك واضحا فى حالة بناء الطرق التى تحتاج بدرجة أساسية الى قوى عاملة بشرية ــ هى متوفرة بالفعل فى ريف مصر ــ والى توفير الغذاء لهذه القوى العاملة .

ويتحقق الفائض من السلع الغذائية بوجود فرق بين الكميات المنتجة منها والكميات المستهلكة على مستوى المزرعة أو القرية ، ويتم هذا عن طريقين هما :

ــ زيادة فى الانتاج تفوق زيادة الاستهلاك على مستوى القرية أو مع ثبات هذا الاستهلاك .

ــ نقص فى الاستهلاك على مستوى القرية فى حالة ثبات الانتاج .

ومن المسلم به ان الطريق الثانى يتعارض مع فكرة التنمية ذاتها . ولذلك فليس هناك بديل عن الطريق الاول وهو تحقيق زيادة فى الانتاج تفوق الزيادة فى الاستهلاك ليس على مستوى القرية فقط،وانما على المستوى القومى كله بحيث يتبقى فائض متزايد للتصدير ، ونجاح هذا الطريق فى بلوغ

---

[٢] متابعة وتقييم النمو الاقتصادى فى ج . ع . م . عن سنة ٦٥/٦٦ ــ وزارة التخطيط ــ سبتمبر ١٩٦٧ .
[٣] متابعة وتقييم النمو الاقتصادى فى ج . ع . م . عن سنة ٦٦/٦٧ ــ وزارة التخطيط ــ اغسطس ١٩٦٨ .
[٤] مرجع سبق ذكره .

الهدف من عملية التنمية يتوقف على العادات الانتاجية والاستهلاكية للسكان الزراعيين اى سكان القرية بالدرجة الاولى .

تأثير القرية على برامج وخطط التنمية الاقتصادية

ان دور القرية المؤثر فى برامج وخطط التنمية الاقتصادية هو دور ذو شقين :

أولهما : منشط لعملية التنمية ويتعلق بالقرية كوحدة أو تجمع لقوى انتاجية زراعية تثرى عملية التنمية وتنشطها .

وثانيهما : مثبط لعملية التنمية ويتعلق بالقرية كوحدة مستهلكة للسلع والخدمات وهى من هذه الناحية تمتص جزءا كبيرا من ناتج جهدها كوحدة انتاجية بالاضافة الى نواتج جهود غيرها من الوحدات الانتاجية الاخرى ، وهى بذلك تمثل احدى العقبات والصعوبات التى تحد من انطلاق خطط وبرامج التنمية نحو تحقيق أهدافها .

أولا : فيما يختص بالقرية كعامل منشط لعملية التنمية نجد انها قد ساهمت بدرجة ما فى تحقيق اهداف خطة السنوات الخمس الاولى للتنمية ،

حيث أنها حققت فى نهاية سنوات الخطة زيادة فى قيمة الانتاج الزراعى مقدرا بالاسعار الثابتة فى سنة الاساس ٥٩ــ١٩٦٠ تبلغ نحوا من ٩٧ر٥ مليونا من الجنيهات وبنسبة ١٦ر٨ فى المائة عن قيمة الانتاج الزراعى فى سنة الاساس ٥٩ــ١٩٦٠ (٥) ، ومن ناحية أخرى تقدر هذه الزيادة محسوبة على أساس الاسعار الجارية بنحو ١٦١ مليونا من الجنيهات وبنسبة ٢٧ر٢ فى المائة عن قيمة الانتاج الزراعى فى سنة الاساس (٦) ، وفى نهاية سنة ٦٥ــ٦٦ زاد الانتاج الزراعى بنسبة ٣ر٥ فى المائة عما كان عليه فى ٦٤ــ٦٥ وذلك على أساس الاسعار الثابتة لسنة ٦٤ــ٦٥ ، وتقدر هذه الزيادة على أساس الاسعار الجارية بنسبة ٧ر٤ فى المائة كما أن نسبة الزيادة فى الانتاج الزراعى فى عام ٦٦ ـ ١٩٦٧ عنه فى ٦٤ ـ ٦٥ وبالاسعار الجارية تقدر بنحو ١٢ر٩ فى المائة (٧) .

وفى مجال اجمالى الدخل المحلى زاد الدخل المحلى من الزراعة فى نهاية الخطة الخمسية الاولى (٥٩ــ٦٠ ـ ٦٤ــ١٩٦٥) عنه فى سنة الاساس بنسبة تقدر بنحو ١٧ر٨ فى المائة وبمتوسط معدل نمو سنوى يقدر بنحو ٣ر٦ فى المائة (٨) .

وبالمقارنة بين أهداف خطة التنمية الاولى وبين ما تحقق من هذه الاهداف ، نجد أن قطاع الزراعة لم يستطع تحقيق اهداف النمو التى كان متوقعا أن يحققها ، فقد بلغت نسبة الزيادة المحققة فى الانتاج الزراعى فى نهاية الخطة الخمسية الاولى نحو ٨٢ر٢ فى المائة من الزيادة التى كان مستهدفا تحقيقها مقدرة على أساس الاسعار الثابتة فى سنة الاساس (٩) . وفى ٦٦ــ٦٧ لم يحافظ الانتاج الزراعى على المستوى الذى وصل اليه فى ٦٥ــ٦٦ فقد حدث نقص فى الانتاج الزراعى فى ٦٦ــ٦٧ يبلغ نحو ١ر٤ فى المائة عما كان عليه فى ٦٥ــ٦٦ وذلك على أساس الاسعار الثابتة فى ٦٤ــ٦٥ .

وفيما يتعلق بالدخل المحلى من الزراعة نجد أن نسبة الزيادة التى تحققت فى نهاية الخطة الخمسية الاولى بلغت نحوا من ٨٣ فى المائة من تلك التى كان مستهدفا تحقيقها عند وضع أهداف الخطة (١٠) . ولم يقف الامر عند قصور الانتاج الزراعى عن بلوغ الاهداف الموضوعة له فى نهاية الخطة الخمسية الاولى ، بل حدث أن انخفض الدخل المحلى من الزراعة فى ٦٦ــ٦٧ عنه فى ٦٥ــ٦٦ بنسبة ٣ر٢ فى المائة وعنه فى ٦٤ــ٦٥ بنسبة ٢ر٢ فى المائة وذلك على أساس تكلفة عوامل الانتاج الثابتة فى ٦٤ ـ ١٩٦٥ (١١) .

ان قصور قطاع الزراعة عن الوفاء بالتزاماته ، او تحقيق الاهداف التى كان يرجى منه تحقيقها يكشف عن ــ أو يرجع الى ــ وجود سلبيات داخل الشق المنشط فى دور القرية ، واثرها فى عملية التنمية ، ومن امثلة تلك السلبيات :

ــ تمسك الفلاح بعاداته وأساليبه البدائية فى الانتاج بفعل احساس خاطىء بتفوقه فى مجال المعرفة الزراعية على الفنيين المتخصصين هذا

---

[٥] ، [٦] متابعة وتقييم الخطة الخمسية الاولى [٦٠/٦١ ــ٦٤/١٩٦٥]ــ الجزء الاول ومتابعة وتقييم المعالم الاساسية للتنمية فى الخطة الخمسية الاولى ــ وزارة التخطيط ــ فبراير ١٩٦٦

[٧] متابعة وتقييم النمو الاقتصادى فى ج.ع.م. عن سنة ٦٦/٦٧ ــ وزارة التخطيط ــ اغسطس ١٩٦٨ .

[٨] ، [٩] مرجع سبق ذكره

[١٠] مرجع سبق ذكره

[١١] مرجع سبق ذكره

من ناحية ، وبسبب خوفه من كلّ جديد وتردده في ممارسته اذا كان يصاحبه تغيير لم يألفه الفلاح فيما يختص بتعامله مع أرضه ، ويترتب على هذا الخوف وذلك الرفض بطء فى استجابة الفلاح للاساليب الحديثة المتطورة فى مجـال الانتاج الزراعى ، وبالتالى استمرار هذا الانتاج حبيس الاساليب التقليدية البدائية التى تقيـد انطلاقه نحو التقدم للوفاء بالتزاماته وتحقيـق الاهداف التى يرجى منه تحقيقها . ولكن هذا يرجع ايضا الى القصور فى عمليات التوعية المباشرة أو عن طريق تقديم النموذج الحى على تأثير الاخذ بأحدث أساليب الانتاج على مستوى انتاجية العمل ، ومن ثم على مستوى المعيشة .

— انتشار المزارع الصغيرة المزقة المبعثرة والمشتتة الى أكثر من قطعة واحدة فى أكثر من مكان ، الامر الذى يظهر أثره فى عدم القدرة على الاستخدام الامثل للموارد الارضية وغيرها من عناصر الانتاج التى تستخدم عليها ، وبالتالى عجز هذه العناصر عن الوصول بانتاجيتها الى مستوى الانتاجية الاقتصادية الذى يمكن بلوغه على المزارع الاكبر .

— ضعف التجاوب بين الفلاح من نـاحية والمرشد الزراعى من ناحية اخرى حيث ينظر اليه الفلاح على أنه موظف قادم من المدينة ليمثل الحكومة ويكون وسيلتها الى انتزاع ما تريد من الفلاح أى أنه يعمل لمصلحة الحكومة وفى هذا المعنى يعتقد الفلاح أنه شىء وان الحكومـة وأجهزتها شىء آخر ، وهذا ميراث وامتـداد طبيعى لظروف الحياة التى عاشها وعانى منها الفلاح المصرى فى ظل القهر وسياسة التجهيل لفترات طويلة من الزمن .

— سوء استخدام الفلاح للحيوانات ، باستنفاذ طاقتها فى العمل بدلا من تخصيصها لانتاج اللحم واللبن واحلال الالات محلها فى العمل ، وان كان هذا القصور لا يمكن أن يعزى الى « تخلف » الفلاح فهو وضع ناشىء عن ظروف العمل والانتاج التى ظل أسيرا لها .

— انعزال الفنيين وخـاصة المـرشدين الزراعيين عن الفلاح وعدم اندماجهم معه بدرجة كافية ، وبالتالى عجزهم عن تفهم عقليته وتكوينه النفسى ، ومن ثم فشلهم فى اقناعه بـاتباع الاساليب المتطورة للانتاج الزراعى ، والتى تمثل أساسا هاما لتحقيق أهداف زيادة الانتاج .

ثانيا : فيما يتعلق بالقرية كعامل مثبط لعملية التنمية والذى يتعلق بدورها كوحدة مستهلكة للسلع والخدمات ، فان ذلك الدور يتأثر بعاملين أساسيين هما :

● العادات الاستهلاكية لسكان القرية فيما يختص بالغذاء أساسا ، والتى تـرجع الى احساس هؤلاء بالحرمان الذى يعانون منـه بالمقارنة مع حالة الرفاهية التى يعيش فيها سكان المدن ، وهنا تجدر الاشارة الى أن سلوك المنتجين الزراعيين فيما يتعلق باتجاههم نحو الاستهلاك الغذائى ، أو الاسـتهلاك العـائلى لمحـاصيل الاستهلاك المباشر كالقمح والارز والاذرة والبيض والزبد والدواجن من شأنه ان يسبب أخطاء فى التقديرات المتوقعة للانتاج المسوق من هـذه المنتجات ، الامر الذى ينعكس بآثار سيئة على السياسات التموينية وتقديراتها للكميات المتوقع توفرها للاستهلاك القومى من الانتاج المحلى لهذه المنتجات .

● العامل الثانى هو زيادة السكان بمعدلات مرتفعة نسبيا بمقارنتها بمعدلات زيادة سكان المدن وان كانت تجدر الاشارة هنا الى أن ظاهره زيادة السكان بمعدلات مرتفعة ظاهره عامة فى مصر بقراها ومدنها ، وليس فى القرى وحدها فقد توقعت الخطة الخمسية الاولى أن يزيد السكان بمعدل ٢ر٤ فى المائة سنويا ، غير ان المتابعة كشفت عن تجاوز هذا المعدل وارتفاعه الى ٢ر٨ فى المائة حيث أظهرت المتابعة أن عدد السكان قد ارتفع من ٢٥ر٦١٥ الف نسمة فى سـنة الاساس ٥٩ — ٦٠ الى ٢٩ر٤٥٦ الف نسمة فى ٦٤ — ٦٥ بزيادة قدرها ٣ر٨٤١ الف نسمة ومتوسط سنوى قدره ٧٦٨ الف نسمة وهذا يعادل نسبة زيادة قدرها ٥ فى المائة عن سنة الاساس وبمعدل زيادة سنوى ٢ر٨ فى المائة فى المتوسط . وفى سنة ٦٥ — ٦٦ وصل معدل النمو السنوى فى عدد السكان الى ٢ر٨ فى المائة من عدد السكان فى ٦٤ — ٦٥ ثم ارتفع فى ٦٦ — ٦٧ الى ٢ر٩ من عدد السكان فـى ٦٥ — ١٩٦٦ .

ان تجاوز معدلات الزيادة فى عدد السكان التى تحققت لتلك المعدلات التى كانت متوقعة ، وفى نفس الوقت الذى انخفضت فيـه معـدلات الزيادة التى تحققت فى الانتاج عن تلك التى كانت مستهدفة قد يؤدى الى نتيجة واضحة ، وهى أن اهداف خطة التنمية الاقتصادية فيما يتعلق بزيادة نصيب الفرد من الانتاج الزراعى لم تتحقق ، بل تدل فى نفس الوقت على أن نصيب الفرد من الانتاج الزراعى قد انخفض .

وبالنظر الى متوسط نصيب الفرد من الدخل

على المستوى القومى العام تدل النتائج السابقة على عدم تحقق اهداف الخطة فى هذا المجال ، وتشير البيانات الى أن متوسط نصيب الفرد من الدخل قد زاد بمعدل يبلغ نحو ٣ر٨ فى المائة فى المتوسط سنويا خلال سنوات الخطة الخمسية الأولى ، بينما وصل معدل النمو السنوى لمتوسط دخل الفرد الى ٧ر١فى المائة فى ٦٥ ـ ٦٦،ثم عاد وحقق انخفاضا بمعدل ٢ر١ فى المائة فى عام ٦٦ ـ ٦٧ وذلك على أساس تكلفة عوامل الانتاج الثابتة فى ٦٤ ـ ٦٥ .

ولكن ما هو الاثر السلبى للقرية فى عدم تحقيق أهداف زيادة متوسط دخل الفرد ؟ لقد لوحظ ان معدلات الزيادة الطبيعية فى السكان خلال الستينات كانت فى الريف أكبر منها فى الحضر بدرجة ملحوظة ، فكان معدل الزيادة الطبيعية فى السكان أكبر من ٣ فى المائة فى أربع من محافظات الريف هى على الترتيب اسوان (٣ر٢٤ فى المائة) والجيزة (٣ر١٨ فى المائة) والقليوبية (٣ر١٥ فى المائة) والبحيرة (٣ر٠٣ فى المائة) كما أن هذا المعدل كان أكبر من ٢ر٩ فى محافظتين هى الشرقية (٢ر٩٥ فى المائة) ودمياط (٢ر٩٤ فى المائة) وتجاوز ٢ر٧ فى المائة فى محافظتي الغربية والاسماعيلية (٢ر٧٣ فى المائة) لكل منهما ، وزاد عن ٢ر٥ فى المائة فى أربع محافظات هى بنى سويف (٢ر٦٩ فى المائة) وكفر الشيخ (٢ر٥٧ فى المائة) والمنوفية (٢ر٥٢فى المائة) والمنيا (٢ر٥١ فى المائة) هذا بينما كان أكبر معدل للزيادة الطبيعية فى السكان فى محافظات الحضر هو ٢ر٥٣ فى المائة فى محافظة السويس وفى بقية محافظات الحضر كان هذا المعدل ٢ر٤٦ فى المائة فى القاهرة و ٢ر١٢ فى الاسكندرية و ١ر٨٥ فى المائة فى بورسعيد .

من ذلك تتضح مدى خطورة تزايد السكان فى مصر بصفة عامة وفى ريف مصر بصفة خاصة على جهود التنمية ، ولقد بلور ميثاق العمل الوطنى هذه الحقيقة فى قوله « إن مشكلة التزايد فى عدد السكان هى أخطر العقبات التى تواجهجهودالشعب المصرى فى انطلاقه نحو رفع مستوى الانتاج بطريقة فعالة وقادرة » . كما أكد أهمية مشكلة تزايد السكان كمشكلة من مشاكل القرية قبل أن تكون احدى مشاكل المدينة « ان وصول القرية الى مستوى المدينة الحضارى وخصوصا من الناحية الثقافية سوف يكون بداية الوعى التخطيطى لدى الافراد ؟ وهو الوعى الذى يقدر على مواجهة اصعب المشاكل التى تعترض التنمية وتهددها وهى مشكلة تزايد السكان » .

وترجع اهم اسباب هذه المشكلة فى الريف الى انتشار الامية وخاصة بين الاناث حيث تصل الى ٩٢ فى المائة (١٢) ومن هذا السبب الرئيسى تنشأ أسباب أخرى فرعية لعل اهمها :

● الزواج فى سن مبكرة .

● الاعتقاد الخاطىء بأن الدين يحرم التدخل فى تنظيم الاسرة .

● سعى المراة الى انجاب اكبر عدد من الاطفال حتى تضمن الابقاء على زوجها وذلك يرجع الى عيب فى العادات السلوكية لسكان الريف حيث يعتقد معظمهم ان زواجه باكثر من واجدة احد مظاهر القوى .

● انتشار الظلام وانعدام وسائل التسلية والترفيه فى القرية ، حيث يصبح الجنس هو الوسيلة الوحيدة للتسلية والترفيه .

● اعتقاد الفلاح بأن الاولاد يمثلون مصدرا للدخل عن طريق عملهم فى الحقول .

● جهل معظم الامهات بوسائل تنظيم النسل ، وعدم ادراكهن لخطورة المشكلة .

وفى بحث لبعض رجال الاجتماع فى مصر وجد أن ٤٥ فى المائة من الازواج فى القرية يعتبرون ان كثرة الاطفال رزق ، وأن ٧٧ فى المائة منهم يعتقدون أن تنظيم النسل يخالف تعاليم الدين ، وأن ١٧ يهملون وسائل تنظيم النسل رغم علمهم بها (١٣)

وفى احصائية اخرى وجد ان ٨١ر٤ فى المائة من الازواج الذين يعيشون فى القرية لم يسمعوا شيئا عن تنظيم النسل ، وان ١ فى المائة من الزوجات يلجأن الى اقراص منع الحمل ، أما العدد الاكبر منهن فيلجأ الى ارضاع الطفل لمدة طويلة كوسيلة لمنع الحمل .

ان نتيجة تزايد السكان بهذه المعدلات المرتفعة

---

[١٢] الانفجار السكانى [اسبابه وعلاجه] ـ دكتور ابولس بولس ـ الطبعة الاولى مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٦٦ ص ١١٣ .
[١٣] المرجع السابق ص ١١٥

علاوة على كونه عائقا فى سبيل ازدياد متوسط الدخل الفردى ورفع مستوى معيشة السكان فانه يمثل من ناحية اخرى عبئا على خطط وبرامج التنمية يحد من انطلاقها ، نحو أهداف زيادة الانتاج وما يتبعه من تحقيق اهداف اخرى مترتبة عليه،ذلك ان زيـــادة عدد السكان بهذه المعـدلات المرتفعـة يفرض على خطط التنمية توجيه اعتمادات كبيرة لاستثمارها فى مشروعات الخدمات كالتعليــم والصحة والاسكان لمواجهة احتياجات السكان الجدد من خدمات هذه القطاعات .

لذلك ولكى يصبح تأثير القرية ودورها فى خطط التنمية الاقتصادية دورا ايجابيا فانه يلزم :

١ ــ اعادة النظر فى نظم استغلال الارض الزراعية المرتبطة بصغر حجم المزارع وتشتتها .

٢ ــ ادخال الالات الحديثة فى الزراعة بما يوفر جهد الحيوان لاستخدامه فى انتاج اللبن واللحم بدلا من استهلاكه فى العمل ، وبحيث لا يؤدى ذلك الى خلق مزيد من البطالة بين قوة العمل الانسانى بالاضافة الى أن ادخال الالات الحديثة فى الزراعة يؤدى الى خفض تكاليف الانتاج .

٣ ــ مزيد من الاهتمام باجــراء البحــوث العلمية الزراعية على المستوى المحلى (مستويات القرى والمراكز) .

٤ ــ الاهتمام بالارشاد الزراعى وتطــويره بالشكل الذى يؤدى الى خلق تجــاوب وتعــاون كامل وثقة متبادلة بين المرشد الزراعــى والفلاح .

٥ ــ الاهتمام بمشروعات تنظيم النسل فى القرى وعمل الدعاية الكافية لها وبالاسلوب الذى يمكن أن يفهمه ويقتنع به الفلاحون .

٦ ــ العمل من أجل القضاء على الامية حيث انها تمثل حاجزا سميكا بين سكان القرية وبين أية محاولة تبذل بهدف دفعهم الى طريق التطور .

٧ ــ الاهتمام بمشروعات الخدمات فى القرية كمشروعات الانارة ومــراكز تنظيــم الاسرة والخدمات الترفيهية وغيرها .

٨ ــ اتاحة الفرصة أمام الفلاحين للمشاركة بشكل ايجابى وفعال فى تصريف شئونهم المتعلقة بعملهم الاساسى كمنتجين زراعيين وذلك من خلال التحقيق الكامل لمبدأ الادارة الديمقراطية الشعبية فى الجمعيات التعاونية الزراعية .



المميزات العامة

للتركيب الطبقى فى مصر

عشية ثورة يوليو ١٩٥٢



د. جمال مجدى حسنين

يذهب المنهج العلمى بانه لا يمكن فهم اية ظاهرة من ظواهر الحياة الاجتماعية فهما صحيحا بدون الرجوع الى الظروف الملموسة التى صاحبت نشأتها وتطورها .

ان نقطة البدء لنا هى النشاط الواقعى للناس ، ومن العملية التاريخية الحية نستكشف تطور الانعكاسات الايديولوجية من نبضات هذا التطور الحى .

وأيمانا منا بصحة هذا المنطلق الفكرى، نتخذه كنقطة بدء لتحليل التركيب الطبقى للمجتمع المصرى خلال الفترة التاريخية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وما تلاها حتى نكسة يونية العسكرية عام ١٩٦٧ .

الوضع الاقتصادى قبل الثورة

ظلت مصر حتى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ دولة متخلفة شبه اقطاعية ضعيفة التطور الاقتصادى وواقعة تحت السيطرة البريطانية اكثر من سبعين عاما .

وحدد الاستعمار مجال تطور مصر التاريخى ودورها فى الاقتصاد العالمى المعاصر ، فبدأ بالقضاء على الصناعات الوطنية الموجودة منذ أيام **محمد على** ، واعطى الجزء المتبقى منها للاحتكارات المالية البريطانية ، وعلى الرغم من أن الاحتكارات الاجنبية لم تغير فى الواقع شكل الاقتصاد المصرى نتيجة لحفاظها على التشكيلات الاقتصادية لما قبل الرأسمالية ، الا أنها ساعدت

على دفع التطور الرأسمالى فى مصر فى بعض المجالات .

فنحن نجد أن الاستعمار قد حول مصر الى مزرعة كبيرة للقطن مرتفعا بمساحته من نصف مليون فدان عام ١٨٧١ الى حوالى مليونى فدان عام ١٩١٣ ، وفى الوقت الذى وصل فيه نصيب القطن الى ٩٣٪ من جملة صادرات البلاد فى عام ١٩١٤ (١) .

وادى التطور الاقتصادى وحيد الجانب الى انخفاض مستوى معيشة الجماهير ، فانخفض الدخل القومى بالنسبة للفرد الواحد من السكان من ١٢ جنيها سنويا فى عام ١٩٠٧ الى سبعة جنيهات مصرية سنويا فى عام ١٩٥١ (٢) .

ومارست الاحتكارات الاجنبية متحالفة مع الاقطاع والرأسمالية المستغلة استغلالها للكادحين وفى المحل الاول الفلاحين عن طريق فرض أسعار رخيصة لشراء القطن والمنتجات الزراعية الاخرى فى الوقت الذى رفعت فيه اسعار المواد الصناعية المستوردة ، وفى نفس الوقت تشعبت الاحتكارات البريطانية بجذورها فى الاقتصاد المصرى وساهمت الاستثمارات الاجنبية فى تطور الشركات التجارية والنقل والمواصلات وكل ما يتعلق بتوفير الظروف الملائمة لتصدير خام القطن الى المصانع الانجليزية بلانكشاير ، والى جانب السيطرة الاقتصادية أقام المستعمرون سيطرتهم السياسية على البلاد ، واصبح المندوب السامى البريطانى ملكا غير متوج .

وشكل الاقطاع والبرجوازية الكبيرة (الكومبرادور) القاعدة الاجتماعية للاستعمار البريطانى ، فلقد زاد عدد الاقطاعيين [أكثر من ٥٠ فدانا] خلال السنوات العشر الاولى من الاحتلال البريطانى من ١١٢٢٠ اقطاعيا الى ١٢٤٨٠ اقطاعيا (٣) .

واذا حاولنا رسم الهرم الاجتماعى فى الريف المصرى قبل الثورة نجد أنه فى القرية أكثر من ١٢٫٠٠٠ اقطاعى وحوالى ٢٥٫٠٠٠ فلاح غنى [أكثر من عشرة أفدنة] ومليون مالك صغير [أقل من خمسة أفدنة] الى جانب مليونين من عمال الزراعة المأجورين (٥) .

أما فى المدينة فقد كان فيها حوالى عشرة آلاف من كبار ملاك الاسهم والسندات وأعضاء مجالس ادارات الشركات المالية والعقارية والتجارية والصناعية وما الى ذلك ، الى جانب مائة الف مالك صغير للمصانع والورش والمحلات التجارية [أو مايطلق عليهم اصطلاح الرأسمالية الوطنية] أضف الى ذلك ٢٦٥٫٠٠٠ موظف حكومى وحوالى مليون عامل وحرفى أجير وما يقرب من مليون ونصف المليون فرد بدون مهنة محددة (٤) .

وتتضح لنا الصورة العامة للمجتمع عندما يشير **الرئيس جمال عبدالناصر** فى أحد أحاديثه الصحفية الى أن السلطة السياسية للعهد الملكى كانت فى أيدى ١٦ عائلة فقط خرج منهم جميع رؤساء الحكومات والوزراء وكبار رجال الدولة فى مصر (٥) .

وكان نصيب قمة الهرم الاجتماعى فى مصر ما يقرب من ٦١٪ من الثروة القومية للبلاد وعلى سبيل المثال فلقد وصلت أرباح الطغمة الاقطاعية من الايجار الزراعى فى عام ١٩٤٥ الى ٣٠٨٠٠٠٠٠ جنيه من مجموع الدخل القومى البالغ ٥٠٢٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه .

واستمر هذا الوضع حتى قيام الثورة فان نصف فى المائة من المصريين يملك ٥٠٪ من الدخل القومى فى الوقت الذى لا يزيد فيه الدخل السنوى للعامل الزراعى عن أربعة جنيهات مصرية .

فاذا حاولنا أن نقارن الرأسمالية الاوربية بالرأسمالية المصرية نجد ان الاولى نمت على أساس قومى وقامت لخدمة احتياجات السوق المحلى ، أما فى مصر فنجد أن الرأسمالية قد غرست من فوق عن طريق الاستعمار وليس نتيجة لتطور اقتصادى داخلى وبالتالى لم تستطع أن تعكس حاجات السوق القومية ، بل أكثر من ذلك فان سيطرة الاحتكار الاجنبى قد أدت الى افقار صغار المنتجين المحليين ، ودعا هذا الى انكماش حاد للسوق المصرية ، ومزق بالتالى اسس تطور رأس المال الوطنى .

لقد كانت من احدى العوامل الاساسية

---

(١) شهدى عطية الشافعى ، تطور حركة التحرر الوطنى فى مصر ١٨٨٢/١٩٥٦ ، القاهرة دار الفكر ١٩٥٧ .
(٢) ل.ش. جوردون مصر . دراسات عن جغرافيتها الاقتصادية . موسكو ١٩٥٣ .
(٣) مجلة الطليعة العدد الاول عام ١٩٦٦ القاهرة .
(٤) م. عطالله اقتصاد ج.ع.م. على الطريق الجديد موسكو ١٩٦٦ .
(٥) صحيفة برافدا السوفيتية بتاريخ اول سبتمبر ١٩٦٥ .

لانكماش السوق القومية أستيلاء الاحتكارات الاجنبية على جزء كبير من الدخل القومى عن طريق تصدير الارباح . وعن طريق التبادل التجارى غير المتكافىء ، وآثار ذلك على اضعاف القدرة الشرائية للمواطن المصرى .

وحسب تقديرات الباحث السوفيتى **ل . فريدمان** فان الخسارة الناتجة عن التبادل التجارى غير المتكافىء فى ميدان تجارة القطن فقط وصل خلال الفترة من١٨٨٣ حتى ١٩١٤ ومن الفترة من١٩٢١حتى١٩٣٨حوالى٣٦٧٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه مصرى وهذا الرقم يزيد أربع مرات عن جملة رؤوس الاموال المستثمرة فى الشركات المساهمة سواء كانت أجنبية أو مصرية حتى عام ١٩٣٩ .

وحسب احصاءات فريدمان فان الخسارة السنوية نتيجة التبادل التجارى غير المتكافىء خلال الفترة من عام ١٩٢٠ حتى عام ١٩٤٥ تساوى قيمة الدخل السنوى لمليون عائلة ريفية (٦) .

وعلى الرغم من حجم الخسائر المادية الضخمة التى فقدتها مصر ، الا أن الجريمة الكبرى التى ارتكبتها الامبريالية فى حق مصر هو تجميد العلاقات الاجتماعية الانتاجية على مستوى بالغ الانخفاض ، أدى الى توقف التطور الطبيعى والمنطقى للرأسمالية الوطنية المصرية .

فلقد انشأ راس المال الاحتكارى الاجنبى وفى المحل الاول رأس المال الانجليزى ظروفا غير ملائمة لتراكم ونمو رأس المال الوطنى .

ان مصر اختلافا عن انجلترا والدول الرأسمالية المتطورة الاخرى لم تملك مصادر للتراكم عن طريق الاستغلال للشعوب الاخرى، حتى القيمة الزائدة فى الانتاج للعامل المصرى لم تكن مصدرا للادخار او وسيلة من وسائل تطور الاقتصاد المصرى بل كانت تصدر الارباح الى خارج البلاد ، فخلال الفترة من عام ١٩٤٦ حتى عام ١٩٥٤ أخرجت الشركات الاجنبية فى شكل أرباح من مصر ١٠١٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه استرلينى (٧) .

وأدى المستوى المنخفض للدخل القومى والضعف العام للقوى الانتاجية وتصدير الارباح للخارج الى اغلاق كل المصادر الداخلية للتراكم ، وعلى الرغم من كل هذا الا ان جزءا معينا من فائض رؤوس الاموال كان قد تجمع فى أيدى الطبقات المستغلة المصرية، ودلالة ذلك فى ارتفاع المدخرات والودائع فى البنوك والتوسع فى المضاربة بالاراضى الزراعية وارتفاع سعرها عاما بعد عام .

الا ان هذا التراكم عمليا لم يؤد الى تدعيم الاقتصاد القومى ، فلقد بعثرت البرجوازية المصرية اموالها على الانفاق الاستهلاكى للشراء وعلى التنافس فى شراء أكبر قدر ممكن من الاراضى الزراعية غير عابئة بتدعيم قوى الانتاج القومية .

واكن كيف لنا ان نفسر هذا الوضع ؟ هل نفسره بالطبيعة الطفيلية للبرجوازية المصرية ؟

قد يكون هذا صحيحا الى حد كبير الا أن الجذور الاساسية لهذا الوضع هو فى التبعية الاقتصادية للاقتصاد المصرى وفى السيطرة السياسية للاستعمار على مصير مصر .

فلقد فهم الامبرياليون جيدا أن أى تطور لقوى الانتاج فى مصر يعنى فى نفس الوقت تطورا لحركة التحرر الوطنى، ولكى لا يسمح الاستعمار بهذا ، اوقف عمدا نمو القوى الانتاجية ووجه الاقتصاد القومى نحو التخصص فى انتاج المواد الخام فقط واستيراد المنتجات الصناعية من الخارج ، وتطابقت مصلحة الاستعمار مع المصالح الطبقية لطبقتى الاقطاع والبرجوازية الكبيرة [**الكومبرادور**] ، فنمو القوى الانتاجية كان يعنى للاقطاعيين وللكومبرادور نموا للطبقة العاملة ونشاطا لحركتها وآثار ذلك على حركة الصراع الاجتماعى ، وبالتالى فقد كان اهون عليهم الاستغلال الاستعمارى بأن يتفقوا على ثمنه على حساب مصالح الشعب ، أما ثورة الطبقة العاملة فلن تمكنهم الا ان يدفعوا ثمنها من حسابهم الشخصى ومن امتيازاتهم الطبقية .

وحتى اذا تطاولت وحاولت مجموعة برجوازية نافرة عن القطيع أن تتحرر من قيود السيطرة الاجنبية ، كانت قادرة على كبح جماح المتمردين وعزلهم وتحطيمهم بما يجعلهم عبرة لغيرهم من المتطاولين .

---

(٦) ل.ا. فريدمان التطور الرأسمالى فى مصر [١٨٨٢ ـــ ١٩٣٩] موسكو ١٩٦٣ .
(٧) الاهرام ٢٨ فبراير ١٩٦٢ .

وكانت الاحتكارات الاجنبية تقوم بالاعلان عن مهمتها الحضـــارية ودورها التنويرى فى الوقت الذى ملات فيه بضائعها السوق المصرية مسببة منافسة تجارية غير متكافئة ، وبالتالى لم يتحمل صغار المنتجين المحليين هـــذا الضغط القاسى ، وافلسوا الواحد بعد الآخـــر ، وحسب أكـثر الاحصاءات تواضعا فلقد أدت المنافسة التجارية الاجنبية الى افلاس اكثر من ٢٠٠٠٠٠ [مائتين حرفى مصرى صغير] .

ودفعت المنافسة غير المتكافئة ضد الاحتكارات الاجنبية فى مجال الانتاج الى اتجاه رأس المال المصرى الى مجال الخدمات ، وحتى الجزء الغير كبير نسبيا من رأس المال الوطنى الذى استغل انتاجيا فانه استغل لصالح الاحتكارات الاجنبية غالبا وليس لتنمية الاقتصاد القومى ، وكانت قلة الاستثمارات فى مجال الانتاج وتراكمها فى مجال الزراعة والخدمات صفة مميزة للاقتصاد المصرى قبل الثورة .

ومن واقع الاحصاءات الرسمية لعام ١٩٤٧ فان ٧٥٪ من المشروعات الصـناعية والورش الحرفية كانت مرتبطة بتصنيع المنتجات الزراعية ، وكان يشـــتغل بها أكثر من ٧٠ ٪ من القـوى العمالية فى مصر ، بل كانت مجموع الاستثمارات فى هذه الورش والمشروعات تكون ٥٠٪ من جملة الاموال المستثمرة فى الصناعة كلها (٨) .

واذا انتقلنا الى أثر ذلك على التركيب السكانى للمجتمع المصرى فاننا نجد أن حوالى ٧٠٪ من جملة العاملين يعملون بالزراعـــة ، فى الوقت الذى لم يزد فيه جملة العاملين فى الصـــناعة والتشييد والمواصلات عن ١١٪ من جملة القوى العاملة .

ان كل خصائص اعادة الانتاج فى مصر قد دفعت البرجوازية الوطنية فى طريق النضـــال ضـــد الاحتكار الاجنبى بوصـــفه عقبة موضوعية لتطور الاقتصاد القومى .

وقد كانت احدى النتائج البارزة لهذا النضال انتفاضة عام ١٩١٩ ، وتمكن البرجوازية الوطنية من انشاء نواة الصناعة المصرية ، ففى خـــلال هذه الانتفاضة أقيم بنك مصر ، وفى عام ١٩٢١ أسس بنك مصر أول مشروع صناعى فى مصر وحتى عام ١٩٢٨ كان بنك مصر قد أنشـــأ عشر شركات صناعية وتجارية كبيرة ، ونمت أرصدة البنك بانتظام حتى وصلت عام ١٩٢٨ الى ١٧ مليون جنيه على الرغم من رأس مال البنـــك وقت انشائه الذى لم يزد عن مليون جنيه فقط .

وخلال الحرب العالمية الثانية عندما انقطعت مصر عن السوق العالمية تلقى الاقتصاد المصرى دفعة اخرى للتطور ، فظهرت مشروعات صناعية جديدة وتدعمت بعض الصناعات التى كانت على وشك الافلاس قبل الحرب .

وعلى الرغم من هذا كله فان نصيب الصناعة لم يتجاوز ١٢٪ من الدخل القومى ولم يكن بالبلاد أى نوع من الصناعات الثقيلة أو المتوسطة وكانت فى غالبيتها صناعة استهلاكية وصغيرة ، ويظهر لنا ذلك من الجدول الآتى :

العـــلاقة النسبية للانتاج الصناعى والحرفى عـــام ١٩٤٨ (٩)

المنتجـــــات	الانتـــاج الحـــرفى	الانتـــاج الصـــناعى
المنسوجات القطنية	٥٥ر٤ ٪	٤٤ر٦ ٪
الغزل الحريرى والنسج	٤٣ر٣ ٪	٥٦ر٧ ٪
المنتجات الغذائيـــة	٦٤ ٪	٣٦ ٪

وفى بيان الاحصاء الصناعى لعـــام ١٩٤٧ ظهر أنه من جملة ١٣٣ر٥٠٠ مصنع كان هنـــاك ٢٦ر٧٠٠ مصنع (٢٠٪ من جمـــلة المصـــانع) يعطى منتجات كاملة . أما الباقى فهى فى الغالب ورش حرفية للاصلاح منها ٩٥٪ كانت ورش ضئيلة وصغيرة ، ويدل الجدول التالى على أن نصف المصانع فى مصر لم تكن تلجأ الى العمل المأجور مما يدل على مدى صغرها وضآلتها .

عدد المصانع والعاملين بها فى عامى ١٩٤٢ و ١٩٤٨ (١٠)

السنوات	عدد المصانع	المصانع التى لا يعمل بهـــا عمال مأجورون	عدد العمال المأجـــورين
١٩٤٢	١٠٣٣٠٠	٥٠٧٠٠	٢٨٨٣٠٠
١٩٤٨	١٣٣٦٠٠	٤٥٨٠٠	٣٩٥٥٠٠

(٨) عبـــــد الرازق حسن ــ الدقاق « الجمهورية العربية المتحدة » القاهرة ١٩٥٧ .
(٩) شهدى عطيه شافعى ــ تطـــور الحركة الوطنية فى مصر [١٨٨٢ ــ ١٩٥٦] .
(١٠) الاحصاءات السنوية العامة .

وكانت اهمية تطور قوى الانتاج القومية تتطلب اعادة النظر بعمق وجدية للتركيب الموجود للانتاج الصناعى وللسوق الداخلية ، وقبل كل شىء كانت هناك ضرورة فى تقليل معوقات الانتاج والقضاء على العقبات القائمة فى طريق توسيع السوق الوطنية .

وكان تحقيق هذه المهمات أمرا عسيرا للغاية فى التطبيق العملى ، فالصناعة المصرية كما اشرنا كانت تحت الوصاية الاستعمارية المتمثلة فى استيراد الوقود والآلات الصناعية والخامات الضرورية للتصنيع ،كما أن الرأسماليين المحليين كانوا عاجزين عن مجابهة الاحتكارات العالمية فى مجالات كان لهذه الاحتكارات فضل السبق اليها والسيطرة عليها فى الوقت الذى تسيطر فيه نفس هذه الاحتكارات على الاقتصاد المصرى ، وعلى الجهاز الحاكم فى مصر ، كما أن الطبقة الحاكمة الاقطاعية لم يكن لها مصلحة فى تنمية الاقتصاد القومى وما قد ينتج عنه من آثار على امتيازاتها الطبقية ، وبالتالى كان من الضرورى لتطور الاقتصاد القومى كسر التحالف الطبقى الرجعى بين الاستعمار والاقطاع والرأسمالية المستغلة (الكومبرادور) ، وكان هذا هو الطريق الوحيد لخلاص قوى الانتاج من العلاقات الانتاجية السائدة والمعطلة لنموها وتطورها الطبيعى .

التركيب الطبقى فى القرية المصرية

ان النتيجة المباشرة لانخفاض مستوى تطور القوى الانتاجية للمجتمع المصرى هو اشتغال غالبية السكان بالعمل الزراعى ، فالجدير بالذكر أن العمل الزراعى وما يتبعه من وعى وصيد ظلت هى المصدر الاساسى للدخل لاكثر من ١٥ مليون نسمة أى أكثر من ثلثى السكان .

فقد شكل الفلاحون ٧٠٪ من مجموع السكان غير أن الطبقة الاقطاعية متحالفة مع الاستعمار الاجنبى وضعت هذه القوة الانتاجية الهائلة فى ظروف تاريخية منعتها من أداء دورها الموضوعى فى دفع عجلة التقدم الاقتصادى .

وحسب الاحصاء العام لسنة ١٩٤٧ فان مجموع القوى العاملة فى الريف كانت حوالى ٧ر٥٥٤٠٠٠ فى الوقت الذى لا يتطلب فيه الانتاج الزراعى الا ثلث القوى العاملة الزراعية الموجودة ، أما الباقى فهو عمالة زائدة .

ونتج عن هذا التضخم فى العمالة أن نما نظام الملكيات الزراعية الصغيرة وانتشرت صورة الايجار الزراعى الذى يقوم على استئجار الفلاح لمساحة ضئيلة من أبعاديات الاقطاعى لكى يضمن لنفسه موردا ماديا يكفل له استمرار الحياة له ولاولاده.

واذا حاولنا أن نتبين السبب الرئيسى لهذا التضخم السكانى فى الريف فاننا نجده فى طبيعة النظام الاجتماعى القائم فى مصر فى ذلك الوقت، فتواجد النظام القديم للعلاقات الاجتماعية شبه الاقطاعية فى الريف والمؤسسة على سيطرة الملكيات الكبيرة واستغلال الفلاحين مع تطور العلاقات السلعية النقدية الرأسمالية ودخولها الى الريف تدريجيا قد أعطى التضخم السكانى ملامح مشوهة وسمات ممسوخة ، نتيجة للاشتباكات الوثيقة بين الاشكال القديمة الاقطاعية للاستغلال والاشكال الرأسمالية الحديثة للاستغلال كان الشكل القانونى للاستغلال راسماليا يقوم على الاجر فى الوقت الذى كان جوهر الاستغلال وواقعه اقطاعيا يقوم على القهر البدنى والتبعية الشخصية .

ولقد تعددت أشكال العمل الزراعى فى الريف على صور مختلفة ومتداخلة بل وتجمع بين أشكال الاستغلال الرأسمالى والاقطاعى فى آن واحد .

فحسب الاحصاءات الرسمية فان استخدام العمل الزراعى فى القرية المصرية عام ١٩٤٩/١٩٥٠ كان على الوجه الاتى :

أشكال العمل الزراعى	عدد العاملين
يعمل على أرضه الخاصة	٥٤٥٢٩٠
يعمل على أرض مستاجرة	٦٧٨٥٥٩
يعمل على أرض الاقارب	١١٧٤٣٥٣
يعمل بالاجر على أرض الغير	١٣٩٣٠١٧
المجموع	٣٧٩١٢١٩

وهذه الارقام لا تكفى لشرح تركيب الفئات الاجتماعية فى الريف ، فالمعيار السليم لتحديد أية فئة اجتماعية ليس حجم الملكية الزراعية بقدر ما هو أسلوب استخدام القوى العاملة بالاضافة الى معرفة نوع العلاقات الانتاجية بين مختلف الفئات الاجتماعية فى القرية .

ويمكننا أن نميز فى القرية المصرية خمس فئات اجتماعية تتميز كل منها بشكل العلاقات الانتاجية المخالفة للاخرى ، وان كان هذا لا يعنى أن هناك تداخلا وتشابكا فى بعض الاحيان فيما بينها :

- كبار ملاك الارض (الاقطاعيون) .

ـ اغنياء الفلاحين .
ـ الفلاحون المتوسطون .
ـ الفلاحون الفقراء .
ـ العمال الزراعيون .

ولنتبين اكثر تفصيلا كل فئة من هذه الفئات ، فنبدأ بأكبر الفئات حجما وهى فئة العمال الزراعيين وهم يكونون الغالبية العظمى من سكان الريف ، فلقد اشار مؤتمر الاقتصاد الزراعى المنعقد فى شهر مارس عام ١٩٥٢ أنه من جملة ١٥ مليون نسمة (اى ما يعادل تقريبا ثلاثة ملايين اسرة) فى الريف هم جملة سكان القرى المصرية ، كأن هناك ٧٨٪ من مجموع السكان معدمون بلا ملكية زراعية ، اى عمال أجراء ومحرومون من الملكية وأية وسيلة للانتاج .

وأعلن اعضاء المؤتمر أن المجموع الكلى لعمال الزراعة وصغار الحائزين من الفلاحين (الفلاحين الفقراء) يكونون ٩٥٪ من مجموع سكان الريف والدخل السنوى لهذه الفئة من السكان لا يتجاوز عشرة جنيهات للاسرة المكونة من خمسة افراد .

ويعنى هذا أن ٢٢٪ فقط من سكان الريف هم الذين يملكون أراضى زراعية سـواء كانت عن طريق الاستئجار او الملكية ، وكانت جملة الحيازات الزراعية فى ذلك الوقت مليون حيازة زراعية ، كان ثلثى الحائزين يزرعون على أرضهم ، وخمس الحائزين يزرعون على ارض مستأجرة .

ويظهر لنـا من هذا الجدول انه من جمـلة المليون حيازة زراعيـة تكون هنـاك ٨٠٠٫٠٠٠ (ثمانمائة الف) حيازة تقوم على الملكية الخاصة للارض ، أما الباقى وهو ٢٠٠٫٠٠٠ (مائتا الف) حيازة فتقوم على الاستئجار من الغير ، وبحساب أن الاسرة فى الريف تتكون من خمسة أفراد فى المتوسط فانه ينتج لنـا أن عدد الملاك فى الريف لا يتجاوز اربعة ملايين نسمة ، أما الباقى ويبلغ ١١ مليون نسمة أو ٧٣٪ من مجموع سكان الريف فقد كانوا معدمين .

توزيع الحيازات الزراعية حسب انواع الملكية الزراعيةفى عام ١٩٤٩/١٩٥٠ ((١١))

انواع الملكية	عدد الحيازات (بالالف)	النسبة المئوية ٪	المساحة (بالالف فدان)	النسبة المئوية ٪
حيازة عن طريق الملكية الخاصة	٦٥٧	٦٦	٣٧٢٠	٦٦
حيازة عن طريق الايجار	٢٠٧	٢٠	١٢٢٣	١٦
حيازة عن طريق الملكيةالخاصة والايجار ويدخل فيها :	١٣٩	١٤	١٢٠١	١٨
المستأجرة	—	—	٤٩٥	—
ملكية خاصة	—	—	٧٠٦	—
المجموع	١٠٠٣	١٠٠	٦١٤٤	١٠٠

توزيع الحيازات الزراعية حسب حجم المساحة المزروعة فى عام ١٩٤٩ / ١٩٥٠ ((١٢))

فئات الحيازات بالفدان	عدد الحيازات بالالف	النسبة المئوية	المساحة بالالف فدان	النسبة المئوية
اقل من فدان	٢١٤	٢١٫٤ ٪	١١٢	١٫٨ ٪
من فدان الى ٥ افدنة	٥٧٢٫٥	٥٧٫١ ٪	١٣١١	٢١٫٤ ٪
من ٥ الى ١٠ افدنة	١٢٢٫٤	١٢٫٤ ٪	٨١٩	١٣ ٪
من ١٠ الى ٢٠ فدانا	٥٢٫٢	٥ ٪	٧٠٥	١١٫٨ ٪
من ٢٠ الى ٥٠ فدانا	٢٦٫٥	٢٫٦ ٪	٧٩٢	١٢٫٧ ٪
من ٥٠ الى ١٠٠ فدان	٨٫٤	٠٫٩ ٪	٥٧٩	٩٫٣ ٪
من ١٠٠ الى ٢٠٠ فدان	٤	٠٫٢ ٪	٥٦٢	٧٫٣ ٪
من ٢٠٠ فدان فاكثر	٢٫٤	٠٫٣ ٪	١٢٦٣	٢٦٫٥ ٪
المجموع	١٠٠٣	١٠٠ ٪	٦١٤٤	١٠٠ ٪

[١١] جداول الاحصاء الزراعى لعام ١٩٥٠ ـ ١٩٥١
[١٢] نفس المرجع

اذا اضفنا الى الفلاحين المعدمين صغار المستاجرين والفلاحين الفقراء الذين يملكون اقل من ٢ افدنة فانه ينتج لنا أن غالبية سكان القرية المصرية ينتمون الى الفئات شبه البروليتارية والبروليتاريا ، واذا حاولنا أن نطبق مفهوم المالك على هؤلاء الفلاحين الفقراء فسيكون مفهوما نسبيا جدا لانهم فى الواقع يشتركون فى الانتاج كمستأجرين أو كعمال زراعيين أو مساعدين فى حيازات الاقارب ، ولا يوجد الا جزء صغير لايذكر يزرع لحسابه الخاص ، وهناك داخل فئة صغار الملاك جزء يعيش فى المدن ولايزرع الارض لحسابه ، بل يؤجره للفلاحين ، الا أن وزنهم النسبى غير كبير داخل هذه الفئة بصفة عامة كان موقف الملاك الصغار أو أشباه البورليتاريا لا يختلف عن وضع العمال المأجورين فى قليل أو كثير ، فالفلاح الذى يملك اقل من فدان لا يزيد دخل الفرد فى أسرته عن ٤٦٤ قرشا فى العام ، وعلى ذلك فهم لا يستطيعون أن يعيشوا عن دخل حيازته اما الحيازة التى تزيد عن فدان وتقل عن ٥ أفدنة فان متوسط الدخل السنوى لكل عضو فى الاسرة لا يتجاوز ٢٤ جنيها .

ولقد أشار مؤتمر الزراعيين الثالث فى مارس — أبريل ١٩٤٩ بالقاهرة الى أن ملاك الحيازات الزراعية التى لا تزيد عن ٥ أفدنة لا يفترقون كثيرا فى حالتهم الاقتصادية عن عمال الزراعة المأجورين .

ويزرع افراد اسرة هذه الحيازة التى لا تزيد عن ٤ افدنة الارض بأنفسهم ونادرا ما يلجأون للعمل المأجور بل هم أنفسهم لايتورعون عن العمل بالاجر فى مزارع الاخرين فى حالة توفر العمل .

ويوضح الوجود الكبير للحيازات الصغيرة (اقل من ٥ افدنة) المتمثل فى ٧٨ر٥٪ من مجموع الحيازات الزراعية مدى بؤس وفقر الجموع الاساسية من الفلاحين فى الريف المصرى .

ويشير فلاديمير لينين (١٣) الى هذه الحيازات الصغيرة المماثلة فى روسيا القيصرية قائلا انها أولا تثبيت الرباط والقرابة التاريخية بين النظام الاجتماعى للاقطاع والنظام الاجتماعى للرأسمالية والتأثير المباشر للاقطاع على الرأسمالية .

ثانيا — ان هذه الفئة من الملاك الصغار يكونون فى النظام الراسمالى ككل جزءا احتياطيا فى جيش البطالة الدائمة ، اما فئة الفلاحين الذين يملكون من ٥ الى ١٠ افدنة فانهم ينتمون فى نظرنا الى فئة الفلاحين المتوسطين ، ومفهوم الفلاح المتوسط بالمعنى الاقتصادى هو المالك الصغير الذى يملك أو يستأجر قطعة من الارض ويتميز :

١ — أنه يتاح له فى ظروف النظام الراسمالى أن يحصل الى جانب المعاش الضرورى لاسرته امكانية الحصول على ايراد زائد نسبيا يتمكن به فى بعض السنوات المناسبة من أن يحوله الى راس مال .

٢ — يلتجىء فى الغالب الى القوى العاملة المأجورة .

وينطبق هذا المفهوم على حوالى ١٢٪ من مجموع الحيازات الزراعية كلها التى يمتلكها ٤٪ من مجموع سكان الريف الذين يعيشون على ١٣٪ من الاراضى المزروعة ، ويصل الدخل السنوى للفرد من الاسرة الى مائة جنيه .

أما فيما يختص بالفئة الدنيا من طبقة الفلاحين الاغنياء الذين يملكون من ١٠ الى ٢٠ فدانا فتكون ٥٪ من مجموع الحيازات الزراعية ويملكها ١٪ من مجموع سكان الريف يعيشون على ١٢٪ من الاراضى المزروعة .

والفلاحون الاغنياء فى العادة يستأجرون عمال الزراعة أو الفلاحين الفقراء ليقوموا بالعملية الزراعية ، ويزداد غناهم بازدياد افلاس وتدهور الحالة المادية للفلاحين الفقراء وانخفاض أجور عمال الزراعة .

ويصل الدخل السنوى لهذه الفئة من الفلاحين الاغنياء الى ثلاث أو أربع مرات دخل الفلاحين المتوسطين أو من عشرة الى خمس عشرة مرة دخل فقراء الفلاحين .

وعلى الرغم من أن كل هذه الفئات الاجتماعية السابقة الذكر تكون ٩٩٪ من سكان الريف الا انها تعيش على ٤٨٪ من المساحة المنزرعة فقط ، اما باقى المساحة المنزرعة والبالغ قدرها ٥٢٪ من جملة الاراضى الزراعية فيتجمع فى ايدى طبقة كبار الملاك الزراعيين والتى لا يزيد تعدادها عن ١٪ من مجموع سكان الريف كلهم .

وكانت وسائل استغلال كبار الملاك الزراعيين لاقطاعيتهم الضخمة تتنوع بتنوع المناطق وباختلاف الملاك ، الا انه يمكننا الى ثلاثة أنواع رئيسية احيانا تتداخل معا واحيانا اخرى تستخدم احدى الطرق الثلاث فحسب ، فهناك النوع الاول والذى يقوم على تأجير الاقطاعيين لاراضيهم بالجملة لاحد الفلاحين الاغنياء أو لمجموعة من الفلاحين المتوسطين ، أما النوع الثانى فيقوم الاقطاعيون بتاجيره مباشرة الى اعمال الزراعة والفلاحين الفقراء ، ويبقى النوع الثالث الذى يقوم على استخدام الاقطاعى العمل المأجور لحسابه الخاص

---

(١٣) فلاديمير . ا . لينين — الجزء ١٩ صفحتى ٣٢١ و٣٢٢ .

مباشرة على الاسلوب الرأسمالى للزراعة ، ويظهر هذا النوع الاخير فى مزارع الموالح والفاكهة على الاخص .

وادى تواجد الملكية الاقطاعية الكبيرة الى جنب الملكيات الصغيرة والضئيلة لصغار الملاك بالاضافة الى وجود جيش كبير من عمال الزراعة بدون عمل الى ظهور اشكال مختلفة أيضا للايجار الزراعى فى مصر .

وكان الشكل الاساسى للايجار الزراعى هو نظام الايجار (شبه الاقطاعى) أو ما يسمى « بايجار الجوع » وهو يقوم أساسا على استئجار الفلاح الفقير قطعة ضئيلة من الارض كوسيلة للرزق وضمان لاستمرار حياته . وشمل هذا النوع من الايجار ثلث المساحة المنزرعة فى مصر كلها .

اما النوع الثانى للايجار فهو نظام الايجار (الرأسمالى) يقوم على اعطاء الاقطاعى لمساحة من الارض الى أحد أغنياء الفلاحين أو من الفلاحين المتوسطين ليقوم بزراعتها لحسابه فى سبيل ايجار سنوى ولقد انتشر هذا النوع على الاخص خلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها ، ومن هنا جاء تشابك علاقات الريف الاقطاعية بالاساليب الرأسمالية للاستغلال .

ولقد اتخذ استغلال الفلاح أشكالا مختلفة فى الملكيات الضخمة واختلفت من منطقة الى أخرى ، بل داخل القرية الواحدة نفسها .

أما الجزء الثالث والاخير وهو أسلوب المزارعة ويقوم على أن يقدم الفلاح قوته البدنية وأدوات عمله فى نظير نصيب معين من المحصول قد لايزيد عن ثلث المحصول ، وكان يشتغل فى الحيازات الاقطاعية والحيازات المتوسطة فى صورة عمال دائمين حوالى مليون عامل زراعى ، واذا حسبنا أن متوسط عدد الاسرة لهؤلاء العمال هو خمسة أفراد كان جملة هؤلاء العمال بأسرهم حوالى ٥ ملايين فرد ، يعيش غالبيتهم على المستوى الادنى للمعيشة ، اضف الى هؤلاء مليون عامل تراحيل يعملون على فترات متقطعة فى أوقات الحصاد ويبقون بقية العام فى بطالة دائمة ، وأدى وجود هذا الجيش الجرار من عمال التراحيل الى انخفاض المتوسط العام للاجور بالنسبة للعمال الدائمين سواء كان ذلك فى الزراعة أو الصناعة ، وتصل نسبة عمال الزراعة الى جملة المشتغلين بالنشاط الزراعى الى الثلثين فى عام ١٩٥٢ فى الوقت الذى لم تتجاوز فيه ٥٠٪ من جملة العاملين فى عام ١٩١٧ ، ويعنى هذا لنا أنه فى الظروف الراهنة للمجتمع المصرى يلاحظ استمرار عملية افقار الفلاحين وتحولهم الى بروليتاريا ريفية .

وانه مع كل عام جديد يزداد عدد الافراد المضطرين لبيع قوة عملهم فى سوق العمل الاستغلالى شبه الاقطاعى ، وحسب بعض الاحصاءات ٪ فان متوسط أجر العامل الزراعى فى عام ١٩٥٠ كان حوالى عشرة قروش فى اليوم ، واذا حسبنا أن متوسط أيام العمل فى السنة ١٨٠ يوما فان هذا يعنى أن دخله اليومى لا يزيد عن خمسة قروش للاسرة المكونة من خمسة أفراد ، أو أن دخل كل فرد لا يزيد عن قرش واحد فى اليوم .

وتتضح لنا صورة الاستغلال الرهيب لطبقة الفلاحين اذا عرفنا أن مالك الارض (الاقطاعى) كان كقاعدة عامة يطالب الفلاح بأجر عن الرى وعن أدوات الانتاج المستعملة والمستخدمة بالاضافة الى الفوائد على السلف المالية والعينية والتى تصل الى ٦٠ أو ٧٠٪ من ايراد المحصول كله ، أما باقى المحصول فيكون عرضة لنهب الحكومة عن طريق الاشكال المختلفة للضرائب التى تجبى للحفاظ على جهاز الاحتلال الاجنبى وجهاز الحكم الملكى الاقطاعى الفاسد .

ويعنى هذا أن النظام الاقطاعى فى مصر كان يمتص من المنتج المباشر (الفلاح) جزءا كبيرا من الانتاج الضرورى لحياته ولاستمرار زراعته بالاضافة الى القيمة الزائدة المتولدة من استثمار رأس المال .

ففى ظروف السيطرة الاستعمارية للاحتكارات الاجنبية واستبداد كبار الملاك الزراعيين لم تمتلك الجموع الحاشدة من الفلاحين حتى ثمن (جلابية) جديدة بدلا من (الجلابية) المهلهلة القديمة التى اصبحت كلها ثقوب صغيرة مثل ثقوب الغربال فما بالك بتحسين وسائل الزراعة وتطوير الانتاج الزراعى ؟

بل ان ظروف تطور الاشكال الرأسمالية فى مصر قد هيأت فرصا لنمو فئات المقاولين والسماسرة من كل نوع لزيادة استغلال الكادحين من الفلاحين ، فبتخصص مصر فى زراعة القطن للسوق العالمية قطع الرباط المباشر بين المنتج وبين المستهلك وظهرت بينهما شخصية السمسار أو الوسيط «

وكانت شركات السمسرة والمقاولات الموجودة فى مصر فى ذلك الوقت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالشركات الاجنبية، وكان أمرا منطقيا وطبيعيا ان ترى كبار رجال الدولة والوزراء يجلسون فى مقاعد مجالس ادارات هذه الشركات .

وكانت النتيجة المنطقية لاستيلاء الاقطاعيين على مقاليد السلطة السياسية وانتشارهم داخل اجهزة الدولة على كل المستويات أن امتدت تبعية الفلاحين للاقطاع من المجال الاقتصادى الى المجال الاجتماعى والسياسى وتحولت التبعية الى علاقة قسر واجبار بدنى وشخصى .

وساعد على هذه الصلات العائلية وروابط القربى بين الاسر الاقطاعية التى زادت من تأثيرهم وانتشار سيطرتهم على قرى كاملة بل مناطق ومحافظات بأسرها .

وعلى الرغم من أن قوانين الدولة قد اتخذت الشكل الرأسمالى القانونى (بمعنى علاقة التعاقد الحر) وبالرغم من الانتشار النسبى لنظام الانتاج للسوق الا أن هذا وذاك لم يؤثر على جوهر العلاقات الاجتماعية فى الريف فقد ظلت قائمة على الاستغلال الاقتصادى والقهرى السياسى والاجبارى الاجتماعى وهى العلامات البارزة لاى نظام اجتماعى للاقطاع .

حقا ان بعض ملامح الاقطاع فى مصر قبل الحرب العالمية الثانية قد طمست بأشكال رأسمالية، الا أن طابع العلاقات الاجتماعية والاقتصادية فى الاماكن التى سيطر عليها كبار الملاك ظلت كما هى بدون تغيير ممثلة فى القسر البدنى والغاء الحرية الشخصية لطبقة الفلاحين .

وخلال الحرب العالمية الثانية ومع ارتفاع أسعار المحاصيل الزراعية وفى مقدمتها القطن ومع استمرار انتشار نظام الايجار الزراعى ، نمت دخول كبار الملاك نموا كبيرا ، الا أن الاساليب الزراعية الموروثة لم يطرأ عليها أى تغيير ولم يدخل الاقطاعيون أى تحسين على الطرق القديمة للاستزراع ، وبذلك عطلوا عملية تطور الانتاج الزراعى ، وكانت المصالح الاقتصادية لهم تتلاءم تماما مع النظام السياسى القائم ، وبالتالى لم يكونوا راغبين فى التغيير بل وجمدوا تطور النظام الاقتصادى والسياسى للمجتمع المصرى .

ان التحليل السابق للعلاقات الاجتماعية والوضع العام للطبقات الاجتماعية فى الريف المصرى ليس كاملا ، الا أنه يكفينا لتوضيح الصورة الكلية للوضع الطبقى فى القرية المصرية .

ان قضية الطبقات والصراع الطبقى كما هو معروف مرتبطة ارتباطا مباشرا بقضية ملكية وسائل الانتاج، وبما أن وسيلة الانتاج الاساسية فى القرية هى الارض ، فان قضية الطبقات هنا هى قضية ملكية الارض، وقضية الصراع الطبقى هى قضية مرتبطة بطابع وحجم الملكية الخاصة للارض وفى ظروف تراكم الملكية الزراعية فى ايدى حفنة قليلة من كبار الملاك من جهة وحرمان الجماهير الكثيرة جدا من الفلاحين من أى مورد ثابت للرزق بل وانتشار البروليتاريا الزراعية عاما بعد عام .

فى هذه الظروف نضجت القوى الثورية داخل ملايين الفلاحين وأصبحت طبقة الفلاحين هى الحليف الرئيسى للطبقة العاملة فى النضال ضد الاستغلال الاستعمارى الاقطاعى .

وقدم الفلاحون مطالبهم بتخفيض الضرائب والايجارات الزراعية ورفع الاجور وتحسين ظروف العمل ومستوى المعيشة ، وظهرت معارك طبقية متعددة تطالب بالارض وأن ملكيتها لمن يفلحها وكثيرا ما تحولت هذه المعارك الى اصطدامات دموية .

ولم تقف مطالب الفلاحين عند الناحية الاقتصادية بل اشتركوا فى العمل السياسى بفعالية كبيرة وظهر ذلك فى الحركة الوطنية ضد الاحتلال البريطانى ، وخلال هذا النضال ضد الاستعمار طالبت اللجنة الوطنية للطلبة والعمال بتحديد الملكية الزراعية بـ ٥٠ فدانا كحد أعلى، بل ونادت اللجنة بالقضاء على نظام الاوقاف والتوسع فى الحركة التعاونية ورفع المستوى المادى والثقافى للفلاحين .

وفى وقت الحملة الانتخابية لدخول البرلمان عام ١٩٤٩ تضمنت برامج ٧٦ مرشحا مطالبا بتحديد الملكية الزراعية الاقطاعية وتحقيق ضرائب تصاعدية على الدخل لكى يتحول الاقطاعيون الى استثمار أموالهم فى الصناعة .

وبينما يدور النقاش المتواصل بين ممثلى الطبقات البرجوازية والاقطاعية فى البرلمان عن مطالب الفلاحين ورفع مستوى معيشتهم ، كان الواقع العملى ينضج بالغليان ويغلى بالثورة ، وظهرت حالات كثيرة فى الريف حيث رفض الفلاحون دفع الايجار الزراعى ، ويكفينا أن نتذكر الاحداث فى قرية « بهوت » عام ١٩٥٠ حيث رفض الفلاحون دفع الايجار ، ووضعهم الاقطاعيون فى السجون وحوكموا ثم حكم عليهم بعقوبات قاسية .

وظهرت ملامح الصراع كذلك فى قرية « كفور نجم » والتى ذهب فيها ضحية الاحداث هناك شهيد الفلاحين عواد » الذى قال « ان الارض ارضنا ولنا فيها اكثر مما لصاحب السمو ولى العرش » فى هذه الكلمات البسيطة الواضحة عبر عن جوهر المشكلة الطبقية فى القرية المصرية .

التركيب الطبقى فى المدينة المصرية

الطبقة العاملة

ادى تطور « العلاقات الرأسمالية الى نمو سكان المدن وزيادة كثافة الطبقة العاملة فى مصر ، ففى عام ١٩٥١ كان تعداد المدن المصرية يصل الى ٣٢٪ من مجموع سكان البلاد ، مقابل ٢٥٪ من عام ١٩٣٧ فى الوقت الذى وصل فيه عدد الطبقة العاملة المصرية الى ٢ مليون عامل ، وتم اعداد جيش العمل المأجور من عدة مصادر أهمها :

١ ــ القرية ــ شكلت القرية المصدر الاساسى للقوى العاملة فى الصناعة .

فلقد ادى التضخم السكانى فى الريف الى هجرة الفلاحين الى المدينة بحثا عن عمل الا أن عملية تحول الفلاح المعدم الى بروليتارى كانت أبطأ من نسبة تزايد السكان نتيجة لظروف مصر المتميزة [الطابع الوحيد الجانب للاقتصاد المصرى ــ هدم التوازن الاقتصادى للمناطق المختلفة] .

٢ ــ النشاط الحرفى ــ كان الحرفيون والصناع مصدرا بالغ الاهمية لتكوين جيش البروليتاريا المصرى وكان عدد الحرفيين فى مصر قد وصل عشية ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الى ثلثمائة وخمسين ألف حرفى وفنى .

وفى ظروف المنافسة الرأسمالية كان اكثرية الحرفيين متعرضين للافلاس وتحولهم الى معدمين يبحثون عن عمل فى الصناعة كبروليتاريا .

٣ ــ العمل المأجور ــ وهو المصدر المنقى لتكوين الطبقة العاملة وهو المصدر الناتج عن تحول بعض الاجزاء من ميادين الخدمات والتجارة الى ميدان الصناعة ، وهو تحول داخلى يتم بين طبقة الاجراء ، الا انه يؤثر على التركيب الكمى والكيفى للطبقة العاملة المصرية بالطبع ، واذا حاولنا أن نتبين مستوى انتاجية العامل المصرى فانه يكون عندنا تصور واضح لها من الجدول التالى :

وهكذا نجد أن انتاجية العامل المصرى تصل الى حوالى ربع مثيلتها فى الصناعة بوجه عام فى انجلترا والمانيا ، وحوالى ١/٨ مثيلتها فى الولايات المتحدة الامريكية .

على أن هناك ما هو اهم من ذلك فحتى فى حدود الاقتصاد المصرى كانت انتاجية العامل فى الصناعة المصرية على تخلفها تبلغ اكثر من ثلاثة أمثال انتاجية المشتغل بالزراعة .

ولم تكن هذه الظاهرة قاصرة على مصر وحدها فأيضا فى البلاد الرأسمالية المتقدمة نجد أن انتاجية العامل فى الصناعة أكبر بكثير من انتاجية المشتغل بالزراعة ، ولكن هناك فارقا كبيرا بين مصر والبلاد الرأسمالية المتقدمة ، فبينما ، نجد أن الاغلبية العظمى من السكان فى مصر يشتغلون بالزراعة نلاحظ أن اغلبية السكان فى البلاد الرأسمالية المتقدمة كانوا يشتغلون بالصناعة .

ويجب علينا أن نأخذ فى الاعتبار عجز المجتمع المصرى المتزايد عن توفير فرص العمل الانتاجى لاعداد متزايدة من السكان القادرين على العمل ، ولا شك أن هذه الظاهرة هناك لها أيضا ما يماثلها فى البلاد الرأسمالية المتقدمة ، ففى تلك البلاد هناك نسبة دائمة من القادرين على العمل قد تصل الى ٦٪ أو ٨٪ فى حالة بطالة ، وهذه النسبة تتزايد فى سنوات الازمات الاقتصادية التى تتعرض لها تلك المجتمعات ، ولكن هذه الظاهرة كانت أكثر بروزا فى المجتمع المصرى وأن كانت تأخذ اشكالا مختلفة ، فبالاضافة الى البطالة الرسمية التى

قيمة الناتج الاضافى للعامل الواحد فى مصر وفى بعض البلاد المتقدمة (بالجنيهات الاسترلينية)

فرع الصناعة	مصر باسعار ١٩٤٧/٣٧	انجلترا (١٩٣٥)	المانيا (١٩٣٦)	الولايات المتحدة الامريكية (١٩٣٦)
الكيماويات	٥٨	٦١٧	٦٥١	٣١٤٥
المنسوجات	٧٧	١٥٩	٢٠٥	٣١٨
الجلود	٥٧	٢٣٧	٢٧٠	٤١٧
المنتجات الغذائية	٦٢	٤٨٧	٤١٧	٧٦٠
الصناعة فى مجموعها	٧٤	٢٦٤	٢٩٤	٥٩٥

يتعرض لها العمل فى الميدان الزراعى بوجه خاص والتى قد تمتد الى مابين ١٥٠و٢٠٠ يوما من أيام العمل فى السنة ، كانت هناك البطالة الدائمة التى تتعرض لها اعدادا متزايدة من الباحثين عن العمل على اختلاف فئاتهم [مثقفين وعمال صناعيين وزراعيين وحرفيين] قد تصل نسبتهم الى اكثر من ٢٥ فى المائة من القادرين على العمل ، وكانت هذه البطالة تأخذ أحيانا شكل البطالة المقنعة أى الاشتغال بأعمال قد تأتى بدخل نقدى لصاحبها ولكنها فى حقيقة الامر لا تضيف شيئا الى الدخل القومى أو الانتاج القومى مثل الاعداد الفقيرة من المواطنين الذين كانوا يزحمون المدن لبيع علب الكبريت مثلا أو اداء الخدمات الضئيلة أو المهنية الاخرى لعجزهم عن الحصول على عمل مجز .

وعند تحليل أسباب الانخفاض فى مستوى الانتاج فى مصر أو فى أى بلد آخر يجب أن نميز فيها الجوهرى من الثانوى والاصيل من العارض، على أن التمييز بين الجوهرى والثانوى بين السبب والنتيجة هو أمر على أقصى درجة من الاهمية ، لانه هو وحده الذى يمكن من فهمها وبالتالى من السيطرة عليها ، فهو الذى يمكن من التفرقة بين الحلول الاصيلة والحلول العارضة .

وهذا التمييز أكثر اهمية بالنسبة للظواهر الاجتماعية بالذات لان دراستها تتعرض للتأثر بالمصالح والاراء والاهواء الخاصة للقائمين بالدراسة .

فالباحثون البرجوازيون مثلا يقولون ان السبب الاساسى للانتاجية المنخفضة للعامل المصرى هو عدم صلاحية العامل المصرى للانتاج الصناعى الحديث ، ويقدمون الدليل على ذلك من حقيقة معينة مستمدة من صناعة الغزل والنسج ، هذه الحقيقة هى انه بينما كان يكفى لتشغيل كل الف مغزل خمسة عمال فى أوروبا الغربية واربعة عمال فى الولايات المتحدة الامريكية كان يلزم للعمل على الف مغزل ١٦ عاملا فى المتوسط فى مصر ، والى جانب ذلك كان يكثر الحديث عن ارتفاع نسبة العادم من المواد الاولية المستخدمة ، أو ارتفاع نسبة الغياب ، أو عدم مداومة العامل على الانتظام فى العمل فى المصنع وعودته بعد عام أو عامين من العمل فى المصنع الى الريف الذى أتى منه .

وهذه الاسباب كلها صحيحة ولكن هل هى كل الاسباب ؟ وما الذى يقف وراءها ؟

لاشك فى أن حداثة العهد فى مجتمعنا لنظم الانتاج الصناعى المتقدم كانت ولا تزال تؤثر على كفاءة العامل المصرى ، ولكن هذا الاعتبار كان دائما موجودا فى كل مجتمع حديث العهد بالتحول الى الصناعة ، وكتب التاريخ الاقتصادى مثلا مليئة بالشكوى من كسل وعدم انتظام العمال الالمان والذين أصبحوا مضرب الامثال فى النشاط والمواظبة فيما بعد فى القرن التاسع عشر) .

ان سبب انخفاض انتاجية العامل المصرى لا يبرره نقص مستوى التعليم العام والتدريب الفنى فقط ، بل هو نتيجة منطقية لحياته وظروف معيشته ، فالارهاق بالعمل مدة ١٠ أو ١٢ ساعة فى اليوم ، والضعف الناشىء عن نقص التغذية وسوء الحالة الصحية، وازدحام المساكن وانخفاض الاجر الذى يحصل عليه مما يؤدى الى انخفاض مستوى معيشته وعجزه عن الاحتفاظ بقواه الجسمية والعصبية .

ومن الجانب الاخر فان أدوات العمل نفسها ووسائله ونظمه كانت شديدة التخلف نتيجة لان العدد والآلات المستوردة والمستخدمة مثلا كانت مستهلكة أصلا ، وسبق أن استخدمتها المصانع الاجنبية فى الخارج قبل تصديرها لمصر بعد تصليحها وتهيئتها للعمل مرة ثانية ، وفى ميدان الزراعة فان أدوات الانتاج المستخدمة كانت ترجع الى المجتمع العبودى وفى العهود البربرية .

ان الاسباب الجوهرية لانخفاض انتاجية العامل المصرى لاترجع الى الأسباب التى يبرزها الفلاسفة البرجوازيون وعلماؤهم ، ان السبب الجوهرى فى هذا هو التخلف الاجتماعى والاقتصادى العام فى مصر الملكية .

فالتساؤل الحقيقى عن البحث عن أسباب التخلف ينبغى أن يكون حول الاسباب التى أدت الى عدم انتشار التقدم من بلد الى آخر ، كما كان يحدث من قبل فى كافة العصور ومراحل التطور السابق، ونأخذ مثالا « اليابان » التى كان يسودها نظام اجتماعى اقطاعى شديد التماسك معزولا كل العزلة عن المؤثرات العالمية الحديثة التى أدت الى تطور المجتمعات الراسمالية فى الغرب ، ولم يستطع هذا النظام رغم تماسكه وعزلته أن يصمد طويلا أمام طرقات الاساليب الحديثة والآلات والادوات الحديثة للانتاج التى طرقت أبوابه فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وانما استوعبها وطور نفسه بسرعة فائقة ليتلاءم معها حتى سبق بعض البلاد التى تعلم منها .

والواقع أن الذى يفرق بين مصر واليابان مثلا فى هذه الناحية هى ان اليابان قد نجحت من السيطرة

تركيب الطبقة العاملة فى مصر والهند والولايات المتحدة الامريكية فى بداية الخمسينات (بالنسبة المئوية) الى مجموع العاملين من السكان

الفئات الاساسية داخل الطبقة العاملة	مصـــر	الهنـــد	الولايات المتحدة الامريكية
عمال الصناعة الحديثة	٥ — ٦ ٪	٤ — ٥ ٪	٤٠ — ٤١ ٪
عمال الصناعات الصغيرة	٩ — ١٠ ٪	٨ — ٩ ٪	٢ — ٣ ٪
العاملين بالتجارة والخدمات وجهاز الدولة	١٠ — ١١ ٪	٥ — ٦ ٪	٣٦ — ٣٧ ٪
عمال الزراعة	٢١ — ٢٢ ٪	٢٠ — ٢٥ ٪	٣ — ٤ ٪
مجموع السكان العاملين (بالمليون)	٦ر٥	١٤٢ر٣	١٠

الاستعمارية ، بينما سقطت مصر فريسة لهذه السيطرة ، فهذه السيطرة هى تاريخيا السبب الرئيسى للتخلف .

ومن أحد الملامح المميزة للبروليتارى المصرى، هو رباطه الوثيق بالقرية اقتصاديا واجتماعيا ونفسيا، ففلاح الامس الذى أصبح عاملا فى المدينة ذا أجر منخفض اليوم لا يستطيع أن يحتفظ باسرته فى المدينة ، ويضطر الى تركها فى القرية كما يضطر الى الاتصال المستمر بأسرته فى القرية مما يؤدى الى احتفاظ العامل بعقلية البرجوازية الصغيرة وعدم التنظيم مما يؤدى الى عدم اندماجـــه فى وسطه العمالى الجديد .

وليس غريبا بعد ذلك أن تكون مكتسبات الطبقة العاملة المصرية فى مجال التشريعات العمالية أكثر من متواضعة .

فحتى عام ١٩٥٢ لم يكن فى مصر قانون يحدد ساعات العمل اليومية فلم يصدر الا قانون بتحديد يوم عمل ٧ — ٩ ساعات فى المحلات التجارية والمستشفيات والمؤسسات الصناعية التى لها تأثير ضار بالصحة ، بل ان قوانين العمل لم تضمن حتى الاجازة الاسبوعية لعمال الصناعة وكانت الغالبية من العمال تعمل أكثر من ٦٠ ساعة فى الاسبوع (*)

ففى نهاية الاربعينات وبداية الخمسينات كان عدد ساعات العمل فى الاسبوع يتراوح بين ٧٠ — ٨٠ ساعة فى الاسبوع (*)

واحتلت مصر المكان الاول فى العالم فى استخدام عمل الاطفال ، فحسب الاحصاءات كون ٦٠٠,٠٠٠ طفل من سن ٩ الى ١٤ سنة ٢٠ ٪ من مجموع العمال المصريين وكانوا يتقاضون نصف أجـــر الرجل ، ولم يصدر أى تشريع يخص العمل النسائى وكانت النساء تعمل نظير نصف أجر الرجل ، أو حتى ثلث أجره (*)

وكان متوسط الاجر الشهرى للعامل المصرى فى الصناعة قبل الحرب العالمية الثانية لا يزيد عن ثلاثة جنيهات مصرية فى الوقت الذى حدد المستوى الادنى للمعيشة للاسرة من خمسة أفراد بـ ٣٤٦ قرشا ، وفى نهاية الامر فان العامل الاســاسى لانخفاض الاجور هو وجــود جيش ضــخم من العاطلين سواء فى القرية أو المدينة ، ولمعرفــة خصائص البروليتاريا المصرية ومكانها فى المجتمع بالمقارنة مع المجتمعات الاخرى نشير الى الجدول المنشور أعلى الصفحة .

ويظهر لنا من الجدول السابق أنه فى ظروف الرأسماليـــة المتطــورة فان النواة الصـــناعية للبروليتاريا تشمل غالبية الطبقة العامـــلة ، فى الوقت التى تكون فيه البروليتاريا الصناعية فى البلاد المستعمرة كمصر أو الهند أقلية صغيرة داخل جيش العمل المأجور كما هو واضح من الجدول ، وحسب احصاءات عام ١٩٤٧ فان صورة توزيع عمال الصناعة المأجورين حسب الاحجام المختلفة للمشروعات الصناعية كانت كالآتى :

عدد العمال فى المشروع الواحد	عدد المشروعات	عدد العمال
أقل من ١٠ عمال	٢٣٣٦٢	٣٦٠٠٠
من ١٠ الى ٤٩ عاملا	٢٧٩٨	٥٨٠٠٠
من ٥٠ الى ٤٩٩ عاملا	٦١٩	٧٦٠٠٠
من ٥٠٠ عامل فاكثر	٦٤	٢٣٧٠٠٠
المجموع	٢٦٧٤٣	٣٦٧٠٠٠

وينتمى العاملون الى المصنع الذى به أكثر من ١٠ عمال فى مصر قبل الثورة الى مفهوم العامل الصناعى الحديث ، وهذه المصانع كانت تــكون ٧ر١٥ ٪ من مجموع المصانع والورش المصرية ، ومن جملة هذه المصانع كان هناك حوالى ٦٤ مصنعا ينتج أكثر من نصف الانتاج الصناعى للبلاد كلها (*)

وهكذا يظهر لنا أن الطبقة العاملة فى مصر قد تركزت فى مصانع ضخمة بل وفى مناطق صناعية كاملة حيث عاش فى كل منها عشرات الألوف من العمال، وكان أثر التغير الكلى للطبقة العاملة وتمركزها بعيد المدى على حركة التحرر الوطنى خلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها .

ففى سنين الحرب العالمية الثانية وتحت تأثير الافكار التحررية المعادية للفاشية تدعمت القوى المعادية للامبريالية ، فقادت المنظمات التقدمية النضال من أجل وحدة الطبقة العاملة ، ودعت الى الاشتراك بحق العمال فى انشاء نقابة عامة لهم على مستوى الامة كلها ، وتحت ضغط الطبقة العاملة اضطرت الحكومة المصرية فى سبتمبر ١٩٤٢ الى اصدار القانون رقم ٨٥ الذى أعطى الحق القانونى فى انشاء النقابات العمالية .

وعلى الرغم من العديد من السلبيات التى صاحبت اصدار هذا القانون فان معنى الاصدار فى حد ذاته يفسد انتصارا كبيرا لنضال الطبقة العاملة .

وبدأ العمال فى انشاء نقاباتهم العمالية الجديدة التى جمعت حتى نهاية الحرب العالمية الثانية الغالبية الكبرى من عمال الصناعة فى مصر .

ففى عام ١٩٤٤ وصل عدد النقابات العمالية فى مصر الى ٢١ نقابة تجمع ١٠٥٫٠٠٠ عضو مقابل ٣٨ نقابة تجمع ١٦٫٠٠٠ عضو فى عام ١٩٣٦ .

وتميزت سنون ما بعد الحرب بأكثر المعارك العمالية ضراوة وثورية ، فقادت الطبقة العاملة حركة الاضرابات الكبرى خلال عامى ١٩٤٥ ، و١٩٤٦ ، وشاركت بالجهد الاساسى فى تكوين اللجنة التحضيرية للطلبة والعمال ، وهى اللجنة التى قادت النضال الوطنى بثورية وحسم خلال سنين ما بعد الحرب، وحركت الجموع العمالية فى اضرابات شبرا الخيمة وكفر الدوار وهى التى اتخذت قرار اعتبار ١١ يوليو ١٩٤٦ يوم اضراب شامل لجميع مرافق البلاد بمناسبة مرور ٦٤ عاما على الاحتلال البريطانى وكان رد فعل مجلس الوزراء بأن اتخذ قرارا يمنع المظاهرات ، واعتقل غالبية القيادات الثورية للنقابات وأمرت الحكومة بحل اللجنة التحضيرية بل وحل جميع التنظيمات اليسارية والتقدمية .

ومس قرار الحل حوالى ١٥٠ منظمة وهيئة سياسية فى ذلك الوقت ، الا ان تصرف الرجعية لم يستطع أن يوقف تطور الحركة العمالية والنقابية فى مصر ، فخلال عامى ١٩٤٧ و ١٩٤٨ قامت اضرابات كثيرة ومظاهرات كبيرة وقويت الحركة العمالية خلال عام ١٩٤٩ ابان أزمة فلسطين وآثارها على القضية الوطنية عندما اتخذ النضال ضد الاستعمار الطابع المسلح بقيادة الطلبة والعمال فى منطقة قنال السويس عامى ١٩٥٠، و ١٩٥١ .

وساعد تصاعد الحركة التحررية على نمو تأثير النقابات وسط العمال ، ففى عام ١٩٥٠ وصل عدد النقابات الى ٤٩٠ نقابة شملت ١٥٠٫٠٠٠ عضو .

وكان هذا كثيرا وقليلا — قوة وضعفا فى آن واحد ، قوة فى أن مصر فى ذلك الوقت مرت بازدهار ونمو النضال الطبقى ، وضعفا فى أنها كانت الخطوات الاولى للطبقة العاملة المصرية فى طريق التنظيم العمالى ووحدة العمل العمالى ، غير أن التنظيم العمالى المصرى لم يلق النجاح المتوقع له نتيجة للانقسامات الداخلية وصراع الاحزاب البرجوازية المختلفة للسيطرة على تنظيمات الطبقة العاملة الناشئة ، فبالرغم أنه بعد الحرب العالمية الثانية وقف على رأس بعض النقابات عناصر تقدمية واشتراكية الا أن الجزء الغالب من النقابات سيطرت عليه المنظمات البرجوازية كالوفد المصرى ومنظمة الاخوان المسلمين والتى أدت بالتالى الى انقسام عميق داخل الحركة النقابية ، وعمل الانجليز متعاونين مع الرجعية الداخلية عملهم فى ضرب أية محاولة لتوحيد العمال فى نقابات ديموقراطية تقدمية .

فقط بعد الحرب العالمية الثانية تمكنت الطبقة العاملة من الحصول من الحكومة الوفدية على تصريح باقامة اتحاد عام لنقابات العمال ، الا أنه قبل المؤتمر المقرر للنقابات بيوم واحد تمكنت الرجعية المصرية من تنظيم مؤامرة فى البلاد عن طريق اعتقال جميع العناصر القيادية للنقابات خلال أحداث ٢٦ يناير ١٩٥٢ واشعال الحريق فى القاهرة ، وكان غياب حزب ثورى للطبقة العاملة والعدد القليل نسبيا للبروليتاريا الصناعية وتنوع المصادر التى تكونت منها الطبقة العاملة وعدم نضوج الطبقة العاملة وتوزعها على مشروعات صغيرة والاختلافات الكبيرة بين كفاءاتها وقدراتها وسيطرة فئة عمالية أجنبية على الطبقة العاملة عطل كل هذا من تحول المعركة النقابية والعمالية الى قوة ثورية موحدة يمكنها أن تقود الثورة الوطنية الديمقراطية فى عام ١٩٥٢ .

الطبقة البورجوازية

يجب الاشارة الى انه اختلافا عن دول نامية

كثيرة فلقد تشكلت وتدعمت برجوازية وطنيـة كبيرة فى مصر عشية ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ والتى تتميز على الاخص قيمتها (بنك مصر ومجموعة عبود) بالاتجاه نحو الاحتكار فى مجالات التجارة والمال والمتصلة بروابط وثيقة بكبار ملاك الارض والمتعاونة مع رأس المـال الاحتـكارى الاجنبى والملتحمة بجهاز الدولة .

والبرجوازية المصرية تتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية ــ (١) البرجوازية الكبيرة (٢) البرجوازية المتوسطة(٣) البرجوازية الصغيرة .

وتنقسم البرجوازية الكبيرة بالتالى الى ثلاث فئـات أسـاسية ــ (١) البرجـوازية المـالية (٢) البرجوازية الصناعية (٣) البرجوازية التجارية وممثلو هذه الفئات كونوا اكثر الصفات المميزة للرأسمالية المصرية وهىطبقة البرجوازيةالمتعاونة مع الرأسمالية الاجنبية (أو الكومبرادور) التى ارتبطت بالرأسمالية العالمية وخضعت لهـا فى ظروف السيطرة السياسية والعسكرية للرأسمالية الاحتكارية البريطانية فى فترة الاحتلال البريطانى لمصر .

أما البرجوازية المتوسطة والتى كثيرا ما تسمى بالبرجـوازية الوطنية فهى جـزء من الطبقـة البرجوازية التى تتعارض مصالحها الاقتصادية مع الاحتكار الاجنبى والتى تقـوم على أسـاس العلاقات الرأسمالية غير الاحتكارية فى مجال السوق ، ففى ظروف سيطرة الامبرياليـة فان البرجوازية المتوسطة كانت مبعدة عن استغلال الثروة القومية للبلاد ، وعلى ذلك ففى فترة الحركة الوطنية التحررية بعد الحرب انحازت الى الطبقات العاملة واتحدت معها فى النضال ضد الاستعمار ودفعت البرجوازية المتوسطة خلال تطور هـذا النضال بأحسن ابنائها من كبار المثقفين كقـادة للحركة التحررية .

أما البرجوازية الصغيرة فهى اكثر تفتتا وأقـل اتحادا بالنسبة للبرجـوازية المتوسـطة ، وهى الطبقة التى تعـانى أكثر من اضـطهاد النظام الاقطاعى ــ الرأسمالى من جهة ومن الاستعمار من جهة أخرى ، وهى بمستوى معيشتها تقترب من مستوى الطبقة العاملة ، وكان احسـاس البرجوازية الصغيرة بوضعها الاجتماعى بالنسبة لطبقتى الاقطاعيين والرأسماليين واضحا نتيجة لوجودها فى المدن ، وهذا مما ساعد على تطور وعيها الثورى وازدياد نشاطها ضـد السيطرة للنظام القائم ، وفى عملية النضال تعلمت اجيال كاملة من الشباب الثورى التى خرجت من هذه الطبقة الكوادر الرائدة فى الجيش وفى الاجهزة الحكومية .

واذا حللنا البرجوازية المصرية عشـية ثورة يوليو لوجدناها تتميز بالسمات التالية :

الاتجاه نحو التكوينات الاحتكارية

ولقد كان التركز والاتجاه نحـو التـكوينات الاحتكارية هو أحد السمات الرئيسـية المميزة للرأسمالية المصرية ، غير أن تركيبها الاحتكارى لم يكن نتيجة لمنطق التطور الرأسمالى الداخلى وانما هو بالدرجة الاولى وليد الطابع الاحتكارى لرأس المال الاستعمارى .

وفرضت الثورة التـكنولوجية على التطـور الرأسمالى فى مصر أن يحقق درجة عالية مـن التراكم نظرا لضخامة الاستثمارات التى تتطلبها اقامة الوحدات الآلية الحديثة فى الوقت الذى يضيق فيه السوق الوطنية نتيجةلانخفاض مستوى معيشة الشعب مع صعوبة المنافسة التى لم تكن لتسمح باقامة أكثر من مشروع أو مشروعين فى الصناعة الواحدة .

ومن هنا كان « الاحتكار المصرى » هو الابن الشرعى للاستعمار ، والتخلف هو ثمرة لقـانون التطور غير المتكافىء الذى يحكم الرأسمالية فى مرحلة الامبريالية .

الرابطـة الوثيقـة مع كبـار الملاك الاقطاعيين وجهاز الدولة

وتمتاز الرأسـمالية المصرية بارتباطها بالنظام الملكى الحاكم وجهاز الدولة وتعاونها الكامل مع طبقة كبار الملاك الاقطاعيين .

ان الرأسمالية المصرية تتميز عن الرأسمالية الاوربية بأنها لم تنشـأ فى صفوف التجـار كما حدث فى أوروبا ، وانما فى صـفوف كبار ملاك الاراضى ، نتيجـة لتجمع أموال طائلة فى أيديهم من خلال الارتفاع الهائل فى أسعار القطن خلال فترة الحرب العـالمية الاولى ، وبذلك تحـولت أقسام من كبار المـلاك الى الاعمال التجـارية والماليـة ، وتحليل عضـوية مجالس ادارات الشركات المساهمة فى مصرسنة ١٩٥٢ بالاضافة الى متابعة قوائم تنفيذ قانون الاصلاح الزراعى لعام ١٩٥٢ يكشف بوضـوح مدى التداخـل

والترابط العضوى بين البرجوازية المصرية وطبقة كبار الملاك .

ونتيجة لذلك فقد حازت أقلية ضئيلة من الاقطاعيين والرأسماليين على نصيب الاسد من الدخل القومى واعطتهم الملكية المتجمعة فى أيديهم الحق القانونى فى هذه الدخول المرتفعة كما أنها فتحت امامهم امكانية السيطرة على جهاز الدولة كأداة للمحافظة على النظام الاستغلالى الموجود ، وأكثر من ذلك فانهم لم يقفوا عند حدود القوانين الرأسمالية التى تحمى مصالحهم بل تعدوها مغالاة فى الفساد ملتجئين الى الرشوة والتهديد ، وأصبحت قوانين الدولة تفهم وتطبق لا كما هو منصوص عليه ومعترف به ، بل كما تتطلب مطامع ومصالح المجموعة الرأسمالية .

واقتصر جهاز الدولة المصرية على ميادين المحافظة على الامن ، وعلى تنظيم الرى والصرف فى مجال الزراعة ، ولم تحسب الدولة نفسها آثمة عندما كانت تتجاهل مصالح الغالبية من الشعب لكى تمد يد المساعدة الى كبار الملاك الاقطاعيين الذين لم يكتفوا بدخولهم الضخمة وانما تورطوا فى الديون، لامن أجل تطوير الانتاج انما من أجل المضاربة على شراء الاراضى الزراعية ومثال ذلك الواضح تراكم الديون على الاقطاعيين فى بنك التسليف الزراعى والتعاونى الذى أقيم من أجل صغار الملاك ثم احتكر مميزاته كبار الاقطاعيين، والى جانب ذلك وتحت شعار حماية الصناعة الوطنية رفعت الدولة اسعار المنتجات الصناعية على حساب حاجيات الجماهير بل وكانت الحماية الجمركية العالية التى تدفعها الجماهير هى احدى سبل الاستغلال الرأسمالى لصالح الاقلية .

التلاحم العضوى

مع رأس المال الاحتكارى الاجنبى

لقد نمت الرأسمالية المصرية وراء اسوار الحماية الجمركية العالية التى تقررت سنة ١٩٣٠ وتوسعت توسعا كبيرا خلال الحرب العالمية الثانية ، وفى أعقابها نتيجة لهبوط الواردات الاجنبية ، وارتفع نصيب رأس المال المصرى فى اسهم البنوك والشركات المساهمة من ٩٪ عام ١٩٣٣ الى ٣٩٪ عام ١٩٤٨ ، على ان هذا التوسع تم فى أطار السيطرة الاستعمارية على الاقتصاد المصرى وعلى أساس من الوحدة والصراع بين الرأسمالية المصرية والرأسمالية الاجنبية ».

وتمت عملية التداخل العضوى بين طبقة الرأسماليين المصريين وطبقة الرأسماليين الاجانب والمثال الصارخ لتلك الظاهرة هو تخلى بنك مصر عن الشعار الذى أنشىء من اجل تحقيقه وهو بناء صناعة مصرية بأموال مصرية فأبرم « بنك مصر » اتفاقا مع الاحتكار البريطانى الشهير « **برادفورد دايرز** » (١٤) أنشئت بموجبه شركتان متكاملتان هما شركة مصر للغزل والنسج الرفيع وشركة « **صباغى البيضا** » وحصلت شركة برادفورد على ٥١٪ من أسهم شركة صباغى البيضا .

وهناك أيضا مجموعة شركات عبود حيث التعاون الوثيق بين الرأسمالية المصرية ورأس المال الاجنبى وتبادل المراكز بين مجالس ادارات شركات عبود والشركات الاستعمارية .

الطابع الطفيلى

ولقد جاء الطابع الطفيلى للرأسمالية المصرية من أنها هدفت الى تحقيق أقصى ربح احتكارى عن طريق سيطرة الاحتكارات على السوق ، وليس عن طريق تطوير قوى الانتاج ، ومن هنا كان طابعها الطفيلى .

ومن أبرز مظاهر تلك الرأسمالية المصرية انفصال الملكية الرأسمالية لوسائل الانتاج عن ادارتها الفعلية، فلم يكن للرأسماليين فى الشركات الكبرى أى دور فى ادارة وتنظيم الانتاج ، الذى أصبح يتولاه الفنيون وتحول كبار الرأسماليون الى طبقة طفيلية لا ترتبط بالانتاج وتعيش على « ربح الاسهم والسندات وترتبط ببورصة الاوراق المالية » .

فمثلا كان « أحمد عبود » يضارب على أسهم شركاته ويجنى من وراء ذلك ارباحا طائلة على حساب افقار صغار المدخرين .

اما الجزء من الرأسماليين المحليين الذين لم يجدوا طريقة للتعاون مع الاحتكار الاجنبى فانهم لم يحتملوا المنافسة الضارية واعلنوا افلاسهم

---

(١٤) د. الجريتلى — مصر المعاصرة ١٩٤٧ صفحة ٥٠٧

بالتدريج وانتقلوا الى الدرجات السفلى من السلم الاجتماعى .

وهكذا لم تتمكن البرجوازية الصناعية المصرية ان تصبح قوة رائدة لتطوير قوى الانتاج الوطنية ولم تقدر على لعب دورها التاريخى الذى لعبته زميلتها فى أوروبا فى القرن الثامن عشر .

ويجدر بنا ونحن نحاول التعرف على ملامح البرجوازية الوطنية ان نبين ان غالبية عناصرها كانت مكونة من الفئات الوسطى واحيانا من الفئات الكبيرة التى لم ترتبط مصالها مع مصالح رأس المال الاجنبى وكبار ملاك الارض .

وكان هذا الجزء من البرجوازية ذا مصلحة اساسية فى تحقيق الاستقلال الوطنى سواء فى المجال الاقتصادى أو السياسى .

وكان الموقف الاقتصادى لهذا الجزء من البرجوازية الوطنية غير وطيد ، خاصة فى سنين ما بعد الحرب ويشهد بذلك النمو المضطرد لعدد حالات التجار المفلسين ، ففى عامى ١٩٤٧ ، و ١٩٤٨ كانت هناك ٣٠ حالة افلاس بين التجار وصلت فى عام ١٩٥٠ وعام ١٩٥١ الى ١٠٩ حالة افلاس ، وفى الفترة من يناير الى سبتمبر ١٩٥١ كان عدد حالات الافلاس ٩٤ حالة ، وخلال نفس الفترة من عام ١٩٥٢ كانت ١٤٤ حالة افلاس (١٥) .

اما اذا انتقلنا الى البرجوازية المتوسطة الزراعية فنجد أنها متكونة من فئتين ، الاولى هى فئة أغنياء الفلاحين [٥٠ الى ٢٠ فدانا] الذين يزرعون ملكيتهم الخاصة أو المستأجرة من قبل الاقطاعيين باستخدام العمل المأجور ولقد عاشت أغلبية هذه الفئة فى الريف الا أنها تميزت عن طبقة الفلاحين بدخولها العالية وكقاعدة عامة فان أغنياء الفلاحين كانوا يتمتعون بامتيازات اجتماعية معينة ولهم وزنهم السياسى فى الريف نتيجة لمعايشتهم للفلاحين من جهة ونتيجة لارتباطاتهم الوثيقة مع كبار الملاك وموظفى الدولة وإجهزة الحكم المحلى من جهة اخرى .

وكان أغنياء الفلاحين هم الاحتياطى الطبقى لطبقة الاقطاعيين فى الريف الا أنهم كانوا معادين بحكم مصالحهم السياسية والاقتصادية للاستعمار .

اما فى المدينة فان البرجوازية المتوسطة كانت تتشكل من ملاك الشركات المتوسطة والصغيرة والورش الحرفية والمحلات التجارية وما اليها . ولهذه الفئة ثقل اجتماعى كبير فى المدن نتيجة لارتباطاتها الاجتماعية وعلاقاتها الاقتصادية بالطبقات الغنية الا أنها لعبت دورابارزا فى حركة التحرر الوطنى ، والنضال ضد الامبريالية .

وكان دورها الاجتماعى والسياسى يتصف بالازدواجية والتميع السياسى ، فهى كجزء من القومية المصرية المضطهدة من جانب الاحتكار الاجنبى والاقلية الاقطاعية ، كانت معادية لهذا التجمع الرجعى وتقوم بدور كبير فى النضال ضد مصالحه ، الا أنها كقوة سياسية طمحت دائما الى اخضاع جماهير العمال غير المنظمة لتستخدمها فى النضال من أجل وصولها الى السلطة السياسية واحتكارها للحكم ، فى الوقت الذى لم تؤيد فيه المطالب الديمقراطية للطبقة العاملة عندما بدأت تشعر بأنهم يطمعون الىتحقيق الثورة الوطنية بأبعادها الاجتماعية وعدم الاكتفاء بالاستقلال السياسى ، وهى باختصار طبقة اجتماعية وقفت ضد الاستعمار والاقطاع فى الوقت الذى خافت فيه فى نفس الوقت من أية مبادىء اشتراكية أو تطور تقدمى ، وهى باشتراكها الايجابى فى ثورة عام ١٩١٩ قد تراجعت فى نهاية المطاف عندما أحست ان العمال والفلاحين بدأوا يأخذون دورهم السياسى وما لذلك من آثار بعيدة المدى على وضعها الطبقى .

وعلى الرغم من هذه الطبيعة المزدوجة للبرجوازية الوطنية المصرية الا أنها أعطت الحركة الوطنية المصرية غالبية قادتها السياسيين والفكريين ، وجدت معارك القنال عام ١٩٥١ بخير أبنائها بل كانت كونت نواة التنظيم السرى للضباط الاحرار الذين قاموا بثورة ١٩٥٢ فيما بعد .

ان تطور العلاقات الرأسمالية فى المدن وما صاحبه من نمو سريع لسكان المدن وتطور نظم التعليم المتوسط والعالى قد ادى الى نمو طبقة البرجوازية المتوسطة والصغيرة فى نفس الوقت وأبنائها من المثقفين ، وهى الطبقة التى قال عنها راشد البراوى فى كتابه المذكور هى تلك القوة الاجتماعية الجديدة التى كانت القاعدة الاجتماعية الأساسية للحركة السياسية فىمصر بعد الحرب العالمية الثانية وعشية ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .
وكانت هذه الطبقة المتوسطة بتركيبها

---

[١٥] راشد البراوى - حقيقة الانقلاب الاخير فى مصر - القاهرة ١٩٥٢.

الاجتماعى ممثلة لمصالح فئات كثيرة من السكان وهى الطبقة التى ينتمى لها موظفو الدولة المتوسطون والصغار بمافيهم من مدرسى المدارس المتوسطة والفنية وكذلك ضباط البوليس والجيش وطلبة الجامعات والمعاهد العليا وصغار ومتوسطى التجار والحرفيين .

هذه هى القوة الاجتماعية الجديدة — يختتم راشد البراوى — التى بالتدريج دخلت الى الحياة بالتأكيد قوة ثورية واعية . وكانت فى حالة ضيق شديد من الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية القائمة فى البلاد .

وكان الموقف الاقتصادى للبرجوازية الصغيرة والمثقفين غير ثابت تماما بل وغير واثق من الغد وهى حالات كثيرة كانت قريبة من الوضع الاجتماعى والاقتصادى للبروليتاريا الصناعية .

ويشير **د. راشد البراوى** بحق الى الدور الاقتصادى لهذه الفئة الاجتماعية النامية الجديدة فى المجتمع المصرى ، والذى كان أقل بكثير من تأثيرها فى الحياة السياسية للبلاد ، ويؤكد أن هذه الطبقة المتوسطة النامية الجديدة كانت أكثر الطبقات ثورية فى ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية، وكان المزاج الثورى للبرجوازية الصغيرة ومثقفيها جادا للغاية بل وأهم من ذلك شديد الايجابية .

وادت سيطرة راس المال الاجنبى والمحلى الى افلاس عدد كبير من صغار التجار والفلاحين والحرفيين ، والذين كانوا قبل الحرب تحت السيطرة الكاملة لاستغلال رأس المال الكبير ، وعانى الموظفون الصغار والمتوسطون فى الحكومة وفى الشركات الخاصة والبنوك من العمل المضنى ، فالانخفاض الشديد للاجور والمستقبل غير المضمون بل وبلا أمل فى تغييره ، وفى أغلب الاحيان لم يقبض هؤلاء الموظفون علاوة على مرتباتهم خلال ١٥ و ٢٠ عاما كاملة ، وفى ظروف مماثلة وقع مدرسو المدارس وصغار الضباط وكبارهم ، وكذلك فى كوادر الحكومة بين صغار الموظفين وبين المديرين وأعضاء مجالس ادارات الشركات ، وانتشر فى جهاز الدولة وأجهزة الامن الرشوة والفساد والاستهتار ، واثر تأثيرا قويا على الوضع الاقتصادى للطبقة الوسطى وجود عاطلين بكثرة فى البلاد ، وفى الاربعينات انتشرت البطالة حتى فى أوساط الذين أنهوا دراساتهم الجامعية وممثلى المهن الحرة كالاطباء والمحامين .

ويكتب « **شارل عيسوى** » ان فى مصر حتى الان مجتمعين معا والتى يتميز ممثلوهم باختلاف شاسع فى مستوى المعيشة بين المجتمعين ، فهناك مجتمع عامل الزراعة الذى لا يتجاوز أجره ٤ جنيهات شهريا وموظف الحكومة الذى يبدأ عمله فى الدولة بمرتب ٢٥ جنيها شهريا .

وهكذا يمكننا ان نتصور ان توزيع القوى الطبقية فى مصر فى الفترة التى سبقت ثورة يوليو كهرم اجتماعى متعدد الدرجات على قمته يقف كبار الاقطاعيين والبرجوازية التجارية والمالية [الكومبرادور] وكانت اكثر المجموعات الاجتماعية تخلفا واشدها رجعية وكانت بمثابة قاعدة اجتماعية يحتمى وراءها الاستعمار الاجنبى ، وعلى قمة هذه المجموعة كان النظام الملكى المصرى ومجموعة القصر التى كانت بمثابة أركان حرب للقوى الرجعية والاستعمارية ، ولم يكن غريبا ان يكون بعد ذلك رئيس الديوان الملكى من رجال الاستعمار الطاغين أمثال أحمد حسنين باشا وحافظ عفيفى باشا .

وحتى الان قد حللنا التكوين الطبقى للمجتمع المصرى عشية ثورة يوليو ١٩٥٢، الا ان التقسيم الطبقى للمجتمع لا ينسينا التقسيمات الاجتماعية الاكثر صغرا والاشد عمقا ، ولكن هذا الموضوع لايمكن ان ندخل عليه الا « ديالكتيكا » لانه بمقدار تطور هذه الطريقة أو تلك من طرق الانتاج يمكن ان تنشأ مجموعات وفئات اجتماعية جديدة الى جانب الوضع الاجتماعى للمجموعات والفئات الموجودة يمكنها أن تتغير وتتخذ ملامح جديدة فى الظروف الجديدة ، ويمكن ان تميز فى مصر هذه المجموعات التى من الصعب ارجاعها الى أية طبقة من الطبقات الاساسية الموجودة مثل صغار التجار — المقاولين — السماسرة — صغار المنتجين الحرفيين — العاملين فى ميدان الخدمات أشباه البروليتاريا وكذلك العاملين بالمنازل .

ويثبت « **كارل ماركس** » انه فى البلاد التى ظهرت فيها الحضارة الحديثة تشكلت كجزء مكمل للمجتمع البرجوازى، وتتشكل باستمرار برجوازية جديدة صغيرة ، والتى تتأرجح بين البروليتاريا والبرجوازية ، الا أن المنافسة المستمرة تدفع جزءا كبيرا من هذه الطبقة الى صفوف البروليتاريا، وهم يرون بأنفسهم هذه اللحظة القريبة عندما تتطور الصناعة الكبيرة فينمحون تماما كطبقة مستقلة فى المجتمع الحديث .

وهنا فان الفكرة الماركسية يمكن لها ان تنطبق على هذه المجموعات الاجتماعية الموجودة فى مجتمع قبل الثورة ، الا أنه فى نفس الوقت يجب ان نتنبه ونعلم ان اثبات نشأة هذه الفئات فى المجتمع المصرى تختلف عما رآه ماركس بل وتكاد تتناقض معه ، فتكون ونشأة الفئات هى

نتيجة للسرعة البطيئة للغاية لتطور الحضارة الصناعية فى مصر بعكس المجتمع الرأسمالى الذى عاش فيه ماركس ورأى ان تكون هذه الفئات هو نتيجة التطور الرأسمالى السريع فى الغرب .

واكثر من ذلك فان هذه المجموعات الاجتماعية فى مصر مرتبطة بتشكيل الانتاج السلعى الصغير وتشكيل الانتاج الطبيعى ولا تتوقف على نشأة الحضارة الصناعية فى مصر وبل وبدونها ، وفقط بدراسة هذه الظروف ممكن أن يكون فهمنا صحيحا لهذه الحقيقةالواقعية وهى أندور هذه المجموعات الاجتماعيةفى النظامالقديم كانثانويا [كالحرفيين مثلا] لم يقضعليه مع تطور العلاقات الرأسمالية بل على العكس نما وتطور ، فالنظام القديم كان قد قضى عليه والنظام الجديد لم يتشكل بعد والى حد ما فان هذا يفسر فيضان سكان الريف على المدينة .

ان تعايش الانتاج الكبير مع الانتاج الصغير كان خاصية عامة لتاريخ التطور الرأسمالى فى مصر ، ويمكن ان نتصور أن هذا التعايش سيستمر لمدة طويلة مع الحد من الاستثمارات الرأسمالية وضرورة حل مشكلة البطالة .

وهذا يعنى أن تأثير هذه الفئات الاجتماعية المرتبطة بالانتاج الصغير على النشاط الاجتماعى والاقتصادى كان ويكون وسيكون لزمن أطول مما كان فى المجتمعات الرأسمالية الصناعية المتطورة ، ان الخاصية العامة المميزة لهذه الفئات الاجتماعية هو انتماؤها الى المجتمع ما قبل الصناعى ، وفى الوقت نفسه فان كلا من هذه الفئات تكون قوة اجتماعية وسياسية واقتصادية لها خصائصها ومميزاتها واختلافاتها .

وينتمى صغار التجار والمقاولين والسماسرة فى الريف فى الغالب الى تشكيلة الانتاج شبه الاقطاعى وهى يحافظون علىوضعهم الاقتصادى مادام التركيب الزراعى شبه الاقطاعى موجودا ووظيفة هذه المجموعة تختلف اختلافا كبيرا ، فهم يشتركون ايجابيا فى عملية تطور علاقات السوق الا انهم فى نفس الوقت يعطلون تطورها لانهم يحملونها ملامح شبه اقطاعية ، ففى ظروف ضعف نظام التسليف الزراعى والتنظيم الاجتماعى فى الريف تستولى هذه الفئة على جزء كبير من أرباح الفلاح ، بل وجزء من المنتج الضرورى ، وتكتنز الارباح دون أن تعمل على توسيع الانتاج الزراعى وتطويره ، أما الفئة الاجتماعية المقابلة فى المدينة فهى فئة صغار المنتجين [الحرفيين] — وهى بوزنها الكمىقداحتلت مكانا وطيدا فىالانتاج الصناعى الحرفى وكان لها اتجاه متصاعد للنمو والتوسع ، ويبدو أن هذا الاتجاه سيكون قويا خلال عشرات السنين القادمة فى مصر نتيجة لفائض القوى العاملة وقلة الاستثمارات المالية فى الصناعة ، أما المجموعة الثالثة فى هذه الفئات فهى صغار التجار فى المدينة والعاملين فى ميدان الخدمات، وهذه المجموعة كانت مفتوحة وممكنة لاى مصرى لانها لا تتطلب وسائل كبيرة ولا كفاءة خاصة .

أضف الى ذلك أن تضخم هذه الفئة قد ساعد عليه عامل آخر وهو أن هذا الشكل من العمل فى مصر الملكية كان له وزن اجتماعى أكثر من الوزن الاجتماعى للعامل فى الصناعة .

والمجموعة الرابعة وهى أشباه البروليتاريا وتتميز عن جميع المجموعات الاخرى بأنها فاقدة لاى وسيلة من وسائل الحياة وبالتالى اضطرت الى العمل فى أى عمل طارىء ووقتى ، وتشكلت هذه المجموعة أساسا من أفراد لا يتمتعون بأية كفاءة وبالتالى فهم معرضون لفقده فى أية لحظة ، وكقاعدة فان هذه الفئة لم يشملها نظام للتأمين الاجتماعى أو التشريعات العمالية وما اليها ، وكونت هذه الفئة معفقراء الفلاحين أسوأ الفئات اجتماعيا وضعفا وأكثرها بؤسا فى المجتمع المصرى ، وكانت هذه المجموعة غير مرتبطة بأية نقابة أو أى تنظيم اجتماعى ، ونتيجة لوضعهم الاجتماعى البالغ السوء فانهم خضعوا لتأثير الطبقات الاجتماعية الاخرى ولمصلحتهم الطبقية ، فكان الاقطاعيون يستغلون أصواتهم الانتخابية للفوز بمقاعد البرلمان والارتقاء على السلم السياسى للوصول الى الحكم .

أما المجموعة الاخيرة فهى فئة المشتغلين بالمنازل أو العاملين بأعمال التنظيف والحراسة والطبخ وما الى ذلك ، ويقوم تميزنا لها عن الطبقات البروليتاريا وأشباهها فى أنها تجد عملا دائما وحالتها المادية على العموم أحسن من الفئاتشبه البروليتاريا أضف الى ذلك أنها مجموعة اجتماعية ضخمة نسبيا .

وعلى العموم فان الجدير بالملاحظة أن الاختلاف فى الوضع الاقتصادى داخل هذه الفئات قد يكون أكثر وأوضح من الاختلافاتبين الطبقاتالاجتماعية نفسها .

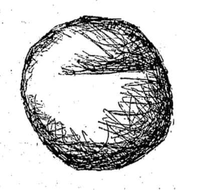
وفيما يمس طابع السلوك الاجتماعى فانه لم تكن هناك اختلافات بين هذه المجموعات الاجتماعية أكثر من ذلك ، فانه لم يكن منها أية فئة قادرة على العمل المستقل والتأثير القادر .

والحديث لا يدور حول الدور القيادى لاية مجموعة من هذه المجموعات وانما فقط الوعى المستقل بأهدافهم أى التحديد الواضح لمصالحهم وامكانية النضال من أجل هذه المصالح .

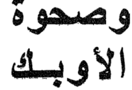
ومن الوجهة السياسية فان هذه الفئات الاجتماعية كان يمكن أن تكون قاعدة اجتماعية لاية تغييرات سواء كانت تقدمية أو رجعية ، وهى لم تملك وجها اجتماعيا سياسيا واحدا ولم تكن قادرة على تحديد مكانها فى الحياة الاجتماعية ولم تكن مهيأة للاتصال المحدد المستمر مع الطبقات الاجتماعية الاخرى ، ونحن أشرنا الى أن هذه الفئات لها اتجاه مطلق ونسبى للنمو الكمى .

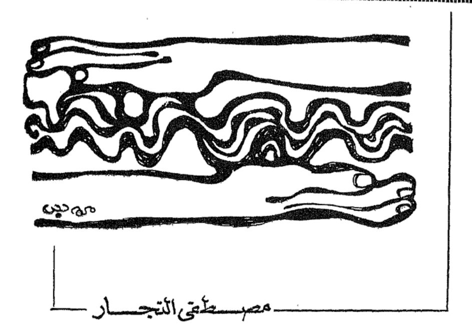
فخلال الفترة من عام ١٩٣٧ حتى عام ١٩٤٧ نما عدد المشتغلين فى مجال الخدمات من ٢١٪ الى ٣١٪ فى الوقت الذى نما عدد المشتغلين فى الصناعة لنفس الفترة من ٩ الى ١٠٪ فقط ، واذا لاحظنا فى ذلك أن من غير الجائز أن ندخل هذه الفئات الاجتماعية كل من له عمل فى مجال غير انتاجى فانه يمكننا ان نقترح بلا خوف من خطأ ان الجزء الاكبر من حجم القوى العاملة النامية — فيما عدا القوى العاملة بالزراعة — كان يعمل بهذا المجال .

وفى المجموع وعلى الرغم من الثورية العفوية والايجابية فى الحياة السياسية التى شملت البلاد فان البرجوازية الصغيرة لم تستطع ان تأتى الى الحكم فى ظروف مصر الملكية ، ولقد منع من ذلك وجود تناقضات داخلية عميقة داخل صفوفها وعدم انتظامها وانعدام وجود الحزب الثورى الطليعى الكامل ، وكانت آراء ومعتقدات الدوائر المختلفة للبرجوازية الصغيرة متناقضة فيما بينها للغاية ، فمن أقصى المعتقدات الرهيبة المحافظة حتى أقصى الافكار اليسارية الثورية والتقدمية ، وكان من نتاج ذلك أنه كان من المألوف أن أبناء البرجوازية الصغيرة قد دخلوا فى تنظيمات سياسية مختلفة تناقض بعضها الاخر بل وتتعادى معها عداء صريحا ، أما عن عمل برنامج موحد عام لهذه التجمعات السياسية المختلفة للتطبيق العملى الفعلى فانه موضوع لم يكن على مائدة البحث أو حتى التفكير ، وبالتالى كان الطموح الى الاستيلاء على جهاز الدولة من أطياف الخيال والاوهام ، وظهر بوضوح تنوع التركيب الطبقى للمجتمع المصرى قبل الثورة فى تعدد الاحزاب السياسية وتنوع اتجاهاتها وتضارب نشاطها ومصالحها (٥)



الأزمة البترولية العالمية





مصطفى النجار

دخلت العلاقات بين منظمة الدول المصدرة للبترول (الاوبك) والشركات العالمية الكبرى مرحلة، بات الشعور معها قويا باحتمال تفجر ازمة خطيرة تهدد مصالح الدول الغربية واقتصادياتها التى تعتمد فى جزء كبير منها على ما تستورده من بترول دول هذه المنظمة ، ان أنظار دول العالم (منتجين أو مستهلكين أو أصحاب مصالح) راحت تتجه فى اهتمام الى هذا الصراع بين الطرفين ، وكل منهما يمثل قوة كبيرة وضخمة ·

فقد لعبت اقتصاديات البلدان العربية المنتجة للبترول لاسيما السعودية ، والكويت وليبيا ، دورا رئيسيا فى النظام المالى العالمى ، ان لها أثرا مباشرا على توازن مدفوعات كل من الولايات المتحدة ، والمملكة المتحدة ، ذلك أن النفط العربى حسب تقديرات الارصدة المالية العالمية ، مسئول عن نقل مبلغ صافى يقدر ببليونين ونصف بليون دولار تقريبا من العملات غير الواقعة فى الاحتياطى الى الدولار الامريكى ، أو الجنيه الاسترلينى ، وأن بليونين من أصل هذا المبلغ تستأثر بهما الولايات المتحدة (الرقم المذكور يشمل ايران ايضا) [1]

ان للمصالح الغربية ، ولاسيما المصالح الامريكية نحو ٥٤ فى المائة من مجموع المصالح الحالية ، بينما تبلغ حصة بريطانيا ٣٠ فى المائة ، وفرنسا ٦ فى المائة ، وهولندا ٥ فى المائة والباقين ٥ فى المائة · وللولايات المتحدة أكبر نصيب من الامتيازات المحصورة فى العالم ، ١٠٠ فى المائة

[1] الدكتور يوسف ابو الحجاج ـ بحوث فى المجتمع العربى ـ البترول العربى فى ميدان التطوير الاقتصادى ـ ص ٨٥ ·

من امتيازات السعودية ، وتشمل هذه الامتيازات مساحة توازى سدس مساحة الولايات المتحدة ، و٥٠ فى المائة من امتيازات الكويت ٠

ان الاستثمارات الامريكية الاولى فى صناعة البترول لم تتجاوز ٠٠٠و٥٠٠ دولار فقط ٠ كان ذلك فى السعودية عام ١٩٣٤ ، بينما وصل مجموع الاستثمارات الثابتة للشركات الامريكية فى العالم العربى بعد فترة وجيزة من الحرب العالمية الثانية الى ما قيمته ٣٦٠ مليون دولار ، ويبلغ الرقم عام ١٩٦٦ عشرين بليون دولار ، أى ما يوازى ٤٠ فى المائة من مجموع استثمارات الولايات المتحدة عبر البحار ٠

وبرغم أن الولايات المتحدة لا تستورد حاليا أكثر من ٣ فى المائة من حاجتها البترولية من البلاد العربية لانها تعتمد على بترولها ، فانها ستجد نفسها مضطرة فى عام ١٩٨٠ لاستيراد أكثر من ٥٠ فى المائة من احتياجاتها البترولية من البترول العربى الذى سيبقى مصدر احتياطى البترول الخام فى العالم كله ـ لماذا ؟ الاجابة عن هذا السؤال بالارقام وليست بالتمنيات :

هناك زيادة فى استهلاك البترول تتراوح سنويا ما بين ٨ ، ٩ فى المائة بسبب اتساع رقعة مجتمعات الاستهلاك وضرورات الصناعة الحديثة ، ودليلى فى ذلك أن طائرات النقل المدنية التى ستباشر العمل بعد سنتين كطائرة (الكونكورد) مثلا تستهلك كمية من البترول تبلغ ١٨ ألف جالون فى كل رحلة تقطعها من أوربا الى أمريكا ، أى أن استهلاك طائرة واحدة فى السنة هو ١٠٠ ألف طن بترول ، واذا ما تابعنا مشروع بناء هذه الطائرات الحديثة لتبين أنه فى عام ١٩٧٣ تكون الدول الكبرى قد امتلكت ١٢٠٠ طائرة من هذا الحجم الجبار والتى ستستهلك من البترول سنويا ما قيمته ١٢٠ مليون طن ـ مما سيعنى بالضرورة أن جميع السفن وناقلات البترول الموجودة حاليا والمخطط لبنائها لن تكفى حاجة الغرب ٠

البترول العربى واوربا

ان للعالم العربى فضلا عن هذا كله [٢] قيمة خاصة لبلدان أوربا الصناعية (وكذلك اليابان) ، ذلك أن العالم العربى يحتوى على ثلثى احتياطى العالم من البترول الخام (٣٢٠٫٩ بليون طن) من أصل المجموع البالغ (٥٦٠٫٨ بليون طن) ، كما يصدر أكثر من ٥٠٠ مليون طن سنويا ، ففى النصف الاول من عام ١٩٦٧ بلغ مقدار ما تستورده أوربا الغربية من بترول العالم العربى وايران ٨٥ فى المائة من مجموع استهلاكها ، وكذا تستورد اليابان ٩٠ فى المائة من احتياجاتها من نفس المصدر ٠

ارخص بترول فى العالم

برغم كل التنقيبات التى أجرتها أمريكا فى الاسكا وبريطانيا فى بحر المانش ، والاتحاد السوفيتى فى بحر قزوين فقد تبين للشركات الامريكية والروسية والبريطانية أن البترول العربى أرخص وأقل تكلفة من أى بترول يتم استخراجه حتى من أراضى هذه الدول ، فان برميل النفط يكلف الشركات الاجنبية [٣] فى الولايات المتحدة نفسها ١٧ سنت وفى فنزويلا ٦و٥ سنت وفى ليبيا ٢ر٢ سنت ، وفى الجزائر ٩ر٣ سنت ، وفى نيجيريا ٧ر٢ سنت ، وفى ايران ٠ر١ سنت ، وفى العراق ٢ر١ سنت وفى الكويت ٨ر١ سنت ـ وفى السعودية ٥ر١ سنت ٠ ويتبين من هذا أن تكاليف العمليات (مصاريف التشغيل) عن البرميل الواحد مقدرة بالسنتات الامريكية ـ فى الشرق الاوسط ـ هى أقل نسبة فى العالم ، ومن هذا يتبين ان البترول العربى مازال ضرورة استراتيجية لا مفر منها بالنسبة لدول العالم الصناعية ٠

مـا هى الصـورة الحـقيقية
للواقع البترولى فى البلاد العربية

لقد دلت الاحصاءات أن مجموع دخل البلاد العربية من البترول بلغ حتى عام ١٩٦٩ (٥ آلاف مليون دولار) موزعة على الدول العربية الاتية :
المملكة العربية السعودية ١٢٠٠ مليون دولار ، الكويت ١١٠٠ مليون دولار ، العراق ٥٥٠ مليون دولار ، أبو ظبى ٤٠٠ مليون دولار ، قطر ٩٠ مليون دولار (٤) ٠

---

[٢] نشرة الاخبار البترولية ـ الكويت ـ ١٩ يونيو ـ حزيران ١٩٦٧ ـ البرنامج الثانى للتثقيف العام ـ الاتحاد الاشتراكى العربى ـ ١٩٧٠ ـ ص ٦ البروفيسور ام . اى . ادلمان استاذ الاقتصاد بمعهد ماساشوسيتس للتكنولوجيا
[٣] الدولار ٤٣٧ مليما ـ السنت ٣ر٤ مليم .
[٤] الحوادث اللبنانية ـ ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٧٠ ـ ص ٢٠ ـ العرب يسيطرون .

كما أكدت تقارير الخبراء الغربيين أن احتياطى البترول المتوفر فى البلاد العربية والذى يبع ٧٠ فى المائة من مجموع احتياطى البترول فى العالم موزع على الدول العربية على النحو التالى : السعودية ١٤٠ بليون برميل ـ أى ان احتياطيها من بترول العالم الخام ٣٠ فى المائة من بترول العالم كله ، الكويت ٦٨ بليون برميل ، العراق ٢٧ر٥ بليون برميل ، أبو ظبى ١٦ بليون برميل ، البحرين ٣٤٣ مليون برميل ، مسقط وعمان ٥ بلايين برميل ، المنطقة المحايدة ١٣ بليون برميل ، قطر ٥ر٥ بليون برميل ، سوريا ١ر٥ بليون برميل، الجزائر ٨ بلايين برميل ، ج ٠ ع ٠ م ٥ بلايين برميل ، ليبيا ٣٥ بليون برميل، المغرب ٥ر٧مليون برميل ، تونس ٥٠٠ مليون برميل ،عدا امكانيات استخراج النفط فى اليمن الشمالية (٥) ٠

قصة الصراع

لقد شعرت أوربا الغربية بما يعنيه قطع البترول العربى بعد حرب يونيو ١٩٦٧ واقفال قناة السويس ، وهى ليست مستعدة أن تكرر التجربة المظلمة حتى مع كل طمأنة الام العجوز امريكا ، **هل تغرق أوربا فى بحر الظلام من جديد ؟** هذا هو السؤال الكبير الذى طرح ، بينما تستمر عملية المواجهة المفتوحة ولاول مرة بهذا العنف بين الدول المنتجة للبترول وبين الشركات صاحبة الامتياز ، ودون ما تغليف باصطلاحات علمية بترولية يحتاج القارىء الى جهد لتفسيرها ، اليكم القصة مع محاولة لتبسيطها :

حصلت شركة نفط العراق G.P.C. عام ٩٢٥ على أول امتياز للتنقيب عن البترول فى العالم العربى ، وتبعتها الارامكو فى السعودية عام ١٩٣٣ وبعدها الكويت عام ١٩٣٤ ، ومنح الامتياز لشركة نفط الكويت المحدودة K.O.C. وتوالت الامتيازات بعد ذلك حتى وصلت اليوم الى العشرات ، تكاد تغطى جميع الدول العربية بلا استثناء ٠

يومها كانت الدول العربية مانحة الامتياز على استعداد لتوقيع أى عقد مع الشركات ، فمع الذهب الاسود أحلام ، احلام بالانتقال من الفقر الى الغنى ، واحلام بالرفاهية لذلك جاءت العقود الاولى بسيطة خالية من أى تعقيد بالنسبة للشركات واختصرت العقود بمدة العقد وهى فى العراق حتى عام ٢٠٠٠ وفى السعودية عام ١٩٩٩ وفى الكويت بعد تعديل جرى عام ١٩٥١ الى عام ٢٠٠٠ أيضا ، وذكر فى العقود بند آخر بسيط يعطى الدول مبلغا مقطوعا بالشلنات عن كل برميل مستخرج ، عاشت الشركات صاحبة الامتياز فى شهر عسل مستمر تحت ظل العقود السابقة حتى مطلع الخمسينات ، عندما بدأت احلام الثروة والرفاهية تذوب ، وبدأ الوعى ينتشر ، وارتفعت بعض الاصوات تحت ظروف معينة ، تطالب بحقوق معينة منها مبدأ المطالبة بالمناصفة ٠

وكالعادة بدأت المفاوضات وتوقفت المفاوضات ثم استؤنفت لتتوقف !! حتى قبلت الشركات وقررت مبدأ المناصفة ، وهلل الناس وتظاهرت الشركات بالاستكانة ، وقال الناس وصل الحق الى أهله ٠

وقبل أن نستطرد : نتوقف قليلا لنفسر مبدأ المناصفة ، المناصفة ليست كما يظن البعض مناصفة فى الارباح ، انها مناصفة فى (سعر البترول الخام غير المصنع) حسب السعر المعلن عالميا ، وهذه المناصفة تسمى ضريبة دخل ، يخصم منها مصاريف الانتاج يضاف اليها قيمة ١٢ر٥ فى المئة تعتبر كريع من انتاج البترول تدفع للدول المنتجة ٠

الى هنا والكلام هادىء ٠٠ ولكن الكلام لم يعد هادئا ولا منطقيا عندما اكتشفت الدول الاسلحة التى تركتها الشركات بين يديها لتدمر الاتفاق فى أية لحظة ، من هذه الاسلحة ٠

● أن الشركات تركت لنفسها الحق فى أن تخفض السعر المعلن عالميا فى أية لحظة بدون الرجوع الى الدول ، وقد حدث هذا فعلا بعد عام ١٩٥٦ ، وبما أن الضريبة (المناصفة) تحسب على أساس السعر المعلن ، كانت النتيجة الطبيعية أن خسرت الدول مئات الملايين من الدولارات ٠

● بدأت الشركات تحسب النسبة المئوية التى تدفعها للريع (١٢ر٥ فى المائة) كنوع من السلفة تعطيها للدول،وتخصمها فىنهاية العام عند المحاسبة النهائية يعنى : لنفرض أن السعر العالمى لمجموع البراميل المستخرجة قد وصل فى العام الى ١٠٠ جنيه ، نصفها يجب أن يدفع كضريبة دخل للدولة بعد خصم تكاليف الانتاج ، ولنفرض ان تكاليف الانتاج بلغت ٢٠ جنيها،يبقى الصافى ٨٠جنيها،من المفروض ان تأخذ الدولة نصفها اى اربعين جنيها، لكن هذا لم يكن يحدث لان الشركة كانت تخصم

(٥) البرنامج الثانى للتثقيف العام عام١٩٧٠ ـ الاتحاد الاشتراكى العربى ـ النفط فى الوطن العربى بالارقام ٠

الربح (١٢٫٥ فى المائة) ولنفرض أنه عشرة جنيهات ، فتدفع ثلاثين جنيها فقط ، وعندما تنبهت الدول الى هذا الاجحاف بدأت المعركة الجديدة ، ولم تنته الا قبل فترة قصيرة سميت تنفيق الربح ، واعتبرت نسبة الربح جزءا من مصاريف الانتاج وليس سلفة ٠

● والخمسون فى المائة كما قلنا هى من سعر البرميل المعلن ، ولكنها فى الواقع لم تصل الا الى جزء بسيط من أرباح الشركات ، فالربح الهائل للبترول يأتى من النقل والتكرير ، ومن البيع للمستهلك العادى ، ومن الصناعات البتروكيمائية ، وهى صناعات مجالها هائل فأمامها مشاكل أخرى آخرها المشكلة المعلقة حاليا ، هذه هى المشكلة ـ وهى الاهم ـ وهناك اسلحة اخرى قد تقل اهمية وان كانت تستعمل كلها فى حالة الخطر ٠

تكتل لمواجهة التكتل

تاريخان هامان يشكلان المنعطف فى تاريخ العلاقات بين الدول والشركات ، التاريخ الاول هو عام ١٩٥١ ، ويسمونه الان بتجربة ايران ، وذلك يوم اعلن **مصدق** تأميم البترول ، والتى ترجمت فى لغة النفط بأنها عدم استطاعة أية دولة فى العالم من تسويق انتاجها البترولى فى حالة التأميم أو الخلاف مع الشركات ٠

واعطت هذه التجربة قوة هائلة للشركات ، اصبحت تلوح وتهدد بها فى كل وقت ، وعندما تطالب الدولة بأية حقوق اضافية تسرع الشركة بتخفيض الانتاج فى هذه الدولة وتدفعه فى دولة اخرى مستسلمة لا تطالب بحقوق ، فينخفض بذلك دخل الدولة المطالبة ، ويرتفع دخل الدولة المستسلمة ويؤمن وصول النفط الى المستهلك والدول العطشى اليه ٠

أما التاريخ الثانى فهو عام ١٩٥٦ عندما أممت القناة وانقطع تدفق النفط فجأة الى اوربا نتيجة العدوان الثلاثى، يومها شعرت الدول المنتجة بأهمية هذا السائل الاسود بالنسبة للعالم ، فأصبحت ترد على التهديد بتهديد ، وهنا لجأت الشركات الى السلاح الاول فأعلنت تخفيض السعر العالمى المعلن فى محاولة لتربية الدول ، فشعرت الدول أنها لا تستطيع مقاومة التكتل العالمى (الكارتيل) لشركات النفط الكبرى (وعددها ٧ شركات) الا اذا واجهت التكتل بتكتل مماثل ، ومن هنا بدأ التفكير فى انشاء المنظمة العالمية للدول المصدرة للبترول (الاوبيك) وبعد اجتماعات طويلة صعبة أعلن عن تأسيس المنظمة عام ١٩٦٠ وضمت عند التأسيس السعودية ، الكويت ، العراق ، فنزويلا ، ايران ، وانضمت اليها فيما بعد ليبيا ، قطر ، أبو ظبى ، دبى ، اندونيسيا ، الجزائر ٠

كان أول نص فى دستور المنظمة هو انه : لا يجوز لشركات النفط أن تخفض الاسعار المعلنة عالميا من جانب واحد (أى بدون موافقة الدول) وهنا بدأت المعركة الحقيقية ، لم يعد بامكان الشركات ان تتكتل كما حدث فى ايران عام ١٩٥١ فى عملية اخضاع دولية ، وهدأت الشركات ، فمنذ عام ١٩٦٠ لم تجر أى تخفيض على الاسعار المعلنة ٠ وبقى الدخل من البرميل المصدر كما هو ، وهدأت الحكومات أيضا ٠

لكن الهدنة لم تستمر طويلا ، فبعد قليل من انشاء الاوبك برزت الجزائر وليبيا كموردين كبيرين للبترول ، وعوملتا بنفس الشروط التى عوملت بها الدول المنتجة الاخرى ، المناصفة على السعر المعلن ، والمصدر مع النسبة المئوية المتعارف عليها للربح ٠

الاوبيك تحذو حذو الجزائر وليبيا

لكن الجزائر وليبيا شعرتا بأن هذه الشروط التى وضعت قبل زمن طويل لا تصلح لدول تدفق فيها النفط فى الستينات ، وبدأتا تطالبان بشروط أفضل ، ففى ٢١ يوليو ١٩٧٠ أعلنت الجزائر بلسان وزير الصناعة والتعدين أنها قررت زيادة سعر البرميل من البترول بنسبة ٤٠ فى المائة أى (٢٫٨٥ دولار) وفوجئت فرنسا بهذا القرار لانه جاء من طرف واحد ، وأوفد الرئيس الفرنسى **بومبيدو** وزيره المختص بشئون البترول الى الجزائر لمعالجة الموقف ، وتمت الجولة الاولى من المحادثات بين الجانبين دون جدوى ، فبعد شهر واحد على هذا الاجتماع عقد فى الجزائر مؤتمر الاقتصاديين العرب اعلن فيه وزير الصناعة والتعدين الجزائرى أن حكومته قررت رفع سعر البرميل مرة ثانية الى ٣٫٢٥ دولار بسبب زيادة الاسعار التى نفذتها حكومة ليبيا ، ثم بسبب انخفاض سعر الدولار فى الاسواق العالمية ، وقرر مجلس الحرب الوزارى فى فرنسا ايفاد الوزير المختص بشئون البترول الى العاصمة الجزائرية فى النصف الاخير من شهر سبتمبر الماضى ، وبدأت المحادثات وكانت التعليمات المعطاة له تقول ان الحكومة الفرنسية لا تستطيع أن تتحمل مزيدا من المتاعب مع الجزائر ، فأما تفاهم وتعاون وأما ان تضطر باريس الى وقف مساعداتها التكنية والفنية للجزائر ، وتوسطت حكومتا القاهرة وموسكو لدى

حكومة الجزائر بعدم قطع المفاوضات مع فرنسا ، فوافقت حكومة الرئيس بومدين على استنزاف حرب البترول بينها وبين فرنسا للمرة الثالثة خلال خمسة شهور من بدئها فى يوليو ١٩٧٠ أملا فى حفظ مصالح الشعب الجزائرى ، ومحاولة منها لافساح المجال أمام الحكومة الفرنسية فى التروى والدراسة ٠

أما الحكومة الليبية ففرضت فرضا على الشركات العاملة هناك اعادة النظر فى الاتفاقية ٠ واستطاعت فى شهر سبتمبر الماضى أن ترفع السعر المعلن من النصف الى زيادة تتراوح بين ٥٥ ـ ٥٨ فى المائة ، لكن الشركات لم تعترف صراحة بهذه الزيادة ، وأعلنت أن الرفع يعكس الموقع الجغرافى لليبيا لقربها من أوربا ، وقبلت ليبيا هذا التفسير على أن يكون مفعول القرار رجعيا الى عام ١٩٦٧ ، (يوم اغلاق القناة) وحسبت أن مجموع ما يجب أن تدفعه الشركات هو ٧٦٠ مليون دولار ٠

لكن الشركات بهذا التفسير الذى أعلنته والذى سارعت ليبيا لتصدره قانونا وقعت فى ورطة مع الدول الاخرى التى لم تتمتع بمركز جغرافى مشابه ، فسارعت لترضى العراق وتدفع لها ٢٠ سنتا اضافيا عن كل برميل مصدر من ميناء بانياس ، وترضى السعودية بنفس المبلغ لكل برميل يصدر من صيدا ، لكونهما على البحر المتوسط ، ولما كان خط التابلاين مقطوعا ولم توافق سوريا حتى الان على اعادة اصلاحه ، فهذا يعنى أن السعودية وحدها هى التى خسرت من هذه البادرة ٠

ولم تدم الهدنة هذه المرة أكثر من اسابيع قليلة ٠ ففى ٩ ـ ١٢ ـ ١٩٧٠ عقدت منظمة الاوبيك اجتماعا فى مدينة **كراكاس** بفنزويلا واصدرت قرارات كان لها وقع الصاعقة ، هذه القرارات :

● رفع الضرائب على أرباح الشركات من ٥٠ الى ٥٥ فى المائة ٠

● زيادة الاسعار المعلنة للبترول الخام ٠

● الغاء الخصومات التى تحصل عليها الشركات من الدول ٠

● وضع جدول لزيادة أسعار البترول مستقبلا فى ضوء ما يطرأ على العملات من انخفاض فى القيمة الشرائية ٠

● مطالبة الشركات المنتجة باعادة استثمار جزء وافر من ارباحها داخل الدول لتحقيق اكتشافات بترولية جديدة ٠

● ولحقت بمنظمة الاوبيك الدول العربية غير المنضمة الى الاوبيك العالمية ، ولكنها عضو فى منظمة الدول العربية المصدرة للبترول (**الاوبيك العربية**) فأعلنت المنظمة عن تبنيها وتنفيذها لجميع مقررات المنظمة العالمية حتى ولو لم تكن عضوا فيها ٠

العض على الاصابع

ولاول مرة فى التاريخ تواجه الشركات الغربية بهذا الموقف الجماعى ، ليس من الدول العربية فحسب ، بل من دول العالم المنتجة للبترول كلها ، بما فيها ايران واندونيسيا وفنزويلا ٠

وللمرة الاولى أيضا يظهر علنا الكارتيل العالمى للشركات فيقرر أن يفاوض كمجموعة ، ومن هنا كانت المواجهة فى طهران على مدى عشرة أيام تبدأ من يوم ١١ ـ ١ ـ ١٩٧١ بين الدول ككل وبين الشركات كمجموعة ، الاوبيك لا يمكن أن تتراجع ، فقرارها نهائى ، واذا تراجعت أو تساهلت أو قبلت بحل وسط فهذا يعنى نهاية المنظمة أو عدم أخذ قراراتها بجدية ، وكان أمام الشركات أحد حلين : فاما أن ترضخ للمطالب وتفتح على نفسها بابا لا يغلق بسهولة ، واما أن ترفض ، ومشاكل هذا الرفض أكثر من أن تحصى ، فوافقت الشركات على زيادة ضرائب الانتاج من ٥٠ فى المائة الى ٥٥ فى المائة وكذلك وافقت على زيادة الاسعار من حيث المبدأ مع اشتراط تثبيتها لمدة ٥ سنوات ، اما من حيث زيادة الاستثمار فى المشروعات الانتاجية للدول المصدرة فلم تتقدم الشركات بما يفيد الموافقة عليها ، فما كان من مواقف الدول المنتجة الا أن وافقت كل من العراق والسعودية على ما تقدم به ممثلو الشركات ، بينما لم توافق ليبيا والجزائر والعراق على أى شرط يقيد حريتها فى التعامل ٠

وفى اجتماع آخر فى اول فبراير لم يتوصل الجانبان الى أية نتيجة ، وكانت الدول المنتجة قد طالبت فى الاجتماع بأن تدفع لها زيادة قيمتها ٢٥ سنتا عن كل برميل من البترول الخام ، ثم يزداد هذا السعر ٥ سنتات سنويا خلال السنوات الخمس القادمة ، فأفزع هذا الطلب شركات البترول ، فهددت منظمة الاوبيك بأنها ستعمد الى قطع جميع امدادات البترول عن الدول الغربية واليابان اذا لم يتوصل الجانبان الى تسوية ،

وتأجل الاجتماع الى اليوم الثانى ولم ينته المجتمعون فيه أيضا الى شيء ، ثم عقد اجتماع فى ١٣ ـ ٢ ـ ١٩٧١ بعد أن تمكنت الدول المصدرة من الاتفاق على صيغة الاتفاقية التى كان مفروضا مناقشتها مع ممثلى الشركات ، وبعد مناقشات مضنية بين الجانبين أسفرت عن توقيع اتفاقية بين ممثلى هذه الدول وممثلى ٢٣ شركة بترول عالمية منها ١٧ شركة أمريكية ، ومن أهم ما تقضى به الاتفاقية التى تم توقيعها يوم ١٤ ـ ٢ ـ ١٩٧١ :

● زيادة فورية فى أسعار البترول الخام من دول الخليج العربى قيمتها ٣٥ سنتا للبرميل ٠

● زيادة السعر المعلن بنسبة ٥ر٢ فى المائة اعتبارا من أول شهر يونيو ١٩٧١ ثم زيادته بنفس النسبة فى أول كل عام ، اعتبارا من عام ١٩٧٣ حتى عام ١٩٧٥ بسبب التضخم العالمى ٠

● زيادة سعر البرميل خمسة سنتات اعتبارا من أول يونيو ١٩٧١ ثم خمسة سنتات أخرى فى بداية كل عام من ١٩٧٣ حتى عام ١٩٧٥ ٠

● تحديد ضريبة العائدات التى تحصل عليها بلاد الخليج بنسبة ٥٥ فى المائة بدلا من ٥٠ فى المائة ٠

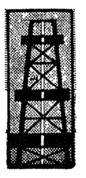
● تقدير جديد للعلاوات يضاف الى سعر البترول نتيجة زيادة كثافته ٠

● مقابل ذلك لاتطالب دول الخليج الست بزيادة فى الاسعار أو أية تحسينات أخرى حتى موعد انتهاء هذه الاتفاقية فى عام ١٩٧٥ ٠

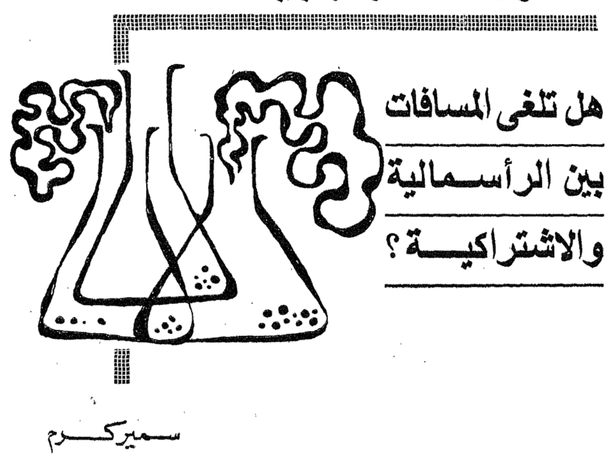
وجدير بالتذكر أن السعر المعلن للبرميل من البترول الايرانى سيزيد بموجب هذه الاتفاقية ٤٦ سنتا ، مضافااليها ٤٤ سنتا من الزيادات السنوية حتى عام ١٩٧٥ ، وأن بترول السعودية والعراق الذى يتم شحنه من موانى البحر الابيض المتوسط (عبر خطوطانابيب التابلاين ، وشركة البترول العراقية) لن تشمله الاتفاقية الجديدة وانما سيكون موضع مفاوضات مستقلة ، وأن الاسعار التى تطالب بها دول الخليج وطهران أقل كثيرا من الحد الادنى الذى تطالب به ليبيا ٠٠ وتتوقع وكالات الانباء فى عواصم الدول الغربية ارتفاع الاسعار التى يدفعها المستهلكون للمنتجات البترولية خلال أيام قليلة نتيجة لارتفاع الاسعار التى تتقضاها الدول المنتجة بموجب اتفاقية طهران ٠

وفى هذا المجال نذكر كلمات **كليمانصو** رئيس وزراء فرنسا السابق الى الرئيس الامريكى السابق **ولسون** ٠ قال : ان قطرة البترول وقطرة الدم سواء ، بل ان البترول أذكى من الدم فى معارك الغد ٠

ونحن نجد فى حلبة الصراع مع شركات البترول الاحتكارية حكومات تهدف الى الاستفادة من ثرواتها البترولية من خلال سياسة وطنية واضحة فى المجالات الصناعية والزراعية والاجتماعية لبناء اقتصادها القومى ، الا أن هناك قوى أخرى من الاقليات الحاكمة ترغب فى الاستفادة من المعركة الدائرة لزيادة ثروات الطبقة المتسلطة المعادية لشعوبها ، والامبريالية فى هذه الظروف تترك لها بعض الفتات مقابل ضمان مزيد من تبعيتها فى خدمة مصالحها فى المنطقة ٠ ومن هنا فنقطة الانطلاق تختلف بين بلد واخر ٠



« الثورة التكنولوجية » ..



هل تلغى المسافات بين الرأسمالية والاشتراكية ؟

سمير كرم

في عام ١٩٥٧ كتب فريتز ستيرنبرج – أحد مؤسسي نظرية «الرأسمالية الاخذة بالتخطيط» – انه قبل أن ينتهي عام ١٩٧٥ ستكون « الآلية الذاتية » [الاوتوميشن] والطاقة الذرية قد أحدثتا تحولا في الحياة الاجتماعية كلها في الولايات المتحدة الامريكية ، ووصف هذا التحول الذى تخيله في هذه العبارة :

« سيتضاعف الانتاج وستهبط البورجوازية الى مستوى البروليتاريا ، بينما سترتفع البروليتاريا الى مستوى البورجوازية ، وسيختفى الفقر ولن يعود الناس يعملون أكثر من أربع ساعات أسبوعيا ! » .

وأكد ستيرنبرج أن المثل العليا للنظام الاشتراكى – مثل وفرة الثروة المادية ، والمساواة الاجتماعية أو اطلاق القدرات الابداعية للعمال – ستوضع موضع التنفيذ تحت تأثير « الثورة الصناعية الثانية » ، أى تحت تأثير ثورة العلم والتكنولوجيا .. ولكن مع بقاء الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، أى مع بقاء علاقات الانتاج الرأسمالية .

ولا يهمنا هنا افراط عالم الاجتماع الامريكى فى التفاؤل والطوباوية، فعام ١٩٧٥ الذى كان يتحدث عنه بالتحديد فى تنبؤاته لا تفصلنا عنه الان الا أربع سنوات ، بينما كانت تفصله عنه عندما كتب هذا ثمانية عشر عاما بأكملها ، انما الذى يعنينا ان نظرية « **الثورة الصناعية الثانية** » كنتاج لظاهرة « الالية الذاتية » قد انتشرت على نطاق واسع وانتشر معها اعتقاد بأن هذه الثورة التكنولوجية تحل محل الثورة الاشتراكية وتغنى عنها ، أو هى تلغى المسافات بين النظامين الرأسمالى والاشتراكى ، والنظرية بهذه المفاهيم تشكل الوجه الاخر لنظرية قد تبدو – لاول وهلة – نقيضا لها ، وهى نظرية الانهيار التلقائى للرأسمالية ، وتكمن خطورة نظرية الثورة الصناعية الثانية فى أن احزابا عديدة فى أوروبا الغربية – بعضها فى السلطة فعلا وبعضها قد يكون فى الطريق اليها يتبنى هذه النظرية بما يترتب على مفاهيمها من تصورات سياسية واقتصادية واجتماعية ، ومن

هذه الاحزاب الحزب الديمقراطى الاشتراكى فى المانيا الغربية ، والحزب لاشتراكى (اليمينى) فى فرنسا ، وحزب العمال البريطانى والحزب الديمقراطى الاشتراكى فى النمسا .

وتلعب نظرية الثورة الصناعية الثانية على المماثلة مع الثورة الصناعية الاولى ، فحيث أدت الاولى الى تعزيز انتصار النظام الرأسمالى وعلاقاته الاقتصادية والاجتماعية ، فان النظرية الجديدة تعتقد أن الثورة الصناعية الثانية يمكن أن تضمن وجود « **مؤسسات اشتراكية داخل اطار النظام الرأسمالى** ». فتلغى بهذا الحاجة الى الثورة الاشتراكية .

وتخطىء هذه النظرية بتصور امكان ان تؤدى « **الآلية الذاتية** » و « **السيبرنطيقا** » وغيرهما من الانظمة والانساق الالكترونية الى تحويل الرأسمالية تلقائيا الى اشتراكية تصان فيها الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، **فان الثورة التكنولوجية قد تستطيع أن تضمن حجما أكبر من الانتاج وتقوية القوى الانتاجية — الا أنها لاتضمن وحدها القضاء على التطاحن بين المصالح الاجتماعية كما هى فى النظام الرأسمالى، وفى بنيانه الاجتماعى، أى أنها لا تستطيع وحدها وتلقائيا ان تغير العلاقات الانتاجية .**

وقد وقع بعض المفكرين الاشتراكيين فى خطأ الرد على هذه النظرية بنفى وجود الثورة الصناعية الثانية من الاساس ، بل ان بعضهم ذهب الى حد رفض هذا الاصطلاح نفسه ، ووصفه بأنه اصطلاح « **روائى اصلاحى** » على حد تعبير **كورت تيسمان** المفكر الالمانى الديمقراطى الذى قال فى نقده لنظرية الثورة الصناعية الثانية : « ان من مصلحة التوجيه السياسى الواضح أن نستبعد هذا المفهوم غير العلمى من قائمة المصطلحات الماركسية » .

وقال أصحاب نظرية عدم علمية الثورة الصناعية الثانية ، ان كل اكتشاف علمى كبير يخلق ثورة فى التكنولوجيا ولكن ليست كل ثورة تكنولوجية نقطة بداية لثورة صناعية ، فان كفاية مصادر الطاقة الجديدة لا تؤدى بذاتها الى تغيرات أساسية فى أسلوب العلاقة بين العناصر المادية والعنصر البشرى فى عملية الانتاج .

والثورة الصناعية تنطوى على تغيير جذرى فى علاقة الانسان بالتكنولوجيا ، وهو تغيير له بدوره آثار بعيدة المدى تتخطى حدود الانتاج المادى الحاصل منه ، وبهذا المعيار فان الثورة التكنولوجية تضع المجتمع فعلا على عتبات ثورة صناعية ثانية علاقة التكنولوجيا بالانسان فيها علاقة جديدة تماما . وهنا يكون الاختلاف بين آثارها فى ظل النظام الرأسمالى وآثارها فى ظل النظام الاشتراكى .

والتغيير الجديد فى هذه العلاقة بين التكنولوجيا والانسان يخلق تغييرات فى طابع العمل وفى البنيان الاجتماعى يمكن ايجازها فيما يلى :

● ينتشر التصنيع — على مستوى الالية الذاتية — على مجالات لم تدخلها الآلية من قبل، وخاصة العمل العقلى [**عمليات الكومبيوتر**] .

● ينتشر التصنيع « الآلى الذاتى » انتشارا عالميا لم يسبق له مثيل ، فحتى الدول النامية التى بدأت بالكاد تدخل مضمار الصناعة تستعين الان بأحدث الالات الالكترونية ، وهى بذلك تجمع — فى وقت واحد — بين نتائج الثورتين الصناعيتين الاولى والثانية ، وستؤدى هذه السمة — فى المدى البعيد — الى خلق التكامل الاقتصادى والاجتماعى بين الدول .

● يؤدى التصنيع — بمستواه التكنولوجى العالمى الجديد — الى تغيرات بنائية كبيرة نتيجة للانخفاض التدريجى فى الحاجة الى القوى العاملة البشرية ، لان الدور الاكبر للعلم يجعل عملية انتاج الثروة المادية فى المكان الثانى وتصبح الاولوية فى العمل للعلم نفسه .

● تسير الثورة الصناعية الثانية فى خط متواز تقريبا فى بلدان النظامين الرأسمالى والاشتراكى معا ، [على حين ان الثورة الصناعية الاولى اقتصرت على دعم النظام الرأسمالى وحده) . وهى تدخل النظامين بمكاسب اجتماعية محددة منها : تقليل ساعات العمل ، تسهيل العمل نفسه ، الاتجاه بالعمل لان يصبح ابداعيا وليس تكراريا ، ازالة التناقضات بين العمل الذهنى والبدوى ، وهذه المكاسب من شأنها أن تحدث آثارا ايجابية على شخصية الانسان ، فعمليات الالية الذاتية فى الانتاج تمهد الطريق أساسا لان يتحول جوهر الانسان كله ، أو بالاحرى لان يتحقق جوهر الانسان فيصبح غير خاضع لمقتضيات العمل الالى الشاق ، ويتخلص من العلاقة القسرية التى يفرضها دوره مع الالة فى عملية الانتاج .

وعند هذا الحد لابد من طرح السؤال الاساسى: **هل تدعم الثورة الصناعية الثانية النظام الرأسمالى كما دعمته الثورة الاولى؟ وبمعنى آخر هل تدعم الثورة التكنولوجية وترسخ خصائص النظام الرأسمالى الاساسية : الملكية الخاصة لوسائل الانتاج**، فوضى الانتاج الربح الاقصى الخ

ليس العلم والتكنولوجيا ظاهرتين مجردتين ، وانما هما فى الادراك الموضوعى لهما يشكلان ظاهرةواحدةاقتصاديةاجتماعية Cocio-economic والثورة الصناعية الثانية — بالتالى — ثورة اقتصادية اجتماعية • والدلائل كلها تشير الى أن **الثورة العلمية والتكنولوجية قد وضعت الانسان فقط على عتبة التحول الكلى وانه سياتى الوقت الذى يصبح فيه كل نشاط اجتماعى « آليا ذاتيا » يضم كل أوجه النشاط الانتاجى وتسيطر عليها كلها خطة واحدة خاضعة لتحكم مركزى** ، وبدءا فان هذه المركزية الشديدة لا تتفق مع « ادارة المشروع الحر » وهى سمة الانتاج الرأسمالى الكبير ، ولا تتفق مع هدف الربح الاقصى ، ولهذا فان موقف النظام الرأسمالى من الثورة الصناعية الثانية هو حتى الان أشبه بموقف المريض ازاء دواء جديد لم يسبق تجربته ، انه يبتلع اقراصه بمزيج من مشاعر الخوف والامل ، الخوف من خيبة الامل اذا لم يثبت الدواء فاعليته فى علاجه ، والخوف أيضا من أن تكون للدواء الجديد آثار جانبية غير منظورة أوغير متوقعة •• ثم الامل فى أن يكون الدواء هو العلاج الحاسم والكامل لما يعانيه •

لقد ادت الثوره التكنولوجيه الىتفجير عدد من التناقضات الحادة فى جسم المجتمع الرأسمالى ، ولعل هذه التناقضات تكون الان المحور الرئيسى لاهتمامات علماء الاجتماعوالاقتصاديين فى جميع دول العالم الرأسمالى •

أظهر هذه التناقضات ، وأكثرها قبحا، ظاهرة البطالة ، فالربح هو المحك الرئيسى فى الادارة الرأسمالية • • حتى عند مستوى استخدام « الكومبيوتر » ، والآلية الذاتية فى الانتاج ! **ان عدد العمال الذين حولهم « الاوتوميشن » فى الولايات المتحدة الى « فائض عن الحاجة » يصل الى أكثر منثلاثة ملايين عامل حتى الان • وفى كل عام يفقد وظائفه عدد من العمال الامريكيين يتراوح بين ٨ر١ مليون و٢ مليون عامل للسبب نفسه •**

وقد أظهرت دراسة أجرتها « ادارة الابحاث العلمية والصناعية البريطانية » **أنه خلال٢٠ عاما** من الان سيفقد ٦٠ فى المائة من عمال الدول الرأسمالية وظائفهم ، نتيجة لادخال **« الاوتوميشن »** •

وترتبط هذه الظاهرة ــ ظاهرة البطالة المتزايدة فى المجتمع الرأسمالى مع تزايد الاعتماد على الالية الذاتية ــ بظهور نظرية تذهب الى أن الطبقة العاملة فى طريقها الى التلاشى والاختفاء ! وتستند هذه النظرية الى بعض الاحصاءات التى تدل أرقامها على اتساع رقعة البورجوازية ، فى القول بأن الحواجز بين الطبقات آخذة فى السقوط • فالاحصاءات تدل على ازدياد اعداد المهندسين والفنيينوالاطباء والعلماء ، وتدل ــ فى الوقت نفسه ــ على أن دور العمال فى الصناعات وعمليات النقل والانشاء آخذ فى النقصان نسبيا مع ارتفاع اعداد الاشخاص العاملين فى مجالات الخدمات •

ولكنالحقيقة أن هذه الظاهرة لا تغير من طبيعة الانتماء الطبقى فى شىء ، فالطبيعة الاساسية للفرد فى الطبقة العاملة انه يعمل لحساب الرأسمالية سواء كان يؤدى عملا يدويا أو ذهنيا ، فوسيلة الانتاج تنتمى لصاحب رأس المال وهذا هو المحك ، والواقع أنه فى تيار التغيير الذى تحدثه التنمية التكنولوجية السريعة لا يحدث « اختفاء » للطبقة العاملة ، وانما تدخل تغييرات تكوينية أو بنيانية عليها ، بمعنى أنه اذا كان العامل الصناعى اليوم يرتدى ملابس كالتى يرتديها كبار الموظفين (أو أصحاب الياقات البيضاء) فهذا لا يعنى أن موقعه الطبقى قد انتقل من الطبقة العاملة الى البورجوازية ، بل الحقيقة ان رقعة الطبقة العاملة آخذة فى الاتساع بحكم هذه التغييرات التكنولوجيه ، اذ يزداد عدد الفنيين وموظفى المكاتب والموظفين التجاريين ، الذين لا يختلفون فى موقعهم عن العامل (البروليتارى) وان اختلفوا عنه فقط فى بطء اكتسابهم للوعى الطبقى •

النتاج الثانى للثورة التكنولوجية فى النظام الرأسمالى ــ والذى يبدو فى الظاهر أقل قبحا من البطالة ــ هو **الانتاج الاستهلاكى الزائد** ، وهو انتاج زائد مقابل رأسمال ثابت وبطالة عالية ! وهذه الظاهرة انعكاس لفشلالنظام الرأسمالى فى أن يستخدم ــ استخداما متوازنا ــ العنصرين المكونين للثورة الجديدة ، وهما التكنولوجيا والانسان ، انه يستخدم العنصر الاول بافراط على حساب حاجات العنصر الثانى ، وبطبيعة الحال، فان التكنولوجيا نفسها ليست مسئولة عن ذلك ، وانما المسئول عنه هو النظام الرأسمالى • **فى كل عام تنفق أمريكا ١٤ ألف مليون دولار على انتاج السيارات ، بينما تنفق ١٥٠٠ مليون دولار فقط على انشاء مدارس جديدة !!** •

فى الوقت نفسه أكدت دراسة أجراها الاكاديمى السوفيتى ستروميليين أن **كل روبل ينفق على التعليم فى السنوات الثمانى الاولى من الدراسة يؤدى الى زيادة الدخل القومى فى الاتحاد السوفيتى بما لايقل عن٦ روبلات لكل روبلواحد!**

وهناك مؤشرات أخرى دالة على اهتمام النظام الرأسمالى بعنصر التكنولوجيا أكثر من اهتمامه

بعنصر الانسان فى عملية الانتــاج ، وهذا مثل واضح .. عندما ادخلت « الالية الذاتية » فى مصانع « رينو » الفرنسية للسيارات ، كانت تكلفة الالة الجديدة تزيد بنسبة ٥٠ فى المائة عن تكاليف

الاستعانة بالالات العادية ، الا أن نفقات اجور العمال انخفضت فى الوقت نفسه بمقدار ١٣ مرة عما كانت عليه ، وانخفضت ــ لهذا السبب ــ التكاليف الاجمالية الى الثلث !

ويحاول النظام الرأسمالى ــ وخاصة فــى الولايات المتحدة الامريكية ــ أن يحل مشكلة ايجاد الاسواق لانتاجه الزائد عن طريق التركيز على الصناعات الحربية ، ويقوم هذا على ايمــان **بأن « الحافز العظيم للألية الذاتية هــو الدفــاع** الوطنى » ! لقد زاد الانتاج الصناعى فى الولايات المتحدة خلال سنوات الخمسينات العشر ــ التى شهدت دخول الالية الذاتية فى الصناعة على نطاق واسع ــ بنسبة ٤٠ ٪ . أما الانتــاج الحــربى فزاد فى نفس الفترة بنسبة ٥٠٠ فى المائة ، ولجوء الرأسمالية الى الانتاج الحربى بالذات مقصود لانه يحقق أقصى ربح لرأس المال ، رغم أنه ــ دون أنواع الانتاج الاخرى ــ لا يعود بفوائد مباشرة على المجتمع ، وهذا يفسر ــ بطبيعة الحال ــ حرص المؤسسة العسكرية الامريكية ، و «التحالف الصناعى العسكرى » ــ تحالف كبار الرأسماليين وكبار الجنرالات ــ على استمرار تشغيل آلة الحرب فى الهند الصينية وتصعيد عملياتها لاستهلاك مزيد من الاسلحة باطراد ، وحتى عندما وجد هذا التحالف نفسه أمام ضرورة الحد من نزيف الدم الامريكى فى حــرب **فيتنام وكمبوديا ولاوس** ، فانه قد عثر على صيغة « **مبدأ نيكسون** » التى تجعل استمرار استهلاك الصناعات الحربية أمرا مضمونا عن طريق البشر الآسيوية ، فى دور القتلة والقتلى على السواء .

الحقيقة أن هنــــاك قــوانين مشــــتركة تحــكم نمــو قــوى الانتــاج سواء فى ظل النظام الرأسمالى أو النظام الاشتراكى ، ففى كليهما يؤدى التقدم التكنيكى الى نمو انتاجيــة العمل والى انخفاض العمل البشرى اللازم فى كل وحدة انتاج ، ولكن أصحاب نظرية زوال الفروق بين الرأسمالية والاشتراكية بفعل ثورة التقدم التكنولوجى ينظرون الى هذا التقدم على أنه مجرد زيادة كمية فى انتاجية العمل وأنه « **لم يعد مجال للمناقشــــات الايديولوجيــة أمــام زحــف التكنولوجيا** » . والخطأ الذى يقع فيه النظــام الرأسمالى وهو يدخل حومة الثورة الصناعية الثانية ويستفيد منها ــ وهو خطأ تجاوز الانسان

وحاجات المجتمع التعليمية والثقافية والصحية لحساب الانتاج المادى ــ هو نفسه الخطأ الذى تقع فيه النظرية القائلة بأن الثورة الصناعية الثانية تلغى الثورة الاشتراكية . فهذه النظرية تخلق للتكنولوجيا قدسية أو « أطرية » Fetechism خاصة ، ناسية أن العامل الاهم . هو الانسان .

فالعلم والتكنولوجيــا يتطــوران فى اطــار محدد من العلاقات الاجتماعية (أى العــلاقات الانسانية أساسا) ، وهى علاقات أما أن تعوق التقدم العلمى والتكنولوجى ، وأما أن تســاعد عليه ، وهى التى تحدد النتائج الاجتماعية للثورات العلمية والتكنولوجية ، والخطأ الاساسى هو معالجة تطور التكنولوجيا معزولا عن العلاقات الاجتماعية المحددة .

أما أن الثورة الصناعية الجديدة قد بدأت فى المجتمع الرأسمالى ، فهى حقيقة مؤكدة لا سبيل الى المجادلة فيها ، ولكن هذه الثورة لن تحقق أهداف الرأسماليين وأحلامهم عن « **زوال الخطر الاشتراكى** » أو انهيار الايديولوجية الاشتراكية أمام زحف التكنولوجيا ، وقيام مزيج مــن الاشتراكية والرأسمالية فى مجتمع صــناعى واحد .. وكل تلك المفاهيم التى تتضمنها أفكار ونظريات علماء اجتماع رأسماليين مثل الامريكى والت **ويتمان روستو** ، والفرنسى **ريمون آرون** ، ونستطيع أن نجد فى التناقض الحاد فى الفــكر البورجــوازى ، بين التحــذير مــن أخطــار التكنولوجيا على الانسان مرة ، والحديث ــ مرة اخرى ــ عنها بصفتها المخلص من الخطــر الاشتراكى والدليل على ابدية النظام الرأسمالى ، دليلا كافيا على افلاس الايديولوجية الرأسمالية فى فهم الطبيعة الاجتماعية للثورة التكنولوجية ، بينما الفكر الاشتراكى العلمى يثبت أنه وحده القادر على ادراك واستنباط قوانين التأثير المتبادل بين الثورة التكنولوجية وتطور العلاقات الاقتصادية الاجتماعية ، وقادر بالتالى على اســتخدامها وتطويعها ــ فى التطبيق ــ لخدمة أهداف التطور وللتغلب على مشكلات النمو التكنولوجى ونمو دور العلم فى النشاط الانتاجى .

لقد كانت الثورة الصناعية الاولى ثورة لصالح النظام الرأسمالى الذى كان قائما وحده فى الميدان فى تلك المرحلة ، أما الثورة الصناعية الثانية ــ الثورة التكنولوجية ــ فهى على النقيض ثورة تفاقم تناقضات النظام الرأسمالى وانتصار ورســوخ النظام الاشتراكى .



الفن التشكيلى والمعاصرة

مختار العطار

ليس ادعى للنفور بين العمل الفنى والمتذوق ، من أن يجد المتذوق نفسه مواجها بالتحدى والاستفزاز ، أن المتذوق ينفر فى هذه الحالة ويترك « الفنان » فى عزلته ، وتبدأ كلمة « فنان » نفسها فى الاهتزاز والتداعى ، فمهما قيل فى تعريف الفنان ، لن نجد تعريفا واحدا يدخل فى باب التعريفات الاجرائية : بمعنى تحديد المواصفات التجريبية التى يمكن أن يتصف بها شخص ما فيصبح « فنانا » ، وحتى لو وجد مثل هذا التعريف ، فالمتذوق غير ملزم بالاقتناع به ، خاصة وأن الفن مظهر ثقافى انسانى عام ، والفن التشكيلى ــ شأنه شأن جميع الفنون ــ يخضع لميول مزاجية وثقافية مختلفة ، قد يتذوق الفرد جانبا منها ولا يتذوق الجوانب الاخرى .

نقدم هذه السطور فى سياق الحديث عن الفكر المعاصر والفن التشكيلى ، فليس هناك من ينكر أن المعاصرة فى جميع أنشطة المجتمع شرط للتقدم ، والا دار المجتمع حول نفسه فى حلقة مفرغة ، بينما تنطلق مجتمعات أخرى حاملة على كاهلها عبء التقدم والتطور ، وحتى فى هذه الحالة لا يستطيع المجتمع المتخلف الاستفادة من الانتصارات الحضارية للمجتمعات الاخرى الا بالمعاصرة ، فما هو المقصود بالـ « معاصرة » فى ميدان الفنون التشكيلية ؟

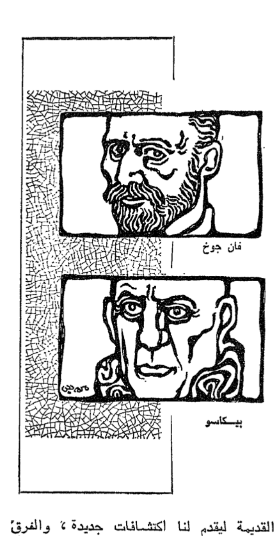
قبل أن ندخل فى التفاصيل ، نود أن نذكر أن القرن العشرين وضع أمام البشرية قضايا فكرية وعلمية وفنية » أجتهد المجتمع الانسانى الحديث فى الاجابة عنها بأشكال مختلفة ، فبينما ابدع العلماء أجهزتهم الالكترونية واستخدموا مصادر للطاقة لم تكن معروفة من قبل ، وضع الفنانون لوحات وتماثيل لم تكن معروفة من قبل أيضا ، الا أن المجتمع يستطيع أن يحكم على نظريات العالم وأجهزته من النتائج الملموسة التى يحققها ، فحين يدعى أن سطح القمر مكون من مواد معينة ، فدوننا النماذج العينية نفحصها كما نشاء لنتثبت من صحة ادعائه ، لكن الفنان حين يقدم ابداعه على هيئة لوحة تصويرية ، يسأله الذواقة عنها فلا يجيب ، ويبحث لها عن اسم فلا يجد ، ويقابلها بما يراه فى الطبعة ، فيذهب بحثه هباء ، فيعرب عن استنكاره لما يرى ، هنا يفقد الفنان

اعصابه وينطلق اتهامه الصريح للذواقة بالجهل وعدم المعاصرة ، وهنا ينفر المشاهد ويعزف عن زيارة المعارض ، واقتناء الاعمال التى لا يستطيع الاستمتاع بها ، ولكى ننصف الفنان والذواقة معا ، نتساءل بدورنا : ما الفرق بين الجيد والرديء فيما نراه اليوم من أعمال تشكيلية ؟ ما هو المقياس الذى نقيس به الجودة والامتياز ؟ هل هو مدى مطابقة العمل الفنى للطبيعة ؟ ولكن .. اية طبيعة نقصد ؟ ان المظاهر الطبيعية التى نعرفها اليوم تختلف عما كنا نعرفه من قرن مضى ، فاذا كنا نقصد المظاهر الطبيعية التى نعرفها اليوم ، فنحن معاصرون فى قياسنا ، لان المدركات الانسانية تختلف من عصر لعصر ، فبينما كان الانسان قبل عصر النهضة يعتقد أن الارض هى مركز الكون ، وأنه سيد الطبيعة وملكها الاوحد ، أصبح يعلم أنه جزء من الطبيعة ، وأن الارض جزء من كل ، وأن هذا الكل جزء من كل أكبر وهكذا ، فقد اتسعت آفاق مظاهر الطبيعة الى أشياء متناهية الكبر وأشياء أخرى متناهية الصغر ، وأصبحت عيوننا كليلة عن مشاهدة كل شيء ، حتى باستخدام الاجهزة الحديثة المعقدة .

ان الميكروسكوب الالكترونى كشف لنا عن جسيمات بالغة الضآلة ، والتلسكوب الحديث أتاح لنا رؤية أشياء بالغة البعد عنا ، فتغيرت مظاهر الطبيعة فى عيوننا ، وما كان يسمى بالـ « حقيقة » بالامس ، أصبح مهتزا لا يحتفظ بمكانته التقليدية الثابتة ، هكذا تتغير الحقائق من عصر لعصر .. وهكذا تصبح معرفة الحقائق الجديدة جانبا جوهريا من جوانب المعاصرة ..

وكما أن معرفة الحقائق الجديدة شرط للمعاصرة ، فهى شرط للتقدم أيضا ، فالعالم لكى يكتشف شيئا جديدا يجب أن يستند الى الاشياء القديمة ، فالنظريات العلمية التى قدمها علماء القرن العشرين مبنية على نظريات عصر النهضة وليست مبنية على لا شيء ، فعلى هذه الاسس قدم « **بلانك** » سنة ١٩٠٠ نظريته الكمية التى كانت سببا فى التقدم نحو استخدام الطاقة الذرية ، وقدم « **اينشتين** » سنة ١٩٠٥ نظريته النسبية ، و « **مينكوفسكى** » سنة ١٩٠٨ نظريته الزمكانية Space-time continuum مما فتح باب الكون أمام سفن الفضاء .

لقد أمكن تجربة النظريات الجديدة وادخالها فى مجال الحقائق التى لا تنكر ، فلم يفسح التجريب والنجاح مكانا لمنكر أو مستهجن ، ولا يمكن للفنان أن يبتعد عن هذا الاسلوب فى ابداعه ، أسلوب الاستناد الى الاكتشافات


فان جوخ

بيكاسو

القديمة ليقدم لنا اكتشافات جديدة ، والفرق الوحيد بينه وبين العالم هو أنه يقدم لنا صورة أو تمثالا للحقيقة الجديدة التى تخيلها ، وليس هنا مجال بحث أثر العالم والفنان كل منهما على الاخر ، فالعلم والفن مظهران للنشاط الابداعى الانسانى ، فليس لنا أن نقول ان النظريات الرياضية التى ظهرت فى مطلع القرن العشرين هى السبب فى ثورات الفن التشكيلى فى نفس الفترة التاريخية ، لان الاسباب التى دفعت العالم الى ابداع نظريته ، هى نفس الاسباب التى دفعت الفنان الى ابداع لوحته أو تمثاله ، الا أن هناك فارقا من حيث النتيجة ، فالمجتمع سريعا ما يعترف بصحة فروض العالم بعد التجريب والنجاح أما بالنسبة للفنان ، فهو لا يستطيع أن يحكم له أو عليه الا بمجرد الاحساس والمشاركة الثقافية والمعاصرة ، خاصة وأن « علم النفس العاملى » الحديث أوضح أن الانتاج الفنى « متفرع الجوانب » بمعنى أنه استجابة تتعدد أشكالها لموقف معين ولكنها صحيحة فى كل الاحوال ، فلا يتحتم أن تكون الاستجابة الفنية واحدة عند كل الفنانين ازاء الموقف الواحد ، فلو أن فنانا أبدع لوحة للتعبير عن موقف انسانى كالحرب ، لابدع تشكيلا يختلف عما يبدعه فنان آخر استجابة

لنفس الموقف. أو حتى عما يبدعه نفس الفنان فى وقت مختلف، أما العالم فيقدم استجابة واحدة للموقف الواحد: كالمعادلات الرياضية التى لا تختلف نتيجتها باختلاف الشخص أو الوقت.

من هذا المدخل يستطيع الفنان أن يقدم لنا تشكيلات مختلفة للحقائق الجديدة التى تخيلها لمظاهر الطبيعة ، لكن .. لا يجدر به أن يصمت ولا يبرر ابداعه حتى يساعد المشاهد على الاحساس به وتقبله، فليس هناك مقياس محدد كما قلنا لمدى امتياز العمل الفنى ، أو حتى لكونه عملا فنيا على الاطلاق ، ان المقياس الوحيد هو الحكم الذى يصدره « جمهرة النقاد المعترف بهم » ، أما اذا انكر الفنان دور هؤلاء النقاد ، فلاشك فى أنه يرغب فى فرض انتاجه واقحامه على المجتمع بشكل يرفضه المتذوق وينفر منه ، فليس هناك من يقبل أن تفرض عليه متعة معينة ، والانسان لا يستمتع الا وهو خال من كل ضغط وارغام .

وبصدد الحديث عن عصرية الفن التشكيلى استنادا الى الاكتشافات الفنية السابقة ، علينا أن نفرق بين نوعين من الحركات الفنية التى ظهرت فى القرن العشرين : النوع الاول يتمثل فى الثورة على القديم لمجرد السأم والملل والرغبة فى تقديم أشكال جديدة وخامات مبتكرة ، مثل هذا النوع يتخذ صورة التمرد من أجل التمرد .. وتقديم النموذج للفنانين فى مجال القدرة على مواجهة التقاليد وتحطيمها ، انه مجرد دعوة الى الاكتشاف والتجديد ، ومثال ذلك حركة الـ « **دادا** » التى ظهرت فى زيورخ بسويسرا سنة ١٩١٦ اثناء الحرب العالمية الاولى ، اما النوع الثانى فيتخذ شكل الاكتشاف الفعلى وتقديم النموذج للابداع الجديد والاشكال المبتكرة .. ويتمثل فى جميع ما يسمى بالمدارس الفنية مثل « التأثيرية » و « السيريالية » و « التعبيرية » .. وما قبلها من أكاديمية وغيرها .

أول ثورة تشكيلية انبثقت فى القرن العشرين هى ما تسمى بالـ « وحشية » ، وهو اسم أطلقه أحد النقاد سنة ١٩٠٦ على جمهرة الفنانين الذين عرضوا أعمالهم فى صالون المستقلين فى باريس فى ذلك الوقت ، لم تكن لهم نظريات وبرامج .. بل جمعتهم الصدفة حول هدف التمرد على القديم والرغبة فى « صدم المشاعر بما تراه العين » و « تكثيف الاحساس » و « اسقاط كل التفاصيل التى لا طائل منها فى توضيح المضمون » و « تغيير مواضع الاشياء فى لوحاتهم » ، وكان بينهم فنانون بنائيون مثل **ماتيس وماركيه** ، وتأثيريون مثل فان جوخ ، لقد وضع هؤلاء « المتوحشون » أمام العصر بعض القضايا التى لم تتبلور الى حلول كاملة ، فاستخدموا الالوان النقية التى رأيناها فيما بعد عند التجريديين ، ولم ينصرفوا كلية الى التنظيمات التكوينية ، بل أقاموا نوعا من الاتزان بينها وبين العاطفة التى شاهدنا آثارها بعد ذلك عند التعبيريين ، وأكدوا الاتجاه الايضاحى الذى لمسناه عند خلفائهم من التعبيريين الاجتماعيين ، وحين وصفهم الناقد « **فوكسل** » بالتوحش والهمجية ، كان يقصد أنهم متمردون لا يخضعون لنظام معين وخارجون على قواعد الاكاديمية التقليدية ، أطلق عليهم هذا الوصف الذى صار علما فيما بعد ، عندما لاحظ وجود تمثال فلورنسى الطابع فى وسط معرضهم ، الا أن البداية الحقيقية لهذا التمرد كانت خلال أعوام ١٨٩٩ ـ ١٩٠١ حتى اتخذ ذروتهبين عامى ١٩٠٥ ، ١٩٠٧ ، وكان بينهم فنانون مرموقون مثل : **ماتيس وماركيه وفلامنك وديران** . وتألفت هذه الجماعة من ثلاث مجموعات مختلفة من الفنانين ..

لم تكن الوحشية اذن مدرسة فنية أو اتجاها فكريا ، ومن الخطأ الان أن نصف فنانا بأنه وحشى ، الا اذا كنا نقصد المعنى الحرفى للكلمة التى تعنى البدائية وعدم التهذيب ..

الثورة الثانية للفن التشكيلى فى هذا القرن هى حركة الـ « **دادا** » ، ونعود فنكرر انها كانت تمردا من أجل التمرد ، ولم تكن اكتشافا فنيا كذلك الذى قدمه **كاندينسكى** سنة ١٩١٠ حين أبدع أول صورة تجريدية ، ثم صنف المؤلفات دفاعا عن ذلك الاكتشاف وتوضيحا له ، أو كالذى قدمه **سيزان** قبل ذلك حين اكتشف الاشكال الهندسية للطبيعة ، فلم تكن الدادا سوى تمرد على كل القيم الفنية والاجتماعية وعلى كل الفنانين وعلى أنفسهم أيضا .

بدأت هذه الحركة فى زيورخ بسويسرا سنة ١٩١٦ ، واستمرت مضطرمة كالبركان الذى يتفجر دون هدف سوى التخلص من الحمم المتفززة فى أعماقه .. ثم يهدأ بعد ذلك ، سبع سنوات فقط ، دمرت خلالها الدادا جميع القيم السابقة للفن التشكيلى ، وكانت أول ظاهرة لذلك التمرد أنهم أطلقوا على أنفسهم اسم « دادا » ، الذى يحتار المفسرون فى شرحه حتى وقتنا الراهن ، فمعناه بالفرنسية الحصان الخشبى الهزاز الذى يلعب به الاطفال ، وبالايطالية : مربية الاطفال .. ويختلف معناه من مجتمع لاخر ، أسس تلك الجماعة الالمانى : **هوجو بول** ، الذى كان شاعرا وكاتبا وفيلسوفا ومخرجا مسرحيا فى آن واحد ، وأقام للجماعة منتدى فى مدينة زيورخ تحت

اسم « كباريه فولتير » وأعلن فى صحف المدينة يدعو شباب الفنانين الى المشاركة فى نشاط النادى ، فوفد اليه فرنسيون ورومانيون وغيرهم ممن صادف التمرد هوى فى نفوسهم ، وبعد أن أغلقت السلطات المحلية أبواب النادى بعد عام واحد من افتتاحه ، انبثق تيار الدادا فى كبريات مدن العالم : نيويورك ٠٠ برلين ٠٠ برشلونة ٠٠ هانوفر ٠٠ باريس ٠٠ روما ٠٠ بودابست ٠٠ طوكيو ٠

ولكى نتبين أن ذلك التمرد الدادى لم يكن مؤسسا على برنامج أومنهج ، علينا أننمعن النظر قليلا فى شعاراته التى كانت تتغير من أسبوع لاسبوع فى تناقض واضح مثل : « مع الفن » ٠٠ « ضد الفن » ٠٠ « ضد ضد الفن » ٠٠ وهكذا ، كما أن جميع أساليبهم التعبيرية لا تمت بصلة للاساليب السابقة ٠٠ فى الشعر والتشكيل الفنى بنوع خاص ، فقد كتب شعراؤهم قصائد مؤلفة من أبيات يتناوبون كتابتها على الفور وعفو الخاطر وباستقلال كامل لكل منهم عن الاخر ٠٠ مما اسفر فيما بعد عمايسمى بالشعر الاوتوماتيكى ، ومزق أحدهم رسما لم يعجبه ، فلما سقطت القصاصات على الارض تبين فيها مضمونا جديدا فأعاد لصقها بالترتيب العشوائى ، وأطلق على هذه الطريقة اسم « فن الصدفة » ، واعتنقوا فى بعض الاحيان مبدأ الالهام الذاتى ، كانوا يحاولون الجمع بين الفوضى والنظام ٠٠ والتلقائية والتخطيط فى نفس الوقت ، لكنهم لم يقدموا نظرية ما لتحقيق تلك الاحلام ، فقد كانوا تجريبيين عشوائيين أسفرت تجاربهم عن استخدامات متنوعة للخامات ، وابتكارات أسلوبية أمكن الاستفادة منها فيما بعد فى تأسيس مدارس فنية حديثة ومعاصرة : كالسيريالية والبوب آرت والاوب آرت ، وكانت تجاربهم وأساليبهم تتغير حسب ظروف المجتمعات التى يوجدون فيها ، ففى برلين مثلا تحولوا من فنانين الى ثائرين على السلطة القائمة والسالفة أيضا ٠٠ اذ كانوا يثورون على أى شىء فى شوق الى ما هو جديد كل الجدة ٠

ولان الدادا كانت تمردا من أجل التمرد ، فقد اختفت من تعليقات النقاد بعد انتهاء الحركة سنة ١٩٢٣ طوال ثلاثين عاما تقريبا ٠ وتركها بعض فنانيها بينما تبلور البعض الاخر على شكل اتجاه واضح المنهاج كما حدث بالنسبة للمصور ماكس ارنست حين أسس المدرسة السيريالية المعتمدة على نظريات فرويد وعلم النفس التحليلى ٠

ان الدادية والوحشية ، تمثلان نوعا خاصا من الحركات الفنية التى ظهرت فى القرن العشرين وانتهت بمجرد لفت الانظار الى وجوب أحداث ثمة تغيير فى خامات وأساليب التعبير الفنى ، أما النوع الثانى من الحركات فيتمثل فيما يسمى بالمدارس الفنية ذات المناهج والنظم ووجهة النظر ٠٠ وهى عبارة عن اتجاهات أسلوبية فى معظم الاحوال ٠٠ ولكى نتفهم هذا النوع ، نرى من المناسب أن نعود قليلا الى تاريخ الطبيعة الاجتماعية للفنان ٠٠

فى قديم الزمان ٠٠ كان الفنان مجرد عامل فى ورشة ملحقة بقصور الحكام أو بالمعابد والكنائس ـ كما كان الحال فى الشرق القديم وأوروبا القديمة ٠٠ حتى العهد المسيحى والعصور الوسطى وعصر النهضة ـ وكان ابداعه حينذاك لا يصدر عن دوافع ذاتية الا بقدر بالغ الضآلة ، اذ كانت مهمته أن يحقق المضمون الذى يريده صاحب العمل سواء كان القصر أو الكنيسة ، وبالشكل الذى يفضله هذا السيد أو ذاك ، الا أن الامر قد تغير فى أواخر عصر النهضة حين تغيرت النظم الاجتماعية فى أوروبا وزاد عدد الفنانين حتى بلغ أضعاف عدد الخبازين والجزارين فى بلد مثل أنتويرب بهولندا مثلا فى القرن السابع عشر ، لقد وجد الفنانون أنفسهم يبدعون أعمالا غير مطلوبة من أحد ٠ فاستشعروا حرية التعبير وأقبلت على اقتناء أعمالهم فئات ثقافية غير الحكام ورجال الدين ، وبدأ أول تحول عن الاكاديمية بالاتجاه الفنى المسمى « ماناريزم » وهو الذى ثار على دقة المنظور والبعد المكانى ، وظهر فى ذلك الحين من يشترك بالرأى فى الحركة الفنية دون أن يكون فنانا مبدعا . ذلك هو الناقد الفنى الذى يستطيع أن يحكم على مدى امتياز الابداع الفنى ، وأن يكتب عنه ويحلله ، وكم ثار الفنانون على هذا « الدخيل » على الحركة الفنية ، الا أن الناقد كان يقوم بعمل ابداعى فى واقع الامر ، وظهرت أبعاد القيم التشكيلية على يديه ، ونما الاعتراف بدوره حتى اتخذ مكانته اللازمة لازدهار الحضارة وتقدم الفنون التشكيلية فى ثوبها الحر الجديد ، تقدما مستقلا ، شأنها شأن فنون المسرح والموسيقى ٠٠

وبعد اكتشاف آلة التصوير الضوئى ودع التشكيليون الاتجاه الأكاديمى بلا رجعة ٠٠ وبدأوا فى تحقيق اكتشافاتهم الهامة قبيل القرن العشرين واستمرت حركتهم الاكتشافية خلال القرن ، هذه الاكتشافات التشكيلية هى ما تسمى « بالفن الحديث » ويجدر بنا أن نتذكر أن تلك الاكتشافات انما تتعلق بأساليب التعبير الفنى وليس بالمضامين الاجتماعية أو الانسانية الا فى النادر منها كما نلاحظ فى المدارس التعبيرية والسيريالية ، ومن هنا يجوز لنا أن نعتبرها عالمية الطابع لا علاقة لها بالمحلية والقومية أو النظم الاجتماعية ، أما المضمون أو الموضوع ، فمتروك لكل فنان وموقفه من قضايا مجتمعه المحلى أو العالمى . فبيكاسو

أشهر فنانى العالم حتى الان حين غرقت بلاده فى دماء الحرب سنة ١٩٣٦ ، أبدع لوحته العملاقة : **جيرنيكا** ، مضمنا أياها موقفا سياسيا واجتماعيا وقوميا ، رغم أنها بعيدة عن الاكاديمية ،وتعتبرمن أروع نماذج التصوير الحديث ، لكنه فى لوحته « الغليون وزجاجة الروم » كان يؤكد الاسلوب التكعيبى فى التعبير التشكيلى ٠٠

وللاكتشافات الاسلوبية فى القرن العشرين معالم طريق بدأها الفرنسى « **بول سيزان** » بأن فصل لوحاته عن الطابع الروائى العاطفى وغمرها بالبناء التصويرى الذى استخلص فيه نظم الاشكال الطبيعية المشعثة ٠٠ مكتشفا أنها تنحصر فى أشكال : المخروط ٠٠ والاسطوانة ٠٠ والمكعب ٠ واشترك « **سورا** » فى هذا الاتجاه مضيفا وضع الالوان بطريقة تنقيطية تترجم سقوط الاضواء على الاشياء فى اطار التجارب العلمية ، أما « التأثيريون » فقد سحبوا فن التصوير الى الخلاء بعد أن كان محصورا داخل المراسم ٠٠ولذلك سموا تالخلويين ، واستطاعوا بذلك أن يسجلوا على لوحاتهم تغير الجو الطبيعى فى ساعات النهار ، ومن أهم الاكتشافات التى لعبت دورا فى الفن الحديث ٠٠ ادراك القيم الجمالية للفنون الشرقية والافريقية بنوع خاص ، فقد تأثر بها المصورون والنحاتون فأثروا ابداعهم بمزيد من التعبير الدرامى ، ومضى فنانون آخرون فى الكشف عن الاسس الهندسية للبناء الجمالى وما يسمى بالكلاسيكية الحديثة التى يمثلها الهولندى « **موندريان** » أصدق تمثيل بأن أسقط من حسابه عاملى الجو والحدث مستهدفا الاتزان والمقاييس ٠٠ والخطوط الخارجية ٠٠ والاسطح الملونة ، كل ذلك بلا مضمون روائى ٠ وكان ذلك مبنيا على الاعتقاد بأن الحساسية الانسانية انما ترجع الى احساس رياضى داخلى فطرى لدى الانسان ٠ أما التكعيبية التى اكتشفها « براك » فكانت تتجه الى تحقيق البعد الزمنى عن طريق التصوير على مختلف المستويات المنظورة ، محطمة مكعبات سيزان والمجسمات الهندسية الاخرى ٠

ومن معالم الطريق الفنى الحديث أيضا ما يتعلق بجماليات الحروف الهجائية فى مختلف اللغات ، من زاوية أن الكلمة المكتوبة بشكل معين انما تتضمن معناها فى ذلك المظهر الشكلى ، ولم يفت الفن الحديث أن يعنى بالجانب الانسانى أيضا منفذا بطريقة مستحدثة كما نلحظ فى لوحات : **فان جوخ وتولوز لوتريك** ٠٠ والعمالقة المكسيكيين الثلاثة : **ريفييرا ٠٠ أوروسكو ٠٠ سيكيروس** ٠٠ والمدرسة الواقعية الاشتراكية ، أما التعبيريون فساهموا بالتغاضى عن ألوان الاشياء التى تراها العين واستبدلوها بألوان تعبر عن الحالة الانفعالية ، من زاوية أن الالوان تتضمن رموزا عامة للانفعالات ، وبين القليلين الذين أسهموا فى بناء الفن الحديث عن طريق الابداع الروائى : السيرياليون أمثال **سلفادور دالى وشاجال** ٠٠أولئك الذين أبدعوا تشكيلاتهم على أسس المدركات السيكولوجية المستقاة من نظريات عالم النفس : سيجموند فرويد ، فأكدوا بذلك إمكان التعبير التصويرى الرمزى عن موضوعات انسانية بأساليب جديدة ، أما المستقبليون فأسهموا بأبحاثهم فى اعطاء « الحركة » شكلا بصريا تصويريا ، وهناك مزيد من معالم الطريق هذه مثل : الفن اللاموضوعى ٠٠ والتعبيرية المجردة ٠٠

هذه بعض معالم الطريق التى اجتازها الفن الحديث ليفسح المجال لما يسمى بالفن المعاصر الذى نشاهده اليوم ، فلا يجوز تفسير التشكيلات المعاصرة على أنها طفرة مفاجئة ، بل يجدر بنا تأمل أسبابها لانها مجرد ظاهرة للخلفية الجديدة لحقيقة الانسان وموقفه المعاصر ، وحياته العقلية والروحية التى أسفرت عن مدركات جديدة تتعلق بجميع مظاهر الطبيعة ٠ هذه المدركات الجديدة ٠٠ هى التى تنعكس على الاعمال الفنية المعاصرة التى تتخذ أشكالا نراها غريبة ، والواقع أنها غريبة حقا ٠٠ ولكن بالنسبة للماضى ٠٠ لقرن مضى ٠٠ قبل تفجير عصر الفضاء ومعطياته الجديدة ٠٠

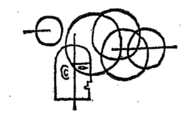
ــ بعد هذا الاستعراض الوجيز للحركات التشكيلية فى القرن العشرين ، نرى أنها ما زالت مفعمة بالخصوبة ، قادرة على أمدادات التعبيرات المعاصرة بمزيد من الاساليب المناسبة ، **فالبوب آرت** ٠٠ أى فن الثقافة الجماهيرية ، **والاوب آرت** ٠٠ أى الفن البصرى ، ليسا سوى مدرستين معاصرتين من ثمرات التمرد الدادى الذى أسلفنا ذكره ٠ ولو أن فنانا قدم لنا أعمالا دادية فى هذا العصر لاستنكرناها على الفور لانها لا تعنى الا التمرد من أجل التمرد ، وكان الداديون ــ فى رأى بعض النقاد ــ يثورون على القيم الحضارية والاجتماعية والثقافية التى أشعلت نيران الحرب العالمية الاولى ، فعلام يثور مثل هذا الفنان ؟ كان الداديون كالاطفال يرفضون مالا يرغبون ٠٠ لكنهم لا يعرفون على وجه الدقة ما يريدون ، ولو أن فنانا عاد يلصق الاخشاب والاسلاك فى لوحاته دون نظام ولا تعليق ، لا يجوز له أن يسمى ذلك فنا ، فالاصالة شرط من شروط الفن ، ومثل هذه المنتجات ليس فيها ما يثير خيالا أو معنى ، والمعاصرة ليست مجرد أشياء غريبة ، ولكنها بديل منطقى للاشياء السابقة ، وهذا القول ينطبق على جميع المدارس والاتجاهات الفنية التى ظهرت عبر التاريخ ٠٠

وخاصة فى النصف الاول من القرن العشرين ، واذا كان التصنيف لم يتم بعد بالنسبة لمدارس النصف الثانى من القرن الا للقليل منها ، فليس هذا بمبرر لاى فنان أن يدعى أنه مدرسة قائمة بذاتها ، وانه ينبوع للابداع لا ينضب ٠٠ الا اذا أوضح لنا ما يريد أن يعبر عنه ، كما فعل الفنانون الذين أنشئوا مدارس جديدة مثل سيزان وكاندينسكى ، لقد تحدث الفنانون العالميون جميعا عن فنونهم بمنطق وعلم متنوع الجوانب ٠٠ حتى بيكاسو الذى لم نعرف له مثيلا فى التغير السريع والانتقال من اسلوب لاسلوب ومن خامة لاخرى ٠٠

ان المعاصرة فى الفن التشكيلى ليست تمردا ولا ثورة ٠٠ ولكنها تجانس وتناسق مع مظاهر العصر فى كل الميادين العلمية والفنية الاخرى ، وفى مجتمع كمجتمعنا ٠٠ حيث يرجع تاريخ الفن التشكيلى الحديث الى عشرات السنين فقط ، يجدر بالفنان أن يدرك كيف يخاطب المواطنين فى معارضه ٠٠ الا اذا كان يبدع فنه للمعارض الاوروبية فحسب ، وحتى فى هذه الحالة لابد له من تقديم ابداع أصيل غير مسبوق ٠٠ وليس مجرد موضوعات شرقية طريفة مستقاة من عناصر الفن الشعبى ، فمثل تلك اللوحات حين تجذب أنظار الاجانب هنا وفى الخارج ، انما تجذبها كتذكارات شرقية شأنها شأن مبيعات خان الخليلى ، وهى لا تدخل فى واقع الامر فى باب الفن المعاصر ، لان المعاصرة طريقة وليست موضوعا ، مدركات وأسلوب وخامات وليست موتيفات تقليدية وأشكال متوارثة ، أن استخدام الخامات المستحدثة التى كشفت عنها العلوم الحديثة ٠٠ نوع من المعاصرة ، واستخدام الخامات المحلية فى فن الخزف مثلا ، ليس نوعا من الوطنية ، ولكنه حرمان لفن الخزف من الوان معينة وامكانيات تشكيلية ، مثل ذلك كمثل العزوف عن استخدام الافران الكهربائية والبترولية والاعتماد على حرق الاخشاب كما كان يفعل أجدادنا ،فالوسائل الحديثة تتيح أمكانيات لم تكن ميسرة فيما مضى ، واستخدام البلاستيك والاكريليك فى تشكيل اللوحات التصويرية يسمح بوضع قيم تشكيلية جديدة كالبروز والملامس ، بل انه يتيح افراغ الشحنة الابداعية دفعة واحدة بما تتصف به هذه الالوان من جفاف سريع ٠

فى اطار المكتشفات الجديدة من خامات وأساليب ومعالجات لا مجال للحديث عن التراث والتقاليد ، لان معاصرة التكنيك والخامة تؤثر على أمكانية التعبير نفسها وطبيعتها ، كما تؤثر الآلة الموسيقية الجديدة على الالحان نفسها ، لكن هذا لا يعنى أن المعاصرة تقتصر على ذلك ، بل انها تتعداه الى ما هو اهم وأجدى ٠٠ اى المضمون ذاته ٠٠ فما دام الفنان حرا لا يعمل بتكليف من احد ، أصبح مسئولا عن عمله وابداعه ، مطالبا بأن يكون هذا الابداع اسهاما فى الحركة الثقافية الانسانية عامة ، واذا كانت اللوحة والتمثال مثلها مثل الرقصة ٠٠ أو المقطوعة الموسيقية أو الشعرية ، ومظهرا من مظاهر التعبير الانسانى بلغة خاصة تختلف عن لغة كل فن من الفنون الاخرى ــ اذا كان الامر كذلك ــ أصبح على الفنان أن يعبر عن شىء ما بلغة الشكل ٠٠ واللون ٠٠ والخط ٠٠ والملمس ٠ الى آخر الابجديات التشكيلية التى تختلف فى جوهرها مثلا عن أبجديات الموسيقى التى تعتمد على النغمات ٠٠ والادب والشعر اللذين يعتمدان على أبجديات اللغة ٠

ــ من هذه الزوايا ٠٠ فالفنان المعاصر مطالب بالكشف عن وجهة نظر وفلسفة ومضمون تساير آخر المكتشفات العلمية والفنية الاخرى ٠



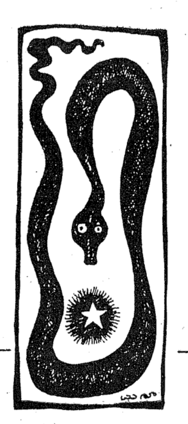
ملف
خاص



فلسطين .. ثورة ١٩٣٦
التجـــربة والـــدروس

تقدم الطليعة ملف « فلسطين : ثورة ١٩٣٦ » بمناسبة الذكرى الخامسة والثلاثين للثورة الوطنية التى خاضها الشعب الفلسطينى بكل فئاته ضـــد الاحتلال البريطانى والصهيونى وقوى الثورة المضادة .

ويضم الملف : المقدمات التـــاريخية للثورة ، الثورة والوطن العربى ، فكر الثورة وفكر الثورة المضــادة ، الدروس والخبرات المستفادة منها ، بالاضافة الى رصد لاحداث الثورة .





المقدمات التاريخية لثــورة ١٩٣٦

ودیــــع أمــــین

لم يكن وعد بلفور المشئوم (٢ نوفمبر سنة ١٩١٧) هو بداية المأساة ، بل كان فى الواقع حلقة جـديدة فى سلسلة المؤامـرة التى كانت تعدها الامبريالية البريطانية زعيمة الاسـتعمار العالمى فى ذلك الوقت ـــ من أجل اعادة رسم خريطة الشرق الاوسط والدول العربية من جديد، ذلك أن التنسيق والتعاون بين الامبريالية البريطانية والعناصر الصهيونية الموالية لهـا فى المنظمـة الصهيونية العالمية ، كان قائما منذ أواخر القرن الماضى ، ووجد تأكيده العملى فى الدعم المـالى الصهيونى للخزينة البريطانية ابان الحرب العالمية الاولى ، وأيضا فى انشاء وتمويل المنظمة الصهيونية (**لفرقة البغالة**) من المتطوعين اليهود المحليين والاجانب فى فلسطين ، ووضـعها تحت تصرف القيادة البريطانية فى الشرق الاوسط ، كما تعتبر **معاهدة سايكس ـــ بيكو** السرية بين بريطانيـا وفرنسا وروسيا القيصرية فى مايو سنة ١٩١٦ ، لتقسيم الوطن العربى ، حلقة أخرى فى سلسلة التآمر الامبريالى ضد الشعوب العربية .

ان كفاح الشعب العربى الفلسطينى ضد الغزو الصهيونى ، يعود الى أواخر القرن التاسع عشر ، ففى يونيو سنة ١٨٩١ ، أرسل زعماء مدينـة القدس بأول احتجاج رسمى الى سلطان تركيـا يطالبونه بمنع اليهود من دخول فلسطين ، وشراء الاراضى العربية ، وقد استجاب السلطان الى طلب زعماء القدس ، وفى السنة التالية صدر قرار آخر بمنع اليهود من شراء اية أرض فى السلطنة ، ومنع الرعايا أيضا من بيع الاراضى لليهود ، وفى سنة ١٩٠١ صدر قرار آخر لا يسمح لليهودى الاجنبى الذى يدخل الى فلسطين بالبقـاء مدة تزيد على ثلاثة أشهر ، وفى كل مرة كان السفير البريطانى فى تركيا يتدخـل لوقف تنفيذ هـذه القرارات العثمانية ، وبسبب الرشوة والفساد

المتفشي في أجهزة الدولة العثمانية .(1) وبعد أن فشل أسلوب الاحتجاج والمظاهرات تحولت هذه الاساليب الى العنف ، وشهدت الفترة السابقة على نشوب الحرب العالمية الاولى اشتراك الفلاحين العرب في الهجوم على الاراضي والممتلكات اليهودية وتدميرها والاصطدام بجماعات الدفاع الذاتي من حراس المستعمرات اليهودية ، وهذه الجماعات شبه العسكرية هي التي تكونت منها عقب الاحتلال البريطاني منظمة « الهاشومير » لمقاومة الهجمات العربية ، والنواة الاساسية لعصابات الهاجاناه الارهابية فيما بعد ، ونجحت المقاومة العربية بدرجة كبيرة في الحد من تدفق المهاجرين اليهود ووقف عمليات بيع الاراضي . ...

وحتى ذلك الوقت لم يكن العرب على علم بما يحاك ضدهم من قبل بريطانيا والصهيونية ، حتى قامت ثورة أكتوبر الاشتراكية في روسيا سنة ١٩١٧ ، وقامت حكومة لينين الثورية بالكشف عن وثائق وزارة الخارجية في حكومة القيصر السابقة ، والتي كانت ضالعة في المؤامرات الاستعمارية ضد الشعوب الاخرى الضعيفة ، ومن بين هذه الوثائق معاهدة سايكس بيكو ووعد بلفور ، وعند ذلك بدأ العرب يتنبهون الى المؤامرات الاستعمارية التي تحاك ضدهم في الخفاء ، ولقد كان بين القادة العرب من يرى التريث والانتظار حتى تنتهي الحرب ، وتقوم بريطانيا بتحقيق الوعد الذي قطعته على نفسها للملك حسين ملك الحجاز والزعيم الديني للعرب من قبل .

وبعد ذلك تمت اتصالات بين بريطانيا والشريف حسين ملك الحجاز في جدة ، للتباحث معه بخصوص وعد بلفور وتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين ، والمنافع التي يجنيها العرب من وراء ذلك ، وقد أبدى الشريف حسين استعداده وقبوله للفكرة وترحيبه باليهود في فلسطين ، كما أخذت بريطانيا تعد الامير فيصل نجل الشريف حسين وتهيئه للقيام بدور هام على مسرح السياسة العربية في ذلك الوقت .

وقام المسئولون البريطانيون في القاهرة بتدبير لقاء بين فيصل والدكتور حاييم وايزمان الزعيم الصهيوني بالقرب من خليج العقبة ، في الرابع من شهر يونيو سنة ١٩١٨ وذلك قبل أن تنتهي الحرب في نهاية هذا العام ، وكان أول اجتماع تاريخي بين مسئول عربي وقادة الحركة الصهيونية .

وقد كان هذا اللقاء مقدمة لاجتماعات أخرى جرت بين فيصل ووايزمان في أوروبا ، وكان من نتائجها ، الاتفاقية الخطيرة التي وقعها الامير فيصل ممثل المملكة العربية الحجازية والقائم بالعمل نيابة عنها والدكتور حاييم وايزمان ممثل المنظمة الصهيونية ، في لندن بتاريخ ١٩١٩/١/٣ ، وقد تضمنت هذه الاتفاقية اقرار فيصل بتنفيذ وعد بلفور ، وكانت هذه الاجتماعات والاتفاقات وعقد المساومات بين الرجعية العربية والاستعمار والصهيونية تتم كلها من خلف ظهر الجماهير العربية ، وقد تبين بعد ذلك أن هدف فيصل من التضحية بفلسطين كان بغرض ارضاء السادة المستعمرين طمعا في عرش سوريا ، ثم قررت بريطانيا بعد ذلك بالوقوف الى جانب حليفتها فرنسا ضد فيصل وازاحته عن عرش سوريا ولبنان ، الا أن بريطانيا كانت تعد الشريف حسين ابن علي وأولاده للقيام بأدوار أخرى على مسرح السياسة العربية ، فقامت بعد ذلك بتعيين فيصل ملكا على العراق وشقيقه عبد الله أميرا على شرق الاردن بعد اقتطاعها من فلسطين على نحو ما هو معروف .

الوضع الاقتصادي والاجتماعي عند بداية الاحتلال

ان المجتمع الفلسطيني هو مجتمع زراعي بالدرجة الاولى ، تسوده القيم الدينية والتأثر الشديد بالثقافة الاسلامية والمسيحية ، ويتميز بطابع ونمط الحياة البدوية العربية ، وتقوم العلاقات الاجتماعية على رابطة وأواصر الدم والعرق ، وتتكون وحداته من الاسرة فالعشيرة ، ثم القرية .

وتتميز الحياة الاقتصادية بالتخلف الواضح مثل باقي المستعمرات ، فالزراعة متأخرة والصناعة ضعيفة ، ويقوم النشاط الصناعي والتجاري أساسا على الزراعة مثل ، النسيج والسجاد ، والخزف والطوب ، والاغذية والزيوت ، والصابون ، والخشب والورق .

ويقدر عدد السكان وفقا لاول احصاء رسمي في أكتوبر سنة ١٩٢٢ بـ ٧٥٢٫٠٤٨ منهم ٦٤١٫٦٦٠ عرب ، و ٨٣٫٧٩٠ يهود ، و ٧٦١٧ جنسيات أخرى .

---

(1) المقاومة العربية في فلسطين ١٩١٧ — ١٩٤٨ . تأليف ناجي علوش . منظمة التحرير الفلسطينية . مركز الابحاث . بيروت . ص ٢٣ .

وكانت اللوحة الطبقية للمجتمع فى ذلك الوقت مزيجا من العلاقات العشائرية والاقطاعية والبورجوازية ، وتتكون من الطبقات الآتية :

ـ الوجهاء : وتتشكل من الاقطاعيين وزعماء العشائر وممثلى السلطة السياسية العثمانية من قبل .

ـ البورجوازية : من تجار الغلال والمنتجات الزراعية وأصحاب المصانع والمرابين وأصحاب المحلات التجارية .

ـ الفلاحين : اصحاب الملكيات الصغيرة والمستأجرين الزراعيين .

ـ العمال الزراعيين والصناعيين (٢).

« ويبين كشف توزيع الملكية ، أن ٢٥٠ من الاقطاعيين يملكون ٠٠٠ر١٤٣ر٤ دونم ، أى حوالى نصف مجموع الاراضى الزراعية ، وأن ٢٨ مالكا يضعون أيديهم على أكثر من ٠٠٠ر٠٠٠ر٢ دونم فى قضاء بير سبع وغزة ، وأن أملاك عائلة عبد الهادى فى نابلس حوالى ٠٠٠ر٦٠ دونم ، وعائلة الحسينى بحوالى ٠٠٠ر٥٠ دونم ، وعائلة التاجى فى الرملة بحوالى ٠٠٠ر٥٠ دونم وعائلة الشوا فى غزة بحوالى ٠٠٠ر١٠٠ دونم .

وفى مقابل هؤلاء يوجد ٢٩٪ من الفلاحين العرب لا يملكون أرضا .

كما يتبين أن اليهود كانوا يملكون عند بداية الانتداب حوالى ٢٪ من الاراضى ، فأصبحوا يملكون ٦٪ من أجود الاراضى عند نهاية الانتداب عام ١٩٤٨ . وأن ٦ر٩٠٪ من الاراضى التى حصلوا عليها كانت ملكا للاقطاعيين ، بينما لم يزد ما باعه الفلاحون عن ٤ر٩٪ .(٢)

ولقد كان لهذا الوضع الاقتصادى والاجتماعى والفكرى اثره الكبير على الحركة الوطنية فى القطر العربى الفلسطينى وتحديد مسارها فى فترة مابعد الاحتلال البريطانى ، وسيطرة الطبقات الاقطاعية والبورجوازية على العمل السياسى فى البلاد .

ولم تنتظر بريطانيا قرار مجلس الحلفاء بشأن البت فى موضوع التركة العثمانية ، أو قرار عصبة الامم بالموافقة على الانتداب البريطانى على فلسطين ، بل شرعت على الفور فى تهيئة البلاد واعدادها لعمليات الاستنزاف والنهب الامبريالى.

وفرضت بريطانيا على البلاد حكما استعماريا مباشرا واحكمت قبضتها على أجهزة الدولة ، وذلك عن طريق ما أسمته بدستور فلسطين ، وجعل الادارة والتشريع فى أيدى المندوب السامى ، بما فى ذلك المالية والتجارة والقضاء والهجرة ، وأن يعتبر مسئولا عن ذلك أمام وزير المستعمرات.

وليس صدفة بعد ذلك أن يكون تعيين أول مندوب سام لبريطانيا فى فلسطين فى (١٩٢٠/٦/٣٠) هو الصهيونى هربرت صموئيل الموظف بوزارة المستعمرات ليقوم بتنفيذ المخطط الامبريالى الصهيونى ، وقد أعلن هربرت صموئيل قبل وصوله الى فلسطين أمام الصحفيين فى لندن بصراحة عن مهمته وهى : اتخاذ الوسائل لتجديد الوطن القومى لليهود فى فلسطين ، وتحقيق الامانى التى يتوق اليها اليهود منذ الفى عام ، وأن فى البلاد سعة كافية تستطيع أن تسع سكانا أكثر عددا من السكان الحاليين » .(٣)

وعمدت السلطات البريطانية الى ابعاد العرب عن المشاركة فى حكم بلادهم سواء عن طريق الترشيح أو الانتخاب ، ومنع قيام مجلس نيابى ، والمجالس الوحيدة التى كان يسمح فيها بالانتخاب هى ، المجالس البلدية ، وحتى هذه كانت تضع لها قيودا مثل شرط السن والملكية ، بهدف تضييق حق المشاركة السياسية أمام أبناء البلاد وقصرها على الطبقات المالكة .(٤)

وحرصت سلطات الاحتلال طوال فترة الانتداب على شغل المناصب فى أجهزة الدولة بالموظفين الانجليز واليهود ، وحتى عام ١٩٤٥ لم يزد عدد موظفى الحكومة العرب عن ٢٥٪ فقط ، رأن جميع المناصب العليا كانت فى أيدى الانجليز .(٥)

واهتمت السلطات البريطانية كذلك بتقوية أجهزة وادوات الكبت والقمع للشعب العربى ، اذ تحمل مصروفات الدولة نفس الطابع المتعسف فيأتى البوليس والسجون فى المرتبة الاولى ، اذ تبلغ حصتهما فى ميزانية ١٩٤٢/٤١ ، ٠٠٠ر٩٧٢ر١ جنيه أى ٦ر٢٦٪ ، فى حين خصص للصحة ٠٠٠ر٢٩٧ جنيه أى ٤٪ ، وللتعليم ٠٠٠ر٣٧١ جنيه أى ٥٪ ، وقد زادت نفقات الامن والسجون

---

(٢) المصدر السابق . ص ١٨ — ٢١
(٣) جريدة الاهرام ١٥ — ٦ — ١٩٢٠
(٤) فلسطين بين مخالب الاستعمار، تاليف : احمد صادق سعد . ص ٤٤
(٥) المصدر السابق . ص ٤٥
(٦) المصدر السابق ص ٤٧

فى ميزانيـة ١٩٤٥/٤٤ ، فبلغت ٣٫٢٣٣٫٠٠٠ جنيه ، وفى بعض الاحيان تزيد نفقات الامن عن المبالغ المخصصة فى الميزانية ، وتغطى بما يجمع من الاهالى (كرها) كما حدث فى ثورة ١٩٣٦ ، وقد دفع الاهالى مبلغ ٦٨٩٫٠٠٠ جنيه خـلال سنتى ١٩٣٨/٣٧ ، وهى تكاليف مرابطة الجيش البريطانى فى فلسطين » . (٦)

وقام المندوب السـامى البريطانى هربرت صموئيل بفتح أبواب فلسطين على مصراعيها أمام رؤوس الاموال البريطانية والصهيونية ، وفى سنة ١٩٢١ حصلت « شركة الكهرباء الفلسطينية » التابعة للاحتكارات الانجليزية للكهرباء على امتياز استغلال مساقط المياه فى نهر الاردن لتوليـد الكهرباء ، وبيعها داخل فلسطين وشرق الاردن ، ومدة الامتياز ٧٠ عاما .

وفى عام ١٩٣٠ حصلت « شركة الاقتصـاد الفلسطينية » التابعة لمجموعة برانديز الاحتكارية الامريكية ، على امتياز استغلال موارد البحر الميت واقامة مشاريع اقتصادية أخرى ، وقـد تضاعف رأس مال الشركة من مليون جنيه الى ٤٫٥ مليون جنيه عام ١٩٣٩ .

وفى عام ١٩٢٩ حصـلت « شركة البوتاس الفلسطينية » التابعة للاحتـكارات البريطانيـة للصناعات الكيماوية الامبراطورية على امتيـاز استغلال الاملاح والمعادن من البحر الميت ، ومدة الامتياز ٧٥ عاما .

وفى عـام ١٩٢٧ وعلى أثر تفجـر البترول فى الحقول العراقية التابعة لشركة الزيت الانجليزية الايرانية وشركة بترول العراق ، وتشترك فيهما رؤوس أمـوال انجليزية وفرنسـية وأمـريكية وهولندية ، حصلت الشركتان على امتياز بمـد خط أنابيب لنقل البترول عبر شرق الاردن الى حيفا فى فلسطين عام ١٩٣٣ ، وأيضـا امتياز باقامة مصنع تكرير للبترول فى حيفا .

وفى عام ١٩٣٤ حصـلت « شركة توسـيع الاراضى الفلسطينية » الصهيونية ، على امتياز استغلال أراضى منطقة الحولة ، وهذه الشركة أسسها المليونير الصهيونى القديم (روبين) فى عام ١٩٠٨ ، وقامت بانشاء طائفة من المستعمرات اليهودية فى شمال فلسطين . (٧)

واقترنت الهجرة الصهيونية بعمليـات انتزاع الاراضى الزراعية الخصبة من الفلاحين ، وقد منحت سلطات الانتداب المؤسسـات الصهيونية مثل (البيكا) و (الكايرن كايمت) مسـاحات هائلة من الاراضى الزراعية الاميرية فى مختلف أنحاء فلسطين ، وخاصة التى توجد فى شمال فلسطين مثل سهل مرج بن عامر والسهل الساحلى وحول بحيرة طبريا ، وقد بلغ مجموع الاراضى التى فى حيازة شركة الكايرن كايمت التابعـة للوكالة اليهودية ٣٨٥٫٠٠٠ دونم فى عام ١٩٣٧ ، وأن الجمعية اليهودية لاستعمار فلسـطين (بيكا) التى أسسها المليونير الصهيونى روتشيلد قـد حصلت حتى نهاية الانتداب على أكثر من ٤٥٠٫٠٠٠ دونم من الاراضى .

وعمدت سلطات الاحتلال منذ اليوم الاول الى وقف القروض الزراعية عن الفلاحين ، وأمرت بجمع قروض البنك العثمانى ، وكان الفلاحون يعانون من الارهاق والمتاعب الاقتصادية الشديدة من جراء الاستغلال العثمانى من قبل ، وتجنيد الرجال للخدمة فى ميادين القتال والاستيلاء على دوابهم ومواشيهم ، وقد بلغ سعر الفائدة على هذه القروض ٣٠٪ . وذلك فى الوقت الذى كان متوسط دخل الفلاح وأسرته حـوالى ٢٥ جنيها سنويا ، يدفع منها حوالى ٨ جنيهات فوائد ديون و ٦ جنيهات ضرائب ، وكان عليه أن يعيش بـ ٩ جنيهات هو وأسرته سنويا ، بينما الحد الادنى للمعيشة يستلزم ٢٦ جنيها ، ومنعت السلطات تصدير المحصولات مثل القمح والزيت وغيرهما فهبطت أسعارها ، وذلك حتى يعجز الفلاح عن دفع الضرائب وتسديد ديونه ومن ثم الاستيلاء على أرضه وبيعها أو تسليمها للمنظمة الصهيونية، « وقد بلغت قيمة الرهون العقارية الخاصة ببنك أنجلو فلسطين والبنك العثمانى نحو ٦ ملايين من الجنيهـات سـنة ١٩٣٧ » (٨) . ممـا كان يزيد من حـدة الازمـة الـزراعية وافقـار الفلاحين ، وتحويلهم الى عمال زراعيين ، أو النزوح الى المدن ليعملوا كعمـال صـناعيين ، وتفشى البطالة بدرجة كبيرة . « وقد بلغ عدد العرب المتعطلين حوالى ٢١٫٠٠٠ سـنة ١٩٣٧ ، ولم يكونوا يتمتعون بتأمين ضد البطالة أو المرض أو الحوادث ، وأن القوانين العمالية لم تكن تعترف بالنقابات العمالية » (٩) ، كما يتضـح الفارق

---

(٧) وادى الاردن وامتيازاته ومشروعاته : تاليف عبد الرحمن على الكردى . ص ٩٥ — ١١٩ .
(٨) فلسطين بين مخالب الاستعمار : تاليف : احمد صادق سعد . ص ٣٧
(٩) المصدر السابق . ص ٥١

والتناقض كذلك بين العمال العرب واليهود فى مجال الاجور ، اذ بينما يتقاضى العامل الزراعى العربى من ٨ الى ١٢ قرشا فى اليوم ، يتقاضى العامل الزراعى اليهودى من ٢٠ الى ٢٥ قرشا عن نفس العمل .

وقد عمد الاستعمار البريطانى الى تطوير الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، بما يخدم اهدافه السياسية والاقتصادية ، بالنسبة لايجاد مجالات جديدة لاستثمار رؤوس أمواله ، والحصول على المواد الخام والزراعية الرخيصة ، وفتح أسواق جديدة لتصريف السلع والمنتجات البريطانية ، وقد اقتضى ذلك تدعيم النظام المصرفى وانشاء فروع **لبنك باركليز وبنك أنجلو فلسطين** فى مختلف المراكز التجارية الرئيسية للسيطرة على النشاط التجارى والصناعى فى الحياة الاقتصادية للبلاد .

وقد نشأ عن ذلك ظهور البورجوازية التجارية الكبيرة ، ونمو وازدهار البورجوازية المتوسطة من التجار وأصحاب المشاريع الصناعية البسيطة والورش والمحلات ، وقد ساعد على ذلك تطور وسائل النقل والسكك الحديدية ، وانشاء الموانىء ، وحركة السياحة النشطة ، وفى نفس الوقت الذى عمل فيه الاستعمار على توجيه البلاد فى الطريق الرأسمالى ، فقد حافظ فى نفس الوقت على الطبقة الاقطاعية ذات النفوذ السياسى القديم وتدعيمها والتعاون معها . وذلك عن طريق تحويل الاقتصاد الفلسطينى الى اقتصاد مستعمرات ، لا يعيش الا على استيراد المنتجات الصناعية والزراعية الجاهزة ، وتصدير المواد الخام [البوتاس وأملاح البرومين والكبريت والصوديوم والكالسيوم وغيرها من المعادن] والزراعية [الموالح] ، والاعتماد على انتاج نوع واحد من المحاصيل وهى الموالح اساسا ، التى تجد رواجا فى الاسواق العالمية ، وجعل فلسطين ثانى دولة تصدر الموالح فى العالم ، مما ادى الى اهمال انتاج المحاصيل الغذائية مثل القمح والشعير والذرة التى تمثل القوت الاساسى للشعب . « وقد بلغت قيمة الواردات الفلسطينية سنة ١٩٣٥ حوالى ١٧٫٨٥٠٫٠٠٠ جنيه ، فى حين بلغ مجموع الانتاج الصناعى ٧ ملايين جنيه والانتاج الزراعى ٦٫٥ مليون جنيه ، وتعادل نسبة المستوردات المصنوعة ٥٥ ٪ من مجموع الواردات السنوية . وتستورد فلسطين فى المقام الثانى المنتجات الزراعية مثل القمح الذى ارتفعت قيمة مستورداته من ٥١٢٫٥٠٠ جنيه سنة ١٩٣٩ الى ١٫٨٥٢٫٠٠٠ سنة ١٩٤٢ ومعظم هذا القمح يأتى عن طريق الوساطة البريطانية » [١٠] .

ان البورجوازية التى ازدهرت عقب الاحتلال ، قد اخذت تصطدم برأس المال الاستعمارى والصهيونى والسلع الاجنبية ، التى تسد امامها الطريق وتمنعها من اخذ دورها فى مجال الانتاج ، فقد كانت رؤوس الاموال الاستعمارية والهجرة الصهيونية مزودة بالخبرة والتنظيم مما جعل المنافسة الاقتصادية غير متكافئة ، فى الوقت الذى لم تكن تتوافر للصناعة العربية الاموال ولا الحماية الجمركية اللازمة ، وعلى سبيل المثال فقد كانت صناعة الصابون العربية تبيع ما قيمته ٢٠٠٫٠٠٠ جنيه سنويا سنة ١٩٢٤ ، فانخفضت قيمة المبيعات الى اقل من ٧٠٫٠٠٠ جنيه سنويا سنة ١٩٣٤ ، بسبب منافسة شركة « شيمن » الاجنبية ، كما ان اغلبية المطاحن والمعاصر لم تكن تجد القمح والبذور اللازمة لمواصلة عملها » [١١] وكانت قيمة الانتاج الانتاج العربى تتراوح بين ٢٠ — ٢٥ ٪ من الانتاج الصناعى الكلى سنة ١٩٣٥ ، وان حجم رأس المال العربى المستثمر فى الصناعة الفلسطينية سنة ١٩٣٨ كان ١١ ٪ فقط . [١٢]

ويمكن ان نقيس على ذلك وضع الزراعة العربية المتأخرة بالنسبة للزراعة اليهودية المدعومة برأس المال الصهيونى واستخدام الالات والمعدات والخبرات العلمية الحديثة .

وقد دفعت كل هذه العوامل بالطبقة البورجوازية الى خضم المعركة السياسية المشتعلة ضد الاستعمار البريطانى والغزو الصهيونى الداخلى .

ولقد حاول الاستعمار البريطانى منذ البداية الانحراف بالحركة الوطنية ، وذلك عن طريق تحويل عداء العرب الى اليهود ، بهدف استنزاف طاقتها وتضليلها عن العدو والخطر الاساسى ، اى الاستعمار البريطانى ذاته ، الذى اوجد الصهيونية فى فلسطين ، وكان ان قادت الطبقة الاقطاعية العشائرية الحركة الوطنية والجماهير الكادحة الى المظاهرات والمعارك الدامية المستمرة ضد اليهود .

كما عمدت بريطانيا الى اثارة النعرات العشائرية والطائفية بين العائلات الاقطاعية الكبيرة ، وخاصة بين عائلتى الحسينى والنشاشيبى

---

(١٠) المصدر السابق . ص ٣٨
(١١) المصدر السابق . ص ٤٣
(١٢) المصدر السابق . ص ٦٧

والتنافس الشخصي بينهما على الزعامة وجرهما الى مساومات مع السلطة بهدف تفتيت الحركة الوطنية .

وحتى سنة ١٩٢٨ شهدت فلسطين عديدا من المؤتمرات ولم تنجح الحركة الوطنية فى تحديد مطالبها واهدافها ، الا ان هذه الفترة قد شهدت ايضا تزايد دور وفعالية العناصر البورجوازية داخل الحركة الوطنية . فقد جاء المؤتمر العربى الخامس ليقرر مواصلة المساعى لتحقيق الاستقلال " والاتحاد العربى ، ورفض الوطن اليهودى والهجرة الصهيونية ، وفى يونيو ١٩٢٨ ، اضاف المؤتمر العربى السابع الى قراراته السابقة : المطالبة بحكومة برلمانية ، والاحتجاج على زيادة الموظفين الانجليز فى الحكومة ، وتفضيل العمال اليهود على العمال العرب .

والاحتجاج على اعطاء امتياز البحر الميت لشركة صهيونية ، والمطالبة بوقف سن القوانين ريثما تؤلف الحكومة البرلمانية .

وجاءت أحداث سنة ١٩٢٩ [هبة البراق] الشعبية لتكشف عن السياسة المتهادنة لقيادة الحركة الوطنية " التى تتحكم مصالحها الطبقية الاقطاعية فى مواقفها من القضية الوطنية ، واقبال الاقطاعيين على بيع الاراضى للصهيونية ، عقب ازمة الجفاف التى حلت بالارض فى عام ١٩٢٨ . فقد زادت عمليات بيع الاراضى وطرد الفلاحين واخراجهم من الارض سلفا ، بحيث تظهر الارض فى وقت البيع خالية ويكون نقلها الى الصهيونيين ممكنا " وايضا توسع سلطات الاحتلال فى الاستيلاء على الاراضى الاميرية وطرد الفلاحين منها » [١٣]

وشهدت الفترة منذ عام ١٩٣٣ تحولا كبيرا فى مسار الحركة الوطنية " فقد اخذت المنتجات ورؤوس الاموال البريطانية والامريكية تتدفق على البلاد ، وازدادت الهجرة اليهودية على اثر قيام الحكم النازى فى المانيا ، وكانت البورجوازية ترفع شعار مقاطعة البضائع اليهودية ، غير ان تدفق المنتجات ورؤوس الاموال والسلع الاجنبية كان يخنق الاقتصاد العربى " واصبح واضحا امام الحركة الوطنية ان شعار مقاطعة البضائع لايكفى للنهوض بالاقتصاد الوطنى ، وان الاستعمار البريطانى هو الذى يشجع البورجوازية اليهودية ، ويحمى الهجرة الصهيونية ، ويعمل على اقامة الوطن القومى لليهود فى فلسطين ، ويخنق الصناعة العربية ، ويحارب الحركة الوطنية ، والا سبيل الى الخلاص الا بالقضاء على الاستعمار البريطانى .

ولقد كان تحديد العدو والخطر الرئيسى وهو الاستعمار البريطانى ، تعبيرا عن نضوج البورجوازية العربية آنذاك واكتمال وعيها السياسى وتطلعها الى أخذ مقاليد الامور فى يدها .

وظهرت فى تلك الاثناء الاحزاب السياسية الفلسطينية المختلفة التى امتزجت فيها الطلائع السياسية للطبقة الاقطاعية والبورجوازية ، ونمو طبقتى العمال والفلاحين واشتراكهما النشيط فى العمل السياسى الى جانب المثقفين والطلبة ، هذا فضلا عن التنظيمات الشعبية السرية القديمة التى كانت تعد للثورة الشعبية المسلحة .

وقد كان تكوين التنظيمات الشعبية السرية فى اوساط العمال والفلاحين فى السنوات الاولى للاحتلال ، تحت اشراف الشيخ عز الدين القسام رجل الدين البسيط ، تعبيرا عن الرفض الشعبى لطريق المؤتمرات والخطب وفقدان الثقة فى قيادة الحركة الانتهازية الاقطاعية البورجوازية الكبيرة والدينية الرجعية ، وقد لعبت هذه التنظيمات بقيادة الشهيد عز الدين القسام دورا هاما فى الانتفاضة المسلحة ضد الاحتلال البريطانى والوجود الصهيونى فى سنة ١٩٣٥ ، والتى انتهت باستشهاد البطل عز الدين القسام ، الا ان فشل الانتفاضة المسلحة واستشهاد البطل القسام قد حدد للجماهير الكادحة المنحنى التاريخى ومعالم الطريق الحقيقى ، الذى ادى الى تفجير الثورة المسلحة فى سنة ١٩٣٦ ، والتى شملت كافة المدن والقرى العربية الفلسطينية .



(١٣) الاهمية الشيوعية والثورة العربية ، ترجمة وتقديم : الياس مرقص ، الناشر دار الحقيقة . بيروت . ص ٣٨-٣٩

الثـــورة بين حركة الجماهير وتهـادن القيـادات



عبد العال الباقوري

كان انفجار « **الثورة العربية الكبرى فى فلسطين** » فى ابريل ١٩٣٦ تعبيرا — فى جانب منه — عن غضبة الجماهير العربية الفلسطينية ، ويأسها من اساليب ومواقف « الزعامات » التى تولت قيادة الحركة الوطنية فى فلسطين منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، فقد ايقنت الجماهير ان هذه الزعامات اعجز من أن تواجه التحدى الخطير الماثل امامها ، والذى يزداد خطره يوما بعد يوم ، وفى نفس الوقت ظلت هذه القيادات تزداد ضعفا وسلبية ، فالهجرة اليهودية مطردة الزيادة منذ بداية الثلاثينات ، وهذا يعطى الحركة الصهيونية مزيدا من القوة فى فلسطين ، وفى مواجهة ذلك عرفت القيادات الفلسطينية اكثر واكثر فى بحار خلافاتها ومنافساتها من جانب ، وفى تهاونها ومساومتها للمستعمر من جانب آخر ، واثار هذا نقمة الجماهير الشعبية على الزعامة والزعماء ، ولذا وجدنا زعيما شعبيا كالشيخ **عز الدين القسام** — الذى سار على منهج مغاير لمنهج هذه القيادات — يروى عنه انه كان يحلل قتل بعض هذه الزعامات [١] . اما **حمدى الحسينى — زعيم** الجناح اليسارى فى حزب الاستقلال [٢] — فقد وصف هذه الزعامة بأنها تظاهرت بالوطنية من أجل تقوية مراكزها عند المستعمرين .

وعند هذا الحد من تقاعس الزعماء وعجزهم أمام ازدياد الخطر باستمرار ، وجدت الجماهير الفلسطينية ، نفسها مطالبة بأن تبادر بالحركة ، والا تتوقع خيرا من جانب مثل هذه القيادات المساومة والمتناحرة فيما بينها ، وبأن تعمل من أجل ان تفرض ارادتها على هذه القيادات ، وبرغمها .

وهذا ماكان بالفعل .. ففى الاسبوع الثالث من ابريل ١٩٣٦ تحركت الجماهير ، فعمت المظاهرات مدن فلسطين واعلن الاضراب ، وشمل فلسطين كلها بسرعة ، وتكونت اللجان القومية « من القادة المخلصين من أبناء الشعب للاشراف على تنفيذ الاضراب بشكل دقيق .. وبعد خمسة أيام فقط اصبحت اللجان القومية تسيطر سيطرة تامة على الحالة فى البلاد ، وتقود الشعب قيادة ثورية واعية » [٣]

---

[١] ناجى علوش . المقاومة العربية فى فلسطين [١٩١٧ — ١٩٤٨] . مركز الابحاث [منظمة التحرير الفلسطينية] ، بيروت ١٩٦٧ . ص١٠٤

[٢] لمزيد من التفاصيل عن هذا الحزب ، انظر المرجع السابق ، ص ٧٧ — ٨٦ و١٩٥ — ١٩٦ ، وكذلك : محمد عزة دروزة . حول الحركة العربية الحديثة ، الجزء الثالث ، الطبعة الثانية . المكتبة العصرية ، صيدا — بيروت ، ١٩٥٩ ، ص ١٠٣ — ١١٠ .

[٣] صبحى ياسين : الثورة العربية الكبرى فى فلسطين ، الطبعة الثانية . دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٧ . ص ٤٣ .

وحدة القيادة تعنى وحدة الطبقة

وهكذا ، بدأ الاضراب — الخميرة الاولى للثورة — بعيدا عن الزعامات التقليدية ، بل انه بدأ فى غيبتها ورغم ارادتها ، فلم تجد هى بدا من أن تسارع الى تجميع صفوفها للسير وراء حركة الجماهير ، تحركت الزعامة التقليدية ، رغم كل مابينها من تناحر وتنابذ وتنافر ، واتفقت على وحدة الصف ، وبذلك قامت **اللجنة العربية العليا** لتقود الثورة « ان وحدة القيادة هنا تعنى وحدة الطبقة أولا وقبل كل شىء » طبقة « الوجاهات » شبه الاقطاعية وشبه البرجوازية ، التى توحدت فى مواجهة خطر التحرك الجماهيرى الذىهددها جميعا : وجودا ومصلحة وارتباطا بالمستعمر ، وكان لامهرب لابناء الطبقة الواحدة من أنيتوحدوا وقامت « اللجنة العربية العليا » برئاسة الحاج **أمين الحسينى** وضمت ممثلين عن الاحزاب الفلسطينية الستة ، ووجدت العناصر التى عرفت بعمالتها للاستعمار البريطانى وقبولها وتأييدها لمشاريعه ، اى جماعة « **حزب الدفاع الوطنى** » ان من مصلحتها قبول « وحدة الصف » وكان ذلك منها اجراء مؤقتا لتلافى أزمة طارئة ، من وجهة نظرها ، ولكن ذلك لم يعن اختفاء « التنافس والتشاد والتجاذب والروح الحزبية الشخصية » من داخل اللجنة ، بين العناصر المؤيدة للحاج أمين ، وعناصر « المعارضة »ممثلة فى جماعة حزب الدفاع، اما الجماهير فلمتشغل نفسها كثيرا — فى البداية — بما يجرى وراء الكواليس ، وشغلت نفسها فقط بأداء واجباتها الثورية . لانها عرفت مدى جسامة الخطر الذى يهددها ، يهدد وجودها ، ولقمة عيشها .

موقف وهدف جماهير الثورة

لقد تأكدت الجماهير — على ضوء خبرتها — ان الكفاح المسلح هو وسيلتها لمواجهة هذا الخطر ، وصده ، والقضاء عليه ، ورأت ان الانجليز « هم اصل الداء واس البلاء » كمايقولون، ولذلك يجب أن يكون الكفاح موجها ضدهم (٤) .

وضح هذا الموقف منذ بدء الثورة ، كما يتبين من بيان عنوانه « نداء الحرس الوطنى الى الامة التى عرفت كيف تكافح بحق واستماتة » [٥] .

جاء فى هذا البيان :

« أيها الشعب الباسل .. لقد رأينا ان نغير أساليب كفاحنا قبل أن نطلب الى الانكليز تغيير سياستهم ، ووسائلنا معهم كانت احتجاجات وبيانات ، وسيلتنا الان كفاح عملى شريف ، هم الاصل فى قضيتنا ، واليهود الفرع ، هم الذين رمونا بالصهيونية وهم الذين يهددون دماء أبنائنا دفاعا عن هذه الحركة الاثمة » .

ويتوجه النداء الى الاعداء الحقيقيين الذين اندلعت الثورة ضدهم فيقول :

« الى الانكليز :

لقد يئسنا من كل شىء اسمه عدالة بريطانيا، رجونا ، طلبنا ، استعطفنا ، ولكن ذهبت كل محاولاتنا عبثا .. اذن ، سماعا أيها الانكليز ، لامهادنة بيننا وبينكم حتى **تجاب مطالبنا الحقة** ، وهذه لانحتاج الى ذكرها .. يدنا مبسوطةللسلام والخصام ، فاختاروا الذى تريدون ، اننا لانهدد قواتكم العظيمة الهائلة . لكننا أقسمنا ، مع ذلك ان تظل فلسطين لنا ، او نطوى شهداء »

الكلمات الاخيرة فى هذه الفقرة تبدو فيها رنة الضعف ، وتبدو نغمة نشازا فى لحن هذا البيان، ولكن ذلك لايقلل من أهميته ، ولا من كونه معبرا صريحا عن موقف الثوار ، الذى يتمثل فىاللجوء الى الكفاح المسلح وتغيير الاساليب السابقةلانها غير مجدية ، كما أنه يعبر عن هدف الثوار : التحرير ، او بمعنى ادق انهاء كل المشروعات الاستعمارية .

وهذه الاهداف والمطالب ، عبر عنها أفصح تعبير بيان بتاريخ ٢٨ أغسطس ١٩٣٦ ، صادر عن « **قيادة الثورة العربية العامة فى سورية الجنوبية — فلسطين** » ، وهى القيادة التى قادت المناضلين العرب الذين ساهموا مع اخوانهم الفلسطينيين فى حركة الكفاح المسلح ، يقول هذا البيان [٦] .

---

[٤] اكد حزب الاستقلال منذ نشأتهعلى اعتبار الانجليز العدو الرئيسى ،ومن ناحية اخرى ، فان حزب الدفاع اتهم الحاج امين والحزب العربى بتحويلنقمة الشعب الى اليهود وتجاهلواالانجليز ، وهذا صحيح الى حد كبير ، ولكن هذا الاتهام حين يأتى من جانبحزب الدفاع فانه لا يعدو ان يكون محاولة سوان كانت غير ذكية — لتغطية ارتباط الدفاعيين بالانجليز وعمالتهم لهم .

[٥] انظر نص البيان فى : عبدالوهاب الكيالى . وثائق المقاومةالفلسطينية العربيةضد الاحتلال البريطانى والصهيونية [١٩١٨ — ١٩٣٩] مؤسسةالدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٨[سلسلة الوثائق العامة — ١] ، ص ٤٠٥ وما بعدها .

[٦] انظر نص البيان فى : عبدالوهاب الكيالى : مرجع سابق ، ص٤٣٥ — ٤٣٦

« الى السلاح » : ايذانا بسقوط الحكم الاجنبى الحاضر فى فلسطين لمنافاته حقوق الشعب المشروعة وقيام حكومة ثورية مؤقتة تستمد وجودها من ارادة الامة ، الى ان تنسحب الجيوش البريطانية ، وتمنع الهجرة اليهودية منعا باتا ، وتجلو الجماعات التى هبطت فلسطين على أساس وعد **بلفور** الباطل ، ويقوم مجلس تأسيسى من ارادة الشعب يضع دستورا للبلاد يعين شكل الدولة وتقوم بمقتضاه حكومة وطنية مسئولة أمام مجلس نيابى تنتخبه الامة انتخابا حرا »

كانت هذه هى مطالب الثوار ، واهدافهم ، والجدير بالملاحظة هنا هو ترتيب هذه الاهداف ، كما عددها هذا البيان ، فلهذا الترتيب مغزاه واهميته ، والمطالب هى :

— اسقاط الحكم الاجنبى ..

— قيام حكومة ثورية مؤقتة ، تبقى الى أن تنسحب الجيوش البريطانية وتمنع الهجرة اليهودية ، وبتعبير آخر ، استمرار الثورة والكفاح المسلح الى حين الانسحاب وتوقف الهجرة ، فوقف الكفاح المسلح رهن بتحقيق هذين المطلبين ، أما دون ذلك فتظل الثورة مشتعلة .

— واخيرا قيام حكم وطنى دستورى ..

ان هذا الترتيب ، سيكشف لنا الفرق بين اهداف قوى الثورة ، وبين المطالب التى ترفعها وتلح عليها الزعامات والقيادات التقليدية ، فليس عبثا أن تصر هذه القيادات على قيام الحكم الوطنى او بمعنى أدق تصر على اشراكها فى السلطة والحكم ، مع أن هذا الهدف يأتى فى آخر قائمة مطالب الثوار .

دور الشعراء الثوار

وهنا ، نشير الى دور الشعر فى التعبير عن مطالب الثوار ، قديما ، كان الشعر ديوان العرب وحديثا هو أحد ادوات التعبير عن ثوراتهم ، وكان الثالوث الشعرى [٧] : **عبد الرحيم محمود وعبد الكريم الكرمى « أبو سلمى » وابراهيم طوقان** ، لسان الثورة ، وكانت قصائدهم تتردد على السنة المقاتلين وجماهير الشعب فى خلال سنى الثورة وبعدها ، ونكاد لانجد حدثا هاما من أحداث الثورة الا وسجله أحد هؤلاء الشعراء بقصيدة او اكثر ، فأبو سلمى يعبر عن رأى الجماهير فى أن الكفاح المسلح هو وسيلة الخلاص ، فيقول :

سيروا على الدرب المخضب والثموا أثر الجدود
حرية الانسان بالدم تشترى لا بالوعود

ونفس المعنى يؤكده عبد الرحيم محمود :

وأصب حقوقك ، قط لاتستجدها
ان الاولى سلبوا الحقوق لئام
هذى طريقك للحياة فلا تحد
قد سارها من قبلك القسام

وكان للشعر الشعبى دوره الفعال ، فأوسع قطاعات الجماهير هى التى تتحمل عبء الثورة ، وهى تصوغ تجربتها بلغتها البسيطة السهلة ، صياغة تعين على سرعة نقل التجربة وانتشارها وخير مثل على ذلك قصيدة الثائر **عوض** التى كتبها على حائط زنزانته ليلة كان ينتظر تنفيذ حكم الاعدام فيه صباحا ، ويكفى هنا ان نذكر ماكتبه المناضل **توفيق زياد** [٨] عن هذه القصيدة : « أن القصيدة الشعبية التى قالها الثائر الفلسطينى « عوض » احد أبطال شعبنا فى ثورة ١٩٣٦ وهو على حبل المشنقة فى سجن « عكا » بامكانها ان تسكب فى نفسية الانسان من التضحية ونكران الذات أكثر من الوف المحاضرات والخطابات والقصائد التى قيلت ، اننى لااعرف عملا شعريا يمكن أن يقف من ناحية الصلابة والتضحية والشجاعة فى كفة ميزان مع تلك القصيدة الرائعة » .

القيادة تستجدى وتبحث عن مكاسب

هذا باختصار هو موقف جماهير الثورة ، موقف الفلاحين والعمال ، اوسع الطبقات واقدرها على التضحية والبذل ، فقد اعلنوا أنهم « مستعدون للتضحية الى ابعد حدودها » كما جاء فى بيان لممثلى اللجان القومية فى القرى عقد فى نابلس فى مايو ١٩٣٦ (٩) .

أما اللجنة العربية العليا فقد ايدت فى اول

---

[٧] يذكرنا هذا الثالوث ، بالثالوث المناضل فى الارض المحتلة ، ثالوث الشعراء : توفيق زياده وسميح القاسم ، ومحمود درويش ! !

[٨] توكيق زيادة : عن الادب والادب الشعبى الفلسطينى . دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ . ص ٣٠ . وانظر القصيدة — واظنها ليست كاملة فى : الدكتور عبد الرحمن ياغى : الادب الفلسطينى الحديث . دار الكاتب العربى القاهرة ، ١٩٦٩ . [المكتبة الثقافية العدد ٢٢٥] ص ٣٢ ، ٣٣

[٩] انظر نص البيان فى : الكيالى : مرجع سابق ، ص ٣٩٨ . ومن البيانات التى تعبر عن نفس الاتجاه « بيان لجنة طلبة المدارس فى فلسطين » نفس المصدر ص ٣٩٥ — ٣٩٨ ، وبيان اللجان النسائية ...

بيان لها « استمرار الاضراب الى ان تغير الحكومة الانكليزية سياستها : فتوقف الهجرة اليهودية وبيع الاراضي لليهود ، وتقوم حكومة وطنية نيابية ، على ان يكون وقف الهجرة هو البادرة الاولى العاجلة لذلك التغيير » ، ولغة الطلب بل « الاستجداء » من الانجليز تطل من ثنايا كلمات البيان ، فالحكومة البريطانية هي التي توقف الهجرة وبيع الاراضي لليهود ، اما الالحاح على قيام الحكومة الوطنية النيابية فأمر واضح ، لان مطلب الزعامات هي المشاركة في الحكم والحصول على نصيب من السلطة ..

في الثامن من مايو ١٩٣٦، عقد مؤتمر اللجان القومية في القدس ، وفيه كان التشدد واضحا من ممثلي هذه اللجان ، وحملت لواءه عناصر البورجوازية الصغيرة ، التي استطاعت التسرب الى داخل هذه اللجان ، ورغم هذا ، نجد خطاب الحاج امين — رئيس اللجنة العربية العليا — في هذا المؤتمر خطابا عاديا ، انه اقرب الى خطبة وعظ وارشاد ، منه الى حديث الزعيم والقائد في مؤتمر يناقش ويقرر قضايا حركة وطنية ، تشن كفاحا مسلحا ، وكل مايقوله الحاج امين في هذا الصدد ، بلهجة وعيد خطابية : « ان لهذا اليوم مابعده» . فماذا بعد هذا اليوم ؟ لا يحدد « الحاج » شيئا ، سوى ان يتحدث عن الصبر والثبات « الصبر على البأساء والضراء وحين البأس » والثبات على ماذا ؟ لايجيب .. بل انه لم يهاجم الانجليز صراحة [١٠] .

وعلى حين اعتبر الحرس الوطني « ان الانجليز هم الاصل في قضيتنا ، واليهود هم الفرع » — كما سبق القول — نجد رئيس اللجنة العربية العليا ، يستجدي بريطانيا « ان تعرف مصلحتها، حيث يقول في رسالة [١١] بتاريخ ١٤ يونيو ١٩٣٦ الى رئيس الوزارة البريطانية « اناشدكم وضع حد لهذه الظلامة التي لم يعرف لها مثيل في التاريخ صداقة العرب والمسلمين اضمن لمصلحة بريطانيا ومصلحة السلام » وحيث ان الامر امر صداقة فان الصداقة توجب التعاطف والمشاركة في الحكم ولا يفتأ الحاج امين يردد في كل مناسبة ان العرب أيام الحكم العثماني كانوا شركاء للاتراك في الحكم أو على حد تعبيره [١٢] « كان العرب يشاطرون الاتراك جميع مناصب الدولة المدنية والعسكرية، وكان منهم وزراء ورؤساء وزارات وقواد فيالق وفرق وسفراء وولاة ومتصرفون » كما جاء في بيانه امام لجنة بيل .

اعوان الاستعمار

يشاركون في القيادة

وفوق هذا ، فان القيادة السياسية للثورة ، التي تولتها اللجنة العربية ، لم تقم بدور في تعبئة الشعب ، تعبئة قومية صحيحة ، ولم يكن لديها اي منهج منظم مدروس تسير بالثورة على هديه ، كانت قيادة ضيقة الافق ، قصيرة النظر ، وتفتقد النفس الطويل . وفاقد الشيء لايعطيه ، ولذلك نضلت المساومة على المقاومة ، والمناصب على المتاعب ، ولذلك ، سمحت لبعض زعمائها بالانحراف والخيانة ، نعني بذلك ممثلي حزب الدفاع في اللجنة ، اضطرت جماعة الدفاعيين الى قبول الدخول في اللجنة العربية والمشاركة في قيادة الثورة تحت الحاح الظروف ، وخطر الضغط الجماهيري ، وفي ذات الوقت ، سعت هذه الجماعة الى نشر أفكارها والدعوة لها وبثها من وراء ستار وبطريقة غير علنية ، في المرحلة الاولى من الثورة ، وعرف عن هذه الجماعة منذ البداية دعواها الى التعاون مع الانتداب ، والى التفاهم مع الصهيونيين ، وتلقوا منهم مساعدات مالية ومعنوية ، حتى قال كبيرهم — **راغب النشاشيبي** — في اواسط العشرينات : « ليس من داع لان لايتعامل العرب واليهود معا ، لان هنالك مكانا للجميع ، وقد قام اليهود بتقدم ملموس في فلسطين » [١٣] .

وعلى أية حال ، ففي المرحلة الاولى من الثورة، نكاد نلحظ صمت الدفاعيين ، وتوقفهم نسبيا عن المشاغبة ضد الحركة الوطنية .. ولكنهم في نفس الوقت دعوا الى وقف الاضراب ، الى انهائه وكانوا من أسرع العناصر الى الاستجابة والقبول بوساطة أمير شرق الاردن ، فقد كانوا حزبه

---

[١٠] علوش : مرجع سابق ، ص١١١ ، وأنظر نص الخطاب في : الكيالي،مرجع سابق ، ص ٣٨٨ — ٣٩٣ .
[١١] نص الرسالة في الكيالي ،مرجع سابق ، ص ٤٠٧
[١٢] محمد توفيق جانا . الشهادات السياسية . مطبعة بابيل ، دمشق —١٩٣٧ .
[١٣] انيس صايغ . الهاشميون وقضية فلسطين . منشورات جريدة المحرر والمكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٦ . ص ١٥٠ . يوجز المؤلف مواقف هؤلاء بأنهم « تعاونوا مع الاحتلال اداريا ومع الصهيونيين تجاريا ، وباعوا الاراضي الى اليهود ، وسمسروا لهم وزرعوا الشكوك ، وعرقلوا النشاط الوطني ،واحكموا الحلقة بين عبد الله والحسين ، وبين الصهيونيين في ١٩٢٣ — ١٩٢٤ ،وايدوا الهجرة والانتداب في عموم العشرينات ،وايدوا التقسيم في الثلاثينات، ودعوا لوطن قومي يهودي في جزء من فلسطين وتسليم الجزء الاخر الى شرق الاردن ، وتزلفوا الى لجان التحقيق البريطانية والدولية ، وتبرعوا بتأييد كل مشروع رفضته غالبية الشعب »

والناطقين باسمه ، ووساطة **نوري السعيد** وزير خارجية العراق وقتئذ .

وبتأثير من هؤلاء ، واشباههم من ملوك العرب انساقت اللجنة العربية العليا الى الموافقة على انهاء الاضراب ووقف الاضطرابات ، ومن هذه اللحظة بدأت جماعة حزب الدفاع تزاول دورها على المكشوف ، وتمسح عن وجهها كل المساحيق التي غطته ودخلت به وبها فى اللجنة العربية العليا .

توقف الاضراب فى ١٢ اكتوبر ١٩٣٦ ، وبالمثل توقفت اعمال الكفاح المسلح ، او ماوصفه بيان اللجنة العربية بالاضطرابات ! .. واعتبر الثوار ان قرار التوقف هو « هدنة » مؤقتة ، لاختبار حقيقة نوايا بريطانيا ، ولايمكن اعتبار قرار وقف الاضراب « والاضطرابات » الا نوعا من التراجع انه تعبير عن عقلية القيادة المساومة والمتهاونة .

كان من المتفق عليه ، بناء على وساطة الملوك العرب ، ان وقف الاضراب مصحوب ومشروط بوقف الهجرة اليهودية ، لم يتمسك البريطانيون بهذا الشرط،واستمروزيرالمستعمرات البريطانيفى اصدار تصريحات هجرة جديدة ، ولم تملك اللجنة العربية العلياسوى اعلانمقاطعتها للجنةالتحقيق الملكية ، **لجنة بيل** ، وحتى هذا الموقف الضعيف لم يحظ بموافقة رجال حزب الدفاع ، ولذلك « الحوا على الهيئات الاخرى أن يتصلوا باللجنة ، وهددوا بالمثول أمامها وحدهم ، ان رفضت الاغلبية مشاركتهم ، فاضطرت الاوساط الوطنية انتعدل منهجها ووافقت على مبدأ المثول أمام اللجنة ، خوفا على وحدة الصف فى ذلك الوضع الحرج » [١٤] .

تقدم العرب الى لجنة بيل ببياناتهم وشهاداتهم، وكان **حسن صدقى الدجانى** ، أحد سكرتيرى حزب الدفاع ، واحدا ممن تحدثوا مع اللجنة . فى الظاهر ، يبدو حديثه متفقا مع بقية المتحدثين العرب ، ولكن كثيرا من عباراته تحمل ايحاءات تكشف عن دلالات هامة. فهو — مثلا — يستخدم تعبير « الشعب اليهودى » أكثر من مرة ،ويقصد بذلك اليهود الذين يعيشون فى فلسطين وقتئذ ، ثم انه يقول [١٥] ، « ويمكن أن نؤكد لحضراتكمان وعد بلفور هذا كان ومايزال أصل البلاء وسببا لجميع هذهالفتنوالثورات التىحصلتفىفلسطين، ولاسيما وأنه لم يعين حدا للوطن القومى اليهودى بل تركه مفتوحا ، وهذا يعنى ، بمفهوم المخالفة — كما يقول رجال القانون — القبول بوعد بلفور واقامة الوطن القومى اليهودى ، على أن يحدد هذا الوطن ولايترك مفتوحا . اى من غير تحديد ! وهذا بالضبط هو موقف حزب الدفاع الذى اتبعه وعمل من اجله ، منذ البداية، موقف القبول بوعد بلفور ، واقامة وطن قومى لليهود فى جزء من فلسطين ، وضم الجزءالباقى الى شرق الاردن ، وتأكد موقفهم هذا من قبولهم وتأييدهم لمشروع لجنة بيل عن التقسيم ، بالرغم من أنهم عادوا فأنكروا ذلك ، تحت ضغط الاستنكار الجماهيرى لموقفهم ، وبعد أن اتجه الانجليز الى سحب مشروع التقسيم بسبب استمرار الثورة المسلحة وازدياد فاعليتها ، ومعروف ان زوج نائب رئيس الحزب كتبت كتابا أيدت فيه مشروعا آخر للتقسيم ، وضعه وايزمن[١٦]. وكان انسحاب الدفاعيين مناللجنة العربية العليا قبل بضعة ايام من صدورقرارات لجنة بيل دليلا آخر على موقفهم من تأييد هذه القرارات ، اذ كان هدف الانسحاب هو اضعاف الجانب العربى ، والتبرؤ من معارضته للتقسيم وافشال سعى الوطنيين لمعارضة التقسيم ، وكان انسحاب الدفاعيين من اللجنة العربية ، تعللا باسباب واهية [١٧] ، وتغطية لحقيقة موقفهم المؤيد للتقسيم ، هذا بينما عارض الشعب بشدة مشروع التقسيم ، وعاد فأعلن الثورة من جديد، ولكن نطاق الثورة ، فى هذه المرة ، كان اوسع، وكان تنظيمها ادق ، وكانت عزيمة الثوار اقوى واشد ، فقد تولى فلاحون عاديون مسئوليات القيادة العسكرية والسياسية فى مناطقهم ... وهنا تبدأ مرحلة الصراع الحقيقى مع قوى الثورة المضادة ، مع رجال حزب الدفاع بالذات.

مع انفجار الثورة من جديد ، وتجدد العمليات المسلحة ، شنت السلطات البريطانية حملة أرهاب واسعة النطاق ضد الثوار ، وضد قيادات الثورة ، وهنا اخذالدفاعيون — كما يقول أنيس صايغ — يحرضون السلطات ضد اللجنة. واخذوا يعاونون السلطات فى تعقب افراد اللجنة حتى حلت تلك السلطات اللجنة وسجنت

---

[١٤] نفس المرجع ، ص ١٣٧

[١٥] محمد توفيق جانا : مرجعسابق ، ص ٢٢٨

[١٦] صايغ ، مرجعسابق ص ١٣٤ . وفى موقف حزب الدفاع من مشروع لجنةبيل ، انظر نفس المرجع ، ص ١٤٧، وكذلك ، دروزه : مرجع سابق ، ص١٦١ ، واماكن اخرى .

[١٧] صايغ ، مرجع سابق ، ص١٥٢.

مَن لم يهرب من زعمائها ، ولايستنكف هؤلاء عن اصدار بيان يستنكرون فيه اجراءات السلطة ، ولكنهم يفضحون انفسهم وموافقتهم على هذه الاجراءات ، حين يصفونها بأنها « اكثر مما تقتضيه الحالة» [١٨]. ويبقى بعد ذلك ان حملة الارهاب لم تنل احدا من الدفاعيين وانصارهم .

وشككت هذه العناصر فى جدوى المقاومة المسلحة بدعوى انها ضارة بمصلحة البلاد ، ووصفتها بأنها عمل شخصى وحزبى ، وساهمت عناصر الثورة المضادة فى الوشاية بالثوار ، والارشاد عنهم ، وعن مخازن اسلحتهم ، وامام هذا الموقف ، لم يجد الثوار بدا من اللجوء الى استخدام اسلوب القصاص والاغتيال .. وعند الضرورة يكون الاغتيال اسلوبا ثوريا ، واغتيل حسن صدقى الدجانى وغيره من مخاتير [أى عمد] بعض القرى ممن كانوا ينتسبون الى الفئة المعارضة [١٩].

وفى الشهور الاخيرة من عام ١٩٣٨ ، بدأت عوامل الضعف تدب فى قوات الثوار ، بتأثير عوامل عدة ، وفى هذه المرحلة بالذات ،وصلت القيادات الانتهازية الرجعية الى قمة الخيانة والتواطؤ مع قوى الاحتلال ، وايا كانت درجة الموضوعية فلن نستطيع ان ندخل على الاعمال التى سنذكرها حالا الا فى اطار الخيانة ،ولايمكن الادعاء بأنها نوع من الاجتهاد الوطنى ، أو الاعتدال ، وعدم التطرف .

فى نوفمبر ١٩٣٨ ، نشرت صحيفتا «التايمز» اللندنية ، و « بالستين بوست » التى كانت تصدر بالانجليزية فى فلسطين حينئذ ، صورة مذكرة تقدم بها **فخرى النشاشيبى** احد سكرتيرى حزب الدفاع للمندوب السامى البريطانى ، جاء فى هذه المذكرة ان ٧٥٪ من مصالح فلسطين واكثر من ٥٠ ٪ من سكانها ممثلون فى حزب الدفاع ..

ومضى النشاشيبى يقول ان هؤلاء [اى اصحاب المصالح الحقيقية !] مستعدون للتعاون مع الحكومة الانجليزية لايجاد السلام اذا استطاعت ان تضمن لهم جوا من الامن والطمأنينة ، كما أنهم يتوقون الى التفاهم مع اليهود والمعيشة معهم بسلام .

اثار نشر هذه المذكرة عاصفة احتجاج واستنكار قوية فى فلسطين ، وفى دول عربية اخرى ، فقد كانت المذكرة من النوع الذى لايمكن السكوت عليه ، وكان مستوى الاستنكار على قدر ما فى المذكرة من « خيانة » ، حتى ان **راغب النشاشيبى** — رئيس حزب الدفاع — اضطر بتأثير موجة الاحتجاج الى ارسال برقية [٢٠] الى « التايمز » قال فيها : « ان مانشر فى جريدتكم عن فخرى النشاشيبى لايتفق فى شىء مع آرائى ولا مع آراء ومبادىء حزب الدفاع الذى اتشرف برئاسته » [٢١] .

ولم تكن هذه المذكرة نهاية المطاف فى الدور الذى قام به فخرى النشاشيبى ومن معه من عناصر الثورة المضادة ، لعبوا جميعا دورا اكبر فى انشاء ما اسموه « فرق السلام » وهى فرق مسلحة ، تكونت بالتعاون بين هؤلاء وبين الانجليز، وساهمت فى مطاردة الثوار والاشتباك معهم ، وزحزحتهم عن بعض المواقع التى كانوا يسيطرون عليها .

كان فخرى النشاشيبى ابرز من ساهموا فى تكوين هذه الفرق ، وتسليحها، وتوجيه نشاطها، وكان ذلك ابرز تعبير عن معارضته للثورة ، وخروجه على الخط الوطنى ، مما ادى الى مقتله بعد انتهاء الثورة بعدة أشهر [٢٢] .

ولاشك ، ان القيادة السياسية ، التى وضعت الظروف بين يديها مهمة تسيير الثورة ، تتحمل نصيبا كبيرا من الاسباب التى حالت بين الثورة الطويلة والرائعة وبين تحقيق اهدافها الحقيقية ولكن مثل هذه القيادة لم يكن فى مقدورها — بحكم مصالحها ومواقعها الطبقية وتكوينها الفكرى — ان تفعل غير ما فعلت ، ولذلك فلا محل للقول بأن « ايمان الزعماء والرؤساء وحماسهم وتضامنهم لو كان اقوى واصدق لوقع من العجائب اضعاف ما كان » [٢٣]. فالحادثة التاريخية وقعت وانتهت ، وهى تملك منطقها الذاتى الذى يفسرها .. ولكنه لايبررها ، وتفسير احداث الماضى مصدر للاستفادة منه فى رصد حركة الحاضر وفهمها ، وما اكثر ما يمكن ان نستفيده — فى هذه الظروف بالذات — من تفسير عجز قيادة ثورة ١٩٣٦ عن الارتفاع الى مستوى المرحلة ، وانحدار بعض فصائلها الى حد الخيانة.

---

[١٨] دروزة ، مرجع سابق ، ص١٥٧
[١٩] نفس المرجع ، ص ٢١٨
[٢٠] نقلا عن نفس المرجع ، ص٢٣٧
[٢١] انظر نص البرقية فى الكيالى ،مرجع سابق ، ص ٦٢٥ — ٦٢٦
[٢٢] انيس صايغ ، مرجع سابق ،ص ١٥٣
[٢٣] هذه العبارة لمحمد عزة دروزة.

الثــورة والوطــن العــربى



ثروت كاتبــة

« ... وقد تقدم اصحاب النوايا الحسنة من الملوك والامراء العرب ، وذوى المقامات العالية فى البلاد المجاورة ، فأعربوا — من حين لاخر — عن رغبتهم فى استعمال نفوذهم لمحاولة الوصول الى مســألة » ! ! [١] هـــذا ما تقوله الوثائق البريطانية ، وهو يلخص موقف ملوك وأمراء الدول العربية من ثورة ١٩٣٦ ، وان كان هذا لا ينطبق على **غازى بن فيصل** ، ملك العراق آنذاك ، الذى مد يد المساعدة للثوار بالمال والسلاح ، واقام للثورة اذاعة كانت تبث من قصره فى بغداد ، وكان جزاؤه القتل فى مؤامرة غامضة دبرها له الاستعمار البريطانى ، بعد ان ضاق ذرعا بأعماله ومواقفه .

أما موقف الشعوب العربية فقد كان متناقضا تماما مع موقف الملوك والرؤساء العرب ، وهذا المستر ريد ، أحد أعضاء **لجنة وودهيد** ، يقــرر « ان اعلان سياسة التقسيم قد حول الاضطرابات فى فلسطين الى ثورة عربية قومية » [٢] والواقع أنه ما ان انفجرت الثورة فى فلســطين ، حتى سارع المئات من ابناء سوريا والاردن والعراق ولبنان ومصر ، الى حمل السلاح والانخراط فى الثورة ... فكان أن دخل **الشيخ محمد الاشمر** فلســطين على رأس مجموعـــة من المتطوعين السوريين ، ومثله فعل **سعيد العاص** ، والذى لعب دورا كبيرا فى تنظيم قوات الثورة فى منطقة القدس واســـتشـــهد فى الســـادس من اكتوبر [تشرين الاول ١٩٣٦] ، كما شارك **الاغوانى** ، من سوريا ، بأهازيجه وزجله فى النشاط التحريضى والاثارى فى الثورة ، وكان له فى كل مناســـبة اهزوجة كانت ترددها ارجاء فلسطين مع اذاعة دمشق ، وكانت اسطوانات الاغوانى تسمع فى كل قرية على [الفونوجراف] . وها هو الاغوانى بعد صدور تقرير لجنـــة بيل ، يغنى اهزوجـــة كاريكاتيرية ، يقول فيها على لسان الصهيونيين :

يا حاجى لا تحوجنا
واحنا دبرنا العجنه
اقبل مشروع اللجنة
ومن جنابك ممنونين

والحاجى هنا هو **الحاج امين الحسينى** رأس

[١] عيسى السفرى [فلسطين العربية بين الانتدات والصهيونية] ، من قرار تكليف لجنة بيل ، ص ٣٩ .
[٢] اكرم زعيتر [القضية الفلسطينية] ص ١٢٩ .

الحركة الوطنية الفلسطينية آنذاك ، والعجنة يقصد بها المؤامرة ، ويقصد بـ [مشروع اللجنة] مشروع تقسيم فلسطين الذى اقترحته **لجنة بيل** .

ولا يمكننا ان نتجاهل اتخاذ الثوار الفلسطينيين لسوريا قاعدة لهم ، حيث كانت فيها لجنتهم المركزية ، والقيادة العامة للثورة ، ومن اذاعتها كانوا ينشرون بياناتهم ، ومن اراضيها طالما تدفقت الاسلحة والذخائر والرجال والامدادات .

كما دخل الى فلسطين ، فى المرحلة الاولى من الثورة ، **فوزى القاوقجى** ، وهو لبنانى من طرابلس الشام ، دخل البلاد على رأس بضع مئات من المتطوعين العراقيين ، وان كان قد عاد وانسحب من فلسطين ، استجابة لنداء **الامير عبد الله** ، فى اكتوبر ١٩٣٦ .

ومن ابناء مصر كان **الشيخ محمد حنفى احمد** قد شارك فى الكفاح المسلح عام ١٩٣٥ مع **الشيخ عز الدين القسام** ، وساهم فى ثورة ١٩٣٦ بنصيب ملحوظ ، كما ان **محمد المصرى** شارك فى النضال السياسى ، ابان ثورة ١٩٣٦ ، من تهييج واثارة ، وكان محمد المصرى قد خرج من مصر فى اعقاب ثورة ١٩١٩ المصرية ، وهو الذى نشر فى جريدة فلسطين الزجل ، الاثارى ضد السلطات البريطانية ولجنة بيل .

وهذه عمان ودمشق وبيروت وبغداد تعلن الاضراب ، اكثر من مرة ، وتنظم المظاهرات العديدة ، لشد ازر شعب فلسطين فى ثورته .

وفى مصر نشطت الحركة المؤيدة للثورة الفلسطينية فى الاوساط الشعبية ، بالرغم من عدم تدخل الحكومة المصرية ، آنذاك ، لصالح عرب فلسطين ، وهو ما يؤكده المرحوم **محمد حسين هيكل** [**باشا**] فى مذكراته ، وهو يبرر عدم التدخل ، هذا بالعمل على عدم اغضاب بريطانيا اثناء محادثات معاهدة ١٩٣٦ المصرية - البريطانية ، والتى كانت قد سميت ، فى حينها ، [معاهدة الشرف والاستقلال] .

دور نورى السعيد

حضر **نورى السعيد** ، وكان وزيرا للخارجية العراقية ، الى فلسطين ، مرتين ، كانت اخرهما فى ٢٦ اغسطس [آب] ١٩٣٦ ، وقد توصل فى المرة الثانية الى اتفاق مع **اللجنة العربية العليا** على وقف الاضراب مقابل منع الهجرة مؤقتا ، وقيام « حكومة العراق بالسعى لدى بريطانيا لانجاز مطالب فلسطين المشروعة » و « تصفية الثورة على اساس الغاء الغرامات .. ووقف عمليات التفتيش .. واطلاق سراح المعتقلين .. والعفو العام عن المتهمين بحوادث الثورة » . [٣]

وقد كشف النقاب ، فى ابريل [نيسان] ١٩٣٨ ، عن مشروع كان قد عرضه نورى السعيد على المندوب السامى البريطانى آرثر وكهوب ، بهدف تصفية قضية فلسطين لصالح الاستعمار البريطانى والهاشميين ، ويقضى المشروع ، باقامة الوطن القومى اليهودى فى جزء من فلسطين حالما يلقى العرب سلاحهم ، ويكون هذا الوطن ضمن مملكة متحدة ، تتكون من فلسطين وشرق الاردن ، ولا تتعدى نسبة اليهود فى هذه المملكة عن ٥٠٪ من مجموع السكان ، وتشرف انجلترا على هذه المملكة ، مقابل ضمان مصالحها فى حيفا . [٤]

موقف شرق الاردن الشعبى « ★ »

بالرغم من تباين ردود افعال ثورة ١٩٣٦ فى البلاد العربية ، الا اننا لا نستطيع الا ان نسجل ذلك رد الفعل الشعبى المجيد ، الذى احدثته ثورة ١٩٣٦ ، فى شرق الاردن .

ففى ٧ يونيو [حزيران] ١٩٣٦ ، وبدعوة من **حزب اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطنى** ، وبدون علم **الامير عبد الله** ، عقد مؤتمر شعبى كبير فى قرية [**أم العمد**] الاردنية ، وفى هذا المؤتمر جرى جمع السلاح والمال وتجنيد المتطوعين للقتال الى جانب الثوار الفلسطينيين ، كما ارسل المؤتمر مذكرتين ، اولاهما لوزارة الخارجية البريطانية ، وقد ندد فيها بسلوك بريطانيا فى فلسطين ، اما المذكرة الثانية فقد ارسلت الى الامير عبد الله ، وقد طالب فيها المؤتمرون الامير بالتدخل فعليا فى القضية الفلسطينية ، لحلها بما يتلاءم مع الامانى القومية .

ولاجهاض محاولات تجنيد الاردنيين ، عمد **الامير عبد الله** ، الى فتح مجال التطوع فى الجيش

[٣] من بيان اصدرته اللجنة العربية العليا بخصوص زيارة نورى السعيدلفلسطين ، أورده صبحى ياسين فى كتابه [الثورة العربية الكبرى] ص ٥١

[٤] أنيس صايغ [الهاشميون وقضيةفلسطين] ص ١٣٣ - ١٣٦ - صلاح الدين مختار [تاريخ المملكة العربية السعودية] جـ ٢ ص ٥٢٨

[★] لمزيد من التفاصيل ارجع الى ،كامل خله [التطور السياسى فى المملكةالاردنية ١٩٢١ - ١٩٤٨] ، دراسة ماجستير ، جامعة القاهرة

الاردني بمرتبات مغرية ، ثم مالبث أن منع تسلل الاردنيين الى فلسطين ، وحرم الاجتماعات السياسية ، كما اعتقل كل الذين حضروا مؤتمر **بلودان** ، الذى عقد — فيما بين ٨ و١٠ سبتمبر [ايلول] ١٩٣٧ — بهدف مؤازرة شعب فلسطين فى ثورته .

وكان اطباء شرق الاردن يقومون بتمريض الجرحى الفلسطينيين ، الذين كانوا يفدون الى شرق الاردن طلبا للراحة والعلاج .

ولم يكتف الشعب الاردني بذلك ، بل صعد اشكال نضاله ، وتفجرت المظاهرات في عمان تأييدا للثورة والقيت القنابل ، وقطعت خطوط التليفونات ، ونسف خط انابيب بترول كركوك — حيفا عدة مرات ، ووزعت منشورات تحض الشعب الاردنى على الثورة ضد الحكم القائم باعتباره حكما استعماريا ، ومنذ اواخر ١٩٣٧ وطوال عام ١٩٣٨ ، وبهدف تخفيف الضغط على الثورة الفلسطينية ، نفذت العناصر الثورية الاردنية بعض العمليات العسكرية فى شرق الاردن ، وهاجمت دور الحكومة في اماكن ومدن متفرقة ، واستولت على بعض الاسلحة والخيول ، مما دفع الاستعمار البريطاني الى تعزيز قواته في شرق الاردن بالجنود والطائرات ، واعتبرت قيادة الجيش البريطاني ضفتى الاردن — منذ يوليو ١٩٣٨ — منطقة عسكرية واحدة . كما عززت حكومة شرق الاردن جيشها وشرطتها ، وحظرت حمل الاسلحة والمفرقعات ، واكثر من مرة ، وفى اكثر من مناسبة ، اثنت الحكومة البريطانية على اخلاص الحكومة الاردنية لها وسهرها على مصالحها ! !

اما الثوار الفلسطينيون فقد اخذوا يهاجمون بعض مراكز القوات الاردنية المتاخمة لفلسطين ، بقصد الحصول على السلاح والذخيرة .

الموقف الرسمى

فى العاشر من يوليو [تموز] ١٩٣٦ ، ارسل **الامير عبد الله** ، أمير شرق الاردن . كتابا الى المندوب السامى البريطانى فى فلسطين [**السير آرثر ويكهوب**] ، أكد فيه انه كان يهدف من رسائله السابقة « توفيقكم ، وسلامة العرب فى وطنهم ، وعدم حرمان اليهود من مكتسبهم . » . ويشكو الامير من الصعوبات التي يكابدها « فى سبيل السلام فى شرق الاردن ، بينما الصرخات فى فلسطين تشق مسامع الامة كل يوم ، ورسائل الاستفزاز تتطاير بيننا ، والمتحمسون يستغلون فى تحريك عواطفها عن شتى الطرق من دينية وعنصرية » ؟ ويؤكد الامير للمندوب السامى : **ان مؤتمر ام العمد** الذى ترأسه **مثقال الفايز** « كاد ان يضم اليه مشايخ البلاد كافة ، فحلت بين مدبريه وبين حشد المشايخ اليه » ، وينصح الامير المندوب السامى البريطانى « انه كلما اشتدت الوطأة العسكرية ازدادت معها الاستماتة القومية » ، ويبرز الامير فى كتابه كون فلسطين « تشكو الهجرة اليهودية وطغيانها » ، ويحث الامير المندوب السامى على ضرورة التعجيل باستقدام لجنة ملكية لتقصى الحقائق فى فلسطين ، « فان الدعاية ضدها تتفاقم باستطالة الوقت » . ويطلب الامير الى ويكهوب « المبادرة ، وسعة الصدر ، ومعاملة المذعور المهتاج بما يخفف ذعره وهياجه » . [٥]

وفى ٦ يونيو [حزيران] و٧ اغسطس [آب] عام ١٩٣٦ اجتمع الامير عبد الله فى عمان بالمندوب السامى البريطانى على فلسطين، واجتمع بعد ذلك بمندوبين عن اللجنة العربية العليا ، وطلب اليهم القاء السلاح ،فرفض هؤلاء واشترطوا للاقدام على ذلك، وقف الهجرة اليهودية ، واتصال الانجليز بهم مباشرة .

وفى الخامس والعشرين من سبتمبر [ايلول] ١٩٣٦ ، ارسل الامير عبد الله برقية الى الملك **عبد العزيز آل سعود** ، ملك المملكة العربية السعودية ، ذكره فيها بكون الاخير كان قد اقترح « اصدار نداء مشترك يدعو الناس الى السكينة واستئناف الأعمال » ، « وقد ايدنا الاقتراح بدورنا ، وتلقينا أمس كتابا من المندوب السامى يتضمن عدم اعتراضه على صدور نداء ليس فيه ما يطمئن العرب على حقوقهم وكيانهم ينتهى بالفشل ، لذلك وضعنا صيغة تطمئن العرب على حقوقهم وكيانهم ، نحاول الان ان تقبله السلطات البريطانية » [٦] .

ويلحق الامير برقيته هذه برسالة اخرى يذكر فيها للملك عبد العزيز « ان بريطانيا لا تنوى عمل اى شيء قبل ان يكف العرب عن الاضراب والاضطراب ، اما زعماء فلسطين فيصرحون انهم لا يستطيعون النكول [اى التراجع] عن موقفهم الحاضر حتى يروا من بريطانيا العظمى ما يدل على تغيير السياسة فى فلسطين ، تغييرا اساسيا ، تظهر بوادره بوقف الهجرة » . ويوضح الامير فى رسالته هذه ، انه كان قد شد من ازر عرب فلسطين ، « الى ان تغير الموقف بارسال نجدات جديدة » ، « فأصبح من المهم لى شخصيا

---

[٥] كامل خله [التطور السياسى فى المملكة الاردنية] ، وثيقة رقم ٦ ، ص ٤٥١ — ٤٥٤ .
[٦] المصدر السابق — وثيقة رقم ٧ ، ص ٤٥٤ .

ان افهم العرب خطورة الموقف » . ثم لا يخفى الامير تلهفه على ضرورة قبول اللجنة العربية العليا مفاوضة لجنة التحقيق ، ويشير الامير الى ما كان قد ورد فى رسالة كان قد ارسلها له الملك عبد العزيز بتاريخ ١٩٣٦/٧/١٣ ، وكان الملك قد طلب فيها الى الامير الموافقة على توجيه نداء عام ، بالاشتراك مع **الملك غازى والامام يحيى** [**اليمن**] ، يدعون فيه أهل فلسطين الى انهاء الاضراب « لينفسحوا للحكومة البريطانية المجال لانصافهم .. ويكون لنا وجه عند الحكومة البريطانية فى رجائها بقبول مطالب أهل فلسطين وانصافهم » . [٧]

ويعترض المعتمد البريطانى فى شرق الاردن على عبارة « **تضمن انجلترا حقوق العرب** » ، التى وردت فى مشروع النداء الذى كان سيوجهه الملوك والامراء العرب الى عرب فلسطين ،ويطلب الى الامير عبد الله — فى ٣٠ سبتمبر [ايلول] ١٩٣٦ — الاشتراك مع الملوك العرب فى توجيه نداء الى عرب فلسطين لانهاء الاضراب وايقاف الاضطرابات ، وفعلا انتهى الامر الى ان وجه الملوك والامراء العرب نداء الى عرب فلسطين ، دعوهم فيه الى « الاخلاء للسكينة حقنا للدماء ، معتمدين على حسن نوايا الحكومة البريطانية ، ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل » ! !

واستجابت اللجنة العربية للنداء ، واوقف الاضراب فعلا ، وعندما قررت اللجنة العربية مقاطعة لجنة بيل ، مارس الامير عبد الله عليها الضغط لدفعها الى المثول امام لجنة التحقيق ، فهدد اعوانه ، أى حزب الدفاع الفلسطينى، بقية حلفائهم فى اللجنة العربية العليا بالمثول وحدهم امام لجنة التحقيق ،ان اصرت اللجنة على المقاطعة، مما دفع بقية اعضاء اللجنة الى الاذعان لرغبة عبد الله وحزب الدفاع حفاظا على وحدة الصف !!

ودعا تقرير لجنة بيل ، الذى صدر فى السابع من يوليو [تموز] ١٩٣٧ ، الى تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، فرحب الامير بالمشروع ، فى حين رفضه عرب فلسطين .

وفى مواجهة مشروع نورى السعيد ، تقدم الامير عبد الله بمشروع آخر الى السيد **هارولد مكمايل** ، المندوب السامى البريطانى ، لا يختلف عن مشروع نورى السعيد الا فى كونه يعطى حكما ذاتيا لليهود ، ويفتح لهم باب الهجرة الى الاراضى التى سيحكمونها ذاتيا ، مع بقاء الجيش البريطانى فى البلاد عشر سنوات ، الا ان **اللجنة العربية العليا** رفضت المشروع ، كما رفضته الحركة الصهيونية ، فى حين ايده حزب الدفاع ، واخذ اعضاؤه فى جمع توقيعات وجهاء فلسطين تأييدا لهذا المشروع

وحدث عندما نشر تقرير **لجنة وودهيد** ، والذى يقضى بتقسيم فلسطين ، ان رفضه الامير عبد الله ، وربما جاء رفضه له لكونه لا يقضى بضم القسم العربى من فلسطين الى امارته

وعقد **مؤتمر المائدة المستديرة** فى لندن ، فى فبراير ومارس [شباط وآذار] ١٩٣٩ ، وضم وفودا تمثل عرب فلسطين والحركة الصهيونية وحكومات مصر وشرق الاردن واليمن والسعودية والعراق ، بالاضافة الى الحكومة البريطانية ، واصدرت بريطانيا فى اعقاب فشل هذا المؤتمر [كتابا ابيض] ، فى ١٧ مايو [آيار] ١٩٣٩ ، تعهدت فيه بانشاء دولة فلسطينية مستقلة ، عربية — يهودية ، فى مدى عشر سنوات ، ترتبط بمعاهدة مع بريطانيا ، وقد رفضت الحركة الصهيونية هذا الكتاب ، واعتبرته تراجعا عن وعد بلفور ، كما رفضه عرب فلسطين ، لانه لم يحدد المرحلة الانتقالية التى تنتهى بالاستقلال ، ولان الحكومة الوطنية كانت ستتألف فى نهاية مرحلة الانتقال ، كما سيظل البريطانيون هم المنفذون فى المجلس التأسيسى ، ولان الغموض لف موقف الكتاب الابيض من مسألتى الهجرة اليهودية وبيع الاراضى لليهود ، واخيرا لان تنفيذ المشروع ربط بموافقة الحركة الصهيونية عليه ، هذا فى حين أيده الامير عبد الله .

وقد ساهم الامير عبد الله فى خنق الثورة ، بمنعه وصول السلاح الوارد اليها من العراق ، وسلم اثنين من مجاهدى فلسطين ، عام ١٩٣٩ ، الى سلطات الانتداب بفلسطين ، وكان هذان المجاهدان قد التجآ الى شرق الاردن ،وقد اعدمتهما سلطات الانتداب فى فلسطين ، وكان احدهما القائد الشهيد **الشيخ يوسف ابو درة** ، وبذا استحق الامير عبد الله شكر بريطانيا الرسمى اكثر من مرة على جهوده والمساعدات التى قدمها لها ابان ثورة ١٩٣٦ .

ومهما يكن من أمر ، فان الوضع العربى يؤثر، سلبا وايجابا ،على مسار حركة النضال الفلسطينى، وهذا ما اكدته ثورة ١٩٣٦ ... فحركة التحرر الوطنى الفلسطينى جزء من حركة التحرر العربية، ومحاولات فصلها بالتستر تحت شعارات « عدم التدخل فى الشئون الداخلية للبلاد العربية » ، وما اليها من الشعارات الاقليمية ضيقة الافق ، تريد ان تصل بالقضية الفلسطينية الى متاهات الطرق غير المأمونة .

---

[٧] المصدر السابق ، وثيقة رقم ٨ص ٤٥٥ — ٤٥٦ .



دروس وخبرات الثورة

عبدالقادر ياسين

أن تاريخ الهزائم التى توالت على الحركة الوطنية الفلسطينية ، هو تاريخ السياسة الاستسلامية للطبقة شبه الاقطاعية ، التى قادت العمل الوطنى فى فلسطين طوال فترة الاحتلال البريطانى ١٩١٨ — ١٩٤٨ .

ويظهر ذلك جليا فى معرفتنا بأسباب هزيمة الثورة ، والتى أهمها :

— **ضعف تسليح الثوار** ، فى مواجهة جهاز قمع استعمارى ، عريق ، متطور ، وقوى ، بالاضافة الى حرس المستعمرات الصهيونية الجيد التسليح .

— **فقدان الوضوح الفكرى** ، فلا تحديد لمعسكر الثورة ولا لقوى الاعداء ، ووضع اهداف للنضال قاصرة ، واحيانا خاطئة .

— **غياب القيادة الثورية** .

— **عدم وجود قيادة مركزية للثوار** ، وانعدام التنسيق بين مناطق الثورة ، بل وبين فصائلها .

— **تردد وفردية قيادة الحركة الوطنية** .

— تجاهل قيادة الثورة ضرورة الاستجابة للمرحلة النضالية الجديدة ، تلك التى تتطلب **برنامجا اجتماعيا** .

— واخيرا ، **عدم ملاءمة الوضع العالمى** ، حيث كان الاتحاد السوفيتى **لازال محصورا داخل** الستار الحديدى الذى ضربه حوله **الاستعمار** ، ولم يكن قد اصبح قوة عالمية ضخمة **بعد** ، **كما لم** تكن الصين الشعبية قد خرجت للوجود **بعد** ، هى وبقية الدول الاشتراكية ، فى حين كان الاستعمار فى أوج قوته وعنفوانه .

ولعل من المفيد ، عند تحليل واقع حركة النضال الوطنى الفلسطينى ، تقييم تجاربنا النضالية الخاصة ، بعمق وبموضوعية ، واستخلاص الدروس منها ، للافادة فى تعزيز وتطوير نضالنا .

وبكل ايجابياتها وسلبياتها ، قدمت ثورة ١٩٣٦ ، لنا الكثير من الدروس الثمينة ، لعل اهمها :

● اوضحت تجربة الثورة ان على الشعب **الا ينتظر الحصول على اية مكاسب من المستعمرين**، بل يستطيع ، بالنضال وحده ، تحقيق مطالبه واهدافه .

● اكدت التجربة على ضرورة **التحالف مع البورجوازية الوطنية ، وبنفس المقدار اوضحت ضرورة النضال ضد سيادة وقيادة هذه الطبقة المترددة** ، فالبرجوازية الوطنية ، الضعيفة اقتصاديا وسياسيا ، والتى تحافظ على علاقات متينة مع الاقطاع، **تخشى الجماهير اكثر مما تخشى الاستعمار** ، وينشأ هذا الخوف — اساسا — عن ضيق أفق هذه الطبقة ، وتعصبها الشوفيني ، ونزعتها المحافظة ، وأوهامها ، وخوفها الشديد من التغيير الاجتماعي ، والى حدما — ايضا — من المواقف الانعزالية للحزب الشيوعى .

وقد اعتادت البرجوازية الوطنية الفلسطينية ، ان تلجأ فى نضالها ضد هذه الدولة الاستعمارية أو تلك ، الى السعى للحصول على مساندة دولة استعمارية اخرى . ففى اثناء الحرب العالمية الاولى لجأت الى الاستعمارين الانجليزى والفرنسى من أجل التخلص من الاحتلال العثماني ، وفى اثناء ثورة ١٩٣٦ لجأت بعض عناصر قيادة الحركة الوطنية ، وبالذات **الحاج أمين الحسيني** ، الى المانيا النازية ، وقبلها الى الاستعمار الفرنسى ، للاستعانة بهما ضد الاستعمار البريطانى فى فلسطين ، وبمجرد ان التقت مصالح الاستعمارين البريطانى والفرنسى ، بدأ الاخير فى مطاردة الثوار الفلسطينيين فى سوريا ولبنان ، واغلق الحدود مع فلسطين ، ولعب دورا كبيرا فى خنق الثورة .

ولم تستفد القيادة من دروس الحرب الاولى ، حيث أخل الانجليز والفرنسيون بكل العهود التى قطعوها على انفسهم للعرب ، بل ورثوا الاحتلال العثمانى فى البلاد العربية ، كما لم تستفد قيادة الحركة الوطنية مما كان قد حدث للحركة الوطنية المصرية فى مطلع القرن الحالى ، حين عول **مصطفى كامل** كثيرا على التناقض القائم بين الاستعمارين الفرنسى والبريطانى ، ثم فجأة وقعت فرنسا مع انجلترا **الاتفاق الودى** عام ١٩٠٤ ، والذى تعهد فيه الاستعمار الاول للاستعمار البريطانى ، بعدم مد يد المساعدة للحركات الوطنية التى تقوم فى المستعمرات البريطانية ، ومن جملتها مصر .

● اذا كان المثقفون يحتلون موقعا هاما فى النضال فى البلدان الرأسمالية المتطورة ، فان دورهم وموقفهم السياسى لهما اهمية اكبر فى البلدان النامية الاقل تطورا ، ومن ثم لابد من ايلاء اهمية قصوى للعمل بين المثقفين ، وبصورة خاصة بين الطلاب ، وهذا درس اخر من دروس ثورة ١٩٣٦ .

● ان الانتصارات التى احرزتها الثورة ، فى بدايتها ، كانت أمرا غير منتظر من قبل الاحتلال البريطانى والصهيونيين وقوى الثورة المضادة ، بل ومن معظم قطاعات الحركة الوطنية نفسها ، وبات هذا الانتصار غير المنتظر مصدرا من مصادر قوة الثورة ، وعاملا من عوامل ضعفها ، فى نفس الوقت ، ولقد تحطمت الهجمات الاولى للقوات البريطانية والصهيونية ، ولكن وتيرة واتجاه الثورة لم يلبثا ان تغيرا ، وضللت قيادة الحركة الوطنية جماهير العمال والفلاحين بديماجوجية محمومة ، اوصلت الثورة الى المتاهات .

وتثبت خبرة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ أنه كان من الضرورى خوض نضال لا هوادة فيه ضد تمييع الثورة ، اذ كان يجب **عزل اليمين** عن موقع القيادة ، الذى يحاول ، بالتسربل برداء الثورة ، افراغ الثورة من محتواها الديمقراطى ، **فالنضال ضد يمين الثورة ودحره على الصعيد السياسى والفكرى** هو من المهام الرئيسية لكل حركة ثورية عموما ، وبشكل خاص فى حركات التحرر الوطنى .

لقد كان من الواجب اقصاء الطبقة شبه الاقطاعية — شبه البرجوازية ، نهائيا عن قيادة الحركة الوطنية ، وكما اثبتت ثورة ١٩٣٦ ، وما قبلها من هبات ثورية وانتفاضات ، ان الطبقة العاملة ، وحدها هى القادرة على قيادة الثورة الوطنية وايصالها الى بر الامان ، فهى الطبقة الاكثر ثورية والاطول نفسا فى النضال .

ولم يتح النصيب الذى ساهم به العمال والفلاحون فى المعارك الثورية ، لهم ان يلعبوا فى الثورة دورا هاما ، فقد كانت تنقصهم طليعة سياسية ومجربة وثورية ، كما ان تخلف **الحزب الشيوعى** تنظيميا وفكريا ، ساعد موضوعيا على عدم تحقيق تعاظم الدور النضالى للطبقة العاملة على مسار الحركة الوطنية الفلسطينية ، وبالرغم من كل شيء ، فان هذا التدخل العمالى والفلاحى قد فرض على القيادة مواقف اكثر تشددا وتقدما من المواقف التى تفرضها على القيادة طبيعتها ومصالحها الطبقية .

● « **عدم التلاعب أبدا بالانتفاضة ... مع** السير بها حتى النهاية » ، هذا ما سبق ان اكده اثنان من اكبر مهندسى الثورة الاشتراكية فى العالم ، وهو مالم يتمثله قادة الثورة .. فهم قد اوقفوا الاضراب ، ثم عادوا وامتنعوا عن لقاء **لجنة بيل** ، ثم انكفأوا ومثلوا امامها ، ثم ما لبثوا ان انزلقوا الى مائدة المفاوضات مع الاستعمار البريطانى **فى مؤتمر لندن** .

● وأبانت الثورة ان **الوحدة والتنظيم** عاملان اساسيان من أجل النجاح ، وكما ان تطور الاحداث تأثر بشكل حاسم بالتناثر والتشرذم ، فان تحديد اشكال النضال ، والوحدة الصلبة للكادحين فى كل مجال ، والعمل المنظم وارتباطه بالكادحين كان له اثره .. فحيث وقع انقسام فى صفوف الثورة ، وبرز الافتقار الى العمل التنظيمى آلت الحركة الثورية الى الهزيمة .

ومن ثم كان لابد من اعتبار **الوحدة الفكرية والسياسية والتنظيمية ، وتنظيم وتعبئة وتسليح الجماهير** ، المهمة الكفاحية الاساسية للنضال الثورى فى فلسطين .

● اذا كان **نهــوض الجماهير والمد الثورى** يشكلان أهم عناصر وشروط تقدم الثورة وانتصارها ، فان تجربة ثورة ١٩٣٦ اثبتت ان توفر هذه الشروط لا يكفى فى مواجهة عدو قوى ويقظ ، لذا بات من الضرورى ، لاحراز النصر ، توفر عدد مــن الشروط الاخرى ، وفى مقدمتها ، **استعداد اوسع جماهير الطبقة العاملة والفلاحين للمضى فى خط الكفاح السياسى والعسكرى** طويل الامد ، والملىء بالتضحيات الجسام .

● ابرزت الثورة ان النضال يتطلب **صلابة ، وثباتا ، وثقة فى النصر** ، فبالاضافة الى البسالة كانت هناك وقائع عدم ثبات ، وتذبذب من قبل قيادة الثورة ، مكنت الاستعمار والصهيونية وقوى الثورة المضادة من كسب الوقت ورفض تقديم أية تنازلات فى النهاية .

● « **لا ينبغى التردد كثيرا فى اختيار الوسائل الواجب استخدامها** ، سواء كانت شرعية أم لم تكن ، لان من يكسب المعركة فى سبيل الجماهير يكسب الحرب » ، هــذا مبدأ نظرى يدرســه الامبرياليون وعملاؤهم فى مدارس مكافحة الانصار بكولومبيا ، وهو درس استخلصته قوى الثورة المضادة فى العالم ، وجدير بنا ان نفيد منه ، بعد ان كانت ثورة ١٩٣٦ قد اثبتت صحته .

● ولعل من أهم دروس التجربة : **ان الاساليب العنيفة ليست دائما ، واجبة التنفيذ ، كما ان الثورة ليست ممكنة فى كل مرحلة** من مراحل التطور الاجتماعى ، وان حل هذه القضية يجب أن يستند على تحليل الاتجاهات العميقة ، وعلى الظروف الموضوعية للمرحلة المعنية من تاريخ الوطن ، وعلى متطلبات وقدرة البلاد من النواحى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

● كما أبرزت خبرة الثورة ان النجاح يعتمد ، الى حد كبير ، **على اختيار اشكال النضال الملائمة للوضع** ، وعلى **مبادرة الجماهير** وروحها الخلاقة ، فغريزة الجماهير دفعتها الى اختيــار اللحظــة المناسبة لاعلان الاضراب ، ومن بعده العصيان العام ، ثم الكفاح المسلح ، وفى العديد من الحالات كان النجاح يرجع ، بشكل اساسى ، الى تغيير اشكال النضال أو الى الجمع بينها .

● لقد مول الثوار ، بأخطائهم ، الثورة المضادة بالمادة الدعائية ، حيث قام بعض الثوار بتصرفات واعمال أمكن للثورة المضادة استغلالها فى الدس والافتراء على الثورة ككل ، من أجل خلق الاستياء من هذه الثورة فى الاوساط الاجتماعية السريعة التأثر والتردد ، وتشويه صورة الثورة فى أعين الرأى العام فى الخارج .

● وأظهر سير النضال ان **الاساليب الديمقراطية** فى المناقشة ، واتخاذ **القرارات** وانتخاب اعضاء مؤتمر اللجان القومية ، هو **اداة فى تدعيم الوحدة الوطنية** ورفع هيبة **اللجان القومية** ، والالتحام بها ، وتوفير **الضمانات للنصر** .

● انزلقت الثورة الى **ممارســـة الاغتيــال السياسى** ، وكان الاغتيال **هنا سلاحا ذا حدين** ، اذ سرعان ما تلقفته **الثورة المضادة** ، **وبدأت** فى اغتيال العناصر الوطنية ، والصاق تلك **الاعمال** بالثوار ، مما ادى الى عزل **الثورة جماهيريا** ، وبالتالى سهل القضاء عليها .

والارهاب غريب كليا عن التاكتيكات الثورية ، وهو يتناقض معها ، **ويضر** بالحركة الشعبية ، اذ « لن نستطيع قتل **النظــام بقتل** القيصر » ، « فبامكانهم دائما **ان يجدوا قيصرا أسوأ** » .

وكما هو معروف ، فللارهاب منبعان ... فمن جهة يستخدمه الاعداء ضد **الثوريين** ولســحق مكاسب الجماهير ، وتبديد الاســتياء الشــعبى المتزايد ، وفى الجانب الآخر يلجأ الى الارهاب أولئك الذين فقدوا الثقة بأنفسهم ومقدرتهم على مواصلة نضال **طويل الامد** ، والارهاب ، فى كلمة واحدة ، عمل انعزالى ، ويتناقض مع مصلحة الثورة .

والاساس الطبقى لهذا النوع من الارهاب قائم فى البورجوازية الصغيرة وعقليتها ، المشبعة بالميول القومية الشوفينية ، والمغامرة

وقد فتحت **هزيمة الثورة** الباب واسعا امام اتجاهات استسلامية واضحة ، واخرى يسارية متطرفة مغامرة ، وهذه الظاهرات هى أخطــر

الظاهرات السلبية واكثرها تفشيا وانتشارا فى تربة الهزيمة ، وقد عرفت مثلهــا كل الحــركات الثورية فى اعقاب كل هزيمة او تراجع مؤقتين .

● « **اذا كان العدو يتعلم بفضلنا ، فيجب ان نراقبه لنتعلم منه نحن ايضا بعض الشىء** » ، هذه بديهية قديمة ، الا ان الثوار الفلسطينيين اداروا ظهرهم لها ، فلطالما استهانوا بالقوى والاساليب الجــديدة للقــوات البريطــانية والصــهيونية ، وواجهوها بصدور مفتوحة وحماس شديد ، الامر الذى ترتب عليه ضرب تجمعات كبيرة من الثوار ، وزادت المصاعب فى وجه اعداد الجماهير لمجابهة الاعتداءات الجديدة ، وقد نجح العدو فى تسريب بعض عملائه الى بعض تجمعات الثوار ، نتيجة الافتقار الى الحذر واليقظــة مما ضــاعف من الأثر التخريبى للعملاء ، فأوقع الثوار فى كمائن ابادت اعدادا كبيرة منهم .

ان المجابهــة اليومية مع قــوات الاحتــلال والصهيونية ، وتتبع تحركات العدو ، ودراسة تاكتيكاته ، كل ذلك كان يمكن ان يكون خير مدرسة كفاحية للثوار ، يقيمون فيها تقييما صحيحا قوى العدو ، ويقارنونها بقواهم ، وبالتالي يجب على كل وحدة مسلحة ان تكون **فكرة دقيقة عن العدو** الذى يتوجب عليهامواجهته ، وأن تحدد اشكال النضال وحجم العمليات وفقا لذلك .

لقد علمت الثورة ــ شأنها شأن كل الثورات الكبرى ــ الاستعمار البريطانىوالصهيونيينوقوى الثورة المضادة الكثير من الدروس ، فقد اصبح بطش وارهاب الاستعمار البريطانى اكثر سفورا ، وازدادت قوة الثورة المضادة وعززت مقاومتها ، وكونت عصابات الاشقياء التى كانت قوى الثورة المضادة قد انشأتها والمسماة [**فصائل السلام**] ، والتى كانت مهمتها الحط من قيمة الكفاح المسلح فى نظر الجماهير ، وذلك بوساطة الجرائم التى ارتكبتها باسم الثورة .

● ومن دروس ثورة ١٩٣٦ انه لابد من ان نأخذ بعين الاعتبار **التقاليد الدينية** ، التى تشكل فى فلسطين ــ ككل البلدان النامية ــ قوة مادية حقيقية .

● لقد بينت الثورة للجماهير **واقعية اهداف النضال** ، وامكانية حسم الصراع ضد الاستعمار والصهيونية لصالح الشعب العربى الفلسطينى ، ووضعت الثورة حدا للقول بعدم وجود مخرج ، وبعدم وجود نهاية لالام الشعب والقهر الذى يمارسه الاحتلال والصهيونية ضد جماهير الشعب الفلسطينى

● انزلقت الثورة الى خطأ عسكرى جسيم ، ذلك انها كانت تخوض مع جنود الاحتلال البريطاني **معارك خنادق** ، مما اعطى قوات الاحتلال الفرصة فى استخدام طائراتهم ودباباتهم ضــد الثوار ، الذين كانوا قليلى الخبرة ، ضــعيفى التســليح والتدريب .

وربما جاء هذا الخطأ من غرور الثوار ، او من تصــورهم ان مبدأ [اضرب واهرب] لا يوافق الشرف والشهامة العربية !

● دللت الثورة ، والبسالة التى ابداها الثوار فيها ، على :

ا ــ ان طاقات هائلة تكمن فى جماهير الشعب ، وعلى ان الثورة باستنادها الى هذه الجماهير قد تمكنت من الصمود والتحــدى ، ومن صــنع بطولات رائعة .

ب ــ ان التجربة الغنية التى اكتسبتها الحركة الوطنية الفلسطينية ، مضافا اليها طاقات الجماهير الخلاقة ، تشكل سلاحا جبارا فى يد الشعب .

● كشفت الثورة عن تقصيرها فى وســائل الاعلام الخارجي ، مما يستوجب بذل الجهد فى المجالات الدولية المختلفة ، الرسمية منها والشعبية ، من أجل **فضح العدو وعزله** ، **وتدعيم** الصديق وتطوير تأييده ، ومحاولة كسب وتحييد القطاعات المضــللة من الجماهير والقوى المؤيدة للعــدو الرئيسى بسبب او آخر ، مع الوعى بان قضيتنا ستحل فى النهاية على ارضنا .

● كان من فوائد الثورة انها دفعت ، موضوعيا وتاريخيا ، بمطلب التحرر من الاستعمار ، الى راس جدول اعمال الحركة الوطنية ، بوصفه المهمة الرئيسية في تلك المرحلة التاريخية ، وقد ســددت الثورة ضربة قاتله لذهنيــة التردد ، والانعزالية ، والنضال السلبى .

وبعــــد ...

اذا كان شعب فلسطين قد خسر ، احد المعارك ، فاليوم تتشابك ايادى وطنيه ويرصون صفوفهم ، تدعمهم وتؤازرهم قوى الثورة العربية والعالمية . وستساهم الدروس والخبرات التى تراكمت خلال النضــال الوطنى ، فى تعزيز نضــال الوطنيين الفلسطينيين .

ان معارك كثيرة تنتظرنا ، وطريق ثورتنا ملىء بالمصاعب ، **لكننا بتنظيم ، وتعبئــة ، وتســليح الجماهير ، وبالجمع بين كافة اشكال النضال ، وتوفير الوضــوح الفكرى للثورة ، ســنتمكن ، بلا شك ، من انتزاع النصر** .



يوميات ثورة ١٩٣٦

● يوم ٢٠ أبريل اجتمع فريق كبير من رجال وشباب يافا فى مكتب لجنة مؤتمر الشباب ، وبعد المداولة قرروا اعلان الاضراب العام ، وأصدروا بيانا بذلك ، كذلك قاموا بانتخاب لجنة قومية للاشراف على الاضراب ، ثم قامت جموع الشعب الغاضبة بمهاجمة اليهود وبيوتهم ، وفى نفس اليوم قام حوالى الف رجل من العصابات الصهيونية من سكان مستعمرة [شابيرا] وماجاورها من المستعمرات ومن تل أبيب بمهاجمة سكنة أبى كبير على أطراف يافا ، ودارت معركة حامية أوقفها البوليس .

● وفى نفس هذا اليوم [٢٠ أبريل] أعلنت السلطات البريطانية فى فلسطين قانون الطوارىء ، واستمر العمل به حتى ١٨ أكتوبر سنة ٣٧ حيث فرض على البلاد الحكم العسكرى .

● وكانت مدينة نابلس من أول المدن التى تجاوبت مع يافا ومع الاحداث ، فعقد بها اجتماع حضره جانب كبير من رجالها ، وتقرر فى هذا الاجتماع اعلان الاضراب العام ودعوة بقية المدن والقرى الى الاضراب وتشكيل لجان قومية وحرس وطنى لتنفيذ القرارات وحراسة الاضراب .

● يوم ٢١ أبريل قابل رؤساء الاحزاب السياسية العربية الفلسطينية المندوب السامى البريطانى ، فابدى لهم أسفه عن الاحداث وأبدوا له أسفهم ، وشرحوا له الحالة !! ، وتقرر تأجيل سفر الوفد الذى كان مقررا سفره الى لندن لبحث الحالة فى فلسطين .

● بلغ عدد القتلى من اليهود والعرب فى أحداث الايام الماضية ، تسعة والجرحى نحو أربعين وأحرق أكثر من أربعين منزلا أغلبها عربية .

● أدلى المندوب السامى البريطانى فى فلسطين يوم ٢٢ أبريل ببيان الى جميع المواطنين دعاهم فيه الى الهدوء ومساعدة البوليس فى حفظ الامن ، وعدم تصديق الشائعات ، كما أدلى [مستر توماس] وزير المستعمرات البريطانى ببيان آخر أكد فيه عزم حكومته قمع كل اخلال بالامن باشد مايمكن ، وقال ان التهديد والاضراب لن يجعلا حكومته تحيد عن سياستها ، وأن حكومته ستعمل القانون ضد كل من يخالفه .

● يوم ٢٤ أبريل [نيسان] دعت لجنة السيارات العامة عامليها الى الاضراب اعتبارا من اليوم التالى .

● تم تشكيل [اللجنة العربية العليا] كجبهة تضم الاحزاب العربية الفلسطينية يوم الخامس والعشرين من ابريل وعقدت جلستها مساء نفس اليوم وأصدرت بيانا للشعب تدعوهم فيه للاستمرار فى الاضراب .

● وبعد اضراب عمال ميناء يافا يوم ٢٧ أبريل شلت حركة النقل فى البلاد برا وبحرا .

● فى مطلع شهر مايو سنة ١٩٣٦ تم بتدبير من الحزب الشيوعى الفلسطينى اشعال حريق هائل فى ساحة الاخشاب بميناء يافا .

● فى السابع من مايو [أيار] سنة ١٩٣٦ — عقد فى القدس فى مبنى كلية روضة المعارف [المؤتمر العام للجان القومية] حضره أعضاء اللجنة العربية العليا ونحو مائة وخمسون مندوبا يمثلون اللجان القومية ، وتمخض المؤتمر عن قرار باعلان العصيان المدنى والامتناع عن الضرائب اعتبارا من يوم ١٥ مايو مالم تستجب مطالب الامة .

● وبلغ عدد المعتقلين العرب حتى اليوم العشرين من الاضراب أكثر من ستمائة رجل .

[*] قام بتجميع المادة عمر عبدالبارى .

● كان يوم ١٥ مايو سنة ٣٦ يوم العصيان المدني في فلسطين .. امتنع الشعب عن دفع الضرائب وعمت المظاهرات أنحاء البلاد واشتبك المتظاهرون مع البوليس . وكانت مظاهرة يافا — بعد صلاة الجمعة — من أعنف هذه المظاهرات.

● أدلى المندوب يوم ١٨ مايو ببيان قال فيه انه يطلب تعيين لجنة ملكية لبحث أسباب القلق والشكوى دون التعرض لنصوص الانتداب .. وقد رفضت اللجنة العربية العليا حل الاحزاب تلبية لهذا البيان .

بداية الأعمال المسلحة

● بعد تنفيذ العصيان المدني أقدم الفلاحون الفلسطينيون على خطوة أكثر تقدما ، اذ هجر عدد كبير منهم أراضيهم وتفرقوا في جماعات مسلحة في الجبال والوديان بادئين الكفاح المسلح ، ووزعت منشورات كتب على رأس كل منها [الثورة العربية الثانية] *

● بلغ عدد القنابل التي القيت يوم ٢٣ مايو سنة ٣٦ في مدينة نابلس على الجنود البريطانيين ١٥ قنبلة .

● عقد في ٢٧ مايو سنة ٣٦ مؤتمر للصحافة العربية الفلسطينية تقرر فيه الاضراب جزئيا والتوقف عن الصدور لمدة ثلاثة أيام .. وتوقفت فعلا مدة أربعة عشر يوما من أول يونيو سنة ١٩٣٦ .

● كان طلاب المدارس من أكثر عناصر الشعب نشاطا وكانوا منذ اليوم الاول للاضراب يقومون بالمظاهرات ويرشقون المسامير في الشوارع .. وفي الاجتماع الذي عقد في ١٠ مايو سنة ٣٦ في يافا أعلنوا اضرابهم . كما أضرب مسجونو [نور شمس] عن العمل في سجنهم ، مما أدى الى مقتل احدهم برصاص ضابط السجن .

● وكان من اهم ماتميزت به ثورة ٣٦ الفلسطينية مشاركة المرأة الفلسطينية ومشاركة الاطفال ، فكان هذا دليلا على عمق الثورة واصالتها في نفوس الشعب .

● يوم ٣١ مايو سنة ٣٦ عقد رؤساء البلديات مؤتمرا سريا [١] في منزل الدكتور سعد الله قسيس رئيس بلدية رام الله وبرئاسته قرروا فيه الاضراب باستثناء عمال النظافة والانارة .. وقد استجاب عمال النظافة وعادوا الى العمل محافظة على الصحة العامة.

● بدأ الثوار أعمالهم المسلحة بنسف الجسور ونزع قضبان السكة الحديد ومهاجمة القطارات ، واتسع نطاق أعمال التخريب التلقائية فشمل حرق البيوت والمتاجر والغابات والمزروعات واتلاف أنواع الاشجار المثمرة ، وقطع خطوط البرق والتليفون ورش الطرق بالمسامير والمواد الحادة ، وسد الشوارع بالحجارة الكبيرة والصخور لقطع وتعطيل المواصلات ومهاجمة المنشآت الانجليزية والمستعمرات الصهيونية .

● أضربت دوائر المجلس الاسلامي الاعلى يوم ١١ يونيو سنة ٣٦ .

● دبج الموظفون الفلسطينيون مذكرتين شديدتي اللهجة الى المندوب السامي البريطاني واحدة من كبارهم والاخرى من صغارهم نوهو فيهما بما لحق شعب فلسطين من مظالم نتيجة لسياسة الوطن القومي اليهودي .. ودعوا الحكومة الى اعادة النظر في موقفها ازاء العرب .

● بدأ البوليس العربي الفلسطيني في التذمر والتحقت جماعات منه بالثوار .. مما دعا السلطات الى محاولة استرضائه وابعاده عن أعمال مطاردة الثوار العرب .

● جرت محاولة للثوار لاغتيال المندوب السامي البريطاني يوم ١١ يونيو سنة ١٩٣٦ .

● دارت بين الثوار وقوات الاحتلال معارك يصعب حصرها انتصر الثوار في كثير منها رغم الفرق الكبير بين القوتين في الاعداد والتسليح .. نذكر بعضها:

— معركة [نور شمس] ٢٣ يونيو [حزيران] سنة ٣٦ . هاجم الثوار قافلة صهيونية تحرسها قوات الاحتلال في الجبال بين عنبتا ونور شمس ، وبعد بدء المعركة حضرت قافلة صهيونية أخرى وقوات انجليزية من بينها طائرة واستمرت المعركة سبع ساعات وحضرت أثناء ذلك طائرتان بريطانيتان وفي بلاغ حكومي عن المعركة كانت الارقام كما يلي : مقتل جاويش وجنديين بريطانيين واصابة جنديين آخرين بجراح خطيرة واستشهاد ٢٥ من الثوار .

— معركة عين جارود . هاجم الثوار دورية بوليس فجاءت نجدات من الجيش ودارت معركة حامية لم تذع الحكومة شيئا عن نتائجها .

— معركة باب الواد ٢٦ يونيو سنة ٣٦ هاجم الثوار قافلة يهودية على طريق يافا — القدس بالقرب من باب الواد ثم جاءت نجدات بريطانيا من بينها طائرات فتراجع الثوار الى غابة الحكومة .. استمرت المعركة أكثر من ساعة بعد ذلك قام الانجليز باحراق الغابة مما اسفر عن استشهاد ١٢ من مجموع الثوار البالغ ١٦ ثائرا .

● نظمت الحكومة حملات تفتيشية واسعة النطاق . وجرت حوادث نسف البيوت في القرى والمدن عقابا وارهابا للمواطنين كما فرضت الغرامات على القرى والمدن .

● فرضت على مدينة نابلس غرامة قدرها خمسة آلاف جنيه فلما امتنع الناس عن الدفع عمدت السلطات الى مصادرة متاع البيوت ولكنها مالبثت أن أعادتها أمام اصرار الناس .

● انشأت السلطات ثلاثة معتقلات أحدها في عوجه الحفير والاثنان الاخران في صرفند .

الاغتيالات السياسية

● اغتيال مفتش البوليس الانجليزي [سيكرست] اذ تقدم منه شابان من الثوار وافرغا مسدسيهما فيه وفي مرافقه في السيارة التي كانا يستقلانها.

● اغتال الثوار ضابط المباحث أحمد نايف في حيفا واغلقت مساجد حيفا أبوابها في وجهه فترحمت عليه الصحف اليهودية .

● اغتال الثوار ضابط مباحث آخر هو شفيق الغصن من القدس واغلقت مساجد القدس في وجهه فنقل جثمانه الى الرملة ولكن دائرة الاوقاف أبلغت ائمة المساجد هناك بعدم الصلاة عليه .

● أطلق الثوار النار على اثنين من الطيارين البريطانيين قتل أحدهما وجرح الاخر .

● ولما كانت الاغتيالات السياسية سلاحا ذا حدين فقد قامت الثورة المضادة باغتيال ناصر الدين ناصر الدين نائب رئيس بلدية الخليل وهو رئيس اللجنة القومية وأول من نفذ اضراب البلديات في فلسطين كما اغتيل الحاج خليل طه في ٢٧ سبتمبر في مقر الجمعية الاسلامية وهو رئيس اللجنة القومية في حيفا .

● قامت السلطات البريطانية بهدم المدن القديمة في يافا انتقاما من الشعب وذلك بعد أن حلقت طائرة يوم ١٦ يونيو سنة ٣٦ وأعلنت للناس عن عزم الحكومة هدم يافا القديمة بدعوى الاصلاح وبدأ

---

[*] اعتبرت ثورة الشريف حسين سنة ١٩١٦ هي الثورة الاولى .

[١] رفضت السلطات طلب رؤساء البلديات بعقد مؤتمر .. فعقد المؤتمر سرا .

الهدم يوم ١٨ يونيو سنة ٣٦ دون مراعاة لاوضاع الناس مما أدى الى تشريد أكثر من ستة آلاف مواطن وهدم ٢٢٠ منزلا وقد رفع بعض المواطنين دعوى ضد الحكومة لعدم شرعية هذا العمل .

● خصص مجلس العموم البريطاني جلسة يوم ١٩ يونيو لبحث قضية فلسطين فارسلت اللجنة العربية العليا وفدا الى لندن لعرض القضية على المجلس وتكون الوفد من السادة جمال الحسيني ، شبلي الجميل ، د. عزة طنوس ، واميل الغوري . وقد ألقى وزير المستعمرات [مستر أورمسبي غور] بيانا أكد فيه صداقته للعرب !! وعاد الوفد بلا نتيجة

● عززت القوات البريطانية في فلسطين بقوات من مالطة وشرق الاردن ومصر حتى وصل حجم الجيش البريطاني في فلسطين ٢٥ ألف جندي تقدر نفقاتهم اليومية بمالايقل عن ٤٠ ألف جنيه .

● وقد بلغ مجموع البلاغات الرسمية التي أصدرتها الحكومة في الفترة من ٢٤ يونيو حتى ٣٠ يونيو سنة ٣٦ ستة عشر بلاغا تضمنت أربعين حادثة من أحداث الثورة .

● كان يوم ٧ يوليو [تموز] اليوم المائة للاضراب وتم الاحتفال به في فلسطين بأن زادت الانفجارات وتم نسف انابيب شركة بترول العراق ، ودارت في هذا اليوم عدة معارك بين الثوار والجيش البريطاني .

● نتيجة لهذا التصعيد منعت الحكومة اليهودية من الاحتفال بيوم المبكى يوم ٩ أغسطس سنة ١٩٣٦ .

قيادة وتنظيم الثورة

● يوم ٢٨ أغسطس سنة ٣٦ تولى قيادة الثورة فوزي القاوقجي وأعلن ذلك في بيان الى الشعب بعد أن كان قائد الثورة السابق فخري عبد الهادي — من نابلس — وبعد تولي القائد الجديد بدء دور جديد من ادوار الثورة .

● أنشأت الثورة «دائرة استخبارات» كانت تصرف بها أوامر الحكومة السرية وتعطل مفاجاتها واخذت المعارك شكلا منظما على خرائط حربية خاصة ، وأصبحت معارك الثوار تدار حسب خطط موضوعة . كما انشئت محكمة الثورة لمحاكمة من يخرج عن الصف .

المعارك

● معركة بلعا الاولى : ١٠ أغسطس سنة ٣٦ نصب الثوار كمينا لقوات الجيش في الطريق بين بلعا ونابلس، ودارت معركة استمرت ثماني ساعات قتل فيها ضابط ورقيب وجرح ثلاثة جنود .

● معركة عصيدة الشمالية : هاجم الثوار في ١٧ اغسطس قافلة صهيونية قادمة من القدس واشترك في المعركة عدة دبابات مصفحة وثلاث طائرات انجليزية في جبهة طولها تسع كيلومترات استمرت المعركة ٤ ساعات اعطبت فيها ثلاث دبابات وقتل ضابط وعدد من الجنود وأصيب من المجاهدين ٢٤ مابين قتيل وجريح .

● معركة وادي عرعرة : ٢٠ اغسطس سنة ٣٦ اشتبك الثوار مع قوات الجيش، واستمرت المعارك ١٢ ساعة جاءت خلالها نجدات بريطانية اصيب من الثوار ٣٢ مابين قتيل وجريح ولم تعرف اصابات الجيش .

● معركة عين دور : ٢٩ اغسطس سنة ٣٦ على طريق مسحة — العفولة سقط شهيد عربي وقتل جنديان وجرح ثلاثة جنود واسقطت طائرة بريطانية .

● معركة بلعا الثانية : ٣ سبتمبر سنة ٣٦ كانت معركة هامة اسقط فيها الثوار طائرتين واعطبوا طائرتين آخرين وقتلوا طيارا ورقيبا واصيب ضابطان وجنديان بجراح واستشهد ٩ من الثوار.

● هاجم الثوار جميع مراكز الجند في نابلس وهاجموا مقر قائد القوات في نابلس وحدثت معارك عديدة منها معركة ترشيحا ، معركة الجاعونة ، معركة جبع ومعركة حلحول .

● معركة بين أمرين : ٢٩ سبتمبر سنة ٣٦ قامت قوات الاحتلال معززة بسبع طائرات بمحاصرة تجمعات الثوار في هذه المنطقة . وقد نجح الثوار في استدراج هذه القوات الى كمين تكبدت فيه قوات الاحتلال خسائر كبيرة بعد معركة استمرت ثماني ساعات .

● أصدرت الحكومة يوم ٣٠ سبتمبر سنة ٣٦ مرسوما بالاحكام العرفية صادر من مجلس الملك الخاص وفوض تنفيذه الى المندوب السامي على فلسطين . وقامت باحضار قوات حربية جديدة الى فلسطين .

● معركة الخضر : ٤ أكتوبر سنة ٣٦ استشهد في هذه المعركة القائد سعيد العاصي وجرح وأسر مساعده عبد القادر الحسيني بعد أن هاجم ثلاثة آلاف جندي بريطاني ١٢٠ ثائرا .

● كما استمرت سلسلة الاغتيالات فقام الثوار بمحاولة اغتيال الضابط حليم بسطا مساعد مدير بوليس اللواء الشمالي مساء ٧ أكتوبر قرب بيته في حيفا فأصيب في رقبته ولم تكن اصابته خطيرة .. ولكن مالبثوا أن قتلوه يوم ٢١ ابريل سنة ١٩٣٧ . وقتل المصلون في المسجد الاقصى عقب صلاة [الجمعة ٩ اكتوبر] الخائن احمد خليل الشايب من عين كارم .

● كانت الحوادث المتنوعة تقع في بداية الاضراب بمعدل عشر حوادث في اليوم تصاعدت الى خمسين وتطورت من حيث الكيف وقدرت بعض المصادر حوادث الشهور الستة بخمسة الى ستة آلاف حادثة .

● نشرت بعض الصحف الصهيونية احصاء لنتائج المعارك لغاية ٢ سبتمبر سنة ٣٦ فكان كما يلي :

عدد اصابات الانجليز ١٧٨ القتلى منهم ٣٤ ، عدد قتلى العرب ٧٠٠ ، عدد قتلى اليهود ٨١ ، عدد الاشجار المقلوعة من بساتين اليهود [٢٠٠،٠٠٠] عدد الحرائق في مستعمرات اليهود واحيائهم ٢٨٠ حريقا ، وعدد الجسور التي نسفت ٤٨ ، عدد المرات التي قطعت فيها الاسلاك التليفونية ٣٠٠ ، عدد قطارات السكة الحديد التي أعطبت ٢٢ . عدد المرات التي قلعت فيها خطوط السكة الحديد ١٣٠ ، عدد القنابل المصادرة من العرب ٤٠٠ قطعة وزنة السلاح المصادر منهم ٣٥ طنا .

ونشر قلم المطبوعات في فلسطين بيانا عن الاصابات لغاية ٣٠ سبتمبر سنة ٣٦ جاء فيه :

اصابات المسلمين ٩٣٦ منهم ١٨٤ قتيلا ، اصابة المسيحيين ٦٠ ، قتل منهم ٩ ، اصابات اليهود ٣٦٨ منهم ٨٠ قتيلا ، اصابات الجيش ١٥١ منهم ٢٨ قتلى ، اصابات البوليس الانجليزي ٤٨ منهم ٧ قتلى ، اصابة البوليس الفلسطيني ٦٠ منهم ٧ قتلى .

وقدم وزير المستعمرات البريطاني الى مجلس العموم البريطاني قائمة بعدد الاصابات لغاية ١٥ اكتوبر سنة ٣٦ جاء فيها :

اصابات المسلمين ٩٥٥ منهم ١٨٧ قتيلا ، المسيحيين ٦٥ ، قتل منهم ١٠ ، اصابات الجيش ١٢٥ منهم ٢١ قتيلا ، البوليس الانجليزي ٤٧ منهم ٧ قتلى ، البوليس الفلسطيني ١٢٤ منهم ٩ قتلى .

● بلغ عدد الطائرات التي اسقطت سبع طائرات .

● فرضت الغرامات والرقابة على الصحف فمنعت أربع منها من الصدور فترة بلغ مجموعها ٢٥٨ يوما .

● قدر محمد عزة دروزة في كتابه [حول الحركة العربية الحديثة] عدد الذين حملوا السلاح من الفلسطينيين من ستة آلاف الى ثمانية آلاف رجل وقدر

عدد المقاتلين بنحو ألف ومائتى رجل .

وقدر صبحى ياسين فى كتابه «الثورة العربية الكبرى فى فلسطين » عدد الثوار المسلحين من ٩ الى ١٠ آلاف بالاضافه الى ستة آلاف مجاهد يجمعون بين الجهاد والاعمال العادية . وبلغ عدد الذين حكمت عليهم المحاكم العسكرية مددا تتراوح بين خمس السنوات والسجن المؤبد حوالى ألف مجاهد وزاد عدد المعتقلين السياسيين عن أربعين ألف معتقل وقتل من جراء التعذيب عشرات المواطنين ، ويقدر عدد القوات البريطانية التى اشتركت فى معارك فلسطين بـ ٤٢ ألف جندى ، ونحو ٢٠ ألف شرطى بالاضافة الى حرس المستعمرات وعددهم ١٨ الفا .

● حضر نورى السعيد وكان وزير خارجية للعراق مرتين الى فلسطين للوساطة ، الاولى من ٢٦ اغسطس لغاية ٣١ اغسطس سنة ٣٦ والثانية فى اكتوبر وصدر بعد زيارته الثانية فى ٩/١٠/٣٦ نداء الملوك العرب الى ابناء فلسطين بوقف الاضراب اعتمادا على عدل صديقتهم بريطانيا !!

● طلبت اللجنة العربية العليا الى شعب فلسطين وقف الثورة والعودة الى اعمالهم يوم ١٢ اكتوبر سنة ٣٦ تلبية لنداء الزعماء العرب وفى هذا اليوم خرج الناس الى المعابد للصلاة على الشهداء ثم توجهوا بعد ذلك لاعمالهم .

● حضرت اللجنة الملكية برياسة [مستر بيل] للتحقيق فى الثورة يوم ١١ نوفمبر سنة ٣٦ وبدأت عملها يوم ١٦ نوفمبر سنة ٣٦ ، وفى أول الامر قاطع العرب اللجنة ثم عادوا واتصلوا بها وادلوا أمامها بشهاداتهم .

● القى الحاج امين الحسينى رئيس اللجنة العربية العليا ببيانه أمام لجنة التحقيق يوم ١٢ يناير سنة ١٩٣٧ .

● يوم ٣ يوليو سنة ٣٧ اى قبل نشر تقرير اللجنة الملكية باربعة ايام قرر حزب الدفاع الانسحاب من اللجنة العربية العليا .

● صدر تقرير اللجنة [لجنة بيل] فى ٧ يوليو سنة ٣٧ مرفقا به بيان بتقسيم فلسطين الى ثلاث دول ، دولة عربية تنضم الى امارة شرق الاردن واخرى يهودية فى المناطق الخصبة وثالثة تحت الانتداب البريطانى .

تجدد الثورة

● استنكر العرب بيان اللجنة المتضمن تقسيم فلسطين وعادت الحوادث الى الازدياد وبدأت السلطات تطارد من أسمتهم المتطرفين [المفتى وجماعته] وقامت فى يوم ١٧ يوليو سنة ٣٧ بمحاصرة اللجنة العربية العليا بحثا عن المتطرفين

● فى أواخر يوليو سنة ٣٧ عرضت الحكومة البريطانية مشروع التقسيم على لجنة الانتدابات فى جنيف ودارت مداولات طويلة ولم تنته اللجنة الى رأى بخصوص التقسيم .

● يوم ٢٤ اغسطس سنة ٣٧ اغتال الثوار حاكم لواء جنين [موفات] .

● أصدرت القيادة العامة للثورة نداء الى الشعب يوم ٢٧ اغسطس سنة ٣٧ بارتداء الكوفية والعقال حتى يتعذر على السلطات التمييز بين الثوار وبين غيرهم من ابناء الشعب .

● فى ٨ سبتمبر سنة ٣٧ عقد المؤتمر العربى [مؤتمر بلودان] فى سوريا برئاسة ناجى السويدى أحد رؤساء الوزارة العراقيين واختير لنيابة الرئاسة كل من محمد على علوبة والامير شكيب ارسلان والمطران حريكة ، واختير عزة دروزة أمينا للسر لهذا المؤتمر ، واتخذ هذا المؤتمر عدة قرارات لتأييد شعب فلسطين فى نضاله ضد الاستعمار والصهيونية .

● فى ٢٦ سبتمبر سنة ٣٧ اغتال الثوار [اندروز] حاكم لواء الجليل فى مكتبه مما اثار غضب الانجليز وهياجهم فقاموا بحل اللجنة العربية العليا وعزل المفتى من رئاسة المجلس الاسلامى الاعلى، ورئاسة الاوقاف، كما تم القبض على مجموعة من زعماء البلاد وتم نفيهم الى جزيرة سيشل ، وأعلن القائد العام الانجليزى الحكم العسكرى واخذت القوات والامدادات ترد على فلسطين وبدأت عمليات المطاردة للثوار .

● تم اعتقال الشيخ فرحان السعدى يو ٢٢/١١/٣٧ وبعد محاكمة صورية حكم عليه بالاعدام ونفذ الحكم يوم ٢٧/١١/٣٧ رغم احتجاجات العرب فى فلسطين وفى خارج فلسطين .

● معركة البامون : فى الاسبوع الاخير من شهر نوفمبر سنة ٣٧ حاصرت قوات الاحتلال قرية المغير وكان بها قيادة المنطقة ولكن الثوار تمكنوا من الافلات من الحصار وتوجهوا الى قرية البامون ولما حاولت قوات الاحتلال اللحاق بهم اشتبكت مع مجموعة القائد يوسف أبو درة ثم دارت معركة كبيرة استمرت عشر ساعات قتل فى المعركة أكثر من مائة جندى بريطانى وجرح مثلهم واسقطت طائرة واستشهد من الثوار العرب ٣٩ مجاهدا .

● يوم ٢٨/١١/١٩٣٧ وكان يوم عيد الفطر أعلن الشعب الحداد على القائد الشيخ فرحان السعدى .

● قتل الثوار فى يافا يوم ٢٥/١٢/١٩٣٧ ضابطا وجنديا بريطانيا .

● وجه وزير المستعمرات البريطانى فى ديسمبر سنة ٣٧ خطابا الى المندوب السامى فى فلسطين يعلن له فيه سحب مشروع التقسيم .

● وفى تقرير لادارة الشرطة عن حوادث عام ١٩٣٧ قالت فيه ، مجموع حوادث عام ١٩٣٧ [٦٦٣٨٢] قضية جنائية منها ٢٧٦ قضية قتل و٢٨١ شروع فى قتل و٣٧٨٦ اعتداء على الاشخاص.

● وفى أول يناير سنة ١٩٣٨ قتل الثوار جنديين بريطانيين فى مدينة حيفا.

● معركة أم الفحم الاولى : فى ٣٠ يناير سنة ١٩٣٨ اشتبك الثوار مع القوات البريطانية القادمة لبناء معسكر فى قرية أم الفحم استمرت المعركة ٦ ساعات انسحب الانجليز بعدها من القرية بعدان تكبدوا ٤٨ قتيلا وعددا من الجرحى.

● قامت السلطات البريطانية خلال شهر يناير سنة ٣٨ باعدام ستة من العرب الاحرار ، وكذلك اعدمت ثلاثة فى شهر فبراير وفى شهر مارس سنة ٣٨ اعدمت اثنى عشر عربيا .

● ارسلت الحكومة البريطانية لجنة فنية برئاسة جون وودهيد لدراسة مشروع التقسيم فى ١٧ ابريل ١٩٣٨.

● فى ٢٤ مايو سنة ٣٨ أبلغت قيادة منطقة نابلس قيادة المنطقة الجنوبية بانها ستهاجم الثكنات والقوافل الانجليزية واليهودية ، وطلبت من القيادة الجنوبية تأمينها ضد النجدات من هذه الجهة ، فما كان من أهل الجنوب الا أن قاموا بنزع قضبان السكة الحديد من رفح حتى [بينا] فى ساعتين وقد اشترك فى هذا العمل أكثر من [١٢٠٠٠ مواطن] نزعوا عشرين كيلومترا من قضبان السكة الحديد تحت حراسة الثوار .

● هاجم الثوار بقيادة عبد القادر الحسينى مستعمرة بيت قبغان جنوبى القدس وكبدوها خسائر فادحة فردت السلطات على ذلك بأن قامت فى يوم ٢٤ مايو سنة ٣٨ بمحاصرة منطقة الثوار بثلاثة آلاف جندى فانسحب الثوار الى الجبال وهاجموا القوات البريطانية وهى تمر من تحتهم فدارت معركة استمرت اكثر من تسعة ساعات ووصلت نجدات لكلا الطرفين ، قتل للانجليز فى هذه المعركة ٤٠ انجليزيا واسقاط طائرة واصابة اخرى واستشهد للثوار ثلاثة .

● فى ١٠ يونيو سنة ٣٨ قام فصيل من المجاهدين بمهاجمة مستعمرة روشبنا

● فى ١٩ يولية سنة ١٩٣٨ وضع الثوار لغما قرب مستعمرة [نجمة الصبح] نسبب فى نسف سيارة يستقلها بعض اليهود وقتل جميع ركابها .

● فى النصف الثانى من شهر يوليو سنة ٣٨ قتل الثوار اثنين من اليهود على طريق يافا تل أبيب والقوا قنبلة فى شارع رونبورغ فى تل أبيب ، قتل من جرائها تسعة من اليهود وجرح عدد آخر

● معركة اللبات الكبرى : فى النصف الثانى من شهر يوليو قام الثوار بوضع عبوات من الالغام فى طريق القافلة الانجليزية القادمة من عكا ، فاصطدمت أولى سيارات القافلة بلغم وتحطمت وقتل من فيها وانقض الثوار على باقى القافلة حتى شتتوا شملهم .

● تمكن الثوار فى الفترة مابين مايو واكتوبر سنة ٣٨ من السيطرة على مدن الخليل ، بئر السبع ، طبريا ، ونابلس والاستيلاء على أموال الادارة والبنوك الانجليزية وتمكنوا من اخلاء سبيل المعتقلين السياسيين واستولوا على أموال جمرك يافا فى سبتمبر من نفس العام .

● فى اكتوبر سنة ١٩٣٨ صدر تقرير لجنة التقسيم الفنية وودهيد بأن مشروع التقسيم غير عملى .

● فى أوائل نوفمبر سنة ٣٨ اصدرت الحكومة البريطانية بيانا أعلنت فيه عدولها رسميا عن التقسيم .

● فى ٧ نوفمبر سنة ٣٨ تم احراق مخازن الجمرك فى حيفا ونسف ثلاث سيارات مصفحة وقتلوا عددا من أفراد البوليس من يهود وانجليز .

● ١٥ نوفمبر سنة ٣٨ استشهد القائد عبد الفتاح السبلاوى [أبوعبدالله] بعد معارك حامية مع السلطات .

● فى السابع من ديسمبر سنة ٣٨ تم اطلاق الزعماء المنفيين فى سيشل وروديسيا .

● كان الاحصاء الرسمى للحكومة عن عدد الحوادث لسنة ١٩٣٨ [٩٥٧٣] حادثة .

● وبلغ عدد الذين اعدموا فى سجن عكا فى هذا العام ١٤٨ شهيدا وعدد وعدد الذين اعتقلوا لمدد مختلفة أكثر من خمسين ألف مواطن .

● فى ٧ فبراير ١٩٣٩ عقد فى لندن مؤتمر [المائدة المستديرة] بشأن مشكلة فلسطين وحضره مندوبون عن عرب فلسطين واليهود ووفودا من البلاد العربية . لكن المؤتمر سرعان ما فشل .

● مجموع المعارك التى حدثت خلال يناير سنة ١٩٣٩ ٥٤ اشتركت الطائرات فى اثنتين منها ، ومجموع القرى التى فتشت ٢٦ قرية ونسفت السكة الحديد مرتين واعتقلت السلطات خلال هذا الشهر ٩٧ عربيا .

● أما شهر فبراير سنة ١٩٣٩ فشهد اثنتى عشرة معركة ، واشعل الثوار خمسة حرائق فى الدوائر الحكومية ومخازن الشركات اليهودية واعتقلت الحكومة مائتين من رجال المدن والقرى واعدمت عشرة من العرب .

● ويجيب [المستر ماكدونالد] وزير المستعمرات البريطانية عن سؤال [للمستر فيلدز] فى مجلس العموم فيقول « انه فى الفترة من ٢٠ ديسمبر سنة ٣٨ الى ٢٠ فبراير سنة ٣٩ حدث ٣٢٨ اغتيالا بالرصاص و١٤٠ حادثة تخريب ، و١٩٠ حادثة خطف ، و٢٣ حادثة سرقة وانفجرت تسعة الغام و٣٢ قنبلة » .

● استشهاد القائد العام للثورة عبد الرحيم الحاج محمد [أبو كمال] فى ٢٦ مارس سنة ١٩٣٩ حيث اشتبك مع قوات بريطانية كبيرة فى قرية صانور قضاء جنين وسقط شهيدا أثناء المعركة

● قام الفدائيون فى الاسبوع الاول من ابريل سنة ٣٩ بمهاجمة مركز لتدريب اليهود فى حيفا وبلغ عدد القتلى من اليهود ٧٠ قتيلا والجرحى ثلاثين وانسحب الثوار دون اصابات .

● فى ٢٢ ابريل سنة ٣٩ هاجم الثوار بقيادة خالد الحصنى معبرة لليهود [مكان استقبال المهاجرين الجدد] وبعد قليل حضرت الى مكان الحادث نجدات انجليزية ودارت معركة استمرت اكثر من ساعة وتمكن الثوار من الانسحاب دون اصابات بعد أن كبدوا المعبرة خسائر كبيرة .

● فى احصاء رسمى عن أحداث شهر ابريل بلغ مجموع قتلى العرب ٣٣ مجاهدا قتلوا أثناء المعارك ، ١٣ معتقلا جريحا كما بلغت خسائر الانجليز ١٢ بين قتيل وجريح وأن ٥٨ من المدنيين اغتيلوا بيد الثوار .

● فى ١٧ مايو ١٩٣٩ اصدرت الحكومة الكتاب الابيض تضمن وعدا بمنح فلسطين الاستقلال بعد عشر سنوات وايقاف الهجرة بعد خمس سنوات وتقييد انتقال الاراضى .

● معركة أم الفحم الثانية : فى ٢٤ مايو سنة ١٩٣٩ حاصرت القوات البريطانية الثوار فى قرية أم الفحم ودارت معركة استمرت أربعة ساعات أستشهد فيها القائد يوسف الحمدان و٢٦ ثائرا آخرين .

● اعتقل الامير عبد الله أمير شرقى الاردن القائد يوسف أبو درة فى عمان فى ١٢ أغسطس سنة١٩٣٩ اثناء عودته من دمشق وسلمه الى السلطات البريطانية التى قدمته لمحكمة عسكرية حكمت عليه بالاعدام ونفذ الحكم عام ١٩٤٠ .

● معركة طرشيحا الكبرى : فى ١٨ اغسطس سنة ١٩٣٩ وهى آخر معركة كبيرة فى الثورة حيث اشتبك الثوار مع قوات من الجيش البريطانى يقدر عددها باثنى عشر ألف جندى تساعدها فرق من الثورة المضادة ممن تسموا [بفرق السلام] وقد انتصر الثوار فى هذه المعركة وتكبد الانجليز أكثر من مائة قتيل عدا الخسائر المادية .

● بلغت جملة المعتقلات التى أقامتها السلطات للاحرار العرب أربعة عشر معتقلا ، وبلغ عدد القرى التى فرضت عليها غرامات ٢٥٠ قرية .

● قامت السلطات بنسف ثلاثة منازل وحرق التخاشيب العربية فى محطة اللد وفرضت على المدينة ٥٠٠ جنيه غرامة كما قامت بنسف سبعة منازل فى الخليل وفرضت على المدنيين أربعة آلاف جنيه غرامة ، ونسفت أحد عشر منزلا فى نابلس وغرامة قدرها خمسة آلاف جنيه وفرضت على غزة غرامة قدرها ألف جنيه ونسفت أربعة بيوت فى صفد وتصدع مسجد وكنيسة المدينة .

● تمخضت هذه الثورة عن ستة الاف قتيل وجريح أكثر من نصفهم من العرب ، بمعدل ١٧٠٠ قتيل وجريح سنة ١٩٣٦ ، ٢٤٦ سنة ١٩٣٧ و ٣٧١٧ سنة ١٩٣٨ ، و ٣٢٨ فى الربع الاول من سنة ١٩٣٩ وهذا حسب التقدير النهائى للسلطات ، أضف الى ذلك توقف الاعمال ونسف وسائل المواصلات والمبانى ، وكذا فرض الغرامات الكبيرة على الاحياء والقرى العربية وسجن ثلاثة آلاف مواطن عربى .

● ويقول فرنسيس نيوتن فى كتابه [خمسون عاما فى فلسطين] أن الثوار العرب لم يكن يتعدى عددهم الالفى مقاتل غير مسلحين الا ببنادق بالية من مخلفات الحرب العالمية الاولى وبقليل من مدافع الماكينة ونتيجة لذلك قتل ٨٠٠ من العرب و٢٨ فقط من الجنود والشرطة البريطانيين



• الجمهورية العربية المتحدة •

المؤتمـــر السنوى
للمجلس القــومى للسلام

• فلســطين •

اقــرار مشــروع الوحــدة
والبرنامج .. بداية طريق

• سوريا •

الجبهــة الــوطنية ــ مجــال
الحــوار ــ بين قوى التحالف

• الهند •

هــزيمـــة ســاحقــة
((للحلف اليمينى الــكبير))

• الاتحاد السوفيتى •

تسعة أشــهر من المناقشــات
تمهيــدا للمؤتمــر ٢٤

■ ج ٠ ع ٠ م :

المؤتمـــــر السنــــوى للمجلس القومى للســـلام

فى ٢٣ ــ ٢٤ فبراير عقد المؤتمر السنوى للمجلس القومى للسلام بقاعة اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى .

وقد حضر ١٥٠ عضوا من أعضـــاء المجلس ومندوبون من حركات السلام فى الاتحاد السوفيتى والمـــانيا الديمقراطية والمجر وبولندا .

وقد افتتح الاجتماع **الدكتور محمد لبيب شقير** رئيس مجلس الامة وعضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى والقى كلمة حيا فيها باسم الامانة العامة للاتحاد جهود ونشاط المجلس القومى للســـلام وقال أن الجمهورية العربيـــة ستظل دوما ملتزمة بالدفاع عن قضايا السلام والنضال ضد الاستعماريين وكل تجار الحروب .

وفى الجلسة الافتتاحية قدم **خالد محيى الدين** السكرتير العام للمجلس التقرير السياسي العام الذى استهله بقوله « ها نحن نلتقى مرة أخرى لنواصل معا نفس المسيرة المجيدة لانصار السلام مسيرة الكفاح الانسانى الشجاع من اجل السلام والحرية والتقدم لكل البشرية ، مسيرة النضال الباسل ضد الحرب وضـــد العدوان وضـــد اى انتهاك للحرية .. ها نحن نلتقى ، نحن أنصار السلام المصريين لنؤكد للعالم اجمع اصرار شعبنا على أن يواصل المعركة صامدا ، ثابتا ، شجاعا ، من أجل تحقيق اهدافه ، ومن أجل تحرير أرضه ، ومن أجل صيانة مكتسباته الاجتماعية » .

واســـتعرض **خالد محيى الدين** فى تقـــريره تطورات الموقف العالمى بشكل عام وازاء أزمة الشرق الاوسط بشـــكل خاص . وقال : « ان استقراء أحداث هذه الفترة يؤكد بشكل واضـــح ذلك الاستنتاج العام الذى أقره مؤتمرنا السابق فى مايو ١٩٦٩ عندما قرر أن الموجة الصاعدة هى موجة حركات التحرر والاستقلال والتقدم ، وانه بالـرغم من كل مايبديه المـــستعمرون من شراسة ودموية فان الفشل والهزائم تلاحقهم المرة تلو الاخرى » .

وبعـــد أن استعرض **خالد محيى الدين** فى تقريره العام تطورات الموقف فى الشرق الاوسط حدد الواجبات الاساسية التى يتعهد انصـــار السلام المصريين بالالتزام بها امام الشعب المصرى والامة العربية وهى :

١ ــ ان معـــركة ازالة آثار عدوان يونيـــو ١٩٦٧ ، هى المعركة العاجلة والملحـــة ، والتى يجب أن توجه اليها كافة الجهود فى ج . ع . م وعلى نطاق الامة العربية كلها ، ذلك ان ازالة آثار العدوان هى الخطـــوة الاولى والضرورية للتوصل الى حل عادل للقضية الفلسطينية .

٢ ــ ان احراز النصر فى هذه المعركة يتطلب تعبئة كل الموارد المتاحة للامة العربية ، ويتطلب أيضا حشد الجماهير وتنظيمها وتعبئتها سياسيا وعسكريا واقتصاديا بهدف الوصول بقوانا الى النقطـــة التى تمكننا من أن نفرض حـــلا عادلا ومشرفا .

٣ ــ ان أمام الاتحاد الاشتراكى العربى الممثل لتحالف قوى الشعب العامل واجب تعزيز وحدة قوى التقدم والاشتراكية .. ذلك ان وحدة هذه القوى الطليعية الاشتراكية هى الاساس المتين نحو وحدة القوى الوطنية . وهى التى تكفل أن تتخذ الوحدة الوطنية صياغة ثورية وتقدمية . وهى أيضا التى تكفل لنا أن نتمكن بعد ازالة آثار العدوان من الانطـــلاق على طريق اســـتمرار الثورة » .

وتحدث فى الجلسة الافتتاحية ايضا **الدكتور بيلاييف** ممثل حركة السلام السوفيتية الذى أكد وقوف الشـــعوب السوفيتية الى جانب الحـــق العربى وقال « اود أن أؤكد لكم أن شعب وحكومة الاتحاد الســـوفيتى يقفان وسيواصلان الوقوف الى جانب شعب الجمهورية العربية المتحـــدة وحكومته فى النضال العادل ضـــد العـــدوان الاسرائيلى الامبريالى ومن أجل ازالة آثار العدوان وسوف يقدمان فى هذا الصدد كل المســـاعدة والمساندة والتأييد .

وتحدث ايضا **روميل** السكرتير العام لحركة السلام فى جمهورية المـــانيا الديمقراطية فقال « ان الشعوب يتضـــح لها يوما بعـــد يوم أن اسرائيل لا تستطيع الاستمرار فى ســـياســـتها العسكرية العدوانية والتوسعية ضد العرب الا نتيجة لاستمرار المساعدات الضـــخمة المـــالية والعسكرية التى تقدمها لها الامبريالية الامريكية وامبريالية المـــانيا الغربية .

... وفى حالة اصرار حكام اسرائيل ومن يساندونهم على الاستمرار فى سياستهم التوسعية

العدوانية فان عليهم ان يتحملوا النتائج الخطيرة والجسيمة التى سوف تترتب على ذلك » .

وفى ختام كلمته أعلن السيد روميل أن حركة السلام الالمانية قد قررت منح خالد محيى الدين « وسام السلام » وهو أعلى وسام يقدم للمناضلين البارزين من أجل السلام العالمى .

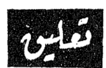
وقد تحدث فى الجلسة الافتتاحية أيضا ممثلا حركتى السلام البولندية والمجرية ، كذلك قدم **السيد/يوسف السباعى** تقريرا عن « آفاق حركة التحرر الوطنى العالمية » ، وقدم **الدكتور مفيد شهاب** أمين منظمة الشباب الاشتراكى تقريرا حول « دور الشباب فى دعم السلام العالمى » وقدم **السيد فريد عبد الكريم** تقريرا حول المشكلات التنظيمية لنشاط المجلس القومى للسلام » .

وبعد انتهاء الجلسة الختامية انقسم أعضاء المؤتمر الى ثلاث لجان للعمل لجنة سياسية ، لجنة تنظيمية ـ لجنة صياغة .

واستمرت اجتماعات اللجان يومين وانتهت باصدار عدد من الوثائق السياسية والتنظيمية التى أقرها المؤتمر بالاجماع فى جلسته الختامية.

وقد أكد المؤتمر فى بيانه السياسى العام .. « ان قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ والذى نص على انسحاب اسرائيل من جميع الاراضى العربية المحتلة وعلى عدم جواز احتلال الاراضى بالقوة كما نص على تسوية عادلة لمشكلة فلسطين ، يعتبر أساسا سليما ـ لسلام عادل فى المنطقة .

وأن مساندة الولايات المتحدة الامريكية وغيرها



مؤتمر التعليم فى الدولة العصرية بين التنظيم السياسى والهيئات الفنية

يعتبر مؤتمر التعليم فى الدولة العصرية احدى المحاولات التى تتم من اجل تطوير التعليم ليتلاءم مع التغيرات الاجتماعية الكبيرة التى تمت فى البلاد ، وليساعد على تدعيم هذه التغيرات وتعميقها . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى من أجل أن يلحق هذا التعليم بالتغيرات والتطور العلمى والتكنولوجى المعاصر .

ولعل العامل الاساسى الذى لم يتح للمؤتمر أن يقدم الكثير للتعليم مما كان ينتظر أن يقدمه ، هو عدم وضع القضايا التعليمية على أسس سياسية واجتماعية واضحة من جانب التنظيم السياسى ، فاى مؤتمر يعمل على ضوء اتجاهات معينة ومن أجل الوصول الى أهداف معينة ، هذه الاتجاهات انما تحددها له السلطة السياسية .

فالمؤتمرات التى تعقد فى ظل سلطة رجعية يكون الاتجاه العام لتوصياتها رجعيا يتفق مع سياسة تلك السلطة ، وتختلف الحال اذا كانت تلك السلطة ثورية ، لان غالبية اعضاء المؤتمر والمشتركين فيه هم من الفنيين الذين يضعون خبرتهم الفنية فى خدمة هذه السياسة أو تلك .

فلقد كان من المفروض أن يحدد الاتحاد الاشتراكى الاتجاهات العامة لسياسة التعليم التى تستهدفها الدولة ، والاسس التى تقوم عليها تلك السياسة ، وتقوم بعد ذلك وزارة التربية والتعليم وجميع الهيئات بالبحث عن احسن الاساليب والخطط التى يمكن بوساطتها وضع تلك السياسة فى التطبيق باقصى قدر من الكفاءة .

وكان من نتيجة ذلك أن قلب المؤتمر أوضاع بعض المشاكل ونذكر على سبيل المثال حالتين :

الحالة الاولى : قضية محو الامية ، فعندما اكد السيد نائب رئيس الوزراء للخدمات ضرورة أن تكون المعركة ضد الامية معركة شعبية يقودها الاتحاد الاشتراكى وتقودها معه التنظيمات الجماهيرية المساعدة ، باعتبار أن محو الامية ضرورة سياسية واقتصادية وتربوية ، عندما أكد السيد نائب رئيس الوزراء ذلك ، سارع المؤتمر باصدار توصية تجعل مسئولية مكافحة الامية وتعليم الكبار من مسئوليات التنظيمات السياسية والمؤسسات والمصانع ، على أساس أن تكون معركة شعبية ، وأن يقتصر عبء الوزارة فى هذا المجال على تيسير السبل امام هذه الهيئات وعلى افساح الفرص فى النظام التعليمى الحالى أمام الكبار للاستزادة من تعلم أعلى يتناسب مع قدراتهم .

والمؤتمر لم يدرك طبيعة العلاقة بين التنظيم السياسى وهو اعلى سلطة فى الدولة وبين وزارة التربية والتعليم كجهاز تنفيذى فى يد هذه السلطة يضع خططها فى التطبيق ، وانه لا يجوز لاية هيئة سياسية أو غير سياسية أن تقوم بنشاط فى ميدان محو الامية بعيدا عن اشراف هذه الوزارة او بعيدا عن نطاق خطتها .

ولعل المؤتمر قد أشفق على الوزارة من القيام بهذه المهمة الصعبة ، بعد أن رأى انها لم تحقق فيها نجاحا يذكر بعد مضى عشرات السنين من العمل فى هذا المجال .

الحالة الثانية : وهى الخلط بين الخطط الآجلة والعاجلة : ان اية خطوة على طريق الاصلاح أو التغيير لا يجب أن تتخذ قبل دراسة واقع المشكلة وتاريخها ، حتى يمكن أن نوفر لمحاولة الاصلاح فرص النجاح ، ولكن الوزارة قد قدمت

من دول حلف الاطلنطى لاسرائيل هو الذى يشجع اسرائيل على الرفض والعناد وتحدى الامم المتحدة والرأى العام العالمى .

وأن المعركة ستظل مستمرة ضد الامبريالية العالمية التى تتزعم الولايات المتحدة الامريكية نشاطها العدوانى وضد عميلتها اسرائيل توصلا لاجبارها على تنفيذ قرار مجلس الامن » .

وطالب البيان العام بالعمل على توحيد القوى الثورية والوطنية فى البلاد العربية من أجل بناء جبهة عربية موحدة تجابه العدوان والمؤامرات الامبريالية . وبأن تعمل فصائل المقاومة الفلسطينية على انشاء جبهة وطنية أردنية فلسطينية للعمل المشترك على تصفية آثار العدوان انقاذا للضفة الغربية والقدس وغيرها من الاراضى المحتلة وللشعب الفلسطينى بعد ذلك كل الحق فى مواصلة مسيرته النضالية مدعوما ومسنودا بامكانيات الشعوب العربية (•)

وأكد البيان « أن حركة المقاومة الفلسطينية جزء لا يتجزأ من حركة المقاومة العربية وأن تصفيتها تضعف الجبهة العربية وتخدم فى الدرجة الاولى مصالح الاستعمار والصهيونية » (•)

وقال البيان « أن دور الاتحاد السوفيتى ومجموعة الدول الاشتراكية فى كبح جماح العدوان ودعم الصمود العربى عسكريا واقتصاديا وسياسيا هو الضمان للانتصار فى المعركة ضد الصهيونية والاستعمار . ولهذا فان الحرص على الصداقة مع البلدان الاشتراكية وتقوية الروابط معها فى مختلف المجالات يشكل حجر الزاوية فى حركة التحرر العربية » (•)

لتوصيات المؤتمر بفكرة عن مجهوداتها فى الاصلاح التعليمى ، حيث اشارت الى انها قد وضعت خططا عاجلة مثل التوسع الكمى فى التعليم وتنمية حجمه ، ورفع كفاية التعليم وتحسين مستوى الاداء فيه ، والربط الوثيق بين خطط التعليم وخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

أما الخطط التى رأت الوزارة انها آجلة فهى :

١ ــ دراسة واعية للاوضاع التعليمية القائمة فى بلادنا بما فيها من تقدم او قصور .

٢ ــ تصور للاوضاع التعليمية المستهدفة لتحقيق الدور الطليعى للتعليم ، بكل ما فى هذا القصور من أبعاد حديثة واتجاهات عصرية .

والشئ الذى يلفت النظر هو كيف تتخذ الوزارة اجراءات عاجلة دون دراسة واعية للاوضاع التعليمية القائمة ، والامر الاكثر غرابة أن الوزارة ليس لديها حتى الان تصور للاوضاع التعليمية المستهدفة .

ولعل ذلك يؤكد ماسبق الاشارة اليه وهو ان ذلك التصور هو مهمة التنظيم السياسى ، ولقد ادى عدم التحديد للابعاد السياسية والاجتماعية المستهدفة من تطوير التعليم الى ان يغفل المؤتمر بعض القضايا الهامة ويؤجل بعض المسائل الملحة .

فالمؤتمر لم يذكر كلمة واحدة عن ظاهرة غير صحية فى سياسة التعليم وهى الاعتماد على قطاع التعليم الخاص فى تحقيق بعض مهام خطط التعليم ، ونمو دور هذا القطاع باستمرار ، على الرغم من أن هذا القطاع يتعارض مع تكافؤ الفرص الذى تنشده الدولة لانه يقدم التعليم للذين يقدرون على دفع ثمنه ، وعلى الذين لايستطيعون أن يدفعوا هذا الثمن اما ان يتجهوا الى انواع أخرى من التعليم اقل فى القيمة الاجتماعية او ان يكفوا عن تلقى العلم ، علما بان وجود هذا القطاع يتعارض مع توصية المؤتمر بتمكين التعليم من ان يكون أداة فعالة لتذويب الفوارق بين الفئات المختلفة التى ينتمى اليها الطلاب .

أما المسائل التى لم يتخذ فيها المؤتمر قرارا ولكنه اعتبرها موضوعات تتطلب النظر فهى : موضوع الالزام من حيث فترته وسن بدايته ومناهجه ، وموضوع رعاية الاطفال قبل سن الالزام .

أما المسألة الاولى فهناك دراسات فى الوزارة منذ حوالى نصف قرن تؤكد ان التعليم الالزامى ذا الست سنوات على نظام نصف اليوم لا يكفى حتى لمحو الامية ، وهناك اتجاه اعلنت عنه الوزارة لمد الالزام الى تسع سنوات ، أما رعاية الاطفال قبل سن الالزام ، فهى امر اقرته اغلب الدولة ، وتتطلبه التغيرات الاجتماعية التى تمت فى البلاد وخصوصا بعد الثورة .

والواقع يؤكد ان هذا المؤتمر وغيره من المؤتمرات لم يقدم ولا يستطيع ان يقدم الكثير من أجل تطوير التعليم ، لان التعليم فى بلادنا يحتاج الى ثورة ، والثورة لا تستطيع هذه المؤتمرات أن تقوم بها ، ويؤكد ذلك أن هذه التوصيات الصادرة عن المؤتمر انما هى توصيات تصلح لاى بلد ولاى نظام تعليمى ولاى ظروف اجتماعية .

ان الثورة التعليمية لا يقوم بها سوى التنظيم السياسى الثورى الذى يضع قضية التعليم فى اطارها الاجتماعى السياسى ، ولا يحصرها فى نطاق اطارها الفنى البحت .

ممدوح عبد الرحمن

كذلك أصدر المؤتمر بيانا خاصا حول «المقاومة الفلسطينية» يؤكد فيه «ان حركة التحرر الفلسطينية بفصائلها وتنظيماتها الشعبية جزء هام من حركة التحرر العربية ... ويعلن المؤتمر أن تصفية هذه الحركة يضعف حركة التحرر العربية ويجرد الشعب الفلسطيني من امضى أسلحته ويخدم بالدرجة الاولى الصهيونية والامبريالية ويضعف الجبهة العربية فى المواجهة الحالية مع اسرائيل لازالة آثار العدوان » .

وقد أصدر المؤتمر أيضا عددا من القرارات التنظيمية التى تستهدف تعزيزا نشاط المجلس ودعمه وتوسيع نطاقه ، كذلك اقر المؤتمر خطة لنشاط المجلس خلال عام ١٩٧١ . وأصدر قرارا خاصا حول لاوس أدان فيه المؤامرة الامريكية ضد شعوب الهند الصينية .

●

بيلاك فى القاهرة

فى أواخر فبراير الماضى ، زار القاهرة وفد من الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى ، بدعوة من الاتحاد الاشتراكى العربى .

وكان يرأس الوفد التشيكوسلوفاكى ، الرفيق **فاسيل بيلاك** ، عضو هيئة الرئاسة ، وسكرتير اللجنة المركزية للحزب .

وقد أتيح للوفد الحزبى التشيكوسلوفاكى ، أن يقابل أبرز القيادات فى ج . ع . م : **الرئيس أنور السادات ، ونائب الرئيس على صبرى ، ولبيب شقير عضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ورئيس مجلس الامة ، وشعراوى جمعة نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية .**

وفى ٢٥ فبراير ، بدأت المباحثات بين الوفد الزائر وبين وفد الاتحاد الاشتراكى العربى ، برئاسة **ضياء الدين داود** عضو اللجنة التنفيذية العليا .

وأتيح للوفد الزائر أن يعقد عددا كبيرا من اللقاءات مع قيادات الاتحاد الاشتراكى ، امتدت الى قيادات الاتحاد الاشتراكى على مستوى محافظة القاهرة وبعض المحافظات الاخرى ، كما أطلع الوفد التشيكوسلوفاكى على بعض أوجه البناء الاقتصادى فى البلاد ، كما زار الوفد منطقة قناة السويس .

وتناولت المفاوضات بين الوفدين ، تطورات الوضع السياسى فى تشيكوسلوفاكيا ، وقضية الشرق الاوسط ، وتبادل الخبرات بين الحزب التشيكوسلوفاكى وبين الاتحاد الاشتراكى ، فى مجال مقاومة التسلل الصهيونى الامبريالى ، الذى يقوم بنشاط تخريبى ضد النظم الاشتراكية والتقدمية .

وفى ختام المحادثات ، أصدر الجانبان بيانا مشتركا ، أدان ادانة كاملة ، النشاط الامبريالى الذى يدعم العدوان والتوسع الاسرائيلى ، وطالب البيان بسحب القوات الاسرائيلية ، واحترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين .

وفى الوقت نفسه ، نوه البيان بالتطور الايجابى فى العلاقات بين البلدين ، واشاد الوفد الزائر بدور **جمال عبد الناصر ورفاقه** ، الذين يسيرون على طريقه ، فيما تحقق من انجازات ، كما قدر وفد الاتحاد الاشتراكى ، تقديرا عاليا ، دور الشعب والحزب فى تشيكوسلوفاكيا ، فى دعم النضال العربى ضد الامبريالية والصهيونية .

وقد وقع الوفدان البروتوكول الخاص بالتعاون بين الحزب التشيكوسلوفاكى وبين الاتحاد الاشتراكى العربى ، كما اتفق على انشاء علاقات تعاون بين البلدين فى مجال وسائل الاعلام .

وفى ٢٨ فبراير ، عقد وفد الحزب التشيكوسلوفاكى مؤتمرا صحفيا قبل سفره الى براغ ، فى مقر الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى ، وفى المؤتمر ، عبر الرفيق **بيلاك** عن ارتياحه لنتائج الزيارة ، وأكد على بعض النقاط الهامة :

● نوه بيلاك بما رآه من مظاهر العمل الانسانى الخلاق فى ج . ع . م ، واشار الى ان السد العالى ، الذى أصبح حقيقة ، هو رمز للتعاون بين ج . ع . م وبين الاتحاد السوفيتى .

● تحدث بيلاك عن زيارته للسويس ، فقال ان الوفد رأى بربرية اسرائيل وجرائمها ضد الشعب العربى ، وأكد ان الانسانية التقدمية لا يمكن أن تنسى جرائم المعتدين فى السويس .

● وقال انه أيا كان موقف العناد الذى تقفه اسرائيل ، فلسوف تجبر على الانسحاب من الارض العربية المحتلة ، طال الوقت أو قصر ، وسواء تم هذا بالعمل السياسى ، أو عن طريق القوة ، فان انسحابها ستترتب عليه آثار بعيدة المدى فى الوضع الداخلى لاسرائيل ، وأشار الى انه بمضى الوقت ، تعزل اسرائيل دوليا ، بينما يكسب الشعب العربى ، وهذا فى حد ذاته ، يجب

ان يكون من العوامل التى ترفع الروح المعنوية فى صفوف الشعب العربى .

● وفيما يتعلق بالدور الذى قامت به عناصر الصهيونية ، ابان ازمة سنة ١٩٦٨ فى تشيكوسلوفاكيا ، أشار الى أن بين الامبريالية والصهيونية هدفا مشتركا ، هو كراهية الاشتراكية ، وفى أثناء تلك الازمة ، لم توجه العناصر الصهيونية فى تشيكوسلوفاكيا هجومها ضد الحزب الشيوعى فحسب ، بل هاجمت فى الوقت نفسه الحكومة التشيكوسلوفاكية ، لوقوفها الى جانب العرب ، وذهب نشاط العناصر الصهيونية ، الذى تركز فى أجهزة الاعلام ، الى حد قلب الحقائق ، وتصوير عدوان سنة ١٩٦٧ ، بأنه « عدوان من العرب على اسرائيل » .

واضاف الرفيق بيلاك ، ان هناك عددا من الوثائق سوف ينشر ، لاطلاع الرأى العام العالمى على النشاطات المخربة للعناصر الصهيونية فى تشيكوسلوفاكيا .

● وعند الحديث عن الوضع العام فى تشيكوسلوفاكيا ، أكد الرفيق بيلاك على عدد من النقاط :

ــ انتهى الحزب هناك من عملية التطهير التى استبعدت من صفوف الحزب حوالى ٢٨ ٪ من عدد الاعضاء .

ــ تجرى حاليا اعادة للانتخابات داخل صفوف الحزب من القاعدة الى القمة ، وسوف تنتهى اعادة بناء الحزب على أسس ديمقراطية قبل المؤتمر الرابع عشر للحزب .

ــ تدعيم الدور القيادى للحزب فى جميع القطاعات الحيوية فى المجتمع .

ــ تم تخطيط جديد للاقتصاد القومى ، وسيكون مؤتمر الحزب القادم مرحلة جديدة فى تاريخ الحزب ، سوف تنعكس آثارها على مجمل الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، وعلى السياسة الخارجية .

ــ ان الوحدة الداخلية فى تشيكوسلوفاكيا بين التشيك والسلوفاك ، وحدة متينة ، ويناضل الشيوعيون التشيك والسلوفاك ، من أجل دعم هذه الوحدة ، ويمثل نضالهم الضمان الاكيد لصيانة وحدة الشعب .

ويرى المراقبون ان زيارة الوفد الحزبى التشيكوسلوفاكى للقاهرة ، والنتائج التى أسفرت عنها ، انما تشير الى حقيقة أن تشيكوسلوفاكيا انما تسير بنجاح فى طريق تصفية آثار أزمة عام ١٩٦٨ ، وأن الاستقرار المتزايد للاوضاع هناك ، قد بدأ يمكن تشيكوسلوفاكيا والحزب التشيكى من أن يوسعا مبادراتهما على الصعيد الدولى ، لتلعب تشيكوسلوفاكيا دورها ــ كبلد اشتراكى ــ فى النضال من أجل السلام ومساندة حركات التحرر الوطنى .

■ ■

■ **فلسطين :**

اقرار مشروع الوحدة والبرنامج .. بداية طريق

أنهى المجلس الوطنى الفلسطينى أعماله فى ٦ مارس الماضى ، باقرار مشروع الوحدة الوطنية الذى طرحه « ياسر عرفات » ، واقرار برنامج العمل السياسى .

وينص مشروع « ياسر عرفات » للوحدة الوطنية ، على أنها تقوم على الاسس التنظيمية التالية :

■ **أولا** : منظمة التحرير الفلسطينية ، هى الاطار الذى يضم كافة القوى الثورية الفلسطينية من أجل ثورة مسلحة تحرر كامل التراب الفلسطينى ، ولهذه المنظمة ميثاق يحكم سيرها ، ومجلس وطنى ، وقيادة له ، تكون هى أعلى سلطة تنفيذية للمنظمة . وهذه القيادة هى التى تضع الخطة العامة الموحدة للعمل الفلسطينى فى مختلف مجالاته .

■ **ثانيا** : تشترك كل المنظمات الفدائية والقوى المقاتلة والهيئات والاتحادات والشخصيات الوطنية المستقلة فى الوحدة الوطنية ، شريطة أن تلتزم بالميثاق الوطنى الفلسطينى وقرارات المجالس الوطنية ، التزاما كاملا .

■ **ثالثا** : ان الاندماج بين المنظمات ، هو أعلى مستويات التوحيد التى ننادى بها ونشجعها ونعمل من أجلها ، ولكن **من حق كل منظمة أن تحافظ على وجودها الداخلى تنظيميا ، على أن تحل كافة مؤسساتها الاخرى ، وتدمج جميع هذه**

المؤسسات فى منظمة التحرير الفلسطينية، بمعنى العمل على تحقيق الوحدة العسكرية والسياسية والمالية والاعلامية لمنظمات المقاومة، على أن يحتفظ لكل تنظيم باستقلاله الداخلى، مع انتخاب قيادة جديدة للعمل الفلسطينى، تضم ما بين ٩ و ١١ عضوا .

■ **رابعا** : يضع المجلس الوطنى استراتيجية سياسية وعسكرية واعلامية ومالية ملزمة للجميع .

■ **خامسا** : تشكل قيادة تتولى مسئولية قيادة النضال الفلسطينى فى كافة أوجهه ومجالاته .

■ **سادسا** : الالتزام بقرارات القيادة، شرط أساسى لوحدة المسيرة، وتتولى هذه القيادة تنفيذ قراراتها، وقرارات المجالس الوطنية وحمايتها، ومعالجة حالات عدم الالتزام والانضباط، ضمن ما تراه ملائما لمصلحة الثورة العليا .

وينص مشروع البرنامج السياسى على رفض « الدويلة الفلسطينية »، وعلى معالجة الانقسام الذى وقع فى الساحة الاردنية، وذلك بالاشتراك والعمل جنبا الىجنب معالحركة الوطنية الاردنية ودعمها وتجنب كل فرص التصادم مع الانظمة التقدمية العربية، باعتبارها حليفا للثورة .

وقرر المجلس الوطنى، تكليف كل من اللجنة التنفيذية، واللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية [ويرأسها ياسر عرفات]، بالاستمرار فى تحمل مسئولياتها لفترة لا تزيد على ٣ اشهر، يتم خلالها تشكيل مجلس وطنى جديد، يقوم هو بانتخاب القيادة السياسية الجديدة للعمل الفلسطينى، كما قرر المجلس توسيع عدد أعضاء اللجنة التنفيذية الحالية، بحيث يضاف اليها كل من قائد جيش التحرير الفلسطينى، ورئيس المجلس الوطنى الحالى، ورئيس الصندوق القومى، ومن تراه مناسبا من الاعضاء، وتكون مهمة هذه اللجنة تشكيل المجلس الوطنى الجديد من ١٥٠ عضوا، على أساس كفاءاتهم النضالية والفكرية، وحدد يوم ٣٠ يونيو القادم، اقصى موعد لاجتماعه . وقرر المجلس الوطنى تكليف اللجنة التنفيذية الموسعة بأن تقدم للمجلس الوطنى الجديد، تقريرا مفصلا عن الاسس اللازمة لبناء الوحدة الوطنية الفلسطينية بصفة نهائية .

وقرر المجلس كذلك، تشكيل قيادة عامة لقوات الثورة الفلسطينية، التى تتكون من قوات جيش تحرير فلسطين، وقوات المقاومة، والميليشيا الشعبية التابعة لها، على أساس ان يكون **ياسر عرفات** رئيس منظمة التحرير الفلسطينية قائدا عاما لهذه القوات، والعميد **عبد الرزاق اليحيى** القائد العام لجيش التحرير الفلسطينى، رئيسا للاركان .

وتنفيذا لقرارات المجلس، بدأ اتخاذ خطوات للحد من ظاهرة الازدواج والتعدد فى الساحة الفلسطينية، بحيث لا يكون هناك سوى **مكتب واحد** ينطق باسم الثورة الفلسطينية فى جميع الدول والعواصم العالمية .

والجدير بالذكر ان الدكتور **زهير العلمى** رئيس الصندوق القومى الفلسطينى وعضو اللجنة المركزية، قدم للمجلس تقريرا عن **الازمة المالية** التى يواجهها الصندوق، والتى تهدد بانهيار البنيان المالى الذى يرتكز عليه النضال الفلسطينى، نتيجة عدم وفاء الدول العربية بالتزاماتها السنوية فى ميزانية منظمة التحرير، باستثناء ما تقوم به الجمهورية العربية المتحدة من دفع رواتب قوات **عين جالوت**، فى حدود ٣٠٫٠٠٠ جنيه مصرى شهريا . وقد بلغ مجموع الالتزامات التى لم تسدد حوالى ١٦ مليون جنيه استرلينى . وطالب البيان بضرورة اثارة هذا الموضوع أمام مختلف الجبهات وعلى جميع المستويات .

هذا وقد انضم الى اجتماع المجلس الوطنى، لاول مرة، كل من **فائق وراد** عن « قوات الانصار » التى نظمها الحزب الشيوعى الاردنى، **وحبيب قهوجى، وصبرى جريس** عن حركة « الارض »، التى تكافح فى اسرائيل، والشاعر **محمود درويش** . وتحول المجلس فى جلسته الثالثة الى **مجلس شعبى موسع**، ضم الى جانب اعضائه ٣٠ من الشخصيات الفلسطينية من سوريا ولبنان، وعددا من الشخصيات الاردنية، منها **سليمان النابلسى** رئيس وزراء الاردن السابق، **وعاكف الفايز** نائب رئيس الوزراء السابق، **وجعفر الشامى** وزير الداخلية السابق، والشيخ **عبد الحميد السايح** وزير الاوقاف السابق .

وقد قدم خلال جلسات المجلس، تقييم للمرحلة الماضية من النضال الفلسطينى، قدم فيها بشكل خاص، نقد ذاتى للاخطاء التى وقعت فيها المنظمات الفدائية، سواء من الناحية السياسية أو من ناحية الأخطاء التطبيقية فى مجالات العمل المباشرة . وانتقدت كافة المواقف السابقة، التى كان من شأنها ان تؤدى الى عزل حركة المقاومة الفلسطينية والشعب الفلسطينى، عن الحركة الوطنية الاردنية من ناحية، وعن الدول العربية التقدمية، التى تكافح من أجل ازالة آثار العدوان

على اراضيها من ناحية أخرى كذلك ، فاذا كان اعضاء المجلس قد ادانوا واستنكروا كافة الحلول التصفوية ، الا انهم لم يتعرضوا بالنقد فى قراراتهم لجهود الدول العربية من اجل تصفية آثار العدوان وفق قرار مجلس الامن . ودون شك ، فان ذلك الموقف يعد تقدما ، بالمقارنة مع الموقف السابق الذى اتخذته اغلب منظمات حركة المقاومة من الدول العربية التقدمية ، بعد قبولها قرار مجلس الامن . كذلك فثمة تطور آخر يعكس ادراكا أكثر موضوعية للعوامل والسبل المتعددة التى يمكن ان تخدم قضية تقدم الثورة ، اذ برز فى المجلس ، الاتجاه الى اعتبار الكفاح المسلح هو **الشكل الرئيسى** للنضال ، بدلا من اعتباره **الطريق الاوحد له** . ومع ذلك ، فقد ارتفعت أثناء جلسات المجلس بعض الاصوات التى تنطلق من الامانى ، دون حساب لعلاقات القوى الخاصة بالثورة وبأعدائها ، والتى تقوم على سياسة وفكرة « كل شىء او لا شىء » . وعلى أية حال ، فمن الامور التى بدا الاحساس بأهميتها فى هذا المجلس ، هى **ضرورة تكوين جبهة وطنية أردنية ــ فلسطينية** لمواجهة القوى المضادة للثورة ، وضرورة عمل فصائل الثورة الفلسطينية فى تنسيق وتعاون تام مع حركة التحرير العربية ، وهو الموقف الذى كثيرا ما نبهت قوى اليسار الثورى فى العالم العربى ، حركة المقاومة الى ضرورة الحرص عليه .

والجدير بالذكر ، ان الرئيس **أنور السادات** القى خطابا فى افتتاح المجلس الوطنى ، وصفه **ياسر عرفات** بأنه « كان خطيرا وصريحا » ، أعلن فيه « اننا لم نضع قيدا على حركتنا السياسية [من أجل تصفية آثار العدوان] غير قيدين اثنين :

الاول : هو الانسحاب من كل الاراضى العربية المحتلة سنة ١٩٦٧ .

والثانى : هو الاصرار على حقوق شعب فلسطين كما تحددها قرارات الامم المتحدة » .

واشار الرئيس السادات ، اشارة لها مغزاها الكامل هنا ، حين قال اننا « كنا نعتقد ولا زلنا ، بأن الاطار السياسى الذى نحمل فيه السلاح ، لا يقل أهمية عن السلاح الذى نحمله نفسه ، وعن ذكائنا فى استعماله » . وقال كذلك لاعضاء المجلس الوطنى ، وقادة حركة المقاومة ، والشعب الفلسطينى « اننا نريد ان يكون عملنا **مشتركا** ، قائما على **استراتيجية متفق عليها** ، مفتوحا للتحرك السياسى ، **على اساس من الثقة المطلقة** .

■ **سوريا :**

الجبهة الوطنية ــ مجال الحوار ــ بين قوى التحالف

يتابع المراقبون ، والرأى العام العربى ، باهتمام كبير ، التطورات الايجابية الهامة التى تجرى فى سوريا هذه الايام ، والتى كان آخرها انتخاب الفريق **حافظ الاسد** لمنصب رئيس الجمهورية بأغلبية ساحقة ، وبتأييد من كافة الاحزاب والقوى التقدمية ، وذلك بعد ترشيح مجلس الشعب له فى أواخر شهر فبراير الماضى . وكان قد تم تشكيل مجلس الشعب ، وانعقاد أولى جلساته فى ٢٢ فبراير الماضى ، وفى مناسبة ذكرى اعلان الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ ، وذلك فى نطاق التجربة الديمقراطية التى شهدتها سوريا ، عقب « حركة التصحيح » فى الحزب والدولة ، التى قام بها الفريق حافظ الاسد فى منتصف شهر نوفمبر الماضى ، ثم تأليفه الوزارة الجديدة التى تضم ممثلين عن **الوحدويين الاشتراكيين والاتحاد الاشتراكى والحزب الشيوعى والاشتراكيين العرب** [جماعة أكرم الحورانى] .

وقد تم توزيع المقاعد فى مجلس الشعب ، على أساس تخصيص اغلبية المقاعد لحزب البعث ، للتأكيد على الدور القيادى لحزب البعث للجبهة الوطنية التقدمية ، وتخصيص ١٢ مقعدا للاتحاد الاشتراكى ، و ١٢ مقعدا للوحدويين الاشتراكيين و ٨ مقاعد للحزب الشيوعى ، و ٨ مقاعد للاشتراكيين العرب . وذلك حتى تستطيع هذه القوى أن تعلن من داخل المجلس عن آرائها ازاء القضايا الاساسية للدولة ، والمشاركة فى تحمل مسئولية المرحلة المقبلة ، الامر الذى يجعل من هذا المجلس ، فى الحقيقة ، مجالا لاجراء الحوار الديمقراطى بين مختلف أطراف القوى الوطنية .

ومن هنا ، يعتبر المراقبون تشكيل المجلس ، خطوة الى الامام على طريق الديمقراطية الوطنية ، وبناء الجبهة التقدمية . وقد أجمعت كافة القوى التقدمية على ضرورة التعاون فى هذه المرحلة الانتقالية ، والاعتراف بدور حزب البعث القطرى القيادى ، وتدعيم النظام التقدمى فى سوريا ، والحفاظ على المكاسب الثورية للشعب . وذلك برغم ما تراه هذه القوى فى هذه الخطوة من قصور . ومن كونها تمت بالتعيين وليس عن طريق الانتخاب الديمقراطى من القاعدة ، كما أن نسبة

تمثيل كل هـذه القوى ، قـد لا تتفق مع الوزن الحقيقى لها جماهيريا ، وترى كافة هـذه القوى أيضا انه كان يجب ان يسبق هذه الخطوة اعداد صيغة وبرنامج الجبهة الوطنية التقدمية ، وتحديد الاطار التنظيمى وخطة العمل السياسى المشترك ، لتوضيح استراتيجية وأهداف المرحلة المقبلة ، من أجل خلق جبهة وطنية تقدمية قوية .

وتطالب هـذه القوى ، فى الوقت الحـاضر ، بضرورة التعجيل باجراء حوار بينها وبين قيـادة حزب البعث ، للاتفاق على الصـيغة التنظيمية ، واستكمال بناء الجبهة .

وكان الفريق **حافظ الاسـد** قد اعلن فى خطابه الافتتـاحى للمجلس : « انه بتشـكيل مجلس الشعب ، نكون قد قطعنا أشـواطا كبيرة وهامة على طريق الوحدة الوطنية ، وان المهمة العاجلة المطروحة علينـا ، لمواجهـة المخطط الامبريالى الصهيونى لتصـفية الثورة العربية ، هى التوحيد الشامل لقوى هذه الثورة على الصعيدين العربى والقطرى ، وان أخطر ادانة توجه الى القيـادة السابقة للحزب ، انها زيفت علاقة الحزب بالقوى التقدمية الاخرى ، وكذلك علاقة القطر بالاقطـار العربية التقدمية .. »

وقد تحددت مـدة المجلس بسـنتين ، تبدأ من تاريخ انعقاد أول اجتماع له ، كما تقرر أن يتولى المجلس مهمة وضـع الدسـتور الدائم للبلاد ، وترشـيح رئيس الجمهورية المقترح من القيـادة القطـرية لحزب البعث ــ وهو ما تم بالفعل ــ واقرار القوانين ، ومناقشة سـياسة الوزارة ، وحجب الثقة عنها أو عن احد الوزراء .. كذلك تم انتخاب السـيد « **احمد الخطيب** » الامين العـام للقيـادة القطرية المؤقتة لحـزب البعث رئيسـا لمجلس الشعب .

وكان قـد احتفل فى سـوريا ، بالذكرى الثالثة عشرة لاعلان الوحدة بين مصر وسوريا ، وجاء فى بيان للقيـادة القطرية بهذه المناسـبة : « ان نكسة الانفصـال هى درس كبير لجماهيرنا الوحـدوية ولقواها التقدمية . فقـد أكدت ان الجمـاهير المنظمة بقيـادة قواها التقدمية ، هى وحدها القادرة على تحقيق الوحـدة ، وحمايتها وتطويرها » .. وأكد البيـان على « تعميق الخط الاشتراكى ، واعتبـار التحولات الاشـتراكية ، والاسـتمرار بها ، يشـكل المضـمون الحقيقى والمحتوى بأية خطوة وحـدوية ، وان انضـمام سوريا لميثاق طرابلس ، وانبثاق الاتحاد الرباعى كان بادرة أمل جـديدة لجمـاهيرنا ، سـتتلوها خطوات ، تطويرا للاتحاد ، كنواة أساسية لوحدة العرب الكبرى » .



● حافظ الاسد ●

■ ■

■ **افريقيا :**

فرنسا .. « والعلاقات الخاصة »

تابعت الدوائر الافريقية باهتمام ، الرحلة التى قام بها الرئيس الفرنسى **بومبيدو** [لمدة ١١ يوما] الى ٥ دول افريقية [موريتانيا ــ السـنغال ــ سـاحل العاج ــ الكاميرون ــ جابون] ، التى تحتفظ حكوماتها « بعلاقات ممتازة » مع فرنسا ، منذ أن استقلت عنها .

ويربط المراقبون الافريقيون زيـارة بومبيدو ، التى وافقت ذكرى مرور عشر سـنوات على

استقلال هذه الدول عن فرنسا ، وبين الاعتبارات التالية :

اولا : المتاعب الاقتصادية التى تواجهها « الدول الافريقية الناطقة بالفرنسية » ، والتى تخلق مناخا عاما من عدم الاستقرار .

ثانيا : التأكيدات الاخيرة التى حرصت الحكومة الفرنسية على اعلانها ، باعتبار افريقيا « الحلقة الثالثة بعد دول اوربا والبحر المتوسط ، من دوائر اهتمام السياسة الخارجية الفرنسية » ، التى حدد ديجول معالمها .

ثالثا : ظروف الاضطراب السياسى العام الذى تواجهه دول غرب افريقيا منذ انتقلت جهود بأن سياسة ديجول تجاه هذه الدول مستمرة دون بمحاولة الغزو الفاشل ضد جمهورية غينيا .

رابعا : التوتر المتفاقم فى العلاقات داخل مجموعة الكومنولث البريطانى ، بعد اتجاه حكومة لندن الى مد حكومة جنوب افريقيا بالاسلحة .

ومن الملاحظ ان الرئيس بومبيدو قد حرص ، قبل رحلته ، على اتخاذ خطوات لها دلالتها . فقد سبق الرحلة ، أن قام بومبيدو بزيارة « **منظمة التنمية والتعاون الاقتصادى** » — التى تضم ٢٢ دولة من اكثر الدول الصناعية تقدما فى العالم الغربى . وقد أشار فى زيارته هذه الى « ضرورة أن تخصص الدول الصناعية نسبة ١ ٪ على الاقل من اجمالى انتاجها القومى ، كمعونة لدول العالم الثالث » ، وهى النسبة التى سبق أن حددتها مؤتمرات التجارة الدولية . كذلك دعا بومبيدو رجال الاعمال الفرنسيين « للعودة الى افريقيا بروح جديدة » . وقد سبق هذه الدعوة ، اعلان الحكومة الفرنسية عن « تصحيح » لميزانية ١٩٧١ ، حتى « تدعم سياسة التعاون التى تنتهجها ازاء هذه الدول » ، بأن وضعت نظاما للضمانات بالنسبة للاستثمارات الخاصة — طالب بها أصحاب رءوس الاموال الفرنسية منذ سنوات — تسهل عملية الاستثمارات الخاصة ، والتى تعتبرها الحكومة مكملة لسياستها فى هذا المجال . وعلى المستوى السياسى ، حرص بومبيدو على أن يعلن — قبل الرحلة — عن استجابته لنداء **منظمة الوحدة الافريقية** ، بوقف بيع الاسلحة الى حكومة جنوب افريقيا . وقد جاء

تعليق

الربيع الغائب عن سماء البصرة

منذ شهرين دعت وزارة الاعلام العراقية عددا كبيرا من الكتاب العرب لحضور مهرجان يحيى ذكرى الشاعر العراقى الكبير بدر شاكر السياب .

ولعل المسئولين العراقيين قد فوجئوا بان معظم المدعوين من شتى الأقطار العربية اعتذروا فى اللحظة الاخيرة عن الحضور

ولكن وزارة الاعلام العراقية عادت التفكير لعقد مهرجان آخر دعته «مهرجان الربيع الشعرى» ، ودعت اليه من جديد عددا هائلا من الادباء والشعراء والنقاد العرب ، وحددت « اليوم » — أول نيسان — موعدا لانعقاده فى البصرة . ولن يفاجأ المسئولون العراقيون هذه المرة باعتذار المدعوين فى اللحظة الاخيرة . لان الكثرة الغالبة التى لن تحضر لم تال جهدا فى اعلان حيثياتها لعدم الحضور .

لقد بات امرا واضحا لكل ذى عينين من المفكرين العرب ان الاحتجاج على حرب امريكا الفكرية ضد الثقافات الوطنية العربية ، والاحتجاج على الارهاب الاسرائيلى لشعراء الارض المحتلة ، لا ينبغى ان ينفصل ولا ان ينعزل عن الاحتجاج على الاوضاع السيئة التى يعيش فى ظلها المثقفون العرب فى بعض الاقطار العربية .

ان حرية الكاتب والفنان — بل حرية المواطن عندنا — لا تتجزأ . ولا يمكن حين تتخذ موقفا من وجودها او غيابها ان نجزىء هذا الموقف او نلونه وفقا لشكل الراية التى ترفرف على الحدود . والحكم العراقى الراهن ، قد رفع ولايزال يرفع الشعارات الثورية والتقدمية . ولكن على ارض الواقع يبطل مفعول هذه الشعارات بمايعكس الهدف منها تماما . ان الدعوة الى قيام جبهة وطنية تقدمية . شعار ثورى لا غش فيه : ولكن السلطة العراقية الحالبة لم تحقق الحد الادنى من قيام الجبهة المرتجاه . بل هى تبذل قصارى جهدها فى تفتيت الوحدة الوطنية بين صفوف الثوريين .. لدرجة التصفية الجسدية للمناضلين التقدميين الذين عرفوا على طول تاريخهم بالصلابة والاتساق بين الفكر الثورى والعمل الثورى .

بدر شاكر السياب

ومن بين هؤلاء كتاب وشعراء يقاسون اليوم — ومهرجان الربيع يزغرد فى البصرة — اعنف الوان العذاب ! ومن بين هؤلاء كتاب وشعراء نفاهم النظام الراهن فى العراق الى خارج ديارهم ، يعانون شظف العيش ومرارة الغربة .

لذلك ارجو الا يدهش القائمون على مهرجان الربيع اذا لم تستطع الزغاريد العالية الرنين ان تغطى على اصوات المعذبين فى « قصر النهاية » ، واذا لم تستطع القصائد العصماء ان تغطى على الانين المبحوح للشباب العراقى الشريد فى عواصم العالم ، واذا لم يستطع التصفيق الحاد المتواصل ان يغطى على ندب الثكالى ونواح الارامل والايتام .

واننى اذا كنت قد اعتذرت فى الماضى القريب عن حضور مهرجان بدر شاكر السياب ، فان لا اعتذر اليوم عن مهرجان البصرة التى غاب الربيع عن سمائها .. وانما اضم صوتى الى كافة الاصوات الشريفة التى رفضت الاشتراك فى « كورس » يترنم بالزيف والضلال .

غالى شكرى

هذا فى وقت تشتد فيه موجة السخط العام فى افريقيا ضد موقف حكومة بريطانيا بشأن هذه القضية . ومن جهة أخرى ، حرص بومبيدو ، على أن يصحب معه فى رحلته **جاك فوكار** — مستشار ديجول للشئون الافريقية — والسكرتير العام فى رئاسة الجمهورية « لشئون دول افريقيا ومالاجاش » . وكان يهدف من ذلك الى التأكيد بأن سياسة ديجول تجاه هذه الدول مستمرة دون تغيير . ومن الجدير بالذكر أن الصحافة الغربية تطلق على فوكار اسم « الحكومة الخفية » بالنسبة للمستعمرات الفرنسية السابقة .

ويلاحظ المعلقون السياسيون أن النغمة التى سادت الخطابات التى ألقاها زعماء الدول الافريقية التى زارها بومبيدو ، تدور حول مخاوفهم وقلقهم من حقيقة أن بلادهم لا تملك سوى المواد الاولية أو المنتجات الزراعية التى تخضع أسعارها جميعا لقوانين السوق العالمية الصارمة . وكان رد بومبيدو على هذه المخاوف ، أن طمأنهم بأن فرنسا « ستتدخل لدى المنظمات الدولية للتوصل الى تثبيت أسعار منتجات المناطق الاستوائية » ، ووعدهم بدراسة مشاكل التبادل والعجز فى ميزان التجارة ، وبالتدخل لدى السوق الاوربية المشتركة لضمان « عدم الاضرار بالميزات التى تحققها دول افريقيا ومالاجاش » . وفى موريتانيا ، أعلن بومبيدو ، أثناء زيارته لها ، عن موافقته على أن تقوم فرنسا ببناء مصنع للحديد فى موريتانيا .

أما الملاحظة الثانية ، التى رصدها المعلقون السياسيون من خطابات رؤساء هذه الدول ، فتتعلق بمطالبتهم « ان يتولى بعض الشباب الافريقى ، المشهود لهم بالكفاءة والمقدرة ، الوظائف التى يشغلها المديرون الاوربيون فى الجهاز الادارى وفى الشركات » . وقد علق بومبيدو على ذلك ، أثناء زيارته للسنغال ، بقوله « ان التعاون بيننا ينبغى أن يؤدى الى اضفاء الطابع الافريقى » .

ومن الجدير بالذكر أن جورج مارشيه ، كان قد أعلن فى كلمة له « باسم الشيوعيين الفرنسيين » ، تعليقا على زيارة بومبيدو ، « اننا نقترح مراجعة اتفاقيات التعاون وابرام اتفاقيات جديدة مجردة من أى طابع للاستعمار الجديد ، ومن أية تأثيرات سياسية تجعل من المساعدة الضرورية وسيلة للضغط على الدولة المعنية ، وتستهدف التأثير على اتجاهاتها السياسية والاقتصادية » .

ويعتقد المعلقون للشئون الافريقية ان بومبيدو كان يهدف من وراء رحلته :

أولا : ان يثبت للعالم بشكل عام ، وللولايات المتحدة وبريطانيا بشكل خاص ، أن « المنطقة الفرنسية » فى افريقيا ما زالت ترتبط بفرنسا بعلاقات أقوى من تلك العلاقات المتفككة التى تسود الكومنولث البريطانى .

ثانيا : ان فرنسا لاتزال هى الدولة « الام » ، القادرة على حل مشاكل هذه الدول .

ثالثا : تأكيد سياسة الاستمرار فى تنمية « العلاقات الخاصة » بين فرنسا والدول الافريقية ، التى كانت مستعمرات سابقة لها . فقد وعد بومبيدو رؤساءها بأن مساعدات فرنسا لحكوماتهم « ستخطط على مدى طويل ، يمكن هذه الدول من تخطيط اقتصادها على أساس واضح لمدة أربع أو خمس سنوات » .

■ ■

■ **الهند** :

هزيمة ساحقة
« للحلف اليمينى الكبير »

يعتقد المراقبون أن حصول حزب المؤتمر على أغلبية مقاعد البرلمان فى الانتخابات التى انتهت فى منتصف الشهر الماضى يعتبر دليلا على ان شعب الهند [٢٧٥ مليون ناخب] قد رفض الاحزاب والمؤسسات الرجعية [رأسمالية يمينية او طائفية] التى تعد مدخلا يحاول الاستعمار الجديد عن طريقها ان يبسط نفوذه على الهند . فضلا عما تعنيه نتائج الانتخابات من ان الشعب قد « فوض » **انديرا غاندى** فى الاقدام على تطبيق سياستها الوطنية .

ويتساءل المراقبون هل سيكون هناك عذر او ذريعة للابطاء او التردد فى تطبيق ما التزم به حزب المؤتمر فى حملته الانتخابية بعد ان حصل على اكثرية ساحقة فى الانتخابات [٣٥٠ مقعدا] ؟ ومن ثم فهم ينتظرون تطورات الاحداث فى **نيودلهى** اجابة على تساؤلهم .

والواقع ان الانتخابات الخامسة فى تاريخ الهند المستقلة ، تعد اكثر انتخابات البلاد اهمية على الاطلاق . لانها — كما يقول المعلقون — تحمل



● انديرا غاندى ●

دلالات هزيمة « **الحلف اليمينى الكبير** » من جهة و « الانفتاح على اليسار المحلى والخارجى » من جهة اخرى .

فقد اعلنت انديرا غاندى فى ديسمبر الماضى عن حل البرلمان واجراء انتخابات فى البلاد قبل موعدها بعام كامل . وكان ذلك نتيجة للمعوقات التى واجهتها حكومة حزب المؤتمر فى البرلمان حين تقدمت فى ذلك الوقت بمشروع قانون يقضى بنزع ملكية المهراجات المالية . فبالرغم من كل ما حققته الهند من تقدم فى ميادين الزراعة والصناعة ، الا ان ثمار هذا التقدم لم توزع بطريقة عادلة بين كل قطاعات المجتمع ومختلف انحاء البلاد . وقد سبق هذا الصدام فى اواخر العام الماضى ، صدام آخر فى اواخر عام ١٩٦٩ عندما تقدمت حكومة **انديرا** بمشروع تأميم البنوك الى البرلمان ، فانشق عليها جناح من حزب المؤتمر [٦٠ عضو] على راسهم **مورارجى ديساى وكاماراج** ، مما ادى الى فقدان الحكومة الاغلبية فى البرلمان . فقد اصبحت الحكومة تعتمد وقتها على ٢٢٨ صوتا بينما تحتاج الى ٢٦١ صوتا لضمان الاغلبية فى المجلس الذى يضم ٥١٨ مقعدا . **واعتمدت الحكومة لاقرار مشروع التأميم ، على اصوات الحزب الاشتراكى والشيوعيين** الذين كانوا يعارضون « السياسة اليمينية » لحزب المؤتمر والنفوذ المتزايد للجناح اليمينى فيه والذى جمد الحزب واوقفه لفترة طويلة عن مواصلة السير فى طريق التقدم الوطنى والاجتماعى .

وذلك ما يفسر امام المراقبين عنف المعركة الانتخابية التى جرت اخيرا والتى سقط فيها المئات ما بين جرحى وقتلى . فقد تكتلت الاحزاب الرجعية ضد حزب المؤتمر . وضم هذا التكتل : حزب **السواتنترا** [المعبر عن مصالح الاقطاع والراسماليين الكبار] وحزب **الجان سانج** [الطائفى] وحزب **السايوكتا** الاشتراكى [الفاشى] ، بالاضافة الى حزب « المؤتمر القديم » [الجناح المنشق فى اواخر عام ١٩٦٩] . ومن صور الصدام العنيف بين الاحزاب الرجعية وحزب المؤتمر ، ان حزب المؤتمر قد رشح فى راجستان [معقل المهراجات] ١٣ شخصا من ضحايا الاقطاع والمهراجات انفسهم ، بكل ما اصابهم من اشكال التعذيب الجسدى ! .

ويقول الصحفيون الذين تابعوا المعركة الانتخابية بشكل ميدانى ، **ان الاشتراكيين والشيوعيين قد « اتخذوا ترتيبات انتخابية من شانها تدعيم مرشحى حزب المؤتمر دون ان يكون هناك تحالفا رسميا بينهم وبين حزب المؤتمر »** ويضيف بعض المعلقين ان احداث الانتخابات تعنى احتمالات انفتاح حزب المؤتمر على اليسار المحلى . هذا الانفتاح « الذى اكدت ضرورته الحيوية تجربة السنوات الماضية سواء داخل حزب المؤتمر او بين صفوف اليسار نفسه » .

ومن الجدير بالذكر ان الحزب الماركسى الهندى قد فاز بـ ٤٠ مقعدا وفاز الحزب الشيوعى بـ ٢٤ مقعدا .

وتنظر الدوائر الوطنية والتقدمية الى نتائج انتخابات الهند ، باعتبارها دليلا على ان حزب المؤتمر بعد تخلصه من الجناح اليمينى فيه قد اصبح اكثر وضوحا فى رؤيته الى القضايا التحررية ، كما انها ستمكن الهند من استعادة مبادراتها فى العمل السياسى الخارجى . ولذلك تتوقع هذه الدوائر ان تقدم حكومة انديرا الجديدة على « علاقات جدية » مع الصين وباكستان « دون خوف من مزايدات اليمين الطائفى او اليمين الغربى » .

■ ■

■ باكستان :

فكرة « دولة البنغال » تبرز من قلب الخلاف

اعلن الشيخ **مجيب الرحمن زعيم** رابطة عوامى وهى حزب الاغلبية فى باكستان الشرقية استقلال

باكستان الشرقية التى أصبحت تسمى « جمهورية البنغال الشعبية » ولذا قرر الرئيس **يحيى خان** وقف جميع النشاط السياسى فى جميع انحاء البلاد وفرض رقابة كاملة على الصحف . ودعا الرئيس يحيى خان الى سحق الحركة التى تزعمها الشيخ مجيب وبدأ القتال بالفعل بين جنود البوليس والمدنيين من جانب والقوات المسلحة الباكستانية الغربية من جانب آخر ..

والحقيقة ان جزءا كبيرا من التناقض القائم بين شرقى باكستان وغربها يرجع فى الواقع الى التخلف الذى تعانى منه باكستان الشرقية فى مجال التنمية الاقتصادية والنظم الادارية ، وعدم انتفاعها على الاطلاق من الاستثمارات التى اتاحت القيام بعمليات تصنيع كبرى جرت بالفعل فى الاقاليم الغربية من باكستان .. كذلك تعيش فى باكستان الشرقية ٧٥ مليون نسمة وتوجد بها اكبر كثافة سكانية فى العالم ، علما بأن مستوى المعيشة هناك من أقل المستويات انخفاضا فى العالم ... وتتهم رابطة « عوامى » باكستان الغربية بمواصلة استغلالها لباكستان الشرقية منذ ٢٣ عاما .. خاصة وقد كانت باكستان الشرقية خاضعة أساسا لسيطرة الاسر الكبيرة فى الغرب والعسكريين من البنجاب ..

ومن ناحية أخرى ، يعتبر ، الشيخ مجيب الرحمن ذو « ميول غربية » وهو لا يبدى حماسا لقضية كشمير التى لانهم فى نظره سكان البنغال على الاطلاق ، وهى القضية التى تعد سبب العداء التقليدى بين الهند وباكستان منذ الاستقلال . فى حين نجد على بوتو من مؤيدى المركزية ، كما أنه يكن عداء كبيرا للهند ويعد من صانعى التحالف القائم على أساس الامر الواقع بين باكستان والصين الشعبية ..

كذلك فان مصدرا من مصادر التناقض الحاد بين باكستان الشرقية والغربية يرجع الى أن مبيعات باكستان الشرقية من المواد الخام وأساسا الجوت تجلب لباكستان نصف دخلها من العملات الاجنبية . الا أن باكستان الشرقية لا تنال سوى ٣٠٪ من الميزانية السنوية للحكومة كذلك فان باكستان الشرقية تستطيع باستقلالها الاستقلالى أن تعيد استئناف التجارة مع الهند الامر الذى سيوفر لها مبالغ كبيرة اذ تستطيع فى هذه الحالة شراء الفحم الهندى الاقرب اليها جغرافيا بدلا من الفحم الصينى والبولندى الذى يبلغ ثمنه خمسة اضعاف الفحم الهندى .

ويرى الباكستانيون الشرقيون وعدد من ساسة باكستان الغربية أن **على بوتو** زعيم حزب الشعب الحاصل على الاغلبية فى باكستان الغربية هو الذى ضغط على الرئيس لتأجيل اجتماع الجمعية الوطنية الذى فجر الازمة ، ذلك أن حزب على بوتو وان كان قد فاز بالاغلبية فى باكستان الغربية ، الا انها أغلبية لا تتيح له الحصول على الاغلبية العامة فى البرلمان ككل ، وهو الامر الذى تحقق لرابطة عوامى التى فازت بأغلبية مقاعد المجلس النيابى بعد فوزها الساحق فى باكستان الشرقية ، وبناء عليه فان **على بوتو** يخشى استغناء رابطة عوامى عنه فى البرلمان وانفرادها بتحديد نقاط الدستور الجديد ، وذلك برغم الضمان المتمثل فى حق رئيس الدولة فى رفض الدستور الذى يوافق عليه اقليم واحد ، وعلى أية حال فقد أدت الاحداث الاخيرة الى اتساع شقة الخلاف بين بوتو والشيخ مجيب..

والجدير بالذكر أن عددا من الدوائر السياسية فى كلكتا ترى أن الاحداث الدامية التى وقعت أخيرا فى باكستان الشرقية تسهم فى دفع فكرة اعادة توحيد **دولة البنغال المستقلة** عن كل من الهند وباكستان ، الا أنه لم يقدم أى حزب هندى أو باكستانى رسميا فكرة الدولة البنغالية المستقلة التى تضم ٧٠ مليونا من الباكستانيين البنغاليين أغلبهم من المسلمين و ٣٨ مليونا من الهنود البنغاليين أغلبهم من الهندوس والتى ستؤدى الى اعادة النظر فى تقسيم الهند والبنغال الذى جرى عام ١٩٤٧ .

يدعم ذلك الرأى أن **مولانا باشانى** زعيم حزب « **عوامى الوطنى** » فى باكستان الشرقية (وهو اسلامى ويؤيد الصين فى نفس الوقت) يطالب باستقلال باكستان الشرقية استقلالا تاما وتشكيل حكومة وطنية بنغالية ، والحقيقة أن التشابه النسبى بين أوضاع الباكستانيين البنغال والهنود البنغال قد ولد بالفعل روابط سياسية وشبه رسمية أو سرية بين حزبى البنغال ، لدرجة أن الاجنحة

« الماوية » المتزايدة فى كل من البنغال الغربية فى الهند ، وباكستان الشرقية اتخذت من « شارو مازوندار » مفكر الحزب الشيوعى الهندى (المؤيد للصين) زعيما لها ، كما وأن الانتصار المثير الذى حققته رابطة عوامى فى الانتخابات الباكستانية فى ديسمبر الماضى جعل من الشيخ مجيب الرحمن زعيم الرابطة نجما سياسيا فى البنغال الغربية ، وعلى أية حال فان أنصار توحيد البنغال يرون ان العقبة الاساسية التى تحول دون ذلك هى المعارضة الشديدة التى تبديها حكومتا نيودلهى وروالبندى ».

وعلى أية حال فان قضية توحيد البنغال ، وانشاء دولة البنغال المستقلة ليست من قبيل الاهداف التكتيكية ، والمهم الان فى نظر الحكومة المركزية فى باكستان هو المحافظة على وحدة باكستان ، وقد أوضح الرئيس يحيى خان موقف حكومته بهذا الصدد بقوله « ان الدستور يجب أن يكفل الحد الاقصى من الاستقلال للاقاليم ، ولكن يجب أن يكفل فى نفس الوقت للحكومة المركزية الوسائل التشريعية والادارية والمالية التى تمكنها من الحفاظ على سيادة البلاد ووحدة أراضيها ».

■ ■

■ الولايات المتحدة الامريكية :

النشاط التخريبى المعادى للسوفييت

فى شهر فبراير الماضى ، انعقد فى بروكسل ، ما يسمى « بالمؤتمر العالمى للدفاع عن اليهود السوفييت » . واشترك فيه مندوبون عن المنظمة الصهيونية العالمية ، والوكالة اليهودية ، والمؤتمر اليهودى العالمى ، ومنظمة بناى بريت اليهودية . وقد يكون من المفيد ، كى نتبين حقيقة هذا المؤتمر ، أن نلقى نظرة سريعة على اهم الشخصيات التى حضرته . كانت الشخصية الاولى فى المؤتمر دافيد بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل السابق . ويأتى بعده أرثر جولد برج رئيس المؤتمر الاوروبى الدولى والمندوب الدائم للولايات المتحدة من قبل فى هيئة الامم ، والمعروف بعدائه الشديد للعرب وتأييده الكامل للصهيونية واسرائيل . ثم جافيتس وريبكوف ، عضوا مجلس الشيوخ الامريكى ، ومن كبار الصهاينة ، وبانت جانز ، وهولورد بريطانى ، وجديون هوسنر رئيس المحكمة العليا فى اسرائيل وغيرهم من الشخصيات الصهيونية التى استغلت منبر مؤتمر بروكسل للافتراء على الاتحاد السوفيتى وسياسته القومية ، وللمطالبة بتوسيع هجرة اليهود الى اسرائيل ، ودعوة اليهود السوفييت الى التخلى عن وطنهم والهجرة الى اسرائيل .

وقد أشار بيان ممثلو الرأى العام السوفيتى « الى ان هذا المؤتمر ليس الا عملا استفزازيا من جانب الصهيونية الدولية ، ومحاولة حقيرة لتشويه حقيقة التآخى القائم بين شعوب الاتحاد السوفيتى ، والافتراء على سياسته القومية »

فى طابور واحد معكم .. يا شعراء العراق

● حينما استدعى القيصر ـ نيقولاى الاول ـ الشاعر بوشكين ، فى أعقاب هزيمة انتفاضة الديسمبريين ـ ضد القيصرية ـ وسأله :

ـ لو كنت فى « بطرسبرج » ابان الانتفاضة ، فأين سيكون موقفك ... ؟ !

واجاب الشاعر بلا تردد :

ـ سيكون موقفى الى جانبهم يا مولاى

.. وحينما تدعو وزارة الاعلام العراقية الشعراء العرب الى مهرجان شعرى ، فى الوقت الذى تغيب فيه أصوات شعراء العراق وراء الجدران الخرساء « لقصر النهاية » ، وفى الوقت الذى لا يملك فيه شعراء العراق ، الا اصابعهم المهشمة العريانة ـ اقلاما ـ يكتبون بها فوق جدران الحجرات المظلمة ـ فى الوقت الذى يعيش فيه ـ فى المنفى ـ عدد من شعراء العراق ، لا يملك الشاعر ، الا أن يأخذ موقف بوشكين ، وأن يصرخ :

ـ ان موقفى الى جانبهم ، هناك فى ـ قصر النهاية ـ أو ـ فى المنفى ـ

.... من اجل هذا أرى أن أرفض الدعوة التى تلقيتها لمهرجان البصرة الشعرى ـ الذى سينعقد ـ فى أول ابريل القادم ـ فمن حق الشاعر أن يقلب كأسه ، وأن يرفض الخمر المغشوشة ، وحفلات الكوكتيل التى تقام ـ تحت الاضواء ـ وهناك وراء الجدران ـ تقام للشعراء ـ حفلة كوكتيل من نوع آخر ...

معين بسيسو

والتدخل السافر فى الشئون الداخلية للشعب السوفيتى .

وفى سبيل التحضير لمؤتمر بروكسل ، شنت الصهيونية الدولية حملة محمومة ضد الاتحاد السوفيتى ، لجأت فيها الى استخدام مختلف الاساليب ، ابتداء من خطابات التهديد ، حتى الاعتداءات السافرة والمكشوفة .

فطوال عام ١٩٧٠ ، نشطت الاعمال والتحرشات المعادية للاتحاد السوفيتى فى الولايات المتحدة ، واتخذت أبعادا خطيرة ، تهدد بتصدع العلاقات بين الاتحاد السوفيتى وامريكا . وفيما يلى بعض الامثلة :

● فمع بدايات العام ، قامت مجموعة من الصهاينة المحمومين ، أعضاء **عصبة الدفاع اليهودى** ، بتخريب حفلة موسيقية قدمها الفنانان السوفيتيان **اوبستراخ وريتشسد** فى نيويورك ، حينما فجروا زجاجات الامونيا وسط المستمعين .

● وفى اغسطس ، القى اعضاء العصبة قنبلة غاز فى صالة مسرح **شيكاغو** ، خلال العرض الذى تدمته فرقة موسييف للرقص الشعبى ، مما ادى الى توقف العرض .

● وهاجمت مجموعة اخرى من الصهاينة من أعضاء العصبة ، السيارة التى كانت تقل فرقة السيرك السوفيتى لتقدم عروضها فى فيلادلفيا . وعندما وصلت الفرقة الى مكان العرض ، قوبلت بمظاهرة عدائية نظمتها مجموعة من الصهاينة ، الذين منعوا أفراد الفرقة من النزول ، وحاولوا ضرب السائق الامريكى الذى حاول أن يعيدهم الى صوابهم .

● جرت محاولات لتخريب حفلات أوركسترا الفيلهارمونيك ، التى يقودها كوندراشين .

● فى نوفمبر عام ١٩٧٠ ، اقتحم أعضاء عصبة الدفاع اليهودى مكتب وكالة « **تاس** » فى واشنطن ، وحاولوا تحطيم الاجهزة والاثاث ووقف العمل داخل المكتب . كما هاجموا بعد ذلك بأيام ، مقر البعثة الدائمة للاتحاد السوفيتى لدى الامم المتحدة بنيويورك .

● قاموا بالقاء قنبلة على مكتب شركة **ايروفلوت** فى نيويورك ، كما حاولوا احراق طائرة سوفيتية قبل اقلاعها من مطار نيويورك .

● وفى يناير ١٩٧١ ، فجر أعضاء العصبة الصهيونية قنبلة مصنوعة يدويا فى مبنى القسم التجارى والاستعلامات فى السفارة السوفيتية ، وبعد دقائق من الانفجار ، دق جرس التليفون فى مكتب وكالة « الاسوشيتد برس » ليتلقى المكالمة التالية :

« لقد نسفنا مكتب الاستعلامات والقسم التجارى بالسفارة السوفيتية بشارع ١٨ . وهذا ليس سوى بداية » . ثم تبع التبليغ التليفونى ترديد لشعارات عصبة الدفاع اليهودى .

وفى كل مرة ، وبعد كل استفزاز ، كانت السفارة السوفيتية فى واشنطن تحتج لدى وزارة الخارجية الامريكية ، وتطالب بحماية أرواح المواطنين السوفيت والمكاتب السوفيتية ، حتى تستطيع أن تؤدى عملها ، وبمعاقبة المسئولين عن هذه الاعمال . غير ان حكومة الولايات المتحدة لم تقدم سوى الاسف والاعتذار ، والوعد « باتخاذ الخطوات » اللازمة « لوقف هذه الاعمال مستقبلا » . وعلى الرغم من ذلك ، استمرت هذه الاعمال الاستفزازية ، بل وامتدت الى نطاق اوسع واكثر خطرا . ويبدو كما لو أن مرتكبى تلك الاعمال يتمتعون بالحصانة السياسية ، ويمكن فهم ذلك صراحة ، ودون مواربة ، من التصريح الذى أدلى به **ماير كاهان** رئيس عصبة الدفاع اليهودى لجريدة « **نيويورك مانهاتن تريبيون** » ، والذى جاء فيه « ليس بيننا وبين البوليس الامريكى أية مشكلة ، انه يفهم تماما ما نقوم به » .

وازاء استمرار هذه التحرشات ، واتساع مداها ، أصبح من المستحيل ان تذهب فرقة **البولشوى** الى الولايات المتحدة فى الربيع الحالى كما كان متفقا من قبل ، ولذا فقد أعلنت الفرقة الغاء رحلتها الى الولايات المتحدة . ويشير كثير من المراقبين ، الى أن أحد الاهداف الاساسية للاستفزازات الصهيونية ، هو صرف الانظار عن الجهود التى يبذلها الاتحاد السوفيتى فى سبيل اقرار السلام فى الشرق الاوسط ، وتخريب مهمة الوسيط الدولى يارنج ، وصرف الانظار عن جرائم اسرائيل ضد العرب ، ومحاولة تشويه سياسة الاتحاد السوفيتى القومية . ولقد كشفت مجلة « **تيموانياج كيرتيان** » الفرنسية عن تلك الاهداف صراحة ، حينما نشرت نص الخطاب الذى ارسلته احدى المنظمات الصهيونية الامريكية الى الدوائر الصهيونية الفرنسية فى ٢ يوليو سنة ١٩٧٠ ، وجاء فيه :

« ان المهمة الرئيسية للتنظيم الصهيونى الامريكى ، هى تقديم العون لاسرائيل ضمان

لجنتنا العسكرية ، بالتعاون مع البنتاجون ، تختار العسكريين لارسالهم الى اسرائيل ، كما ان تنظيمنا يقف خلف قرار الحكومة الامريكية بالسماح للمواطنين الامريكيين بالخدمة فى جيش اسرائيل .. »

ويأتى دور عصبة الدفاع اليهودى مكملا لمخطط الصهيونية الدولية ، التى اوكلت اليهم مهمة القيام بتلك التحرشات المعادية للسوفيت فى الولايات المتحدة .

« وعصبة الدفاع اليهودى » هى احدى تلك التنظيمات الصهيونية وقد تكونت منذ حوالى ثلاث سنوات وبدأت تزاول نشاطها فى احياء اليهود الامريكية كحركة للاقلية اليهودية . وسرعان ما افتضح دورها كطابور خامس يعمل لحساب الدوائر المالية ولمساعدتها فى القضاء على العناصر المتقدمة بين العمال اليهود . وقد حاولت العصبة فيما بعد تخريب حركة الزنوج المعادية للعنصرية من الداخل .

ويرتدى اعضاء العصبة قمصانا زرقاء ويضعون على اكمامهم نجمة داود وهم يدعون الدفاع عن الشعب اليهودى . وتضم العصبة عددا من العناصر الصهيونية المتطرفة ومهمتها الاساسية هى تنفيذ الاعمال الاستفزازية فى الحملة المعادية للاتحاد السوفيتى فى الولايات المتحدة بدءا بخطابات التهديد حتى الاعمال السافرة . ويتلقى افراد عصبة الدفاع اليهودى تدريباتهم على اطلاق النار والتخريب واستخدام الخناجر والعصى فى معسكرات خاصة يقع احداها فى جبال كاتسكيل القريبة من نيويورك ويقع اخر فى الغابات المجاورة لفيلادلفيا . وقد اختير لزعامة هذه الجماعة الصهيونية الحاخام **مايركاهان** الموظف السابق فى لجنة الكونجرس للنشاط المعادى لامريكا والمعروف بصلاته الوثيقة بمكتب التحقيقات الفدرالى والذى يعمل كما تقول الصحف الغربية فى المخابرات المركزية الامريكية تحت الاسم المستعار **ميشيل كنج** ، ولا يخفى ماير كاهان ان منظمته ترمى من وراء الاعمال التى تقوم بها « الى ازعاج الدبلوماسيين السوفيت فى نيويورك بهدف اثارة ازمة فى العلاقات السوفيتية الامريكية » . لكن رغم كل ما قامت وتقوم به عصبة الدفاع اليهودى منذ اكثر من عام ضد المواطنين السوفيت لم تقدم السلطات الامريكية احدا منهم الى المحاكمة . وحينما ألقت القبض على **مايركاهان** اثر السخط الشديد الذى اثارته حادثة القاء القنبلة الاخيرة على مقر البعثة السوفيتية اطلقت سراحه مقابل كفالة مالية قدرها ٣٠٠٠ دولار ، وعقب الافراج عنه صرح ماير كاهان بانه سيتوجه الى اسرائيل ليتزعم « عصبة الدفاع اليهودى » ولكن على نطاق العالم ! .

■ الاتحاد السوفيتى :

تسعة أشهر من المناقشات تمهيدا للمؤتمر ٢٤

فى الفترة من ٣٠ مارس وحتى اوائل شهر ابريل الجارى ينعقد فى موسكو **المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعى** للاتحاد السوفيتى ، من اجل مناقشة وتحديد خطة العمل التى تتوخى تدعيم وتطوير القدرة الاقتصادية والدفاعية للبلاد ، وتحقيق المزيد من اجل رفاهية الشعب ، والمضى قدما نحو بناء الشيوعية .

والمؤتمر هو الهيئة العليا فى الحزب التى تناقش وتقر سياسته العامة وبرنامجه ولائحته ، وتعتبر قراراته ملزمة لسائر مستوياته ، وتقوم اللجنة المركزية — التى ينتخبها المؤتمر — بالسهر على تنفيذ ما قرره الحزب فى مؤتمره فى الفترة حتى المؤتمر التالى .

ووفقا للائحة الداخلية للحزب — التى لا يمكن تعديلها الا عن طريق المؤتمر نفسه — ينعقد المؤتمر دوريا مرة كل أربع سنوات حيث يستمع الى تقرير عام من اللجنة المركزية يتناول جميع أوجه النشاط التى اسهم فيها الحزب والانجازات التى حققها ، ويتضمن تقييما شاملا للمرحلة السابقة — منذ آخر مؤتمر — وتحديدا علميا لاوضاع وواجبات المرحلة الجديدة التى تبدأ بعقد المؤتمر . كذلك يستمع المؤتمر الى تقرير من لجنة الرقابة المركزية . واذ يناقش المؤتمر تقرير اللجنة المركزية وتقرير لجنة الرقابة المركزية فهو يتولى صياغة خط الحزب العام فى مجالى السياسة الداخلية والخارجية ، ويدرس ويقدم الخطوط لحل مشكلات البناء الاقتصادى والاجتماعى التى تواجه البلاد .

وعلى هذا النحو تم تحديد جدول أعمال المؤتمر الرابع والعشرين على النحو التالى :

١ — تقرير اللجنة المركزية للحزب : ويقدمه ل.ا. **بريجنيف** السكرتير العام للجنة المركزية للحزب .

٢ — تقرير لجنة الرقابة المركزية للحزب : ويقدمه **ف . سيزوف** رئيس لجنة الرقابة .

٣ — الخطة الخمسية لتنمية الاقتصاد القومى للاتحاد السوفيتى للفترة من ١٩٧١ — ١٩٧٥ ، ويقدمه **ا.ن. كوسيجين** رئيس مجلس الوزراء بالاتحاد السوفيتى .

٤ ــ انتخاب اللجنة المركزية للحزب :

ومنذ انعقاد المؤتمر الاول لحزب العمال الاشتراكى الديمقراطى الروسى حتى الآن ، أى خلال سبعين عاما ، عقد الحزب ٣٣ مؤتمرا ، ٦ منها قبل ثورة اكتوبر الاشتراكية ، و١٧ منها بعد انتصار الثورة .

ويسبق عقد المؤتمر نشاط سياسى واسع النطاق يمارس فى عمليات التحضير للمؤتمر ويشترك فيها كافة المواطنين السوفيت ــ حزبيين وغير حزبيين ، فقد نشر جدول أعمال المؤتمر على اوسع نطاق منذ شهر يوليو ١٩٧٠ ــ أى قبل تسعة أشهر من انعقاد المؤتمر ــ وتمت مناقشة الاعداد للمؤتمر فى الاجتماع الموسع الأخير للجنة المركزية للحزب (يوليو ١٩٧٠) . وفى هذه المرحلة المزدحمة بالعمل السياسى تشارك جماهير الشعب فى كل مكان ، فى الاجتماعات الحزبية أو الجماهيرية ، فى مناقشة جميع القضايا العامة المطروحة على المؤتمر ويحددون موقفهم منها بوعى وادراك وباحساس كامل بالمسئولية ، وبحيث يذهب المندوبون المنتخبون الى قاعات المؤتمر وهم يحملون ويمثلون ارادة الشعب السوفيتى ومواقفه .

وتتميز المرحلة الراهنة من تطور الاتحاد السوفيتى السياسى والاقتصادى والاجتماعى والتى ينعقد المؤتمر الرابع والعشرون فى اطارها بجوانب بالغة الاهمية .

أولا : فالحزب يضطلع فى هذه المرحلة بالتصدى لمشاكل بالغة التعقيد يطرحها التاريخ لاول مرة وهى تلك المرتبطة ببناء المجتمع الشيوعى اللا طبقى .

ثانيا : ان بناء هذا المجتمع اللاطبقى يتم فى مرحلة الثورة العلمية والتكنولوجية بكل ما تطرحه وتقدمه من امكانيات وبكل ما تفتحه من آفاق جديدة .

ثالثا : ان تطوير الاتحاد السوفيتى ورفع قدراته الاقتصادية والدفاعية يتم فى ظل وجود نظام عالمى للاشتراكية ، وفى ظل تعاظم دور الاتحاد السوفيتى فى المجال الدولى مما يكسب مهام التطوير داخله مغزى عالميا .

رابعا : أن التوصل الى حلول علمية سليمة للمشاكل المطروحة أمام الحزب يمثل بلا شك اضافة خلاقة بالغة الاثر للخبرات العامة للحركة الثورية ، واثراء جدا للتراث الفكرى للطبقة العاملة .

خامسا : واذا اضفنا الى كل ذلك الاوضاع الدولية الدقيقة التى ينعقد المؤتمر فى ظلها ، وما تمارسه الامبريالية العالمية من سياسات عدوانية .. سواء بالعدوان السافر فى الهند الصينية أو مساندة وتدعيم العدوان الاسرائيلى الصهيونى فى الشرق الاوسط ، الى تدبير الانقلابات الدموية والرجعية ضد النظم التقدمية فى البلدان النامية فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، الى اتباع كافة اشكال التسلل والتخريب ومحاولات التخفى والتستر التى يلجأ اليها الاستعمار الجديد ــ اذا وضعنا كل هذه الظروف فى الاعتبار ــ ولا شك أن المؤتمر سيتصدى لها بالدراسة والتحليل ويحدد موقفا منها ــ لادركنا بالفعل ما يمثله المؤتمر من اهمية .

ومع تعدد القضايا المطروحة امام المؤتمر الا أن **مشروع الخطة الخمسية** الجديدة ــ وهى الخطة التاسعة فى تاريخ بناء المجتمع السوفيتى ــ يحتل مكانا بارزا فى جدول أعماله بل انه يمثل بحق مرحلة جديدة وهامة على الطريق نحو الهدف المرسوم لاقامة القاعدة المادية والفنية للشيوعية ، ورفع القدرة الاقتصادية والدفاعية للبلاد .

وتهدف الخطة الخمسية الجديدة الى تحقيق ارتفاع كبير فى المستويات المادية والثقافية للشعب على اساس زيادة معدلات الانتاج الاشتراكى والنهوض بكفاءته ، مع تحقيق أعلى درجة من التقدم العلمى والتكنولوجى وزيادة انتاجية العمل .

ويكفى أن نذكر أنه وفقا لما حددته الخطة الخمسية الجديدة من أهداف سيزداد الدخل القومى فى الاتحاد السوفيتى فى السنوات الخمس القادمة بمعدل ٣٧ ــ ٤٠ ٪ ، كما ستزداد انتاجية العمل عن معدلها الحالى بمالا يقل عن ٨٠ ٪ ، وكذلك سترتفع ميزانية الاستهلاك العام بمعدل ٤٠ ٪ ، واذا اضفنا الى هذه الصورة الموجزة ما تتضمنه الخطة الجديدة من أهداف سيتم تحقيقها فى مجال الخدمات الطبية والتعليمية والثقافية وفى وسائل النقل والمواصلات والاسكان ، لامكننا تصور مدى الاهتمام الذى توليه الخطة لرفاهية الجماهير .

ولما كانت الامبريالية العالمية لا تكف عن سياستها العدوانية واندفاعها المحموم فى طريق التسلح بكافة اشكاله ، فلقد أصبح بناء وتدعيم

المجتمع السوفيتي يرتبط ارتباطا وثيقا باقامة نظم الدفاع القادرة على مواجهة أي تحرش من جانب القوى الامبريالية ، ففي الوقت الذي تعمق فيه هذه الدوائر من حدة التوتر الدولي والحرب الباردة يصبح من المحتم مواصلة رفع المقدرة القتالية والدفاعية للبلاد ومواصلة تدعيم الجيش والاسطول . وقد تضمنت الخطة الخمسية الجديدة اهدافا محددة تضمن النمو المتزايد للقدرة الدفاعية للاتحاد السوفيتي مما يسمح بحماية الشعب السوفيتي وشعوب البلدان الاشتراكية ضد اخطار العدوان الامبريالي ، وتدعيم مواقف القوى المناضلة من أجل الاستقلال والحرية في جميع أنحاء العالم .

●

■ **فنون تشكيلية :**

« الموسم الشامل »
محليا وعالميا

تنوعت الفنون التشكيلية في هذا الشهر بين المعارض الدولية والمتحفية والمحلية . وتناولت انماطا من الاساليب الحديثة المختلفة الاتجاهات ، والاساليب الاكاديمية والكلاسيكية كما تنوعت خامات المعروضات بين الالوان والخيوط والصلصال والاشياء سابقة التصنيع . أما المعارض الوافدة فقد جاءت من بلجيكا على شكل نسجيات مرسمة .. ومن المانيا على شكل نماذج متحفية من أعمال قادة الثورة التشكيلية الدادية ، وفي هيئة أعمال حفر معاصر .. ومن تشيكوسلوفاكيا في قالب ابداعات حديثة لفنون الحفر والرسم والميدالية . أما العروض المحلية فلم تخرج عن المعارض السنوية التقليدية لشباب الفنانين باستثناء العرض الكبير الذي قدمته قاعة الفنون الجميلة لاعمال د . يوسف سيده .. » .

أما معرض « الدادا » الذي اقامه معهد جوته في القاعة الكبرى للاتحاد الاشتراكي بكورنيش النيل فيعتبر أخطر معارض هذا العام لانه ضم نماذج متحفية لحركة الدادا التي تفجرت في أوروبا منذ ٥٠ عاما . فكان من بين معروضاته أعمال : **هوجو بول . تريستان تزارا . هانز آرب . جون هارتفيلد . أوتو ديكس . ماكس أرنست** .. وغيرهم من مشاهير فناني العالم في العصر الحديث . وتنوعت الاعمال بين التجميعات سابقة التصنيع والتكوينات والصور الفوتوغرافية والمجسمات والملصقات والاقنعة . وقد انتقل المعرض بعد ذلك الى قاعة الادارة العامة للفنون الجميلة بالسراي الكبرى بأرض المعارض بالجزيرة ».

أما « **النسجيات البلجيكية المرسمة** » فقد انتظمت جدران قاعة الاحتفالات بفندق سميراميس حيث قدمت بلجيكا « ٢٠ رائعة ترجع الى القرن السادس عشر ، بلغت مساحة بعضها ٢٠ مترا مربعا تقريبا ». وهي لوحات تصويرية كانت تغطي جدران قصور الملوك والامراء في ذلك الزمان ». تناولت رسوماتها موضوعات القصص الديني والاساطير اليونانية وحياة القصور . وجميعها منفذة بالخيوط الحريرية والصوفية الملونة بناء على اللوحات التصويرية التي أبدعها كبار الفنانين في ذلك العصر ». واشتملت اللوحات على عناصر الحيوانات والطيور والنباتات والشخصيات الانسانية التاريخية والاسطورية في تكوينات كلاسيكية نمطية .

وثالث المعارض الوافدة هو معرض « **الميدالية والحفر والرسم** » الذي اقامه المركز الثقافي التشيكوسلوفاكي لاعمال الفنان الشهير : لومير شندلر الذي برع في فنون الميدالية بنوع خاص حتى ارتفع اسمه في انحاء العالم . وقد تميزت لوحاته في الرسم والحفر بالتعبيرية والتشخيصية الرمزية مع الخروج الكامل عن الاكاديمية . كما أنه قدم تجديدات في الخطوط الخارجية لميدالياته حتى بدت منوعة وغير منتظمة وتعتبر جميع معروضاته تطبيقا لنظرته الفلسفية للابداع الفني التي أوجزها في كلمة تصدرت كتالوج المعرض يقول فيها : « **التصوير والنحت والرسم والميدالية ليست سوى معالم طريق نحو عالم يثير في الفنان كل اعجاب بالطبيعة والجمال فكل ما نعتبره خطأ .. يقترن بشكل بغيض ، وكل ما نعتبره خيرا .. نضمنه شكلا يقترب من الكمال** » ..

وفي قاعة معهد جوته عرض ثلاثة من أشهر فناني المانيا الغربية ٣١ لوحة من أعمال « **الحفر المعاصر** » .. وهو دفعة أخيرة من هذا النوع من الفن التشكيلي الذي قدمته القاعة خلال الشهرين الماضيين . والفنانون الثلاثة هم : ايريش هاوزر . هربرت أوم . كريستا وولف ». أما ايريش فاستخدم الالوان السوداء والبيضاء في تصميمات مؤلفة من خطوط ومساحات بسيطة متشابهة لكنها منوعة من لوحة لاخرى ومبنية على اساس الفكرة القائلة بأن مشاعر الانسان وأحاسيسه تصدر عن علاقات رياضية تستجيب لمثل هذه التركيبات التجريدية ». وقد أبدع الفنان

بعض لوحاته بطريقة الحفر على المعدن ، وأما البعض الاخر فبطريقة التصوير المتتابع على رقائق الالومنيوم .. وهذه الطريقة فى التصوير المتتابع استخدمها ثاني العارضين ... هربرت .. فى تشكيلات هندسية من لونين أو من تدرجات لونية فى موضوعات تشبه الفن الجماهيرى (بوب — آرت) .. أما لوحات كريستا فجميعها مطبوعة بطريقة الليتوجراف ومعتمدة على الالوان المجردة وتشكيلات لا هندسية قوامها الحروف الهجائية المتراكبة مع اتاحة الفرصة لتلقائية تعبير الخامة ... مما يعطى ايحاءات جشطلتية .

أما أكبر المعارض المحلية فمعرض « **التصوير والرسم والخزفة** » الذى أقامه د . يوسف سيده فى قاعة الفنون الجميلة بالقاهرة .. قدم فيه لوحات تصويرية كبيرة للغاية ، صرحية السمات . اعتمد فيها على جماليات الابجدية العربية وكلماتها أحيانا ... والتنظيمات الهندسية أحيانا أخرى . أما فى الرسم فكان تعبيريا دراميا حديث التكوين والايقاع .. أما ابداعه الخزفى فكان مجموعة من الاوانى التقليدية الملونة بنفس الاسلوب التصويرى .. بالاضافة الى لوحتين صغيرتين مؤلفتين من تركيبات حطام المرآه تركيبا عفويا تارة وتعبيريا تارة أخرى استنادا على الاسلوب الذى ابتدعه هانز آرب الدادى المعروف بأسلوب الكولاج .. والفنان سيده أستاذ التصوير بمعهد التربية الفنية وله تاريخ طويل فى الميدان الفنى منذ تخرجه فى الفنون التطبيقة سنة ١٩٤٢ .

وتدمت قاعة اخناتون معرضين أحدهما « حفر ورسم » **لحسين الجبالى** المدرس بكلية الفنون الجميلة ومعهد ليوناردودافنشى . قدم الفنان عشرات اللوحات من الحجم المتوسط ، اعتمد فيها على أسلوبه المعروف الذى يمزج بين التجريدية والتعبيرية فى لهجة محلية واضحة مستقاة من الارابسك الاسلامى . ويعتبر معرضه هذا الأول للرسم ، لكنه قدم أيضا لوحات حفر عرضها للبيع بأسعار تناسب المتذوق العادى فاتحا الطريق الى تقليد معاصر لتسويق الاعمال الفنية ..

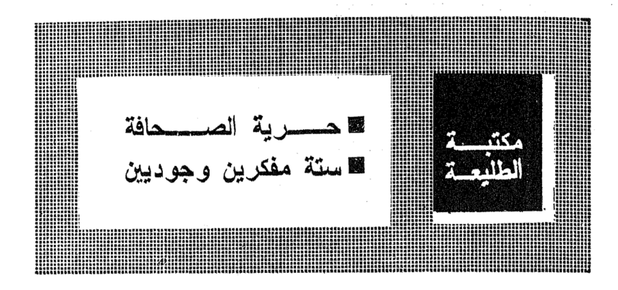
أما المعرض الثانى فى اخناتون فهو « **تصوير** » للفنان **زكريا الزينى** المدرس بكلية الفنون الجميلة ومعهد ليوناردو دافنشى . قدم الفنان ٢٢ لوحة زيتية مختلفة الاحجام بينها ٦ صغيرة على هيئة لوحات تحضيرية ذات طابع تعبيرى . أما اللوحات المنتهية فتنوعت بين المواضيع الشعبية والفلسفية واعتمدت جميعا على الاسلوب الذى اشتهر به الفنان وهو « التصميم المعمارى والاكتشاف اللونى » حيث يستخدم فيه العناصر التشخيصية كوحدات تصميمية .

وللفنانين : الجبالى والزينى تاريخ حافل فى المعارض الدولية أثناء اقامتهما فى ايطاليا وبعد عودتهما الى الوطن . فلهما عدة معارض دولية ومحلية ومقتنيات فى أنحاء العالم . وتعتبر لوحاتهما من الحفر والرسم والتصوير استفادة موفقة من المدارس الفنية الحديثة فى سبيل تدعيم حركة تشكيلية مصرية معاصرة ..

وفى قاعة الفنون الجميلة ، وقبل معرض يوسف سيده ، قدم المصورون الثلاثة : **أحمد عزمى ، عادل المصرى ، محمود بقشيش** ، ٤٦ لوحة زيتية مختلفة الاتجاهات . فاتجه عزمى الى التصميم والتجريد مع الاحتفاظ بصلته بالطبيعة والمناظر المحلية مما اتضح فى موضوعاته الساحلية ذات الطابع الدرامى والتداخل بين العناصر الطبيعية والتشكيلية . أما عادل فاستخدم الاسود بكثرة متجها لتكوينات الطبيعة الصامته مبتعدا عن المنظور التقليدى ومهتما بالتصميم المعمارى الذى كان وسيلته التعبيرية الاولى . واكتست لوحاته بالقتامة بعد أن هجر تعبيريته السابقة . وقدم ثالثهم : بقشيش ، مجموعة من اللوحات المصممة بعناية والمتجهة الى التحوير الواضح والمساحات اللونية المحددة . لكنها مع ذلك اتسمت بطابع سيريالى ومضامين فلسفية . والفنانون الثلاثة من الشباب المتخرج حديثا من كليتى الفنون الجميلة — بالقاهرة والاسكندرية .

ومن المعارض المثيرة أيضا ، المعرض الذى أعدته منظمة الشباب الاشتراكى الناصرى فى قاعة المركز الثقافى التشيكوسلوفاكى تحت عنوان « من وحى القائد الخالد جمال عبدالناصر » احتوى العرض ٢٦ لوحة من الحجم المتوسط أبدعها ١٦ فنانا شابا . وجميعها من الحفر على اللاينو وتصور منجزات الثورة وتعبيرات منوعة فى مواضيع الحرية والسلام والتشييد .. والحرب أيضا وفلسطين . ومن الملفت للنظر أن اللوحات جميعها كانت تخاطب زوار المعرض بوضوح وبساطة وتدخل تحت الاتجاه التعبيرى الاجتماعى . وتميزت من بينها اعمال مصطفى الرزاز ومصطفى مهدى ومحمد هيكل .

ان هذه السلسلة النشطة من العروض المحلية والعالمية يمكن أن نطلق عليها تعبير « الموسم الشيطانى » ..



حريـة الصحـافة

وفق تشريعات الجمهورية العربية المتحدة

■ تأليف :

الدكتور جمال الدين العطيفى

■ عرض وتعليق

مصطفى سامى

■ الناشر :

دار النهضة العربية

١٩٧١

تبرز أهمية الكتاب الذى يقدمه **الدكتور جمال العطيفى** من ٢٨٠ صفحة من الحجم الكبير فى ثلاثة عوامل :

١ ـ أن المؤلفات القليلة التى صدرت فى مصر ، تناولت شرح قوانين الصحافة ، ويرجع أحدثها الى الخمسينات ، اقتصرت اساسا على جرائم الصحافة دون التعرض لنظام اصدار الصحف ، وتنظيم النشاط الصحفى ، وقد تناولتها هذه الدراسة بالتفصيل .

٢ ـ من خلال عرض لقضية حرية الصحافة ـ بوجه عام ـ فى ظل التشريعات القائمة فى كل من الدول الاشتراكية والرأسمالية ، يشرح المؤلف المفاهيم الحديثة لحرية الصحافة فى مصر **بعد صدور قانون تنظيم الصحافة فى عام ١٩٦٠**، ثم يعرض الجوانب القانونية لحرية الصحافة فى ضوء التشريعات المطبقة حاليا فى بلادنا ، ومناقشة ما يثيره هذا التطبيق من مشكلات فى مجتمع يتحول الى الاشتراكية .

٣ ـ ان حرية الصحافة ليست مقررة لصالح من يصدرون الصحف أو يكتبون فيها ، ولكنها

مقررة لصالح الشعب — قراء الجريدة — وهذا هو التحدى الذى تواجهه الان حرية الصحافة فى مواجهة التقدم العلمى الذى جعل من الصحافة صناعة ضخمة تحتاج الى رؤوس أموال كبيرة ، وقد تناول البحث حق الافراد فى تصحيح ما تعرضه الجريدة خطأ مما يتعلق بهم ، وحق الدولة فى نشر ما يهم الرأى العام من أخبار .

والمؤلف يعرض من خلال هذا البحث تجربة طويلة فى الميدانين الصحفى والقانونى بدأه وكيلا لنيابة الصحافة فى اوائل الخمسينيات ، ثم مستشارا قانونيا لمصلحة الرقابة والمطبوعات ، وازدادت صلته بالنشاط الصحفى حين اختارته مؤسسة الاهرام مستشارا قانونيا لها ثم عضوا بمجلس ادارتها . وكان موضوع رسالة الدكتوراه التى حصل عليها من جامعة القاهرة «الحماية الجنائية للخصومة من تأثير النشر» وهو موضوع يتصل اتصالا وثيقا بحرية الصحافة .. كذلك اختارته جامعة القاهرة استاذا لمادة التشريعات الصحفية بكلية الآداب طوال الخمس سنوات الماضية ، ثم استاذا بمعهد الاعلام الذى افتتح فى أوائل الشهر الماضى .

وقد جاءت خطة البحث كما يلى :

باب تمهيدى : فى حرية الصحافة .

الباب الأول : فى تنظيم اصدار الصحف وتداولها .

الباب الثانى : فى تنظيم النشاط الصحفى .

فى حرية الصحافة

يناقش هذا الجزء من الكتاب حرية الصحافة كاحدى صور حرية الرأى ، ومع ان الحريات الاساسية للانسان مقررة فى البلاد الاشتراكية كما هى مقررة فى البلاد الليبرالية ، الا انه يعرض الفارق بين مفهوم الحرية ونطاقها فى كل من النظامين .

فبينما يوجه النظام الليبرالى اهتمامه بالحرية السياسية ، الا أن النظم الاشتراكية تعنى بالحريات الاجتماعية التى تكفل للمواطنين حق العمل والحق فى الراحة والحق فى التأمين الاجتماعى والصحى وحق التعليم . وتتحقق هذه الحريات الاجتماعية فى النظم الاشتراكية نتيجة تملك الدولة وسيطرتها على وسائل الانتاج ، وعن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات .

تاريخ حرية الصحافة

تعرضت حرية الصحافة طوال تاريخها لمختلف أنواع الظلم ، فلما عرفت الطباعة عام ١٤٥٠ بدا للسلطات العامة خطرها فى توجيه النقد اليها .

وفى خلال أكثر من قرن ظلت الصحافة تحت رحمة السلطة الدينية فى أوربا ثم تولت السلطة المدنية مسئولية تكبيلها .

وتحت تأثير كتابات **لوك** فى انجلترا **ومونتسكيو** فى فرنسا بدأت عقيدة الحرية تستقر فى أذهان الناس .

وعندما قامت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ، أعلنت أن حرية تبادل الأفكار والآراء تعد من أقدس حقوق الانسان ، وان لكل مواطن الحق أن يتكلم ويكتب ويطبع فى حرية ، ولا يكون مسئولا الا اذا اساء استخدام هذه الحرية فى الحالات التى يحددها القانون .

وفى أعقاب ثورة التحرير الامريكية من الاستعمار الانجليزى نص الدستور الامريكى عام ١٧٩١ على أنه ليس من حق الكونجرس أن يصدر أى قانون ينتقص من حرية الصحافة .

أما فى انجلترا ، فقد ظلت حرية الصحافة مسلوبة رغم أن الرقابة على الصحف كانت قد ألغيت منذ عام ١٦٩٥ ولم يتقرر للصحافة حريتها الا بعد صدور قانون **لورد كامبل** عام ١٨٤٣ الذى جعل اثبات صحة الواقعة دفاعا مقبولا فى جريمة القذف ، بعد أن كان توجيه انتقادات للحكومة يعد جريمة قذف حتى لو كانت الانتقادات صحيحة .

وحرصت وثائق اعلانات الحقوق ، على تسجيل حرية الصحافة باعتبارها من حقوق المواطن الاساسية . فالاعلان العالمى لحقوق الانسان الذى اصدرته الجمعية العامة للامم المتحدة فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ ينص فى مادته التاسعة عشرة على أن لكل شخص الحق فى حرية الرأى والتعبير ، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أى تدخل واستقاء الانباء والافكار وتلقيها واذاعتها بأى وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية . وقد اعادت الاتفاقية الدولية فى شأن الحقوق المدنية السياسية التى أصدرتها الجمعية العامة للامم المتحدة فى ١٦ ديسمبر ١٩٦٦ التأكيد على حرية الصحافة ، وفى الجمهورية العربية المتحدة تعرض ميثاق العمل الوطنى لحرية الصحافة حينما نص على ان **حرية الكلمة هى المقدمة الاولى الديمقراطية ، وهى التعبير عن حرية الفكر فى أية صورة من**

صوره ، وان حرية الصحافة ، وهى أبرز مظاهر حرية الكلمة يجب أن تتوافر لها كل الضمانات .

ومعظم الدساتير لا تكتفى بتسجيل حرية الرأى، بل تحرص على ابراز حرية الصحافة تقديرا لاهميتها .

عناصر حرية الصحافة

لا يكفى أن تقرر الدساتير حرية الصحافة، بل انه يتعين توافر بعض العناصر التى تكفل هذه الحرية :

١ ـ فحرية الصحافة تقتضى عدم خضوعها لاية رقابة سابقة على النشر ، باستثناء حالات الحروب لاعتبارات المحافظة على أمن الدولة .

٢ ـ اذا كان المعنى التقليدى لحرية الصحافة عدم خضوعها لرقابة سابقة على النشر ، الا أنها مسئولة عما تنشره اذا تضمن النشر جريمة . فتحديد المجال الذى يجوز للمشرع ان يتدخل فيه للحد من حرية الصحافة هو الذى يحدد هذه الحرية . فبينما تتفق جميع تشريعات الصحافة فى العالم على وجوب حماية سمعة الافراد وكرامتهم ، وهو ما يقتضى اعتبار القذف والسب جريمة ، الا ان النظرة تختلف فى نطاق الجرائم التى يقدر المشرع انها ماسة بالنظام العام ، فالتوسع فى مدلول حماية فكرة النظام العام أو وقاية النظام الاجتماعى قد يصبح ستارا لحماية السلطة العامة والاشخاص العامين من النقد ، وقد يؤدى اعتبار الرأى جريمة مما يشل حرية الصحافة .

٣ ـ حرية الصحافة فى استقاء الانباء وفى نشرها ، فلا قيمة لحرية الصحافة اذا أوصدت فى وجهها مصادر الاخبار ، ففرض ستار من السرية على تصرفات السلطة العامة يشل حرية الصحافة .

٤ ـ حرية اصدار الصحف بغير توقف على رضاء الحكومة ، ولما كان اصدار الصحف عملية اقتصادية باهظة التكاليف . فقد نصت دساتير معظم الدول الاشتراكية على جعل دور النشر والمطابع ووسائل الاعلام جميعا فى متناول الشعب العامل ومنظماته .

مخاطر الصحافة الحديثة

أثار التطور العلمى والتكنولوجى للصحافة الحديثة عدة مشكلات، سواء فيما يتعلق بالاخطار التى تهدد حريتها واستقلالها أو فيما يتعلق بمفهوم رسالتها فى المجتمع .

١ ـ أصبحت الصحافة صناعة تحتاج الى رؤوس اموال ضخمة . وقد أدى ذلك الى انشاء كتل احتكارية تتولى اصدار الصحف فى معظم البلاد الرأسمالية ، فتحولت حرية الصحافة الى حرية للعدد القليل من الرأسماليين الذى يملك اصدار الصحف .

٢ ـ ان الصحف فى غير البلاد الاشتراكية اصبحت تعتمد فى تمويلها الاساسى على حصيلة الاعلانات مما يجعل للمعلنين سيطرة اقتصادية على الصحف ومما يؤثر بالتالى على استقلالها .

٣ ـ لوحظ أن بعض الصحف تتقاضى اعانات خفية من الحكومة ، وقد ثبت هذا بالنسبة لبعض الصحف المصرية قبل الثورة .. بل ان بعض الصحف فى البلاد الاخرى كان يتقاضى اعانات من حكومات اجنبية ، ومثل هذه الصحف تعمد الى تضليل الراى العام .

ومثل هذه المخاطر يصعب تصورها فى الدول الاشتراكية التى تسودها علاقات الانتاج الجماعية ، ولكن حرية الصحافة فى هذه الدول قد تواجه مخاطر من نوع آخر ، اذا انعدم التنظيم الديمقراطى للحزب المسيطر على الصحف ، اذ يخشى ان تتحول الصحافة الى مجرد تسجيل لوجهة النظر الرسمية .

تنظيم اصدار الصحف وتداولها

ان حق اصدار جريدة يعد نتيجة طبيعية لحرية الصحافة ، وايا كانت النظرة الى حرية الصحافة فان اصدار الجريدة يحتاج الى نوع من التنظيم ، ويختلف هذا التنظيم من بلد الى آخر تبعا لاختلاف عقيدتها فى الحرية ، وتبعا لاختلاف نظمها السياسية والاجتماعية . فقد يكتفى لاصدار الجريدة بمجرد اخطار يبلغ الى الجهة الادارية المختصة ، وقد يحتاج اصدار الجريدة الى الحصول منها على ترخيص سابق .

ويدور النظام المصرى فى اصدار الصحف بين الفكرتين ، فكرة الترخيص وفكرة الاخطار .

وقد صدر اول قانون مصرى للمطبوعات سنة ١٨٨١ ، وكان يخضع اصدار الصحف لترخيص تحصل عليه من الحكومة ، كما يجيز توقيع عقوبات ادارية عليها . وظل هذا القانون معمولا به حتى صدر المرسوم بقانون ٩٨ لسنة ١٩٣١ الذى الغى نظام الترخيص السابق واكتفى بمجرد اخطار الجهة الادارية قبل اصدار الجريدة .

وصدر قانون تنظيم الصحافة رقم ١٥٦ لسنة ١٩٦٠. وبمقتضاه أصبح اصدار الصحف مرتهنا بصدورترخيص منالاتحاد الاشتراكى. وآلتملكية كبريات الصحف الى الاتحاد الاشتراكى وانشئت مؤسسات صحفية خاصة لادارتها . وعرف القانون الصحف التىيتعين الحصول علىترخيص لاصدارها بأنها الجرائد والمجلات وسائر المطبوعات التى تصدر باسم واحد بصفة دورية.

ولم يحرم قانون تنظيم الصحافة أى فرد أو شركة من الحق فى اصدار جريدة ، ولكنه قيد هذا الحق بالحصول على ترخيص من الاتحاد الاشتراكى ، كما أنه اقتصر على أيلولة كبريات الصحف الى الاتحاد الاشتراكى ، ويفهم مما جاء فى المذكرة الايضاحية للقانون ، من أن ملكية الشعب لوسائل التوجيه الاجتماعى والسياسى أمر واجب فى المجتمع الجديد لمنع سيطرة رأس المال على وسائل التوجيه واقامة ديمقراطية سليمة ، وأن ملكية الشعب لوسائل التوجيه الاساسية وهى الصحافة هى العاصم الوحيد من الانحراف عن أهداف المجتمع الاشتراكى .. والحصول على ترخيص من الاتحاد الاشتراكى لا يعنى خضوع الصحافة للسلطة التنفيذية ، بل ان الصحافة ذاتها سلطة توجيه ومشاركة فعالة فى بناء المجتمع شأنها شأن غيرها من السلطات الشعبية .

فالحصول على ترخيص من الاتحاد الاشتراكى يختلف عن الحصول على ترخيص من الحكومة او ترخيص من الحزب ، فالاتحاد الاشتراكى تنظيم جماهيرى يقوم على تحالف قوى الشعب العاملة ويوجه سلطة الدولة ، وبقدر ما يتحقق لهذا التنظيم من ديمقراطية ، بقدر ما ينعكس هذا على الصحافة التابعة لهذا التنظيم والتى لا تصدر الا بترخيص منه .

نظام المؤسسات الصحفية

نص قانون تنظيم الصحافة رقم ١٥٦ لسنة ١٩٦٠ فى مادته الثالثة على أن تؤول الى الاتحاد القومى [الاتحاد الاشتراكى حاليا] ملكية بعض الصحف وجميع ملحقاتها وذلك مقابل تعويض اصحابها بقيمتها .

ونص فى المادة السادسة على أن يشكل الاتحاد القومى مؤسسات خاصة لادارة الصحف التى يملكها ، ويعين لكل مؤسسة مجلس ادارة يتولى ادارة صحف المؤسسة . ونص هذا القرار على أن يوضع لكل مؤسسة ميزانية سنوية خاصة يصدر باعتمادها قرار من رئيس الاتحاد القومى ، وتعد الميزانية وفقا للنظم المتبعة فى الشركات المساهمة .

كما نص هذا القرار على ان يخصص نصف صافى الارباح لموظفى وعمال المؤسسة . والنصف الآخر لمشروعات التوسع والتجديدات ثم صدر بعد ذلك القانون رقم ١٥١ لسنة ١٩٦٤ بشأن المؤسسات الصحفية ونص على أن تتولى كل مؤسسة صحفية على مسئوليتها مباشرة كافة التصرفات القانونية . واعتبر هذا القانون المؤسسات الصحفية فى حكم المؤسسات العامة فيما يتعلق بأحوال مسئولية مديريها ومستخدميها المنصوص عليها فى قانون العقوبات وفيما يتعلق بمزاولة التصدير والاستيراد . كما نص على أن تحل اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى محل الاتحادالقومىفى كل مايتعلق بالاختصاصات المخولة له طبقا لقانون تنظيم الصحافة .

مؤسسات عامة أم خاصة ؟

كان هناك خلاف حول طبيعة المؤسسات الصحفية ، وهل تعتبر مؤسسات عامة او خاصة ؟ ..

فبعض الآراء كان يذهب الى اعتبار المؤسسة الصحفية فى حكم المؤسسات العامة استنادا الى أن مقومات المؤسسات العامة تتوافر فيها من حيث افراد ميزانية مستقلة لها وقيامها على ادارة مرفق عام هو توجيه الشعب عن طريق الصحافة وأن لها مجلس ادارة يصرف امورها .

بينما ذهب رأى آخر الى ان هذه المؤسسات الصحفية لا تعتبر مؤسسات عامة ؛ لان المؤسسات العامةتنشأ بقرار منرئيس الجمهورية وهو الذى يحدد مدى تبعيتها للوزير المختص . بينما المؤسسات الصحفية انشئت بقرار منرئيس الاتحاد القومى ولا تربطها أى علاقة تبعية بالحكومة ولا تخضع لاشرافها .

وقد حسمهذا الخلاف بعد ذلكبصدور القانون رقم ١٥١ لسنة ١٩٦٤ فى شأن المؤسسات الصحفية ، حينما نص على اعتبارها فى حكم المؤسسات العامة فيما يتعلق بأحوال مسئولية مديريها ومستخدميها المنصوص عليها فى قانون العقوبات وفيما يتعلق بمزاولة التصدير والاستيراد. وهو مايدل على أن هذه المؤسسات لا تعتبر فى حكم المؤسسات العامة الا فى الحالات المعينة التى أوردها النص على سبيل الحصر .

مؤسسات من نوع خاص

على أنه يجب عدم الخلط بين المؤسسات الصحفية وبين المؤسسات الخاصة التى ينظمها

القانون المدنى ، فالمؤسسات الصحفية اذا اتفقت مع المؤسسات الخاصة فى مقوماتها واغراضها، الا انها لمتنشأ بسند رسمىاو وصية كما يتطلب القانون المدنى بالنسبة للمؤسسات الخاصة ، بينما أن منشأ المؤسسة الصحفية هو القانون المنظم لها ، وهو قانون تنظيم الصحافة .

ويجب الملاحظة فىوصف المؤسسات الصحفية بأنها ليستمؤسساتخاصة ألا تندرج نتيجة هذا الوصف فى عداد « القطاع الخاص » بل هى مؤسسات مملوكة للاتحاد الاشتراكى الممثل لقوى الشعب العاملة . وكما أنها مؤسسات لا تمتلكها الدولة، فانها ليست مملوكة لافراد . بل انها مملوكة للشعب فى مجموعه ، وهو نوع من الملكية الاجتماعية لم يجد حتىالآن طريقه الواضح الى التنظيم التشريعى .

اشراف الاتحاد الاشتراكى

تخضع المؤسسات الصحفية باعتبارها مملوكة للاتحاد الاشتراكى لاشرافه ، ومن مظاهر هذا الاشراف :

١ — ان تشكيل مجالس اداره المؤسسات الصحفية يكون بقرار من رئيس الاتحاد الاشتراكى .

٢ — ان الميزانية السنوية لكلمؤسسة صحفية تعتمد بقرار من رئيس الاتحاد الاشتراكى .

٣ — اصدار الصحف والترخيص بالعمل فى الصحافة يكون بموافقة الاتحاد الاشتراكى .

وهو ما ينطبق على الصحف التى تصدرها المؤسسات الصحفية ، وعلى العاملين بهذه المؤسسات .

٤ — قرارات مجالس ادارة المؤسسات الصحفية تعرض على الاتحاد الاشتراكى لاعتمادها .

تنظيم النشاط الصحفى

تناول المؤلف فى هذا الباب التنظيم الذى وضعه الاتحاد الاشتراكى لمباشرة النشاط الصحفى . ويتمثل اساسا فى المبادىء الاساسية فى النشر الصحفى وفى تنظيم الصحفيين فى نقابة الصحفيين، وفىتقريرحق الافراد والسلطات العامة فى الرد على ماتنشره الصحف أو تصحيحه وفى حماية حق الصحفى باعتباره مؤلفا وتحديد مدى هذه الحماية .

وأول مبادىء النشر الصحفى ان يكون « **الخبر** » **صادقا و** « **الرأى** » **موضوعيا** ، فالهدف من الاعلام هواحاطة المواطنين بالاخبار الصحيحة وابداء الرأى النزيه فى كل الموضوعات التى تهم الرأى العام .

فاذا عمد الصحفى فيما ينشره الى عرض وقائع غير صحيحة أوالى تشويه الوقائعالصحيحة بأن أبرز جانبا من الواقعة وأغفل جانبا آخر ، فان الحماية الدستورية لحرية الصحافة لايمكن أن تمتد اليه .

ونشر الخبر الكاذب يعد عدوانا على الحقيقة وتضليلا للرأى العام ، ومن ثم يتدخل المشرع لتجريمه والعقاب عليه فى بعض الحالات التى يشكل فيها هذا العدوان تهديدا لمصالح جديرة بالرعاية .

والامر يختلف بالنسبة لنشر تعليق على الخبر . فالتعليق هو ابداء راى فى واقعة ثابتة وقد يكون صحيحا او خاطئا ، ومن يبدى رأيا لا يكلف باثبات صحته . ويجب أن يكون التعليق نزيها بمعنى أن يكون الكاتب معتقدا صحة الراى الذى يكتبه ، فلا تدفعه اليه شهرة أو مصلحة خاصة . فالنقد لا يجوز ان يكون ستارا للسب ، لذلك فانه يوصف بالموضوعية .

والمبدا الثانى الذى يحكم النشر فى الصحف هو التزام المبادىء الاساسية للمجتمع ، كما رسمها الميثاق والدستور . وتبدو أهمية التزام مبادىء المجتمع فيما ينشر من رأى ، فحرية التعليق والنقد يجب أن تكون فى اطار هذه المبادىء .

ويجب الا يتناول النشر مايحط من قدر الانسان واعتباره ، فاذا كانت حرية الصحافة تعنى حرية استقاء الانباء والتعليق عليها ، فان هناك من الانباء ما يتنافى نشره مع حرية المواطن فى حياته الخاصة أو ما يسمى بالخصوصية Privacy

على أن المؤلف يتحفظ فى تقييد حرية الصحافة فى هذا الشأن : فالشخص العام يمكن ان تسند اليه وقائع قذف ، ويعتبر اثبات صحتها سببا لاباحة هذا القذف . كما أن بعض الوقائع ولو تعلقت بفرد عادى يمكن أن تكون فى بعض الظروف من الامور التى تقتضى مصلحة المجتمع عدم حجبها عن الرأى العام .

الاعلان فى الصحف

يثور النقاش دائما حول مدى تاثير الاعلان على حرية الصحافة : خصوصا فى الدول الرأسمالية حيث تتحكم الشركاتالمعلنة فى موارد

الصحف بما تنشر من اعلانات تمثل جانبا رئيسيا فى دخلها وما يؤدى ذلك من اخلال بحرية الجريدة واستقلالها .

وفى مصر كان من بين اهداف قانون تنظيم الصحافة تحرير الصحافة من سيطرة راس المال، ورغم بداية التحول الاشتراكى وخلق القطاع العام ، ذهب بعض الآراء الى أنه مازالت هناك حاجة الى تحرير الصحافة من سيطرة الاعلان ، لان بعض شركات القطاع العام تمنع الاعلانات عن الصحف التى تقوم بتوجيه نقد اليها ، يساعدها على ذلك التنافس بين المؤسسات الصحفية فى الحصول على الاعلانات . ولكن هذا الرأى مبالغ فيه ، اذ لا يتصور ان يكون للقطاع العام سيطرة على الصحف وهى تابعة للاتحاد الاشتراكى وبعد أن زالت التناقضات بين مصالح الجريدة فى النشر وبين ما ترغب المؤسسات العامة فى نشره . على أنه من الخطأ أن نغفل أهمية الاعلان فى مجتمعنا الذى لا يزال فى بداية مرحلة التحول الى الاشتراكية ، ولا يزال محكوما بعلاقات السوق .

والاعلان يختلف عن التحرير الصحفى ، فبينما يهتم التحرير بأن يكون موضوعيا ناقدا يعرض مشكلات المجتمع ومآسيه وشروره احيانا ، اذ بالجزء الاعلانى يتسم بالطابع الشخصى الذى يتبنى وجهة نظر المعلن بصرف النظر عن سلامتها وقد وصفه البعض بأنه عنصر دخيل على الصحافة .

وأهم قاعدة فى آداب الاعلانات ، أن يميز الاعلان عند نشره عن غيره من المواد التحريرية بعلامة واضحة ، خاصة بالنسبة للاعلانات التى تتخذ شكل اعلانات تحريرية والتى قد يؤدى نشرها بغير اشارة الى طبيعتها كاعلان الى اعتقاد القارىء بأنها تعبر عن رأى الجريدة .

حق التصحيح ونشر البلاغات الرسمية

اذا تمتعت الجريدة بحريتها فى النشر ، الا ان هذه الحرية لا تعفيها من المسئولية الجنائية والمدنية عما تنشره اذا تضمن هذا النشر جريمة، أو اذا الحق ضرر بالغير .

ومعظم قوانين الصحافة تقرر للافراد والسلطات العامة الحق فى الرد على ما تنشره الصحيفة أوتصحيحه، وتلزم الجريدة التى نشرت الخبر أو المقال الذى يستوجب الرد بنشر هذا الرد ، فهذا الحق يعتبر بمثابة دفاع شرعى ضد النشر فى الجريدة .

وقد وصفت لائحة آداب مهنة الصحافة ، التى وضعتها نقابة الصحفيين حق الرد بأنه حق مقدس بشرط ألا يتجاوز الرد حق التصحيح الموضوعى، فكل خطأ فى نشر المعلومات أو البيانات يلزم ناشره بتصحيحه فور اطلاعه على الحقيقة . وهناك عدة شروط يجب توافرها للتصحيح وتتلخص :

— الايكون التصحيح مخالفا للقانون أو النظام العام .

— الا يكون التصحيح متضمنا مساسا بالحقوق المشروعة للغير .

— ألا يتضمن مساسا بكرامة الصحفى

— أن تكون هناك صلة بين التصحيح وبين المقال الاصلى

واخيرا فان الجريدة لا تكون ملزمة بنشر التصحيح اذا كان قد سبق لها أن صححت بنفس المعنى الوقائع او التصريحات التى اشتمل عليها المقال المطلوب تصحيحه .

ويفرد فصل كامل من هذا الباب لدراسة حق المؤلف فى المجال الصحفى واسلوب حماية هذا الحق، ومن هو المؤلف المستفيد من هذه الحماية؟ والعنصرين الادبى والمادى فى حق المؤلف ، ووسائل حماية حق المؤلف، ويتناول بعد ذلك فى فصل آخر اللا اسمية وسر التحرير وأثرهما على مسئولية الصحفى ، فكثير من الموضوعات التى تنشر فى الصحف لا تحمل توقيعا وخاصة ما ينشر من أخبار . وموضوع اللا اسمية فى الصحافة يطرح موضوع سر التحرير ، كما أنهما يطرحان موضوع تحديد المسئولية عما يرتكب من جرائم عن طريق النشر فى الصحف وقد عالجه المؤلف بالتفصيل .

ويختتم الدكتور جمال العطيفى كتابه بعدة ملاحظات أهمها :

١ — ان ملكية الاتحاد الاشتراكى للصحف الاساسية التى كانت قائمة وقت صدور قانون تنظيم الصحافة لا تمثل النيل من حريتها . فهذه الحرية مرتبطة بديمقراطية تنظيم الاتحاد الاشتراكى الذى يملك الترخيص باصدار الصحف ومزاولة المهنة ، ولا يقيدها الا الالتزام بالميثاق وبالسياسة التى يرسمها .

٢ — ان التنظيمات الجماهيرية الاخرى مثل النقابات والتعاونيات والجمعيات هى التى

تملك امكانيات اصدار صحف تعبر بها عن رأيها فى مشكلات المجتمع . وبذلك تتسع قاعدة اشتراك الجماهير فى حرية ابداء الرأى .

٣ ـ ان قانون المطبوعات الصادر عام ١٩٣٦ لا يزال معمولا به حتى الآن ، وأحكامه أصبحت فى حاجة الى المراجعة والتنسيق بينهما وبين قانون تنظيم الصحافة .

٤ ـ ان ممارسة المؤسسات الصحفية لواجباتها تقتضى تحديد اغراضها ، وتنظيم صلاحيات مجالس ادارتها ، وتشكيل مجالس ادارة للمؤسسات التى لا يزال رئيس مجلس ادارتها وحده يمارس سلطات مجلس الادارة .

٥ ـ ان المشتغلين بالاعلام فى الاذاعة والتليفزيون ، رغم اتفاق طبيعة عملهم مع العمل الصحفى فى الجرائد ، لايزالون بغير تنظيم مهنى .

٦ ـ ان علاقة الصحفى باعتباره مؤلفا بالجريدةالتىيعمل بها تحتاج الى تحديد تشريعى، كما أن حماية ما ينشر فى الصحف المصرية يقتضى العمل على عقد اتفاقية عربية لحق المؤلف فى نطاق الجامعة العربية .

٧ ـ ان آداب الصحافة وآداب الاعلان فى الصحف ، لا زالت فى حاجة الى مزيد من عناية المؤسسات الصحفية ونقابة الصحفيين .

٨ ـ ان حق الصحافة فى النشر يقابله حق المواطنين فى الرد، ومن ثم فان العناية بحق الرد والتصحيح لضمان فعاليته يجب ان تكون ملحوظة عند مراجعة قانون المطبوعات .

٩ ـ ان المشرع يجب أن يكفل حرية الرجوع الى مصادر الانباء بحيث يصبح من واجب الجهات المسئولة أن تسهل على الصحافة بما تطلب معرفته من بيانات باستثناء الحالاتالتى يستدعى الأمن القومى المحافظة على سريتها .

١٠ ـ ان نصوص قانون العقوبات فى تجريم النشر او حظره ، الموروثة عن مجتمع اختلفت مقوماته الاساسية . فى حاجة الى المراجعة لضمان الا يكون الرأى جريمة ، ولتوسيع مفهوم الشخص العام الذى يجوز تناوله بالنقد ولضمان عدم الاخلال بحق الناس فى المعرفة .

كما أنه يتعين التضييق من نطاق المسئولية المفترضة فى رئيس التحرير بما يتفق مع ظروف العمل فى صحافة متطورة وفى مجتمع تتعدد اهتماماته وتخصصاته .

ستة مفكرين وجوديين

■ تأليف :

ه . ج . بلاكهام

■ عرض :

ماهر شفيق فريد

هذا كتاب من تأليف الاستاذ ه . ج . بلاكهام، صدر لاول مرة عام ١٩٥٢ ، وأعيد طبعه عدة مرات كان آخرها فى عام ١٩٦٧ ، والكتاب يتناول ستة من مفكرى الوجودية هم : سورين كيركجارد وفردريك نيتشة وكارل ياسبرز وجابرييل مارسيل ومارتن هيدجر وجان بول سارتر ،وينتهىالكتاب بفصل عنوانه (فلسفة للوجود الشخصى) حيث يلخص الموقف نتائج بحثه ، وينظر الى التيار الوجودى ككل ثم يحاول أن يزيل عنه ما علق به من مفاهيم خاطئة ويناقش اوجه النقد الموجهة اليه .

وأول هؤلاء المفكرين هو الفيلسوف الدانيمركى سورين كيركجارد (١٨١٣ ـ ١٨٥٥) . تحدى كيركجارد مزاعم بنى وطنه فى قضية الايمان المسيحى ، وصوب سهام نقده الى ثقافتهم الجرمانية، وأدىذلك بطبيعة الحال الى حرمانه من السعادة العائلية ومن زمالة جيله كما ادى الى ارتمائه فى أحضان العزلة وتقمصه دور البطل التراجيدى ، وسواء كانت حالته هى حالة النبى بلا كرامة فى وطنه أو مجرد حالة شاذة، فالذىلاشك

فيه هو أنها حالة تلفت النظر ، لقد اختلفت فيه الاراء ما بين مادح وقادح ولكن لبس فى وسع من يقرأه ان يقر له بقوة الذهن وشمولية الجوانية المسيحية ، وان تفكك كتابه الاول **(اما ·· واما)** لخير دليل على حاجته الشخصية الى التوتر والعاطفة والتضحية والفردية ، كما أن كتابيه **(شذرات فلسفية)** ١٨٤٤ و **(اتمام حاشية غير علمية]** ١٨٤٦ هما خير تمثيل لفلسفة رجل لم تكن فلسفته مذهبا ولم يكن منهجه مباشرا ، وعنوان هذين الكتابين فى حد ذاته بمثابة تحد للمذاهب الفلسفية الهيجلية المنمقة ، فالوجودية كما اوقد جذوتها كيركجارد صرخة احتجاج على سخافة الفكر الخالص ، ودعوة الى اقامة المنطق على التحركات الملازمة للوجود ، انها تنتزع مراقب الزمن والوجود من تأملات الفكر الخالص ، وتدعوه الى تأمل مشاكله وامكانياته كفرد موجود يسعى الى العثور على منهج للعيش ويريد أن يحيا الحياة التى يعرفها ، وتنبع قوة الحملة التى شنها كيركجارد على هيجل ، وقت أن كانت شهرة هذا الاخير فى ذروتها ، من حاجته العنيفة الى شيء يعيش به ، وعندما كان كيركجارد طالبا رفض المسيحية ، وكرس نفسه لدراسة هيجل ، يقول فى [**اتمام حاشية غير علمية**] دع شابا شكاكا ، شاكا موجودا، اشربثقة شابة جميلة فىبطل من أبطال الفكر — دعه يبحث بحثا واثقا عن الحقيقة فى فلسفة هيجل الايجابية ، عن حقيقة للوجود وستجده خليقا بأن يكتب ابيجراما مهيبة على قبر هيجل ، دعه يسلم نفسه بلا قيد ولا شرط ، وفى تكريس انثوى ، وبحماسة التصميم الكافية لان تجعله يتشبث بمشكلته وسيغدو متهكما دون أن يفطن الى ذلك ، ان الشاب شا'' موجود ، فهو اذ يتأرجح مع الشك ، بلا موطيء قدم لحياته ، انما يمد يديه باحثا عن الحقيقة ، كى يوجد فيها ، انه سلبى وفلسفة هيجل ايجابية ، فأية غرابة اذن فى أن تراه يبحث عن ملجأ فى شخص هيجل ؟ بيد أن فلسفة الفكر الخالص وهم بالنسبة للفرد الموجود اذا هو أراد أن يوجد فى الحقيقة التى يبحث عنها · ان الوجود فى ظل الفكر الخالص أشبه بالسفر فى الدانيمرك مستعينا بخريطة صغيرة لاوروبا لا تمثل الدانمرك فيها الا نقطة مرسومة بقلم من الفولاذ ، أجل ·· فمثل ذلك الوجود أشد تعذرا · ان اعجاب الشباب بهيجل وتحمسه له وثقته به هذه الثقة التى لا تعرف الحدود هى بالضبط تهكم على هيجل » ·

وهذا الوعى ببطلان الفلسفة التأملية ، مضافا اليه قنوطه المستمر ، قد أديا به الى اعادة النظر فى قضية الايمان المسيحى ومعاداة كل مذهب موضوعى يلوح متسقا فى ظاهره ولكنه يكون — فى حقيقته — مشتتا ومضللا ومدمرا للتفكير الفلسفى الحق ، وللحياة الحقة لانه يتهرب من مواجهة مشكلات وجودنا الفردى ، وقد كان كيركجارد ، فى رفضه للفلسفة مدركا للتناقض القائم بين الايمان والمنطق ولذلك حرص على ابراز هذا التناقض فى رفضه للفلسفة التأملية ، وأقام موقفه عليه · فقد كرس حياته لتجديد معنى المسيحية مبرزا الهوة القائمة بين الايمان والعقل : أو بين المسيحية والثقافة · وكيركجارد — بذلك يقف على الطرف المقابل لمن حاولوا التوفيق بين العقيدة والعقل وحاولوا فلسفة العقائد المسيحية وتطعيم الوحى الالهى بشجرة اللاهوت الطبيعى ، كما فعل القديس توما الاكوينى وفيشينو وهيجل .

● ● ●

وثانى هؤلاء المفكرين هو الفيلسوف الالمانى فردريك نيتشه [١٨٤٤ — ١٩٠٠] . وبين نيتشه وكيركجارد من وجوه الشبه والاختلاف ما يجعلهما يبدوان أحيانا فى صورة القطبين المتنافسين ، وأحيانا فى صورة التوأمين ، فنيتشه قد اختار العالم المحدود الذىرفضه كيركجارد وتخلى عنه، ولكن الرجلين انتهيا الىالنهاية المأسوية المحتومة، اذ ظل كيركجارد يردد قولته المشهورة (اما ·· واما] حتى مات، وانتهى نيتشه الى العدمية والصحوة المفاجئة ثم الجنون ، وكلا الرجلين نموذج لا يتكرر : مشوه يدعو الى الشفقة · كلاهما صلب الرأى ينتزع الاحترام انتزاعا ، كلاهما وقف ضد ثقافة عصره ، وارتد بفكره الى عصر الاغريق ، ولكن بينما لعب كيركجارد دور سقراط الذى يريد تحقيق الخلاص لعصره رفض نيتشه هذا الدور ورأى فيه علامة الخراب ، كلا الرجلين متوحد دفع بنفسه دفعا الى العزلة وكلاهما وجودى لان الوجودية لا تتمثل فى مجموعة من النقاط العقائدية قدر ما تتمثل فى الرجوع الى الفرد الموجود الذى يريد أن يحيا فى ضوء الفكر ، فليس نيتشه الفيلسوف هو الذى دعا الى ارادة القوة ، والى الانسان الارقى [السوبرمان] والى العود الابدى ، بل نيتشه الفنان الفيلسوف ، عالم النفس وناقد الثقافة ، هو الذى دعا الى هذه الامور فى غمرة صراعه مع قدره ·

يضرب تفكير نيتشه بجذوره فى نشأته البروتستانتية : انى سليل عائلة كلها قسس مسيحيون » وفى فلسفة شوينهور الذى استهواه اثناء مراهقته ، وفى الدراسات الاغريقية التى انغمس فيها بحكم اختياره الشخصى وحكم وظيفته ، ومهما انحرف عن هذه المؤثرات الثلاثة فانه يظل مشدود الوثاق اليها مشغولا بها ، ان اعلانه موت الله وقلبه احكام شوينهور الاخلاقية رأسا على عقب وتشهيره بالعقلانية الاغريقية ، لا تعدو ان تكون مؤكدة للاثر العميق الذى خلفته هذه العناصر فيه ، لقد عاش مشكلة لم يتمكن هو نفسه من حلها اذ كان عليه أن يتغلب على ما يراوده من

نوازع الشك والتشاؤم والعدمية وكان يهدف الى تحقيق « الحكمة الطروب » كى يتمكن من بلوغ الثقة العقلية ، والاستجابة الانفعالية وتحقيق أهداف القوة ، يقول : « كنت دائما أولف كتبي بكل جسمي وحياتي ، اذ لست أعرف ما المقصود بالمشاكل الذهنية » . ولكن بنيته المهددة بالخطر زادت من عدميته ، فحاول مستميتا أن يغطى هذا الضعف بالانطلاق الى ضوء الشمس ونشدان النشوة الحيوية ، يقول : « من تصميمى على ان أكون فى صحة طيبة ، ومن تصميمى على العيش ، ألفت فلسفتى ، فالرغبة فى البقاء هى التى منعتنى من أن أمارس فلسفة تعاسة وحبوط » ؛ ومن ثم اتسمت فلسفته بالطابع النفسى رغم فنية المشاكل التى يعالجها ، كمشكلة المعرفة مثلا ، انه يتساءل لماذا يسعى الانسان وراء المعرفة ؟ ثم يجيب بقوله : لحاجته الى ان يفرض وجوده [أى صورة الانا المستقرة) على عملية الصيرورة . وما دامت الانا أو الذات العارفة بمثابة عملية هى الاخرى ، فان المعرفة تزييف ، ولايجب اذن أن نبحث عن الحقيقة بل عن الارادة ، لا عن المعرفة بل عن القوة، لان انتفاء المعاودة والتكرار معناه انتفاء المعـــرفة التامة . ولا شىء حقيقى غير العلاقات الفردية الفريدة والتفسيرات والتقييمات الابدية ، فليس هناك « شىء فى ذاته » وليس لاى شىء طبيعة اوجو هريل هناك فقط الوجود والتاريخ ، وعلى الانسان ان يحتفظ بأتســـــاق ارادته أثنـــــاء عمليـــة التقييم ، هذه الامانة التى ينبغى أن تتسم بها الارادة تدنو من مراتب استقرار الوجود فى العالم المعروف . فعندما تنجح الذات فى خلق نفسها وموضوعها بهذه الطريقة ، تكون اقرب ما تكون الى المعرفة ولكن هذه الطريقة تزييف زكى لا غنى عنه لايدنو من الحقيقة ، فالحقيقة لاتتناول وهى عديمة الفائدة والمعرفة المفيدة بناء وتبسيط لفوضى الانطباعات غير المتبلورة والعـــلاقات المتفردة ، وعلى ذلك فاننا عندما ننظر الى مبادىء المعرفة أو قواعد البناء على انها المثل الاعلى، ونجعلها معيار الواقعية ، انما نتورط فى سوء الفهم والتزييف اللذين وقعت الفلسفة التقليدية ضحية لهما ، وفى ذلك يقول : « لقد أصبح العالم زائفا وذلك ــ بالدقة ــ نتيجة للصفات التى تؤلف واقعيته وهـــذه الصفات هى : التغير والتطور وتعدد الانـــواع والتقابل والتعارض والحرب .

رفض نيتشه فكرة الجوهر : ما لا تاريخ له هو وحده ما يمكن تعريفه ورفض فكرة « الشىء فى ذاته » ولكنه احتفظ رغم ذلك بتفسير شوبنهور الميتافيزيقى « الشىء فى ذاته » بـاعتباره ارادة موضوعية وصراعا أعمى ، فى هذا العالم الذى يملاه الصراع ، ولا يخفف من توتره غير الاوهام ، أراد شوبنهور ألا تكون له ارادة ، العدمى هو الرجل الذى يقول عن العالم كما هو : انه ما كان ينبغى أن يوجد ، ويقول عن العالم كما ينبغى أن يكون انه غير موجود » . وهكذا أراد نيتشه أن يتقبل العالم الذى رفضه شوبنهور (تحت سيطرة القيم المســيحية) . وأدى ذلك بنيتشه الى توجيه قسط كبير من اهتمامه الى مسائل القيــم والاخلاق . .

● ● ●

وثالث هؤلاء المفكرين هو الفيلسوف الالمانى كارل ياسبرز الذى ولد عام ١٨٨٣ . يبدأ ياسبرز بافتراض وجود عالم خارجي يجد المفكر نفسه موضعا فيه : عالم من الموضوعات المستقرة التى تحدد معرفتنا ، وكل ما فى هذا العالم العلمى موضوع (بمعنى أننا نخبر استقراره ونـرصد صورته] ، وموضوعى [بمعنى أن ما نعرفه عنه مفهوم لجميع الناس) فالعلم اذن هو حلقـة الاتصال بين العالم المفهوم والفهم الانسانى،أو كما يقول ياسبرز ، « ان كل معرفة وكل موضوع فى العالم انما هما للوعى عامة ، وهذه المعـرفة الموضوعية بما هو موجود (الوجود ــ هناك) هى فى رأى الكثيرين أقصى ما يمكن أن يطمح اليه التفكير الانسانى لاننا نفترض أنه لايوجد مالا ندركه فى صورة موضوعات مستقرة يرصـــدها العقل الانسانى ويسجلها على نحو مفهوم للبشر جميعا ، فالعلم اذن هو مقياس كل شىء ، وهذا اليقين الموضوعى الذى يحافظ على نفسه دون اشتراك من جانبي والذى من قبله كانت كل أشكال ذاتيتى متحللة بلا موضوع ، هو عين صورة كل ماهو ثابت ، وأنا اذ أمسك به انما استشعر رضاء لايبارى ، فأنا أذ أبحث عن اليقين انما يحفزنى الى ذلك خوفى من الحرية : لانه لا سبيل لى الى اجتناب ما يلازم المسئولية من قلق الا بالعثور على حقيقة موضوعية ضرورية كلية ، وهذه الحرية تتضمن نقصا فى المعرفة ، أى افتقار الى اليقين، وديكارت الذى يقف على عتبة الفلسفة الحديثة قد أعلن أنه مفكر فرد يطل على العالم من برج عزلته الضرورية ، كما أعلن أنه موجود ولكنه ابى تحمل نتائج هذا الموقف الذى اختاره لنفســـه ، اذ أنه احتمى بالاحكام القطعية ولجأ الى المنهج بدلا من ان يحاول التعرف على امكانية قنوطه وحقيقة حريته ، ويقول ياسبرز : ترى أين تكمن نقطـــة الضعف فى المعرفة الموضوعية القائمة على العلم ؟ ثم يجيب عن هذا السؤال بقوله : ان العقل لا يكتفى بالوضوح فهو يريد أيضا تحقيق وحدة المعرفة وكليتها . ومعنى ذلك أن الموضوعية اذا تحققت تمام التحقق ، هى المعرفة الكاملة المانعة، غير أن العلم عاجز عن الوصول الى هذه الموضوعية المبتغاة ، ولو أنه وصل اليها لغدا العالم مفهوما تماما للوعى الانسانى ، وثمة أشكال حيوية من الوعى تكمن تحت مستوى المعارف العامة ولا يمكن اخضاعها لاشكال هذه المعارف ومســتواها كالاحاسيس الغامضة التى يصعب الامساك بها

والادراكات ، والمشاعر ، والحدوس ولمحات الوعى الفردى التى هى من المعارف العامة بمثابة لمواد الخام ، مثل هذه العناصر الحيوية تمر فى مرشح العلم مهما بلغ من الاقتدار أو الكمال ، بل أن المعرفة الاستقرائية لا يمكنها ان تكون أكثر من احتمال ولا مفر لها فى بعض الميادين من ان تظل غير مؤكدة ، لانها لا تستطيع أن تكون ذات بداية أو نهاية ، فمن المتعذر اذن ان نستخلص من المفاهيم العلمية صورة متسقة للعالم ، ولم يظهر حتى الآن من يستطيع أن يثبت ان العـالم ، فى خاتمة المطاف، عدد أومادةأو روح أوطاقة او اية فكرة أخرى مستقاة من العلم فى دراسته لمتسق الظواهر ، من المتعذر أيضا تنظيم العلوم فى وحدة شاملة رغم أن هذا التنظيم هو الهدف المشروع لكل بحث علمى

هذا التوقىالىالموضوعية الكاملة وثيق الصلة بالتوقى الىاليوتوبيا التى يتغلب فيها الانسانعلى مشاكله العملية تغلبا نهائيا ، وكلا الموضوعيه واليوتوبيا سراب خداع ، فكلاهما يتضمن الامل فى احالة كل شىء الى آلة منظمة وهو ما لم يتحقق أبدا ، واذن فلا العالم بالذى يعرف الوحدة ولا المعرفةبالتى تعرف الوحدة، ولا سبيل للتهرب من مشاق الحياة الواقعية بالالتجاء الى مثل هذه الاوهام ٠

العلم اذن قادر على أن يبلغ وضوح المعرفة الموضوعية وعموميتها ، ولكنه غير قادر على بلوغ الوحدة والكلية اللذين يطمح الى بلـوغهما ، فالعلوم تجريبية وعليها ان تؤدى واجبها على خير وجه مستطاع وليس من مهمة الفيلسوف ان يقدم لها قواعد وحدودا عملية ، لان القواعد والحدود مبادىء مطلقة ، بينما العلم مفتوح دائما للجديد ٠ فالعلم الذى يفهم نفسه ويتبين حدوده المطلقة يغدو فلسفة لانه فى هذه الحالة يكون فرعا بالروح الفلسفية التى تحثأصحابها على اكتسابالمعرفة والسعى الدائب وراء وضوح الفكر والبحث عن الحقيقة ٠

العلم اذن هو الارضية الضرورية للفلسفة وأول مرحلة من مراحلها ، ولكنه غير قادر على بلوغ الوحدة والكلية اللذين لا غنى للفكر عنهمـا ، والفلسفة بدورها عاجزة عن أن تضيف شيئا الى المعرفة الموضوعية التى يمدنا العلم بها ، وذلك لان الفلسفة تبدأ من وجود الفيلسوف وماهيته لا مما يعرفه ، فالفيلسوف لا يصل الى المعرفة وانما يصل الى نفسه، ووحدةالوجود وكليته انما ينتميانالى العالم فى حالة تعاليه (الوجودفى ذاته وليس فى مستطاع الفيلسوف ان يحقق هذا التعالى الا بتعاليه على العالم التجريبى ، (كون الانسان نفسه) والوجـود هنـاك ، هنـاك اذن ثلاثة انماط من الوجود هى : الوجـــود فى ذاته وكون الانســان نفســه والوجود هنــاك ، وعلى المفـــكر ان يدلى بدلـــوه فى كـل نمط من هــذه الانماط حتى يحــقق وحـــدة الوجود وكليته ، فالفلسفة تبدأ من العلـم ولا تستغنى عنه، لانالفيلسوف لايملكغيرهذا الكون الذى يدرسه العالم أو كما يقول ياسيرز : ان من يكرس نفسه تكريسا حارا لاستكشاف العالم هو وحده الذىيمكنه الدنو منالفلسفة ومعنىذلكان الفلسفة التى تنفصل عن العالم لابد وأن ينتهى بها المصير الى الغياب فى متاهة الضياع ٠

● ● ●

ورابع هؤلاء المفكرين هو الفيلسوف الفرنسى جابرييل مارســيل الذى ولــد عــام ١٨٨٩ . وفلسفة مارسيل تقوم على مناقشة الاراء الفلسفية السابقة والتأمل فى التأمل وعدم الارتفاع بالتفكير الى ذرى التجريد ، وانما استخدام التفكير فى استعادة ما هو عينى وبلوغ وحدة العيش والفكر ، ويلجأ مارسيل عادة الى تدوين تيار أفكاره بكل دقائقه وتردده وجرأته وتجاربه وتناقضه وشذراته المصقولة وبداياته الموحية وانتصاراته المفاجئة فهو ابعد ما يكون عن اقامة بناء فلسفى متكامل او تقديم عرض منهجى ، وان كان ثمة اهتمامات معينة تتحكم فى تيار افكاره تحكما صارما ، ان تفكيره ليس مجرد تفلسف أى مجرد فلسفة بل هو « فعل فلسفى » ، بمعنى أن رفضه للمذاهب والنتائج وعودته الى العينى كانا ثمرة لتطوره الفلسفى البطىء وهو تطور لميخضع لمؤثرات اى منزملائه الوجوديين ، واذا كنا نجد فى فلسفته جوانب مشـابهة لما نجده فىفلسفتهم فذاك ليس الا نتيجة لطبيعة الطريق الذى اختطه تفكيره فى انطلاقه من نقطة بداية مستقلة تماما ، لقد بدأ حياته فيلسوفا مثاليا ثم حرر نفسه من سحر المثالية حين وجدها تمسخ طبيعة الانسان والعالم ، وفلسفته ترمى الى استعادة واستكشاف التجارب الحيوية الحقيقية التى تنبع من الانسان والعالم حين يلتقيان ٠

يعود مارسيل ، مثل ياسيرز ، بالفلسفة الى التأمل فى الوجود ، وهذا التأمل الذى يعد من سمات الفلسفة التقليدية قد قوضت دعائمه فلسفات كانت وبرجسون اللذين حاولا ، كل بطـريقته الخاصة التقليل من قيمة موضوعات المعرفة ، كما قوضت دعائمه مادية العلم الحديث وانشغالهذا العصر بالجانب التكتيكى من العلم بغية الاستئثار بالقوة ، ومثل هذه التطورات خليقة بأن تعرقل أية عودة الى الميتافيزيقيا الارسطية بمفهومها العقلى للوجود وتفسيرها له على ضوء قواعد اللغـة والمنطق ، ويرى مـارسيل أن أول خطوة ينبغـى اتخاذها فى سبيل التوصل الى حقيقة الاشياء هى

تتبع خطى الفلاسفة فى ميدان التفكير المجرد ، والعودة الى وحدة الوجود العينى . اذ ليس من الممكن أن نجعل من الغاز هذا العالم الذى يقع وراء حدود الذات والموضوع معا هدفا لمعرفة الانسان وملكا عقليا مشاعا لكل فرد ٠

قال ياسيرز عن الجوكيتو الديكارتى : « انا أفكر ، اذن أنا موجود » انه كوجيتو منهجى وليس جذريا بمعنى أنه يضع موضع السؤال وجود موضوعات المعرفة ، كى يستعيد هذه المعرفة ويتثبت منها ولكنه يفشل فى أن يضع موضع السؤال شكل الوجود الذى تحياه الذات العارفة ويفشل فى تناول وجودى الشخصى ، لانه لا يحاول الاجابة عن هذا السؤال : ما أنا؟ويقول مارسيل هو الاخر ان القول بذاتيتى لا يصلح نقطة انطلاق وانما هو منتهى ، وغاية ، فالذات العارفة التى تدرك موضوعات المعرفة ليست من الناحية العملية الا جزءا من الانسان الكامل ، وليست من الناحية النظرية الا تجريدا منتزعا من الموقف الانسانى ، فلا ينبغى والحال كذلك ان تخلط بينها وبين الفرد الموجود وهو الذى يجدر بالفلسفة أن تتناوله ٠ ويرى مارسيل ان الفكر الديكارتى يملك نفسه ولكنه لا يملك موضوعه ، فهو لا يلتحم بأى شىء ٠ وهنا تكمن نقطة الضعف فى كل الفلسفات المثالية فهى تفشل فى تحقيق أى أخذ وعطاء حقيقى مع موضوعات التفكير ٠ ويقول مارسيل : « ان جوهر الانسان هى كونه فى موقف » فالانسان يجب أن ينظر اليه على ضوء موقفه العينى فى العالم ، لا على ضوء اللحظة التى ينفصل فيها عن نفسه فى وعيه بحريته ، ومعنى ذلك ان ادراكى لوجودى ليس انفصالا أقوم به كذات عارفة عن جسدى كموضوع للمعرفة لان وجود جسدى فى العالم هو الذى يؤسس ذاتيتى

◎ ◎ ◎

وخامس هؤلاء المفكرين هو الفيلسوف الالمانى مارتن هيدجر الذى ولد عام ١٨٨٩ — وهيدجر هو مؤلف (**الوجود والزمان**) (١٩٢٧) الذى خلف أثرا عميقا فى الحقل الفلسفى ، وأثار آمال الكثيرين ، فقد كشف لا عن اصالة مؤلفه فحسب وانما أيضا عن طموح افقه الفكرى الذى يريد اقامة ميتافيزيقية للوجود من ذلك النوع الذى اقامه أفلاطون وارسطو ٠ كما كشف هذا الكتاب عن مدى تمثله لاراء أمل مفكرى عصره أمثال كيركجارد ونيتشه وبرجسون ، ودلتى وهوسرل وشيلر وسيمل ٠ ولم يظهر حتى الان من يطور منهج هيدجر ، ولا يبدو انه سيظهر على الاطلاق فهيدجر — كما قال النقاد — يوغل فى حفر الارض التى يزمع اقامة ميتافيزيقيته عليها الى الحد الذى لا يجعل من اليسير متابعته فيما يفعله ، ولكن شذراته الاخيرة تكشف لنا عن اتجاه تفكيره فى الوقت الحاضر واتساقه مع هدفه الاصلى ، وبهذا المعنى يجوز أن يقال ان برنامجه آخذ فعلا فى التحقق وان لم يتم ذلك بصورة منهجية ٠ وهيدجر — يحرص دائما على اخراج نفسه من زمرة الفلاسفة الوجوديين قائلا انه انما يهتم بمشكلة الوجود لا بمشكلة الوجود الشخصى وما يترتب عليها من نتائج اخلاقية ، ولكنه — رغم ذلك — فيلسوف وجودى أصيل يشارك زملاءه من الوجوديين موضوعاتهم وافكارهم وطريقتهم فى التناول ولغتهم كما يشاركهم دينهم لكيركجارد وتأثره على بعضهم لا سيما سارتر ٠

فلسفة هيدجر اذن تريد لتطرح هذا السؤال : ما الوجود ؟ وهو اذ يفعل ذلك انما يرجع بمنهجه الى هوسرل مؤسس مذهب الظاهريات ، لم يكن هوسرل نفسه وجوديا ولكن أثره فى الوجودية كان عميقا حتى أن المرء لا يجد حرجا فى القول بأن الوجودية الحديثة ما كانت لتتطور لولاه ، من الحق أن كيركجارد أثر بعمق فى اللاهوت البروتستانتى كما أثر فى ياسيرز وهيدجر ، ولكن من الحق أيضا أن الوجودية لم تتخذ مكانها فى الاطار الفلسفى المعاصر الا نتيجة لمنهج هوسرل الظاهراتى ٠

تنطلق فلسفة هيدجر من الرأى المألوف القائل بأننا مادمنا غير واقعين خارج الوجود ومادمنا قادرين على اقامة صلة معه فنحن خليقون بأن نبدأ بفحص انماط معينة من الموجودات ، والوجود الانسانى اذن هو نقطة انطلاقنا لان هذا الوجود امتياز لنا ولان اى ميتافيزيقية للوجود ينبغى أن تكون نتاجا لهذا الوجود الانسانى ، فعلينا اذن ان نكشف الغطاء عن بناء الوجود الانسانى ٠ ان « جوهر الوجود هو وجوده » : ومعنى هذا ان الحقيقة الانسانية غير قابلة للتعريف لانها ليست شيئا يعطى وأنما هى ينبغى أن توضع موضع السؤال — فالانسان امكانية وهو قادر على أن يوجد ، ووجوده مرهون باختياره للامكانيات المفتوحة امامه ، على أن هذا الاختيار ليس نهائيا ، ولذلك فوجود الانسان أمر غير مقرر لانه غير نهائى ، ويضيف هيدجر قائلا أن لنمط الوجود الانسانى بناء فهو « وجود فى العالم » ٠ وهذا « الوجود فى العالم » الذى منه يتألف الكائن الانسانى هو وجود النفس فى صلاتها بغير النفس أى فى صلاتها بالاشياء والاخرين وبكل ما تجد النفس أنها داخلة فيه ٠ وليس هذا النمط من أنماط الوجود مجرد ظاهرة عرضية وانما هو ضرورة فكرية بمعنى أن العالم الذى أجد نفسى فيه يكون وجودى وليس مجرد مكان أوجد فيه ٠ لا يمكن اذن لوجود أن ينفصل عن العالم ٠ فمشاغلى واهتماماتى وأعمالى وهمومى وأبحاثى تمثل نوع وجودى ٠ ويمكننى أن اتحرر من هذا العمل أو ذاك ولكن ليس بمكنتى أن أتحرر من كل الاعمال على الاطلاق ، وعالمى المباشر (أى العالم الماثل أمامى مباشرة) هو عالم مشاغلى واهتماماتى وليس عالم الموضوعات الماثلة

امامى مباشرة ، ونجد بالمثل ان الموضوعات التى لى صلة بها ليست اشياء قدر ما هى ادوات.بمعنى انها اشياء ذات ؛ ذده خاصة بالنسبة لى وانها مرتبطة بما عداها من أشياء فى القيام على خدمة اهتماماتى . والاداة المرتبطة بما عداها من ادوات هى نموذج الشىء أو الموضوع فى العالم ، وهو ما يسببه هيدجر « الموجود فى متناول اليد » .

هذه النظرة الى العالم تقف على الطرف المقابل للنظرة العقلانية المجردة التى نبعت من ديكارت حيث نجد أن المنطقى هو الحقيقى ، وان الفيزياء الحسابية هى نمودج المعرفه ، وان قوانين الطبيعة اهم من الطبيعة نفسها ، وهذا التقابل بين المعنى الذى يضفيه الانسان على العالم بتنظيمه العملى لشئون حياته اليومية وبين البناء العقلانى لعالم من الموضوعات الواقعة فى نطاق الزمان والمكان ليس تقابلا بين التطبيق والنظرية او بين المصالح والعلم ، وانما هو تقابل بين تقدير صحيح لبناء العالم كما يجلوه التحليل الوصفى للتطبيق . وبين مفاهيم خاطئة نبعت من تجريدات علم وفلسفة عتيقين . .

● ● ●

وآخر هؤلاء المفكرين هو الفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر الذى ولد عام ١٩٠٥ ، جلب سارتر الى الوجودية شهرة سيئة بسرواياته ومسرحياته واختلاف الاراء فيه . على أن كل من يجشم نفسه مشقة قراءة كتابه الرئيسى « **الوجود والعدم** » لا يمكنه الا أن يقر بعمقه البالغ وجديته ، فسارتر نموذج المفكر العقلى الفرنسى الحديث ، وعلى هذا الاساس يتعين على العالم أن ينظر اليه ، ولا يهم بعد ذلك أن يرفضه أو يعبده أو يلومه ، أخذ سارتر الكثير عن هوسرل وهيدجر وهيجل ولكنه صاغ ما أخذه بفطنة المحترف وبراعة الفيلسوف الاصيل .

يرى سارتر أن الوعى دائما وعى بشىء ما : فالوعى يشير الى شىء غير ذاته ، ويفصل نفسه عنه ، والوعى بشىء ما معناه ادراكك انك واع بهذا الشىء ولكن هذا الادراك الثانوى متضمن فى عملية الوعى الاولية ، فوعى لا يمكنه ان يكون موضوعا فى حد ذاته ، انه دائما وعى بشىء آخر ، والوعى يدخل العالم فى صيغة النفى ويدرك من أمر نفسه أنه « لا » أبدية ، وأنه احتمال خالص منفصل عن كل شىء موجود ، انه شكل من أشكال الوجود ينطوى على شكل من أشكال الوجود غير نفسه ، وموضوع الوعى ـ على العكس من ذلك ـ هو ماهيته ، فهو ليس احتمالا بل هو ما هو،وهو ماثل هناك كاملا مقدما الينا كاملا دون أى انفصال عن ذاته .

هناك اذن نمطان من انماط الوجود هما الوعى وموضوع الوعى : هما « الموجود لذاته » و« الموجود فى ذاته »، وليس هذان النمطان مجرد قطبين متقابلين ، فالوعى يتطلب دائما عالما موضوعيا يقدم اليه . والوعى لا يدخل الوجود الا بانفصاله عما فى العالم ولا يمكن استخراجه من العالم لان العالم كيان مستقل وقائم بذاته ، أما العالم فيمكن استخراجه من الوعى . لا لان الوعى سابق على العالم ومستقل عنه ، ولكن لانه يدخل العالم فى صورة العدم . ويختلف عن العالم . فالوعى ادن عيال على العالم الموضوعى ، ونجد من ناحية أخرى ان الوعى ليس شيئا غير العالم ، فما دام العالم موضوعا للوعى ، اى ما دام «موجودا فى ذاته » فانه دائما ما يعيد تشكيل ذاته فى صورة غير صورة العالم ، فى صورة تتصل بكل بند من بنود الخبرة وتضع نفسها دوما موضع السؤال ، ومن ثم تغدو مطلقا ، وعلى ذلك « فالموجود فى ذاته » و « الموجود لذاته » نمطان من أنماط الوجود يفصل بينهما انفصال لا سبيل لاقامة جسر عليه ، كيف يمكن اذن للمعرفه أو للفعل أو لاى شكل آخر من أشكال التعالى أن يتحقق ؟ وهل الوجود ازدواج لا سبيل لحله؟ أهو امتلاء من ناحية وسلب من ناحية أخرى؟ أهو وجود وعدم ؟ **واذا كان الامر كذلك . فكيف يسببه** هذا الوضع تجربة وجودنا فى العالم؟ يجيب سارتر عن هذه الاسئلة وأشباهها بقوله : ليس من الممكن أن نوحد بين « الموجود فى ذاته و « الموجود لذاته » اذا كانا كيانين منفصلين وذلك هو وضع الهزيمة الذى تقفه الفلسفة ، سواء آمنت مع المثاليين بأولوية « الموجود لذاته » على « الموجود فى ذاته » أو آمنت مع الواقعيين بأولوية « الموجود فى ذاته » على « الموجود لذاته » . فلكى تغدو المعرفة والفعل أمرا ممكنا ولكى تغدو أية همزة وصل أخرى بين الذات والموضوع ممكنة التحقيق يتعين علينا أن نأخذ « الموجود لذاته » على ما هو عليه ، أعنى ان نعده انفصالا ونفيا أبديين يتجسد فى العالم على شكل وجود تاريخى ولكنه لا يتطابق مع هذا الوجود ولا ينبغى أن يعد ملكا له أو مجملا له ، فهو يعيد تركيب نفسه دائما ويمتلك اجمالا حقيقيا خاصا به وهذا العدم الخالص الذى يحد الوجود ويحدده ليس مجرد فرض نستهدف به حل لغز الفلسفة ، وانما هو وصف للشروط الوحيده التى يمكن بوساطتها أن يصبح وجودنا الانسانى فى العالم أمرا ممكنا ، فالانطولوجيا أو وصف بناء الوجود ، هي التى ستصف لنا كيف أن الوعى او الحضور الانسانى فى العالم ، متصل بالبدن وبموقفه من العالم وبالماضى والحاضر والمستقبل وبالمعرفة والرغبة والارادة والاختيار ، وبالامتلاك والفعل وبالقيمة والمثل العليا وبأى وعى آخر ، فالانطولوجيا اذ تطرح عن كاهلها مشاكل الفلسفة المركبة التى دارت بالمثالية والواقعية فى حلقة مفرغة ، انما تعيننا على اجتلاء حقيقة الموقف الانسانى ، وعلى ارساء أسس الاخلاق وعلى تحرير وصفات العيش ».

الوعى اذن يدخل الوجود باعتباره وعيا بشىء ما وادراكا لهذا الوعى . « فالموجــود لذاته » يدخل الوجود عندماينفصل عن ــ أى يعتمد على ــ حقيقة هى ببساطة موجودة . فأنا أعى أنى أشتغل نادلا لانه يتصــــادف لى ان أحقق وجــــودى بانفصالى [أو محاولتى الانفصال] عن النادل وليس عن الصحفى مثلا أو عن الدبلوماسى ، أنا لا أغدو « موجودا لذاته » الا عندما أغدو « موجودا فى ذاته » : ولكننى لست « موجودا فى ذاته » ، لست مجرد شىء مختلف عن « الموجود فى ذاته » ولست مجرد عيال عليه فى سبيل بلوغ شكل آخر من أشكال الوجود وانما أنا أحاول الاستحواذ عليه لنفسى وتمثله تمثلا كاملا وجعله وعيا بنفسى دون أى انفصال ، وهو ما لن يتسنى لى قط أن أحققه ، الموجود لذاته يتسم اذن بـــالاحتمالية والاعتماد على الموجود فى ذاته ولا يستطيع أبدا أن يرسى أساسا لنفسه،وقصارى مايستطيعه هو أن يرسى أساس عدمه من خلال علاقته بـ « الموجود فى ذاته » الذى يقدم الينا مجانا ولا يعدو أن يكون ما هو ، وليس الانسان مادة تفكر بل هو انفصال عن كل مادة ، أنا لا أوجد اذن أنا أفكر ، ولكن هذا الانفصال لا يبلغ غايته قط لانه انفصال عن مادة احتمالية ليست مجرد مناسبة لتحقيق الانفصال وانما هى نمطه وأداته .

من المجلات الفكرية العالمية

الامبريالية تغيــــر جلــــدها وتتشــــكل فى مــواجهـــــة الاوضاع التاريخية الجديدة

مجلة ميروفايا ايكونوميكا السوفيتية

بقلم : ج . رودينكو

تتسم امبريالية اليوم ــ التى تحاول أن تكيف نفسها حسب أوضاع الصراع بين النظــامين وحسب مطالب الثورة التكنولوجية والعلمية ببعض السمات الجديدة ، واحدى هذه السمات هــى نزوعها الى التكيف حسب الاوضاع الجديدة .

لقد كانت الامبريالية فى بداية القرن الحالى هى التى تحدد مسار التطور فى غالبية الاقطــار وتسيطر على كل الطبقات والفئات فى المجتمع ، أما اليوم فقد فقدت الامبريالية تلك القدرة ، وانما هى تضطر الى تشكيل نفسها حسب الوضع الجديد حتى تؤجل نهايتها ، بينما تتطور الحركة الثورية تحت ظروف جديدة لا تخضع فيها الرأسمالية للقوانين الجوهرية ، بل تعمل على تخطى هذه القوانين .

ومحــاولات الامبرياليــة التكيف تلقى عــلى الماركسيين بعض المهام ، فهى لا تشــكل ظواهر وقتيــة ، وانما اصبحت ســمة لازمــة للمرحــلة الحالية .

ولكن رغم أن الراسمالية تتكيف حسب الاوضاع المتغيرة الا أن جوهرها يبقى كما هو : استغلال العمال الاحرار عن طريق أصحاب رأس المال ، كل ما هناك أنها تطور وسائل تحقيق هذ الجوهر ، ويستخدم ايديولوجيو الرأسمالية هذه الحقيقةفى شن الحرب على الماركسية، محاولين جاهدين أن يثبتوا أن الرأسمالية توقفت عن أن يصبح رأســـماليــة ، وجميـــع النظريــات العصرية مثل « الرأسمالية الشعبية » و « مجتمع المديرين » و « المجتمع الصناعى » و « مجتمع ما بعد المرحلة الصناعية » وغيرها الكثير تتفق فى شىء واحد هو: أن الرأسمالية كانت نمطية بالنسبة لعصر ماركس ، أما اليوم فهى لا تحمل الا القليل من سمات رأسمالية عصر ماركس .

ان التكيف مفهوم لا ينطبق على جوهر النظام الرأسمالى . وانما هو يصبح بالنسبة لنظــام السيطرة الذى تقيمه الرأسمالية ، ذلك النظــام المعقد والذى تنتابه التغيرات باستمرار .

ويمكن أن يقال ان النظام الرأسمالى كان دائما يتكيف مع متناقضاته محاولا التغلب عليها ، ولكن ليس هذا ما نقصده من كلمة التكيف عنــدما نستخدمها فى أيامنا هذه .

وطبيعى أن أى تكيف يتضمن تغييرا ولكن ليس كل تغير تكيفا ، ولا يمكن اعتبار التغيرات التى تحدث فى نظام « مغلق » يتطور تحت تأثير قوانينه الخاصة ، ظواهر للتكيف ، ولكن عندما يوجد بجوار النظام الرأسمالى نظام اجتماعى آخر معاد له ، وذو تأثير فعال عليه ، وعندما تنمو القوى الثورية فى النظــام الرأسمالى ، وتهدد وجود الامبريالية ، عندئذ لا يمكن اعتبـار الرأســمالية

نظاما « مغلقا » ،وتضطر بالتالى الى تكييف نفسها مع القوى المعارضة لها .

على هذا يمكن القول بأن التكيف يشمل التغيرات التى تتسم بصفتين :

١ - صفة الاضطرار والحتمية نتيجة لتغيرات ثورية تهز جذور النظام وتهدده بالفناء .
٢ - صفة التعمد التى يقصد بها ازالة العوامل التى تهدد النظام بالفناء أو التخفيف منها .

ومع أن التكيف يكون النتيجة ، بينما تكون الظروف المتغيرة للرأسمالية السبب ، الا أننا نعلم أن النتيجة والسبب (المعلول والعلة) يمكن أن يأخذ كل منهما مكان الاخر فى عمليات التطور .

وفيما يلى أهم السمات لعملية تكيف الامبريالية وملابساتها :

(١) قيام النظام الاشتراكى العالمى ، فى نفس الوقت الذى تنمو فيه التيارات الثورية الثلاثة يؤدى الى النزعة الى التكيف ، ولم يحدث فى تاريخ الرأسمالية أن وجدت فى وضع يصل فيه تحدى نظام الحياة القديم الذى أقامته الى هذه الدرجة من العالمية والصراحة .

(٢) لا يمكن تحقيق النزعة الى التكيف تلقائيا ، وانما يعتمد جهاز الحكومة عندما يعمل على «اصلاح » نظام الاقتصاد الفردى - على عديد من الابحاث العلمية ، والى حد ما يضطر الى الحد من عناصر المشروع الفردى فى سبيل الحفاظ على أسسه

(٣) يمتد التكيف الى كل مناحى الحياة الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية والفكرية فى داخل البلد وبالنسبة لعلاقاته الدولية .

(٤) ويدعم الاحتكاريون عملية التكيف هذه ، وفى مقدمتها الاحتكارية المالية فى الولايات المتحدة كما ينفذ هذه العملية اجتماعيا العمال المنظمون الواقعون تحت تأثير الانتهازية .

التكيف فى الاقتصاد

كان من الطبيعى أن تمارس الدول الرأسمالية المتقدمة التكيف حسب الاوضاع التاريخية الجديدة .

وتقوم الحكومة بالدور الاساسى فى هذه العملية عن طريق الضرائب والرسوم والجمارك ، وسن قوانين العمل ، ومع تعايش نظامين عالميين متعارضين ووجود صراع دائم بينهما ، فان تخلف الامبريالية اقتصاديا يعنى هزيمتها بدون حرب ،

ومن هنا أصبح بقاء النظام الراسمالى - لاول مرة - يعتمد على الاحتفاظ بمستوى ثابت وعال من التنمية ، مما أدى الى أن يتخذ تدخل الدولة سمة جديدة . فلم يعد قاصرا على حالة أو ظاهرة فردية ، وانما أصبح يشمل عملية الانتاج كلها والعلاقات الاجتماعية للرأسمالية :

أ - تهتم الدولة البورجوازية بتحول النقود الى رأس مال فتستخدم الضرائب والسياسة المالية لتسيطر على الاستثمار ، ثم تدخل بنفسها ميدان الاستثمار لتضمن ثبات الانتاج .

كذلك يتأثر تحول النقود الى قوة عمل بما تقوم به الدولة من امداد الاحتكارات بالعمال المهرة بعد أن تقوم بتدريبهم فى مدارس خاصة .

ب - كذلك تتدخل الدولة فى النهوض بالتكنولوجيا حتى تساعد على ازدهار الاقتصاد

ج - وأخيرا فهى تتدخل فى تحديد أسعار السلع الاستهلاكية

ولا يقتصر تدخل الدولة على ما سبق ، وانما هى تقوم حاليا بدور رجل الاعمال ، حتى تمد المشاريع الخاصة بقوة عمل رخيصة ، وبمواد خام ، وبوسائل نقل ، فتزيد من أرباحها ، وتطلق رأس المال الخاص للعمل فى الصناعات الاكثر ربحا .

وبدلا من الدور القديم الذى كانت الدولة تقوم به - دور الحارس - أصبحت تضطر الى التدخل فى العلاقات بين العمل ورأس المال حتى تحول دون الصدامات الطبقية الخطيرة (فظهرت اجراءات التأمين الاجتماعى والتأمين الصحى والاسكان)
كذلك يضطر رأس المال الخاص الى تعديل استغلاله لقوة العمل - بقدر ما يستطيع - حتى يتمشى مع الاوضاع الجديدة - وهذا ما أدى الى استخدام « العلاقات الانسانية » و « أجهزة التحليل » فى تقييم الوظائف ، و «مشاركة» العمال فى الادارة ... الخ . ونظرا لحاجة الاقلية المالية الى قاعدة اجتماعية جماهيرية نراها تعمل على اخضاع المشروعات الصغيرة لمصالح الاحتكارات وبهذا تربط مجموعات كبيرة من البرجوازية الصغيرة ، والرأسماليين الصغار والمتوسطين بمصير رأس المال الاحتكارى ، وأجدى طرق تقوية الاساس الاجتماعى للقلة المالية توزيع حصص الاحتكار بين العمال والبورجوازية الصغيرة (يصل هذا الى مستوى عال فى بعض البلاد ، ففى الولايات المتحدة مثلا زاد عدد حملة السندات بين عامى ١٩٥٦ و ١٩٦٥ من ٨ر٦ مليون الى ٢٠ر١ مليون ، أو ما يقارب ١٥ فى المائة من السكان البالغين)

العلاقات الاقتصادية الدولية للرأسمالية

يمارس النظام الرأسمالي العالمي شكلين متميزين من العلاقات الدولية :

١ ــ استغلال البلاد الرأسمالية المتقدمة للبلاد الاقل تقدما ،وتنتج عن هذه العلاقة حركة التحرير التي تمارسها الشعوب المضطهدة ٠

٢ ــ الصراع بين غالبية البلاد المتطورة على مناطق النفوذ ، وقد أدت هذه العلاقة الى تكون الكتل العسكرية والسياسية المتنافسة والحروب العالمية ــ والى كفاح الشعب الكادح في سبيل ايجاد طريق ثوري لتجنب الحرب ٠

ولان العلاقات الاقتصادية الدولية للرأسمالية هي أضعف حلقة في نظام سيطرة رأس المال ، فلا غرو ان تصبح هي الجزء الذي تبدو فيه مجهودات التكيف واضحة ، ونتيجة لهذا وجدت بعض الظواهر الهامة التي لم تكن موجودة عندما لم يكن رأس المال يجد من يقف في وجهه ٠

واول خطوة في الاستجابة للمرحلة الجديدة في نمو القوى الثورية كانت تغيير استراتيجية الامبريالية بالنسبة للمستعمرات : والاستيلاء على المستعمرات واستغلال خيراتها جزء لا يتجزأ من الرأسمالية ، ونتيجة للحرب العالمية الثانية سحقت ثلاث قوى امبريالية وضعفت بريطانيا وفرنسا ، ولكن الاهم أنها أدت الى النمو الجبار للاشتراكية ، وفي ظل هذه الظروف تمكنت البلاد المقهورة لاول مرة من ممارسة كفاح ثوري للاحاطة بالاستعمار الاجنبي ، وتحت ضغط هذا الواقع اضطرت الامبريالية الى الاعتراف باستقلال الدول المستعمرة بهدف الاحتفاظ بها كرأس جسر لتطور الرأسمالية

والانتقال من الشكل القديم المفضوح للاستعمار الى الشكل الجديد المتخفي هو صيغة من صيغ التكيف والتعبير الواضح عنه هو تصدير الدول الامبريالية لرأس المال الى المناطق التي يكون فيها النظام الرأسمالي مهددا ، وبعد الحرب العالمية الثانية مباشرة كان اتجاه رأس المال الاساس الى أوربا الغربية ، وبعد حين ــ مع ازدياد حركة التحرير الوطنية ــ اتجه رأس المال الى بلاد آسيا وافريقيا لمساعدة القوى الرجعية في شكل معونات ٠

سمات التكيف بالنسبة للايديولوجيا والسياسة

أصبح خداع الجماهير الشعبية من أهم وسائل ابقاء الجماهير في حالة خضوع للحكام الرأسماليين ٠

ويعتمد رأس المال الاحتكاري في الخداع على وسيلتين : الاولى التمويه الذي تقوم بهالامبريالية المعاصرة ، فبعد أن لم يعد من الممكن كيل المديح صراحة للرأسمالية والامبريالية وضع مفكرو الاستعمار نظريات « تحول الرأسمالية » تلك النظريات التي تشترك جميعا في اخفاء سمات الرأسمالية الحقيقية واظهارها في شكل النظام الذي يسير تلقائيا الى الاشتراكية ٠

والوسيلة الثانية هي العداء للشيوعية الذي تمارسه من خلال جميع أجهزة الاعلام التي تصب سيلا من الاكاذيب ضد الشيوعية والبناء الاشتراكي ، ومنطق البورجوازية في غاية البساطة : أن يترك هذا السيل من الهراء أثره في عقول العمال ٠

وعلاوة على « غسل العقول » تعتمد الامبريالية على صرف أنظار الجماهير عن المشاكل الاجتماعية والنضال الثوري ٠

كذلك تتكيف السياسة التي تنتهجها البورجوازية في الداخل والخارج ، ويتخذ هذا التكيف أشكالا متباينة بالنسبة لكل قسم من أقسام البورجوازية ، فبالنسبة لاكثر أقسامها رجعية يتخذ شكل اقامة دكتاتورية فاشية ، اما أقسامها التي تعي حتمية التغيرات التي تحدث، فتمارس سياسة التنازلات التي لا تؤثر في أساس الملكية الرأسمالية ٠

ولقد اكتسب رأس المال الاحتكاري خبرة واسعة في التعامل مع الجماهير في ظل الاوضاع التاريخية الجديدة ٠ فهو لا يقف في وجه الحركات الجماهيرية وانما يعمل على توجيهها في اتجاهات لا تضير الامبريالية ٠

أما بالنسبة للسياسة الخارجية فقد توقف العالم الرأسمالي عن ايجاد الكتل السياسية والعسكرية تلك الكتل التي اضحت تمثل خطرا على الامبريالية ، وهناك اتجاه الى أن يتحد الامبرياليون في جبهة واحدة في مواجهة الاشتراكية ٠

وختم «الكاتب » دراسته بقوله : أنه لابد وأن يهتم الماركسيون بدراسة عملية التكيف التي تمارسها الامبريالية لان النتائج المباشرة لهذه الممارسة في غاية الاهمية ولابد من فهمها ووضعها في الاعتبار في نشاطهم العمل اليومي ٠

شـــباب أمريكا ...
الهارب من حرب فيتنام

مجـــلة نيوزويك الامريكية
بقلم : كارل فلمنج

فى عدد مجلة « **نيوزويك** » الامريكية تحقيقـا صحفيا كتبه **كارل فلمنج** ـ مندوب المجلة ـ يعرض فيه مقابلته لعدد من الشبان الامريكيين المقيمين فى كندا .

لقد شهد المجتمع الامريكى فى السـنوات الاخيرة ، اتساع صفوف القوى الاجتمـاعية المعارضة للحرب التى تشنها الولايات المتحدة ضد شعب فيتنام ، ويقول فى تحقيقه الصحفى ، ان من أهم النتائج المثيرة والمؤلمة لحرب فيتنام ، هو هروب الشباب الامريكى من الانضمام الى الجيش الامريكى والرحيل الى كندا للاقامة فيها ، وقد بلغ عدد هؤلاء الشبان الامريكيين الهاربين من الجندية فى عام ١٩٧٠ : ٨٩٫٠٠٠ شاب . وفى هذا الشتاء كان يمر من الحدود الامريكية الى الحدود الكندية ٥٠ شخصا منهم ٣ أو ٤ شبان هاربون مـن الجندية ـ وينتمى معظم هـؤلاء الى الطبقـة الوسطى ، وهم من خريجى الجامعات ويملكون بعض المال فضلا عن مهارات تمكنهم من العمل والاقامة ٥ سنوات تؤهلهم للحصول على الجنسية الكندية .

ومعظم هؤلاء الشبان لايعملون بالسياسة . يقول أحدهم « لست سياسيا ولا أهتم بالسياسة ولكنى لا أومن بالقتل ، وفى أمريكا عليك أن تختار : اما ان تعمل لحساب الامبريالية الامريكية أو ضدها ، وليس هناك طريق وسط » . وبرغم ان نسـبة البطالة تتزايد فى كندا حتى وصلت الى نسبة ٧ فى المائة ، وبرغم ان قوانين الهجرة أصبحت أكثر تشددا الا ان ذلك لم يحل دون تزايد عدد الشبان الامريكيين الهاربين الى كندا . اما من تجبره ظروف البطالة القاسية على العودة الى امريكا مرة اخرى ، فانه يعيش فيها سرا وينضم الى قافلة العاملين ضد النظام الامريكى ، اما من يستمر فى الاقامة بكندا فلا يشعر اطلاقا بأى تأنيب للضمير لهروبه من وطنه ، ويعمل معظم هؤلاء فى صناعة الغاز أو فى الجراجات أو جرسونات او فى الزراعة ، أو بالتدريس . وهم فخـورون بالعمل الذى يقومون به أيا كان نوعه .

ويقدم الكاتب عددا من نماذج الشبان الذين تبادل معهم الحديث ، فينقل على لسان أحدهم قوله « لا أريد أن أعود الى امريكا ، انا اعتبر نفسى كنديا » ، ويبلغ دخل هذا الشاب الامريكى الهارب من الجنـدية ، ٥٨٠٠ دولار ، ويقوم بتدريس الفرنسية فى احدى المدارس الخاصة ، ويضيف هذا الشاب قوله : « أنا مستعد أن أحارب من اجل نفسى ومصالحى ، ولكنى لست مستعدا علـى الاطلاق لان أحارب أية حرب اخرى ؟

لكن البعد عن الوطن والحياة فى « المنفى » عبء نفسى يتحمله البعض ولا يتحمله البعض الاخر فيضيع ، لقد حاول بعض هؤلاء « الضـائعين » الانتحار . وقد عمل كثير منهم ببيع عقـار الهلوسة (L.S.D.) وكان يجنى ربحا اسـبوعيا قدره ٦٠٠ دولار فى الاسبوع ، لكن « ضياعه » و « غربته » حطم توازنه النفسى ودفعـه الى محاولات الانتحار .

وبينما اقتنع بعض الاباء الامريكيين برغـبة ابنائهم فى الهرب من الجندية الى كندا وقاموا بتوصيلهم الى الحدود وتقديم بعض المال والنصح لهم ، الا ان البعض الاخر هاجم ابناءه الشبان وراح يتهمهم بأنهم «خضعوا للشيوعيين» مما أثار الاحساس « بالسخرية المريرة » لدى ابنـائهم ، ومعظم هؤلاء لا يكرهون الحرب فحسب ، بل وكل مظهر « للحياة الامريكية »

ويبلغ اقتناع بعض هؤلاء الشبان بالموقف الذى اتخذوه بهروبهم من « الجيش الامريكى » تمردا واحتجاجا على » حرب فيتنام » الى حد أن أحدهم يقول « سوف أكون فخورا أمام اطفالى عنـدما اتزوج وانجب ، بأننى لم اشارك فى هذه الحرب : حرب فيتنام؟ ثـم يضيـف هـذا الشـاب قوله « ولكن .. اذا تراجعت الحكومة الامريكية واعلنت انها اخطأت وسوف توقف الحرب وتطلب منا العودة الى الوطن ، اعتقد اننا سنلبى هــذا النداء » .





اســـرائيل وجنـــوب أفريقيـــا

رجب البنـــا

فى الشهر الماضى عقدت شركة « العال » الاسرائيلية اتفاقا لنقـل ركاب طـائرات شركة خطوط طيران جنوب افريقيا من تل ابيب الى جوهانســبرج تهربا من المقاطعة التى تفرضـها الدول الافريقية على طائرات جنوب افريقيا .

وهكذا لم تجد جنوب افريقيا من يتعاون معها ــ بشكل سافر الا اسرائيل ، وهذا التوسع فى حركة التنقل والطيران ليس الا رمزا له دلالته لازدياد نمو العلاقات بينهما .

ولقد مرت هذه العلاقات بثلاث مراحل :

بدأت **المرحلة الاولى** منذ انشاء اسرائيل سنة ١٩٤٨ بعلاقة « اكثر من عادية » ، فكانت حكومة جنوب افريقيا من اوائل الحكومات التى اعلنت اعترافها الرسمى باسرائيل ، كما كان دانييل مالان رئيس وزراء جنوب افريقيا اول رئيس حكومة يقوم بزيارة رسمية لاسرائيل فى ذلك العام ، وكانت العلاقات الاقتصادية والثقافية بينهما بداية **دخول اسرائيل الى القارة الافريقية** .

وبدأت **المرحلة الثانية** فى ســنة ١٩٦١ حين وقفت اسرائيل لاول مرة ــ ضد جنوب افريقيا فى الجمعية العامة للامم المتحدة واعطت صــوتها لمشروع القرار الخاص بفرض عقوبات اقتصــادية ضدها .

ولم يكن ذلك ــ طبعا ــ بدافع مناصرة الحق وكراهية العنصرية مثلا ، لكنه كان مجرد مناورة سياسية لارضاء بقية الدول الافريقية ، وللظهور امامها بمظهر الدولة التى تحترم الشعور الدولى العام ، خاصة بعدما نجحت الجمهورية العربية فى اصدار قرار من مؤتمر اقطاب افريقيا فى الدار البيضــاء فى ينــاير ١٩٦١ بان اسرائيل قاعدة للاستعمار .

وظهر على السطح خلاف بين الدولتين ، حين قال فيرفورد رئيس وزراء جنوب افريقيا : « اذا كانت اسرائيل ترى ثمة اخطاء فى سياسة جنوب افريقيا ، فان استمرار وجــود اسرائيل نفســه كدولة ، وعدم قيام الدول العربية بابتلاعها هو الخطأ بعينه » .

وكشف بن جوريون الحقيقة حين قال : « ان اسباب تغيير سياسة اسرائيل تجاه جنوب افريقيا هى عدم قدرتها على مواصلة غض النظر عن شعور اصدقائها من الدول الافريقية الاخرى » . كما اعلنت جولدا مائير فى الكنيست « انها كانت مأساة بالنسبة لاسرائيل ان تقرر تأييد قرار الامم المتحدة » .

وبدا – في الظاهر – ان العلاقات بينهما تتأزم، لحرص اسرائيل على ان تبدو دولة تساير المجتمع الدولى . حتى اعلنت قطع علاقاتها مع جنوب افريقيا سنة ١٩٦٣ بعد صدور قرار الامم المتحدة بمقاطعتها ، لكن هذه الازمة لم تكن الا خداعا اذ اتضح بعد ذلك انها لم تقطع العلاقات كما اعلنت

وبالرغم من المقاطعة الاقتصادية المفروضة على جنوب افريقيا فان صادرات اسرائيل اليها ارتفعت فيما بين ١٩٦١ ، ١٩٦٧ من مليون واربعمائة الف دولار الى اربعة ملايين من الدولارات ، وليس المهم الرقم فى حد ذاته ، لكن الاهم ان نلمس اتجاه الزيادة .

اما المرحلة الثالثة للعلاقات بينهما فتبدأ منذ عدوان يونيو على الشعوب العربية . فقد اسهم ٨٠٠ متطوع من جنوب افريقيا فى هذه الحرب ، واشاد المسئولون هناك بمسلك اسرائيل وقالوا ان ما فعلته تحذير للامم المتحدة وللدول الافريقية التى تعارض النظم العنصرية ، وصرحوا بأن اسرائيل ادت معروفا كبيرا لجنوب افريقيا بالحرب التى شنتها فى الشرق الاوسط ، وقدم اليهود هناك فى شهر اغسطس وحده ٣٠ مليون دولار لاسرائيل وفى شهر سبتمبر زار البريجادير مردخاى هود قائد سلاح الطيران الاسرائيلى جوهانسبرج لمدة اسبوع والقى خطابا فى المؤتمر السنوى للاتحاد الصهيونى بجنوب افريقيا ، وبعدها اعلن ان الحكومة سمحت للاتحاد الصهيونى بارسال تبرعات سنوية لاسرائيل .

واقترح المستشار الاسرائيلى دافيد يوثان عقد ميثاق اخوة بين بلدية جوهانسبرج وبلدية تل ابيب .

وفى نفس العام نظم حاييم هرتزوج رئيس المخابرات العسكرية السابق والمعلق العسكرى لاذاعة اسرائيل حملة لتدعيم علاقات اسرائيل بجنوب افريقيا ، واستشهد فى شهر ديسمبر بالنصيحة التى كان اللورد بالمرستون وزير خارجية بريطانيا يقولها فى القرن التاسع عشر : « ليس لبريطانيا اصدقاء دائمون ، وليس لها اعداء دائمون ، ولكن لبريطانيا مصالح دائمة فحسب » .

وبعدها بدأت هذه الدعوة تنتقل الى الكنيست ، وازدادت الزيارات المتبادلة وكان ابرزها زيارة بن جوريون وبعدها حاييم هيرتزوج .

جاءنا ما يلى :

بيبليوجرافيا شاملة
عن القضية الفلسطينية

تعكف مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، على اعداد بيبلوجرافيا شاملة مع التعريف بالمراجع المتعلقة بالقضية الفلسطينية فى مختلف جوانبها السياسية والتاريخية والجغرافية والادبية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية الخ .. باللغات العربية والانجليزية والفرنسية والالمانية والعبرية والروسية . وتشمل البيبلوجرافيا الكتب والمقالات والمخطوطات . وترجو المؤسسة المؤلفين والكتاب ودور النشر تزويدها بالمؤلفات المتعلقة بهذا الموضوع ، او لفت نظرها عن طريق المراسلة الى مؤلفاتهم او مقالاتهم وتحديد كيفية الاطلاع عليها . عنوان المؤسسة :

شارع كليمنصو – بناية الاشقر
ص . ب . ٧١٦٤
بيروت – لبنان

النشاط الاسرائيلى
فى جنوب أفريقيا

انشئت فى اسرائيل منظمة للصداقة مع جنوب افريقيا ، لتوثيق العلاقة مع اليهود فيها ، وتعد هذه الطائفة اليهودية من اكبر مصادر تمويل اسرائيل بالتبرعات بعد يهود الولايات المتحدة ، وهم من اشد يهود العالم تعصبا . وهذا طبيعى اذ يمكن ان نقول انها نزعة عنصرية مركبة .

وجنوب افريقيا هو المركز الثانى للصهيونية فى العالم بعد الولايات المتحدة ، ويبلغ عدد اليهود فيها حوالى ١١٦ الف من ثلاثة ملايين أبيض ، لكنهم يتحكمون فى اهم الثروات ، خاصة صناعة الماس ، وعلى رأسها عائلة « بارنيت ايزاك » الملقب بملك مناجم الماس ، وتعد اغنى عائلة يهودية فى العالم ، ويتحكم اليهود ايضا فى صناعة الذهب ، ولهم نفوذ قوى نتيجة سيطرتهم المالية والاقتصادية .

ويكاد اليهود هناك ان يحتكروا اغلب المناصب الاقتصادية والمهنية والثقافية فضلا عن المناصب السياسية ، ويعيش اكثر من نصفهم فى مدينة جوهانسبرج ، اما الباقون فيتركزون فى مدن كيب تاون ، وايست لندن ، وبورت اليزابيث .

وتقوم برعاية مصالحهم وجمع التبرعات منهم ، وتنظيم نشاطهم ، ثلاث منظمات هى : « الحركة الصهيونية » وهى اقواها ، و « لجنة النواب » و « الاتحاد الفيدرالى الصهيونى » .

ويعتبر حجم التبادل الاقتصادى بين اسرائيل وجنوب افريقيا اكبر منه مع اية دولة افريقية اخرى

وتدخل حكومة اسرائيل كمساهمة فى عدد من شركات مناجم الماس واهمها شركة « دى بيرز » التى يقدر صافى ارباحها عام ١٩٦٦ بمبلغ ١٢٠٫٩ مليون دولار ، كما تساهم ايضا فى عدد من المؤسسات الصناعية الاخرى

وفى اسرائيل « بنك جنوب افريقيا والرهونات المحدودة » ومن اهم اعماله انشاء المبانى والمساكن وبيعها بالتقسيط ، وشركة « الاستثمار المالى الافريقية » لبناء المساكن وبيعها ايضا .

وفى العام الماضى — ١٩٧٠ — وقع بنك التجارة الخارجية الاسرائيلى اتفاقا مع هيئة التنمية الصناعية فى جنوب افريقيا ، تحصل اسرائيل بمقتضاه على قرض قيمته ١٥ مليون دولار تسدد على ثلاث سنوات ، كما انشأت حكومة جنوب افريقيا شركة باسم « افتيرا » تختص بالتجارة مع اسرائيل .

وتتبادل الدولتان الخبرة فى الميدان العسكرى ، فترسل اسرائيل خبراءها لتدريب قوات جنوب افريقيا ، وترسل الاخيرة المتطوعين منها للعمل فى صفوف الجيش الاسرائيلى ، كما تبيع اسرائيل لجنوب افريقيا الاسلحة فى الوقت الذى ترفض فيه معظم دول العالم بيع الاسلحة اليها .

وتقوم المنظمات الصهيونية فى جنوب افريقيا بالتأثير على الحياة الثقافية فيها عن طريق تحويل المدارس اليهودية من ناحية ، والسيطرة على الصحافة من ناحية اخرى ، التى يسيطر عليها اليهود بطريق مباشر [الملكية والتحرير] او بطريق غير مباشر [الاعلانات] ولهذا فان ميولها الصهيونية متطرفة .

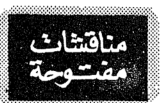
ويملك اليهود هناك معظم اسهم الشركة المعروفة باسم Central neum agency

وهى اكبر دار للطباعة والنشر .

وفى « جامعة افريقيا » بجنوب افريقيا يدرس الطلبة الدراسات اليهودية كجزء من المواد المقررة عليهم للحصول على درجة (B.A.) .

ونخلص من هذا الى مجموعة من الحقائق :

- ان هذه العلاقة بين الدولتين تؤكد التماثل فى الطبيعة والاهداف .
- ان هذه العلاقة تمثل خطرا على النضال العربى .
- وانها ضد منطق العصر وارادته
- وانها — فى النهاية — سلاح لابد ان نستخدمه لنظهر دائما جوهر التطابق بينهما ، والربط بين اسرائيل وجنوب افريقيا — فى ضمير ووجدان الشباب على وجه الخصوص — وفى العالم كله يمكن ان يكشفها باعتبارها من أكبر معاقل السياسة العنصرية فى التاريخ البشرى ، واكبر ملحمة فى صراع الانسان المعاصر لاقرار العدل والحق .



دور الطبقة العاملة فى التحالف الوطنى

كتب المواطن فاروق على ناصف — عامل بالنقل العام — يعلق على مقال د. رفعت السعيد فى عدد فبراير تحت عنوان « نظرية التحالف بين الفكر والتطبيق » ، فيقول :

جاء فى عدد الطليعة فبراير فى مقال د . رفعت السعيد ان الموقع الذى تركه غياب عبد الناصر عن الميدان يفرض علينا أن ننشط سريعا والا فان غياب الثقل الذى يمثله عبد الناصر سوف يؤدى الى اختلال القوى داخل اطار التحالف . وعلينا وفاء لعبد الناصر ، وسيرا على طريقه أن نبذل أقصى ما نستطيع من جهد لتلافى ذلك مدركين أن غياب زعيم كعبد الناصر لا يمكن أن يسد الثغرة الناجمة عنه الا آلاف من الكوادر السياسية الثورية من أبناء العمال والفلاحين التى تستطيع أن تخلق

بنشاطها الثورى داخل الاطار التنظيمى للتحالف تقديرا للثقل السياسى والثورى لعبد الناصر، هذا الذى كان ولايزال ضروريا لتصحيح ميزان القوى داخل التحالف لصالح الثورة وتقدمها .

لقد كان جمال عبد الناصر يؤكد دائمـــا على حقيقة ان تعبر قيادة التحالف الوطنى عن فكر العمال والفلاحين .

ومع ذلك فانه يتردد فى أوســـاط الموجهـــين السياسيين بالاتحاد الاشتراكى نغمة تقول أن قيادة التحالف ستكون من المثقفين من كل الطبقات وسوف ، تحل التناقضات بينهم سلميا عن طريق الحوار . ولكن فى عدد الطليعة مايو ١٩٦٩ ، يقول ميشيل كامل أن هذه المواقف ليست مجرد حوار للمثقفين فى ابراج عاجية ، أو رفاهية فكرية يزاولها اصحاب النظـريات اذ انها تتحـــول فى التطبيق الى اسلحة ماضية وحاسمة فى النزاع من أجل السلطة ولتأكيد السيطرة على المؤسسات الاجتماعية بما فى ذلك الاتحاد الاشتراكى الذى يجسد نظريا تحالف قوى الشعب العاملة . ويقول ايضا انه لا يمكن بناء الاشتراكية دون أن تشكل قواها الرئيسية الوزن الحقيقى داخل مؤسسات السلطة لامن الناحية العددية بل فكريا وسياسيا بتأكيد المركز القيادى للطبقة العـــاملة داخـــل التحالف .

ومع ذلك فانى لا أنكر دور الطبقات الاخـــرى وبالترتيب فان المثقفين لا أعتبرهم طبقة لانهـــم موجودين فى كل الطبقات وكذلك الجنود ولايبقى غير الرأسمالية الوطنية ، ورغم أن هنـــاك جانبا استغلاليا لا تتجاوزه الرأسمالية الوطنية ، الا انها احدى طبقات التحالف فى مرحلة التحول لانها تتفق مع باقى طبقات العمال والفلاحين فى معاداتها للاستعمار والرأسمالية العالمية . أما الرأسمالية الصغيرة فانها تتحول بطبيعتها الى الثورة عنـــد التحول الاشتراكى . ولكن الرأسمالية الوطنية تريد أن تحكم بلادها فى ظل الاستقلال السياسى وتريد ان تسيطر وحدها على اداة الحكم ، ولكن قيادة الرأسمالية الوطنية لكل الطبقات لا تحقق الاستقرار السياسى .

ان الرأسمالية الوطنية حين تعود لا يمكن أن تواصل معركة الاستقلال الاقتصادى ولكنها مطلوبة فى مرحلة التحول الاشتراكى ، ولا يعنى ذلك أن وجودها داخل اطار التحالف أنه قد اصبح بيدها أن توقف حركة المد الثورى للجماهير الشعبية ، واكبر دلالة على ذلك ماهو واقع الآن فى مصر فان طبقة الرأسمالية الوطنية هى التى تسود ومع ذلك فان المد الثورى للجماهير قد حرك الحجر الصوان ، ومع ذلك فان الرأسمالية الوطنية تعمل بكل طاقاتها فى تزعم الحركة الثورية ، ولهذا يجب ان تقود الطبقة العاملة التحالف الوطنى باعتبارها تشكل مع الفلاحين القوى الرئيسية فى الوطن وهم أصحاب المصلحة الحقيقيـــة فى التطـــور الاجتماعى .

● ● ●

مصدر قوة الحركة التحررية

كتب المواطن السورى **محمود عبد الرحمن** ــ المشرفة ــ رسالة الى الطليعة يقول فيها :

اصبح واضحا اليوم ، واكثر من اى وقت مضى ، ان الامبريالية الامريكية تعمل يائسة لوقف عملية التطور التاريخى العام ، فهى توسع هجومها على الشعوب الصـــامدة فى الهند الصـــينية ، وهى المسئولة عن عرقلة مساعى يارنج السلمية لحل « مشكلة الشرق الاوسط » .

صحيح ان القوانين الموضوعية للتطور التاريخى العام ، تؤكد ان الامبريالية ستنهار وان النظام الرأسمالى سيسقط وان الاشتراكية ستنتصر ، لكن معرفتنا لهذه القوانين التاريخية هذه يجب ان تكون دافعا لنا لكى نعجل بالقضاء على الامبريالية ، فايماننا بهذه القوانين يجب ان يكون مطلقا .

اننا نلاحظ ان الامبريالية الامريكية تحتضر اليوم فى الهند الصـــينية بسبب صـــدامها مع حركات التحرر فى تلك المنطقة من العالم : ثوار كمبوديا وثوار فيتنام وثوار لاوس ، فى جبهة واحـــــدة متراصة ، ان هذا الصدام هو مصدر قوة الحركة التحررية ، كما ان الايديولوجية الاشتراكية هى مصدر هام ومعين لا ينضب لهذه الحركة الثورية فى جنوب شرقى آسيا .

ان شعبنا العربى ، وقد قطع الامل فى امكانية حل قضيته العـــادلة بطرق سلمية ، عليـــه ان يستخلص خبرات ثوار الهند الصينية ، وعلينا ان نعلم ان للثورة قوانينها ، ولا شـــك ان القـــوى التقدمية الاشتراكية فى الوطن العـــربى كله ، مطالبة اليوم ــ لا غدا ــ برفع راية الكفاح ضد الامبريالية الامريكية واداتها اسرائيل .

ان وحدة القوى الثورية العربية وتلاحمهـــا

بجماهير شعوبها ، وتوطيد دعائم الصداقة مع الشعوب الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى السند العالمى الاساسى لقضايانا العادلة . وشن النضال ضد المصالح الامريكية فى الشرق الاوسط ، فضلا عن دعم القوى العسكرية العربية وشحذ يقظتها .. ذلك كله ضمانات للانتصار ضد العدوان الامبريالى الاسرائيلى .

ومن هنا فان فضح محاولات الرجعية والقوى المحافظة للايقاع والاساءة الى الصداقة العربية السوفيتية ، واجب اساسى يجب الا يغيب عن حركة التحرر العربى .

ان نضالنا العربى يدعم نضال شعوب الهند الصينية ، كما ان العكس صحيح ، فقضية التحرر فى العالم واحدة لا يمكن ان تتجزأ ، فمصدر الاضطهاد والاستغلال والعدوان فى الهند الصينية والوطن العربى ، هو الولايات المتحدة الامريكية . والذين تتعارض مصالحهم مع الاضطهاد والعدوان والاستغلال الامريكى — فى الهند الصينية والوطن العربى — هم العمال والفلاحون والمثقفون الثوريون والوطنيون الديمقراطيون ، وهؤلاء هم المسئولون عن ضرورة تشديد النضال ضد امريكا.

مسئولية القوى الثورية العربية

ومن الرستن بسوريا : كتب احمد نجيب الشيخ على ، يقول :

لعل من ابرز مظاهر هذا العصر ، اشتداد التناحر الطبقى بين فئة ارادت لنفسها السيادة المطلقة على مكتسبات الجماهير الكادحة ، وبين العناصر الكادحة والتى تتمثل فى الطبقة العاملة وجماهيرها الكبيرة .

ففى بداية الخمسينات — وعلى وجه الدقة — نهايتها ، نشطت الحركات الثورية فى اكثر من قطر عربى ، ورافق ذلك التحرر الوطنى تحرر اقتصادى ، ونشطت على اثرها القوانين الاشتراكية الجزئية وطبقت على نطاق ضيق ، وليس ادل على ذلك الا القوانين الاشتراكية فى الجمهورية العربية المتحدة ابان عهد الوحدة بين مصر وسوريا .

واثر انفصال قطرى الجمهورية العربية المتحدة فى عام ١٩٦١ اشتد الصراع بين الرجعية العربية والقوى الثورية فى الوطن العربى ، وكان هناك شبه خنق للنظام الثورى فى القطر المصرى ، ولكن جماهير الثورة فى القطر المصرى ضيعت على الرجعية ومن وراءها كل تآمر ، ووقفت تلك الجماهير لتحمى ثورتها والتى عبرت بصدق عن تطلعاتها ... وصمدت الثورة فى مصر .

وفى تلك الاثناء تفجرت ثورات اخرى فى اقطار عربية ، وكانت الثورة فى القطر السورى والتى طاحت بالانفصاليين الى غير رجعة ، وكانت ثورة الجزائر الاشتراكية والتى تلت الاستقلال مباشرة ، وكانت ثورة فى اليمن الشمالى ...

وبعد مرور سنوات ازداد التحرك الجماهيرى فكانت ثورة الجنوب اليمنى ، وتوج النضال العربى بثورتى السودان وليبيا اذ قادت جماهير الشعب الكادح فى القطرين مسيرة النضال العربى الثورى .

ولكن ...

هناك سؤال يطرح نفسه الا وهو : ما هى مسئولية الحركة الثورية وقياداتها التاريخية فى الخط الثورى وقيادة الجماهير لثورتها ؟

وبالطبع . الجواب معروف وواضح وهو : **ان لا ثورة بلا جماهير ، ولا ثورة اذا لم تكن هذه الثورة تستهدف الفرد والجماهير** . اذ ان النظرية الثورية لكل حركة شعبية تحمل بطياتها هدفا وهو: تحرير الفرد ، وتسلم اصحاب الثورة الحقيقيين زمام قيادة ثورتهم .

ان النظرية — الثورية عندما تمتلكها الجماهير صاحبة المصلحة الحقيقية فى الثورة ستتحول الى قوة مادية ضخمة ترسخ وتمكن من بقاء هذه النظرية وصلاحيتها وتعزز من قدرة صمود هذه الجماهير فى وجه التآمر الرجعى ، وليكن بعلم كل ثورة انه لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية تتعامل مع الواقع ، وتناضل بهدف تغييره ».

وبعد كل ما سبق ، نعود ونتساءل :

ما هو السبب الرئيسى فى فشل وحدة القوى الثورية فى الوطن العربى ؟

وما هو السبب فى هذا العداء الواضح بين بعض هذه القوى ؟

● ان السبب الرئيسى فى فشل وحدة القوى الثورية مى الوطن العربى ، هو عدم وجود

النظرية الثورية الضابطة لكل ثورة — او بالاصح — عدم وضوح نظرية بعض هذه الثورات .

واذا سأل سائل ، ان هذا الكلام لا يحمل بطياته الصدق ؟ اذ ان الثورات الاربع فى كل من مصر وليبيا والسودان وسوريا قد تقاربت وعزمت على تحقيق وحدة سياسية .

اقول : ان هذا التقارب بين الثورات الاربع ليس الا نوعا لايجاد تلك النظرية الثورية والتى ستحقق مسيرة صحيحة للحركة العربية الثورية والتى تلاقى تآمرا رجعيا شرسا للاطاحة بها ، وبعدها تتحقق الوحدة السياسية .

● ان التناقض بين القوى الثورية ، قد وجدت بفضل الطبيعة العربية ، التى ليست قناعا ثوريا لتوهم جماهيرها ولتضرب فى آن واحد حركة الثورة فى الاقطار المتحررة .

ولكن زيف هذه الردة الثورية العفنة للرجعية قد تكشف ، ووعت الجماهير دورها وحرصت على بقاء ثوراتها التى تمثل تطلعاتها .

واخيرا .. لابد من ايضاح المهام الرئيسية — فى رأيى للحركة الثورية العربية ، وهى :

— قيادة الجماهير الشعبية داخل أطر تنظيمية تجعلها فى القريب صاحبة السلطة العليا فى مسيرتها الثورية .

— تحالف الطبقة العاملة مع سائر القوى الشعبية والديمقراطية الوطنية .

— الغاء الملكية الرأسمالية لوسائل الانتاج .

— تطوير الاقتصاد الوطنى وفق خطط قومية ، وتحويل الزراعة بالتدريج الى «زراعة اشتراكية» .

— تحقيق الثورة الاشتراكية فى ميدان الايديولوجيا والثقافة ، وتربية صفوف المثقفين الثوريين المخلصين للطبقات الشعبية فكرا وعملا .

— تنظيم القوى الشعبية للدفاع عن المكتسبات الثورية .

— الانفتاح على النظم الاشتراكية فى العالم وتطوير مناهجها بما يتناسب مع امكانياتنا وواقعنا

— خلق علاقات تنظيمية بين القوى الثورية فى الدول العربية التقدمية لتوحيد مسيرة ثورات هذه الدول .

ذلك — فى رأيى — هو طريق تحقيق المسئولية التاريخية للحركة الثورية العربية .

ايضاح أكثر .. لقضية التعليم

تعليقا على ملف قضايا التعليم المصرى الذى نشرته الطليعة فى عدد فبراير الماضى ، كتبت السيدة معالى محمد أمين — مفتشة قسم بالتعليم الابتدائى — تقول :

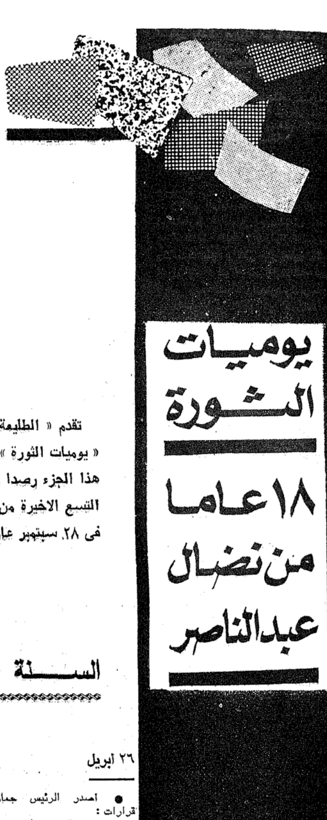
رغم ان الطليعة فى اعداد اخرى سابقة ، قد حرصت على ان تولى قضية التعليم المصرى اهتمامها الواضح بنشر بعض المقالات ، الا ان ملف التعليم الذى نشر فى عدد فبراير قد خصص عددا من الاقلام التى احسنت معالجته وحازت اعجابنا نحن المهتمين بقضايا التعليم .

وأود بصفة خاصة ان ابدى تقديرى واعجابى بكل من المقال الخاص بالتعليم الابتدائى [ص ٨٧] والمقال الخاص بالدعوة الى تجريب نظام المدرسة الثانوية الشاملة فى مصر [ص ٩٢] ، وبالنسبة لهذا المقال الثانى ، فانى اعتقد ان الموضوع مازال فى حاجة الى كثير من الايضاح حتى تستبين مختلف جوانبه .

المدرسة الثانوية الشاملة

وفى تعقيب آخر حول ملف التعليم المصرى ، كتب المواطن يسرى محمد أمين — الطالب بمدرسة الاسماعيلية الثانوية الخاصة — يقول :

الواقع ان مقال « نحو مدرسة ثانوية شاملة » للاستاذ ابراهيم الابيارى ، جدير بدراسة اكبر لما يحتويه من نظم للتعليم فى البلاد التى سبقتنا فى هذا الميدان ، والتى يجب ان نأخذ عنها ما يصلح لبلادنا حتى نساعد على تقدمها ، وانا شخصيا احد الذين وقع عليهم الغبن نتيجة لعدم وجود مثل هذا النظام ، اذ اضطررت للالتحاق بمدرسة ثانوية خاصة بمصروفات تثقل كاهلنا ، حتى استطيع ان احقق رغبة أسرتى فى اكمال تعليمى بالجامعة ، فنرجو ان توالى الطليعة دراسة موضوع المدرسة الثانوية الشاملة .



تقدم « الطليعة » فى هذا العدد الجزء الاخير من وثائق « يوميات الثورة » التى بدأناها فى عدد أكتوبر الماضى ويتضمن هذا الجزء رصدا لنشاط القائد جمال عبد الناصر فى الاشهر التسع الاخيرة من حياته الحافلة بالنضال ، وحتى يوم وفاته فى ٢٨ سبتمبر عام ١٩٧٠.

السنة الثامنة عشرة

٢٦ أبريل

● أصدر الرئيس جمال عدة قرارات :

١ ـ تعيين السيد محمد محمد فايق وزيرا للدولة للشئون الخارجية •

٢ ـ تعيين السيد محمد التهامى وزيرا للدولة •

٣ ـ تعيين السيد سامى شرف وزيرا للدولة

٤ ـ تعيين السيد محمد حسنين هيكل وزيرا للارشاد القومى •

٥ ـ تعيين السيد حافظ اسماعيل رئيسا للمخابرات العامة •

٦ ـ تعيين السيد حلمى السعيد رئيسا للمكتب الاقتصادى برياسة الجمهورية •

٢٦ ابريل

● أصدر الرئيس جمال قرارا بانشاء لجنة دائمة للشئون الخارجية باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى وندب السيد على صبرى أمينا لهذه اللجنة •

٢٦ ابريل

● تقرر أن تقوم الهيئة العامة للتامين الصحى بعلاج اصابات العمل لجميع العمال على مستوى محافظات الجمهورية كما تقوم الهيئة بعلاج شرائح جديدة من الايدى العاملة كانت محرومة من وسائل الرعاية الطبية .

١ مايو

● القى الرئيس جمال خطابا فى عيد العمال فى منطقة شبرا الخيمة ، وقد وجه الرئيس فى خطابه نداء أخيرا الى نيكسون قال فيه : ان الولايات المتحدة على وشك ان تقوم بخطوة بالغة الخطورة ضد الامة العربية ، وان الولايات المتحدة تقوم بخطوة اخرى على طريق حفظ التوازن العسكرى لصالح اسرائيل سوف تفرض على الامة العربية موقفا لا رجعة فيه . موقفا يتعين علينا ان نستنتج منه ما هو ضرورى ، وذلك سوف يؤثر على كل علاقات الولايات المتحدة بالامة العربية لعشرات السنين وربما مئات السنين .

وقال : ان قواتنا سوف تستمر فى المحافظة على زمام المبادأة فى القتال .. واننى عند كلامى فى اننا سنرد على اسرائيل بضرب المدنيين ولكننا يجب ان نضمن الاستمرار ونختار التوقيت .

٣ مايو

● تقرر صرف العلاوات الدورية لجميع الموظفين هذا الشهر رغم ظروف الحرب وذلك طبقا للقواعد المقررة وتقدر تكاليف العلاوة بـ ١٦ مليون جنيه .

٤ مايو

● وصل الرئيس موسى تراورى رئيس اللجنة العسكرية للتحرر الوطنى ورئيس دولة مالى فى زيارة رسمية لـ ج . ع . م .

وتضمن البيان المشترك للمحادثات التركيز على النقاط التالية :

● تسوية النزاع فى الشرق الاوسط كامن فى التطبيق الكامل لقرار مجلس الامن .

● ضرورة التوصل الى حل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين .

● التعبير عن القلق لاستمرار حكومة جنوب افريقيا فى تطبيق سياسة التفرقة العنصرية .

● تأييدهما لحركات التحرر الافريقية .

٧ مايو

● قضى الرئيس جمال طوال هذا اليوم مع الضباط والجنود الذين اشتركوا فى مناورة كبيرة بالذخيرة الحية وتابع المرحلة الاخيرة من هذه المناورة الكبيرة .

● وقد اكد الرئيس نجاح المناورة وظهرت كفاءة التدريب العالى للجنود وقد ركز الرئيس فى حديثه مع القادة على ان الضابط والجندى هما اساس نجاح اى معركة .

١٢ مايو

● أدلى الرئيس بحديث الى تشارلز فولتز الذى أوفدته مجلة « يواس نيوز اند ورلد ريبورت » الامريكية ، وقال الرئيس فى هذا الحديث : ان استمرار اسرائيل فى احتلال الارض العربية وفى انكار الحقوق المشروعة لشعب فلسطين لايترك لنا خيارا،وحقنا فى تحرير الارض ليس موضوع مناقشة او جدل .

● وقال : ان كل عربى يرفض التفاوض مع اسرائيل تماما كما فعلت امريكا عندما رفضت التفاوض مع اليابان بعد بيرل هاربور ، كما اكد : اننا سنظل فى حاجة الى وجود الفنيين الروس هنا ما دامت الحرب قائمة ولقد كنا فى حاجة الى المعونة الروسية لانكم انتم أيها الامريكيون اعطيتم اسرائيل المعدات التى تحتاج اليها لتشن حربا الكترونية ولابد لنا ان نطلب من اصدقائنا تزويدنا بالتكنولوجيا اللازمة لمواجهة ما حصلت عليه اسرائيل منكم .

١٦ مايو

● التقى الرئيس مع خريجى الجامعات المصرية المرشحين لبعثات دراسية فى الخارج وقد رد الرئيس خلالها على اسئلة المبعوثين حول مختلف القضايا الداخلية والخارجية .

● وقد تحدث الرئيس عن المسئولية الملقاة عليهم وحملة العداء التى يواجهون بها من جانب بعض العناصر فى الخارج . وقد ناقش الرئيس معهم كذلك بعض مشاكلهم الخاصة التى يواجهونها فى الخارج .

١٩ مايو

● وجه الرئيس عبد الناصر رسالة الى المؤتمر الدولى لتأييد كفاح شعب لاوس الذى بدأ أعماله فى القاهرة قال الرئيس فى رسالته للمؤتمر : ان شعوب الامة العربية تعيش نفس التجربة وتتعرض لنفس الخطر الذى تواجهه شعوب آسيا وافريقيا ، وقد تحول شعب فلسطين بفضل حيويته من شعب لاجئين الى شعب مقاتلين وذلك هو المعنى الكبير الذى ينساه الاستعماريون فى كل مرة يواجهون فيها الشعوب الحرة .

● وقال : اننا اصدقاء حرية ، اصدقاء كفاح من ناحية — ومن ناحية أخرى فان السلاح الذى يهددكم هو نفس السلاح الامريكى الذى يهددنا .

٢٢ مايو

● قضى الرئيس عبد الناصر طوال اليوم فى الخطوط الامامية لجبهة القتال اثناء غارات العدو عليها ، وقد زار كذلك السويس والاسماعيلية والتقى بالمواطنين وقد تناول الغداء فى احدى الفرق العسكرية وجلس ومعه الضباط والجنود وادار معهم حديثا طويلا فى شئونهم وفى شئون الساعة وفى بعض جوانب الصراع المسلح الذى يخوضه الشعب المصرى والامة العربية .

٢٢ مايو

● ادلى الرئيس جمال بحديث تليفزيونى مع «اولى سيبل» مراسل تليفزيون الدنمرك وقد اكد فى هذا الحديث رفض مصر المفاوضات المباشرة مع اسرائيل وذلك فى رده على الاسئلة الخاصة بتسوية الازمة ورفض مصر اجراء محادثات على غرار محادثات رودس ... ونفى نفيا قطعيا الشائعات التى كانت قد ترددت عن دعوة د . ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمى للقاهرة .. وقال ان مهمة يارنج تغنى عن هذه المحاولات كلها .

٢٤ مايو

● وصل الرئيس جمال الى الخرطوم لمشاركة شعب السودان فى العيد الاول لثورته وحضور لقاءات القمة التى يعقدها رؤساء الجمهورية العربية والسودان والجمهورية العربية الليبية فى مؤتمرهم الثالث لبحث تطورات الموقف العربى بمختلف جوانبها وتنسيق التعاون بين الدول الثلاث ..

وقد القى الرئيس امام عشرات الالوف من أبناء السودان الذين احتشدوا فى الاستاد الرياضى بالخرطوم خطابا قال فيه : ان المعركة مع اسرائيل ليست معركة قومية ولكنها معركة قومية ، واننا يجب أن نكون جميعا بكل ما تتحمل طاقاتنا وراء رجالنا على خط النار .. وان الجمهورية العربية تؤيد الرئيس القذافى فى محاولته التى سيتصل فيها بالدول العربية لتحويل هذه المعركة الى معركة قومية .

٥ يونيو

● وصل الامبراطور هيلاسلاسى الى القاهرة فى زيارة رسمية لها وكان فى استقباله الرئيس جمال عبد الناصر وجرت المحادثات بين الرئيسين حول موضوع ازمة الشرق الاوسط واوضاع افريقيا ٠

٧ يونيو

● ناقش مجلس الوزراء فى اجتماعه برياسة الرئيس جمال عبد الناصر مشروع الميزانية الجديدة للدولة والتى يمكن وصفها بانها اكبر ميزانية حرب فى تاريخ مصر وتبلغ الاعتمادات المخصصة للدفاع والامن القومى والطوارىء فى هذه الميزانية ٥٥٣ مليون جنيه وهو اضخم رقم يخصص لهذا الغرض فى تاريخ الميزانيات المصرية ٠٠

١١ يونيو

● التقى الرئيس جمال والرئيس معمر القذافى (الذى وصل فى زيارة للقاهرة) ٠ باعضاء مجلس الامة فى جلسة خاصة عقدها المجلس خصيصا لهذا اللقاء الكبير واستقبل المجلس الرئيسين استقبالا حماسيا رائعا ٠

وقد تحدث الرئيس جمال فى الجلسة فقال : ليس امامنا جميعا بديل عن القتال ٠ وان ثورة الشعب العربى فى ليبيا هى تعبير اصيل عن الطريقة التى وعت بها امتنا معنى الصمود ٠

وعن القتال الدائر فى الاردن بين القوات الاردنية والمقاومة قال : القتال شىء غير الامتثال واننا لا نستطيع ان نتفرج على ما يجرى فى الاردن ساكتين ونناشد الجميع اسدال الستار على هذا المشهد الانتحارى الحزين فى الاردن ٠

١١ يونيو

● ارسل الرئيس جمال برقيتين الى كل من الملك حسين ملك الاردن وياسر عرفات رئيس منظمة تحرير فلسطين يناشدهما وقف القتال الدائر بينهما حقنا للدماء العربية ٠

١١ — ١٥ يونيو

زيارة الرئيس معمر القذافى الى القاهرة وكان فى استقباله الرئيس جمال عبد الناصر وقد حضر الرئيسان اجتماعا خاصا لمجلس الامة ، وكذلك حضرا مناورة عسكرية لاحدى الفرق الميكانيكية المصرية وكذلك حضرا الاحتفال بالتوسعات الجديدة بمصنع شبين الكوم للغزل ٠

وقد قال الرئيس اثناء الاحتفال : ان الاحتفال بهذه التوسعات هو احتفال بانتصار لنا فى معركة الشئون الاقتصادى ولولا نجاحنا فى معركة الصمود اقتصاديا وعسكريا لما استطعنا ان ننتقل منها الى معركة الردع والاستنزاف كما لم يكن فى استطاعتنا ان نقف هنا فى هذا المكان نقول اننا سندخل معركة التحرير ٠

١٥ يونيو

● حديث الرئيس جمال مع الدكتور روبرت فيشر استاذ القانون الدولى فى جامعة هارفارد الامريكية ٠٠ وقد رد عبد الناصر على الضجة فى الغرب حول المستشارين السوفييت فى مصر ٠ فقال : ان مهمة المستشارين السوفيت تدريب القوات المصرية بينما الطيارون الامريكيون يعملون فى السلاح الجوى الاسرائيلى ٠

وقال : ان حل الازمة لابد ان يستند الى نقطتين اساسيتين :

١ — الانسحاب الكامل غير المشروط الى خطوط ٤ يونيو سنة ٦٧ ٠

٢ — الاعتراف الكامل بحقوق شعب فلسطين من منطلق انها قضية شعب لا مجرد مشكلة لاجئين ٠

وقال ان انحياز امريكا لاسرائيل هو العقبة امام عودة العلاقات معها ٠٠

١٦ يونيو

● قررت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى فى اجتماعها برئاسة الرئيس جمال تأجيل انتخابات الوحدات الاساسية للاتحاد الاشتراكى لمدة سنتين نظرا للظروف التى يمر بها الوطن كما قررت دعوة المؤتمر القومى العام للانعقاد فى دورته العادية الرابعة فى ٢٣ يوليو ٠ وقد قال الرئيس فى الاجتماع ان ج٠ع٠م تؤيد مشروع معمر القذافى الذى يستهدف حشد الامكانيات والطاقات العربية لخدمة المعركة على اساس قومى ٠

٢٠ يونيو

● سافر الرئيس جمال عبد الناصر الى ليبيا لحضور احتفالات تصفية القواعد الاجنبية فى ليبيا وقد حضر عدد كبير من الرؤساء مع الرئيس هذا الاحتفال الكبير منهم الرئيس شارل الحلو واحمد حسن البكر والملك حسين ونور الدين الاتاسى ٠

وقال الرئيس بمجرد وصوله الى قاعدة هويلس (عقبة بن نافع) فى ليبيا ٠٠ اننى اشعر بالفرحة بان حقق الشعب الليبى امانيه ، واشعر بالامل فى ان الامة العربية ستنتصر فى معركتها ضد الاستعمار والصهيونية ٠

وقد تحدث الرئيس فى المؤتمر الشعبى بطرابلس، فقال : ان اخوانكم فى مصر يبنون القوات المسلحة من اجل معركة الوطن العربى والقومية العربية ٠ لقد حققتم الامل حينما خرج منكم هؤلاء الابطال بقيادة الاخ معمر القذافى ليضحوا بالارواح من اجل الحرية ٠

وفى نهاية الاحتفالات واتفق الرؤساء فى اجتماعاتهم السياسية فى طرابلس فى خطة العمل المشترك للدول السبع فى اطار مبادىء محددة تم الاتفاق عليها وفى مقدمتها ان القتال هو الحل لتحرير الاراضى العربية المحتلة ٠٠ وقد قرر الرؤساء تشكيل لجنة رباعية للتنسيق بين المقاومة والسلطات الاردنية ٠

وقد اعلن الرئيس اثناء زيارته لبنغازى ٠٠ الانسحاب من مرتفعات الجولان قبل سيناء ٠٠ وان تفرض امريكا شروطها ولن نقبل بغير الانسحاب من كل الاراضى العربية ٠

٢٩ يونيو

● وصل الرئيس جمال عبد الناصر الى موسكو فى زيارة للاتحاد السوفيتى بدعوة من القيادة السياسية العليا يجرى خلالها محادثات مع الزعماء السوفيت تتناول الموقف الدولى عامة مع التركيز على الموقف فى الشرق الاوسط ٠

وفى اليوم الثانى بدات المحادثات الرسمية بين الرئيس جمال والقادة السوفيت ، وقد عرض الرئيس صورة عامة للموقف السياسى والعسكرى وتطور المعارك على الجبهة المصرية ٠

وقد صرح الرئيس جمال فى مادبة العشاء التى اقيمت تكريما لسيادته : « لن تتراجع امتنا عن ايمانها بحقها مهما كانت اساليب التمويه والخداع ٠٠ واننا نشكر القادة السوفيت والشعب السوفيتى على وقفتهم الحازمة تاكيدا لكفاحنا فى ظرف من اخطر وادق الظروف التى واجهت النضال المعاصر لامتنا العربية ٠

وقد اشترك الرئيس اثناء اقامته فى موسكو مع الزعماء السوفيت فى تكريم رائدى الفضاء (سيوز ٩) ٠

وفى اثناء الزيارة كذلك دخل الرئيس مصحة « بربيخا » ، لاجراء بعض الفحوص الطبية ، وتقع هذه المصحة فى منطقة ريفية تبعد ٢٥ كيلو مترا من موسكو ٠

وفى آخر اجتماع للرئيس مع مجلس السوفيت الاعلى اصدر المجلس بيانا خاصا عن أزمة الشرق الاوسط أعلن فيه عن قلقه البالغ للتهديد الذى يتعرض له السلام فى الشرق الاوسط نتيجة لسياسة اسرائيل التوسعية وحمل المجلس امريكا التى تحمى تصرفات اسرائيل وتتخذ منها راس جسر لتحقيق الاهداف الامبريالية مسئولية الوضع الخطير القائم فى الشرق الاوسط ٠٠ وقال البيان أن هناك خطرا اكبر من تفاقم الخطر العسكرى اذا لم

يكبح جماح المعتدى واذا لم تتخذ الاجراءات الكفيلة بتحقيق التسوية على اساس قرار مجلس الامن ٠

وصدر بيان مشترك عن المحادثات تضمن ما يلى :

ــ ان الاعتداءات المتكررة على ج ٠ ع ٠م وعلى الدول العربية تخلق موقفا يجعل الوضع خطيرا ومتفجرا ، وان اسرائيل لمتكن قادرة على الاستمرار فى هذه السياسة لولا الدعم الامريكى لها ٠

ــ اقرار السلام فى الشرق الاوسط لا يمكن ان يتحقق الا بسحب كل القوات الاسرائيلية من جميع الاراضى التى احتلتها فى يونيو سنة ٦٧ وفقا لمبدأ عدم شرعية اكتساب الاراضى عن طريق الحرب ٠

ــ تاييد الحكومة السوفيتية الكامل للنضال الذى يخوضه شعب ج ٠ ع ٠ م والدول العربية ضد العدوان الاسرائيلى وتعهد الحكومة السوفيتية بتقديم كافة المساعدات اللازمة فى هذا النضال ٠

ــ تضامن الطرفين مع الشعب الفلسطينى العربى الذى يخوض معركته الباسلة ضد الاستعمار ٠

٢٣ يوليو

خطاب للرئيس جمال عبد الناصر فى جلسة الافتتاح للمؤتمر القومى الرابع للاتحاد الاشتراكى العربى ودعا الرئيس الى النضال بكل طاقتنا ، وعلى جميع الجبهات ٠ ان علينا ان نتحرك كما نشاء فى العمل السياسى على أن ندرك بيقين أن ما اخذ بالقوة لا يمكن ان يسترد بغيرها ٠

واوضح انالحرب على الجبهة المصرية حرب من نوع جديد تجرى تجربته لاول مرة فى التاريخ وهو نوع الحرب الاليكترونية ، وهى حرب لا تملك معداتها غير دولتين فى العالم هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ٠

وقال : ان محمود رياض ابلغ ويليام روجرز بموافقتنا على المبادرة الامريكية ، ولكن هل تستطيع أمريكا أن تمنع تدفق الاسلحة على اسرائيل وهل تستطيع ارغامها على قبول الانسحاب ٠

وأشار الرئيس الى أن هناك عاملين كبيرين لهما الاهمية الكبرى فى تغيير الموقف ، هما تزايد قوتنا فى الردع ــ ثم تزايد الدعم السوفيتى لنا وان المحادثات الاخيرة فى موسكو كانت ناجحة وأنى عدت من موسكو شاعرا بالرضا الكامل عن نتيجة هذه المحادثات ٠

وطالب بحشد كل قوانا ضد العدو ٠٠ ان العدو كان يريد تشتيت القوات المصرية ولكن الحشد مستمر،وكان يريد منعتدريبها ولكن تدريبها متصل ٠٠ ثم اعلن باسم بناة السد العالى الذين تعهدوا بالانتهاء من انشاء محطة كهرباء السد العالى فى العيد الثامن عشر للثورة ، عن انتهاء العمل فى السد العالى على اكمل وجه ٠ وقال : ان قيمة الانتاج الزراعى من سنة ٦٧ الى سنة ٦٩ زادت بنسبة ١٥ فى المائة وزادت الصادرات الزراعية بنسبة ٤٠ فى المائة ٠ كما زادت قيمة الانتاج الصناعى خلال سنوات ٦٧ ــ ٦٩ بنسبة ٣٢ فى المائة وزادت الصادرات الصناعية بنسبة ٦٣ فى المائة ٠ وسجل محصولنا من القطن فى العام الماضى أعلى متوسط لانتاج القطن فى تاريخنا (٦٫٦٨ قنطار) وبلغت قيمة الزيادة فى هذه السنة ٥٠ مليون جنيه ، وزادت صادراتنا من الارز بنسبة ٦٧ فى المائة ٠

٢٤ يوليو

● حضر الرئيس جمال عبد الناصر جلسة مناقشاتواسعة معالمؤتمر القومى الرابع واشترك فى مناقشة علنية مفتوحة أمام الصحافة والاذاعة والتليفزيون واجاب على عشراتمن الاسئلة وكان يرد على كل الاسئلة فى مناقشة مفتوحة حول المبادرة الامريكية فقال :

ــ موقفنا تغير عن سنة ١٩٦٧ صمود ثابت ــ قوتنا أكبر ــ الدعم السوفيتى يتزايد ــ الاحتمالات الدولية خطرة ٠

ــ لا نثق فى امريكا ــ ولكنها فرصة أخيرة لاختبار النوايا ولكى تعرف أمتنا العربية ويعرف العالم كله فلا تخدعه اسرائيل ٠

ــ الاسلحة الامريكية تدفقت بما فيه الكفاية على اسرائيل ولن تكون شهور وقف اطلاق النار الثلاثة ــ اذا حدث ــ تكرارا لهدنة ١٩٤٨

ــ سوريا والاردن لم تلغيا قرار وقف اطلاق النار وكنا نحن الذين الغيناه على الجبهة المصرية فقط ونحن متضامنون مع سوريا والاردن ٠

ــ اذا اعادت اسرائيل بناء خط بارليف فسوف تكون فرصة لنا جديدة لاعادة تدميره وتكبيدها خسائر أفدح ٠

ــ لن نعيد الطيارين الاسرى الى اسرائيل ٠ وطائرات الفانتوم تعوض ولكن تعويض طيارى الفانتوم صعب ٠

ــ اسرائيل لا تستطيع شن هجوم مفاجىء علينا ، واذا فعلتذلك فان قواتنا قادرة على ابادة قوات اسرائيل ٠

ــ سيسافر السيد على صبرى الى موسكو كل شهرين لبحث الموقف السياسى والعسكرى مع الحكومة السوفيتية

٢٦ يوليو

● تحدث الرئيس جمال عبد الناصر فى ختام دورة المؤتمر القومى الرابع قال :

ــ ان السلام له طريق واحد هو طريق انتصار المبادىء مهما تنوعت الوسائل ومهما زادت الاعباء والتضحيات واذا بغير انتصار المبادىء لا يكون السلام سلاما ٠

ــ ان الشعب المصرى جعل من قضية أمته قضيته وابناؤه اثبتوا انهم الامناء دائما ٠٠ بالكلمة وبالفعل ٠٠

ــ ان الحرية والاشتراكية والوحدة لم تكن بالنسبة لشعبنا مجرد كلمات وانما كانت اعمالا ٠٠ بل كانت كلها قتالا ٠٠

ــ نحن نريد السلام ولكن السلام بعيد ونحن لا نريد الحرب ولكن الحرب من حولنا

ــ الحق والعدل لا سبيل لتحقيقهما غير استعادة الشعب الفلسطينى لحقوقه الشرعية

البيان السياسى للمؤتمر

١ ــ تحقيق مزيد من الحشد بكل الطاقات من اجل المعركة واوصى المؤتمر باصدار « سندات للجهاد » وتخصص حصيلتها لتمويل الانفاق المتزايد من أجل المعركة ٠ على ان تقوم الحكومة بسداده بعد تحقيق النصر وازالة آثار العدوان ٠

٢ ــ ضرورة التركيز على فاعلية الوحدات الاساسية للاتحاد الاشتراكى ودعمها وتنشيطها ٠

٣ ــ البدء فى اتخاذ الخطوات اللازمة لاقامة تنظيم نسائى ٠

٤ ــ زيادة التنسيق والتعاون بين الدبلوماسية الشعبية والدبلوماسية الرسمية

٥ ــ مضاعفة الجهود لتحقيق الاستمرار فى زيادة كفاءة وفاعلية الدفاع الشعبى والمدنى ٠

٦ ــ الاسراع فى انشاء المعاهد الاشتراكية باعتبارها عنصرا اساسيا فى عملية البناء الفكرى لاعضاء التنظيم ٠

٢٨ يوليو

● صدر قرار يقضى بأن يوقف « مؤقتا » ارسال الاذاعات الفلسطينية الموجهة من القاهرة ، وذلك بعد الموقف الذى اتخذته بعض المنظمات الفلسطينية ازاء قبول مصر بما يسمى « بالمبادرة الامريكية » ٠

٢٩ يوليو

● تقرر اعتبار ابناء واخوة وزوجات الشهداء المدنيينمنالفئات المستثناة لاول مرة فى الجامعات والمعاهد العليا ٠

١ اغسطس

● عقدت اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى اجتماعا طارئا برئاسة الرئيس جمال عبد الناصر وكان هذا الاجتماع مخصصا لبحث الظواهر التى بدت فى موقف بعض العناصر العربية ازاء قبول الجمهورية العربية

التحدة للمقترحات الامريكية الاخيرة التى تركزت حول اجراءات تنفيذ قرار مجلس الامن بتاريخ ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ وان هناك محاولة تجرى الان فى العالم العربى لاظهاره بمظهر الانقسام وان هناك على وجه التأكيد عناصر فى العالم العربى تتحرك فى الموقف بطريقة لا توحى بأن قصدها هو خدمة المصلحة القومية .

واعلن ان القاهرة لا تريد المساعدة فى اظهار صورة الانقسام ولا تريد ان تقوم بأى تصرف من شأنه ان يساعد على تحقيقه او تكريسه ، ولكنها فى مسئوليتها القومية مطالبة بالتصدى لكل محاولات الاستغلال وهى تعتبر أن بعض ما يجرى الان من مزايدات تصرف غير قومى ، بل ولا اخلاقى لان الذين لم يحاربوا يريدون الان ان يتاجروا بدماء الشهداء الذين اطلقوا النار وتلقوها فى صدورهم ولم يكتفوا باطلاق الشعارات او ترديدها .

● واوضحت اللجنة التنفيذية انه اذا كان بعض ما يجرى الان هدفه ابعاد مصر عن مسئولياتها العربية فان القاهرة تعتبر أن مسئوليتها العربية قدر تاريخى وان الدول الاستعمارية واسرائيل لا تتمنى اكثر من ابعاد مصر وانهاء مسئولياتها العربية .

٢ اغسطس

● بعث الرئيس جمال برسالة الى الرئيس العراقى احمد حسن البكر ردا من الرئيس عبد الناصر على خطاب بعث به اليه الرئيس العراقى .. وكان الرئيس العراقى قد بعث الى عدد من رؤساء الدول العربية برأيه فى التطورات الاخيرة فى الموقف العربى .

ان التحرك الذى تمثله هذه المبادرة الامريكية جاء بسبب ما اشرت اليه من عوامل سياسية وعسكرية ودولية خلقت اوضاعا جديدة فى الازمة وكان رأينا انه من المناسب استغلالها لتوجيه اكبر قدر ممكن من الضغط المركز على العدو .

اذا كان فى امكاننا تخليص القدس العربية وغزة والضفة الغربية والمرتفعات السورية وسيناء من المحنة الرهيبة التى تعيش فيها الان فلست ادرى لماذا لا نتحرك .

لقد دهشت الى حد كبير من المسيرة التى نظمتها السلطات العراقية سواء كانت رسمية او حزبية ضد ج . ع . م وانا اقول ذلك صراحة لاننى تعودت الا ادارى او ادور من حول الاشياء ، ولقد كنت اتمنى لو أن الجهد الذى بذل لتنظيم هذه المسيرة والاعلان عنها وجه الى ما هو اجدى منها وكان الاجدى منها توجيه طائرة تقصف مواقع العدو او تعزيز فاعلية الجيش العراقى على الجبهة الشرقية ضده وانى اتساءل لماذا لم تتلق قواتكم على الجبهة فى أى وقت من الاوقات امرا بالاشتباك مع العدو ليست بالشعارات تدور الحرب وتتم معارك التحرير .

٥ اغسطس

● قالت صحيفة نيويورك تايمز فى تعقيب لها على الموقف فى الشرق الاوسط ان موافقة الرئيس جمال على المبادرة الامريكية كان تحركا ماهرا على رقعة شطرنج الاستراتيجية السياسية الدولية . وقد جازف بذلك ـ على اكثر تقدير ـ بفقد بضعة عساكر ، ولكنه انتهز فرصة سانحة لاحداث ارتباك بين الاسرائيليين وربما لقهرهم دون مواجهة دامية فى ساحة القتال .

٦ اغسطس

● رفضت ج . ع . م اقتراحا تقدمت به الولايات المتحدة بشأن وسائل الرقابة على وقف اطلاق النار فى فترة التسعين يوما المحددة فى المبادرة الامريكية .. وكانت الولايات المتحدة ترى أن تقوم كل من مصر واسرائيل بمراقبة وقف اطلاق النار فى الشرق الاوسط ويقضى هذا الاقتراح بأن يقوم كل جانب باجراء الاستطلاع الجوى الخاص به بينما يمكن لسفن الاستطلاع الالكترونى والاقمار الصناعية الامريكية والسوفيتية ان تراقب الموقف من البحر ومن السماء .

٨ أغسطس :

● بدأ تنفيذ وقف اطلاق النار ولمدة ٩٠ يوما على الجبهة المصرية وقد أذاعت وزارة الخارجية بيانا رسميا بذلك

٩ اغسطس

● تدخلت ج.ع.م. فى الازمة التى اثارتها ضد يوثانت السكرتير العام للامم المتحدة وبالرغم ان ج.ع.م ليست طرفا فى هذه الازمة ، الا أن تدخلها قد تركز حول الموضوع الذى اثيرت حول الازمة الخاصة بالانسحاب (وكانت اسرائيل قد اتهمت يوثانت بانه لم يعبر عن وجهة نظرها فى موضوع الانسحاب فى تقريره الى مجلس الامن .

١٣ اغسطس

● اثارت اسرائيل ضجة كبرى حول الموقف فى الجبهة المصرية بلغت ذروتها ببيان الجنرال موشى ديان أعلن فيه « أن مصر اقامت بطاريات صواريخ جديدة مضادة للطائرات فى جبهة القناة : « وان اسرائيل تنظر الى هذا الوضع نظرة خطيرة وانها تجرى اتصالات عاجلة مع امريكا فى هذا الشأن » ..

٢٠ اغسطس

● اعلنت ج.ع.م أنها لا توافق على قيام الاقمار الصناعية الامريكية او طائرات التجسس على الارتفاعات العالية من طراز (ى ٢) بالرقابة على خط وقف اطلاق النار .. واوضحت أن قيام الولايات المتحدة بذلك معناه مساعدة اسرائيل التى كانت تحصل من قبل على كل خدمات الاقمار الصناعية الامريكية فى التجسس .

٢٠ اغسطس

● اجرى الرئيس جمال والملك حسين أولى جلسات محادثاتهما فور وصول ملك الاردن فى زيارة رسمية . وكانت المحادثات بين الرئيسين قد تناولت ثلاث مسائل رئيسية .. ضرورة التنسيق بين البلدين فى مواجهة التحركات السياسية الدولية ـ ان المصلحة القومية تقتضى المحافظة بكل وسيلة على حركة المقاومة الفلسطينية ـ ان قومية المعركة تقتضى الحرص على وجود الجيش العراقى فى الاردن .

٢١ اغسطس

● بعثت وزارة الخارجية المصرية بتعليمات الى محمد حسن الزيات رئيس وفد ج.ع.م بتعليمات على أن الاتصالات التى يجريها لاينبغى لها ان تتم فى مكان غير نيويورك .

٢٦ اغسطس

● قدمت ج.ع.م. مذكرة الى هيئة الرقابة الدولية والى الحكومة الامريكية مذكرة تحذر فيها العمليات العسكرية التى قامت بها اسرائيل وتشكل مخالفة صريحة ومباشرة لترتيبات وقف اطلاق النار منها تحركات عسكرية تشمل قوات ضخمة وعلى نطاق واسع ، وانشاء تحصينات جديدة وشق طرق حربية وكل هذه العمليات تمت فى داخل منطقة تجميد وقف اطلاق النار على الجانب الشرقى لجبهة القناة .

٢٧ اغسطس

● وصل الى القاهرة بال ـ لوشونس رئيس جمهورية المجر وقد بدأت المباحثات الرسمية بينه وبين الرئيس جمال فى المساء ..

وصدر بيان مشترك جاء فيه :

ـ ضرورة الانسحاب غير المشروط من كل الاراضى المحتلة .

ـ الاحترام الكامل للحقوق المشروعة للشعب العربى فى فلسطين ، وتطبيق

قرارات الامم المتحدة فى هذا الشأن ٭
– الاعتراف بالحدود القائمة فى اوروبا امر ضرورى لاستتباب الامن والسلام فى هذه القارة ٠
– عبرا عن تقديرهما لاتفاقية موسكو الموقعة بين الاتحاد السوفيتى والمانيا الغربية لنبذ استخدام القوة ٠

٣٠ أغسطس

● تحدث الرئيس جمال اثناء اجتماعه بوفد مجلس السلام العالمى شارحا موقف ج٠ع٠م فقال :

– كان موقفنا واضحا منذ البداية فقد قبلنا قرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر سنة ٦٧ بينما رفضت اسرائيل أن توافق عليه ٠

– وافقنا على مشروع روجرز ولم يكن شيئا جديدا ووافق الاسرائيليون بعد تردد ولكن ليس هناك دليل مادى على أن الاسرائيليين يرغبون حقيقة فى اقرار السلام ٠

٢ سبتمبر

● ايدت مصر طلب منظمة تحرير فلسطين بعقد اجتماع طارىء لمجلس جامعة الدول العربية لبحث تطورات الازمة فى الاردن بين الحكومة الاردنية والمقاومة ووسائل السيطرة عليها ٠٠

ومن بين المقترحات التى تقدمت بها ج٠ع٠م٠ فى هذا الشأن :

١ – وقف الاشتباكات المسلحة ٠
٢ – وقف كل عمليات الاستفزاز٠
٣ – وقف محاولات استغلال الازمة استغلالا سياسيا من جانب أى طرف من الاطراف ٠

٤ سبتمبر

● ابلغت ج٠ع٠م٠ الولايات المتحدة الامريكية اعتراضها على الطريقة التى ايدت فيها الولايات المتحدة ادعاءات اسرائيل عن خرق مصر لترتيبات وقف اطلاق النار (تحريك الصواريخ المصرية على جبهة القناة) ٠

٥ سبتمبر

● زيارة يعقوب جوون رئيس نيجيريا لـ ج٠ع٠م وقد صدر البيان المشترك عن محادثاته مع الرئيس جمال عبد الناصر ٠ تأييدهما للحركات التحررية الافريقية – تأييدهما لمنظمة الوحدة الافريقية – المطالبة بانسحاب القوات الاسرائيلية من كل الاراضى العربية التى تحتلها ٠

١٧ سبتمبر

● كلف الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس جعفر نميرى والرئيس معمر القذافى الفريق محمد صادق رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة المصرية بان يطير الى عمان حاملا رسالة الى الملك حسين ملك الاردن وياسر عرفات رئيس اللجنة المركزية لمنظمة تحرير فلسطين ٠ وقد تضمنت الرسالة ٠٠

– أن المعارك الدائرة الان فى الاردن بين الجيش ومنظمات المقاومة تشكل موقفا بالغ الخطورة بل انه اكثر المواقف خطورة منذ يونيوسنة٦٧ ٠

وفى نفس اليوم استقبل الرئيس معمر القذافى فى مرسى مطروح وكان قد حضر الى مرسى مطروح لمقابلة الرئيس جمال عبد الناصر بخصوص موضوع الاشتباكات بين المقاومة والجيش الاردنى ٠

١٩ سبتمبر

● وجهت مصر تحذيرا الى الولايات المتحدة الامريكية من التدخل فى الازمة فى الاردن الناشبة بين الجيش الاردنى والمقاومة وحذرت من أن تحركات القوات الامريكية فى المنطقة ستضفى اتساعا للنزاع يشمل المنطقة باسرها ٠

٢٠ سبتمبر

● ارسل الرئيس جمال عبد الناصر برقيتين الى الملك حسين الاولى يخطره فيها بانه ما زالت بعض العناصر فى الجيش الاردنى تواصل اطلاق النار رغم ما تلقيته من تأكيدات جلالتكم وذلك فى نفس الوقت الذى أعلنت فيه اللجنة المركزية لتحرير فلسطين انها قد قبلت وقف اطلاق النار ٠ والرسالة الثانية يناشده فيها على تفويت هذه المحنة بما الحقته بنا جميعا حتى الان من آلام وكوارث ٠

٢١ سبتمبر

● بدأت فى القاهرة اجتماعات عربية على مستوى القمة ومشاورات واسعة النطاق من أجل تدهور الامور فى الاردن بين الجيش الاردنى والمقاومة ٠٠ وكانت تونس قد أقترحت هذا الاجتماع ووافق عليه الرئيس جمال عبدالناصر على الفور ودعاهم للاجتماع بالقاهرة حقنا للدماء العربية وقد حضر من الرؤساء جمع كبير منهم : جمال عبد الناصر والملك فيصل ومعمر القذافى والامير صباح السالم الصباح والقاضى عبد الرحمن الايريانى ، ونور الدين الاتاسى والباهى الأدغم مندوب عن بورقيبة والرئيس جعفر نميرى ٠

● وفى اليوم الثانى من الاجتماعات المستمرة قرر الاجتماع ارسال وفد يتوجه عن المؤتمر فى القاهرة يرأسه جعفر النميرى والباهى الادغم وقد اجتمع الوفد مع الملك حسين وياسر عرفات وعاد الى القاهرة ليقدم تقريره الى المؤتمر ، ووصل مع الوفد السيد ياسر عرفات الى القاهرة وحضر الاجتماعات وقد تمكن الوفد من اخراج عرفات دون علم سلطات الاردن بعد أن أحس بأن ذلك واجب قومى ٠٠ وقد عاد الوفد من عمان بعد ان حقق اتفاقا لوقف القتال لم يستمر غير ساعات ٠

● وفى يوم ٢٥ بعث الرئيس جمال ببرقية الى الملك حسين ملك الاردن باسم الرؤساء المجتمعين بالقاهرة قال فيها :

– باسم رؤساء الدول العربية المجتمعين فى القاهرة يؤسفنى ان ابلغكم قلقنا الشديد بعد التقرير الذى استمعنا اليه من الرئيس جعفر النميرى ويؤكد لنا هذا التقرير :

– أن هناك اصرارا من جانب السلطات الاردنية على مواصلة اطلاق النار برغم كل المحاولات التى بذلت ٠٠ وأن هناك مخططا لتصفية المقاومة الفلسطينية برغم كل ادعاء بغير ذلك ٠

– وأن هناك مذبحة مروعة تجرى فى الاردن منافية لكل القيم العربية والانسانية ٠

● وفى سادس يوم من الاجتماعات القاهرة قرارا جماعيا بادانة حكومة الاردن عن افعالها مع المقاومة واستمرارها فى ضرب النار ، وقد ارسل فى نفس اليوم الرئيس جمال عبد الناصر باسم الرؤساء ببرقية الى الملك حسين يبلغه بقرار الادانة واذاعته ٠

٢٧ سبتمبر

● وفى سادس يوم من الاجتماعات وصل الملك حسين الى القاهرة واشترك فى الاجتماعات وتم بعد يوم من العمل المركز التوصل الى اتفاق بين الحكومة الاردنية والمقاومة الفلسطينية ، يكفل حقن الدماء العربية ويصون أمن الامة العربية مما تتعرض له من مؤامرات ويحقق الاستقرار فى الاردن الذى مزقته الالام ٠ كما يضمن للمقاومة الفلسطينية التأييد العربى الجماعى لرسالتها ٠ وقد وقع الاتفاق جميع الرؤساء المجتمعين وبينهم الملك حسين والسيد ياسر عرفات ٠

الاتفاق

١ – انهاء العمليات العسكرية من الجانبين فورا ٠

٢ – سحب كل القوات الاردنية من عمان الى قواعدها الطبيعية ، مع سحب جميع القوات الفدائية من عمان على ان تنتقل الى أماكن تلائم العمل الفدائى ٠

٣ – تعود الاوضاع العسكرية والمدنية فى اربد (عاصمة الشمال) وغيرها من المدن الى ما كانت عليه قبل الحوادث الاخيرة ٠

٤ ـ تكوين لجنة عليا لمتابعة تنفيذ الاتفاق يرأسها السيد الباهي الادغم .

٥ ـ مكتب عسكرى لمراقبة وقف اطلاق النار .

٦ ـ لجنة سياسية للشئون غير العسكرية التى تهم علاقات الطرفين .

وقد حدد الرئيس جمال فى الاجتماعات العربية هدف ج.ع.م. نحو الازمة :

١ ـ انها تريد وقف نزيف الدم فى الاردن والمساعدة فى تخفيف آلام المحنة .

٢ ـ انها تريد ضمان وجود وعمل المقاومة الفلسطينية تجسيدا لنضال الشعب الفلسطينى .

٣ ـ انها تريد الخروج من هذا الوضع الخطر الى وضع يحقق تعبئة كل قوة عربية ضد العدو الاسرائيلى .

● وترجم الرئيس جمال ذلك عمليا الى خطوات محددة تحققه وهى :

١ ـ وقف اطلاق النار .

٢ ـ فتح الطريق أمام اعمال الاغاثة العاجلة .

٣ ـ الرقابة على وقف اطلاق النار وتحاشى تجدده بوضع اسس لعمل كل الاطراف الموجودة فى الاردن .

٢٨ سبتمبر

بدأ الرئيس جمال فى توديع الرؤساء العائدين الى بلادهم وكان الرئيس جمال عبد الناصر يودع آخر الرؤساء العائدين وهو الامير صباح السالم الصباح ظهر هذا اليوم وهى اللحظة التى احس فيها الرئيس بتعب شديد توجه على أثره الى منزله بعد أن قام بواجبه الى آخر لحظات عمره وأنهى حقن الدماء فى الاردن، حيث توفى فى الساعة السادسة من مساء هذا اليوم

تمت



تطور صناعة الدواء

كل مواطن يحتاج الى العلاج والرعاية الصحية .. تماما مثل حاجته الى رغيف الخبز .. بل واكثر اهمية منه ومن اجل هذا اصبحت صناعة الدواء فى مجتمعنا من الصناعات الهامة التى كفلت لها الدولة كل الظروف الملائمة لازدهارها وتطورها ولذلك فقد قامت المؤسسة المصرية العامة للادوية والكيماويات والمستلزمات الطبية بتنفيذ سياسة الدولة بهدف تحقيق الاهداف الاتية :

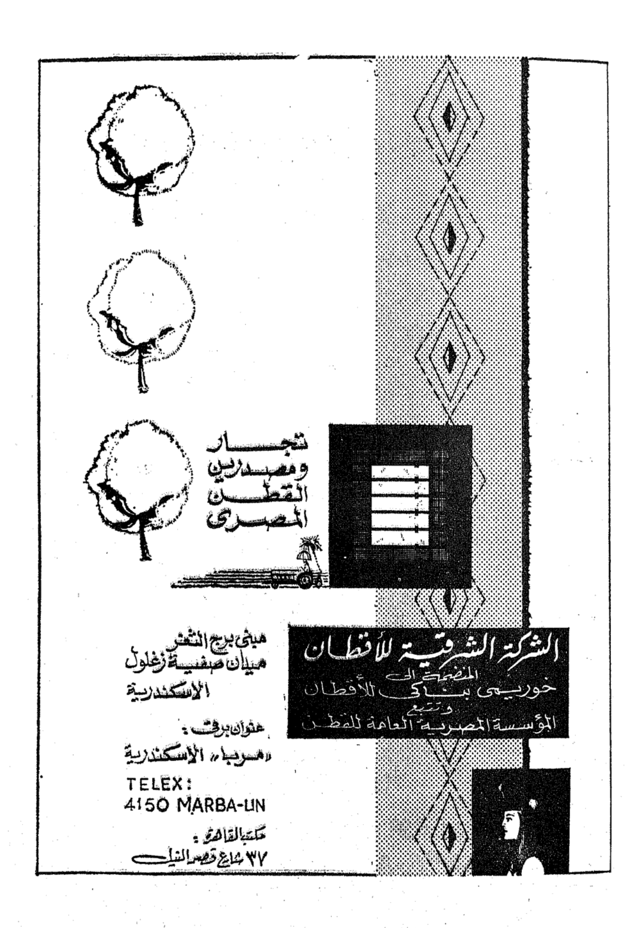
- توفير الادوية اللازمة من مختلف المجموعات الدوائية وتخفيض أسعارها .
- زيادة حجم الانتاج المحلى مع رفع المستوى النوعى والعمل على تحقيق الاكتفاء الذاتى .
- عدالة التوزيع وضمان وصول الادوية الى المستهلكين فى المناطق المحرومة من هذه الخدمة .
- رفع الكفاية الانتاجية بهدف تحسين الانتاج ورفع مستواه
- وضع اسس جديدة ثابتة فى البحث العلمى .
- زيادة التصدير بهدف مد الدول الشقيقة باحتياجاتها من الدواء وكذلك توفير العملات الاجنبية ، ولقد استطاعت شركة القاهرة للادوية ان تكون دعامة اساسية وان تشارك فى تحقيق اهداف المؤسسة .. فقد واجهت الشركة متطلبات مجتمعنا الجديد فى مجال تصنيع الدواء باجهزة قوية للابحاث وهذه الاجهزة تقوم على الفور بحل جميع المشاكل اليومية والاحتمالات المتوقعة اثناء الانتاج .

ومن أجل ذلك زودت معامل الابحاث باحدث الاجهزة .. واقامت عليها اخصائيين على مستوى عال من الكفاءة والتدريب وتوجد اقسام لتحسين وتطوير الانتاج .

ولا شك ان نجاح اية صناعة يتوقف بالدرجة الاولى على مدى الرقابة التى تقوم بها الشركات عموما على انتاجها . الرقابة اذن هى الاساس فى جودة الانتاج ومطابقته للمواصفات العالمية فى التصنيع وقسم الرقابة فى الشركة يقوم بدوره الكبير والفعال كرقيب على جودة المستحضرات والمنتجات التى تقدمها الشركة الى قوى الشعب العاملة .

وتعمل الشركة على الاستفادة من خبرة اساتذة كليات الطب والصيدلة فى الجامعات المصرية وكذلك فى معاهد البحوث وتقوم الشركة بانتاج الادوية والكيماويات الدوائية ومستحضرات التجميل ومستحضرات الكبسولات الجيلاتينية وكبسولات زيت كبد الحوت والمستحضرات الاخرى التى تغطى كل المجموعات الدوائية .

ان ما حققته شركة القاهرة من نجاح فى مجال تطور صناعة الدواء وما سوف تحققه فى المستقبل انما يرجع الى رابطة الحب التى تربط العاملين والتى تجعلهم جميعا يؤدون واجبهم باخلاص ، ويمثل هذه الرابطة تحقق الشركة كل تقدم لتكسب ثقة الشعب ولتكسب ثقة الاسواق الخارجية العربية والعالمية .


تجار
ومصدرين
القطن
المصرى
الشركة الشرقية للأقطان
المنضمة الى
خوريمى بناكى للأقطان
وتتبع
المؤسسة المصرية العامة للقطن
مبنى برج الثغر
ميدان صفية زغلول
الاسكندرية
عنوان برقى :
«مربا» الاسكندرية
TELEX:
4150 MARBA-UN
مكتب القاهرة :
٣٧ شارع قصر النيل

الثمن ١٠ قروش

مطابع الأهرام التجارية



طريق المناضلين الى الفكر الثوري المعاصر

العدد الخامس - السنة السابعة - مايو ١٩٧١

- الحرب والاستهلاك
- مذابح الأردن وقضية فلسطين
- **المسرح .. وقضايا الشعب**
- أول مايو: مسئوليات الحركة النقابية
- موقع معركة الشرق الأوسط من حركة الصراع العالمى



طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون ٤٦٤٢٦ – ٥٩٠١٠ – ٥٩٥٦٠.

الاشتراكات :

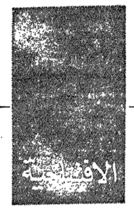
لسنة بالبريد العادى ج.ع.م ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

الفهرس

العدد الخامس – السنة السابعة – مايو ١٩٧١

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة ».

من هذا المفهوم تفتح « الطليعـــة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الـــرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حيـــاتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » ؟ •



مذابح الأردن وقضـــــية فلســـطين

يروى عن **جولدا مائير** ، أنها سئلت ذات يوم ، عن رايها فى حقوق شعب فلسطين العربى .. فردت على محدثها بهذا السؤال : **وأين هو شـــعب فلسطين ؟** .. لم يكن هناك شعب بهذا الاسم !

وتلخص كلمـــات مائير كل الموقف الفكرى والعملى للعنصريين الاسرائيليين .. لانه اذا كانت نقطة البدء عند زعيمهم وامامهم **بن جوريون ، هى أنه** « لم يكن هنـــاك غير اليهود على أرض فلسطين » ، فانه من المنطقى جدا أن يصـــور **ايجال آلون** فى بعض أحاديثه ، النزاع العربى ـــ الاسرائيلى ، على انه « نزاع بيولوجى » . وهـــذا معناه ببساطة ـــ فى مفهوم العنصريين الاسرائيليين ـــ انه ليس أمامهم لكى يبقوا ويتوسعوا غير ابادة شعب فلسطين وتصفيته تصفية بدنية . ومنذ عام ١٩٤٨ ، دلل التوسعيون العنصريون على التزامهم بمبدأ ابادة شـــعب فلسطين ، وبرهنوا على هذا فى الافعال قبل الاقوال .

الا ان كل هذا مفهوم ، ولا يستغرب صدوره من دعاة العنصرية الاسرائيلية .

وبعد مذابح سبتمبر سنة ١٩٧٠ ، التى تعرضت فيها المقاومة الفلسطينية لضربات محمومة من قبل الرجعية الاردنية ، نقلت وكالات الانباء ، نبأ مؤداه ان **الرئيس نيكسون** كان فى حفل ساهر ، ضم رجال المـــال والاعمال ، وفى هـــذا الحفل ، عزف الرئيس على البيانو . وبعد أن انتهى من عزفه ، أعرب للحضور عن سروره بالنهاية التى انتهت اليها أحداث الاردن . وفى اليوم نفسه ، أشـــارت الانبـــاء الى ان « هذه النهاية التى انتهت اليها أحداث الاردن » ، قد ترتب عليها انتعاش وصـــعود فى ســـوق الاوراق المـــالية .

هنا ، ينضم الى العنصريين الاسرائيليين ، فى جريمة « ابـادة جنس من الاجناس البشرية » طرفان :

احدهما : الامبريالية الامريكية .

وثانيهما : الرجعية المحلية والقوى العميلة فى الاردن .

وفيما يتعلق بدور الامبريالية الامريكية فى توسيع المذابح الموجهة ضد ثوار فلسطين ، فان هذا الدور لم يعد ـ اليـوم ـ خافيا على الاطلاق . فامدادات السلاح الامريكى التى تتدفق على الاردن ، موجهة أسـاسا وقبل كل شىء ، الى سحق حركة التحرر الوطنى الفلسطينية . هنا نتذكر شـعار المؤسسة العسكرية الامريكية ، الذى تطبقه فى الهند الصينية : « الاسيويون ضد الآسيويين » ، ليصبح فى الشرق الاوسط ـ بعد تغيير بسيط ـ « العرب ضد العرب » .

وفيما يتعلق بدور الرجعية الاردنيـة والقوى العميلة فيه ، فتكفى الاشـارة الى ما أعلنه رئيس وزراء تونس **الباهى الادغم** ، عندما أكد ـ وهو المطلع بحكم دوره الذى اضطلع به ـ بأن هناك مخططا لتصفية المقاومة .

هذا الهدف المشترك فى « تصفية المقاومة » ، اذ يجمع بين قوى ثلاث : اسرائيل ، والولايات المتحدة الامريكية ، والرجعية الاردنية ، انما يخـدم فى الواقع الاهـداف الخاصة القريبة والبعيدة لكل طرف من الاطراف المشتركة فى الجريمة .

ففيما يتعلق باسرائيل ، فانه يحقق هدفهـا الاسـتراتيجى فى دفن قضـية شعب فلسطين العربى ، وحقه فى تقرير مصيره .

وفيما يتعلق بالولايات المتحـدة الامريكية ، فهو يحقق ، من وجهـة نظرها ، ضرب بؤرة ثورية خطرة ، يمثلها الكفاح المسلح فى هذه المنطقة ، وما يحمله من أخطار على مصالحها البترولية والاسـتراتيجية ، وعلى الاردن كقاعدة ومنطقة نفوذ للاسـتعمار الجديد ، بالاضافة الى ان اضعاف حركة التحرر الوطنى الفلسـطينية ، يمكنها من أن تناور بحرية لتجزئة قضـية العدوان ، وعزل قضـية فلسطين عن قضية تحرير بقية الارض المحتلة ، بكل ما ينطوى عليه هذا ـ لو تحقق ـ من تعميق التناقضـات بين البلدان العربية ، وعزل مصر عن المشرق العربى .

وفيما يتعلق بالرجعية الاردنية ، فلا تزال ـ بحـكم روابطهـا العضـوية بقوى الامبريالية العالمية ـ تواصل خطها القديم ، الذى بدأته فى حرب سـنة ١٩٤٨ ، خط تمزيق فلسطين ، وتخريب النضـال الوطنى التحررى للشـعوب العربية ، دفاعا عن مصالح الامبريالية ، ومصالحها الذاتية الضيقة .

ولعله مما يلفت النظر فى موقف الولايات المتحـدة الامريكية ، انها كما تقوم بلعبة مزدوجة فى حل قضية الشرق الاوسط : أحـد أطرافها الاعلان المزعوم عن تفهم وجهة النظر العربية ، وطرفها الاخر ، مواصلة تأييد وتسـليح المعتدين الاسرائيليين ، تلعب أيضا لعبة مزدوجة فى الاردن ، فهى تعلن عن ضرورة أن يكون لشعب فلسطين صوت فى أى تسوية قادمة ، وفى الوقت نفسه تدعم وتمول وتسلح قوى الرجعية وتشجعها على توجيه أقسى الضربات الى رجال المقاومة .

ووجه الخطر فى اللعبة المزدوجة التى تقوم بها الولايات المتحدة الامريكية ، انهـا

تحاول ان تخادع ، لتحجب عن الشعوب العربية ، وعن القوى الديمقراطية فى العالم حقيقة المخطط الذى يستهدف تصفية حركة المقاومة الفلسطينية .

والواقع ان المخطط الموجه لضرب حركة التحرر الفلسطينية ، وسحق المقاومة ، قد أصبح من الوضوح ، بحيث ان الخطر ، كل الخطر ، قد بات فى التقليل من حجمه او حجبه بطريقة او بأخرى ، ثم ما يترتب على هذا الحجب والتقليل من مواقف عملية — على النطاق العربى — أبرزها ابعاد المقاومة الفلسطينية عن مركز الاهتمام الواجب ، وتعطيل قيام أى تعبئة شعبية تساند ثورة التحرر الفلسطينية بكل صور المساندة .

وحتى نحيط بكنه هذه الاخطار مجتمعة ، علينا ان نقرر ان المذابح التى تجرى فى الاردن ، والتعذيب الذى يصب على سكان المخيمات ، والاهانات التى تلحق بالفلسطينيين ، ان هذا كله لم يتوقف منذ سبتمبر سنة ١٩٧٠ . ان المؤامرة تتصاعد ، ولا تزال مستمرة . والمخطط الامبريالى الصهيونى الرجعى ، موضوع على الدوام موضع التنفيذ . ومن هنا ، فان أخشى ما يخشاه المرء بهذا الصدد ، ان يتحول المخطط الموضوع لتصفية المقاومة ، الى مجرد موضوعات صحفية ، أو الى مجموعة من الاخبار العابرة والصغيرة اليومية ، تنشر كما تنشر أحداث حرب فيتنام ، فيمر بها القارىء العربى ، على اعتبار انها « **قضية مزمنة** » .. أو « **شر لابد منه** » .. وبالتدريج ، وعلى المدى ، تتوقف قضية المقاومة عن أن تكون قضية ساخنة أو أساسيه من قضايا الثورة العربية فى مجموعها ، لا على المدى البعيد فحسب ، بل على المدى القريب ، وذلك فيما يتصل بالهدف المباشر ، وهو تصفية آثار عدوان يونيو سنة ١٩٦٧.

ان مصدر الخطر الداهم فى تخلق موقف كهذا ، هو انه اذا كانت ثورة فيتنام قد ثبتت انتصاراتها ضد الامبريالية الامريكية ، واجتازت المرحلة التى يمكن أن تواجه فيها ضربات مميتة ، فان الامر جد مختلف مع الثورة الفلسطينية ، على الاقل ، لانها حتى الان لم تصل الى الدعم المطلوب بين مختلف فصائلها ، كما انها لم تستحوذ بعد من الرأى العام العالمى ، على نفس الاهتمام والرعاية والالتفاف ، الذى توليه قوى التحرر والديمقراطية والسلم لقضية فيتنام .

عند هذا ، ندرك ، بكيفية مباشرة أبعاد الخطر الذى يتربص فى هذه الايام بالثورة الفلسطينية ، وبالمقاومة الفلسطينية . ونحن نعلم أن الدول العربية الوطنية والتقدمية قد أدانت مواقف وأعمال الرجعية الاردنية . وان دولة ، كالجمهورية العربية المتحدة ، قد قدمت المساعدات الى المقاومة الفلسطينية . لكن الوضع لا يزال يحتاج الى عمل يكون من الاتساع والمثابرة ، بحيث يفشل المخطط المعد لتصفية المقاومة وضرب حركة التحرر الفلسطينية . وعلى سبيل المثال :

● الدول العربية الوطنية والتقدمية ، مدعوة بحكم مسئولياتها الى ان تقدم امكانيات هائلة من أجل دعم واسناد حركة التحرر الفلسطينية ، والدفاع عن حركة المقاومة . ان هذه الدول تستطيع ان تعمل الكثير — فى الواقع — فى اتجاه شل يد الامبريالية الامريكية ، ومحاصرة وعزل قوى الرجعية الاردنية ، وتشديد النضال على الجبهة الدولية ، من أجل تأكيد حق شعب فلسطين فى البقاء ، وفى حق تقرير المصير .

● وفى الوقت نفسه ، فانه ، حيثما يكون العمل على مستوى الدول والحكومات ، مقيدا باعتبارات دبلوماسية وسياسية مختلفة ، فان تمكين الجماهير العربية من أن تتحرك حركة مبادرة وواسعة فى اتجاه اسناد الثورة الفلسطينية بكل الوسائل الشعبية الممكنة ، نقول ان هذا يمثل الشرط المسبق والضرورى لافشال مخططات

الاعداء . وفى هذا تستطيع حركة الجماهير العربية ، من خلال تنظيماتها ومؤسساتها الجماهيرية ، ان تتعاون ، وان تتبادل الرأى فى أنسب الوسائل التى تضمن حماية الثورة الفلسطينية ، ودعم الوحدة الداخلية بين فصائلها .

ان ايجاد نقاط للعمل المشترك بين كل القوى الوطنية التقدمية ، بتنظيماتها السياسية والجماهيرية ، وأحزابها ، لم يعد من المهام المستحيلة أو المؤجلة . كما انه ليس من المستحيل اليوم أن تتخطى هذه القوى كل الحساسيات وكل الموانع الفرعية ، من أجل بناء تحالفات ثورية تمكنها من ان تضاعف نشاطها ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية .

فى هذا كله ، وقبل هذا كله ، يتعين ان تنطلق كل قوى الثورة العربية من منطلق صحيح فى تقدير الموقف العام الذى يحيط بالوطن العربى . وفى تقدير هذا الموقف ، يجب أن نضع فى الاعتبار الامور التالية :

● ان الشعوب العربية تتصدى لاخر وأشرس القوى الامبريالية : الولايات المتحدة الامريكية ، تساندها الصهيونية العالمية .

● وان هذه القوى المعادية لن تتردد فى ارتكاب كل الجرائم ، وطبخ كل المؤامرات وهى تخوض معركة ، تعلم انها من معارك المصير على الارض العربية .

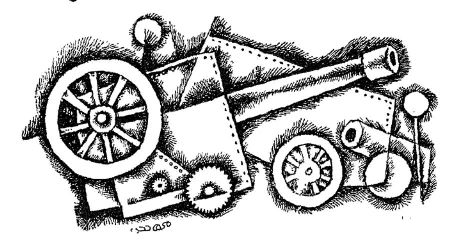
● وان النزعة العدوانية العسكرية تتزايد ولا تتناقص فى داخل الولايات المتحدة الامريكية .

● وان مذابح الاردن الفاجعة ، وجرائم اسرائيل فى الارض المحتلة ، والعدوان الاسرائيلى المستمر .. نقول كل هذا يبرهن على ان ما يجرى اليوم بين حركة التحرر الوطنى العربية ، وبين أعدائها الامبرياليين والصهيونيين ، هو نوع من المواجهة العنيفة ، بل والبالغة العنف ، وان اعداءنا لن يتخلوا عن هذا الموقف الا مكرهين .

واذا كانت شعوبنا العربية لن تركع ، ولن تطلب الرحمة من الامبرياليين والصهيونيين ، فليس أمامها الا أن تواجه العنف الامبريالى الصهيونى بمستوى من الجدية ، ومن التعبئة الفكرية والجماهيرية ، لم يسبق له مثيل . ومن خلال تعبئة جادة من هذا القبيل ، فان كل شعب عربى يتعرض للعدوان ، سيدافع عن فلسطين ، اذ يدافع عن أرضه . وفى غمرة هذا النضال ، ستجد الشعوب العربية ان قضية العدوان لا يمكن ان تتجزأ الا على الورق ، والا لاعتبارات مؤقتة وعابرة . وستظل الحقيقة الصلبة ماثلة للعيان : وهى ان عدوان يونيو سنة ١٩٦٧ ، عندما شق طريقه الى ضرب الثورة العربية ، بمحتواها الوطنى والاجتماعى ، قد واصل العدوان الذى بدأه على شعب فلسطين . لهذا قلنا ، ولا نزال نقول ، أن أى شعارات ترفع للتضامن مع شعب فلسطين ، لن تكون مفهومة ، وبالتالى عملية ، الا اذا عبرت عن واقع محدد للقوى الوطنية والثورية على اختلافها : واقع ان هذه القوى لن تستطيع أن تواجه أقصى درجات العنف الامبريالى ، الا بأقصى درجات اليقظة والوحدة والانضباط .

« **الطليعة** »

الحرب .. والاستهلاك



د. اسماعيل صبري عبدالله

ازاء تعنت اسرائيل وأصرارها على مطامعها التوسعية ، وازاء تأييد أمريكا لها بهدف اضعاف النظم التقدمية العربية او تصفيتها ، ازداد شعور جماهير شعبنا المحب للسلام والبناء بأن عليها أن تحمل السلاح وترصد كل ماتملك من جهد وطاقات لتحرير الارض وصون الاستقلال الوطني واستئناف السير على طريق التحول الاشتراكي والنضال من اجل الوحدة القومية ، والامر الجدير بالتنويه في هذا الصدد هو الزيادة الواضحة فى الوعى بأهمية التعبئة الاقتصادية لمواجهة متطلبات التحرير والتنمية ، فشعبنا الذى لم يخض حروبا طويلة ومدمرة فى تاريخه المعاصر ، يدرك — مع ذلك — أن الاقتصاد عصب الحرب الحديثة ، ويعرف أن الحروب لاتكسب فقط بالدم المراق فى ساحات القتال ، وانما كذلك بالعرق يتصبب فى مواقع الانتاج وبالتضحية المادية بصنوف من الاستهلاك ، وهكذا دارت فى الاسابيع الاخيرة فى اجتماعات الاتحاد الاشتراكى وعلى صفحات الجرائد والمجلات مناقشات حول ضرورة وكيفية ضغط الاستهلاك ، **ولكن هذه المناقشات كان يعيبها أحيانا خلط كبير بين مقتضيات الحرب من الناحية الاقتصادية ، وبين مفاهيم التوزيع فى المجتمع الاشتراكى ، بل وبين بعض القيم الخلقية .** ولا شك أن طرح القضية فى أبعادها الاقتصادية وتخليصها من مثل ذلك الخلط أمر تفرضه الجدية والمسئولية التى يجب علينا أن نتحلى بها عند التصدى لكل مايمس معركة المصير التى نخوضها ضد قوى الامبريالية والصهيونية .

وفى المستوى الاقتصادى الخالص ، ثمة بعض الحقائق التى لافكاك منها ، وأولى تلك الحقائق هى أن الوعاء الوحيد الذى يمكن أن نأخذ منه مانستهلك وما ندخر للاستثمار ، وما نخصص للمجهود الحربى هو الدخل القومى ، اى الفائض الصافى الذى يحققه الانتاج القومى فى العام بعد استنزال كل تكاليف الانتاج ، ومعنى ذلك أن هذا الدخل القومى هو الحد الاقصى لاجمالى ما يمكن للمجتمع أن ينفقه ، يضاف اليه المعونات الخالصة : اى المنح واعتمادات الدعم التى لايلحق بها التزام بالسداد فى المستقبل ، أما المعونة فى شكل قرض [أو استثمار أجنبى] فهى عبء مؤجل ، اذ يتعين سدادها من الدخل القومى فى سنوات مقبلة ، وعلى هذا فاذا كان الدخل القومى لشعب معين ١٠٠٠ مليون مثلا ، فان هذا المبلغ يجب أن يغطى احتياجات المجتمع من استهلاك وادخار ومجهود حربى .

والحقيقة الثانية هى أن الانفاق الحربى أساسا نوع من الاستهلاك العام ، فمن المعروف أن الاستهلاك الاجتماعى ينقسم الى قسمين : الاستهلاك الخاص [وهو ماينفقه الافراد مباشرة لاشباع حاجاتهم الاستهلاكية] ، والاستهلاك العام ، وهو ماتنفقه الدولة لاشباع حاجات جماعية للمجتمع فى مجموعه ، وفى مقدمة الاستهلاك الجماعى نفقات الامن الداخلى والخارجى ، فاذا عدنا الى المثل الوهمى السابق ،

وقلنا ان الشعب الذى نحن بصدده يخصص ٨٥٪ من الدخل القومى للاستهلاك ، فان هذا يتضمن بالقطع نسبة لاتقل عادة عن ٢٠٪ تغطى الاستهلاك العام ، كما يظهر فى قطاع الخدمات فى ميزانية الدولة، وتكون نفقات القوات المسلحة جزءا من هذا الاستهلاك العام يبلغ مثلا ٣ أو ٤٪ ، وفى حالة الحرب يزيد عدد القوات المسلحة عدة مرات ، وبالتالى يزيد الانفاق عليها بنفس النسبة ، وبعبارة أخرى يرتفع نصيب الاستهلاك العام من الدخل القومى ارتفاعا كبيرا ، فيقفز الى ٣٠ أو ٤٠٪ من الدخل القومى أو اكثر على حسب الاحوال ، وترجع الزيادة بالطبع لزيادة الانفاق الحربى، وعلى سبيل المثال ، من المعروف أن الانفاق الحربى فى اسرائيل يستوعب وحده ٢٠٪ من الدخل القومى .

وهكذا ، نصل الى **الحقيقة الثالثة** ، وهى أنه لايمكن تغطية احتياجات المجهود الحربى الا بضغط بقية بنود الاستهلاك الجماعى بالاضافة الى بند الادخار [أو التراكم كما يسميه الاقتصاديون الاشتراكيون] ، ولكننا نلاحظ على الفور أن نسبة الادخار من الدخل القومى أصلا هى الاقل: ١٥٪ فى المثل الذى نضربه . وان استثمار هذه النسبة يكفى بالكاد لتحقيق زيادة سنوية فى الانتاج القومى الصافى لا تتجاوز ٥٪ ، وهكذا يتضح أن امكانيات خفض الاستثمار محدودة بالضرورة ، فضلا عن أن كل تخفيض للاستثمار معناه هبوط معدل نمو الانتاج القومى فى السنوات المقبلة، ونظرا للزيادة المستمرة فى عدد السكان، فان هذا يعنى هبوط مستوى معيشة المواطن فى المستقبل ، ومن ثم كان من الطبيعى أن نعوض زيادة الانفاق الحربى بتخفيض باقى بنود الاستهلاك الاجتماعى ، أى الاستهلاك العام فى بنوده الاخرى ، والاستهلاك الخاص ، ولكن ثمة أبوابا للاستهلاك العام لايمكن تخفيضها دون أن يضر ذلك بالطاقات الانتاجية للبلاد ، مثال ذلك الانفاق على الصحة أو على التعليم أو الامن الداخلى ، بل ان ظروف الحرب نفسها قد تؤدى الى زيادة الانفاق فى بعض الابواب ، كاضافة اعباء الدفاع المدنى الى أعباء الامن الداخلى ، ولا شك أنه من الممكن تخفيض تكاليف الاداء فى عدد من الخدمات العامة والادارات الحكومية ومحاربة الاسراف واشاعة نوع من التقشف ، ولكن بالرغم من ذلك فمن غير المتصور تخفيض الاستهلاك بنسبة كبيرة ، وعلى أية حال بنسبة تعوض الزيادة الضخمة فى الانفاق الحربى .

ومن مجموع تلك الحقائق الاقتصادية البسيطة يظهر أنه لامفر أثناء الحروب من تخفيض الاستهلاك الخاص تخفيضا كبيرا ، ومن غير السليم اطلاقا القول بأن الحاجة لم تظهر بعد فى بلادنا الى اجراء مثل هذا التخفيض، فالسمة المميزة للحروب هى تعذر التنبؤ بأعبائها المباشرة وغير المباشرة، كما أن آثار الاعمال الحربية يمكن أن تقع فجأة وأن تكون فادحة ، ولذلك فلا يمكن انتظار وقوعها ثم البحث فى تدبير وسائل مواجهتها ، ومن ثم تطبق الدول جميعا فى العصر الحديث الصيغة الملائمة لظروف العصر من مبدأ قديم : صندوق الحرب ، ففى كل العصور احتاجت الحروب الى تمويل ، وكان الاعداد للحرب دائما يبدأ بجمع المال ، وفى عصرنا هذا تفرض ظروف الحرب [خطر الحرب ، بدء القتال بالفعل ، خطر استئناف قتال أوقف مؤقتا .. الخ] الى تكوين احتياطى للدولة ، واذا كانت القاعدة فى علم المالية العامة هى مبدأ أسبقية النفقات، بمعنى أن الدولة تحدد مايتقرر اجراؤه من نفقات أولا ، ثم تحصل من الادارات مايكفى لمواجهته دون حاجة الى تكوين احتياطى ، فان ظروف الحرب — باحتمالاتها الخطيرة واحتياجاتها الضخمة — تعكس هذه القاعدة تماما وتجعل الامل تحصيل أكبر ما يمكن تحصيله من ايرادات نظرا لتعذر التنبؤ بالنفقات سلفا وعلى قدر مناسب من الدقة .

ويؤكد ذلك حقيقة أن الانفاق بسبب الحرب لاتنتهى بانتهاء الاعمال الحربية ، بل ان هناك مهمة كبرى هى تعمير مادمرته الحرب ، أى احتياطى تكونه الدولة يمكن أن يغطى جزءا من أعباء التعمير .

التكافؤ فى التضحية

ومهما يكن من أمر فان القضية التى لايرقى اليها شك علما وعملا هى أنه لاحرب بدون تخفيض كبير فى الاستهلاك الخاص ، ولكن لابد هنا من ازالة بعض اللبس الذى ينشأ من واقع ان الاقتصاد الحديث اقتصاد نقدى يقدر قيمة الدخل القومى — كسائر بنود المحاسبة القومية — بالنقود ، فهناك من يتوهم أن العبرة بالدخل النقدى الموزع ، ومادامت زيادة الانفاق الحربى تعنى زيادة فى الدخول الموزعة فانها تؤدى فى النهاية الى زيادة الدخل القومى ، وبهذا المنطق يمكن أن نصل الى مستوى اللامعقول فنقول ان الحرب تمول نفسها ، وهذا فى أحسن الفروض نوع من خداع البصر ، فالنقود فى ذاتها لاتعنى شيئا ، وانما ترجع أهميتها الى قوتها الشرائية، أى قدرة حاملها على أن يحصل فى مقابلها على مايريد من سلع وخدمات ، ولذلك فانه اذا زادت الدخول النقدية الموزعة ، دون أن تزيد فى نفس الوقت كمية السلع والخدمات الانتاجية ، فان هذا يؤدى — كما يقول أهل الاقتصاد — الى تنافس الدخول النقدية المتزايدة على كمية سلع ثابتة مما يدفع بأسعار تلك السلع نحو الارتفاع، وهذا مايسمى التضخم ، ولماكانت دخول الافراد

غير متساوية ؟ فان ارتفاع الاسعار بشكل تضخمى معناه الوحيد هو تخفيض استهلاك اصحاب الدخول المحدودة ، أى أصحاب أقل الدخول وهم الاغلبية الساحقة .

وعلى ذلك فانه من المتصور أن تغطى نفقات المجهود الحربى الى حد كبير بما يسمى التمويل بالعجز ، أى باقتراض الحكومة من البنك المركزى والجهاز المصرفى بصفة عامة ، ولكن هذا الاجراء يعنى توزيع دخول نقدية متزايدة دون أن تقابلها زيادة فى السلع المتاحة ، والسير فى هذا الطريق يؤدى الى حالة تضخم تتمثل فى زيادة الاسعار واختفاء بعض السلع ، وتكون خلاصة الموقف هى أن تمويل المجهود الحربى قد تم بالفعل عن طريق ضغط الاستهلاك ، ولكن هذا الضغط كان على حساب الجماهير الشعبية ذات الاستهلاك المحدود من الاصل .

أما الطريق السليم فهو مواجهة اعباء الحرب بتوزيع متكافىء للتضحيات .. ويتم التكافؤ فى التضحية بأمرين أساسيين :

الاول : ضمان حصول كل مواطن على القدر الضرورى من السلع الاساسية بسعر معقول .

الثانى : امتصاص فائض الدخول ، أى الدخول التى تبقى بيد المستهلكين بعد الحصول على المقننات الاساسية والسلع غير الاساسية لان بقاءها بأيديهم يخلق السوق السوداء .

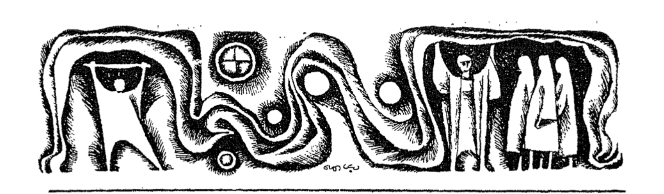
ولتحقيق هذين الامرين أساليب مختلفة ، ولكن لابد هنا من التأكيد أن التحليل السابق يصدق على اية دولة تخوض حربا فى العصر الحديث أيا كان نظامها السياسى والاجتماعى ، وبريطانيا هى الوطن التاريخى للرأسمالية العالمية عرفت فى ظروف الحرب أشد الاجراءات الاقتصادية لضغط الاستهلاك الخاص ، فأخضعت عددا ضخما من السلع للتوزيع بالبطاقات وفقا لمقننات متساوية بين الافراد فى ضوء ظروفهم الصحية وحدها ، وامتصت فائض الدخول عن طريق زيادة الضرائب ، واصدار عدد كبير من سندات الحرب ، وفرض تأمين اجبارى ضد أخطار الحرب .. الخ . بل ان بريطانيا احتفظت بكثير من هذه الاجراءات حتى سنة ١٩٥٠ أى لمدة خمس سنوات بعد انتهاء الحرب .

اجراءات موقوتة

ولذلك فانه من غير المفيد الزج بجدل حول مفاهيم التوزيع فى النظام الاشتراكى فى مناقشة اجراءات الحرب ، فمن الخطأ نقد زيادة الاستهلاك باسم الاشتراكية ، ذلك أن تضييق الاستهلاك فى ذاته لايمكن بحال أن يكون من أهداف الاشتراكية ، والانسلم بدعاوى خصوم الاشتراكية الذين يصورونها مرادفا للفقر أو على الاقل للتقشف ، كما أنه من السهل دائما الرد على مثل هذا النقد بأن هدف الاشتراكية هو فى التحليل الاخير المزيد من السعادة للبشر بما تتضمنه من أسباب التقدم المادى والذهنى والروحى ، كذلك الاشتراكية بريئة تماما من كل مفهوم تسووى فى التوزيع ، فالاشتراكية العلمية لاتزعم اطلاقا ان الناس جميعا لهم نفس القدرات ، وأنهم يستخدمونها بالفعل وبنفس الدرجة من الفعالية والاخلاص فى خدمة المجتمع ، وان مثل هذه النظرة تجافى الواقع ، وهى نظرة غير علمية ، والمبدأ الاساسى لتوزيع الدخول فى المجتمع الاشتراكى هو « من كل بحسب قدراته ، ولكل بحسب عمله » . وبغير هذا المبدأ يتساوى من يعملون ومن لايعملون ، ويشجع المجتمع بالتالى الكسل والتقاعس ، ان الاشتراكية — على عكس مايقول خصومها — لاتقتل الحافز الفردى ، بل تعممه ، فالحافز الفردى فى النظام الرأسمالى هو تحقيق اكبر ربح ممكن ، وهذا هدف لايملك السعى اليه الا من يملكون بالفعل وسائل الانتاج ، أما الاشتراكية فانها تعطى أمل التقدم ، وتحقق دخلا عاليا لكل فرد ، وبعبارة أخرى لاتقوم الاشتراكية على المساواة ، وانما على تكافؤ الفرص ، فالمجتمع الاشتراكى يريد أن يكافىء كل مواطن بقدر ماقدم للمجتمع ، ولكنه فى الوقت نفسه حريص على أن يتيح لكل مواطن من فرص التعليم والرعاية الصحية والتدريب مايمكنه — اذا أراد — أن ينمى قدراته ، ويزيد بالتالى من دخله .

أما حدود الاستهلاك الخاص فى غير ظروف الحرب فلا تحدها الا امكانيات الاقتصاد القومى ودرجة ماحققه بالفعل من نمو ، فاذا كانت الخطة الخمسية الجديدة فى الاتحاد السوفيتى تهدف الى زيادة انتاج السيارات بنسبة ٦٠٠٪ ، بعد زيادتها فى الخطة السابقة بنسبة ٤٠٠٪ ، فذلك لان الاتحاد السوفيتى تمكن من اجتياز مرحلة التنمية ووصلت قدراته الاقتصادية الى مرحلة الاستهلاك الواسع ، وهذا الاستهلاك يتم بدرجة من العدالة قد تحرمه من بريق الاستهلاك الترفى لطبقات محدودة ولكنها تجعله تجسيدا حقيقيا لنجاح الاشتراكية .

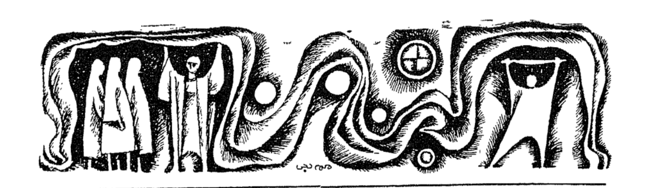
وكذلك الامر فى الفرق بين الحد الادنى للاجور والحد الاعلى ، فتلك قضية لاتحكمها اطلاقا فكرة المساواة وانما تحكمها اعتبارات متعددة : ضرورة رفع الحد الادنى باستمرار ، مدى زيادة الانتاج وارتفاع انتاجية العامل ، ظروف مرحلة الانتقال وحاجة المجتمع الى خدمات فنيين غير اشتراكيين ، خطر تحول أصحاب الدخول العليا من عاملين الى رأسماليين .. الخ . وتلك كلها قضايا غير واردة حين نتكلم عن ضرورات اقتصاد الحرب ، ومن الافضل تنحيتها حتى لا تختلط الامور وتضيع الحقيقة ولا نستكمل عدة الحرب الاقتصادية ..



المسرح وقضايا الشعب

من الظواهر الرئيسية فى حياتنا الثقافية المعاصرة ، ما تمور به خشبة المسرح المصرى من صراعات على صعيد الفكر والفن ، واذا كانت الصلة الوثيقة بين الفن والواقع لم تعد « موضوعا » للمساجلات النقدية كما كان الحال فى بداية الخمسينات ، فان ارتباط المسرح المصرى المعاصر بقضايا شعبنا الاساسية أصبح مثارا للجدل العنيف بين مختلف وجهات النظر .. لا بالنسبة لمبدأ الارتباط فى ذاته ، وانما فيما يعكسه من رؤى للواقع وتفسيرات للحياة ، تتباين مدلولاتها من كاتب الى كاتب ومن مخرج الى آخر .

حركة المسرح المصرى من الماضى الى المستقبل	اتجاهات المسرح المصرى المعاصر	المسرح المصرى وتراث الشعب



لذلك أضحى المسرح المصرى منذ وقت قريب منبرا هاما للفكر السياسى والاجتماعى ، الى جانب انجازاته الفنية ، ومنذ أن تأسست الهيئة العامة للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية لم تعد قاعات المسارح وأبهاؤها وقفا على الطبقات العليا من المجتمع التى تنشد التسلية والترفيه ، وانما تحولت صالات المسرح فى أحيان كثيرة الى تجمعات جماهيرية تنشد الفهم الى جانب المتعة ، ولقد كانت التحولات الفكرية لدى كتابنا المسرحيين من ابرز العوامل التى حولت المسرح الى منبر جماهيرى ، ذلك أن القاسم المشترك الاعظم فى هذه التحولات كان الاهتمام الجدى بقضايا الشعب ومشكلاته .

ولئن اختلفت مناهج الكتاب والمخرجين والممثلين فى الفكر والتعبير ، وفقا لانتماءاتهم الفكرية والفنية المختلفة ، ولئن تعرجت المسيرة السياسية والاجتماعية لشعبنا وفقا لمتغيرات واقعنا ، فان ذلك كله من شأنه أن يهيىء مناخا صحيا للصراع الحى الخلاق .. مهما ارتفعت نبرة هذا الفريق أو ذاك ، ومهما غطت الخلافات الجزئية أحيانا على الصورة الشاملة .

ومن هنا حرصت « الطليعة » وهى تقدم دراستها الرئيسية فى هذا العدد حول المسرح المصرى أن تضع مبدأ « التنوع » فى اعتبارها الى جانب مبدأ « الوحدة » .. فبالرغم من اختيارها لعدد من نقاد المسرح التقدميين فقد راعت أيضا فى اختيارهم تعدد الاجيال والثقافات التى ينتمون اليها مما يجعل التقارب والاختلاف بينهم أمرا طبيعيا ، يخصب القضية المطروحة للبحث ويثرى مناهج النقد التقدمى فى نفس الوقت .

وقد رأت « الطليعة » استكمالا للوحة المسرح المصرى المعاصر أن تستطلع رأى القائمين عليه والعاملين فيه حتى نقترب بالصورة الاخيرة من الموضوعية ما أمكننا ذلك .

و « الطليعة » التى درجت على فتح باب الحوار البناء والديمقراطى فى كل ما يمس قضايا شعبنا لا ترى فى هذه الدراسة كلمة أخيرة فى قضية من أهم قضايانا الثقافية المعاصرة، وانما أقصى ماترجوه أن تكون قد أسهمت فى وضع لبنة متواضعة فى بناء يحتاج الى مشاركة الجميع

المسرح المصرى والطبقة المتوسطة

أين الغضب فى مسرحنا الغاضب؟

اشترك فى هذه الدراسة
فاروق عبد القادر
ـ أمير اسكندر
د . على الراعى
ـ سامى خشبه
غالى شكرى

حـــركة المســرح المصـــرى

من المــــاضى الى المســـتقبل

فــاروق عبدالقــادر

أن النظر الى المستقبل اذا لم يقم على دعائم ثابتة من استيعاب الماضى وفهم الحاضر فلن يكون سوى رجم بالغيب، أو هو – فى أفضل الاحوال – لون من التمنى العاجز يحبطه الحاضر سيحاول تشكيل كيان المستقبل البكر، راهبا النفس راحة كاذبة : فلعل ما فاتنا فى الحاضر أن يدركنا فى المستقبل ، واذا كان بوسع العلم أن يتنبأ بمستقبل الظاهرة مستندا لتحليل عناصر نموها الثابتة والمتغيرة ، وحساب العوامل الثابتة والمتغيرة فى السياق الذى تنمو فيه كذلك . فبوسعنا أن نحاول المحاولة نفسها : ووسيلتنا نظرة شاملة نهدف لان تتبين اتجـاه ودلالة الحركة الممتدة من المـاضى للحاضر نحو المستقبل ، تضم التفاصيل وتتجاوزها فى آن .

وليس المسرح ظاهرة معزولة عن حركة المجتمع وثقافته (ولا أعتقد أنه سيكون كذلك)، بل هو ألصق فنون الناس بالناس، فبوسعك أن تستمتع بما شئت من ثمار الفن وحدك ، أما خبرة المسرح فهى فى جوهرها خبرة جماعية : هكذا هى منذ حمل المواطنون فى أثينا سلال طعامهم وشرابهم – قبل ستة وعشرين قرنا – وأحاطوا الاوركسترا القـــديمة : يحتفلون بأوجــه النمـــاء والخصب والبهجة فى حياتهم ، ويعرفون شيئا جديدا – يقوله لهم « هؤلاء الذين يعرفون كل شىء » عن القدر أو الالهة أو أنفسهم أو الناس وسواء كان المتفرج باحثا عن التطهير مع أرسطو أو باحثا عن الشرارة المنطلقة عن القطبين المتناقضين بعد أن طال احتكاكهما مع بيتر بروك ، وسواء حطم الفنان المسرحى حائط الايهام أو تركه قائما ، سواء حاط الجمهور بالممثلين أو ذاب الممثلون فى الجمهور .. فان الشىء الحقيقى والثابت فى تجربة المسرح هو أنها لقاء حى ومتوهج بين عالمين ، والمتفرج جزء من كل يواجه كلا آخر ، جاء بهذه الصفة بعد أن ترك صفاته الاخرى جميعا وراءه ، جاء – كسلفة

الاتينى القديم ـ يشارك الاخرين متعة البهجة ولذة الفكر .

وقد هم المسرح يوما بأن يلعب فى حياتنا الفكرية والثقافية أخطر الادوار : دور المتوجه للجمهور كله بغير تمييز ، المتبنى لقضاياه . المشبع لاحتياجاته الفكرية والروحية ، الموحى بالاجابة عن تساؤلاته المطروحة ، حدث هذا حول منتصف الخمسينات ، وللمرة الاولى فى تاريخنا كله : اذا سلمنا بتلك الشكوك التى تحيط بمضمون مسرح **يعقوب صنوع** والدور البطولى الذى ينسب اليه ـ أو ينسبه هو لنفسه ـ فى الوقوف ضد طغيان الخديو اسماعيل وممالاته للاجانب ، وأذا وعينا حقيقة الدور الضئيل الذى لعبه المسرح فى الحركة الثورية التى وجدت تعبيرها فى فنون الشارع التلقائية حوالى ١٩٢٠ ، ثم ازدهاره بعد تصفية الثورة للرتب على مشاعر الطبقة التى أتمت خيانتها التاريخية وأصبحت بحاجة للوجهين معا : الميلودرامى عند يوسف وهبى ، والفودفيلى عند نجيب الريحانى ، وظل المسرح خلال الثلاثينات والاربعينات يسير فى اتجاهين : اتجاه أقرب للنوادى الليلية وصالات الرقص والملاهى من جانب ، وآخر يعتمد اعتمادا أساسيا على المترجمات والممصرات وبعض المؤلفات المعزولة تماما عن حركة الجماهير وواقع المجتمع .

نقاط التحول ومرحلة جديدة

حتى كانت « **الناس اللى تحت** » (١) **لنعمان عاشور** التى عرضتها فرقة المسرح الحر فى شتاء ١٩٥٦ : صرخة الميلاد لمسرح مصرى جديد منسلخ عن مسرح توفيق الحكيم ومتجاوز له رغم حرص هذا الكاتب الكبير على مواكبة الحركة الجديدة ورغم الحقيقة التى تبقى بحاجة لمزيد من التأكيد وهى أن أفضل اعمال الحكيم ـ أو ما سيبقى منها ـ كتبت كلها قبل ميلاد هذا المسرح الجديد ، لم تكن « الناس اللى تحت » مجرد عمل فنى منمنم تماما عن الاعمال الصقيلة الباردة التى كانت تعرضها الفرقة القومية آنذاك ، ولم تكن مجرد دعوة للخروج من عفن « البدرون » القديم وجوه الخانق الى ضوء النهار والعمل ، ولم تكن مجرد دعوة لتجاوز الفردية والانانية لدفء المشاركة ، لم تكن « الناس اللى تحت » هذا كله فقط، لكن قيمتها الحقيقية الان ـ وبعد خمسة عشر عاما من عرضها الاول ـ هى أنها استطاعت أن تدرك بحس سليم واستبصار واع عالمين يقفان معا : أحدهما على وشك الانهيار والتقوض ومن أحشائه يتخلق الاخر ، والصراع بين هذين العالمين هو جوهر الدراما التى تقول بنسيجها كله ان العالم الجديد لن يتخلق وحده لكن جهد الانسان ضرورى من أجل التعجيل بالمخاض وتحقيق الميلاد لمصر الجديدة .

وحين يقول الاستاذ عزت ـ فنان الناس اللى تحت ـ : « أنا وظيفتى الرسم ، **التعبير بالرسم عن الحياة الشؤم اللى أحنا عشناها فى مصر .. والحياة الصحيحة النضيفة اللى يجب كلنا نعيشها النهاردة وبعد النهاردة** .. » وحين يقول : « **هم الناس مش عارفين أسباب المصايب اللى كانوا عايشين فيها ؟ أمال قاوموا الانجليز ليه؟ وكرهوا الملك وشالوه ليه؟ وحاربوا الاقطاع ليه ؟ الناس دايما ضد اللى يظلمهم ومع اللى ينصفهم** .. » . حين يقول عزت هذا فكأنه يرسم طريقا واضحا يجب أن يسير فيه المسرح الجديد محققا أعظم كسب فى حياتنا الثقافية بعد ١٩٥٢ : ارتباط جمهور المسرح بالثقافة الجادة فى محاولة لتحطيم التناقض الذى خلقته عشرات السنين من الامية والتخلف بين الجمهور الواسع والثقافة . (٢)

لم يكن عبثا اذن أن تكون « الناس اللى تحت » هى رأس اتجاه مسرحى كامل : عرض **يوسف أدريس** مسرحيتيه القصيرتين « **جمهورية فرحات** » و « **ملك القطن** » فى السنة نفسها : جمهورية فرحات حلم يقظة ، حنين لمدينة فاضلة تقوم على أساس العدالة فى توزيع الثروة ، يقول الصول

(١) فى شتاء ١٩٥٥ عرضت الفرقة نفسها لنعمان عاشور مسرحيته الاولى « المغماطيس » لكنها لم تلفت الانظار لهذه الحركة الجديدة ، ومن الناحية الاخرى فان « الناس اللى تحت » أكثر تقيما واكتمالا وبعيدا عن الصراع بين العالمين من المغماطيس التى فرغ نعمان من كتابتها فى ١٩٥٣ وليس فى ١٩٥١ كما يذهب الدكتور على الراعى فى مقاله « عشرون عاما على مولد الكوميديا الجديدة » الهلال ، مارس ١٩٧١ .

(٢) من المهم أن نذكر هذه الملاحظة تواقت عرض هذه المسرحية مع صدور أعمال أخرى كانت لها الدلالة نفسها ففى هذا التاريخ نفسه أصدر صلاح عبد الصبور مجموعته الاولى « الناس فى بلادى » ، وأكد يوسف ادريس ثبات خطواته فى القصة القصيرة باصدار مجموعته الثانية ، وأصدر محمد مندور « قضايا جديدة فى أدبنا الحديث » كذلك كتاب ، رجاء النقاش الاول والهام « فى أزمة الثقافة المصرية » وقبل هذا كله بقليل أصدر محمود العالم وعبد العظيم أنيس وثيقتهما التاريخية « فى الثقافة المصرية » .

فرحات عن بطله بعد ان أثرى : « راح سارى بالايراد بتاع المراكب مصنع نسيج كبير أوى ، وشغل فيه ييجى مليون عامل . بعد شهر واحد مصنع قزاز ، والقزاز عمل مطاحن ومضارب رز وبعد كده اشى مصانع واشى سكر واشى جاز واشى ورق واشى مكن واشى صلب .. وكان ما ياخدش من عرق العامل حاجة .. اشتغل بخمسة ياخد خمسة ، بعشرة ياخد عشرة .. الخ » . الفهم نفسه يتردد فى مسرحيته الاخرى « ملك القطن » : « القطن فى الغيط تراب ييجى المخزن يبقى صفيح ينشال على عربية النقل يبقى نحاس يدخل فى البنك يبقى دهب » ، سلسلة متصلة الحلقات تبدأ كلها بجهد قمحاوى الفلاح البسيط المرتبط بالارض ونتاج الجهد الانسانى الذى تثقل عليه طبقية القرية ويعترف بها الجميع عدا الاطفال والحب .

ومنجد افندى بطل « قضية » لطفى الخولى ـ التى عرضت بعد ست سنوات كاملة من عرض « الناس اللى تحت » ـ كانت تتخذ نفس الصراع محورا للدرامة فيها ، لكن القديم والجديد معا كانا فى داخل منجد افندى : قدم فى العالم الجديد وأخرى فى العالم القديم ، يريد الثورة ويتمناها فتقعد به أثقال العادات القديمة المكتسبة، ويكون الحل الوسط عنده فى محاولة الترميم والترقيع والتلفيق بدل الهدم والبناء من جديد ، انه واحد من هذه الكائنات التى يتحرك التاريخ من حولها وثبا وهى تحاول ملاحقته بخطو وئيد،ويكون جزاؤه الحق أن يرفضه أهل العالمين : القديم والجديد ، يرفضه عبده ونبيلة ـ ممثلا الجيل الثورى الجديد من ناحية ، ويلقى به فى السجن لانه جرؤ على ابداء ملاحظة أزعجت السلطة القضائية ـ تجسيد العالم القديم وقيمه ـ من الناحية الاخرى ، وتكون كلمته الاخيرة لنا : أن افتحوا كل النوافذ أمام رياح التغيير الثورى لتطيح بكل ما هو آيل للسقوط والانهيار .

وفى ١٩٦٠ قدم سعد الدين وهبة أولى اعماله ـ وواحـــدة من أفضـــلها حتى الان ـ وهى « المحروسة » فاتحا الباب أمام اتجاه سينمو بعد ذلك فى المسرح ـ وغيره من فنون الكتابة على السواء ـ هو تصوير ضرورة الثورة والتأكيد على حتمية قيامها مستفيدا بمعرفة شاملة بالنماذج التى يسحقها قهر الواقع فى الريف والمستفيدة من هذا القهر على السواء ، وظلت هذه النماذج تصحب رحلة ابداعه، وظل سعد وهبة هو أفضل من يصور نماذج الريف من وجهة نظر ابن المدينة . امتدادا لتوفيق الحكيم « يوميات نائبه » بوجه خاص .

وحين كان هذا الاتجاه يتدعم كان ثمة اتجـاه آخر مناقض له يولد ، ومن المدهش أن تكون فرقة المسرح الحر التى احتضنت نعمان عاشور وقدمت أعماله الثلاثة الاولى هى التى تحتضن هذا الاتجاه المناقض أيضا ، فتقدم رشاد رشدى فى عمليه الاولين : « الفراشة ، ١٩٥٩ » و « لعبة الحب ، ١٩٦٢ » . ورشاد رشدى من البداية لا يخفى موقفه ويقول بوضوح ان ما يحدث فى العالم الخارجى لا يعنيه على الاطلاق فما يعنيه حقا هو الداخـل ، وهـو المـاضى بوجـه خـاص « الـذى يكتسـب حتميـة القـدر الاغـريقى القديم » . هـذا الماضى مـاض جنسى على وجـه التحديد ، فقضية العذرية والخيانة هى القضية الرئيسيـة علـى مسرحـه منـذ « الفراشة حتى « حلاوة زمان » : سـميحة تخـون رمزى وتدمره بخيانتهـا فى الفراشة » ، وأبطال « لعبة الحب » جميعا يتبادلون الخيانة ، وعايدة تخون عادل فى « خيال الظل . وخيانتها هى الـثورة الرئيسية للحدث ، وزوال يجن فى المسرحية نفسها لانه وجد امرأته فقدت عذريتها قبل الزفاف ، كذلك الجارية وفاء فى « اتفرج ياسلام » وكروان تخونه امرأته وتهرب منه فى « حلاوة زمان » .. الى آخر قائمة الخيانات (٣) .

بين هذين الاتجاهين كانت الغلبة للاتجاه الاول الذى يدعو الى ربط المسرح بالثقافة الجـادة والتعبير عن واقع الجماهير وقضاياها الملحة ، وتمتد هذه الفترة حتى ٦٣ ـ ١٩٦٤ على وجه التقريب حين حدث « انقلاب » حقيقى على المسرح الجاد وبدأت فترة تدمير وتخريب للمسرح المصرى لم ينج من آثارها حتى اليوم .

● ● ●

أنشئت عشر فرق مسرحية على عجل ، واصبح النشاط المسرحى كله تابعا للتليفزيون «الذى ولد عملاقا ! » ، واختلط كل شىء بكل شىء : المتعة الصاخبة أصبحت بديل الفن ، والنجوم المشهورون أصبحوا وسائل الجذب والاستقطاب لسحب جمهور المسرح الجاد ، ولا أجد أبلغ من وصف الدكتور لويس عوض لهذه الفترة ولما حدث فيها : « أن التوسع الكمى المفاجىء فى حركتنا المسرحية بما لا يتناسب مع امكانياتنا الفنية قد

(٣) راجع : مع رشـاد رشـدى اللاعب بالحب ، مقابلة منشورة فى روز اليوسف ، ١٩٦٧/١/٩ .

خلق طبقة من الطفيليين الذين لا يربطهم بالفن أى رابط فى كل مرحلة من مراحل الانتاج الفنى : فى التأليف وفى الترجمة وفى التمثيل وفى الاعداد وفى التنفيذ ٠٠ الخ ٠ هذا الرواج المسرحى بما يسيل فيه من حال غزير قد أغرى عديدا من كتاب القصة الذين وهبهم الله موهبة الفن القصصى ولا شىء غير الفن القصصى يغيرون مجرى فنهم ويكتبون للمسرح ٠٠ بل وجعل عديدا من اساتذة الجـامعات أنفســهم يتركـــون تخصصـــاتهم الاصـلية ٠٠ وهرعوا الى المسرح يؤلفـون له ويترجمون ويعدون ويقتبسون وينقدون ويديرون ويفتون ويشيرون ، لقد أصبح المسرح الدجاجة التى تبيض ذهبا وتكأكىء كل صباح فى أعمـدة الصحف بأعلى صياح فلا غرابة فى أن تتجمهر من حول هيئة المنتفعين من كل حدب وصوب ٠٠ » (٤)

بداية الانهيـار

والمقارنة السريعة بين موسمى ٦٣ ــ ١٩٦٤ ، ٦٤ ــ ١٩٦٥ فى المسرح القومى يمكن أن توضح لنا بداية الانهيار : فى الموسم الاول قدم المسرح القومى تسع مسرحيات : « كوبرى الناموس » لسعد الدين وهبة و « حلاق بغداد » لالفريد فرج ، و « رحلة خارج السور » لرشاد رشدى و« الفرافير» ليوسف ادريس ، و « الخبر » لصلاح حافظ ، ثم « تاجر البندقية » لشكسبير و « الخال فانيا لتشيكوف » و« مشهد من الجسر » لارثر ميللر ٠ عرضت ــ بالاضافة لتسع مسرحيات من الريبرتوار ٣٤٤ حفلة بلغ عدد روادها ٦٧٫٢٨٤ متفرجا ، فى الموسم التالى مباشرة ٠

قـدم المسرح القومى خمسـة أعمـال لا يرقى معظمها لمستوى أعمال الموسم السابق ، هـذه الاعمال هى : « شمس النهار » لتوفيق الحكيم و « سـكة السـلامة » لسـعد الدين وهبة و« الندم » أو الذباب لسـارتر ، « وطيور الحب » لعبد الله الطوخى ، وأخيرا « الحلم » لمحمد سالم ، عرضت هذه الاعمال ــ بالاضافة لثلاث مسرحيات مـن الريبرتوار ــ ١٦٣ حفلة بلغ عدد روادها ٤٥٩٢٣ متفرجا ٠ (٥)

بالاضافة للتناقص المستمر فى عدد الاعمال والحفلات والرواد كان ثمـة استنزاف حقيقـى للكفاءات البشرية الثمينة فى المسرح القومى ، وبدأت لعنة هذا النظام الذى لازال يقوض الدعائم القليلة الباقية فى مسرحنا : نظام استضافة النجوم وأغرائهم بالمكافآت المالية المرتفعة ، ويحتفظ هذا الموسم (٦٤ ــ ١٩٦٥) بذكرى الحادثة الاولى فى هذا الاتجاه : « وكان محزنا حقا أن تتسبب فنانة كبيرة مثل سميحة أيوب فى وقف مسرحية الندم لسارتر بعد أحد عشر يوما فقط من تقديمها لمجرد ارتباطها بتمثيل دور البطلة فى مسرحية خيال الظل لرشاد رشدى بمسرح الحكيم ، رغم أن الدولة انفقت نحو أربعة آلاف جنيه لتقـديم مسرحية سـارتر ، وأرقام الشباك أمامى تدل دلالة قاطعة على أن ايراد الشباك لم يكن له دخل فى هـذا الامر ٠٠ » (٦)

واختلطت أهداف المسارح المختلفة ، فأصبح المسرح العالمى ينافس المسرح القومى فيما يعرض من تراث المسرح الكلاسيكى ، ومسرح الجيب يدخل المنافسة بدوره فيقدم ما كان مفروضا أن يقدمه واحد من المسرحيـن ، ومسرح الحـكيم ــ الذى كانت تغدق عليه الاموال بغير حساب ــ ينافس المسرح الحديث والقومى والكوميدى ، وفى هذه المنافسـة كان طبيعيـا أن تهزم الاعمـال الجـادة وتروج أعمال الكوميدى والحكيم الذى رفع شعار الارفع والانفع فى الفن ! ولنتأمل هذه الحقائق : فى موسم واحد عرض يونسكو على مسرحين كبيرين : قدم له مسرح الحكيم « الخراتيت » وقدم له العالمى « الدرس » ٠ وفى نفس الموسم قـدم الجيب « بستان الكرز » لتشيكوف ، وفى بعض الليالى حقق شباك المسرح العالمى ايرادا لا يتجاوز الجنيهين فقط ، وهو يعـرض مسرحية « هواية الحيوانات الزجاجية « لتنيسى ويليامز ، وقـدم المسرح نفسه « هاملت » من تـرجمة سـامى الجريدينى ، وأخراج السيد بدير (!) ، وبلغت ايرادات مسرحية يونسكو « الخراتيت » التى بلغت تكاليفها آلافا مؤلفة ٤٤٠ جنيها فى ٢٧ ليلة بمتوسط ١٦ جنيها فى الليلة الواحدة ، وقدم المسرح الحديث عددا من الاعمال لا ترقى واحدة منها ــ واحدة فقط ــ لمستوى التقييم النقـدى المسـئول : « غلطــة العمـر » و « زيارة مـع الفجر »و« طربوش للبيع »و« حبر على ورق » الخ!

هذه الظواهر كلها أزعجت المتابعين لحياتنا المسرحية ، وتقدم الكثيرون منهم باقتراحاتهم ، وكان أول ما أقترحوه هو ضرورة وضع سياسة جديدة

(٤) كلمة هادئة عن الموسم المسرحى ــ الاهرام ٦٥/٤/٣٠ عن : « الثـورة والادب » ص ٢٤٣ وما بعدها ٠
(٥) مجلة « المسرح » ، العدد ٤٣ ، يوليو ١٩٦٧ ٠
(٦) د٠ لويس عوض ، المرجع السابق ص ٢٤٥ ٠

تستهدف فصل فن التسلية عن الفن الجاد وضرورة اقامة توازن حقيقى بين الكم والكيف بحيث يتسق حجم ما نقدم من أعمال مع رصيدنا من الامكانيات والمواهب ، ثم اعادة تنظيم الرصيد البشرى والامكانيات الفنية بحيث تتهيأ أكثر الظروف ملاءمة للابداع ٠

غير أن موجة التفاهة الطاغية كانت أقوى من كل اقتراح وتحذير ، فواصل المسرح المصرى مسيرة انهياره ٠ ولعل موسم ٦٥ ــ ١٩٦٦ أن يكون صرخة الاستغاثة الاخيرة أطلقها المسرح الجاد قبل أن يستسلم للموجة الطاغية ويحاول فنانوه اللحاق بركب « **الانفع والارفع** » و « **ثلاث ساعات من الضحك المتواصل** » ، قدم المسرح القومى فى هذا الموسم المتميز ــ الذى يمكننا أن ندعوه بحق موسم طرح الاسئلة ــ هذه الاعمال : « **الفتى مهران** » **لعبد الرحمن الشرقاوى** ، و « **سليمان الحلبى** » **لالفريد فرج** ، و « **المهزلة الارضية** » **ليوسف أدريس** ، ثم « **بين السلم** » **لسعد الدين وهبة** بالاضافة لخمسة أعمال من الريبرتوار ، فى الموسم نفسه قدم مسرح « الانفع والارفع » أعمالا بالغة الدلالة : « **اتفرج يا سلام** » **لرشاد رشدى** ، و « **الشبعانين** » **لاحمد سعيد** ، **ثم « النصابين » لمحمود السعدنى** ٠

لغة الارقام تؤكد التراجع

ونظرة الى أعداد الرواد فى هذا الموسم تجسد لنا معنى تراجع المسرح الجاد أمام الموجة الطاغية ٠ بلغ عدد رواد المسارح « الدرامية » فى هذا الموسم ٣٦١ر٤٢٩ متفرجا موزعين على النحو التالى : (٧)

المسرح القومى ٦٦٢ر٥٦ متفرجا ٠
مسرح الجيب : ٣٦٤ر٤ متفرجا ٠
مسرح الحكيم : ٥١٥ ر٦٧ متفرجا ٠
المسرح العالمى : ٧٠٤ر٢٥ متفرجين ٠
المسرح الحديث : ٢٢٧ر٥ متفرجا ٠
المسرح الكوميدى : ٩٥٧ر١٩٩ متفرجا ٠

وواضح أن جمهور المسرح الكوميدى ــ الذى كان يحظى بأعظم رعاية ممكنة ــ أكثر من نصف جمهور المسارح كلها (أكثر من ٥٥ فى المائة من عدد الجمهور) ، وأكثر من ضعف جمهور المسارح الثلاثة الجادة : القومى والجيب والعالمى (رغم بعض التحفظات على برنامجى المسرحين الاخيرين فى الموسم المذكور) ، بل انه لم يحدث أن بلغ عدد رواد المسرح القومى ــ فى تاريخه كله ــ مثل هذا العدد الذى بلغه الكوميدى ، فأكبر رقم حققه القومى كان فى موسمى ٥٨ ــ ١٩٥٩ ، ٥٩ ــ ١٩٦٠ على التوالى : ٩٣٠ر١١٢ ، ٨٧٧ر١٠٤ ، ويلى جمهور الكوميدى مباشرة جمهور الحكيم الذى تجاوز ــ وهو المسرح الذى يقدم موسمه الثالث ــ جمهور القومى والجيب والحديث معا ! ٠

ماذا كان يقدم مسرح الحكيم حتى استأثر بهذا القطاع الضخم من الجمهور ؟ ٠ مرة أخرى : فلنر ما يقول نقاد المسرح الجاد فى هذه الفترة ٠ كتب **بهاء طاهر** بعد أن عرض بالنقد لمسرحية « الشبعانين » التى قدمها مسرح الحكيم فى هذا الموسم : « **ويبقى بعد ما تقدم أن كل هذا الكلام لا قيمة له ، فقد نجحت المسرحية نجاحا كبيرا على المسرح ــ بمعنى أن الجمهور قد أقبل عليها** « **اقبالا منقطع النظير** » ، وقد سبق الحديث عن هذه القضية أكثر من مرة ، كما سبق الحديث عما فى مغازلة مشاعر الجمهور على المسرح من أخطار على حركتنا الفنية كلها ، وبما أن أحدا من رجال المسرح عندنا لا يهتم بذلك على الاطلاق فيبدو ألا فائدة من اثارة القضية مرة أخرى ٠ أما العنصر الجديد الذى تجب الاشارة اليه هنا فهو فضل مسرح الحكيم فى تكوين هذا الذوق المسرحى السائد ، ففى خلال ثلاثة عروض شاهدتها فى مسرح الحكيم هذا الموسم كان الرقص والغناء والاسكتشات الفكاهية من العوامل الرئيسية فى العرض المسرحى **(فى « وابور الطحين » كانت هناك فرقة أبو الغيط ، وفى مسرحية « اتفرج ياسلام » كانت هناك الراقصة جواهر وغيرها، وفى مسرحية «الشبعانين» كانت هناك راقصاتمجهولات فىالفصل الثالث، وكانت هناك أغنية للاستاذ الهنيدى أيضا)** ٠ « من كل هذا فأنت ترى أن مسرح الحكيم يسير جاهدا فى طريق تكوين جمهور للكوميدى ــ فودفيل شبيه بذلك الذى عرفته مصر فى العشرينات ، وقد كون مسرح الحكيم جمهورا لا بأس به حتى الان لمثل هذا النوع من العرض المسرحى ، نتمنى له دوام التوفيق ! » (٨)

---

(٧) المسرح ، العدد (٤٣) ، يوليو ١٩٦٧ ٠
(٨) ، (٩) : بهاء طاهر : كيف تكسب الجمهور وتخسر الدراما ؟ ، الكاتب ، مايو ١٩٦٦ ، مضار الضحك المتواصل ، الكاتب ، فبراير ١٩٦٦ ٠

وقبل هذه السخرية الهادئة هاجم بهاء بعنف واضح هذا الاتجاه : « **ثمة ظواهر مقلقة فى هذا الموسم فى المسرح الحديث وفى مسرح الحكيم تدل على أن مسارحنا الجادة تتجه الى منافسة المسرح الكوميدى بنفس سلاحه ·· وهذا الاتجاه حتى وان صدر عن مثقفين لهم تاريخهم الفنى الطيب فهو جدير بان نديته كما ندين اتجاه المسرح الكوميدى سواء بسواء ، فليس هناك توسط فى الفن أيضا ، اما أن يكون جادا أولا يكون ·· » (٩)**

ويتحمل المسرح الكوميدى ـ ثمرة فترة التخريب فى المسرح المصرى والنتيجة الطبيعية لهـا ـ السندلية الاولى فى الانهيار : ابتعد ابتعادا كاملا عن الفن وابتذل مفهوم الكوميديا الذى يحتفظ بعطره الخاص فى تاريخ المسرح من حيث هو ناقد لجوانب السلب فى الحياة متشوق لتحقيق الافضل فيها ، لكن هذا المسخ أغدقت عليه الاموال بغير حساب ، وتبنى التليفزيون ـ الذى ولد عملاقا ـ نجومه وممثليه فأباح لهم ساعات ارساله يملاونها بأعمالهم الغثة والمغثية ، وكال أخطر الضربات للمسرح المصرى الوليد قبل أن يشتد ساعده ويتحول بالفعل لفن جماهيرى قادر على أن يكسب مزيدا من الجمهور ويزيد من تعميق الروابط بينه وبين الثقافة الجادة ، هذا المسرح الكوميدى هو الاب الشرعى للمسرح الخاص الذى نعنيه الان ، والحديث عنه فى ماضيه يمتد ليشمل المسرح الخاص فى حاضره : فنجومه اليوم هم الذين أفرخهم المسرح الكوميدى بالامس ، وقيمه هى هى التى غرسها فى وجدان الذوق العام ·

فى نهاية الحديث عن فترة التخريب فى المسرح المصرى نجمل آثارها ، وسأستعين هنا بوزارة الثقافة نفسها كى تجمل هذه الاثار · تقول بيانات الوزارة ان ما أنفق على فن المسرح خلال السنوات الثلاثمن ٦٣ الى ١٩٦٦ بلغ ٢٫٢٤٥٫٠٠٠ جنيه، وان ما تحقق عن هذا الانفاق هو :

أولا : وجود أعداد كبيرة من الفرق المسرحية ليس لها هدف واضح غير تغذية برامج التليفزيون وزحام كثيف من العاملين يزيد عن حاجة الفرق ويلقى عليها عبئا ماليا خانقا ·

ثانيا : اتسم الانتاج بصفة عامة بانخفاض المستوى ، ثم الميل الى تغطية انخفاض المستوى بالبذخ فى الانفاق لتزويق العروض من الخارج

ثالثا : ضعف سلطان التقاليد المسرحية كمبدأ ولاء الممثل للبيت المسرحى الذى ينتمى اليه ··· وانفصـال التقييم الفنى عن التقييم المـادى والتشجيع على التحلل من الارتباطات الادبية ·

رابعا : تركيز النشاط المسرحى والموسيقى أساسا فى القاهرة وذبوله فى الاقاليم ·

خامسا : اهمال المشروعات والانشاءات الجادة بصفة عامة ·

سادسا : سيادة روح البيروقراطية وغلبة الاجهزة الادارية على احتياجات الابداع الفنى · (١٠)

أما ما لم تذكره بيانات وزارة الثقافة فهو تأثير تلك الفترة المدمرة على جمهور المسرح وفنانيه معا : لقد عمقت الهوة التى كانت آخذة فى الالتئام بين الثقافة الجادة والمسرح ، حمل عبء هذا المسرح الكوميدى بالدرجة الاولى يشاركه مسرح الحكيم ، وكانت حجتهما معـا ضرورة اجتـذاب الجماهير متجاهلين الاتناقض هناك بين الفـن والفكر ، وان فنان المسرح لا يستطيع أن ينقل مضمونا جادا فى اطار غير جاد ، وكان طبيعيا أن تجد هذه الدعوى المغلوطة جمهورا واسعا لانهـا ترتبط ارتبـاطا مباشرا بنتـاج سـنوات طويلة من الامية والتخلف وغلبة القيم الداعية للسلبية والقناعة بما يلقى على الناس من هـذر وسخف مهدت له أجهزة الاعلام بكل ثقلها فأحسنت التمهيد ، ان المتعة الفنية الكاملة تقتضى مشاركة كاملة وهذا ما لا يتفق مع جمهور أعد ودرب كى يستمتع بالاغنية القصيرة والاسكتش الفكاهـى والمقال المتبل بالطرائف والقصص الجنسية والبوليسية وأفلام السينما المصرية بكل آفاتها ·

بعبارة واحدة : كان المسرح المصرى الجديد الذى ولد فى منتصف الخمسينات نبتة صحية لم تكد تستوى بعد على ساقها حتى هبط عليها هذا الفيضان الكريه المرعب فسمم الارض تحتهـا وجعلها شيئا هشا لا يقوى على مواجهة الريح ، وتـاريخ المسرح فـى السـنوات الخمس التالية (٦٦ ـ ١٩٧٠) هو على التحديد تـاريخ الصراع ضد الاتجاهات المخربة التى خلفتها هذه الفترة فى سياق تطوره ·

(١٠) : راجع : وزارة الثقـافة ، أهداف العمل الثقافى ، ص ١٢٤ ، ١٢٥

خطوات المسيرة

والان .. كيف تبدو ملامح الصورة ؟

ورث المسرح الخاص المسرح الكوميدى القديم ، وبقى المسرح الكوميدى ـ الذى يتبع الدولة ـ يلهث فى ركابه ، انتشرت الفرق الخاصة كوباء سرطانى فى سرعة مذهلة ، وراحت تغير من أساليبها من أجل الاستمرار ، فما أكثر الفرق التى تتكون على عجل من أجل أن تقدم مسرحية واحدة ثم ينفض سامرها ، وكلها باحثة عن الربح بأية وسيلة حتى لو تملقت العمال من أجل أن تبيعهم أكبر قدر ممكن من الحفلات ، ولانها حريصة على أن تقدم لجمهورها الترفيه فقط دون شبهة أى مضمون فكرى فلابد أن تلجأ للوسائل المحددة والمعروفة سلفا ، وهذه بضاعتها : الابهاء بالحركة المسرحية الواسعة والديكور الفخم ومجموعات الراقصين ، الاعتماد على « فارس » الاداء والتأليف ، اعتماد النجوم فى قائمة طويلة تبدأ **بالمهندس والهنيدى وعوض وتنتهى بالسيد راضى وحسين عبد النبى** ، والاعتماد على الجنس اعتمادا كاملا : مستورا وصريحا فى الكلمة والحركة والايماءة والايحاء ، توليد القافية والفكاهة المعتمدة على اللفظ أو الموقف المفتعل ، استغلال التيمات المطروقة حتى الاستهلاك الكامل : الموظف المفلس طيب القلب ، وزئر النساء الذى يقع فى المآزق المتتالية ، والعجوز الباحث عن الفحولة الجنسية ، والمرأة الهلوك التى ينصرف عنها الرجال .. الخ . مهاجمة المثقفين وضربهم على رؤوسهم من اللحظة الاولى (استمرارا لهذا التقليد الذى ثبت نجاحه منذ « مطرب العواطف ») لانهم الخطر الحقيقى ، وهم الذين يمكن أن يكشفوا حقيقة ما يقدمونه ، التلويح بحلم اليقظة البراق فى الاثراء بأية وسيلة غير العمل والجهد ، تدليك مشاعر الطبقة الوسطى والربت عليها والزراية ببقية الطبقات من أجل ارضائها ، المواقف المفتعلة والاحداث غير المعقولة ـ فنيا وواقعيا كذلك ـ بحيث ينتفى تماما أى منطق يمكن أن يقوم على أساسه نقد حقيقى لما يقدمون ، وبحيث تشل ملكات المتفرج العقلية من اللحظة الاولى : فلا يتساءل عن معقولية ما يراه بعد ، النهايات السعيدة المفتعلة التى ترضى طالبى حلم اليقظة والتسرية الخفيفة ، التعمية المقصودة بمهاجمة الطبقات التى انتهى نفوذها بالفعل لحساب الطبقة المستفيدة التى تشكل أغلب جمهورها (مثل مهاجمة العائلات التركية أو الاقطاعيين القدامى .. الخ) ، الميلودراما الفاقعة التى ترضى أحيانا بعض المثقلين بمشاعر الاثم ، تشويه الانسان والسخرية به وبعاهاته فلا تكاد تخلو مسرحية من أعرج أو كسيح أو قزم أو بدين أو عجوز متهالك أو عيى ذى عيب فى النطق الخ . الموعظة ـ ذات الطابع الاخلاقى المستهلك أو التى تخفى وراءها سوء النية ـ يحرص المسرح على تقديمها كى يضمن لجمهوره قدرا مناسبا من احترامه لنفسه ، وتكون عادة شيئا مثل : لا يجب على الانسان أن يكون خباصا على هذا النحو والا وقع فى مآزق متتالية ، أو لا يجب على كبار السن أن يطاردوا الصغيرات الجميلات ، أو لا جدوى من البحث الخائب لاسترجاع القوة الجنسية الضائعة .. الخ .

هذا هو الحال فى المسرح الخاص الذى ورث عن المسرح الكوميدى جمهوره ومبادئه وشعاره الذى يرتفع الان بالفعل فوق احدى الفرق الخاصة : « ثلاث ساعات من الضحك المتواصل » . أما مسرح الدولة الكوميدى فابرز سماته أنه يحاول مطاردة المسرح الخاص بنفس وسائله . لقد تحققت النبوءة التى حذر منها كل من أهتم بالمسرح الجاد من قبل ، وحين حاول هذا المسرح الخروج من وكسته بعد أن عقد عدة مؤتمرات وأصدر عدة بيانات وجد الحل الوحيد : استيراد نفايات مسرح البوليفار ثم ترجمتها وتمصيرها وتقديمها للناس ، قدم المسرح الكوميدى : « **زهرة الصبار** » و « **والصعلوكة** » و « **جمعية كل وأشكر** » و « **حرم جناب الوزير** » فى مواسمه المتتالية ، وملأ أسماع الدنيا ضجيجا بما أسماه « ترشيد » المسرح الكوميدى . لكن هذا الاتجاه ـ على خلوه من بعض مظاهر الاسفاف القديم ـ يتمثل خطره فى حقيقتين رئيسيتين : **الاولى** هى عملية التمصير ذاتها ، فالبيئة ليست مجرد بطاقة توضع على حقيبة سفر يسهل نزعها ووضع بطاقة أخرى مكانها ، البيئة هى التى تشكل بالفعل سلوك الابطال وتحدد انتماءاتهم ومواقفهم وملامحهم الفكرية والنفسية والروحية ، ونحن حين نقوم بتغيير الاطار الخارجى المتمثل فى أسماء الشخصيات أو البلاد .. الخ فاننا نساعد على تدعيم عادات التذوق السقيم بحيث يصبح المسرح مكانا معزولا كل العزلة عن الحياة يمكنك أن تتقبل فيه كل ماهو شاذ وغريب وغير مألوف وغير معقول . **الحقيقة الثانية** هى أن الكوميديا فى تاريخها كله ـ **من اريستوفانيز الى موليير وجولدونى وشو** ـ هى فن نقد المجتمع ، نقد مؤسساته ومواضعاته ونظمه وأشخاصه ، وهذه الكوميديات المصرة لاتحمل من هذا كله شيئا ، هى بعيدة عن نقد المجتمع قدر بعدنا نحن ـ بهجوم واقعنا الحضارى والاجتماعى والثقافى ـ عن واقع المجتمع الفرنسى الذى تستورد منه .

أما مسرح الحكيم فقد استمر يخبط فى اتجاهه العام نحو اجتذاب الجمهور مهما كانت الوسائل ،

ومن المحزن حقا أن تقدم له احداث ١٩٦٧ فرصة فريدة للبحث عن الجمهور بأسلوب جديد ، فقد استطاع المسئولون عن مسرح الحكيم فى ذلك الوقت أن يصلوا لصياغة بدت لهم منطقية تماما ٠ ان الجمهور الان لديه اسئلة كثيرة عن الهزيمة فماذا لو حككنا له هذه الجراح ؟ سنضمن الاقبال والرواج من أيسر سبيل ، وللحقيقة فان هذا المسرح هو الذى تبنى اتجاه « **مسرحيات السلطة** » أى تلك التى تتخذ من قضية الحكم موضوعا لها ، وقدم فى هذا الاتجاه عدة أعمال : **الشبعانين** ، **بلدى يا بلدى** ، **العرضحالجى** ، **المخططين** (لم تعرض) ، ثم **أوديب** (**انت اللى قتلت الوحش**) وأخيرا **ياسلام سلم** ٠ هذه الاعمال كلها تلمس أعصابا عارية عند المتفرج : الزناد خفيف تماما والطلقة جاهزة وباب الاسقاط السياسى المباشر مفتوح على مصراعيه ، وسأضرب مثالا بمسرحيتين قدمهما مسرح الحكيم فى موسم واحد (٦٩ ــ ١٩٧٠) : « **تحت المظلة** » **لنجيب محفوظ** ، و «**الوحش**» **لعلى سالم** ، وهما معا تعكسان الظاهرة نفسها : ابتزاز الجمهور واثارة مشاعره بطريقة غوغائية بعيدة كل البعد عن الفن ، وفى سبيل ذلك لايبالى المخرجون أن يخرجوا على نصوص الاعمال التى يقدمونها ، تحت المظلة : لم يلتزم الاخراج تقديم فكر الكاتب كما هو ، فأدمج احدى المسرحيات بالاخرى وأضاف الى الثالثة نهاية مفتعلة تناقض كل فكر نجيب محفوظ بعد ١٩٦٧ من أجل أن تقف ممثلة لتصرخ فى جمهور الصالة : ان اقتل وقاتل وفى مسرحية على سالم كان أوديب ــ بعد أن يعى خديعته وخطأه يترك المدينة ليضرب فى الارض باحثا عن اجابة عن السؤال من جديد لكنه فى العرض يذرع خشبة المسرح فى خطى واسعة ويتصاعد بأدائه وهو يخطب فى أبناء طيبة ، جمهور الصالة أن ستبقى طيبة للابد ملكا لابنائها !

اما المسرح القومى ــ أعرق بيوتنا المسرحية وأجدرها بالرعاية والاهتمام ــ فقد بلغ نهاية انهياره ، فى الموسم الماضى (٦٩ ــ ١٩٧٠) لم يستطع أن يقدم سوى مسرحيتين فقط : **وطنى عكا** **والنار والزيتون** ، هجره معظم نجومه الى المسرح الخاص (ومن المحزن حقا أن يكون بين آخر من هجروه السيدة **سناء جميل** التى يحتفظ لها عشاق المسرح بتقدير خاص) ، والباقون منهم باقون بأسمائهم فقط ، فلازال نظام النجوم المدمر يجتذبهم بعيدا عن خشبته العريقة ، وماقدمه كله بين ١٩٦٦ لا يبلغ ما كان يقدمه فى موسم واحد فقط قبل هذا التاريخ ، هل يتصور أحد أن مسرحنا القومى لم يقدم من تراث المسرح فى العالم كله سوى مسرحيتين فى خمس سنوات ؟ وأن واحدة منهما كانت استمرارا لمشروع بدأ العمل فيه قبل تقديمها بأكثر من خمس سنوات ؟ وأنه لم يستطع طوال هذه المدة ــ ولا أظنه يستطيع الان ــ تقديم مسرحية واحدة من ريبرتواره العظيم !؟

لقد بلغ المسرح القومى نهاية طريقه الحزين !٠

الحصار المر

هذا اتجاه الحركة العامة لمسرحنا المصرى منذ منتصف الخمسينات : بدأت حركة جديدة تنمو مع تقوض العالم القديم وارتبطت بأوسع قاعدة ممكنة من الجماهير ، واحتضنتها الاقلام الجادة لانها كانت تعبيرا جديدا عن فن له رسالة يستطيع أن يقوم بدور لا يستطيعه غيره من الفنون (فالسينما حالة ميئوس منها) فى ردم هذه الهوة التى راكمتها مئات السنين بين الفكر الجاد الملتزم وجماهير الناس ، لكن هذه الحركة لم تكد تقف وتتماسك حتى هبت عليها ريح عاتية هزتها من الجذور وكادت أن تقتلعها ،وهى اليوم نبتة هزيلة لا تكاد تقوى على النماء ٠

هل كان ما حدث حوالى ١٩٦٣ شيئا عارضا ؟ هل كان مجرد خطأ فى التقدير من جانب شخص أو جماعة من المسئولين عن ثقافتنا آنذاك ؟ ان الاجابة بالايجاب تحمل فى ثناياها نقضا لكل ما نؤكده من ارتباط المسرح بحركة المجتمع والثقافة فيه ، فليس مصادفة أن يبدأ بعد حرب اليمن وما خلقته من رواج يوليو ١٩٦١ وما خلقته من طبقة مستفيدة بقيام القطاع العام فى مختلف أوجه الحياة ، وليس مصادفة أن يبدأ بعد حرب اليمن وما خلقته من رواج عند بعض الطبقات فى المجتمع ، وليس مصادفة أن يبدأ فى وقت عاد فيه عدد كبير من المهنيين العاملين بالخارج والمبعوثين اليه ، وليس مصادفة كذلك أن نذكر أن المناضل الراحل **جمال عبد الناصر** تحدث للمرة الاولى عن « **طبقة جديدة** » تهدد بأن تحل محل الطبقات المستغلة القديمة فى ١٩٦٤ ، وليس مصادفة أن يتولى عبء التخطيط لتخريب المسرح والاستفادة منه هؤلاء الذين عرفوا منذ البداية بولائهم الفكرى لكل حركة تناهض حركة الجماهير ، وهؤلاء الذين رفعوا دائما شعار « الفن للفن » وخاضوا من أجله معارك ضارية طويلة ، وهؤلاء الحرفيين الذين لا يعنيهم من الامر سوى الحصول على المكاسب والامتيازات ٠

ودليلى على هذا كله أن المسرح المصرى لم يستطع أن يلعب الدور الجديد بأن يلعبه بعد ١٩٦٧ ، وأنه حين حاول أن يقف الى جانب صمود الناس وضرورة استمرار النضال لم يقدم غير الاثارة

العاجلة والكليشيهات الزائفة والفكر الذى ثبتت هزيمته (**وطنى عكا ، زهرة من دم ، ثورة الزنج ، وتبقى المسامير والنار والزيتون استثناءين جديرين بالتقدير**) • ودليلى على هذا أيضا أن قضايا الصراع الاجتماعى غابت بوجهها من على المسرح وقعدت بدلها التهويمات الميتافيزيقية والاسقاطات التاريخية والرؤى الغامضة المتعثرة بين التخفى والمكاشفة ، ودليلى على هذا أيضا أن المسرح قد استسلم لنجوم « الذوق العام » من الكتاب والفنانين ، ودليلى على هذا أيضا أن المسرح المصرى لم يعد الان قريبا من نبض واقع جماهيرنا واحتياجاتهم الفكرية والروحية : امتدت اليه أيدى مدخنى « الكنت » راكبى « المرسيدس » فاثقلته بترهلهم ، وجعلت منه شيئا يدلك مشاعرهم ويدارى خواءهم الروحى وجدبهم العقيم ، ويتوجه اليهم بمشاكلهم الصغيرة العابرة وهم به سعداء ، فارغى الرؤوس ممتلئى الجيوب ! •

فى مفترق الطرق

ومستقبل المسرح المصرى - كماضيه وحاضره - مرهون بحركة المجتمع كله ، مرهون بتقدم الطبقات الادنى كى تأخذ مكانها الحقيقى فى تحالف الطبقات ، تأخذه كاملا غير منقوص ، تأخذه حقا وفعلا ، لا لافتة فارغة بلا مضمون •

مستقبل المسرح المصرى مرهون بالتقدم نحو اشاعة الثقافة الجادة ، نحو محاربة الامية الفعلية والغيبوبة العقلية وقيم المجتمع المتخلف التى تطمر تحت قناعها القبيح كل القيم الاصيلة والمضيئة فى وجدان الناس وعقولهم ، مرهون بأن ننمى قيما أخرى بديلة غير قيم التطلع التى رسختها سنوات طويلة من الحرمان والقهر ، مرهون بأن نعطى قدر ما نأخذ ونأخذ قدر ما نعطى ، ان اعطينا اهتماما ومشاركة أخذنا متعة فنية كاملة تثرى الوجدان وتضىء العقل وتجعلنا مواطنين وبشرا أفضل مما نحن عليه ، وان أعطينا اللامبالاة والخمول لم نأخذ سوى تدليك المشاعر والضحكات الجوفاء والرغبة الدائمة فى تجنب الواقع والهروب منه •

مستقبل المسرح المصرى مرهون بالصراع بين الاتجاهات النافعة والضارة فى الفكر والفن ، مرهون بأن يكون فكرنا وفننا نابعين عن واقعنا فى الزمان والمكان والقضايا الملحة ، لا معزولين معقمين كالنبات الذى لا ينمو الا فى أقفاص زجاجية مكيفة الهواء ، نتلهى فيها بألعاب وألغاز وكلمات متقاطعة ونواح وسيل أغان يستلبنا بعيدا عن جوهرنا الانسانى الحقيقى ويطمر فينا أحلامنا وأشواقنا لتغيير الواقع وتجاوزه بالعمل الانسانى الدءوب •

مستقبل المسرح المصرى مرهون أخيرا بهذه الاسماء لكتاب ومخرجين جدد : أمامهم جيل تهاوى واستسلم معظمه لشروط اللعبة السائدة ، وبقى على جيلهم هم أن يحمل الشعلة ويواصل المسير ليخلق لنا مسرحا جديدا يتجاوز ما هو قائم ، ان أسماء مثل : مصطفى بهجت ورءوف مسعد ونادية عبد المجيد ويسرى الجندى وأبو العلا السلاموني وحسن أحمد حسن ووحيد حامد وأحمد أبو النور ومحمود حنفى وتوفيق عبد اللطيف وهانى مطاوع وهناء عبد الفتاح ومحمد صديق ، وآخرين غيرهم ممن لا أعرف يقع عليهم جميعا عبء ثقيل •

مستقبل المسرح المصرى ؟ •• فى عبارة واحدة : كيفما تكونون ••• يكون مسرحكم •





اتجاهات المسرح المصرى المعاصر الفنية والفكرية

أمير اسكندر

في البداية .. لم يكن الطريق **واضحا ولا متميزا ، فنحن جميعا نعرف ان التغيرات الاقتصادية والسياسية لاتحدث اثرها على** الفور ، فى عالم القيم الفكرية والفنية ، هذه حقيقة عكستها تقريبا كل الثورات ، وما كان لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ان تكون استثناء منها ، بل لعل ثورتنا بطريقها الطويل الحافل بالتعرجات والمنحنيات كانت جديرة بأن تعكس تلك الحقيقة قبل غيرها من الثورات . افهل ينبغى اذن ان نبدأ رحلتنا من نفس اللحظة التى بدأت فيها الثورة رحلتها ؟ واذا لم نبدأ من هناك ، فاية نقطة يمكن ان تكون منطلقا للمسير ؟

فلنلق بنظرة أولا على وضع المسرح المصرى فى السنوات الاولى للثورة :

حينذاك ، كانت هناك ستة مسارح تعمل ، **المسرح القومى ، المسرح الشعبى ، المسرح العسكرى ، مسرح الريحانى ، ومسرح اسماعيل ياسين ، والمسرح الحر** ، أما **المسرح القومى** الذى ولد من ادماج فرقتى المسرح الحديث والفرقة المصرية للتمثيل والسينما ، فلقد كان يحاول تقديم بعض الاعمال العالمية لموليير وابسن وغيرهما من اخراج زكى طليمات أو واحد من تلامذته ، ولم تشهد ساحته من الاعمال المصرية الجادة ، فى تلك الفترة ، سوى « الايدى الناعمة » لتوفيق الحكيم ، و « سر الحاكم بأمر الله ، ومسمار جحا » لعلى أحمد باكثير ، وما عدا ذلك كان بقايا من الهزليات والميلودرامات الرخيصة التى استطاعت أن تنفض عنها تراب مسرح رمسيس القديم ، أو من نسج على منواله من المسارح الاخرى التى عرفتها مصر قبل الثورة ، مثل : أعظم امرأة ، بابا عاون

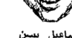
يتجوز ، اشاعة هانم ، دماء فى الصعيد ٠٠ وغيرها • **أما المسرح الشعبي** الذى أسسه زكى طليمات عام ١٩٤٧ ، فكان مرآة تنعكس عليها بعض العواطف الطيبة ازاء الثورة ، وبعض الافكار غير الناضجة التى تعبر عن الحماس المؤقت للتغير والانفعال السريع بالتغير ، أكثرمما تعبر عن الموقف المتبلور ، والفكر المحدد ، والعاطفة الثابتة ، وعرفت تلك المرآة ، فى ذلك الوقت ، مسرحيات مثل : « حقنا رجع لنا » ، و « كرباج افندينا » ، و « العهد الجديد » ، وغيرها ، ولقد بدأ **المسرح العسكرى** بدايات مشابهة للمسرح الشعبى ، وسار تقريبا على نفس طريقه المضطرب نحو أفق غائم مجهول الحدود والابعاد ، كانت لديه النوايا الطيبة أيضا ، وكان يملك عاطفة التجاوب مع الثورة بالطبع ، ولكنه لم يكن يملك الهدف الواضح ، أو الخطة الواضحة ، فبدأ يعرض « الاستعباد » ليوسف وهبى ، ثم غرق بعدها وسط أمواج متلاطمة من الهزليات الرخيصة ، والميلودرامات الصارخة ، والخطابيات التى تتبدد كالفقاقيع •

ولقد واصل **مسرح الريحانى** تقديم أعماله بعد رحيله من عالمنا ، **هى** بنفسها الاعمال التى اقتبسها الريحانى وبديع خيرى من مسرح البوليفار الفرنسى ، ومصراها ، وأكسباها لونها وشكلها ومذاقها المصرى ، وألف **اسماعيل ياسين فرقة مسرحية عام ١٩٥٤** شاركه فيها أبو السعود الابيارى ، وقدما ذلك اللون من التهريجيات الفارغة التى عرفتها مصر من قبل فى مسارح روض الفرج ، ولكن فى ثوب جديد يتلاءم مع موضة ٥٤ ، ويليق بمسرح ميامى فى شارع سليمان باشا ، واندفعت الجماهير اللاهية ، كى تقتل فراغ وقتها وفراغ حياتها فى فراغ مسرحياته ، ولم تكن قد تحددت بعد المواقف السياسية أو الاتجاهات الاجتماعية أو المناهج الفكرية ، كان الضباب يغلف وجه المدينة ، ومن خلفه أو من بين ثناياه كانت تصدر اصوات مبهمة وهمهمات غامضة ، لم يكن اليقين قد ولد بعد فى رحم الحيرة ، ولم يكن الضباب قد كشف بعد عن علامات الطريق !

فماذا عن المسرح الحر ؟ ٠٠ لقد تشكل المسرح الحر من بين خريجى الدفعة الثانية لمعهد التمثيل ، الذين لم تتسع لهم الفرقة المصرية الحديثة ، وكان هذا المسرح — بطبيعة تكوينه — يضم بعض العناصر المثقفة ، القادرة على أن ترفع رأسها قليلا من الدوامات الحرفية والتجارية التى كانت تجذب اليها الغالبية الساحقة من المسارح الموجودة آنذاك ، وأن تستشرف آفاقا فكرية أكثر تقدما ، وعلى الرغم من ذلك ، انزلقت بعض أعمال هذا المسرح الى الهوة التجارية الخالصة ، ولكن يبقى له فضل هام هو أنه قدم وسط أعماله ، عملا يمكن اعتباره البداية الحقيقية الجادة لتيار المسرح الاجتماعى الجديد ، **ففى ذلك الحين كان نعمان** عاشور يحمل مسرحيته « **المغماطيس** » ويطرقبها **أبواب المسرح القومى ، وفى كل مرة كان يطل عليه مدير المسرح من أعلى ، ويصرفه عن ساحته ، لانه ليس أهلا بعد للدخول ، كما كان يقال له ، فذهب بها الى المسرح الحر ، وتردد أعضاؤه قليلا ، وطلبوا بعض التعديلات الطفيفة ، وقدم العمل الجديد على المسرح ، ونجح ، وأهم من ذلك أن المسرح الحر كلف مؤلفه بكتابة عمل آخر ، اعتاد النقاد والمؤرخون لهذه المرحلة أن يعتبروه نقطة الانطلاق للموجة الجديدة فى المسرح المصرى المعاصر ، هذا العمل اسمه : « الناس اللى تحت »** •

ذلك كان وضع المسرح المصرى فى السنوات الاولى للثورة ٠٠ **حتى أستطاع أن يلمح الطريق فى عام ١٩٥٦ ويخطو عليه خطواته الاولى ، ثم يتابع مسيرته الحافلة بالانحناءات والتعرجات — هو أيضاً — حتى وصل الى ما هو عليه الان** •

غير أن من الصعب اعتبار الفترة من عام ١٩٥٦ حتى الان مرحلة واحدة ، وثمة اعتبارات كثيرة تدعو الى تقسيمها الى مراحل جزئية متعددة ، مرحلة من عام ١٩٥٦ حتى عام ١٩٦١ ، ومرحلة ثانية من عام ١٩٦١ حتى عام ١٩٦٧ ، ومرحلة ثالثة من عام ١٩٦٧ حتى الان ، ولكن ما طبيعة هذه الاعتبارات ؟ . اعرف بالطبع انه لا يمكن ان تشكل سنوات أربع أو خمس أو ست مرحلة حقيقية فى تاريخ فن من الفنون ، ولكن اطار الفترة التى نتعرض لها بالدراسة هنا محدود بطبيعته ، ولا يزيد عن أربعة عشر عاما ، وفضلا عن ذلك فان هذه المراحل الجزئية تتسم بسمات مميزة ، وتعكس ظروفا اجتماعية وسياسية وفكرية لها خصائصها التى تنفرد بها ، فاذا اعتمدنا المعيار الفنى الخالص أساسا لهذه التقسيمات ، قلنا ان المرحلة الاولى تميزت بمولد الاعمال الاولى لكتابنا المسرحيين الجدد ، وبتعبير أدق مولد التيار الاجتماعى الجديد فى الادب المسرحى ، وأن المرحلة الثانية شهدت أغزر انتاج مصرى عرفه مسرحنا فى أية مرحلة من مراحل تاريخه ، انتاج غزير من حيث الكم ، متنوع ومتعدد من حيث الكيف ، وأن المرحلة الثالثة عكست آثار أخطر نكسة مرت بمجتمعنا ، واذا اعتمدنا المعيار الاجتماعى والسياسى قلنا ان المرحلة الاولى ، هى مرحلة الكفاح الوطنى ضد الغزاة ، والمرحلة الثانية هى مرحلة البناء الاجتماعى وارساء القاعدة المادية للحكم الاشتراكى ، والمرحلة الثالثة هى



اسماعيل يسن


بديع خيرى


ابو السعود الابيارى

مرحلة المواجهة مع تحديات المصير ، ويصبح السؤال بعد ذلك هو كيف انعكست هذه المراحل الاجتماعية والسياسية المختلفة على مسرحنـا المصرى؟ كيف عبر عنها ؟ والى أى مدى شارك فيها ؟

ومن هنا سوف تكون مهمة هذه السطور محاولة تحديد القضايا الفكرية العامة التى طرحها تطور المسرح المصرى فى مسيرته منذ عام ١٩٥٦ حتى الان ، ومن جانب آخر تحديد القضايا الشكلية التى أثارها هذا التطور أو واكبت خطى هذا التطور ٠٠ واذا كان بعيدا عن طموح هذه السطور ان تحيط احاطة شاملة بكل الامثلة التى تدلل على صدق القضايا التى تطرحها ، فليس أقل ـ على أية حال ـ من الاشارة الى بعض هذه الامثلة التى تجسد كل قضية ، وتجلو أبعادها .

(ا) اتجاهات وقضايا فكرية

يمكن القول ان المسرح المصرى المعاصر طرح مجموعة من القضايا الفكرية المحددة ، التى أثارها تطورنا الاجتماعى فى هذه المرحلة ٠

١ ـ قضية العدل الاجتماعى :

شغل كتابنا المسرحيون ، بهذه القضيـــية الجوهرية ، منذ كتب نعمان عاشور مسرحيتـه « الناس اللى تحت » عام ١٩٥٦ حتى كتب سعد وهبة مسرحية « يا سلام سلم » فى عام ١٩٧٠ ، ومن الطبيعى أن تكون هذه القضية الاجتماعية أحد المحاور الهامة التى تدور حولها اهتماماتهم الفكرية ، فى مجتمع عانى طويلا من ظلم الاقطاع واستغلال الراسمالية ، ولا شك اننا يمكن أن نلمس آثار هذه القضية فى المسرح المصرى فيما قبل عام ١٩٥٦ بكثير ، نلمسها فى هزليات الريحـانى وميلودرامات يوسف وهبى ، وغيرها من الاعمال التى عرفت طريقها الى الخشبة المصرية ، غير أن الجديد هنا ، أن هذه القضية توضع ـ ربما لاول مرة ـ بعيدا عن كل ما أحاطها به الريحانى من تصاريف القضاء والقدر ، وكل ما أحاطها به يوسف وهبى من تقديرات اخلاقية ، القضية توضع هنا وضعا اجتماعيا خالصا ، فيه درجة كبيرة أو محدودة من الوعى بقوانين التطور الاجتماعى ، وأسباب التفاوت الطبقى ، وطرق الخلاص من هذه الاوضاع الجائرة التى وضعت من قبل موضع المقدسات ، فشخصية « عزت » فى « الناس اللى تحت » ، شخصية رافضة للاوضاع القائمة ، لا شىء فى نظرها يبرر قيامها ، ولا شىء يدعو الى تقبلها كقوانين كونية لا محيد عنها ولا مخرج منها ، وهو فى رفضه يبحث عن العالم الجديد ، عن مصر الجديدة التى تولد وسوف تولد من فوق أنقاض مصر القديمة ، وبرغمها ، لتكن صورة « عزت » كما قدمها نعمان عاشور ، صورة عصبية قليلا ، رومانتيكية كثيرا ، مجردة فى معظم الاحيان ، ولكنها على كل حال تقول ان هذه الاوضاع القائمة مستحيلة ، وان تغييرها ليس مستحيلا ! ولتكن شخصية الصول التى قدمها يوسف ادريس فى جمهورية فرحات ، شخصية يوتوبية ، حالمة ، خيالية ، ولكنها تضع رغم ذلك كله ، وبفضل ذلك كله ، حلمها الخيالى اليوتوبى كمثال يمكن أن يتحقق ، مثال للعدل الاجتماعى ، وللمعيار الفاضل للمجتمع الفاضل ، ان الصول فرحات يوزع الثروة ، ويضـــع قوانين العمـــل الجديدة ، ويجسد النماذج الانسانية الجديدة ، ويخلق ما يحلم به من مجتمع انسانى ، ويقول لنا ان هذا العالم ممكن ، أما عالمنا فمستحيل ! ولتكن مأساة « الفتى مهران » لعبد الرحمن الشرقاوى ، مأساة تاريخية أو عاطفية ، فالفتى مهران فى النهاية فلاح عادى ككل فلاحى قريته ، ولكنه رغم ذلك يمثل « حلم العدالة » الذى يؤرق صدورهم ، ويجسد شوقهم الى أن تصبح الارض لمن يفلحها ، ويحقق طموحهم فى أن يصبح الكل متساوين ، وأن يأخذ كل واحد حسبما يحتاج لا حسبما يستطيع ، وهو ليس مجرد شعار يرتفع ، ولكنه شعار وقوة على التطبيق ، انه يغير على مخازن الامير ، مع رفاقه ، ويأخذون ما فيها من قمح ، كما أخذوا من قبل ما فيها من دنان الخمر حتى يأكل الجياع ويرتوى العطاش !

وهكذا نرى فى امثلة كثيرة اخرى « ليـالى

الحصاد » لمحمود دياب ، « بير القمح » «علي سالم ، « الحيطة بتتكلم » لسعد وهبة ، « على جناح التبريزي » لألفريد فرج ، و « بلاد برة » لنعمان عاشور ، و « الطعام لكل فم » لتوفيق الحكيم · وغيرها من الاعمال ، ان قضية العدل الاجتماعي ، قضية محورية ، لم تغب لحظة عن وجدان كتابنا ، لانها لم تغب لحظة عن وجدان جماهيرنا ·

٢ ــ قضية الصراع ضد القهر :

والوجه الاخر لقضيه العدل الاجتماعي ، هو قضية الحرية ، والصراع ضد القهر ، وضد الخوف ، ولقد استأثرت هذه القضية بالكثير من اعمالنا المسرحية ، بعضها تناولها على المستوى الوطني العام ، وبعضها تناولها على المستوى الإجتماعي المحدد ، وبعضها الثالث تناولها على المستوى الرمزي الذي يشير الى بعض الاوضاع وبعض الاشخاص ·

كان « حلاق بغداد » يبحث عن منديل الامان من السلطان حتى يمكنه أن يتكلم ، وكان « حمدي » في « دخان » ميخائيل رومان يقف صامدا ازاء تهديدات رمضانتاجر الحشيشويرفض «التوقيع» بل ويصرخ في وجهه « لا ·· لا » ·دا اللى عنده سل ماركمش » ، وحتى عندما وقع « المؤلف المسرحي » في مسرحية على سالم « البوفيه » أمام المدير ، كان كل شيء قد أصبح واضحا تماما من قبل ، وتكشف زيف الحرية الشكلية التي لا تزيد عن ديكور من الكرتون ، وتبدى بصورته البشعة وجه الخوف والارهاب ، كوحش ضار يهدد المدينة ، وهو يعود ليضع الحل في « انت اللى قتلت الوحش » عندما يعلن أوديب أن أوالــح « رمز الارهاب » قد طرد من المدينة « وهذا معناه أنه لن يكون للخوفمكان بيننا ·· لن يكون هناك في طيبة ما يعوق نمو عظمة الانسان وابداعه ·· » ومهما قيل في « فرفور » يوسف ادريس ، من أنه كان يائسا قانطا متشائما من تحقق الحرية والمساواة فوق الارض أو فيما وراء الارض ، فالواقع انههو ايضا كان يصرخ باحثا عن الحرية « المستحيلة » رافضا ــ حتى وهو يدور دورانه الابدي حول سيده ــ أن تكون هذه هي النهاية لكل شيء ·

وفي غير ذلك من الاعمال ، نجد هذه النغمة واضحة ، ونجد هذا المحور مجسدا ، ونجد هذا الاتجاه ملموسا ، ويكاد من الصعب أن نجد فيما كتبه مؤلفونا المسرحيون في هذه السنوات التي بدأت منذ عام ٦١ وما بعده ، عملا مسرحيا لا يشير بطريقة مباشرة ، أو بطريقة خفية ، الى مشكلة الحرية والديموقراطية ، وهي ظاهرة قد تحتاج الى مزيد من التفصيل في تحليل أسباب ظهورها ، وأسلوب طرحها ، ومنهج معالجتها ، غير ان هذه السطور تكتفي الان بالتسجيل فحسب :

٣ ــ قضية الصراع ضد عزلة السلطان :

كان الحكيــم المصري القــديم « ايبوور » يقول : « أن ندماءك هدكذبوا عليك ، هذه سنوات حرب وبلاء ، ما هذا الذي حدث في مصر ، ان النيل لايزال يأتي بفيضانه ·· ان من كان لا يمتلك أضحى الان من الاغنياء ، لديك الحكمة والبصيرة والعدالة ،ولكنك تتركالفساد ينهش البلاد ،انظر كيف تمتهن أوامرك ، وهل لك أن تأمر حتى يأتيك من يحدثك بالحقيقة ؟ »

ان هذه القصيدة المصرية القديمة ، ترجمت اكثر من ترجمة في أعمالنا المسرحية الاخيرة ! لست أقصد بالطبع الترجمة اللفظية ، وانما الترجمة الدرامية · وتوشك الاعمال التي كتبت فيما قبل النكسة بقليل ، وفيما بعدها ، أن تدور في معظمها حول معاني هذه القصيدة ·

« الفتى مهران » كان يصرخ في ساحةالمسرح القومي كل ليلة ، موجها كلماته الى الامير : انزل الى الشعب : اكسر سدود العزلة التي احاطوك بها ! حطم الاسوار التي رفعوها من حولك وخنقوك بداخلها ! ·· أما السيد البدوي » في مسرحية رشاد رشدي فقد تكالب عليهتلامذته، وفصمواكل الوشائج بينه وبين شعبه ، حتى اذا ما فسد كل شيء ، وتهدد كل شيء ،وحاول «البدوي»انينزل الى الجماهير ليخاطبها ويستحثها علىالنضالفي لحظة المحنة ،لم يجد من يسمع له ،لم يجد من يعرفه ، فالبدوي أسطورة صنعها في وجدان الناس الذين ينتفعون من بقائها كأسطورة ، ولم يسكن بوسعه الا أن يعود كسيف البال ، مغلوبا على أمره ·· الى قمته المتوارية تحت أطباق الثلوج · بينما كان « الملواني » يصرخ «بلدي ·· بلدي ·· يابلدي ! »، وهو نفس مــا حــدث تقريبـــا « للاخ » في مسرحيـــة المخططين ليـــوسف ادريس ·· تراجع الى الخلف ، وتوارى في ظلال الاسطورة ، وتقدم الى الامام الذين ينهبون كل شيء ، ويستغلون كل شيء باسمه ، وعندما جاءت لحظة الحسم ، وأراد أن يخاطب جماهيره كما تعود في سابق عهده ، دارت آلات التسجيل ، لتلقي الى الجماهير خطابا قديما من خطاباته ، بينما خطابه الجديد ، وصوته الجديد ، وكلمته الجديدة ، لاتكاد تصل الى ابعد من الواقفين حوله من الحريصين على بقائه مجرد رمز بارد لمن كان

يوما قائدا ورفيقا ومعلما للجماهير بها ، وماذا جرى **لاوديب فى مسرحية على سالم « انت اللى قتلت الوحش »** ؟ هو ايضا كان حاكما عظيما ، استطاع ان يقتل الوحش او يطرده بعيـــدا عـــن أسوار المدينة ، وهو الان منهمك فى تحويل طيبة الى مركز من مراكز الحضارة العالمية ، ولكنه اصبح حاكما يملك ولا يحكم ، فالسلطة الحقيقية ليست فى يده بالفعل بل انه هو نفسه من فرط مثاليته واستغراقه فى مهمة تطوير طيبة والارتقاء بها ، يوشك أن يكون وسيلة أو أداة فى أيدى السلطة الحقيقية التى تهيمن على المدينة ، فيم تتركز هذه السلطة الحقيقية ؟ فى **سلطة المال ، وسلطة القهر ، وسلطة الكهنة** ، ولا بأس بعدذلك من أن تصدر الفتاوى ، وتنشر الاساطير الخرافية التى تجعل من أوديب الها انحدر من صلب آلهة ، طالما أن هذا الاله الصغير مغلل اليدين واللسان •

أليس هذا كله ترجمة بأساليب درامية مختلفة لقصيدة الحكيم ايبوور التى أنشدها منذ آلاف السنين ؟ أكان يعرف حينذاك أن كلماته سوف تتخطى فى صدقها هذه الالاف من السنين ، وتظل محتفظة رغم ذلك بفاعليتها وقدرتها على التأثير والايحاء ؟ •• أكان يدرك أن قصيدته سوف تصبح رمزا لمرحلة فنية ، وقاسما فكريا مشتركا بين كثير من الاعمال المسرحية البارزة ؟ ••

٤ ـ قضية الصراع ضد الاغتراب :

ان الوجه الاخر لعزلة الحاكم ، وسيطرة فئة من رجاله على مقاليد الامور ، واقامة سور صـــينى ضخم بين السلطة التى تملك القرار السياسى والاجتماعى والشعب الذى يخضع لهذا القرار السياسى والاجتماعى **هو عزلة الجماهير عـن حكامها ، وسيطرة اتجاهات اللامبالاة واللاانتماء واللامسئولية ، وسقوط الجماهير فى أزمة اغتراب عميق فوق أرضها ، وداخل وطنها** •

تذكر « **حمدى** » **فى** « **دخان** » ميخائيل رومان ، **والابطال الثلاثة : عبد الغفار ، ومجاهد ، وعلى ، فى مسرحيته « الحصار »** (وهم يـــوشكون أن يكونوا شخصية واحدة ، أو على احسن الفروض زوايا مختلفة لشخصية واحدة] ان اللحن المميز لمسرحية الحصار هو العجز ، والضياع ، والسقوط بين أنياب وحوش مفترسة لا تحس ولا ترحم ، والانسان يبدو وحيدا غريبا تصفعه علـــى كلا خديه « كرابيج » تمسك بها يد قدر غاشم أعمى ، وهو محاصر دائما ، الماضى يحاصره ، المطامع التافهة تحاصره ، والتطلعات المتذلة تحاصره ، الفراغ والجدب واللامعنى يحاصره •



عبد الرحمن الشرقاوى

سعد الدين وهبة

د. يوسف ادريس

وليست هذه القضية وقفا فى معالجتها على ميخائيل رومان وحده ، فلعل انتاجنا الادبى بكافة أشكاله المسرحية والروائية والقصصية لم يعرف فى مرحلة من مراحله بلورة وتركيزا على هذه المشكلة مثلما عرفها فى السنوات التى سبقت النكسة بقليل ، ثم عاشت معه ، أو عاش معها فى السنوات القليلة التى تلتها •

وجوهر الازمة هو الانفصام الذى يعيشه الفرد اجتماعيا ونفسيا وميتافيزيقيا ، ومظهر الازمة هو الرفض ، ومحصلة الازمة اما أن تكون « الانتماء » فيتحقق الخلاص على وجه من وجوهه ، واما أن يكون « استمرار الضياع » فيسقط الانسان ـ أراد أو لم يرد ـ فى وهدة العبث والعدمية والانهيار ، ولا يتوقف الانتماء أو الضياع على موقف الفرد ، أو لا يتوقف عليه وحده ، فالانتماء علاقةاجتماعية

ونفسية ، علاقة ايجابية فعالة . والضياع علاقة اجتماعية ونفسية كذلك ، علاقة سلبية وعاجزة ، وإذا كان بعض كتابنا قد صوروا فى أعمالهم مشكلة الاغتراب هذه ، فانما فعلوا ذلك لا ليكرسوا الضياع واللاانتماء .. ويهوموا بالفرد فى آفاق ميتافيزيقية مجردة ، كما يفعل بعض كتاب الغرب فى ظل تحلل وتفكك أنظمة اجتماعية بالية ، تضغط على الفرد بآلتها الساحقة وتحيله ترسا فى ماكينة ضخمة أو نملة فى غابة لاتعرف لها حدودا ، ان المشكلة تتخذ هنا وضعا مختلفا ودلالة مغايرة ، وهذا الفارق فى الوضع والدلالة يستمد وجوده من الفارق بين المجتمعات الغربية الصناعية المتطورة ومجتمعنا الفقير النامى ، ان الاغتراب هناك نتيجة طبيعية من بين النتائج التى يفرزها البناء الاجتماعى بمؤسساته وهيئاته الضاغطة ، أما الاغتراب هنا فمن الممكن ألا يكون نتيجة طبيعية تلزم عن المؤسسات الاجتماعية الراهنة ، هناك أمر حتمى ، وهنا أمر محتمل ، هناك لا سبيل الى القضاء عليه الا بالقضاء على الاسس الاجتماعية نفسها ، وهنا يمكن القضاء عليه بغير القضاء على الاسس الاجتماعية ذاتها ، وهو هناك ـ مهما كانت صور الليبرالية الشكلية ـ خاصية من خواص العلاقة بين الفرد ومجتمعه ، وهو هنا ـ مهما كانت صور الشمولية الشكلية ـ خاصية من خواص التطبيقات الخاطئة لما ينبغى أن تكون عليه العلاقة بين الفرد ومجتمعه ، ان الاغتراب الاجتماعى يتضاءل ويتلاشى شيئا فشيئا ، بمجرد ان يشارك الفرد ، والافراد ، فى سلطة اصدار القرار السياسى والاجتماعى ، وهو أمر ليس ممكنا فحسب ، ولكنه ضرورى كذلك اذا كان مقدرا لهذا النمط من المجتمعات النامية ان يواصل مسيرته ذات الطابع الخاص .

٥ ـ قضية البحث عن القطة السوداء :

ولقد كان احد الفلاسفة المحدثين يقول ان الميتافيزيقا هى بحث الاعمى عن قطة سوداء فى غرفة مظلمة ! . ورغم الطابع الساخر لهذا الحكم فان احدا لم يستطع ان يمنع تاريخ الفلسفة وتاريخ الفكر وتاريخ الفن من أن يهوم بعيدا فى عالم الميتافيزيقا بحثا عن المعانى المجردة ، والدلالات المجردة ، والافكار المجردة .

ولم يستطع كتابنا المسرحيون أن يتجنبوا هذا الطريق الطويل الذى لا يؤدى الى نهاية ، ولا يفضى الى شىء ملموس ، وليس ثمة شك فى أنهم تأثروا فى ذلك بالتراث الميتافيزيقى الضخم فى الفكر الغربى وفى المسرح الغربى ، ولحسن الحظ فان هذه الظاهرة محدودة فى ادبنا المسرحى الراهن ، وهى لا تعدو بضع مسرحيات قليلة وسط عشرات الاعمال التى قدمها كتابنا المسرحيون فى هذه الفترة القصيرة نسبيا من تاريخ المسرح المصرى .

ولعل من الامثلة البارزة على هذه النزعة الميتافيزيقية فى مسرحنا روايتين : « **المهزلة الارضية** » ليوسف ادريس ، و « **الانسان والظل** » لمصطفى محمود .. فى المسرحية الاولى فشل « صفر » فى أن يعرف «الحقيقة» ، وان يحكم طبقا لها ، وأكثر من ذلك بدأت الحقيقة نفسها تضيع ، وبهتت معالمها ، ولا أحد يستطيع أن يدركها ، فلا الاقطاعى على حق ، ولا البورجوازى على حق ، ولا المثقف على حق ، ولا البروليتارى على حق ، الكل يمكن أن يكونوا جناة أو مجنيا عليهم ، الكل يمكن أن يكونوا على صواب أو على خطأ ، لان الحقيقة ليس لها وجه واحد ، الحقيقة متعددة الاوجه ، الحقيقة صورة « من غير برواز » ، أو « الصورة اللى كل واحد يقدر يحط لها البرواز اللى عايزه » . أية حقيقة هذه ؟ انها لا يمكن أن تكون الحقيقة الموضوعية المستقلة عن الفكر الانسانى ، استقلال الواقع الخارجى ، لا يمكن ان تكون الحقيقة العلمية أو الحقيقة الاجتماعية ، ولكنها الحقيقة الميتافيزيقية بالضرورة ، وقد يسأل سائل : ولكن الحقيقة عند الميتافيزيقيين هى دائما ذات جوهر واحد ، فما سر هذا التعدد والكثرة ؟ والاجابة على ذلك أن هذه الكثرة وهذا التعدد لا يعودان الى الظروف المكانية والزمانية وطبيعة المجال ، ومن ثم فان الحقيقة هنا أقرب ما تكون الى الحقيقة السوفسطائية بالمعنى الشائع للكلمة ، وهى لذلك ميتافيزيقية فى جوهرها مهما اتخذت لها شكلا ماديا فرديا ونسبيا ! .

أما « الانسان والظل » فهى مسرحية تدور فى اطار تجريدى ، وتستخدم منهجا تجريديا ، وتأسرها الصيغ والعبارات التجريدية ، وليس التجريد دائما ـ بطبيعة الحال ـ ميتافيزيقيا ، ولكن المعيار فى الفصل بين التجريد العلمى والتجريد الميتافيزيقى هو مدى تعبيره وتلخيصه وتركيزه لمجموعة من الحقائق الجزئية الملموسة ، أن أى قانون علمى هو صيغة فكرية مجردة ، ولكنه يشير الى حقائق موضوعية محسوسة ثبتت صحتها عن طريق الحواس المباشرة ، أما التجريد الميتافيزيقى فهو صياغة غائمة تبدأ من المطلق وتنتهى اليه ، مهما كان هذا المطلق فردا أوكائنا علويا فوق الافراد ، ان عبارات مثل « الانسان محكوم عليه بالقلق » ، أو الحقيقة مثل الشمس لا أحد يستطيع التحديق فيها» ، أو «الانسان محكوم عليه بالحياة » أو ما شابهها من عبارات كثيرة تشكل لحمة المسرحية وسداها حتى من قبيل

التجريد الميتافيزيقى الذى لا يقول شيئا ولا يفضى الى شىء ، وأقصى ما يمكن القول بشأنه أنه تلاعب لفظى تتداعى عن طريقه معانى نفسية أو ذهنية لا ظل لها فى الواقع الموضوعى المستقل عن الذات !

٦ ـ قضية التعبئة من أجل المعركة الوطنية :

ليس من الواقع فى شىء ، القول بأن النكسة انتجت مسرحا خاصا بها . اسمه مسرح النكسة ، كما يحب بعض الكتاب والنقاد أن يقولوا ، فادب النكسة ومسرح النكسة وفن النكسة ، ظهر قبل وقوعها ، واستمر بعد وقوعها ، ومن ثم ينبغى أن نقرر أنه اذا كانت النكسة قد طبعت الانتاج المسرحى بعدها بطابعها ، فهى لم تكن أكثر من المناخ أو الجو أو الاطار الذى تنفس فيه هـذا الانتاج ، وليس أدل على ذلك من أن معظم القضايا الفكرية السابقة عالجها الكتاب قبل النكسة ، كما استمروا فى معالجتها بعد النكسة .

ما الجديد اذن ؟ . الجديد هو الاتجاه نحو التعبئة النفسية والفكرية بطريقة مباشرة عن طريق الاعمال المسرحية ، الجديد هو تأكيد بعض المعانى والقضايا التى عولجت من قبل ، واثبت وقـوع النكسة صحتها ويقينها فى نظر أصحابها ، الجديد هو دخول قضية فلسطين « كتيمة » رئيسية فى بعض الاعمال المسرحية ، ولم تكن ترد من قبل الا لماما .

كانت مسرحية « **المسامير** » **لسعد وهبة** هى الاستجابة الاولى المباشرة لاحداث ٥ يونيو ، فى هذه المسرحية قدم المؤلف أنماطا من كل الفئات الاجتماعية تقريبا : الفلاح والاقطاعى والمناضل والانتهازى والانهزامى والسلبى ومن ورائهم جميعا أو من امامهم فاطمة تعبر عن شخصية « مصر » ، والصراع يدور على جبهتين : جبهة داخليـة اجتماعية ، وجبهة خارجية سياسية وعسكرية ، والصراع رغم وجود هذه الاطراف الطبقية ، ليس له بعد طبقى حقيقى ، انه ينحل فى النهاية الى معركة عسكرية ، معركة واحدة هزم فيها الفلاحون بطريقة مؤقتة ، بيد أنهم سينتصرون حتما مـا دام « عبدالله » يقف على رأس جيشه وجماهيره ، ويستعد لدخول المعركة ، ويظل صوت فـاطمة (مصر) يتردد فى حماس بالغ بكل الاعمـاق الوطنية الدامية : اضرب يا عبد الله ! اضرب يا عبدالله ! . وتخرج الجماهير وقد شحنت بهذا الحماس ، واهتزت بهذا الانفعال ، وعبئت بكلمات سياسية وشعارات وطنية عالية النبرة ، صاخبة الانفعال .. ثم ينتهى كل شىء ..

وكانت مسرحية « **جيفارا** » **أو** « **ليلة مقتل جيفارا العظيم** » استجابة اخرى لاحداث ٥ يونيو وهى مسرحية لميلجأ مؤلفها ميخائيل رومان الى التاريخ ليتخذ منه اطارا لعمله ، ولم يستعن بأية قصة أو حدوتة أو عقدة روائية تقليدية ، بل حاول أن يقدم الاستعمار والشعوب والمناضلين بلا أقنعة أو أثواب خارجية ، وحاول أن يتعرض لفكرة الشهادة أو الفداء ، وحاول أن يقول رأيه فى كل القضايا السياسية المباشرة الملحة على ضمير العصر تقريبا ، حاول أن يقول كل شىء فى مسرحية واحدة كأن ضغط المعركة كان يدفعه الى السباق مع الزمن . وتخرج الجماهير وقد شحنت أيضـا بحماس بالغ ، واهتزت بانفعال عارم ، وحفظت عن ظهر قلب شعارات سياسية ووطنية عالية النبرة صاخبة الانفعال .. واستبصرت بابعاد جـديدة لقضيتنا .. أبعاد عالمية واشتراكية .. وأبعاد خاصة بالعالم الثالث .. واستعدت للفداء .. ثم ينتهى كل شىء .

واستطاعت قضية فلسطين بشكل خاص أن تستأثر بمسرحيات أربع : **زهرة من دم ، وطنى عكا ، ثورة الزنج ، النار والزيتون** ، الاولى لمؤلف لبنانى ولكنها عرضت على الخشبة المصريـة ، والثانية لعبد الرحمن الشرقاوى ، والثالثة لشاعر من فلسطين المحتلة هو معين بسيسو ، والرابعة لالفريد فرج ، الاولى تناولت القضية بطـريقة مباشرة ، وتحدثت عن الخيانة والاخلاص للقضية ، وشجبت المجتمع الاسرائيلى بوصفه مجتمعا لا اخلاقيا ينضح بالجنس والعهر والابتذال ، والثانية حاولت أن تقدم مفهوما سياسيا عن هذا المجتمع الاسرائيلى بوصفه اطارا لاتجاهات وتكتـلات بعضها مناقض لاتجاهات المؤسسة العسكرية ، ثم دعت الى الصمود ، وراهنت على هذا الصمود ، فمن يصمد أكثر من غيره سوف يكسب المعركة ، والثالثة لجأت الى الاستعارة الرمزية حينمـا اتشحت بقصة عبد الله بن محمد قائد ثورة الزنج ، ودعت الى وحدة المناضلين على أرض المعركة ، ووحدة كل فصائل المقاومة ، أما الرابعة فقد آثرت أن تستعير الشكل التسجيلى لتحكى قصة فلسطين من البداية حتى النهاية ، وتقدم من خلال ذلك كله « الخط السياسى » لاكبر منظمـات المقـاومة الفلسطينية « فتح » .

وغير خاف ان الهدف من كل هذه الاعمال **هو التعبئة الوطنية ، التعبئة الفكرية ، التعبئـة النفسية** ، وهى مهمة تصدر مباشرة عن ظروف معركة بدأت ولم تنته ، وترتبط مباشرة بأبعاد هذه المعركة ومسارها ومصيرها ، وهى بطبيعتها معركة مستمرة ، كانت موجودة بالتأكيد قبل وقوع النكسة الاخيرة ، وظلت موجودة بعدها ، وأغلب الظن أنها

سوف تستمر ما دامت هذه المعركة قائمة ، مهما تغيرت وقائعها ، ومهما تنوعت اتجاهاتها ، ومهما تعددت فصولها ٠

■ ■ ■

واذا كان كل ما تقدم صحيحا فى جوهره ؟ بصرف النظر عن الخلافات التى يمكن أن تنشأ حول تفاصيله : فبماذا نخلص اذن ؟ اية سمات عامة يمكن أن ننتهى اليها ؟

● السمة الاولى : [وهى سمة شكلية أو منهجية ـ ان شئت ـ) وهى تداخل مراحل التقسيم التى أوردناها فى البداية ، فلربما تصلح هذه المراحل لدراسة عدد الفرق ، ومدى اقبال الجماهير ، ولكنها لا تصلح كمعيار ثابت للحكم على مراحل متمايزة فى القضايا الفكرية التى عالجها هذا المسرح ، وبطريقة اكثر تحديدا يمكن القول ان مرحلة ٦١ ـ ٦٧ هى المقدمة الاولى لمرحلة ٦٧ ـ ٧١ أو أن كلا المرحلتين مسافات زمنية فى مرحلة واحدة ، صحيح ان قضية ما يمكن أن تطفو على السطح اكثر من غيرها فى واحدة من هاتين المرحلتين ، ولكن الملاحظ ان هذه القضايا توشك أن تكون موجودة بكاملها فى كلتا المرحلتين

● السمة الثانية : أن المسرح المصرى فى جوهره مسرح اجتماعى ، واذا استخدمنا التعبير الشائع فى هذه الايام قلنا انه مسرح سياسى ، لا بمعنى أن لكل قضية اجتماعية بعدا سياسيا بالضرورة ، بل بالمعنى الاصطلاحى للكلمة ، فالحديث عن العدل الاجتماعى ، أو الديمقراطية السياسية ، أو عزلة الحاكم عن المحكومين ، أو حرية المواطنين ، أو الانتماء وأزماته أو الفراغ ونتائجه ومآسيه ، هو حديث سياسى مباشر ، وليس هذا الامر غريبا فى مجتمع من مجتمعات العالم الثالث ، تعرض فى هذه الفترة المحدودة لحربين شاملتين ، ولقى من مصاعب التطور الاجتماعى والاقتصادى ما هدد وحدته أكثر من مرة ، واختط لنفسه طريقا اجتماعيا وسياسيا صادف تعرجات وتحديات حادة ، وتنقل عبر المراحل الاجتماعية المتعاقبة ، انتقالات فجائية تحت لواء دولة قوية مركزية ، كانت تملك أقوى وأقدم جهاز دولة عرفه التاريخ ، وعصفت بمثقفيه أزمات عديدة طوحت بهم بين اليمين واليسار ، دون أن يحمى أفكارهم وحركتهم تنظيم واحد ، له ايديولوجية واحدة محددة ٠

● السمة الثالثة : أن الاطار الفكرى الذى تعالج من خلاله هذه القضايا والمشكلات جميعا ، يوشك أن يكون اطار المثقفين ، وأسلوب معالجة هذه القضايا والمشكلات جميعا ، يوشك أن يكون أسلوب الطبقات الوسطى ، والطبقات الوسطى الصغيرة ، والطابع الاغلب على هذه المعالجات يوشك أن يكون الطابع الاصلاحى وحده الا فى النذر اليسير ، حينما يفض الكاتب غلاف الاصلاحية الكثيف ، ويتجه نحو منهج أكثر جذرية فى النظر الى الامور ، ان معظم انتاج نعمان عاشور ، والفريد فرج وسعد وهبة ، وعبد الرحمن الشرقاوى ، وميخائيل رومان ، ويوسف ادريس ، ولطفى الخولى ، وعلى سالم ، وصلاح عبد الصبور ، ورشاد رشدى ، يدور فى اطار المثقفين ، ويعالج قضايا ومشكلات المثقفين ، وبرؤية محددة تنبع من أوضاع المثقفين ، صحيح أن سعد وهبة عالج فى مسرحياته الاولى بعض قضايا الفلاحين ، وصحيح أن محمود دياب استطاع أن يضع على خشبة المسرح ابطالا من الفلاحين ، ولكن من خلال اية رؤيه ؟ رؤية مثقف لعالم خرج منه ٠ وما زال يحبه ، وأن فصلت بينهما كل شوارع المدينة ٠ وصحيح أيضا أن نعمان عاشور وسعد وهبة وميخائيل رومان ولطفى الخولى وعلى سالم قد صوروا شرائح من « الناس اللى تحت » فى بعض أعمالهم ، ولكن هذه الشرائح كانت أقرب الى الفئات الدنيا من البورجوازية الصغيرة أكثر من قربها من الطبقات العاملة بالمعنى الحقيقى للكلمة ، وصحيح كذلك أن ميخائيل رومان ـ مثلا ـ من أكثر الكتاب دعوة الى العنف ٠ من اكثرهم استخداما لكلمات الثورة والفاظها الحادة فى « كافة عموم بر مصر » ، ولكن ما يبقى فى النهاية من كلماته يسىء اكثر من ضجة الطبقة الوسطى الصغيرة ، وانفعالاتها المتوهجة الصاخبة التى سرعان ما تنطفىء ويعلوها الرماد ٠٠ وهكذا الحال فى معظم انتاجنا المسرحى الراهن ، أيمكن أن يكون هذا غريبا ؟ لست أظن ، فالاصول الطبقية لكل كتابنا تقريبا ، والمناخ الفكرى الذى يعيشون فيه ، والاهتمامات الاجتماعية التى تملك عليهم حياتهم ، كلها تنبع وتصب فى اطار الطبقة الوسطى ، والطبقة الوسطى الصغيرة ، فاذا أضفنا الى ذلك ـ وهو أمر هام ـ أن هذه الطبقات الشعبية الاخرى ليس لها صوت مسموع ، وليس لها فكر متميز ، وليس لها نفوذ ايديولوجى واضح ، لم نجد فى النتيجة التى سبقت شيئا يدعو للعجب ٠

(ب) قضايا الشكل الفنى

١ ـ قضية اللغة :

تمثل قضية اللغة احدى القضايا الشكلية العامة

والمعقدة فى نفس الوقت بالنسبة للنص المسرحى ، ما هى اللغة التى يستخدمها او ينبغى ان يستخدمها المسرح ؟

ثمة اتجاهات ثلاثة فى مشكلة اللغة : الاول يرى أن الفصحى هى اللغة الجديرة بالمسرح ، والجدير بالمسرح استخدامها ، وأهم حجة لاصحاب هذا الاتجاه هى أن الفصحى وحدها تتيح لمسرحنا أن يكون مفهوما وقابلا للتذوق خارج حدودنا ، فى البلاد العربية ، وهى حجة قديمة بطبيعة الحال ، لا تنسحب على المسرح وحده ، وانما تمتد لتشمل الحوار فى الرواية والقصة القصيرة والشعر الشعبى .

والاتجاه الثانى يعتبر اللغة أحد العناصر الاساسية فى رسم الشخصيات داخل اطارها الواقعى ، ولذلك فان توحيد المستوى اللغوى فيما بينها جميعا ، يمثل تزييفا للواقع ومسخا له ، فليس من المقبول أن تتحدث « خضرة » فى « كوبرى الناموس » ، أو « عبد الرحيم الكمسارى » فى « الناس اللى تحت » ، أو «زوال» فى«خيال الظل أو « الفرفور » فى « الفرافير » .. وغيرهم ، بالفصحى دون أن يثير ذلك احساسا حادا بالافتعال والسخرية ، واصحاب هذا الاتجاه يعتقدون ان الصدق الفنى اهم من اى اعتبار آخر مهما كانت اهميته ، ورشاد رشدى يطلق على هذه العامية اسم « **اللغة العامة** » ويرى ان اللغة العامة قادرة على نسج صياغات تعبيرية لها ملامس مختلفة ، وهى تستطيع أن تبلغ درجة من التركيز والكثافة والشفافية والرقة ، ترتفع بها عند الكاتب المتمرس الى مستوى الشعر الحقيقى .

أما الاتجـــاه الثـــالث ، فيقف وسـطا بين الاتجاهين ، أو يحاول ايجاد أرض مشتركة بينهما ، هذا الاتجاه بدأه توفيق الحكيم فى مسرحية الصفقة (١٩٥٤) ، وهذه اللغة الوسطى المقترحة يمكن أن تقرأ كأنها لغة فصحى ولكنها فى نفس الوقت يمكن ان تقرأ أو تنطق كعامية ، غير ان الكاتب الذى استطاع ان يقوم بتجربة هامة فى هذه اللغة الوسيطة هو الفريد فرج فى مسرحيته حلاق بغداد ثم فى على جناح التبريزى ، يقول الكاتب فى مقدمة حلاق بغداد : **سيلحظ القارىء انى لم أستخدم اللغة الفصحى الصريحة بمقوماتها المعروفة لغة لهذه المسرحية كما أننى لم استخدم اللهجة العامية .. واننى ايضا لم ازاوج بينهما ، وانما آثرت أن أقف فى موضع ما من الارض المشتركة بين الحالتين ، وقد حافظت تماما على صحة التراكيب العربية والقاموس الصحيح ،فيما عدا بضع كلمات قليلة ، ولكنى معذلك استخدمت ما عن لى منجوازات الفصحىالكثيرة ، وبخاصة ما كان ينسجم منها مع الاسلوب الذى تميل اليه الصياغة فى اللهجة العامية** .. » .

والحق ألا سبيل الى الحسم فى هذه القضية الان ، وربما سيصعب ذلك فى المستقبل كذلك ، سيظل الصراع دائرا بين هذه الصياغات اللغوية المختلفة متحينا من حين لاخر الفرصة لتجربة جديدة كتلك التى قام بها الفريد فرج أو التى دعا اليهـا تـوفيق الحكيـم فـى مقـدمة مسرحيته « **الورطة** » ، وان كان للمرء أن يتصور من الان صورة للمستقبل ، فانه يقول ان اللغة التى سيصل اليها المستقبل هى بالتأكيد لغة جديدة ، ليست هى الفصحى ، وليست هى العامية ولكنها مع ذلك ليست تلك اللغة الوسطى أو الوسيطة التى تصطنع اصطناعا بحيث تبدو عليها فى كثير من المواضع مسحة الافتعال ، على ان الطريق لظهور هذه اللغة الجديدة ، اللغة المسرحية الكاملة ، لن يكون بالتأكيد الا تلك التجارب الجادة سواء على مستوى الفصحى أو العامية أو الوسطى ، ومن خلالها .

٢ ــ قضية الشكل المسرحى :

هناك أكثر من مشكلة تتعلق جميعا بالشكل المسرحى .

● كان لدخول مسرح العبث أو اللامعقول الى مصر عند افتتاح مسرح الجيب ، واحتفاء النقاد والباحثين به ، بصرف النظر عنقبولهم أو رفضهم له ، أثره على الادب المسرحى . وكانت أولى ثمرات هذا التأثر «يا طالع الشجرة » ، و « الطعام لكل فم » لتوفيق الحكيم ، ثم ظهرت آثاره بطريقة قوية أو وانية فى بعض أعمال يوسف ادريس مثل **المهزلة الارضيـة** ، **والجنس الثالث** وبعض أعمال **ميخائيل رومان** مثل « **الوافد** » ، وبعض أعمال **شوقى عبد الحكيم**

وقد يبدو وضع هذه الظاهرة فىمجال «الشكل الفنى » غريبا ، فمسرح العبث معروف بمضمونه الفكرى الخاص الذى قد لايكون الشكل الذى يقدمه سوى مجرد ثوب يتلاءم معه ، غير أن الحقيقة أن تأثرنا بهذا الاتجاه المسرحى قد أوشك أن يقتصر حتى الان ــ لحسن الحظ ــ على حدود الشكل ، وتوفيق الحكيم نفسه له تفرقة مشـهورة بين « العبث » و «اللا معقول » ، انه يقول فى ملحق مسرحية «الطعام لكل فم» : «اللامعقول ــواخشى **أن أكون أنا المسئول عن هذه التسمية فـى**

مقدمة « ياطالع الشجرة » ـ ليس معناه عندى أنه موقف ضد العقل ، فأنا لست من هذه الطائفة . ان ما يصدر عنى انما يصدر تحت سيطرة عقلى ، غير أنى اعتقد أن عقلنا البشرى له من سعة الافق ما يسمح لنا أحيانا أن نخرج عليه لنتأمله وندرسه عن بعد .. انى قصدت عمدا استخدام كلمة « اللامعقول » لانها هى التى تعبر عن موقفى واتجاهى ، وهى شىء آخر غير مسرح العبث كما يسمى فى أوروبا وأمريكا ، أن اللا معقول شىء والعبث شىء آخر ، مسرح العبث يتعلق بالشكل والمضمون معا فى حين أن مسرح اللامعقول عندى هو عمل يتعلق بالشكل فقط ، بل ان فن العبث يبتدىء فعلا ويتبع أصلا من المضمون من فكرة أن العالم عبث ينتهى الى الشكل العبثى الملائم لهذا المضمون ، أما فى حالتى فان اللامعقول هو وضع العالم المعقول فى أطار لا معقول » .

ورغم كل ما يمكن أن تثيره هذه التفرقة بين « العبث » و « اللامعقول » من اعتراضات لان الكلمتين فى الواقع هما ترجمتان مختلفتان من تراجم متعددة لمصطلح أجنبى واحد هو Absurd الا أن التحديد الذى يقدمه توفيق الحكيم يضفى معنى استعماليا خاصا لهذا المفهوم بالنسبة لمسرحه ، والواقع أن الاستفادة من التجارب الشكلية التى يطرحها الادب والفن الغربيان ليست حقا مشروعا لكل العاملين فى حقل الادب والفن خارج حدود الغرب فحسب بل يكاد أن يكون واجبا على أدبائنا وفنانينا فى هذه المرحلة التى تتشكل فيها ملامحنا الخاصة بشرط أن نفهم هذا التجديد الفنى بنفس الفهم الموضوعى العلمى الذى قدمه توفيق الحكيم نفسه وهو أن « التجديد الفنى الحقيقى ليست معناه حرية التجرد من القيود ، ان معناه الانتقال الى قيود جديدة » .

● ثمة ظاهرة اخرى تتعلق بالشكل المسرحى هى التأثر ببعض التطورات التى حدثت للنص المسرحى الغربى والامريكى الحديث نتيجة للتداخل والتزاوج الذى وقع بين أشكال الفنون المختلفة كالموسيقى والفنون التشكيلية وبين الادب ، وبدأت على سبيل المثال مفهومات موسيقية بحتة مثل **مفهوم « الكونتربوينت »** Counterpoint

ومفهوم « **التنويع** » Variations **ومفهوم التوافق** Harmony تدخل الى صميم الادب المسرحى وتعرف سبيلها الى الظهور فيما اصطلح على تسميته بالاتجاه التركيبى فى البناء الدرامى .

ما معنى هذه المفاهيم ؟ . فى الموسيقى يعنى مفهوم « الكونتربوينت » عزف لحنين متقابلين فى اتجاهين متضادين فى وقت واحد يلتقيان فى النهاية عند نغمة واحدة هى ما يسمى بقرار السلم ، ولقدادى هذا الكشف الموسيقى الهام الى ظهور علم جديد من علوم الموسيقى هو علم الهارمونى او « اصول التوافق الصوتى » لتنظيم علاقة التآلف والتوافق بين هذه الاصوات الكونتربونتية المتقابلة كما أنه فى ميدان الابداع الموسيقى يمكن للمقطوعة الموسيقية الطويلة أن تشتمل على **موضوعات لحنية رئيسية** Themes ينشىء من بينها المؤلف الموسيقى نظاما لحنيا معينا ويجرى فيما بينها تشابكات وتطويرات متعددة بهدف اثراء الموضوع اللحنى الاساسى وتعميق وحدته ، وهذا هو المقصود بالتنويعات .

مثال على ذلك :

فى مسرحية « **الطعام لكل فم** » نجد لحنين اساسيين ، أحدهما يمتدطرفاه بين حمدى وزوجته سميرة ، والثانى يمتد طرفاه بين طارق وأخته نادية .

اللحن الاول هو اللحن الواقعى الذى يجرى بين الموظف وزوجته التقليدية ، والثانى هو اللحن الوهمى ــ لو جاز هذا التعبير ــ الذى تظهر شخصيتاه فى النشع على الحائط ، وينشىء توفيق الحكيم تقابلا بين اللحنين او بين الخطين الصراعيين ، ويجرى على أحدهما تنويعات ، كما حدث فى لحن طارق ـ نادية ، من تنويعات على لحن هاملت والكترا ، وهو يحدث فى النهاية ذلك الانسجام بين اللحنين الذى يؤلف من خلال التفاعل بينهما وحدة المسرحية كلها .

وتوفيق الحكيم فى ختام المسرحية يقدم الاعتذار فى الملحق الذى نشره كتذييل للنص المطبوع ، عن هذه « العقد الفنية » التى يقدمها للمخرجين ، وهو يسمى مسرحيته مسرحية « كونترابونطية » ويشبه نفسه بالمؤلف الموسيقى الذى يستخدم لحنين متقابلين فى قطعة موسيقية واحدة يؤثر أحدهما فى الاخر ويتأثر به ، ويؤدى هذا التأثر والتفاعل الى نمو العمل الفنى حتى يبلغ نضجه الاخير .

ليست مسرحية « الطعام لكل فم » على أية حال سوى مثال على هذا المفهوم التركيبى الذى يمكن أن نجد له أمثلة أخرى كثيرة فى بعض أعمال سعد وهبة مثل « **كوبرى الناموس** » ومسرحيات رشاد رشدى خاصة ، مثل « **رحلة خارج السور** » و « **خيال الظل** » ، و « **بلدى يا بلدى** » وغيرها ،

كما يمكن أن نلمح أثرا له فى بعض اعمال ميخائيل رومان مثل « الحصار » •

● ثمة ظاهرة ثالثة تتعلق بالشكل المسرحى كذلك ، **هى محاولة البحث عن شكل مسرحى مصرى كما يقال** ، ولعل المحاولة الطريفة فى هذا المضمار هى محاولة يوسف ادريس فى « الفرافير » ، فمن تراثنا الشعبى التقط يوسف ادريس شخصية « الفرفور » ، من سامر القرية استنبطها ، وحاول من خلالها أن يرسم ما يصوره من ملامح للمسرح المصرى الاصيل ، ما هو المسرح فى رأى كاتبنا ؟ أنه جماعة انسانية واحدة جاءكل منهم الى هذا المكان لينفض بمكنون قلبه وبأثقال روحه بين الجميع عساه يجد حلا لقضيته ، وبين الجميع « فرفور » أكثر الحاضرين توقدا فى الذهن ، وألمعية فى الذكاء ، وذلاقة فى اللسان ، وقدرة على ادراك المفارقات والتناقضات وتصويرها ، ومن ثم فهو يعتلى خشبة المسرح دون غيره ، ولكنه مع ذلك يحتفظ بالعلاقة بينه وبين الجماعة التى انبثق منها ، ان ما يسمى بالحائط الرابع قد ألغى من على المسرح ، والايهام المسرحى قد انتفى بالمعنى القديم ليفسح مكانه لايهام جديد يلقى فى روع المشاهدين أنهم يشتركون فى المناقشة ويساهمون فى أيجاد الحلول للقضية التى يطرحها عليهم فرفور ، وأنهم فى النهاية يؤدون دورهم فى نسج الرواية !

ومهما قيل عن اصالة هذا الشكل ، ومصريته ، وانبثاقه من تربتنا الشعبية ، فالواقع أنه لم يستطع أن يعيش طويلا فى مسرحنا ، ولم يستطع يوسف ادريس نفسه أن يطوره ، لقد قدمه مرة فى مسرحيته «الفرافير» ثم انتهى الامر ، اليس من المفيد أن نطرح ذلك السؤال الهام فى هذا الصدد : هل هناك أشكال مسرحية مصرية وفرنسية وأمريكية وروسية وباكستانية ويابانية •• الخ ؟ أليس الشكل المسرحى الذى ظهر ذات يوم ضارب فى القدم على أرض اليونان القديمة ، ويقال ان له اباء فى مصر القديمة ، هو الشكل الذى يستخدمه كتاب المسرح فى العالم كله من الولايات المتحدة حتى شواطىء الصين ؟ حقا لقد طرأت عليه التغيرات والتطورات ، ولكنه ما زال أساسا •• حتى للتغير والتطور ، على أن هذا لا يمنع ـ على أية حال ـ الرغبة فى الاجتهاد ، والقدرة على التغيير والتطوير كلما وجدنا الى ذلك سبيلا !

٣ ـ قضية العودة الى التاريخ •• والتراث !!

وما من شك فى أن المتأمل لانتاجنا المسرحى الذى تجمع لدينا فى السنوات الاخيرة ، سوفا تبدهه ظاهرة هامة : هى شدة الحاح مؤلفينا على الاغتراف من منابع التاريخ ، ليس الحديث هنا عن توفيق الحكيم وحده ، بل يوشك الحديث عن هذه الظاهرة أن ينصب على ما تلاه من كتاب المسرح وما أعقبه من أجيال • ان مؤلفا مثل **عبد الرحمن الشرقاوى** تكاد تكون أعماله كلها ـ باستثناء وطنى عكا ـ أن تستمد موضوعاتها من التاريخ القريب أو من التاريخ الاسلامى البعيد ، وان مؤلفا مثل **الفريد فرج** يوشك أن يكون متخصصا فى الموضوعات المستمدة من ألف ليلة وليلة ـ وهى ليست تاريخية ـ وان أمكن اعتبارها كذلك بمعنى ما من المعانى ـ ولكنها جزء لا يتجزأ من التراث • وان مؤلفا مثل **رشاد رشدى** لينكب فى أعماله الاخيرة على التاريخ الاسلامى والتراث الشعبى فينهل منه بغزارة منذ خيال الظل حتى بلدى يا بلدى ، **وسعد وهبة** بدأ هو أيضا منذ السامر حتى « يا سلام سلم » يلتفت الى هذا المنجم الغنى بالقصص والحكايات ، **وصلاح عبد الصبور** فى عمله الاول « مأساة الحلاج » يستمد عناصره أيضا من التاريخ الاسلامى ، وحتى **على سالم** الكاتب الكوميدى بدأ هو أيضا يتنبه الى هذا الكنز المدفون فقدم « مأساة أوديب » فى شكل كوميدى جديد •• وغيرهم ، وغيرهم من كتابنا المسرحيين •

ما سر هذا النزوع التاريخى الذى بدا واضحا فى السنوات الاخيرة ؟ بل ما سر هذا الاهتمام بمرحلة بعينها من مراحل التاريخ تستأثر وحدها بالعديد من أعمالنا المسرحية ، وهى عصر المماليك؟

غير أننا لابد أن نسأل قبل ذلك : **الى أى مدى يمكن أن نعتبر هذه المسرحيات تاريخية فى جوهرها ؟ وهل يمكن لنا أن نقول أن الهدف الذى قصدت اليه هذه المسرحيات هو اعادة كتابة أحداث تاريخية معينة بطريقة دراميـة أو فنيـة ، أو حتى أعطـاء تفسيـرات جـديدة لبعض تلك** الاحداث التاريخية ؟ •• ان النظرة المتأملة فى تلك الاعمال لا يمكن أن تخرج بهذه النتيجة ، فليست مسرحية « **سليمان الحلبى** » لالفريد فرج مثلا مجرد تصوير لاتجاهات المقاومة المصرية ضد الغزاة الفرنسيين ، كما لا يمكن القول أن عبد الرحمن الشرقاوى قد قصد بمسرحيته « **الفتى مهران** » أن يفسر مرحلة تاريخية حكمت فيها مصر شراذم المماليك الجراكسة ، وهو نفس ما ينطبق على مسرحية « **اتفرج يا سلام** » لرشاد رشدى على الرغم من اختلاف طبيعتهما الفنية ، ومواقفهما الفكرية ، كما أن من السرعة والسطحية فى الحكم أن نقول ان مأساة الحلاج هى تصوير لحياة ذلك الفيلسوف الاسلامى المتصوف أو لما عاناه،وننسى

أن جوهر المسرحية يدور حول محور محدد ،هو الصراع بين حرية الكلمة وجلاديها ٠

ما تفسير هذه الظاهرة اذن ؟ هل هو أغتراب ، وهجرة من العصر كما وصفها البعض ، أم هي على العكس مزيد من الالتصاق بعصرنا وعمق وتنوع فى أساليب التعبير عنه ، وليس ثمة ما هو أبعد عن الصواب من الفكرة القائلة بالهجـرة والاغتراب فى هذا الصدد ، ولعل الضجة التى أثارتها ذات يوم التفسيرات المختلفة لمسرحية الفتى مهران تؤكد هذا المعنى ، بل ربما أمكن القول - أكثر من ذلك وأبعد منه - ان هذه المسرحيات التى تتناول موضوعات تاريخية هى أشد أرتبـاطا بواقعنا من كثير من المسرحيات التى تستمد موضوعاتها من الواقع المباشر ٠

التاريخ اذن - أو التراث بشكل عام - فى هذا المضمار،هو مجرد أطار ، أما مايدور بداخله فهو شىء مختلف تماما ، شىء لا ينتسب الى الماضى ، ولكنه ينبثق من الحاضر ، شىء لا تعتريه برودة التراث المتجمد تحت أطباق الثلوج ،ولكن تسرى فيه كل سخونة العصر ، وتتحدث من خلاله كل همومنا وأحزاننا وصراعاتنا ومآسينا وكفاحنا وانتصارنا بنبرات صوتها ، ان التاريخ هنا أشبه بالشجرة العظيمة التى تضرب بجذورها فى الاعمـاق السحيقة للزمن ، ولكنها مع ذلك تغير أوراقها كل عام ، وتطرح فى كل فصل زهورا جديدة ٠

ليست ظاهرة العودة الى التاريخ ، قضية تتعلق بالمضمون الفكرى للاعمال المسرحية الراهنـة ، ولكنها ترتبط أوثق الارتباط بالاطار ، بالشكل ، بالصياغة ، بأسلوب المعالجة لكثير من قضايانا ومشاكلنا الحالية ، التى قد يغر على كتابنا تناولها بطريقة المواجهة المباشرة دون أن يصدموا عيونا كثيرة بخطوطها العارية ، ودون أن يعـرضوا أعمالهم فى نفس الوقت لطائلة الذين يملكون فى واحدة من يديهم سيفا وفى الاخرى ميكرسكوبا دقيقا يفتش فى ضمير الشخصيات المسرحية عن مكنوناتها !

٤ - قضية المذهب الفنى :

ولعل الظاهرة البارزة الاخيرة ، اللافتة للنظر ، هى انتهاء عصر المسرحية « المحكمة الصنع » فى أدبنا المسرحى ، غير أن نزوعنا التجـريبى فى السياسة،قد أثر - فيما يبدو - على نزوعنا الفنى فى المسرح ، فعلى الرغم من أن المذهب الواقعى بمعناه الواسع والعريض ، يوشك أن يكون الاطار العام الذى يتحرك فيه أدبنا المسرحى ، فالواقع أنه من الصعب أن نقول - دون تجاوز للحقيقة - ان الواقعية هى البوصلة الوحيدة التى تقود كتابنا المسرحيين على طريقهم الفنى ، فثمة اتجاه الى التجريد واضح تماما فى بعض أعمـال يوسف ادريس ، وميخائيل رومان ، على سبيل المثال ، وثمة عناصر تعبيرية أحيانا ، وعناصر رومانتيكية أحيانا أخرى تخالط أعمال رشاد رشدى ، وثمة نزوع الى الملحمية والتعليمية يفصح عن نفسه فى بعض أعمال الفريد فرج ٠٠ وهكذا ، ليس من السهل أن نصنف كتابنا الى مدارس أو اتجاهات فنية محددة ، بل ربما لم يكن من اليسير ان ندرج كلا منهم تحت لواء مذهب فنى واحد ، فمعظمهم يحاولون فى أكثر من اتجاه ، وينهلون من أكثر من منبع ، وينتقون من أكثر من مدرسة ، ولا ريب أن قصر تاريخهم الفنى ، نسبيا ، يجعل من الحكم المذهبى النهائى عليهم أمرا متعسفا ، غير أنه من الممكن القول أن معظمهم يتحركون تحت مظـلة الواقعية بفروعها المختلفة ، وان لم يلتزموا دائما بخطوطها المذهبية التقليدية ، حتى بالنسبة للعمل الواحد ، فما أكثر ما نجد مسرحية واحدة تضم فى فصولها المختلفة آثارا لمدارس ومذاهب فنية متعددة !

غير أنه بصرف النظر عن الخلاف الذى يمكن أن ينشأ فى وجهات النظـر حول المسرح المصرى المعاصر : ماهيته وحركته ومسـاره ومصـيره أيضا ، فالامر الذى لا شك فيه أن هذا المسرح استطاع خلال السنوات القليلة الماضية أن يشغل الحياة الفنية والفكرية بما قدمه من أعمال ، وما أثاره من قضايا ، وما طرحه من أفكار ، بل لعله استطاع أن يكون الحلقة الرئيسية فى الحركة الادبية والفنية والنقدية ، والمرآة الساطعة التى عكست كل ما اصطرع ، ويصطرع ، داخـل مجتمعنا فى هذه المرحلة الدقيقة ، من تيارات فكرية ، ومواقف اجتماعية ، وآمال فى الخلاص ٠

وعندما يجلس مؤرخ المستقبل ليسجل تاريخ هذه المرحلة من حياتنا ، سوف يكون مضطرا - رغما عنه - الى أن يدع جانبا كثيرا من الوثائق والنصـوص التى اعتـاد المؤرخـون أن يقلبـوا صفحاتها وهم يتهيأون لكتابة التاريخ ، وسيلقى بناظريه الى هذه الصفحات الاخرى التى وضعها مؤلفون عانوا كثيرا حتى يشهدوا الاضواء تنهمر عليها من فوق خشبة المسرح ، وسيرى فيها سجلا حافلا لصراع شعب من أجل الحرية والعـدل والديموقراطية والانتماء ، وسيلمس بيديه نماذج انسانية عاشت أيامها لتعـانى ، وتتعـذب ، وتناضل ٠٠ وخاضت معاركها وهى تضـحك أحيانا ، ثم وهى تسكب الدموع أحيانا أخرى ٠٠ ولكنهـا فى كل الظروف ، ورغـم كل الظروف ، حاولت بشرف أن تقول كلمتها ، واستطاعت ان تنتزع من الفجر ، وسط الليل المدلهم ، وعـدا باللقـاء !! ٠

المسرح المصرى وتراث الشعب



د. على الراعى

قال ابن دانيال(١)، وهو يصف ما قدمه فى بابة : « **طيف الخيال** » ، من فن ظلى ممتاز :

« صنفت من بابات المجون .. ما اذا رسمت شخوصه ، وبوبت مقصوصه ، وخلوت بالجمع ، وجلدت الستارة بالشمع ، رأيته بديع المثال ،يفوق بالحقيقة ذاك الخيال ».

وهى عبارة ينبغى ان نقف عندها متأملين ، ونحن نتهيأ لفحص تراث الشعب فى المسرح ، انها تحوى أسسا فنية واضحة ، تشهد بأن فن ابن دانيال — خيال الظل — قداستطاع أن يرسى فى مصر المملوكية — أى قبل حوالى ستة قرون من نشأة المسرح العربى المعاصر — فكرةالمسرح فى بلادنا ، مع ما يخدم هذه الفكرة من عناصر فنية وبشرية مختلفة .

والعبارة وردت فى رسالة ضمنها ابن دانيال البابة الاولى من البابات الطليبة الثلاث التى حفظها لنا التاريخ من فن هذا الصانع الممتاز ، وجه ابندانيال هذه الرسالةالى صديق له اسمه على بن مولاهم ، والمتأمل للعبارة الانفة الذكر يجدها ارشادات مسرحية تدخل فى باب النظرية والتطبيق العملى معا .

يقول ابن دانيال : هيىء الشخوص ، ورتبها واجل ستارة المسرح بالشمع ، ثم اعرض عملك على الجمهور وقد اعددته نفسيا لتقبل عملك ؛ بثثت فيه روح الانتماء الى العرض ، وجعلته يشعر بانه فى خلوة معك .

فاذا ما فعلت هذا فستجد نتيجة تسرخاطرك حقا : ستجد العرض الظلى وقد استوى أمامك بديع المثال ، يفوق بالحقيقة المنبعثة من واقع التجسيد ماكنت قد تخيلته له قبل التنفيذ .

وفى هذا القول ـ كما اسلفت ـ يجتمع التطبيق العملى والنظرية الفنية معا: الشخوص وتبويبها وطلاء الستارة فىجانب التطبيق، وفكرة الاختلاء بالجمهور وخلق مشاعر الانتماء الى العرض فى جانب النظرية ، مضافا الى هذه النقطة الاخيرة هذا المبدأ الفنى الهام وهو : أن التجسيد وحده هو حقيقة العمل المسرحى ،وأن جمال المسرح يتركز فى العرض امام الناس وليس فى تخيل هذا العرض على نحو من الانحاء [فى الذهن مثلا ، او بالقراءة فى كتاب] .

وفى تقديرى أن اللحظة التى كتب فيها ابن دانيال هذه العبارة قد كانت حاسمة فى تاريخ المسرح العربى عامة ، وفى تاريخ الكوميديا الشعبية بصفة خاصة .

اقول هذا وفى ذهنى امران : اولهما أن المسرح العربى كان قد شهد قبل ابن دانيال محاولات واضحة للانولاد ، وذلك فى بعض مقامات بديع الزمان الهمذانى ، والحريرى ، وسواء أعتبرنا ان هذه المحاولات قد انتهت الى الاجهاض ، كما يذهب بعض الباحثين ، او ان الدراما التى نشأت عنها هى نصف دراما ونصف رواية ، كما يذهب باحثون آخرون،او أن الدراما التى تكونت فى حضن المقامة قد كانت مسرحا فعلا ، لم يمنعه من النمو والازدهار الا أن مبدأ التشخيص عن طريق البشر قد كان محظورا من اصله ـ كما يذهب كاتب هذه السطور ـ سواء أخذنا بأى من هذه الاراء ، ام رفضناها فالواقع الذى لا شك فيه هوان ابن دانيالقد أخذ ماتكون فى حضن المقامة من دراما ـ ايا كان شأنها ـ وجعل منها مسرحا حقيقيا له نظرية واضحة ، وممارسة اوضح .

ففى باب النظرية يصف ابن دانيال عمله فى بابة : « طيف الخيال » بقوله :

خيالنا هذا لاهل الرتب
والفضل والبذل لاهل الادب
حوى فنون الجد والهزل فى
احسن سمط واتى بالعجب

فهو فن يمزج الجد بالهزل ، ويتوسل بالمهارة الفنية لبهر النظارة .

أما اسلوب اداءالفن فهو مختلف تمامالاختلاف عن اسلوب الرواة ، سواء رواة الشعر أم رواة المقامات والحكايات، انهيقوم علىمبدأ التشخيص لكل شخص دور ، ولكل دور صوت ، وهذا كله على خلاف مبدأالراوى الذى يتلبسكل الاشخاص وينطق بلسانهم جميعا . يقول ابن دانيال :

اذ قام فيه ناطق واحد
عن كل شخص ناظر واحتجب

ثم هو فن يتوجه الى جماهير من دم ولحم ، جماهير قدموا لرؤيته ، ودفعوا مالا فى سبيل شهوده ، هم نظارة حقيقيون ، وابن دانيال يعلم أن فنه لا قيام له الا اذا موله هؤلاء النظارة ، ولهذا فهو ـ ماديا ـ يتوجه اليهم بطلب المعونة ـ وفنيا ـ يشركهم فى الاحداث بتوجيه الخطاب اليهم فى مواضع معينة من باباته . يقول ابن دانيال :

مذاهب الفضل به جمة
فنطقوه سادتى بالذهب

هذه ـ اذن ـ هى بعض الاسس النظرية الفنية التى اقام ابن دانيال عليهافنه الظلى : مسرح شعبى بالجمهور وللجمهور ، وفن منوع يمزج الحقيقة بالخيال ، والمجد بالهزل ، ويعتمد على اوسع قدر من مشاركة الناس فيه ، بالمال والحضور والاستمتاع .

ثم يقدم ابن دانيال مادة مسرحية حقيقية بعد هذا ، يخوض بحور الكلام وأكداس العبارات التى كانت تكون المقامة فيما مضى ، وينتقى منها جميعا جواهر فنية، يخلق بعضا من الشخصيات المسرحية الشعبية التى لاتزال بيننا حتى الان !! ام رشيد الخاطبة ـ القوادة ، الكاتب القبطى المدلس ، الشاعر المزيف المتعاجب بالالفاظ الجوفاء ، والطبيب الدجال الذى يرى الكسب اهم بكثير من أرواح ضحاياه ، كل هؤلاء نجدهم فى بابة : طيف الخيال .

أما فى البابة الثانية التى ابدعها ابن دانيال واسمها «عجيب وغريب» ، فان الهدف الرئيسى هو امتاع الجمهور وبهره بمناظر وشخصيات منتقاة من السوق : الواعظ ، والحاوى ، وبائع الاعشاب [الشربة العجيبة كما نقول اليوم !!] والمشعوذ والمنجم ، والقراد [القرداتى] ومدرب الافيال ، والراقص الاسود ، الذى يجمع بين البهلوان والمغنى .. الخ .

كل هذه الشخصيات ينتزعها ابن دانيال من واقع السوق ويجعل لها وجودا فنيا على المسرح عن طريق «المقصوصات» ، اى عن طريق رسمها على الجلد واحالتها الى دمى ذات بعدين يحركها اللاعب المؤدى من وراء ستار ، ثم ينشىء لها ابن دانيال حياة مؤقتة ، تعرض اثناءها مهارتها فى الاداء وتعرض ايضا حالها ، فكثير منهايشكو الفقر للجمهور ، بغية الاستعطاء ، مما يجعل المشاهد يتجاوز المتعة الظاهرة الى شىء من التعاطف مع أناس يلتقطون الرزق من أفواه الخطر ـ من أنياب الثعبان ، أوخرطوم الفيل ،

أو اعتمادا على مهارة القرد .. أو يغتنمون الصفو المؤقت كى يمرحوا بعيدا عن تهديد دائم الوجود فى حياتهم ، مثلما يفعل نانو ، السودانى الذى تبدر منه اشارة عابرة — ولكنها مؤثرة — الى حقيقة حاله ، وراء مايقدم من ألوان الرقص والغناء والتهريج ، الموحية بالسعادة ، ولكنها سعادة ظاهرة وحسب .

صفى لى الطبطاب .. عيشى اليوم طاب .. لاكان الجلاب ..

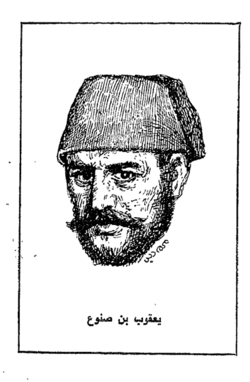
فهو حين يطيب له العيش لحظة ، يسارع بالهتاف بسقوط الجلاب — جلاب العبيد ، الذى انتزعه من موطنه ورماه الى هذا الهم ، وهو يذكر أثناء الصفو أيضا « السمرا المحبوبة ، الحمرا كالطوبة ، من خلا النوبة » ويأسف لانها فاتت ، وياما فاتت .

ان نظرة ابن دانيال الى فنه ، وهى نظرة جادة من وراء الهزل ، تجعله يضفى على مقصوصاته هذه الحياة الاضافية ، التى تضيف الى الدمى بعدا ثالثا ، وتكاد تجعلها شخصيات انسانية حقيقية تتحرك على المسرح .

ثم تأتى بعد هذا حقيقة تذكرها كتب التاريخ ، وهى أن البابات الثلاث : « طيف الخيال » ، و « عجيب وغريب » و « المتيم والضائع اليتيم » ، (ولم نعرض لهذه الاخيرة بالحديث) قد كان مقصودا بها ان تعرض تباعا فى ثلاث ليال متوالية ، وهذا تقليد مسرحى معروف فى دراما العصور الوسطى ، ويزيد من شعورنا بانتماء البابات الى دراما العصور الوسطى كما عرفتها اوروبا شخصية ملك الموت التى تظهر فى بابة « المتيم والضائع اليتيم » فان هذا الملك يظهر للمتيم وهو فى أوج تمتعه الفاحش باللذات ، مابين مشروع ومنكور ، فيصرخ صرخة يوقظ بها النيام ومن ثم ينهار المتيم ، ويتبين ضياعه واسرافه على نفسه ، ويخشى يوما لاراد له ، امام عزيز مقتدر فيقرر من قدره أن يتوب الى الله .

وهذا بالضبط هو مايحدث فى المسرحيات الاخلاقية التى كانت أوروبا تقدمها للمؤمنين بغية هدايتهم ، وتستخدم فيها الشخصيات المجردة ، مثل ملك الموت ، ومثل الشخصيات التى تمثل الفضائل أو الرذائل التى تتعامل على الانسان .

كل هذا يشهد بأن مصر قد عرفت دراما كاملة ، ذات نظرية وممارسة عملية واضحتين ،



يعقوب بن صنوع

وذات صلات ليست أقل وضوحا بالجسم العام للدراما الذى كان معروفا انذاك فى العالم الوسيط .

واهمية بابات ابن دانيال ترجع — بعد هذا — الى اسباب تتصل بالماضى كما تتصل بالحاضر ، فهى قد استقطبت ما فى المقامات من امكانيات للدراما ، وهذه الامكانيات هى اهم ما استطاع الادب العربى أن ينتجه على سبيل المسرح ، قبل ظهور ابن دانيال .

وهى قد أقامت فى مصر مسرحا حقيقيا ، ليس فقط بما قدمته من امثلة تطبيقية لفن المسرح بل ربما زرعته من تقاليد مسرحية ، غرست فكرة المسرح فى نفوس الناس وحفظتها من الضياع الى أن جاء الوقت الذى عرف فيه العرب المحدثون المسرح البشرى نقلا عن اوروبا .

فعن طريق خيال الظل عرف المصريون لقرون متوالية ، عادة الذهاب الى المسرح ، بما فى هذا من مقومات مادية واضحة : الاضاءة ، الالوان ، الازياء ، الحوار ، فنون الاداء المختلفة — من رقص وغناء وموسيقى ، ثم قصة مسرحية من نوع او آخر تعتمد على نوع من الحوار .

والنتيجة العميقة لهذا كله أن مصر قد كانت مهيأة اكثر من غيرها من البلاد المجاورة لتقبل فكرة المسرح عامة ، والمسرح البشرى بصفة خاصة حين أخذت الفرق المسرحية والافكار

المسرحية ذاتها ترد الى بلادنا ابتداء من نهاية القرن الثامن عشر .

ثم امتد اثر خيال الظل المصرى الى تركيا ، حين حمل السلطان سليم الاول معه بعضا من المخايلين المصريين ، وامتد الخيال التركى من تركيا الى البلاد العربية التى نكبت بحكم الاتراك العثمانيين ، مثل سوريا ، التى كان مقدرا لبعض بنائيها أن يحملوا الى مصر بعضا من أثر القراقوز وانما فى صورة فريدة حقا ، سوف نعرض لها بعد قليل ، أما فى مصر ، فقد ترك خيال الظل بعضا من الاثر فى فن الاراجوز وذلك حين اخذ نجم خيال الظل فى الافول ، ويمكن افتراض أن ظهور السينما ، وصعوبة ممارسة فن خيال الظل ، والقدرات الفنية والمادية التى يتطلبها، قد جعلا فن الاراجوز الاسهل والاقل تكلفة ، هو الصيغة الفنية الشعبية الملائمة لذلك الزمان ، ومن ثم أفاد فنانو الاراجوز من التراث الكبير الذى تركه فن خيال الظل ، من شخصيات ومواقف ونكات وتهريج وضرب بالعصى . الخ(٢)

ومن خيال الظل ، ومن الاراجوز ، أفادت الفصول المضحكة التى بدأت مصر تعرفها منذ أواخر القرن الماضى ، والتى كانت تقدم عقب التمثيل الجاد على المسارح ، على سبيل الترفيه عن الجمهور بعد الفواجع الكثيرة التى كان فنانو ذلك الزمان يدغدغون بها أعصاب جماهيرهم .

وقبل أن ننتقل الى الحديث عن هذه الفصول المضحكة ، وما تعامل عليها من مؤثرات فنية مختلفة ، ما بين عربية وأوروبية ، ينبغى أن ننظر قليلا فى التراث المسرحى الشعبى الذى وردت اشارات متعددة اليه ابتداء من أوائل القرن التاسع عشر ، والذى كان يعتمد على التمثيل البشرى ، وتتركز أهميته فى انه الدليل الوحيد الذى نملكه ، على أن مصر قد عرفت التمثيل البشرى منذ ذلك التاريخ — على الاقل — وانها انشأت به نوعا شعبيا من الكوميديا تأثر به المسرح البشرى المكتوب ، الذى استجلبه رواد من أمثال يعقوب صنوع .

يرجع أقدم هذه الاشارات الى عام ١٨١٥ ، حين شاهد الرحالة الايطالى بلزونى مسرحيتين قصيرتين قدمتا ضمن احتفال بالزواج اقيم فى شبرا .

والمسرحية الاولى تدور حول لعبة مزدوجة يقوم بها راعى ابل ، اذ يتوسط بين بائع جمال ومشتر يحصل من الاول على جمل قوى صحيح، ويدفع فيه ثمنا قليلا ، ثم يبيع للمشترى جملا آخر هزيلا ، يتقاضى فيه مبلغا كبيرا ، وهكذا يحقق راعى الابل لنفسه كسبا مضاعفا ، فهو يحتفظ لنفسه بالجمل القوى ، وبفارق الثمن معا .

والمسرحية تقدم لمشاهديها تحذيرا واضحا بألا ينخدعوا بالوسطاء التجاريين ، وهى تعرض عليهم فى ذات الوقت شيئا من فنية المسرح ، فان الذى يقوم بدور الجمل الهزيل ممثلان شعبيان ، يختفيان وراء الكسوة التقليدية للجمل ، كما أن شخصية راعى الابل بها بعض من التركيب الفنى ، يحتاجه صاحبها كى يستطيع أن ينجز خداعه المزدوج .

أما المسرحية الثانية ، فقد اختتمت حفل الزواج ، وهى أقرب ما تكون الى طبيعة الفصل المضحك ، وفيها يظهر ابن البلد ، ومعه سائح أجنبى ، اصطحبه الى بيته كى يطعمه ، رغم فقر ابن البلد المدقع .

ويطلب صاحب البيت من زوجته أن تذبح خروفا ، فتتظاهر هذه بالطاعة وتعود لتقول ان قطيع الخراف كله قد فر هاربا ، فيطلب الزوج أربع دجاجات ، ولكن الدجاج كله قد «هج» ، ولا أحد يستطيع أن يمسك به ، ويطلب الزوج حماما ، ولكن هذا قد ترك أعشاشه وطار ، ويكون على السائح — فى النهاية — أن يقنع ببعض الجبن واللبن الرائب ، فهذا هو كل مافى البيت من ادام !

ويصف بلزونى : السائح الاجنبى ، بأنه كان يشغل دور المهرج فى المسرحية .

فاذا أضفنا الى هاتين المسرحيتين المسرحية الهجائية القصيرة التى شاهدها أدوارد لين حوالى عام ١٨٣٠ ، والتى قال انها مثلت أمام محمد على بمناسبة ختان واحد من انجاله ، استطعنا أن نصل — دون تعسف — الى قرار واضح ، وهو أن ثمة لونا من الوان التمثيل البشرى قد كان موجودا فى مصر قبل عام ١٨٧٠ — العام الذى بدأ فيه يعقوب صنوع نشاطه ،

---

[٢] قال لى فنان الاراجوز سيد المصرى محمد ، انه بدأ حياته فنانا لخيال الظل ، ثم انتقل الى فن الاراجوز للاسباب التى اوردت بعضها واهمها : ظهور السينما .

وان هذا التمثيل قد سبق جهود فاروق النقاش لزرع فكرة المسرح فى التربة العربية ، وهى الجهود التى بدأت فى بيروت عام ١٨٤٨ .

ومعنى هذا أن مسرحا شعبيا مصريا خالصا من المؤثرات الاوروبية قد اتصل نشاطه طوال معظم القرن التاسع عشر ، وأن هذا المسرح قد جعل من السهل على الرائد يعقوب صنوع أن يبدأ جهوده لتأسيس « التياترات العربية » على حد تعبيره ، فهذه الجهود لم تبدأ من نقطة الصفر ، كما يود يعقوب صنوع لنا أن نعتقد ، بل ان التحليل النقدى لفصل ابن البلد والسائح ليدل بوضوح على أن صنوع قد انتزع بعض شخصيات مسرحه من مسرح قائم فعلا ، ومدعم بسنوات من الممارسة المتصلة .

ان النتفة المسرحية التى كتبها يعقوب صنوع باسم : « السائح والحمار » — بتشديد الميم — تستخدم شخصية السائح الاجنبى ، الذى يجمع بين المكر وشيء كثير من العبط ، وهى شخصية أصبحت أثيرة فى الكوميديا الشعبية المصرية ، فهى تظهر أيضا فى مسرحية صنوع المسماة الصداقة ، التى يتنكر فيها الشاب نعوم ، خطيب الفتاه نعمة ، فى سمت تأجر انجليزى غنى، يتكلم العربية المكسرة ويتصرف بالطريقة ذاتهـا التى تجمع بين العبط والخبث ، والتى نجـدها فى شخصية السائح فى نتفة يعقوب صنوع ، وفى الفصل المضحك الذى شاهده بلزونى .

وقد عرف السائح الاجنبى — أو السائحة — من بعد طريقا واضحا الى كوميديا الشعب ، وذلك فى مسرحيات الكسار والريحانى حيث هو دائما مصدر من مصادر الفكاهة اللذيذة .

والى جوار هذا ، فان قيام مسرحية هجائية ، ذات نضج واضح كمسرحية الفلاح ، تدعم أيضا ما نقول به من وجود مسرح مصرى خالص سبق جهود الاستيراد المعروفة .

ان تركيب مسرحية الفلاح ، وطريقة صنع شخصياتها لا تظهر أى أثر أجنبى ، وانما توضح أن المسرحية قد استمدت مقوماتها الفنية من مسرحى خيال الظل والاراجوز .

ان أثر هذين المسرحين يظهر فى مشهد طرح الفلاح عوضين أرضا ، وفى استغاثاته المضحكة بذيل حصان شيخ البلد ، وبسروال زوجتـه وبعصبة رأسها الى آخره .

كما يظهر فى الاغراض العريانة التى تبين عنها بعض الشخصيات ، والاستجابات المباشرة التى تقدمها الشخصيات الاخرى ردا على هذه الاغراض : الرشوة تقدم بصراحة وتقبل بصراحة ، وعرض زوجة الفلاح جسدها على الحكام — فى سبيل انقاذ زوجها من الحبس — يتم بلا نضال ويقبل بلا حرج من جانب الناظر ، ونتائج عروض الرشوة المالية والجسدية مباشرة وآلية معا .

والضحك من الفلاح — وهو المجنى عليه — واظهاره بمظهر مغفل القرية ، هو أيضا بعض من ضحك الاراجوز ، الذى يتسم — أحيانا — بفقدان الضمير فقدانا تاما .

دعم صنوع المسرح الشعبى فى بلادنا بكثير من الشخصيات التى لازمته حتى النهاية ، وبعض هذه الشخصيات نجده عند ابن دانيال كشخصية الخاطبة ، وشخصية السودانى أو النوبى وشخصية المغربى الكداب، والبعض الاخر انتزعه من البيئة المحيطة ، مثل شخصية الجرسون اليونانى ، وشخصية اليونانى الغلباوى ، الذى يتظاهر بأنه ابن بلد يعرف كل ما فيها ، ويتحدث لغتها بكل فصاحة .

ورغم استناد مسرح يعقوب صنوع الى مؤثرات أجنبية واضحة أهمها — بالطبع — موليير ، فان التيار الشعبى فى مسرحه يظل فى معظمه مصريا خالصا ، بحيث يجرى التياران ، المحلى والعالمى ، متوازيين فى مسرحيات صنوع وقلما يلتقيان .

على أن المسرح الشعبى المصرى لم يقدر له أن يظل خالصا من الاثر الاوروبى لفترة طويلة بعد توقف نشاط صنوع المسرحى عام ١٨٧٢

فقرب أواخر القرن ،بدأ أثر الكوميديا الشعبية الايطالية يبدو واضحا فى الفصل المضحك المصرى ، ومن يقارن الفصل المضحك الذى شاهده بلزونى بالفصل المضحك الذى شاهده بروفر فى القاهرة فى أوائل العشرينات ، يلمس بوضوح التغير الذى حدث بدون فصل بروفر حول خادم مضحك يرتدى ملابس المهرج المرقعة، ويخدم ضابطا ويقيم علاقة سرية مع زوجة مخدومه ، ويحوى الفصل بعض النمر التهريجية التقليدية فى الكوميديا الشعبية ، ولكن يلفت النظر فيه شخصية الاوروبى المتفاخر العبيط ، الذى يرتدى ملابس الجنود الانجليز الحمراء الفاقعة ، وهو يتعرض للضرب المتواصل خلال الفصل كله .

هناك صلة واضحة بين فصل السائح وابن البلد الذى شاهده بلزونى، وبين فصل بروفر، وتتمثل هذه الصلة فى الاجنبى العبيط ، ولكن الشخصيات

فى فصل بروفر قد داخلها تبدل واضح ، دخلت شخصيات أجنبية على راسها الخادم المهرج ، بينما التهريج فى فصلى : بلزونى ويعقوب صنوع يقوم به الخواجات العبط ، كما اننا نلاحظ أن الخادم فى فصل بروفر يقيم علاقة سرية مع زوجة مخدومه ، مما يقطع بصلته بالكوميديا الشعبية الايطالية التى تحوى أمثال هذا الخادم المهرج الطموح ، كما تحوى شخصية الزوجة الغزلة المخاتلة ، والزوج المخدوع ، والغبى المتفاخر .

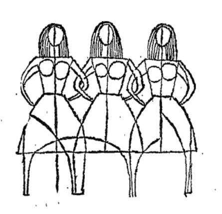
وقد فصلت فى كتابى : « الكوميديا المرتجلة فى المسرح المصرى » ، الحديث عن الفصول المضحكة التى تنتمى الى لون الكوميديا المرتجلة ، والتى كان المسرح الشعبى يقدمها فى الاحياء الشعبية والمقاهى وباقى التجمعات المشابهة ، ابتداء من أواخر القرن الماضى أو أوائل هذا القرن ، والتى أدخلها الى بلادنا الفنان السورى : جورج دخول ، وهى الفصول التى كان لها أبلغ الاثر فى فنى كل من على الكسار ونجيب الريحانى .

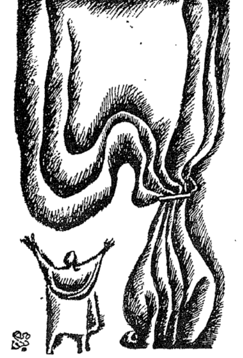
أما هنا فانى أود أن أضيف حقيقة وقعت عليها منذ ظهور هذا الكتاب ، وهى أن جورج دخول لم يكن متأثرا بالكوميديا دىلارتىالايطالية وحدها ، وانما حمل معه أيضا اثرا واضحا من القراقوز — أو خيال الظل التركى ، وقدم فصولا وشخصيات من القراقوز بالتمثيل البشرى وحده وليس عن طريق الخيال .

والظاهر أن فصول الكوميديا المرتجلة التى كان يقدمها دخول قد اثرت أيضا فيما بقى قائما من خيال الظل المصرى لدى مستهل القرن فى مصر ، يشير الى هذا ما يقوله فنان خيال الظل المصرى : الريس محمد فى واحد من تسجيلاته أجراه معه مركز الفنون الشعبية فى القاهرة ، فهو يصف بعض موضوعات خيال الظل المصرى فنلمس فيها نقاط التقاء كثيرة بفصول جورج دخول: العاشق والعاشقةوالمهرج ذو الملابس المرقعة ، وهو يسميه المرقع ، واسم العاشقة المثبت ، بديعة ، والخواجة ، بل واسماء بعض الفصول:مثل اللوكاندة فى البرية . الخ .

ومعنى هذا أن فصول الكوميديا المرتجلة كانت تمثل بالبشر وبالخيال معا .

ومعناه أيضا أن فن خيال الظل المصرى قد دار دورة كاملة من مصر الى تركيا الى سوريا الى مصر قبل أن يحقق الاتصال المباشر بالتمثيل البشرى ، أى قبل أن يخطو الخطوة المنطقية التالية لقيام فن تمثيلى متكامل عن طريق الدمى أو الخيال ، وهى : نبذ التمثيل بالوساطة ، وبروز الفنان المحرك للدمى أو الصور ، ليمثل بالاصالة عن نفسه وليس نيابة عن احد .





المسرح المصرى والطبقة المتوسطة

سامى خشبة

ليس هناك نوع من الفن خاص بطبقة معينة ، فقد أنتجت الفن المسرحى — مثلا — أنواع مختلفة من المجتمعات ذات التركيبات الطبقية المختلفة ، وظل هناك قدر كبير من التشابه بين « الاشكال » الفنية للاعمال المسرحية التى أنتجتها هذه المجتمعات •

ولكن الفن باعتباره جزءا من ثقافة كل مجتمع ، لابد أن يعكس فى أشكاله وأساليبه ، أو فى موضوعاته ومضامينه ، طبيعة المجتمع الذى ينتجه ، وطبيعة الطبقة الاجتماعية التى تنتج هذا الفن وتستهلكه ، والتى ينتمى اليها بأفكاره ومشاعره الفنان الذى أنتجه •

وهناك ثلاثة جوانب رئيسية فى علاقة الفن بالمجتمع ، لابد ان تظل منفصلة فى ذهن الناقد أو مؤرخ الفن ، رغم انها قد تختلط أحيانا ، أول هذه الجوانب هو الجانب الجمالى الخالص ، وثانيها هو الجانب الاجتماعى ،وثالثها يمزج بين الجانبين الاجتماعى والجمالى •

ومن الواضح أننا سنهتم هنا بالجانب الثانى ، الاجتماعى ، للفن ، الذى يتضمن تحليل تطور الفن فى محتواه الاجتماعى ، والتأثير الذى مارسته الكتل الاجتماعية التى شاركت فى العملية الاجتماعية على الفن فاثرت بذلك على طبيعته النوعية ، أنها مسألة تهتم أساسا بتوضيح المطالب التى توجهت بها هذه الكتل الاجتماعية الى الفن ، وكيف لبى الفن الذى تم انتاجه تلك المطالب ، وما هى العوامل التى ساعدت على اثارة وتوجيه عملية

تحويل تلك المطالب الى أعمال فنية بعينها ، وأخيرا نوعية الايديولوجية التى تخللت تلك الاعمال (١) .

اننا لن نتحدث هنا عن جانب من نظرية علاقة الفن بالمجتمع ، ولكننا نزمع فى هذه السطور ، أن نقدم الخطوط العريضة لتطور المحتوى الاجتماعى للمسرح المصرى ، والتأثير الذى مارسته الطبقة المتوسطة المصرية على هذا المسرح وعلى الاعمال التى أنتجها والتى اقتصر استهلاكها أساسا على أبناء الطبقة المتوسطة المصرية ، وخاصة فى المدن الكبرى والعوامل التى جعلت حركة المسرح المصرى مرتبطة أوثق ارتباط بحركة هذه الطبقة السياسية والاجتماعية .

فحينما بدأ الفن المسرحى المصرى فى الظهور على أيدى أفراد متفرقين من أبناء الطبقة المتوسطة المستنيرين فى لبنان والوافدين الى القاهرة كانت الطبقة المتوسطة المصرية قد قطعت شوطا لا بأس به فى سبيل تكونها الحديث .

كانت هذه الطبقة قد استندت فى اكتساب مكانتها الاجتماعية على « التعليم الحديث » من جانب ، وعلى وضعها البيروقراطى الجديد فى دولة محمد على وأبنائه من جانب آخر ، ثم على الحركة التجارية الجديدة الناشطة فى مرحلة بناء دولة جديدة وقوية من جانب ثالث ، أى أنها نشأت فى صورة موظفين وتجار صغار بشكل أساسى تمركزوا فى العاصمة وفى بعض المدن الكبرى .

كان التعليم الحديث قد فصل الموظفين ـ عصب الطبقة الناشئة ـ عن مصادر الثقافة السائدة فى مجتمعهم ، ولكنهم ظلوا أيضا محافظين على تراثهم الاخلاقى والفكرى الذى أخذوه عن ذلك المجتمع القديم ، ولذلك فان الفنون الوافدة الجديدة ، التى تتطلب نوعا من الطقوس يملى الخروج على بعض التقاليد الاخلاقية والاجتماعية السائدة ، مثل المسرح ، لم يكن من الممكن فى البداية أن تنال تعاطف هذه الطبقة المتطلعة الى حياة من نوع جديد ، والمتطلعة الى تقليد عناصر البورجوازية الاوروبية الوافدة والارستقراطية المتمصرة التى شرعت فى تقليد أصدقائها الاوروبيين منذ زمن ، ولكنها الخاضعة بتزمت لقيمها الاخلاقية الموروثة ، ولذلك لم يكن غريبا أن يظل جمهور المسارح المصرية ، وجمهور مسرح يعقوب صنوع ، وهو أول مسرح مصرى خالص ، يأتى من بين الفئات الدنيا من الطبقة المتوسطة ، أو من أقرب هذه الفئات الى طبقات الحرفيين والصناع وصغار التجار والعمال، فى مرحلة من تطور المجتمع المصرى ، لم تكن التكوينات الطبقية قد وصلت فيها الى مرحلة ناضجة ، وقد ظل هذا الجمهور هو نوع الجمهور السائد فى المسارح المصرية ، وفى أكبر هذه المسارح وأشهرها حتى فترة متأخرة ، ولنقرأ مثلا هذه الفقرة التى يكتبها « ناقد » جريدة المؤيد فى يوم الاحد ١٤ اكتوبر عام ١٩٠٦ :

« ... قد يكون من الخطأ ان يحكم الناس على آداب الامة باسرها فى الاجتماع بما يشاهدونه من المتفرجين فى « دار التمثيل العربى » لان هؤلاء المتفرجين هم غالبا عبارة عن تلاميذ من المدارس او مرفوتيها وعبارة عن جماعة من الفلاحين المتمدنين الذين جاءوا مصر فتطوحت اقدامهم لشاهدة « التشخيص » على ما يقولون وقل ان تجدين هؤلاء المجتمعين شخصا ذا مقام واعتبار ، وقد تجد فى بعض « البنوارات » جماعة من عمال مطابع الجرائد « الوطنية » وهذا هو ما نلومها عليه لتبذلها فى اعطاء هذه الامكنة اللائقة بمحرريها المثلين لها باعطائها الى عمال بازياء غير لائقة واخلاق غير مناسبة لمثل هذه الامكنة ... الاحظ ان الاجواق [يقصد : الجماعات] النسائية التى تحضر لمشاهدة التمثيل تدخل من باب موجود فى جهة غير لائقة لان تدخل منه المخدرات من النساء نظرا لما حوله من الحانات وبيوت الفجر ، كما اضيف ان الخدم الذين يقومون بخدمة النساء هم من الرجال وهذا لا يليق ابدا بل هذا هو ما يحمل كثيرا من الرجال المصريين ارباب العائلات على اعتبار ذهاب نسائهم فى هذا المجتمع شائنا معيبا » . [٢]

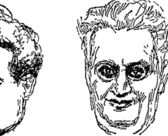
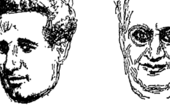
البداية « الوطنية الديمقراطية »

فى عام ١٨٧٠ أقام **يعقوب صنوع** أول فرقة مسرحية مصرية ، بممثلين مصريين (كلهم من الرجال) تقدم المسرحيات الصغيرة التى كان يكتبها أو يقتبسها بنفسه ، وكان من البديهى أن يظل جمهوره خالصا من الرجال وحدهم ، ومن نفس نوع الجمهور الذى تحدث عنه ناقد جريدة المؤيد .

---

[1] The October revolution and the Arts - Yuri Davidov - Prgress Pud. Moscow - P. 5.

[٢] نقلا عن « تاريخ المسرح العربى » تأليف : الدكتور فؤاد رشيد ـ ص ٣٥ . وجدير بنا هنا ان نلاحظ ملاحظتين : [١] كانت جريدة المؤيد جريدة وطنية محافظة ، ذات ميول دينية ، مرتبطة بفئات عليا من الارستقراطية والطبقة المتوسطة المصرية . [٢] نحن نتحدث هنا عن المسارح التى كانت تقدم اعمالها بالعربية الدارجة غالبا والمطعمة بالفصحى احيانا لا عن الاوبرا مثلا التى كانت موقوفة على الفرق الاجنبية وعلى جمهور من الاجانب او المتمصرين .






جـورج أبيض — سـيد درويش — يوسـف وهبى — نجيب الريحـانى

ولكن الحركة الوطنية والديمقـراطية كانت تختمر وتظهر ثمراتها فى ذلك الحين (قبل الثورة العرابية باثنى عشر عاما ، وفى مرحلة التمهيد للصدام الواسع الاول بين الوطنية المصرية وطلائع الاستعمار الاوروبى وبقايا الارستقراطية المتمصرة فى الداخل) • ورغم أن هذه الحركة كانت تحقق تقدما ملموسا فى هذه الفترة ، فان الموضوعات الاولى التى تعرض لها يعقوب صنوع كانت ذات طبيعة اجتماعية واخلاقية فى الاساس ، وأسماء المسرحيات تكفينا للتدليل على ذلك : **آنسة على الموضة ، غندور مصر ، الضرتان** ، وكان مـن البديهى أن يوافق جمهوره على وجهات نظره النقدية وهجومه على « الموضة » أو على « غندرة الرجال » ولكن كان من البديهى أيضا أن يوبخه الخديو نفسه ـ ممثلا لكل أصحاب السلطة فى المجتمع ـ لهجومه على تعدد الزوجات (رغم أن الخديو اسماعيل الذى كان يود لو يصطنع لنفسه عاصمة اوروبية فيها مسارحها أيضا ، كان قد شجع صنوع فى البداية) ، وكان من البديهى أن يلجأ صنوع فى مرحلة تقليد الاعمال الاوروبية المشابهة ، الى تقليد الشكل المسرحى أيضا ، بل انه كان يقلد هذا الشكل فى الاساس ليصب فيه موضوعاته المحلية ـ وان كان جمهوره البسيط يفرض عليه أن يكسر الحاجز المسرحى التقليدى ، ولكن دون أن يخل باستقلال المنصة الكامل عند الصالة •

وعندما ازدادت ارهـاصـات الحركة الوطنيـة والديمقراطية نضجا ، وبدأت الطبقة المتـوسطة الناشئة تكتسب وعيها بمصالحها ومطـالبها ، ومكامن الخطـر عـلى تطـورها ، وارتفـعت شـعارات « مصـر للمصـريين » ، « مجلس الشورى » « الرقابة على الميزانيـة » « الحد مـن فوائد القروض » ، « ضرورة تنازل الدائنين عما لم يصل من أصل القروض » •• الخ • لاول مرة تغيرت موضوعات مسرحيات صنوع ، وأصبحت أسماؤها « **حارة مصر** » « **جـون بول** » « **الوطن والحرية** » ، ويصبح أسـم مسـرحية « **التياترو الوطنى** » ، (٣) ، **وقدم عبد الله النـديم** مسرحيته المشهورة فى الاسكندرية باسم « **الوطن** » •

كانت الموضوعات الوطنية تجمع جمهورا من الطبقة المتوسطة (٤) التى اشتد عودها السياسى فى مجال الصراع السياسى الديمـوقراطى الى جانب قطاع كبير من الارستقراطية المتمصرة التى أسخطها تدخل الاوروبيين واشتداد قبضتهم على البلاد ، وكان من الطبيعى أن تجتذب موضوعات النقد الاجتماعى والديمقراطى جمهور الطبقـة المتوسطة المصرية ـ بفئاتها المختلفة ، فـالحركة الوطنية تجتذب جماهير الفئات الدنيا ، وتوحد كل الفئات المناقضة للتسلل الاستعمارى فى جبهة ذات مصالح مشتركة •

كان المسرح فى تلك الفترة امتدادا للصحافة الوطنية الناشئة ، وجزءا من الانتـاج الطبيعى لحلقات المثقفين الوطنيين الواعين الى حد كبير بمصالح طبقتهم التى كان من البديهى أن تكون فى نظرهم هى مصالح « الوطن » و « البلاد » وكان من الطبيعى أن يكون أهم المشتغلين بالمسرح ، صنوع والنديم ، من بين أهم المشتغلين بـالصحافة السياسية بالذات ، وفى بعض الاحوال كان من الطبيعى أن يوافق الخديو والارستقراطية المتمصرة على بعض المسرحيات ، ثم يهاجموا مسرحيات أخرى تتعرض للمشاكل الاخلاقية ذات الصلة

[٣] المسرحيـة فى الادب العـربى الحديث ـ د• محمد يوسف نجم ـ داربيروت للطباعة ١٩٥٦ م
[٤] نفس المصدر والصفحة

بالمصالح الاجتماعية الحساسة ، أو للمشاكل السياسية الاكثر حساسية ، ولكن كان من البديهى أن تنظر الطبقة المتوسطة الى هذا المسرح باعتباره أحد السنة حالها القوية وأن تدافع عنه مثلما نرى فى دفاع « الوطنيين » والاعيان عن مسرح النديم، وتمويلهمله باعتبارهمؤسسة تعليميةوطنية،وكانمن الطبيعى أيضا أن يلجأ هذا المسرح « الوطنى » فى ظروف مواجهة سلطة رجعية وغير ديمقراطية ومتواطئة مع القوى الاجنبية الطامعة فى البلاد (بعد خلع اسماعيل بالذات) كان من الطبيعى أن يلجأ المسرح الى أشكال ولغة تكاد تكون رمزية خالصة ، وبناء مسرحية « الوطن » للنديم أو مسرحية « الوطن والحرية » لصنوع التى لخصها لنا فى مذكراته دليل على ذلك التحول الشكلى الذى كان فى حقيقته محاولة لكسب أدوات تأثيرية أكثر قوة وأعمق معنى ، وللتحايل على السلطة الخانقة فى نفس الوقت .

ومع انتكاس الثورة العرابية ، وخفوت الحركة الوطنية والديموقراطية معها ، يتخذ المسرح المصرى أساليب مختلفة ترتبط بازدياد تعرف « المسرحيين » على وسائل وأساليب فنهم ، هذا التعرف الذى يصبح أداة للنجاح فى مزج أشكال وأساليب الفن المسرحى التقليدى بأشكال الفنون المحلية الملائمة ، ومن البديهى أن يكون الغناء الفردى ، والتطريب ، هو سلاح هذا المزج الفنى ، وهو سلاح نجاح المسرح الجديد ، فالمسرح بهذا الشكل يتحول الى وسيلة لتلبية احتياج البورجوازى البسيط الى المتعة الفنية السائدة « الراقية » فى المجتمع القديم ، متعة الاستماع الى المغنى العظيم والاهتزاز الطروب مع أنغام صوته المطوطة فى نشوة لا يشوبها فكر من أى نوع ، ذلك المغنى الذى كان فى الماضى غالبا ما يقصر خدماته على الارستقراطيين فى بيوتهم ، أما المسرح فيتيح فرصة للجميع ، فى مكان واحد يجتمعون فيه ، لكى يشتروا هذه المتعة نفسها ، دون تغير يذكر فى شكل الغناء أو أسلوبه ، بثمن التذكرة ، انها عملية التتجير المعتادة فى المجتمع البورجوازى للانماط الذوقية السائدة وتحويلها من وقف خاص للسادة القدامى ، الى سلعة يشتريها فى السوق من يقدر على دفع ثمنها المادى والمعنوى .

فى عام ١٨٩١ ــ بعد الهزيمة بثمانية أعوام وبعد أن أنجزت الطبقة المهزومة مهمة امتصاص الصدمة على مهل مؤلم ثم عاودت التحرك بروح البحث عن تعويض لسنى التوتر والاذلال ، عهد على شريف باشا ، رئيس مجلس شورى القوانين الى اسكندر فرح بادارة المسرح الجديد الذى أقامه الباشا على أرضه ، وكان نجم الفرقةالجديدة وسر نجاحها هو المطرب الشيخ سلامة حجازى ، ولم يعد النقد الاجتماعى ولا التبشير السياسى هو شغل هذا المسرح،كما اختفى عنصر التأليف المحلى تماما،ففى عصر الهزيمة السياسية والرواج الاقتصادى ، واستقرار تحالف الارستقراطية المتمصرة مع الاستعمار الجديد ، تبحث الطبقة المتوسطة عما يعوضها عن التوتر الذى عاشته دون جزاء ، تبحث عن التسلية أساسا ، دون أن تفلح فى الخروج على الانماط الذوقية السائدة ؛ وهى التى حافظت على عقليتها الموروثة من العالم القديم دون تغيير رغم تعليمها الحديث الجزئى ، فالمثل الاخلاقية والفكرية القديمة هى حصنها الاخير ضد التحلل الكامل تحت وطأة انهيار العالم القديم الذى بدأ بالفعل وأن كان بطيء الايقاع ، وتحت وطأة تحول « الوطن » الى سوق استعمارى حقيقى ، وتحت وطأة هجوم القيم الغربية الوافدة مع الاستعمار والتى تبنتها بضعف متردد الارستقراطية المتمصرة .

هنا تتردد « الروايات » بين « الميلودرام » المأساوى الزاعق ، فى قالب الموضوعات الاخلاقية التى تستمد حبكاتها أحيانا من قصص مسرحيات مشهورة : روميو وجولييت ، السيد ، اليتيمتين ، الولدين الشريدين ، ضحية الغواية ، اللص الشريف ، وبين الوطنيات الرومانتيكية ذات النهايات الفاجعة ، (فالعصر عصر هزيمة « الوطن ــ الطبقة » على أية حال) من مثل ، ثارات العرب ، تسبا ، ابن الشعب ، ولكن الانتصار المؤكد للنوع الاول ، الميلودرامى الفاجع فى قالب الموضوع الاخلاقى : فعند الطبقة المتوسطة المهزومة ذات العقلية التقليدية والوجدان المتزمت ، يصلح الانفعال العاطفى بشيء خيالى لا علاقة له بالواقع ، يصلح متنفسا للمشاعر المكبوتة ، ووسيلة للترويح تتناسب مع الحالة التى وجدت الطبقة المتوسطة المصرية نفسها فيها ، وطالما ماتت الحركة السياسية القوية ، ولم تنشأ أية حركة فكرية جماهيرية مطلقا ، فجماهير الحرفيين والتجار الصغار والطلبة وصغار الموظفين والمهنيين ، لن تجد قضية تلتف حولها ، ولن تجد لعقولها الموروثة من القرون السابقة سوى هذا الغذاء وغير هذا المتنفس ، الذى يجعلهم على أية حال على صلة بقيم المجتمع المهزوم ، وبقيم سادة ذلك المجتمع بالذات ــ التى تخلى عنها السادة أنفسهم ــ الثقافية والروحية .

وأسعار الدخول تتروح بين خمسة قروش

لاعلى التياترو وستين قرشا للبنواره : اذ يجب أن يجد كل «رجال» الطبقة متسعا لهم فى مجال هذا الترفيه الذى يوشك أن يصبح «موضة» سائدة ، وحتى حينما يموت مصطفى كامل ـ زعيم الطبقة الجديد وشاعرها الرومانتيكى المعذب بحب مصر ـ لا يجد مغنى عصر الهزيمة ـ سلامة حجازى ـ ما يمنعه من أن يغنى قصيدة أحمد شوقى فى رثاء الزعيم وهو يحمل صورته فى بداية الحفل (٦) ثم يمثل ويغنى شهداء الغرام أو الولدين الشريدين ٠

فالميلودراما والرومانتيكيات الوطنية الفاجعة ، لا تستطيعان اجتذاب الجمهور الا بالطرب والغناء الشجى من الشيخ سلامة حجازى ، فالمسرح على أية حال وسيلة للتسلية غريبة ماتزال ، ولابد من استخدام وسيلة أقرب صلة الى الذوق السائد ، فلماذا لا يقدم اليهم الفنان الذكى الذى يعرف ذوق جمهوره الطرب قبل التمثيل ، وفى أثنائه ؟ ولماذا لا يقدم أيضا فاصلا فكاهيا فاحشا بعد التمثيل نفسه؟«فالميلو دراما تسرى عن النفوس المكلومة ، والنهايات الفاجعة تفجر مكامن الحزن على الذات المقهورة أو الضائعة ، والنهايات المفرحة تبشر بقرب الفرج :

(الحمد لله لقد زال العنا ، وحلت القلب تباشير الهنا)

كما كان يقول **سلامة حجازى** مغنيا فى نشوة فى آخر كل مسرحية ذات نهاية «مفرحة» ، والطرب يسلى هذه النفوس المكلومة ويطوح رؤوسها ، والضحك الشديد الساخر من كل قيمة تقريبا ينسيها ما بقى من هموم ؛ ٠

مسرح « النكسة الوطنية »

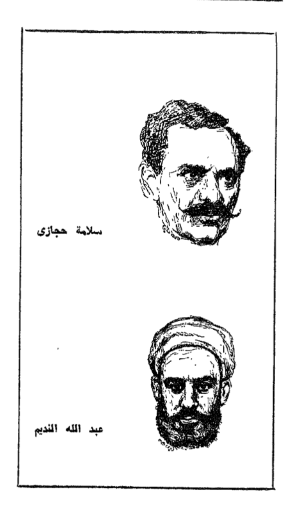
كان من الواضح أن **مصطفى كامل** لم يستطع أن يستقطب سوى فئات عليا من الطبقة المتوسطة ، من الموظفين والتجار وملاك الارض ٠ الحالمين باستعادة عالم التوازن والامتلاء القديم بالذات المستقرة ، الذين يمكن أن يتجمعوا لكى يستمعوا الى خطابات الزعيم بالعربية الفصحى عن حب مصر وعن ضرورة عودتها الى حضن الخلافة التركية فى نفس الوقت ، ثم يوقعوا عرائض المطالبة بالاستقلال أو الحرية ، وكان من الطبيعى ـ فى عصر ما قبل اختراع الاذاعة ـ أن يتأخر اكتشاف الفئات المتخلفة ثقافيا وسياسيا وغير المتعلمة والبعيدة عن قراءة الصحف المحدودة التوزيع ، كان من الطبيعى ان يتأخر اكتشاف تلك الفئات للزعيم الجديد ويتأخر احساسهم ببذور الحركة الجديدة ، خاصة وأن الحركة لم تكن ذات طابع شعبى ، ولم تتسع الفرصة أمامها أو المجال لتقديم الغذاء الفكرى والثقافى الكافى لتجاوز روح الهزيمة المنكسرة ٠

ولذلك فان المسرح ـ وجمهوره عرفناه من ناقد جريدة المؤيد ينتمى فى معظمه الى تلك الفئات المتخلفة ثقافيا وسياسيا ـ يظل متأخرا عن مواكبة الحركة الجديدة الى ما بعد بدايتها بمدة ليست بالقصيرة ، ولكن الحركة الوطنية تستطيع بعد حادثة دنشواى أن تجذب اليها اهتمام جماهيرها الغفيرة من الطلبة والحرفيين وصغار التجار ، فيشرع المسرح فى معاناة افلاس مسرحيات الفواجع الزاعقة والرومانتيكيات الوطنية ، فالطبقة تنجذب الى مصالحها وصراعاتها الاساسية وتشرع فى الاهتمام بمصيرها مرة أخرى وفى الامساك بمقدرات هذا المصير بروح جديدة ، فلا وقت لديها الان لهذا النوع من التسلية ولا داعى لذلك النوع من التسرية أو التنفيث ، وحتى الفكاهة الصارخة الاضحاك التى قدمها عزيز عيد عام ١٩٠٧ (مسرحيات ضربة مقرعة ـ الابن الخارق للطبيعة ـ ليلة الزفاف) تفشل فى اجتذاب اهتمام جمهور بدأت الحركة الوطنية فى اجتذابه الى صفوفها ، فلا تنجح فى اجتذابه فى الفترة من ١٩٠٩ ـ ١٩١٢ الا مسرحية «**شهداء الوطنية**» التى حضر محمد فريد بنفسه ، ومعه زعماء الحزب الوطنى ، افتتاحها فى مسرح عكاشة (٧) ٠

وحينما تفلح السلطة الاستعمارية متحالفة مع الارستقراطية المتمصرة فى ضرب الحركة الوطنية الناشئة التى فاجأها موت مصطفى كامل ولم يشتد بعد عودها ، وتفلح فى سجن محمد فريد ثم نفيه ، تعود الطبقة المتوسطة ـ واعية الى حد ما بوجودها هذه المرة ـ الى المسرح والى الصحافة الوطنية ، فالصحافة تستطيع أن تجتذب قارئها المتعلم الواعى بمصالحه والقادر على دفع الثمن يوميا أو أسبوعيا ، دون أن تخدش أخلاقياته التى

---

[٥] تاريخ المسرح العربى ـ د. فؤاد رشيد ـ ص ٢٨ ـ كتب للجميع ـ فبراير سنة ١٩٦٠.
[٦] نفس المصدر ص ٣١
[٧] د. فؤاد رشيد . ص ٣٣



سلامة حجازى

عبد الله النديم

لا تسمح له بأن يستمع الى الفكاهات الفاحشة أو أن يبعث بنساء بيته الى المسرح أو أن يذهب بنفسه الى « بيوت التشخيص » السيئة السمعة ٠

ولكن **سعد زغلول** ـ وزير المعارف ـ مهتم باللغة العربية ، واللغة أحد الاسلحة الرئيسية فى يد الحركة الوطنية ، وقد سبق لسعد أن عارض تدريس المواد العلمية الرئيسية باللغة الانجليزية وأصر على تدريسها بالعربية ، ومن هذه الزاوية وحدها يهتم الزعيم المقبل للحركة الوطنية **بجورج أبيض** ، ولكن الموضوعات هنا ـ فى فترة الهدوء النسبى فى الحركة الوطنية والمعارك الجزئية بين الطبقة المتوسطة وبين أعدائها ـ ستكون أبعد ما يمكن عن الواقع الاجتماعى والاخلاقى ، أو السياسى ، ولكنها أيضا ستحاول الابتعاد عن الابتذال وعن اسفاف الفكاهة الغليظة التى لا توفر شيئا ، بل ويتخلص الشكل من « الطرب » رغم اصراره على المحافظة على عنصر الفجيعة الميلو درامى ، ولا يكتفى بعناصر المأساة فى « أوديب » أو « عطيل » أو « لويس الحادى عشر » ، وتحت رعاية وزير المعارف ، ورئيس الوزراء (مصطفى فهمى) تدخل الفرقة المصرية دار الاوبرا ، لكى تستقبل جمهورا من أعلى فئات الطبقة المتوسطة ، بل وتستقبل الخديو نفسه وحوله حاشيته من الارستقراطية المتمصرة ، ولا بأس من روايتين تضربان على وتر أمجاد الاسلاف الماضية : « نعيم بن حازم » ، « طارق بن زياد » ، ولاشك أن تحالف الطبقتين الكبيرتين اللتين تكتشفان احتمال وحدة مصالحهما من جديد فى مواجهة الاستعمار سيكون تحالفا مثمرا للطرفين ، وسيكون مثمرا للمسرح « الوقور » المتعقل أيضا ، لولا اعلان الحرب واعلان الحماية لمدة خمسة أعوام ٠

ففى ظل الحرب والحماية ، والحركة الوطنية فى قاع انتكاسها تستجمع نذر توترها المقبل ، لا يروج الا مسرح التسلية الواضحة والفكاهة المعربدة ، ويقوم المسرح هذه المرة فى جو نموذجى فى تطابقه مع الجو الذى يفرضه وجود جيوش أجنبية تحتشد للقتال أو تعود من الجبهات البعيدة ، ويفرضه رخاء مفاجىء مصطنع نتيجة للسيولة النقدية التى تمليها كثرة المعاملات والاعتماد على السوق المحلية حيث تستهلك كميات كبيرة من منتجات ملاك الارض والحرفيين الصغار ، وترتفع مرتبات الموظفين وأجور المهنيين وأثمان المحاصيل الرئيسية ومنتجى السلع التى أصبح استيرادها متعذرا وعمال ورشهم ، المسرح هنا يقوم فى المقاهى والكباريهات (الابيه دى روز ـ كازينو دى بارى ـ أجبسيانا ٠٠ الخ) ٠وتنسحب اللغة العربية هى الاخرى من الميدان مع انسحاب الفئات العليا المتعلمة (والتى كانت قد شرعت مع الزمن ترتفع طبقيا واجتماعيا استنادا الى التعليم نفسه فى السلك الوظيفى) ، وتظهر لغة غريبة يسمونها « الفرانكو آراب » لكى تتناسب مع جو جنود الجيوش البريطانية الذين يملاون المقاهى وجو زملائهم من روادها ، البورجوازيين الصغار ، حتى ليمكن أن يسمى هذا العصر المسرحى باسم « الفرانكو آراب » رغم تسمياته الاخرى الممكنة : « الفكاهة » ، « كشكش بيه » رغم ما ظهر الى جانبه من بربرى مصر الوحيد ومنيرة المهدية وغيرهما من الفرق ، انه عصر كامل من ازدهار التسلية « المسرحية » جنبا الى جنب ازدهار المقاهى ـ البارات ـ الكباريهات ، ازدهار الفكاهة المصرية ـ كما يسمونها ـ الساخرة من كل شىء ـ كما ينبغى لسخرية طبقة متخلفة ثقافيا وفكريا ، دمر بناؤها الروحى تحت وطأة الهزائم المتتالية ومع تدمير الخلافة (آخر رموز العالم القديم ، رغم أن أسس هذا العالم ما زالت قائمة فى صورة الاخلاق والشريعة والدين) وعزلها التعليم الحديث عن مصادر ثقافتها التقليدية ودفعها

التطور الاقتصادى فى ظروف الحرب الى حالة من الرواج الاقتصادى الشكلى والمؤقت رغم ظروف معيشتها المتدهورة بشكل عام : انها على استعداد فى هذه الحالة لان تسخر من كل شيء وأن تضحك حتى الجنون حتى من نفسها ، يقول ألكساندر بلوك ، شاعر هزيمة الثورة الديموقراطية الروسية : « كان هذا حينما سيطر شيطان السخرية الوضيع على روح الانسان الروسى المضطربة ، التى أعماها وأصمها منظر معتقداتها تنهار ومثلها العليا تمرغ فى الوحل ، لقد وجد ألم هذا الإنسان الذى لا نهاية له ، ووجد عذابه المروع متنفسا للحظة ما من خلال هذا الضحك غير الطبيعى المفزع ، ثم سقط مريضا بسبب هذا الضحك ؟ فكيف يمكن للمرء الا أن يعانى من هذا المرض • » (٨)

تطور الطبقة المتوسطة

ولكن مع انتهاء الحرب ، وانفجار التوتر الوطنى الذى زادته خبرات السنوات الماضية وضاعف من حدته نمو فئات الطلبة والموظفين والحرفيين والتجار وملاك الارض المتوسطين وأصحاب الورش الجديدة وعمالها والازمة الاقتصادية التى تلت انسحاب الجيوش وانكماش حجم السوق ، والسيولة النقدية وعودتهما الى حالتهما الطبيعية ، مع كل هذا ، يهتز المسرح اهتزازة جزئية ليعود الى ممارسة مهمته التى ربطته بحركة الطبقة التى تموله ، وتتفرج عليه ، وتفرض عليه ذوقها وموضوعات اهتمامها ، وتستخدمه فى كل مرحلة بالطريقة التى تروقها •

فرغم الازمة والانفجار الوطنى ، فان الطبقة المتوسطة المصرية تكون قد زادت نموا ، وزادت ملامحها وضوحا : ملامح الطبقة البعيدة عن الاهتمام الفكرى بالغن لانها بعيدة عن الاهتمام بالفكر المتفجر أصلا ، طبقة فرض عليها نموها البطيء تحت سيطرة قاهريها أن تظل محافظة أخلاقيا وفكريا ، فتعجز عن التخلص من آثار التجهيل والافقار الروحى الذى عاشه مجتمعها قرونا عديدة ، وتعجز عن أن تخلق لنفسها ذوقا فنيا خاصا بها مثلما عجزت عن أن تخلق لنفسها عالما فكريا مطبوعا بطابع « البورجوازية » التقليدى رغم محاولات أبطالها الفكريين والثقافيين الكثيرة ، من رفاعة الطهطاوى الى على مبارك ، الى النديم ، الى لطفى السيد ، الى طه حسين والعقاد وسلامة موسى •• لقد ظلت « كتلة » الطبقة نفسها ، رغم تعليمها ، بعيدة بعدا كاملا عن التأثر حتى بالجهود الهائلة التى بذلها هؤلاء فى سبيل خلق أبنية فكرية تعبر عن طبقتهم ؛ انها أبنية تعبر عن الطبقة فقط ، وبالمفهوم العام والمجرد لكلمتى الطبقة ، والتغيير ، ولكنها ابنية لا تؤثر تأثيرا جدليا فى الطبقة ذاتها ، فالحياة الواقعية هى الاكثر تأثيرا من كل صنوف « التأثير الثقافى » ، والحياة الواقعية تتضمن الابنية الاخلاقية الموروثة ، وتتضمن أيضا الابنية المعتقدية والروحية الموروثة كذلك ، ولذلك فقد ظلت هذه الابنية الاخيرة هى التى تمارس أكثر التأثير على الجانب الاعظم من كتل الطبقة المتوسطة المصرية ، حتى فى خضم الثورة الوطنية بعد الحرب العالمية الاولى ، وفى خضم هذه الثورة ، أفرزت الجماهير نفسها أساليبها الجديدة والمتسقة مع أذواقهما للتعبير عن مطالبها المادية ، أو للتعبير عن اهتزازاتها الوجدانية المتدفقة الايقاع ، ظهرت الشعارات المنغمة والمقفاة ، وظهرت المونولوجات الوطنية ، وسيطر الشعر الحماسى والاغنيات القصيرة الملتهبة (أى أن كل ما يقترب من التعبير الخطابى ذى الايقاع المتناسب مع ايقاع نفوس يهزها الحماس هو ما أصبح وسيلة التعبير الوجدانى والفنى الاساسية فى خضم هذه الثورة) ، أما المسرح فلم يكن يستطيع أكثر من العودة الى الغناء ، لا الى الطرب ، فالطرب يمكن أن يلبى حاجات نفوس مسترخية ، ووجدان مستريح ، بينما يستطيع الغناء ذو الايقاعات السريعة المتدفقة أن يستجيب لوجدان متوتر وجياش ، مثل وجدان طبقتنا المتوسطة المصرية فى ١٩١٩ وما تلاها من سنوات •

هذا الوجدان هو الذى احتضن سيد درويش بكل نواحيه : أغانيه الوطنية وأناشيده التى كانت أناشيد لجماهير الثورة خارج المسرح ودون المسرح ، وأغانيه الشعبية التى دلت على وجدان قريب من الانفعال بالقضايا الاجتماعية التى تحجبها وحدة القوى الوطنية المتحالفة فى الثورة بغطاء سميك ، ومسرحياته الغنائية العاطفية والهزلية التى كانت جزءا كبيرا من موجة العودة الى الغناء والتى أجبر عليها المسرح لكى يستجيب لمطالب جمهوره الذوقية ، وأخيرا مسرحياته ذات الموضوعات الوطنية والقومية (وهى لا تمثل سوى جانب ضئيل من انتاج هذه الفترة المسرحى ، ومن

[٨] نقلا عن : The October revolution and the arts, V, Davidov P, 108.

انتــاج سيد درويش كله) مثلُ العشرة الطيبة ، وشهر زاد ،وتؤكد ليلةمنألف ليلةامكانية أنيقع الخليفة فى حب بنت الجناينى أو الشحاذ وأن يتزوجها بعد أن يهدم سور الحديقة الذى يفصل ما بين العاشقين ، ويفصل ما بين الطبقتين أيضا ، فيا له من حلم خلب لذيذ ! •

ولكن ســيد درويش يموت ميتة مبكرة ، وتموت الثورة ميتة مبكرة أيضا ، لا تسنح الفرصة أمام المسرح لكى يستعيد مكانته التى كان يحاول أن يجللها فيما قبلُ بالوقار ، فالطبقة المتوسطة تفقد وقارها فى سنوات الازمة المستمرة التى عاشــتها منذ هزيمة ثورتها رغم تقدمها الاقتصادى البطىء الذى ستكسره ازمة أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات وستمنعه الطبقات العليا ، الارستقراطية الزراعية بالذات من تحوله الى تقدم سيـاسى مقابل ، فلا يكون أمام الطبقة نفسها الا أن تحاول الارتباط بتلك الارستقراطية عن طـريق دخولهـا شريكا دائما فى عالم الارستقراطيين الاقتصادى والاجتماعى أو ادخالُ الارستقراطيين الزراعيين دائما فى عالمها هى الاقتصادى الجديد ، وبينما يمعن المثقفون البورجوازيون فى الانعزال أكثر وأكثر عن ثقافة مجتمعهم ، ويفضلون أن يعيشوا داخل الأطر الذهبية التى تمدهم بالثبات اللازم للتامل وبالمادة اللازمة للاختلاف حول النتـائج المجردة المضمونة المعانى ، يزداد وضوح القسمات الروحية والنفسية والفكرية لطبقتهم التى يكتفون بالتعبير المجرد عنها دون أن يؤثروا فيها تأثيرا حقيقيا ، فالتعليم الحديث الذى فصل هذه الطبقة عن مصادر الثقافة التقليدية لم يستطيع أن يمدها ببنـــاء أخـــلاقى وفكرى جــديد ، ولـــم تتحول « المعلومات » المتناثرة التى تلقنها المدارس الاميرية والاهلية على النظام الحديث فــى الجغرافيا والتاريخ والعلوم ، لم تتحول هــذه المعلومات المتناثرة الى بناء فكرى علمانى تواجه به الطبقة المتوسطة عالمها ، كما ينبغى ـ تقليديا ـ لمثل هذه الطبقة أن تفعل ، فتكوين بناء فكرى علمانى يحتاج الى أكثر من انتشار المعلومات : يحتاج الى مناخ اجتماعى ديموقراطى يكتسب فيه الانسان وعمله ومبادرته القيمة الكبرى ، ويحتاج الى مناخ سياسى يشـمل المجتمـع كله ، ويغيـر تشريعاته المكتوبة والمنقولة وتتم فيه مـواجهة حاسمة بين سلطة العالم القديم وقيمه وبين قوى التحرر والفردية الانسانية والعلمانية فى صراع مفتوح ، ويحتاج الى مناخ اقتصادى مختلف تتغير فيه أشكال وأساليب الانتاج تغيرا جذريا ، ولكن المناخ الاجتماعى الذى نشأت فيه الطبقة المتوسطة المصرية وتطورت داخله كان هو مناخ المجتمع الابوى الاقطاعى القديم ، غير الديموقراطى ، حيث يكتسب الانسان قيمته من مقدار ارتباطه بالتراث الاخلاقى والفكرى التقليدى رغم كل المعلومات التى قد يجمعها عن جغرافية العــالم أو تاريخـه أو طبيعته ، وفى موازاة لهـذا المنـاخ الاجتمـاعى أضيفت التشريعات الجديدة التى تضمن مقدارا من « حرية العمل » السياسى والاقتصادى للطبقة المتوسطة ، ولكن دون مساس بالبناء السياسى والقانونى القديم المستند الى « الشريعة » والى تقاليد مجتمع غير علمانى وغير ديموقراطى ، وأضيفت بناء على الاحتياجات الضرورية التى فرضتها ظروف الحرب وظروف تطور جهاز الانتاج فى الدول المســتعمرة (بريطانيا) وفـرضتها القدرات الاقتصادية المحدودة للطبقة المتـوسطة المصرية ، أضيفت أساليب الانتاج الرأسمالية فى قطاعات جزئية من جهاز الانتاج لتحتل مكانا محدودا (وان كانظل يتزايد باطراد ولكن ببطء) فى جهاز الانتاج العام الى جانب وسائل الانتاج البدائية السائدة فى الريف وفى المدن الاقليمية المكتظة بالصناعات الحرفية اليدوية ، وهـى الوسائل التى ظلت تنتج القطاع الاكبر من الثروة القومية ومن احتياجات المجتمع الاساسية •

وفى مقابل عزلة المثقفين الكبار داخل أطرهم الذهنية الثابتة واختلافاتهم حول « وحدة الوجود » وحول « الفرعونية والاسلامية » وحول تقييمهم المتبادل لذواتهم ، وفى موازاة مع تحكم الطابع غير الديموقراطى وغير العلمانى للمجتمع الذى هزمت فيه الطبقة المتوسطة فلجأت الى المساومة المستمرة للوصول الى أى مكسب ممكن عن طريق أنصـاف الحلول ، وفى تطابق مع نظم التعليم التى أصبح من الواضح أن هدفها هو امداد الحكومة بالموظفين وتغطية احتياجات المجتمع من المهنيين ، وفى غيبة أية حركة جماهيرية وطنية تحافظ على شعلة الثورة المنتكسة ، كان من البديهى أن يعود المسرح الى الوظيفة الثابتة التى أوكلتها اليه جماهيره من فئات الطبقة المتوسطة : الوظيفة ذات الشقين ، اثارة الانفعال المحموم بموضوعات لا علاقة لها بالواقع غالبا وان كانت ذات مضمون أخلاقى يؤكد امكانية التعايش بين الضعفاء والاقوياء لو أصبح الضعفاء أكثر تهذيبا والاقوياء أكثر رحمة ، ثم الضحك المنفعل أيضا ، الضحك من البـربرى والفـلاح ومحـدث النعمة ، والضحك من الفقيه والمتعالم ثقيل الظل ومن الحيزبون المتصابية ، وتأكيد امكانية أن يتزوج الفقير الطيب القلب السليم الطوية الساخر من الحياة دائما ، من ابنة الباشا النقية التى تنحاز دائما لصف الطيبة والفقراء » •

كان فارسا الميدان هذه المرة ـ هما **يوسف وهبى**

ونجيب الريحاني ، اختفى التأليف المصرى أو كاد ، وحل محله اقتباس أعمال المسارح الفرنسية والايطالية الرخيصة ، ومع رسوخ أنماط الحياة البورجوازية وظهور السينما ، تأكد نظام النجوم لكى يشبع حاجة الطبقة المتوسطة الى « انماط » ثابتة تقليدها مضمون العاقبة ويجعل المقلد جزءا متناغما مع الذوق السائد ، وتابعا مخلصا لصيحات التجديد الشكلى فى حياة اعماقها راكدة ، وغدا الذهاب الى المسرح أكثر قربا من الطقس الاجتماعى الذى لا يستطيعه الا من يقدرون على تكاليفه المادية ، رغم أن القطاعات العليا من الطبقة ظلت على تحفظها من هذا الفن غير المحتشم ، فالتشدد الاخلاقى ازاء « المرسح » جزء من تزايد النغمة الاخلاقية عند هذه الفئات التى غدت « التقاليد » عندها وسيلة من وسائل الاقتراب من قمة المجتمع الارستقراطية ، وهى التى لا تهمها التقاليد — حقا — فى كثيرأو قليل، فجماهيرالمسرح تكاد تقتصر اذن على نفس الفئات الدنيا من الطبقة المتوسطة التى تذهب لتتفرج على يوسف وهبى ، هذا الارستقراطى الذى ضحى من أجل « المرسح » ، وعلى نجيب الريحانى الذى كان قد تخلص من مباذل كباريهات عماد الدين التى اشتهر فيها قبل الحرب : فقد أصبحت الفرقتان (رمسيس — والريحانى) مركزا لتجمع النجوم ، آلهة البورجوازية الصغيرة الجدد الذين كانوا على وشك أن يجلسوا على عروش القلوب والمال ، ويجسدون — فى نفس الوقت — صورة نموذجية للافلات الفردى من ضواغط مجتمع « متزمت » فى ظاهره فقط ، فالفرقتان فى الحقيقة لا تقدمان شيئا يمس التوازن السياسى والاجتماعى القائم من قريب أو بعيد ، رغم زعيق يوسف وهبى الهائل مطالبا أحيانا بالانتقام أو العدالة ، ورغم سخرية الريحانى من بقايا الاتراك والمتمصرين ، فقد كان هؤلاء قد انقرضوا أو كادوا ، وبعدوا عن مراكز السلطة الاجتماعية بفعل تقدم الزمان .

ولكن المسرح يحاول أن يستعيد بعضا من وقاره هنا بمحاولات شتى ، لا تمثل بالنسبة « للجمهور » سوى ظواهر عارضة ، جديرة بالاحترام ، ولكنها لا تثير الاهتمام الكثير، فشاعرالبلاط القديم، أحمد بك شوقى ، كان قد شرع فى تقديم مسرحياته التى تستعيد للغة الفصحى مكانتها على المسرح — ولكنها لغة لا علاقة لها هذه المرة بنمو الشخصية الوطنية لانها تفكر فى تقليد لغة شعراء العصر العباسى أكثر من تفكيرها فى التعبير عن احتياجات واقعية قائمة ، والموضوعات الوطنية — أو ذات المسحة الوطنية — لا تقف الا عند لحظات الهزيمة فى التاريخ القديم : غزو الفرس فى قمبيز ، والغزو الرومانى فى مصرع كليوباترة ، وعودة السيطرة العثمانية فى على بك الكبير ، ولكن هذه المسحة الوطنية لا تخلو من التأكيد على فكرة المصرية وجدارة مصر بالخلود ، فقد أوشك « الوطن » أن يتحول بالفعل الى معنى رومانتيكى ، ففى ضباب هذا المعنى يستطيع الشركاء أن يقتسموا الغنيمة ، .أما الجانب العاطفى من هذه المسرحيات ، ومن المسرحيات العاطفية الخالصة ، مثل « عنترة » أو « مجنون ليلى » فتستمد أكثر أهميتها الفكرية من مدلول قيمة حرية « الفرد الانسانى » وجدارة عواطفه الشخصية بالاحترام وعقم التقسيمات العنصرية للمجتمع ، أو عقم التقاليد الاخلاقية ، رغم جدارتها بالتوقير وبالبقاء بصفتها دعامة أساسية للمجتمع المعادى لنفس حرية الفرد الانسانى ، أو لعواطفه الشخصية التى يريد الشاعر أن يدافع عنها ، هنا نواجه صورة نموذجية لذلك التناقض الدائم فى عقلية الطبقة المتوسطة المصرية : فان « ليلى » التى تذهب ضحية لقيم أخلاقية متزمتة ، هى نفسها التى تتمسك بهذه القيم لكى تحافظ على شرف القبيلة أو على سمعة الاب ، والشاعر المسرحى يقف الى جانب الموقفين المتناقضين كليهما بنفس الحرارة والقوة ... والصدق ! .

وقفة عند توفيق الحكيم

ومن بعد أحمد شوقى يأتى توفيق الحكيم ، الذى كان قبل دراسته الاوروبية ، وقبل أن يعود وكيلا للنيابة ، قد جرب الهبوط الى مسرح الفئات الدنيا فى سنوات الفوران الثورى والفكاهة الخالية البال ، وكتب عن الوطن وكتب للتسلية الخالصة ، ولكنه يواجه ازدراء طبقته واحساسه الشخصى بالمهانة (٩) رغم أنه حاول التعبير المباشر عن تزمت طبقته الاخلاقى فى قضية سفور المرأة (١٠) . فان طبقته التى كانت على استعداد لان « تتسلى » فى المسرح أو أن تترك لعواطفها المكبوتة عنان الانطلاق من خلاله ، كانت فى نفس الوقت تنظر الى مهنة المسرحى نفسها نظرة أخلاقية شبيهة — للعجيب —

(٩) راجع : توفيق الحكيم : فنان الفرجة وفنان الفكر — د. على الراعى — كتاب الهلال — نوفمبر ١٩٦٩ ص ١٦ .

(١٠) المرجع السابق — من ص ١٦ الى ص ٢٢ .

بنظرة الارستقراطيين الى مهنة الصحافة أو المحاماة فى مرحلة سابقة (١١) فكلها مهن يمتهنها المهرجون والصعاليك وسواقط المجتمع بهدف الارتزاق أولا ، وتسلية السادة ثانيا •

أما الادب فقد كان له وضع أفضل بكثير ، دعمه ذلك الموقف « الاعتزالى » الذى اتخذه أدب الطبقة المتوسطة وأدباؤها من الصراع الوطنى الدائر ، ومن الصراع الاجتماعى الذى كانت بذوره تتجمع منذرة بمرحلة جديدة ومختلفة كيفيا ، ودعمه أكثر أن كثيرا من الادباء كانوا بالفعل من الارستقراطيين ، أو من كبار رجال الاحزاب السياسية ذوى المكانة الاجتماعية المرموقة ، ولان مشاكل الادب كانت تلوح دائما من نوع مترفع على واقع الحياة التى يحياها الشعب والتى تحياها جماهير الطبقة الدنيا التى تذهب الى مسرح رمسيس ومسرح الريحانى •

لذلك فضل الحكيم أن يسبغ على نفسه صفة الاديب المتفلسف فى مشاكل الموت والخلود والحكم والحب ، ورغم ما كسبه من احترام « القراء » فقد كان من البديهى ألا يلقى شيئا من اهتمام « المتفرجين (١٢) ويمكننا هنا أن نضع ملاحظة عابرة عن الطبيعة الطبقية التى شرعت تكتسبها وسائل « التلقى » الفنى المختلفة ، وهى طبيعة ذات أصل ثقافى أيضا بقدر ما لها من انعكاس ثقافى كذلك ، وبتعبير آخر يمكن أن نتساءل : ألم يصبح للكتاب الادبى الرفيع المستوى جمهور يختلف فى طبيعته الطبقية — وقدرته الثقافية أيضا — عن جمهور المسرح الميلودرامى والمسرح الهزلى فى هذه الفترة ؟ رغم ما قد يعبر عنه الكتاب من فكر أكثر تقدما مما يحلم به المسرح ، حتى للمؤلف الواحد ؟

ولكن توفيق الحكيم ، بطبيعته الفنية التى جعلته ينسلخ عن مؤسسة « السلطة » المباشرة فى مجتمع التحالف المتململ بين الارستقراطية والطبقة المتوسطة الصاعدة ، وبحكم التطور الاجتماعى نفسه (بعد سنوات الازمة ٢٩ — ١٩٣٢) الذى وضع قضايا الصراع الاجتماعى فى مستوى يقترب من مستوى القضية الوطنية ، وبحكم نمو مشاكل الطبقة المتوسطة نفسها ، وهو النمو المرتبط بظهور فئات جديدة من هذه الطبقة (من الملاك العقاريين والصناعيين المحدثين) لا علاقة لها بالجذور الاجتماعية للفئات القديمة (من الموظفين والتجار الصغار والمهنيين) ، أقول أن الحكيم بحكم هذه الظروف الذاتية والموضوعية مجتمعة ، يستدير نحو المشاكل الاجتماعية نصف دورة لكى يراها فى صورة نصف المشكلة ، وبذلك يصبح الحكيم هو المدافع عن قيم الاستقرار الاخلاقى والاجتماعى الشكلى الذى حققته الفئات المتوسطة القديمة فى تاريخها المضطرب ، فى وجه سوقية الفئات الجديدة وابتذالها ولا أخلاقيتها ، أو فى وجه أخلاقيات السوق التى اكتسبتها الفئات الجديدة فى سنوات الانهيار والازمة والنمو ، ورغم هذه الاستدارة الجديدة — التى أكسبته صفة الناقد الاخلاقى لقيم الطبقة المتوسطة الجديدة — يظل مسرحه دون متفرجين ، لانه يظل مسرحا للقراءة ، وسيلته هى الصحافة : صحافة الفئات المتوسطة الجديدة بالذات ، والتى تتسم — للعجب — بنفس صفات السوقية والابتذال التى هاجمها الحكيم فى مجموعة « مسرح المجتمع » التى ظل يكتب مسرحياتها العديدة حتى عام ١٩٥٠ •

النضج الطبقى •• والفنى

هذه الوقفة الطويلة عند توفيق الحكيم لها ما يبررها ، رغم بعد مسرحه الاجتماعى والذهنى عن المتفرجين ، الذين نهتم بهم هنا اهتماما خاصا لما لوجودهم من تأثير قوى على الطبيعة النوعية لفن المسرح الذى يتفرجون عليه ، وذلك الذى يقرأونه • ان معنى بعد مسرح الحكيم عن المتفرجين ، هو أنه قد أصبح الكاتب المسرحى الذى يفضله « القراء » من أبناء الطبقة المتوسطة ، بينما يتفرج جمهور من مستوى آخر من فئات هذه الطبقة على مسرحيات الريحانى وعلى الاعمال الفكاهية الاخرى ، ويتفرج جمهور ثالث من مستوى مختلف على الاعمال التى تدعى لنفسها منزلة ثقافية خاصة — مثل أعمال عزيز أباظة ومحمود تيمور وأحمد باكثير — لمجرد أنها تكتب بالشعر أو باللغة الفصحى — دون أن تربطها بالحياة الواقعية أية رابطة ، ولان النوعين الاخيرين ، يجسدان النموذج المسرحى الذى فضلته طبقتنا المتوسطة

[١١] نتذكر هنا مثلا ، قضية زواج الشيخ على يوسف [اكبر صحفيى عصره] من ابنة نقيب الاشراف ، او حياة الشاعر حافظ ابراهيم المحامى وموقف السادة منه ومن مهنته ، او موقف السلطان حسين كامل من محمد تيمور [ابن احمد تيمور باشا] حين شاهده يمثل فسماه «أراجوزا» ووبخ والده ومنعه من التمثيل بتعيينه تشريفاتيا فى القصر السلطانى ، كما يذكر فؤاد رشيد فى الكتاب السابق ذكره ص ٧٢ •

[١٢] راجع د. على الراعى — المرجع السابق ذكره — ص ٣١

بعد الحرب الثانية ، والذى ثبت أقدامه أكثر من أى نموذج آخر على مسرحنا المصرى حتى ذلك الحين : نموذج الفكاهة المسرحية الخفيفة ، أو الميلودراما التاريخية •

أصبح من الواضح أن المسرح ، مثل الطبقة الوسطى نفسها ـ قد شرع يكتسب مستوى جديدا من النضج الفنى فى أدوات تعبيره وبنائه وأساليب أدائه ، الامرالذىيجعلهخاضعا ـ شأن الفن الناضج المعقد ـ لقوانين خاصةبه، ولا يجعله خاضعا للحركةالاجتماعيةخضوعا مباشرا وتلقائيا كما كان يحدث فى مراحل تكونه الاولى •

وأصبح من الواضح بنفس الدرجة أن الطبقة المتوسطة قد شرعت تنقسم على نفسها تحتوطأة عملية اجتماعية قوية التأثير ، تملى على الفئات العليا منها أن تنضم نهائيا الى عالم أرستقراطية الارض ، وأن تخلق لنفسها ثقافة تكاد تكون منفصلة عن ثقافات الفئات الدنيا من نفس الطبقة ، وهى الفئات المسحوقة ، ولكنها منفصلة ثقافيا بدورها عن الفئات الشعبية التى شرعت هى الاخرى فى اكتساب اعداد من المثقفين يعبرون بأشكال فنية معقدة عن فكرها « المفترض » وعن بطانتها الوجدانية ومصالحها العامة •

وكان من البديهى أن تتمكن الفئات الاقدم عهدا ـ العليا والوسطى ـ والاكثر نضجا واستقرارا ، وصاحبة الثقافة الاكثر تعقيدا بالتالى من انتاج « مسرحها » الخاص بها ، بأن تستولى على المسرح الموجود بالفعل ، من خلال وضع التقاليد الملائمة ، وطالما حقق المسرح هو الاخر درجة ملحوظة من التعقيد الفنى ، والقدرة على التعبير عنجمهوره ، أوتلبيةاحتياجاتهبطريقةغيرمباشرة• أما الفئات الدنيا ، فكانعليها أن تنتظرسنوات طويلة قبل أن تتمكن من أن تعكس مواقفها وثقافتها وذوقها فى شكل فنى معقد مثل المسرح يتطلب تنظيما لامكانيات بشرية وفنية متعددة وقدرات مالية كبيرة نسبيا ، خاصة وأن الاشكال التلقائية البسيطة الحديثة للمسرح السياسى لم تكن قد عرفت بعد فىمصر ، ولذلك كان الشعر مثلا، ثم القصة القصيرة ثم الرواية هى اسبق الانواع الادبية الى التعبير عن هذه الفئات الدنيا وعن الطبقات الشعبية (١٣)

كان من الممكن مثلا أن تحتضن الدولة فرقة رسمية للمسرح ، تعرض « أهل الكهف » للحكيم، أو « مجنون ليلى » لاحمد شوقى ، أو«العباسةأخت الرشيد » أو «قيس ولبنى» لعزيز أباظة، أو « سر الحاكم » أو « قصر الهودج » لباكثير ، أما مسرحيات الحكيم التى تتخذ موقفا انتقاديا على اساس اخلاقى أزاء انماط « محدثى النعمة » من الفئات العليا من الطبقة المتوسطة (ملاك العمارات وتجار المواد التموينية ، وأصحاب الورش المحدثين) فكانعليها أن « تقرأ » فحسب ولكن فى الجريدة التى شارك فى تمويلها القصر الملكى والاحتلال الانجليزى !

وحينما تنفجر الحركة الوطنية من جديد بطريقة رسمية استجابة لحركة الفئات الدنيا والطبقات الشعبية ، وبهدف امتصاص هذه الحركة الجديدة التى تنظر الى القضية الوطنية نظرة اجتماعية ، وتربط بين الصراع الوطنى ضد الاستعمار وبين الصراع الاجتماعى ضد أرستقراطية الارض وكبار الرأسماليين ، أقول أنه حينما تتفجر الحركة الوطنية من جديد بالغاء معاهدة ١٩٣٦ ، عام ١٩٥١ ، لا يظهر أى انعكاس على المسرح الا من خلال هذه الفرقة الرسمية ، التى تقدم مسرحية « مسمار جحا » لباكثير ، حيث يدور الصراع ضد الاستعمار بأسلحة المكر والاقناع العقلى ، وحيث يصبح « رئيس الوزراء » و « الملك » رموزا للبطولة الوطنية دون مواربة ، بينما مسرح الريحانى يقدم ـ فى نفس الفترة تقريبا ـ هزلياته الضاحكة التى تسخر من محدثى النعمة ، وتؤكد امكانية أن يتزوج الفقير الذكى الطيب من ابنة الباشا النقية ، وانتماءات الجمهور فى المسرحين واضحة : الفئات الوسطى تتفرج على « مسمار جحا » والفئات العليا تتفرج على « أبو حلموس » او « غزل البنات » • والدلالة الاجتماعية لهذه « التقسيمة » تكاد تعلن عن نفسها : الفئات الوسطى تتمنى لو تحل القضية الوطنية بهذه الطريقة المريحة التى لا مخاطر فيها والتى تضمن لها استمرار الصعود دون هزات مؤلمة » والفئات العليا تسخر من هؤلاء المتسلقين الجدد ، ولا تهتم بشىء فى « المعركة » كلها من قريب أو بعيد ، الا اهتمامها بأن تضمن المعركة استمرار ارتفاع أسعار منتجاتها والا تؤدى هذه الانفجارة الى ردود فعل اجتماعية واسعة ،

---

(١٣) فى أواخر الاربعينات ، ظهرت قصائد وقصص عبد الرحمن الشرقاوىوعبد الرحمن الخميسى وكمال عبد الحليم واحمد رشدى صالح وغيرهم ، وفىاوائل الخمسينات مثلا حققت قصيدةالشرقاوى الشهيرة « رسالة من أب مصرى الى الرئيس ترومان » جماهيرية ضخمةبين فئات البورجوازية الصغيرة والعمال •

لابـد أن تصيبها بالشر ، بينمـا الفئـات الدنيـا والطبقات الشعبية تهجر العمل فـى معسكرات الاحتلال ، وتواجه هدم قراها وذبح رجالها ومزيدا من تـدهور أوضـاعها المتـدهورة أصـلا ، وتحمى « الفدائيين » الذين تنزع السلطة سلاحهم أو تعتقلهم ، وتؤلف أغانيها وأهازيجها وشعاراتها المنغمـة ، ومثقفـوها يكتبـون القصـائد أو القصص ٠٠ وليس لهم مكان على المسرح أو ليس لهم مكان فيه ٠

ثورة يوليو ٠٠ والمسرح المصرى

لا تكاد هذه الصورة أن تختلف بعد ١٩٥٢ ، بل وتكاد تزداد وضوحا ، موسم واحد فحسب ، يهتز فيه المسرح اهتزازة الاستقبال للحدث الكبير فى ٢٣ يوليو بمسرحيات ثلاثة : **كفاح الشعب** ، **دنشواى** ، **نزاهة الحكم** ، هناتعود نزعة الوطنية الرومانتيكية فى المسرحيتين الاوليين ، ثم ترجمة لمسرحية تتحدث عن النساء والديمـوقراطية ، فالنظر الى « الوطن » نظرة عاطفية من خـلال التاريخ أسهل وأقل خطرا من النظر اليه مواجهة لاكتشاف حقيقته ، فى وقت كانت فكرة الصراع الاجتماعى من الافكار التى تحارب بمحـاولة طمسها ، وليس بمحاولة امتصاصها كما سيحدث فيما بعد ٠

والمسرح على أية حال ، قد أضحى جزءا لصيقا من البناء الفوقى ، أو من أساليب التعبير الفنية المعقدة وغير التلقائية للفئات الطبقية العليا ، وهو أقرب ـ بهذا الوضع ـ الى التعبير عن المشاعر والتكوينات النفسية منه الى التعبير عن المواقف العقلية والمصالح المحددة ، كما كان يحـدث فى مراحله البدائية الاولى ، وجمهور المسرح ـ الموزع بين الفرقة الحكومية ، وبين الريحانى ـ مازال هو هو ٠ فالجمهور الذى هزه اسقاط الملكية وتحديد الاصـلاح الـزراعى ، والغـاء الالقـاب هزة « سياسية » ، لا تتغـير أذواقه وبطانتـه الوجدانية بطريقة ميكانيكية سهلة فى المجتمع الذى فقد قمته السياسية والاقتصادية دون أن يمس بناءه الفوقى ، أو ثقافته وفنونه أى تغيير ، ومسرح الدولة يقدم ميلودراميات عزيز أباظة الشعريـة التاريخية ، أو ميلودراميات محمود تيمور النثرية التاريخية باللغة الفصحى ، أو فودفيلات البوليفار الفرنسى الضاحكة ، والريحانى يقدم هـزلياته المريحة المعتادة ، وبهذا تتحدد وظيفة المسرح : أن يقدم سهرة مسلية ، تتوتر فيها المشاعر أحيانا لكى تستريح بعد قليل ، أو تسترخى فيها الاعصاب ويمرح العقل فى فراغه اللذيذ ، فهكذا تنظر طبقتنا المتوسطة الى الفن ، ومعها الفئات العليا التى كان الفكر دائما جزءا من العالم الطفيلى أو المعادى من وجهة نظرها ، والتى كان تعليمها وانفصالها العقلى والروحى الكامل عن مصادر الثقـافة السائدة فى مجتمعها أداة لافقارها ثقافيا بمثل ما كانت السوق الرأسمالية أداة لتربيتها العاطفية ، انها لا تطلب من الفن ، ومن المسرح بالذات ، أن كانت السوق الرأسمالية أداة لتربيتها العاطفية ، انها لا تطلب من الفن ، ومن المسرح بالذات ، أن يكـون « مفـكرا » ، وأنمـا قصـاراه أن يستخدم « **الفكر** » كجزء من لعبة التمرين العقلى المطلوبة ، باعتبارها جانبا من تسالى السهرة المسلية ٠

فهذه الفئات ، التى أمدت المجتمع البورجوازى المصرى بذوقه السائد وعقليته فيما بعد ، حينما تطلب من الفن ـ ومن المسرح بالذات ـ أن يكون مسليا ، فانما هى تنظر اليه نظرة نفعية ، بصرف النظر عن المناقشات النظرية التى بدأت فى الظهور فى تلك الفترة ، والتى تبنى فيها أكثر المفكرين تعبيرا عن الفئات العليا نظرية « الفن للفن » ، وفى مجال القيمة الجمالية للفن المسرحى ، كان مطلب هذه الفئات علـى الدوام مـن المسرح أن يكون « **سهلا** » رغم تظاهرهم بالاستمتاع بالشعر مثلا أو بالفصاحة اللغوية ، والسهولة هنا لا تعنى البساطة والوضوح المتوقعين من العمل الفنـى العظيم ، وانما تعنى أن تكون تركيبة العمـل المسرحى تركيبة عادية ، منطقية ، متسلسلة ، تؤدى الى أن يستمتع البـورجوازى فـى المسرح بـ « الحدوتة » الى جـانب عنـاصر الاستمتاع الاخرى ، انه لا يتوقع من المسرح أن يكون أداة لاكتشاف روح الانسان وعقله وتكوينه النفسى ، ولا يطلب منه أن يكون وسيلة لاكتشاف الواقـع الاجتماعى الحقيقى ونقده ، ان طـلب السـهولة يخفى دوافع ذوقية لها أصولها الطبقية الحقيقية ، رغم ما يبدو عليه من أنه طلب فى صف البسطاء من الناس ، وأنه ضد « التعقيد » أو « الشكلية » لان هذا الطلب انما يعنى خلق الاعمال الفنية المسلية ، لا التى تدفع الى التفكير ٠

ان تجسيد المسرح للواقع الاجتماعى ونقده ، ستؤدى بالضرورة الى تجسيد الواقع القائم ، الذى تسيطر فيه الطبقة المتوسطة وتعريته ونقـده ، ومناقشة التكوين النفسى والروحى لـلانسان ، ستؤدى الى تعرية التكوين النفسى والروحـى للانسان « البورجوازى » وتشريحه وسيكون هذا هو الطريق الى تحويل الفن الى سلاح يخدم قضية التقدم الانسانى والى تجاوز النمط الانسـانى البورجوازى ، وهذه هى القضية ، أما قضية نفعية الفن أو عـدم نفعيتـه فهى مسـألة ثانوية ، لان البورجوازية تنظر الى الفن أصلا ـ والى المسرح

بالذات ـ نظرة نفعية : انها تطلب منه أن يسليها !•

والبورجوازية التى ترى أن من حق الانسان أن يمتلك ما يريد اذا كان قادرا على امتلاكه ، بصرف النظر عن قدرته على الانتفاع به ، تنظر الى الفن نفس النظرة مع فارق طفيف : فهى لا تشترط « قدرة » الانسان على امتلاك العمل الفنى أو استيعابه هذه القدرة التى تعنى أن يكون الانسان شخصا « مثقفا ثقافة فنية » كما يقول ماركس (١٤)

فمن حق البورجوازى أن يمتلك العمل الفنى ، أى أن يستمتع به ، أن يتسلى به فى مفهومه ، ولذلك فهو يرفض أصلا احتمال وجود أو قيمة العمل الذى لا يستطيع امتلاكه ، انه ـ فى قول ماركس أيضا ـ ينظر الى كل ما ليس شيئا ماديا وقابلا للامتلاك المباشر بالشك ، وباعتباره شيئا لا قيمة له ولا نفع فيه ، شيئا يمكن الاستغناء عنه ، ببساطة لانه لا يريد ـ ولا يستطيع ـ أن يبذل الجهد المطلوب لامتلاكه ، وهو جهد « التثقف » بثقافة مجتمعه الحقيقية ، وبثقافات المجتمعات الاخرى الحقيقية كذلك ، وربما تنازل ونظر الى هذه الثقافات نظرة الاكبار والتعظيم ، ولكن بطريقة تقبيل لقمة الخبز الملقاة على الارض ، ثم رميها مرة أخرى الى جوار الحائط ، فذلك الجهد جهد ضائع لا يعود بفائدة فى نظر البورجوازى الذى يوفر له وضعه الاجتماعى الاحترام ، بصرف النظر عن قيمته الشخصية الانسانية أو الفكرية ، والا ، فما القيمة السوقية ـ أو ما القيمة التبادلية بتعبير أكثر صحة ـ لمعرفة تاريخ مصر وجغرافيتها الحقيقيين وآثارها الفنية ومنتجات شعبها الادبية ؟ وما قيمة أن يعرف شيئا من ذلك عند الشعوب الاخرى ، ثم أن يجهد نفسه بمحاولة فهمها أيضا ، بينما هو يريد أن يستريح ، أن يسترخى ، أن « ينسجم » وأن «ينسى» نفسه ودنياه قليلا ؟ • انه ينتمى الى طبقة لا جذور ثقافية لها ، بعد أن فصلها التعليم عن ثقافتها الموروثة ، ولم يمدها بثقافة بديلة ، بينما ظلت فى تكوينها الاخلاقى والعقلى والعاطفى على صورة أسلافها القدماء بعد أن انقرض عالمهم السياسى والاقتصادى ، فأصبحت « الملكية » هى عالمها الوحيد •

الوجه الاجتماعى للتحرر الوطنى

فى عام ١٩٥٦ خرج جنود الاحتلال ، وكان الدستور قد أعلن فى يناير ، وأممت مصر القناة ، وواجهت العدوان الثلاثى من أكتوبر الى يناير فى العام التالى ، ولكن المعركة الوطنية التى تفجرت فى هذه المرحلة الجديدة كانت تكتسب دلالات مختلفة ، فان كل بذور الصراع الاجتماعى التى تراكمت منذ الحرب العالمية الثانية ، تندمج الان اندماجا كاملا فى صلب المعركة الوطنية ، وأصبح من الواضح أن الشعارات التى عبرت عن مصالح الفئات الدنيا من الطبقة المتوسطة والطبقات الشعبية منذ ذلك الحين ، هى شعارات المعركة الوطنية فى مرحلتها الجديدة : فالاستقلال هو طريق رفع مستوى المعيشة والحد من تضخم الفئات الطبقية العليا ، وتحقيق ديموقراطية حقيقية ، الان أصبحت القضية هى قضية تغيير الاسس الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ـ تغيير البنى التحتية ـ لمجتمع الطبقة المتوسطة وأرستقراطية الارض ، وليس مجرد « الاصلاح » الذى كان ينعكس فى أفكار مثقفى الطبقة المتوسطة ذاتها فى صورة نقد سلوك هذه الطبقة وابتذالها وجشعها ، وهذا التغيير لا ينتمى فكريا الى عالم الطبقة المتوسطة ، وانما ينتمى الى عالم آخر تسوده طبقة أخرى : الطبقة التى لا تملك ما تحرص عليه ، والتى لا تقدر أن تنظر الى « الوطن » نظرة عاطفية مشبعة بالحب والاعجاب فقط ، لانها تعيش بالفعل فى هذا الوطن حياة غير جديرة بأى اعجاب ، وهذا التغيير ، اذا انعكس فى الفن ـ وفى الفن الدرامى بالذات ـ لابد أن يتحول الى رؤية ، يلعب فيها « الفكر » دورا أساسيا ، لانه تغيير مبنى على تحليل واقعى وعلمى للواقع وللقوى التى يمكن أن تصنع المستقبل •

وفى عام ١٩٥٧ عرضت مسرحية « **الناس اللى تحت** » **لنعمان عاشور** ، لكى تكون أول مسرحية مصرية تتبنى موقفا فكريا محددا ، معناه هو النظر الى مصر باعتبارها مجتمعا طبقيا ، تقف على قمته الطبقة المتوسطة ، ويسوده صراع اجتماعى بين طبقات ذات مصالح متنافرة ، ولا يستطيع أن يرسم مستقبله الا الطبقات الشعبية الواعية بذاتها وبمصالح الوطن التاريخية وبالمستقبل نفسه ، انها ليست أول مسرحية مصرية تجعل الفكر الاجتماعى وسيلة لتأسيس رؤية وبناء فنيين متماسكين فحسب ، وانما هى أول مسرحية مصرية تواجه « الطبقة المتوسطة » بموقف معناه « رفض » عالمها رفضا اجتماعيا ، والسعى الى بناء عالم جديد ، وليس مجرد انتقاد سلوكها انتقادا أخلاقيا ، أو مجرد التفكه بابتذالها أو سوقيتها ـ كما كان يفعل الحكيم ـ وانما تقديمها لنموذج لمرحلة

(١٤) راجع كتاب دافيدوف السابق ذكره ـ ص ٢٨.

اجتماعية ، تخلق أنماطا انسانية معينة ، لابد للمجتمع أن يتجاوزها اذا كان له حقا أن يكون مجتمعا انسانيا ٠

ولكن شعارات التغيير ليست هى التغيير نفسه ، اذا لم يكن « الفكر » السياسى العلمى هو مصدر هذه الشعارات ، أو اذا لم تكن سوى عواطف البورجوازية الصغيرة وحدها مصدرا لها ، ولذلك فاننا لا نكاد نعثر على أثر من امتداد لرؤية « الناس اللى تحت » فى أية مسرحية أخرى (باستثناء مسرحية صغيرة ليوسف ادريس هى : ملك القطن) ٠ فالمثقف العلمى نفسه ، اذا لم يستطع أن يرتبط بحركة الطبقة التى يعبر عنها ارتباطا جماهيريا ومنظما ، فانه لن يستطيع أن يتجاوز مرحلة التعبير عن طبقته الى مستوى التأثير فيها ، وحتى الفن المسرحى ، لا يستطيع أن يحل محل العمل السياسى المنظم فى توعية الجماهير بالفكر المعبر عن مصالحها ، خاصة اذا كانت جماهير الطبقة متخلفة ثقافياومحرومةمن الاقتراب من مراكز « الاشعاع » الفنى فى العاصمة ، الى درجة تحرمها من الاقتراب من الفن المسرحى ـ حتى ذلك الذى يعبر عنها ـ ناهيك عن فهمه على النمو الذى أراده الفنان المثقف صاحب الفكر العلمى ٠

ان ارتباط المسرح ، بدار العرض المسرحى التى لم تكن ـ ولم تصبح ـ قائمة الا فى مدينة الطبقة المتوسطة ، والتى وضع لها من التقاليد ما يجعلها حراما الا على أبناء الطبقة المتوسطة نفسها ، هو ما جعل « الناس اللى تحت » تتحول الى « الناس اللى فوق » ٠٠ حقا ان المسرحية الجديدة تنبع من نفس الموقف الفكرى ، ولكنها لم تستطع أن تحوله الى « رؤية » للواقع وللمستقبل ، لانها اكتفت بنقد العالم القديم ، دون أن تنكر فى الصراع بينه وبين العالم الذى على وشك أن يولد ، مرة أخرى تملى الظروف الاجتماعية والفنية التى نشأ فيها المسرح ، تملى على المسرح نفسه أن يفكر فى جمهوره من أبناء الطبقة المتوسطة ، لكى يستطيع أن يجتذب هذا الجمهور ، بصرف النظر عن « التعبير » عن هذا الجمهور الذى يتسلى فى الاساس ، وبصرف النظر عن التأثير فيه ٠

ولكن مسرحية « الناس اللى تحت » كان لها دور آخر ، فقد كانت علامة البداية لاحتلال الفكر الاجتماعى الواعى فى المسرح المصرى دورا لا يستهان به ٠

فمن نظرة سريعة الى ما قدمته فرقتا المسرح اللتان تديرهما الدولة فى ذلك الوقت ، فى عام ١٩٥٣ ،نكتشف ما كان من دلالة لتقديم المسرحيات التالية ، التى تكفى أسماؤها للتدليل على نوعيتها :

ست البنات ، صندوق الدنيا ، شروع فى جواز ، بنت الجيران ، مراتى هى السبب ، السر الهائل ، نفوسة ، المأخوذة ، أم رتيبة ، بنت الهوى ، شارع البهلوان ، كسبنا البريمو ٠٠ الخ ، وهذه هى أنجح المسرحيات التى عرضت جماهيريا ، بما فى ذلك المسرحيات الوطنية ، والمسرحيات المترجمة (١٥) أما فى عام ٥٨ ـ ١٩٥٩ فكانت أكثر المسرحيات نجاحا جماهيريا :

الشيخ متلوف (موليير) ، بيت من زجاج (كوكتو) ، قهوة الملوك (لطفى الخولى) ، الناس اللى فوق (نعمان عاشور (١٦) ـ وكانت تعرض المرة الثانية)، سلطان الظلام (تولستوى)، رجيل الاقدار (شعر) ، المومس الفاضلة (سارتر) ٠ ولنذكر أن توفيق الحكيم ، قد شرع يهتم هو الاخر بالفكر الاجتماعى لكى يقدم التصور المعبر عن طبقته للموضوع ، فيقدم فى عام ١٩٥٤ مسرحية مثل « الايدى الناعمة » التى تؤكد أمكانية أن يتحول الامير الاقطاعى الى شخص عامل وطيب وأحسن من المثقف الذى يضيع عمره فى كلمة « حتى » ، وأحسن من محدث النعمة السوقى الغليظ الذى يريد أن يرث قصر الامير الاقطاعى وأن يرث وضعه الاجتماعى ٠

كان الفكر الاجتماعى الواعى بما يريد أن يقوله قد بدأ يحتل محور الاهتمام فى المسرح المصرى ، فى نفس الفترة التى كان التغيير الاجتماعى الجارى ، والذى يبحث لنفسه بالفعل عن اتجاه فكرى ، هو الشغل الشاغل لجماهير الطبقة المتوسطة ، الوسطى والدنيا بالذات ، فهاتان الفئتان ، لم تضعهما الحركة التاريخية فى وجه عملية التغيير ٠٠ ما مصيرهما وليست هناك مواقف محددة منهما ؟

الفئات الدنيا من الطبقة لا علاقة لها بالمسرح أصلا ، تبعا لاسعاره ، وأماكن وجوده بعيدا عن مراكز تجمعها السكنى ، وتبعا لتقاليده ، وتبعا لتخلف هذه الفئات الثقافى الذى لا يجعلها مؤهلة أو قادرة على استهلاك فن من هذا النوع ٠

والفئات الوسطى هى سيدة الميدان ، فى المسرح وفى المجتمع كله ، انها الفئات الجاهزة لتلبية الطلبات العملية لحركة التغيير التى تحتاج الى مهنيين وفنيين ، والى الجهاز الحكومى ، والى ما يشبه التنظيم السياسى لكى يملأ الفراغ الذى تركته

(١٥) راجع مجلة المسرح ـ يوليو ١٩٦٦
(١٦) المصدر السابق

الاحزاب السياسية المنحلة ، هذه الفئات تحتاج الى فكر يعبر عن « التغيير » ، ولكنها تحتاج الى تغيير فى صالحها هى ، ولا يكمل الخطوط الى نهاياتها المنطقية ، لم يعد التصور « الطبقى » للمجتمع فى صالحها ، لانها تسرع الخطى نحو قمة المجتمع الشاغرة ، وفى نفس الوقت ، فان من صالحها أن تثبت الصورة القديمة عن مجتمع طبقى « بائد » ولكن مقابل أن تتأكد الصورة الجديدة عن مجتمع انتهت مشاكله الطبقية أو تكاد .

وفى الوقت ذاته ، كان الحركة الوطنية المنتصرة ، وحركة التغيير الاجتماعى فى حد ذاتها ، كفيلة بأن تجعل الفكر الاجتماعى هو محور اهتمام فن « جماهيرى » كفن المسرح لابد له أن يصبح سياسيا بصورة تلقائية ، والطبقة التى تعى ذاتها لاول مرة ، وتتحقق انتصاراتها وتتفتح الطرق أمامها بغير سدود ، تفرز تلقائيا من يعبر عنها ، بصرف النظر عن التأثير فيها .

ومثقفو الطبقة تتعدد اهتماماتهم ، وتتعقد الصلة التى لابدأن تربط أفكارهم بالواقع الاجتماعى الذى يعيشونه ، والواقع الاجتماعى نفسه يتفتح أكثر على تجارب أجنبية ، ويصبح المثقف بحاجة الى الحصول على وسيلة للتعبير ملائمة للتعقد الاجتماعى والفكرى الذى يواجهه رأسيا ، ولاتساع نطاق التطور السياسى والاجتماعى لواقعه أفقيا : فمع انهيار الطبقات العليا القديمة ، أو سقوطها عن مراكز السلطة السياسية ، وتسلق الفئات الوسطى لقمة المجتمع ، وصعود فئات دنيا الى مراكز أكثر ارتفاعا باتساع السوق المحلية ، واعادة توزيع الملكية الزراعية ، والشروع فى برامج التصنيع ، وارتفاع نسبة العمالة بين المهنيين والموظفين ، واتساع حركةالتعليم مع تأكيد انفصاله عن الثقافات الموروثة وعن الاتجاهات العلمية الحديثة كليهما ، وقوة هبوب المؤثرات الثقافية الخارجية وتنوعها الشديد ، تتعقد صورة الواقع رأسيا الى درجة مخيفة ، ومع ارتباط حركة الواقع السياسى الداخلى - فى مصر - بالحركة السياسية فى العالم العربى ، والعالم الافروآسيوى ، والعلاقات الجديدة بالمعسكر الاشتراكى ، وتغير نوعية العلاقة بالغرب الرأسمالى الاستعمارى ، تتعقد الصورة أفقيا تعقدا لا حد له .

ولا يستطيع الفن هنا أن يظل على علاقته البسيطة بالواقع ، فى مضمونه أو أشكاله ، بل ان النزعات الشكلية الصرفة ، التى قد لا يكون لها ما يبررها فى الواقع السياسى أو الاقتصادى الخالص ، تستطيع أن تجد مبررا لها فى جانب جزئى من الواقع الثقافى المعقد ، ومثقف الطبقة المتوسطة يستطيع دائما أن يجد تحت يده عشرات من المدارس والاتجاهات الفنية يستمد منها أشكاله المعقدة ، ويستطيع أن يجد عشرات أخرى من الاتجاهات الفكرية والفلسفية القادرة على أن تمده بالتصور الذهنى المطلوب عن المجتمع وعن الانسان ، ان مؤلفا مسرحيا واحدا مثل رشاد رشدى ، يستطيع أن يستمد من كاترين مانسفيلد شكل قصصها القصيرة ، ويستمد من هنرى جيمس رؤياه الفكرية ، ويستطيع أن يستفيد فى مسرحياته الاولى من دراما القرن التاسع عشر البورجوازية الاوروبية ، ويستمد من فرويد وجهة نظره فى التحليل النفسى والدوافع الجنسية للسلوك البشرى ، ثم يستمد فى مسرحياته التالية من مسرح المظاهرة السياسية ومن المسرح الملحمى بعض أدواتهما ، ومن مؤرخى الثقافة الاوروبية البورجوازيين الانجليز موقفهم من « الشعب » ، ويحافظ فى نفس الوقت على خطوط أساسية من فرويد ، يدعمها بأدوات أخرى مستمدة من المسرحية الكوميدية الموسيقية الامريكية ، بينما هو يكتب عن علاقة الشعب المصرى بسلاطين المماليك أو عن السيد البدوى ، ثم يستند فى نقده الى اليوت ، وتكون النتيجة أعمالا لا علاقة لها بالواقع التاريخى أو بالواقع القائم ، ولكنها تحمل فكرا ملفقا ، يؤكد فى النهاية شيئا واحدا : يستطيع الفكر أيضا ، ويستطيع تعقيد الشكل الفنى نفسه ، أن يكون مصدرا للتسلية ، طالما استطاع « العرض المسرحى » أن يجمع كل شىء على منصة واحدة ، فى ألوان بهيجة ، وراقصات وموسيقى وممثلين من النجوم ، واشارات خفية جزئية الى الواقع الذى يعيشه جمهور الطبقة المتوسطة : اشارات تتملق السخط أو تداعب الامنيات أو تدلك المشاعر المكبوتة .

ولابد أيضا مع تعقد صورة الواقع وتعقد أبعاده الى هذا الحد ، ومع ازدياد نضج قمة المجتمع الجديدة ، وطرح المزيد من حوافز « الاجتهاد » فى مجتمع تفتحت فيه الفرص دون قيد الا قيود السوق وحدها وقوانينه ومع نضج التصورات الثقافية عن وجود نقيض اجتماعى قائم ولكنه مفكك ومهمل ثقافيا هو جماهير الطبقات الشعبية ، لابد مع كل ذلك من وجود المسرحى المثقف ، الذى قد يكتفى برصد تغيرات الواقع والتعليق عليها من وجهة نظر نقدية غالبا تعود الى الخضوع لمبدأ « النقد الاخلاقى » أو النقد الاجتماعى غير المحمل برؤية الى صراع واقعى يتخلق من خلاله المستقبل ، ولابد أيضا من وجود المسرحى المثقف الذى يفضل أن يلجأ الى عوالم مكتملة ، تامة الصنع ، مستمدة من التاريخ أو من قصص التراث ، يعبئها برؤاه المستمدة من تحول الفكر العلمى الى عاطفة انسانية صادقة ، لكى يدير الصراع بين رموز ثابتة للمتناقضات ، بدلا من أن يدور الصراع بين المتناقضات المتحركة نفسها ، ولابد كذلك من وجود

المسرحى المثقف ، الذى يحجب نفسه عنوة عن الفكر العلمى لانه رأى الحقيقة ولا يستطيع أن يتحمل مسئولية التصريح بها ، فتحل تصوراته عن الحقيقة محل الحقيقة نفسها ، ويتحول كبحه لجماح فكره الى ضاغط عصبى رهيب يحول مسرحه الى نموذج صريح لازمة التزام البورجوازى الصغير بمصالحه ، وتمزقه بين هذه المصالح وبين ما يغريه به « السوق » المفتوح من مغريات ، وبذلك يتحول سخطه الاجتماعى الى نوع من السخط الميتافيزيقى الغامض على كل قهر ، وتتحول رغبته فى تحرير المجتمع الى رغبة فى النجاة بالنفس من شرك الغواية ، ولابد أيضا من وجود المسرحى المثقف الذى يرى فى الاستمرار فى اكتشاف أعماق الصراع الاجتماعى فى التاريخ القريب وسيلة لتحريض الصراع الواقعى ، فلما يقع فى أسر مدينة الطبقة المتوسطة التى تكره الاعماق التى يريد هو اكتشافها ، يفضل أن يتحول الى ارهابى ذاتى ، لعل احدى تفجيراته اللغوية أن تنبه غافلا أو لعله يتمكن من أن يصرع خصمه غير المحدد أثناء منازلته لاى شخص ، ولابد أيضا من وجود المسرحى المثقف الذى تجعله الرغبة فى فهم الواقع دون فكر كلى أسير الجزئيات الواقع نفسه ، وأسيرا للمساحة الضيقة التى يحتلها من الواقع معتقدا أنه قد غطى بتصوراته الساذجة أركان الوجود الاربعة ، ولابد أيضا من وجود المسرحى المثقف الذى تحوله الرغبة فى الاضحاك الى مهرج ، بينما تشده الرغبة فى النقد الى مقاعد القضاة ، فلا يحصل فى النهاية الا على صدقة المتسول أو على نظرة الاشفاق الى مريض ، ولابد أخيرا من وجود المسرحى المثقف الذى يهتز يقينه الاجتماعى حتى الاعماق لما يصاب بخيبة أمل البورجوازى الصغير المتسرع أو بخوفه المعتاد من السقوط ، فتتحول خيبة أمله فى اليقين الاجتماعى الى كفر بكل شىء ، بالعلم والتاريخ والفلسفة والانسان ·· وربما بنفسه أيضا ، وقد يتحول الى محضر للارواح يبحث فى شئون العالم السفلى ، أو الى متصوف يسعى لخلاص ذاته ، ويكفر الناس جميعا ، ويبشرهم أيضا بجنة غامضة !

الجميع يكتبون لجمهور الطبقة المتوسطة — وفئاته العليا والوسطى بالذات — فى المدينة التى نمت نموا سرطانيا على جسم مجتمع قديم الثقافة تقليدى العقلية والاخلاق ، وهو جمهور أوقعه منطق طبقته الذى يضع « امتلاك » الاشياء فوق القدرة على الانتفاع بها ، والذى تعود أن ينظر الى كل ما هو روحى وعقلى نظرته الى الشىء الذى لا قيمة له والمشكوك فى أمره الذى يمكن الاستغناء عنه ، وهو الجمهور الذى ثبتت عنده قيمة « الفهلوة » القادرة على حل كل مشكلة لا تحل حقا الا بالمعرفة وبالتحليل العلمى وبالمناقشة الحرة ، لانه حرم على الدوام من المعرفة الحقيقية ومن أى تحليل علمى لواقعه ومن تقاليد المناقشة الحرة ، فكان من البديهى أن ينظر هذا الجمهور الى هؤلاء الكتاب المسرحيين « المثقفين » نظرته الى جماعة من الثرثاريين المتسلقين بالكلمات ، وان تنظر اليهم أجهزة الاتصال الجماهيرية التى تقدمهم الى « الشعب » نظرتها الى نجوم السيرك : فما الفرق بين نجم المشى على الحبال وبين نجم المشى على الافكار المشدودة فوق هوة مظلمة ، تحتها شباك كثيرة للامان ، طالما أن المقياس الوحيد هو « النجومية » والقدرة على الاتيان بالاعمال والافكار الغريبة ؟ ·

مسرح الدولة ·· الى أين ؟

كان من البديهى أن تعتقد الطبقة المتوسطة المصرية ، بعد انتهاء معركة ١٩٥٦ وامتداداتها فى العامين التاليين ، فى مواجهة الخطة الامريكية لوراثة المنطقة ، وبعد تحقيق الوحدة المصرية السورية وهزيمة الثورة المضادة فى لبنان وسقوط حلف بغداد ، كان من البديهى أن تعتقد هذه الطبقة المتسرعة القصيرة النظر أن معركتها مع الاستعمار قد انتهت ، وأنها قد انجزت مهامها الوطنية ، باستثناء بعض المعارك الجزئية البعيدة التى لن تقوم فيها بأكثر من مهمة التشجيع والمساعدة ، وأنها قد آن لها الاوان لكى تستريح وتستمتع بالحياة ·· والمسرح هو أحد وسائل هذا الاستمتاع ·

وفى موسم واحد (٦٢ — ٦٣) كونت الدولة ثلاث فرق باسم « فرق التليفزيون المسرحية » ، ثم أصبحت عشر فرق كاملة ، فى الموسم الاول قدمت الفرق الثلاث أربع مسرحيات عرضت ٩٤ حفلة عرض وحضرها ٢١٧٤٥ متفرجا ، وفى الموسم التالى انخفض معدل الحفلات والمتفرجين الى النصف تقريبا ، رغم أن عدد المسرحيات قد زاد بمعدل النصف : قدموا ست مسرحيات عرضت ٨٦ حفلة عرض وحضرها ٢٠٨٥٣ متفرجا (١٧) ·

كانت المسرحيات المعروضة فى الموسمين مستمدة أصلا من روايات مصرية وأجنبية تمت مسرحتها ، وبديهى أننا لن نتعامل مع مؤلف الرواية وانما مع المعد المسرحى ، فلم يتعامل

(١٧) راجع مجلة المسرح — يوليو ١٩٦٦ — ص ٢٧٠

جمهور المسرح مع نجيب محفوظ أو عبد الرحمن الشرقاوى أو احسان عبد القدوس أو يوسف السباعى أو جوجول ، وانما تعامل مع أنور فتح الله وأمينة الصاوى ونعيمة وصفى وفيصل ندا ورشاد رشدى ، ورغم الهبوط المؤكد فى مستوى « فكر » الاعداد المسرحى بالمقارنة مع مستوى الاعمال الروائية الاصلية ـ رغم الاختلافات الطبيعية فى هذا المستوى الاول ـ فان الجمهور قد رفض هذا النوع من الاعمال ، وانخفاض اقباله فى أقل من عام الى أقل من النصف دليل على هذا الرفض ، كان الجمهور يبحث عن شىء آخر غير مجرد الفكر ، والنقد الاجتماعى ، ففى مثل هذه الفترة التى تتوهم فيها الطبقة المتوسطة أنها قد حققت الانتصار النهائى الذى يختتم كل المعارك ، وأن آفاق المستقبل قد أصبحت فى متناول الايدى الممدودة ، لابد أن تلجأ هذه الطبقة الى « مخدر » فكرى يساعدها على تجاهل ما يحيق بها فى الواقع من الخارج ومن الداخل فى آن معا ، هذا المخدر الفكرى غالبا هو الفكاهة ، والضحك ، والسخرية من كل شىء ، كما يقول ألكساندر بلوك ٠

ومن الوجه الاخر ، فى مثل هذه الفترة ، لابد أن يلجأ المثقفون الى عوالمهم المكتملة الواضحة ، يرتبون فيها النقائض ، ويقيمون المعارك بين الرموز ، ويستخلصون دائما النتائج الخاطئة كما يقول بلوك أيضا ، فاذا كان الفن محاولة لتحويل الافكار الى مشاعر ، واذا كان الفن المسرحى بالذات محاولة لتحويل المواجهة بين الافكار الى مواجهة بين المشاعر ، فمن العبث أن تتم فى المسرح مواجهة بين رموز الافكار بينما يطلب من المشاعر أن تظل على ما هى عليه ، فالافكار فى المسرح السياسى المباشر ، لابد أن تستمد من الواقع أو أن تحاول الاتجاه اليه بالتأشير ، فاذا حلت رموز الافكار محل الافكار نفسها ، كانما قام الكاتب المسرحى باختزال الواقع مرتين : مرة الى الفكرة ، ثم الى الرمز ، حينئذ سيتم طمس معالم الواقع ومحو كل علاقة بينه وبين الفكر ـ وهى علاقة كانت واهية فى الاصل ـ بينما يحافظ المسرحى المثقف على الارتباط المباشر بين مشاعره وبين الواقع كما يتصوره ، حينئذ سيمدنا بشعوره الواقعى ، ولكنه المركب على فكرته المجردة ، فلا عاصم للمسرحى حينئذ من تشويه الواقع الا أن يحافظ على نوع من الهدف «المطلق» ، مثلما فعل الفريد فرج فى مسرحيته « سليمان الحلبى » فى عام ٦٥ ـ ٦٦ ، فقد كان يبحث عندئذ عن معنى للعدالة المطلقة فى عالم شديد الواقعية ، شديد التعقيد ، وكان منطقيا مع نفسه ومع موضوعه جعل الدور الاول للبطولة الفكرية الفردية ، ووضعها فى موقف تراجيدى خالص ، أما يوسف ادريس وعبد الرحمن الشرقاوى وسعد الدين وهبه فى مسرحيات المهزلة الارضية والفتى مهران وبير السلم ، فقد أبعدتهم الرغبة فى اختزال الواقع لحساب المستقبل ، والرغبة فى الوصول الى تصور كلى عن الواقع من خلال الرموز المجردة المستمدة من تصورات ذهنية فى أطر تاريخية أو معاصرة ، أبعدتهم هاتان الرغبتان عن الواقع مرتين ، بعد أن كانوا قد أداروا ظهورهم للواقع نفسه فى مقابل العوالم الذهنية الثابتة التى يفضل المثقف أن يتعامل معها ، بدلا من واقع ناقص ومضطرب ولا يسمح بمواجهته مواجهة حرة ٠

والنتيجة الوحيدة لهذا الموقف الذى تكون رغبة الطبقة المتوسطة فى الضحك والتسلية والسخرية من كل شىء ، طرفه الاول ، وتكون طرفه الثانى رغبة المثقف المسرحى فى الافلات من مواجهة الواقع مع الوصول الى نتائج مطلقة وشاملة بشأنه ، النتيجة الوحيدة هى أن ينصرف الجمهور الباحث عن الضحك ، عن المثقفين المسرحيين الباحثين عن المعانى المطلقة ، مهما لجأوا الى البهارات اللاذعة التى قد تساعد على ترويج بضاعتهم لدى جمهور يبحث عن بضاعة أخرى ، أى مهما لجأوا الى عناصر الاضحاك المرير ، أو مهيجات السخط ، أو نجوم الممثلين !

فجمهور الطبقة المتوسطة يعثر على ما يريده فى أماكن أخرى ، بضاعتها الوحيدة هى الضحك بكل وسيلة ، مزودا ايضا بكل البهارات الممكنة التى تتماشى مع ذوق الطبقة التى تريد أن تستريح وأن تزداد نموا ، والتى فقدت كل مقدساتها : بهارات الجنس ، وتملق السخط على نظام لا يريد أن يتركها وشأنها ويصر على أن يزج بها فى معارك لا تنتهى ضد عالم تشتهى الطبقة نفسها أن تندمج فيه وضد قيمه ـ قيمها هى أيضا ـ ومصالحه ، وبهارات تملق سوءاتها والهجوم على خصومها ، وعلى المثقفين « المتفلسفين » أيضا الذين يصرون على ازعاجها بأحلامهم أو بمطالبتهم لها بالتفكير أو برفع شعارات التقدم الذى لا تريده ٠

وموقف الطبقة المتوسطة الجديدة ـ فئاتها العليا والوسطى بالذات ـ لا يتغير سواء استمرت فى توهم الانتصار أو واجهت الهزيمة فى معركة جديدة لانها لم تعد طبقة ساعية الى التحقق أو طبقة ثورية بمعنى من المعانى ، وانما أصبحت طبقة تدافع عما حققته بالفعل ، ولا بأس بمزيد من التوسع ، شريطة أن يتم ذلك فى هدوء ودون تعب ٠

فى احصائية عددية ، تقول بأن عدد المراقص وعلب الليل التى لا تؤمها الا الفئات العليا من هذه

الطبقة قد ازداد الى أكثر من الضعف منذ يونيو ١٩٦٧ ، وبالمقابل أيضا ، فان فرق المسرح الخاصة ، التى تقدم البضاعة المسرحية المطلوبة والتى توفر نوعا من التسلية يقترب فى هدفه « العصبى » من الهدف الذى تحققه علب الليل ، قد تضاعفت هى الاخرى الى اكثر من ثلاثة أضعاف ، وفى صيف عام ١٩٧٠ ، كانت هناك عشر فرق أو أكثر تعمل فى مدينة الاسكندرية، غير ما بقى فى القاهرة ، والمشكلة بالطبع ليست هى أن تكون هذه الفرق تابعة للدولة أو فرقا خاصة مملوكة لافراد أو لجماعات ، المشكلة بالفعل هى نوع ما تقدمه هذه الفرق ، ودلالاته الاجتماعية ، وكيفية تنفيذه لكى يلائم طلبات جمهوره ، ومعناه الدال على ذوق جمهوره ومواقفه الفكرية .

اذا نظرنا فقطالى أسعار مقاعد هذهالفرق،والى أماكن تواجدها لاكتشفنا أى فئة طبقية يمكن أن تكون جمهورها ، واذا فكرنا فى موضوعات مسرحياتها التى تجعلالخصومالاجتماعيين «للتقدم» هم الارستقراطيين المتمصرين ، بعد أن انقرضت طبقتهم بزمن طويل ، وأسقط نظامها السياسى وأبعد عن السلطة الاجتماعية — مثلما نرى فى مسرحية مثل« أنت اللىقتلت عليوة» أوالموضوعات التى تنسب الى الطبقات الشعبية كل السمات الاجتماعية والاخلاقية للطبقة المتوسطة الجديدة : سمات عبادة النجاح السهل والامتلاك وعبادة السلع الاستهلاكية واحتقار الروابط الانسانية والافتقار الى التماسك النفسى والى صلابة الشخصية فى مواجهة مغريات التسلق الاجتماعى والكسب السهل (مثل مسرحية « بين النهدين ») أو الموضوعات التى تجعل اعداء التقدم فى مرحلة تاريخية سابقة هم انفسهم اعداء التقدم فى مرحلتنا التاريخية الراهنة،والتى تجعل الزعيم الوطنى وقائد مسيرة التنمية الاجتماعية تجعله واعظا مبشرا بمكارم الاخلاق لا قائد عملية تغيير اجتماعى حقيقية ، وتزيف حقيقة الارتباط بين الثورة الوطنية فى أقطار الوطن العربى وتتملق النزعة الاقليمية لدى الطبقة المتوسطة ، وتحول جماهير الفئات الدنيا الى قطعان من « الهتيفة » (مثل مسرحية « ياسين ولدى ») أو الموضوعات التى تصنع مسرحا خصيصا لتمجيد « جسد » نجمة معينة ، فتقدم بذلك هذا المزيج السحرى الذى يقدم الجنس مجسدا فى معبود خاص تتركز حوله عواطف رجال الطبقة المتعطشة (مثل مسرحية « موزة و ٣ سكاكين » أو مسرحية « نجمة الفاتنة ») أو الموضوعات التى تؤكد التفوق الاخلاقى والفكرى — علاوة على التفوق المادى والاجتماعى — للطبقة المتوسطة على الطبقات الشعبية الغليظة السوقية المبتذلة .. الخ . (مثل مسرحية « برعى بعد التحسينات » أو مسرحية « الشنطة فى طنطة ») أو الموضوعات التى تتفكه بقيم الفن النبيلة ، وقيم الانسان الكادح الساعى الى المعرفة أو الجمال وتصم كل المثقفين بالادعاء والاحتيال (مثلمسرحية « البكاشين ») أو الموضوعات التى تلوك الدعايات القديمة عن شيوعية الجنس واحتقار الدين والوطنية الخ (مثل مسرحية « الشبعانين ») أقول أن هذه الموضوعات وغيرها أشكال كثيرة من نفس النوع والبضاعة ، لابد ستشير اشارة واضحة الى الدلالات الاجتماعية لهذا النوع من الفن المسرحى ، اذا كان الشكل هنا مما يسمح لنا بأن نطلق على معالجات هذه الموضوعات من خلاله اسم « الفن » .

فمن العسير — باستثناء اعمالنادرة — أننفصل فى هذا النوع من العروض بين التجسيد المسرحى والحدوتة ، ومن العسير أن نجد شيئا ذا قيمة فنية متميزة ، اذا جردنا العرض من النكات القبيحة والتلميحات الجنسية بالكلمة ، أو الايماءة أو الحركة ، ومن المستحيل أن نعثر على « خطة عمل » مسرحية واضحة اذا تابعنا عرضا واحدا لليلتين متواليتين ، ومن النادر كذلك أن يخرج الشكل عن اطار مسرحية الصالونات البورجوازية رغم هلهلة الصورة المحلية داخل اطار القرن التاسع عشر الاوروبى ، ومن المستحيل أن نجد أثرا من معرفة علمية بشىء ما ، أو اثرا من هم عقلى موضوعى، ومن الفكاهى أن نبحث عن أثر لشاعرية أو لرغبة فى التحليق أو حتى فى « التجلى » .. فان غلظة الذوق والسماجة صفات ملازمة « للفن » الذى تطلبه طبقة تريد أن تضحك فقط ، وأن تسخر من كل شىء بعد أن كانت تفقد ايمانها بكل شىء ، رغم التظاهر الحديث بالرغبة فى « الجدية » وفى « الارتفاع بمستوى النصوص والاخراج » فليست هذه كلها سوى ردود فعل مؤقتة أو جزءا من الرغبة فى « التظاهر » لا تفارق التكوين النفسى والفكرى لطبقتنا المتوسطة — بعد أن اكتمل هذا التكوين على أساس الاستغناء عن كل ما هو عقلى أو روحى أو معنوى فى الانسان !

هذه الطبقة فى مسرحنا ، وربما فى حياتنا الثقافية كلها هىالمشكلة، مثلما أنها هىالمشكلة فى حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، والمشكلة لا تنبع من وجودها ،ولا من كيفيةالافلات منها ، وانما فى كيفية الوصول الى ما وراءها — أو الى ما تحتها فى الحقيقة الاجتماعية — وفى العناصر التى يمكن أن تصل الى ذلك الجمهور — البعد المطلوب — لا أن تعبر عنه فقط ، وأنما أن تجتذبه ، وأن تؤثر فيه !



في مسرحنا الغاضب

غالى شكرى

أثارت بعض أعمالنا المسرحية ، قبل وبعد يونيو ١٩٦٧ ، الكثير من الضجيج والضوضاء التى تستحق منا بين الحين والاخر نوعا من اعادة النظر ومراجعة النفس .. حتى يفكر كتابنا ومخرجونا من جديد فى الحصاد الحقيقى لهذه الضجة أو تلك ، ماذا تبقى منها وماذا أخذته الرياح ، حتى نضع أيدينا على الشعرة الرفيعة الفاصلة بين الزائف والاصيل .

ومن الطبيعى أن يكون التفكير السياسى فى المسرح المصرى ، هو العامل الرئيسى فى كل ما أثير حول بعض المسرحيات من زوابع عاصفة .. ولكن هذا التفكير السياسى فى مسرحنا المعاصر لا ينبغى أن يدفعنا الى اطلاق تسمية « المسرح السياسى » على ما نكتبه وما نخرجه من مسرحيات ، لان هذه التسمية كما وفدت علينا من الغرب والشرق ، كانت تعنى « مرحلة » كاملة فى تطور المسرح العالمى ، لا يتناقض فيها الشكل مع المضمون ، ولا يختلف فيها المخرج مع المؤلف .. هى تلك المرحلة التى تجد بذورا لها فى مسرح بريخت المناضل ضد النازية ، ولكنها الان تجاوزت الاصول البريختية مع ازدحام المشكلات على مسرح السياسة الدولية ، وما يصحب هذا الازدحام من تعقيد وتركيب لم يخطر على بال بريخت وعصره .

وليس من شك فى ان عنصرا جوهريا من عناصر تاريخنا المسرحى يعتمد على التأثر والتفاعل مع التأليف المسرحى فى الخارج ، وذلك لغياب فن المسرح ـ بمعناه الحديث ـ من تراثنا القومى .. ولقد كان من النتائج المباشرة لذلك الغياب والتخلف الحضارى عن أوروبا لامد طويل ، أن تأثر كتابنا المسرحيون فى أعمالهم بتيارات أجنبية بالغة التعارض فيما بينها ، وأحيانا اختصروا الزمن واختزلوه فى نقل اتجاهات فنية من عصور مختلفة دفعة واحدة . لذلك كانت هذه الفوضى التى حاول توفيق الحكيم ـ رائد المسرح المصرى ـ بقدر ما يستطيع أن ينظمها بتحديده لمجموعة من المحاور الفكرية التى تتخلل أعماله كلها ، وفى مقدمتها محور « الفكرة الحضارية المصرية » . كما حاول نعمان عاشور من بعده أن يسهم فى تنظيم معالم هذه الفوضى بارساء معالم « الفكرة الاجتماعية الاشتراكية » .

ولكن اصطراع خشبة المسرح العالمى بشتى الاتجاهات الحديثة من بريخت الى بيكيت ومن جون أوزبورن الى هارولد بنتر ومن بيترفايس الى كاتب ياسين وجورج شحادة ،

وكذلك اصطراع خشبة الاحداث السياسية فى بلادنا بشتى الافكار والانفعـالات .. ادى ذلك كله ــ وعنصر النقل والاقتباس والتـأثر عنصر جوهرى فى حياتنا المسرحيـة ــ الى استئناف الفوضى لنشاطها العـارم على خشـبة المسرح المصرى تأليفا واخراجا .. بحيث أن المسرحيـة الواحدة أصبحت تتضمن مذاهب الفن المسرحى منذ فجر التاريخ الى اليوم . وقد عثر المؤلفون والنقاد على الحل السحرى فى تعبيرات مثـل « **المسرح الكامل** » و « **المسرح الملحمى** » وأخيرا « **المسرح السياسى** » .

ولقد أحاطت الضجة خلال السنوات الاخيرة هذه الاعمال التى ادعت أوتطوع الاخرون بالادعاء نيابة عن أصحابها ، أنها تندرج فى خانة المسرح السياسى . وهى الضجة التى بدأت بمسرحية « **الفرافير** » **ليوسف ادريس**،وتجددت مع « **الفتى مهران** » **لعبد الرحمن الشرقاوى** ، واستجدت مع « **بير السلم** » **لسعد الدين وهبة** ، وعنفت مع « **بلدى يا بلدى** » **لرشاد رشدى** ، وازداد عنفها مع « **العرضحالجى** » **لميخائيل رومان** ، ووصـل العنف ذروته مع بقية العروض التى عدلت أو أجلت أو أوقفت طوال الموسم الماضى ، كمسرحية « **المخططـين** » **ليوسف ادريس** ، ومسرحـيتى « **سبع سواقى** » و «**الاستاذ**» **لسعد الدين وهبة** ، و « **الحسين** » **لعبد الرحمن الشرقاوى** .

ومن قبيل مراجعة النفس ينبغى الاعتراف بأن معظم الضوضاء التى أثيرت وتثار كل مرة لايرجع سببها الرئيسى الى الاتجاه السياسى للكاتب بقدر ما يرجع الى درجات متفاوتة من الجهـل لدى القائمين على المنع والمنح ، والى درجات متفاوتة من المزايدات السياسية لدى القائمين على النقد والنقض . ان جميـع الاعمال المسرحيـة التى تعرضت لكثير من المشاحنات ، لم تتعرض لجوهر نظامنا السياسى بسوء ، وانما تناولت الجزئيات والتفاصيل التى من شأنها الاساءة الىهذا النظام فيما لو بقيت على حالها دون تغيير . ومن هنـا يمكن القول بأن غضب الغاضبين قبل الخامس من يونيو لم يكن ليزيد على كونه غضبا هشـا أقرب الى النرفزة منه الى الغضب الحقيقى الذى يتناول الجوهر والجذور ، ولذلك كان تنبؤ البعض منهم ــ على نحو من الانحاء ــ بهزيمة ٦٧ أقرب الى نواح العاجز عن درء خطر داهم شـارك العجز فى صنعه . كما يمكن القول بأن غضب بعض الغاضبين بعد الخامس من يونيو لم يكن ليزيد على كونه مسرحة لغضب النظام وتكرارا وترديدا لشعارات هذا الغضب ، وقد تقمصها الممثلون والمخرجون ومهندسو الديكور ، ولذلك كان صراخ مؤلفينا الفاجع كندب الثكالى ورثاء الايتام . ولعل ارتفاع النبرة فى أصواتهم قبـل وبعد الهزيمة ــ وهو الامر الذى استتبع صياح أشباه الديكة وتشنجات مرضى الاعصاب ــ كان مصدره الحقيقى هو توقفهم على السطح ، وهو مكانهم الفكرى والاجتماعى الذى اختاروه واختير لهم ، حيث ظلوا بمنأى عـن الرؤية العميقـة والصحيحة للشرخ الذى يتهدد البناء بالسقوط . ان غضبهم ــ اذا جاز لنا أن نستخدم التعبير مجازا ــ كان على أنفسهم ولم يكن على المجتمع، كان على النظام ولم يكن غضبا منالنظام . ويبدو هذا التصور طبيعيا لوأننا القينا نظرة سريعة على أهم الاسماء التى تحتل قائمة التأليف المسرحى فى بلادنا . ان غالبيتهـم تشـغل من المراكز الاجتماعية اللامعة وتتقاضىمقابلكفاءاتهاالادارية والفنية ما يحصنها ضد أى تفكير عدائى للنظام الذى أصبحت جزءا منه لا ينفصل عـن بقيـة الاجزاء ، لو تداعى قيد أنملة لانهارت معه .

ولكن الكاتب ، مهما توحد مع النظام السياسى القائم ، يعلم تماما أن همزة الوصل السحرية بينه وبين الجماهير هى النقد . ولم يعرف تاريخ الفن كاتبا ذا موهبة لم يكن ناقدا لمجتمعه والحياة من حوله .. حتى أمسى من التعريفات المتداولة والشائعة للادب أنه « فن نقد الحياة » .. فاذا كان الكاتب « مع » النظام ، عمد الى تجريح المظهر دون الجوهر ، أما اذا كان « ضد » النظام ، فهو يقصد فورا الى تعرية الجوهر لا يعنيه المظهر فى كثير أو قليل . وغالبا ــ أقول غالبا ــ ما يصوغ النوع الاولتجريحه فى اطارتفصيلى منالجزئيات الاجتماعية التى تكتشف خـير تجسـيداتها فى الكوميديا أو التراجو كوميديا ، بينما يصوغ النوع الثانى تعريته فى قالب مركز من القضايا الكلية التى تكتشف خير تجسـيداتها فى التراجيديا . وعندما ينحدر النوع الاول أو تتدهور موهبتـه وخبرته وثقافته فان عمله يقتصر على شىء شبيه بالتشنيعات والفارس ، وعند ما ينحـدر النوع الثانى لنفس الاسباب ، فان عمله يتحـول الى الفوازير والالغاز والميلودرام . غير أن القضية لا تتغير فى جميع درجات الموهـبة والخـبرة والثقافة ، الا بمقدار الحنكة والحرفية والمكر المسرحى ، الذى يدعم به الفريق الاول النظام السياسى الذى ينتمى اليه ، وان « شنع » عليه بأكثر اللهجات حدة وبعدا عن التعفف .. والذى يدعم به الفريق الاخر وجهة النظر المضادة للنظام الذى يعيش فى ظله مهما تمادى فى الصمت أو الفكر المجرد أو أغرقنا فى طوفان مـن الدموع وسيل من المفاجآت .

ان معظم الاعمال الهامة التى قدمها مسرحنا « الغاضب » لا تخرج فى اطارها العام عن أصول التراجوكوميديا ، ولكن الفوضى التى ضربت أطنابها فى حياتنا المسرحية من جراء تاريخنا « القصير » نسبيا فى هذا المضمار وارتمائنا بلا تحفظ فى احضان المودات الاوروبية المتزايدة عاما بعد عام ، هو الذى يلقى بظله المديد على التراجوكوميديا المصرية فتبدو لنا أحيانا وكانها مسرح سياسى أو عبثى أو ملحمى .. الى بقية القائمة . بينما لو دققنا النظر — وراجعنا النفس ! — لاكتشفنا أن التفاصيل الاجتماعية هى الخامة الرئيسية للفكرة المسرحية ، وقد رصعت بألوان حريفة من الهجاء والسخرية والتجريح أحيانا للمظهر الخارجى وخدش السطح الاملس . كما أننا نكتشف المفارقات الكوميدية وقد « فرجت » عن الكظوم المحترقة فى الصدور ، وتسامت بها عن النظر فى الكل الى التدقيق فى الجزئيات المنثورة بمهارة هنا وهناك . وهو المنهج الذى أخذ به نجيب الريحانى فى تمصيراته الشهيرة ، وكان أكثر مرارة من بعض كتابنا اليوم ، ولكنه لم يكن ضد النظام السابق على ٢٣ يوليو ، وكذلك كان جمهوره من العمد والباشوات الذين ضربهم فى مسرحياته بالبيض والطماطم . وهو نفس المنهج الذى تتدرج مستوياته على الخشبة المصرية المعاصرة من مسرح تحية كاريوكا الى مسرح سعد الدين وهبه ، المسرح الذى يسب ويلعن أولئك الجالسين فى الالواج والصفوف الاولى من الصالة ، أولئك الذين تلتهب أكفهم من التصفيق رغم اللعنات والسباب ، لانهم فى مستوى ذكاء المؤلف و « على الخط » معه ، سواء كانوا من مثقفى البرجوازية الصغيرة الذين تنبهر عيونهم من البروق والرعود أو من سادة الطبقة الجديدة الذين يغضون الطرف عن الاثر السريع والموقوت ، ولكنهم يحملقون جيدا فى الاثر البعيد والطويل المدى . واذا كانت هناك قلة من ضيقى الافق الذين يطبقون التعليمات تطبيقا بيروقراطيا ، وقلة من الملكيين اكثر من الملك ، فان السلطة فى أعلى مستوياتها كم تدخلت لتنقذ هذا العمل الفنى أو ذاك من براثن البيروقراطيين والمزايدين . والمرات القليلة التى تدخلت فيها السلطة السياسية بالمنع أو التأجيل أو التعديل ، كان بعض المثقفين ومزايداتهم وبعض الموظفين وبيروقراطيتهم ، هم السبب الرئيسى والمباشر فى اتخاذ القرار الادارى أو السياسى (١) . هذا لاينفى أن رقيبا داخليا ربته الظروف السلبية عبر السنين قد حال بشكل فعال دون أن تظهر أصدق الاعمال وأكثرها أصالة فى دائرة الضوء ، كما أن هذا الرقيب الداخلى كان وما زال انعكاسا أمينا للرقيب الخارجى الذى لا تتجاوز به القدرة على المناورة والديماجوجية أسوار النظام .

على أن هذا المجرى الرئيسى للغضب المعاصر فى المسرح المصرى ، لا ينفى أنه كانت هناك بضع جداول على جانبيه ، حاولت قدر المستطاع أن تنأى عن المظهر الخارجى وجرؤت على الولوج الى جوهر الاشياء سواء كانت جرأتها من أجل تغيير أكثر تقدما أو أكثر رجعية . والكثرة الغالبة من هذه الاعمال ارتبطت باللحظة العابرة ارتباطا ميكانيكيا ومسطحا فلم تشتمل على أية أبعاد تتجاوز ما هو آنى وموقوت ولم تتطلع الى آفاق أكثر رحابة وعمقا . والقلة القليلة هى التى ربطت بين الحاضر المباشر والمستقبل غير المرئى ، واستنبطت من الجزئى والمادى والمحسوس نظرة انسانية شاملة . ولكن هذه الجداول السلبية والايجابية التى حاولت المساس بالجوهر — ان يمينا أو يسارا — شقت طريقها الى العقول والقلوب فى أطر مجردة من مشجب التاريخ ، تراوحت بين الرمز المكثف والكناية المكشوفة واللغز والفزورة . وتتفاوت القيمة الفنية للرمز — تبعا لذلك — من أن يكون رؤيا فنية مشعة وبؤرة لمختلف المشاعر والافكار الراسبة فى عمق الاعماق الى أن يكون مجرد معادلة رياضية يتيسر حلها أو يعسر حسب القدرة الذهنية أو الطاقة العقلية أو الذكاء المجرد . ولان المعادلة « الغاضبة » فى المسرح المصرى كانت ولاتزال معادلة سياسية فانها لا تتطلب عبقرية خاصة لحلها ، وانما هى فى الاغلب الاعم من البساطة والتسطح بحيث أنها تسلم نفسها بنفسها الى أقرب شرطى « فى خدمة الشعب » !

فى البدء كان السلطان حائرا

وليس من شك فى أن قضية الديموقراطية بتفسيراتها المختلفة كانت ولاتزال هى المحور الرئيسى والثابت لغضب الغاضبين من كتابنا ومخرجينا . **وربما كان جيل نعمان عاشور ولطفى الخولى والفريد فرج ويوسف ادريس ،**

(١) كان الرئيس أنور السادات — قبل توليه الرياسة — هو الذى أفرج عن فيلم « ميرامار » ، وكان السيدان كمال رفعت وأمين هويدى هما اللذان حالا دون توقف « الفتى مهران » عن العرض ، وكان السيد شعراوى جمعة هو الذى أذن بعرض « يس ولدى » .

وسعد وهبة هو العلامة الفارقة فى التمرد الاجتماعى على خشبة المسرح المصرى ، ذلك أنه انتقل بهذا التمرد من مرحلته الطوبائية والجزئية الى مرحلة ثورية وشاملة . ولكن هذا المسرح الواقعى فى ثوريته وشموله لم يكن غاضبا بالمعنى السائد الان ولا بالمعنى الذى نقصده . وانما كانت أقصى درجات ثورته هى انه تبنى المنهج الجدلى التاريخى فى تحليل هادىء لتطور مصر الاجتماعى . كان يفسر تفسيرا ماديا واضحا لماذا كان يجب ان نثور على نظام ما قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ولماذا يجب أن تستمر ثورتنا على بقايا ورواسب ذلك النظام . تلك هى التيمة المشتركة بين معظم أعمال المسرح الواقعى الجديد على اختلاف التنويعات الفنية والخامات البشرية ، كالاعتماد أساسا على بناء الشخصية الدرامية ، أو الحدوتة أو الفكرة ، **وكاتخاذ البرجوازية الصغيرة أو العمال أو الفلاحين أو المثقفين مادة انسانية للدراما (هكذا كان الامر فى « الناس اللى تحت » و « الناس اللى فوق » و « قهوة الملوك » و « القضية » و « جمهورية فرحات » و « ملك القطن » و « المحروسة » و « السبنسة » ... الخ)** .

غير أن حركة التطور الاجتماعى فى مصر ، لم تكن تمضى فى خط مستقيم ، وانما شابتها التعرجات والمنعطفات التى يشعر الفنان ازائها بأن الواقعية البسيطة الدارجة لاتسعف بمواكبتها أو رؤيتها .. فرغم استلهامه السابق للجزئيات والتفاصيل الدقيقة من الواقع المباشر ، الا أن الصياغة الدرامية كانت تجنح به من البداية — تبنى نظرية اجتماعية محددة للتحليل — الى التعميم والاطلاق والتجريد ، كانت تميل به نحو التبسيط . لقد اختلفت بداية الخمسينات عن نهاياتها ، وتعقدت المسيرة الثورية تعقدا بالغا ، واضحت الاعمال الواقعية أقرب الى الاحلام والامنيات واليوتوبيات منها الى التفجير الثورى للواقع الجديد . ومن هنا كان الطريق أمامها مسدودا فيما لو استمرت ، كان مأزقها الخطير أن تنفصل عن الواقع باسم الواقعية ، أن تتوازى مع الواقع ولا تتشابك — أو تشتبك ! — معه ، أن تتحول الى نوع مخدر من أنواع الرومانسية .

ولقد كان « التاريخ » هو أولى الديكورات الرمزية فى مسرحنا « الغاضب » ولعل **توفيق الحكيم** هو رائد هذا الديكور التاريخى فى مسرحيته الهامة « **السلطان الحائر** » (١٩٥٩) ، وان كانت أردية التاريخ ليست جديدة على مسرح الحكيم ، الا أن اتخاذ العصر المملوكى وقضية الديموقراطية محورا فى هذه المسرحية كان بداية صف طويل من الاعمال المسرحية المرتدية ثياب ذلك العصر « الظالم » والناطقة بلسان القهر والعذاب .

يشكك الحكيم منذ البداية فى شرعية الحكم السلطانى بشائعة أطلقها احدهم تقول بأن السلطان الحالى لا يتمتع بوثيقة « العتق » من العبودية منذ أن تولى السلطة ، وبالتالى فلا يحق له حكم البلاد شرعا . ذلك ان السلطان الحاكم الان كان عبدا رقيقا عند السلطان الاسبق ، وقد خلفه على العرش بموجب وصية ، ولكنه نسى أن يحرره من الرق . على ذلك لابد من عرض السلطان فى المزاد العلنى ليباع ويرد ثمنه الى بيت المال . ومن يرسو عليه المزاد له الحق فى عتق السلطان واعادته الى العرش . وعندما تصل هذه الشائعة الى أذنى السلطان ويتأكد من صحة مضمونها ، يعرض الامر على وزيره وقاضى قضاته ، أما الوزير فيرى أن السيف هو العلاج الحاسم لقطع هذه الالسنة . وأما قاضى القضاة فيرى أن القانون يجب أن يأخذ مجراه . وتنال الحيرة من السلطان ، وينتهى به الامر الى ترجيح كفة القانون ، ويرسو المزاد على احدى الغوانى التى شاع عنها أنها فتحت دارها لطالبى المتعة ، وتشترط الغانية لعتق السلطان أن يبيت معها ليلة حتى مطلع الفجر . ويتفق الوزير مع القاضى مع المؤذن على أن يكبر بالاذان عند منتصف الليل حتى يعود السلطان الى عرشه قبل الفجر . وحين ينطلق الاذان فى تلك الساعة تنعقد عيون السلطان والغانية بالدهشة والذهول . ولكن القاضى الذى يتمسك بشكلية القانون يوافق الوزير الذى تآمر معه على أن الاتفاق بينهم وبين الغانية كان « الاذان » وليس نور الفجر ، وتفاجىء الغانية الجميع بموافقتها على عودة السلطان الى عرشه فى هذه الساعة . ولكن المفاجأة الكبرى كانت من نصيب السلطان نفسه الذى عرف حقيقة هذه « الغانية » التى عاشت حياتها نهبا للشائعات ، بينما هى لاتعدو كونها سيدة هاوية للفنون بالوراثة اضطرت أن تسفر عن وجهها فى مجالس الطرب التى تقيمها بمنزلها ، لا علاقة بينها وبين الرذيلة ، وانما بينها وبين الفضيلة أعمق الاواصر . انها افضل من الوزير المولع بالسيف والدم ، وأفضل من القاضى المولع بنص القانون دون جوهره . وتنتهى حيرة السلطان عند توفيق الحكيم بانتصاره للقانون حقا ، ولكن على قدمين من الزيف والتزوير .

تلك هى الديموقراطية الشكلية المجردة التى أبصرها الحكيم حلا — وان يكن ناقصا — لحيرة السلطة بين السيف والقانون فى وقت أطلت فيه أزمة الحرية على مسيرتنا الثورية ، وفى وقت تعقدت فيه خطى هذه المسيرة من هول الضربات


توفيق الحكيم

المباشرة وغير المباشرة لكل من الرجعية الداخلية والاستعمار الاجنبى . ولقد أصبح ديكور العصر المملوكى بعد مسرحية « السلطان الحائر » هو الديكور الرئيسى فى أغلب المسرحيات المصرية « الغاضبة » وهو الديكور الرامز الى الظلم والقهر . وكذلك اصبحت فكرة السلطان الطيب والحاشية الفاسدة هى محور ذلك الظلم والقهر .. والغضب .

غير ان هذا الاتجاه التاريخى فى مسرحنا « الغاضب » لم يكن هو الاتجاه الوحيد ، وانما كان هناك أيضا الاتجاه الذى يباشر القول فى صورة أشبه ما تكون بالواقع ، وأبعد ما تكون عن مشجب التاريخ . وكانت مسرحية « الدخان » (١٩٦٢) لميخائيل رومان هى اولى الاعمال الغاضبة فى هذا الثوب شبه الواقعى . وفى « الدخان » حيث ينتفى التجريد الذى عرفناه عند الحكيم ، يضيف الواقع عند ميخائيل رومان بعدا جديدا تشبثت به قضية الديموقراطية فيما بعد عند بقية الكتاب ، هو ذلك البعد المستلهم مما تواضعنا على تسميته فى الستينات بأزمة المثقفين .

لم يبتعد ميخائيل رومان فى « الدخان » عن تلك البيئة الاجتماعية الاثيرة لدى زملائه من كتاب المسرح الواقعى الجديد والتقليدى معا ، وهى بيئة البرجوازية المصرية الصغيرة فى المدن . ومهما قيل عن ضعف البناء الفنى فى « الدخان » فان أحدا ممن هاجموها عند ظهورها لم ينكر أن « حمدى » بطل المسرحية كان الانموذج الرائد لازمة المثقف المصرى منذ نهاية الخمسينات . وهى الازمة التى بلورت كل الازمات ، فالقضية الديمقراطية لم تعد مجرد ذلك الشكل الليبرالى للحكم ، والمسألة الوطنية كذلك لم تعد مجرد الخلاص من الشكل العسكرى للاستعمار القديم .. وانما اصبحت الديمقراطية تعنى السؤال والجواب حول نصيب الطبقات الشعبية فى صياغة المؤسسات السياسية للحكم ، كما اضحت المسألة الوطنية تعنى السؤال والجواب حول حماية الاستقلال الوطنى من أنياب الاستعمار الجديد المستتر خلف قفازات حريرية ، وأنياب الشرائح الطبقية الجديدة المستترة خلف الشعارات التقدمية .

هكذا كان « حمدى » تجسيدا حيا عميقا لابعاد البرجوازية الصغيرة من المثقفين المسحوقين تحت وطأة التفاهة والآلية (فى العمل) ، والعوز المادى المذل (فى البيت) ومن ثم يصبح الخلاص بالافيون هو الطريق المسدود (حيث ينتهى بملك المقطم متربعا على عرش البطولة يعز من يشاء ويذل من يشاء وهو أرحم الراحمين) . الافيون هو الملاذ الوهمى من العالم الواقعى الضاغط على أنفاس حمدى ، ولكن الواقع دائما أرسخ من الوهم ، وها هو ذا حمدى يفصل من العمل ، وها هو ذا خطيب شقيقته يهجرها .. والذراعان الرحيمان يستقبلانه عند المقطم بترحاب حار : ليس معه من المال ما يسدد به ديونه لملك الافيون ، والشبق الى المخدر ينال من أعصابه الى درجة الانهيار . والحل السعيد فى انتظاره ، أن يتزوج من « المعلمة » زينب ، يتزوجها أمام القانون لا ليسترها ، وانما ليتستر عليها أمام الناس ، ولكن لن يتزوجها أمام نفسه ولا أمام ملك المقطم وانما هو مجرد « برافان » . وهذا هو الجواب المطروح على سؤال حمدى : اذا أراد حماية نفسه من الانهيار ، فليعمل قوادا ، وليتعاط من الافيون ما تتسع له الاعصاب المشدودة على آخرها .

قبيل لحظة الاختيار بين انهيار وانهيار ، يستمع حمدى الى احدى قصص السجن الذى كان ملك المقطم نزيلا به فى يوم من الايام ، وهى قصة « واد سياسى » مريض بالسل رفض الخضوع لامباشى مجنون باذلال السجناء « **كان نفسه مقطوع وبرضه قاله لا** » لم يركع مع الاخرين الذين خروا على وجوههم ساجدين بمجرد أن نطق الامباشى بالامر «**بس سى مصطفى ماركعش . ايه . سى مصطفى ماركعش . كان ولد** » .

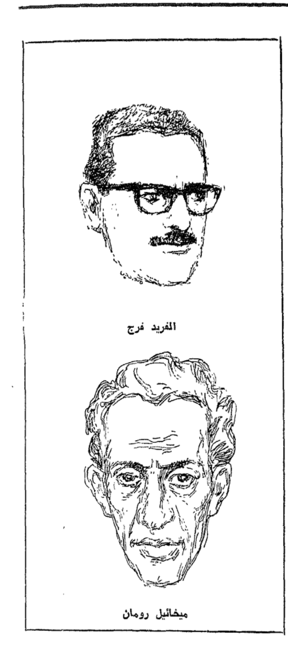
لم يخطر على بال ملك المقطم وهو يحكى هذه القصة انه نكأ جرحا غائرا فى أعماق حمدى ، جرحا أنفق عمره فى الافيون ليداويه . ومادام الجرح قد انفجر - ولو بيدى ملك الافيون - فليصرخ حمدى من عمق الاعماق « اللى عنده سل ماركعش .. اللى عنده سل ماركعش » ويرفض صفقة الشيطان ، ويولى الادبار هاربا من جديد . والمؤكد أن ميخائيل رومان قد عمد الى هذه

القصة الفرعية التى تبدو كما لو كانت الصدفة وحدها هى التى ساقت « رمضان » الى حكايتها ، ليربط — بهزة وصل ممكنة التحقيق — بين الواقع والمستحيل ، ليربط مابين البعد السياسى والبعد الاجتماعى، بين المسألة الخاصة والقضية العامة . واخيرا ليقابل بين مأساة التمرد الفردى [حمدى] وبطولة الانتماء الثورى [مصطفى] حتى اننا نشعر بان السجين الحقيقى هو حمدى ، وأن السجين السياسى هو الانسان الحر. على انهما معا يصوغان ازمة واحدة من زاويتين يبلغ بهما الاختلاف انهما على طرفى نقيض . يقول حمدى بانفعال شديد « **العالم مليان غلط** »،« **وانا لوكنت طلعت على الناس وشتمت ولعنت وتفيت على كل الحاجات الغلط ، اللى باكرهها ومش عاجباني . لو كنت قلت للغلطان انت غلطان وماخفتش منه ولا من اللى حايجرالى ، لوعملت كده ، لاكنت شربت حشيش ولا أكلت افيون . ولاكنت بقيت فى الحالة اللى انا فيها دلوقت** » .

وأصبح السلطان طيبا :

ويعود بنا **الفريد فرج** فى « **حلاق بغداد** » [١٩٦٣] الى التاريخ والفولكور ليستعيد ديكوره الرمزى من الف ليلة وليلة ، وكتاب المحاسن والاضداد للجاحظ : حكايتان شعبيتان بطلهما حلاق خفيف الظل يدس انفه فى كل شىء حتى ليتحول عن الحلاقة الى الشحاذة . هكذا هو فى « يوسف وياسمينة » العاشقين اللذين كاد يفرق بينهما وزير الدولة لانه يؤمل الزواج من الفتاة ، وقد وافق ابوها القاضى على ذلك . وفى ليلة الزفاف يهرب العاشقان وتوشك الليلة ان تنتهى بظلام حالك السواد لا فجر له ، لولا ابو الفضول الذى يفضى الى الخليفة بحقيقة الامر فيتدخل لصالح العاشقين ، ولكن بعد ان سحبت رخصة الحلاقة من ابى الفضول .

والخليفة فى مسرحية الفريد فرج رجل طيب انشغل عن رعاية الرعية بالصوم والصلاة ، وترك وزيره وحاشيته ينهشون فى طول البلاد وعرضها . فالحكاية الثانية « زينة النساء » هى محاولة الحلاق الشحاذ ابو الفضول أن يحمى أرملة جميلة من جشع شهبندر التجار وفراغة عين امين سر المحكمة ، وقبل أن تنجح المحاولة يتمكن ابو الفضول من نجدة الارملة الجميلة بافضائه للخليفة بكل شىء . ويدرك الخليفة ان ابا الفضول قد أصبح هدفا لحاشيته الفاسدة ، لانه يكشف عن فسادها ، فيعرض عليه « منديل الامان » الذى يحميه من مؤامرتهم ، ولكن ابا الفضول يهتف به أن يمنح « منديل أمان » لكل مواطن فى الرعية ، وحينئذ تنتهى كل المشاكل .



الفريد فرج

ميخائيل رومان

ما اشبه مسرحية الفريد فرج بمسرحية توفيق الحكيم ، وما ابعدها فى نفس الوقت ؟ تشبهها فى ذلك التصور للسلطان الحائر الذى اصبح رجلا طيبا ، ولولا الحاشية الجشعة لتغنى الناس بحكمه ونظامه. ولكنها تختلف عنها فى ان الجواب الديموقراطى معلق عند الحكيم باختيار السلطان لجانب القانون ونبذه للسيف، بينما الامر عند الفريد فرج معلق بحق الرعية كلها فى الحصول على « منديل الامان » الذى يمنحها شجاعة التحدى لكل ظلم يقع عليها وكل قهر يحيق بها . فالديمقراطية عند «السلطان الحائر» هى اختيار الفرد ، اما عند « حلاق بغداد » فهى اختيار الشعب المحكوم . ولكن المسرحيتين تعودان

للالتقاء حول « السلطان » فهو الذى يمنح نفسه والاخرين هـذا الاختيــار او ذاك . وتلتقى المسرحيتان اخيرا فى هذه الخاتمة السعيدة لازمة الحرية ، وهى الخاتمة التى فرضتها « الحدوتة » والتى كان من شأنها أن بسطت الجواب على سؤال مركب غاية التركيب .

وربما كان هذا الفرق بين مسرحيتي الحكيم والفريد فرج من ناحية ، وبين مسرحية ميخائيل رومان من ناحية أخرى، وهو الفرق الذى يصاحبنا على طول الطريق بين المسرحيات التى اجهضت غضبها فى النهاية الحدوتية للديكـور التاريخى الذى تلفعت به، والمسرحيات التى آثرت المواجهة الحية والمباشرة للواقع الاليم . كان الواقع اليما لان مصر الثورة أمست حبلى بالهزيمة ،وكان المسرح المصرى فيما بين ١٩٦٤ و ١٩٦٧ فى مقدمة المنابر التى تنبأت بالهزيمة بصورة مباشرة او غير مباشرة ، لمصلحة الشعب او ضده .. فالحق أنه قد تفاوتت الرؤى الغاضبة على خشبة المسرح المصرى بين السطحية والعمق ، ولكن تفاوتها الاكبر كان فى الاجوبة التى قدمتها على السؤال المطروح . لم يكن ثمة اختلاف كبير حول أن مرضا خطيرا يتهدد مصر وثورتها ، ولكن الاختلاف بدا واضحا فى تشخيص المرض واقتراح العلاج الامثل .

كان يوسف أدريس فى « الفرافير » ، و « المهزلة الارضية » يائسا غاية اليأس،لانه رأى بذرة السقوط كامنة منذ البداية فى «الطبيعة» **الانسانية والفزيائية على السواء . وكان ينشد** من دفعنا الى حافة اليأس أن يكون شرفنا هو محاولة البحث عن حل . لقد استبدل القدر اليونانى القديم بقدر جديد هو طبيعة السلطة أيا كانت سلطة السيد أو سلطة الفرفور ،وحتى غياب الدولة فى ظل الفوضـوية لم تحل لـه المشكلة ، فالانسان محكوم عليه كالثور الاعمى بالدوران فى ساقية جهنمية . ومن الطبيعى ان يخرج يوسف ادريس بهذه المعانى فى اطار درامى جديد يسقط الحائط الرابع ويستخدم الكورس ويستلهم السامر الشعبى الى غيرذلك من ادوات للتعبير لم تعرفها المرحلة الاولى من مراحل غضبنا المسرحى : فى شكله شبه الواقعى عند ميخائيل رومان ، وشكله التاريخى والفولكورى عند الحكيم والفريد فرج . واذا كانت « السلطان الحائر » و « حلاق بغداد » قد رجحا كفة الكوميديا الراقية ، واذا كانت «الدخان» قد رجحت كفة المأساة،فان «الفرافير» قد حاولت الجمع بين روح الفكاهة وروح المأساة : الفكاهة للسخرية من التفاصيل الاجتماعية

كالطوائف والمهن والطبقات المختلفة ، والمأساة المتجرثمة فى الكل الشامل بشقيه **الانسان والوجود.** **أن الكوميديا** مهما بلغ رقيها عند الحكيم والفريد فرج ، فانها تتناول الجزء دون الكل وتنتهى بالحلم السعيد ، والمأساة عند ميخائيل رومان تتناول الكل من خلال الجزء وتنتهى بقضبان السجن او المخدر . اما يوسف ادريس فيمزج الملهاة بالمأساة فى قالب مجرد ، يتماس مع الجزئيات ولا يشتبك معها وينتهى بالفاجعة ولكنه يتحداها . **لقد فشل** السيد فى ان يقيم الميزان بالقسـط ، وفشلت فرفوريا العظمى فى اقامة مملكة العدالة ، اخفق العالم بلا فرافير ، واخفق بلا سيادة ، ان الرابطة بين السيد والفرفور بكل ما يتخللها من آلام واحزان هى رابطة حتمية برهن يوسف ادريس على قدريتها بدوران الاكترون حـول البيوترون دورانا ابديا . غير أن كفر يوسف ادريس بامكانية تحقيق العدالة بين البشر ،يجب أن يقترن فى اذهاننا ووجداننا بصرخات الفرفور وهو يدور حول السيد مستنجدا بالجمهور « **يا عالم . يافرافير .. الحقوا اخوكم . انا صوتى ابتدا يتحاش . شوفوا لنا حل . حل ياناس . حل ياهوه لافضل كده .. لازم فيه حل . لابد فيه حل . النجدة . اخوكم خلاص فرفر.انا فى عرضكم حل . مش عشانى انا عشانكم انتم . دانا بامثل بس . وانتو اللى بتلفوا** » .. لاينبغى ازاء هذه الصرخات ان نحتكم الى المنطق الشكلى ونقول ان الفنان صادر مقدما على مختلف الحلول وبالتالى فان ثمة تناقضا بين هذه المصادرة والبحث عن حل . أن المنطق الفنى اكثر قدرة على تفسير الظاهرة الدرامية من هذا القياس الشـكلى الصارم .. فالحق أن ما يبدو على « الفرافير » من تعميم لمختلف الانظمة التى جربتها البشرية ، انما جاء نتيجة التجريد الفنى الذى آثره يوسف ادريس كمنهج للتعبيـر . ولكننا لو ربطنا بين ذلك التعميم ، والتخصيص الـذى عرفناه فى القفشات والقوافى التى تبادلها السيد والفرفور حول الاوضاع البشعة التى يحياها مجتمعنا بكل فئاته وطبقاته .. أذن لاستطعنا أن نربط بين القضية « المطلقة » التى جعل منها الفنان اطارا للمسرحية وهى قضية « **الحرية والسلطة** » وبين القضية « الخاصة » التى جعل منها القوام الاجتماعى للمسرحية وهى قضية **التحلل** الـذى آلت اليه القيم بين ظهرانينا **والخلل** الذى اصاب البناء بشرخ عميق الغور ، اذا ربطنا بين القضيتين على هذا النحو فسوف ندرك على الفـور أن المسرحيـة لاتناقش فى واقع الامر النظـام الراسمالى او الاشتراكى او الفوضوى ، وانما

تناقش نظامنا نحن ، ووضعنا نحن ، وازمتنا نحن . غير أن قالبها التجريدى هو الذى دفع صاحبها الى المبالغة الفنية فيما دعوناه تعميما وتناقضا بين المقدمة والنتيجة ، بينما « **البحث عن حل** » هو عصب المسرحية وعمودها الفقرى . لقد لاحظ توفيق الحكيم والفريد فرج أن ثمة شيئا غريبا طرأ على عروسنا « مصر الثورة » ولكنهما تفاءلا باقتراح الديمقراطية حلا ناجحا لهذه المشكلة . واشار ميخائيل رومان الى هذا الشىء الغريب وقال أن العروس حبلى بالهزيمة . وجاء يوسف ادريس ليحدد الكروموزومات التى كونت هذا الجنين المتوحش .

وتكاد « المهزلة الارضية » الا تضيف جديدا الى « الفرافير » سوى المزيد من اليأس والدفع الى حافته ، فالملكية الفردية هى اصل كل الشرور حقا ، ولكن لكل طرف من اطراف الشر حقيقته التى يبرر بها ما يقترفه من آثام فى حق الاخرين . وتكاد تشعر بان لا حقيقة موضوعية هنالك ، بموجبها أن نحكم لطرف ونحكم على آخر . ولكن تلك — ايضا — هى الحيلة الفنية التى يتوسل بها الكاتب لابراز شخصيته المزقة والمهزومة . شخصية الاخ الاصغر المثقف ، وشخصية الطبيب الذى يفضل أن يرتدى قميص المجانين مادامت ليست هناك حقيقة واحدة ، ومادامت كل الحقائق متساوية فى الخير والشر ، ومادام العجز عن قبول الواقع كما هو والعجز عن تغييره هو حقيقة الحقائق فى حياة هذا الجيل من المثقفين .

وأصبح السلطان غائبا :

وينحو سعد الدين وهبة فى « سكة السلامة » نحوا مغايرا فى تحديده للعوامل السلبية التى أدت الى الهزيمة . واذا كان نعمان عاشور ولطفى الخولى ويوسف ادريس فى مسرحهم الواقعى عند اواسط الخمسينات يركزون القول فى الحاضر الاجتماعى من خلال الصراع الدائر بين القديم والجديد ، فان سعد الدين وهبة كان مشغولا فى ذلك الوقت — الى ماقبل « سكة السلامة » — بما يشبه تحصيل الحاصل ، اى بالتأكيد على أن الثورة كان ولابد أن تحدث . أما المسيرة الثورية نفسها ، بما طرأ عليها من تغيرات فلم يطرأ على بال سعد الدين وهبة أن يناقشها الا فى « سكة السلامة » ومن بعدها «بير السلم» ومن الطبيعى ان تكون المسرحيات السابقة على هذه المرحلة الجديدة ، اكثر أحكاما من الناحية الفنية لان الفنان كان قد تمرس على معالجة قضية واحدة وان تعددت ثيماتها . اما فى «سكة السلامة » و « بير السلم » فهو يجدد فى الفكر والتعبير ، لان القضية المطروحة اختلفت ولكنه لايحرز نجاحا فنيا — خصوصا فى «سكة السلامة» — موازيا لنجاحه السابق ، ربما لنفس السبب .

منذ البداية يشير سعد الدين وهبة الى اننا فى مأزق حقيقى لا نحسد عليه ، وذلك أن عربة الاوتوبيس التى انحرفت عن طريقها الى الاسكندرية ، وتاهت فى الصحراء عند مفترق طرق لا يعرف ركابها الى اين تؤدى ، ليست الا مجتمعنا المعاصر بكل ما فيه من صراعات ومتناقضات تعقدت حركتها وتأزمت تفاعلاتها حتى بلغت هذا التيه الصحراوى الذى لايدرى احد الام يفضى . ولقد تمكن الكاتب من ان يستغل موقفا انسانيا عاما فى التعرف على المواقف الاجتماعية الخاصة بشخصياته واستغل مايمكن النظر اليه من زاوية اخلاقية فى التعرف على المواقف الفكرية لهذه الشخصيات . أن المفارقة هى العمود الفقرى للبناء الدرامى فى « سكة السلامة » ، واسلوب « العرض المسرحى » هو ديكورها الرئيسى .. فباستثناء العربة الفنطاس التى وصل بها سائقها الى نفس المكان ، لاتكاد المسرحية تتضمن احداثا بالمعنى المفهوم ، وباستثناء تلك الشخصية العجيبة التى تصادفهم فيما يبدو عند مقابر العلمين ، لا تحتوى المسرحية على اية اضافات بشرية تطور او تغير مجراها الاساسى . واذن فالعرض المسرحى لمجموعة من الحقائق الاجتماعية والفكرية من خلال « موقف » تأزمت عنده الامور ، هو الاسلوب الدرامى الذى اختاره سعد وهبة فى هذه المسرحية ، ولا سبيل امامه الا أن تكون « المفارقة » هى عماد الحركة على خشبة المسرح ، وهى مفارقة مؤسية فى جوهرها ولكنها كوميدية فى مظهرها ، انها احد اشكال ذلك المزيج المركب من الملهاة والمأساة ، ويسمونها كما قلت بالتراجو كوميديا .

من هم ركاب عربة الاوتوبيس القادم من القاهرة متجها الى الاسكندرية ، ولكنه تاه عند مفترق الطريق الصحراوى ؟ انهم ممثلة فاشلة جميلة اصطحبت قوادها الخاص ، وصحفى فاقد الذمة والضمير ، وعمدة يبحث عن واسطة ليدخل ابنه كلية الهندسة رغم عدم حصوله على المجموع ، وزوجة باشا سابق ، وغلام مريض بالشذوذ الجنسى ، وتاجر جمع امواله من البنوك غداة التأميم فى حقيبة لاتفارقه ، وموظف كبير هارب من زوجته بصحبة زوجة صديقه ، ورئيس مجلس الادارة المرتشى . هذه الصفات التى خلعناها على شخصيات سعد وهبة ، لاتتضح لنا الا بعد ان خلع عنها الفنان الاقنعة اللامعة المزركشة ، وذلك بالمطب الذى وقع فيه الجميع بتوقف

الاوتوبيس عن السير . ولاشك أن السائق هو المسئول الاول عن هذا المطب ، ولكننـــا ندرك شيئا فشيئا أن جميع الركاب مسئولون بدرجات متفاوتة ، سواء بطريق مباشر كما هو الحـــال بالنسبة للصحفى الذى كان يرغب فى التصييف فى مرسى مطروح فضلل السائق عن طريقه ، او بالنسبة لبقية الشخصيات التى اشتركت فى هدف واحد حقا هو الذهاب الى الاسكندرية ، ولكن نواياها منوراء هذا الهدف اختلفت اختلافا شديدا ، أو هى بعبارة أدق اتفقت اتفاقا شديدا. وليس هذا التعبير المتنـــاقض بعض الشيء الا تجسيدا للصياغة الدرامية لسكة الســـلامة .. فلقد توجه ركاب سعد وهبة الى الاســـكندرية حقا ، وهو هدف مشترك بينهم جميعا ، غير ان كلا منهم ذهب ليحقق غرضا مختلفا فى مظهره عن غرض الاخرين ، فالممثلة ذهبت لتمثل فيلما وتصطاد رجلا ، والموظف يود أن يقضى ليلتين من المتعة الصافية مع زوجة صديقه،وزوجة الباشا تريد ان تفتح الكوتشينة عند الخواجا اليونانى ، والغلام الشاذوالصحفى الكذوب والقواد الملاكى كلهم ابتغوا من التوجه الى الاسكندرية اشـــياء مختلفة ، من حيث المظهر ، ولكنها اتفقت مـــن حيث الجوهر وهو الغرق فى بحر الفساد حتى العنق . ومن ثم كانت اهدافهم فى الحقيقة هدفا واحدا ، وكان لابد لعربة الاوتوبيس ان تتوقف بهم عند مفرق الطرق لتكشف المومس عوراتهم فى المرة الاولى ، وليؤكد سائق الفنطاس صحة الاكتشاف فى المرة الثانية . ثم ليكتب رضـــوان العجوز المجنون ـــ وربما كان العاقل الوحيد ـــ كلمة النهاية المعذبة بين المقابر والبئر المسموم. فسكة السلامة ليستهى الطريق الىالاسكندرية او القاهرة او مرسى مطروح ، حتى سكة الندامة يبدو انها سراب ، وانما هناك فحســـب ســـكة « اللى يروح مايرجعش » وهى السكة التى لم يخترها احد ، ولكنها المصير الوحيد الذى اختاره الجميع ، حتى المومس الفاضلة التى صـــدقت نيتها ، بعد فوات الاوان .

وكأنى بسعد الدين وهبة يحذر باعلى صـــوت من « فوات الاوان » .. تلك هى الثيمة التىركز عليها فيما بعد ، ولكنه هنا كان اكثر تحـــديدا وتخصيصا من نفسهومن الاخرين الذين اشتبهوا فى ذلكالشيء الغريب الطارىء على مصر الثورة والذين ايقنوا من انها حبلى بالهزيمة ، والذين تعرفوا على مكونات الجنين المتوحش. كان بسعد وهبة أكثرتحديد ا، فقالأن ثمة **طبقة جديدة** وارثة لامتيازاتالطبقات القديمة هىالتى تتعرجبالمسيرة الثورية نحو منعطفات لا تؤدى الى سكةالسلامة وكان اكثر تخصيصا فقالان هذه الطبقة الجديدة **وأن كانت تقودنا الى** الهزيمة الا انها ســـتحطم المعبد فوق جميع الرؤوس ، ولن يفلت احد ،لان الاوان يكون قد فات .

تماما ، كما حدث فى « بئر السلم » حيثغاب الشبراوى عاجزا عن أى « فعل » ينقذ السفينة من الغرق . ولست اعتقد مخلصـــا ان هـــذا الشبراوى هو « الله » ، كما شـــاء أن يفسره النقاد الميتافيزيقيون ، او انه « الشعب » كما شاء ان يفسره النقـــاد الاجتماعيون . وانمـــا الشبراوى ابعد مايكون عن هذا الاجتهاد المضنى والالغاز الميت ، فهو كما صاغه مؤلفه ، ربهذه الاسرة المزقة ورأسها الاعلى ، انه «السلطان » الذى كان حائرا عند الحكيم ، وطنيا عند الفريد فرج ، يعود فى ثيابه الحقيقية بلا مجاز مملوكى او استعارة فولكورية ، يعـــود وان ظـــل طيلة العرض المسرحى غائبا عن الوجود ، او عاجزا عن الحضور . وتكاد عزيزة ابنته أن تنفرد منبين جميع أفراد الاسرة التى مزقها الفساد والضعف أن تؤمن به ، بقدرته على القيام من بير السلم وعودته الى قيادة السفينة التى تسربت الميـــاه من قاعها المثقوب آلاف الثقوب، والتى تنازعتها مئات التيارات والعواصـــف الهـــوجاء ، والتى اصطدمت بعشرات الصـــخور الناتئة من جوف البحر كزبانية الجحيم .. الجميع فيما عداها ـــ كالمومس الفاضلة فى سكة السلامة ـــ يتصرفون على اساس ان الغائب ميت ، حتى الابن الوحيد المثقف يعانى من الانهيـــار العصـــبى وأزدواج الشخصية على أثر لقائه بالموت فى الاعمـــال الفدائية وما آلت اليه أسرته من تفسخ وانحلال. جميع الرجال فى الاسرة مصابون بالعقم او ما يشبه العقم ، وجميع النساء ـــ فيما عدا عزيزة ـــ مصابات بالشهوة العارمة بغير حدود . ولا احد يضمر للاخر الا الحقـــد والسرقة والقتـــل والخيانة . كل ذلك ورب الاسرة ـــ او قبطـــان السفينة ـــ عاجز عن الفعل ، وعجزه يسهم فى استشراء الفساد ، أى أنه بغيابه وعجزه ليس بعيدا عن اسوار المسئولية . وكما ان ســـعد الدين وهبـــة كان اول من تطـــرق الى الحديث المحدد عن « الطبقة الجديدة » القائدة الى سكة الندامة ، فانه ايضا كان اولمن خلع ثياب الحيرة والطيبة عن السلطان ، وقال ان العـــلاقة بين السلطان ونظـــامه تحتم اشراكه فى مســـئولية ما يجرى وتبدو المومس الفاضـــلة فى « سكة السلامة » وعزيزة فى « بير السلم » أملا عنـــد سعد الدين وهبه فى الخروج من المتاهة الى بر الامان،ولكنهما يبدوانأيضا أملا كسرابالصحراء التى يقف رضوان العجوز عند أحد أطرافها موقنا بأن « الحرب » لم تنته بعـــد ، فاذا قلنا أنهـــا **الحرب العالمية الثانية** أردفنا بأن الرجـــل اذن

مجنون ، اما اذا قلنا انها **الحرب** وحسب،فالرجل اذن هو **العاقل الوحيد . وكما** أن الامل فى النجاة قد لاح فى « سكة السلامة » كسراب ممتد لانهائى بين بئرين تقف بينهما لافته عملاقة تقول «مسموم» ولا يعرف الظمآى أى البئرين هو المسموم ، فلا يروون العطش ولا يشربون السم .. كذلك الامل فى برء العاجز وعودة الغائب فى « بئر السلم » يتألق هذا الامل لحظة ، ولكن بعد أن تهاوت عناصر الشر ، وتلاشت ذبالة الايمان فى قلب عزيزة .

ولعل أحدا لم يتشبث بجوهر المشكلة وأغفل جزئياتها تماما كما فعل ميخائيل رومان ابان تلك الفترة السابقة على ١٩٦٧ فى مسرحيته ذات الفصل الواحد « الوافد » والتى لم يقدرلها العرض الا على نطاق ضيق ولليلة واحدة . والوافد هو رجل عادى تماما وبسيط الى غير حد ، مشكلته فى كلمات أنه « جعان جوع وحش » . وفى احدى محطات السكة الحديد يلتقى به رجل لم يره الوافد من قبل ومع هذا فالرجل يعرف عنه كل صغيرة وكبيرة ، يعرض عليه العمل فى «لوكاندة ميخائيل رومان » حيث يتاح له الطعام ، أشهى الوان الطعام . وفى اللوكاندةيطلب ما شاء له الخيال أن يطلبه من الاكل والشراب ، ولكن الجرسون يسأله سؤالا بسيطا ، يسأله عن هويته وما اذا كان يعمل معهم فى اللوكاندة ، فهذا هو الشرط الوحيد لتلبية جميع طلباته . والاجابة ليست سهلة ، فهو لا يملك دليلا واحدا على أى شىء ، حتى تذكرة القطار فقدها . ويرفع الجرسون المشكلة الى المستويات الاعلى ، ومن بينهم رفاق قدامى يعرفونه ويتذكرون معه رفقة السلاح والنضال القديم ، ولكنهم جميعا يسألونه « **أنت معانا فى اللوكاندة ؟** » حتى يصاب باليأس من نوال الاكلة الشهية ، فيخبرهم بأنه لا يرغب فى الطعام فيعتذرون له بأن هذا أيضا غير ممكن لانه لابد من اثباته بشهادة مرضية ، والحصول عليها مستحيل هى الاخرى لانه لا يعمل معهم فى اللوكاندة . ويبدأ الوافد فى الهجوم على رفاقه القدامى وكافة العاملين فى اللوكاندة ، هجوما مباغتا صاعقا ، ولكنهم لا يلتفتون اليه وانما يطلبون منه أن يكون أكثر هدوءا واقتصادا فى كلامه . ويدرك أن حياته قد انتهت حين يسمع أو يخيل اليه أنه يسمع صوتا يسأله « **نفسك فى ايه** » لانه جرؤ على أن يطلب الطعام والشراب دون أن يكون واياهم فى لوكاندة واحدة ، جرؤ على المطالبة بحقه فى الخبز جنبا الى جنب مع حقه فى الحرية .

ولعل قوة هذا المنهج فى التعبير الدرامى ،

مصدرها أن الفنان يزاوج بين التجريد المطلق فى بناءالمسرحية والتجسيد المطلق فى محتواها،وهو المنهج الذى تطور عند ميخائيل رومان فيما بعد واتخذ أبعادا جديدة ، وهو المنهج الذى يمتص الواقع ويمثله ويلفظ نهائيا مظهره الخارجى . لا يعتمد من ناحية المضمون على فكرة مطلقة ، أو تجريد ميتا فيزيقى ، أو هموم وجودية الى غير ذلك من قضايا تفرض بطبيعتها الفلسفية قالبا تجريديا .. وانما هو يتخير مشكلة اجتماعية ملحة ويجردها من الجزئيات والتفاصيل الدقيقة التى تعرفنا عليها فى « الدخان » مثلا . وهو هنا قد تجاوز مرحلة التمرد الفردى الاصم عند « حمدى » الى مرحلة الرفض الكامل لذلك العالم الذى لايطعم الا من كان يشارك فى اللعبة ، ومن يثبت بالدليل القاطع أنه من سكان هذا العالم . انه يرفض « العالم الذى يطعم بشرط » حتى اذا كان رفاق نضاله القديم يسهمون فى بناء هذا العالم الغريب ، بل ربما كان ذلك أيضا من عوامل رفضه الحاسم . غير أن ميخائيل رومان يدرك بوعى تراجيدى حاد أن مصير أولئك الرافضين هو الموت . لا يعنيه اذا كان الموت جوعا أو انتحارا أو جنونا وانما هو الموت ، هو المصير المحتوم . وتلك هى رؤيا ميخائيل رومان آنذاك . اللوكاندةبطعامهاوشرابها باقية للعاملين فيها الموثوق فى هويتهم ، والموت على بابها لمن يجرؤ على قولة « **لا** » .

فلينزل السلطان من برجه العاجى

ربما كانت مسرحية « الفتى مهران » أكثر الاعمال التى تعرضت لعواصف النقد قبل الهزيمة،وربما كانتفى نفس الوقت — رغم كل ما يمكن ان يقال عن بنائها الدرامى ونسيجها الشعرى — من أكثر الاعمال استبصارا بأبعاد ذلك اليوم الدامى الحزين من أيام يونيو ١٩٦٧ . وبالرغم من أن الكاتب قد استعار من العصر المملوكى أرديته التاريخية المعروفة بالظلم والقهر، الا أنه لا يوغل فى التجريد والتبسيط كما فعل غيره ، لانه لم يكتف باختيار الامير وحاشيته من ذلك العصر ، وانما بعث الى الوجود الفنى احدى حلقات المقاومة الفلاحية ، وحدد بقسوة بالغة وعنف شديد آلام هذا الشعب وأوجاعه . وهى آلام الشعور بالغربة فى وطنه ، لعزلة الامير عن الشعب من جهة ، ولفساد رجاله من جهة أخرى ، ولتهديد العدو على الحدود من جهة ثالثة . هكذا بات الشعب فى حيرة من أمره ، وهكذا جاءت المسرحية كما قال عنها بحق محمود

أمين العالم من أنها « ليست مجرد تسجيل تاريخي لما كان من ظلم المماليك ومقاومة الفلاحين ومساومة بعض الثوار في ذلك العصر ، وانما هي كما أشرنا من قبل تعبير رمزي عن أحداث واقعنا الاجتماعي والسياسي .. والمسرحية في الحقيقة تعبر عن مراحل حياة المجتمع التي سادت فيها الاتجاهات الادارية وانتعشت العناصر المتخلفة وعانت الديموقراطية في التطبيق الاجتماعي . والمسرحية كذلك قد تعرض لبعض القيم بالنقد والتجريح والتشريح وقد تحذر من التلاقي والتهادن بين بعض القوى الاجتماعية ، وقد تحذر كذلك من التحالف والمساومة مع قوى العدوان الخارجي . وهي تعبر عن سخط مشروع من عزلة القادة عن الجماهير » (١) ثم اختلف — بعد هذا التحليل الصحيح — مع النتائج التي توصل اليها الاستاذ الناقد في معرض تقييمه للمسرحية .

أن مهران لا يرى في السلطان عدوا تجب محاربته ، ولكن السلطان هو الذي يدفع بمهران الى حافة العداء ، سواء لانشغاله بغزوة السند أو بانشغاله عن هجوم التتار . لذلك يصيح مهران بأحد رفاقه — وبنا ؟ — أن يقول للامير :

« قل له أيها السلطان فلتحرص على موثقنا .. صن حلفنا .

أن في هذا سلاما الوطن .. وأمانا لك من قبل سواك .

* * *   * * *

قل له لا ترسل الجيش لكي يفتح سوق السند للتجار ، احذر فالخطر جاثم بالباب

* * *   * * *

قل له ان عمالك قد طاردوا الصدق من القلب فما عاد لسان ينطق بسوى الكذب

* * *   * * *

ومهما بلغت حيرة الحكيم وطيبة قلب الفريد فرج ويأس يوسف ادريس وشك سعد الدين وهبة ورفض ميخائيل رومان وثورة عبد الرحمن الشرقاوي ، فان ايمانا عميقا بمصر يوسد قلوبهم جميعا ، سواء كانت مصر هي الشعب في مجموعه أو بعض طبقاته دون الاخرى ، أو كانت هي النظام

في جملته أو في احدى تفصيلاته دون بقية التفصيلات . ولذلك كانت الليبرالية أو الفوضوية أو الجزئية أو التجريدية الى آخر الصفات السلبية التي يمكن أن تطلق على هذا الكاتب أو ذاك ، لا ترتقي الى مستوى التصنيف المتعسف في خانة الثورة المضادة ، وان كانت أعمال الغالبية من هؤلاء الكتاب لا ترتفع أيضا الى مستوى التصنيف في خانة الثورة . وانما هم كانوا يعانون بكل ذرات دمهم ويلات القلق العنيف ، والبلبلة الهائلة والرؤية الضبابية الغائمة . كانت لديهم مشاعر مبهمة وأحاسيس غامضة بأن شيئا مروعا على وشك الحدوث ، شيئا رأوه من موقع مشترك ومواقع مختلفة في آن . أما الواقع المشترك فهو « المجايلة » ، انهم — تقريبا — أبناء جيل واحد ، عاش تجربة عامة مشتركة . ولكنهم بعد ذلك يختلفون وفق الموقع الاجتماعي والتركيب النفسي والذهني لكل منهم . ان بنوتهم لجيل واحد هي التي وحدت نظرتهم القائمة لواقع الاشياء ، فهم لا يستطيعون أن يروا ماهو أبعد من قدراتهم — العاجزة كشخصياتهم — عن التغيير . ولكن تكويناتهم الاجتماعية والفكرية المختلفة هي التي تنعكس في اتجاه القتامة عند كل منهم .

ولعل من الغريب أن معظم هؤلاء تعرضوا لحملات قاسية من النقد عند ظهور أعمالهم الغاضبة على خشبة المسرح ، أقسى كثيرا من النقد الذي كان أولى به **أحمد سعيد ورشاد رشدي** .. فهما الكاتبان الوحيدان اللذان يطرحان قضية الثورة الحبلى بالهزيمة طرحا بعيدا عن البلبلة والقلق والغموض . انهما يرفضان منذ البداية المنطلق النظري لفكرة الثورة وفكرة الهزيمة ، فالكلمتان عندهما تحملان معان مغايرة للمعاني المستقرة في الضمير العام ، فلربما كانت الثورة عندهم هي الهزيمة ، والعكس أيضا صحيح . لنر مثلا مسرحية « الشبعانين » لاحمد سعيد .

تدور حوادث المسرحية في بغداد أيام غزو التتار ، وبطلها شحاذ خفيف الظل يقول لابنته في البداية « **أنا يا روح أمك عايز العالم دي كلها تبقى زيي شحاتين** » . وتكاد الاحداث أن تتبلور حول شخصيتين : هما حكيم الزمان الذي يدل اسمه عليه ، والقائد عماد الدين الذي يدل اسمه هو الاخر عليه . والرجلان كلاهما يواجهان مع الشعب جبروت الامير وقهر السردار . وحين يتولى حكيم الزمان السلطة ، تعرف البلاد فسادا ما بعده

(١) راجع مجلة «المصور» عدد ٢١ يناير ١٩٦٦ .

فساد ، لان الرجل لاذ بالعبادة عن القيادة . ويتولى الشحاذ من بعده الامارة فيجعل منهـا بيتا كبيرة للدعارة ويصدر قرارا سلطانيا يقول « **يا رفاق .. يا رفيقات .. احنا وكلناكم وشربناكم وفرفشناكم .. مش فاضل غير حاجة واحـدة بس .. النسوان الحلوين الطعمين** » ويأمر باعداد كشف باسماء الرجال والنساء ، لتمر كل النساء على كل الرجال وبالعكس « **أظن بالشكل ده نبقى ضمنا عدالة التوزيع .. عدالة الهنك .. عدالة الرنك** » . ويتألق الامل فى اصلاح حال الشحاذ السلطان بتزويجه من « أمل » بنت حكيم الزمان ، ولكنه يأخذ فى اقناعها بالكفر والالحاد . وحينئذ تثور عليه الجماهير وتخلعه ، وتتاح الفرصـة كاملة للسردار لينفرد بالسلطة ويبطش بالشعب . وتثور عليه الجماهير وتخلعه ، وتنصب عماد قائدا للثورة الجديدة .

لا تحتاج هذه المسرحية — واستخدم التعبير مجازا — الى كثير من الجهد لاستشفاف ماوراءها ، لانها لا تحمل شيئا وراءها ، وانما هى تقـدم كل ما يريد أن يقوله الكاتب بصـورة مباشرة صارخة لا تقبل التأويل . ان احمد سعيد لا يقف على يمين المجتمع من داخل النظام ، وانما يقف بشجاعة وحزم على يمين المجتمع والنظام معا ، ويحذر مما يمكن أن تؤول اليه الامور اذا سارت بلادنا نحو الاشتراكية . ويزيف صورة غريبـة للاشتراكية لا يجرؤ الاستعمار نفسه على تقديمها الان .

أما رشاد رشدى فيسـلك فى « **اتفرج يا سلام** » طريقا آخر يفضى الى نفس النتيجة . انه يعود بنا الى احـدى فترات الحـكم التركى المملوكى ابان القرن الثامن عشر حيث يحكم الوالى مصر بالحديد والنار ، هـو وزمرته من القتـلة واللصوص « **ومع ذلك لمـا الوالى يمر يحنو له الرؤوس كانه نبى من الانبياء** » .. ولعل هـذه الثيمة لم تكتمل عند رشاد رشدى الا فى مسرحيته القادمة بعد الهزيمة « بلدى يا بلدى » لذلك نكتفى هنا بالاشارة الى أن الكاتب يرى فى الشعب مصدرا أصيلا لفساد السلطان ، وأن تدخـل السماء وحده هو المنقذ من الضلال .

لقد هوجم يوسف ادريس وعبـد الرحمـن الشرقاوى وميخائيل رومان مـن بعض النقـاد اليساريين عند ظهور أعمالهم هجوما ضـاريا كانهم يؤلفون احدى فرق الثورة المضادة ، بينما لم يعدم أحمد سـعيد ناقدا « يسـاريا » كبيرا يمتدحه . بينما كان الناقد الوحيد الذى تصدى له ممن ندرجهم ببساطة فى خانة الفكر الليبرالى . ويبدو ان الانفعال الشخصى الحاد عنـد هـذا الناقد أو ذاك ، مصدره الحقيقى أن العمل الفنى قد نكأ لديه جرحا غائرا فى الاعماق كاد يندمل . هكذا أفسر الموقف من حمدى بطل « الدخان » ، والموقف من مهران فى « الفتى مهران » . ولكن هذه الانفعالات الشخصية الموقوتة لا تنفى — خصوصا بعد الهزيمة — **ان ثمة حقائق موضوعية** مستقلة عن ارادة الكاتب والناقد ، **قد برزت فى** وضح النهار هكذا :

● ان الشىء الوحيد الذى يجمع عليه المسرح المصرى حينذاك بكافة اتجاهاته **هو أن أزمـة** ضارية فى باطن هـذا المجتمـع **توشـك على** الانفجار .

● ان خطا فاصلا يفرق بين كتاب مثل توفيق الحكيم والفريد فرج ويوسف ادريس وسعد وهبه وميخائيل رومان والشرقاوى فى جانب ، وكتاب مثل احمد سعيد ورشاد رشدى فى جانب آخر . الفريق الاول حائر ومعذب من أجل مصر وشعبها وأحيانا نظامها ، والفريق الاخر يرى أن هـذه كلها هى العوامل التى أفضت بنا الى الظلمـة الحالكة . الفريق الاول يحاور المسيرة الثورية وقادتها وأحيانا يصارعهم بقصد حماية المسيرة أو التحذير من الهوة الفاغرة فاها ، والفريق الاخر لا يرى أصلا فى المسيرة أية ثورية ، ويود لو أن الامور سارت الى جهنم .

● ويجمع الفريق الاول فى صف واحد عدة عناصر أهمها أن رؤياهم الغاضبة للازمـة هى **رؤية المثقفين** ، مهما كانت هناك طبقات اجتماعية أخرى تمثل على خشبة المسرح ، فان ثمة مسافة بين رؤية هذه الطبقات لواقعها ورؤية المثقفين لهذا الواقع . فضلا عن تركيزهم على أزمة المثقف فى أعمالهم ، مهما بدا هذا المثقف ممزقا عند أحدهم أو سلبيا عند الاخر ، أو ثوريا عنـد الثالث . والتركيز على أزمة المثقف يملى بالضرورة مفهوما قاصرا لازمة الديمقراطية ، فانها تـكاد تتضاءل لتصبح أزمة حرية التعبير عند هؤلاء المثقفـين أنفسهم ، وليست أزمة الشعب فى مجموعه ، أزمته لا مع الديموقراطية السياسية وحدها ، وانما مع الديموقراطية الاجتماعية والاقتصادية أيضا . وتتبلور رؤية المثقفين للازمة أيضا فى تعلق هؤلاء الكتاب بفارس الامل شبه الميتافيزيقى ، القابع فوق عرش السلطة ، حائرا حينا وطيبا حينا آخر ، عاجزا تارة وضالعا تارة أخرى . ان هذه الرؤية « الفوقية » لمشكلة الحرية والسلطة ،

هى الرؤية المستلهمة أصلا – وفى خفايا اللاشعور – من الايمان المطلق بالفرد ، وربما كانت اسقاطا شخصيا لنموذج واقعى محدد ارتبط به وجدان المثقفين المصريين سلبا وايجابا فترة من الزمن . ولكن هذا الايمان هو الذى يقود فى خاتمة المطاف الى أن الحرية « **منحة** » وليست **صراعا اجتماعيا** ، لذلك جاء « الغضب » فى معظم أعمال هؤلاء الكتاب – أيا كانت درجة العنف والاحتداد – غضبا جزئيا وانفعالا موقوتا سريع الزوال . أكثر من ذلك أن هذا الغضب بوضعيته القاصرة شارك فى عملية «**التنفيس**» عن الكظوم المكبونة ، وبالتالى فقد كان انعكاسا سلبيا لمناخ الهزيمة السابق على وقوعها .

● تتفاوت رؤى هؤلاء الكتاب بعد اتفاقهم فى الخط العام – رؤية المثقفين – تفاوتا كبيرا .. فالحكيم يرى الخلاص فى « **اختيار** » السلطان للقانون دون السيف ، والفريد فرج يراه فى « **استجابة** » السلطان لرجاء الحلاق خفيف الظل بأن **يعطى** منديل الامان للجميع ، وسعد وهبه يرى المأزق فى سيطرة **الطبقة الجديدة** على مقاليد الامور ، بينما يرى يوسف ادريس وميخائيل رومان – من موقعين مختلفين – أن **تحدى المستحيل** هو طوق النجاة اليتيم .. ويبقى الشرقاوى رائدا لفكرة **الصراع الاجتماعى والثورة الشعبية** بديلا باهرا أقرب للحلم والتمنى ، تعددت الاسباب لديهم جميعا – وفق تكويناتهم الاجتماعية والفكرية المختلفة التى تتدرج بدءا من الانتماء الى النظام الى الصراع معه – والموت واحد ، لقوى الظلم والقهر والفساد الذى نخر أسس البناء الثورى حتى أصبح آيلا للسقوط . وعند هذه النقطة يختلف هذا الفريق المزق والمعذب عن ذاك الفريق « الحاسم » الذى يلتقط خواطر حقيقية وموضوعية ، ولكن بهدف المشاركة فى تحطيم البناء وحث الخطى نحو الهزيمة . وما أبعد المسافة بين الذين تنفسوا مناخ الهزيمة فحاولوا – حسب مواقعهم – أن **يدفعوا** غائلة الوحش القادم فما استطاعوا ، وأولئك الذين ربوا الوحش وافسحوا له الطريق .

.. وأقبل الوحش على طيبة

اقبلت الهزيمة فى الخامس من يونيو ١٩٦٧ لتعلن نهاية طريق مسدود سار فيه كتابنا بقوة دفع شبه مغناطيسية ، حتى اصطدمت وجوههم المحملقة فى الفراغ من الدهشة والذهول بالحائط الاصم . الم يكونوا صادقين فى غضبهم ؟ فلماذا فوجئوا ؟ لان رؤياهم الغاضبة كانت من القصور بحيث لم تستكشف الحقائق الاجتماعية والحضارية الكامنة فى أعماق الظاهرة التى تناولوها بالتعبير والتجسيد ، بالتجريح والتعرية ، بالعواء واللطم على الخدود . كانت رؤاهم – بالرغم من التاريخ الماركسى لبعضهم – قد اختلطت عليها المرئيات لانحصار بصيرتهم بين الجدران الايديولوجية للبرجوازى الصغير ، البالغ القلق والتمزق والتردد .. حتى الموت .

وباستثناء ميخائيل رومان فى «العرضحالجى» لم تتطور خشبة المسرح المصرى عما كانت عليه قبل الهزيمة .. فيوسف ادريس فى «المخططين» يلتقط تفصيلة من تفصيلات « الفرافير » هى فكرة المساواة المطلقة بين البشر فى ظل نظام شمولى يسيطر حتى على أنفاسهم . وفى قالب فانتازى يصور لنا الفنان جماعة سرية تدعو الى تخطيط الانسان بلون واحد يسود على كل شىء . ولهذه الجماعة قائد هو « الاخ الاكبر » يتعبدون فى محرابه فقد ذابت ذواتهم فى ذاته العليا . ويقيم يوسف ادريس مسرحا داخل المسرح ، يعرض مسرحية «**مؤسسة السعادة الكبرى**» حيث نشاهد رئيس مجلس الادارة الذى راح يلعب اليوجا ويلعب بأموال الدولة ويلعب بالنساء ويلعب بموظفيه التابعين الخاضعين . وحينئذ ينجح الاخ الاكبر وجماعته فى الاستيلاء على المؤسسة الفاسدة ويسمونها **بمؤسسة السعادة الحقيقية** ويشرعون فى تطبيق فكرة التخطيط ، وينجحون فى تخطيط العالم بأسره . ولكن بعد فترة يلاحظ الاخ الاكبر أن السعادة لم تتحقق فى العالم كما توهم ، وأن لا فرق بين رفاق نضاله وبين موظفى رئيس مجلس الادارة السابق . وفى ذكرى مرور مائة شهر على تخطيط الكرة الارضية تبلغ الازمة التى يعانيها الاخ الاكبر بينه وبين نفسه ذروتها ، فيعلن تحوله الجديد عن فكرة التخطيط « نسيب الناس حرة ، كل واحد يختار لونه زى ما هو عاوز ، كل واحد يختار طعمه يختار مخه ، يختار اللى هوه عاوزه » ، « العالم مش ممكن يعيش أبيض وأسود ، العالم فيه الوان ، والالوان كثير بعدد **كل حاجة فى الدنيا ممكن تتكون** » . ولكن ثورة الاخ الاكبر تأتى بعد الاوان ، فحين وقف يخطب فى الجماهير بفكرته الجديدة ، كان أعضاء مجلس الادارة قد احتاطوا للامر ووصلوا الميكروفون بتسجيل قديم له يدعو الى التخطيط بحماس شديد . وهكذا تبدد صوته الحقيقى فى الهواء ولم يصل الى الجماهير . ان زملاءه من رفاق الدعوة قد تحولوا الى حائط من فولاذ يحجبه عن الشعب ، فهم يستفيدون من بقاء المؤسسة كما هى ، بل هو نفسه – ذلك المجنون – يجب

ان يبقى صورة براقة جذابة للجماهير ، اما صوته فالتكنولوجيا قادرة على تزييفه .

والحق ان القضية التى يثيرها يوسف ادريس فى مستواها التجريدى المطلق ، قضية غير مطروحة ، لا بالنسبة لمجتمعنا ولا لاى مجتمع آخر ، فالمساواة المطلقة بين البشر ستظل حلم الانسان الابدى من أجل التقدم خطوات — حققتها بعض المجتمعات المعاصرة فعلا — على الطريق من غابة الظلم الاجتماعى الى جنة العدالة . وفى المستوى النظرى أيضا لا بديل للتخطيط الا مجتمع الغابة حيث لا يتمتع الفأر بحريته فى حضرة القط ولا يتمتع القط بحريته فى حضره الاسد . واذن فالحرية المطلقة نفسها — كالمساواة — ستظل حلم الانسان الابدى من اجل التقدم خطوات — حققتها فعلا بعض المجتمعات المعاصرة — على الطريق من شريعة الغاب الى سيادة القانون . فاذا تركنا التجريد وقلنا أن يوسف ادريس يقصد مجتمعنا قصدا منذ ثارت مصر على نظام اللصوص والنساء واليوجا والخنوع وسارت فى طريق الثورة خطوات حققت خلالها بعض الاحلام ولم تحقق البعض الاخر .. فان المسرحية عندئذ تكاد تقتصر على الحدوتة المكرورة ، حدوتة السلطان الطيب والحاشية الفاسدة ، بل هى تعكس ايمانا عميقا بطيبة هذا السلطان وعذابه بين ما كان يحلم به وما رآه فى التطبيق . وهى رؤية خاطئة لمشكلة مصر قبل الهزيمة وبعدها ، خاطئة فى تصور العلاقة بين السلطة والحرية ، بين السلطة والشعب وبين السلطان والنظام .

ولكن أزمة الاخ الاكبر فى « **المخططين** » أكثر رقيا بما لا يقاس عن أزمة أوديب فى مسرحية « أنت اللى قتلت الوحش » لعلى سالم ، حيث يبدو الملك رجلا عبيطا غافلا عن كل ما يدور حوله ، وأن المشكلة ليست أكثر من أن مجموعة من الاشرار تحيط بهذا الرجل الطيب . وبالتالى فلو أن الملك تخلص من هؤلاء الاشرار ، فسيعم الخير والرخاء ويسود الامن والحرية ويرفرف السلام والعدل . وهى رؤية ساذجة لواقع الهزيمة التى منيت بها بلادنا ، تبلورت فنيا فى تلك الخاتمة الصارخة بشعارات مجردة كالخلاص بالفن وحرية الكلمة وحرية الانسان وما الى ذلك من مجردات لا تعنى سوى التخبط اذا حسنت النوايا او تزييف الواقع اذا ساءت ، والنتيجة فى الحالين واحدة . وكما اختار يوسف ادريس **قضية غير مطروحة** ليدلف منها الى قضية مطروحة ، وأعنى بها قضية الحرية ، كذلك لجأ على سالم الى الفانتازيا ليصور عصرا تكنولوجيا باهرا للعين المجردة ، استطاع فيه الانسان أن يصل الى أعلى ذرى الحضارة الصناعية ، ولكنه فى نفس الوقت الى أعلى ذرى الرعب . وهى معادلة لاتتفق مقدماتها مع النتيجة العجيبة القائلة بأن أوديب لا حول له ولا قوة وانه رغب فى قول الحقيقة للناس . ان هذه المعادلة قد تصح على المانيا النازية ، وهى تستقيم عندئذ مع قائد كهتلر . اماكاتبنا فقد سقط بين التعميم المجرد والتخصيص المجسد ، لازمة الحرية ومأساة أوديب . قاده التعميم الى ديكور النازية والفاشية والمكارثية ، وقاده التخصيص الى هذا الملك الممزق الفؤاد بين اعلان الحقيقة والحاشية الفاسدة . كان الكاتب ، هو الاخر يخفى ايمانا ميتافيزيقيا برأس السلطة ، وايمانا مماثلا بفساد الحاشية المحيطة به ، وايمانا لا يقل حرارة بأن « الفن » هو الاداة الرئيسية للتغيير المنشود . وهى رؤية زائفة من كافة جوانبها ، ومضللة من جميع زواياها ، مقدماتها لاتقل شذوذا عن نتائجها . وكلاهما — المقدمات والنتائج — لايكشفان الواقع اكثرمما كشفت عنه المحاكمات فى أعقاب الهزيمة ، قبل أن يكتب الكاتب مسرحيته ، فهى من قبيل تحصيل الحاصل ، ومن ثم كان دورها تكريس الواقع رغم البهارات الحريفة التى استفزت اوتار الغضب دون أن تنشد نشيد الغضب .

ولا يكاد السيد البدوى أو متولى فى مسرحية « بلدى يا بلدى » لرشاد رشدى أن يختلف عن الاخ الاكبر أو أوديب عند يوسف ادريس وعلى سالم .. فكلاهما رجل طيب فى قمة السلطة الروحية أو السياسية ، تحيطه حاشية الفساد المشهورة . ولكن رشاد رشدى يضيف ماسبق أن أشار اليه فى « اتفرج ياسلام » من أن الشعب المصرى بطبيعته — كذا — قطيع مستسلم للظلم والقهر . ويضيف أيضا فكرته القديمة عن الحل الالهى للازمة المستفحلة . هكذا يدور الحوار بين السيد البدوى ومتولى :

« متولى : سيدى .. التتر فى الشام ، والروم فى دمياط ، والمماليك فى الحكم ، وبهرام الارمنى فى كرسى الوزارة ، والناس أصبحوا عبيد كل هؤلاء .

السيد : أنت تبغى تحريرهم .. وأنا كذلك .

متولى : فيم اذن تطالب منى أن أنتظر ؟ لقد جمعت جيشا من الرجال الاقوياء .

السيد : الجيش لايكفى ، ربما استطاع تحرير الارض من الغزاة ، ولكنه لايملك تحرير أصحاب الارض » .

وحين ينزل السيد البدوى الى جماهير الشعب ، فانهم لا يعرفونه ولا ينصتون اليه — وهذا هو القاسم المشترك الاعظم بين الاخ الاكبر واوديب والسيد البدوى — وهم لاهون عنه بأقصى درجات الغفلة والدوار فى حلقات الذكر ، وذلك هو الفرق بين رشاد رشدى وغيره من الكتاب الذين رأوا فى الحاشية او فى الخوف جدارا عاليا بين القائد والجماهير ، بينما هذه الجماهير عند رشاد رشدى هى علة العلل وسر الداء الدفين .

على النقيض من الرؤية القاصرة عند يوسف ادريس ، والاكثر قصورا عند على سالم ، وعلى النقيض من الرؤية المتكاملة فى عدائها للشعب عند رشاد رشدى قدم ميخائيل رومان انضج اعماله على الاطلاق وهى مسرحية «العرضحالجى» التى تعد اهم الاعمال التى عالجت أخطر قضايا الساعة بعد الهزيمة (١) ! انه يعيد الينا بطله القديم « حمدى » بعد ان تطورت ازمته فلم تعد مجرد التناقض بين الحلم والواقع ، ولم تعد نهايتها أن يقول « لا » وكفى . وانما اصبحت ازمة حمدى فى « العرضحالجى » هى التناقض بين الفكر والعمل ، بين النظر والواقع المنظور . وهو يعانى هذا التمزق الجديد على كافة المستويات، بينه وبين نفسه ، وبينه وبين أهل منزله ، وبينه وبين الجماهير العريضة فى الشارع المصرى ، ان زوجته قد استراحت الى فكر يتطلع للانتماء الى الناس الاكابر « **دبوس ابره لازم يجيبوه من بره .. مش ممكن الواحد منهم يحط على جسمه أشاية من صنع مصر .. ناس عايشين من غير ميزانيات** » .. هذه الطبقة التى ينظر اليها حمدى بفكر مختلف فيسميها « الفتارين » اللامعة كالشمس حين تسطع على الوحل . ثمة تناقض اذن بين حمدى وزوجته ، ولكن « واقع » حمدى هو التكيف الفعلى مع فكر هذه الزوجة رغم ما يلاقيه من مهانة واحتقار واذلال ، حتى من الخادمة . انه يسب ويلعن ويسخر ، ولكنه لايفعل شيئا ، وانما الطرف الاخر هو الذى يفعل فعله ، ربما بنشاط اكبر كلما ازداد حمدى انفعالا وعجزا عن الفعل . ولكنه فجأة يقرر ان يكتب « شكوى » ، وترتبك الامور بينه وبين العرضحالجية واولاد البلد فهم لا يفهمونه . حتى اذا قدم له الشاويش قلما ليكتب « **انا بطلت استعمله ، لا فيه حبر ولا عاد منه فايدة . حبره جف من زمان ، وحتى ان كتب الكلام بيطلع منه فارغ ، لابيتفهم ولا بتيجى منه فايده** » . غير ان سوء التفاهم بينه وبين الجماهير المطحونة من حوله ، يبدأ فى التلاشى حين يدركون ان « الفتارين » التى يطالب بتحطيمها ليست فتارين السجاير والسندوتشات التى يرتزقون منها ، وانما هى تلك الواجهات البراقة اللامعة التى تخفى فى جوفها كل عفن ، انها هى التى تنهب رزقهم لتحشو بطون « نساء الانكشارية » كما يدعو ميخائيل رومان بنات الطبقة الجديدة . الفتارين هى الرمز العارى من الغمز واللمز لذلك الورم الخبيث فى صدر مجتمعنا ، فى قلبه واحشائه . ويشتبك الماضى بالحاضر فى نداء حمدى « **الى كافة عموم كافة أهل الوادى الكرام أجمعين فى الحقول والغيطان والمصانع والمكاتب والمزارع والصحارى، الى عموم كافة الفلاحين والافنديات والحاضر يعلن الغايب** » اليهم جميعا يطلب ان يحطموا الفتارين أينما وجدت دون خشية المواجهة، فتحطيمها هو الذى سيرد لهم — وله — حقوقهم المغتصبة فى الداخل والخارج ، فى النفس وعند الآخرين ، فى البيت والشارع .

ان « **المثقف الثورى المأزوم** » فى هذه المسرحية يصفى حسابا هائلا مع مسرح البرجوازية الصغيرة ومسرح الطبقة الجديدة على السواء . انه من خلال « المونو دراما » — القالب التعبيرى الذى آثره الكاتب — يطرح ديالوجا حيا ومتقدا مع كافة الاطراف المعنية بالثورة . ليست الحرية هنا ان نفكر ، وانما ان نفكر ونفعل . وليست الديمقراطية هنا مطلبا من كيان فوقى ، وانما هى صراع اجتماعى تخوضه أسفل الدرجات الاجتماعية . ليس هناك سلطان طيب وحاشية فاسدة ، وانما هناك طبقة لها أحلامها ومصالحها .

وعلى هذا النحو يمكن اعتبار « العرضحالجى » مدخلا صحيحا الى المسرح السياسى الذى لم تتكامل مقوماته بعد على الخشبة المصرية الغاضبة . فبالرغم من الهموم السياسية الواضحة

(١) الاسم الاصلى للمسرحية عندمانشرت هو « الزجاج » .

فى تفكير كتابنا ومخرجينا، الا أن أبنيتهم المسرحية لا تخرج عن كونها استعارات مشتتة من مختلف عصور واتجاهات المسارح الغربية والشرقية ، لانهم لايطابقون بين الفكر العاكس والفن المنعكس .. وانما هم يحاولون صياغة فكر بسيط — يتفق مع مستوانا — صياغات بالغة التعقيد ، واحيانا الافتعال . هذا لا ينفى أنهم بهذه الاستعارات المشتتة جددوا الى حد ما فى بنية الفن المسرحى، ولكن هذا التجديد ما يزال بحاجة الى التأصيل . وهذا لن يتوفر الا بتأصيل سابق عليه للفكر . فكما أن المسرح السياسى والملحمى والشامل عندنا ، ليس هو المسرح السياسى أو الملحمى أو الشامل الذى يقصده أصحابه الاصليون ، كذلك جاء « الغضب » فى مسرحنا المعاصر — فى معظمه — صائحا نائحا مولولا ، ولكنه ليس غضبا غاضبا ، أى أصيلا . وهذا ما عبرت عنه بنهاية الطريق المسدود الذى انتهى بهذا المسرح الى تكرار الحدوتة والمجاز والاسقاط والاثر الموقوت السريع الزوال والافق الضيق المحدود ببيئة وجيل ونظام بالغى التحديد .. والتغير . ولقد كانت « العرضحالجى » استثناء نادرا فى القدرة على الانفلات من عنق الزجاجة ، وجاءت « الجنس الثالث » ليوسف ادريس فيما بعد انفلاتا من نوع آخر . ولكن الطريق المسدود لايزال هو الاساس فيما نشاهده من دوران حول ثيمة واحدة ، دالا بذلك على نهاية جيل ، ونهاية فكر ، ونهاية انتماء .

فى العدد القادم

حين رأت « الطليعة » أن تستكمل الصورة الشاملة للمسرح المصرى المعاصر ، وذلك باستطلاع رأى العاملين فى الحقل المسرحى ، وصلتنا ولا تزال تصلنا مجموعة من الشهادات الواقعية التى تحتاج الى حيز خاص نفرده لها فى العدد القادم .. بالاضافة الى تغطية تحليلية لاتجاهات الاخراج المسرحى فى مصر .

موقع معركة الشرق الأوسط

من حركة الصراع العالمى

د. محمد على الشهارى

مصطلح

« ازالة آثار العدوان » تعبير نضالى أطلقه الزعيم الخالد **جمال عبد الناصر** فى خطابه الذى وجهه الى الامة اثر المظاهرات الجماهيرية الشاملة التى اجتاحت الوطن العربى كله ، مطالبة اياه بالعودة عن استقالته والبقاء فى مركزه القيادى — للدلالة على المعركة التى يتحتم على الامة العربية خوضها مجددا مع الصهيونية والاستعمار ، لدحرهما عن المواقع التى أتيح لهما احتلالها فى المنطقة العربية نتيجة عدوان ١٩٦٧ الغادر .

وكان هذا الوصف حينئذ هو أصدق تعبير عن هبة الصمود الجماهيرية وانتفاضة المقاومة الشعبية العربية فى ظل ليل الهزيمة المخيم على ارجاء الوطن العربى ، كما كان اشارة واضحة الدلالة على قدرة الثورة العربية على النهوض السريع والفورى من عثرتها الخطيرة التى تعرضت لها ، وعلى حيويتها النضالية المتجددة ، وثوريتها الاصيلة المستمرة .•

العام فى الخاص

على أن أربع سنوات تقريبا من الصمود فى أرض المعركة فى مواجهة هجمة امبريالية — صهيونية طاغية حاقدة تتطلب اليوم تقييما أكثر شمولية — من الناحية الواقعية والتاريخية — للابعاد الواسعة لهذه المعركة البالغة الاهمية والخطورة ، التى تحتدم فى هذه اللحظة المهيبة من الصراع الانسانى العام ، من أجل الخلاص من القهر ، والبربرية الفاشية ، الاستعمارية .

ولقد برهن التاريخ المكتوب كله انه مامن معركة هامة دارت فى أى ركن من أركان الارض لم تكن لها تداخلاتها ، وامتداداتها ، وآثارها الواسعة على مجرى التطور التاريخى العام ، كان ذلك شأن المعارك التى قامت بين الامبراطوريتين العالميتين، الرومانية، والفارسية، وفى ظل الخلافة العربية — الاسلامية ، والامبراطورية التركية، وأثناء الصراع بين الدول الاوربية الاستعمارية ، وحقيقة جدلية ثابتة كهذه

تصح أكثر ماتصح فى مثل هذا القرن الذى انمحت فيه الابعاد المكانية والزمانية بفضل شبكة المواصلات الحديثة حتى غدت مساحة العالم الشاسعة صغيرة فى حجم راحة الكف ، وحتى غدا مايحدث فى أى جزء من أجزائه يسمع بالاذن ، ويرى بالعين ، ويكاد يلمس باليد ، وترتسم عليه ملامح الصراع المعاصر فى مثل تقاطيع الوجه .

وفى النصف الثانى من القرن العشرين — عهد اندحار أنظمة الاستعمار القديم من كل بقعة من بقاع الارض ، وعهد اشتباك الشعوب المكافحة ، بكل أنظمتها ودرجات تطورها ، ووسائل نضالها فى معارك متصلة ، متنوعة الشكل متفاوتة فى معارك متصلة ، متنوعة الشكل متفاوتة الحدة ، مع الاستعمار الجديد بقيادة الامبريالية الامريكية — ليس من المعقول ولا من المقبول الا تكون لمعركة تدور فى المنطقة العربية ، التى تتوسط العالم كله ، وتتمتع بميزات كبرى لاتحد ، تداخلات ، وامتدادات وأصداء ، وآثار بعيدة المدى ، ليس على الشرق الاوسط فحسب ؛ وانما على مسار التطور التاريخى فى العالم كله .

ليس صراع فرعون وموسى

لذلك فانه من باب الجهل أو التجاهل ، والغباء أو الحمق ، والتبسيط المخل ، بل أنه من باب المسخ والتشويه ، أن تصور هذه المعركة الرائعة المجيدة التى تخوضها حركة التحرير الوطنى العربية بأنها لاتعدو أن تكون استمرارا تاريخيا لصراع قديم بين الالحاد والدين ، بين الفرعونية الحديثة والموسوية الجديدة ، أو امتدادا لصراعات طائفية بين الاسلام واليهودية ، أو حتى صراعا بين القومية العربية والقومية الصهيونية ، أو مجرد نزاع عربى اسرائيلى ، ان مثل هذه التصورات الاثرية ، القاصرة ، والفجة الدينية ، والاقليمية ، والقومية الضيقة لمعركة من الطراز وفى الحجم ، والمستوى الذى يجابهه النضال العربى ، لهى تصورات مضللة ، ومتخلفة ، بل ورجعية .

فالذين يقفون اليوم على الشاطىء الشرقى لقناة السويس ليسو اتباع موسى الذين خاض بهم البحر هاربا الى طور سينا — كما تقول الحكايات القديمة — ويريدون اليوم العودة الى أرض متنازع عليها ، وليسو هم احفاد يهود **خيبر ، وبنى قريظة ، وبنى قينقاع** الذين تحركهم فى العصر الحديث روح ثأر عشائرية ودينية ، قديمة ، دفينة ، ومكبوتة ، وليسوا ممثلى قومية حقيقية — حيث يرفض العلم وجود قوميات دينية — فى مواجهة قومية عربية تاريخية وأصيلة ، منافسة لها على أرض لم يحسم التاريخ ملكيتها لاحد الجانبين !

صدام الاضداد

ان المعركة التى تشتعل اليوم مابين البحرين الابيض والاحمر أجل وأخطر من ذلك شأنا ، وأبعد مدى سواء بالقوى ، والعناصر والادوات التى تتجابه فيها ، أو بالدلالات الوطنية ، والقومية ، والدولية التى تنطوى عليها ، أو بالحقبة التاريخية الفريدة التى تنشب فيها .

فمن الجهة المقابلة ليس هناك أدنى لبس حول حجم ونوعية القوى الدولية التى تشن العدوان ضد قوى التحرر العربية .

فاسرائيل ليست الا تجسيدا ماديا ، عسكريا ، وسياسيا للصهيونية الدولية التى تتخذ اليوم من نيويورك عاصمتها الدولية ، والانموذجا بشعا من نماذج الاستعمار الاستيطانى ، والتوسع الامبريالى ، والصهيونية كوليدها الشرعى ، اسرائيل ، كلتاهما نتاج المرحلة الامبريالية التى تزاوجت واندمجت فيها مصالحها الاحتكارية ، وتطلعاتها الاستعمارية مع مطامع البورجوازية اليهودية فى الحصول على مواطن لاستثماراتها الرأسمالية ، وفى تحقيق نزعاتها التسلطية .

وكما ارتبطت الحركة الصهيونية بالامبريالية العالمية نشأة ، وتطورا ، ومصيرا ، وغدت جزءا لا يتجزأ منها ، وامتدادا مسلحا لها ، فان حركات التحرر والتقدم التى تتعرض للابتزاز الصهيونى - وعلى رأسها حركة التحرر والتقدم العربية — غدت هى النقيض المضاد لهذه الحركة المتحالفة مع الامبريالية العالمية .

ومنذ البداية كانت الصهيونية تيارا رجعيا ، تخريبيا ، تآمريا ضد النضال التحررى ، الوطنى والاجتماعى ، ضد الطبقة العاملة العالمية ، وضد وحدتها النضالية ، وضد الحركة الاشتراكية ، كما كانت — شأنها شأن الامبريالية — حركة بورجوازية توسعية ، تبحث عن موطىء قدم لرأسمالها الدولى المتراكم عبر العصور ، ومع انتقال الرأسمالية العالمية الى المرحلة الاحتكارية انتقلت أيضا البورجوازية اليهودية الى المرحلة الصهيونية ، وتبلورت كظاهرة تاريخية ملازمة لظاهرة الاستعمار وغدت مثله تتجه الى التوسع ، واقترنت مطامعها مع مطامعه فى السعى الحثيث نحو الاستيلاء على أسواق خارجية ، والى مناطق استثمار واستيطان ، تكون نقطة انطلاق لها فى اتجاه تكوين امبراطوريتها الاحتكارية ، الصهيونية ، العالمية ، حتى عثرت على فلسطين — آخر الامر — معتبرة اياها ، أرض الميعاد ، وجنة الاحلام ، والمرتكز الملائم الذى تقيم عليه ومن حوله صرح دولتها الاستيطانية الاستعمارية فى

الشرق الاوسط ، حيث أخطر وأهم موقع استراتيجى ، وأضخم وأوسع ثروة طبيعية فى العالم .

صراع مصيرى بين الاشتراكية والصهيونية

ومنذ نهاية القرن التاسع عشر كان أول من تصدى لهذه الحركة التخريبية التآمرية هم زعماء ومؤسسو الحركة الاشتراكية ، كاشفين — على المستوى النظرى — محتواها الرجعى، ومعترضين — فى الصعيد العملى — تحركاتها المدانة ، فمن هذه الفترة المبكرة أصدر **ماركس** كتابه فى « **المسألة اليهودية** » فاضحا فيه روح التاجر اليهودى المتكالب المرابى ، التى تقف — لهذا السبب — وراء محاولة فصل اليهود عن أوطانهم والحيلولة دون اندماجهم فى حركة الكفاح العام الجماهيرى ضد الرأسمالية المتسلطة على أقدار المجتمع ، ومن بعده جاء **لينين** الذى التقط هذه المقولة الماركسية ، وطورها أكثر ، حيث شجب — فى الظروف التاريخية الجديدة — وجود مايسمى بالقومية الصهيونية ، وكشف جوهرها الرجعى ، وانبرى لتحطيم مؤامراتها الداخلية المستهدفة تخريب وحدة حركة الطبقة العاملة ، وعلى خط ماركس ولينين كان على زعماء الاشتراكية فيما بعد أن يسيروا ، وان يتعلموا ويتأكدوا من واقع الاحداث المتتابعة ، ومن العداء الشرس ، والاعمال التآمرية التى مارستها وتمارسها الصهيونية العالمية من أن الصراع المحتدم ، والمتفاقم بين الصهيونية ، والاشتراكية ، وبينها وبين حركات التحرر الوطنى ، وحركة التحرر الوطنى العربية بشكل خاص هو — شأنه شأن الصراع مع الامبريالية — صراع مصيرى وعدائى ، وأن أحد الجانبين لابد من أن ينسحب من مسرح التاريخ مدحورا مذموما ، وهو هنا الصهيونية بدولتها الاسرائيلية العدوانية ، تماما كما سيختفى ظل الاستعمار الذى لايعدو أن يكون أعلى وآخر مراحل الرأسمالية .

الصهيونية حليفة وأداة الاستعمار

ولقد أخذ يتضح أكثر فأكثر منذ حرب السويس عام ١٩٥٦ مدى قوة وعمق العلاقة العضوية بين الاستعمار والصهيونية ، كما تجلى بشكل ظاهر سافر مدى ترابط ، بل وحدة مخططهما الامبريالى — الصهيونى التوسع ازاء حركات التحرر الوطنى العربية، والعالمية، وازاء الحركة الاشتراكية فى كل مكان حيث أنه فى الوقت الذى كانت تشترك فيه اسرائيل مع قوى الاستعمار فى شن عدوان غادر على مصر الثورية كان الاستعمار مع الصهيونية يستغلان مصاعب البناء الاشتراكى لتدبير ثورة مضادة فى المجر ، جاء تفجيرها وثيق الارتباط ، بل محكم التوقيت مع حرب السويس العدوانية .

وجاء العدوان الصهيونى — الاستعمارى عام ١٩٦٧ على حركة التحرير العربية ، وما تلاه فى العام التالى مباشرة من محاولات تآمرية ، قامت بها العناصر الصهيونية — الاستعمارية ضد النظام الاشتراكى فى **تشيكوسلوفاكيا وبولندا** ليكون — مرة أخرى — شهادة مادية دامغة ، تؤكد مجددا أن الصهيونية والاستعمار ينطلقان من متراس امبريالى — عدوانى واحد ، وفى حركة توسعية واحدة مزدوجة ، وضد هدف واحد مزدوج ، ألا وهو حركة التحرير الوطنى العربية، والانظمة الاشتراكية الحليفة لها .

وما الحملات الدعائية التى أخذت تتصاعد ضد الاتحاد السوفيتى فى الفترة الاخيرة من قبل القوى الصهيونية والاستعمارية — فى الوقت الذى تضع فيه سيفها فى رقبة حركة التحرير الوطنى العربية — وتحت حجج زائفة تتعلق بنظرة « الكرملين » الى اليهود ، وبزعم عدم تمكينهم من فرص مساوية فى الحياة كغيرهم من المواطنين السوفييت — وهو مايتناقض مع طبيعة النظام الاشتراكى القائم على العدالة وتكافؤ الفرص — الا برهان آخر — وليس آخر برهان — على مدى التلاحم الكامل والشامل مصلحيا وطبقيا ، دفاعا وهجوما بين القوى الامبريالية والصهيونية من جهة ، وبين قوى التحرر والاشتراكية من جهة أخرى .

ان وضع الاتحاد السوفيتى مختلف، امكانياته النضالية تحت تصرف الثورة العربية — منذ لحظات الهزيمة التى منيت بها هذه الثورة على يد طرفى التحالف الامبريالى — الصهيونى ، والى اليوم ، ووقوفه بجانب أنظمة الحكم الوطنى العربية منذ عام ١٩٥٥ بثبات وحزم ، ودعمه الشامل لها فى مجال التحرير والتعمير ، والتغيير ، وبالذات فى جهودها الرامية للخروج من وهدة النكسة التى تعرضت لها ، والانطلاق بقوة مضاعفة فى طريق التحرر الوطنى ، والتنمية الاقتصادية ، والتقدم الاجتماعى ، والتطور الثقافى ، ليؤكد على نحو قاطع أن المعركة التى تخوضها الثورة العربية ذات أبعاد متعددة ، تتطلب لتحديدها مزيدا من الاستقراء والاستظهار .

معارك التحول التاريخية

فعبر التاريخ كانت هناك معارك بدت فى

الظاهر ذات طابع وطنى محلى بحت ؟ ولكنه مالبث أن اتضح أنها كانت تجسيدا مكثفا لمعارك العصر والاوطان كلها ، والانسانية المكافحة جميعها ، وأنه فقط من باب الصدفة التاريخية والموضوعية أن دارت فى هذه البقعة الصغيرة أو تلك من بقاع الدنيا ، أو فى هذا الوطن أو ذاك من أوطان العالم ، بينما هى فى واقع الامر نقطة اشتباك والتحام لمجمل تيارات العصر المتصادمة المتطاحنة ، وبؤرة تعارض وتجابه كل تناقضات التطور الاجتماعى ، والانسانى العامة الشاملة ، وساحة العراك الاساسية والرئيسية التى تركزت فيها كل أطراف الصراع التاريخية واحتشدت على مسرحها كل محركات ومعوقات التقدم الجوهرية ، والتى تتوتر وتهتز بتقابلها الجبهوى الكرة الارضية عن بكرة أبيها، والمجتمع البشرى كله، بحيث يتوقف على الطريقة التى يحل بها صراع المتناقضات هذا ، وعلى نتيجة ونوعية هذا الحل — فى هذه المساحة الصغيرة من العالم — سواء فى هذا الاتجاه أو ذاك تغير موازين القوى العالمية ، وتعدل مسار التاريخ ، وانتقال ركب الحضارة الى مرحلة أخرى جديدة .

وليست العبرة هنا بمدى مايسفك من الدماء فى هذه المعارك ، ولا بمدى طولها من قصرها ، ولكن « بنوعية نتيجتها » فلكم عرف التاريخ البشرى من معارك مأساوية ، وملاحم بطولية ، لم تكن تنقصها روح الفروسية ، والبسالة ، والتضحية ، ولكنها كانت — مع ذلك — اما حروبا قبلية عقيمة ، أو اعتداءات دولة على دولة ،أو أمبراطورية على أمبراطورية ، أو صراعا من اجل تقاسم أو اعادة تقاسم مناطق النفوذ فى العالم.

على عكس ذلك مثلا ماجاءت به الثورة البورجوازية الفرنسية من صراعات داخل فرنسا نفسها أو على النطاق العالمى ، حيث افتتحت هذه الثورة حتى بحروبها الخارجية حقبة تاريخية جديدة بالنسبة للبشرية جميعها ، وليس بالنسبة لفرنسا وحدها ، فلقد كانت هذه الثورة بكل ماتولد عنها من حروب عاصفة ثورية اجتاحت العالم كله، واشعلت اليقظة والتحفز فى أعصابه، وزعزعت أركان المجتمع الاقطاعى القديم فى كل مكان من الارض ، ومهدت للثورة البورجوازية، وزرعت بذورها الاجتماعية، وأفكارها السياسية، وقيمها المعنوية فى كل اتجاه ، وأرست أسس حضارة عالمية جديدة .

ان المثل الاكثر سطوعا فى هذا المجال هو ثورة أكتوبر الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى ، وما جابهها من حروب تدخل استعمارية ، وتولد عنها من صراعات سياسية واجتماعية متلاحقة خارج الاتحاد السوفيتى نفسه ، حيث مثلت هذه الثورة فصلا تاريخيا مختلفا كل الاختلاف عن كل ماعرفته البشرية من فصول سابقة ، فبها ومعها انتقلت الانسانية جميعها الى مرحلة جديدة، ينتهى خلالها كل اضطهاد وكل استغلال ، وتدخل أثناءها فى صراع وطنى واجتماعى على النطاق العالمى يختفى بالظفر فيه كل صراع بين الانسان وأخيه الانسان ، وينصرف فيها جهد المجتمع البشرى كله الى صراعاته العلمية والتكنولوجية الخلاقة مع الطبيعة ، بغية تذليلها ، وتطويعها، وتسخير امكانياتها الجمة والهائلة لخدمة الانسان ومن أجل تحقيق رفاهيته ، وسعادته ، وتقدمه المتصل ، وحريته الكونية المطلقة .

عدوان ١٩٦٧ حلقة من حروب التدخل الاستعمارية

فأين تقع اذن ماتسمى بأزمة الشرق الاوسط من هذا الاطار التاريخى العام للصراع الكبير الذى يشتعل به عالم اليوم ، وما هى أبعادها، ودلالاتها الخاصة والعامة ؟

اليست القضية قضية استعادة حقوق شعب فلسطين القومية ، وازالة آثار عدوان ١٩٦٧ ، تقف فيها المقاومة الفلسطينية ، والوطنية المصرية فى مواجهة قوى الاغتصاب والعدوانية الاسرائيلية ، وتتجابه فيها القومية العربية المستندة الى أسس تاريخية ، وخلفية حضارية مع القومية الصهيونية المصطنعة ذات الطابع العرقى الشوفينى التوسعى الرجعى ، المدعومة من الاستعمار ، والمتزجة مصالحها بمصالحه ؟

واذا كانت الاجابة بنعم — ولا يمكن الا أن تكون كذلك — فان ذلك لايعدو أن يكون جانبا واحدا من الحقيقة ، وجزئية من جزئيات عملية تاريخية أكبر من ذلك وأشمل وأخطر .

فانسحاب اسرائيل — سلما أو حربا — من الارض العربية التى احتلتها بعدوان ١٩٦٧ لايمثل الا الجانب السلبى فى القضية ، وليس الا « تراجعا الى وضع سابق » برغم كل ماينطوى عليه هذا التراجع من نتائج سياسية بالغة الدلالة حتى على كيان الدولة الصهيونية نفسه .

فما هو جوهر القضية اذن ، وأين هو الجانب الايجابى ، والعمق التاريخى فيها ؟

ان العدوان الصهيونى — الاستعمارى عام ١٩٦٧ — كالعدوان الاسرائيلى — الامبريالى عام ١٩٥٦ — ليسا الا حلقتين رئيسيتين فى سلسلة « حروب التدخل الاستعمارية » التى شنتها وتشنها الامبريالية العالمية ضد ثورات التحرير والتغيير التى اجتاحت وما تزال تجتاح الكرة الارضية من جميع أركانها ، وذلك بهدف كسر سيف الثورة العامة العارمة التى أخذت تطيح

بقوة وقسوة منذ ثورة اكتوبر الاشتراكية، بمعاقل الفاشية، والنازية ، والاستعمار القديم، والرأسمالية، والرجعية فى كل مكان ، وبفرض ايقاف عملية التصفية الثورية التاريخية الشاملة هذه ، وعلى أمل اطالة عمر الاستعمار الجديد الذى تتولى قيادته اليوم الامبريالية الامريكية ، آخر، وأبشع واقبح وجه استعمارى على ظهر البسيطة ، والتى بانحدارها عن مواقع العدوان والحرب يسدل الستار نهائيا والى الأبد على عهود الظلم الاجتماعى ، والاضطهاد القومى ، والابتزاز الدولى ، ويغدو كل مجتمع سيد نفسه ، ومالك مصيره ، وصاحب ثرواته ، وتصبح راية السلام والامن ، والعدل الانسانى ، والاشتراكية الديمقراطية مرفرفة على ربوع الارض .

مواقد ثورية ثلاثة فى أتون الثورة العالمية

وفى اتون الثورة العالمية المتأججة المعاصرة، ثورة التحرير الوطنى ، والتغيير الاجتماعى ، تتوهج مواقد ثورية ثلاثة متميزة السمات بعيدة الاثر ، حيث تتفاعل وتعتمل فيها أعظم وأخطر العمليات الثورية الراهنة ، وحيث تقع العملية الثورية العربية فى موضع القلب منها ، لا من ناحية الموقع الجغرافى الذى تشتعل فيه فحسب، وانما من حيث احتمالاتها الجمة المبشرة، ونتائجها البالغة الحاسمة على مسيرة الثورة العالمية ككل، وعلى تقرير مصير الاستعمار العالمى ، وتشييعه الى نهايته الحتمية .

فهناك على الجانب الشرقى الاقصى من الكرة الارضية تدمدم وتحتدم ثورة تحرير وتغيير هائلة فى لون الدم والنار ، وفى قوة الرعد والاعصار ذات حجم قارى ، ووزن عالمى ، كانت الصين بقيادة ماوتسى تونج منطلقها المهيب ، وغدت الهند الصينية مهبها وساحتها الضارية، كما أصبحت **فيتنام** هديرها المجلجل ، وحصنها الحصين ، وفى قلب دوامتها الجارفة لايتحدد مستقبل حركة التحرير الوطنى ، والتقدم الاجتماعى فى هذه المساحة الشاسعة من آسيا ، وانما يتحدد كذلك أيضا مستقبل حركة التحرير الوطنى والتقدم الاجتماعى على نطاق العالم كله ، بل ويتحدد المآل المظلم للامبريالية نفسها ، التى لم تلق طيلة تاريخها الاستعمارى ماهو أسوأ من الموقف الذى تجد نفسها الان فيه هناك ، ولم تتلق من قبل ضربات موجعة مؤثرة فى صميم هيبة وكيان النظام الاستعمارى كله كما تتلقاها اليوم على يد الثوار الاسطوريين فى هذه البقعة الجليلة من العالم .

وعلى الجانب الغربى البعيد من الكرة الارضية تخفق وتزمجر ثورة تحرير وتغيير آخرى عاصفة ، تنتشر حرائقها ، وتشرق مشاعلها فى جميع انحاء أمريكا اللاتينية ، بل واخذت ألسنة اللهب منها تمتد لتحاصر عاصمة الاستعمار الجديد ، وتمسك بسلم داره ، وتملأ أعصابه بحمى قلق لاهث ، وأرق ممض ، حيث تحولت جزيرة الثورة المتقدة المضيئة فى كوبا الى كوكب مضطرم منير ، تدور من حوله مجراة ثورية ساطعة دوران الكوكب حول الشمس ، وحيث تحول زعيمها العملاق **كاسترو** ، ورفيقه الشهيد العظيم **جيفارا** الى فرقدين متألقين فى افق الثورة العالمية ، تهتدى بأنوارهما المشعة قوافل الثوار فى كل مكان ، وتحت تأثير حركة التحرير الوطنى والاجتماعى فى هذه القارة الملتهبة التى تشكل الفناء الخلفى لمعقل الرأسمالية الاحتكارية فى أمريكا أمكن حتى عن الطريق البرلمانى . بل والانقلاب العسكرى أن تصل الى سدة الحكم أنظمة حكم وطنية ديمقراطية — كما هو الحال فى **تشيلى وبوليفيا** .

وفى الشرق الاوسط الذى تشغل المنطقة العربية مركز القلب منه ، وتشكل أهم ساحات الصراع فيه ، بل ومدار ومحور كل الصراعات العالمية من حوله ، باعتباره بؤرة **الاستقطاب** والجذب الحادة والمكثفة لكل التناقضات الخاصة، والعامة ، المحلية ، والدولية ، الوطنية ، والاجتماعية التى يمور بها العالم العربى والعالم المعاصر كله ، وساحة الصدام المفتوحة بين قوى التحرر والتقدم ، وقوى الرجعية والتأخر ، بين الثورة المضادة العالمية التى تقودها الامبريالية الامريكية والصهيونية والرجعية الدولية ، وبين الثورة العالمية بقيادة الاتحاد السوفيتى ، بأجنحتها الضاربة المتمثلة فى حركة التحرر الوطنى العربية، والعالمية ، والمعسكر الاشتراكى ، والقوى الديمقراطية فى المعسكر الاستعمارى نفسه .

وهاهى الثورة العربية التى اشعلها قائد العرب العظيم ، وبطلهم الخالد **جمال عبد الناصر** تتقدم حثيثا لاحتلال موقعها التاريخى البارز بين ثورات القرن التحررية التقدمية ولتنهض بمهامها الجليلة فى مجابهة الصهيونية، وفى تصفية أخطر القواعد والمصالح الامبريالية ، وأوسع امبراطورياتها البترولية ، ولتسهم بذلك فى تقرير مصيرها السياسى على النطاق العالمى .

هدف الاستعمار .. رأس الثورة العربية

من هنا اندفاع الاستعمار المحموم والمسعور وبكل قوته وشراسته الى حلبة الصدام ، لكسر هذه الثورة الواعدة الزاعدة بسيف الصهيونية

من عمود الظهر ، وضربها فى الرأس مباشرة بقبضة يمينه الفولاذية ، بغية اخراجها مهزومة صريعة من ميدان الصراع ومن أجل استعادة مواقعه المفقودة فى هذه المنطقة الحساسة من العالم وبفرض احتلالها بوساطة وتحت علم قوى الصهيونية المسلحة المفتوحة أبوابها كالبالوعة — باستمرار — لكل قوى الاستعمار السوداء المتأهبة والمجندة على الدوام للغزو باسم الهجرة الى أرض الميعاد ، ومن أجل الحفاظ على واسطة العقد المتلالئة بالشرق الاوسط ، وفى سلسلة مناطق سيادته الاقتصادية وابقائها حبيسة فى راحة يده ، وللتحكم فى مسيرة التاريخ العربى ، وتعطيل الحركة الوطنية والاجتماعية العربية الصاعدة ، ولى عنق العرب ، والوقوف فى وجه قيام دولة عربية كبرى ، موحدة ، اشتراكية ديمقراطية ، تكون عاصمتها القاهرة ، وتكون استمرارا لدولة العرب التاريخية التى ملات الساحة العالمية طيلة حقبة القرون الوسطى ، وتكون قوة دولية عظمى معاصرة الى جانب القوى الدولية العظمى المعاصرة ، ويكون لها صوت مسموع ، وكلمة مؤثرة ، واسهام فعال فى لجم قوى العدوان والحرب وفى اعلاء راية السلام والامن ، وفى دفع عجلة التقدم التاريخى ، والازدهار الحضارى قدما الى الامام .

ذلك هو موقع أزمة الشرق الاوسط ، بل موقع أزمة الثورة العربية ، وتلك هى دلالاتها وأبعادها الخاصة والعامة ، وذلك هو مكانها فى اطار الصراع التاريخى العالمى الراهن .

ليست القضية اذن مجرد قضية أرض احتلت ويعاد الان استعادتها كيفما اتفق ، فحتى مطامع الصهيونية التوسعية فى دولة اسرائيلية كبرى من الفرات الى النيل لاتعدو أن تكون وسيلة ومنطلقا لهدف أعم وأشمل تلتقى وتتحدد فيه أهداف الامبريالية العالمية كلها ، الا وهو احتلال مكانة التاريخ العربى ، والغاء دور الامة العربية الحضارى ، والاستباق بالاستيلاء على مستقبلها العظيم الواعد ، ومصادرة حركتها الوطنية ، والاجهاز على ثورتها الاجتماعية واخراجها من ساحة النضال العالمى ، وطيها تحت جناح الاستعمار ، ووضعها — مكبلة مهانة ، مستذلة — عند موضع أقدامه .

ان قضية « **الارض** » ليست الا وسيلة ضغط ، وعنصر مساومة وطعم صيد لابتلاع حركة الثورة العربية كلها ، **وواشنطن** وليس تل أبيب هى المتحكمة فيها ، ولو استيقنت أنها ستحصل على « الثمن المطلوب » لامرت جيوش الصهيونية بالانسحاب منها فورا باشارة الاصبع ، ذلك أن الهدف الاساسى من عدوان ١٩٦٧ لم يكن احتلال مزيد من الارض العربية ، بقدر ماكان الاستيلاء أو التمهيد للاستيلاء على قلعة الثورة العربية ،

وجعل الاحتلال مبررا سياسيا للقيام بحركة سياسية مرتبة ومدبرة فى الداخل ، من القاهرة ذاتها ، تحصل بها قوى سياسية محترفة ومراكز قوى معينة على السلطة فى اليمين ، لتمنح الاستعمار منها باليسار مايريد ، ولتوجهها الوجهة التى تكفل رضى البيت الابيض ، ويكون ذلك هو « المقابل » المنتظر والمفترض لجلاء القوات الاسرائيلية من سيناء — دونما اهتمام بغيرها من الاراضى العربية الاخرى المحتلة — وذلك ماكشفت عنه المحاكمات التى جرت فى مصر بعد عدوان ١٩٦٧ ، وذلك ما أومأت اليه صحف القاهرة ومجلاتها عام ١٩٦٨ .

ولان هذه المحاولة السياسية الرعناء قد خنقت فى المهد بفعل هبة الجماهير العربية فى ٩ ، ١٠ يونية ، وازدياد مكانة عبد الناصر التاريخية ثباتا ورسوخا ، كان على واشنطن أن « تتشبث » بمطلبها السياسى « الاصيل » الذى من أجله تحركت قوى الغزو .

وبرحيل قائد مسيرة الثورة العربية خيل للامبريالية العالمية أنها قد اقتربت من لحظة تحقيق أحلامها الطائشة ، غير أنها مالبثت أن تبينت خطأ حساباتها حيث أن « الطريق الناصرى » قد أصبح من معالم مسيرة التاريخ العربى المعاصر ، ورمزا للوطنية المصرية ، والقومية العربية ، ونبراسا للثورة الاجتماعية ، وعلما للصمود ، والتمرد ، والحيوية ، والتحدى ، والاستماتة فى مقاومة الاستعمار والصهيونية والرجعية ، وشارة التعاون والتحالف مع قوى التحرر والاشتراكية فى العالم ، وروحا ثورية ملهمة بالنضال المستمر حتى تتحقق دولة العرب الكبرى الموحدة ، الاشتراكية الديمقراطية .

ولذلك فان الامبريالية الامريكية بعد فشلها فى تحقيق ماطمعت فى الحصول عليه عام ١٩٥٦ اوعزت — هذه المرة — على عكس مافعلت من قبل — الى شريكتها الصغيرة فى العدوان ، وأداتها الاستعمارية بالمرابطة حيث وصلت قواتها الصهيونية ، حتى تجرب حظها عن طريق ضغط الاحتلال ، وعن طريق تحريك قوى اليمين العربية فى الداخل فى بلوغ ماعجزت عن بلوغه حتى الان .

التراجع عن المسيرة الثورية هو الغاية

ان الثمن الذى تطلبه الامبريالية الامريكية ، والتنازلات التى تريدها فى مقابل حل أزمة الشرق الاوسط هى — كما ألمحت الى ذلك بعض الصحف العربية — تراجع الدول العربية الوطنية ،

وبالذات ج.ع.م. عن طريق التحرر الوطني والثوري ، والتخلي عن قيادة حركة التوحيد القومي والتحول الاشتراكي، وفك علاقة التضامن النضالية مع حركة التحرر الوطني ، والقوى الاشتراكية في العالم، وذلك هو سبب العدوان، وذلك هو سر استمرار الاحتلال ، وذلك هو لب أزمة الشرق الاوسط ، وجوهر « الصراع العربي ــ الاسرائيلي » .

فالامر ليس أمر حصول على « **قطعة أرض** » هنا أو هناك ، وعلى « موقع استراتيجي في شرم الشيخ أو الجولان » بقدر ماهو أمر الحصول على « قطعة حساسة من أرض السيادة العربية » وعلى « موقع نفوذ سياسي في استراتيجية » الدول العربية الوطنية ، ثم التأكد أولا وأخيرا من أن مثل هذه الدول قد تخلت نهائيا عن طموحاتها « الخيالية » في اقامة اتحاد أو دولة عربية كبرى ، موحدة ، مستقلة ، تقدمية ، على انقاض النفوذ والمصالح الامبريالية الواسعة في المنطقة .

وذلك هو المغزى البعيد والحقيقي الذي كشفت المصادر المطلعة في القاهرة عنه ــ كما ذكرت روزاليوسف في عددها بتاريخ ٣/٢٢/ ١٩٧١ ــ عندما صرحت بأن الهدف الذي يحوم حوله الاستعمار الامريكي ، ويريد الوصول اليه، في كل مناوراته وضغوطه بأزمة الشرق الاوسط هو « السيطرة على المنطقة ، وألا تخرج مصر قوية من المعركة ، وهو اضعاف مصر ، بحيث لاترفع صوتها ، أو لاتكون مثلا ونموذجا في المنطقة العربية ، ان أمريكا لاتريد أن تدخل مصر عصر الصناعة ، أن تكون مصر بلدا صناعيا ، يقدم الاشتراكية كمثال لدول المنطقة ، وللدول الافريقية ، فهذا مالا تقبله أمريكا اطلاقا .

أما « المساعدة المحدودة » التي يبدو ان أمريكا تحاول الاهتمام بها في حل الازمة فهدفها ايجاد موطيء قدم للسيطرة الامريكية في كل الاحوال» .

صراع تاريخي شامل

واذن فعلى جانبي قناة السويس والجولان لاتتقابل قوى صهيونية خالصة هدفها فقط الاحتفاظ بكل أو ببعض الارض المحتلة ، وقوى عربية بغير سند تهدف الى تحريرها ، وانما تتجابه مرحلة تاريخية في طريقها الى السقوط ، مع مرحلة تاريخية أخرى آخذة في الصعود ، مرحلة القهر ، والتسلط ، والابتزاز الاستعماري ، مع مرحلة التحرر الوطني ، والثورة الاجتماعية ، وعلى احدى حافتي ميدان القتال لاتربض قوى الصهيونية فقط ، وانما تربض معها قوى الاستعمار العالمي بقيادة الامبريالية الامريكية ، وبيدها أحدث ماانتجته ترسانة الحرب الامريكية وأنجزته أجهزتها التكنولوجية العسكرية ، كما يقف بالمقابل على الحافة الاخرى لميدان القتال قوى التحرير الوطني العربية ، وفي يدها أحدث وآخر ماأبدعته التكنولوجيا السوفيتية المخصصة لردع قوى العدوان ، وتحت تصرفها خبراؤها ، كما يقف الى جانبها سياسيا واقتصاديا وعلى النطاق الدولي كل المعسكر الاشتراكي ، وحركة التحرير الوطني العالمية ، وكل قوى الخير والتقدم والديمقراطية في العالم وحتى في المعسكر الاستعماري نفسه .

وعن الدور الخاص الذي يلعبه الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الاخرى في هذا الصدام الحتمي بين قوى التحرر والتقدم العربية، وقوى العدوان والتأخر الاستعمارية والصهيونية تحدثت المصادر المطلعة في القاهرة ، في معرض تعليقها على النقاش الذي دار في الصحف حول موقف الولايات المتحدة من أزمة العدوان ، وأسلوب مواجهته حسبما أشارت روزاليوسف في نفس العدد الانف الذكر ــ على النحو التالي :

« **ان الاتحاد السوفيتي من مصلحته أن تخرج مصر من المعركة منتصرة وقوية ، وأنه اذا كنا اليوم قادرين على الصمود والمقاومة ، متحفزين لاسترداد أرضنا فان للمساعدة السوفيتية دورا كبيرا في ذلك .. وان القاهرة مطمئنة لمساعدة الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية ومساندتها لنا** » .

واذن فهي معركة ــ وطنيا ، وقوميا ، وعالميا ــ بين قوى التحرر العربية ، وقوى العدوان الصهيونية ، بين المعسكر العربي ــ الانساني التقدمي ، والمعسكر الامبريالي ــ الصهيوني ، الرجعي ، بين اتجاه تاريخي غلاب نحو سيادة الديمقراطية والاشتراكية ، واتجاه تاريخي متقهقر نحو سيادة الدكتاتورية والرأسمالية .

بهذا المعنى فان ثورة التحرير العربية التي تقودها القاهرة ، وتتصدى بها للهجمة الامبريالية ــ الصهيونية الشرسة التي تستهدف رأس الثورة واعتراض واجهاض مسيرتها التاريخية ــ شأنها شأن الثورة الوطنية والاجتماعية في الشرق الاقصى ، وفي أمريكا اللاتينية ، لا تقف أهميتها السياسية عند حد استخلاص أراضيها وسيادتها الوطنية عليها من براثن قوى الاحتلال والاغتصاب ، وانما هي بحجمها القاري ، وطبيعة المنطقة والفترة التاريخية التي تشتعل فيها ، وبنوعية القوى السياسية التي تتصادم خلالها ، وبالمهام الوطنية والاجتماعية التي تنهض

للدفاع عنها ، وبعلاقاتها المتشابكة والمتلاحمة والحميمة مع قوى التحرير الوطنى ، والثورة الاشتراكية فى العالم ، وبحكم انتمائها تاريخيا وموضوعيا ، حاضرا ومستقبلا الى القوى المحركة للاحداث التاريخية والموجهة لمسارها فى اتجاه انتصار قوى التحرر والاستقلال الوطنى ، والسيادة والوحدة القومية ، والتقدم والاشتراكية أقول ان ثورة من هذا الطراز وبهذا الحجم والمستوى هى ذات وزن عالمى ، وتأثير مصيرى على الوجود الاستعمارى ليس فى منطقة الشرق الاوسط وحدها ، بل وفى كل مكان ، وذات تأثير بالغ وحاسم على الامبريالية الامريكية بالذات ، وعلى طفلها المدلل اسرائيل ، وأداتها الطيعة الحركة الصهيونية .

واذا كانت ثورة التحرير والتغيير فى الشرق الاقصى ، وفى أمريكا اللاتينية تمثل أظفار اليد الخمسة التى تنغرس اليوم فى عنق الاستعمار الامريكى ، وتستصفى منه الدماء الامبريالية المحتقنة والمتورمة بمصل حياة الشعوب ، فان ثورة التحرير والتغيير العربية هى راحة اليد المطبقة فى هذه الاظفار ، والممسكة بخناقه ، تماما كما أن المعسكر الاشتراكى هو الزند القوى لهذه الذراع التاريخية الممتدة عبر العالم ، والتى تضرب وتبطش بقوى التخلف ، والبغى ، والظلام ، والسوء التى تحاول عابثة اعتراض مسيرة حركة التقدم الانسانى الجبارة ، ذراع الشعوب المناضلة التى تحطم بها أنوف المتطاولين على سيادتها ، الوالغين فى دمائها ، والمستهترين بحياتها ومصائرها .

هزيمة انهيار

الاستعمار والصهيونية

وليس هناك مايحول دون أن تحقق الثورة العربية جميع مهامها العاجلة ، والآجلة ، التكتيكية ، والاستراتيجية ، الوطنية ، والاجتماعية ، الديمقراطية ، والاشتراكية ، القومية ، والانسانية ، طالما احتفظت بنصلها مسددا الى نحر الاستعمار ، ولم تنخدع بمناوراته ، ولم تستسلم لضغوطه ، ولم تغرها ابتساماته الماكرة ، وظلت على يقينها بأن الصهيونية — ليست سوى أحد سهامه المصوبة الى الشعوب المناضلة — من اجل انتزاع مكانتها اللائقة بها ، وبماضيها ، وبدورها الحضارى والتاريخى بين الشعوب الحرة العاملة من أجل صنع مستقبل كريم ومجيد ، وعظيم للبشرية جميعها .

وليس هناك مايدعو الى الارتياب فى أن الثورة العربية بمحافظتها على موقعها النضالى البارز فى جبهة قوى التقدم العالمية — قادرة بقوتها الذاتية ، وبتضامن قوى الثورة فى العالم معها ، ليس فقط على استعادة ما احتل من أراضيها ، وانما أيضا على استكمال تحرير الارض العربية كلها من مظاهر الاستعمار الاستيطانى ، والنفوذ الاجنبى ، والاستغلال الامبريالى ، واستخلاص سيادة الوطن العربى كله ، وانجاز وحدته القومية ، وانتزاع واستثمار ثرواته الاقتصادية الهائلة ، وتحقيق أرفع مستوى للتنمية الاجتماعية ، والازدهار الثقافى فى حياته ، وتحويله الى دولة عصرية ، متقدمة ، عظمى ، قادرة على الاسهام ايجابيا فى تكييف مسار التقدم الحضارى فى العالم كله .

وذلك معناه فى نفس الوقت أن قوى الثورة الفلسطينية الباسلة ليس أمامها — بكل فصائلها المختلفة — الا أن ترتبط بهذه الجبهة العربية — العالمية الديمقراطية الاشتراكية لتحقيق الدولة الديمقراطية الفلسطينية ، وليس بقوى « اليسار الجديد » أو بالاممية الرابعة التى مهما تكن أهميتها ودورها — على افتراض عدم وجود خيوط صهيونية واستعمارية فى نسيجها — فانها ليست هى القوى المحركة للتطور التاريخى ، والمعبرة — بحركتها النضالية المنظمة والواعية عن قوانينه الموضوعية ، والتى ليس أمامها هى نفسها الا أن تأخذ مكانها الطبيعى — آخر الامر — سواء فى جانب اليسار المسترشد بالاشتراكية العلمية وقوانين التطور الموضوعية ، أو فى جانب القوى الوسطية المرحلية ، واليمينية التى لاتلبث أن تسقط تحت عجلة التاريخ الزاحف الى الامام .

وفى غمار هذه الثورة العربية الشاملة ، الوطنية والاجتماعية ، المندمجة فى تيار ثورة التحرر الوطنى والاجتماعى فى آسيا ، وأفريقيا ، وأمريكا اللاتينية ، والمتفاعلة مع حركة الثورة الديمقراطية والاشتراكية فى العالم لن تستطيع دولة اسرائيل قلعة الصهيونية والامبريالية — الصمود طويلا ، وستجد نفسها فى مرحلة معينة من تصاعد الطوفان الثورى ، وقد ابتلعتها لجج الصاخبة العارمة ، كما سيجد الاستعمار القديم والجديد وعلى رأسه الامبريالية الامريكية وقد أصبحت مصالحه الاحتكارية فى المنطقة العربية أثرا بعد عين ، تماما كما ستغدو الصهيونية نفسها اسطورة كأسطورة هيكل سليمان .

ذلك هو قانون التاريخ الموضوعى الذى لامرد له ، والذى تسهم حركة التحرير الوطنى العربية فى ترجمته ، وتحويله الى حقيقة مادية .



أول مـــايـــو

مسئوليات الحركة النقابية والطبقـــة العامـــلة

محمد علي عامر

حالت الرجعية المحلية بين العمال وبين الاحتفال بذلك اليوم التـاريخى طوال عهد الحكم الملكى البغيض ، فى ظل السيطرة الارهابية للبوليس السياسى والقلم المخصوص ، يوم أن كانت مصر ضيعة من ضياع الانجليز وعملائهم يتحكمون فى حكامها كما يشاءون ، ويديرون سياستها كمـا يشتهون .. كان أول مايو آنذاك يوما مشبوها فى نظر السلطة .. العطلة فيه محرمة على العمال ومجرد التجمعات العمالية اتجاه للشغب والتمرد واخلال بأمن الدولة سرعان ما يتولى البوليس الملكى قمعه فى الحال ، حيث أن كل من كان يحتفل أو يفكر فى الاحتفال بهذه المناسبة تعتبـره السلطة القديمة شيوعيا ، وكل من يعرف أو يحاول أن يعرف غيره شيئا من المؤامرة البشعة تلك التى دبرها ملوك المال والصناعة الامريكيون ضـد مواطنيهم العمال بمدينة شيكاغو فى أول مايو عام ١٨٨٦ ، وقام باعداد تنفيذها مدير بوليس مدينة شيكاغو ، كما اعترف هو بنفسه بجريمته أمام رجل الدين وهو يواجه لحظات الموت الرهيبة ، لعله يحصل من ضحاياه العمال على السماح والصفح ، ومن السماء بوساطة رجل الدين على الغفران ، كل من يذكر تلك الواقعة ويلفت اليها نظر العمال بالقول او الكتابة او الخطابة ، لابد وأن يكون شيوعيا خطيرا تتولى أجهزة الدولة مراقبته ومراقبة كل أصحابه ومعارفه ، وتقـوم بعمل الدوسيهات اللازمة له تمهيدا لاعتقـاله وتشريد أسرته ، وكان التاريخ ليس من حقه أن يسجل جرائم الرأسماليين الاحتكاريين ولا جرائم وكلائهم المغامرين ، وبالتالى ليس من حق جماهير العمال أن يتجمعوا حتى تزدحم بهم السرادقات والساحات والميادين والشوارع كى يشهدوا بأنفسهم محاكمة التاريخ لاولئك الطغاة مرة واحدة فى أول مايو من كل عام .

غير أن الرجعية المحلية عندنا كان لها بالنسبة لاول مايو موقف محدد ومعروف كما هو محدد ومعروف بالنسبة للقوى الرجعية فى أى بلد من بلدان العالم .

لا ريب أن موقف الرجعية المحلية منذ نشأة البرجوازية المصرية والى ما قبل قيام الثورة فى

ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كان يتسم بالعداء الجذرى والكراهية الثابتة ليوم أول مايو وعمال أول مايو ١٨٨٦ .

عطلة العمال فى ذلك اليوم مرفوضة وغير جائزة من جانب الرجعية وعملائها ، وسير المواكب العمالية او اقامة الاحتفالات والسرادقات مدانة ومرفوضة

ولم يكن عداء الرجعية المصرية مقتصرا على احتفالات العمال المصريين وحدهم بعيد أول مايو ، بل تعداهم الى عمال العالم عموما وعمال أوروبا خصوصا ، يؤكد ذلك بجلاء ووضوح لا ينقصهما الصراحة ما نشرته احدى الصحف اليومية الكبرى وهى صحيفة الاهرام فى أول مايو سنة ١٩٠٨ ، تلك الصحيفة التى كانت ولا زالت حتى الان أكبر الصحف المصرية وأكثرها انتشارا بين جماهير الشعب العربى ، وهذا ما ورد بصحيفة الاهرام آنذاك بالحرف الواحد : « اعتاد العمال الاوربيون الاقلاع عن العمل فى أول مايو ، فاقفلت المطابع ولم تصدر الجرائد ، ونحن مع رغبتنا فى عطلة العمال وراحتهم ، لا نجد ذلك جائزا فى مصر مع كثرة الاعياد وأيام البطالة ، اننا نعتبر هذا عيبا على العمال الاوروبيين ، كما نعتبر أن هذا اليوم لا يعتبر ضمن أيام المعطلة فى أوروبا » .

لقد غير الزعيم الوطنى جمال عبد الناصر وجه التاريخ المصرى وسجل بموقفه الشجاع من عيد العمال العالمى فى أول مايو ١٩٦٤ حدثا تاريخيا رائعا لن ينساه له العمال على مر الدهر . وسوف يذكره له أبناء العمال وأحفادهم بالشكر والعرفان جيلا بعد جيل ، لقد أعلن الزعيم الراحل فى عام ١٩٦٤ موافقته على المشاركة فى عيد أول مايو فى احد المراكز الصناعية الكبرى ، شبرا الخيمة والمحلة الكبرى وكفر الدوار ، كما وصف القائد المغفور له أول مايو عام ١٩٦٦ بأنه : « عيد العمل والعمال الذى تحتفل به الانسانية كلها فى الغرب وفى الشرق على السواء ، وفى كل بقعة من بقاع العالم المتحضر الذى يعرف للعمال دورهم الطبيعى فى بناء الاوطان » .

الرجعية المحلية تقاوم

لم تقف قوى اليمين الرجعى المحلية مكتوفة الايدى أمام اعتراف الدولة الرسمى بأول مايو عيدا للعمال مدفوع الاجر ، يلتقى فيه رئيس الجمهورية مع عمال الجمهورية وسط أضخم مؤتمرات عمالية عرفتها المناطق الصناعية ، يشرح لهم الموقف السياسى الراهن ويطرح عليهم موقف الدولة بالنسبة لاخطر مشاكل الساعة .

ان عوامل التقدم على ما فيها من ايجابيات تدفع التاريخ الى الامام لتنقله من طور أدنى الى طور ارقى ، تحمل فى نفس الوقت بين طياتها نقيضا لها من سلبيات تحاول بدورها تعويق التاريخ وشده الى الخلف ، هذا القانون من قوانين الحركة لا تستثنى منه أية ظاهرة اجتماعية .

لم يكن الرئيس جمال عبد الناصر قبل النكسة قابضا على كل السلطة بين يديه ، وهذه حقيقة اعترف بها القائد بعدالنكسة ، بل كانت هناك قوة أخرى داخل السلطة ليست متجانسة تماما مع القائد والمجموعة الناصرية ، اتجهت هذه المجموعة بما تملكه من نفوذ وسلطة فى أجهزة الدولة الى شل الديموقراطية النقابية وتفريغ الحركة النقابية من محتواها الحقيقى عن طريق منع النقابات العمالية من عقد الجمعيات العمومية ليقوم العمال باختيار العناصر الموثوق بها للهيئات القيادية لمدة وصلت الى سبع سنوات

هذا بينما نجد أن عمليات الانتخابات قد تمت فى جميع النقابات المهنية ، والاتحاد الاشتراكى بكافة مستوياته ، ومجلس الامة ، واخيرا انتخابات رياسة الجمهورية . أن مرور سبع سنوات على العمال لم يمارسوا خلالها حقوقهم الديموقراطية كفيلة بتحويل النقابات العمالية الى جمعيات خيرية بعد أنعزال النقابات عن جماهيرها ، وتخليها ـ راضية أو مكرهة ـ عن دورها فى تربية العمال ، ورفع مستواهم النظرى والتنظيمى والسياسى والفنى .

لقد نجحت قوى اليمين الرجعى فى خنق الديموقراطية النقابية واضعاف الحركة النقابية ، لدرجة ان حركة العمال اصبحت تقف بين اتجاهين : الاتجاه التلقائى والاتجاه الادارى ، وكلاهما ضار بها .

الديمقراطية سد لا يقهر

لم يعد هناك خلاف على أن الديموقراطية النقابية تمثل أصدق مقياس للديموقراطية العامة ، وسيادة الديموقراطية عموما لا تتعارض مع سيادة القانون ولا مع اتجاه تقنين الثورة الذى أعلنه أخيرا السيد أنور السادات رئيس الجمهورية ، أن الديموقراطية تمثل أهم ضمان فى عصرنا الراهن لكسب المعارك الثقافية والسياسية والاقتصادية والعسكرية .

ولقد أعطت الحرب التحريرية التى تواجه بها شعوب الهند الصينية عدوان الولايات المتحدة الامريكية على أراضيها ، اعطت للعالم أروع مثل

على مدى القوة المذهلة التى منحتها شعوب الهند الصينية لحكوماتها وقياداتها الشعبية ، حينما منحتها الاخيرة (الديموقراطية) ان الديموقراطية أقوى سند للسلطة الشعبية فى كل أيام حكمها ، فهى سند للنظام السياسى الشعبى فى مرحلة البناء السلمى . كما أنها سند له فى مرحلة الدفاع عن كل ما حققه من منجزات ، ولا شك أن صمود شعوب الهند الصينية أمام عدوان أشرس وأعتى امبريالية عرفها تاريخ الانسان المعاصر ، وقدرة هذه الشعوب الصغيرة على الحاق الهزائم بجيوش تملك أحدث الاسلحة وتؤيدها الرجعية المحلية هناك .

لا شك أن هذا الجبروت الشعبى يرجع أولا وقبل أى شىء الى ما تتمتع به تلك الشعوب من حياة ديموقراطية .

فالانتخابات تتم هناك فى موعدها فى جوف الانفاق والاحراش والمستنقعات بين أشلاء القتلى ، وحول قرى ومدن أزيلت بمن فيها من فوق الخريطة ، أن حاجة العمال هنا الى اجراء انتخابات ديموقراطية وعقد مؤتمرات عمالية جماهيرية على أوسع نطاق ممكن فى هذه المرحلة ، هى أكثر الحاحا من أية مرحلة أخرى .

اعداء الطبقة العاملة فى امريكا هم اعداء الشعوب فى كل مكان

ان اصحاب الاحتكارات الامريكية الضخمة الذين يتحكمون فى السياسة الامريكية اليوم ويقدمون المال والسلاح والطيارين لاسرائيل حتى تتمكن من هدم المصانع على العمال فى أبى زعبل ونسف مدرسة بحر البقر ودفن الاطفال تحت ركامها ، لكى ترسخ اقدامها فى احتلال ارضنا .

هم الذين يقدمون للملك حسين المال والسلاح والضباط العرب الخونة الملحقين بادارة المخابرات الامريكية سرا وبجيش الملك حسين علنا ليتمكن جيش الملك من ابادة الشعب الفلسطينى حتى نهايته ، وسحق الفدائيين وحركة المقاومة حتى آخر فدائى .

أولئك هم أنفسهم أحفاد الرأسماليين الامريكيين الذين دبروا مؤامرة أول مايو ١٨٨٦ ضد مواطنيهم عمال أمريكا حينما شاهدوا مظاهرة سلمية عدد المشتركين فيها ٣٥٠ ألف عامل يطالبون بتخفيض ساعات العمل من ١١ ساعة الى ٨ ساعات عمل بنفس الاجر ، ويصرون على حقهم فى ٨ ساعات نوم ، و ٨ ساعات راحة .

وفعلا خفضت ساعات العمل من ١١ الى ٨ ساعات عمل بنفس الاجر لـ ٤٢ ألف عامل فى اليوم الاول ، وخفضت لـ ١٥٠ ألف عامل فى اليوم الثانى .

أن احفاد الرأسماليين الامريكيين الذين أراقوا دم مئات من مواطنيهم العمال منذ ٨٦ عاما وشكلوا محكمة صورية من أصحاب المصانع لمحاكمة عمالهم المضربين قدموا اليها أربعة من زعماء العمال هم : **أوجست سبايز ، أودلف فيشر ، البرت باسونز ، جورج اتيل .**

وأصدرت المحكمة حكمها بالاعدام الفورى على زعماء العمال الاربعة وبكل سرعة نفذوا حكم الاعدام بعد نطق الحكم ببضع ساعات

واستفزت مؤامرة أجداد نيكسون وجونسون مشاعر عمال العالم فتحركت المظاهرات العارمة من العمال فى كل مكان من مختلف الاتجاهات السياسية والالوان والاديان يعلنون ادانتهم لبشاعة رأس المال ـ ويطالبون باعادة محاكمة عمال أول مايو الابطال

وتحت ضغط المظاهرات تشكلت فى عام ١٨٩١ بولاية « ايللينوى » محكمة خاصة لاعادة نظر القضية من جديد ، وأصدرت حكمها ببراءة العمال بعد أن بليت أجسادهم وتحولت الى تراب .

وبعد ٧٥ عاما من الحكم ببراءة عمال أول مايو ، يشكل العالم البريطانى الراحل « برتراند راسل » الرئيس السابق لمجلس السلام العالمى محكمة تدين جرائم الامبريالية الامريكية فى الهند الصينية ، وتلجأ شعوب الهند الصينية اليوم الى محاكمة قوات الغزو الامريكى أمام قانون السلاح ، بعد أن فشل سلاح القانون ، وتجبر قوات الغزو الامريكى على الفرار وترك أسلحتها للثوار ، كما أجبرت على التجنيد وحمل السلاح ضد الثوار .

مسئوليات الحركة النقابية

والحديث عن أول مايو ، يستوجب الحديث عن دور العمال والنقابات فى بلادنا فى هذه المرحلة الخطيرة التى تجتازها البلاد .

ولا يستقيم الحديث عن تعبئة وتنظيم الجماهير سياسيا دون اعطاء الجهد الكافى لاهمية بناء وتطوير التنظيمات الشعبية وفى مقدمتها المنظمات النقابية ، ولابد أن يتم العمل فى هذا المجال على جبهتين :

أولهما : تحديد واضح لدور النقابات الذى يرتبط بالعمل السياسى ، ويقوم هذا الدور على أساس المفهوم الإشتراكى للنقابة ، ذلك المفهوم الذى ينبذ بحسم أسلوب النقابية البحتة .

ففى المجتمع الاشتراكى تقوم التنظيمات النقابية بتنمية وتعميق المفهوم الاشتراكى والسلوك الجماعى لدى العاملين وتعبئة طاقاتهم لخدمة أهداف الانتاج ، وكذلك تنمية الاحساس لديهم بالملكية العامة لوسائل الانتاج وملاءمة سلوكهم فى العمل مع هذه الملكية العامة واحلال المنافسة الاشتراكية البناءة محل الصراعات الشخصية والانانية ·

وتقوم التنظيمات النقابية فى المجتمع الاشتراكى بمناقشة خطط التنمية فى مختلف القطاعات ، ومعالجة الانحرافات والمعوقات ، والتصدى لكل ما من شأنه اعاقة الانتاج أو النيل من المكاسب الثورية التى لا يكفلها سوى النظام الاشتراكى ، بل وتطوير هذه المكاسب وزيادتها بالاسلوب النضالى والعلمى اى بحماية الثورة الاشتراكية ·

وللنقابات فى المجتمع الاشتراكى مجالات عمل أوسع وأرحب وأكثر فاعلية فى حياة العاملين ، فبرامج التدريب والتثقيف ورفع الكفاية الانتاجية والمحافظة على المستوى المادى والصحى والاسكانى والاستهلاكى التعاونى والبرامج الترفيهية ـ كلها مجالات عمل للنشاط النقابى فى المجتمع الاشتراكى ·

وممارسة النقابات لعملها ومسئولياتها بشكل سليم يتفق مع أهداف المجتمع الاشتراكى ، لا يمكن أن يتم ما لم تتوفر الضمانات الديمقراطية داخل التنظيم النقابى وخارجه ، كما أن توافر المناخ الديمقراطى داخل التنظيم النقابى شرط أساسى لنمو النشاط النقابى ، أن المناخ الديمقراطى العام هو الذى يمكن التنظيم من التعبير عن نفسه وتحقيق أهداف أعضائه وأهداف المجتمع ، ويجعل من النقابات معينا لا ينضب لخلق القيادات الجماهيرية المتمرسة والمدربة فى المعارك ووسط جماهير عريضة من العمال ·

ثانيهما : ان عملية تطبيق الديمقراطية فى داخل الحركة النقابية وبالتالى اطلاق الطاقات الخلاقة فيها ، يوجب على التنظيم السياسى باعتباره القيادة السياسية لكل نضال ديمقراطى أن يساعد جماهير العمال ويقودها بوعى من أجل تحقيق الاهداف المباشرة التالية :

● انهاء كل أشكال الوصاية الادارية على التنظيم الادارى ، بحيث يتسلم هذا التنظيم كل اختصاصاته ، سواء فى ادارة شئون نفسه على جميع المستويات أو فى ادارة بعض المؤسسات العمالية مثل مؤسسة التأمينات الاجتماعية والتأمين الصحى والثقافة العمالية والتدريب المهنى ·

● توسيع قاعدة الحريات النقابية حتى يكون الانضمام الى النقابات اختياريا ، وتمكين النقابيين من أن ينتخبوا قياداتهم على الاسس الديمقراطية ، وبحيث يكون الوصول الى المراكز القيادية فى الحركة النقابية بالانتخاب من القاعدة العريضة الى القمة ، وفى هذا الصدد يجب أن يخطر على أى قيادى تولى أكثر من منصبين فى الحياة السياسية والنقابية ·

● يجب أن تمكن اللجنة النقابية بوصفها التنظيم القاعدى المباشر من أن تقوم بدورها كقيادة نقابية على مستوى وحدات الانتاج · وأن تعدل اللوائح لتحقيق هذا الهدف ·

● يساعد التنظيم السياسى القاعدة العمالية العريضة فى كشف واسقاط القيادات التى ثبت أنها عطلت وعوقت ـ فى المرحلة الماضية ـ حركة الجماهير العمالية فى معركة البناء والصمود ومواجهة العدو ، وأن يتم هذا بالوسيلة الديمقراطية على أساس الانتخاب الحر والمباشر ، وعلى أساس ممارسة النقد والنقد الذاتى عن فترة زمنية خبرت فيها الجماهير بنفسها نوعية هذه القيادات ومدى ما بذلته من جهود وتضحيات وانكار للذات وايمان بالمبدأ وبقضية الاشتراكية أو مدى انحراف هذه القيادات وتحقيقها لمصالحها الذاتية والخاصة ، وقد يكون من المناسب أن تكون لجنة تحقيق خاصة تقوم باعادة النظر فى المكاسب والامتيازات التى حصلت عليها القيادات النقابية ، والذين مارسوا العمل النقابى منذ عام ١٩٦٠ حتى الان ·

● يجب أن يشكل الاتحاد العام على أساس التمثيل العادل للنقابات حسب وزنها العددى ، وأن يعدل القانون ليضم الاتحاد العام للعمال النقابات المهنية ·

● يجب أن تتخلى الحركة النقابية عن كل ارتباطات دولية مع المنظمات العمالية الدولية التى ثبت أن لها ارتباطات بالاوساط الامبريالية وخاصة بالمخابرات المركزية الامريكية ، على اعتبار أن هذه المنظمات معادية للكفاح الوطنى ضد الاستعمار والصهيونية ·

مسئوليات الطبقة العاملة

● على الطبقة العاملة أن تدرك وهى لا شك مدركة أن الهدف الرئيسى للامبريالية العالمية والصهيونية فى تلك المرحلة لا زال كما كان منذ قيام الثورة وتحولها عن النظام الرأسمالى لا زال ولم يتغير ·· ألا وهو الاطاحة بهذا النظام السياسى وتصفية منجزات الثورة ·

وتصميم اسرائيل ومن ورائها الولايات المتحدة

الامريكية على عدم تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر ١٩٧١ ليس الا وسيلة مكشوفة لتحقيق الهدف ٠

من هذا المنطلق تدرك الطبقة العاملة الان كما أدركت من قبل أن دورها الاساسى لا زال كما كان ، الا وهو مزيد من اليقظة والمساندة للنظام ٠ وذلك لا يتم الا بمحاصرة سياسة التشكيك فى نوايا الاتحاد السوفيتى او اى صديق لنا جربناه وقت الشدة كما قال الرئيس الراحل عنه فى كل مناسبة وكما قرر ذلك السيد أنور السادات رئيس الجمهورية فى مؤتمر طنطا ٠ ودمغ كل من يشكك فى الاتحاد السوفيتى بالخيانة ٠

● على الطبقة العاملة فى أول مايو أن تضع نصب عينيها واجب تطويق الافكار اليمينية التى ينشرها المغرضون عن قوة اسرائيل وقوة امريكا بشكل مبالغ فيه ، عليها أن تقوى ثقة الشعب فى نفسه وفى حكومته وفى قواته المسلحة وقدرتها على مواجهة العدو وتحرير الارض ٠

● من حق عمال الجمهورية العربية المتحدة ان يأخذوا موقفا عمليا من مجزرة الاردن بعد أن اتضحت الامور وحددت الحكومات العربية موقفها بصراحة من السلطة الملكية الحاكمة ٠

● من حق العمال فى اول مايو أن يطالبوا بفتح باب التطوع لكل من يرغب الانضمام الى حركة المقاومة الفلسطينية وجمع المساعدات الطبية والمالية للفدائيين بوساطة حركة جماهيرية تنطلق من القاهرة ليشترك فيها عمال المنطقة ، أن هذا الموقف العملى يضع أساسا عريضا لتنفيذ مشروع الوحدة العربية ٠

أخيرا فان معركة التحرير التى نعيشها تحتم علينا ونحن نتوجه بالتحية الى ابنائنا الرابضين على خط النار فى الجبهة فى انتظار المعركة ٠

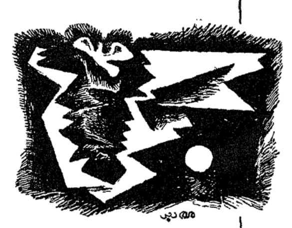
أخيرا ونحن نتذكر شهداءنا الابطال الذين تخضبت بدمائهم رمال الصحراء وهم يدافعون عن حياتها المقدسة ، أخيرا ونحن نعاهد الشعب الفلسطينى أننا لن نتخلى عن مساندته الى أن يعود الى وطنه ٠

اخيرا ونحن نجدد القسم أمام أنور السادات كما أقسمناه أمام عبد الناصر على الالتفاف بعقولنا وقلوبنا وكل ما نملك حول النظام والثورة ممثلين فى الكتيبة الثورية المتقدمة التى أخذت على عاتقها أن تمشى على طريقه وتحافظ على مكاسب الشعب ثم تطورها حتى يصل الشعب الى حياة أفضل ٠

اخيرا وليس آخرا فاننا نتطلع بأبصارنا الى يوم تلتقى فيه كل القوى التقدمية صاحبة المصلحة فى بقاء هذا النظام مع بعضها فى جبهة داخلية صلبة ٠



ثغرات فى جبهة الرأسمالية العالمية



من المطلب الاقتصادى الى التغيير السياسى والاجتماعى

عبد المنعم الغزالى

مايحدث الان فى العالم الرأسمالى أقوى من جميع النظريات والصيغ التى تروج لتلاشى الصراع الطبقى، فأمام الموجات الاضرابية العاتية التى شملت وتشمل العالم الرأسمالى اليوم تندحر كل الصيغ الرافضة للتفسير الماركسى للتناقض الاساسى للرأسمالية ـ التناقض بين الانتاج الذى يزداد طابعه الاجتماعى بروزا وبين التملك الفردى للثمار التى ينتجها العمال .. وأمام هذه الموجات الاضرابية العاتية انهزمت صيغ « **المشاركة** » **فى** فرنسا و « **الاجور الموظفة** » فى ألمانيا الغربية **والرأسمالية الشعبية** فى النمسا و « **المجتمع العظيم** » فى الولايات المتحدة ، وهى جميعها تستهدف استبدال صيغة الصراع الطبقى بالتعاون الطبقى لاضعاف كفاحية العمال ونضالهم من أجل مطالبهم ، وربط هذا النضال بالنضال العام ضد النظام الرأسمالى ككل والقضاء على السيطرة الاحتكارية المتزايدة .

وتواجه رأسمالية الغرب والولايات المتحدة الامريكية التصاعد العظيم فى حركة صراع العمال بهجوم متزايد على الحركة العمالية وحقوقها وحرياتها النقابية ـ مثلما حدث أخيرا فى بريطانيا ، حيث أصدرت حكومة المحافظين قانونا جديدا وصفه مؤتمر النقابات البريطانى بأنه « يجعل كثيرا من النشاطات والاعمال غير مشروعة ، وهى نشاطات اعتبرها البرلمان والمحاكم منذ أكثر من مائة عام نشاطات عادلة ومفيدة ، وسيعاقب العمال اذا ما قاموا بأعمال كانت تعتبر حتى الان أعمالا رشيدة ومشروعة » .

وهو قانون أشد قسوة من قوانين القرن التاسع عشر ، ومثلما يحدث فى البرتغال (وغيرها من البلاد الاوربية ذات الانظمة الفاشية والعسكرية) من حل للنقابات المناضلة واقامة نقابات تستهدف

« التعاون والوفاق الطبقى » وتكون مجرد منظمات اقتصادية فى أيدى الطغمة الرأسمالية الحاكمة ، وحيث تبذل أجهزة الدولة البوليسية كل جهد لصيانة « النظام الاجتماعى » بقمع كل نشاط ونضال عمال ٠

ورغم كل العنف والقهر فان الحركة الاضرابية للطبقة العاملة قد اتسعت لتصبح ظاهرة قومية ـ ولتستوعب صفوفا وفئات أكثر من بين العاملين ، فالطبقة العاملة وبنيانها وجبهتها النضالية آخذة فى الاتساع والعمق فى عالم الثورة العلمية والتكنيكية ، ففى عالم التقدم التكنيكى هذا يصبح ذوو الياقات البيضاء أى الموظفون بكافة أنواعهم ضحايا الاستغلال الرأسمالى المتزايد ، ويتزايد عدد العمال غير اليدويين فى كل بلاد العالم ـ وقد أصبح هؤلاء العمال جزءا من الجماهير العاملة ، وخرجوا من حساب « الفئات الوسطى » حيث تزداد معاناتهم من الاثار السيئة لتركيز وترشيد الانتاج فى ظل علاقات الانتاج الرأسمالية ، الامر الذى خلق ظروفا جديدة لنمو واتساع جبهة النضال الطبقى ، ومن هنا فان الموجات الاضرابية العمالية العاتية والتى تزداد عتوا كل يوم بفضل اتساع جبهة النضال الطبقى تلك قد احتوت فئات واسعة من المجتمع الرأسمالى كانت قبل ذلك معادية (أو محايدة) للصراع الطبقى اليومى والعام ضد النظام الرأسمالى ، لقد احتوت الحركة الاضرابية المعاصرة الطلبة والمدرسين والاساتذة والمثقفين وصغار المنتجين والفلاحين ، وتكتسب حركة الطلاب والمعلمين وكل العاملين فى مجال البحث العلمى أبعادا لم يسبق للعالم الرأسمالى أن واجهها من أجل المطالب الاقتصادية واشاعة الديمقراطية فى الحياة الاجتماعية الامر الذى أصبح يهدد الاحتكارات وسيطرتها بأخطار متزايدة ٠

ولقد شهد عام ١٩٧٠ والربع الاول من عام ١٩٧١ اتساعا فى النضال الاضرابى الواسع النطاق واتساع جبهة النضال الطبقى على النطاقين القومى والدولى ، وتحقق وحدة العمل بين الاتحادات والنقابات العمالية ـ وخاصة فى فرنسا وايطاليا وبريطانيا ، كما شهدت أسبانيا وبلجيكا والمانيا الغربية وكندا والولايات المتحدة الامريكية عددا من الاضرابات الكبيره والتى أحرزت انتصارات فى مجالات الاجور وخفض ساعات العمل وتحسين ظروفه وشروطه ، وفى مجال الحقوق النقابية ، وفى تطوير وتحسين نظم التقاعد والمعاش ، وان تقديم نوع من التسجيل لهذه الحركة الكبيرة المتصاعدة يساعدنا كثيرا على تفهم حقيقة ازدياد حدة الصراع الطبقى فى المجتمع الرأسمالى مع كل ازدياد فى درجة التركيز الاقتصادى من ناحية ، ومن ناحية أخرى مع كل ازدياد فى النضال ضد الامبريالية من أجل التحرر الوطنى ، وهكذا يمتد جسر التحالف العظيم بين جبهة الصراع الطبقى فى العالم الرأسمالى وجبهة الصراع الوطنى الديمقراطى فى عالم التحرر الوطنى ، عالم النضال ضد الامبريالية والاستعمار القديم والحديث ٠

الاضرابات فى دول غرب أوروبا

شهدت **فرنسا** خلال شهر ديسمبر ١٩٧٠ مجموعة من الاضرابات الكبيرة ففى مصانع بيجو شن شباب العمال نضالا من أجل تحسين المسكن والغذاء ، وفى ١١ ديسمبر قاد كوادر الخطوط فى البريد والمواصلات اللاسلكية مجموعة من الاضرابات فى جميع الاقسام ٠ وفى ٢ من ديسمبر وتلبية لنداء موحد من الاتحاد العام للعمال (سى جى تى) والاتحاد الفرنسى للعمل تظاهر عشرة آلاف عامل فى مدينة لى مانس وتوقف ٢٥ ألف عامل عن العمل ، وفى ١٥ من ديسمبر أضرب ٦٠ ألفا من مندوبى الضرائب المنضمين لنقابات هى عضو فى « السى جى تى » والاتحاد الفرنسى للعمل واتحاد قوة العمل والنقابة الموحدة ٠ وفى نفس اليوم أضرب المستخدمون فى مصلحة التأمين الاجتماعى من أجل تطبيق العقود الموقعة عن الاجور وتخفيض ساعات العمل ٠

وفى نهاية ديسمبر ١٩٧٠ قام ١٢ ألفا من التكنيكيين والكوادر العاملة فى مجال البريد والبرق والتليفون بسابع اضراب لهم خلال عام ١٩٧٠ مطالبين بلائحة موحدة لكافة الفئات ، كما تمكن اتحاد عمال السكك الحديدية بمختلف انتماءاتهم النقابية فى يناير ١٩٧١ من توقيع اتفاقية مع الحكومة حققت لهم زيادة فى الاجر قدرها ٦ فى المائة وتخفيضا فى ساعات العمل وتحقيق نوع من السلم المتحرك للاجور ٠

وخلال شهر فبراير ١٩٧١ شهدت فرنسا حركة نضالية حاصة بكل فئات العاملين « بالجامعة » و « البحث العلمى » استمرت لمدة أسبوع تخللها اضراب لمدة يومين حيث قدمت مطالب اقتصادية واجتماعية مشتركة ، كما قدمت مقترحات للحفاظ على الجامعة والبحث العلمى الفرنسى وتطويره للصالح القومى العام وليس لصالح الاحتكارات ، كما استمر عمال مصنع باثينول للمعادن فى « نانت » فى معركتهم حيث يطالبون بزيادة الاجور وتطبيق النظام الشهرى وتخفيض ساعات العمل ، كما شملت فرنسا خلال شهر فبراير مظاهرات عمالية احتجاجا على هدم آبار المناجم ، واستولى العمال على مقر الادارة العامة لمناجم الفحم فى ميرلباك ، وشملت الاعمال والحركات النضالية البريد والمواصلات والاذاعة والتليفزيون والغاز والكهرباء والسكك الحديدية ومناطق اللوار والشمال وبادى كاليه وجبال السيفين ٠ وخلال

شهر مارس نظم السى جى تى والاتحاد الفرنسى الديمقراطى للعمل واتحاد المعلمين الوطنيين حملة من أجل المعاشات والحقوق النقابية ، وقد تضامنت واتحدت فى كل هذه الاضرابات والحركات جميع الاتحادات العمالية الفرنسية والحزب الشيوعى والاشتراكى والاشتراكى الموحد .

وشهدت **ايطاليا** نضالا ساخنا فى نفس الفترة ، ففى ١٥ من ديسمبر عمت الاضرابات لومبارديـا وليجوريا والفربول وفينسيا واللاثيوم وكامبانيـا وغيرها ، فتوقف العمل فى المصانع والمدارس والبنوك والمحلات التجارية ووسائل المواصلات ولم تصدر الصحف ، وقد اشترك فى هذا الاضراب العام ذى الطابع الاقليمى فى لومبارديا حوالى مليونى عامل وانضم اليهم عمال ميناء جنوه وسكك حديد روما ، ولم تقتصر مطالب المضربين على المطالب اليومية ولكنها تعدتها الى المطالبة باصلاح نظام الضرائب والصحة العامة والتعليم والقضاء وحل مشكلة الاسكان والقضاء علـى البطالة . واحتج العمال الايطاليون بقيادة الاتحادات الايطالية الثلاثة على عمليات القهر التى تمارس ضد العمال فى أسبانيا ، وضد تصاعد الحركة الفاشية الجديدة فى ايطاليا ، كما نظم عمال الصناعات الكهربائية والميكانيكية فى ١٨ من ديسمبر اضرابا قوميا ، وفى ٢٢ من ديسمبر اشترك أكثر من ١٠٠ ألف عامل من عمال القطاع الكهربائى فى الاضراب الذى دعت اليه الاتحادات الايطالية الثلاثة ، وشهد شهر يناير ١٩٧١ اضرابا عاما للبحارة ، واضرابا عاما لمدة ٢٤ ساعة لعمال الفنون التخطيطية التجارية والعاملين فى مجال الصحافة الدورية المصورة ، واضرابا شمل كل الموانى الايطالية طالب فيهـا المضربون بالادارة



نيكسون

العامة للورش البحرية وتطوير نظام العمل فى الموانى ، وفى فبراير ١٩٧١ تمكن عمال مجمع ايتالسيدس وهو مملوك للدولة وبعد سلسلة من الاضرابات من التوصل الى اتفـاق ألغـى نظام « تقدير مناصب العمل » واتفق على كادر واحد للعمال والموظفين وعلى مساواتهم فـى الاجازات المدفوعة ، وبمقتضى هذا الاتفاق حصل كل شخص من العاملين على ٢٤ ألف ليرة .

وتتحد فى العمل النضالى اليومى والعـام الاتحادات الايطالية الثلاثة ـ الاتحاد العام للعمال الايطاليين والاتحاد الايطالى للنقابات الحـرة واتحاد العمال الايطاليين ـ وذلك فى مواجهة للنظام الرأسمالى بهدف احداث تغييرات عميقة وجـذرية فى مجال استخدام الدخـل الوطنى

المطالب العمالية المشـــتركة بين أقســـام الحركة النقابية فى العـــالم الرأســـمالى

قام **بيير جنسوس** سكرتير الاتحاد العالمى للنقابات بصـياغة المطالب العمالية المشتركة بين أقسام الحركة العمالية فى العالم الرأسمالى ، وقدمها فى تقريره للمؤتمر السابع للاتحاد وهى :

● **الاجور والقوة الشرائية :**

ـ من أجل تحسين الاجور وضـد سياسة الدخل .

ـ ضمان الحد الادنى للاجور والذى يوفر الضروريات الاساسية .

ـ ضمان القوة الشرائية من زيادة الاسعار ورفع نسبة الاجور طالما هنالك ارتفاع فى الاسعار .

ـ انهاء التفرقة فى الاجور الخاصة بالسن ، أو الجنس ، أو العنصر أو القومية أو المناطق المختلفة .

ـ الاصـلاح الديمقراطى للجمارك والتخفيف من عبء الضرائب على العمال

● **ساعات العمل :**

ـ تقليل ساعات العمل دون تقليل للاجور .

ـ زيادة الاجازات مدفوعة الاجر ، وحق الاجازات لمن لايحظى بهذا الحق من العاملين .

ـ تخفيض سن المعاش مع ضـمان مستويات محترمة للمعاش .

● **العمالة [التوظيف] :**

ـ ضمان التوظيف وحق العمل .

ـ سياسة للتطور الاقتصادى تضمن العمالة التامة .

ـ لايحق الفصل بدون توفير وظيفـة أخرى على الاقل مساوية منناحية الاجر والمزايا الاجتماعية .

ـ تأسيس وتوسيع الحقوق النقابية الخاصة .

ـ سياسة للتدريب المهنى ، والترقى ، والتهيئة ، وتمكين العمال من تحسـين

والاستثمارات الاجتماعية والمتحصلات الضريبية والقيام باصلاحات تحد من الارباح العالية والريع الطفيلي ، وقد تأكدت هذه الوحدة النضالية فى اجتماع المجالس العامة للاتحادات الثلاثة فى فلورنسا فى أكتوبر الماضى والذى أقر وثيقة للعمل النقابى الموحد •

وشهدت **بلجيكا وهولنده** مجموعة من الاضرابات المتعددة ـ ففى ١٥ من ديسمبر الماضى أعلن فى لاهاى اضراب عام نظمته الاتحادات العمالية الثلاثة الكبرى وهو أول اضراب عام منذ الحرب العالمية الثانية . وفى ٢٤ مارس الماضى نظم مائة ألف فلاح من الدول الست الاعضاء فى السوق الاوروبية المشتركة ، وقاموا بمظاهرة ضد السياسة الاقتصادية لدول السوق الاوروبية المشتركة والتى لم يفد منها الا كبار الملاك ، وقد أغلقت الجماهير الطريق بين هولندة والمانيا الاتحادية تضامنا مع هبة الفلاحين فى بروكسل ، كما حمل المتظاهرون مشانق علقت عليها دمى لمنشولت نائب رئيس السوق الاوروبية المشتركة •

وفى ألمانيا الاتحادية تمكن العاملون فى قطاع الخدمات العامة بعد نضال طويل من الحصول على مجموعة من المكاسب ، فازدادت الاجور الشهرية للعمال والمستخدمين بنسبة ٧ فى المائة وقد حصل ١٨٠ ألف عامل ومستخدم فى السكك الحديدية ابتداء من أول يناير ١٩٧١ على زيادة فى الاجور تراوحت بين ٨ و ١١ فى المائة •

وفى السويد أضرب سبعة آلاف من عمال الكهرباء خلال شهر يناير الماضى ضد أصحاب الاعمال الذين فرضوا سلما جديدا للاجور وضد نقابتهم التى قبلت السلم الجديد ، كما أضرب ٢٠ ألفا من موظفى الدولة لتجديد العقود الجماعية •

وشهدت **فنلندة** فى ٨ فبراير الماضى اضخم اضراب عام منذ الاضراب العام الذى شهدته فى ١٩٥٦ ، فقد أضرب سبعون ألف عامل من عمال الصناعات المعدنية من أجل زيادة الاجور وتجديد العقود الجماعية •

وفى أسبانيا تستمر الحركة النضالية من أجل زيادة الاجور ، وعمت مؤسسات الصناعات المعدنية « ماكنيست مارثيما » و « سيبايزا » و « بيجازو » و « هارى ووكر » المظاهرات والتوقف عن العمل ، واستمر الاضراب فى مصانع هارى ووكر لمدة شهرين ، وقد تمكن العمال من الحصول على بعض المكاسب •

الطبقة العاملة البريطانية تستعيد قدراتها النضالية

لقد ازدادت الروح النضالية للطبقة العاملة البريطانية خلال الاعوام الثلاثة الماضية بدرجة لم يسبق لها مثيل ، واستعادت أمجادها « **الشارتيين** » وأيام اضراب ١٩٢٦ • وأخذ يبرز فى الصدر جيل جديد من النقابيين ليحل محل جيل النقابيين المشهورين بالقدرة على خلق روح النضالية للعمال • كما ازداد الدور النضالى الفعال لمندوبى المصانع ، ففى عام ١٩٦٨ شهدت بريطانيا ٢٣٥٠ اضرابا وفقدت ٤ ملايين و ٦٩٢ ألف يوم عمل ، وفى عام ١٩٦٩ حدث ١٣١٦

مؤهلاتهم مع تقديم التكنيك فى اطار الاصلاح التعليمى الديمقراطى . كما هو متضمن فى ميثاق التدريب المهنى لمؤتمر تورين .

● الحقوق النقابية :

ـ الاعتراف بلجنة النقابة الفرعية فى مكان العمل أو المؤسسة وضمان الحرية الكاملة للقيام بأعمالها ولحماية الكادر النقابى من تحرشات المخدمين، الاعتراف بحق فرع النقابة فى التفاوض لحماية وتحسين ظروف العمل والمعيشة وتوفيرها .

ـ الحق فى المفاوضة من أجل الاتفاقيات الجماعية فى كل مستوى وتشمل جميع ظروف العمل .

ـ الاعتراف وضمان حق الاضراب .

ـ تنفيذ واحترام القوانين العرفية لمكتب العمل الدولى خاصة الفقرة رقم ٨٧و٩٨ ، وتحسين هذه القوانين كما ورد فى وثيقة الحقوق النقابية التى تقدم بها اتحاد النقابات العالمى لمكتب العمل الدولى فى فبراير عام ١٩٦٨ .

● الضمان الاجتماعى :

ادخال وتحسين وتوسيع نظام ديمقراطى للضمان الاجتماعى ليشمل جميع احتمالات الخطر . (المرض وحوادث العمل ، والشيخوخة) مع اهتمام خاص بالنساء والشباب .

● من أجل الديمقراطية :

لقد أصبح العمال أكثر وعيا بالارتباط الوثيق بين النضال من أجل المطالب الاقتصادية والموجه للتغييرات السياسية العميقة التى تمكن من الضمان الدائم لتحقيق هذه المطالب . ان الرغبة للتغييرات العميقة فى المجتمع تنمو باستمرار والنضال أصبح بشكل أكثر مباشرة فى مختلف أشكاله ضد السيطرة الاقتصادية والسياسية للاحتكارات .

والهدف هو تحرير القطاعات الرئيسية للاقتصاد من نفوذهم وتكوين حكومات ديمقراطية تقود الى ادارة ديمقراطية للاقتصاد والحياة فى البلاد . ويجب أن يتضمن هذا المشاركة النشيطة والمسئولة للطبقة العاملة ومنظماتها وتمكينهم من الاستفادة بشكل كامل من ثمرات عملهم وخاصة مزايا الثورة العلمية والتكنولوجية

فى البلدان الرأسمالية والتى تقع تحت سيطرة الامبريالية الاجنبية فان النضال من أجل هذه التغييرات غير منفصم من النضال لوضع حد لسيطرة الاحتكارات والتدخل الاجنبى وضمان سيادة هذه البلدان .

هنالك امكانيات فى كل بلدان العالم الرأسمالى لاعطاء دفعة كبرى للنضال المعادى للاحتكارات . واتحاد النقابات العالمى يؤكد مساهمته الكاملة فى هذا المضمار . وبالعمل فى هذا الطريق فان النقابات فى البلدان الرأسمالية تسعى لتحقيق هدفها فى تحرير الطبقة العاملة، الفكرة التى تجد تأييدا متزايدا فى أوساط العمال وخاصة الشباب منهم .

اضرابا · مع ضياع ٦ مليون و٨٤٦ ألف يوم
اضرابا · مع ضياع ٦ ملايين و ٨٤٦ الف يوم
عمل ، وفى عام ١٩٧٠ والذى يعتبر عام الاضراب العام فى بريطانيا فقدت بريطانيا ٨ ملايين و ٨١٨ ألف يوم عمل بسبب الاضرابات (هذا الرقم لا يتضمن نهاية عام ١٩٧٠ حيث يصل عدد أيام العمل المفقودة باضرابات نهاية العام الى عشرة ملايين يوم) ·

وسجل مطلع عام ١٩٧١ اضراب عمال البريد فى بريطانيا ، وكان قد بدأ فى ٢٠ من يناير واستمر ٤٧ يوما · واشترك فى هذا الاضراب ٢٠٠ ألف عامل من عمال البريد ، وهذه هى أول مرة تنظم فيها نقابة عمال البريد اضرابا عاما على النطاق القومى ، وتضامن مع العمال المضربين عمال الصناعات الاخرى بالتأييد والدعم ، وقدمت نقابة عمال السكك الحديدية الى نقابة البريد قروضا بلغت ١٥٠ ألف جنيه استرلينى بدون فوائد كما تلقت النقابة معونات وتبرعات من خارج بريطانيا بلغت ١٠٠ ألف جنيه ·

وكان قد سبق هذا الاضراب الكبير اضراب عمال الكهرباء فى ديسمبر ١٩٧٠ احتجاجا على سياسة حكومة المحافظين الموالية لاصحاب الاعمال ، وأصاب هذا الاضراب الحياة فى بريطانيا بشلل كامل واستمر من ٨ حتى ١٤ من ديسمبر واشترك فيه ١٢٨ ألف عامل وقد عرفت بريطانيا أظلم أيامها خلال هذا الاضراب منذ اضراب ١٩٢٦ ، ولقد قال المعلقون خلال هذا الاضراب : ان الطبقة العاملة البريطانية تتحرك ضد النظام الاجتماعى فى بريطانيا سواء عن طريق الثورة أو الاضرابات ، وخلال ديسمبر ١٩٧٠ اشترك فى حركات اضرابية مطلبية أكثر من ١٢٠ ألفا من عمال المناجم الذين حصلوا فى النهاية على علاوة قدرها ثلاثة جنيهات ، كما اشترك ٤٣ ألف عامل فى اسكتلندا فى حركة اضرابية احتجاجا على انتشار البطالة ·

ولم يشهد النظام الرأسمالى البريطانى منذ سنين طويلة حركة اضرابية شاملة كتلك التى شهدها منذ النصف الثانى من عام ١٩٧٠ فى مواجهة قانون العلاقات الصناعية الذى أعلنت حكومة المحافظين عزمها على اصداره منذ توليها الحكم ، والذى وافق عليه مجلس العموم فى ١٥ ديسمبر ١٩٧٠ ·

وكان **ادوارد هيث** رئيس الوزراء قد صرح فى افتتاح البرلمان بأن « البلاد قد منحت حزبه تفويضا لتنفيذ المشروعات الدقيقة المفصلة فى هذا الاتجاه » « أن اصلاح العلاقات بين أصحاب العمل والعمال لا يزال محور استراتيجيتنا الاقتصادية » ، وان استصدار حكومة المحافظين لهذا التشريع هو الامتداد الطبيعى لسياسة حكومة المحافظين فى شن هجوم مضاد على الاجور واتباعها سياسة التقشف والحد من الواردات ومن نفقات المعيشة ، وهى السياسة التى لجأت اليها لمواجهة الازمة التى يعانى منها الاقتصاد البريطانى على أساس الرفض الكامل للحل الاخر للخروج الحقيقى من الازمة وهو الحل الذى يطالب برفض الخضوع للسياسة الامبريالية الامريكية وتخفيض نفقات التسليح والحد من تسرب رؤوس الاموال الى الخارج ·

ويقضى هذا التشريع بتسجيل النقابات ، والاعتراض على لوائح وقوانين النقابات اذا اعتبرها المشرع مخالفة للصالح العام أو العدالة ، كما يعرف التشريع الحدود القانونية لنشاط النقابة ويرفع قيدها اذا لم تحترم هذه الحدود ، ولا حماية للنقابات من الاجراءات القانونية الا اذا عملت فى نطاق النزاع اى أنه تعتبر خارجة عن هذا المفهوم اضرابات التضامن والاضرابات التى تهدف الى ضم ١٠٠ فى المائة من العمال فى نقابة المنشأة أوالى المعارضة فى استخدام العمال غير المؤهلين فى اختصاص معين ، ويمنح الاتفاقات المعقودة بين صاحب العمل والنقابات صفة الالزام القانونى وقيمة العقود السارية · وتفرض فترة « تجميد » اذا اعتبرت الحكومة أن الاضراب الذى يزمع القيام به ضار بالمصلحة العامة ، وحق فرض الاقتراع السرى بين أعضاء النقابة قبل اقرار الاضراب ، ويفرض القانون عقوبات بالسجن وبالغرامة التى تصل الى ١٠٠ ألف جنيه استرلينى ·

ومنذ أن بدأت حكومة المحافظين فى الافصاح عن سياستها الجديدة المعادية للحركة النقابية والعمالية أعلنت الطبقة العاملة البريطانية عزمها على خوض المعركة ضد حكومة المحافظين ـ فنجد جاك جونز سكرتير نقابة عمال النقل وملحقاته والتى تضم ١,٥ مليون نقابى يعلن فى أغسطس ١٩٧٠ :

ينبغى لنا أن نقوم بحملة جماهيرية ، حملة لم تشهد لها البلاد مثيلا منذ عهد الشارتيست لمنع تقييد النقابات وغل يدها ، ويجب أن أحذر الحكومة من أنها اذا بقيت على موقفها ولم تتزحزح عنه ، واذا قررت التغاضى عن وجهات النظر التى تمثلها وأدخلت المحاكم والشرطة فى العلاقات بين أصحاب العمل والنقابات فسوف يكون النزاع خطيرا جدا ·

وفى نوفمبر ١٩٧٠ بدأت القاعدة فى التحرك المنظم ، فعقدت لجنة الاتصال للدفاع عن النقابات مؤتمرا تاريخيا فى لندن اشترك فيه حوالى ألفى مندوب يمثلون كل مستويات الحركة النقابية وحدد المؤتمر يوم ٨ من ديسمبر يوما للعمل ·

وأصبح النزاع خطيرا ، واتسعت جبهة النضال الطبقى البريطانية وكسرت الطبقة العاملة البريطانية كل أطواق النجاة التى علقها القادة النقابيون المعتدلون واليمينيون فى رقبتها سنين طويلة ·

ففى ٨ من ديسمبر ١٩٧٠ أعلن أكثر من نصف مليون عامل الاضراب لمدة ٢٤ ساعة للانذار احتجاجا على التشريع المعادى للنقابات ، وقد نظم هذا الاضراب من قبل القاعدة العريضة وايد الاضراب قطاعات هامة من عمال الموانى والصناعات المعدنية والصحف ، وصاحب الاضراب مظاهرات عديدة فى كثير من المدن وأرسلت الوفود الى البرلمان ، وفى اجتماع عقد فى هايدبارك اتخذ قرار بالدعوة الى عقد مؤتمر استثنائى لمؤتمر النقابة البريطانية فى شهر مارس لتحديد صور نشاط الحركة العمالية لهزيمة مشروع القانون .

وفى ١٢ من يناير ١٩٧١ أعلن اضراب آخر اشترك فيه ٧٥٠ ألف عامل احتجاجا على التشريع ، وفى ٢١ فبراير شهدت البلاد مظاهرة الطرف الاغر التى اشترك فيها أكثر من ٢٠٠ ألف عامل من جميع أنحاء البلاد ، كما قام اتحاد الصناعات الميكانيكية (١ر٥ مليون عضو) بسلسلة من الاضرابات الرمزية احتجاجا على التشريع المعادى للنقابات ، وفى أول مارس أعلن الاضراب حوالى ٢ مليون عامل وقد اعتبر هذا الاضراب أكبر احتجاج سياسى تقوم به الطبقة العاملة البريطانية منذ العشرينات .

وفى ١٨ من مارس الماضى انعقد المؤتمر الاستثنائى لمؤتمر النقابات البريطانى وقد نظم فى هذا اليوم يوم عمل ضد القانون اشترك فيه ملايين العمال فتعطلت الصحف والعمل فى صناعة السيارات وفى أغلب الموانى والمصانع ، وعمت المظاهرات جميع المدن ، وعشية انعقاد هذا المؤتمر قام **هنرى فورد** بزيارة لبريطانيا ليحصل من الحكومة البريطانية على تأكيد بأن خطواتها فى سبيل الحد من الاضرابات لن تحد أو تعدل ، وبأن القانون الذى يفرض على الحقوق النقابية أعتى القيود وأشدها منذ القرن التاسع عشر سيكون سارى المفعول فى الوقت المحدد له (خلال الصيف) .

وقد شهد المؤتمر صراعا حادا بين اليمين وبين اليسار داخل الحركة النقابية البريطانية ، ورغم أن المؤتمر صوت بأغلبية ٥ ملايين و ٣٩٦ ألفا ضد الاضراب كسلاح لافشال مشروع القانون ، مقابل ٣ ملايين و ٩٩٢ ألف صوت ، فان المؤتمر قد اتخذ مجموعة من القرارات بأغلبية كبيرة ، فأوصى كل النقابات بأن تمتنع عن تسجيل نفسها لدى الحكومة (وقد رفض اقتراح تقدم به اليسار لجعل هذا الامتناع اجباريا) **ثانيا** : رفض التوقيع على عقود جماعية ملزمة ورفض الاشتراك فى المحاكم وغيرها من الاجهزة المزمع انشاؤها ، **ثالثا** : أن يقوم مؤتمر النقابات البريطانى بمساعدة النقابات التى تقع ضحية للمحاكمات ، **رابعا** : أن يتعهد حزب العمال دون قيد أو شرط بالغاء القانون فى حالة فوزه فى الانتخابات .

وفى ٢٥ مارس وافق مجلس العموم نهائيا على مشروع القانون بأغلبية ٣٠٧ ضد ٢٦٩ بعد جلسة صاخبة استمرت ٣٠ ساعة من المناقشات المتواصلة تم خلالها الاقتراع ٤٤ مرة على مشروع القانون قبل اقراره .

لقد حسمت الطبقة العاملة البريطانية موقفها من هذا القانون وقررت مقاومته ، وستشهد بريطانيا معارك طبقية اعنف من اية معارك شهدتها فى تاريخها المعاصر ، كما تشير الى ذلك كل تطورات الموقف فى بريطانيا .

الاضراب فى الولايات المتحدة

وفى الجانب الاخر من المعسكر الراسمالى فى الولايات المتحدة الامريكية كشفت الاضرابات العمالية عن عمق التناقضات الاقتصادية الاساسية فى النظام الرأسمالى الامريكى حيث تعرى برنامج « المجتمع العظيم » الذى ولد ميتا فى مواجهة أكثر من عشرة ملايين و ٣٠٠ ألف اسرة تعيش فى فقر ، وفى مواجهة ١٣، مليونا من غير البيض يعيشون فى أكواخ ، فى المدن الكبرى ، وفى مواجهة البطالة (حيث يتراوح عدد العمال المتعطلين على مدار السنة بين ٤ر٥ مليون و ٥ر٥ مليون) وارتفاع نسبة الجريمة ، وفى مواجهة الانتفاضات الزنجية وحرب فيتنام ، وفى مواجهة الاضرابات المتزايدة فى السنين الاخيرة منذ ١٩٦٨، والتى لم تشهدها الولايات المتحدة الامريكية منذ عام ١٩٥٢ ، لقد سجل عام١٩٦٨ وحده خمسةآلاف اضراب (عدد الاضرابات العمالية فى الفترة بين أعوام ١٩٢٠ــ ١٩٣٦، كان ٣٥ ألف اضراب بينما أصبح فى الفترة بين ١٩٤٧ ــ ١٩٧٠، أكثر من ٨٠ ألف اضراب) . ووفق احصاءات مكتب احصاءات العمل التابع للحكومة الامريكية فقد شهد عام ١٩٧٠ حوالى ٥٦٠٠ اضراب اشترك فيها ثلاثة ملايين و ٣٠٠ ألف عامل ، وبلغ عدد أيام العمل الضائعة فى نفس العام ٦٢،٦ مليون يوم عمل (لم يسبق ان زاد عدد أيام العمل الضائعة فى الولايات المتحدة عن هذا الحد الا مرتين فى عام ١٩٤٦، وفى عام ١٩٥٦) .

وفى الفترة الاخيرة شهدت الايام الاولى من ديسمبر ١٩٧٠ الاضراب القومى الكبير لعمال السكك الحديدية والذى اشترك فيه ٥٠٠ ألف عامل وقد حاولت الحكومة محقة بتطبيق قانون تحريم الاضراب وبتدخل الرئيس **نيكسون** وفى فبراير الماضى أعلن خمسون ألفا من عمال السكك الحديدية الذين يعملون بدون عقود ثالث اضراب لهم على امتداد ستين عاما ، كما توقف ٢٧ر٤٠٠ من رجال الشرطة لمدة ستة أيام عن العمل فى مدينة نيويورك ، كما توقفت اعداد كبيرة منهم عن العمل فى مدن أخرى . وأضرب ٤٠ ألف عضو من اتحاد صناعة السيارات من مستخدمى شركة هارمستر الدولية من أجل عقود عمل جديدة مثل تلك التى حصل

عليها العاملون فى الجنرال موتورز وفورد وكريزلر ، كما أضرب مستخدمو مكاتب شركة كريزلر مطالبين بزيادة أجورهم بنسبة ١٣ فى المائة أسوة بـ ١١٠ ألف عامل يدوى منحوا هذه النسبة ، وخلال الشهر الماضى شهدت نيوارك بولاية نيوجرسى اضرابا لـ ٥٠٠٠ مدرس استمر ستة أسابيع وقد امتنع أكثر من ٨٠٠ ألف طالب عن الذهاب الى المدارس والمعاهد ، وفى صناعة التعليب أضرب ٣٥ ألف عامل فى ١٧٥ مصنعا تابعة لشركات أمريكان كان وكونتيننتال كان وكراون تورك اندستيل ، كما أضرب الالوف من عمال الجزارة ، وفى كندا استمر اضراب عمال الكهرباء فى سيسيوجا مدة أربعة شهور ·

نظـرة عامة

لقد تميزت الحركة الاضرابية المعاصرة فى العالم الرأسمالى باتخاذها طابعا قوميا وبعدا أمميا فى السنين الاخيرة ، واتسعت لتشمل قطاعات أعرض من الطبقة العاملة ــ من المستخدمين والموظفين والفنيين والمهندسين والاختصاصيين والباحثين العلميين والاساتذة والمدرسين والمثقفين والفلاحين والمنتجين الصغار والطلاب ·

ولقد أدى التركيز الاحتكارى والتكامل الاقتصادى فى منطقة السوق الاوروبية المشتركة الى وضع المطالب المشتركة من قبل الحركة النقابية والى تشكيل قاعدة مناسبة لتلاحم النقابات ووحدة العمل بينها وتنسيق نشاطها على نطاق القارة الاوروبية ، ومن هنا أعتبر البرنامج النقابى المشترك بين السى جى تى الفرنسى والسى جى أى ال الايطالى أساسا طيبا للعمل المشترك بين نقابات بلدان السوق المشتركة من قبل الحركة النقابية والى تشكيل قاعدة مناسبة لتلاحم النقابات ووحدة العمل بينها وتنسيق نشاطها على نطاق القارة الاوروبية · ومن هنا اعتبر البرنامج النقابى المشترك بين السى جى تى الفرنسى والسى جى اى ال الايطالى اساسا طيبا للعمل المشترك بين نقابات بلدان السوق المشتركة ·

وتميزت هذه الحركة الاضرابية الشاملة بأنها لا تستهدف المطالب اليومية فحسب ، وانما أصبحت تستهدف احداث تحولات اجتماعية وتغييرات اقتصادية وسياسية ضد احتكار رأسمالية الدولة ، ولايجاد بديل ديمقراطى ووضع نهاية لسيطرة الاحتكارات ، ففى فرنسا تقدم السى جى تى ببرنامج يطالب بتأميم البنوك ، والفروع الرئيسية للاقتصاد واحداث اصلاحات ضرائبية ديمقراطية وتحقيق ديمقراطية اقتصادية يكون أساسها الادارة الديمقراطية ، والادارة الاجتماعية للمشروعات وباعطاء اللجان النقابية فى المشروعات مركزا توجيهيا ، وفى ايطاليا تستهدف الحركة النقابية الحصول على حقوق وحريات نقابية أوسع واحداث اصلاحات اجتماعية شاملة وتطوير اقتصادى جديد وديمقراطية تحقق مشاركة جماهير الطبقة العاملة فى النشاط العام ·

وتستهدف الحركة النقابية فى بريطانيا والمانيا الغربية ، والبلدان الاسكندنافية المطالبة بادارة اقتصادية ديمقراطية يشترك فيها العمال فى ادارة وتوجيه سائر قطاعات الصناعة والتجارة وذلك فى مواجهة سيطرة الاحتكارات على الاقتصاد ·

ان ذلك كله يعبر عن رغبة الحركة العمالية الحقيقية فى الكفاح من اجل اضعاف قبضة الاحتكارات عن طريق حقوق نقابية اكثر ، وبشن نضال أكثر حزما ضد سيطرتها ، ومن أجل ديمقراطية حقيقية ، والحركة العمالية الثورية على عكس القيادات الاصلاحية لا تفصل اطلاقا بين نضالها من أجل المطالب اليومية الخاصة بالاجور وظروف وشروط العمل وبين هذه المطالب الديمقراطية والاجتماعية ، ان نضال الطبقة العاملة فى العالم الرأسمالى على هذا النحو يطرح اليوم ـ ليس فقط قضية المطالب الاقتصادية ـ ولكنه يطرح كذلك قضية ازالة سيطرة الاحتكارات الاقتصادية والسياسية ، وهنا يطرح مسألة السلطة والديمقراطية الحقيقية وتأميم وسائل الانتاج والاشتراكية ، وتتحمل القوى الجديدة فى هذا الصراع الطبقى المحتدم وهم الشباب والنساء والمهندسون والاخصائيون والفنيون عبئاتكبيرا فى النضال ·

ان المعارك الاضرابية فى بريطانيا وفرنسا وايطاليا تنذر بمعارك طبقية جديدة ستكون اذا ما تطورت اساسا لتحولات أكثر شمولا فى النظام الاجتماعى والسياسى ·

ان الرأسمالية العالمية وقد أخذت نصعد من استغلالها للطبقة العاملة مستخدمة كل مقدرات التطور الاقتصادى الحديث ، والثورة العلمية والتكنيكية ، وازدياد دور الدولة الرأسمالية الاقتصاذى وترابطه مع الاحتكارات وخدمته لها وعمليات التجمع الاقتصادى ــ كالسوق المشتركة ــ قد زادت من حدة تناقضات النظام الرأسمالى أكثر من اى وقت مضى ، ويمتد هذا الاستغلال المصعد والمتزايد ليشمل فئات اوسع من الشعب العامل ــ منها فئات كبيرة كانت تعتبر احتياطيا دائما للاستغلال الرأسمالى ، ان هذه السياسة قد امتد اثرها الى مسرح الصراع الاجتماعى وساعدت فى خلق ونمو قوات جديدة معادية للرأسمالية ، ان نضال الطبقة العاملة الموحد بالمشاركة النشطة للشباب والنساء والفنيين والمهندسين قد حقق مكاسب كبرى ، ان هذه النضالات كلها اصبحت تصب فى مركز واحد هو مركز الكفاح ضد السيطرة المتزايدة للاحتكارات ، وكما أنها لم تعد محصورة فى المطالب الاقتصادية والاجتماعية ، فلقد أصبحت تمثل تهديدا شاملا للنظام الرأسمالى ، ونضالا من أجل تغيير جذرى ·

المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعي السوفييتي

رفاهية الشعب

المهمة الرئيسية للخطة الاقتصادية

د. ابراهيم سعد الدين

تعبر الخطة الخمسية التاسعة للتنمية الاقتصادية فى الاتحاد السوفيتى والتى ناقشها مؤتمر الحزب الشيوعى الرابع والعشرون الذى انعقد فى ٣٠ مارس ١٩٧١ ، عن خطوة جديدة كيفيا فى طريق التقدم الاقتصادى الطويل الذى حققه الاتحاد السوفيتى ابتداء من اعلان اول خطة للتنمية فى تاريخه بل وفى تاريخ العالم أجمع وهى الخطة المعروفة باسم خطة **جويلرو** لكهربة البلاد .

لقد استطاع الاتحاد السوفيتى رغم حروب التدخل ، ورغم المقاطعة الاقتصادية من العالم الرأسمالى المتقدم ، ورغم العدوان الهتلرى الذى حطم جزءا هاما من مدنه وقراه ومصانعه ومحطاته الكهربائية وقتل العديد من كادراته الفنية ، ورغم الحرب الباردة التى شنت عليه اثر انتهاء الحرب العالمية الثانية والذى دفعه الى تخصيص جزء هام من موارده لتقوية دفاعه الوطنى وتعزيز قدرته على المساهمة فى الدفاع عن العالم الاشتراكى وتأييد قوى التحرر الوطنى ، لقد استطاع الاتحاد السوفيتى رغم ذلك كله ، ان يحقق أسرع معدلات التنمية فى التاريخ واكثرها ثباتا لمدة تاريخية طويلة . مما مكنه من انشاء قدرة اقتصادية هائلة تنبنى على صناعة حديثة متعددة الفروع وزراعة اشتراكية ضخمة ذات كفاية عالية . واستطاع الاتحاد السوفيتى ان يضع منجزات العلم فى خدمة الاقتصاد والمجتمع وان يشارك بدور جوهرى فى الثورة التكنولوجية المعاصرة وفى وضعها فى خدمة الانسان .

ان هذا النمو الهائل نفسه هو الذى يطرح اليوم على المجتمع السوفيتى مهاما اقتصادية جديدة . فالمجتمع السوفيتى قد اصبح اليوم قادرا لا على تحقيق مزيد من التقدم الاقتصادى ، وزيادة قدرته الانتاجية باستمرار فحسب ، بل اصبح قادرا أيضا وفى نفس الوقت على أن يحقق زيادة سريعة وكبيرة فى مستوى معيشة الشعب . قادرا بمعنى آخر على أن يحقق مجتمع

الرفاهية ؟ مجتمع الزيادة الكبيرة والمتعددة النواحى للاستهلاك الشعبى ، ليس من السلع الاساسية وحسب وانما حتى بالنسبة للعديد من السلع التى تعد كمالية .

ان زيادة الاستهلاك الشعبى ورفع معيشة الجماهير ليس هو فى ذاته الظاهرة الجديدة التى تجعلنا نعتبر الخطة الاقتصادية الجديدة خطوة ذات طابع مختلف عن الخطط القادمة . فهدف المجتمع الاشتراكى الدائمهو تحقيقالاشباع المتزايد لحاجات الشعبالمادية والثقافيةوالروحية المتنامية عن طريق الانماء المستمر للمقدرة الانتاجية ، وقد حقق الاتحاد السوفيتى بالفعل زيادات كبيرة فى مستوى معيشة الجماهيرتشهد بها على الاخص الزيادة الكبيرة فى معدلات المبيعات فى السلع الاستهلاكية وارتفاعهاالسريع المتتالى سواء فى الفترة بين ١٩٢٩ ، ١٩٤١ او فى الفترة التالية للحرب العالمية الثانية ابتداء من ١٩٤٩ — ١٩٧٠ ، فقد بلغت نسبة الزيادة السنوية فى المبيعات من السلع الاستهلاكية على أساس اسعار ثابتة نحو ٧ر٣٪ فى خلال الفترة بين ١٩٢٩ ، ١٩٤٠ .

وقد شاهدت الفترة بعد الحرب مباشرةجهود كبيرة لاعادة تعمير الاقتصاد القومى ، فوصل جملة السلع الاستهلاكية المباعة فى عام ١٩٥٠ الى اكبرقليلا من مستواها فىعام ١٩٤٠ فوصلت ١١٠٪ من أرقام ١٩٤٠ واستمرت السلع المباعة بعد ذلك فى الزيادة بمعدل مرتفعللغاية فبلغ المعدل السنوى المتوسط لنمو المبيعات فى خلال الفترة ١٩٥١ — ١٩٧٠ نحو ٢ر٩٪ وتبرز الارقام الكلية لزيادة المبيعات من السلع الاستهلاكية هذه الصورة بشكل اوضح . فبينما كانت هذه الزيادة خلال الفترة بين ١٩٢٩ — ١٩٤١ هى نحو ٩٠٠ر٩ مليون روبل [بأسعار ١٩٤٠] . فان الزيادة وخاصة فى فترة مابعد اعادة بناء الاقتصاد القومى كانت أكبر بكثير . وقد بلغت الزيادة فى مبيعات السلع الاستهلاكية فى الفترة بين ١٩٦١ — ١٩٧٠ وحدها نحو ٣٦ الف مليون روبل [على أساس نفس الاسعار] وهو رقم يبلغ نحو ضعف الزيادة التى تحققت فى السنوات الخمس السابقة والذى بلغ فى السنوات ١٩٦١ — ١٩٦٥ نحو ٩ر١٨ الف مليون روبل . وتبلغ الزيادة فىالسنوات الخمسالاخيرة وحدها نحو ضعف الرقم الكلى للسلع المباعة فى عام ١٩٤٠ والذى كان يصلالى ٥ر١٧الف مليون روبل آنذاك .

وتوضح المقارنة بين المبيعات من السلع المختلفة فى عام ١٩٥٠ — ١٩٧٠ مدى الزيادة الكبيرة فى الاستهلاك الشعبى ومدى التحسن فى نوعيته فقد ارتفع استهلاك اللحوم فىهذه الفترة من نحو ٩ر٤ مليون طن الى ٣ر١٢ مليون طن من اللحوم المذبوحة . وارتفع استهلاك اللبن من ٥ر٣٥ مليون طن الى ٩ر٨٢ مليون طنوالبيض من ٧ر١١ الف مليون بيضة الى ٤ر٤٠ الف مليون بيضة والمنسوجات من ٣٣٧٥ مليون متر مربع الى ٨٨٥٠ مليون متر مربع والاحذية من ٢٠٣ مليون زوج الى ٦٧٦ مليون زوج والسكر من ٥ر٢ مليون طن الى ٢ر١٠ مليون طن والزبد من ٣٣٦ الف طن الى ٩٦٠ الف طن . امابالنسبة للسلع المعمرة فان الاتحاد السوفيتى الذى لم يكن ينتج فى ١٩٥٠ عديدا من السلع المعمرة قد وصل انتاجه من هذه السلع ملايين الوحدات فى عام ١٩٧٠ فبلغ انتاج الثلاجات فى ١٩٧٠، ٤ر١ مليون ثلاجة بينما بلغ انتاج الغسالات الكهربائية ٥ر٢ مليون وحدة ، واجهزةالتليفزيون ٧ر٦ مليون جهاز واجهزة التسجيل نحو ٢ر١ مليون جهاز . بينما ارتفع انتاج الساعات فى نفس الفترة من ٦ر٧ مليون الى ٢ر٤٠ مليون ساعة واجهزة الراديو من ١ر١ مليون الى ٨ر٧ مليون جهاز .

ان الجديد اذا ليس هو الاقدام على الوفاء الاكثر فأكثر بحاجات الشعب المتنامية بل **الجديد هو فى أن يصبح هذا الهدف هو المهمة الرئيسية للخطة الاقتصادية للاتحاد السوفيتى** ، انه وان كان هدف الاقتصاد الاشتراكى كما سبق القول هو الاشباع المتزايد لحاجات الشعب المتنامية، فان المهام الرئيسية تختلف من خطة اقتصادية لاخرى او من فترة اقتصادية لاخرى طبقا لاختلاف الامكانيات الاقتصادية المتاحة وطبقا لاختلاف الظروف التى توضع فيها الخطة ، فالقدرة الاقتصادية الحالية للاقتصاد السوفيتى تختلف اختلافا جذريا عن القدرة التى كانت متاحة فى أوائل سنواتالتخطيط . لقدبنى الاتحادالسوفيتى بالفعل صناعة حديثة متطورة وطور زراعة اشتراكية ضخمة ونمت الكوادر الفنية المتخصصة والقيادات الاقتصادية الكفؤة بسرعة لم تجاوزها حتى الان سرعة فى التاريخ .وتمكن الاتحاد السوفيتى من تحقيق تقدم علمى جبار يفتح له أرحب الافاق للاستفادة من تقدم العلم والتكنيك لزيادة الانتاج زيادة متصلة ومستمرة وسريعة ، كما تمكن بالاضافة الى ذلك من تحقيق عدد من الاصلاحات الهامة فى أسلوب التخطيط والادارة تزيد من فاعلية الاقتصاد وسرعة تطوره . كما طور عملية التكامل الاقتصادى بين البلدان الاشتراكيةمما يزيد منسرعة النموالاقتصادىلكل المجتمعات الاشتراكية . وعلى أساس من هذه العوامل حدد المؤتمر الرابع والعشرون المهمة الرئيسية فى الخطة الخمسية الجديدة بأنها

تتلخص فى « **تأمين ارتفاع كبير لمستوى حيـاة الشعب المادية والثقافية على اساس تطـوير الانتاج الاشتراكى بمعدلات عالية ، وزيادةفعاليته وعلى أساس التقدم العلمى والتكنيكى وتعجيل نمو انتاجية العمل** » .

فاذا كانت الاولويات فى المرحلة الاولى لبنـاء الدولة السوفيتية هى لتلك المهـــام الضرورية للمحافظة على وجود الدولة السوفيتية ذاتها ، واذا كانت مرحلة التنمية الاقتصادية السريعة الهادفة لتحقيق التقدم والاستقلال الاقتصادى وبناء القدرة الدفاعية عن الاتحاد السوفيتى والمعسكر الاشتراكى بعد ذلك قد تطلب تركيزا اكبر على التنمية السريعة للصناعات الثقيلة . فان نمـو المقدرة الاقتصادية للاتحاد السوفيتى وتعـاظم المطالب التى يطلبها المجتمع من الاقتصاد هى التى ادت الى هذا التحديد الجديد للمهمة الرئيسـية فى المرحلة الحالية . فمع ضمان الموارد اللازمة لنمو الاقتصاد مستقبلا ، ومع استمرار تحقيـق التقدم العلمى وتطوير القدرة الانتاجية للعاملين فان الخطة الجديدة تركز مزيدا ومزيدا من القوى والاموال على تنفيذ المهمات المتعلقة برفع مستوى رفاهية الشعب السوفيتى .

ان النظر الى زيادة رفاهية الشعب السوفيتى باعتباره المهمة الاساسية فى هذه المرحلة يعكس نفسه فى عدد من المؤشرات الهامة كما يعكس نفسه ايضا فى النظرة الجديدة التى يتطلبهـا الحزب من اعضائه بالنسبة لانتـاج سـلع الاستهلاك .

لقد نجحت الخطة الخمسية **الثامنة** بالفعل فى تحقيق تقدم سريع فى مستوى معيشة جماهير الشعب السوفيتى . ولكن الخطة التاسـعة تتطلب زيادة أكبر ويكفى هنا ان نقارن بين الارقام التالية التى تبين مجمل مخصصات الاسـتهلاك وانتاج بعض السلع الاستهلاكية فى سـنوات ١٩٧٠ ، ١٩٧٥ ومقدار الزيادة الكلية التى تحققت فى خلال السنوات الخمس للخطة الثامنة والزيادة المقدرة فى اثناء الخطة التاسـعة .

			الزيادة فى خلال خمس سنوات	
	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٦٦ — ١٩٧٠	١٩٧١ — ١٩٧٥
مخصص الاستهلاك [بآلاف الملايين من الروبلات]	١٩٧ر٢	٢٧٢—٢٧٨	٥٦ر٨	٧٥—٨١
انتاج الصناعات الخفيفة والادوات الثقافية والمنزلية [بآلاف الملايين من الروبلات]	٧٦ر٥	١١٢ر٤	٢٧ر٤	٣٥ر٩
الاثاث [بآلاف الملايين من الروبلات]	٢ر٨	٤ر٥٥	١	١ر٧٥
الثلاجات [بالالاف]	٤١٤٠	٦٦٨٦	٢٤٦٥	٢٥٤٦
الاقمشة والمنسوجات [بآلاف الملايين من الامتار المربعة]	٨ر٩	١٠ر٥—١١	١ر٤	١ر٦—٢ر١
الاحذية الجلدية [بملايين الازواج]	٦٧٦	٨٠٠—٨٣٠	١٩٠	١٢٤—١٥٤
انتاج صناعات الاغذية واللحوم والالبان والاسماك [بآلاف الملايين من الروبلات]	٧٨ر٨	١٠٦ر٦	١٩ر٣	٢٧ر٨
سيارات الركوب (بالالاف)	٣٤٤	١٢٠٠—١٣٠٠	١٤٣	٨٥٦—٩٥٦

ان زيادة رفاهية السكان تتبين من أن الخطة الخمسية الجديدة تستهدف زيادة من الكميـات المعروضة فى الاسواق من اللحوم والاسـماك والزيوت والبيض والخضروات بنسب تتراوح بين ٤٠ — ٦٠٪ وزيادة المبيعات من الملبوسات فى نفس الفترة بنحو ٣٥٪ بينما تبلغ الزيادة فى ملبوسات التريكو ٥٦٪ ، ورفع المبيعات من السلع المعمرة بنحو ٨٠٪ ويرتفع عدد الاسر التى تملك ثلاجات من ٣٢ اسرة من كل مائة اسرة فى عام ١٩٧٠ الى ٦٤ أسرة من كل مائة أسرة فى عام ١٩٧٥ ، والأسر التى تملك غسالات كهربائية من ٥١ اسرة من كل مائة اسرة الى ٧٢ اسرة . بينما تصل المبيعات من السيارات الخاصة الى نحو ٦ امثال رقمها فى عام ١٩٧٠ .

واذا كانت الارقام الكلية لانتاج ومبيعات بعض السلع كان فى حد ذاته لبيان الاهتمـام بزيادة رفاهية السكان فان الخطة الجديدة تتميز بالاضافة الى ذلك بالاهتمام برفع دخل الفئات المنخفضة الدخل بصفة خاصة . وتتضمن سنوات الخطة المختلفة عددا من الخطوات الهامة المؤدية لرفع دخل الفئات المختلفة من العاملين، ففى عام ١٩٧١ يرفع الحد الادنى للاجور الى ٧٠ روبل شــهريا وترفع الاجور الاساسية للفئات الوسـطى من

عمال ومستخدمي السكك الحديدية كما ترتفع في نفس الوقت الحد الادنى لمعاشات الشيخوخة للعمال والمستخدمين وترفع معاشات الفلاحين التعاونيين وتسرى بشأنهم نفس قواعد المعاشات السارية بالنسبة للعمال والمستخدمين .

ويحدد حد ادنى جديد للاجور فى عام ١٩٧٢ وترفع اجور العمال والمستخدمين من الفئات الوسطى فى مناطق الشمال والشرق الاقصى وسيبيريا والاورال . كما ترفع مهايا المعلمين والاطباء بنحو ٢٠٪ ومكافآت الطلبة بنحو ٢٥٪ ومكافآت الطلبة فى المدارس الفنية بنحو ٥٠٪ وفى عام ١٩٧٣ يحدد حد ادنى جديد اكثر ارتفاعا للاجور وترفع مهايا الفئات الوسطى فى مناطق اخرى فى اواسط آسيا والفولجا . كما ترفع معاشات العائلات التى فقدت عائلها من رجال القوات المسلحة . وفى عام ١٩٧٤ يستكمل رفع مرتبات ومهايا الفئات الوسطى فى باقى القطاعات المنتجة وفى باقى انحاء البلاد . كما يحدد حد ادنى جديد للاجور ويستكمل رفع الاجور للفئات الوسطى والدنيا فى كل الاتحاد السوفييتى فى عام ١٩٧٥ .

وفى نفس الوقت الذى سيتم فيه اصلاح نظام الاجور الاساسية ستلغى كافة الضرائب على الاجور التى تبلغ ٧٠ روبلا شهريا وتخفض على الاجور بين ٧٠ ، ٩٠ روبلا . وسوف تزاد الاعانات للعائلات التى يقل متوسط دخل الفرد فيها عن ٥٠ روبلا شهريا .

وبصفة عامة فان الاجر النقدى للعاملين سيزيد فى فترة الخطة الخمسية بمعدل يتراوح بين ٢٠ — ٢٢٪ بينما يزداد دخل الفلاحين العاملين فى القطاع المملوك للدولة بنسب تتراوح بين ٣٠ — ٣٥٪ وسوف تزداد المخصصات للاستهلاك الاجتماعى بمقدار ٤٠٪ لتصل الى نحو ٩٠ الف مليون روبل . وبالاضافة الى هذه الزيادة فى المصادر الاساسية للانفاق الاستهلاكى فان ما ستقدم عليه الحكومة السوفيتية من بدء سداد الديون الداخلية قبل موعدها سيكون مصدرا اضافيا للانفاق الاستهلاكى . لقد كان المفروض ان تبدأ سداد هذه القروض خلال مدة ٢٠ سنة ابتداء من ١٩٧٧ الى ان توفر الموارد لدى الدولة وسياسة التعجيل برفع مستوى المعيشة قد أدى الى صدور قرار بالبدء فى السداد ابتداء من ١٩٧٤ على ان ينتهى السداد كلية فى ١٩٩٠ .

وبصفة عامة فسوف تزيد الدخول النقدية لافراد الشعب فى خلال الخطة الخمسية بنحو ٤٠٪ وسوف تزداد مبيعات السلع بنحو ٤٢٪ بينما ستزداد الخدمات المدفوعة بنسبة ٤٧٪ .

ان اعلان ان العمل من اجل زيادة رفاهية الجماهير قد اصبح المهمة الاساسية للاقتصاد السوفييتى فى خلال السنوات الخمس القادمة يعنى ان هذه المهمة قد اصبحت العمل السياسى الاول للحزب الشيوعى . **وبشير برجنيف** فى تقريره للمؤتمر الى واجبات القيادات الحزبية بهذا الشأن موضحا ان توفر الامكانيات الموضوعية التى تتيح توجيه موارد اكبر لتحقيق هدف زيادة رفاهية الشعب لا يكفى وحده لتحقيق النجاح فالعوامل الذاتية ذات شأن كبير فى مدى التقدم الذى يمكن احرازه . ومن هنا فقد طالبت كافة اجهزة التخطيط والاقتصاد ، والمنظمات الحزبية والنقابية بضرورة تغيير نظرتها الى مسألة انتاج سلع الاستهلاك تغييرا جديا . ذلك لان السنوات الطويلة من الكفاح من اجل تحقيق بناء الاساس الاقتصادى للاشتراكية ثم للشيوعية كان لابد وأن يؤثر على نظرة العناصر القيادية المسئولة الى قضية انتاج السلع الاستهلاكية ، التى كانت تحظى دائما بقدر أقل من الاهتمام مما تحظى به الصناعة الثقيلة .كما كانت الاهداف الخاصة بها تعطى فى العادة اولوية ادنى من الاهداف المتعلقة بالصناعة الثقيلة . واخيرا فان هذه الاهداف كثيرا ما كان يهمل تحقيقها لحساب غيرها من الاهداف التى ترى القيادات المسئولة أنها تأتى فى مرتبة أعلى من الاولوية . وقد طالب بريجنيف بتغيير هذه النظرة كليا . واعتبار انتاج السلع الاستهلاكية اللازمة للشعب وذات الدرجة العالية من الجودة الهدف الاساسى فى هذه المرحلة . وبمعنى آخر فانه لا يقل بأية حال بل قد يزيد فى اهميته عن غيره من الاهداف .

الصناعة الثقيلة هى أساس رفع قدرة البلاد الاقتصادية

ان تحقيق الزيادة السريعة فى مستوى معيشة الجماهير قد تطلبت ان يكون معدل الزيادة فى الصناعات الاستهلاكية أعلى من معدل النمو فى الصناعات الثقيلة ولاول مرة فى الاتحاد السوفييتى . ان هذا التغير فى التناسب بين فرعى الصناعة يعود الى الانجازات الكبيرة التى حققتها الصناعة الثقيلة بالفعل . وقد كانت سياسة التركيز على بناء الصناعات الثقيلة هو الذى مكن الدولة السوفيتية من الدفاع عن مكاسب الثورة الاشتراكية ، كما مكنها من القضاء على التخلف المزمن وتحقيق تقدم هائل فى مختلف الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

ان تحديد المهمة الاساسية للاقتصاد القومى فى المرحلة الحالية بانها زيادة رفاهية الشعب زيادة سريعة ، لا يعنى العدول عن التطوير السريع للصناعات الانتاجية . فنمو الصناعات الانتاجية نموا سريعا هو شرط اساسى لتجديد

الانتاج الموسع فى المستقبل وبالتالى لتحقيق امكانيات النمو الاقتصادى فى المستقبل بمعدلات عالية . وعلى قدرة الصناعات الانتاجية يتوقف مدى توفر الالات والوسائل المادية والتكنيكية اللازمة لرفع انتاجية العمل . ان الزيادة الطفيفة فى نسبة النمو فى الصناعات الاستهلاكية عن نسبة النمو فى الصناعات الانتاجية ، تعنى فقط ان الظروف الحالية للمجتمع والناتجة عن تحقيق تقدم سريع فى الماضى فى الصناعات الانتاجية تمكن من استخدام القدرة الانتاجية الحالية لتحقيق زيادة سريعة فى المنتج من السلع الاستهلاكية . دون ان يتعارض ذلك مع السياسة الطويلة الاجل لتنمية الصناعات الثقيلة والانتاجية كشرط اساسى لتحقيق نمو مستمر ومطرد فى الدخل القومى فى المستقبل ، وبالتالى زيادة مستمرة ومطردة فى مستوى معيشة الجماهير . لقد حددت الخطة الخمسية الجديدة اهداف الزيادة فى الانتاج الصناعى بنسبة تتراوح بين ٤٢ — ٤٦٪ من الانتاج فى عام ١٩٧٠ وبحيث تبلغ الزيادة فى انتاج السلع الانتاجية ٤١ — ٤٥٪ بينما تبلغ الزيادة فى انتاج السلع الاستهلاكية نحو ٤٤ — ٤٨٪ . ان هذا النمو الاسرع فى الصناعات الاستهلاكية فى خلال السنوات الخمس القادمة يمكن ان يتحقق كنتيجة للامكانيات المتاحة للاقتصاد فى استخدام المواد الخام ولتحسين وسائل الادارة وتحسين استخدام أدوات الانتاج القائمة وزيادة فاعليتها الاقتصادية ، وهى وسائل تركز عليها الخطة الاقتصادية الجديدة تركيزا أساسيا . وتحدد تعليمات الخطة فى هذا الشأن ضرورة تحسين وتخفيض معدلات استهلاك الوقود والمواد الخام . وتستهدف مثلا تخفيض معدلات استهلاك الوقود ، والقوى الكهربائية ، والكيماويات ، والاخشاب وغيرها من المواد الخام بنحو ٧ — ١٠٪ . كما تؤكد على ضرورة تحسين استخدام المنتجات الثانوية للصناعة .

وبصورة عامة يمكن القول ان الزيادة فى معدل نمو السلع الاستهلاكية لا يعود الى تغيير فى الموقف من اهمية وضرورة التنمية السريعة للصناعات الثقيلة ، وانما من توافر ظروف تتيح زيادة اكبر فى معدلات نمو السلع الاستهلاكية كنتيجة لتحسين الكفاية فى استخدام الموارد القائمة بالفعل . ان الخطة الخمسية الجديدة تتضمن زيادات كبيرة فى انتاج الكهرباء والوقود وفى المواد الخام الحديدية وغير الحديدية وفى انتاج الصناعة الهندسية والكيماوية وخاصة فى هذه الفروع التى تساعد على رفع انتاجية الاقتصاد القومى وتدفع الى تطويره السريع .

فبالنسبة للكهرباء مثلا تهدف الخطة زيادة كلية فى انتاج الكهرباء فى خلال السنوات الخمس تتراوح بين ٢٩٠ — ٣٣٠ الف مليون كيلو وات ساعة . وتبدأ صناعة الكهرباء السوفيتية الدخول فى مرحلة الانتاج الواسع للكهرباء من الطاقة الذرية فتبدأ فى تنفيذ برنامج يستمر لمدة ١٠—١٢ سنة لانشاء محطات ذرية تنتج ما يصل مجموعه ٣٠ مليون كيلو وات سنويا .

وسيرتفع انتاج البترول فى نفس الفترة ليصل الى نحو ٤٨٠ — ٥٠٠ مليون طن اى ان مجمل الارتفاع فى الانتاج فى خلال خمس سنوات سوف يصل الى مابين ١٣١ — ١٥١ مليون طن . وبالمثل يرتفع الانتاج من الغاز الطبيعى بمقدار ١٠٢ — ١٢٢ مليار متر مكعب . وبصورة عامة يعدل ميزان استخدام الوقود فى الاتحاد السوفيتى بحيث يشكل البترول والغاز نحو ٦٧٪ من الوقود المستخدم . ويزداد انتاج الصناعات المنتجة للمواد الخام ايضا بمعدلات عالية ايضا . على ان اكثر معدلات الزيادة ارتفاعا هى بلا جدال فى الصناعات الكيماوية التى تصل نسبة زيادة الانتاج فيها الى نحو ٧٠٪ وفى انتاج المعدات والالات وخاصة وسائل الاتمتة الذى سيتضاعف انتاجها والكمبيوترز الذى سيزداد انتاجها بنحو ١٦٠٪ بينما يزداد انتاج خطوط الانتاج المؤتمته بالكامل او جزئيا بنحو ٦٠٪ ويزداد انتاج المخارط المبرمجة بنحو ٢٥٠٪ .

تحسين الادارة والتخطيط وزيادة الانتاجية

واذا كانت الخطة الخمسية الجديدة تخطو خطوة كيفية جديدة فى طريق تحقيق رفاهية الشعب السوفييتى واعتبار هذه هى المهمة الرئيسية لهذه الخطة وللخطط الاقتصادية المقبلة بعد ان تم بالفعل تأمين القدرة الدفاعية للبلاد وبناء الاساس الصناعى المتين القادر على تحقيق التقدم . فان الخطة تستكمل الطريق الذى سلكه المجتمع السوفيتى بالفعل خلال فترة الخطة الثامنة بالتركيز على تحسين الادارة والتخطيط وزيادة انتاجية العمل باعتبارها المصادر الاساسية لزيادة الدخل وتحقيق التقدم الاقتصادى . ان الوصول الى مرحلة التشغيل الكامل والزيادة الكبيرة فى حجم رأس المال المستثمر قد حدت من امكانيات الزيادة فى الدخل عن طريق التوسع الافقى ، طريق زيادة العاملين وانشاء المشروعات الجديدة .

ان زيادة كفاية العمال القائمين بالفعل ، وتحسين استخدام ادوات الانتاج وتجديد آلات وادوات المصانع القائمة ، والاقتصاد فى استخدام المواد الخام ومواد الوقود تعتبر جميعا الوسائل الرئيسية لزيادة الانتاج والدخل فى المرحلة

الحالية . لقد خطت الخطة الخمسية الثامنة خطوات هامة فى هذا الطريق وتستهدف الخطة الخمسية التاسعة اهداف ابعد فى نفس الاتجاه . تستهدف الخطة التاسعة زيادة انتاجية العمل فى الصناعة بنسبة تتراوح بين ٣٦ — ٤٠ ٪ مقابل ٣٢ ٪ فى الخطة السابقة . وزيادة انتاجية العمل فى الزراعة بنسبة تتراوح بين ٣٧ — ٤٠ ٪ مقابل ٣٥ ٪ فى السنوات ١٩٦٦ — ١٩٧٠ . كما تزيد انتاجية العمل فى صناعات التشييد والبناء بمعدل ٣٦ — ٤٠ ٪ مقابل ٢٢ ٪ فى الخمس سنوات السابقة . وبصفة عامة فان نحو ٨٠ — ٨٥ ٪ من الزيادة الكلية فى الدخل القومى يراد تحقيقها عن طريق الزيادة فى انتاجية العمل .

ان تحقيق الارتفاع فى الزيادة فى الكفاية الانتاجية يتم خلال استخدام ادوات انتاج اكثر تطورا وخلال تحقيق تنظيم علمى للعمل يسمح بالاستخدام الامثل للموارد القائمة . ان الاول هو نتيجة الاستخدام الاسرع لنتائج التقدم العلمى فى تطوير الانتاج والتكنولوجيا . اما الثانى فيرتبط اساسا بتحسين طرق الادارة وبالربط بين اهداف المجتمع واهداف المشروعات الاقتصادية واهداف العاملين فى هذه المشروعات . وقد خطى الاتحاد السوفييتى خطوات هامة فى الطريقين . ولكنه يواصل العمل وبسرعة فى نفس الطريق . ويركز الاتحاد السوفييتى لتحقيق هذا الهدف على عدد من المسائل الاساسية :

١ — النظر الى الاصلاح الاقتصادى باعتباره عملية مستمرة لتحسين الادارة الاقتصادية وتحقيق الاستغلال الامثل لكافة مميزات النظام الاشتراكى . ومن ثم فسيستمر تطبيق الوسائل الجديدة للتخطيط والادارة ويتسع نطاقها لتشمل كل المشروعات والمنظمات التى تعمل على اساس من الربح والخسارة سواء فى مجال الانتاج او الخدمات .

٢ — الاهتمام بتحسين العلاقات بين الانشطة الاقتصادية المختلفة وان تشمل الخطط الاقتصادية تنسيقا ادق ليس فقط على المستوى الراسى بل وعلى المستوى الافقى ايضا .

٣ — اعتماد الخطط على تنبؤات طويلة الاجل للعلاقات الاقتصادية والظواهر الاجتماعية ، ذات الاهمية وخاصة التنبؤ بالتطور العلمى والتكنولوجى فى خلال ١٠ — ١٥ سنة القادمة ورسم هيكل عام لخطة التنمية الاقتصادية فى خلال هذه الفترة الطويلة .

٤ — ضرورة الدراسة العلمية والموضوعية لاحتياجات السكان وطلبهم ، والتنبؤ الطويل الاجل بالتغيرات المحتملة فى هذا الطلب كاساس لتحقيق النمو المتوازن لفروع النشاط الاقتصادى المختلفة .

٥ — تحسين استخدام العلاقات السلعية والنقدية والدوافع الاقتصادية فى قيادة النشاط الاقتصادى على المستوى القومى . وزيادة الاهتمام بالربح كمؤشر للنجاح . وتحسين نظام توزيع الارباح لزيادة اهتمام العاملين فى الاستخدام الفعال لموارد المشروع المادية والمالية والبشرية . ويتم ذلك خلال المناقشة الواسعة بين العاملين انفسهم لخير الطرق لاستخدام المخصصات التى تعود عليهم من الزيادة فى ارباح المشروعات التى يعملون فيها .

٦ — استبدال نظام التموين والامداد الذى كان متبعا بتجارة الجملة والتى يقترح امتداد نشاطها لتشمل ايضا الاتجار فى ادوات الانتاج .

٧ — تحسين الهيكل الادارى للاقتصاد على اساس من الدراسة العلمية لفروع النشاط الاقتصادى المختلفة مع العمل على الغاء المستويات الادارية التى تبرز الدراسة عدم الحاجة اليها . والاتجاه الى تكوين مجمعات انتاجية كبيرة تشمل اكثر من وحدة انتاجية وتكون مسئولة عن الارباح والخسائر فى اطار المجتمع فى مجموعه .

ولايقتصر الاتجاه الى تكوين المجمعات على الانتاج الصناعى بل يتعداه الى منظمات البحوث والتصميمات والتنمية .

٨ — الاستخدام الواسع للوسائل الاقتصادية — الرياضية ، والاعتماد على شبكة من الحاسبات الالكترونية التى تمكن من الحصول على تيار مستمر من البيانات والمعلومات التى تمكن من الوصول الى قرارات سليمة ومثلى فى كل مستوى من مستويات الادارة سواء على مستوى المشروع او المجتمع الانتاجى او الوزارة او لجان التخطيط .

ان الاقتصاد السوفيتى يوالى تقدمه وبمعدلات سريعة تمكنه من تحقيق زيادة سريعة فى مستوى رفاهية الشعب السوفيتى . كما يمكن من زيادة دعمه لقدرته الدفاعية عن المجتمع السوفيتى نفسه وعن دول العالم الاشتراكى . كما تمكنه من التأييد المتزايد لكفاح الدول التى تتعرض للتهديد الاستعمارى . ويعتبر كل نجاح للاصدقاء السوفييت نجاح لكل الشعوب المناضلة من أجل السلام والحرية والاشتراكية . ويحق لنا فى مصر ان نهنىء الاصدقاء السوفييت بخطتهم الجديدة ونتمنى لهم دائما مزيدا من النجاحات فى تحقيق رفاهية شعبهم وفى زيادة قدرتهم الاقتصادية والدفاعية .

الفدائيون من الجو



محمود عزمي

قديما وحتى نهاية الحرب العالمية الاولى لم يكن هناك سبيل أمام القادة العسكريين للوصول الى مؤخرة اعدائهم غير الالتفاف برا او بحرا حول اجنحتهم ، ولكن استخدام الطائرات فى القتال والتطور الكبير والسريع الذى لحق هذا الاستخدام حقق لهؤلاء القادة حلما طالما راود خيال بعض المفكرين العسكريين الاوهو « **التطويق الرأسي** » او العمودى (Vertical Emvelopment) عن طريق اسقاط او انزال قوات من الجو فى مؤخرة العدو القريبة او البعيدة تستطيع مباشرة الاعمال القتالية المختلفة فور وصولها الى الارض ، وهكذا ادى التطور التكنيكى فى مجال الطيران ومعدات الهبوط الى ظهور شكل جديد من اشكال الهجوم فى مجال التكتيك العسكرى عرف باسم « الاقتحام من الجو » او الاقتحام العمودى (Vertical Assault)

هذا ويطلق على الوحدات والتشكيلات التى تقوم بتنفيذ مثل هذه الهجمات اسم « القوات المحمولة جوا » (Airborne Troops) وهى تضم تشكيلات « المظليين » (Paratroopers) وكافة التشكيلات الاخرى التى تستخدم انواعا معينة من الطائرات للنزول فوق الارض غير المعدة لهبوط الطائرات العادية ، وذلك مثل وحدات قوات الطائرات الشراعية (Glider Troops) التى استخدمت على نطاق واسع فى عمليات جنود الجو خلال الحرب العالمية الثانية ، ومثل وحدات قوات « الهليكوبتر » او « فرسان الجو » .

وقد استخدمت عمليات الاقتحام من الجو هذه فى تنفيذ مهام فدائية (Commando operations) او مهام تكتيكية او تعبوية (Operational) وقد تكون أيضا مهاما على مستوى استراتيجى .

والواقع ان الفروق المميزة لكل نوع من انواع هذه العمليات ليست قاطعة على نحو جامد مطلق ، فقد تتداخل تلك الفروق اثناء التطبيق العملى ، وقد تجمع عملية واحدة بين طابعى نوعين من هذه الانواع ، لانه كما هو معروف فى نظرية فن الحرب الحديثة يصبح من الصعب عملا فى كثير من الحالات وضع حدود فاصلة بين ما هو تكتيكى وما هو تعبوى او بين ما هو تعبوى وما هو استراتيجى خلال العمليات القتالية ، ومع ذلك يمكن لنا أن نقول مع الكاتب العسكرى البريطانى « اوتوهيلبرون » فى كتابه عن « الحرب فى مؤخرة العدو » انه « فى العملية الفدائية تقوم القوات المحمولة جوا بتنفيذ هجوم مفاجىء (Coup de main)

وفى المهمة التكتيكية ، والتى تكون فى العادة على نطاق اكبر من الاولى ، تقوم القوات المحمولة جوا بتسهيل عمليات تقدم القوات البرية او انزالها بحرا او ان تقوم بسد طريق انسحاب قوات العدو ، الامر الذى يتم عادة بالاستيلاء على النقط الحاكمة، ويكون جهد القوات المحمولة جوا فى هذه الحالات جهدا مساعدا ، بينما يكون جهد القوات البرية هو الجهد الاساسى ، اما فى المهام التعبوية فيكون دور القوات المحمولة جوا دورا حاسما ، على الاقل خلال المرحلة الاولى من القتال ، واذا ما فشلت هذه القوات فى ادائه فان المعركة تكون قد خسرت » [1]

وسوف نتناول بالدراسة فى مقالنا هذا عمليات الاقتحام من الجو العدائية ، وهى العمليات التى تتميز اساسا باسلوب الهجوم المباغت ، وذلك من خلال عرض وقائع ابرز نماذج مثل هذه العمليات فى التاريخ العسكرى الحديث .

عملية « ايبن ايمايل »

اقام البلجيكيون قبيل الحرب العالمية الثانية قلعة حصينة حديثة ــ انتهى بناؤها عام ١٩٣٥ ــ عند نقطة التقاء قناة « البرت » ــ التى حفرت عام ١٩٣٠ لتربط بين نهر « الموز » وميناء « انتويرب » ــ بنهر « الموز » تقريبا عرفت باسم قلعة « ايبن ايمايل » تطل مباشرة على ضفة القناة الغربية والتى يبلغ عمقها العمودى نحو ١٢٠ قدما وعرضها نحو ٦٠ مترا ، وذلك لتحمى بمدافعها القوية جسور القناة الثلاثة «كانى» و «فرونهوفن» و «فيلدفيسلت» التى تربط بلجيكا بالاقليم الهولندى المجاور للضفة الشرقية للقناة والمعروف باسم اقليم « ماستريخت » الذى يمتد بعرض نحو ٢٠ ميلا فى شكل نتوء بارز من جنوب هولندا يفصل فى هذه المنطقة بين حدود « المانيا وبلجيكا » ، وقد اقيمت هذه القلعة فوق ربوة كثيرة الآكام مثلثة الشكل تقريبا ــ ذات خمسة اضلاع فى الواقع ــ يبلغ طولها نحو ٩٠٠ قدم وعرضها نحو ٧٠٠ قدم ، واحيطت اضلاعها الاخرى غير المطلة مباشرة على قناة « البرت » بخندق عميق وعريض مضاد للدبابات يعلوه من ناحية القلعة جدران يبلغ ارتفاعها نحو ٢٠ قدما وزعت بها مجموعة من الدشم المبنية بالاسمنت المسلح جهزت بالانوار الكاشفة والمدافع المضادة للدبابات والرشاشات ، وكذلك جهز جدار الضفة العمودية للقناة المطلة عليه القلعة بنفس هذه الدشم القوية

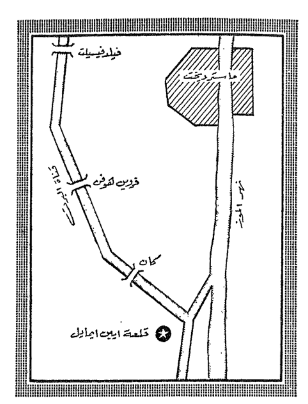
كما وزعت داخل القلعة مجموعة من المدافع الميدانية عددها ١٦ مدفعا عيار « ٧٥ مم » فضلا عن مدفعين « ١٢٠ مم » وقد وضع المدفعان الاخيران داخل برج فولاذى قوى متحرك وكذلك ايضا وضعت اربعة مدافع « ٧٥ مم » داخل برجين مماثلين ، اما بقية المدافع « ٧٥ مم » فقد وضعت داخل دشم خرسانية قوية تضم كل منها ثلاثة مدافع موزعة على جميع الاتجاهات ، هذا فضلا عن بعض الدشم الاخرى المتناثرة بين مواقع المدفعية داخل القلعة والمجهزة بالمدافع الرشاشة(٢) وقد بنيت استحكامات القلعة وبروجها المختلفة بحيث تتحمل اقوى قنابل المدفعية والطيران المعروفة وقتئذ ، الا ان دفاعات القلعة المضادة للطائرات كانت ضئيلة ولاتزيد عن اربعة مدافع كما ان ارضها لم تكن ملغمة(٣)، وقد كانت جميع حصون واستحكامات القلعة متصلة ببعضها بوساطة شبكة من الممرات والانفاق المبنية بالاسمنت المسلح والصلب فى عمق تحت الارض بلغ مجموع اطوالها نحو ٣ اميال كاملة ، وبلغت الحامية الثابتة بالقلعة نحو ١٢٠٠ جندى يقيمون فى ثكنات تحت الارض متصلة بشبكة السراديب والانفاق التى تربط الاستحكامات بعضها ببعض ، وفى نفس الوقت جرى تحصين كل جسر من الجسور الثلاثة ببرجين من الصلب جهزا بالمدافع المضادة للدبابات عيار « ٤٧ مم » والرشاشات الثقيلة فضلا عن بعض الدشم الاخرى المحيطة بالجسر المبنية بالاسمنت المسلح والمجهزة بالرشاشات المختلفة ، وخصصت لحماية كل جسر حامية ثابتة مكونة من سرية كاملة من الجنود ، كما جرى تلغيم كل جسر بعبوات قابلة للانفجار فى وقت واحد بمجرد الضغط على جهاز التفجير اثر صدور الاوامر بنسف الجسر حال اقتراب القوات الالمانية عبر اقليم « ماستريخت » الهولندى ، وفى هذه الحالة تتحول قناة « البرت » الى خندق منيع للغاية مضاد للدبابات لم يكن له مثيل فى اوروبا كلها وقتئذ ، لانه سيصبح من الصعب تماما على قوات المهندسين ان تقيم جسورا مؤقتة فوق القناة ذات الضفاف العمودية

---

[١] Heilbrunn, otto. « Warforein the enemy's rear », London, George Allen and Unuvin, 1963, P. 128.

[٢] Bekker, Cajus. « The Luftwoffe War Diaries », London, macdonald, 1967, P. 94.

[٣] Horne, Alistair. « To lose a Battle — France 1940 », London, MacMilan, 1969, P. 188.



العميقة فى وقت سريع خاصة فى ظل نيران مدافع قلعة « أيبن ايمايل » القريبة القوية .

وعلى ضوء كل هذه الظروف قـدر الجنرال الفرنسى « جاميلان » ـــ قائد جيوش الحلفاء عند بدء الحرب ـــ انه يمكن للقوات البلجيكية الصمود خلف خط « قناة البرت » لمدة خمسة ايام على الاقل حال قيام الالمان بخرق حياد بلجيكا ومهاجمتها فجأة للالتفاف حول جناح خط « ماجينو » الايسر كما فعلوا فى بداية الحرب العالمية الاولى مـــن قبل ، وهى فترة كافية لوصول الجيوش الفرنسية والبريطانية لتعزيز الموقف بشكل قوى وفعال .

وفى نفس الوقت ادركت القيادة الالمانية وهى تخطط للهجوم الخاطف التى تزمع القيام به على فرنسا فى ربيع أو صيف ١٩٤٠ ، أنه من الضرورى لنجاح الهجوم المخادع القوى الذى ستشنه على بلجيكا الوسطى من منطقة « كولونيا » و « آخن » عبر اقليم « ماستريخت » وقناة « ألبرت » ان يتم وصـــول الدبابات والقـــوات المهاجمة الاخـــرى الاساسية الى السهول المنبسطة وراء قناة « ألبرت » فى خلال ٢٤ ساعة على الاكثر من بدء اختراقها للحدود الهولندية حتى لا تتحول الحرب الى حرب انهاك طويل الامد ومعارك مواقع ثابتة عند هذا المانع المائى الخطير ، فيتاح بذلك الوقت الكافى لاحتشـاد قوات الحلفاء هنـــاك ، وتتوفر ايضـــا امكانية ادراك قيادتهم لحقيقـــة اتجاه الهجـــوم الرئيسى للالمان ، والذى سيتم فى الوسط عبر منطقة « الاردين » الوعرة المليئة بالغابات والتلال عند « سيدان » ، وبالتالى يمكنها تحريك جانب هام من قواتها الضاربة الى هذه المنطقة واحباط الهجوم ، لذلك كله كان من الضرورى للالمان ان يستولوا على جسور قناة « البرت » سليمة وان يبطلوا فاعلية قلعة « أيبن ايمايل » بسرعة حتى يؤمنوا لجيشهم الســادس بقيادة « رايخنـــاو » الاندفاع الخاطف السريع الى قلب سهول بلجيكا الوسطى نحو العاصمة « بروكسل » فيجـــذبوا جيوش الحلفاء الى هناك على عجل فى ظروف غير ملائمة لها ، وبالتالى تتحقق افضل شروط النجاح لخطة الاختراق الرئيسى عند « سيدان » التى تهدف الى تطويق قوات الحلفاء المتقدمة فى بلجيكا بزحف خاطف غربا حتى المانش يقطع خط الرجعة عليها برا وبحرا ، وبطبيعة الحال لم يكن فى استطاعة القوات البرية تنفيذ خطة استيلاء مباغت على جسور قناة « ألبرت » وقلعة « أيبن ايمايل » نظرا لانه كان يتحتم عليها اجتياز اقليم « ماستريخت » قبل الوصول الى اهدافها هذه ، ولذلك رأى « هتلر » وقادته ضرورة تنفيذ هذه المهمة بوساطة غارة فدائية مفاجئة تقوم بها القوات المحمولة جوا ، ولما كان جنود المظلات لا يصلحون لاداء هذه المهمة التى يتطلب نجاحها تحقق اكبر درجة ممكنة من المفاجأة والهجوم الخاطف ، نظرا لان طائرات النقل التى ستحملهم ستنذر حراس المواقع البلجيكيين بصوت محركاتها ، كما انهبوط الجنود الى الارض بالمظلات سيستغرق وقتا ثمينا للغاية فى ظروف هذه العملية بالذات ، لانه حتى لو تم الاسقاط من أقل ارتفاع ممكن وهو ٣٠٠ قدم فان الجندى الواحد سيهبط خلال ١٥ ثانية ، هذا فضلا عن الدقائق الاخرى التى سيستغرقها كل جندى فى التخلص من مظلته بعد وصـــوله الى الارض وفى جمع سلاحه الرئيسى المسقط فى عبوات خاصة ثم فى التجمع فى شكل جماعات قادرة على مباشرة الاعمال القتالية ، وفى خلال كل هذه الدقائق الضائعة ستكون فرصة الحراس البلجيكيين فى نسف الجســـور والتأهب للقتـــال الفعال كبيرةللغاية ، ولذلك كله فقد رؤىاستخدام جنود الطائرات الشراعية فى تنفيذ هذه المهمة نظرا لان فرصتهم فى الحصول على عنصر المفاجأة ستكون افضل بكثير من فرصة جنود المظلات ، وذلك على ضوء التجارب العملية التى أجريت سرا قبل نشوب الحرب فى خريف ١٩٣٨ بوساطة قوة اقتحام فدائية صغيرة من هذه القوات ، والتى اثبتت قدرة هذه الطـــائرات على الطيران دون صوت على الاطلاق بعد فك الحبال التى تربطها بالطائرات العادية ذات المحركات التى تجرهـــا بسرعة الى مسافة قريبة نسبيا من اهدافها ، كما اثبتت ايضا ان فى امكان هذه الطـــائرات متى قادها طيارون حسنو التدريب على الهبوط برفق وفى صمت على مبعدة ٢٠ ياردة تقريبا من أى هدف يراد النزول عنده [٤] ، هذا فضلا عن ان الجنود سيكونون قادرين على القتال فور الهبوط

ونتيجة لذلك فقد جرى تشكيل قوة خاصة — على اساس التطوع ودون ذكر طبيعة العملية — من حوالى ٤٠٠ جندى من مهندسى الالغام التابعين للفرقة السابعة المحمولة جوا ، وعهد بقيادتها الى ضابط برتبة كابتن يدعى « كوخ » ، وكان هؤلاء الجنود هم وبقية جنود الجــو الالمـــان من غلاة الشباب النازى المتحمس سياسيا لهتلر والنظام النازى واكثرهم استعدادا للقتال فى سبيل اهدافه وتشبعا بروح المغامرة .

الاعداد للعملية

تجمعت القوة فى معسكر خاص بها منذ نوفمبر ١٩٣٩ وعزل افرادها عن العالم الخارجى تماما ومنعوا من الاتصال بأى فرد من الوحدات الاخرى كما خضع بريدهم لرقابة دقيقة ، كما اقسم رجالها كتابة على المحافظة المطلقة على كل ما يجرى فى المعسكر من اعمال ، وانهم يقبلون الحكم عليهم بالموت فى حالة مخالفتهم لهذا القسم عن قصد او عن اهمال ، وقد حكم على رجلين من القوة فعلا بالموت نتيجة زلة لسان تافهة صدرت عنهما ولم يرفع عنهما تنفيذ الحكم الا بعد تنفيذ العملية بنجاح ! ورغم ان كل رجل من القوة كان يحفظ عن ظهر قلب دوره ودور كل فرد آخر مشترك فى العملية الا انهم جميعا لم يكتشفوا اســماء بعضهم بعضا الا بعد ان انتهت العملية تماما ! [٤]

وقـــد جـــرى تدريب القوة تدريبا شـــاقا ودقيقا ومستمرا طوال الشهور الستة السابقة للهجوم على نماذج هيكلية للاســتحكامات وتحت جميع انواع الظروف الجوية ليلا ونهارا ، كما قامت القوة بعمل تجربة كاملة على نموذج بالحجم الطبيعى للقلعة دون ان يذكر اسمها ، تم بناؤه على ضوء المعلومات الدقيقة التى جمعتها المخابرات الالمانية .

وابتكر خبراء المفرقعات نوعا خاصا من العبوات المجوفة الناسفة ، له القدرة على اختراق جدران ودروع التحصينات المقامة بالقلعـــة ، اذ كانت العبوة الواحدة ذات الخمسين رطلا تستطيع ان تخترق لوحا من الصلب سمكه ٦ بوصات والعبوة ذات المـــائة رطل كانت تســتطيع اختراق ١٠ بوصات من الصلب ، وقد تمت تجربة هذه العبوات عملا ضد التحصـــينات التى ســبق ان بناهـــا التشـــيكيون فى منطقـــة « التفـــاتر » باقليم « السوديت » [٥] وفى نفس الوقت كان يجرى تدريب طيارى الطائرات الشراعية بدقة كاملة وفى ظروف مماثلة لما ســـيتم عملا فى الهجـــوم على الهبوط برفق بطائراتهم ليلا او نهارا فى حيز محدود للغاية من ارض منطقة الهدف ، اذ كان من المقرر فصل هذه الطـــائرات عن طائرات النقـــل التى ستجرها فى بداية رحلتها على مقربة من الحدود الالمانية — الهولندية على ارتفـــاع ٨٥٠٠ قـــدم وتركها تنحدر هابطة ببطء وبتوقيت محدد بدقة بحيث تصل الى الهدف تبعا لسرعة الريح المحسوبة سلفا على ارتفاع ١٠٠٠ قدم حتى يستطيع الطيار ان يختار نقطة جيدة لنزوله الذى سيتم قبيل بدء موعـــد الهجوم الالمانى العـــام بخمس دقائق فحسب .

هذا وقد تلقى الطيارون تدريبا جيدا على الاعمال القتالية بحيث كان يمكنهم الانضـــمام فور هبوط طائراتهم الى جماعات الاقتحام والاشتراك فى القتال معها ، وقد كانت الطائرات الشراعية من النوع الخفيف [٥] الذى تبلغ حمولته نحو طن واحد وتستطيع ان تحمل الواحدة منها ٨ — ٩ جنود بكامل سلاحهم و ١٠٠ رطل من المتفجرات ، وجرى تخزين الطائرات التى ستشترك فى العملية مفككة داخل صناديق وضعت فى حظائر طائرات محكمة الاغلاق بمطار قرب « كولونيا » على انها مواد خاصة بعمل غلالات الدخان الصناعى ودون ان يعرف قائد المطار نفسه حقيقة هذه الشحنات المختزنة لديه !

تنفيذ العملية

قسم الكابتن « كوخ » قوته الى اربع سرايا على النحو التالى : السرية الاولى وتتألف من ٨٥ جنديا يقودهم الملازم اول « ويتزيج » وقد حملتهم ١١ طائرة شراعية ومعهم اسلحتهم الالية وقنابلهم اليدوية وبعض قاذفات اللهب المحمولة فوق الظهور فضلا عن ٢٫٥ طن من العبوات الناسفة ليهاجموا قلعة « أيبن ايمايل » . والسرية الثانية وتضم ٩٦ جنديا تحت قيادة الملازم « شاخت » تحملهم ١١ طائرة شراعية وهدفها تأمين جسر « فرونهوفن » . والسرية الثالثة وتضم ٩٢ جنديا بقيادة الملازم « التمان » تحملهم ٩ طائرات شراعية وهدفها تأمين جسر « فيلدفيسلت » وهو ابعد الجسور الثلاثة عن القلعة اذ يقع على مسافة ٤ أميال تقريبا الى الشـــــــمال الغـــربى منهـــا ، والسرية الـــرابعة وتضـــم ٩٠ جنديا بقيادة المـــلازم « شاشتر » تحملهم ١٠ طائرات شراعية وهدفها تأمين جسر « كانى » اقرب الجسور للقلعة ، وفى

Bekker, Cajus. « The Luftwaffe War Diaries », London, Macdonald, 1967, P. 97. [٤]
Merglen, Albert. « Sarprise Warfore », George Allen, 1968, P. 60. [٥]

الساعة الرابعة والنصف فجر يوم ١٠ مايو ١٩٤٠ بدات ٤١ طائرة نقل المانية « جونكرز ٥٢ » فى التحليق من مطارين بالقرب من مدينة « كولونيا » الواقعة على نهر « الراين » وهى تسحب وراءها ٤١ طائرة شراعية وترتفع بها الى ارتفاع ٨٥٠٠ قدم ثم تنطلق بها عبر طريقين تحددهما علامات ارضية مضيئة لمسافة ٤٥ ميلا حتى مدينة «آخن» القريبة من حدود « ماستريخت » حيث كانت هناك علامات اخرى مضيئة ذات الوان معينة تحدد نقط انفصال الشراعيات عن طائرات النقل ، وقد وصلت جميع الشراعيات الى هذه الحدود وانطلقت فى رحلتها الصامتة الاخيرة نحو الهدف باستثناء طائرتين من المجموعة المتجهة الى « أيبن ايمايل » قطعت حبالهما نتيجة لحادث بسيط لحق بطائرتى النقل وكانت من بينهما الطائرة التى تقل الملازم اول « ويتزيج » قائد السرية وقد هبطت اضطراريا فى حقل قريب من « آخن » وقام الملازم فورا هو وجنوده بقطع شجيرات الصفاف المحيطة بالحقل تمهيدا لاعادة تحليقها بعد ان تصل اليها طائرة نقل اخرى لتلقى بخطاف يشد حبل الطائرة ، ثم اسرع الى الطريق العام ليستقل سيارة تعود به الى مطار « كولونيا » وهو قلق للغاية اذ كانت الساعة قد بلغت الخامسة وخمس دقائق ولم يتبق سوى ٢٠ دقيقة على بدء هجوم قوته التى مضت فى طريقها داخل طائراتها التسع الاخرى وهى لا تدرى بما لحق بالطائرتين وبأن القائد ليس معها، وعلى كل فقد كان الاعداد والتدريب السابق للعملية يساعدان على تلافى اضرار مثل هذه المفاجآت اذ كان طاقم كل طائرة يعرف سلفا واجبه بشكل محدد دقيق ، وكان كل طيار يعرف المكان الذى سيهبط فيه تماما ، هذا وقد اطلقت المدفعية م/ط الهولندية نيرانها على الشراعيات عندما اقتربت من بلدة « ماستريخت » الا ان الطيارين المدربين استطاعوا تجنب الطلقات التى كانوا يرونها فى ظلمة السحر فى شكل كرات حمراء صغيرة بالمناورة ، ثم عبروا الحدود البلجيكية واتجهوا الى اهدافهم بحيث يصلون اليها من ناحية الغرب ، بحيث تبدو الطائرات للحراس انها قادمة من داخل بلجيكا ، ورغم ان الحاميات البلجيكية التى كانت فى « أيبن ايمايل » والجسور الثلاثة كانت قد تلقت من القيادة العامة انذارا بالتأهب للطوارىء فى الساعة الثالثة وعشر دقائق فجر يوم ١٠ نفسه ، واستعد كل جندى فعلا فى موقعه انتظارا لاحتمال حدوث هجوم المانى وهو أمر تكرر وتوقعه طوال شهور الشتاء والربيع ، ورغم انهم قد سمعوا اصوات المدافع المضادة للطائرات الهولندية واستعدوا لاستقبال القاذفات الالمانية المحتمل مجيئها الا انهم لم يسمعوا اصوات محركات وانما فوجئوا بمجموعة من الاشباح السوداء تنزلق نحوهم فى صمت وسرعة فحاولوا ان يخفضوا مواسير المدافع نحوها الا انها هبطت



[illegible] الاغارة على برونفال

بسرعة الى الارض بعيدا عن زوايا ارتفاع المدافع، ثم اندفع منها بمجرد توقفها على الارض عشرات من الجنود الالمان وهم يطلقون نيران الرشاشات على الحراس الواقفين عند الدشم ومختلف التحصينات التى نزلت الطائرات بجوارها او فوقها ، ثم اخذوا يلقون القنابل اليدوية على فتحات اسلحة هذه المواقع الدفاعية ويلصقون العبوات الناسفة بأبراج المدافع او يدفعون بها داخل مواسيرها ، كما اخذوا يطلقون السنة اللهب داخل هذه الفتحات والمواسير وانابيب التهوية ، وبهذه الطريقة أمكن للقوة المهاجمة ان تدمر خلال الدقائق العشر الاولى من الهجوم ثلاثة مواقع يضم كل منها ٣ مدافع « ٧٥ مم » والبرج الذى يحمل ثنائى المدافع « ١٢٠ مم » وسبعة دشم اخرى مختلفة ، ومواقع المدافع المضادة للطائرات فضلا عن تدمير نقط المراقبة والتلسكوبات الخاصة ببقية المدافع ، وهكذا أصبحت معظم تحصينات القلعة ومدافعها اما مدمرة او معطبة او عاجزة عن الرؤية وتحديد الاهداف وبقيت مواقع الرشاشات الثقيلة ومدافع م/د المثبتة فى عمق جدار قناة البرت الصخرى او الحائط المطل على الخندق المضاد للدبابات المحيط ببقية اضلاع القلعة قادرة على اطلاق النار نظرا لتعذر نسفها من اعلى، ولذلك اخذ المهاجمون يحاولون نسف سقف الممرات الموصلة اليها المحفورة تحت الارض بعد ان تلقوا مددا جديدا من العبوات الناسفة بالمظلات اثناء القتال .

هذا وقد تولى الرقيب « وينزل » قيادة القوة الى ان وصل الملازم اول « ويتزيج » الى القلعة بطائرته الشراعية فى الثامنة والنصف صباحا وتولى القيادة مرة اخرى واخذ يتصل لاسلكيا بقائد القوة كلها « كوخ » فى مقر قيادته الميدانى عند

جسر « فرونهوفن » الذى يتوسط الجسور الثلاثة .

وقد بقيت حامية القلعة حبيسة الانفاق الخرسانية تحت الارض لا تستطيع الخروج منها نظرا لسيطرة المهاجمين على المداخل والقائهم قنابل دخان كثيف داخل فتحات التهوية ، ولذلك طلب قائد الحامية من قيادة فرقة المشاة السابعة المرابطة فى عمق الخط الدفاعى وراء القناة ان تطلق نيران مدفعيتها على القلعة لقتل السبعين المانيا الذين يربضون فوقها والذين حفروا لانفسهم حفرا تخندقوا داخلها للاحتماء من قنابل المدافع والهاونات وصد أية هجمات مضادة قد تحدث لحين ان تصل اليهم القوات البرية عبر اقليم « ماستريخت » والجسور المستولى عليها ، وفى هذه الاثناء كانت السرايا الاخرى قد هاجمت الجسور الثلاثةبعد ان هبطتبها طائراتها بجوارها وفاجأتحامياتها بنيرانرشاشاتها وقنابلها اليدوية وقاذفات اللهب داخل خنادقها ودشمها وبعد دقيقتين من بدء هذه المذبحة الرهيبة تم الاستيلاء على جسرى « فيلدفيلست » و « فرونهوفن » سليمين ورفعت من تحتهما الشحنات الناسفة بسرعة ، أما جسر « كانى » القريب من القلعة فقد تمكن حراسه من نسفه ، وبعد اربعين دقيقة من وصول القوات الشراعية الى الجسور الثلاثة هبط ٤٠ مظليا ومعهم رشاشات ثقيلة لتعزيز قوة الجسور المستولى عليها . وقد قامت طائرات « شتوكا » المنقضة بتقديم واجب المعاونة الارضية للقوات الشراعية المسيطرة على الجسور والقلعة ابتداء من ربع الساعة التالى لبدء الهجوم ، كما كانت طائرات الاستطلاع تقوم بدوريات مستمرة فوق ارض المعركة ، وفى نفس الوقت قامت طائرات النقل التى سحبت الشراعيات بالتوغل لمسافة ٢٥ ميلا داخل الحدود البلجيكية فى منطقة الهجوم بعد هبوط القوات المهاجمة فعلا وتحقق عنصر المفاجأة ، ثم القت فى مواقع مؤخرة الفرقة البلجيكية السابعة بنحو ٢٠٠ دمية على شكل جنود المظلات الالمان وما ان وصلت الى الارض حتى بدأت تصدر عنها اصوات رصاص ومفرقعات صادرة عن شحناتمتفجرة ذاتية الاشتعالوضعت داخل هياكلها المليئة بالقش ، مما ساعد على تشتيت جهود الاحتياطى البلجيكى بعض الشىء واثارة الارتباك فى صفوفه (٦) ، وفى الساعة ٩ صباحا تم اجراء اتصال لاسلكى ببعض بطاريات المدفعية بعيدة المدى التى تقدمت مع القوات البرية عبر الاراضى الهولندية وبدأت هذه المدافع فى تقديم واجب المعاونة بالنيران المؤثرة بوساطة

التوجيه اللاسلكى من القوات الشراعية المتخندقة عند الضفة الشرقية لقناة « البرت » عند الجسور الثلاثة ، ولم يحدث أى هجوم بلجيكى مضاد على القوات الشراعية وانما تعرضت فقط لنيران بعض مدافع الميدان والهاونات ، وعندما حل المساء وصلت العناصر الاماميةالمتقدمة من الفرقةالمدرعة الرابعة الى جسرى «فيلدفليست» و «فرونهوفن» بعد ان تأخر زحفها عبر الاقليم الهولندى بسبب نجاح حراس الجسور الهولندية الثلاثة المقامة فوق نهر « الموز » فى نسفها رغم محاولات بعض رجال « الكوماندوس » الالمان المتخفين فى زى هولندى التابعين لفرقة « براندبرج » الخاصة للاستيلاء عليها سليمة ، ولذلك لم يستطع سلاح المهندسين ان يقيم كبارى عائمة الا فى منتصف النهار بينما بقيت صفوف وطوابير الدبابات والعربات المصفحة الالمانية واقفة على الطريق بلا حراك ، ولكن الجو كان تحت سيطرة الطيران الالمانى تماما نظرا لتدمير جزء كبير من الطيران الهولندى والبلجيكى فجرا وهو جاثم على الارض، واستمرت حامية « أبين ايمايل » محاصرة طوال الليل بينما كان جنود « ويتزيج » قابعين فوقها وهم يعانون بشدة من قذائف المدفعية البلجيكية الى ان وصلت اليهم القوات البرية فى السادسة من صباح اليوم التالى ١١ مايو ، ثم استسلمت الحامية البلجيكية فى الساعة الواحدة والربع ظهرا بعد ان نسفت آخر دشمها التى كانت لاتزال نشطة ، وقد وقع فى الاسر ١١٠٠ رجل وعلى رأسهم قائدهم الماجور « جوتراند » بينما بلغ عدد القتلى ٢٣ والجرحى ٥٩ ، وبلغت خسائر سرية « ويتزيج » ١٠ قتلى و١٥ جريحا فقط ! بينما بلغت جملة خسائر القوات الشراعية والمظليين عند جسور قناة « البرت » ٣٨ قتيلا و١٠٠ جريح وجملة خسائر القوات البلجيكية هناك بما فى ذلك من اصيبوا بقنابل الطائرات نحو ٩٠٠قتيل(٧)، وهكذا انتهت معركة « أبين ايمايل » التى اعتبرها « اوتوهيلبرون » نموذجا كاملا للعمليات الفدائية من الجو . ولقد قال « ليدل هارت » معلقا على هذه العملية « انها فى الحقيقة ، واحدة من الاحداث المؤثرة فى تاريخ الحرب الاخيرة » . وقد سبب سقوط هذه القلعة بتلك السرعة والبساطة التى تمت بها العملية صدمة ذهول غريب لدى قيادة الحلفاء ، ولذلك يقول الجنرال « جاميلان » فى مذكراته « ان احتلال الالمان صباح يوم ١٠ مايو ١٩٤٠ للجسور المقامة فوق « الموز » عند « ماستريخت » ولقلعة « أبين ايمايل » التى كانت تشكل جزءا من قيادة منطقة « لييج » اصاب عقول

Bekker, Cajus. « The Luftwaffe War Diaries », London, Macdonald, 1967, P. 100. [(٦)]

الجميع بالذهول » ! [٧] . وساعد على ذلك ما اذاعته وسائل الدعاية الالمانية بتوجيه من «جوبلز» من ان القلعة المنيعة قد سقطت « نتيجة اسلوب جديد من الهجوم » بدون ان تذكر شيئا عن تفاصيل العملية او عن العبوات المفرغة التى استخدمت فى نسف حصون القلعة ! وهكذا قدمت عملية اقتحام رأسي فدائى حسنة الاعداد والتنفيذ مادة دسمة بالغة الخطورة لاجهزة الحرب النفسية .

عملية « برينفال »

على اثر ثبوت فاعلية الرادار فى توفير انذار مبكر للدفاع المضاد للطائرات اثناء معركة «بريطانيا» الجوية فى صيف وخريف ١٩٤٠ أسرع الالمان فى تطوير بحوث واجهزة الرادار الخاصة بهم، والتى ثبت أنها كانت متخلفة كثيرا وقتئذ عن مثيلتها البريطانية الى ان احرزوا تقدما واضحا خلال عام ١٩٤١ واقاموا نتيجة لذلك شبكة من محطات الرادار على طول شواطىء اوروبا الغربية المواجهة للجزيرة البريطانية ، ولذلك رات المخابرات البريطانية ضرورة مهاجمة احدى هذه المحطات والحصول على بعض اجزائها الهامة سليمة او تصويرها اذا تعذر انتزاعها او نقلها الى بريطانيا حيث سيفحصها العلماء المتخصصون لاجراء مقارنة بينها وبين اجهزتهم ، [٨] واختيرت كهدف لهذه العملية محطة رادار تقع على مقربة من قرية « برينفال » الواقعة على شاطىء « نورماندى » على مبعدة ١٢ ميلا من ميناء « الهافر » كانت تضم جهازا من احدث واقوى اجهزة الرادار الالمانية وقتئذ يعرف باسم « ورزبرج العملاق » (Giant Wurzberg) [٩] من طراز « FUMG 65 » وكان معدا للعمل ضد الطائرات والسفن ويستطيع ان يرصد اقترابهما من مسافة ٦٠ كيلومترا تقريبا، وقد وضع هذا الجهاز داخل حفرة غير عميقة مغطاة بسقف من الاسمنت المسلح ولا يظهر منه فوق سطح الارض سوى العاكس للموجات «الايريال» البالغ قطره ٧٫٥ متر وعلى مبعدة نحو ١٠٠ ياردة من حافة المنحدر الصخرى الشاهق تطوير بحوث واجهزة الرادار الخاصة بهم، والتى المطل على « المانش » من ارتفاع ٣٠٠ قدم تقريبا، ولم يكن هناك طريق للاقتراب منه بالنسبة لاية قوة فدائية تنزل من البحر سوى أخدود ضيق شديد الانحدار يقود الى قرية « برينفال » الواقعة على مبعدة نصف ميل من الجهاز ، وفى نفس الوقت كان هذا الاخدود محميا بصورة جيدة بمواقع للرشاشات ودشم صغيرة محصنة للاسلحة الصغيرة ، ولذلك كان مصير مثل هذه القوة الصاعدة من هذا الاخدود الى المرتفع الذى تقع محطة الرادار فيه هو الابادة الكاملة بنيران الرشاشات ، (١١)، هذا وكان يعمل بهذه المحطة ثلاثون فردا من سلاح الاشارة الالمانى يقيم بعضهم اثناء فترات الراحة فى فيلا حديثة قريبة شرق موقع المحطة ، كما كانت توجد قوة من ١٠٠ جندى المانى فى معسكر صغير من منازل خشبية يقع على مبعدة ٣٠٠ ياردة شمال الفيلا المذكورة داخل مزرعة كبيرة تعرف باسم « البرسبتير » وهذا فضلا عن حوالى ٤٠ جنديا يكونون حامية قرية « برينفال » ويحتلون الدشم ومواقع الرشاشات المطلة على الاخدود ، ولذلك كله رؤى استخدام قوة فدائية من المظليين التابعين للفرقة البريطانية الاولى المحمولة جوا — التى كان يجرى انشاؤها واستكمالها منذ الجلاء عن « دنكرك » فى صيف ١٩٤٠ بعد ان اذهلت انتصارات القوات الالمانية المحمولة جوا خلال عمليات النرويج وهولندا وبلجيكا « تشرشل » والقادة البريطانيين والعالم كله — فى القيام بهذه المهمة ، وقد اختيرت لادائها السرية « س » من الكتيبة الثانية مظلات بقيادة الكولونيل « فروست » وكانت تتألف من ١١٩ رجلا من بينهم جماعة الحقت بالسرية من المهندسين المختصين بالالغام ورقيب من القوات الجوية خبير فى هندسة الرادار واللاسلكى سيتولى فك ذلك الجزء الجوهرى من جهاز الرادار وتصوير الجهاز كله .

وكانت تقضى باسقاط المظليين فى موقع وراء المحطة بنحو ١٥٠٠ ياردة ليتوجهوا بعد ذلك الى المحطة والفيلا ويهاجمونها ثم يفك الرقيب الخبير فى الرادار الجهاز المطلوب بمساعدة المهندسين وتنسحب القوة اثر ذلك عن طريق البحر بعد ان تهاجم مواقع الرشاشات الموجودة على الشاطىء اثناء العملية من الخلف وتعود الى بريطانيا ، وقد بدأت القوة بعد ذلك فترة كافية من التدريب الشاق الدقيق على كافة مراحل العملية الجوية والبرية والبحرية ، وأجريت عدة تجارب عملية مماثلة لما سيحدث فى الواقع بما فى ذلك مرحلة الانسحاب وركوب القوارب والسفن فى الظلام ، ودرس كل فرد منها واجبه على ضوء دراسته للنماذج الدقيقة التى اقيمت للموقع بكامل تفاصيله ، كما جرى تجهيز القوة بالمعدات الملائمة وبنوع جديد من الاسلحة الالية هو الرشاش « ستن » ، وجرى امداد افرادها بشكل مستمر بكافة التقارير الجديدة والمستمرة للمخابرات والاستطلاع الجوى التى

[٧] Merglen, Albert. « Surprise Warfare », London, George Allen, 1968, P. 62, 64, 55.

[٨] MacDonad Charles, « By air to battle », London, MacDonald, 1970, p. 99

[٩] Saunders, George « The Red Beret», London, NEL, 1968, p. 49

[١٠] احمد كامل . ارادار ، القاهرة، مطبوعات مجلة المدفعية ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٨ ، صفحات ٢٢٣ ، ٢٣٠

كانت تصل القيادة عن المحطة وافرادها بما فى ذلك اسماء بعضهم وطباعهم الخاصة ! (١١) وتمت ايضا عملية تعارف بين افراد القوة بالافراد الاخرين من القوات الجوية والبحرية التى ستشترك معهم فى مراحل العملية المختلفة وتجارب مشتركة لدراسة وتعرف المشكلات العملية التى يمكن ان تواجه مرحلة التنفيذ العملى، (١٢)، وقد تم خلال التدريب مناقشة تفاصيل الخطة مع جميع افراد القوة المهاجمة وسماع اقتراحاتهم بغض النظر عن رتبهم ، واكثر من مرة قدمت منهم اقتراحات ساعدت على تحقيق النجاح فيما بعد للعملية ، (١٢) .

هذا وكانت القوة البحرية التى ستشترك فى عملية تأمين انسحاب المظليين تتألف من بعض زوارق المدفعية وسفينة انزال مشاة بها قوة من ٣٢ جنديا لتقديم المعاونة بالنيران اثناء ركوب المظليين لقوارب الاقتحام التى ستحملهم الى السفينة من الشاطىء ، فضلا عن مدمرتين تقفان فى عرض البحر لمصاحبة القافلة كلها وحراستها اثناء الرحلة ، اما القوة الجوية المشتركة فى العملية فكانت تضم ١٢ قاذفة قنابل ذات محركين قديمة من طراز « ويتلى » لحمل المظليين الى منطقة الاسقاط ، وعلى ان يسبق وصولها الى الشاطىء الفرنسى قيام بعض القاذفات الاخرى ببعض الغارات على ارتفاع منخفض فوق بعض اجزاء الشاطىء القريبة من منطقة الهدف لتغطية اقتراب وهبوط القوة الفدائية بالمظلات ، كما خصص سرب من المقاتلات « سبيتفير » لحماية السفن اثناء رحلة العودة الى بريطانيا .

تنفيذ العملية

قسم « فروست » قوته الى اربعة اقسام تبعا للمهام المختلفة التى تضمنتها العملية على النحو التالى : القسم الاول بقيادته شخصيا ومهمته مهاجمة الفيلا القريبة من المحطة وقتل او أسر جنود الاشارة الموجودين بها ، والقسم الثانى بقيادة الملازم «يونج» ومهمته مهاجمة جهاز الرادار نفسه والاستيلاء على الجزء المطلوب معرفته منه ثم تدمير بقية الجهاز ، ويبلغ عدد رجال القسمين معا ٥٠ رجلا ، اما القسم الثالث فكان بقيادة الملازم « شارتريز » ويتألف من ٤٠ رجلا ومهمته حماية القوات التى ستهاجم الفيلا والمحطة من احتمال هجوم مضاد تشنه القوة الالمانية الموجودة فى المزرعة القريبة ، والقسم الرابع وكان بقيادة الملازم « تيموثى » ويضم ٣٠ رجلا كانت مهمته تطهير الاخدود الموجود عند قرية « برينفال » من الدشم والرشاشات المقامة عند قمته وتأمين عملية الاجلاء البحرى على الشاطىء بعد ذلك ، وكان من الضرورى لضمان وحدة عنصر المفاجأة بالنسبة لجميع الاقسام ان يتحرك الجنود بعد هبوطهم الى نقاط التجمع التى سيتم منها هجوم كل مجموعة على حدة على الا يبدأ الهجوم واطلاق النار فعلا الا بعد صدور اشارة فى شكل صوت صفارة من قائد القوة اثر وصوله الى باب الفيلا واستعداده لاقتحامها بنيران رشاشه ، كما كان من المحتم بعد ذلك الا تبقى القوة فى موقع الرادار الا اقل وقت ممكن وكذلك فى نقطة التجمع عند الشاطىء استعدادا للرحيل حتى لا تتعرض القوة الى الفناء او الاسر ، اثر وصول التعزيزات الالمانية التى ستسارع الى مكان الهجوم بعد قليل ، ولهذا كان لدقة التوقيت اهميته الخاصة فى كافة مراحل العملية خاصة بالنسبة لمرحلة الاجلاء البحرى وهو الامر الذى روعى فى التدريب ، وفى ليلة ٢٧ - ٢٨ فبراير عام ١٩٤٢ اقلعت الاثنتا عشرة قاذفة « ويتلى » فى حوالى الساعة العاشرة مساء فى طريقها نحو « نورماندى » وكان الجو صافيا والقمر يرسل ضياءه الفضى اللامع فوق « المانش » أى ان الظروف الجوية التى اختيرت من قبل كانت متحققة بشكل ملائم للغاية ، وبعد ساعتين من الطيران وصلت الطائرات الى الشاطىء قرب « الهافر » وساعدها على تحديد مسارها بدقة الضوء الصادر من فنار « انتيفر » الواقع الى الشمال من محطة الرادار بحوالى ميل ، وقد تعرضت اثر ذلك لبعض طلقات المدفعية م/ط واصيب بعضها باضرار طفيفة ، وقد اضطرت طائرتان ، احداهما تحمل الملازم « شارتريز » والاخرى تحمل جزءا من القوة الرابعة التى ستطهر الشاطىء ، الى الابتعاد قليلا تحت تأثير نيران المدفعية عن خط سيرها المفروض وكان من نتيجة ذلك ان هبط رجالهما بعيدا بعض الشىء عما يجب، وباستثناء ذلك الحدث ، فقد سارت العملية فى التطبيق وفقا لما خطط لها ، وتمت مهاجمة الفيلا حيث لم يوجد سوى المانى واحد قتل فى الطابق العلوى ، كما تمت مهاجمة موقع الرادار نفسه وقتل هناك خمسة من الالمان وأسر واحد ، ثم انتزع الجزء المطلوب من الجهاز وحمل فى عربة الترولى المخصصة لذلك بينما كانت القوة الالمانية الموجودة فى المزرعة القريبة تحاول التدخل بنيران

---

[١١] Buckley, Chistopher. « Norway. The Commandos. Dieppe », London, H.M.S.O, 1951, P. 198.

[١٢] Saunders, George, « The Red Beret », London, NEL, 1968, P. 52.

[١٣] عبد المحسن مرتجى ، محمودخيرى بنونة ، « العمليات الخاصة فى تاريخ جنود الجو » ، الإسكندرية ، المكتب المصرى الحديث ، ١٩٧٠ ، صفحة ١١٦ .

الرشاشات ؟ وانسحبت القوة من الموقع اثر ذلك الى الشاطىء عند الاخدود الواقع على مبعدة ٦٠٠ ياردة تقريبا حيثشاركت مجموعة «تيموثى» فى تطهيره من الدشم الموجودة به وهناك وصل ايضا الرجال الذين هبطوا بطريق الخطأ بعيدا عن منطقة الاسقاط ، وتم ارشاد قوارب الاقتحام الستة بوساطة انوار الاشارة وتحت حماية نيران سفينة الانزال تمت عملية الاجلاء للقوة ومعها الجهاز و٣ أسرى و٦ جرحى بعد ان تركت على ارض المعركة اثنين من القتلى وستة رجال اخرين ضلوا طريقهم الى الشاطىء فى الظلام واستغرقت العملية كلها نحو ساعتين ونصف الساعة منذ بدئها ، وقد عادت القافلة البحرية الى ميناء « بورتسموث » سالمة دون ان تتعرض لاى هجوم جوى او بحرى يصاحبها منذ الفجر سرب « السبيتفير » كمظلة واقية ، هذا وقد قامت القوة بنسف بقية جهاز الرادار قبل انسحابها لتغطى عن المخابرات الالمانية عملية اختطاف الجزء الذى انتزع منه ، ونتج عن ذلك ان وجدت ثغرة فى نظام الدفاع الجوى الالمانى فى هذه المنطقة لعدة ايام استغلتها القاذفات البريطانية بعد ذلك بأربع ليال فى الاغارة على مصنع « رينو » القريب من هذه المنطقة ودمرته تماما حيث أنه كان يساهم فى خدمة المجهود الحربى لقوات الاحتلال الالمانية [١٤] .

الدروس العامة المستفادة

يتضح لنا مما سبق عرضه من وقائع عمليتى «أبين أيمايل» و «برينفال» التى قدمناها كنماذج حية ناجحة فى التاريخ العسكرى لعمليات الاقتحام الفدائى من الجو، انتطور تكنيك صناعة الطيران ووسائل الهبوط بالافراد المسلحين الى الارض وتطوركفاءة التكتيك المستفيد من هذه التطور التكنيكية ، قد أتاح امكانيات واسعة لنشاط الجماعات الفدائية المختلف الاغراض فى مؤخرة العدو القريبة او البعيدة ، وان فرص نجاح مثل هذه العمليات كبيرة فى معظم الحالات اذا روعيت دقة المعلومات اللازمة عن الهدف وكفاءة التدريب والتخطيط للعملية ، واذا ما تحقق عنصر المفاجأة نتيجة لذلك كله ، وللمحافظة التامة على اجراءات السرية والتمويه وتضليل العدو ، واذا ما تمتع الرجال المنفذون بالجرأة اللازمة والقدرة العالية على التصرف بمرونة وثبات اعصاب ازاء الظروف العملية التى تختلف بعض الشىء وربما كلية عما كان مفروضا ، وبطبيعة الحال فقد كان تخلف وسائل الانذار المبكر عاملا مساعدا فى نجاح عملية « أبين ايمايل » مثلا ، الا ان وجود جهاز الرادار والمدفعية المضادة للطائرات لم يحل دون امكان تحقق عنصر المفاجأة بالنسبة لعملية « برينفال » ، وقد تطورت وسائل القتال حاليا وتطورت ايضا وسائل النقل الجوى ووسائل الانذار الرادارى او الانذار المحلى فى حراسة المنشآت الهامة الا ان الخبرة التاريخية فى مجال التكتيك العسكرى تثبت ان من الممكن دائما التغلب على أى سلاح أو عتاد او نظام دفاعى متى توفرت القدرة على الفهم الجيد للامكانيات التى يمكن ان يقدمها التكنيك والخيال الذكى المبدع والارادة المنفذة القوية التى تدفعها روح القتال والايمان بهدفه .

ولم تعد الطائرات الشراعية مستخدمة الان عالميا فى القوات المحمولة جوا ، كما ان استخدام المظليين اصبح لا يتم فى غالب الاحوال الا فى ظل توفر سيطرة جويةشبه كاملة علىمسرح الاحداث، الا ان اختراع وتطوير طائرات الهليكوبتر اعاد من جديد زمام المبادرة او امكان الاخذ به الى ايدى هذهالتشكيلات وخاصةبالنسبة للعمليات الصغيرة من النوع الفدائى سالف الذكر ، اذ ان هذه الطائرات يمكنها الطيران قريبا من الارض تحت مدى رؤية الرادار فى كثير من الاحوال ، كما ان هناك انواعا كبيرة منها بعيدة المدى تقطع مئات الاميال دون تزود بالوقود ، ويمكنها حمل عدد كبير من الرجال قد يصل الى ٧٠ او ٩٠ جنديا بكامل سلاحهم ، وتستطيعايضا انتحمل عربات مصفحة او مدرعات خفيفة تحمل مدافع م/د او م/ط او ميدان او قواذف صواريخ «كاتيوشا» الخ وتنزلها حيثما تريد ، هذا بالاضافة الى القدرة على المناورة المتوفرة لهذه الطائرات ، اذ انها تستطيع ان تصعد بالقوة مرة اخرى لتعود بها الى القاعدة، او تغير مكان الهجوم الخ على خلاف الحال بالنسبة لقوات المظلات أو الطائرات الشراعية .

وقد يوفر مستقبل التكنيك الصناعى ايجاد القوة المحمولة جوا التي تستخدم طائرات نفاثة عمودية اذ وجدت فعلا النماذج الاولى من طائرات القتال النفاثة من هذا النوع .

والامر الجوهرى المستفاد من هذه العمليات أنه يجب دائما وضع الاحتمالات التى تبدو صعبة التحقيق او غير متوقعة بشكل معقول محل الاعتبار عند تنظيم الدفاع ضد عمليات قوات الجو خاصة بالنسبة للعمليات الفدائية الصغيرة ، لان سر نجاح مثل هذه العمليات انما يعتمد دائما على اسلوب الاقتراب غير المباشر من الهدف ، واتخاذ الخط الاقل توقعا من جانب العدو على حد قول « ليدل هارت » فى نظريته الشهيرة عن استراتيجية الاقتراب غير المباشر
« Strategy of indirect App roach »

---

[١٤] Buckley, Christopher « Norway. The Commandos. Dieppe », London, H.M.S.O, 1951, P. 201.



● الجمهورية العربية المتحدة ●

مؤتمر القيادات الصحفية
يناقش قضـــايا
التعبئة الشعبية

●

● بلغـــاريا ●

« كل شيء لمصلحة الانسان »

●

● باكســـــتان ●

التصـــدى لجـــذور المشـــكلة
هـــو بـــداية الحــــل

●

● الاتحاد السوفيتى ●

المؤتمـــر الـــرابع والعشرون
للحزب الشـــيوعى السوفيتى

■ اتحاد الجمهوريات العربية

خطوة وحدوية ونشاطات سياسية واسعة

كان كل من الرؤساء الثلاثة : **أنور السادات ومعمر القذافي وحافظ الاسد** ، قد بدأوا محادثاتهم — مع الوفود التي مثلت الدول الثلاث — في **القاهرة** ثم انتقلوا الى **بنغازي** لاستكمالها ،وبعد مناقشات كثيرة — ثنائية وجماعية — عاد كل رئيس الى عاصمة بلاده ليعلنوا — في وقت واحد — قيام « اتحاد الجمهوريات العربية » .

وقد حدد الاعلان أن دولة الاتحاد « قاعدة صلبة لحركة النضال العربي وأحد الروافد الهامة لحركة التحرير العالمية ، وحدد أهداف قيام دولة الاتحاد بأن تكون : **أولا** : نواة لوحدة عربية أشمل . **ثانيا** : نواة تستقطب النضال الوحدوي للجماهير العربية وبالتالي سبيلها لتحقيق هدفها في اقامة المجتمع العربي الاشتراكي الموحد . **ثالثا** : الاداة الرئيسية للامة العربية في معركة التحرير » . واستطرادا لهذه الاهداف قرر الرؤساء الثلاثة بالاجماع أن تحرير الارض المحتلة هو الهدف الذي ينبغي أن تسخر في سبيله كل الطاقات والامكانيات ، وأنه لاصلح ولا تفاوض ولا تنازل عن أي شبر من الارض العربية المحتلة، كما أنه لاتفريط في القضية الفلسطينية ولا مساومة عليها .

وقد أوضح البيان عزم الدول الثلاث على دعم الاتحاد وأهدافه بدعوة « **القوى القيادية** » فيها الى تكوين « **جبهة سياسية** » فيما بينها ترتبط بميثاق للعمل القومي في اتحاد الجمهوريات العربية من أجل تحقيق التفاعل والترابط بين شعوب الاتحاد وترسيخ أسس الديمقراطية فيها وخلق المناخ الملائم لقيام « **الحركة العربية الواحدة** » ، وأكد البيان أن الباب مفتوح للانضمام للاتحاد أمام كل دولة عربية متحررة تؤمن بالوحدة العربية وتعمل من أجل اقامة المجتمع العربي الاشتراكي الموحد ، وقد تم الاتفاق على تشكيل لجنة ثلاثية تتولى وضع مشروع دستور الاتحاد في اطار الاحكام المرفقة **باعلان بني غازي** أساسا لاقامة الإتحاد ، وأن يتم اقرار الدستور في كل جمهورية وفق الصيغ الدستورية المعمول بها لديها .

أما احكام الاتحاد فتقضي بوجود علم واحد وشعار واحد ونشيد واحد وعاصمة واحدة ، وان نظام الحكم « ديمقراطي اشتراكي » ، ويختص الاتحاد بوضع اسس السياسة الخارجية وتنظيم وقيادة الدفاع عن الاتحاد ودوله وذلك عن طريق انشاء قيادة عسكرية واحدة ، ويتم نقل القوات بين الجمهوريات بقرار من مجلس الرئاسة « او من يفوض في ذلك » . ويختص أيضا بحماية الامن القومي وتأمين سلامة الاتحاد فقد نص اتفاق الاتحاد على أنه « اذا وقعت اضطرابات من الداخل أو الخارج في احدى الجمهوريات تهدد أمنها أو تهدد أمن الاتحاد .. تخطر حكومة هذه الجمهورية الحكومة الاتحادية فورا ، لكي تقوم هذه الاخيرة باتخاذ الاجراءات الضرورية ضمن حدود صلاحيتها لحفظ الامن والنظام ، وفي حالة ما اذا كانت حكومة احدى الجمهوريات الاعضاء في وضع لايسمح لها بطلب العون من الحكومة الاتحادية أو اذا كان أمن الاتحاد في خطر — فللسلطات الاتحادية أن تتدخل وبدون طلب لحفظ النظام واعادة الامور الى نصابها » . كما نص على التخطيط للاقتصاد القومي والتعليم والاعلام والبحث العلمي ،ويقبول أعضاء جدد في الاتحاد باجماع الرأى في مجلس الرئاسة ، أما مؤسسات الاتحاد فهي : مجلس رئاسة — هو السلطة العليا للاتحاد — ويتكون من رؤساء الجمهوريات الذين ينتخبون رئيسا للمجلس ، وعدد من الوزراء يعينهم مجلس الرئاسة ، ومجلس أمة يشكل من ممثلي مجالس الشعب لكل من الجمهوريات بعدد متساو من الاعضاء ، ومحكمة دستورية اتحادية تختص بالفصل في المنازعات بين المؤسسات وسلطات الاتحاد والجمهوريات وتتكون من عضوين من كل جمهورية .

ومن الجدير بالذكر أن الرئيس جمال عبد الناصر كان قد أعلن في احتفالات الثورة السودانية بعيدها الاول في مايو ١٩٧٠ « اننا نقاتل من أجل أمة واحدة ، من أجل وطن واحد ومن أجل شعب واحد وضد عدو متكالب علينا جميعا ، ولكنا حين نكافح يجب أن نكافح بسلاح قوي قادر هو سلاح وعي الجماهير ، سلاح وعي الشعب ، سلاح معرفة الجماهير

لكل خطوة نتخذها ، ويجب علينا أيها الاخوة قبل أن نتخذ أى خطوة من الخطوات أن نعرضها على الشعب بتنظيماته السياسية ، حتى لايضلل الشعب من القوى الاجنبية والاذاعات الاجنبية.. هذا ايها الاخوة الدرس الذى أخذناه بعد انفصال الوحدة الرائدة فى ١٩٥٨ ، يجب أن تكون الشعوب على وعى تام بكل خطوة نتخذها » . وأضاف قائلا « لقد اتفقنا على أننا فى اى خطوة نتخذها نطرحها للمناقشة على الجماهير الشعبية، فاذا وافقت الجماهير الشعبية على هذه الخطوة فاننا نضعها موضع التنفيذ واذا وجدت الجماهير الشعبية أنها تريد مزيدا من الايضاح ، او مزيدا من الدراسة . فليكن مزيد من الايضاح ومزيدا من الدراسة » .

وأضاف **عبد الناصر قوله** : « ان القوى الوطنية الثورية مطالبة قبل أى شىء آخر بأن تبنى قواعدها الاساسية فى أوطانها ومع جماهيرها ... وحين اتحدث عن القواعد الاساسية فلست أعنى بذلك قواعد السلطة ... ان الجماهير هى القوة الحقيقية والسلطة بغير جماهير مجرد تسلط معاد لجوهر الحقيقة ... وذلك كله يخدم تحقيق لقاء القوى الثورية ذلك لانها فى هذه الحالة سوف تتقدم الى ميدان اللقاء القومى على العمل الثورى وهى أكثر وضوحا من تأثير تفاعل فكرها بجماهير شعبها . . . ووحدة القوى الثورية بذلك سوف تقدر على تحمل مسئولية المواجهة الخطيرة المفروضة الان على الامة العربية والتى لا تحتمل بالنسبة لها — وفى النتيجة الاخيرة — غير النصر الكامل » .

ومن الجدير بالذكر أن الرئيس **جعفر نميرى** الذى حضر جانبا من مناقشات الاتحاد — فى القاهرة — قد أعلن تأييد الثورة السودانية وترحيبها بالاتحاد وقال « ان السودان سينضم الى الاتحاد فور أن يستكمل انشاء المؤسسات الدستورية فيه » ، ثم أضاف « ان الاتحاد خطوة ضرورية لتعبئة المصادر القومية فى المعركة ضد اسرائيل » .

وتمت عدة لقاءات فى ج.ع.م. لدراسة مشروع اتحاد الجمهوريات العربية، بدأت باجتماع اللجنة التنفيذية العليا الذى استمر سبع ساعات ، تلاه اجتماع اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى، واستغرق اجتماعها خمس ساعات ، أعقبه تصريح مصدر مسئول بأنه نظرا لكثرة من طلبوا الكلمة فى الموضوع وأهميته فقد تقرر تشكيل لجنة فنية لتلقى جميع الآراء وتقديم تقرير عنها الى اللجنة المركزية التى تجتمع من جديد فى موعد يحدد هذا الاسبوع . وقد شكلت اللجنة برئاسة السيد عبد المحسن أبو النور .

والمناقشات التى تمت والحوار الذى يجرى حاليا يدور فى اطار قناعة وايمان بقضية الوحدة وبهدف توفير الظروف والمقومات الكفيلة بنجاح أى عمل وحدوى عن طريق استقراء التجارب السابقة على طريق الوحدة العربية لتحديد ايجابياتها وسلبياتها ، والاستفادة من هذه الخبرة فى حماية التجربة الجديدة من الاخطاء ، مع محاولة ادخال الاعتبارات الواقعية ، بمعنى أن الشكل السياسى للوحدة ينبغى الا ينطوى على تجاهل الحقائق المحلية ، فلا يلغى الجزء من أجل الكل ان الوحدة العربية يجب أن تكون صيغة وثيقة للتوفيق بين الجزء والكل واحترام التنوع فى اطار التجمع حتى لاتظهر الفرصة لضرب القومية لحساب الاقليمية !!

والاتجاه العام هو تأكيد الحرص على التفاف الجماهير حول شعار الوحدة وتبنيهم لهذا الشعار ودعم شعبية الوحدة على نطاق دول الاتحاد جميعا وفى المجال العربى كله فالجماهير هى خط الدفاع الاول فى حمايتها طالما شاركت فى صياغة اطار الوحدة ومقوماتها .

●

مؤتمر القيادات الصحفية يناقش قضايا التعبئة الشعبية

قامت **لجنة الثقافة والفكر والاعلام** فى الاتحاد الاشتراكى بعقد دورة من الاجتماعات مع القيادات الصحفية فى الجرائد اليومية والمجلات الاسبوعية والشهرية . وقد بدأت هذه الاجتماعات التى عقدت فى مقر اللجنة المركزية يوم ٢٧ مارس

الماضي واستمرت ثلاثة أيام ، ورأس المؤتمر **ضياء الدين داود** عضو اللجنة التنفيذية العليا واشترك معه عدد من أعضاء لجنة الثقافة والفكر والاعلام من بينهم **د. حكمت أبو زيد** ، كما حضر بعض هذه الاجتماعات **محمد فائق** وزير الاعلام .

وكانت قد سبقت هذا المؤتمر من قبل — وفي تواريخ متفاوتة منذ أواخر عام ١٩٧٠ ، عدة اجتماعات ولقاءات بين لجنة الثقافة والفكر والاعلام من ناحية ومن ناحية أخرى بين :

— ممثلي الصحافة والاذاعة والتليفزيون ، وذلك بهدف وضع توصيات المؤتمر القومي فيما يتعلق بالاعلام موضع التطبيق .

— لجان الوحدات الاساسية للاتحاد الاشتراكي في المؤسسات الصحفية .

— أعضاء مجلس نقابة الصحفيين .

— رؤساء وأعضاء مجالس ادارات المؤسسات الصحفية .

وفي هذه اللقاءات جرى نقاش وتبودلت الاراء حول ضرورة وجود خطة اعلامية ، ووضع ميثاق للعمل الصحفي ، وأشير الى أهمية دراسة مشكلات العمل الاعلامي ، ودور نقابة الصحفيين فيما يتعلق بخطة الاعلام ، والعلاقة بين النقابة وبين لجنة الثقافة والفكر والاعلام .

ويرى المراقبون أن مؤتمر القيادات الصحفية الذي عقد في أواخر مارس الماضي يأتي امتدادا طبيعيا للاجتماعات واللقاءات التي أشرنا اليها فيما سبق .

وفيما يتعلق بهذا المؤتمر الاخير الذي اشترك في أعماله أكثر من ٥٠٠ صحفيا ينتمون الى مختلف المؤسسات الصحفية ، فقد كان محور المناقشات فيه هو : **دور الصحافة في تعبئة الشعب من أجل معركة التحرير .**

وفي بداية المؤتمر اتجهت لجنة الثقافة والفكر والاعلام الى فتح الطريق أمام المجتمعين ليبدوا رأيهم في النقاط التي يتعين أن تطرح في المؤتمر ، ومن أجل ذلك تكونت « لجنة عمل » من بعض أعضاء المؤتمر قدمت يوم ٢٨ مارس ، أي في

التقاليد الصحفية في حركة النشر

نشر معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية مؤخرا كتابا بعنوان « **دراسات استراتيجية وعسكرية عن فلسطين** » تأليف **حسن عبد الخالق مطاوع** وقد تبين ان المؤلف قد اورد في القسم الاول من الكتاب الذي تناول فيه التطور التاريخي للاستراتيجية ونظرياتها نص المقال المنشور في « **الطليعة** » بعنوان « **اضواء حول الاستراتيجية العسكرية** » **لمحمود عزمي** في عدد مارس ١٩٧٠ ابتداء من الصفحات ٤٩ الى ٥٩ بالكامل ودون اي تصرف ودون اشارة الى المرجع الذي نقل عنه كما نشرت في المقال المذكور وذلك في الصفحات ابتداء من صفحة ٢٥ حتى ٥٢ من الكتاب السابق الاشارة اليه ، هذا علما بأن كاتب مقال الطليعة قد اورد في الهوامش بيان المراجع التي استند اليها ومواضع المقتطفات التي استقاها من هذه المراجع في اصول تلك المراجع الامر الذي لم يفعله مؤلف الكتاب المذكور في اي قسم من اقسام كتابه .

هذا كما سبق ايضا ان نشرت مجلة القوات الجوية في عددها الصادر في ديسمبر ١٩٦٩ مقالة بعنوان « **تطور الدفاع الجوي** » في صفحة ١٢٢ وذكرت ان المقال المذكور هو من تلخيص « **موريس سليمان** » وذلك دون ذكر للمرجع الاصلي الذي لخص منه الكاتب المذكور مقاله وهو مقال « **خبرات عن الدفاع الجوي** » لمحمود عزمي المنشور في مجلة « الطليعة » عدد يوليو ١٩٦٨ في الصفحات من ٧٧ حتى ٩٤ الذي نقل الكاتب المذكور نحو ست صفحات كاملة منه دون اي تصرف او تلخيص ودون ذكر ايضا للمرجع الاصلي او المراجع التي اوردها كاتب المقال في مقاله بالطليعة . والواقع ان كلا الموقفين يعكسان ظاهرة يجب الحد من استشرائها في حياتنا الثقافية وفي حركة النشر والتأليف .

ان التقاليد الصحفية المعمول بها في جميع انحاء العالم تحتم ضرورة ان يذكر الكاتب او المؤلف المصادر التي يستقي منها معلوماته ، بل وافكاره ، فبالاحرى ان ينص على المصادر التي ينقل عنها صفحات بكاملها .

ولا شك انه يسعدنا ان يستند بعض الكتاب الجادين الى ما ننشره بالطليعة ولكننا نشير الى هذه الظاهرة املا في ان يراعي الكتاب والمؤلفون في مصر تلك التقاليد ويلتزموا بها

« **الطليعة** »

اليوم التالي لافتتاح المؤتمر ، ورقة عمل طرحت فيها أربع نقاط رئيسية تندرج تحت كل نقطة منها أكثر من قضية ، وهذه النقاط الرئيسية هي :

١ — طبيعة المرحلة الجديدة التالية ليوم ٧ مارس ١٩٧١ .

٢ — الخط السياسي والفكري للصحف في هذه المرحلة .

٣ ـ الخط الاصلاحى للصحف وقضية المعلومات .

٤ ـ قضايا متفرقة .

وفى بداية المناقشات قدم **ضياء الدين داود** تصوره للعلاقة بين الاتحاد الاشتراكى وبين الصحافة كجهاز اعلام فحدد :

ـ انها علاقة عضوية ، لكن طبيعة هذه العلاقة لاتعنى انها علاقة تسلط .

ـ أنه لما كانت الصحافةهى احدىالوسائل الرئيسية التى تعمل على تشكيل فكر الجماهير فان الاتحاد الاشتراكى باعتباره تنظيما سياسيا وشعبيا يعمل لتكون الصحافة اداة تخدمأهدافه فى قيادة الجماهير وتحقيق الوحدة الفكرية فى صفوفها على اعتبار أن الوحدة الفكرية حول القضايا الاساسية المرتبطة ببناء المجتمع هى الوعى الذى بدونه لاتستطيع الجماهير انجاز مهام التحول الاشتراكى .

وعندما بدأت المناقشة فى النقاط التىتضمنتها ورقة العمل طرحت قضايا هامة ، وتبلورت اتجاهات رئيسية يمكن أن تلخص فيما يلى :

● ان الاعلام يحقق مهامه فى رفع مستوى التعبئة والانضباط فى الجبهة الداخلية كلما توفر للعاملين فى حقل الصحافة تحديد جيد ورؤية سليمة لطبيعة المرحلة القادمة بما تنطوى عليه من مخاطر وصعوبات .

● ان المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التى تشغل بال المواطن العادى وان كانت مشاكل جدية بالفعل ، وتستحق المعالجة والاهتمام من جانب الصحافة ، الا أنه ينبغى أن تعالج فى اطار معركة التحرير ، وبالكيفية التى تحسن مستوى التعبئة ولا تسرح الجماهير من أرض المعركة ، وفى هذا أيضا تدخل ازالة التناقض بين جو الجدية الذى تتطلبه المعركة وبين موضوعات ومواد الاثارة الرخيصة التى لاتخدم قضية رفع الانضباط فى الجبهة الداخلية .

● أهمية أنتكسب الصحافة ثقة القراء ، وهذا يتأتى بتمكين القيادات الصحفية من الاطلاع على المعلومات الصحيحة ، وهذا يعنى أن يهتم المسئولون فى أجهزة الاعلام باطلاع الصحافة أولا بأول على تطورات الموقف .

ولقد دارت بالفعل مناقشات مفيدة ومثمرة حول تحديد طبيعةالمرحلة بعد ٧مارس ومتطلبات التعبئة الداخلية ، والوضع العربى والنواقص والثغرات فى الجبهة العربية ، وحول الموقف الدولى وعلاقة بلادنا بمعسكرات الاصدقاء والخصوم والاعداء، وساداتفاق على أنالاسلوب العسكرى سيكون فى المرحلةالقادمة هو أسلوب التعامل الرئيسى مع العدو ، وان هذا يحتم مضاعفة العمل السياسى والدبلوماسى علىجميع الجبهات ، وفى مناقشة موقف الولايات المتحدة الامريكية كان الرأى السائد هو أن الامبريالية الامريكية بطبيعتها العدوانية، وبعلاقاتها الحالية مع اسرائيل ، وبسبب عدائها للخط الاقتصادى والاجتماعى الذى تسير عليه بلادنا ، هذه الامبريالية يصعب أن تعزل عن اسرائيل أو أن تحيد فى الصراع القائم ، وان كان هذا لايعنى بالضرورة قطع كل علاقة سياسية أو دبلوماسية بالولايات المتحدة الامريكية .

وعندما أثيرت القضاياالمتعلقة بعلاقةالصحافة كجهاز اعلام بالاجهزة السياسية والتنفيذية اشترك فى المناقشة **محمد فائق** وزير الاعلام فأكد على عدد من النقاط فى مقدمتها :

ـ اهتمام وزارة الاعلام باطلاع الصحافة على تطورات القضية الوطنية ، وفى هذا وضعت وزارة الاعلام جميع الوثائق تحت نظر رؤساء التحرير .

ـ وافق الوزير على أهمية اللقاءات الدورية بين المسئولين فى الوزارة وبين رؤساء التحرير وأشار الى أنه لايمانع فى أنتصبح هذهاللقاءات أسبوعية فى المستقبل .

وفى نهاية المؤتمرقام **ضياءالدين داود** بتلخيص الخطوط العامة لاتجاهات المؤتمر خلال فترة انعقاده التى استمرت ثلاثة أيام ، فأكد على:أن مصر تواجه فى هذه المرحلة أخطر وأشرس تحد واجهته فى تاريخها ، انها تواجه العنصرية الصهيونية ممثلة فى اسرائيل ، والامبريالية الامريكية ، وهذا التحدى يستهدف القضاء على الثورة المصريةوعلى دور مصرالطليعى فىالوطن العربى،وهذا التحدىيتطلبتعبئةشاملة سياسية واقتصادية واجتماعية ، وعلى الصحافة تقعمهمة أساسية فى تنظيم الشعب وتسليحه بالوعى .

ثم أشار الى متطلبات التعبئة فى المرحلة القادمة ، وفى مقدمتها :

ـ ان التعبئة تتنافى مع أية بلبلة فكرية فى المرحلة الحالية ، وان كانت لاتغنى عن حوار يتحرى الحركة فى اتجاه التعبئة .

ـ للاعلام دور فىتوعية الجماهير بمقتضيات المعركة وتضحياتها لايحول دون هذا استعداد الجماهير لكل التضحيات .

ـ تنفيذ ما أعلنه وزير الاعلام من استعداد السلطات المسئولة اعلاميا لتزويد الصحفيين بكل الحقائق والوثائق والصحف والمجلات الاجنبية ، تمكينا لهم من طرح الحقائق التى تزيل أى لبس، وتبدد آثار الاذاعات والاشاعات المعادية .

ـ تقتضى التعبئة أن تلتزم سياستنا الاعلامية بالخط الصحيح الذى يربط بين اعداد الجماهير للمعركة من ناحية وبين احتياجات الجماهير اليومية [الخدمات التثقيفية .. الخ] .

ويرى المراقبون أن مؤتمر القيادات الصحفية كان تجربة ايجابية من حيث أنه مكن عددا كبيرا من العاملين من طرح قضايا سياسية واعلامية هامة ، ويرى المراقبون ان تنظيم عقد مثل هذا المؤتمر يمكن أن يكون من الوسائل الديموقراطية فى اتجاه ادارة حوار بناء وحر وموضوعى حول قضايا الاعلام المختلفة .

■ ■

■ **الوطن العربى :**

معارك البترول فى الوطن العربى

وقعت فى **طرابلس** فى ٢/٤ الماضى اتفاقية البترول الجديدة بين ليبيا واحتكارات البترول العالمية ، ومعظمها من الشركات الامريكية التى تستثمر الحقول الليبية وتجنى أرباحا خيالية من وراء عملية نقل وبيع البترول الليبى الى أوروبا ، وفى وقت بلغت فيه أجور النقل حدا قياسيا .

وقد أجبرت هذه الشركات على رفع سعر البرميل الخام الى ٤٥ر٣ من الدولارات بزيادة ٩٠ سنتا ، وزيادة معدلات ضريبة الدخل الى ٥٥ فى المائة بزيادة ٥ فى المائة ، والتزام الشركات بدفع فروق الاسعار منذ عام ١٩٦٥ الى سبتمبر ١٩٧٠ ، وزيادة الاسعار سنويا بنسبة ٥ر٢ فى المائة وسبعة سنتات من السعر المعلن الثابت ، وتحقق هذه الزيادة فى الاسعار ما يزيد على ٢٢٠ مليون جنيه ليبى سنويا .

هذا **فضلا** عن تعهد الشركات باعادة استثمار جزء **معقول** من الارباح فى عمليات البحث والتنقيب عن آبار جديدة ، واقامة صناعة بتروكيماوية فى البلاد . وكانت عمليات الحفر التى تقوم بها هذه الشركات قد قلت الى النصف ، بعد ثورة أول سبتمبر ١٩٦٩ فى ليبيا .

وهذه الاتفاقية وان كانت تضمن للشركات الحصول على البترول مدة السنوات الخمس القادمة حتى عام ١٩٧٥ وهو تاريخ انتهاء الاتفاقية ، الا أنها فى نفس الوقت لا تحد من حرية وحركة ليبيا او تضع نهاية لمطالبها فى المستقبل ، الامر الذى يعد مصدر قلق بالنسبة لهذه الشركات ، وعلى الاخص فيما يتعلق بشرط اعادة استثمار جزء من الارباح فى البلاد ، وهو ما كانت الشركات تقاومه أثناء المفاوضات السابقة . وفى نفس الوقت حذرت ليبيا : **انه اذا لم تقم الشركات بعمليات الاستثمار فلن يكون هناك استقرار !** .

ومن المتوقع أن تؤدى هذه الزيادة الى ارتفاع أسعار المنتجات البترولية بالنسبة للمستهلك الاوروبى بحوالى ١٠ فى المائة ، ومعظم المستهلكين من الشركات الصناعية وأصحاب السيارات فى أوروبا ، كما أن هذا النجاح الليبى لن يكون تأثيره قاصرا على ليبيا وحدها ، بل حافزا للبلدان الاخرى المنتجة للبترول لتحذو حذو ليبيا ، مثل نيجيريا التى أخذت تطالب الشركات الاجنبية بزيادة سعر بترولها الخام الى الحد الذى توصلت اليه ليبيا ، وأيضا بالنسبة لتدعيم مطلب الجزائر من فرنسا .

وفيما يتعلق بالنزاع الجزائرى الفرنسى حول مشكلة البترول ، فان الظواهر كلها تشير الى احتدام الخلاف بين الدولتين ، بسبب اقدام الجزائر فى ٢٤ فبراير الماضى على تأميم نسبة ٥١ فى المائة من شركات انتاج الغاز الطبيعى ووسائل النقل الفرنسية العاملة فى الجزائر ، وكانت هذه الشركات ماتزال تحتفظ بامتيازات كبيرة حتى الفترة الاخيرة ، وجاءت هذه التأميمات لتضع نهاية للمفاوضات بين الطرفين ، التى استمرت أكثر من عشرين شهرا ، بسبب معارضة فرنسا تعديل سعر البترول الجزائرى ، ورفض الالتزام باتفاقية عام ١٩٦٥ بينهما ، والتى تنص على زيادة سعر البترول ابتداء من أول يناير عام ١٩٦٩ .

وهذه التأميمات تتيح للجزائر لاول مرة تحديد أسعار بترولها وفق مصالحها ، وعلى أساس احتياجات السوق العالمية ، الامر الذى تعارضه الحكومة والشركات الفرنسية ، التى وجدت نفسها فى وضع الاقلية ولا تستطيع مراقبة استثماراتها وادارتها بالطريقة التى تتفق مع مصالحها ولا تحد من أرباحها .

وتحاول فرنسا بهذه المناسبة اثارة جميع المسائل الاقتصادية مع الجزائر ، وفى مقدمتها استيراد النبيذ الذى يعد من صادرات الجزائر الاساسية ، وموضوع العمال الجزائريين فى فرنسا ، وسحب المدرسين الفرنسيين بالجزائر ، بهدف الضغط على الجزائر للعدول عن موقفها ،

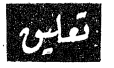
بينما ترفض الجزائر بحث هذه المسائل ، باعتبار أن مشكلة العمال والنبيذ موضوع منفصل عن موضوع البترول وان التأميم هو من صميم مصالح وسيادة الجزائر ، ولا يمكن التراجع فيه ، كما تطالب الجزائر بأن يجد الجزائريون فى فرنسا نفس المعاملة والاحترام الذى يلقاه الرعايا الفرنسيون فى الجزائر. وقد حددت الجزائر المبادىء التى تقبل على أساسها التفاوض مع فرنسا وهى : أن التأميم عمل من صميم مصالح الجزائر ، واعتبار أن رفض أو عرقلة تنفيذ خطوة الجزائر هو تدخل فى شئونها الداخلية ، كما توافق الجزائر على مبدأ التعويض العادل للشركات الفرنسية ، وأنها لن تمانع فى بيع البترول لفرنسا ، وقد قررت الجزائر بعد ذلك دفع مبلغ ١٠٠ مليون دولار كتعويض للشركات الفرنسية ، كما أعلنت عن رفع سعر برميل البترول الجزائرى الى ٣ر٦٠ من الدولارات أسوة بما قامت به ليبيا أخيرا ، واحتساب هذه الزيادة بأثر رجعى من ٢٠ مارس الماضى ··· وقد أعلن عن توقف المفاوضات بين فرنسا والجزائر ، بسبب تمسك فرنسا بمبلغ ٨٠٠ مليون دولار كتعويض لشركاتها بدلا من المبلغ الذى حددته الجزائر أخيرا ·

■ ■

■ بلغاريا :

« كل شيء لمصلحة الانسان »

فى ٢٠ من أبريل الماضى استهل المؤتمر العاشر للحزب الشيوعى البلغارى اجتماعاته بمناقشة تقرير اللجنة المركزية الذى قدمه السكرتير الاول للحزب **تودور جيفكوف** ، تلاها عرض لتقرير لجنة الرقابة ، ثم مناقشة واقرار برنامج الحزب والمشروع السادس للتنمية الاقتصادية والاجتماعية



الهدف الأخير من « مؤامرة التصفية »

عادت اصوات المدافع والدبابات الاردنية تدوى من جديد على الجبهة الشرقية ، ولكنها ليست موجهة ضد العدو الاسرائيلى ، بل موجهة كما هى العادة الى صدور الثوار الفلسطينيين .

وفى الواقع ان المعارك التى تدور هذه الايام لتصفية قواعد الفدائيين فى شمال الاردن ، لم تكن مفاجأة للمراقبين السياسيين على الاطلاق ، بل هى استطراد طبيعى ونتيجة منطقية لتسلسل وتطور الاحداث ، الامر الذى يكشف بجلاء من حقيقة وابعاد المؤامرة الامبريالية التى تنفذ اليوم بدهاء وخبث ضد المقاومة الفلسطينية باعتبارها جزءا من حركة التحرر العربية ، وباقل قدر من الجهد والتكاليف ، ووفقا للمخطط الامريكى « فتنمة الحرب » ودعوة الاسيويين الى محاربة الاسيويين وأفرقة الحرب ، وتعريب الحرب الخ ..

ولقد كان هناك بعض الظواهر الخطيرة التى اخذت تتجمع فى الافق حول هذه المؤامرة الامبريالية وهى :

● تسرب الانباء عن كميات الاسلحة والذخائر التى كانت تتدفق على الاردن من آمريكا أثناء وبعد مجازر سبتمبر ، الامر الذى لم ينكره أحمد طوقان رئيس وزراء الاردن خلال المؤتمر الصحفى فى عمان بتاريخ ١٠/١٢ واعترف بأنها لتعويض الجيش الاردنى عن الاسلحة والذخائر التى فقدها فى المعارك ضد المقاومة الفلسطينية .

● اعلان وزارة الخارجية الامريكية بتاريخ ١٠/٣٠ عن وجود بعثة عسكرية امريكية قوامها ٢٠٠ شخص ، وانها دخلت الاردن مع شحنات الادوية اثناء معارك سبتمبر ، ولم يذكر حتى الان ان كانت هذه البعثة قد غادرت الاردن أم لا ؟ .

● تكليف وصفى التل بتشكيل الوزارة الاردنية الجديدة ، لما له من دلالة خطيرة فى هذه الظروف ، خاصة وان مجيء التل قد ارتبط فى اذهان الجماهير العربية بظروف تصاعد المد المعادى لحركة التحرير العربية ، وكانت المقاومة قد اتهمته بأنه وراء مجازر سبتمبر الرهيبة .. وقد قام وصفى التل باجراء حركة تطهير واسعة داخل الاردن شملت الادارة والجيش والامن ، وطرد واعتقال كل من يثبت أن له علاقة او يتعاطف مع المقاومة الفلسطينية ، بلغت وفقا لتقديرات المراقبين فى عمان حوالى ٣٠٠٠ شخص حتى الان .

غير أن الامر لم يقف عند هذا الحد ، فقد بدأت الامور فى اتجاه تصعيد الازمة ، وراحت السلطات الاردنية تعمل على عرقلة مهمة لجنة المتابعة العربية فى الاردن ، وعدم الالتزام بتنفيذ اتفاقيتى القاهرة وعمان ، ومنع الفدائيين من مغادرة الاردن لمهاجمة العدو داخل الاراضى المحتلة ، واطلاق الرصاص عليهم اثناء العودة واعتقالهم ، وايضا تكرار حوادث اطلاق النار واتساع عمليات الجيش الاردنى ضد الفدائيين ، على نحو ماحدث فى مذبحة مدينة جرش فى شهر ديسمبر الماضى ، وسقط فيها مائة وخمسون قتيلا ، وما كان من الهجوم على

[١٩٧١ — ١٩٧٥] واختتم جلساته بانتخاب الاجهزة المركزية .

ويؤكد التقرير على حقيقةان المحتوىالرئيسي للتطور التاريخى للعالم فى المرحلة الراهنة يقرره النظام الاشتراكى العالمى ، والقوى التى تعيد تنظيم المجتمع على أسس اشتراكية ، بما يخلق الظروف الملائمة لنمو قوى الثورة البروليتارية، ويمهد لتحقيق مزيد من الانتصارات لحركات التحرر الوطنى ، ويسهل عملية انتقال مجتمعات جديدة فى طريق الاشتراكية .

ويشير التقرير الى أن بلغاريا تدخل مرحلة جديدة لبناء مجتمع اشتراكى متطور ، يتم فيها بناء القاعدة المادية — التكنيكية للاشتراكية وتطوير العلاقات الاشتراكية واثراء الحياة الثقافية والروحيةورفع مستوىالرخاء الشعبى.

ويركز على الاهمية الخاصة لعمليات التصنيع الاشتراكى باعتبارها حجر الزاوية فى اعادة التنظيم الاشتراكى للاقتصاد الوطنى ، كما تمثل المجمعات الزراعية الصناعية والنظام التعاونى فى الريف دعائم للدفع بعجلةالانتاج ودعمالوحدة بين الطبقة العاملة والفلاحين .

ويخطط التقرير لدور الحزب فى تطوير الهيكل الاقتصادى بتنمية قوى الانتاج بمعدلات مرتفعة وثابتة والاستمرار فى تكثيف الاقتصاد ، والاستخدام الامثل لاحدث منجزاتالثورة العلمية التكنولوجية بالتوسع فى ادخال الالية « الاوتوميشن » ، والسوبرناطيقا فى العمليات التكنيكية ، والمشاركة فى تقسيم العمل الدولى وتوسيع التكامل الاقتصادى بينبلغاريا والبلدان الاشتراكية الاخرى .

ويحرص الحزب علىتنمية العلاقاتالاشتراكية للانتاج ، من خلال تدعيم وتطوير الملكية الاشتراكية — العامةللدولة والملكيةالتعاونية — مما يزيد التقارب والتداخل بينهما ، كما يمكن تعميق الطابع الاشتراكىللملكية عن طريقالكفاية

معسكرات اللاجئين وتدمير مخازن اسلحة الفدائيين فىضواحى عمان فى شهر يناير وفبراير الماضيين ، ثم المعارك الاخيرة التى تجددت فى اواخر شهر مارس لتصفية قواعدالفدائيين فى مدينة اربد وجرش وبقية مدن الشمال ، مما يوضح نية السلطات الاردنية فى تصفية المقاومة الفلسطينيةتدريجيا وعلى مراحل .

والمعروف أن استقرار الوضع فى الشرق الاوسط يعنىفى لغة واشنطن القضاء على الفدائيين ، او المخربين كما تصفهم واشنطن وتل أبيب قضاء نهائيا فى المنطقة وطلب الملك من الباهى الادغم رئيس لجنة المتابعة العربية فى الاردن لتنفيذ اتفاقيتى القاهرة وعمان ، تصفية اللجنة لاعمالها فى الاردن ، وقد غادر الباهى الادغم الاردن فى شهر يناير ولم يعد اليها بعد ذلك .

وكانت آخر هذه الحلقات فى سلسلة الشواهد والادلة ، هو ماذكرته الانباء فى الشهر الماضى عن تسلم الحكومة الاردنية أسلحة امريكية جديدة ، وتزويد الاردن بمائة دبابة سنتوريون امريكية عن طريق هولندا ، وتسليح وحدات الجيش الاردنى ببنادق [م ١٦ س] الاوتوماتيكية وهى من نفس النوع الذى يستخدمه جيش حكومة سايجون العميلة ضد ثوار فيتنام ، وايضا عن تهديد ايجال الون بتدخل عسكرى اسرائيلى لمنع ما اسماه بالتدخل العربى فى الاشتباكات الدائرة بين الجيش والمقاومة فى الاردن .

انه فى الوقت الذى يعود فيه اسم فلسطين الى الظهور ، بعد ان قام الاستعمار بمحو اسمها من خريطة العالم العربى طوال العشرين سنة الماضية ، وتصاعد المقاومة الفلسطينيةفى الاراضى المحتلة ، تحاول القوى الرجعية اليوم تحقيق ما عجزت عنه القوى الامبريالية والصهيونية العالمية ، وهو القضاء على حركة المقاومة كطليعة للشعب الفلسطينى ، ذلك ان عدد ضحايا الفلسطينيين برصاص الغدر والخيانة منذ حرب يونيو عام ١٩٦٧ ، يفوق الى حد كبير وبدون مبالغة عدد ضحايا الفلسطينيين برصاص اسرائيل والاستعمار منذعام ١٩٤٨ حتى اليوم ، ويؤكد حقيقة الدور الذى تقوم به السلطات الاردنية فى تصفية المقاومة الفلسطينية واستنزاف حركة التحرر العربية .

ان كل الشواهد فى الوقت الحاضر تشير الى ان هدف المخطط الامبريالى الصهيونى من تصفية المقاومة الفلسطينية ، هو الابقاء على طرف واحد ، اى السلطة الاردنية ، فى اىمجال للتفاوض فى المستقبل يستهدف التصفية وفرض الحلول الاستسلامية والانهزامية على الامة العربية ، بعد ان سادتفكرة ضرورة اشراك الحركة الفلسطينية فى اية تسوية سياسية حتى بين القوى المعادية نفسها ، بفضل النضال البطولى للمقاومة الفلسطينية ، وفى الوقت الذى يسقط فيه الحل السلمى وفشل اسرائيل وامريكا فى تحويل وقف اطلاق النار الى حالة دائمة فى المنطقة ، والذى تتم فيه التعبئة والاستعداد للمعركة ، وهو ما لن يسمح به شعب الجمهورية العربية المتحدة وبقية شعوب الامة العربية تحت أى ظرف كان .

وديع أمين

فى تقسيم العمل ومن خلال اقامة المشروعات المشتركة والمنظمات الاقتصادية الموحدة مع البلدان الاشتراكية الاخرى .

كما يضمن هذا الاتجاه توفير عناصر ومقومات التغلب التدريجي على الفوارق الطبقية ، والتوصل الى مزيد من المساواة الاجتماعية ، كذلك فان الزيادة فى حجم الطبقة العاملة ودعم دورها القيادى والتغييرات الهامة التى تنتاب الفلاحين التعاونيين سوف تزيد من ترابط الفئات الاجتماعية المتباينة .

ويشير تقرير اللجنة المركزية الى ضرورة مراعاة التوسع فى ميزانية الاستهلاك العام ، المخصصة لمواجهة مطالب الجماهير العاملة كلها ، بغض النظر عن نوعية أو كمية العمل الذى يؤدونه ، خاصة فى مجال التعليم والخدمات الصحية ورعاية وتربية الأطفال . ان سياسة **رفع الاجور وخفض الاسعار** ستظل من الخصائص المميزة لسياسة الحزب ، لسد الاحتياجات المادية والمعنوية المتزايدة لابناء الشعب ، ثم خط **الخفض الثابتة ليوم وأسبوع العمل** على أساس رفع انتاجية العمل ، باستخدام أحدث الاساليب العلمية ومنجزات التقدم التكنيكى .

ويؤكد الحزب على الاهمية الخاصة للتثقيف الشيوعى للشعب العامل ، ويرى الا تهادن فى الصراع الايديولوجى ولاتوفيق فى المجال الفكرى فى النضال ضد البورجوازية ، والعادات والتقاليد التى تراكمت خلال آلاف السنين من سيادة المجتمعات الطبقية .

ومن أهم القضايا التى طرحت على بساط البحث ، قضية تطوير الديمقراطية الاشتراكية ومهام الحزب فى مجال الادارة وبناء الدولة واستكمال الكفاية فى التخطيط وتحسين أساليب تطبيق المركزية الديمقراطية ، وقد أكد المؤتمر على ضرورة التوسع فى تطوير حقوق ووظائف المؤسسات الجماهيرية بمشاركة العاملين فى ادارة الانتاج ، وادخال نظام انتخاب القادة الاقتصاديين وتوفير أفضل أساليب اختيار وتدريب الكادر القيادى فى هذه المجالات ، هذا بالاضافة الى دعم الشرعية الاشتراكية ، فقد تقرر أن تعرض كافة القوانين والقرارات الاساسية للمناقشة الشعبية على النطاق القومى .

وأقر المؤتمر الاتجاه الى زيادة فاعلية وكفاية المجلس الوطنى ، ومجالس الشعب (الاجهزة المحلية لسلطة الدولة) ، وتحسين النظام الانتخابى والرقابة الشعبية ، وأعلن أن الحزب « يعتبر التوسع فى ممارسة النقد شرطا ضروريا للنضال الثابت ضد الظواهر السلبية وللدفع قدما بالتنمية الاقتصادية »

واشار تقرير اللجنة المركزية ـ الذى اقره المؤتمر ـ الى أن سياسة الحزب فى مجال العلاقات الدولية « تتميز بثبات طابعها الاممى واصالتها الديمقراطية وعمق تمسكها بالسلام » وأنها تتوخى دعم النظام الاشتراكى العالمى والاخوة النضالية مع الشيوعيين فى شتى أنحاء العالم ، وتعمل على دعم وتشريد الكفاح الوطنى وتوحيد صفوف كل القوى الثورية فى الصراع ضد الامبريالية وحماية السلام العالمى .

وتناول تقرير الخطة الخمسية السادسة تقييما للخطة السابقة التى تم انجازها [١٩٦٦ ـ ١٩٧٠] ، أوضح أن الدخل القومى قد زاد خلال هذه الفترة بنسبة ٥٢ فى المائة ، وان ٩٥ فى المائة من هذه الزيادة ترجع الى رفع انتاجية العمل ، كما أن عائد الصناعة بالنسبة للدخل القومى زاد من ٤٤ فى المائة عام ١٩٦٥ الى ٥٠ فى المائة عام ١٩٧٠ ، وكان التقدم أبرز فى مجالات توليد الطاقة والصناعات الهندسية والكيمائية وسباكة المعادن .

وقد أدى تطبيق التكنيك الجديد فى ميدان الاقتصاد الزراعى الى زيادة الناتج الزراعى بنسبة ٢٦ فى المائة كما بذلت جهود خاصة فى تطوير المجمعات الزراعية ، الصناعية ، التى تعد من أبرز التجارب نجاحا فى التخطيط الاشتراكى .

وجاء بالتقرير أن الزيادة فى التجارة الخارجية تجاوز ٧٠ فى المائة ، كما ارتفع عدد زوار البلاد الى ١٠٫٨٠٠٫٠٠٠ سائح خلال هذه الفترة .

وهكذا ارتفع **الدخل الحقيقى** للفرد بنسبة ٣٣٫٥ ٪ .

أما الاتجاهات الرئيسية فى الخطة السادسة للتنمية فتتركز فى الاستجابة بصورة متزايدة للمطالب المتنامية المادية والروحية للجماهير والاستخدام الامثل لمنجزات الثورة العلمية التكنيكية ، ورفع انتاجية العمل الاجتماعى .

وهدف المشروع الجديد تحقيق زيادة فى الدخل القومى تتراوح مابين ٤٧ ـ ٥٠ ٪ عن مستوى عام ١٩٧٠ ، ورفع الدخل الحقيقى للفرد بمعدل ٢٥ ـ ٣٠ ٪ ، وقيدر للاستهلاك من المواد

الغذائية الرئيسية والسلع الاخرى أن يرتفع بنسبة ٣٨ — ٤٠٪ .

ويستهدف المشروع زيادة فى توليد الطاقة الكهربائية بنسبة ٥٤٪ ، كما تقام أول محطة لتوليد الطاقة النووية بكفاية ٨٨٠ ميجاوات ، ويضاعف انتاج الصلب وتزيد طاقة تكرير البترول الى ١٢ — ١٣ مليون طن فى العام ، والسلع الاستهلاكية بمعدل ٥٠٪ . ويترسم المشروع بدقة واحكام خطة العمل فى مختلف مجالات النشاط والارقام المستهدفة فى فروع الصناعة المتباينة أما فيما يتعلق بالانتاج الزراعى فتهدف الخطة الى زيادته بنسبة ١٧—٢٠٪ .

وهكذا تواصل بلغاريا تقدمها على طريق الاشتراكية ، بقيادة الحزب الشيوعي البلغارى الذى يرفع شعار « كل شىء باسم الانسان ،كل شىء من أجل مصلحة الانسان » .

وقد حضر السيد كمال رمزى ستينو مؤتمر الحزب البلغارى ممثلا للاتحاد الاشتراكي العربى .

■ ■

■ **باكستان :**

التصدى لجذور المشكلة .. هو بداية الحل

يبدو ، على الرغم من الانباء العديدة المتضاربة التى تأتي من باكستان الشرقية ، ان القوات المسلحة الباكستانية ، التابعة للحكومة المركزية ، قد استطاعت ان تؤكد سيطرة الجيش على الوضع فى باكستان الشرقية ، بعد تطهير أغلب مناطقها من عناصر [جيش تحرير البنغال الشرقية] ، الموالية للشيخ **مجيب الرحمن** ، زعيم رابطة [عوامي] ، وهى حزب الاغلبية فى باكستان الشرقية .

وقد انسحبت بقايا قوات جيش تحرير البنغال تقريبا من الاراضي التيكانت لاتزال تعمل فيها فى جنوب شرقى البنغال الشرقية ، ولجأت الى الجانب الاخر من الحدود فى الاراضي الهندية . وتم يوم ١٨ / ٤ الماضى ، اخلاء مدينة **ميهبور** ، وهى آخر المدن التي كانت تسيطر عليها هذه القوات فى تلك المنطقة . وقد صرح **كاديلكار** وزير العمل الهندى فى ٢١ / ٤ الماضى ، بأن ٢٥٠ ألفا من البنغاليين لجأوا أخيرا الى الهند ، وتم تجميعهم فى عدد من المعسكرات . ومن بين هؤلاء عدد كبير من الشباب الذى يمكنه الاشتراك فى القتال اذا ما توفر له السلاح . غير ان المشكلة التى تعانى منها قوات جيش تحرير البنغال الشرقية ، هى افتقارها للقيادة ، بعد ان أعرب الكثير من الباكستانيين الشرقيين عن خيبة أملهم فى قيادة رابطة عوامى ، التى لم تدرس بجدية كافة الاحتمالات المترتبة عن مواقفها ، ولم تعد للامر عدته .

وتواجه ما تسمى « **بحكومة جمهورية البنغال الشرقية** » ، موقفا صعبا فى الحقيقة ، فعلى الرغم من أن **نذر الاسلام** ، رئيس جمهورية البنغال الشرقية بالنيابة ، قد وجه نداء الى جميع رؤساء الحكومات ، يطالبهم فيه بالاعتراف بحكومته ، واتخاذ كافة الاجراءات كى تسترد البنغال الشرقية حقوقها الكاملة فى المجتمع الدولى ، الا ان أحدا لم يعترف بهذه الجمهورية ، التى تتكون حكومتها من خمسة محامين فقدوا فاعليتهم السياسية ، بعد اعتقال رئيسهم الشيخ مجيب الرحمن . وقد ازداد الشك فى الآونة الاخيرة ، فى قدرة هذه الحكومة على مواصلة قيادة حركةالاستقلال التى تزعمها الشيخ مجيب . وعلى أية حال ، فلا يزال يعتقد ان دور الشيخ مجيب الرحمن لم ينته تماما ، وأن كان سيصبح فى موقف أضعف بالتأكيد فى أى مفاوضات محتملة من أجل تسوية المشاكل القائمة بين شطرى باكستان .

ومما يجدر ذكره ، انه على الرغم من الانباء التى توضح ان الحكومة المركزية الباكستانية استطاعت ان تفرض سلطتها على أغلب مناطق باكستان الشرقية ، الا ان هناك عددا من الانباء التى توضح ان الموقف لم يستتب تماما فى باكستان الشرقية ، ذلك ان الحكومة المركزية دعت فى بيان رسمى أصدرته فى ٢١/٤ الماضى ، الموظفين فى باكستان الشرقية الى استئناف عملهم ، وهددتهم بالفصل اذا لم ينفذوا تلك التعليمات . كذلك وجه الجنرال **تيكا خان** ، حاكم باكستان الشرقية ، نداء من راديو داكا ، طلب فيه من شعب باكستان الشرقية عدم ايواء العناصر المعادية للحكومة المركزية . ويدل ذلك بشكل أو بآخر ، على استمرار مقاومة البنغاليين وان يكن بشكل غير مسلح أساسا . وقد أشار مراسل وكالة الانباء الفرنسية فى ٩ أبريل الماضى ، الى انه « يبدو ان هذه الحرب أتاحت للماويين فرصة ممتازة للعمل على الاستيلاء على قيادة قوات البنغال الشرقية وتوجيهها لتحقيق أهداف الثورة الاجتماعية التى يسعون اليها » ، خاصة وان العناصر الموالية للحزب الماركسى اللينينى ،

المناصرة لمبادىء ماوتسي تونج ، كانت تقاتل جنبا الى جنب مع القوات التابعة لرابطة عوامي والبوليس المحلي والمتطوعين ضد جيش الحكومة المركزية ، كما دعت قبل ذلك الى مقاطعة الانتخابات العامة ، على اساس انها تضليل من الحكومة المركزية . وعلى اية حال ، فان ظروف الاضطرابات الدموية العنيفة في باكستان الشرقية قد تتيح الفرصة لظهور نويات من هذا النوع بين العناصر البنغالية المسلحة .

ويأمل عدد كبير من المراقبين التقدميين ، الا تؤدى تطورات الموقف فى باكستان الشرقية ، الى

تعليق

الفلسفة والثورة

عقدت امانة القاهرة فى الشهر الماضى مؤتمرا سياسيا لمدرسى الفلسفة والمواد القومية فى المدارس الثانوية وما فى مستواها فى محافظة القاهرة .

وقد جاءت « توصيات » هذا المؤتمر معبرة عن « الروح الثورية » الكامنة فى المعلم والتى لم تتجسد بعد فى الكيان التعليمى والتربوى .

وثمة توصيات ثلاث جاء ذكرها من بين توصيات عدة نذكرها هنا على التخصيص لما لها من اهمية حيوية اذا شئنا تفجير « الوعى الاجتماعى » لدى الطلاب والمعلمين على حد سواء :

١ — ضرورة الاهتمام بتدريس مناهج البحث العلمى بالنسبة لطلاب شعبتى العلوم والاداب على السواء حتى تكون العقلية العلمية فى متناول الظواهر والمشكلات بما فى ذلك الظواهر الاجتماعية .

٢ — تدعيم الدراسات الفلسفية فى التعليم الثانوى بشعبتيه اسوة بما هو متبع فى الدول الاشتراكية الاخرى حتى يمكن تكوين العقلية التقدمية .

٣ — تعديل مناهج التربية فى كليات التربية والمعلمين لتلائم ايديولوجية المجتمع الاشتراكى .

واهمية هذه التوصيات الثلاث مردودة الى انها تركز على ضرورة الفكر الفلسفى للثورة ، وثمة قول ماثور انه لاثورة من غير نظرية ، والنظرية الثورية هى نظرية فلسفية تأتى معبرة عن الطبقات الاجتماعية صاحبة المصلحة فى الثورة .

ومن ثم فالنظرية الثورية هى ضرورة اجتماعية من اجل تفجير « الوعى الاجتماعى » او ان شئت الدقة فقل « الوعى الطبقى » .

ومعنى ذلك أن تفجير الوعى الطبقى لايستند فقط الى مايحدث من تغيير جذرى فى الاساس المادى للمجتمع الثائر أو ان شئت الدقة فقل البناء التحتى بدلا من الاساس المادى ، ذلك أن ثمة بناءين احدهما فوقى والاخر تحتى .

وهنا ثمة سؤال لابد أن يثار :

ما العلاقة بين البناءين ؟

هل هى علاقة ميكانيكية ؟ بمعنى أن مايحدث فى البناء التحتى ينعكس بالضرورة وبطريقة آلية على البناء الفوقى .

حاصل الواقع على غير ذلك ، فثمة قوى اجتماعية تقف معارضة للثورة حتى بعد تحقيقها ، ومعنى ذلك أن مايحدث من تغيير ثورى فى البناء التحتى بفضل الاجراءات الادارية الثورية لايعنى بالضرورة تغييرا جذريا فى البناء الفوقى وما يشتمل عليه من افكار وقيم .

اذن العلاقة بين البناءين ليست ميكانيكية ..

فماذا تكون ؟

هى بالضرورة ديالكتيكية .

لماذا .؟

لان ثمة تأثيرا متبادلا بين البناءين يدور على « الفعل » و « رد الفعل » ..

وكل من الفعل ورد الفعل لايخص بناء دون آخر وانما يخص كلا منهما ..

ومعنى ذلك أن « الايجابية » أو « الفاعلية » ليست مقصورة على أى منهما ..

ومن ثم يمكن القول بأن مسئولية البناء الفوقى مساوية لمسئولية البناء التحتى فى تفجير الوعى الطبقى . والذى يحدد مسئولية البناء الفوقى هو الفكر الفلسفى الثورى المعبر عن مصالح الطبقة الثورية .

والسؤال الان : هل الفكر الفلسفى فى مجال التربية والتعليم ثورى .؟

الجواب بالسلب فى غير مالف ولا دوران ، وانعقاد مؤتمر لمدرسى الفلسفة بقيادة أمانة القاهرة ينتهى « بتوصيات ثورية » دليل حاسم على صدق هذا الجواب .

فماذا تعنى « التوصيات » .؟

تعنى أنها لم تتجسد بعد ..

وحين نقول عن هذه التوصيات أنها ثورية فماذا يعنى هذا القول .؟

يعنى أن الفكر الثورى لم يتجسد بعد فى مجال التربية والتعليم ..

وهذا التجسيد أمر لازم ومطلوب ..

والسؤال هو : كيف .؟

ليس بتغيير الالفاظ والعناوين ، وهذا هو التغيير الشائع حتى الان ، فتارة يقال « مواد قومية » وتارة يقال « تربية قومية » وتارة يقال « اعداد قومى » ، والمطلوب حقيقة هو تغيير المضمون ..

وليس بتشكيل اللجان ، فاللجان مازالت حتى الان تفكر فى التغيير فى اطار الفكر التقليدى الذى يعتمد على السرد والقصة على التحليل العلمى او التاصيل النظرى ..

وقد يقال ردا على ذلك ان « الميثاق » ليس تأصيلا نظريا وانما هو « دليل عمل ثورى » وهذا قول حق .

وعندئذ يثار سؤال ينطوى على احراج : وماذا نحن فاعلون فى حالة « غياب » التاصيل النظرى ؟

هل ننتظر حتى يتم « حضور » ماهو غائب ؟

والانتظار ليس له الا نتيجة محتومة : شيوع ظاهرة « اللا انتماء » أو « اللا التزام » .

وفى تقديرى أنه ليس أمامنا غير طريق واحد وهو أن يكون جميع الطلاب فى نهاية المرحلة الثانوية على وعى بقضيتين أساسيتين هما :

« علمية التطور الاجتماعى » و « الايديولوجيات المعاصرة » .

الغاية من القضية الاولى ، علمية التطور الاجتماعى ، أن يعى الطلاب وحدة المنهج العلمى فى كل من العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية ، كما يعى قوانين التطور الاجتماعى بشرط أن تكشف عن الطابع الديالكتيكى لهذه القوانين حتى يتمكن الطلاب من فهم المراحل الاجتماعية التى تكون فيها التناقضات الاجتماعية مشروعة أو غير مشروعة .

والغاية من القضية الثانية ، الايديولوجيات المعاصرة ، أن يعى الطلاب « الاشتراكية العلمية » التى جاء ذكرها فى الميثاق بشرط الا نطرحها بمعزل عن الفكر الاشتراكى العالمى ، والا نطرحها على انها نقيض هذا الفكر الاشتراكى العالمى .

د . مراد وهبة

تدهور العلاقات بين باكستان والهند ، خاصة بعد ان قررت حكومة باكستان فى ٢٤ أبريل الماضى ، اغلاق مقر بعثتها الدبلوماسية فى كلكتا ، وطلبت من الحكومة الهندية اغلاق مقر المندوب السامى الهندى فى داكا . كما أبلغت حكومة باكستان الهند رسميا ، انها تعترض بشدة على المناقشات التى تجرى فى البرلمان الهندى ، بشأن الوضع فى باكستان ، والتى يدعو عدد من الزعماء الهنود فيها ، الى اتخاذ مواقف معادية لحكومة باكستان المركزية . ويبدو ان أزمة الباكستان سوف تلقى بظلالها ، بشكل أو بآخر ، على العلاقات مع الهند ، فقد صرح رئيس جمهورية الهند ، فى مؤتمر صحفى فى ١٨ أبريل الماضى ، بأن الهند تتعاطف كلية مع شعب البنغال الشرقية ، وصرح بأن حكومته فى سبيلها لدراسة مسألة الاعتراف بجمهورية البنغال الشرقية الديمقراطية .. كذلك فان هناك عناصر للاحتكاك بين البلدين ، تتمثل فى لجوء قوات جيش تحرير البنغال الشرقية الى الاراضى الهندية ، وقيام الجيش الهندى فى منطقة بتاى ، بتعزيز مساعدته لجيش تحرير البنغال ، الذى يتجمع أفراده لاستئناف القتال من نقاط تسمح بمفاجأة الباكستانيين الغربيين .

أما الصين الشعبية ، فقد أبدت حذرا شديدا تجاه أحداث باكستان الشرقية ، خاصة وان الصين تحظى بمكانة خاصة فى باكستان ، نظرا لموقفها المؤيد للباكستان ضد الهند فى النزاع من أجل كشمير ، وهى قضية بالغة الحساسية فى التأثير على الرأى العام الباكستانى . وقد فسرت طالبة بنغالية ماوية ذلك الموقف من جانب الصين لمراسل وكالة انباء غربية ، بقولها : « ان التحفظ الصينى تكتيكى ، وأمره مفهوم تماما . ذلك ان الصينيين يدركون ان الحركة البنغالية تحتاج تماما الى مساعدة الهند ، أو على الاقل الى تعاطفها معها . ويدركون أيضا ان هذه المساعدة ، وذلك التعاطف ، لن يمنحا للحركة البنغالية ، اذا ما كانت تلقى مساندة وتأييدا صريحين من جانب بكين » .

وعلى أية حال ، فان اندلاع القتال المسلح فى باكستان الشرقية ، قد أدى عمليا الى تخطى برنامج الشيخ مجيب ، ومطالبه كأساس للتفاوض من أجل حل المشكلة . ويتعين على الرئيس **يحيى خان** البحث عن حلول جديدة للمشكلة ، تتفق مع ما تطور اليه الموقف بعد الأحداث الاخيرة .●

الا ان الامر الجوهرى الذى يراه اغلب المراقبين التقدميين هو ان حل المشكلة الباكستانية ، انما يتوقف فى الواقع على التصدى لمواجهة الجذور الاصلية للمشاكل بين شطرى باكستان . وتتمثل هذه الجذور فى ان البنغاليين [سكان باكستان الشرقية] يشعرون منذ نشأة باكستان عام ١٩٤٧ انهم يعاملون كرعايا اكثر مما يعاملون كمواطنين ، على الرغم من انهم اكثر عددا بكثير من الباكستانيين الغربيين [٧٢مليون فى باكستان الشرقية و ٥٨ مليون فى باكستان الغربية] وعلى الرغم من ان باكستان الشرقية تصدر الى الخارج ما يؤمن لباكستان عامة ٦٥٪ من نقدها الاجنبى، كما يرى سكان باكستان الشرقية ان القيادة العقلية على كافة المستويات السياسية والعسكرية والاقتصادية تركزت فى اهالى باكستان الغربية من البنجابيين . كما ان نسبة ٨٠٪ من المعونات الاجنبية تستخدم فى القيام باصلاحات فى باكستان الغربية ، كما يزيد حجم الاستثمارات الاجنبية فى باكستان الغربية ثلاث مرات عنه فى باكستان الشرقية . كذلك فقد ازداد الفرق بين دخل المواطن فى كلا الشطرين باضطراد ـــ فبينما كان ذلك الفرق ٩ر١٧٪ سنة ١٩٥٠ لصالح الباكستانيين الغربيين اصبح فى ١٩٧٠ اكثر من ٣٠٪ . كما وان ٢٢ عائلة من باكستان الغربية هى التى تسيطر على ٣/٢ الممتلكات الصناعية و ٧٠٪ من شركات التأمين و ٨٠٪ من البنوك فى الشرق . كذلك فان باكستان الغربية تنال حوالى ٧٠٪ من واردات الباكستان . كما تضع كافة المنشآت العسكرية فى باكستان الغربية ، وكبار ضباط الجيش [برتبة عقيد فما فوق] من البنجابيين من باكستان الغربية ، ولا يشكل الضباط البنغاليون سوى ٥٪ من عدد ضباط الجيش الباكستانى ، ويتكون حوالى ٨٥٪ من العاملين فى الجهاز الادارى من ابناء باكستان الغربية .

وفى النهاية فان عددا كبيرا من المراقبين التقدميين يرون ان الخطورة التى وصل اليها الموقف فى باكستان تحتم ضرورة التوصل الى حل يوفق بين مطالب الباكستانيين الشرقيين وبين الخط الاساسى للحكومة ودون المساس بوحدة البلاد ، ويمكن ان يأخذ ذلك فى نظر بعض المراقبين السياسيين صورة الحكم الكونفدرالى الذى تتمتع بمقتضاه الولايات الخمس فى الباكستان ، ومن بينها باكستان الشرقية بنوع من الحكم الذاتى لا يؤثر على قوة الحكومة المركزية مع العمل على حل مشاكل باكستان الشرقية الأساسية المعلقة التى اشرنا اليها .●

■ ســـــيلان :

تطورات خطيرة



تابعت الاوساط الوطنية والتقدمية ، فى قلق ودهشة ، تطورات الاحداث فى ســيلان طوال الشهر الماضى حيث وقعت عدة صــدامات بين قوات من جيش سيلان وبين مجموعات مسلحة أطلقت على نفسها اسم « جبهة التحرير الشعبية » أو « الجيفاريين » هاجمت بعض مراكز البوليس والمبانى الحكومية ومحطات الاتوبيس ووضعت العوائق على أشرطة السكك الحديدية . وقالت وكالات الانباء ان «الجبهة» كانت تسعى للاستيلاء على العاصمة كولومبو .

وترجع دهشة الاوساط الوطنية والتقــدمية الى طابع « المفاجأة » فى انفجار الاحداث حيث أنه لم يسبقها مقدمات تنبىء باحتمالات تطورها على نحو ما تطورت عليه ، كما ترجع من جهـــة أخرى الى طابع اتساعها وشــــمولها اكثر من منطقة فى البلاد .

وقد وقعت هذه الاحداث بعد ١٠ شهور فقط من فوز **ســـــيريمافو باندرانيكه** الساحق فى الانتخابات على احــزاب اليمين والرجعــية ، وتشكيلها لوزارة ائتلافية من حزبها [سرى لانكا] والحزب التروتسكى [لانكا ساماج] والحــزب الشيوعى الذى يؤيد الخط السوفيتى فى الصراع الفكرى داخل الحركة الشيوعية العالمية] ، وقد اعتبر المراقبون التقدميون وقتها أن نتائج هــذه الانتخابات « انتصار للحركة الثورية لا فى سيلان فحسب بل وفى آسيا كذلك » ، بعد أن فشلت كل المؤامرات الاستعمارية لاعادة انتخاب الحزب الــوطنى المتحــد الذى يتزعمه **سينانيكه** رئيس الوزراء السابق [من ١٩٦٤ ـــ ١٩٧٠] .

ومن الملفت للنظر أن جبهة التحرير الشعبية التى تأسست عام ١٩٦٤ من « مجمـــوعة من الطلبة اليســاريين » ، كانت تؤيد باندرانيكة فى انتخابات ١٩٧٠ ، وبينما تتهم أوساط الحكومة ، الجبهة بأنها تتلقى العون » من كل من المخابرات المركزية الامريكية والحــزب الــوطنى المتحــد الرجعى » ، فانها لاتقدم دليلا واحدا على ذلك ، وفى نفس الوقت ، يبدوا غريبا فى نظر المراقبين الهجوم الواضــح للصحافة الغربية ضد حكومة باندرانيكة التى تتهمها هذه الصحف « بالخضوع للشيوعيين » .

ويرى المراقبون الســياسيون أن « الــتركة السياسية والاقتصادية المؤلمــة » التى خلفتها حكومة سينانيكة لحكومة باندرانيكة ، تمثل مناخا عاما يمكن أن « يفرخ » أعمالا من هذا القبيل ، فقد تسلمت باندرانيكة الحكم ونسبة البطالة تبلغ ١٠ ٪ من السكان وتتسع بشكل واضــح بين المثقفين وخريجى الجامعات [١٢ الف عاطل] . كما تعانى البلاد مصاعب اقتصادية جمة وبخاصة فى مجال التجارة ، وقد نشأ عن طرد حــكومة باندرانيكة للفنيين الامريكيين والاسرائيليين توقف بعض الاعمال نتيجة لنقص الكادر الفنى الوطنى ، وتقول الصحف الغربية نفســـها ان الحكومة الجديدة اضطرت الى اســتيراد كميات من الارز لتغطية حاجة البلاد ، ونظرا لان الخزانة العامة كانت خاوية فقد شكل ذلك عبئا جــديدا على اقتصاديات البلاد ، وبالاضافة الى هذه المصاعب الاقتصادية ، فقد عانت البلاد متاعب ســياسية ناجمة عن اشتداد حدة الصراع بين **السينهاليين والتامليين** حول استخدام أو عدم استخدام اللغة الســينهالية ، كما أن اليمين الذى هـــزم فى انتخابات ١٩٧٠ رفض أن يســـلم بســهولة بنتائج الانتخابات وســعى لان يسبب للحكومة الجديدة اضطرابا فى الحياة العامة ، هذا ويقدر عدد أعضاء الجبهة الشعبية بـــ ٢٠ الف رجــل [ضعف قوة بوليس سيلان] ومعظمهم من المثقفين الاثرياء خريجى الجامعات الاجنبية .

وكانت **باندرانيكة** قد تبنت برنامجا انتخــابيا يدعو الى النضــال ضد الاســتعمار العــالمى ومساندة كل حركات التحرر الوطنى وتأميم جميع البنوك الاجنبية والســيطرة على الــوكالات البريطانية الكبيرة التى تدير مزارع المطاط وجوز

الهند والشاى، ويدعو الى اقامة بنوك متخصصة لتمويل المشروعات الخاصة بالتنمية والصناعة والزراعة والتجارة الداخلية والخارجية ، ومنذ تولى باندرانيكة السلطة على رأس حكومة ائتلافية ، اعادت حق ممارسة العمل السياسى للموظفين ، وحق الانضمام الى النقابات ، وأقامت لجانا استشارية ومجالس عمالية فى كثير من المصالح والمؤسسات الحكومية ، وأممت فى ديسمبر الماضى ٣ من أكبر شركات البترول الاجنبية [شل — اسو — كالتكس] والغت سيطرتها على الصناعة البترولية بما فى ذلك عمليات الاستغلال والتكرير والتسويق الداخلى وتصدير منتجات التكرير .

والجدير بالذكر أن الجبهة قد أقدمت على أعمالها التى وصفتها « بالكفاح المسلح » ، قائلة ان « الاشتراكية لا يمكن أن تتحقق فى اطار الحكومة الحالية » . وهى تشير بذلك الى « بطء » حكومة باندرانيكة فى الاقدام على تنفيذ برنامجها الانتخابى التقدمى وحيث تقول أوساط الحكومة ان الظروف الاقتصادية السائدة فى البلاد لا تساعد على الاسراع بتنفيذ البرامج .

وتقول صحيفة الموند الفرنسية ان « المجموعة الصينية [تقصد الحزب الشيوعى الماركسى اللينينى الذى يتبنى وجهة نظر الصين فى الصراع الفكرى داخل الحركة الشيوعية العالمية] لاتشترك فى هذه المواجهة » ، والمعروف أن هذه المجموعة لا تشارك فى الحكم . كما تذكر الموند أن وكالة الصين الجديدة كانت قد نشرت فى عام ١٩٦٨ هجوما للحزب الشيوعى الماركسى اللينينى فى سيلان ضد « الرومانسية وايديولوجية البورجوازية الصغيرة القائلة بأنه فى أمكان جماعة ثورية صغيرة أن تطيح بادارة الحكومة القائمة » .

ومن المعروف أن حكومة باندرانيكة كانت — فور توليها السلطة — قد اعترفت بحكومات كل من المانيا الديمقراطية وكوريا الديمقراطية وفيتنام الديمقراطية والحكومة الثورية المؤقتة فى فيتنام الجنوبية وأوقفت علاقات سيلان مع اسرائيل .

■ ■

تعليق

حول الحركة التشكيلية

اتسعت آفاق حركة الفن التشكيلى مع اتساع آفاق المجتمع المصرى الذى يجتاز اخطر مراحله الحضارية .. بعد ان ظل قرونا محاصرا بظروف سياسية واقتصادية ، سدت فى وجهه كل سبيل للتطور ، ان الثورة التى اطاحت بالاستعمار والاقطاع سنة ١٩٥٢ ، اطاحت فى نفس الوقت بالقيود التى كانت تحبس المواهب الخلاقة .. ونخص هنا بالحديث ، ميادين فنون النحت والتصوير والخزف والفنون التطبيقية ، تحطمت القيود وتفجرت المواهب ، كما تتفجر الينابيع القوية باحثة عن القنوات لتجرى فيها نحو اهداف مرسومة محددة ، الا ان القنوات لم تكن ممهدة .. فتفجرت المواهب فى تلقائية كاملة ..

الا ان هذا الازدهار التلقائى الناجم عن مجرد تحطيم القيود القديمة بدون تحديد الاهداف ، اسفر عن مظاهر محددة يتميز من بينها :

١ — ظهور اتجاهات اسلوبية غاية فى التنوع .. تبدأ بالايضاحية والاكاديمية ، وتنتهى بالتجريد والاوب آرت والبوب آرت .

٢ — بقياس الفن التشيكى بمستوى الفنون الناضجة كالادب والشعر والمسرح من حيث المضمون .. نرى انه يقدم مضامين عشوائية ، وغير اجتماعية احيانا ، معتمدا على مجرد اللعب بالتكنيك والعبث بالخامات ، مبتعدا عن المضامين الكبرى التى تشكل آمال مجتمعنا المتطلع الى حضارة القرن العشرين بما فيها من تحرر وتصنيع ورفاهية .

٣ — هجرة بعض فنانى الصف الاول الى الخارج بصفة دائمة او موسمية ، بحثا عن جماهير اخرى غير الجماهير المصرية ، بينما يتحين الاخرون الفرص ليحذوا حذوهم .

٤ — عدم فوز فنانينا ، باية جوائز فى المسابقات الدولية الكبرى التى يشتركون فيها .

٥ — ذيلية الحركة التشكيلية ككل وعدم اتخاذها طابعا قوميا كالحركة المكسيكية مثلا ، مما حدا بوزارة الثقافة الى ان تعقد الاجتماعات — حاليا — للبحث فى موضوع « الفن القومى »

٦ — عدم ظهور حركة نقدية جادة فى توجيه الحركة التشكيلية ، والاكتفاء بالتنظيمات الادارية ، مما ادى الى تشكك الفنانين فى جدوى النقد الفنى بشكل عام وعزوفهم عن الاطلاع وركونهم الى المراسم المجانية التى منحتها لهم الوزارة فى انتظار السائحين الاجانب الذين يعتمد عليهم الفنانون بشكل اساسى فى تصريف لوحاتهم .

٧ — طغيان فى التصوير على فنون النحت والخزف والفنون التطبيقية ، لرخص خاماته نسبيا وسهولة انتاجه .

كنا نأمل فى عام ١٩٦٧ ان يقوم اتحاد التشكيليين لينظم تفجر الحركة التشكيلية ، لكن التجربة لم تتحقق ، لذلك نرى ان تعمل وزارة الثقافة على :

١ — تشجيع الفنانين ذوى الاصالة بسخاء حتى لا يقعوا فريسة التوجيهات الضمنية لحركة العرض والطلب .

٢ — ادخال النقاد الفنيين فى نظام التفرغ .

٣ — الاكثار من المعارض الجماعية ذات الموضوع المحدد مع تخصيص جوائز سخية .

٤ — انشاء ورش للنحاتين والخزافين والتطبيقيين ملحقة بقصور الثقافة مع تغطية احتياجاتها من الخامات والمعدات اللازمة للانتاج والتجريب الفنى الحديث .

٥ — عدم منح القاعات الرسمية للعارضين الا بعد تحكيم لجنة نصفها من النقاد المعترف بهم .. ذوى النشاط الملموس .

مختار العطار

■ موسكو :

المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعى السوفيتى

فى قاعة المؤتمرات الكبرى بقصر الكريملين ، افتتح فى ٢٩ مارس الماضى المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعى السوفيتى وحضره ٤٩٦٣ مندوبا منتخبا من أعضاء الحزب فى مختلف البلاد (يضم ١٤ مليون عضو) • وقد افتتح نيقولاى بودجورنى المؤتمر بتحية وفود أحزاب البلاد الاشتراكية ووفود الاحزاب الشيوعية والعمالية والاحزاب الديمقراطية والوطنية التى حضرت المؤتمر • وجدير بالذكر أن وفدا من الجمهورية العربية المتحدة قد حضر المؤتمر ، برئاسة عبد المحسن أبو النور أمين عام الاتحاد الاشتراكى •

وبدأ المؤتمر أعماله بالوقوف حدادا على أرواح المناضلين من أجل قضية الطبقة العاملة والزعماء البارزين للحركة الدولية وحركة التحرر الوطنى الذين جادوا بأرواحهم فى السنوات الاخيرة أمثال : جمال عبدالناصروهوشى منه وفيرنز ميونخ وايسفان دوبى ، وجوهان كليننج ، وفيكتوريا كودوفيللا ، ولورنس شاركى ، وايرنست بيرنيل وايرفيمونت جين ، وجوزيه جوزاليز وارنستوشى جيفارا •

وقد تضمن جدول أعمال المؤتمر تقرير اللجنة المركزية للحزب الذى ألقاه ليونيد بريجنيف السكرتير العام للجنة المركزية ، وتقرير لجنة الرقابة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى الذى قدمه جنادى سيزوف رئيس اللجنة ، والتوجيهات الخاصة بالخطة الخمسية للتنمية الاقتصادية للاتحاد السوفيتى فى الفترة ما بين ١٩٧١ و١٩٧٥ المقدم من اليكسى كوسيجين رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتى ، وانتخاب الهيئات المركزية للحزب •

وقد تناول تقرير **ليونيد بريجنيف** السكرتير العام للحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى عرضا تحليليا لاهم القضايا فى عالمنا المعاصر •• وتحديدا لموقف الحزب الشيوعى السوفيتى تجاهها ••

وحول مشاكل البناء الداخلى فى الاتحاد السوفيتى تحدث بريجنيف عن التغيرات الاجتماعية التى طرأت على البلاد خلال السنوات الخمس الماضية فقال ان الدخل الحقيقى للفرد قد ارتفع بنسبة ٣٣ فى المائة كما ازدادت الاجور بنسبة ٢٦ فى المائة ودخول المزارعين الجماعيين بنسبة ٤٢ فى المائة •• أن الاتحاد السوفيتى قد انفق فى فترة السنوات الخمس الماضية ٦٠ مليار روبل لحل مشاكل الاسكان ، وقال انه قد تم بناء مايعادل اكثر من ٥٠ مدينة كبيرة يصل تعدادها الى مليون من السكان •

وخلال السنوات الخمس الماضية ايضا افتتحت تسع جامعات جديدة واكثر من ٦٠ معهدا للتعليم العالى •• كذلك زاد عدد المشتغلين فى مجالات البحث العلمى بنسبة ٤٠ فى المائة •• وفى الفترة التالية لانعقاد المؤتمر الثالث والعشرين قرأ الشعب السوفيتى ٥ر٦ مليار نسخة من الكتب منها ٧٦ مليون نسخة تمثل مؤلفات للينين أو كتابات عنه صدرت فى عامى ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ •

وتحدث بريجنيف عن التركيب الطبقى للحزب الشيوعى السوفيتى فقال ان عدد اعضاء الحزب بلغ ٣٢١ر٤٥٥ر١٤ عضوا منهم ١ر٤٠ فى المائة عمال و١ر١٥ فى المائة مزارعين جماعيين وقد أنضم الى الحزب منذ المؤتمر الثالث والعشرين ثلاثة ملايين عضو جديد منهم ٠٠٠ر٦٠٠ر١ عامل •

وعن السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتى قال ان اللجنة المركزية للحزب قد حددت سياستها الخارجية مستهدفة ان تخلق ـ بالتعاون مع الدول الاشتراكية الاخرى أكثر الظروف الدولية ملاءمة لمواصلة البناء الاشتراكى والشيوعى ومستهدفة ايضا تعزيز وتدعيم وحدة المعسكر الاشتراكى وتأكيد روابط الاخوة بين بلدانه • ومساندة حركة التحرر الوطنى العالمية ، والتعاون الشامل مع الدول النامية والتأييد الحازم لمبدأ التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة وحماية الانسانية من خطر نشوب حرب جديدة •

واكد بريجنيف ان التنظيم العسكرى لحلف وارسو قد ازداد تقدما خلال السنوات الاخيرة وان القوات المسلحة للدول المتحالفة توجد الان فى حالة استعداد قصوى واثقة من انها تستطيع حماية العمل السلمى للشعوب ، وأوضح أن الاتحاد السوفيتى قدم مساعدات كبيرة للبلدان والاحزاب الشقيقة ، كما أنه اسهم بقدر كبير فى تطوير وتدعيم النظام الاشتراكى العالمى •• ومضى قائلا « وفى الوقت نفسه استمرت بعض الصعوبات والتعقيدات فى الظهور فى العالم الاشتراكى ، وكان لهذا اثره على تطور العلاقات بين كل دولة على حدة بالاتحاد السوفيتى ، ومع ذلك فان هذا لم يغير الاتجاه السائد لتدعيم الصداقة والتماسك بين البلدان الاشتراكية •• وبشكل عام فان تعاوننا مع البلدان الشقيقة يتطور بنجاح ، ويتدعم فى كافة المجالات •• »

وحول احداث تشيكوسلوفاكيا قال بريجنيف « ان ماحدث فى تشيكوسلوفاكيا لم يكن مجرد محاولة للاطاحة بالنظام الاشتراكى فيها ، وانما كان فى نفس الوقت محاولة لضرب مراكز الاشتراكية فى اوربا كلها ولخلق الظروف المناسبة لتوجيه ضربات جديدة ضد العالم الاشتراكى » .

وعن العلاقات مع الصين قال بريجنيف « انه خلال العام والنصف الاخير ، ونتيجة للمبادرة الاخوية من جانب الاتحاد السوفيتى ، كانت هناك دلائل على عودة العلاقات الطبيعية بين البلدين .. وذكر « ان المباحثات التى تجرى فى بكين لتسوية موضوع الحدود تسير ببطء ويحتاج نجاحها ـ بطبيعة الحال ـ الى موقف ايجابى من الطرفين معا وليس من طرف واحد فقط » .

ثم تحدث بريجنيف عن العالم الرأسمالى فقال ان الروح العسكرية فى العالم الرأسمالى تنمو بصورة متزايدة وسريعة ، فقد أنفقت دول حلف الاطلنطى خلال عام ١٩٧٠ وحده ١٠٣ مليار دولار على الاستعدادات للحرب وقد وصل هذا الاتجاه الى ذروته الخطرة فى الولايات المتحدة الامريكية حيث أنفق فى السنوات الخمس الاخيرة وحدها ما يقرب من ٤٠٠ مليار دولار على الاغراض الحربية ..

وعن التناقضات بين الدول الامبريالية قال بريجنيف ان هذه التناقضات لم يقض عليها بعمليات التكامل أو بواسطة المصالح الطبقية المشتركة للامبرياليين ، تلك المصالح التى توجه جهودهم المشتركة لمحاربة العالم الاشتراكى . فمنذ بداية السبعينات أصبحت المراكز الرئيسية للمنافسة الامبريالية واضحة للعيان تماما وهى الولايات المتحدة الامريكية ـ واوربا الغربية (وفى مقدمتها دول السوق الاوربية المشتركة الست) واليابان .. وقد ازدادت المنافسة الاقتصادية بين هذه المراكز حدة .

كذلك تحدث بريجنيف عن العلاقات بين الاتحاد السوفيتى والدول النامية فقال ان التعاون الاقتصادى والسياسى بينهما قد تطور تطورا كبيرا فى السنوات القليلة الماضية ، وتنمو العلاقات التجارية بين الاتحاد السوفيتى وبينها ..

وأعلن بريجنيف ان الاتحاد السوفيتى يواجه السياسة العدوانية للامبريالية بسياسته الحازمة للدفاع النشيط عن السلام ، وتعزيز الامن الدولى .. وقال ان الحزب السوفيتى يعتبر ان المهام المحددة لنضاله فى الفترة الراهنة يمكن تلخيصها فيما يلى :

● القضاء على بؤر الحرب فى جنوب شرقى آسيا والشرق الاوسط والعمل من أجل التوصل الى تسويات سلمية فى هذه المناطق على أساس احترام الحقوق المشروعة للدول والشعوب التى يقع عليها العدوان ، والمعارضة الحازمة والفورية لاى عدوان ، مع محاولة استخدام امكانيات الامم المتحدة الى أقصى حد فى هذا السبيل ، والقضاء على كل محاولات التهديد باستخدام القوة فى حل المشاكل .

● اعتبار نقطة البدء فى أية تسوية أوربية هى الاعتراف النهائى بالتغييرات الاقليمية التى نتجت عن الحرب العالمية الثانية فى أوربا وتحقيق تحول جذرى فى اتجاه سيادة السلام فى هذه القارة والعمل لعقد مؤتمر للامن الاوربى . مع التأكيد على ما سبق ان عبر عنه اعضاء معاهدة وارسو الدفاعية عن استعدادهم لالغاء وجود الحلف اذا ما حل حلف الاطلنطى نفسه أو على الاقل البدء بانهاء التنظيمات العسكرية لكلا الحلفين .

● توقيع معاهدات حظر الاسلحة النووية والكيمائية والبكتريولوجية والعمل من أجل وقف تجارب الاسلحة النووية .. والعمل على اقامة مناطق مجردة من السلاح النووى فى مختلف انحاء العالم وتصفية القواعد العسكرية الاجنبية .

وحول أزمة الشرق الاوسط قال بريجنيف « أن الاتحاد السوفيتى سيواصل مساندته الحازمة لاصدقائه العرب » وقال « ان رفض الحكومة الاسرائيلية لمقترحات حكومة الجمهورية العربية المتحدة والادعاءات الوقحة المكشوفة التى تنادى بها تل أبيب سعيا للاستحواذ على أراض عربية لتوضح بجلاء من الذى يعوق طريق السلام فى الشرق الاوسط . وفى نفس الوقت يزداد بوضوح الدور المشين لاولئك الذين يحرضون المتطرفين الاسرائيليين .. دور الامبريالية الامريكية ، والصهيونية العالمية .

وقد قدم الرفيق سيزوف تقرير لجنة الرقابة الحزبية الذى تحدث فيه عن الحياة الحزبية وعلاقة الحزب بالجماهير وقد استهل تقريره قائلا : أن العمل السياسى الواسع النطاق الذى صاحب الاعداد للمؤتمر الرابع والعشرين هو اكبر دليل على مدى العلاقة الوثيقة بين الحزب والجماهير وعلى صحة شعارات وأهداف الحزب وتوافقها التام مع مصالح الشعب .

وقال سيزوف « ان الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى يقبل على عقد مؤتمره الرابع والعشرين وهو أكثر ما يكون اتحادا وقوة وثراء بالخبرة فى العمل السياسى والفكرى بين الجماهير .

وتحدث سيزوف عن الانجازات التى قاد الحزب كل المجتمع السوفيتى لانجازها مؤكدا ان العامل الاكبر فى تحقيق هذه الانجازات هو تمسك القيادة اللينية المتمثلة فى اللجنة المركزية للحزب بمبدأ القيادة الجماعية وتأكيد مبدأ الديمقراطية فى

العمل الحزبى الداخلى وربط عمل الحزب بالجماهير ربطا وثيقا ٠

وقال سيزوف « ان التقيد التام بمبادىء الانضباط الحزبى والتمسك بالديمقراطية فى العمل الحزبى قد مكن لجان الرقابة الحزبية سواء لجنة الرقابة المركزية أو اللجان الفرعية من أداء مهمتها على الوجه الاكمل » وأكد ان لجنة الرقابة المركزية قد مارست « تطبيقا للائحة الحزب عملية الرقابة المستمرة على صحة القرارات الصادرة عن اللجنة المركزية ومكاتبها المختلفة والرقابة على ممارسة الاجهزة المختلفة لوضع هذه القرارات موضع التطبيق ٠ واسمحوا لى أن أعلن للمؤتمر انه نتيجة لهذه الرقابة فاننا نؤكد ان اللجنة المركزية قد مارست عملها خلال الفترة الماضية بكفاءة وفعالية » ٠ ؟ وقد أولت لجنة الرقابة المركزية اهتماما خاصا لفحص ميزانية الحزب وكيفية ممارسة التصرفات المالية »

وتناول تقييم الجانب العسكرى من نشاط الحزب والحكومة السوفيتية أمام مندوبى المؤتمر ٢٤ كل من الجنرال « **يبيشيف** » رئيس الادارة السياسية العليا للجيش ، والبحرية والماريشال « **اندريه جريشكو** » وزير الدفاع ٠ وقد القى « **يبيشيف** » تقريره يوم ٢ أبريل ١٩٧١ وتناول فيه دور الحزب ومنظماته فى مختلف تشكيلات وفروع القوات المسلحة خلال الخمس سنوات الماضية وتقييمه لهذا النشاط واشاد بالدور القيادى للحزب وأهميته البالغة فى ارساء قواعد المجتمع الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى وفى تدعيم القدرات الدفاعية للبلاد موضحا أن رجال القوات المسلحة يدركون الضرورة الهامة للغاية فى اتقانهم المستمر لمهارتهم القتالية للمحافظة على منجزات هذا المجتمع ازاء مؤامرات الامبريالية العدوانية ضد الوطن السوفيتى والبلدان الاشتراكية والتى لن تكف عن التحضير المستمر لحرب عالمية جديدة ضدها رغم أنها تركز حاليا بصفة خاصة على الحروب المحلية التى تباشرها ضد البلدان المتطلعةالىالحرية والاستقلال والاشتراكية بهدف ايقاف وعرقلة التيار التاريخى للحركة الثورية لهذه الشعوب ٠ وأشار الى أن تغير ميزان القوى لصالح القوى الاشتراكية العالمية لم يقلل من عدوانية الامبريالية وأن ذلك هو السبب الذى يجعل الحزب الشيوعى السوفيتى رغم اتباعه لسياسة التعايش السلمى يعمل جاهدا وباستمرار على تقوية القوات المسلحة السوفيتية ويتعاون مع الاحزاب الشقيقة من أجل تدعيم الجهاز العسكرى لحلف وارسو ٠ وقد أوضح « يبيشيف » فى تقريره أن عمل الحزب داخل القوات المسلحة دون معقد متعدد النواحى بالغ الاهمية فانه الى جانب عمله الدائب من أجل رفع المستوى السياسى والفكرى لافرادها والعمل الخلاق من أجل تطبيق المبادىء الاساسية لسياسة الحزب والدولة من الناحية العسكرية وكسب المعركة الضارية على الجبهة الايديولوجية والدائرة بين الرأسمالية والاشتراكية تلك المعركة التى تستهدف عقل الانسان وروحه أساسا وقبل كل شىء

وأشاد « **اندريه جريشكو** » بجهود الحزب فى جعل القوات المسلحة على ماهى عليه من استعداد قتالى مرتفع وأن هذا كان دأبه دائما منذ انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية وعلى مدى نصف قرن من الزمن اثبتت خبرته العملية ضرورة تلازم عمليات البناء الاشتراكى مع عمليات تدعيم القدرات الدفاعية للبلاد لمواجهة الثورة المضادة والمحاولات المتكررة للامبريالية العالمية لتصفية الوطن السوفيتى ، ثم أشاد بالدور البطولى للقوات المسلحة فى خلال الحرب العالمية ضد الفاشية وهو الدور الذى جنب العالم العبودية والقهر الفاشى وأكد حق عديد من شعوب أوروبا وآسيا فى الحرية والاستقلال والاشتراكية ٠ ثم قال أن الولايات المتحدة تحشد ترسانة العالم الرأسمالى بكل ما فيها من وسائل عسكرية واقتصادية وسياسية لشن حرب صليبية جديدة ضد الكتلة الاشتراكية وأنها من أجل ذلك أقامت فى جميع أنحاء العالم القواعد العسكرية والتكتلات السياسية المعادية لهذه الكتلة كما أنها تجرى تحسينا مستمرا لوسائل الحرب التىبحوزتها وتزيدمنهاعاما بعدعام،مما يزيدالتوتر الدولى المسيطر على العالم حاليا ، ولهذا أوجدت جيشا يضم ملايين الجنود ويزيد عشرةمرات عن تعداد جيشها قبل نشوب الحرب العالمية الثانية كما انها تلعب دور القيادة فى منظمة **حلف الاطلنطى** الذى يزيد قوته العسكرية بشكل مضطرد حتى أصبح لديه ما يزيد عن ٦ ملايين جندى ٠ والى جانب ذلك فان الولايات المتحدة تستخدم أسلوب الابتزاز النووى كوسيلة أساسية فى سياستها الخارجية وتتخذ من أرض فيتنام مسرحا لتجاربها الاستراتيجية ، ولكنالشعب الفيتنامى البطل أوقع بها عددا من الهزائم القاسية وحطم أملها فى امكان تحقيق النجاح لمغامراتها العسكرية هناك ٠

وسخر « جريشكو » فى تقريره من دعاة مخاطبة الاتحاد السوفيتى من مركز القوة موضحا أن للاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية المتضامنة معه قادر على الرد على القوة المزعومة بقوة تفوقها ٠ ثم انتقل بعد ذلك الى مناقشة ما تسميه الولايات المتحدة بسياسة اقرار السلام فى مناطق الهند الصينية والبلاد العربية فى الشرق الاوسط موضحا أن مثل هذا « السلام » المزعوم انما يؤكد للاحتكارات حرية استغلال وسلب ثروات هذه البلاد والمناطق ٠

من القضايا البارزة التى حرص المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعى السوفيتى على ان يركز عليها ، التأكيد على ان افضل استثمار للامكانيات الاجتماعية التى يختزنها المجتمع الاشتراكى المتطور فى الاتحاد السوفيتى ، لا **يتمثل فى مجرد الاكتفاء بالمزايا الايديولوجية** التى يمثلها مجتمع خال من التناقضات الطبقية العدائية ، بل يفترض **تسخير آخر انجازات العلم والتكنولوجيا العصرية ، كأداة لها أهميتها البالغة فى المباراة السلمية مع العالم الرأسمالى والامبريالى المتطور** ، وكذلك كأداة لا مفر من اللجوء اليها فى تطوير الاسلحة الكفيلة برد أطماع الاستعمار فى العدوان ، وتعكير سلام العالم .

واستثمار انجازات التكنولوجيا العصرية يفترض : **التركيز بوجه خاص على حقول البحث العلمى الطليعية ، فى العلوم الطبيعية والانسانية** على حد سواء ، كوسيلة يتوقف عليها رفع أنتاجية العمل الاجتماعى ، وتحسين أساليب الادارة ، واقامة الاصلاحات الاقتصادية الكفيلة بدفع عجلة الانتاج الى أعلى حد من الكفاءة ، فى مجتمع يتميز بشبكة بالغة التداخل والتعقيد فى وحداتها الاقتصادية ، ويتطلب هذا التداخل المعقد اساليب عمل جديدة تتخطى فى وقت واحد اساليب المجتمعات الراسمالية ، والاساليب التى كانت تناسب المراحل الاقل نموا وتطويرا فى المجتمع الاشتراكى .

ففى مجال العلوم الانسانية ، أبرز المؤتمر أهمية العناية بزيادة تطوير البحث فى مجالات الفلسفة والاقتصاد وعلم الاجتماع والتاريخ ، وبخاصة التاريخ الحديث ، كما أبرز أهمية الاستفادة من أحدث الانجازات فى حقل الادارة، واستخدام الوسائل الآلية ، كشروط لحشد الطاقات البشرية المتوافرة اجتماعيا ، بشكل اكثر كفاءة ، وللاستثمار الافضل لقدراتها الابداعية . غير أن المؤتمر قد ركز أيضا ، وبأهتمام مكثف، على أحدث الانجازات فى العلوم الاجتماعية .

وفى هذا الصدد أثار المؤتمر عددا من القضايا الفنية الهامة ، حتى يحتفظ الاتحاد السوفيتى بمركزه الرائد فى كثير منها ، وبتفوقه المستمر المساير لانجازات العلم فى تحركه العصرى البالغ السرعة .

● وفى مقدمة المشاكل المثارة ، مسائل **التخطيط** ، لا فى الاقتصاد فحسب بل فى **البحث العلمى** وفى النهوض **بالتكنولوجيا** الحديثة كذلك، واستخدام **السيبرناطيقا** والوسائل **الآلية** والحاسبات الالكترونية فى انجاز عمليات التخطيط ، وكذلك عدم قصره على التخطيط القصير الامد ، بل طرحه فى اطار نوعى جديد هو **التخطيط الطويل الامد** من [٣٠ الى ٤٠ سنة] بما ينطوى عليه من عناصر جديدة تتطلب التنبؤ على فترات أبعد فى عصر سريع التحول ، ذلك كشرط لا غنى عنه لزيادة كفاءة البحث العلمى ، ولتركيز الاهتمامات حول المجالات **الرائدة والجديدة** فى جبهة تحرك الاكتشاف العلمى عموما .

● التركيز فى حركة الاكتشاف العلمى على المواقع الاكثر طليمية ، وبالذات **البناء الجزيئى للمادة** [ذات الفوائد العظيمة فى مجال الزراعة والطب) وعلى العلوم الذرية والنووية ، وعلى البيولوجيا ، **والميكروبيولوجيا** ، وعلى البيولوجيا **الجزيئية** (التى تتركز حولها الابحاث الخاصة بأصل الحياة] ، وعلى الكيمياء وبالذات البتروكيماويات ـ وكذلك تنمية الابحاث فى مجال التحويل المباشر للحرارة ، واكتشاف قوانين جديدة خاصة بتحويل المادة ، والابحاث فى الحرارات المرتفعة جدا والمنخفضة جدا ، وتطوير الابحاث الخاصة بتركيب مواد صناعية جديدة ، وصنع سبائك مبتكرة تتصف بخواص فريدة منها ما يعادل قوتها المغناطيسية ضعف القوة المغناطيسية للمواد الممغنطة المعروفة .

● استمرار تطوير الجهود المبذولة لاستكشاف الفضاء ، وأرتياد الكواكب المجاورة واستخدام انجازات الفضاء لتحسين المواصلات والملاحة والارصاد والابحاث الجغرافية والجيوفيزيقية ، والخاصة بأعماق البحار ، وعزق الارض ، وكذلك توسيع مجال الابحاث الفلكية ـ وكان من ابرز الانجازات فى هذا الصدد ، اكتشاف نجوم البولسارز PVLSARS وهى نجوم من النيوترونات تتميز بأن وزن السنتيمتر المكعب منها يساوى مائة الف مليون طن .

والجدير بالذكر ان القائمة الرسمية لتشكيل اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى والتى نشرتها صحيفة [برافدا] اوضحت ان عدد اعضاء اللجنة قد ارتفع الى ٣٩٦ عضوا من بينهم ٢٤١ عضوا اصليا و ١٥٥ عضوا احتياطيا ، وكانت اللجنة المركزية السابقة تضم ٣٦٠ عضوا [١٩٥ عضوا اصليا و ٢٦٥ احتياطيا] .

●

« ساليوت »
أول محطة مدارية حول الارض

فى الذكرى العاشرة ، لانطلاق ابن الارض **جاجارين** الى المجهول ، انطلقت محطة الفضاء « **ساليوت** » أى « التحية » منقاعدة « **بايكونر** »

السوفيتية يوم ١٩ ابريل الماضى ، تبعا لبرامج الفضاء السوفيتية المخططة ، كخطوة أولى فى تحقيق حلم عالم الفضاء السوفيتى الكبير **زيولكوفسكى** الذى يطلقون عليه لقب نبى غزو الفضاء. وتعتبر ساليوت النواة أو القلب المحرك لمحطة فضائية غير آلية ، أكبر منها حجما . ويدير هذه المحطة المدارية ويوجهها ٣ معامل علمية سوفيتية فوق سفن موجودة فى الاطلنطى

وفى الساعة الثالثة والنصف صباح يوم ٧١/٤/٢٢ انطلقت سفينة الفضاء « **سويوز ١٠** » تحمل رواد الفضاء الثلاثة الكولونيل **فلاديمير شتالوف** ، **والمهندس الطيار الليكسى ايليسيف ومهندس الاختبار نيكولاى ريكانشيكرف** . **وتهدف** رحلة سيوز ١٠ الى القيام بتجارب مشتركة مع محطة الفضاء العلمية ساليوت والقيام باختبارات اضافية على نظام السيطرة اليدوية والاوتوماتيكية لسفن الفضاء ، واجراء أبحاث فى طب الفضاء لدراسة تأثير العوامل الفضائية على وظائف أعضاء الانسان .

وتتكون محطة الفضاء ذاتها من جزء محورى، به أكثر من نقطة للاتصال باجزاء أو بسفن فضائية أخرى . وطبقا لما سبق أن أعلنه العلماء السوفيت فسوف يتم اتصال الجسم المركزى « ساليوت » بثلاث قطع فضائية أخرى مثل « سويرز » تأخذ شكل اذرع ثلاثة تحوى كل منها حجرة للنوم ، وأخرى للاجهزة العلمية ودورة للمياه .

وتدور المحطة حول نفسها ، وبذا تنتج قوة دفع مركزية تعادل انعدام الوزن الذى يعيش فيه رائد الفضاء ، وبذلك يمكن للرواد أن يعملوا فى بيئة قريبة من بيئة العمل فوق الارض .

ان تجربة اطلاق « ساليوت » ، و « سيوز ١٠ » وما ستقومان به من أبحاث فى الايام القادمة تعد نجاحا كبيرا لعناصر اساسية فى المحطات الفضائية وهى :

- مرحلة تجميع هذه المحطات ، السير فى الفضاء ، البقاء فترة طويلة للرواد فى الفضاء. فقد استطاع **نيكولاييف وسيناستيانوف** البقاء ١٧ يوما فى الفضاء فى رحلة سيوز ٩ ويتوقع العلماء أن ينجح الرواد الثلاثة فى سيوز ١٠ فى البقاء شهرا مع تغيير هذا الطقم شهريا لاستمرار التجارب فوق المحطة المدارية الثابتة .

وتتلخص اهم أهداف المحطات المدارية الثابتة فيما يلى :

- تدريب رواد الفضاء على الحياة فترات طويلة فى مرحلة انعدام الوزن .
- الرصد الثابت لكل مايدور فوق سطح الارض ، ومرصدا لدراسة الظواهر الكونية التى تهم الارض ، ورصد حركة الكواكب والنجوم بعيدا عن الغلاف الجوى الذى يحيط بالارض ، ويسدل ستارة عتمة من حولها ، ومن خلال هذه الرؤية الواضحة يمكن التنبؤ بالتغيرات الجوية المحيطة بالارض لاكثر من سنة مقدما .
- الى جانب تحديد مايدورفوق الارضوحول الارض ، كذلك رصد كل مافى جوف الارض من بترول ، ونحاس ، وذهب وفوسفات وحديد وتحديد كميته ومكانه بكل دقة ، الى جانب تحديد مراكز تجمع الاسماك وخزانات المياه الجوفية المختبئة فى باطن الارض .
- التنبؤ بأنواع الافات الزراعية ومدى ضراوتها قبل حدوثها بسنوات .
- تطوير البحوث الذرية ، وذلك بتأدية تفاعلات ذرية متناهية فى الدقة، تحتاج لجسيمات ذرية ، لايمكن انتاجها فوق الارض الا بواسطة معامل تتكلف مئات الملايين من الجنيهات ، فى الوقت الذى توجد فيه هذه الجسيمات بوفرة فى الفضاء .
- اطلاق الصواريخ من هذه المحطات الى محطات مدارية أو الى الكواكب الاخرى، وتطوير الابحاث الصاروخية وأبحاث الفضاء الاخرى .

ان بدء هذه التجربة العلمية المثيرة ، سيسمح بتطبيقات عديدة ، تقدم خدمات مباشرة لسكان الارض ، وتوفر للانسان مايحلم به من خير ورفاهية عن طريق العلم والتكنولوجيا الحديثة .

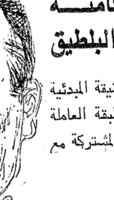
وللتدليل على أهمية تلك التجربة ، نوضح أن « **فون براون** » قد طالب الولايات المتحدة بتكريس جهودها لاقامة محطات فضائية مدارية باعتبارها الخطوة الاساسية التى تخدم أغراضا مختلفة، الا أن الكسب الدعائى السريع الذى تطلعت اليه أمريكا دفعها الى محاولة تحقيق وصول الانسان للقمر قبل السوفيت دون النظر الى تكاليف هذه المحاولة والنتائج العلمية التى سيحصلون عليها.

وبعد نجاح أمريكا فى اطلاق أبوللو ١١ وهبوط أول انسان فوق القمر ، بدأت أمريكا تعيد تنظيم برامجها الفضائية لتلحق بالاتحاد السوفيتى . وكان أن اعلن **جونسون** فى نهاية عام ١٩٦٩ تخصيص ملايين الدولارات لعمل مشروع « معمل السماد » ومن أجله تم الغاء رحلات أبوللو ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ واغلاق مصنع **ميشو** الخاص بانتاج الصاروخ ساتيرن الذى أطلق أول سفينة فضائية تهبط فوق القمر .

ولعل هذا التحول الخطير فى سياسة أمريكا الفضائية نحو اتجاه جديد أقل دعاية وأكثر كفاءة، والذى عن طريقه ستطلق أمريكا أول محطة مدارية عام ١٩٧٣ ، يبين بوضوح أهمية الخطوة الجديدة التى بدأها السوفيت باطلاق «ساليوت» بالنسبة للعلم والعالم .



الأسباب الكامنة وراء أحداث البلطيق



« أن الاحداث الاخيرة ذكرتنا ـ بطريقة مؤلمة ـ بالحقيقة المبدئية وهى أن على الحزب ان يحافظ على أوثق الروابط بالطبقة العاملة والامة بأسرها ، كما وأن على الحزب الا يفقد اللغة المشتركة مع الشعب العامل »

ادوارد جيريك

كان وصولى الى بولندا بعد مضى حوالى شهر على عقد اللجنة المركزية لحزب العمال البولندى الموحد لاجتماعها الثامن فى فبراير ١٩٧١ وهو الاجتماع الذى خصص لمناقشة حوادث شهر ديسمبر ١٩٧٠ والاسباب الكامنة ورائها . كذلك كانت زيارتى لمدن الشمال المطلة على بحر البلطيق ، وهى المدن التى شهدت بداية اندلاع الاحداث الدامية فى ديسمبر الماضى أول جزء فى برنامج زيارتى لبولندا .

صحيح أنى خلال يومين أمضيتهما متنقلا بين جدانسك وجدينيا وسوبوت ـ وهى المدن الرئيسية الثلاث على بحر البلطيق ـ لم ألاحظ اى مظهر من مظاهر القلق أو التوتر أو ما قد يتم على أن الامور لم تعد الى مجراها الطبيعى .

ولكن طبيعة أحداث ديسمبر هى التى أدت الى اشتباك قوات الامن من عمال أحواض بناء السفن وانتفاء وجود أى عنصر أجنبى وراء هذه الاحداث ، ثم ما تمخضت عنه هذه الاحداث من تغييرات فى القيادة السياسية لحزب العمال البولندى الموحد ، وكذلك فى المستويات الحكومية ، أن تقع كل هذه الاحداث فى دولة اشتراكية ، أمر لا بد من دراسته وتحليل أسبابه ، ليس فقط على نطاق الدولة التى تعرضت لهذه الاحداث وانما على نطاق كل الدول الاشتراكية .

كان السبب المباشر وراء اندلاع الاضطرابات فى مدن الشمال البولندية فى ديسمبر ١٩٧٠ هو قرار رفع أسعار المواد الغذائية ، وهو القرار الذى احتج عليه عمال احواض بناء السفن ، بعد مضى يومين على عقد العمال لاجتماعات الاحتجاج ـ داخل المصانع ـ وصل الى جدانسك فى ١٥ ديسمبر زينون كليشكو أحد سكرتيرى الحزب وعضو المكتب السياسى وحاول اقناع العمال بصحة قرار رفع الاسعار ، وعندما فشل فى ذلك بعث الى وارسو بتقرير يطلب فيه تدخل الجيش بحجة أن حركة احتجاج العمال هى حركة « ثورة مضادة » وفعلا نزلت قوات الجيش فى ١٧ ديسمبر الى الشوارع واصطدمت بجماهير العمال وهو الامر الذى أدى الى مقتل ٤٥ شخصا وأصابة ١١٦٥ طبقا لما ذكره جيريك فى البيان الذى أذاعه على الشعب البولندى .

واذا ما تركنا جانبا محاولات أجهزة الاعلام فى الدول الغربية استغلال هذه الاحداث وتصويرها على انها حركة « تمرد من الشعب البولندى على النظام الاشتراكى » ، وذلك من واقع أن لاجهزة الاعلام فى الدول الغربية متخصصيها فى شئون الدول الاشتراكية والذين هم على استعداد دائما لتلقى أية ظاهرة تحدث فى أية دولة اشتراكية واعادة « طبخها » وتقديمها بما يتفق ومنهج العداء الاصيل للنظام الاشتراكى .

اذا تركنا ذلك جانبا .. يتبقى لنا سؤال هام وهو :

كيف خرجت الامور من أيدى الحزب مما اضطره أولا الى استخدام أجهزة الدولة ، ثم بعد ذلك الدخول فى مناقشة سياسية مع القاعدة ؟

حول هذا السؤال اجريت مناقشات عديدة مع عدد من المسئولين الحزبيين والحكوميين فى بولندا . وكانت وجهة نظرهم أنه يمكن ارجاع أسباب حوادث ديسمبر ١٩٧٠ الى عنصرين رئيسيين أحدهما اقتصادى والاخر سياسى :

العنصر الاقتصادى :

فضلا عن أن بولندا كانت فقيرة فى اقتصادياتها ، فانه مع اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية لم تكن بولندا قد مرت بمرحلة كونها دولة رأسمالية صناعية كاملة . وجاءت نهاية الحرب واقتصاد بولندا محطم تماما . ومن ثم فقد كان التركيز فى أعقاب الحرب العالمية الثانية على عمليتى اعادة التعمير وبناء الاقتصاد القومى ، وكان شعار هذه الفترة هو الاهتمام أولا بالاحتياجات العامة للدولة وللاقتصاد القومى فى مجموعه ، وذلك على حساب الصناعات الاستهلاكية . وقد ذكر جيريك فى خطابه للشعب البولندى فى مجال نقد الخطة الخمسية السابقة أن

الزيادة فى مجال الاستثمارات بلغت ٥٠ فى المائة بينما لم ترتفع الزيادة فى الدخل القومى الا بمقدار ٣٤ فى المائة ، الامر الذى يعنى أن زيادة الدخل القومى بمقدار زولتى واحد كان يستلزم استثمار زولتى ونصف . كذلك ذكر جيريك أنه لم تكن هناك موازنة بين الاستثمارات التى كانت تستلزم مصروفات اضافية وفى نفس الوقت لا تعطى عائدا سريعا ، وبين الاستثمارات التى تتكلف مصروفات أقل وتعطى عائدا سريعا .

وكان من أثر ذلك كله أن الاجور لم تزد فى الخطة الخمسية السابقة الا بنسبة أقل من ٢ فى المائة ، فضلا عن أن بعض القطاعات من الشعب البولندى شعرت بأن أجورها الحقيقية قد نقصت ولم تزد .

ومن هنا كان اعلان قرار زيادة أسعار بعض المواد الغذائية فى ١٢ ديسمبر ١٩٧٠ بمثابة تحميل والقاء أعباء اقتصادية جديدة على قطاعات الشعب من العمال وأصحاب المعاشات والدخول المحدودة .

العنصر السياسى :

كان تولى جومولكا قيادة حزب العمال البولندى الموحد عام ١٩٥٦ بمثابة تحول هام فى بولندا ، وقد نظر الشعب البولندى الى جومولكا ــ من واقع الظروف التى انتخب فيها لتولى زعامة الحزب ــ على أنه بطل وطنى . الا أن جومولكا وقع بعد ذلك ــ وفى خلال السنوات الاولى من الستينات ــ فى خطأ سياسى هام وهو انعزاله ــ مع بعض أعضاء المكتب السياسى ــ عن باقى قيادات وجماهير الحزب ، حتى أن العمل السياسى داخل الحزب أصبح يسير فى اتجاه واحد فقط .. من أعلى الى أسفل .

وقد ذكر لى ستافو مير برال رئيس قسم العلاقات الخارجية فى الادارة المحلية لمنطقة جدانسك مثالا على ذلك وهو ما حدث فى منتصف عام ١٩٧٠ عندما وضع بوليسلاف باشتوك عضو المكتب السياسى وسكرتير اللجنة المركزية المسئول عن السياسة الاقتصادية نظام الاجور الجديد والذى كان من المقرر بدء العمل به اعتبارا من أول يناير سنة ١٩٧١ اذ قال : أن عمال منطقة جدانسك عقدوا عدة اجتماعات لمناقشة هذا النظام ووصلوا الى الاتفاق على أن تطبيق هذا النظام لن يرفع من مستوى أجورهم بل على العكس سيضع حدا على زيادة الاجور ، ومن ثم بعثوا بوفد من ممثليهم الى وارسو لعرض وجهة نظرهم على الحزب ، واتضح فيما بعد أن وجهة نظر العمال لم تصل أبدا الى القيادة السياسية فى ذاك الوقت . وقد أعلن جيريك ــ فيما بعد ــ فى خطابه الى الشعب البولندى فى ٧ فبراير ١٩٧١ عدم تطبيق هذا النظام ــ رغم احتوائه على عدد من المبادىء السليمة ــ نظرا لانه يعنى فى الحقيقة وضع حد لزيادة الاجور .

وذكر برال أيضا أن قيادة الحزب فى منطقة جدانسك ــ عندما وصلها قرار رفع الاسعار ــ بعثت الى المكتب السياسى بخطاب احتجاج على هذا القرار ــ الا أن جومولكا لم يطلع أعضاء المكتب السياسى على هذا الخطاب .

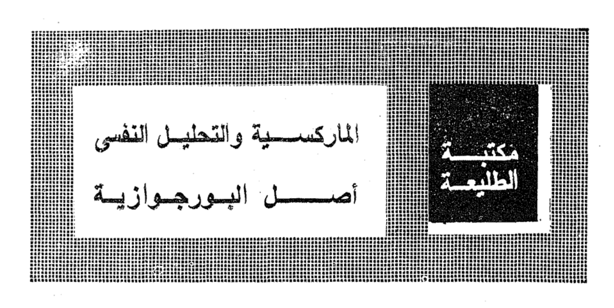
ان العمق السياسى البعيد وراء أحداث ديسمبر ١٩٧٠ يكمن فى انعزال القيادة السياسية للحزب عن جماهير العمال والشعب . فالمعروف أن قرار زيادة الاسعار صدر فى ١٢ ديسمبر ، بعد ذلك عقد عمال أحواض بناء السفن اجتماعات منظمة داخل المصانع لمناقشة هذا القرار والاحتجاج عليه وكان ذلك يومى ١٣ ، ١٤ ديسمبر ، وفى ١٥ ديسمبر وصل الى جدانسك زينون كليشكو عضو المكتب السياسى وأحد سكرتيرى الحزب باعتباره ممثلا لجومولكا وعقد مع العمال اجتماعا لاقناعهم بصحة القرار ولم يحاول أن يتفهم أهداف حركة الاحتجاج . لقد كانت الخلفية الذهنية لدى كليشكو أن الاعتراض على قرار رفع الاسعار يعنى الاعتراض على مصالح الدولة العليا وبالتالى فان ذلك يعد حركة ثورة مضادة ومن هنا جاءت رسالته الى وارسو بطلب تدخل الجيش .

وقد لمس جيريك هذا العمق السياسى وراء أحداث ديسمبر خلال المناقشات التى أجراها مع عمال جدانسك والتى نشرتها صحيفة « تريبونا لودو » الناطقة باسم الحزب فى ٢٧ يناير ١٩٧١ عندما قال « لقد تعلم بعض الناس الطاعة فقط وتفادى اثارة أية مناقشة باعتبار أن هذا الطريق أكثر راحة وطمأنينة لهم . ان هذه الظاهرة هى بمثابة مرض يكلف البلاد غاليا ، ويجب علينا أن نستأصل هذه الظاهرة وأن نعلم الشعب كيفية تحمل المسئولية والتفكير ومتابعة الامور دون النظر الى الاجهزة العليا .

ذكر جيريك فى خطابه الى الشعب البولندى بعد انتهاء الاجتماع الثامن للجنة المركزية للحزب فى فبراير الماضى « أن محاولة استخدام القوة فى حل الخلافات مع الطبقة العاملة ــ وهو الامر الذى يتعارض تماما مع الاشتراكية ــ لم يؤد الا الى اراقة الدماء وخلق هوة بين الحكومة والشعب واتاحة الفرصة للقوى الرجعية والمعادية للاشتراكية » . وأضاف « ان ذلك لا يعنى محاولة القاء المسئولية تماما على القيادة السابقة ، بل أن كل شخص يتحمل جانبا من هذه المسئولية » .

أن أسلوب النقد الشجاع الذى استخدمه جيريك فى خطابه يستحق التقدير ، ولكن هناك انظار كثيرة تتطلع لترى كيف تستطيع القيادة السياسية البولندية الجديدة حل المشاكل التى تواجهها ، ومواصلة السير فى خط البناء الاشتراكى .

سمير نادرس



الماركسية والتحليل النفسى

■ تأليف :

روبن أوسبورن

■ عرض وتعليق :

لطفى فطيم

■ الناشر :

بارى وروكليف –
لندن – ١٩٦٥

لا يزال موضوع العلاقة بين الماركسية والتحليل النفسى من الموضوعات التى لا يمل الماركسيون وكذلك أصحاب التحليل النفسى من الكتابة فيها ، ففى منتصف العام الماضى (١٩٧٠) عقدت مجلة « لانوفيل كريتيك » الفرنسية التقدمية ندوة على صفحاتها بين بعض أساتذة التحليل النفسى فى فرنسا وبين بعض المشتغلين بعلم النفس من الماركسيين ، وكانت هذه المناقشة هى الموضوع الرئيسى فى ذلك العدد .

ولعله مما يلفت النظر أن التحليل النفسى هو المدرسة الوحيدة من مدارس علم النفس التى قام بينها وبين الماركسية حوار خصب ومتصل ومتضارب ، وصل فى بعض الاحيان الى أن يقول الماركسيون عن التحليل النفسى انه « الماركسية فى علم النفس » ووصل فى أحيان اخرى الى توقيع « الحرمان » على من يدعو اليه .

والكتاب الذى نعرض له اليوم يتناول هذه القضية ، الى أى مدى تلتقى الماركسية بالتحليل النفسى ؟ وهو عبارة عن طبعة جديدة معدلة

ومنقحة ومزيدة من الطبعة الاولى التى صدرت عام ١٩٣٧ فى لندن بعنوان « فرويد وماركس » عن دار نشر جولانز .

ولقد أحدث الكتاب عند نشره عام ١٩٣٧ ضجة كبيرة ، ولعل فى اعادة صياغته ونشره كما يقول **جون ستراتشى** فى مقدمته للكتاب - وهى المقدمة التى أعاد **أوسبورن** وضعها فى الطبعة الجديدة كذلك - ما يلفت النظر الى اكتشاف أوسبورن « للطبيعة الجدلية لنظرية التحليل النفسى » .

ويقع الكتاب فى مائة وستين صفحة وتسعة فصول ، وينقسم الى قسمين ، الاول بعنوان نظريات فرويد ويعرض فيه المؤلف لاراء فرويد فى تركيب العقل ، وفى الجنس ، والاحلام ، والسواء والشذوذ ، والثانى بعنوان « **فرويد وماركس** » يناقش المؤلف فى فصوله الخمسة موضوعات المجتمع البدائى ، والدين والاخلاق ، والتطور الاجتماعى ، والمادية الجدلية ، وبعض التطبيقات .

أما مقدمة جون ستراتشى فتقع فى عشر صفحات وفيها يقول « ان النتيجة الرئيسية التى تستخلص من دراسة أوسبورن لنظرية التحليل النفسى ، هى أن بزوغ وعى معين - أى مجموعة من الاراء فى السياسة والعلم والدين وخلافه ، أى ببساطة ايديولوجيا - لا ينبغى النظر اليه على أنه انعكاس سلبى لبيئة اجتماعية معينة ، بل ينبغى النظر اليه باعتباره ناتجا عن التفاعل بين البيئة الاجتماعية ، وبين حوافز دينامية وذاتية داخل الشخص المعين ، وهذه النتيجة كما بين أوسبورن تتفق تماما مع وجهة نظر كل من **ماركس وانجلز** » .

كذلك يعلق ستراتشى على النص التالى لانجلز حول بدء تكوين الجماعات « ان التسامح المتبادل بين الذكور الراشدين ، والتحرر من الغيرة كانا بمثابة الشرط الاول لتكوين الجماعات الكبيرة الدائمة » قائلا « ان هذا الكلام الذى قاله انجلز عام ١٨٩١ فى كتابه « أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة » يكاد يرد بنصه فى كتاب فرويد « الطوطم والتابو » .

بل أن انجلز فى احدى رسائله يفسر وجود تلك الاراء التى لا يستطيع الفرد تعليل تمسكه بها أو اعتناقه لها بأن « الدافع الحقيقى الذى يدفعه لذلك يظل خافيا عليه .. ولذلك فهو يتصور دوافع أخرى زائفة أو ظاهرية » .

وفى نهاية المقدمة فقرة أضافها ستراتشى عام ١٩٦٣ يقول فيها انه عندما أعاد قراءتها بعد ربع قرن من الزمان لم يجد أن هناك شيئا يستحق الاضافة وأن ما دعا اليه من انفتاح الذهن الماركسى على المفهومات الدينامية للتحليل النفسى لا يزال أمرا واجب التحقيق .

نظريات فرويد

ان المفهوم الاساسى فى التحليل النفسى هو أنه يكمن خلف جميع الافكار والافعال الشعورية الواعية ، عمليات لاشعورية يمكن التعبير عنها بكلمة « العقل اللاشعورى » . وليست هذه العبارة فى رأى فرويد مجرد وصف للعمليات العقلية التى لا تمثل أمام الشعور ، فهذا العقل اللاشعورى ليس نوعا من مخزن الذكريات والانطباعات ، اذ أن تلك العمليات اللاشعورية ذات طبيعة دينامية نشطة تؤثر على الفكر والعمل الشعورى الواعى وتصوغه .

ويقسم فرويد الجهاز النفسى للانسان الى ثلاث قوى « الانا » ego و « الهو » id و « الانا الاعلى » Super ego . و « الهو » مستقر الشحنات اللاشعورية الدينامية ، أما « الانا » فهو الجانب الذى يتعامل مع العالم الخارجى ، أى أنه ذلك الجزء من « الهو » الذى تعدل نتيجة للتعامل مع الواقع وأصبح فى خدمة الرغبات ككل ، وأما « الانا الاعلى » فهو ذلك جانب من « الانا » الذى يمتص قيم المجتمع ونواهيه ويكون بمثابة رقيب على أفعال « الانا » .

وينحصر تقدم الانسان ورقيه فى نمو سيطرة « الانا » على جميع الدفعات اللاشعورية وكذلك فى توافقها مع « الانا الاعلى » . ورغم ما تقول به النظرية الفرويدية من أن الطبيعة الانسانية غير قابلة للتغير فى الاساس ، فهناك اعتراف بالطبيعة النوعية لنمو الانا ، ويرى بعض أساتذة التحليل النفسى ممن حاولوا اعادة صياغة النظرية الفرويدية - مثل فروم وهورنى - أنه توجد لدى الانا صفات لا يمكن ارجاعها الى الدفعات اللاشعورية ، بل ان ارنست جونز - وهو شيخ المحللين النفسيين الارثوذكس - يقول فى كتابه « التداعى الطليق » ١٩٥٩ « ان من مسلمات التحليل النفسى ان الانسان كائن اجتماعى فى جوهره ، وأن محاولة التمييز بين علم النفس الفردى وعلم النفس الاجتماعى هى محاولة خيالية ، ونحن نعنى بذلك أن عقل الانسان ينمو كلية من التفاعل مع غيره من الكائنات الانسانية وأنه لا يمكن تصور انسان نما عقله بغير هذا السبيل » .

وتنعكس علاقة الانسان بالعالم فى وعيه الاجتماعى وفى شعوره بالانتماء ومسئوليته تجاه

الاخرين ، ولسوء الحظ لا يزال هذا الوعى أو الشعور قوة ضعيفة التأثير فى الحياة الانسانية ، فالانسان مازال خاضعا لكثير من اللامعقولات التى حملها منذ الطفولة ، ومن هنا فان أى تفكير سياسى أو اجتماعى يجب أن يضع فى اعتباره أن الرجال والنساء يفشلون فى تخطى عادات واساليب التفكير الطفلى فى كثير من النواحى الهامة فى حياتهم النفسية ٠

أما عن الاحلام وتأويلها ، وهى حجر الزاوية فى نظرية التحليل النفسى ، فيمضى أوسبورن الى القول بأن النظرية الفرويدية فى الاحلام ونشاتها ووظيفتهـــا تتفق اتفاقا كاملا مع الجدلية ، وأن الماركسية فى تركيزها على الأحداث المحـــددة موضوعيا والتى هى ذات طبيعة اجتمـــاعية أساسا ، قد أغفلت الاحلام ، أى تلك الوقائع التى تبدو غير محددة موضوعيا والتى تفتقـــر الى الطبيعة الاجتماعية ، الا أن الاحلام على العكس من ذلك تلعب دورا كبيرا فى نظرية المعرفة ، فهى نوع من التفكير الاجتماعى رغم أنها لا تدخل فى التواصل بين الافراد وبالتالى لا تستخدم الاسلوب اللغوى الذى نتفاهم به وذلك بسبب مستواها التجريدى الكبير وما ينزل بها من تشـــويه وتحريف ، وعلى أية حال فان أية دراسة للانسان لا يمكن أن تتجاهل واقعية حياة الحلم ، اذ أن اشباع الرغبات التى نخفق فى تحقيقها فى الواقع من خلال الاحلام هو أمر ذو دلالة اجتماعية بالغة ٠

تبقى نقطة أخيرة وهى تفسير نظرية التحليل النفسى للسلوك الشاذ المتمثل فى الامراض العقلية والنفسية ٠ ويعتبر أوسبورن كتابه احدى المحاولات التى تنتمى الى اتجاه رؤية التحليل النفسى للسلوك الانسانى من خـــلال المحـــددات الحضـــارية والاجتماعية ، والقضية الاساسية فى كتابه كما يقول ، هى أن الماركسية والتحليل النفسى منهجان أو مدخلان متكاملان لدراسة الطبيعة الانسانية ، فالتحليل النفسى يركز على العوامل الذاتيـــة والحاجات والحوافز التى تؤدى بالانسان الى بذل الجهد والنشاط ، بينما تركز الماركسية علـــى المواقف الاجتماعية الخارجية التى تجد هـــذه الجهود طريقها للتعبير من خلالها ٠

والتحدى الاساسى الذى تواجهه نظرية التحليل النفسى فى الامراض هو تحدى المدرسة السلوكية وخاصة البافلوفية ، بعد أن أصبحت فى نظر الماركسيين اطارا للنظرية العامة فى علم النفس ٠

والحق أن الاتفاق بين بافلوف وفرويد أكثرمما هو معروف عادة ، فكلاهما من المؤمنين بالنظرة الواحدية ، اذ يعتقدان فـــى وجـــود أصـــل نيورو فسيولوجى للسلوك الانسانى ،ويؤكد بافلوف ومدرسته انه لا يمكن قيام علم وضعى للسلوك دون مثل هذا التفسير ٠

الا أن المحاولات التى بذلت لاقامة جسر بين النيوروفسيولوجى والسلوك لم تؤت أية ثمار حتى الان ، بل ان هل Hull أحد أئمة السلوكية يقول«ان هناك هوة لا يمكن عبورها بين تفاصيل ما نعرفه حتى الان عن تشريح وفسيولوجيا الجهاز العصبى وبين ما هو مطلوب لبناء نظرية دقيقة ومعقولة للسلوك الفردى » ٠

ومن الواضح أنه كان على علم النفس لكى يحرز تقدما أن يستمد من أرضه هو مفهوماته وقوانينه ٠

ولقد قدم بافلوف تفسيرا للطريقةالتىيتم بها تعلم الحيوان – الموجود داخل المعمل والمقيد بطريقة معينة – الاستجابة لبعض المنبهات التى لم يكن يبالى بها من قبل ، وطور تلامذة بافلوف وكذلك السلوكيون الامريكيون هـــذه الطريقـــة المعروفة باسم الشرطية الى مايعرف باســـم الشرطيـــة الاداتيـــة Instrumental cenditioning حيث يقوم الحيوان بأداء حركات مختلفة نتيجـــة للاستجابة للمنبه ٠

ولكن ما يحدث داخل مخ الحيوان ونـــوع الوصلات التى تحدث فى اللحاء مازال حتى الان موضع تخمينات عديدة ، ولقد رفض الكثيرون من علماء الاعصاب والنيوروفسيولوجيا المحدثـــون تفسير بافلوف لكيفية حدوثها ، وعلى أية حال فان أقصى ما يمكن أن يقال عن نظرية الاشراط أنها تبين لنا كيف يتم نوع معين من التعلم بـــوساطة الميكانيزمات الشرطية ، وهى لا تستطيع تقديم نظرية للسلوك وانما هى تلقى ضوءا على جانب هام منه وهو كيف يتم اكتساب استجابات جديدة فى ظروف معينة ، غير أن التساؤل يظل قائما بعد ذلك وهو لماذا يتم اكتساب هذا النمط أو ذاك من الاستجابات ، وما هى الحاجات التى يخدمها ؟ اذ أن الكيفية التى يتم بها ذلك لا تقدم أجابة شافية ٠

ولقد كان فرويد يأمل أن يأتى اليوم الذى يتم فيه اكتشاف الاساس العصبى لنظرياته ، وظل على الدوام من المؤمنين بالواحدية العلمية ٠ وسارت أبحاث بافلوف خطوة أبعد فى هذا الطريق ، الا أن هذا لن يعفى علم النفس من الحاجة الى صياغة نظرياته من تربته نفسها ٠

فرويد وماركس

قدم كل من فرويد وماركس تصورا نظـــريا للمجتمع البدائى ، تأمليا الى حد كبير ولم يكن لديهما سوى أدلة ضئيلة جدا لاثبات ضحـــة

تصوراتهما ، فكلا النظريتين اعادة بناء من الخيال لموقف الانسان البدائى ، وقد انطلق فرويد من احدى تصورات داروين وجعلها اساسا لنظريته عن الجمع الاولى primal Horde فقد تصور داروين ان الانسان عاش فى البدء فى جماعات صغيرة ، لكل رجل زوجة أو عدة زوجات يدافع عنهن ويحميهن ويغار عليهن غيرة قاتلة ، وطور فرويد هذه الفكرة الى القول بأن الجمع الاولى كان يحكمه ذكر قوى يحتفظ بكل النساء لنفسه ويجبر جيل الشبان الجديد ٠٠ بتهديد الخصاء ــ أن يكبحوا جماح رغباتهم الجنسية ، ومن هنا استطاع فرويد ان يفسر كافة التحريمات والنواهى والطوطمية فى المجتمع البدائى ، فقد اجتمع الابناء وقتلوا أباهم ونهشوا لحمه وتوحدوا به بهذا الشكل واستولى كل منهم على امرأة ، وما احتفال البدائيين بالطوطم ــ وهو أول الاحتفالات الانسانية ــ الا تكرارا لذكرى هذا الفعل الاجرامى الذى بدأت به الكثير من الاشياء ، كالتنظيم الاجتماعى والقيود الاخلاقية والدين ٠٠ الخ ٠ الا ان قيام نظام المحارم لم يستقم دون صعوبات ، لان كل أخ كان منافسا لاخيه ولذا وجدت فترة سادت فيها الفوضى الجنسية ، وهنا نقطة التقاء مع الفكرة التى يعرضها انجلز فى كتابه « أصل العائلة » حيث يستخدم تعبير الزواج الجمعى ليعبر به عن انتماء جميع نساء طوطم ما من الناحية الجنسية الى رجال طوطم آخر ، ويقول انجلز « ان كافة أشكال الزواج الجمعى محاطة بظروف معقدة بحيث انها تشير بالضرورة الى حالة سابقة من العلاقات الجنسية ، وبالتالى الى فترة من مشاعية العلاقات الجنسية تقابل فترة الانتقال من الحيوان الى الانسان » ويقصد بالمشاعية عدم وجود النواهى والحواجز القائمة الان والتى لم تكن قائمة عندئذ ، ومن الممكن طبعا مقابلة تلك الفترة بالفترة التى أشار اليها فرويد والتى تلت قتل الاب ٠

نظرية المعرفة

ان اهم فصول الكتاب وأمتعها هو الثامن المعنون « المادية الجدلية » اذ يعرض المؤلف فيه للاستخلاصات النظرية العامة للتحليل النفسى وعلاقتها بالماركسية ٠

فقد دأب الماركسيون على الشك فى اسهامات فرويد ، اذ أنها لم تندرج بسهولة فى الاطار العام للنظرية الماركسية ، ذلك الاطار الذى استمده الماركسيون من المادة المستخلصة من العلوم الطبيعية والبيولوجيا والدراسات الاجتماعية والسياسية ، ورغم ذلك فهناك الكثير فى النظرية الفرويدية مما يمكن أن يدرج فى اطار الماركسية ، بل ويزيد من ثرائها ويعدل عنها ٠

ويجب ان نلفت النظر منذ البداية الى ان المادية كما تفهمها المادية الجدلية تختلف فى معناها عن الفهم الدارج المألوف ، فالمادية عند الماركسيين تعنى أن للعالم الخارجى وجودا مستقلا بذاته ، مستقلا عن عقولنا وعن أى عقل آخر ، أما المثالية فهى صفة عامة يطلقها الماركسيون على أية نزعة فلسفية تثير الشك حول الوجود المستقل للعالم الخارجى ، ويعتبر الماركسيون المثالية وجهة نظر ضارة اجتماعيا ، اذ أننا لو اعتبرنا العالم الخارجى بطريقة او بأخرى غير حقيقى أو مستقل فسوف نميل الى معالجة مشاكله باعتبارها غير حقيقية بطريقة او بأخرى ، كما سوف ننكر أن العلم يعطينا اية معرفة او سيطرة حقيقية ، أما عن الجدلية فيمكن تلخيصها بايجاز شديد فى ثلاثة قوانين : الاول هو قانون التغير الكمى والتغير الكيفى ، والثانى قانون وحدة الاضداد ، والثالث قانون نفى النفى ، وهذه القوانين تعتمد على بعضها البعض ولا يمكن تناولها كل على حدة الا بغرض الشرح ٠

ولنر الان كيف يمكن أن تكون الفرويدية جدلية ٠٠ انها أولا تقدم صورة للحياة العقلية بوصفها مسرحا لقوى متفاعلة ، حافزة وكابتة ، كما تصور الصراع بوصفه قوة أساسية دينامية ، وهكذا تكون الحياة العقلية مجملا لقوى متضادة ، وتوجد كذلك عناصر شعورية وأخرى لا شعورية تولد من خلال تفاعلها هذا الثراء والتنوع فى حياة الانسان ، وتمتلىء مفهومات فرويد عن العلاقة بين الانا والهو والانا الاعلى بالمضامين الجدلية ، أما نظريته عن الحلم فهى تكوين جدلى لا شك فيه ٠

على أن الذى يهمنا فى هذا الفصل هو عرض المؤلف لمشكلة نظرية المعرفة من وجهتى النظر المثالية والمادية وموقف التحليل النفسى منها ٠

فمنذ أفلاطون أثار الفلاسفة الشكوك حول امكان الاعتماد على ، او الثقة فى المعلومات التى تمدنا بها الحواس عن العالم ، فالعالم كما تقدمه لنا الحواس ، والذى يسميه العالم المحسوس sensible world يمكن تحدى صدقه على اساس من حجتين : الاولى ان هذا العالم ليست له صفات محددة يمكن معرفتها اذ أن كل ما نعرفه عنه معتقدات وآراء متضاربة ترجع الى وجهة نظر الملاحظ ، والثانية ، هى أنه اذا لم يكن للشىء صفات محددة فلا يمكن القول بأن له وجودا حقيقيا ، لان ما هو حقيقى يجب أن يكون قابلا للمعرفة ، وفضلا عن ذلك لا يوجد فى العالم الحسى ما هو ثابت بدرجة تجعله موضوعا للمعرفة اذ لا

يظل شيء على حاله ، فكيف يمكن أن نحصل على معرفة بشيء ما اذا كان خلال دراستنا له يتغير ٠٠ يتحول الى شيء آخر ، بعبارة أخرى فان أفلاطون يجعل من الواقع حقيقة متغيرة الى الابد ، فالعالم الواقعي عنده يتكون من عالم من الافكار الازلية تعيش بنفسها ولنفسها مستقلة عن اى عقل ، وتكمن خلف العالم اليومي من المدركات الحسية ، ولم يكن أفلاطون يفهمها بوصفها أفكارا بالمعنى الذى نفهمه اليوم وانما كأنماط أو أشكال تكون الاشياء فى العالم اليومى نسخا مشوهة منها ، وما زال هذا الانكار الافلاطونى لواقع العالم المدرك من خلال الحس يجوس خلال الفلسفة بطريقة أو بأخرى ، ولقد قال **هوايتهيد** بصدق ان الفلسفة الغربية منذ أفلاطون ليست سوى هوامش على كتاباته ٠

ولعل أقوى أشكال هذا الانكار يتمثل فى كتابات **لوك وبركلى وهيوم** ، وما زالت كتابات هيوم تؤثر حتى اليوم تأثيرا قويا على الفلسفة المعاصرة ، وقد وقف لوك ضد وجهة النظر القائلة بأن العقل يمتلك معرفة لا تعتمد على الخبرة السابقة ، اى ما يسمى بالمعرفة القبلية apriori ، وعرفت فلسفته بالتجريبية Empiricism وذلك بسبب تركيزها على الدور الذى تقوم به الخبرة experience فى اكتساب المعرفة وذلك فى مقابل الفلسفات العقلية rationalist عند **ديكارت وسبينوزا وليبنتز** ، وقد عرفت فلسفاتهم بالعقلية بسبب اعتقادهم فى امتلاك العقل لمعرفة مسبقة تمكنه عن طريق الاستدلال وحده من الوصول الى الحقيقة ، ويتلخص رأى لوك فى قولته الشهيرة «لا شيء فى العقل لم يكن من قبل فى الحس» ٠ويعتقد لوك أن الصفات التى يبدو أن الاشياء تمتلكها نوعان : صفات تنتمى الى الشيء ذاته ، وصفات توجد كأفكار فى عقل الملاحظ ، وأطلق على الاولى الصفات الاولية ، وعلى الثانية الصفات الثانوية ، والاولية هى صفات الحجم والوضع والوزن والشكل اى المرتبطة بامتداد الشيء فى المكان ، أما صفات كاللون ودرجة الحرارة والرائحة فتعتمد على ظروف الملاحظ وامكاناته ـ فمثلا فى الظلام لا يكون هناك لون للشيء ـ ومن هنا كانت هذه الصفات لا تنتمى للشيء وانما هى صفات ثانوية توجد كأفكار فى رأس الملاحظ وتنشأ عن تأثير الشيء على الحواس ثم تنسب الى الشيء مرة أخرى ٠

وفضلا عن ذلك كان لوك يعتقد فى وجود « مادة » تكمن فيها هذه الصفات الاولية ، ورغم انه اعترف بعدم وجود خبرة او معرفة بمثل هذه المادة ، فقد اعتبرها مسلمة لابد منها للربط بين مختلف صفات الشيء ٠

وعارض بركلى وجهة نظر لوك هذه ؛ فقد وافق على أن الصفات الثانوية توجد كأفكار فى رؤوسنا الاولية ، قال ان ذلك ينطبق ايضا على الصفات الاولية ،فنحن نكتسب المعرفة بالشكل والوضع ٠٠الخ بنفس الطريقة التى نكتسب بها المعرفة باللون والرائحة ٠٠ الخ اى من خلال الادراك الحسى وهذه الصفات هى فى النهاية مدركات حسية Sense perceptions وأن القول بوجود مادة وراء هذه المدركات هو خرق لقاعدة التجريب التى قال بها ، وخروج على القاعدة القائلة بأن لا شيء فى العقل لم يكن من قبل فى الحس ٠

كان بركلى يرى اذن أن الواقع الخارجي كله يوجد كأفكار فى رؤوسنا ويرى أن الوجود هو الادراك ، وأن ما يملأ الارض والسماء لا وجود له دون عقل يدرك فيه وجوده ٠

ماذا يحدث اذن للاشياء التى لم نعد ندركها ؟ هل يتوقف وجودها ؟ يجيب بركلى قائلا ان جميع الاشياء هى مدركات فى عقل الله ، والحقيقة أن افكارنا تنبع من العقل الازلى للاله ، ومن هنا فاننا عندما نتوقف عن الادراك تظل الاشياء موجودة لانها مدركة فى عقل الله ، اى بسبب الادراك الالهى ٠

الا أن بركلى عرض نفسه بذلك لنفس النقد الذى وجهه الى لوك ، وهذا ما قال به دافيد هيوم الفيلسوف الاسكتلندى الشهير، فقد قبل هيوم رأى بركلى القائل بأن الواقع مكون من مدركات حسية ، ولما كان لايوجد لدينا اى ادراك حسى مباشر بالاله فلا يصح الاعتقاد بأى شيء لايوجد فى الادراك الحسى ، وبالتالى فليس لدينا الحق فى افتراض وجود الله ٠

ولم يتوقف هيوم عند نقد الادراك الالهى ، وانما اتجه الى الادراك الحسى الانسانى ، الى الذات المدركه ، وقال أنه لا يوجد شيء فى الخبرة المباشرة يبرر وجود الذات وبالتالى فأننى عندما الج داخل ما يسمى بالذات فلن أجد سوى مدركات للحرارة والبرودة أو الحب والكره ٠٠ الخ ،ولا يمكننى أن أضع يدى على الذات خالية من المدركات فى أى وقت ، وبالتالى فان الذات ليست سوى حزمة أو مجموعة من مختلف المدركات تتوالى وراء بعضها بسرعة لا يمكن ادراكها وهى فى تيار دائم وحركة لا تنقطع ٠

والتقط الماركسيون ما قال به هيوم ليخرجوا بنتيجة منطقية لا يمكن لاى مثالى متسق مع نفسه أن يفلت منها وهى انه اذا كان الواقع الخارجى لا يوجد الا بوصفه افكارا او مدركات فى عقولنا ، وأنه اذا كانت تلك الافكار هى الطريق الوحيد

للحصول على معلوماتنا وهى من انتاجنا فاننا يجب ان نعترف بأن الواقع الخارجي هو فكـرة من « عندياتنا » او بالاحرى فكرة كل واحد فينا ، لان كلا منا لا يمكنه ان يتحدث الا عن فكرته هو ، بل انه ليس من حق المثالى منطقيا أن يفترض وجوده هو ، ان معرفته بذاته يفترض أنها تقوم على الانطباعات الحسية ، وانطلاقا من نظريته لا يمكن أن تعبر هذه المدركات الحسية عن واقع آخر غير واقعها وبالتالى لا توجد أية مدركات تعبر عن الذات ، فاذا ادعى أن لديه معرفة بواقعه هو شخصيا تتعالى عن انطباعاته الحسية فانه يكون خارجا عن المبدأ الاساسى للنظرية المثالية ، بعبارة أخرى ان المثالى يجد نفسه محاصرا فى موقف يطلق عليه الفلاسفة « الانا وحدية » solipsism اى القول بأنه هو وحده موجود ، وان بقية الاشياء فى العالم هى افكار من عنده ، ولما كان لا يسمح له حتى بافتراض وجوده فانه يضطر الى افتراض وجوده كشىءيقع عليه او يحدث له الادراك، وبالتالى تقع المثاليـة فى تناقض ذاتى غير قابل للحل .

وتعتبر فلسفة **امانويل كانط** ــ بوجه مـا ــ محاولة للتغلب على مشكلة « الانا وحدية » هذه ، وهى تفعل ذلك بافتراض وجود عالم خارج عن الفكر الانسانى، عالم لا يمكن معرفة طبيعته الحقيقية ، وبالتالى فان كانط يميز بين العالم كما يبدو لنا من مدركاتنا الحسية ، وبين العالم كما هو فى ذاته ، وأطلق على العالم الذى نـدركه بأحساساتنا العالم الظاهرى phenomenal world والعالم الكامن خلف أو وراء ادراكاتنا الحسية العـالم الاسـمى noumenal world وبين هـــذين العـــالمين هــــوة لايمكـــن عبورهـــــا لان عقولنـــا مركبـــة بحيـث تفـرض صـــفات عامة على أى شىء ندركه ، ولذلك فاننا ندرك الاشياء فى الزمان والمكان ونربط بين السبب والنتيجة لابسبب أنها توجد فعلا فى الزمان والمكان وترتبط برابطة العلية،ولكن لان طبيعة عقولنا تسبغ هذه الصفات على اى شىء ندركه .

وسلم كانط بأن العقل يمتلك معرفة مسبقة يمزجها بالمعرفة المستقاة من الخبرة الحسية ويقدم البرهان على وجود المعرفة المسبقة بقـوله ان الاطفال رغم عدم وجود معرفة بـالمسافات او المنظور لديهم قادرون على تمييز العلوى والسفلى والجانبى والامامى والخلفى ، كما أنهم يمدون ايديهم لالتقاط مايسرهم ويبعدونها عما يؤذيهم ، وهذه المعرفة بالعلاقات المكانية لا تتطلب خبرة سابقة ، ففكرة المكان فكرة مسبقة توجد قبل أية خبرة واذا لم يبدأ الطفل بفكرة المكان ستختلط مدركاته الحسية ، ولكن بفضل هذه الفكرة القبلية يتمكن من تنظيم خبراته وربطها ببعضها بعضا ، وتمتزج فكرته عن المكان بخبرته عن الاشيـاء بطريقة تجعله يدرك وجودها فى المكان ، والامر كذلك بالنسبة للزمان ، فيبدو ان الطفل لديه فكرة مسبقة عن الماضى والحاضر والمستقبل لا تعتمد على الخبرة السابقة ،وبالتالى فانه يفرض نظاما زمنيا على الاحداث مثلما يفرض على الاشياء نظاما مكانيا .

وقد استمد كانط من الرياضيات أقوى براهينه على صحة دعواه ،فالقضية المعروفة ٢+٢=٤ مثلا صحيحة فى كل الظروف والاحـــوال ، ونحن نعتقـــد فى صحتهـــا اعتقـــادا مســـتقلا عن خبرتنا ، فنحن لا نستطيع أن نخبر الا عددا محدودا من الحالات التى يتضح فيها صدق هذه القضايا ، واذا كانت الخبرة هى العامل الحاسم فليس لدينا الحق فى افتراض صدق عدد مـن الحالات يزيد عما خبرناه ، ومع ذلك فنحن لانتردد فى الاعتقاد بصدق هذه القضايا ، والسبب ــ كما يقول كانط ــ أننا نعرف معرفة حدسية انها صادقة فعلا، اذ أن لدينا معرفةقبلية بصدق هذه القضايا .

كذلك يبدو أن الفيزياء الحديثة تؤيد ما ذهب اليه كانط من وجود هوة عميقة بين العالم كما يبدو لنا وبين العالم فى ذاته ، فلقد وضحت الفيزياء أن العمليات التى تنشأ بوساطتها المدركات الحسية للاشياء الخارجية فى أذهاننا ، هى عمليات غاية فى التعقيد والتركيب ، فعلى سبيل المثال فى حالة الابصار تسقط المنبهات الاتية من الشىء فى صورة موجات ضوئية على نهايات الاعصاب فى العين وتسبب سلسلة مركبة من التغيرات الكهربائية والكيماوية فيها ، وتسرى هذه التغيرات خلال العصب البصرى الى المخ فيحدث اضطراب وتغير فى اللحاء البصرى معلنا رؤية الشىء ، وتقع عدة مراحل من التحولات بين الشىء الخارجى وبين اضطراب اللحاء البصرى الدال على ابصار الشىء تجعل من غير المحتمل على الاطلاق أن يكون الناتج النهائى لهذه العملية العصبية المركبة يشبه ولو من بعيد الشىء الموجود فى العالم الخارجى والذى بدأ العملية كلها ، وكل ما يمكن قوله عنه أنه على علاقة رمزية ما مع هذا الشىء وأنه بمعالجة ماهرة لهذا الرمز يمكن التعامل مع الشىء المرموز له .

نظـــرية المعـــرفة بيـــن الماركسية والتحليل النفسى

وفى مواجهة هذه الحجج التى مازال لها تأثير قوى ترفع الماركسية راية الواقعية المدعمة بالخبرة اليومية البسيطة commen sense ، اذ يصـف المنهج الماركسى بالمثالية أية فكرة تجعل العالم

الخارجي معتمدا كليا أو جزئيا على العمليات العقلية ، اذ لا مفر من أن يصل هذا الموقف في النهاية الى « الانا وحدية » ، وتؤكد الماركسية أننا نختبر دقة معلوماتنا عن العالم الخارجي في الممارسة ، وأن مدى سيطرتنا على العالم الخارجي هي التي تثبت دقة مفهوماتنا عنه ٠

ويتفق فرويد مع هذا الرأى فيقول في كتابه « محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسى »،« اذا لم تكن هناك معرفة تتميز عن آرائنا عن طريق مطابقتها للواقع فانه يمكننا بهذا الشكل أن نبني الجسور من الورق المقوى مثلما نبنيها من الحجر ٠٠ »

ولا يميل الماركسيون الى اغراق انفسهم في دهاليز الحجج المثالية بل يعبرون عليها عبورا سريعا مصرين على المضمون « الانا وحدى » لكافة أشكال المثالية ، وبدلا من الرؤية المثالية يقدمون « نظرية الانعكاس rebleiction theory لتفسير العلاقة بين المعرفة وبين العالم الخارجي ، وتبدو هذه النظرية — في الحقيقة — متعارضة مع النواحي الاكثر ديناميه من التفكير الماركسي ، وترجع هذه النظرية الى لينين — وانجلز الى حد ما — وتقول بأن أفكارنا تعكس العالم الخارجي بطريقة تشبه بدرجة ما الطريقة التى تعكس بها المرآة الصور ، ويقول لينين في كتابه « المادية والنقد التجريبي » المادة هى مقولة فلسفية تشير الى الواقع الموضوعى المعطى للانسان في حواسه ، وهو واقع ينسخ ويصور ويعكس بوساطة احاسيسنا ولكنه يوجد مستقلا عنها » ٠

وهذا المفهوم ، فيما أعتقد مستخلص من النزعة الى اعتبار الادراك الحسى وظيفة للابصار في المقام الاول ٠

وعندما نتساءل هل العالم في ذاته « يظهر » حقيقة كما يبدو لنا ؟ فنحن نستخدم لاشعوريا التشبيه بالعلاقة بين الصورة وبين الشيء المصور أو المرآة والشيء المرئي ، ولكننا عادة لا نتساءل ما اذا كانت الاشياء ذات رائحة أو صوت في ذاتها مثلما نشم أو نسمع ، فنحن لا نستخدم التشبيه مع حواس أخرى غير النظر ٠

ويبدو لى من المفيد أن نفكر في مدركاتنا لا باعتبارها انعكاسات للعالم بل استجابات أو تفاعلات معه ، وعندما نقول اننا نرى العالم فانما نحن نستجيب له بصريا ٠

ان رؤيتنا لعلاقتنا بالعالم باعتبارها علاقة استجابية لا تعنى أننا ننكر واقعية العالم الخارجي ، فنحن بعد كل شيء نوجد في العالم ونحن جزء منه ، وتاريخنا هو جزء من تاريخ العالم — وهذا ما تؤكده الماركسية — ولكن طبيعة علاقاتنا بالاجزاء الاخرى من العالم أكثر تعقيدا وتركيبا مما تسمح به الماركسية ، ففي خلال رفضها الكلى للمثالية نسيت الحاحها على الطبيعة النشطة الفعالة للتفكير الانساني ، كما نسيت نقدها هي للمادية الميكانيكية التى ترى الانسان لعبة سلبية في أيدى ضغوط البيئة ، لقد فهم الفلاسفة المثاليون الطبيعة النشطة الايجابية للحياة العقلية ولكنهم عجزوا عن ربطها بعالم الواقع الاجتماعى ، لقد فكروا فيها تفكيرا تجريديا وهى معزولة عن العالم ، وهى عملية تطلبت نشوء علم للنفس لتصحيحها ٠

ويبدو أن هذه هى النقطة التى أشار اليها ماركس عندما قال « وهكذا حدث أن الجانب الايجابى النشط قد نمته المثالية في مواجهتها للمادية — ولكن بشكل تجريدى فحسب » ولم يفطن أحد لهذه اللفتة ، وهى لفتة تشير الى الاتجاه الذى يجب تنمية المادية وفقا له ، فالمادية باستخدامها الاسلوب العلمى يجب أن تغزو مجال الحياة الذاتية التى كانت متروكة من قبل للغياهب التجريدية للفلاسفة المثاليين ، يجب أن يكون واضحا أن رفض المناهج المثالية التى تعتمد على الاعتبارات الحدسية والتأملية المعزولة عن الواقع الاجتماعى شيء ، وأن انكار وجود النشاط العقلى الذى تتأمله المثالية وتتبحر فيه هو شيء آخر ٠

ان التفكير المعاصر في علم النفس وفي التحليل النفسى بوجه خاص هو انعكاس هام لنوع المشاكل التى تواجهها الانسانية اليوم ولقد لاحظ ماركس أن الانسان يشغل نفسه بالمشاكل التى توجد حلولها في متناوله والتى ترتبط بتقدمه المقبل ، ومن هنا كان العلم مشغولا كلية بغزو عالم الطبيعة الخارجي بحيث انه لم يفرد وقتا كافيا للمشاكل التى تفرضها الطبيعة الداخلية للانسان ، الا أن هذه المشاكل تطالب بالاولوية الان ، انها تطالب بأن تنقل من مجال التأمل الفلسفى وتخضع للنظام العلمى الصارم ، ولقد أشار برتراندرسل الى أن المشاكل الفلسفية هى تلك المشاكل التى لم يستعد العلم بعد لمعالجتها ، ولكن العلم الان مستعد لمعالجة طبيعة تلك العمليات العقلية التى تقوم بما هو أعظم من مجرد أن تعكس العالم في مدركات وافكار ومفهومات ، انه يجب أن يعرف كيف تؤثر رغبات الانسان وآماله ومخاوفه وشكوكه تأثيرا ايجابيا على تصوره للواقع ، فالواقع الاجتماعى هو شيء يضعه الانسان بنفسه بين ذاته وبين البيئة الطبيعية والجغرافية ، وهذا ما يؤكده الماركسيون ، الا أن هذا الواقع الاجتماعى مشبع تماما باللامعقولات وبالاساليب وطرائق التفكير التى تكشف عن عدم النضج الانفعالى المستمر

للانسان ، والتحليل النفسي هو أول خطوة هامة في سبيل فهم مصدر وطبيعة هذه الفجاجة ، ولا تستطيع فلسفة أو نظرة شاملة للعالم ترغب في الا تكون مجرد دراسة أكاديمية تأملية ، أن تغفل أو تتجاهل اسهام النظرية الفرويدية، بل والا تدمجها فيها وتجعلها جزءا متكاملا منها ، وينطبق هذا القول على الماركسية بصفة خاصة لانها اعظم المحاولات المعاصرة جدية في بناء نظرة شاملة للعالم تحتل فيها علاقة الانسان بالكون مركزا أساسيا .

■ ■ ■

أصـــــل البـورجـوازيـة

■ تاليف :

ريجين برنو

■ ترجمة :

فهمي الدالاتي

■ مراجعـــة

د. عمر شخاشيرو

■ عرض وتعليق :

سعد رحمي

■ الناشر :

منشورات وزارة الثقافة

دمشق ـ ١٩٧٠

يقدم هذا الكتاب تاريخا علميا لتطور البورجوازية الفرنسية مبتدئا من تحليل المجتمع الاقطاعي الذي ظهر على انقاض الامبراطورية الرومانية القديمة في الغرب ، شارحا بالتفصيل خصائص النظام الاقتصادي الطبيعي المغلق القائم على الاكتفاء الذاتي والذي يمثل قاعدة الاقطاع التقليدي .

ثم يتتبع الكاتب تطور البورجوازية من داخل أحشاء هذا النظام ، من النواة الاولى للتجار الرابضين حول المدن القديمة ، الى نشأة بعض الصناعات محل المهن الريفية الصغيرة الى زيادة الانتاج الزراعي عن حد الاستهلاك المحلي، مع كل ما نتج عن ذلك من تحطيم أسس النظام القديم القائم على الاقتصاد الطبيعي لمغلق وفتح الطريق أمام الانتاج بهدف التبادل .

وبمرور الوقت ـ كما يشرح الكتاب بدقة واسهاب ـ تحقق الطبقة الناشئة عديدا من الامتيازات وفقا لمكانتها ووزنها في مجال الاقتصاد ، ومن خلال صراع اتسم بالعنف أحيانا ، تنشأ المدن الحرة والكومونات وفئات الصرافين كنقط ارتكاز هامة للطبقة الجديدة التي انفصلت عن الشعب منذ بداياتها المبكرة رغم التعرجات أو المواقف التي أملت الضرورة لقاءها به في بعض الاحيان .

وسرعان ما تتبلور الطبقة الجديدة في مجال التجارة والصناعة ويصبح العمل المأجور هو السلعة الرائجة ، وتظهر الى الوجود بدايات أولى للتمركز الصناعي ، ويشهد هذا التطور الجديد ـ كما يقدم الكتاب ـ معارك كثيرة خاضها المنتجون ضد مستغليهم ، تميزت في بعض المناطق ـ كالفلاندز ـ بطابع بالغ الحدة .

ومع حركة التاريخ تزداد طبقة النبلاء انهيارا ، وتزدهر جمعيات أصحاب المهن ، وتصل الى مراكز قريبة جدا من قمة السلطة ، وما أن تأتى حركة الكشوف الجغرافية والقرصنة وراء الذهب والاستعمار الجديد فى القرن السادس عشر حتى تصبح النقود هى سيدة الموقف ، ويصبح النموذج الجديد فى عالم العمل هو الرأسمالى الذى لا عمل له سوى شراء وبيع المواد الاولية والمنتجات ، والذى يقوم أيضا بتجارة النقد والاسهم ، وأهم من كل ذلك فانه ــ كطبقة ــ يمارس ضغطا حقيقيا على سلطة الدولة المركزية ٠

وينتقل الكاتب بعد ذلك الى شرح الظروف التى أخذت تنشأ منذ القرن الثامن عشر والتى أدت الى التوسع الهائل فى وضع الصناعات الصغيرة وارساء اللبنات الاولى لنشأة الراسمالية الصناعية ، وتعمق العلاقات الجديدة القائمة على العمل لدى موردى المواد الاولية لقاء أجر محدد ، كما شهدت نفس الفترة ازدهار المذهب الاقتصادى الحر الذى ينادى بأن حرية انتقال الخامات والمنتجات هو الذى يدفع بالانتاج الى الامام ويزكى المنافسة لصالح المجموع ٠

وفى مجرى هذا التطور الاقتصادى والاجتماعى العميق الاثر ، كان ثمة تطور مواز يأخذ مجراه فى مجال الوظائف الحكومية والاجهزة النيابية يشرحه الكاتب فى استفاضة فى الفصل الخامس متتبعا التطورات التى طرأت فى هذا المجال ،وتقلص القبضة الملكية والاقطاعية بالتدريج على مراكز السلطة والتوجيه ، وارتقاء الطبقة البورجوازية الغنية الى وظائف الدولة بأعداد وفيرة ، وحتى بعض المراكز التى كانت حكرا على طبقة النبلاء تسربت اليها البورجوازية عن طريق شرائها لاملاك النبلاء المفلسين ــ وهم كثيرون ــ بما فى ذلك ألقاب النبالة ٠

وفى الفصل السادس يحدثنا الكاتب عن البورجوازية المالية ، وهو يتتبع تطور هذا القطاع من الرأسمالية منذ القرن الرابع عشر شارحا كيف كانت عمليات الاقراض فى العصور الوسطى من عمل رجال المصارف اليهود اساسا ثم كيف ظهرت ــ فى القرن السادس عشر ــ فى باريس هيئات متخصصة للاعمال المصرفية ، ثم يتتبع الكاتب اتساع الدور الذى لعبه كل من المال والاقراض نتيجة لاكتشاف واستثمار العالم الجديد ، والاندفاع الجنونى وراء الربح والمضاربة ، وفى هذه المرحلة شهد التطور الاجتماعى تقدما ملحوظا فى علوم الحساب والمعرفة العلمية وخاصة بين صفوف الطبقة البورجوازية التى أبدت اندفاعا قويا نحوها ٠

وكان من أهم ما أتى به التطور الجديد أن اعتبرت الارض ذاتها قيمة يمكن تحويلها الى دراهم ، وأصبحت البورجوازية ترى فى حيازة الارض توظيفا مثمرا للاموال ، ولكن البورجوازية

الارض توظيفا مثمرا للاموال، ولكن البورجوازية

فى نفس الوقت كانت تعلق على الثروة المنقولة نفس الاهمية التى تعلقها على الاموال غير المنقولة ٠

ولقد بدا خلال القرن الثامن عشر على وجه الخصوص أن النقد هو شرط كل قوة وعصب الحياة الاقتصادية والاجتماعية فانفتح العصر المذكور على انقلاب مالى كبير ، وأتخذت الصناعة والزراعة والحياة الاقتصادية بشكل عام الشكل الرأسمالى بكل وضوح وأصبح دور العمل مقيدا أكثر وأكثر بتوزيع المواد الاولية والارباح ، فى حين كان دور رأس المال هو المتفوق ، وأصبح البورجوازى فى القرن الثامن عشر هو الذى يسهر على ثروته ويمكنه أن يحيا فى شبه فراغ مقتصرا على مراقبة ادارة مشاريعه أو متابعة حركة دخله ، وهكذا ازدادت الثروات الكبيرة فى حين ازداد مستوى معيشة الجماهير الشعبية انحطاطا ٠

وفى المراحل الاخيرة للنظام القديم كان هناك الازدهار فى مجالات الصناعة والزراعة والتجارة فى جانب ، والاضطرابات المالية للدولة وديونها المثقلة من الجانب الاخر ، وفى ظل هذا الوضع أخذت البورجوازية الحانقة تسعى دائما الى مراقبة فرض وتوزيع الضرائب ، ومع كل ما أنتزعته من الملكية من تنازلات ، لم يكن مفر من الصدام والثورة لتعديل البناء الفوقى للكيان الاجتماعى كله بما يتفق مع واقع الحال فى جوف هذا المجتمع ، وتوازن القوى الحقيقى بين الطبقات ٠

ويقدم الكاتب فى الفصل الاخير عرضا شائقا للتطور فى مجال الفلسفة والذى كان يجرى فى خط مواز لكل هذه التحولات الاجتماعية العميقة فمن التفكير القديم المستوحى من مفكرى اليونان واللاتين الى انتشار المذاهب الاصلاحية **اللوثرية والكالفنية** المغايرة تماما لموقف الفلاسفة التقليديين ، والتى سمحت بالاقراض بالفائدة مما فتح الطريق أمام الرأسمالية ٠

ثم يأتى **ديكارت** ليعطى البورجوازية الفرنسية الاساس الفلسفى الذى كان ينقصها ، فسوغ لها رفض الماضى ، واذ كانت البورجوازية لا تثق الا بتفكيرها ، فقد نادى لها ديكارت بفلسفة عقلانية صرفة ٠

ثم يأتى **فولتير** ليجمع وحده خلاصة صفات العصر جميعا ، فتعتنق البورجوازية المتعطشة لمعبر عنها آراءه بكل حماس ٠

ويتبعه روسو ليعلن من قيمة الحقوق العاطفية ويرسم صورة للمجتمع المثالي بحقق للبورجوازية تطلعاتها ٠

ويختم المؤلف كتابه بفصل عن السلطة ، شارحا كيف أن كل هذا التطور كان لابد وأن يقود الى تبديل النظام القديم والغاء الامتيازات التى لم تعد تتفق وواقع الامور ٠

ويتتبع الكاتب فى عرض شيق ذلك الصراع الرهيب الذى دار فى مجلس الطبقات ، والغاء الامتيازات القديمة فى حومة هذا الصراع ، ثم ما كان من تطورات خطيرة انتهت بالغاء الملكية وظهور نظم الانتخاب الجديدة التى تشترط النصاب المالى الذى يحدد بكل حسم طبيعة الطبقة الجديدة التى حققت سيادتها ٠



مجلة « الطليعة » السورية

السياسة ٠٠

ودور الجبهة الوطنية التقدمية

بقلم : د ٠ طيب تيزيني

ان قضية السلطة السياسية والقيادة السياسية تشكل فى البلدان المتخلفة مسألة جوهرية تنعكس فى مجموع الحقول الاجتماعية والاقتصادية والقومية والعلمية والاخلاقية ٠ والذى يتعقب الوضع فى تلك البلدان بنوع من الدراية العلمية ، يلاحظ حقيقة لا يمكن الا أن تؤخذ بعين الاعتبار اذا توخى المرء دراسة ذلك الوضع ، هذه الحقيقة هى أن جل مجموع تلك الحقول يرتبط بشكل عضوى بحل المشكلة السياسية فى تلك البلدان ، ان هذا التأكيد لا يتعلق بالقول بأن العلاقات الاجتماعية الاقتصادية الانتاجية تشف من الوضع السياسى وأن هذا الاخير مفتاح الاجابة عن العوامل الاساسية فى تطور المجتمع الانسانى ٠

ان المقصود هنا بذلك التأكيد على المشكلة السياسية ، هو أن تلك العلاقات الاجتماعية الاقتصادية الانتاجية قد بلغت فى تطورها مرحلة تستوجب حلا سياسيا جذريا وسريعا ، والوطن العربى الذى يكون قطاعا أساسيا من البلدان المتخلفة ، يجسد ذلك الواقع السياسى على نحو مكثف ٠

٠٠٠ أننا نستطيع القول بأن وطننا عاش ولا يزال يعيش أزمة سياسية ، وهذه « الازمة السياسية » نستطيع أن نكتبها بأحرف كبيرة ٠ والحقيقة أن هذا يعود الى أسباب بعيدة وعميقة فى تاريخنا ، فمن المعروف أن مجتمعنا العربى لم يحقق ثورة بورجوازية ديمقراطية بأبعادها وآفاقها الشاملة ، لقد تحرك حتى القرن العشرين بالخط العام ، فى اطار اقطاعى ، أما البدايات البورجوازية التى أخذت تكتسب وجودها فيه ، فلم تكن قادرة على تكوين هوية متميزة للوضع الاجتماعى الاقتصادى الجديد ، كما أن هذه البدايات أدينت فى مطلع تكونها من حيث عجزها عن حل المشكلة القومية فى الوطن العربى ، ان الاستعمار المتطور ، والاقطاع الداخلى الشرس استطاعا قمع التحرك البورجوازى الديمقراطى فى كل الحقول والمجالات ، ونتيجة هذا الوضع ورثت تلك البدايات البورجوازية التركة السياسية الاقطاعية ٠

والمخلفات السياسية الاقطاعية تتحدد بمفاهيم معينة ، منها «القمع » و « الاستزلام » و « شراء ضمائر الكادحين و « اجهاض » أو « استيعاب » الحركات المناوئة بأساليب عريقة بالخبث والعنف والدجل ٠٠ الخ ٠٠ أن هذه المفاهيم تحولت الى جزء أساسى متمم للنشاط السياسى الرأسمالى الاقطاعى فى الوطن العربى ، هذا طبعا بالاضافة الى المفاهيم الاخرى المستحدثة ، مثل « حرية المواطن و « كرامة المواطن » و « المساواة فى الحقوق والواجبات » الخ ٠٠ فى هذا الركام الضخم من المشكلات والصراعات بين القوى الاجتماعية والسياسية المختلفة كانت مفاهيم الثورة ، والتقدم ، والوحدة ، والاستقلال ، والاشتراكية ، تبرز أكثر فأكثر فى الواقع الاجتماعى

والسياسي .. وقد حملت هذه المفاهيم الجديدة قوى اجتماعية وسياسية ينسحب عليها قاسم مشترك عام، بالرغم من الفروق الطبقية والسياسية والاقتصادية والفكرية بينها، ان ذلك القاسم المشترك هو كونها مضطهدة من قبل الرأسمال الاستعماري العالمي والاقطاع الكبير المحلي، وقد عملت المعارك السياسية والاقتصادية - والعسكرية أحيانا - مع العدو الخارجي على ترسيخ قاعدة القاسم المشترك ذلك، ولكن بطبيعة الحال لم يكن يمكننا لا واقعيا ولا نظريا غض النظر عن التناقضات التي تواجدت بين القوى الاجتماعية والسياسية تلك، وان سبب ذلك يكمن بالخط الاول في توزع هذه القوى طبقيا وسياسيا واقتصاديا على نحو متناقض، فمن طرف: الكادحون من فلاحين وعمال وحرفيين، ومن طرف آخر: المستغلون من رأسماليين - وأعوانهم الاقطاعيين ٠

وفي خلال التطور الاجتماعي الاقتصادي في الوطن العربي كانت الفئات المتوسطة والصغيرة من البورجوازيين أو الرأسماليين تعاني من مسألتين: **أولاهما**، تزايد اضطهاد الراسماليين الكبار، والاقطاعيين والرأسمال الاجنبي .. أما المسألة الاولى فقد تركزت في تزايد قناعة تلك الفئات بأن مصيرها «يمكن» أن يكون مرتبطا بمصير الكادحين أيضا ٠

أن انسداد آفاق التطور في اتجاه رأسمالي - أو اقطاعي - كان يؤكد على نحو متزايد من العمق على أن «تحالفا ما» يجب أن يظهر الى الوجود بين مجموع أطراف الكادحين، ولكن فقدان «الوعي الذاتي» المتطور لهذه الاطراف كان يعقد دائما المشكلة، فالجماهير الكادحة كانت تتحرك بشكل عام على أرضية لا عقلانية بعيدة عن التفهم العلمي للامور، بل أكثر من ذلك، أن وعيا اشتراكيا لم يكن قد احتل مواقعه الواسعة والعميقة بين صفوف الكادحين وبين مثقفي تلك الفئات المضطهدة من البورجوازية المتوسطة والصغيرة ٠

الا أن تطور الامور عمق المبرر «الموضوعي» لقيام مثل ذلك التحالف التاريخي، وقد كان لهذا أبعد الاثار في عملية نضج الوعي الذاتي لظروف قيام ذلك التحالف، لقد شهدنا في مناسبات سابقة عديدة محاولات من تلك الاطراف لطرح مشروع لـ «جبهة وطنية» بينها، ولكن هذه المحاولات كانت تفشل نتيجة أسباب عديدة، في طليعتها أن البنية الطبقية للاطراف المعنية لم تكن قد تميزت بشكل سافر وعميق، بحيث أن كلا يستطيع تحديد مواقعه «السياسية» على ضوء ذلك، كذلك التراكمات الذاتية الضخمة التي وقفت عائقا دون اللقاء بين الاطراف تلك، كذلك ينبغي ابراز واقع أن البورجوازية الكبيرة لم تفصح بعد بوضوح عن أهدافها الاقتصادية والسياسية البعيدة، فقد أثبتت هذه البورجوازية «نهائيا» فشلها في تحقيق ثورة صناعية في البلد تقوده الى استقرار اقتصادي اجتماعي معين ..

.. وثمة واقع جديد دخل مسرح العملية وهو أن تناقضا بين الحياة السياسية والحياة الاجتماعية والاقتصادية أخذ يتوطد ويتعمق فلقد استطاعت قوى لا تمت بصلة الى تلك البورجوازية الكبيرة القفز الى السلطة السياسية، خالقة بذلك قلقا واسعا في أوساط هذه البورجوازية، ولا شك أن الهجمات الاستعمارية على بلدنا قد ساهمت في تحديد معالم الوعي الذاتي لاطراف الكادحين، بحيث أنها أخذت تطالب بالحاح أكثر بتحقيق تحالف تاريخي بين ممثليها ٠

وفي خلال ذلك كله، وعبر القيام بانتقادات وانتقادات ذاتية بين هؤلاء الممثلين، كانت قضيتا الاشتراكية والوحدة العربية تتزايدان عمقا في أدمغة الجماهير، وتكتسبان أكثر فأكثر من أبعادهما الحقيقية العلمية، لقد تحقق في أثناء ذلك وشيئا فشيئا «الاجماع» على أن الاشتراكية **هي الحل الصحيح لمشكلات التخلف في الوطن**، وعلى أن الوحدة العربية لا تمثل ضرورة تاريخية فقط، وانما تستلزم تحقيقها المعارك الدائرة بين الشعب العربي كله ضد أخطبوط الاستعمار والصهيونية وكذلك ضد الرجعية الداخلية ٠

هكذا نجد أن مرحلة جديدة في التحول «السياسي» ضمن أطراف ممثلي الكادحين «المضهدين» كثيرا أو قليلا قد أخذت تشرئب بعنقها، باحثة عن أبعاد وآفاق أوسع وأشمل ٠

.. ان الدفاع عن منجزات التقدم في الحقلين القومي والاجتماعي يمكن أن تساهم في انجازه «الجبهة الوطنية التقدمية» عن طريق المشاريع والمراقبة الديمقراطية للسلطة التنفيذية في البلد، وما نحسبنا الا مؤيدين لهذه الخطوات الايجابية التي تحمل آفاقا جديدة على طريق سعادة الامة والوطن ٠

مجلة « رومانيا اليوم »

٥٠ عاما على بدء الحركة الثورية فى رومانيا

المقال الافتتاحى

فى ٢١ مايو ١٩٧١ ، يكون قد مضى خمسون عاما على تأسيس الحزب الشيوعى فى رومانيا . وقد عرضت مجلة « **رومانيا اليوم** » لهذه المناسبة ، فأشارت الى ان تكوين الحزب كان خطوة اساسية فى حياة الشعب الرومانى ، تمتد جذورها الى الحلقات الحرفية والسياسية للعمال . وجاء تكوينه بمثابة ظاهرة ترتبط بالقضايا التى طرحها المجتمع الرومانى على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وأشارت المجلة الى ان كفاح الشعب الرومانى قد مر بمراحل متعددة . وجاء تكوين الحزب ، ايذانا بتصاعد فى الحركة الثورية العامة التى شملت البلاد . وهكذا ، فانه بعد عام ١٩١٨ ، بدأت مرحلة حاسمة فى تاريخ الشعب الرومانى . فبعد الحرب العالمية الاولى ، استكملت الدولة الرومانية وجودها ومقوماتها . وفى ظل هذا الوضع الجديد ، ركزت جماهير الامة الرومانية اهتمامها على بناء وطنها . وفى هذه الامة ، ولدت الطبقة العاملة الرومانية ونمت . ولكن اذا تحدثنا عن عام ١٩١٨ ، باعتباره بدء مرحلة حاسمة فى تاريخ الشعب الرومانى ، فان هذا يعنى ان الحزب قد ولد فى مرحلة اشتدت فيها التناقضات الاجتماعية — قبل وبعد الحرب العالمية الاولى — ومن خلال هذه التناقضات ، نشأت أوضاع اجتماعية واقتصادية ، تفجرت على اثرها ثورات وانتفاضات فى أكثر من بلد . وفى ظل هذا الوضع ، اتجهت الحركات العمالية — فى أكثر من بلد أيضا — الى تكوين أحزابها الخاصة . حدث هذا فى ألمانيا والنمسا والمجر والصين والارجنتين وبولندا وبلجيكا وايطاليا ، وفى بلدان أخرى فى آسيا وأمريكا . وفى رومانيا كانت الضرورة ملحة أيضا لخلق حزب ثورى جديد .

واذا كان تطور الاوضاع الداخلية فى رومانيا قد طرح مهمة بناء حزب جديد ، فقد نشأ هذا الحزب أيضا فى ظروف دولية ، أثرت فى تكوينه . ويمكن أن يقال انه نما أيضا فى ظل تصاعد حركة الثورة العالمية ، هذه الحركة التى تبلورت فى روسيا فى قيام ثورة أكتوبر الاشتراكية .

وبين عامى ١٩١٨ و ١٩٢٠ ، شهدت رومانيا نهوضا عارما فى حركة الجماهير الرومانية . ولم تكن الطبقة العاملة وحدها هى الطبقة التى تتحرك ، بل انضمت اليها قطاعات واسعة من الطبقات الشعبية الكادحة . فى ذلك الوقت ، كان هناك حزب اشتراكى فى رومانيا . غير ان القضية التى طرحت اذ ذاك ، لم تكن قضية تقسيم الحزب الاشتراكى ، بل كانت اقامة حزب جديد ، يقوم على الماركسية اللينينية ، يتمثل فى داخله خيرة التقاليد التقدمية ، وأحسن ما فى تراث الحركة الثورية .

وعندما قام الحزب الجديد ، لم يكن قيامه ثمرة عمل حفنة من الافراد [حتى وان كانوا من خيرة المناضلين] . ولكنه جاء ثمرة مواقف وتضحيات عشرات الالوف من العمال ، ومن القوى التقدمية الاخرى .

ولا شك ان الحزب الوليد كانت تنقصه خبرات كثيرة . لكن الحياة نفسها قد علمته كيف يستخدم الوسائل القانونية ، من أجل تنظيم الجماهير ، ومن أجل الحريات الديمقراطية . والحياة نفسها هى التى علمته أيضا كيف يواجه فى ظروف السرية المفروضة عليه ، الحكم الرومانى الموالى لالمانيا الهتلرية . وهكذا ، فانه فى سنوات ما بين الحربين ، وعندما تعاظم تهديد الفاشية على النطاق القومى والعالمى ، وعندما خضع حكام رومانيا لضغط الهتلرية ، وقاموا بالغاء الديمقراطية البورجوازية ، والحد من الحريات المدنية ، ركز الحزب على بناء جبهة تضم كل القوى الوطنية والديمقراطية ، تحت شعار : الدفاع عن استقلال البلاد وسيادتها .

وعندما خضعت رومانيا تماما للسيطرة الهتلرية كون الحزب جبهة النضال المعادية للفاشية ، تحت شعارين رئيسيين :

— اسقاط دكتاتورية انطونيسكو .

— انسحاب رومانيا من الحرب الهتلرية .

وتحت هذين الشعارين ، قاد الحزب الانتفاضة ضد الفاشية فى أغسطس سنة ١٩٤٤ ، هذه الانتفاضة التى مهدت لقيام نظام جديد ، ثم مضى الحزب يدعم الجبهة المعادية للهتلرية ، وطرح برنامجا ، يستهدف تحقيق الاصلاح الزراعى ، والبناء الاقتصادى ، من أجل انجاز مهام الثورة البورجوازية الديمقراطية ، بل لقد تمكن من أن يصوغ فى النهاية شروط فترة الانتقال بالبلاد الى الثورة الاشتراكية .

جريدة البرافدا

الدولار والسوق الاوربية المشتركة

بقلم : يورى زوخوف

قامت جريدة برافدا السوفيتية فى سلسلة لها من المقالات تحت عنوان «الدولار وأوربا» بتحليل النتائج الخطيرة المترتبة على تدهور الدولار وآثارها على الدول الاوربية الاعضاء فى السوق الاوربية المشتركة والحلف الاطلنطى فوضحت أسباب انهياره من ناحية، وأسباب استمرار مساندة الدول الغربية له من ناحية أخرى ·

لقد تدفقت الاستثمارات الامريكية على الدول الاوربية الغربية واليابان بعد الحرب العالمية الثانية من أجل اعادة بناء ما هدمته الحرب · وكان مركز الدولار فى هذه الفترة قويا لما يتمتع به من قابلية التحويل للذهب، وبذلك ارتبط الدولار بسعر الذهب، وأصبح احتياطى الدولة من الدولار، بديلا لاحتياطى الذهب · غير أن الاحوال قد تبدلت فيما بعد، حيث قطعت كل من دول أوربا الشرقية والغربية واليابان شوطا كبيرا فى سبيل التنمية · وبدأت أمريكا تدخل فى سباق التسلح، ثم دخلت فى حرب الهند الصينية · ان هذه التغيرات الجذرية بدأت تنعكس على مركز الدولار فعلى الرغم من أن سعر الذهب مرتبط بثمن الدولار الا أن الدولار أصبح غير قابل للتحويل للذهب فى الاسواق المالية · ومما يزيد الامر خطورة تصريح الرئيس الامريكى نيكسون بأنه يرغب فى التوسع فى حرب الهند الصينية · وهذا يعنى زيادة العجز فى ميزان مدفوعات الولايات المتحدة الامريكية، وبالتالى، انخفاض قيمة الدولار · ويتوقع الخبراء أن يصل العجز فى العام الحالى فى ميزان المدفوعات الامريكية الى ٢٠ ـ ٢٥ بليون دولار · وعلى هذا الاساس فان أى هزات فى الاقتصاد الامريكى سوف تصل بالضرورة الى الدول الاوربية المرتبطة بالدولار ·

ونسأل عن السبب الذى من أجله تستمر دول أوربا الغربية فى مساندة الدولار · واجابة على ذلك فانه طبقا لاتفاقية (بريتون وودز) فان الدول الاوربية، الحليفة للولايات المتحدة، تجد نفسها مضطرة الى مساندة الدولار المتدهور مهما كلفها ذلك · فاذا عرفنا أن البنوك الغربية مجبرة على شراء ما يقرب من ١٠ فى المائة من الدولارات التى ترد فى السوق المالى الدولى سنويا وذلك تدعيما للتبادل بالدولار كعملة وكرصيد للنقد، فان هذا بالضرورة سوف يؤثر على الاستثمارات الاوربية وتمويلها · هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، نجد أن دول أوربا الغربية لم تتمكن حتى الان، وعلى الرغم من الجهود المبذولة، من اعادة قابلية عملاتها للتحول الى الذهب كما أنها لم تحظ بعد بالضمان الكافى لاستعمالها كمخزون للعملة وأرصدة بالبنوك بدلا من الذهب ·

غير أن الاصوات بدأت ترتفع فى دول أوربا الغربية مطالبة اعادة النظر فى سياسة تدعيم الدولار فنجد صحيفة« الفيجارو » الفرنسية تحذر من أن تدهور الدولار سوف يترتب عليه بالتبعية تدهور عملات الدول الحليفة، وأن حالة التضخم التى أصابت السوق المحلى الامريكى والتى تظهر فىصورة عجز فى ميزانمدفوعاتها تحملها أمريكا للدول الحليفة بدلا من أن تعالج مشكلة التضخم . ونجد أيضا فى تصريحات بعض المسئولين الفرنسيين « ان الدولار لم يعد جديرا بأن يكون الدعامة الوحيدة للتبادل الدولى » .

والسؤال الذى نطرحه الان هو ما هى الخطوات الايجابية التى أتخذتها الدول الاعضاء فى السوق المشتركة والحليفة للدولار الامريكى من سبيل المحافظة على كيان عملتهم ! وذلك فى غمار ثورتهم على الوضع الحالى ·· لقد ظهرت عدة آراء فى هذا الصدد ابتداء من عام ١٩٧٠ غير أن الفكرة السائدة الان والتى يحاول البعض تطبيقها فعلا هى الغاء فكرة السيادة الدولية للدولار وهذه الافكار انعكست بما يسمى (خطة ورنر) والتى تدرس حاليا وسيلة ايجاد عملة بديلة للدولار لا تكون أيضا عملة دولة أخرى أو دول أخرى بحيث تصلح هذه العملة كرصيد نقدى وللتعامل الدولى ·

●●●

مجلة السلم والاشتراكية

هل هناك ثورة فى بيرو ؟

بقلم : جورج دل برادو

تحت هذا العنوان نشرت **مجلة السلم والاشتراكية** مقالا بقلم **جورج دل برادو** قدم فيه تقييما عاما للوضع الراهن فى بيرو ولنظامالحكم الجديد . فأشار أن ما حدث منذ أكثر من

عامين فى بيرو هو انقلاب عسكرى من نوع جديد ، لكنه ليس من نوع الانقلابات الرجعية المعروفة فى أمريكا اللاتينية والتى تخصص فيها الجنرالات الموالون للامبريالية الامريكية ، ودلل الكاتب على الفرق بين النظام الجديد وبين الانقلابات العسكرية التقليدية فأشار الى أن منهج الادارة الذى اتبعه قادة النظام الجديد يختلف جوهريا عن الانقلابات العسكرية الرجعية التى عرفتها بيرو ، فباستثناء العنف الذى اتبع فى الاطاحة بحكومة **بيولندا** والقبض على بعض اعوانه ، فان النظام الجديد لم يتعرض للاحزاب القائمة ، وترك لها حرية العمل بمافى ذلك بعض الاحزاب التى عرفت بميولها الموالية للامبريالية ، وبالاضافة ، فان بقية الاحزاب بما فيها الحزب الشيوعى ، تركت قائمة وكذلك الامر بالنسبة للمنظمات الديموقراطية وفى مقدمتها اتحادات العمال ، والسبب فى رأى كاتب المقال هو أن برامج الحزب الشيوعى والمنظمات الديموقراطية الاخرى تنسجم الى حد بعيد مع اتجاهات النظام القائم من حيث الاتفاق على النضال ضد الامبريالية وضد حكم الطغمة المالية .

ومضى الكاتب فى توضيح طبيعة النظام الجديد فقال : ان هذا النظام قد أمم صناعة البترول [احتكار أمريكى يملكه **روكفلر**] وأصدر قوانين الاصلاح الزراعى ، وقوانين لتطوير الصناعة ، وأحكم الرقابة على النقد ، وأصدر مرسوم حرية الصحافة ، وطرد البعثات العسكرية الامريكية ، وأقام علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية مع الاتحاد السوفيتى وبقية البلدان الاشتراكية على وجه التقريب .

وقال الكاتب : انه من أجل أن يقدر الانسان عمق هذه الاجراءات لابد وأن يعرف أن ثروات بيرو الهائلة كانت نهبا لعدد قليل من الاحتكارات العملاقة التابعة أساسا للولايات المتحدة الامريكية ، وبتأميم البترول استعادت بيرو بعد ٤٠ عاما ٨٠ فى المائة من مصادر الطاقة المتاحة فى البلاد ، وبتأميم مناجم النحاس والتجارة الخارجية فى المعادن استطاعت بيرو أن توفر النحاس بأثمان منخفضة لصناعتها الوطنية ، وأن تجد اسواقا أفضل لبيعه فى الخارج .

واذا كانت الاحتكارات الامبريالية لاتزال ، حتى الان ، تحصل على أرباح فاحشة فى قطاعات أخرى عن طريق الاستثمارات المباشرة وغير المباشرة فى بيرو [بعض العمليات المصرفية — صناعة السكر — مصايد الاسماك — وزيت كبد الحوت — صناعة النسيج] ؟ تقول ان هذا الوضع لايزال محل اهتمام النظام الجديد ، وعلى سبيل المثال جاء قانون الاصلاح الزراعى ليحول جميع المؤسسات والاراضى « الاهلية » والمملوكة لشركات زراعية صناعية اجنبية الى تعاونيات لصلحة عمال الزراعة وعمال تكرير السكر ، وبهذا القانون طردت الاحتكارات التابعة للولايات المتحدة ولالمانيا الغربية من صناعة السكر ، ومضت الحكومة فاتخذت فى قطاع المصارف عددا من الاجراءات الحازمة ، وتمكنت الدولة من أن تملك ٦٠٪ من أصول البنوك ومن العمليات المصرفية ، وفتحت بذلك الطريق أمام احتكار الدولة للعمليات المصرفية .

ويعتبر اصدار « القانون الاساسى للصناعة » أكثر اجراءات النظام الجديد فعالية ، وبمقتضى هذا القانون وضعت الدولة يدها على الصناعات الرئيسية ، وهكذا تتقلص شيئا فشيئا فى بيرو ظاهرة التبعية الاقتصادية للقوى الامبريالية ، وبالاضافة الى ذلك ، وحتى نستطيع أن نتبين أهمية الاصلاح الزراعى تكفى الاشارة الى أنه قبل ١٩٦٨ كان ٩٢٪ من المزارع تقل مساحتها عن عشرة هكتارات ، وكانت هذه المزارع الصغيرة تمثل ٦ر٨ فى المائة من الارض المزروعة ، فى حين أن ٠٤ر٠ فى المائة من المزارع كانت فى حدود ٥٠٠ هكتار أو أكثر ، وكانت هذه المزارع الكبيرة تمثل ٦ر٧٥ فى المائة من الارض المزروعة ، وعلى الرغم من أن زراعات قصب السكر كانت مؤسسات رأسمالية بالمعنى الحقيقى ، الا ان احتكار الارض ، ونظام الريع ، قد ابقى على نوع من العلاقات نصف الاقطاعية فى غالبية المناطق الزراعية خصوصا فى منطقة جبال الانديز ، وأسوأ من هذا فان بعض اشكال الاستغلال العبودى كانت لا تزال قائمة فى قطاع الزراعة ، وهكذا جاء قانون الاصلاح الزراعى اجراء تقدميا ، وجذريا ، ضد الملكيات الشاسعة ، وضد الطغمة المالية ، وضد النفوذ الامبريالى .

وانتقل الكاتب بعد ذلك الى مناقشة طبيعة الثورة التى قامت فى بيرو ، فأشار الى أن هناك ثرثرة طفولية عن التغييرات التى وقعت فى بيرو ، فكرة من يصفها بأنها من صنع « الاستعمار الجديد » والبعض الاخر يرى أنها « هدامة » و « موالية للامبريالية » ويعلق الكاتب على هذا بقوله ان هذه الاوصاف خاطئة ، ولا يقل عنها خطأ أيضا القول بأن الحكومة الجديدة هى مجرد حكومة تقدمية « أو اصلاحية » .

ويرى الكاتب أنه وفقا للتحليل الماركسى اللينينى

فان التغييرات التى تجرى فى بيرو انما تؤثر على الهيكل الاجتماعى والاقتصادى ، أى أن لهذه التغييرات محتوى ثورى ، فمن الناحية الاقتصادية أدى قانون الاصلاح الزراعى الى القضاء على طبقة ملاك الارض وأوجد علاقات انتاج جديدة ، طبقا للمبدأ القائل « الارض لمن يزرعها » . ولا يغير من هذه الحقيقة غلبة المزارع والتعاونيات المتوسطة ، ومن الناحية السياسية فان حكم الطغمة المالية الخاضعة للاستعمار الامريكى قد قضى عليه ، واذا قيل ان هذا الحكم قد حل محله حكم القوات المسلحة بدلا من الطبقة العاملة المتحالفة مع الفلاحين ومع المعدمين فان نفوذ هذه الطبقات يتعاظم بينما ينحسر نفوذ الاحزاب السياسية التى تعبر عن مصالح الطغمة المالية .

وهنا يتساءل الكاتب : فهل نسمى مجمل العملية التى تجرى فى بيرو ثورة برجوازية ديموقراطية ؟ اذا وضعنا فى الاعتبار أن قانون الاصلاح الزراعى هو أكثر اجراءات النظام الجديد جذرية فان الجواب على السؤال يكون بالايجاب، ومع ذلك فانه اذا عقدنا مقارنة بين التطورات التى تحدث فى بيرو وبين ماهو قائم **فى جواتيمالا** أو **بوليفيا** أمكن القول بأنه يستحيل فى زماننا هذا أن نجد ثورة برجوازية ديموقراطية فى شكلها النقى والكلاسيكى ، أى ثورة زراعية معادية للاقطاع بالمعنى الخاص، دليلنا على ذلك مايحدث فى بيرو فى قطاعات أخرى غير الزراعة ، ففى قطاع الصناعة يحدد القانون الاساسى للصناعة المبادىء الاربعة التالية :

— الخبرات الرئيسية ومصادر الثروة الطبيعية تؤول كلها للدولة .

— التنمية الاقتصادية يجب أن تنسجم مع المصلحة القومية لا مع دافع الربح الذى يحفز الجماعات والافراد .

— الاستثمارات الاجنبية يجب أن تنسجم مع المصلحة القومية .

هذه القوانين الجديدة تؤكد على ملكية الدولة للصناعات التى تمثل وسائل الانتاج ، وتؤكد على التنمية الصناعية المخططة ، وعلى اشتراك العاملين فى توزيع الدخول وادارة المشروعات.

وكل هذه الاجراءات لاتدخل فى الاطار العادى لعلاقات الانتاج الرأسمالى ، ذلك ان الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، والحصول على فائض القيمة قد ضاقت حدودهما ، وحل التخطيط الاجبارى محل فوضى الانتاج .

ولقد ارتفعت صيحات كبار الرأسماليين المحليين عن « الاشتراكية المتخفية » ، وردت الحكومة بقولها : انها تتبع طريقا جديدا لا هو « بالرأسمالى » ولا هو « بالشيوعى » ، وقالت الحكومة ان هذا « الطريق الجديد » يقضى على الاستغلال الرأسمالى ، كما يقضى على لاانسانية الاشتراكية » . ويعقب الكاتب على ذلك بقوله اننا نختلف بالطبع مع من يقول بأن الاشتراكية فيها شىء لا انسانى وان كنا نتفق مع حكومة الرئيس **فاليسكو** بأن الثورة الحالية فى بيرو ليست ثورة اشتراكية وبالتالى فهى أبعد من أن تكون ثورة شيوعية ، ويضيف الكاتب الى انه وان كنا نؤمل مع الحكومة فى بناء اجتماعى بالطرق السلمية، الا اننا لانعتقد بامكانية تعايش نظامين متناقضين داخل البلد الواحد : الاشتراكية والرأسمالية .

هنا يطرح الكاتب هذا السؤال : كيف اتفق أن تمكن العسكريون فى بيرو من بدء الثورة وقيادتها ؟

السبب الاول : كامن فى النهوض العارم للحركة المعادية للامبريالية وللطغمة المالية ،هذه الحركة كثيرا مااتخذت أشكالا منظمة مثل « جبهة الدفاع عن البترول » التى تحولت الى « الجبهة الوطنية للتحرير » ، ثم الى مايسمى « بكتلة اليسار » وهذه الكتلة كانت تمثل أوسع حلف سياسى قبل الاطاحة بالنظام القديم ، وهذا النضال كان لابد وان يؤثر على القوات المسلحة، أكثر من هذا فان بعض الشخصيات العسكرية الهامة ، كانت مشاركة فى بعض التنظيمات التى أشرنا اليها .

السبب الثانى : هو أن طرح قضية تحديث القوات المسلحة كشف عن غياب الشروط الضرورية — فى بلد متخلف — لتزويد الجيش بأحدث الاسلحة ، وأدى هذا الى ازدياد اعتماد القوات المسلحة على العون الامريكى وعلى البنتاجون .

ثالثا : ان العملية التى اتجه اليها قادة البنتاجون لتربية ضباط الجيش فى بيرو فى روح مقاومة حركات التحرير ، وما سمى « بالحركات الهدامة » قد أدت الى نتيجة عكسية — موضوعيا — اذ دفع بضباط الجيش الى أن يغوصوا فى حلبة الحياة السياسية ، وشجع بعضهم على الاهتمام بدراسة الواقع القومى ، ومما يذكر أن برنامج الاكاديميات العسكرية فى بيرو كان يشتمل على دراسة الفلسفة الماركسية والاقتصاد السياسى، وتكون مركز للدراسات العسكرية العليا ، وقد أوضح هذا المركز حقيقة أن أعداء بيرو ليسوا هم العمال ولا الفلاحين ولا الطلاب ولا الشيوعيين ، ولكن العدو هو الامبريالية .

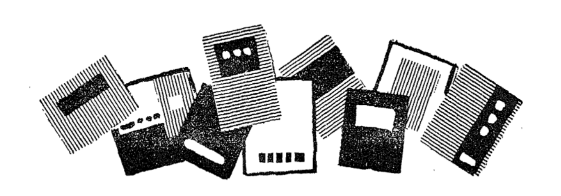
رابعـا : ان الوعى السياسى فى صـفوف الضباط قـد ارتفع ليس فقط بسبب معـارفهم النظرية ، ولـكن أيضا بسبب اشـتراكهم فيما كان يسمى فى النظام القديم « بالنشاط المدنى » ا بناء المدارس والمستشفيات ، والطرق .. الخ وبسبب الاعمال الموجهة ضـد نشاط الانصـار أتيح لضباط الجيش أن يروا صورة اشد وضوحا للفقر والظلم فى الريف .

خامسا : ان تدهور هيبة الولايات المتحـدة ومكانتها العسكرية فى فيتنام وكوبا كل هـذا حفز ضباط الجيش على أن يقوموا بالتغيير .

هـذه هى الاسـباب الرئيسية التى مكنت العسكريين فى بيرو من أن يقودوا الثورة الحالية، ولقد قاموا بالثورة فى لحظة أزمة سياسية عميقة تمكن فيها الجيش الذى كان يفترض أنه فـوق الطبقات من أن يعمل ضد مصالح الطبقة الحاكمة آنـذاك .

وفيما يتعلق بالاساس الطبقى للنظام القـائم فى بيرو فقد أشار الكاتب الى أن المواقف الحالية للحكومة تعبر عن مصالح البرجوازية الصغيرة الراديكالية ، ولـكن طالمـا أن الحكومة تعلن أنها تقيم نظـاما لاهو « بالرأسمالى » ولا هو « بالاشتراكى » ، فمن الواضح أن هذا موقف غير واقعى ، وان مجرى الحوادث سيدفع الحكومة الى أن تنجذب أكثر فأكثر نحو البروليتاريا ونحو الجماهير فى الريف ، وفى هـذه الظروف ، تتوقف البرجوازيه الصغيرة — تدريجيا — من أن تكون الدعامة السياسية الاجتماعية للنظام.

وفى ختام المقال اشار الـكاتب الى أن من الخطأ القول بأن حركة الجمـاهير بعيـدة عن التأثير فى التطورات التى تحدث فى البـلاد ، وعلى العكس من ذلك تنمو الطبقـة العـاملة سياسيا وتنظيما، واذا نظرنا الى الوضع الراهن فى البلاد والى الوضع الدولى أمكن القول بأن المكاسب التى حققها النظام الجـديد يصـعب الاطاحة بها ، لـكن هذا لايعنى أن الثورة قد دخلت فى مرحلة تطور هادىء ، فثمة مشكلات كثيرة داخلية ابرزها أن الازمة الاقتصـادية لم توضع لها الحلول الجذرية حتى الان ، وتنشط القوى المضادة نشاطا محموما على جميع الجبهات ولا يزال الطلاب والمثقفون يقفون موقفا متحفظا من الثورة ، الا ان الامل معقود فى نهاية الامر على الدور الواعى الذى تضطلع به المنظمات الجماهيرية والضباط الثوريون ، وهؤلاء جميعا يكونون فى حركتهم نوعا من الجبهة المتحـدة تدافع بوعى وبمواقف ايجابية عن أهداف ثورة بيرو .







قضية تثقيف الأعضاء في الاتحاد الاشتراكى

فاروق على ناصف

تثقيف أعضاء الاتحاد الاشتراكى ،واحدة من القضايا الهامة التى لا تتعلق فحسب بمسألة « تربية الكادر » ، وانماترتبط تماما بقضية « النشاط الداخلى » الذى يدعم « الالتزام » و « العضوية » ـ وتتصل بحركة الاتحاد الاشتراكى الجماهيرى فى آخر الامر •

وفى هذا المقال ، يعرض المواطنفاروق على ناصف ـ العامل بهيئة النقل العام ـ لوجهة نظره الخاصة فىهذه القضية •

يعتبر التثقيف هو المدخل الطبيعى لاى تنظيم سياسى • والتنظيم السياسى لا يظهر للوجود الا عندما يتوفر الوعى لدى عدد من الافراد بضرورة الارتباط معا بأهداف ومبادىء وأفكار تحقق تطوير المجتمع وتخدم مصالح قوى اجتماعية معينة ، وتبدأ الدعوة لهذا التنظيم بين الجماهير للانضمام اليه من خلال توعيتها بواقعها ومشاكلها ، وضرورة التكاتف لحل هذه المشاكل ، وبنجاح العمل الفكرى الذى تقوم به هذه الطليعة تتسع قاعدة التنظيم وتزداد • وهكذا فان نشأة التنظيم ترتبط أساسا بالفكر ولذلك فان العمل الفكرى هو القاعدة الصلبة التى يرتكز عليها العمل التنظيمى والسياسى •

والتنظيم السياسى فى مصر يضم نوعيات مختلفة من ناحية انتماءاتها الاجتماعية متفاوتة فى

درجة ثقافتها ووعيها وادراكها وتفكيرها وقدرتها على الاستيعاب • وهذا مكمن خطورة اذ يمكن أن يؤدى هذا الاختلاف الى عدم انسجام وترابط ويؤدى أيضا الى تسيب داخل التنظيم — لذلك فان قيادة التنظيم مسئولة على أن تحقق ما يسمى بالوحدة الفكرية بين كل اعضاء التنظيم على الاقل فى الخطوط العامة لفكر التنظيم •

والوحدة الفكرية هى القضية الجوهرية فى التنظيم ويتوقف عليها دائما فاعليته وقدرته على تحقيق أهدافه بل ويتوقف عليها أيضا استمرار التنظيم •

واذا تركنا المستوى النظرى لنرى ذلك تطبيقا فى الاتحاد الاشتراكى ، نقول ان التثقيف لم ينل الاهتمام الكافى منذ فترة بناء الاتحاد الاشتراكى عام ١٩٦٣ حتى اعادة بنائه بالانتخاب عام ١٩٦٨ •

وفى محاولة لدراسة التثقيف على مستوى الوحدة سنتعرض لقضية تثقيف الاعضاء او ما يسمى بالتربية السياسية للاعضاء ••

تثقيف الاعضاء

اذا تصورنا ان لجنة الوحدة العمالية — طبقا للواجبات التى حددها لها قانون الاتحاد الاشتراكى — مسئولة عن التوعية والتعبئة السياسية للجماهير ، فكيف يمكن أن تحقق هذه المهمة وأعضاء اللجنة أنفسهم قاصرين عن التثقيف ؟ ان هذا يوضح خطورة الموقف — أن التثقيف داخل الوحدة الاساسية وخاصة العمالية يقتصر فقط على ما يقوم به المستوى القيادى بالوحدة بعقد بعض ندوات للوحدة فى مناسبات معينة ويقتصر أيضا على قراءة الصحف من بعض الاعضاء ودون ذلك لا يوجد ما نستطيع أن نطلق عليه جوازا عمل تثقيفى •

وفى محاولة للتحدث عن أشكال تثقيف العضوية أو التربية السياسية للاعضاء فأننا نرى أن أهم اشكال عملية التربية السياسية هى :

١ — الدورات التثقيفية •

٢ — الحلقة النقاشية •

٣ — التثقيف الذاتى •

والسؤال الهام الذى ينبغى أن نطرحه هنا وهو : من الذى يتولى قيادة العمل التثقيفى بالوحدة الاساسية ؟ أن الخطوة الاولى لاى عمل تثقيفى بالوحدة هو أن نختار الشخص الذى يتولى العمل التثقيفى داخل الوحدة وهذه مسئولية لجنة الدعوة والفكر بالمركز ويتم هذا الاختيار عن طريق أسلوبين — أما المتابعة للوحدة واختيار أكفأ عناصرها ، وأما عقد دورات تثقيفية لاعضاء الوحدة لاختيار أصلحهم لقيادة هذا العمل ومن المستحسن الا يكون أمين الوحدة أو الامين المساعد حتى تتسع قيادة العمل داخل الوحدة — وهذا يقودنا للتحدث عن الشكل الاول من أشكال التربية السياسية للاعضاء وهو :

الدورات التثقيفية :

يعتبر هذا الشكل شكلا جديدا وجيدا فى نفس الوقت بالنسبة لمنظمات الاتحاد الاشتراكى فهو أسلوب جيد لانه يساعد على اختيار العناصر النشطة فكريا • لذا فأننا نرى أن يكون هذا الشكل هو الاسلوب الاول لاى عمل علمى للتثقيف داخل الوحدة الاساسية • الا انه من الملاحظ انه فى تطبيق البرنامج الاول للتثقيف العام على مستوى الوحدات فأننا نرى انه قد طبق بالنسبة للامين والامين المساعد فقط وذلك لتغطية كل الوحدات فى البرنامج الزمنى المحدد — وهذا خطأ كبير لانه فى عملية بناء التنظيم فكريا لا يجب أن يحكمنا برنامج زمنى بقدر ما يحكمنا امكانيات التنفيذ ونتائجه • وكان من الاحسن أن يمتد تنفيذ البرنامج الاول حتى يتم تغطية كل الاعضاء • وبالرغم من ذلك فان البداية الذى بدأ بها التثقيف على هذا الشكل تعتبر بداية جادة علمية • وهنا أود القول انه اذا كنا نرغب فى نجاح هذه الدورات فأرى أن تكون دورات متفرغة تفريغا كاملا ليتحقق بذلك نتائج أكثر ••

ويجب ملاحظة انه نظرا لعدم ادراك أهمية التثقيف بالنسبة للوحدات فانه يجب أن يكون هناك محاسبة تنظيمية من جانب المستوى القيادى للاعضاء المتخلفين عن حضور هذه الدورات •

ويجب أيضا أن يكون هناك اهتمام من جانب أمناء ولجان المراكز بهذه الدورات وأن يقدموا لها ما يساعد على نجاحها باعتبارها خطوة أولى وأساسية لعملية التثقيف •

وبعد اختيار مسئولى التثقيف بالوحدات نتيجة هذه الدورات ونتيجة متابعة مسئولى الدعوة والفكر للمراكز — الذين لا يتعدى دورهم حتى الان اعداد بعض ندوات فقط دون الاهتمام باعداد الكوادر الفكرية ودون الاهتمام بمتابعة مستوى الوحدات — يبدأ الشكل الثانى من أشكال تثقيف الاعضاء وأقصد به الحلقة النقاشية •

الحلقة النقاشية :

الحلقة النقاشية أسلوب من أساليب التثقيف المفيدة • ولكن هذا الاسلوب غير منفذ تماما فى معظم الوحدات • ويرجع ذلك الى عدم توفر الكادر التثقيفى بالوحدة والى عدم اهتمام المستوى القيادى للوحدة بهذا الاسلوب •

ونرى ان يكون هناك اهتمام كامل لتنفيذ هذا الاسلوب وأن يتم اختيار موضوع للمناقشة من قبل لجنة المركز بعد الاتفاق مع لجنة المحافظة (المكتب الفنى) ويتم نزول هذا الموضوع للوحدة الاساسية مرة كل خمسة عشر يوما ، على أن يكون هناك اتفاق حول دليل المناقشة • وفى رأيى انه من الممكن أن تكون نشرة « الاشتراكى » مجالا طيبا لاختيار موضوعات المناقشة منها ، خاصة وأن الاشتراكى تعبر عن وجهة نظر التنظيم فى الموضوعات التى تطرح • ومن الواجب تنمية ولاء العضو نحو نشرته التنظيمية الفكرية وهى أيضا وسيلة للاستفادة الكاملة من النشرة • ومن الممكن اختيار موضوعات أخرى يراها المستوى القيادى – ومن الممكن أن تتم الحلقة النقاشية كالاتى :

١ – يتم اختيار الموضوع المراد مناقشته من قبل لجنة المركز بالاتفاق مع لجنة المحافظة •

٢ – يتم اختيار دليل للمناقشة قابل للتعديل حسب ظروف كل وحدة •

٣ – يتم اجتماع مسئولى التثقيف بالوحدات مرتين فى الشهر بناء على ما تحدده لجنة المركز ويتم فيه مناقشة الموضوع وحسم القضايا الاساسية به والاتفاق على أهم النقاط الواجب التأكيد عليها •

٤ – يقوم مسئول التثقيف فى الوحدة بعقد اجتماعات ، اما خاصة للتثقيف ، أو جزءا من اجتماعات لجنة الوحدة العادية يطرح فيها موضوع المناقشة ويجرى الحوار على أن يتم تسجيل المناقشة فى سجل خاص •

٥ – يقوم أعضاء المكتب الفنى بالمركز وأعضاء لجنة الدعوة والفكر والموجهين السياسيين بمتابعة الحلقات النقاشية بالوحدات •

التثقيف الذاتى للاعضاء :

وهى مرحلة تأتى بعد الشكلين السابقين وأقصد أنه بعد توفير المناخ الفكرى،والرغبة فى القراءة نتيجة الدورات التثقيفية ووجود أرضية فكرية نتيجة للحلقات النقاشية ، يستطيع مستوى المركز بالاتفاق مع مستوى المحافظة أن يحددوا عدة موضوعات تثقيفية منها النظرى ومنها التطبيقى المرتبط بمشاكل التطبيق فى مصر • ويتم اخطار الاعضاء بها للقراءة الخاصة مع ذكر أهم المراجع والكتب التى يجب أن يقرأوها • وهذا لا ينفى جهود الاعضاء الذاتية فى القراءة •

ولتنظيم هذه العملية ولضمان استمرارها ونجاحها يقوم مستوى المركز بين كل فترة وأخرى بتنظيم مسابقات اما فردية أو جماعية ليضمن باستمرار توافر الرغبة والقدرة على القراءة والتحصيل ، على أن يناسب مستوى هذه المسابقات مستوى الوحدة •



شهادة الخدمة الاجتماعية قبل تعيين خريج الجامعة

كتب المواطن مجدى بكير – كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة – حول استثمار قوى الخريجين « استثمارا قوميا » ، فيقول :

مع نهاية كل عام جامعى نجد اعدادا من الخريجين الجامعيين يطرقون أبواب العمل : منهم من يستطيع أن يجد عملا وهم قلة ، والبعض يستطيع أن يجد عملا فى دولة أخرى . أما الباقى، وهم الغالبية فينتظرون قرار القوى العاملة لتعينهم فى أحدى المصالح الحكومية، التىأصبحت تعانى من ظاهرة البطالة المقنعة وتتزايد نفقاتها دون مقابل حقيقى فى الانتاج . وبجانب هذا نجد ان عددا كبيرا من الخريجين يرفضون قبول قرار القوى العاملة اذا كان خارج المدن

الكبيرة (١) . وفى واقع الأمر أن هــذا يعد ضياعا لموارد الدولة ولاستثماراتها البشرية . والسؤال : لماذا لاتستفيد الدولة من خريجى الجامعات بصورة أفضل فى اطار خطة التنمية ؟

فى واقع الامر فان الجامعة ، لكونها جهازا علميا رائدا يمكنها القيام بدور القيادة فى حركة من أجل تعليم وتثقيف المجتمع عن طريق مساهمة الشباب الجامعى . فالشباب من خريجى الجامعات يستطيع القيام بخدمة المجتمع حيث يقوم بالعمل لمدة عام ، وهى الفترة التى تسبق قرار القوى العاملة بالتعيين ، فى حملة تعليمية وتثقيفية ، وتوعية بمقتضيات التنمية والتحول الاشتراكى ، حيث يتم أرسال الشباب فى صورة مجموعات الى القرى المصرية بحيث تضم المجموعة مزيجا من خريجى الكليات العلمية والنظرية ويتعاونون فى تعليم وارشاد سكان الريف المصرى ، وفى سبيل ذلك تتعاون الجامعات مع الوزارات المختلفة ، والاجهزة المحلية للمحافظات لتهيئة الظروف المناسبة لعمل الشباب ومعيشته طبقا لظروف كل محافظة وأحتياجاتها .

كما يمكن أن تدخل أجهزة الاعلام بأختلاف أنواعها بأعداد برامج تخدم خطة التعليم والتوعية .

أما عن الشباب الجامعى الذى يتم تجنيده فى صفوف الجيش فعليه أن يؤدى نفس الواجب داخل وحدات الجيش التابع لها ويقوم بتعليم الجنود الغير متعلمين .

وحتى تتم تعبئة الشباب لاداء هذه المهمة نرى ضرورة اتخاذ عدد من الاجراءات التالية :

● أن تعتبر خدمة المجتمع عملا اجباريا ويحصل كل خريج فى نهاية مدة الخدمة على شهادة بذلك . وتكون هذهالشهادة مماثلة لشهادة الخدمة العسكرية بمعنى أنه لا يتم تعيين خريج الجامعة الا اذا كان حاصلا عليها . وبذلك يتساوى الخريجون فى أداء الواجب الوطنى سواء كان مجندا فى الجيش أو فى الخدمة الاجتماعية ، ويلاحظ أنه لا تمنح الشهادة الا بعد التأكد من أنه قد أتم تعليم عدد من الافراد يحدد له ، وارتفع بهم الى مستوى تعليمى معين .

● اعطاء العاملين من الشباب أجرا رمزيا مماثلا للأجر الذى يحصل عليه المجند فى الجيش .

● وضع نظام للحوافز والمكافآت لمجموعات الشباب التى تستطيع أن تحقق نتائج أفضل من غيرها .

أما الفائدة التى سوف تعود علينا من ذلك فلن تقتصر فقط على تعليم وتثقيف أفراد الشعب .. بل أيضا يمكن الاستفادة من مجموعات الشباب فى أعداد بحوث أجتماعية وجمع بيانات مختلفة من المناطق التى يعملون بها وترفع هذه البيانات وتجمع لكى توضع بين أيدى المخططين . وبذلك تستطيع الدولة أن تتابع سنويا نتائج قراراتها . وبالاضافة الى ذلك فان هذا البرنامج سوف يوطد العلاقة بين الشباب الجامعى عن طريق العمل المشترك .

وفى واقع الامر أنه يمكن أعداد الشباب الجامعى فى سبيل القيام بهذه المهمة عن طريق تزويده بمنهج دراسى عن التنمية الاقتصادية ومشاكل المجتمع المصرى وكيفية مواجهتها . كما نرى ضرورة الاستفادة من تجارب الدول الاخرى التى قامت بتجارب مماثلة وخاصة التجربة الكوبية . وبهذا تكون الدولة قد استطاعت أن تستفيد من شبابها الجامعى وأستحقت الجامعة أن تكون رائدة التقدم العلمى والاجتماعى .

●

وجهة نظر حول دور الشباب

وكتب الى الطليعة من سوريا ، محمود عبد الرحمن — مصياف — المشرفة **رسالة يتحدث فيها عن دور الشباب العربى** وظروفه ، فيعبرعنوجهة نظره .. يقول :

ان الشباب عصب المجتمع الحساس وهم القوة الهائلة القادرة على العطاء والتضحية أكثر من كل فئات المجتمع الاخرى بحكم المرحلة التى يمرون بها . وفى الظروف التى تمر بها أمتنا العربية الان ما هو دور الشباب العربى ؟

---

(١) كل خمسة من خريجى الكليات العملية يصدر قراربتعيينهم فى الاقاليم ، يتسلم واحد منهم فقط عمله ، وان كل خمسة من خريجى الكليات النظرية يذهب ثلاثة منهم الىالاقاليم ، والباقى يتهربون من العمل خارج القاهرة أو الاسكندرية — الاهرام الاقتصادى — العدد ٣٦٧ — ١٩٧٠.

اذا أردنا أن تجيب اجابة موضوعية فلا يسعنا الا الاعتراف بضآلة الدور الذى يلعبه الشباب العربى وأخص منهم الشباب الذين هم خارج القوات المسلحة . والدور الوحيد الذى يلعبه معظم الشباب هو التقليد الاعمى لكل مظاهر الحضارة الغربية الزائفة . فهم يعشقون هذه الحضارة وينعكس ذلك فى أحاديثهم وفى شعورهم الطويلة ومشيتهم وفى كل تصرفاتهم .

وقصارى القول انهم بعيدون عن الواقع العربى وعن متطلباته وحاجاته الأساسية فى هذه المرحلة . فشعبنا يمر فى مرحلة تحرر وطنى وهى مرحلة تتطلب حشد كل الطاقات واستغلال كل القدرات وتسخيرها لخدمة غرض التحرر والاشتراكية والوحدة .

الحقيقة أن هناك اسبابا عدة لهذه النتيجة ، من اهمها الثقافة المهترئة التى تدرس للشباب ، فهى من ناحية بعيدة عن العلم الحديث ومن ناحية أخرى منفصلة عن واقع المجتمع الذى يعيشه . أى لا يوجد ترابط بين ما يدرسه الطالب فى المدرسة وبين ما يراه فى المجتمع . أضف الى ذلك قضية الانتماء الطبقى حيث نجد أن أولاد الاغنياء يشذون ولا يسايرون حاجات المجتمع ولا يلبون متطلبات المرحلة وكأنهم خلقوا فقط للراحة والاستجمام بينما خلق غيرهم للكدح والتعب من أجلهم .

ان شبابنا هذا هو نتاج ثقافات قديمة بالية ورثنا البعض منها من الاستعمار . لكن تمسكنا بها هو فى الواقع أعظم خدمة للاستعمار والصهيونية . لذا فانى أدعو كل الانظمة التقدمية العربية الى تدارك هؤلاء الشباب وانقاذهم من الضياع واللامبالاة وكسر طوق عزلتهم وبعدهم عن المجتمع . وذلك يتم بشن ثورة ثقافية اشتراكية علمية وحدوية تشمل البرامج التعليمية وتغطى كل قطاعات الشعب . فهذه الثورة الثقافية تبعث روح الوطنية فى نفوس الشباب وتربيهم تربية صالحة ، وتغرس فى نفوسهم حب العمل والانتاج والتضحية .

كما ينبغى تطوير منظمات الشباب الحالية ودفعها الى الامام ومعالجة نقصها الثقافى والتنظيمى حتى تصبح منظمات فعالة تفى بالغرض منها . وأن يعيب هذه المنظمات أنها لم تحدد ثقافتها تحديدا دقيقا ، فنحن رفضنا الطريق الراسمالى وأعلنا تبنينا للاشتراكية . والاشتراكية علم واسع متطور مفتوح . ولذا فهى تحتاج الى دراسة طويلة وشاقة . ان تحديد الثقافة شىء ضرورى وهام ، على منظمات الشبيبة العربية أن يخلصها من ترددها .

ان ادعياء الرأسمالية يحاولون تضليلنا فيقولون أن صمود شعوب الهند الصينية يعود الى صفات خاصة فى تلك الشعوب . وهذا منتهى التضليل .. أن سر صمود شعوب الهند الصينية هو عقيدتهم الاشتراكية ، انهم عقائديون أولا وقبل كل شىء ، أنهم يحبون وطنهم ،وهذا سر صمودهم .. سر جبروتهم . وعلينا أن نستفيد من تجارب الشعوب فهذه التجارب كالعلم . انها ملك للبشرية جمعاء . والتاريخ يعلمنا أن عملية الاقتباس ظاهرة عالمية . كل الحضارات التى قامت تأثرت بسابقتها وأثرت فى الحضارة التى تلتها . ولا يحق لاى شعب أن يدعى تملكه للعلم . فالعلم للجميع ومن انتاج الجميع .

انى ادعو كل فصائل اليسار العربى داخل السلطة وخارجها الى العمل المخلص الجاد لبث وزرع العقيدة الاشتراكية فى نفوس وأعماق الشباب . والتاريخ لن يرحم أى معوق وأى متقاعس أو أى مفرط بأهداف الامة وتطلعاتها نحو التحرير ونحو الاشتراكية والوحدة .»

●

تعقيب حول ...
«مسئولية القوى الثورية العربية»

وكتب رفعت الشعرانى ــ سوريا ــ السلمية ، يعقب على ماكتبه أحمد الشيخ على ــ سوريا ــ فى عدد الطليعة الماضى حول « مسئولية القوى الثورية العربية » فيقول :

جاء فى مقال المواطن السورى **أحمد الشيخ على** الذى نشرته الطليعة فى عددها الرابع ما يلى :

« ان هذا التقارب بين الثورات الأربع [يقصد مصر ، سوريا ، ليبيا ، السودان ،] ليس الا نوعا لايجاد تلك النظرية الثورية التى ستحقق مسيرة صحيحة للحركة العربية الثورية » .

فى الواقع أن التقارب بين الانظمة التقدمية العربية يعطى حركة الثورة العربية قوة لها شأنها الكبير فى دفع حركة التحرر العربى نحو مزيد من الانتصارات هذا أولا ، وثانيا أذا أردنا لمثل هذا التقارب التطور والتقدم فلا يمكن ذلك الا من خلال تقييم علمى وموضوعى له .

كما يجب ان نعلم أن أى تقييم آخر تمليه العاطفة فسيكون فى التالى عملية قتل وتدمير لكل آمال الجماهير العريضة . بعد ذلك لابد من تذكير القوى الثورية العربية بحقيقة هامة تتلخص فى التالى : عندما نخطط للمستقبل علينا أن نأخذ بعين الاعتبار تجارب الماضى .

ان اشتداد الهجمة الامبريالية على حركة التحرر العربى يتطلب تعاون الفصائل الثورية العربية كما أن أى انقسام فى فصائل الثورة العربية أو فى كل فصيلة على حدة يصب الماء فى طاحونة الاعداء .

وربما كان التقارب بين الثورات الاربع يحمل فى أحد جوانبه الرد الحاسم على اشتداد الهجمة الامبريالية والصهيونية ، وكى يكون لهذا فاعلية اكثر لابد من برنامج ثورى يحدد مراحل التقارب وفى المستقبل التوحيد بين الثورات الاربع . وهنا يقفز السؤال التالى : كيف يمكن الوصول الى مثل هذا البرنامج اذا كنا نفتقر الى النظرية الثورية؟

من هنا أرى أن التقارب بين الثورات الاربع يجب أن يكون على أسس ثورية وهذا يعنى أننا يجب الا ننتظر من ذلك التقارب ايجاد تلك النظرية الثورية ، وأذا كانت تلك النظرية الثورية لا تتواجد الا من خلال التقارب فلا أدرى على أى شىء سيرتكز التقارب نفسه .

نخلص من ذلك الى أن التقارب العربى ليس طريقا لايجاد تلك النظرية الثورية بقدر ما هو عمل ثورى حيث النظرية الثورية موجودة بالفعل، ولا يمكن أن تكون غير الاشتراكية العلمية . وما علينا الا ان نعمل ونخطط بهدى هذه النظرية ومع ما يتفق وظروفنا الموضوعية .

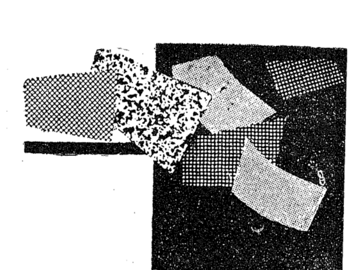
ردع الصهاينة المتهوسين فى أمريكا ...

وصل الطليعة البيان التالى الذى أصدرته اللجنة التنفيذية للقيادة المركزية للمنظمة الاجتماعية الثقافية التربوية ليهود بلغاريا ، بمناسبة حوادث الاعتداءات المتكررة التى قامت بها ماتسمى بـ « رابطة الدفاع عن اليهود » فى الولايات المتحدة الامريكية وقد جاء فيه :

بمناسبة حوادث الاعتداءات المتكررة التى قامت بها ما تدعى بـ « **رابطة الدفاع عن اليهود** » فى الولايات المتحدة الامريكية ، أصدرت **اللجنة التنفيذية للقيادة المركزية للمنظمة الاجتماعية الثقافية ـ التربوية ليهود بلغاريا بيانا جاء فيه :**

« انكشفت حقيقة « رابطة الدفاع عن اليهود » وهى العصابة العابثة التى شكلتها واشرفت عليها اكثر الدوائر رجعية فى الولايات المتحدة الامريكية ، انكشفت حقيقتها منذ اليوم الاول لوجودها ، كعدو لدود للتقدم والسلم . وتساند قيادة هذه المنظمة ورئيسها مائير كاهن ، جهارا تلك الحرب التى تخوضها الولايات المتحدة الامريكية ضد شعوب فيتنام ولاوس وكمبوديا ، والى جانب جميع القوى الرجعية فى الولايات المتحدة الامريكية يقف أشقياء الرابطة فى صفوف الد اعداء كفاح المواطنين الزنوج فى الولايات المتحدة الامريكية . ويقوم أعضاء المنظمة الى جانب الزمر الفاشية الاخرى عبر المحيط ، يقومون فى أيامنا هذه ببعث الافكار والاساليب الفاشستية التى نبذتها واستنكرتها البشرية التقدمية جمعاء . ولهذا كله فلن يلقى هؤلاء الصهاينة المسعورين ردعا من جانب حكام الولايات المتحدة الان ؛ بل سيعتمدون بدلا من ذلك على دعمهم وحمايتهم .

واننا باسم يهود بلغاريا ، نطالب باتخاذ أقصى الاجراءات لردع هؤلاء الصهاينة المتهوسين المستهترين . ونطالب حكومة الولايات المتحدة الامريكية ان تضع فى نهاية الامر حدا للاعتداءات الفاشستية ».



الحلــف الاسرائيـلى الألمــانى الغـــربى من عام ١٩٦٩ حتى بدايـة عـام ١٩٧٠

أمريكا وجمهورية ألمانيا الفيدرالية كانتا دائمــا تحتلان مركز الصدارة بين دول المعسكر الامبريالى فى الدعم المادى والسياسى والمعنوى للحركة الصهيونية ودولة الاستيطان الصهيونى فى اسرائيل ٠

وقد لعبت ألمانيا الاتحـادية دورا أساسيا فى تسليح اسرائيل ومدها بالمعونات المالية سواء عن طريق الجبايات اليهـودية أو « التعويضـات » عن الاضرار التى لحقت بالافراد من اليهود ، فلم تقـدم لهؤلاء ، بل سلمت لدولة العدوان الصهيونى ٠

ونقدم فيما يلى وثائق عن « الحلف الاسرائيلى الالمـانى الغربى من عام ١٩٦٩ حتى بداية عام ١٩٧٠ » تتضـمن بعض تصريحات ومواقف تفضح حقيقة العلاقة العضـوية القائمة بين اسرائيل وألمانيا الفيدرالية ٠

١ ـ العلاقات السياسية

من ١٢ ــ ٢١ يناير ١٩٦٩

يجرى المصرفى آبز ABS محادثات مـع الرئيس شازار وليفى أشكول وأبا ايبـان ووزير الاقتصاد شاريف ومدير البنـك الاهلى جورونيز ٠

اكدت جريدة الجـروساليم بوست فى تقرير لها على « أن للمصرفى آبز دورا كبيرا فى تمكين اسرائيل من عقد القروض وأخذ المعـونات ٠ وقـد قام بزيـارة اسرائيل عدة مرات فى السنين العشر الماضية للقيام بهذه المهمة

من ١٧ ــ ٢٣ مارس

وزير الداخلية الالمـانى يفتتح «أسبوع اسرائيل» فى شتوتجارت

١٧ مارس

وصول الوفـد الاسرائيلى البرلمانى الأول وعلى رأسه د ٠ هاكوهن ٠ رئيس لجنة الشئون الخارجية والعسكرية وتـابير بيريز وزير الحربية السابق الى ألمـانيا ، وحضر الوفـد دورة البندستاج (١٩ مارس) وأجرى محادثات مع كيسنجر وبراندت (٢٠ مارس) وقام بزيارة برلين الغربية

(٢٢ مارس) وهامبورج وفرانكفورت ووزبادن وميونيخ

وصرح هاكوهن : اذا كانت الجمهورية الاتحادية ستعيد العلاقات مع الدول العربية فان هذا هو شأنها ولكن يجب الا تتم هذه الاتصالات على حساب اسرائيل [د.ب.ا — ٢٥ مارس) .

١٩ مارس :

كيسنجر يرسل برقية تهنئة الىجولدا مائير يقول فيها.أهنىء سيادتك بانتخابك رئيسة للوزراء وأتمنى لك حظا سعيدا وتوفيقا فى مواجهة المهام الملقاة على عاتقك بحكم منصبك الرفيع ، ولا يساورنى الشك فى أن العلاقات الحسنة القائمة بين بلدينا ستثبت فى مستقبل الايام مساهمتها فى خير شعبينا وفى خدمة السلام .

٢٤ مارس :

وصول اكسل شبرنجر — الذى يملكأكبر ترست للصحافة ويوجه سياسة حكومة بون فى اتجاه رجعى ٪ الى القدس لافتتاح مكتبة المتحف الاسرائيلى الذى خصص لبنائها حوالى مليون دولار .

شبرنجر : تصفوننى بأننى صديق لاسرائيل والواقع اننى لا اطمع فى أكثر من هذا الشرف . وأحيانا يسألوننى عن سبب انحيازى بقوة لاسرائيل والواقع أننى لا أتوقع أية مكافأة علىهذا الموقف . وكل ما فى الامر أن علينا أن نستفيد الى أقصى حد من الفرصة التاريخية المتاحة لنا أى أن نقف بثبات الى جانب دولة اسرائيل على طول الخط (رويتر : ٢٤ مارس

« فى عام ٦٧ قال أحمد المازحين أنه خلال حرب الايام الستة كان أكسل سبرنجر يقوم بطبع الجرائد الاسرائيلية فى ألمانيا ولم يمنعه من طبعها باللغة العبرية سوى غريزته التجارية ! » جويش ابزرفر ٢ أبريل) .

اسرائيل : حديثمع أبا ايبان

٢٣ ابريل :

« شتوتجارت زينونج »

« ... طبقا لاقوالجميروس مستشار مكتب وزير الخارجية لشئون أوربا للصحفيين الالمان فىالقدس فان الجمهورية الاتحادية كانت تتمتع منذ يونيو ١٩٦٧ بنفوذ معنوى سياسى كبير فى اسرائيل لانه لم يحدث فى أى بلد فى العالم ان كان الاجماع على الوقوفالى جانب اسرائيل قبل حرب الايام الستة وبعدها كما كان واضحا فى جمهورية المانيا الاتحادية » .

٢ — ٧ مايو :

زيارة الدكتور لوبرئزن (من الحزب الديمقراطى الاشتراكى) وزير الاسكان فى المانيا الغربية وحديث له مع أبا ايبان .

يونيو :

اتخاذ مؤتمر الدولية الاشتراكيةفى ايستبورن(بريطانيا العظمى) قرارا الى جانب اسرائيل فى الصدام الاسرائيلى العربى » .

٥ — ١٥ سبتمبر

سافر مستر بولز ، سفير المانيا الغربية فى الولايات المتحدة وأول سفير لالمانيا الاتحادية فى تل أبيب ، فى رحلة الى اسرائيل ، ومقابلته لموشى ديان وبن جوريون .

١٥ سبتمبر :

ويلى براندت يقف فى المؤتمر الوزارى للرابطة الاوربية المشتركة — المجتمع فى بروكسل » الى جانب استئناف المباحثات فى اتفاقية تجارية مع اسرائيل .

سبتمبر : **ف . تادن**

زعيم الحزب الفاشستى الجديد الذىلمتقفحكومةبراندت وشيل نشاطه — يقول فى حديث لجريدة عيدوت جاداشوت أن اسرائيل « فى طريقها الى أن تصبح نموذجا بالنسبة للمعسكر القومى والمحافظ فى المانيا (الغربية) .

٨ أكتوبر :

اختيار بن كوريم الذى كان فى ذلك الوقت رئيس مكتب مخابرات وزارة الخارجية الاسرائيلية سفيرا لبون . وتقول وزارة الخارجية أن كوريم سيتسلم عمله فى أوائل عام ١٩٧٠ .

٢٠ أكتوبر :

فى حديث عن الحكومة الائتلافية فى المانيا الغربية،أعلن أباايبانفىمؤتمرصحفىفىالقدس أن اسرائيل كانت تربطها ببراندت علاقات حسنةجدا حين كانوزيرا للداخلية وأنه لا يوجد ما يدعو لتغيير هذا الموقف بسبب تولى براندت منصبا أكبر .

٢٠ نوفمبر :

الرئيس الاتحادى هانيان يستقبل وفدا لاتحاد عمال اسرائيل « الهستدروت » بقيادة السكرتير العام للاتحاد (هارون بيكر الذى عبر عن امتنانه الخالص لتضامن ألمانيا غ مع اسرائيل فى نضالها من أجل البقاء (وكالة انباء د.ب.ا)

٢١ نوفمبر :

اجتماع ممثلى اتحاد نقابات العمال الاسرائيلى (الهستدروت) مع سياسيى الحزب الاشتراكى الديمقراطى البارزين فى بون لتبادل الاراء والمعلومات حول موقفاسرائيل والعلاقات بين بون والقدس . وكان يمثل الجانب الاسرائيلى السكرتير العام للاتحاد (هارون

بيكر واعضاء اللجنة التنفيذية آهيفار ليفنسكى وهنان ليبمان والسفير اشير بن ناثان . وفى الجانب الالمانى كان هناك المستشار برانت ووزراؤه وايجون فرانك والمالى الفريد ناو وكبير الاداريين وشنوبسكى (أب)

٢٥ نوفمبر :

تنصيب أكسل شبرنجر عضو شرف فى معهد وايزمان . وتقول وثيقة التنصيب « يختار المؤتمر العلمى والتنفيذى لمعهد وايزمان للعلوم الهر اكسل شبرنجر عضو شرف فيه اعترافا بصداقته المتينة مع الشعب اليهودى ولمناصرته لدولة اسرائيل والوقوف الى جانبها فى بلده حتى فى الاوقات العصيبة ، وتقديرا لعمله المتصل والخلاق مع أجهزة الاعلام . . . وحتى ذلك الحين كانت الجمهورية الاتحادية ممثلة فى معهد وايزمان بأربعة أعضاء شرف بما فيهم المستشاران السابقان كونراد (اديناور ولودفيج ايرهارد) (بولت دى فلت ٥ نوفمبر ١٩٦٩) .

٩ ديسمبر :

رئيس اتحاد النقابات فى المانيا الاتحادية هينزفينر يطير الى اسرائيل لحضور احتفالات العيد الخمسينى لانشاء اتحاد عمال اسرائيل (الهستدروت) (د ٠ ب ١٠)

١٦ ديسمبر :

فى ١٨ ديسمبر نشرت جريدة مكتب الصحافة والاعلام لحكومة المانيا الاتحادية حديثا لوزير الخارجية شيل مع الجريدة الاسرائيلية يعيدوت أحرونوت فى ١٦ ديسمبر تحت عنوان « تأكيد سياسة التفاهم والسلام — مجهودات متصلة للتوفيق بين الشعب الالمانى واليهودى — مصلحة أكيدة فى تسوية دائمة وعادلة لأزمة الشرق الاوسط . . وقال شيل ضمن ما قال : « لقد أعلنت الحكومة الاتحادية التى كانت قائمة وقتذاك — منذ وقت مبكر — بمناسبة اقامة العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل فى ربيع ١٩٦٥ — انها ترى فى تبادل السفراء بين دولتينا خطوة نحو اعادة العلاقات الى طبيعتها . ولقد أكدت هذا الموقف حكومة الائتلاف الكبير التى خلفت الحكومة الاتحادية السابقة فى عدة تصريحات وسوف تواصل الحكومة الاتحادية الجديدة السير على هذا الخط .

ويكون العون الاقتصادى جزءا من العلاقات بين الدولتين وقد نظرت الدولتان الى هذا العون نظرة بعيدة المدى برغم ما تفرضه عليهما المتطلبات الضرورية من اجراء مفاوضات سنوية ... وسوف يتم هذا أيضا فى المستقبل كما كان يحدث فى الماضى . وسوف نواصل هذا الجانب من علاقاتنا مع اسرائيل من خلال نفس الخطوط السابقة .

ومما يحمله اعلان الحكومة الاتحادية الجديدة نرجو أن نقيم علاقات طيبة مع جميع دول الشرق الاوسط .. وسوف نواصل الجهد ليكون موقفنا متوازنا حيال دول الشرق الاوسط . وتبحث السياسة الالمانية اقامة علاقات طيبة مع الدول العربية ، ولكن ليس على حساب أى دولة أخرى فى العالم . والحكومة الاتحادية لا تتدخل فى الصدام القائم فى الشرق الاوسط ولكن هذا لايعنى أنها تقف موقفا يتسم باللا مبالاة فموقفنا فى هذا الصدد موقف المراقب المحايد تماما ، وعلى هذا فنحن لا نتحيز الى جانب دون الجانب الاخر .

٥ يناير :

قال أشير بن ناثان سفير اسرائيل السابق فى بون — فى حديث اذاعى أن اسرائيل لايعتورها أى خوف من رغبة المانيا الغربية فى اعادة العلاقات الطبيعية مع الدول العربية ، فمنذ تولى الاشتراكيون الديمقراطيون الحكم لم يطرأ أى تغيير على العلاقات الالمانية الاسرائيلية .

٧ يناير :

أذاعت القناة الثانية لتليفزيون المانيا غ فى احدى مسلسلاتها يوم ٧ يناير ١٩٧٠ حديثا مع أشير بن ناثان قال فيه « لقد قلت أن التصريح الصادر عن المانيا بأنها تقف موقفا محايدا رغم أنه ليس هناك حياد بالنسبة للقلب ، هذا التصريح فهمته اسرائيل واستقبلته استقبالا مناسبا ، لهذا لا أعتقد أنه سيحدث تغيير فى العلاقات بين بلدينا .

وبالعكس فانا أعتقد أن العلاقات ستتعمق بيننا أكثر .

وقال : « يجب أن تتوثق علاقاتنا أكثر فهذا فى مصلحتنا فى المقام الاول ، ولا يجب أن يكون هناك أى شك فى هذه الحقيقة ولا يمكن لمسئول المانى أن يعطى الايحاء بأن العلاقات بيننا يمكن أن تضعف » .

١٥ يناير :

قامت الحكومة الاتحادية — حسب ما تقتضيه القواعد المتبعة فى الاتصالات الدولية — بدعوة وزير الخارجية الاسرائيلى ابا ايبان لزيارة بون فى شهر فبراير التالى ، ولقد نفت وزارة الخارجية الالمانية بهذا التصريح التقارير الاخرى (د ٠ ب ١٠) .

وقد كتبت « تلجراف » فى التاسع من يناير ١٩٧٠ عن الهدف من رحلة وزير خارجية اسرائيل الى بون تقول أنه رغب فى اختبار امكانية ومدى استخدام اسرائيل المساعدة الاقتصادية والقروض فى تنفيذ خطط التنمية الجديدة . وقالت الجريدة أن التداخل الاقتصادى فى الدولتين مستمر

في تهيئة الظروف للارتباط المستمر بينهما .

٢ ـ التعاون الاقتصادى

١ ـ التجارة الخارجية :

تجىء الجمهورية الاتحادية فى المرتبة الثالثة من الدول الكبرى التى تمد اسرائيل بالبضائع وتشترى منها ـ بعد أمريكا وبريطانيا .

[فرانكفورتر الجماينه ٣/١/ ١٩٦٩]

١٩٦٧	بملايين الماركات
صادرات ألمانيا غ	٢٤٠ر٨١
واردات ألمانيا غ	٢٤٠ر١٨

١٩٦٨

ارتفعت الصادرات الالمانية الى اسرائيل ارتفاعا كبيرا يقدر بـ ٨٥٪ من ٢٤٩ الى ٤٦٠ مليون مارك فى عام ١٩٦٨ ومن المنتظر أن يتعدى مبلغ الخمسمائة مليون مارك هذا العام (دى فلت ١٠/٣/١٩٦٩) .

١٩٦٩

فى الشهور الثلاثة الاولى من هذا العام ضاعفت اسرائيل من وارداتها من الجمهورية الاتحادية بالمقارنة بنفس الفترة من العام الماضى (٦ مايو ١٩٦٩ د ٠ ب أ)

وهذا لان عام ١٩٦٧ كان :

« عام دعم العلاقات الاقتصادية مع اسرائيل عن طريق الجمعية الالمانية والغرفة الالمانية التجارية للصناعة والتجارة .

ولقد ضاعفت الجمعيتان فى عام ١٩٦٨ من تبادل الوفود لدراسة أوضاع الاسواق فى البلدين » .

٩ يناير :

حطم عام ١٩٦٩ الارقام القياسية بالنسبة للعلاقات الاقتصادية بين اسرائيل والجمهورية الاتحادية فارتفعت صادرات ألمانيا الى اسرائيل بمعدل ٢٠٪ ، وتجىء اسرائيل ـ بين الدول المستوردة من ألمانيا ـ فى المرتبة الرابعة بين دول آسيا بعد اليابان وايران والصين الشعبية (تلجراف)

تصدير رأس المال :

(أ) القروض الحكومية :

١٩٦٦ : ١٦٠ مليون مارك
١٩٦٧ : ١٦٠ مليون مارك
١٩٦٨ : ١٤٠ مليون مارك
١٩٦٩ : ١٤٠ مليون مارك

وتحتل اسرائيل ، بين الدول التى تحصل على المعونة الاقتصادية الالمانية ، المرتبة الثانية بعد الهند وسوف تستخدم هذه المعونة فى العام الحالى لاستكمال مطار تل أبيب (نيودلت فينا ـ أكتوبر ١٩٦٦) .

وطبقا للتقارير الصحفية الاسرائيلية ترغب حكومة القدس فى الحصول على قرض يصل الى مائة مليون من الجمهورية الاتحادية ، والمتوقع أن تحصل على هذا القرض بالاضافة الى القروض السنوية المتفق عليها قبل ذلك والمخصصة لتحسين ميزان التبادل الخارجى فى اسرائيل ، وطبقا لهذه التقارير فرض حظر على انباء القرض منعا للمزايدات . ومع هذا فان جريدة هارتس المستقلة تقول أن مصدرا مطلعا فى القدس أكد قيام اسرائيل بهذه المحاولات ولكنه رفض أن يبين تفاصيل الصفقة لاهميتها السياسية . ويعتقد المراقبون أن هذا يشير الى الانتخابات القادمة فى كل من ألمانيا واسرائيل .

(ب) رأس المال الخاص :

دعيت جمعية أصدقاء اسرائيل المؤسسة عام ١٩٦٢ فى فرانكفورت ـ فى السابع عشر من مايو ١٩٦٨ للمساهمة فى قرض تنمية لاسرائيل يصل الى ٥٠٠ مليون دولار وأطلق ناثان السفير الاسرائيلى على هذا القرض اسم التنمية من أجل السلام .

ولقد صدرت دعوة جديدة للشعب الالمانى للمساهمة فى التنمية الاقتصادية فى اسرائيل من كلاوس شوتز (عمدة برلين الغربية) وردلف يولز وقد أكد شوتز أن المعونة لاسرائيل لا تقتصر على المساعدة فحتى فى هذه المرحلة يتسع النموذج الاسرائيلى بقوة الاقناع فيصل نوره الى أقطار أفريقيا وآسيا « فالسلام فى هذا الجزء من العالم يساهم ـ الى جانب دعم اسرائيل ـ فى تأمين حريتنا » (نيوفلت ٢٤/١٠/١٩٦٨) .

ويعمل رأس المال الالمانى الكبير على زيادة رأس المال المصدر الى اسرائيل بحيث تتدعم أكثر العلاقات الوطيدة القائمة بين بون وتل أبيب فى مجال الاقتصاد والمجالات ذات الاهمية للتسلح ، ولقد وصل الى هذه الاستنتاجات مجموعة من خبراء ألمانيا غ كانوا يدرسون لمدة أسابيع فى اسرائيل امكانيات توسيع التعاون الالمانى الاسرائيلى .

ولقد أحاط المصرفى هسلباخ رئيس جمعية تنمية العلاقات مع اسرائيل مراسلى الجرائد علما فى تل ابيب أن هناك ظروفا مواتية لتوسيع العلاقات بين البلدين خاصة بالنسبة لصناعات المعادن والالكترونيات والمطاط . ونظرا لانخفاض الاجور فى اسرائيل بالمقارنة بمعدلات أوربا الغربية قد يكون من المستحسن أن تقيم ألمانيا غ المزيد من المصانع فى اسرائيل أو أن تقوم بنقل أجزاء من برامج التصنيع الى هناك » (١٣/١١/١٩٦٨ وكالة ا ٠ د ٠ ن)

قال أشير بن ناثان سفير اسرائيل فى بون أمام الصحفيين :

« ان اتفاقا على الاولويات مع السوق الاوربية المشتركة ومزيدا من التعاون مع الصناعة الالمانية ، هما الاهداف المباشرة للسياسة الاقتصادية الاسرائيلية » وصرح بأنه بينما كان صحيحا أن بلده رحبت بتصدير رأس المال الالمانى فانها ترغب فى المزيد » . وقد وجه السفير اللوم الى الصناعة الالمانية على السماح لنفسها بالتمادى فى الفزع من الاجراءات التى قد يتخذها العرب » حتى تلك الدول التى لم تستأنف علاقاتها الدبلوماسية « فالشركات

الكبرى تتصرف تصرفا غير لائق رغم أن العـرب لا يفتأون أن يكفوا عن المقاطعة بمجرد أن يشعروا بالحاجة الى البضائع »

وبالاضافة الى ذلك دعا أشير بن ناثان الصناعة الالمانية الى العمل مع اسرائيل على تطوير أسواق التصدير المشتركة التى لا تهتم بها بون أو لا تستطيع الوصول اليها على حد قوله .
(فرانكفورتر / روندشاو)

(ج) **التعويضات :**

« حتى بداية هذا العام دفعت الجمهورية الاتحادية ما مجموعه ٣٥٧٩٣ مليون مارك تعويضات من الاموال الحكومية . وقدنشرت وزارة المالية الالمانية يوم الخميس احصائية يتضح منها أن اسرائيل حصلت طبقا لما يسمى « معاهدة اسرائيل » فحسب على ٣٤٥٠ مليون مارك وطبقا للتحريات التى قامت بها وزارة المالية الاتحادية فانها تحتاج الى ١٠٣٠٧ مليون مارك كتعويضات حتى عام١٩٧٥ وبذلك يصل مجموع التعويضات حتى ذلك التاريخ الى ٤٦١٠٠ مليون مارك » .

(ب) **السوق الاوربية المشتركة واسرائيل**

٧ يناير ١٩٧٠ :

« مجهودات من قبل الحكومة الاتحادية لتحقيق تسوية ـ الامل فى حل سلمى عادل ودائم للصدام فى الشرق الاوسط » تحت هذه العناوين نشرت جريدة صحافة الحكومة الاتحادية فى الثامن من يناير ١٩٧٠ حديثا لوزير الداخلية شيل أدلى به يوم ٧ يناير لجريدة دويتش لاندبرشت التى تصدر فى بون . وفيما يلى مقتطفات من الحديث :

س : منذ أمد طويل تعمل اسرائيل على اقامة علاقات مع السوق الاوربية المشتركة فهل ستستمر الحكومة الاتحادية الجديدة على موقفها السابق من دعم تلك الجهود فى مجلس الوزراء والاجتماعات الاخرى التى تتم فى بروكسل ؟

ج : فى السابع عشر من أكتوبر ١٩٦٩ وافقت الحكومة الاتحادية على أن تخول لجنة السوق الاوروبية المشتركة أجراء محادثات مع الحكومة الاسرائيلية لعقد اتفاق وحتى الان تمت دورتان من المحادثات سارت فى اتجاه موات كما تعلم . وأتمنى من كل قلبى أن يستتبع حل المشاكل الباقية توقيع اتفاقية فى الجولة التالية من المحادثات » .

٣ ـ المؤامرة العسكرية :

قال نائب وزير الحربية السابق بيريز « لقد أمدت ألمانيا غ اسرائيل مجانا بأسلحة يصل ثمنها الى خمسمائة مليون دولار (٢٠ يناير ١٩٦٩ و٠١٠ف)

ومولت ألمانيا غ بناء مركز تدريب للضباط والخبراء الاسرائيليين .

وقد شارك ستة وثلاثون ضابطا اسرائيليا حائزين على شهادات من مدرسة البوندسفير فى سبتمبر الماضى ، فى المعركة ضد حركة المقاومة العربية (وكالة ا٠د٠ن نقلا عن جريدة « المجلس» ١٣/٣/١٩٦٩)

« تنقل طائرات العال الاسرائيلية الاسلحة والمعدات من ألمانيا غ الى اسرائيل . وقد جاء هذا فى فقرة نشرتها جريدة « الجريدة » البيروتية فى يوم الجمعة . وقد أميط اللثام عن هذه الحقيقة يوم الثلاثاء أثناء توقف احدى طائرات العال فى قبرص وطبقا لما جاء فى الجريدة طلب الطيار الاذن بالنزول نتيجة عطل أصاب طائرته ، ولكن السلطات القبرصية رفضت تموين الطائرة بعد أن اكتشفت أن الطائرة كانت تحمل أسلحة ثقيلة وقطع غيار حربية (١٨/٤/١٩٦٩ ا٠د٠ن)

وتقول جريدة الثورة السورية اليومية أن الهدف من اجتماع الضباط الالمان والضباط الاسرائيليين الذى عقد أخيرا فى ويد هاوزن (؟) فى المانيا غ هو نقل خبرة الفاشية الالمانية فى الحرب ضد الوطنيين فى الاراضى المحتلة . وتقول الصحيفة أن الاهداف الحقيقية لهذا المؤتمر تتكشف عندما اتضح أن الجنرال البرت شنيز كان المسئول عن جدول أعمال المؤتمر وانه أعد له دراسة عن التجربة الفاشية فى احتواء نشاط الانصار ... » (١٦/٨/١٩٦٩ ا٠د٠ن)

وفى تقرير نشرته جريدة الشعب اللبنانية أن مجموعتين من الضباط الاسرائيليين وصلوا فى الاسبوع الماضى الى فرانكفورت ، وكان المفروض أن يحضروا دراسات يقوم بتنظيمها النيوزوير ، وتقول الجريدة انمن المنتظر أن يكون هؤلاء الضباط نواة « الفدائيين » الذين سيتم خلقهم فى اسرائيل والذين سيكون ضمن المهام التى يقومون بها ـ الى جانب شن الحرب على المحاربين الفلسطينيين ـ التجسس والتخريب داخل الدول العربية (٢٧/٨/١٩٦٩ ا٠د٠ن)

وتقول جريدة الجمهورية المصرية ان الطيارين الاسرائيليين فى هامبورج يتدربون على حرب الهليكوبتر ضد الوطنيين وقد اعتمدت الجريدة فى قولها هذا على نشرة تصدرها حركة التحرير الفلسطينية فتح . وتتخذ هذه القوة الخاصة شكل فرقة فرسان الجو الامريكية سيئة السمعة التى تستخدم طائرات الهليكوبتر فى العمليات الحربية فى فيتنام الجنوبية .

وفى حديث للبروفسور البرت نوردرن للجمهورية القاهرية «لقد أمد الاستعمار الالمانى الغربى اسرائيل حتى الان بمعدات حربية تشمل الطائرات الحربية والدبابات والقنابل

وبعض المعدات الحربية الأخرى؟ بما يعادل أكثر من ثلاثة ملايين مارك ، ويوجد فى حيازة المانيا الغربية (البوندسفير) ضابط اتصال خاص مسئول عن التعاون العسكرى مع تل أبيب وهو برتبة قائد لواء ويدعى بيكر

ومنذ وقت قصير قادت مجموعة من الطيارين الاسرائيليين — بعد أن اشتركوا فى برنامج خاص فى المانيا غ طائرات « نوراطلس » الى اسرائيل امدتهم بها الجمهورية الاتحادية » وبالنسبة للتعاون الوثيق بين المانيا غ واسرائيل قال البروفسور نوردرن « أود أن أذكر على سبيل المثال أن قسم مقاومة التجسس لمركز الابحاث النووى الالمانى الاسرائيلى فى بيرسبين (فى اسرائيل) يرأسه ماجور المانى وهو ضابط سابق فى المخابرات يعمل فى عدد من البلاد تحت الاسم المستعار « ستيفان ستورم [نويز دويتشلاند ١٩٦٩/١٢/٢٧] .

وطبقا لما نشرته جريدة « الاهرام » فان المائتى دبابة من طراز سنتوريون التى ترغب بريطانيا فى بيعها لاسرائيل تم اختيارها عن طريق القوات المسلحة المرابطة فى المانيا غ (أ٠د٠ن ١٤/١/٧٠) .

ولقد كانت الاسلحة القادمة من المانيا غ تحمل بانتظام لمدة شهور على سفن اسرائيلية فى الميناء البلجيكى زيربرج وقد نشرت هذا جريدة جازيت فان انتويرب الكاثوليكية . وتقول قوائم السفر لمصلحة السكة الحديد فى المانيا غ أن النولون يدفع من المدخرات الامريكية والقوائم التى يعلن أن محتوياتها عبارة عن مواد خردة كانت توجد ضمنها بنادق وعربات مصفحة . ويعمل بعض موظفى المخابرات على تغطية عملية الانزال ويقومون بابعاد الصحفيين عن منطقة الانزال .

وطبقا لما نشرته رويتر أكد متحدث باسم وزارة الخارجية البلجيكية فى يوم الثلاثاء أن أسلحة نقلت الى اسرائيل عن طريق الميناء البلجيكى زيربرج (١٩٧٠/١/١٥) .

رعايا المانيا الغربية فى الجيش الاسرائيلى

... « طالما انه توجد جنسية مزدوجة بين اسرائيل والولايات المتحدة ، وبين اسرائيل وفرنسا ، وبين اسرائيل والمانيا وبينها وبين عدد آخر من الدول ...

... ظاهرة خاصة هى الرعايا الالمان الموجودون فى اسرائيل حيث يؤدون الخدمة العسكرية فى نفس الوقت . ولقد عرضت الجمهورية الاتحادية منذ سنوات على جميع اليهود الذين كانوا قد طردوا من المانيا أو لم يتمكنوا من الهرب حينئذ . أن يستردوا جنسياتهم الالمانية ومازال هذا العرض قائما وهو ينطبق على الاسرائيليين الذين كانوا المانا وكذلك على أطفالهم ولم يستفد كل اسرائيلى من هذا العرض اذ تحول أسباب عاطفية دون امكانية التصرف بهذه الكيفية . ومع هذا فقد قدم الكثيرون طلبات للحصول على جوازات سفر المانية وتسلموها فعلا . وغالبية الاعتبارات العملية تقف الى جانب استرداد الجنسية الالمانية ، فبجواز سفر المانى يمكن التجول فى أوربا كلها تقريبا دون الحاجة الى تصريح مرور (فيزا) بينما يكون هذا أصعب بالنسبة لحاملى جوازات السفر الاسرائيلية . وبالاضافة الى ذلك فان العامل التجارى له اثر ملموس مما يجعل اجراء مفاوضات التعويضات أيسر فى حالة ما اذا كان الجانب الاسرائيلى يحمل الجنسية الالمانية الى جانب الجنسية الاسرائيلية .. وهكذا نجد عددا كبيرا من المواطنين الالمان فى الجيش الاسرائيلى .. »

(« تسد بتسبة زيتونج » ٢٢/١٠/١٩٦٩)

« ليس لدى الحكومة الاتحادية أية معلومات عما اذا كان المواطنون الإسرائيليون الذين يحملون الجنسية الالمانية يعملون كجنود فى الجيش الاسرائيلى . بهذه العبارة علق مكتب الخارجية فى بون يوم الاربعاء على تأكيد الجريدة السورية « البعث » ان هناك فى الوقت الحاضر بين ثمانية آلاف وتسعة آلاف مواطن المانى يؤدون الخدمة العسكرية فى الجيش الاسرائيلى .

ويشيرون فى بون الى انه طبقا للقانون الاساسى فان مواطنى المانيا السابقين الذين جردوا من جنسياتهم بسبب سياسى أو عنصرى أو دينى سمح لهم — بعد الحرب العالمية الثانية — باسترجاع جنسياتهم مما يجعل من الممكن للرعايا الاسرائيليين الذين استعادوا جنسياتهم الالمانية بهذه الصورة يؤدون الخدمة العسكرية فى بلدهم (بون ١٢/١١/١٩٦٩ د٠ب٠١)

التعاون بين اسرائيل والمانيا فى تطوير وانتاج الصواريخ الحربية

تعمل كل من الحكومة والاحتكارات فى المانيا الغربية سويا فى كثير من المشروعات فى صناعة الاسلحة مع اسرائيل . والى جانب خفض التكاليف من خلال مشاركة الدولتين فى تطوير اجهزة الحرب الجديدة تهدف حكومة المانيا غ وخاصة وزارة الحربية فى بون الى اختبار هذه الاسلحة فى معركة فعلية فى أسرع وقت .

وأصبح من المعروف أن المانيا غ واسرائيل تعملان معا فى تطوير وانتاج الصواريخ الهجومية ولقد اتخذ قرار تنفيذ مشروع التسليح الالمانى الاسرائيلى عن طريق وزارة

الحربية فى بون فى ديتسمبر ١٩٦٨ .

ولقد كان فى حساب الوزارة عند اتخاذ قرار التعاون مع اسرائيل فى هذا المشروع ان اسرائيل ستضطر فى سبيل مصالحها الخاصة أن تحقق اقصى النتائج فى أقصر وقت ، وبهذه الكيفية كان رأى الوزارة أن من الممكن تحقيق هدف المانيا غ فى انتاج هذه الصواريخ .

وتعمل المصانع الثلاثة التالية — على وجه الخصوص — فى تطوير أكثر الصواريخ اختلافا مسرشمدت بللوسلوم ليمتد — نيتر كيمك ليمتد (عائلة كروب) وخيرا لشافتزوفردارتنج كيمك) (مؤسسة استغلال المنتجات الكيماوية) .

« انتهت المفاوضات على أول اتفاقية للطيران بين اسرائيل والمانيا بنجاح فى القدس يوم الخميس ، وحتى ذلك الوقت كانت خطوط البلدين الجوية تعمل على أساس اشعار تم الاتفاق عليه فى أوائل العام الماضى فى بون والمتوقع أن يتم التوقيع النهائى على الاتفاقية فى بون بمجرد الانتهاء من وضع الوثائق باللغتين .

ويقول اعضاء الوفدين ان الاتفاق تم على أن تقوم لوفتهانزا والعال بأربع رحلات أسبوعيا بين اسرائيل والجمهورية الاتحادية وأعطيت لوفتهانزا حق انشاء خط « الشرق الاقصى » .
(القدس ٢٧/١١/١٩٦٩ د ٠ ب ١٠)

٤ — العلاقات الثقافية :

ستتوسع العلاقات الثقافية بين اسرائيل والمانيا غ أكثر هذا العام . وتشترك الجمهورية الاتحادية فى معرض للكتاب الدولى فى القدس سيتم افتتاحه بعد مدة قصيرة من الان حاويا كتبا من مائة وخمسين دار المانية للنشر . وسيفتتح فى أوائل ابريل معرض كافكا الذى ينظمه معهد جوته وسوف يعرض وثائق لم تكن معروفة حتى الان بين أرشيف كافكا فى القدس ، وبعد ذلك بوقت قصير سيفتتح أسبوع العلم الالمانى الذى ستعرض فيه أفلام لـ « شوخا وسبيكر » .

وتعتبر اذاعة راديو اسرائيل لمسرحية اندورا لماكس فرسن خطوة فى اتجاه اعادة العلاقات الطبيعية بين البلدين . وبنفس الاهمية يمكن النظر الى بدء أول برنامج باللغة الالمانية فى السفارة الالمانية وذلك بالرغم من أن أضواء هذا البرنامج لم تصل الى الخارج ، ويزور المكتبة الالمانية فى تل أبيب شهريا أكثر من الف قارىء وطالب .

(دى فلت ١٤/٣/١٩٦٩)

بول فى اسرائيل

وصل هنريش بول الى تل أبيب فى زيارة لاسرائيل تستغرق ثمانية أيام وسيقابل بول — الذى يلبى دعوة من وزارة الخارجية الاسرائيلية — مع وزير الخارجية أبا ايبان ووزير التربية سلمان آران .

(فرانكفورتر روندشاو ١٣/٥/١٩٦٩) .

ولقد ردد وزير الدولة فى وزارة الداخلية ببون يوم الاثنين أن هناك أملا فى تبادل النشاط الرياضى بين المانيا واسرائيل وذلك عندما كان يتحدث فى حفل استقبال فريق اسرائيل لكرة القدم » (١/٩/٦٩ د . ب ١٠)

قالت جريدة فرانكفورتر الجيمانية زيتونج فى مقال تحت عنوان « الوقاية من عملاء ناصر » نشرته بتاريخ ٢٤ فبراير عام ١٩٧٠ :

من الخطر فى هذه المرحلة اعتبار أن كل ما يقوله المصريون هو من قبيل الهراء والثرثرة ، ثم الاستكانة لذلك فحتى انكماش المصالح الالمانية الاقتصادية فى منطقة نفوذ ناصر لايجب ان يغرى الحكومة الاتحادية بأخذ جانب عدم الحيطة . وليس أمام وزارة الداخلية ومكتب حماية الدستور فى المانيا الاتحادية بديل عن أن تشدد الرقابة على المصريين المقيمين فى المانيا (الغربية) وينطبق هذا كذلك على العملاء المتجولين ولجنة حماية المصالح المصرية وافراد مكتب الجامعة العربية فى بون فقد عرفت السلطات من مدة طويلة هذه الاماكن جميعا كمراكز للعملاء وما يهم فى الوقت الحاضر هو الحد من أثر أكثر القواعد خطورة فى المعسكر العربى على بلدنا . »

بون تزيد من مساندتها لاسرائيل التى تهدد السلام

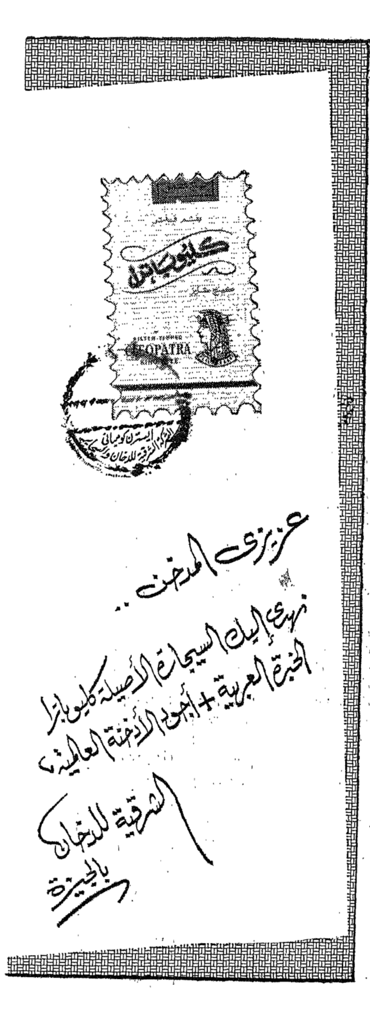
انتهت أول زيارة رسمية لممثل بارز من ممثلى دولة اسرائيل العدوانية بوعود جديدة من المانيا الغربية لتل أبيب . ولم يصدر بيان مشترك حتى يمكن التغطية على المدى الذى تشمله الاتفاقيات السرية التى انتهت اليها المفاوضات وفى أحاديث مع أعضاء وزارة بون والاعضاء المنظمين فى برلمانها ، أيد هؤلاء المصالح المشتركة للامبرياليين ولقد دافع جميع السياسيين الذى تحدثوا الى أبا ايبان عن توثيق العلاقات ولقد فتحت المانيا غ — الحليفة الرئيسية للدولة المعتدية بجانب الولايات المتحدة — الباب لدخول السوق الاوربية المشتركة كما منحتها — بمساعدة وزير الاقتصاد شيللر — مزايا خاصة . ويسترجع المراقبون السياسيون أن بون لعبت دورا بارزا فى الوصول الى اتفاقية لصالح اسرائيل مع السوق الاوربية المشتركة . وقد وعد وزير المالية مويلر بمد اسرائيل بقروض تصل الى عدة ملايين من الماركات ولقد قدر ايبان استعداد رجال الدولة فى بون لتوطيد العلاقات بين الدولتين بترديد المديح لسياسة بون كما قام

بتوزيع الدعاوى لوزير الخارجية شيل ، وشيللر ومويلر وهى الدعاوى التى حازت القبول .

وتلقى العبارات التى وصف بها شيل الزيارة بأنها « تاريخ هام فى مجرى العلاقات بين الدولتين » و « خطوة على الطريق الى توسيع وتعميق العلاقات . وتلقى هذه العبارات الضوء على مدى التقارب بين بون وتل أبيب ، ويشير المراقبون السياسيون الى حقيقة أن ألمانيا غ تتبع حيال اسرائيل نفس السياسة التى تتخذها من النظام القائم فى سايجون ، ويلاحظون أن حكومة ألمانيا غ لم تقل كلمة واحدة أثناء زيارة ايبان عن وجوب انسحاب اسرائيل من الاراضى المحتلة وتنفيذ قرار الامم المتحدة فى نوفمبر عام ١٩٦٧ ، كذلك لم يصدر اى حديث أو تصريح يشجب سياسة اسرائيل العدوانية أو لحماية ضحايا العدوان الاسرائيلى مما قد يستجد من مغامرات تل أبيب ، وكل ما فعلته حكومة ألمانيا غ أنها أعلنت أنها تقف الى جانب « أمان » المعتدى وليس الى جانب أمان الشعب العربى وحمايته من المجازر الدموية .

وقد قال أبا ايبان فى حديث لجريدة دى فلت الالمانية الغربية اليومية « لم يجىء نطق كلمة الحياد فى المحادثات التى أجريتها مع ممثلى الحكومة الاتحادية »

ومن ناحية أخرى أبدت حكومة ألمانيا غ استعدادها لاعطاء ايبان كل الفرص فى مؤتمر صحفى للتمادى فى الاكاذيب ضد الرئيس ناصر والاتحاد السوفيتى وألمانيا الديمقراطية بسبب عدم مساندتهم للمعتدى ، وفى نفس الوقت منح ايبان الفرصة لعمل دعاية واسعة لسياسة حكومته العدوانية . وقد استخدم ايبان فى أقواله تعبيرات مشابهة لطريقة جوبلز فى التعبير .



يمكنك أن تجعل
من متعة التدخين
متعة أطول

نفرتيتى

١٠٠ مللى

عالمية فى توليفتها.. فريدة فى نكهتها وعطرها



أنتجتها أحدث الآلات الألكترونية

٢٠ سيجارة سوبر ١٠٠ مللى ٢٥ قرشا

إنتاج : شركة النصر للدخان والسجاير





شركة القاهرة للأدوية

اذا حاولنا أن نتذكر كيف كانت صناعة الدواء فى مصر ، قبل الثورة ونحن نستعرض قصة النجاح الهائل الذى حققته مؤسسة الادوية وما احرزته شركاتها من نجاحات ، فاننا لا نجد سوى مجموعة قليلة من الافراد كانت تحتكر النشاط الدوائى تصنيعا واستيرادا ، ولعلنا نذكر بوضوح كيف كان « سلفاجو » وهو من اشهر تجار القطن يعتبر فى نفس الوقت من أشهر تجار الادوية وكذلك كان « ثابت اخوان » تجار الاسمدة و « معتوق » أشهر تجار المشروبات الروحية و « يرنار » تاجر البللور و « حمص » أشهر تجار المصارف وغيرهم من أولئك الذين كانوا بمثابة عصابة كل همها استنزاف أموال الدولة بل وكل فرد من أفراد الشعب ، وتسيطر على تجارة الدواء وكانوا يستخدمون شتى صنوف التلاعب بالاسعار ومختلف أنواع تهريب الاموال .

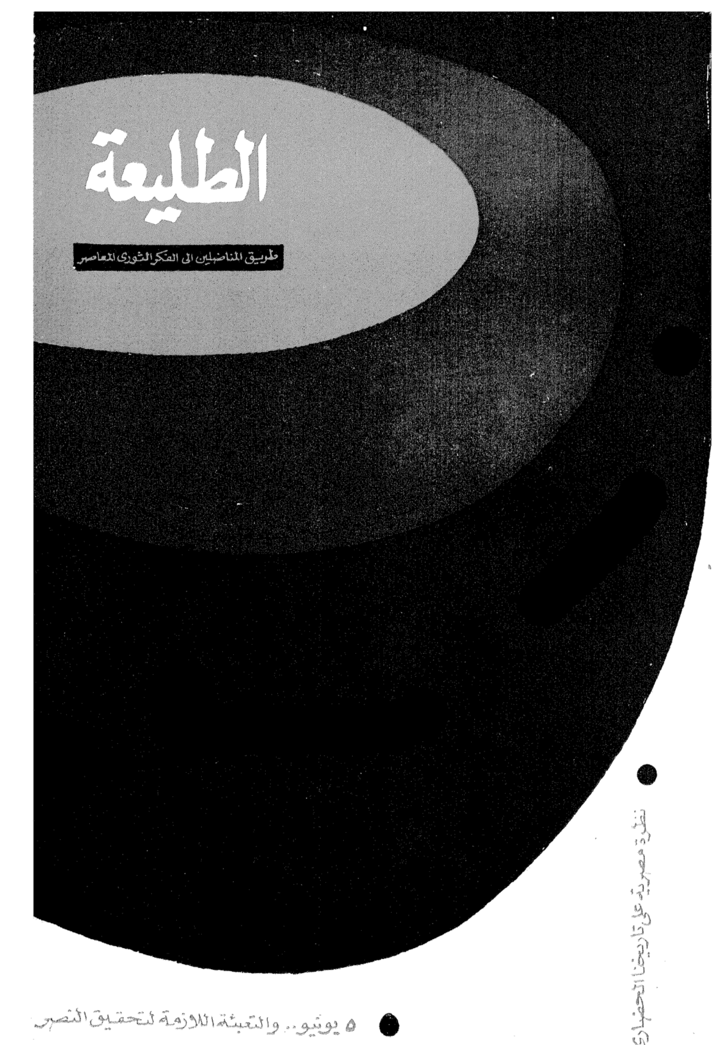
أما الان وقد تغيرت الصورة تماما بعد أن استطاعت الثورة وخلال سنوات قليلة أن تقيم أسس صناعة ضخمة للدواء ، أصبح فى استطاعة الشعب أن يحصل على الدواء بأقل التكاليف بل بالمجان لغير القادرين كما وصل الدواء الى اعماق الريف ، وفى مواجهة تحديات الصهيونية العالمية والاستعمار العالمى تقف مؤسسة الادوية وشركاتها فى ثقة وايمان قادرة على تلبية متطلبات الشعب العربى من الدواء .

الدواء المصرى فى أسواق العالم :

حقق الدواء المصرى نجاحا كبيرا فى مجال التصدير فقد وصلت جملة صادراتنا من الدواء مليونا و ١٥٠ الف جنيه خلال عام ١٩٦٩ — ١٩٧٠ ، وتعود هذه الزيادة الى اهتمام المؤسسة المصرية العامة للادوية والكيماويات والمستلزمات [illegible] بتصدير الدواء ، ثم ارسال بعثات فنية متخصصة لتسويق الدواء المصرى [illegible] آسيا وأفريقيا وأوربا ، وأصبحنا نصدر الدواء الى سويسرا [illegible] والولايات المتحدة الامريكية ، وهى من الدول العريقة فى ص[illegible] حرصت المؤسسة على أن تقوم بالدعاية للدواء المصرى فى [illegible] والعلمية العربية والاجنبية مستخدمة فى ذلك الافلام العلم[illegible] التوضيح المختلفة . وجاءت زيادة الصادرات مؤكدة المستوى ال[illegible] صناعة الدواء فى بلادنا ، وقد وصل انتاجنا من الدواء حاليا [illegible] مستحضر دوائى تغطى ٤٠ مجموعة دوائية من ٤٤ مجموعة [illegible]



الثمن ١٠ قروش


الطليعة
طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر
نظرة مصرية على تاريخنا الحضارى
٥ يونيو.. والتعبئة اللازمة لتحقيق النصر



طريق المناضلين الى
الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
أبو سيف يوسف
د. اسماعيل صبرى عبدالله
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف
محمد سيد احمد

مدير التحرير :

ميشيل كامل

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون ٤٦٤٦٤ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

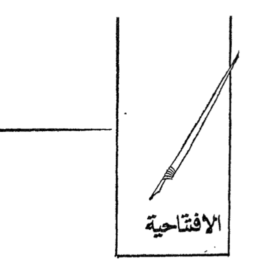
لسنة بالبريد العادى ج.ع.م. ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا

الفهـرس

العدد السادس — السنة السابعة — يونيو ١٩٧١

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا أن تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعـــة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ـــ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الـــرأى ولكنى على استعداد لان أدفع حيـــاتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » ؟ .



٥ يونيو ...

والتعبئة اللازمة لتحقيق النصر

بعد أيام تحل ذكرى العدوان الصهيوني الامبريالي على مصر وسوريا والاردن لتذكرنا ايضا بالعدوان الذى استمر ولم يتوقف على فلسطين وعلى شعب فلسطين الشقيق . ومنذ ٥ يونيو ٦٧ حتى ٥ يونيو ٧١ تعيش البلاد ظاهرة خاصة هى ظاهرة الحرب . ومنذ بدء العدوان حتى يومنا هذا تعيش البلاد مرحلة واحدة لم تتغير ، لان هدف الشعب الحيوى ، الرئيسى والثابت ، لايزال كما كان : تحرير الارض المحتلة وتصفية العدوان . لا يغير من هذه الحقيقة أن بلادنا شهدت على مدى السنوات الاربع الماضية احداثا هائلة وتطورات هامة حقا .

ولكن « ما الذى توحى به ذكرى العدوان ؟ بالطبع أن تاريخا بأكمله يمكن ان يكتب ، وأن تجربة حية باكملها عاشتها البلاد يمكن أن تحلل وتعرض . غير انه من الافضل الا نتعرض للماضى الا بقدر ما تتطلبه ضرورات كسب المعركة ، فى الحاضر والمستقبل معا . وهذا يعنى ببساطة أن نتحدث فى القضايا والشروط المتعلقة بالحشد والتعبئة اللازمين لتحقيق النصر على العدو . وربما يزكى هذا المنهج أن **الرئيس انور السادات** كان قد شرع منذ خطاب اول مايو فى هذا العام ، وفيما بعد فى خطب وأحاديث أخرى (أهمها حديثه الى مجلس الشعب فى ٢٠ مايو) ، نقول ان الرئيس السادات قد شرع يقدم تصورا وبعض نقاط برنامجية ترتبط أولا وأخيرا بالمعركة مع العدو الصهيونى الامبريالى . ولكن ، لما كانت القضايا التى طرحها الرئيس تقترن بانتخابات جديدة لاعادة تكوين الاتحاد الاشتراكى ، فان هذا يعنى - بالضرورة - أن يتوفر مناخ صحى ليدور حوار واسع بين قوى الشعب العاملة حول القضية الوطنية ، وحول قضية الديموقراطية ، وبعض قضايا البناء الداخلى .

وتشترك « الطليعة » فى هذا الحوار فتقدم تصورها لشروط الحشد اللازم لتحقيق النصر فى معركة التحرير . وربما اهتمت « الطليعة » - فى هذا الصدد - بأن تقدم الخطوط العريضة لهذه التصورات كما ظهرت على صفحاتها على مدى اربع سنوات

كاملة ، منذ وقوع العدوان الاسرائيلى ، ذلك أن قضية تصفية العدوان الصهيونى الامبريالى كانت على الدوام فى مركز الاهتمام ، ومحور الدراسات والحوار المتصل من هيئة تحريرها ، ومن الكتاب الذين ساهموا فيها ، وبالطبع ، يضيق بنا المقام لو عددنا هذه الدراسات والمقالات ٠ وانما نكتفى بالاشارة الى الكراسات الخاصة عام ١٩٦٧ ، والدوسيه المقدم الى المؤتمر القومى العام عام ٦٨ ، والى الدراسات الخاصة بمواقف العمال والفلاحين والمتعلمين والشباب ورؤيتهم للاوضاع الراهنة عام ١٩٦٩ ، وقضايا عدوان يونيو ، وقضايا الثورة العربية والمقاومة الفلسطينية عام ١٩٧٠ ٠ والى المقالات والدراسات الخاصة بالاتحاد الاشتراكى ودور المنظمات الجماهيرية فى المعركة عام ١٩٧١ ٠

فما الذى قدمته « **الطليعة** » ؟

قضية وطنية مضمونها الدفاع عن مكتسبات اجتماعية

اذا نظرنا الى النتائج التى ترتبت على العدوان فسنجد أن اسرائيل قد احتلت جزءا عزيزا من أرض الوطن ٠ فنحن اذن أمام معركة وطنية تحريرية تجذب الى ساحتها كل المواطنين الشرفاء على اختلاف مواقعهم الاجتماعية ومذاهبهم الفكرية ٠ لكن اذا نظرنا الى الاهداف الكامنة وراء العدوان الذى قامت به اسرائيل ، وساندته بكل صور المساندة الامبريالية الأمريكية ، عندئذ سنعود الى ما قاله جمال عبد الناصر من أن هدف العدوان هو ضرب الثورة الاجتماعية فى مصر واسقاط النظم التقدمية فى البلدان العربية ، وهكذا ، فاذا صح أن الطابع الوطنى للمعركة يجذب اليها ويوحد كل الطبقات الوطنية والشعبية ٠ فان حق هجوم قوى الثورة المضادة على المكتسبات الاقتصادية والاجتماعية هو الذى يفسر فى ٩ ، ١٠ يونيو حركة الجماهير الشعبية وفى مقدمتها العمال والفلاحون على رفض الهزيمة ، وتحقيق الصمود بعد نكسة عسكرية مؤلمة ومباغتة ٠ ومن هنا يتأكد الدور الخاص والطليعى للطبقات الشعبية فى دحر العدوان ٠ وهذا الدور يتزايد ولايتناقص ، الامر الذى يثبته تطور الاحداث ، وتزايد هذا الدور هو المرادف الحقيقى للوحدة الوطنية ولصلابة الجبهة الداخلية ٠

لماذا الجماهير الشعبية ؟

ان كلمة « **الجماهير الشعبية** » ليست تعويذة غامضة ولا هى كلمة سحرية ٠ انها بالتحديد وبتعبير الميثاق : القوى الاجتماعية التى طال حرمانها ٠ انها القوى التى خاضت معارك مريرة وطويلة ونهضت بحماس لتبحث عن حياة جديدة يختفى فيها الاستغلال الاجنبى والاستغلال الداخلى ٠ أن هذه الجماهير قد دخلت منذ ٥ يونيو مسرح العمل السياسى بكيفية ايجابية حتى لم يعد من السهل حجبها أو ابعادها عن الاهتمام بقضايا بلادها ٠ وانها بفعل الدروس التى ألقتها عليها الحرب قد رتبت لنفسها حقوق الرقابة والمشاركة والمساءلة ٠ وهذه الحقوق يتعين أن تزيد ولا تنقص ، بسبب ان الجماهير الشعبية بحكم ظروف معيشتها تبرهن على قدرة فائقة على تحمل التضحيات التى تتطلبها المعركة ٠ فاذا أضفنا الى هذا أن الجماهير الشعبية تختزن فى وعيها تجارب التاريخ ودروس النضال وخبراته ، أمكن القول بأن الامكانيات التى تنطوى عليها حركة الجماهير تعد ـ بحق ـ الرصيد الذهبى لتحقيق نصر ممكن ، ولا بديل عنه ٠

وعلى ضوء فهم علمى لهاتين المسألتين :

١ ـ طبيعة الحرب التى نخوضها ٠

٢ ـ الدور المتميز والتاريخى للجماهير الشعبية ٠

أوضحت دراسات « الطليعة » أنه من الخطأ أن تطرح قضية تصفية العدوان على الاساس التالى :

حل سياسى أم حل عسكرى ؟ وأجابت « الطليعة » أن الحل المطلوب هو

بالاساس حل ثورى ، وأن متطلبات الحل السلمى هى بذاتها متطلبات الحل العسكرى • وان مجموعة من الظروف والملابسات الدولية والعربية والداخلية قد تفرض فى وقت أن يسود أسلوب معين • وقد تفرض فى وقت آخر أن يسود أسلوب آخر ، وقد تفرض فى وقت ثالث مزيجا من الاسلوبين • وانه فى جميع الاحوال ، ومن أجل نصر لا بديل عنه ، يرتبط بناء القوات المسلحة ورفع كفاءتها بقضية حيوية هى قضية تعبئة الجماهير ، وبقضية لا تقل أهمية هى تعبئة الاقتصاد القومى لمتطلبات المعركة •

فى تعبئـــة الجمـــاهير

هناك أولا التعبئة الفكرية ، بحيث تعرف الجماهير وتعى بالحقائق الاساسية التالية :

- ان معركتنا ضد الامبريالية والصهيونية جزء لا يتجزأ من حركة الثورة العربية وحركة الثورة العالمية التى تضم الثورات الاشتراكية وحركات التحرر الوطنى والقوى المناضلة من أجل السلام والديموقراطية والتقدم •

- وفى هذا الاطار يتحدد بكيفية موضوعية ، من هم الاصدقاء الثابتون والاستراتيجيون •• ومن هم الاعداء الثابتون والاستراتيجيون • ومن هى القوى التى يمكن أن تكسب أو تحيد ، وما هو أسلوب كسبها وتحييدها •

● ان الحل السياسى وان تطلب مضاعفة الجهد على الجبهة السياسية والدبلوماسية لجميع البلدان بما فى ذلك الولايات المتحدة الامريكية الا انه لا يعنى تقديم تنازلات للعدو الرئيسى الامبريالية الامريكية والاستعمار الجديد • ان الحل السياسى هدفه احداث استقطاب فى الرأى العام العالمى يهدد اسرائيل بالعزلة ويحرمها كثيرا من الامكانيات والموارد •

● ان وقوفنا فى جهة الثورة العالمية هو أحد الشروط الرئيسية التى تضمن تفوقنا على العدو ، وتضمن بالتالى تحقيق النصر النهائى •

● وفى الوقت نفسه ، فانه لما كنا نقاتل أعداء شرسين عنصريين ، وتوسعيين ومسلحين بأحدث ما أخرجته ترسانة الحرب الامريكية ، فان المعركة ضارية بطبيعتها ، قاسية وطويلة ، ولها تضحياتها • انها معركة النفس الطويل • ولابد أن ندرك أن الهزيمة النهائية للوجود الصهيونى فى الوطن العربى انما تتم عبر مرحلة تاريخية بأكملها •

● ان ما ندافع عنه هو التراب الوطنى ، أرض الاباء والاجداد ، ليس هذا فحسب ، بل ندافع عن مكتسبات اجتماعية للعامل والفلاح والمثقف ، نريد الحفاظ عليها ونريد أن نوسعها ونطورها فى اطار الحل الاشتراكى لمشكلات المجتمع •

مثل هذه التعبئة الفكرية — بعناصرها التى أشرنا اليها — لا يمكن أن تتم فى فراغ بل لابد وأن تواكبها اجراءات عملية تضع كل مواطن فى موضع المسئولية والمشاركة الفعلية فى تحمل أعباء المعركة • وعلى سبيل المثال فان هذا يتم :

- بالتوسع فى التدريب على حمل السلاح لكل فرد قادر عليه •
- بالتوسع فى التدريب للدفاع عن المنشأة والقرية والمسكن •
- بالتوسع فى تدريب المواطنين على أعمال الدفاع المدنى •

هكذا ، فى ظل وضوح لطبيعة المعركة وأبعادها ، وفى ظل مناخ من الاستعداد الجاد للمعركة ، تستطيع قوى الشعب العاملة أن تتحد حول برنامج لتحرير الارض العربية ، وهزيمة العدوان الامبريالى الصهيونى • هذا البرنامج أهم نقاطه :

● القوات المسلحة المصرية هى القوة الرئيسية الضاربة فى معركة التحرير ، وهذا يتطلب أن تتوافر لهذه القوات كل الاحتياجات لتحقيق النصر ، وأن تكون لهذه الاحتياجات الاسبقية على ما عداها •

● يشتد التلاحم بين القوات المسلحةوبين جماهير الشعب من خلال دعم دور جيش الدفاع الشعبى ومنظمات الدفاع المدنى ، وتوسيع التدريب فى مراكز الانتاج وفى القرى ..

● الحل السياسى لقضية العدوان غيرمستبعد من الناحية المبدئية، ويجب أن يكون هدفه النهائى تصفية العدوان على الاسس التى أعلنها **الرئيس السادات** فى خطاب ٢٠ مايو :

ـ لا تفريط فى شبر من الارض العربية التى احتلت بعد يونيو ·
ـ لا تفريط فى الحقوق المشروعة لشعب فلسطين ·
ـ لا حل جزئى لفتح قناة السويس الا اذا ارتبط بقضية الجلاء الكامل عن الارض المحتلة ·

● قضية تحرير الارض المصرية لاتنفصل عن قضية تحرير الاراضى العربية التى احتلت بعد يونيو ٦٧ ·

● المقاومة الفلسطينية يجب ان تلقى كل الدعم والمساندة فى اتجاه صد محاولات الرجعية تصفيتها واضعاف وحدتها ·

● مضاعفة الجهد على الجبهة العربية لدعم وحدة القوى الوطنية والثورية فى العالم العربى ، وذلك فى اتجاه بناء جبهات وطنية تقدمية تمكن من حشد الجماهير العربية فى معارك التحرر والبناء الاجتماعى ·

● الوقوف بحزم ضد مخططات الامبريالية العالمية وخاصة الامريكية ، ومضاعفة اليقظة ضد أساليب الاستعمار الجديد ، ومواصلة دعم حركات التحرر الوطنى فى بلدان آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، وتوسيع جبهة الاصدقاء فى البلدان الاوربية وفى العالم كله ·

● الحفاظ على علاقات التضامن والنضال المشترك بين حركة التحرر الوطنى فى البلدان العربية وبين بلدان المعسكر الاشتراكى ، وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى · ومضاعفة اليقظة ضد محاولات الثورة المضادة بذر بذور الشكوك فى العلاقات العربية السوفيتية ·

تعبئة الجماهير بالديموقراطية

اذا صح أن جماهير شعبنا قد قامت فى مراحل مختلفة من تاريخها القريب بمبادرات رائعة وعفوية ، فان هذه الحركة العفوية على أهميتها ورغم آثارها الايجابية لا تضمن تعبئة فعالة ومستمرة للامكانيات الحقيقية للشعب · ولابد من أن تشق هذه الحركة مسارها من خلال تنظيمات سياسية وجماهيرية تتحقق من خلالها وحدتها ، وتتجسد فيها كل فعاليتها ·

وتنظيم الجماهير الشعبية مطلب أساسى ومستمر غير مقيد بمناسبة · الا أن معركة تصفية العدوان تضفى على هذا التنظيم أهمية خاصة ، بل وتشكل الظرف المناسب الذى يسمح للتنظيمات السياسية والجماهيرية أن تطور نفسها وأساليب عملها ·

ومن الواضح أن مثل هذه التعبئة الجماهيرية لا يمكن أن تتم ، وبالتالى ، لا يمكن أن يتم تنظيمها بفاعلية الا على أساس من الديموقراطية · وكانت هذه احدى القضايا المحورية فى بيان ٣٠ مارس ·

وفى موضوع الديموقراطية ثلاث قضايا لابد من توضيحها :
١ ـ **قضية السلطة :** وهى جوهر قضية الديموقراطية ، وعلينا أن نحدد بيد من من الطبقات الاجتماعية تكون السلطة · وقد أوضح الميثاق أن هذه الطبقات هى الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون والرأسمالية الوطنية ·

٢ ــ **قضية الحريات العامة** ، واذا كان الميثاق قد شجب الحريات التى كان منصوصا عليها فى دستور ١٩٢٣ باعتبارها « حريات من يملكون ضد من لا يملكون » فقد حدد الميثاق أن للديموقراطية مضمون سياسى ومضمون اجتماعى فى آن واحد ٠

٣ ــ **قضية التنظيم السياسى والنقابى** ، باعتبارها فى مقدمة الحريات التى عنيت « الطليعة » بدراستها والدعوة الى تأمينها وتوسيعها لمصلحة الطبقات الشعبية ٠

ذلك انه لما كانت قوى الشعب العاملة قد ارتضت صيغة الاتحاد الاشتراكى كاطار للحلف فيما بينها فان هذا التنظيم السياسى يجب :

١ ــ أن يتيح للطبقات المختلفة فى داخله أن تعبر عن آرائها ومواقفها من خلال منابرها حتى لا يتحول الاتحاد الاشتراكى الى حزب لطبقة بعينها ، وحتى لا تصادر حرية طبقة لحساب طبقة أخرى ٠

٢ ــ أن يضمن فى التطبيق أن يأخذ العمال والفلاحون دورهم الخاص الذى ابرزه الميثاق (فيكون لهم ٥٠ فى المائة على الاقل من عضوية التنظيمات الشعبية السياسية) بحيث لا يحتل مكانهم فى قيادات الاتحاد الاشتراكى ممثلو الطبقة الوسطى ٠

٣ ــ أن يضمن للفئات الخاصة فى داخله أن تشارك فى العمل السياسى (رجال القضاء ٠٠ الخ) ٠

٤ ــ أن تجرى انتخابات الاتحاد الاشتراكى من القاعدة الى القمة على أسس سياسية ووفق برنامج محدد (والى هذه النقطة أشار قرار الرئيس السادات باعادة تكوين الاتحاد الاشتراكى) ٠

جنبا الى جنب مع الاتحاد الاشتراكى تبرز قضية الديموقراطية فيما يتعلق بتكوين وعمل المنظمات الجماهيرية الاخرى ٠ ذلك أن من حق الجماهير الشعبية أن تشكل بحرية تنظيماتها التى تدافع عن مصالحها الاقتصادية والاجتماعية مثل نقابات العمال واتحادات الفلاحين وتنظيمات الشباب والنساء والطلاب والنقابات المهنية ٠

وقد أولت الطليعة فى كتاباتها اهتماما خاصا بضعف الحركة النقابية ، وحللت أسبابه ، ونقدت تعطيل القانون الذى يحتم اجراء الانتخابات فى موعدها (آخر انتخابات كانت فى عام ١٩٦٤) ٠

ولا يمكن بالطبع أن نتعرض لقضية الحريات العامة دون أن نتوقف عند قضية حرية الصحافة ٠ فمنذ عام ١٩٦٨ وضحت « الطليعة » فى بعض مقالاتها انه لما كانت الصحافة ملكا للاتحاد الاشتراكى ، ولما كان هذا التجمع السياسى مدعوا لان يعبر عن تحالف قوى الشعب العاملة على ما بينها من تناقضات ، فانه لابد وأن تجد الافكار التى تظهر داخل الاتحاد الاشتراكى التعبير الصادق عنها فى الصحف ٠ فمن ناحية لا ينبغى أن تكون الصحف جميعا معبرة عن رأى واحد ، والا كان معنى ذلك مصادرة حرية الرأى ٠ ومن ناحية أخرى لا ينبغى أن تؤدى حرية الصحافة فى ظل ملكية الشعب الى تحولها الى أدوات للتعبير عن المسئولين عن تحريرها وحدهم ٠ بل يجب أن يكون مضمون تلك الحرية انفتاح الصحف لنشر كل الاراء التى تظهر فى صفوف الشعب وتنظيم مناقشتها وفق منهج يصون وحدة التحالف الثورى بين الطبقات ، ويساعد عن طريق النقد والنقد الذاتى على تصحيح الاخطاء وتصفية النواقص ٠

بعد هذا كله يأتى هذا السؤال فى موضعه وهو : ما هو الضمان الاساسى لكافة هذه الحريات ؟ ان الضمان هو **احترام سيادة القانون** ٠ ولكن ، حتى لا يكون القانون أداة جمود فلابد من التصدى لتطوير القوانين بروح ثورية ، ومن وجهة نظر تقدمية ، ونخص بالذكر تلك القوانين التى تتصل بالحريات ، وتلك القوانين التى تتصل بالانتاج وحرية الرأى ٠ ان هذا كله يتطلب تطوير القضاء نفسه ، (لابد من الاشارة هنا الى أن الافكار التى طرحها الرئيس السادات عن الدستور الدائم تتضمن الاخذ بنظام المحلفين) ٠

على ضوء ما تقدم ، نستطيع فيما يلى أن نضع أيدينا على عناصر برنامج ديموقراطى يكفل تنفيذه تحقيق تعبئة شعبية جبارة ، وقيام وحدة وطنية ثورية :

● توفير اعلى ضمانات حرية الرأى والعمل السياسى فى حدود الميثاق ، داخل الاتحاد الاشتراكى والمنظمات الجماهيرية ·

● احترام سيادة القانون والعمل على تطوير القوانين ، وتمثيل الشعب فى القضاء عن طريق نظام المحلفين ·

● البدء بتطبيق نظام الحكم المحلى فى القرى ثم المدن وتكوين المجالس الشعبية على مستوى المحافظات :-

بالنسبة للاتحاد الاشتراكى

ا ـ تعديل تعريف العامل والفلاح بما يضمن للعمال والفلاحين النسبة التى كفلها لهم الميثاق ·

ب ـ الاخذ بمبدأ العضوية الاختيارية فى الاتحاد الاشتراكى (ان هذا المبدأ الاساسى الذى نص عليه قانون الاتحاد قد تعرض لخلل نتيجة اشتراط ان يكون المرشحون الى كافة مجالس ادارة الجمعيات والنقابات والنوادى اعضاء فى الاتحاد الاشتراكى · وادى هذا الى أن ينضم اليه عدد كبير من الاعضاء لا يؤمنون بأهدافه) ·

ج ـ يقبل الاتحاد الاشتراكى فى صفوفه كل مواطن متمتع بحقوقه السياسية ويلتزم بالميثاق وبيان ٣٠ مارس ·

د ـ فى مواقع الانتاج والقرى يضم الاتحاد الاشتراكى فى لجانه القيادية المختلفة اعضاء تختارهم اللجان النقابية كما يضم ممثلين عن منظمات الشباب والنساء ·

هـ ـ فى الاحياء والشياخات تتكون الجماعات القيادية بالانتخاب المباشر من اعضاء الاتحاد الاشتراكى فى الشياخة أو الحى ·

و ـ تمثل المنظمات الجماهيرية المختلفة (النقابات العمالية ـ الجمعيات التعاونية للفلاحين ، النقابات المهنية ، الاتحادات الطلابية ، تنظيمات المثقفين فى لجان المحافظات ، تنظيمات الشباب والنساء ، فى لجان المحافظات وفى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ·

ز ـ يجب أن يسبق انتخابات الاتحاد الاشتراكى مناقشات سياسية واسعة ، كما يجب أن تناقش الترشيحات فى اجتماعات عامة لمساعدة الناخبين على اختيار مرشحيهم على اسس موضوعية ·

بالنسبة للمنظمات الجماهيرية

ـ تعد فورا انتخابات جديدة لنقابات العمال واتحاد النقابات ·

ـ تستبعد من انتخابات النقابات العمالية والمهنية وغيرها من المنظمات الجماهيرية كل صور التدخل الادارى ، ويرشح لها كل مواطن متمتع بحقوقه السياسية ·

ـ تطهير نقابات عمال الزراعة من مقاولى الانفار وممن يستغلون عمال الزراعة ·

ـ العودة الى القانون السابق الخاص بتشكيل مجالس ادارة الجمعيات التعاونية وينص على أن يكون ٨٠ فى المائة من اعضاء مجلس الادارة لمن يحوزون ٥ افدنة فاقل · ويتم الانتخاب كل سنتين ، وتعقد جمعية عمومية عادية سنويا لمحاسبة مجلس الادارة · كذلك النص الذى ادخل على القانون بحرمان الاميين من حق الترشيح لمجالس الادارة لانه ادى الى حرمان نحو ٩٠ فى المائة من فقراء الفلاحين من التمثيل فى هذه المؤسسات ·

ـ الى حين صدور القانون الخاص بالمجالس الشعبية وانتخاب مجالس شعبية المحافظات تكون مجالس شعبية مؤقتة لكل محافظة من ممثلين للاتحاد الاشتراكى العربى والنقابات العمالية والتعاونيات والنقابات المهنية ويتولى المجلس المذكور مهام مجلس شعبى المحافظة للرقابة على السلطة ٠

التعبئــــة الاقتصـــــادية

الاقتصاد عصب الحرب، وفى الحرب لابد وأن يوجه الاقتصاد القومى الى هدف نهائى هو تحقيق النصر ٠ وكل الخطوات التى تتخذ على هذا الطريق لا يمكن أن ترتجل ، أو أن تكون مجرد ردود افعال مؤقتة لمواجهة هذه المشكلة الطارئة أو تلك ٠ بل لابد وان يقوم اقتصاد الحرب وينظم علــى اسس علمية ٠

واذا كان خطاب الرئيس السادات فى ٢٠ مايو قد حسم قضية الطريق الذى يجب أن تتقدم عليه البلاد ، وهو طريق ثورة يونيو والميثاق وبيان ٣٠ مارس ، فان هذا يعنى أن اقتصاد الحرب لابد وأن يقوم على قاعدة صلبة من الدفاع عن المنجزات الاقتصادية والاجتماعية ، والحرص على استمرار التنمية ، ان الارضية الصلبة لهذه المنجزات هى :

ـ الاخذ بمبادىء التخطيط ،

ـ التأكيد على دور الصناعة الثقيلة ،
ـ قيادة القطاع العام للاقتصاد القومى ،
ـ الاصلاح الزراعى وتنظيم الزراعة ،
ـ الاخذ بالتعاون لحماية وتطوير الانتاج الحرفى والصغير ،
ـ المكتسبات الاجتماعية للعمال والفلاحين ٠

وانطلاقا من هذه القاعدة ، وتشبثا بها فان تنظيم اقتصاد الحرب يجب أن يتجه الى تحقيق الاهداف التالية :

أ ـ الوصول بالمقدرة الحربية الى أقصى طاقاتها ٠
ب ـ الحفاظ على تماسك ووحدة الجبهة الداخلية ٠

و ـ الاستمرار فى التنمية والوصول الى أعلى معدل لها فى اطار الهدفين السابقين ٠ فى مقدمة الوسائل الكفيلة بتحقيق هذه المهام :

اولا : اذكاء الحماس الثورى والوطنى فى نفوس ملايين العاملين من أجل رفع انتاجية العمل ، والتغلب على العقبات التى تقف فى سبيل تشغيل الطاقات المعطلة ٠
ان رفع الحماس الوطنى لزيادة انتاجية العمل هو فى مقدمة المهام الرئيسية للاتحاد الاشتراكى والنقابات والتنظيمات الجماهيرية المختلفة ٠

ثانيا : حماية القطاع العام والدفاع عنه ضد محاولات التخريب والتطويق ، وذلك باعتباره القطاع القائد فعلا فى عملية التنمية وتعبئة الاقتصاد ٠

ان دعم دور القطاع العام يتحقق ايضا باطلاق طاقاته الانتاجية فى ضوء خطة قومية شاملة للتنمية ، ورفع مستوى الاداء ، والالتزام بعدم فرض عمالة زائدة على مؤسساته ، وربط الاجر بالانتاج فى ظل نظام شامل للحوافز المادية والمعنوية ٠
ثالثا : اتباع سياسة تدريجية فى تنظيم القطاع الزراعى تستهدف تخفيف العبء على فقراء الفلاحين وعمال الزراعة الذين يقومون فى الريف بجهد اساسى لتزويد الحرب بما تحتاج اليه من رجال وعتاد ٠

● فى الوقت نفسه لابد من التأكيد على بعض النقاط التالية :

ـ التعاونيات الزراعية اساس الانتاج الزراعى ولابد من أن تكون غالبية قيادتها لصغار الفلاحين (خمسة افدنة فاقل) واتباع اسلوب ديمقراطى فى ادارة هذه الجمعيات هو الذى يمكن صغار الفلاحين من تحقيق مصالحهم ٠

ـ تحرير التسويق التعاونى من البيروقراطية ، ليظل نظاما فى خدمة صغار الفلاحين •

ـ استزراع الاراضى المستصلحة عن طريق شركات تملكها الدولة وتعمل على اسس اقتصادية ومتخصصة فى الزراعة الالية المتقدمة •

رابعا : ان السياسة الاقتصادية التى تطبق فى زمن الحرب والتى تضمن تماسك الجبهة الداخلية وصلابتها ، يجب أن تقوم بالضرورة على **مبدأ المساواة فى التضحية والتوزيع العادل** لاعباء الحرب على الطبقات الاجتماعية التى يضمها حلف الشعب العامل :

وفى هذا فان هناك قضيتين لابد من تحديد مواقف واضحة بشأنهما :

القضية الاولى : مجموعة الاجراءات التى يجب أن تطبق بحزم للتخفيف عن كاهل الطبقات الشعبية •

القضية الثانية : تختص بالموقف من الرأسمالية الوطنية •

● فى موضوع التخفيف من متاعب الطبقات الشعبية يتعين :

ـ تحديد أسعار السلع الضرورية للاستهلاك الشعبى وتحقيق استقرار هذه الاسعار •

ـ النظر فى توزيع بعض مواد الاستهلاك بالبطاقات وضغط الواردات أو وقفها بالنسبة للمواد الغذائية التى لا يشتريها غير القادرين .

ـ تعديل النظام الضريبى ليستوعب بعض أنواع الدخول الكبيرة •

ـ تصفية الامتيازات الاجتماعية عن طريق تطبيق قانون « **من أين لك هذا** » تطبيقا جادا بالبدء بالوظائف العليا فى الدولة والقطاع العام ، والاتحاد الاشتراكى ، ثم على الجميع بعد ذلك بدون استثناء •

ـ **الاسراع بتطبيق المبدأ الذى تحدث عنه الرئيس السادات** وهو : عمل واحد للفرد الواحد •

وفى موضوع الرأسمالية الوطنية ، من المعروف أن هذه الطبقة جزء من تحالف قوى الشعب العاملة • ومن المسلم به أيضا أن القطاع الخاص لا زال يمثل جزءا هاما من اقتصادنا اذ تتوفر لهذا القطاع خبرات متراكمة فى شئون التنظيم والادارة لابد من الاستفادة منها • غير أن ظروف الحرب تسمح بأن تظهر فى داخل هذا القطاع اتجاهات للتضخم والاثراء الطفيلى تزيد من ثقل الرأسمالية الوطنية ووزنها فى الحياة السياسية والاجتماعية ، وهو الامر الذى لايتفق مع متطلبات السير فى طريق حماية المكتسبات الاجتماعية والاقتصادية ، والمضى فى طريق التحولات الاجتماعية •

آخذين هذا بعين الاعتبار فان دواعى الوحدة الوطنية تتطلب :

أولا : رسم الحدود التى يعمل فيها رأس المال الخاص وتحديد مجالاته :

ـ فى الزراعة (فى ضوء القرارات التى تتخذها السلطة المركزية) •

ـ فى البناء وبالذات فى مجال المبانى السكنية •

ـ الصناعات التصديرية الصغيرة وفى بعض الصناعات المتوسطة •

ـ فى مجال الخدمات الشخصية والاجتماعية التى تعتمد على المبادرة والعلاقات الخاصة •

ثانيا : طمأنة القطاع الخاص فى مجالات عمله ويتم ذلك :

ـ بتقديم التسهيلات الائتمانية له •

ـ توفير مستلزمات الانتاج اللازمة له •

● ● ●

هذه هى القضايا التى دأبت « **الطليعة** » على دراستها ومناقشتها وادارة الحوار فيها

منطلقة من نقطة بدء أساسية هى **كسب المعركة وتحقيق النصر** • ولسنا ندعى أننا قدمنا تصورات نهائية أو برنامجا كاملا • ولا تزال الطليعة تطرح هذه القضايا لمزيد من المناقشة والحوار من أجل التوصل الى تحديد أدق ، ورؤية أصح • لكن يبقى مع ذلك واضحا كل الوضوح أن طريق أى تعبئة حقيقية توحد صفوف الشعب على أساس ثورى انما يرتكز فى النهاية على الاسس الثلاثة التالية :

١ - **تصفية العدوان** وتحرير كل الارض المحتلة بالنضال الحازم ضد الامبريالية •
٢ - **تطوير السلطة لتصبح سلطة الطبقات الشعبية والوطنية كلها** •
٣ - **مواصلة السير فى طريق التحول الاجتماعى** لبناء مجتمع جديد •

وحول هذه الاسس تتحدد الخطوط النهائية والفاصلة بين قوى الثورة والتقدم وبين قوى التخلف والردة •

واذا كانت بلادنا وهى تتعرض للعدوان تعيش مرحلة دقيقة حقا ، واذا كانت الاحداث الداخلية التى عاشتها فى شهر مايو المنصرم تضاعف من شعور المواطنين كلهم بوطأة الخطر ، فان الامر المؤكد هو أن الوقت لم يفت ، وأنه ما زال فى مقدور القوى الثورية والوطنية الحريصة على الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى أن تستعيد زمام المبادرة وأن تتقدم بدون ابطاء نحو هدف لا يختلف عليه اثنان : تحقيق النصر على الامبريالية والصهيونية ، وقوى الرجعية والاستعمار الجديد •

((الطليعة))

فى ٢٧ مايو ، والطليعة ماثلة للطبع ، أذيع نبأ عقد اتفاقية وقعها كل من الرئيس انور السادات والرئيس نيكولاى بودجورنى لدعم الصداقة والتعاون بين الجمهورية العربية المتحدة وبين الاتحاد السوفيتى فى كافة المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية •

ان هذه الاتفاقية التى تعتبر حدثا هاما فى تاريخ العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة وبين الاتحاد السوفيتى ، تعتبر - فى نفس الوقت - تطورا طبيعيا للعلاقة التى نمت على مدى ١٩ عاما من الكفاح المشترك والعنيد ضد قوى الامبريالية العالمية وأداتها الصهيونية التوسعية •

وأن هذه الاتفاقية عندما تؤكد التزام الاتحاد السوفيتى بتقديم كل ما يلزم لسحق العدوان الامبريالى الصهيونى انما تعكس تقدير الاتحاد السوفيتى للدور التاريخى الذى أنجزته قيادة ثورة يوليو الوطنية ممثلة فى جمال عبد الناصر وانور السادات فى الكفاح ضد مخططات الاستعمار فى الوطن العربى • وضد الاحلاف والقواعد العدوانية ومن أجل الاستقلال الوطنى ، والدفاع عن السلم العالمى •

ان هذه الاتفاقية تأتى فى وقتها لتوجه ضربة شديدة الى مخططات اسرائيل التوسعية وشركائها الامبرياليين ، ولتؤكد أن بلادنا لن ترضى باقل من الانسحاب الكامل الى خطوط ٤ يونيو ، ولن تفرط فى الحقوق المشروعة لشعب فلسطين •

ان الاتفاقية تؤكد باختصار انه قد مضى الى غير رجعة ذلك الزمن الذى تستطيع فيه قوى الامبريالية أن تفرض ارادتها على البلدان المستقلة • وأن مثل هذه المحاولات اليائسة لابد وأن تتحطم أمام تضامن قوى الاشتراكية والتحرر الوطنى •

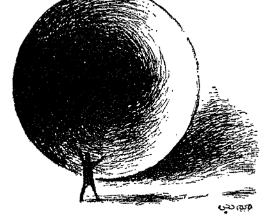
ان هيئة تحرير الطليعة اذ تحيى هذه الاتفاقية ، تحيى بحرارة الموقف الحاسم والشجاع الذى يقفه الرئيس انور السادات من أجل الدفاع عن الاستقلال وتحرير الارض وهزيمة مخططات الاعداء الامبرياليين والصهيونيين •

((الطليعة))

البترول

واتجاهات الاستراتيجية الامبريالية

في الخليج العربي



سيف بن علي

منذ توقيع اتفاقية الخط الاحمر عام ١٩٢٨ فيما بين الشركات الامريكية والانجليزية، والانجليزية الهولندية والفرنسية ، والعلاقة الوثيقة بين شركات البترول وحكومات الدول الامبريالية تزداد وثوقا وتنصهر لتفرز سياسة واحدة واستراتيجية واحدة ومخططات واحدة. فصارت شركات البترول ممثلة لدولها ، ودول شركات البترول ممثلة لهذه الشركات وحامية لها.

ودور شركات البترول في الخليج العربي في القرن العشرين هونفس دور **شركة الهند الشرقية** في القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر ، فكما كانت شركة الهند الشرقية تحتكر التجارة وتحتكر المواد الاولية المتوفرة آن ذاك، وتسيطر على مداخل وممرات المنطقة سواء بقواتها واسطولها الخاص او بأسطول وقوات صاحبة الجلالة البريطانية . . فان شركات البترول الان تحتكر البترول وتسيطر على مداخل وممرات المنطقة بقدراتها الخاصة وبقوات واساطيل دولها .

وكما كانت الحروب والمصادمات والمنافسات بين شركة الهند الشرقية والبريطانية وشركة الهند الشرقية الهولندية والشركة الفرنسية ، وفيما بين الاستعمار البريطاني والبرتغالي والهولندي والفرنسي .. للسيطرة على تجارة الحرير والتوابل واستعمار منطقة الخليج العربي فان هذه المنطقة قد شاهدت ولاتزال تشاهد صراعات فيما بين الاحتكارات النفطية من اجل الحصول على امتياز لاكبر مساحة ممكنة .. ونهب اكبر كمية ممكنة وتحقيق الهيمنة والسيطرة على اكبر عدد من بلدان هذه المنطقة .

لقد ظلت شركة الهند الشرقية البريطانية ومن ورائها الاستعمار البريطاني مهيمنة على منطقة الخليج ومحتكرة تجارته طوال فترة تزيد على ثلاثة القرون . وكانت جسرا للاستعمار البريطاني الذي لايزال يمارس هيمنته وسيطرته حتى الان، ورغم طول الفترة التي هيمن خلالها هذا الاستعمار على منطقتنا ، فانه ـ كما يقول المؤرخ البريطاني **ارنولد ويلسون** ـ « لم يقم اطلاقا بأية محاولات لتأسيس مدارس وكليات أو بمساعدة السكان

لتطوير صناعات محلية او لتأهيلهم لأخذ مكانهم فى هذا العالم المتغير تغيرا سريعا » (١)

ليس هذا وحسب ، ليس فقط ان الاستعمار البريطانى طوال تاريخه وخاصة طوال الفترة مابين ١٦٠٠ و ١٩٢٠ لم يحاول القيام بانشاء مدرسة او مساعدة السكان لتطوير صناعات محلية ، بل انه دمر ماكان قائما من صناعات محلية بغزوه الاسواق واحتكاره للمواد الاولية وحطم السفن التي كانت تمثل ادوات الصناعة الرئيسية والرائجة لسكان هذه المنطقة بحجة مكافحة القرصنة ، ان السفن التى حطمتها البوارج البريطانية بحجة مكافحة القرصنة فى رأس الخيمة وغيرها من موانىء الخليج ، هذه السفن هي التي كانت تنقل مختلف البضائع فيما بين الخليج والهند وسواحل افريقيا الشرقية وحتى الصين ، وكانت بمثابة محرك لانشطة الحياة المختلفة فى هذه المنطقة ، لقد كانت كل تجارة الشرق والملاحة تحت سيطرة عرب الخليج ، وكانوا يديرونها بمهارة وعلى أحسن مايكون ».

وقد شهدت منطقتنا فى بداية القرن السابع عشر منافسة ضارية ومعارك عنيفة فيما بين الاستعماريين الانجليز والبرتغاليين والهولنديين، تمكن خلالها الاستعمار البريطاني من فرض هيمنته ودحر باقى الغزاة على أكتاف شركة الهند ــ الشرقية البريطانية التى كانت على حد تعبير **ويلسون** نفسه « خطوة فى التطور الاجتماعي والسياسي غير العادى لانجلترا خلال القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر » [٢] طبعا على حساب مصالح شعبنا وتقدمه .

هذا موجز شديد جدا لتاريخ الاستعمار القديم فى منطقتنا نورده كمقارنة لبداية الاستعمار الجديد مع عهد البترول والاحتكارات البترولية الضخمة مثيلة شركة الهند الشرقية .

وكما أن الاستعمار البريطاني طوال القرون التى سيطر فيها على منطقتنا واحتكر تجارتها وموادها الاولية عن طريق شركة الهند الشرقية فى البداية لم يحاول ان يسهم بأى قدر فى تطوير منطقتنا ، فان الاحتكارات النفطية التى تسيطر الان على اهم مصدر دخلنا القومى ويكاد ان يكون المصدر الوحيد وهو البترول فانها لم تحاول هى الاخرى ان تسهم فى تطوير هذه المنطقة رغم الارباح الفاحشة التى تجنيها من وراء احتكارها لنفطنا الا بالقدر الضرورى لعملياتها ولتسهيل تضخيم هذه الارباح .

لقد اصدرت مجلة «وورلد بتروليم » عددا خاصا فى شهر يونيو ١٩٧٠ بمناسبة مرور ٤٠ عاما على صدورها استعرضت فيه كيف تطورت صناعة البترول فى الاربعين سنة الماضية مع توقعاتها بما سيطرأ من تطورات تكنولوجية على هذه الصناعة فى الاربعين سنة القادمة .

وقالت « ان هناك شيئا واحدا اكيدا هو انه لن يكون هناك مصاف ، او على الاقل لن يكون هناك مصاف على الشكل التقليدى المالوف الذى نعرفه اليوم وان ذلك سوف يكون بمثابة تطور تدريجي حتى نصل الى عصر فقدان المصافى سنة ٢٠١٠ » .

وسوف تنتقل المصفاة المالوفة عندنا اليوم اول الامر الى مصنع يجب ان يسمى مصفاة بتروكيميائية مصممة ومشغلة لانتاج كل من منتجات الوقود التقليدية وعدد من البتروكيميائيات الاساسية ».

وهذا يحدث الان فى المصافى التى تبنيها شركة شل فى هولندا وفى المملكة المتحدة وفى مصنع تشغله شركة ماراثون الان فى المانيا وفى مشاريع اخرى لاتزال قيد الانجاز فى العديد من الاماكن اكثرها فى مناطق صناعية ناشطة نسبيا .

ثم انه بعد حوالى ٢٠ سنة او اكثر من ذلك بقليل فى المستقبل فان صناعة منتوجات الطاقة مثل الغازولين ووقود الديزل والكاز وما شابهه سوف تصبح ثابتة ، وسوف يستمر المزيد من التركيز على انتاج مزيد من الكيميائيات ، ان حاجات الطاقة سوف تزداد بنسب اسرع ، انما الذى سيكون مختلفا هو نقل تلك الطاقة من نقطة التوليد الى حيث ستستخدم ، ومن المؤكد ان العملية الخالية من المنطق وغير الفعالة وغير الاقتصادية التى نسميها التكرير سوف تزول تماما بانتهاء القرن العشرين ، فهى مجرد طريقة لتفكيك النفط الخام ثم جمعه من جديد وذلك من اجل هدف رئيسي واحد هو حرقه ، وستكون كيفية معالجة الطاقة شبيهة بما يسمى فى الولايات المتحدة « بلعبة كرة حديدية » فالانسان سيظل يحتاج الى هذه الطاقة لكى تعطيه الحرارة

---

[١] ارنولد ويلسون : الخليج الفارسى ــ ترجمة عربية ص ٤٨

[٢] ارنولد ويلسون : الخليج الفارسى ــ ترجمة عربية ص ٢٣٧

والضوء والحركة ؟ وتتصور المجلة بأنه قد يتم توليد الطاقة في محطات مركزية ضخمة وسوف ترسل الطاقة المنتجة على شكل « موجات الطاقة » فيما يشبه انتقال موجات الراديو أو الضوء او الصوت عبر الهواء ، وسوف يكون لدى المستهلك ، سواء كان فردا أم عربة ذات دواليب أم مركبا او طائرة او قطارا او معملا صناعيا سوف يكون لديه آلة استقبال تلتقط موجات الطاقة وتستخدمها .

وتورد مجلة وورلد بتروليوم ان هناك مشاريع أبحاث لنقل النفط في غواصات ضخمة تسير بالطاقة الذرية ، وأن اليابانيين مثلا ، يجرون دراسات عن امكانية وضع مصفاة او مصنع لتسييل الغاز او مرفق من مرافق معالجة النفط ، مباشرة على ناقلة ضخمة من عابرات المحيط .

وفي الوقت الذي جري ويجري فيه هذا التطور في صناعة البترول ، فان مناطقنا التي تنتجه وصاحبته الشرعية تفتقر في غالبيتها حتى الى المصافي التقليدية او المالوفة .

وغازنا الطبيعي لا يزال معظم ما يخرج منه في جوف الارض يحرق في الهواء .. في الوقت الذي كان فيه الغاز الطبيعي يشكل طاقة مهمة وواسعة الانتشار وسهلة الاستعمال ، واحتكارات البترول ظلت طوال العقود الاربعة ، ولحد كبير الى الان تحرق هذه الطاقة هدرا ، جاعلة من مناطق النفط لهبا مشتعلا ليل نهار .

ان منطقة الخليج العربي تحوي في احشائها ٣٢ مليار طن من البترول ، وهذا الرقم يشكل ٦٧ في المائة من مخزون البترول بالنسبة للعالم الراسمالي و ٥ر٣٣ في المائة من احتياطي العالم كله .

ومنطقة الخليج العربي تنتج يوميا حوالي ٨٠٠ر٤٢٥ر٦ برميل يكرر منها فقط ٠٠٠ر٩٥٢ برميل موزع على ست مناطق هي البحرين والعراق والكويت والمحايدة وقطر والسعودية وهي تساوي ٦٤ر٢ في المائة من طاقة التكرير في العالم والباقي يصدر نفطا خاما . [٣] .

ومن انتاج الوطن العربي كله والبالغ ٠٠٠ر٣٦٨ر٨ برميل يكرر محليا فقط ٠٠٠ر٣٩٨ر١ برميل وهي تعادل ٧ر١٦ في المائة من مجموع انتاج النفط في الوطن العربي وتساوي هذه الطاقة من التكرير ٤ في المائة من طاقة التكرير في العالم [٤] ، [احصائيات ١٩٦٦] وفي عام ١٩٦١ حيث كان الانتاج أقل بكثير من عام ٦٦ فقد كانت طاقة التكرير لا تزيد عن ٢١ في المائة من مجموع الانتاج . [٥] .

ويقول الخبير البترولي العربي **عبد الله الطريقي** ان بناء معامل التكرير بعد الحرب العالمية الثانية في أماكن استهلاك النفط بدلا من بنائها في أماكن الانتاج سبب أضعافا للقوة التفاوضية للحكومات المنتجة وخسارة مادية كبيرة لهذه البلاد نتيجة حرمانها من قيام صناعات توفر سبل العمل لابنائها » [٦]

وحتى طاقة التكرير الزهيدة جدا التي ذكرناها لم ترها منطقتنا لولا حاجة الدول الاستعمارية راعية الاحتكارات النفطية الى وقود لتموين سفنها التجارية والحربية وتموين باقي مصالحها العسكرية ولبيعه للاستهلاك المحلي .

وهذه السياسة في حرمان منطقتنا المنتجة للنفط من الصناعات النفطية والاولية منها مثل التكرير انما هي تطبيق لروح اتفاقية الخط الاحمر التي تضمنت مادة « تحرم اقامة معامل تكرير في البلاد العربية الا بالقدر الكافي لسد حاجة السوق المحلية للبلد المنتج » . [٧]

وهم بهذه السياسة يجنون الارباح الخيالية لان نفس الشركات الاحتكارية المستغلة لنفطنا هي التي تستخرجه وهي التي تكرره وهي التي تسوقه وهي تجني الارباح في كل خطوة تخطوها صناعة النفط حتى يصل الى المستهلك .

وردا على مغالطات ، اوردتها **اديث بنروز** أستاذة الاقتصاد بجامعة لندن في محاضرتين

---

[٣] دكتور نقولا سركيس : بحث مقدم الى مؤتمر البترول العربي السابع [الانوار ١٩٧٠/٣/٢٤]
[٤] عبد الله الطريقي : مقال في جريدة الحرية البيروتية ١٩٦٧/٣/٢٧ .
[٥] أحمد المعتصم بالله : « البترول العربي وأثره في حاضر ومستقبل الامة العربية » ص ٦٧
[٦] عبد الله الطريقي : مقال في جريدة الحرية البيروتية — ١٩٦٧/٣/٢٧
[٧] احمد المعتصم بالله : « البترول العربي وأثره في حاضر ومستقبل الامة العربية ص ٨٣ »

التقيا في القاهرة عام ١٩٦٩ يقول الدكتور **حسين عبد الله** انه في سوق البترول ينتقل اكثر من ٨٠ بالمائة من الخام من شركات الانتاج الى شركات تابعة تتولى نقله وتكريره وتسويقه كمنتجات ، واذا استبعدنا ١٣ في المائة اخرى من الخام الذى يباع بعقود طويلة الاجل ، فان الـ ٧ فى المائةالباقية التى تمثل «السوق الحرة» لايمكن اعتبارها سوقا بالمعنى الصحيح .

وليست السوقفيالواقع ــ كما يقول الدكتور حسين عبد الله ــ الا مجموعة « القرارات » التى تتخذها الشركات الاحتكارية السبع او الثمانى بالتفاهم مع حكومات الغرب التى تتبعها ، بل والتى تملك حصصا فعالة فى بعضها كما هو الحال فى شركة البترول البريطانية التى تسيطر على أكثر من ربع انتاج الشرق الاوسط اذ تملك الحكومة البريطانية ٥٦ فى المائة من راسمالها وتعين ممثلين لها فى مجلس ادارتها ، كما تضع فى خدمتها اجهزة الدولة السياسية والعسكرية احيانا . [٨] .

ان الشركات الكبرى تحقق ما لا يقل عن ٥٠ فى المائة مناستثماراتها فيمرحلة الانتاج سنويا وان بعضها استرد استثماراته جميعها فى عام واحد . [٩]

ان سعر البرميل للمستهلك النهائى فى اوروبا هو ١١ دولارا في المتوسط يتضمن حوالى ٥ر٧٥ دولار تجبيها حكومات البلدان المستوردة فى شكل ضرائب بترولية لا يدخل فيها الضرائب علىارباح الشركات ، وبلغ حجم الضرائب فى بريطانيا عن عام ١٩٦٤ مبلغ ٦٧٥ مليون جنيه . وكما يقول المستر كيث ريتشارد سون فى جريدة الصنداى تايمز اللندنية يوم ٢٤ يناير ١٩٧١ فان الحكومة البريطانية وهى البلد المستورد للنفط تجمع على شكل ضرائب من صناعة النفط اكثر من مجموع ما تاخذه اكبر ثلاث دول منتجة ومصدرة للنفط فى الشرق الاوسط ، وضرب مثلا بأن صاحب السيارة عندما يشترى جالون البنزين فانه يدفع ٤ شلن و ٦ بنسات كضرائب للحكومة البريطانية بينما يكون نصيب الحكومة التى صدر منها النفط هو فقط ٣ بنسات .



ويذكر الدكتور حسين عبد الله ان حجم الضرائب على النفط بلغ فى ثلاثة بلدان اوروبية اخرى لعام ١٩٦٣ كالاتى :

فرنسا	٨١٤٠	**مليون فرنك**
ايطاليا	٥٣٧	**مليار ليرة**
بلجيكا	١٠٠٢١	**مليون فرنك**

أما الطريقى فيفيد « بأن الشركات المستغلة للبترول العربى تحقق ربحا صافيا يزيد عن اية نسبة فى العالم فى أى نوع من أنواع الصناعات، وتبلغارباحالبترول بعد خصم الضرائبوالمصاريف مبلغ ١٫٩٩٣٫٥٥٧٫٠٠٠ دولار فى السنة والمبالغ التى حصلت عليها الحكومات الغربية كمتوسط لمجموع الضرائب على النفط العربى بلغت ٧٫٠١٦٫٧٦٠٫٠٠٠ دولار وذلك فى عام ١٩٦٥ .

وأن صافى الربح على راس المال الموظف فى عمليات انتاج النفط فى بعض البلاد العربية يتراوح بين ٦٢ فى المائة فى العراق و ١١٤ فى المائة فى قطر و ٢٩٩ فى المائة فى السعودية

---

[٨] د. حسين عبد الله : مجلة روز اليوسف ١٥/٢/٦٩م

[٩] د.حسين عبد الله مجلة روزاليوسف ١٥/٢/٦٩م

حسب احصائيات سنة ١٩٦٥ في حين لا يزيد هذا الربح عن ٢٠ في المائة في فنزويلا مثلا و ١٠ في المائة في الولايات المتحدة . [١٠]

ويشير الباحث الاقتصادي الامريكي **فيكتور بيرلو** الى انه في عام ١٩٦٥ كانت الارباح من النفط العربي تشكل ثلث الارباح التي جنتها الولايات المتحدة الامريكية من جميع رؤوس اموالها الموظفة في الخارج ، وان الارباح قد بلغت باعتراف الشركات الاحتكارية نفسها في عام ١٩٦٥ ارقاما خيالية بحيث كانت تشكل ٧٦ في المائة من مجموع الاموال الموظفة في استخراج النفط في المنطقة . [١١]

وتؤكد دراسة نشرت مؤخرا في أمريكا بعنوان « المصالح الامريكية في الشرق الاوسط » أن مجموع الارباح التي تحققها شركات البترول الأمريكية في الشرق الاوسط وتعيدها الى أمريكا يبلغ نصف ارباح شركات البترول الامريكية التي تعمل في الخارج و ٢١ في المائة من مجموع ارباح الاستثمارات الامريكية خارج الولايات المتحدة .

وشركة « **ستندارد اويل أوف نيوجرسي** » على سبيل المثال تبني مصنعا ضخما لتكرير نفط الشرق الاوسط في اليونان ، وتقوم الشركات الاحتكارية بعد عملية التكرير ببيع البترول بسعر وسطي قدره ٨ — ٩ دولار للبرميل الواحد لقاء مبلغ زهيد يقدر بـ ٨٥ سنتا تدفعهاالحكومات الدول المعنية في الشرق الاوسط ، وذلك بشكل عائدات تشمل الضرائب وبدل امتيازات عن حق الاستخراج ، وهكذا فان كل دولار تربحه الشركات الاحتكارية من بترول الشرق الاوسط تدفع منه عشر سنتات للحكومة المعنية وسنتا واحدا يعود لعمال النفط والباقي للشركات ارباحا صافية [١٢] .

هذا جانب ، أما الجانب الاخر فيتمثل في أن القسم الاكبر من المدفوعات يحول الى خارج البلاد العربية المنتجة للنفط ، وهذا يعني أن عامل مضاعفة الاستثمارات لا يعمل في البلدان المنتجة ، وانما في البلدان الاجنبية ، وتمثل المدفوعات المالية المشار اليها كلفة الانتاج وارباح الانتاج التي تتقاسمها الحكومات والشركات .

ففيما يتعلق بعناصر كلفة الانتاج كالأجور وثمن المعدات المستوردة والاستهلاكات المالية فانها تذهب في معظمها الى الشركات التي تحولها الى الخارج ، باستثناء قسم زهيد منها ينفق محليا بشكل أجور أو اسعار خدمات وسلع محلية . كذلك فيما يتعلق بنصيب الحكومات من الارباح أي العائدات فان القسم الاكبر منه يذهب الى الاسواق الاجنبية بشكل نفقات استيراد او بشكل ودائع وتوظيفات مالية في المصارف والاسواق المالية . أما نصيب الشركات من الارباح فانه يظل بكامله خارج الدول المنتجة للنفط ، اذ أن الشركات تحتفظ به لتمويل عملياتها في البلدان الاجنبية وبشكل خاص في البلدان الصناعية [١٣]

ويورد الدكتور **نقولا سركيس** الجدول التالي الذي يبين مبلغ الارباح التي حققتها شركات البترول الامريكية والبريطانية العاملة في السعودية والكويت والعراق وايران والتي تعيدها الى بلادها . وذلك خلال الفترة ٦٤ — ١٩٦٦ [والارقام بملايين الدولارات] :

	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦
الشركات الامريكية	٩٥٠	١٫٠٠٠	١١٠٠
الشركات البريطانية	٦٨٠	٦٨٠	٦٥٠
	١٦٣٠	١٦٨٠	١٧٥٠

ويشكل هذا الدخل الناجم عن استغلال البترول العربي عنصرا أساسيا في ميزان مدفوعات الولايات المتحدة وبريطانيا ، ودعما حيويا للدولار والجنيه الاسترليني بشكل خاص ، أضف الى ذلك الاموال المودعة في مصارف هذين البلدين او الموظفة في اسواقهما المالية ، ففي عام ١٩٦٨ مثلا وظف في الولايات المتحدة مبلغ ١٫٨ مليار دولار .

ويذكر تقرير اعده **معهد الدراسات الاستراتيجية والدولية بجامعة جورج تاون** وأصدره في كتاب تحت اسم « **الخليج .. تنفيذ الانسحاب البريطاني** » في مطلع عام ١٩٦٩ ، يذكر « ان اكثر من نصف امدادات البترول لاوروبا الغربية

---

[١٠] الحرية البيروتية ٦٧/٦/٥ مقالة الخبير عبد الله الطريقي ، وكذلك بحث الدكتور نقولا سركيس المقدم لمؤتمر البترول العربي السابع .

[١١] جريدة الاخبار البيروتية ١٩٦٧/١٢/٢٤ .

[١٢] نفس المصدر

[١٣] د. نقولا سركيس ، بحث مقدم الى مؤتمر البترول العربي السابع .

تأتى من الخليج ؟ كما انه منطقة امداد هـامة لاستراليا ونيوزيلندا وجنوب افريقيا واليابان وجنوب آسيا . وهو الوقود للقوات الامريكية والمتحالفة التابعة لحلف الاطلسى فى غرب اوروبا . [١٤]

« وان مدفوعات اوروبا الغربية لهذا البترول وهى ارخص من مدفوعاتها بالنسبة لاى مصدر بترولى آخر ، تشكل جزءا من نظـام تجارى مستقر ومن شأن اى اختلال فى هذا النظام أن يؤدى الى مشكلة خطيرة فى ميزان المدفوعات تعانيها الدول المستوردة للبترول » [١٥]

وفى الوقت الذى كانت فيه قيمة الصادرات البترولية من البلاد العربية خلال الفترة ٦٢ — ١٩٦٦ قد بلغت ٥ر٢١ مليار دولار ، فان الدخل الحقيقى لهذه الدول لم يتجاوز ٩ر٩ مليار دولار أى ٤٦ فى المائة فقط من قيمة الصادرات ، والباقى وهو ٦ر١١ مليار دولار اى ٥٤ فى المائة من المجموع فقد احتفظت به الشركات فى الخارج وهو يمثل عناصر الكلفة ونصيب الشركات من الارباح .

ان العائد على الرأسمال الاجنبى الموظف فى صناعة البترول العربى يبلغ معدلات لا تجد لها مثيلا فى أية صناعة أخرى فى العالم، ولو اعتبرنا عام ١٩٦٦ مثلا — كما يروى الدكتور سركيس — لوجدنا ان شركات البترول الاجنبية فى الدول العربية قد جنت ارباحا بلغت ٧ر٢ مليار دولار وذلك بعد خصم العائدات المدفوعة للدول المضيفة .

واذا خصم من هذا المبلغ مختلف عناصر كلفة الانتاج وتقدر بـ ٦٠٠ مليون دولار لتبين ان الارباح الصافية التى جنتها الشركات خلال العام المذكور قد ناهزت ١ر٢ مليار دولار ، وهذا يعنى ان العائد على مجموع الرأسمال الصافى الموظف فى صناعة البترول العربى يناهز ٧٠ فى المائة [الاستثمارات الصافية لا تتجاوز ٣ مليارات دولار] . [١٦]

من هنا نرى استماتة الامبرياليين الامريكان والبريطانيين من اجل الحفاظ على سيطرتهم على هذه المنطقة الحيوية ، ومن هنا نرى التركيز الامبريالى على منطقة الخليج وحبك مختلف المؤامرات والخطط لكى لا تفلت هذه المنطقة من ايديهم وتضيع او تضعف على الاقل الارباح الخيالية التى يجنونها منها .

لكن الامبرياليين يدركون جيدا أن اساليب الاستعمار القديم قد ولى زمانها ، وانه لا يمكنهم ان يستمروا فى تجهيل الشعوب وابقائها أسيرة التخلف الى الابد ، وفى نفس الوقت فهم يخافون ان تتعلم هذه الشعوب وان تعى حقيقة أوضاعها وتتمرد على التخلف بشكل قد يفقدهم كل شىء .

ان الناس تتعلم وتتطور رغما عن ارادة الامبرياليين . ان تطور الحياة ذاتها وتقدم العلم وانتصارات الشعوب وخاصة فى هـذا القرن وضيق المسافة بين البلدان وانتشار وسـائل الثقافة والعلم كل ذلك لابد ان يترك آثاره التى ليس فى قدرة أية قوة أن تردها أو تمحوها .

ان المستعمرين البريطانيين قد تمكنوا طوال رحلة سيطرتهم على عمان [سلطنة مسقط وعمان] أن يفرضوا جدارا من العزلة ، وأن يقضوا على النشاط التجارى والبحرى الذى كان شعب عمان يمارسه فيما بين افريقيا والهند والخليج وقضوا على ميناء مسقط كمركز لهذا النشاط ، وبخبرتهم الاستعمارية العريقة وبقوتهم الحربية حافظوا على نظام حكم لا يتخيل المرء وجوده فى هذا القرن ، وبأساليبه الغير معقولة قد تحدى كل الاساطير وما يذكره التاريخ من انظمة حكم شاذة مثل الحاكم بأمر الله او قرقوش ، وصار نظام الحكم فى أذهان الناس هناك هو نظـام الممنوعات : ممنوع تدخين السجائر ، ممنوع لبس الحذاء ، ممنوع لبس البدل ، ممنوع لبس النظارات ، ممنوع التجول فى الليل دون أن تحمل فانوسا ، ممنوع أن تخرج المرأة من البلاد ، ممنوع ان تبنى بيتك من الحجارة او الاسمنت ، ممنوع ان تجلب كذا او تأخذ كذا .... قائمة الممنوعات الشاذة لا حد لها .

ويتم هذا باشراف مباشر من الضباط البريطانيين ممثلى الاستعمار البريطانى فضلا عن القاء الناس فى سجن **كوت الجلالى** « قلعة من القرون الوسطى » دون تحقيق او محاكمة ولمدة قد تمتد لعشرات السنين او مدى الحياة ، لقد كان المعتقلون فى سجن **الجلالى** يعانون من مختلف الامراض أبسطها

---

[١٤] « الخليج .. تنفذ الانسحاب البريطانى » .
[١٥] نفس المصدر .
[١٦] بحث الدكتور سركيس

الدوسنتاريا المزمنة وسوء التغذية والروماتيزم ..

ومن مجموع عشرات المعتقلين الذين افرج عنهم بعد عملية خلع **سعيد بن تيمور** لم يكن بينهم واحد سليما على الاطلاق ، ولاتفه الاسباب يحكمون على المعتقل ان يلقى فى البئر وهو عبارة عن بئر عميقة جدا محفورة فى الجبل ، ينزل المرء فيها بالحبل وينزل اليه الماء وكسرة الخبز بالحبل كذلك ، واذا قضى فترة الجزاء ينزل له الحبل ويطلب منه ربط وسطه ويسحب الى خارج البئر .. وهذا يجرى كذلك تحت اشراف مباشر ، بل وبأوامر الضباط البريطانيين .

لكن كل ذلك لم يمنع ان يثور شعب عمان وان يحمل السلاح لمواجهة الظلم واحكام القرون الوسطى .. ورغم ان المستعمرين البريطانيين قد واجهوا ثورة الشعب العمانى بعنف مريع وبقصف المدن والقرى وتسيير الجيوش الجرارة لتصفية الثورة الا انهم يدركون انهم مهما نجحوا مؤقتا فى ضرب الثورة فان سحقها امر مستحيل ، وهكذا ما أن تمكنوا من ضرب الثورة فى عمان الداخل ، حتى تنفجر الثورة فى **ظفار** جنوبى عمان بشكل اقوى واكثر تنظيما ، ولاتزال هذه الثورة تقارع الوجود البريطانى هناك .

وهكذا اضطروا الى تغيير سياستهم وارغموا على التنازل عن اساليب الحكم القرقوشى واضطروا الى خلع عميلهم الامين والغريب وحمله الى لندن حيث يعيش .

اقول انهم يدركون جيدا ان اساليب الاستعمار القديم قد ولى زمانها ؛ انها لا تمكنهم من الاحتفاظ بوجودهم ومصالحهم ؛ فأخذوا يشتغلون بأساليب الاستعمار الجديد .

وبدأ هذا التغير فى الاساليب باعلان ماسمى بـ « **انسحاب القوات البريطانية من الخليج** » ، سار بعد ذلك بالتركيز فى اتجاهات رئيسية ثلاثة :

الاتجاه الاول : نحو الاوضاع السياسية والدستورية .

الاتجاه الثانى : نحو الاوضاع العسكرية والامن

الاتجاه الثالث : نحو الاوضاع الاقتصادية .

وفى الاتجاهات الثلاثة يبدو انهم توصلوا الى وضع استراتيجية موحدة تقوم على التنسيق فيما بين الامبرياليتين الامريكية والبريطانية من جهة ، وفيما بينهما وبين انظمة الحكم الضالعة معهما فى المنطقة من جهة اخرى ، وقد تم ذلك سواء فى الاجتماعات التى عقدت على مستوى عال ، والتى لم تتوقف منذ عام ١٩٦٧ ، والتى اهمها لقاء **ويلسون** رئيس حكومة العمال البريطانية السابق مع الرئيس الامريكى السابق **جونسون** [١٧] ولقاء المستر **هيث** رئيس حكومة العمال البريطانية السابق مع الرئيس الامريكى الحالى **نيكسون** ، كذلك اجتماعات حلف « **السنتو** » على مستوى القمة وعلى المستوى الوزارى وعلى مستوى رؤساء اركان حرب دول الحلف ، واجتماعات الحلف الاطلسى ، اضف الى ذلك اللقاءات التى لا تعد ولا تحصى للوزراء والاجهزة المختصة ، والزيارات الكثيرة والمختلفة المستويات التى قام بها وتبادلها رجالات الانظمة الضالعة ، وطبعا اهمها تلك التى تكون وجهتها لندن وواشنطن . [١٨]

وصار واضحا ان هذه الاستراتيجية الموحدة قد وضعت فى اعتبارها ان تسير هذه الاتجاهات الثلاثة ، بشكل متناغم ومنسجم ، ويكمل كل منها الاخر .

ففى الوقت الذى بدأوا فيه تنظيم الجهاز الادارى ووضع عناصر الشباب على رأس الاجهزة الادارية وسنوا الانظمة والقوانين ، بل ووصلوا الى سن الدساتير — كما حدث فى قطر — ، فى هذا الوقت بالذات بدأوا فيه جلب الراسمال الاحتكارى الكبير الى المنطقة ، فى نفس الوقت الذى كونوا فيه ما سموه قوات دفاع الامارات [قوة دفاع قطر ، قوة دفاع ابو ظبى ، قوة دفاع البحرين ...] .

وفى الوقت الذى كان فيه الامراء فى اجتماعاتهم المتكررة ينجحون ويفشلون ، يتفقون على قرارات ويفشلون فى الاتفاق على قرارات اخرى ، كان الجنرال **ويلوبى** كبير المستشارين العسكريين البريطانيين لاتحاد الامارات يعد الخطط والتوصيات لانشاء جيش اتحادى تكون كشافة ساحل عمان نواته الأولى ، وتنمى هذه النواة بـ « قوات دفاع الامارات » لتصبح جيشا اتحاديا ، فى نفس الوقت تنسق قوات الامن لكل امارة (وكلها تحت ادارة ضباط بريطانيين) مع بقية الامارات لتنشأ قوات الامن الموحدة .

---

[١٧] سيف بن على : « اضواء على ما يجرى فى الخليج العربى » .

[١٨] سيف بن على : « المشاريع الاستعمارية فى الخليج العربى .. الى اين ؟ »

وكما ذكرنا قبل قليل ؟ فان الاتجاهات الثلاثة للاستراتيجية الامبريالية نحو منطقة الخليج تسير بشكل منسجم ويكمل كل منها الاخر ، ولكن كيف يسير كل اتجاه من هذه الاتجاهات الثلاثة ؟

ان الاتجاه الاول الخاص بالناحية السياسية والدستورية يسير فيوجهة توحيدجهود الامريكان والبريطانيين وعملائهم فى الانظمة الضالعة ، لتكريس الانظمةالقائمة فيالخليج العربي. واضفاء صفة الشرعية والدستورية عليها وسد المنافذ أمام تيارات التقدم ورياح التغيير التي تجتاح عالمنا من كل ناحية وصوب .

ويتضح هذا الاتجاه من الملاحظات التالية :

الملاحظة الاولى : السماح للامراء بالخروج من بلدانهم والقيـام بزيارات لدول اخـرى ، بينما كان لا يسمح لهم الا بزيارة بريطانيا ورحلات القنص فقط ، حيث أن المعاهدات التى فرضتها بريطانيا على هؤلاء الامراء تحرم عليهم الاتصال بدول اجنبية الا بموافقتها ، ونص معاهدة ١٨٩٢ المسماة بـ « الاتفاقية الاسـتثنائية بين شيخ البحرين والحكومة البريطانية » والتى وقعهـا الشيخ عيسى بن على ، يمكن ان نورده كمثال : « اقر انا ـ عيسى بن على شيخ البحرين ـ فى وجـود اللفتينانتكولونيل أ.س. تالبوت المقيم السياسى فى الخليج ـ بأننى بكامل ارادتى ارتبط واوافق ـ باسمى وباسم ذريتى ومن يخلفنى على ما يأتى :

اولا : الا اكون طرفا فى أية اتفاقيـات او اتصالات بأية دولة اجنبية عدا بريطانيا العظمى .

ثانيا : الا اسمح ـ دون موافقة الحـكومة البريطـانية ـ باقامة وكيل أو معتمد لاية دولة اجنبية على أرض البحرين .

ثالثا : الا أبيع أو أؤجـر او أرهن أو أمنـح بأية طريقة اخرى اى جزء من اجزاء البحـرين لاحتلال دولة اجنبية سوى بريطانيا العظمى [١٩]

[البحرين فى ١٣ مارس ١٨٩٢]

هذه معاهدة واحدة من عشرات المعاهدات التى فرضنها بريطانيا بقوة السلاح على منطقتنا، ورغم عدم شرعية هذه المعاهدات من وجهة نظر القانون الدولى وميثاق الامم المتحدة ، سواء من حيث الاكراه على توقيعها ، او من حيث الالتزام بها من طرفواحد،اذ أنالامراء هم الذينيتعهدون بكذا وكذا بينما الجانب الاخـر هو السـلطات الاستعمارية البريطانية لا تلتزم بشىء ، او من حيث مدة المعاهدات الغير محددة بمدة معينة اى انهاابدية، كل ذلك يثبته عدم شرعيتها ومخالفتها للقانون الدولى ولميثاق الامم المتحدة . (٢٠)

ورغم ذلككله فانهذه المعاهداتلاتزال سارية المفعولويستغلها الاستعمارالبريطانى للاستمرار فى تثبيت هيمنته ومواصلة تدخله فى شئوننا الداخلية وفى فرض نفوذه السياسى والعسكرى والاقتصادى ضد مصالح شعبنا ووطننا .

الملاحظة الثانية : السعى الحثيث لخلق «**اتحاد الامارات العربية**» بصيغته الاستعمارية ، اى الاتحاد الذيخططتله دوائر الاستعمار البريطانى منذ عام ١٩٤٥ كما يقول الكاتب الفرنسى **جـان جـاك بيربى** فى كتابه « **الخليج العربى** » حيث يذكر انه فى عام ١٩٤٥ « حاول الانجليز ان يؤلفوا نوعا من الاتحاد الفيدرالى بين الامارات محددين مسبقا مدى السلطات فى هذا الاتحاد » (٢١)

وفى عددها الصادر فى ١٦ فبراير ١٩٧١ تورد صحيفة « **صدى الاسبوع** » البحرانية نقـلا عن جريدة « البحرين » التى كانت تصدر فى الثلاثينات وبداية الاربعينات من هذا القرن فى البحرين ، تورد مقتطفات من افتتاحيات ومقالات جريدة البحرين وكذلك الرسائل الـواردة اليها ، كلها تشير الى ان حـوارا حول اقامة اتحـاد بين الامارات هو جار فى ذلك الوقت ، والمهم ان الصيغة المطروحة فى تلك الحقبة هى نفسها التى طرحت فى اتفاقية «**دبى**» ، [فبراير ١٩٦٨] ، وتصريحات الامراء وتمنياتهم فى ذلك الوقت بأن « يوفقوا الى التآزر والتكاتف وازالة اسباب الخلاف والتنافر »» هى نفسها التى نسمعها اليوم مع اختلاف الاشخاص والزمن (٢٢) .

---

[١٩] محمود بهجت سنان «البحرين درة الخليج العربى » ص ٣٥١ . ج.ج. لوريمر «دليل الخليج » القسم الثالث ترجمة عربية ص ١٤٢٤ .

[٢٠] الدكتور حامد سلطان « القانون الدولى العام فيوقت السلم » ص ٢٢٤ ـ محمود عيسى « قوات السلام الدولية » ص ١٢٥ ـ ٢١٤ .

[٢١] جـان جـاك بيربى « الخليج العـربى » طبعـة عربية ص ١٨١.

[٢٢] صدى الاسبوع ١٩٧١/٢/١٦م .

وهذا يعني ان فكرة اتحاد الامارات كحلقة في استراتيجية الاستعمار البريطاني تجاه منطقتنا كانت قائمة منذ وقت طويل وهي فكرة درسها وفحصها مخططو السياسة البريطانية طوال ما يقارب الاربعين عاما ! وقد حددوا مسبقا وبشكل جيد جدا مدى السلطات في هذا الاتحاد ، لكنهم يريدون أن يوهمونا بأن الاتحاد هو من بنات افكار الامراء انفسهم وهم الذين وقعوا اتفاقية دبي ووقعوا القرارات الستة عشر التي تهدف الى تثبيت كيان الاتحاد ، وتعبيد السبل لنموه وازدهاره « كما جاء في مقدمة توقيع المجلس الاعلى للاتحاد على هذه القرارات في يوليو واكتوبر ١٩٦٨ (٢٣) وهم [الامراء] الذين يختلفون ويتنازعون ويتفقون ويعودون يختلفون ثم يعودون فيتفقون ، وثقوا انهم سيتفقون في النهاية لان ارادة الاستعمار البريطاني والاستعمار الامريكي وارادة « الدول المطلة على الخليج » كلها مجتمعة ، مشكلة ارادة واحدة ! كلها ترغب في أن يقوم الاتحاد بالصيغة التي خططوا لها « ليحفظ أمن منطقة الخليج ويضمن الاستقرار والازدهار فيها » .

والملاحظة الثالثة : هي عمليات التغيير للوجوه وعمليات المكياج للاجهزة الادارية في بعض الامارات مثل تشكيل مجلس دولة ، وسن دستور ! وانشاء مجلس وزراء بها ، وقد اشركوا في الاجهزة الادارية عناصر من غير الاسر الحاكمة — لكن من خدمها أو المقربين اليها — وتعمدوا أن تكون هذه الزيادة من « الشباب الخريجين » ! وتسير الامور بهذا الشكل هو طبقا لمخططات الاستعمار البريطاني التي برز جزء منها في مذكرة الحكومة البريطانية وقدمتها دار المعتمد السياسي لحكومة صاحبة الجلالة في البحرين ردا على مطالب « الهيئة التنفيذية العليا » التي صار اسمها فيما بعد « هيئة الاتحاد الوطني » والتي كانت على رأس الحركة الوطنية في البحرين للاعوام ٥٤ — ١٩٥٦ (٢٤) .. وقد جاء في تلك المذكرة المؤرخة في ١٩٥٥/٣/١٧ :

« ان العناصر الثلاثة التي لا يمكن تحقيق التقدم والتطور بدونها هي :

[١] حكومة تساير التطور ، وتدخل الاصلاحات على نظمها الادارية بحيث تتكافأ مع زيادة الموارد الطبيعية للبلاد وارتفاع نسبة الثقافة والتعليم بين ابنائها » .

[٢] وجود انظمة ووسائل دستورية تتيح للشعب أن يعبر عن آرائه في الامور التي تخصه وتتصل به وأن يساهم بقسط وافر في الحكومات البلدية [أي المجالس البلدية والقروية] وفي الادارة العامة للحكومة » .

[٣] ان الشعب وبالاخص اولئك الذين لديهم قسط وافر من الخبرة يجب ان يستغلوا وجود هذه المجالس والطرق الدستورية ليعبروا عن آرائهم ويشاركوا في الادارة العامة ، ويجب عليهم الا يقوموا بايجاد مؤسسات وجمعيات مضادة ومنافسة ليحدثوا الفوضى والاضراب او يضغطوا على الحكومة بطرق ووسائل غير دستورية .

وتدعي المذكرة ان العنصرين الاولين [أي حكومة تساير التطور ووجود انظمة ووسائل دستورية] كانا متوفرين في البحرين ، وتعترف بعدم توفر العنصر الثالث [استغلال الشعب لوجود المجالس والطرق الدستورية] وتعزو ذلك الى موقف المقاطعة من قبل شعب البحرين بتحريض من الهيئة ، وتقول المذكرة « ولكن على المرء الا يحاول الركض قبل أن يتمكن من المشي وان « الحكومة البريطانية مهتمة أشد الاهتمام بالتقدم السلمي الذي تحققه البحرين وستظل

---

[٢٣] اتخذ اجتماع حكام الامارات الذي عقد في ٦ و٧ يوليو ٦٨ تسعة قرارات بشأن الاتفاق مع خبير قانوني لوضع الميثاق الكامل وبشأن لجنة اتصال مع الخبير المكلف وبشأن رئاسة جلسات المجلس الاعلى للاتحاد وبشأن مكان اجتماع المجلس الاعلى للاتحاد وبشأن تشكيل مجلس اتحادي مؤقت وتحديد اختصاصاته وبتعيين هذا المجلس وبتشكيل لجان لدراسة توحيد النقد والبريد وعلم الاتحاد ونشيده وشعاره الرسمي وانشاء جريدة رسمية للاتحاد ، وبرصد مبلغ ٥٠٠,٠٠٠ دينار بحريني لمواجهة النفقات الاولية للاتحاد وبشأن المصادقة على رئيس مجلس الاتحاد ، وفي اجتماع المجلس الاعلى في دورته الثانية في الفترة من ٢٠ — ٢٢ اكتوبر ١٩٦٨ اصدر المجلس سبعة قرارات بالمصادقة على قرار المجلس الاتحادي المؤقت بانشاء لجان لرسم الخطوات اللازمة لتحقيق الاغراض الاتحادية الجوهرية العاجلة وبالمصادقة على الاتفاق مع خبير اقتصادي والموافقة على تكوين قوات مسلحة موحدة التدريب والقيادة وتشكيل لجنة ثلاثية لدراسة استيضاحات الخبير الدستوري ، وبشأن استشارة الخبير الدستوري في المسائل ذات الطابع القانوني البحت ، ويمنح المجلس الاتحادي المؤقت سلطة اصدار قرارات نهائية في بعض الحالات وبتعيين اعضاء مساعدين في المجلس الاتحادي .

[٢٤] عبد الرحمن الباكر « من البحرين الى المنفى » ص ١٠٤ — ١٠٨ .

تراقب تقدم البحرين ورفاهيتها بعين العطف وستقدم نصائحها وارشاداتها حينما يطلب منها ».

« واذا عمدت أية فئة من فئات شعب البحرين الى القيام بأعمال العنف والاستفزاز او قامت بضغط سياسي غير قانوني ، وتركت الوسائل القانونية والطرق المشروعة فانها عند ذلك ستفقد عطف الحكومة البريطانية » .

وتختتم الحكومة البريطانية مذكرتها بتوجيه ثلاث نصائح لشعب البحرين :

[١] ان يلاحظوا التقدم والتطور والاصلاحات التي جرت مؤخرا والتي ستستمر بمعونة الحكومة البريطانية حينما تدعو الحاجة الى ذلك .

[٢] ان يساهموا ويشاركوا الى ابعد حد في اللجان المختلفة والمجالس المنتخبة المتاحة لهم .

[٣] الا يفكروا اطلاقا في عمل من اعمال العنف او وسيلة من الوسائل الغير مشروعة او احداث اى تخريب او الوقوف موقف عدم التعاون » (٢٥) .

تصوروا ان هذا الكلام توجهه حكومة بريطانيا الى شعب البحرين في مارس ١٩٥٥ في هذا الوقت الذى لا يوجد فيه في البحرين الا دوائر تعد على الاصابع وكلها تحت الادارة المباشرة للمستشار البريطاني السيء **الصيت تشارلس بلكريف** ، وتسمي ذلك بكل وقاحة حكومة تساير التطور ، وانظمة ووسائل دستورية تتيح للشعب ان يعبر عن آرائه ، وتعتبر المذكرة البريطانية مجالس الحاكم والجريدة التى ستبدأ من جديد [ولم تبدأ أية جريدة الا بعد انتفاضة مارس المجيدة في ١٩٦٥] واللجان المؤلفة لمجالس التجارة [وتقصد غرفة التجارة] ومجالس الاوقاف وغيرها [وكلها مجالس ادارية] تعتبر المذكرة البريطانية ذلك بأنه « وسائل عديدة وكافية للتعبير عن الافكار والرغبات ومشاركة الشعب في الجهاز الادارى ».

ولا تخجل الحكومة البريطانية ان تورد في مذكرتها امورا مثل ايفادها احد موظفيها الكبار مستر **أوزلي** « الخبير الكبير في شئون العمل والعمال في الشرق الاوسط » لزيارة البحرين ليقدم آراءه بخصوص قانون العمل ، وتعيين مستشار قضائي بريطاني هو المستر **بيس** وتعيين الكولونيل البريطاني همزرلي لتنظيم الشرطة وتعيين دكتور بريطاني كمساعد لرئيس الاطباء البريطاني ودكتورة بريطانية لمستشفى النساء ، وتقوية محطة توليد الكهرباء في الجفير وبناء مدرسة « كبيرة » للاولاد واخرى للبنات .. وما شابه ذلك ، لا تخجل الحكومة البريطانية أن تورد مثل هذه الامور في مذكرة رسمية وتعتبرها « خطوات لتنظيم الادارة وتغييرها » علما بأن تحقيق هذه الخطوات وهى لتنظيم امورهم أكثر منها لصالح البحرين لم تتخذ لولا ضغط الحركة الوطنية المؤيدة تأييدا كاملا وشاملا من جميع فئات الشعب البحراني في اعوام ١٩٥٤ — ١٩٥٦ أجل تحت ضغط الحركة الوطنية اضطرت السلطات الاستعمارية الى تنفيذ بعض الخطوات ، اوردتها مذكرة الحكومة البريطانية كأمثلة على « التقدم والتطور والاصلاحات » التى على شعب البحرين ان يلاحظها ، وطبعا ان يقتنع بها .

وتقنعنا المذكرة البريطانية بالاكتفاء بهذه الخطوات ، وأن « على المرء الا يحاول الركض قبل ان يتمكن من المشي » .. وتتناسى وتتجاهل الحكومة البريطانية بأنها بسيطرتها على مقدرات شعبنا ووقوفها في وجه اى تطور او تقدم يطمح اليه شعبنا قد اقعدت مجتمعنا ، وجعلته في حالة من الشلل افقدته القدرة ليس على المشى ، بل افقدته القدرة على ان يحبو .

ان سياسة الاستعمار البريطاني كما يثبت ذلك سبر الامور في بلادنا هى سياسة الالجام قدر المستطاع ، واذا رأت ان الوضع قارب من الانفجار ارخت الحبل قليلا ليكون « التطور تدريجيا » كما يكررون .

وهذه التغييرات في الوجوه ومكيجة الاجهزة الادارية وسن الانظمة والدساتير الرجعية والمتخلفة عن روح عصرنا ، والمتخلفة عن مستوى الوعى والعلم او على حد تعبير مذكرة الحكومة البريطانية « ارتفاع نسبة الثقافة والتعليم » بين ابناء شعبنا ، ما هى الا عملية ارخاء الحبل قليلا ، لكن الى متى يمكن للسلطات الاستعمارية ان تمسك بحبل اللجام مشدودا ؟ .. في اعتقادى انه لن يكون في امكانها ان تمسك به اكثر ، فان شعبنا في الخليج يملك كل القوة في أن ينطلق ويقطع هذا الحبل .

---

[٢٥] عبد الرحمن الباكر « من البحرين الى المنفى » . ص ١٠١ — ١٠٨ [نص مذكرة الحكومة البريطانية] .

الملاحظة الرابعة وتتعلق بضرب الحركة الوطنية في المنطقة، والاجهاز عليها، على أمل القضاء عليها ليصفو لهم الجو لتمرير استراتيجيتهم باتجاهاتها الثلاثة دون فضح او معارضة ، وقد بدأوا في حملات الاعتقال والمطاردة للشباب الوطني على طول ساحة الخليج بالضبط مع بدء تنفيذ مخططهم لخلق الاتحاد وما اسموه بملء « الفراغ » الذي سيخلفه انسحاب بريطانيا العسكري من الخليج، وفي نفس الوقت كانوا يحاولون ان يظهروا انظمتهم بأنها في طريق الانفتاح وفي طريق اباحة الديمقراطية .. اجل انهم يريدون الانفتاح لهم ولعناصرهم ، وكذلك الديمقراطية .. انهم يعتقدون واهمين ان الشعارات الفارغة والدعايات البراقة المضللة ستمر على جماهير شعبنا ، وسيصدقهم النـاس بأنهم يعملون في طريق مـا يسمونه بالديمقراطية ، ما هي هذه الديمقراطية او الانفتاح الذي يجري وحالة الطوارىء الغير معلنة لا تزال سارية المفعول في أغلب مناطق الخليج ، هل من الانفتاح او الديمقراطية في شيء ان يعيش الشاب الوطني يترقب قـدوم البوليس في اية لحظة لاعتقاله وتفتيش منزله ، وهل من الديمقراطية في شيء ان يزج عشرات الشباب في المعتقلات والسجون بلا محاكمة واحيانا كثيرة بلا تحقيق ، ولمجرد الشبهات يعتقل الشاب ويطارد حتى في رزقه ؟

حتى صحفهم التي انشأوها وصرفوا عليهـا الاموال واغدقوا على أصحابها العطايا والهدايا ، وهم الذين يوجهون سياستها .. ضاقوا ذرعا بما يرد فيها احيانا من نقد خفيف لبعض الاوضاع السيئة .. وصارت عملية توجيـه الانذارات لصحفهم ذاتها هواية رئيس دائرة الاعلام .. وبسبب كاريكاتير واحد نشرته صحيفة صدى الاسبوع وجه اليها انذار بوقفها عن الصدور ؟ يا له من انفتاح ويا لها من ديمقراطية .

ان الشعبة الخاصة في أجهزة الامن العـام والتي هي تحت اشراف مباشر وادارة كاملة من قبل ضباط الاستخبارات البريطانية هي التي بيدها كل شيء ، وانا نتحدى أي رئيس دائرة سواء أكان من الشباب الخريجين أو من الشيوخ ان يثبت أن بامكانه مخالفة امرهم حتى في أمر صغير كتوظيف أحد الشباب في دائرة معينة أو أية مؤسسة .

ان اعمال القمع ضد جماهير شعبنا وشبابنا قد ازدادت اتساعاً منذ تحركهم لتنفيذ مخططاتهم، وهي تزداد اتساعا وقسوة مع مرور كل عام ونحن نتوقع أن تستمر في الاضطراد ، ذلك لان جماهير شعبنا وقواها الوطنية لا يمكن ان تبقى ساكتة وهي ترى اعداءها يعدون مستقبلا مظلما لها ، وترى بأم اعينها كيف يدفع وطنها الى هاوية لا تدري قرارها ومن جانب السلطات الاستعمارية واجهزتها فان ما يقلقها ويزعجها ان تعبر جماهيرنا وقواها الوطنية عن تململها واستعدادها لمواجهة مخططاتهم السوداء وافشالها .

لذلك كله قلنا ان الاتجاه الاول لاستراتيجية الامبريالية تجاه منطقتنا موجه للجانب السـياسي والدستوري ، لانهم يريدون للاوضاع السياسية على تخلفها وهزالها وعن طريق تقنينها ووضـع الضوابط والروابط والدساتير لها يريدون لهـا الثبات والاستقرار ، من وجهة نظرهم طبعا ، لتكون قادرة على تنفيذ الاتجـاهين الاخرين من الاسـتراتيجية ، وهما الاتجـاه نحو الوضـع العسكري والامني والاتجـاه نحو الوضـع الاقتصـادي .

لنستعرض الان كيف يعملون لتحقيق الاتجاه الثاني ، أي الاتجاه نحـو الوضع العسـكري والامني ، ففي الجانب العسكري يسير الاتجاه كما يبدو لنا على ٣ ركائز تطور وتثبت تدريجيـا لتصل الى الشكل المطلوب وهو « **منظمة الدفاع الاقليمية** » وهذه الركائز الثلاث في تصورنا هي :

الاولى : تقوية جيوش انظمة « الدول المطلة على الخليج » واهمها نظام الحكم في ايران .

الثانية : خلق جيوش محلية للامارات لها قيادة عليا واحدة تعمل على توحيدها — مع كشـافة ساحل عمان — في جيش واحد موحد القيـادة والتدريب .

الثالثة : تنمية القوات الامريكية في المنطقة لتحل محل القوات البريطانية تدريجيا .

وبالنسبة لتقوية جيوش « الدول المطلة على الخليج » فان ذلك يجري منذ عام ١٩٦٦ حيث توالى عقد الصفقات العسكرية فيما بين هـذه الانظمـة والامبريـالتين المعنيتين الامريكيـة والبريطانية ، ورغم ندرة الاخبار عن هـذه الصفقات الا ان ما اذيع عنها يكفي لاعطاء صورة عن عملية تقوية جيوش هذه الدول .

اما الركيزة الثانية وهي خلق جيوش محلية للامارات يتم توحيدها مع كشافة ساحل عمان لتكون جيشا اتحاديا واحدا موحد القيادة والتدريب فان السنوات القليلة الماضية قد شهدت الكثير في هذا السـبيل .

« فكلنا يعرف ان الامارات الرئيسية قد أعلنت كل منها عن تشكيل قوة دفاعها الخاصة بها وذلك

تنفيذا لالتزاماتها وفقا لاتجاه الاستراتيجية العامة التي مررنا على ذكرها .

اما بالنسبة لتسليح الجيش الاتحادى فان جريدة التايمز اللندنية قد كشفت جانبا مهما منه وذلك في عددها الصادر يوم ١٧ يوليو ١٩٦٩ ، فذكرت انها حصلت على معلومات كاملة عن القوات الارضية والبحرية والجوية التي وصى عليها لقوة دفاع اتحاد الامارات العربية ، وقد جاءت هذه التوصية التي وافق عليها مجلس حكام الاتحاد في تقرير الجنرال **جون ويلوبى** بصفته المستشار العسكرى للاتحاد .

فلبحرية الاتحاد وصى التقرير على شراء ثماني سفن دورية كرافت ، وللسلاح الجوى تقرر شراء ٩ وحدات دفاع جوى من طراز « تايجركات » و٦ طائرات هوكر هنتر وعدد من طائرات الدعم الخفيفة وطائرات النقل ، [وطائرات الدعم الخفيفة هي من طراز نورثروب وباك ١٦٧ الاسرع من الصوت والدعم القريب من طراز [ف — 550]التى تقل سرعتها عن سرعة الصوت .

اما الركيزة الثالثة لاتجاه الاستراتيجية العسكرى وهو احلال القوات الامريكية تدريجيا محل القوات البريطانية فانهم يتكتمون كثيرا على هذا الموضوع ، ولا يمكن الوصول الى مثل هذه النتيجةالا منخلال الدراسة الدقيقة لاستراتيجية حلف شمال الاطلسى الذى تسيطر عليه الولايات المتحدة ومن خلال تصيد بعض الاخبار من هنا وهناك .

فمن خلال استراتيجية حلف شمال الاطلسى يتضح انه مطلوب من بريطانيا ان تلعب الدور الرئيسى في وسط اوروبا وفي البحر الابيض .. وقد استجابت بريطانيا لهذا الدور ورتبت امورها ومن ضمنها قرار الانسحاب شرقى السويس على هذا الاساس .. اذن من يقوم بالدور الرئيسى شرقى السويس ؟ . من هذا السؤال يتضح انه موكولللولايات المتحدة ،ونصل الىهذا الاستنتاج بثقة اذا استرجعنا ما تناقلته وكالات الانباء يوم ١٦ــ٥ــ٦٧ من ان **ويلسون** رئيس وزراء بريطانيا سيبلغ الرئيس الامريكى السابق **جونسون** عند اجتماعه به في ٢ يونيــة ٦٧ ان بريطانيا ستسحب قواتها من منطقة شرقى السويس وستتم هذه الخطوة تدريجيا تجنبا لحدوث فراغ عسكرى فى المنطقة مراعاةلانشغال الولايات المتحدة فى فيتنام .

ويلمس معهد الدراسات الاستراتيجية التابع لجامعة **جون تاون** الامريكية فى كتابه « الخليج .. منذ الانسحاب البريطانى » موضوع الوجود الامريكى — مرورا — ويطرح تساؤلا :

ماهو موقف امريكا مستقبلا ؟ ثم يتذكر ان الوجود العسكرى الامريكى الحاضر فى الخليج صغير وهو يشمل عادة سفينة قيادة ومدمرتين من اسطول امريكا فى الاطلسى .. وتشارك هذه القوة وفى المناسبات وبصفة مؤقتة سفن الاسطول السادس الامريكى فى البحر الابيض المتوسط ، وهذا الكلام يعنى بوضوح دعوةامريكا لتكبير وجودها العسكرى ، اذ ان وجود مدمرتين وسفن غير دائم وفى المناسبات لايفى بالغرض .

ثم يؤكد معهد الدراسات هذا ، على اهمية استمرار مناورات حلف السنتو ، ويتباكى علىان هذا الحلف قد تحول الى حلف اقتصادى وثقافى وكأنه يريد ان يقول ان المطلوب هو حلف عسكرى — مادام حلفالسنتو قد تحول الىحلف اقتصادى وثقافى فلنعمل علىخلق الحلفالعسكرىالمطلوب، ثم تؤكد الدراسة علىأن تفاهم الدول المطلة على الخليج يعد بكل تأكيد مساهمة هامة لتأمين السلام فى الخليج فى المستقبل ، وفى نطاقتقوية واعداد جيوشــها لتجرى المناورات العسكرية المنفردة ، اى كل جيش يقوم بمناوراته الخاصة .

ويأتى ذلك مصداقا للكتاب الابيض البريطانى عن شئون الدفاع الصادر فى ٢٠ فبراير ٦٩ حيث قال : « لقد حققنا تقدما طيبا فى التخطيط مع حلفائنا لوضع ترتيبات جديدة تساعد على المحافظة على استقرار المناطق المعنية بعد انسحابنا من قواعدنا البرية الى الشرق من السويس .

وفى ٧/٤/٧٠ عقدت اللجنة العسكرية لحلف السنتو اجتماعا فى طهران استعرضت فيه خطط الدفاع فى منطقة الخليج ومستقبله ، بعد انسحاب القوات البريطانية بنهاية ٧١ ، وقد درست اللجنة تقارير حول المناورات الارضية والجوية والبحرية التى اجريت فى المنطقة ، وبرامج المناورات للعام القادم ، وبعد ذلك بشهر عقدت فى واشنطون اجتماعات المجلس الوزارى لحلف السنتو ، ومن ضمن القضايا التى بحثت فيها « مستقبل الخليج العربى » . [الحياة ١٧/٥/٧١] .

وموجز الاتجاه العسكرى لاستراتيجية الامبريالية هو ان تكون الاستعدادات العسكرية فى منطقة الخليج على مستوى من الكفاءة والقوة تمكنهم من استمرار قبضتهم ، وضرب اى تحرك جماهيرى يهدد مصالحهم وارباحهم الفاحشة فى هذه المنطقة ذات الاهمية الاستراتيجية المزدوجة من ناحيتين ، ناحية غناها بالثروة البترولية ، واهميتها للمواصلات بين نصفى الكرة الارضية .

لكن الناحية العسكرية والناحية السياسية لا تكفيان للحفاظ على هذه المنطقة تحت نفوذ الاستعمار الانجلو امريكى واحتكاراته النفطية ،

فالمهم ان ترتبط حياة الناس الذين يعيشون فى هذه المنطقة بذلك النفوذ ، وهل يوجد شيء يربط حياة الناس اكثر من الوضع الاقتصادى ؟

ان الوضع الاقتصادى لاى مجتمع كما يقول علماء الاقتصاد هو الاساس لبنية هذا المجتمع .. الوضع الاقتصادى والعلاقات الاقتصادية فى اى مجتمع هى التى تحدد البنية الفوقية له .. هى التى تحدد نوع النظام واساليب الحكم وتحدد بالضبط من من طبقات المجتمع لها السيطرة ، فمن يتحكم فى اقتصاد اى مجتمع تجده يتحكم فى ذلك المجتمع .

ومن هنا نجد الاتجاه الثالث لاستراتيجيتهم هو الاتجاه نحو الوضع الاقتصادى .. وهذا الاتجاه هو أخطر الاتجاهات وابعدها اثرا وان جاء ترتيبه الثالث ، وتتمثل هذه الخطورة بتحقيق هدفين رئيسيين :

الاول : ربط الاقتصاد الوطنى بالاقتصاد الامبريالى العالمى ربطا وثيقا .

الثانى : تحويله بشكل كامل الى صناعات تكميلية واقتصاد خدمات ..

وهناك هدف ثالث وهو من طبيعة الرأسمالية يتمثل فى جنى أكبر قدر من الارباح الفاحشة وبأكبر قدر من السهولة . فكيف تجرى الامور فى الوضع الاقتصادى لتحقيق هذين الهدفين الرئيسيين وغيرهما من الاهداف ؟

فى ١٩٦٧/٥/٢٥ اذاعت اذاعة لندن « أن شركة كالتكس وهى الشركة الام لشركة بابكو شكلت لجنة لترغيب الشركات الامريكية بتشغيل رأسمالها لاقامة مشاريع تعتمد على الغاز الطبيعى كمصدر لتحريك الصناعات بأثمان زهيدة » .

وفى ١٩٦٧/٧/١٢ نشرت جريدة « **النجمة الاسبوعية** » الجريدة الاسبوعية لشركة نفط البحرين بابكو « أن اقتصاد البحرين يتأهب لوثبة جديدة لاستيعاب عدد من المشاريع التى تهدف الى زيادة الدخل القومى واتاحة فرص التوظيف فى البلاد ، واعلنت انه تم تأسيس مكتب الانماء تحت ادارة دائرة المالية لحكومة البحرين يعمل فيه السيد حبيب قاسم ومستر دنس جونسن وهو مهندس تكرير أعير من بابكو .

واستطردت جريدة **بابكو** قائلة : « ولمساعدة الحكومة بتسهيل خططها التطويرية ، فان بابكو قد شكلت ومولت لجنة من الخبراء يعملون فى نيويورك ولندن ، وقد قدمت تقريرا عرضت فيه ٣٥ مشروعا تمهيديا » .

وبعد دراسة اكثر من ٢٠٠ مشروع صناعى فان اللجنة المذكورة قد ساعدت فى ايجاد الاتصالات ما بين حكومة البحرين ورجال الصناعة فى البلدان الاخرى .

وتتكون المشاريع التى قال عنها ناطق بلسان حكومة البحرين ان بعضها « مشاريع ضخمة وتحتاج الى استثمار ورأسمال كبير ». تتكون من اربع فئات هى :

[١] الصناعات الثقيلة وتشتمل على الصناعات التى يمكن ان يشكل توفر الغاز الطبيعى القليل التكاليف عاملا فعالا فى تأسيسها .

[٢] تسهيل الخدمات بالنسبة للشركات التى تقوم بعمليات واسعة النطاق فى منطقة الخليج .

[٣] السياحة .

[٤] الزراعة .

وفى أول اكتوبر من عام ١٩٦٨ اعلن فى مؤتمر صحفى بفندق الدوتشستر فى لندن عن مشاريع لانشاء فرن صهر الالومنيوم فى البحرين . وذكر فى المؤتمر الصحفى ان مصهر الالومنيوم سيكلف ٢٠ مليون جنيه استرلينى ، وان طاقته الانتاجية ستكون ٥٧٫٥٠٠ طن فى السنة .

وانه جرى استقصاء لانشاء هذا المركز الخاص بفرن صهر الالومنيوم فى كل من نيوزيلندا ، وايسلندا والنرويج غير انه تم اختيار البحرين لان لديها احتياطى كبير من الغاز الطبيعى الرخيص الطاقة .

---

[٢٦] جاء ذلك فى مقال له فى عدد النهار الخاص بالبحرين وعنوانه « البحرين وغد الخليج بالمستقبل » فى يونية ١٩٧٠ .

لكن السيد حبيب قاسم أحد موظفى مكتب الانباء لحكومة البحرين يذكر اسباب اختيار البحرين لتكون مركزا لاقامة هذا المصهر بشكل اوضح ، ويحددها فى خمس نقاط : (٢٦)

١ ـ توافر الغاز الطبيعى منفصلا عن النفط بكميات كبيرة لم تستغل وبأسعار متهاودة ، وكذلك قرب مكامن الغاز من الموقع الملائم .

٢ ـ توافر الايدى العاملة الفنية وكذلك المهارات الاساسية [ولم يقل السيد حبيب الايدى العاملة الرخيصة] .

٣ ـ موقع البحرين الجغرافى الواقع فى منتصف الطرق بين الاسواق العالمية المستهلكة للالمنيوم من جهة ، والدول المنتجة للمادة الخام [البوكسيت] من جهة اخرى ، وتوافر خدمات الشحن .

٤ ـ توافر الخدمات الاساسية كالمواصلات السلكية واللاسلكية وغيرها .

٥ ـ وجود مزايا استثمارية ، منها الاعفاء من ضرائب الدخل والارباح ، وعدم فرض اية قيود على الراسمال الاجنبى او الارباح .

والحقيقة يمكن تلخيص اسباب اختيار البحرين فى ثلاث نقاط رئيسية :

١ ـ توفر الغاز الطبيعى الرخيص .

٢ ـ توفر الايدى العاملة الرخيصة .

٣ ـ الاعفاء من الضرائب على الدخل وعلى الارباح وعدم فرض اية قيود على الراسمال الاجنبى او الارباح .

ولهذه الاسباب اجتمعت الشركات الاحتكارية المتخصصة فى صناعة الالمنيوم والمعادن بصفة عامة من بريطانيا وامريكا والمانيا الغربية والسويد وشكلت احتكارا عالميا سمته شركة المنيوم البحرين [البا] ، وبينما كانت نسبة حكومة البحرين فى أسهم هذه الشركة ٢٧٫٥ فى المائة حتى اكتوبر ٦٨ انخفضت فى يونيو ١٩٧٠ الى ٢٠ فى المائة فقط ، وكلما انضمت شركة جديدة انخفضت نسبة البحرين ، واخشى ان تتلاشى .

ونتيجة للشروط والمزايا التى وفرتها البحرين لهذا المشروع والتى وصفها احد كبار رجال الاعمال ذى العلاقة بالمشروع بانها « ضرب من المثالية بل اللامعقول » (٢٧) . فان « البا » قررت أن ترفع انتاجها الى ٩٠٫٠٠٠ طن فى السنة بدلا من ٥٧٫٥٠٠ طن ، بل وكما ذكر ملحق النهار الاسبوعى فى ٢٥/١٠/١٩٧٠ بأن هناك كثيرا من التفاؤل ان يصل انتاج معمل الالمنيوم الى نصف مليون طن فى غضون خمس السنوات المقبلة .

وفى ٢٢/٥/١٩٦٩ نشرت جريدة « الفاينانشل تايمز » البريطانية دراسة عن الحركة المصرفية فى العالم العربى جاء فيها « ان مركز الثقل المصرفى فى الشرق العربى اخذ يتحول من لبنان الى الخليج » . واضافت الدراسة : « وقد اتضح هذا الاتجاه سنة ١٩٦٧ الا انه سار خلال ١٩٦٨ بخطوات حثيثة واصبح الشرق العربى اسرع المناطق نموا فى ميادين التجارة والمال على الصعيد العالمى » .

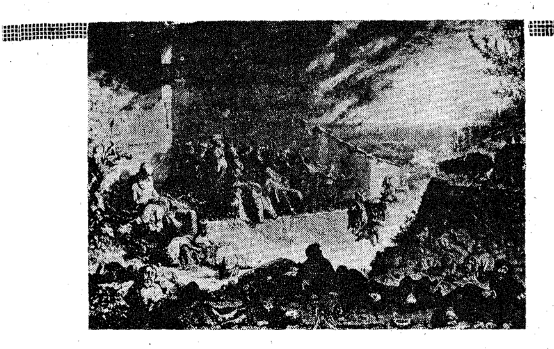
ان البنوك والشركات البريطانية والأمريكية ـ وفى السنوات الاخيرة انضمت اليها الشركات الفرنسية والالمانية الغربية ـ مسيطرة على اقتصاد الخليج، ابتداء بصناعة النفط ومرورا بالانشاءات والمقاولات وتجارة الجملة ، وانتهاء بالصفقات المحددة مثل صفقات بناء الموانىء والمطارات ومولدات الطاقة الكهربائية ، وهى تجمع الملايين من الارباح على حساب تقدم منطقتنا وتطورها .

هذا موجز لما يجرى فى منطقتنا ، وكما رأينا فان وجهة جريان الامور هو الان فى غير صالح منطقتنا وشعبنا بل هو فى صالح الاحتكارات العالمية والدول الاستعمارية وعلى رأسها الولايات المتحدة وبريطانيا .

---

[٢٧] عدد النهار الخاص « البحرين » . وعد الخليج بالمستقبل » يونيو ١٩٧٠
[٢٨] الاهرام ٢٣/١٢/٦٩ .
[٢٩] مجلة هنا البحرين العدد ٢٠٦ مارس ١٩٦٩
[٣٠] « النجمة الاسبوعية » جريدة شركة نفط البحرين ١٧ فبراير سنة ١٩٧١ وكذلك مجلة هنا البحرين العدد ٢٢٣ مارس ١٩٧١ .

كوميونة باريس



بمناسبة مرور مائة عام على أول ثورة ديموقراطية شعبية حقيقية فى التاريخ وهى ثورة مارس ١٨٧١ فى باريس التى تكونت على أثرها « كوميونة باريس » تخصص الطليعة دراستها الرئيسية هذه عن احداث وانجازات الكوميونة والدروس المستخلصة منها ونواحى قوتها وضعفها، صحيح أن حكم الكوميونة لم يدم سوى اثنين وسبعين يوما ، الا أنها كانت أياما ذات أهمية بالغة فى تطور التاريخ الانسانى ، لانها رسمت باجراءاتها التنفيذية ، الخطوط الاولى لتطبيقات الحكم العمالى الشعبى ، وأقامت أول حكم لديكتاتورية الكادحين فى التاريخ •

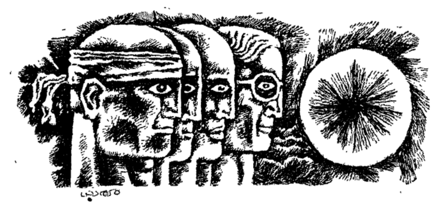
واذا كانت تجربة الكوميونة قد انتهت بالفشل ، الا أنها أثرت تأثيرا **عمليا كبيرا على تطوير الفكر الماركسى اللينينى ومفاهيمها العلمية**

«١٠٠ عام» على أول تجربة اشتراكية فى التاريخ



المحــددة عن ديكتاتورية البروليتارياودور حزب طليعة الطبقة العــاملة **واذا كانت ثورة أكتوبر الاشتراكية ١٩١٧ قــد حققت أول خطوة ناجحة** فى التاريخ البشرى لوضــع أفكــار الاشــتراكية العلمية موضع التطبيق فان تجربة الكوميونة كانت بايجابياتهاوســلبياتهــا حاضرة دوما فى أذهان الثوار العظام الذين قادوا هذه الثورةنحــو النصر والظفــر • وفى الوقت الحالى فان تجربة الــكوميونة تعد زادا ثمينا مليئــا بالخبرة والتجربة والعبرة

وبعد : فســتظل تجربة الكوميونةوتضــحيات عمــال وشعب باريس والدماء الغزيرة التى سفكت من أجل الدفاع عن الــكوميونة ، جزءا عزيزا لايتجزأ من تراث النضــال التحرى للطبقة العــاملة من أجــل الحــرية **والاشتراكية والقضاء على استغلال الانسان للانســان ..**



كوميونة باريس

بمناسبة مرور ١٠٠ عام على اعلانها

عبد الفتاح هيكل

تحتفل الحركة الثورية فى عالمنا المعاصر بمرور ١٠٠ عام على كوميونة باريس ، ان النضال البطولى الذى خاضته الطبقة العاملة فى باريس منذ مائة سنة والتضحيات الغالية التى قدمتها الجماهير الكادحة فى باريس لم تذهب عبثا وافتتحت الكوميونة صفحة جديدة فى تاريخ البشرية ، ويقول **لينين** عن حق « **فى الحركة المعاصرة نقف كلنا على أكتاف الكوميونة** » .

الاوضاع السائدة حتى قيام الكوميونة

كان للحرب البروسية الفرنسية عام ١٨٧٠ آثار بعيدة المدى على الوضع الداخلى فى فرنسا وفى أوروبا ، وقد أدى انهيار الامبراطورية البونابرتية والسياسية الخائنة المعادية للمصالح الوطنية وحروب البورجوازية الفرنسية الى زيادة تفاقم حدة الوضع الداخلى ، ويحلل **ماركس** بدقة نظام الامبراطورية البونابرتية فى كتابه عن « **الحرب الأهلية فى فرنسا** » بقوله « ان النظام الأمبراطورى هو اعهر شكل وآخره لسلطة الدولة التى بدأ المجتمع البورجوازى الناشىء فى انشائها بوصفها أداة لتحريره من الاقطاعية ، والتى حولها المجتمع البورجوازى فى نهاية المطاف ، بعد ان تطور كل التطور ، الى أداة لاستعباد العمل من قبل الرأسمال .. » ، ومن المعروف أن الحرب البروسية الفرنسية انتهت بهزيمة الجيش الفرنسى فى **سيدان** ٢ سبتمبر ١٨٧٠ ، وأسر **نابليون الثالث** وقائده **مكماهمون** ووقوع ما يزيد على ١٠٠٠٠٠ جندى فرنسى فى الأسر .

واستاء عمال باريس وشعبها الكادح من الافلاس الذى منيت به سياسة حكومة فرنسا البونابرتية والتى أدت الى كارثة وطنية ، وقاموا بثورتهم فى ٤ سبتمبر ١٨٧٠ يعلنون اقامة الجمهورية وشكلت « حكومة الدفاع الوطنى » على أساس الدفاع عن البلاد وضد النوايا العدوانية لبروسيا فى ضم مقاطعتى **الألزاس واللورين** ، واتجهت جماهير باريس الكادحة الى تنظيم صفوفها ، وصمم الشعب على الدفاع عن أراضيه وحمل السلاح وأصاب البورجوازية الهلع والخوف من تسلح الطبقة العاملة ،

واختارت الحكومة التعاون مع بسمارك ضد الطبقة العاملة ، بل ان البورجوازية الفرنسية مكنت القوات البروسية من التغلغل فى الأراضي الفرنسية واحتلال المناطق الصناعية ومحاصرة باريس فى ١٧ من سبتمبر ١٨٧٠ ، ولم يؤد التعاون بين البورجوازية الفرنسية وبروسيا الى خضوع الشعب الفرنسى بل بالعكس بدأ تنظيم حرب العصابات يشتد ولاقت القوات البروسية مقاومة عنيفة ، ولم تفلح خطط مولتكيه قائد القوات البروسية فى انهاء الحرب فى ٦ أسابيع كما تنبأ ، وأصيبت القوات البروسية بخسائر فادحة ، لولا خيانة البورجوازية الفرنسية لما أفاقت منها ، ويقول ماركس « لم يكن من الممكن الدفاع عن باريس الا بتسليح عمالها وتنظيمهم فى قوة عسكرية فعالة وتدريبهم على الفن العسكرى فى الحرب ذاتها ولكن تسليح باريس كان معناه تسليح الثورة ، وانتصار باريس على المعتدى البروسى كان يعنى انتصار العامل الفرنسى على الراسمالى الفرنسى وعلى طفيلى دولته ، وحكومة الدفاع الوطنى المضطرة للاختيار بين الواجب الوطنى والمصالح الطبقية، لم تتردد لحظة واحدة ، لقد تحولت الى حكومة خيانة وطنية » .

وحاولت البورجوازية أن تفت فى عضد شعب باريس وترغمه على الاستسلام ، ويقول تروشو حاكم باريس العسكرى فى حديث له مع رؤساء البلديات ، ان محاولة باريس للصمود لحصار الجيش البروسى هى فى الوضع الراهن مجرد جنون .. انه جنون بطولى بالطبع ولكنه جنون ، لا أكثر ... »

بل ان الحكومة لجأت الى سلاح التجويع فمات فى أغسطس ٤٩٤٢ جوعا ، وفى ديسمبر ١١٨٦٢ ، وفى يناير ١٨٧١ مايزيد على ١٩٢٣٣ ، ولم يؤثر الجوع والاوضاع الاقتصادية المتدهورة فى عزيمة الشعب الكادح فى باريس ، وصمم على المضى قدما فى الدفاع عن وطنه ومدينته الباسلة ، واضطرت البورجوازية فى الوقت الذى تتفاوض فيه سرا مع بسمارك الى ابقاء التصريحات الديماجوجية أمام سكان باريس المسلحين ، ويقول ماركس فى كتابه « الحرب الأهلية فى فرنسا » ولكن هؤلاء الدجالين الانذال عقدوا العزم على مداواة جنون باريس البطولى بالتجويع والتقتيل ، وقبل حلول ذلك الحين كانوا يخدعونها ببياناتهم المتبجحة ، جاء فى هذه البيانات أن تروشو حاكم باريس لن يقبل الاستسلام أبدا ، وأن جول فافر وزير الخارجية « لن يتنازل عن شبر واحد من أرضنا ولا عن حجر واحد من حصوننا » .

وبعد اعلان الوحدة الالمانية فى ١٨ من يناير ١٨٧١ فى فرساى من قبل بسمارك ، الذى اراد بهذا العمل ان يتحدى الشعور الفرنسى . سارت المفاوضات السرية بين الحكومة الفرنسية وحكومة المحتلين بشأن التسليم ، وعقدت اتفاقية وقف اطلاق النار فى ٢٨ من يناير ١٨٧١ ، والتى أملاها الالمان بالشروط التى يريدونها واتفق فيها على اجراء انتخابات للجمعية الوطنية فى ٨ فبراير ١٨٧١ .

واستثارت هذه الاتفاقية شعور الشعب الفرنسى وتزايدت معارضته ضد الحكومة ، وبالرغم من هذا الشعور العدائى تجاه الحكومة تمكنت البورجوازية الفرنسية بوساطة الدعاية والارهاب والبيانات من بعث جمعية وطنية عقب الانتخابات من غلاة الرجعيين ، فمن بين ٧٥٠ من أعضائها نجد ٤٥٠ ملكيا . ورد شعب باريس المسلح بتشكيل «اللجنة المركزية للحرس الوطنى» فى ١٥ من فبراير ١٨٧١ . وزاد ذعر البورجوازية الخائنة فقامت بتوقيع معاهدة الصلح فى ٢٦ من فبراير ١٨٧١ وفيها تتعهد بدفع غرامة قدرها ٥ مليار فرنك ودفع نفقات الجيوش البروسية فى فرنسا ، وصدقت الجمعية الوطنية فى ٣ مارس على شروط معاهدة الصلح المهينة ، ولم يقف الحرس الوطنى فى باريس موقف اللامبالى تجاه خيانة الحكومة والجمعية الوطنية ، ففى اجتماع لقيادات كل فرق الحرس الوطنى انتقدوا بالاجماع سياسة الحكومة وأعلنوا تصميمهم على مواصلة النضال من أجل صيانة الجمهورية .

وازاء التصميم البطولى للحرس الوطنى المسلح ، اتجهت الرجعية الفرنسية تحيك مؤامراتها لخنق الجمهورية ونزع سلاح الطبقة العاملة واذلالها ولذلك قررت فى ٩ من مارس ١٨٧١ أن يكون مقر الجمعية الوطنية فرساى ، وفى ١٠ من مارس أصدرت الجمعية قراراتها المشهورة ضد الشعب الفرنسى باغلاق الصحف الديمقراطية وعدم دفع مرتبات الحرس الوطنى واستدعاء القوات المسلحة لضرب العمال والحرفيين والمثقفين ، وفى نفس اليوم اذاعت اللجنة المركزية للحرس الوطنى بيانا للجيش فى الاقاليم تندد فيه بادعاءات البورجوازية بأن الحرس الوطنى قد خان مصالح البلاد ، وفيه تظهر المسئول عن هزيمة فرنسا ، والذى يركز قوى الجيش تجاه باريس لضرب الحرس الوطنى ، وكان النداء موجها الى الجنود يطالبهم بألا يريقوا

دم اخوتهم وآبائهم ، وجاء فى هذا النداء « ماذا يريد الشعب فى باريس ، انه يريد أن يحتفظ بسلاحه ، وأن يختار قادته ويخلعهم اذا فقدت الثقة فيهم .. » وطالب النداء الجنود بتوحيد صفوفهم مع الشعب لحماية الجمهورية .

وازاء هذا الوضع الخطير رفع بسمارك الحظر الذى كان يحدد عدد الجيش الفرنسى بـ ٤٠ الف جندى الى ١٠٠ الف ثم الى ١٣٠,٠٠٠ جندى وقامت الحكومة الألمانية باطلاق سراح عدد كبير من الأسرى وبذلك ساعدت على زيادة عدد افراد الجيش الفرنسى المضاد للثورة بل انها أطلقت سراح المرشال لكماهون ليتولى قيادة الجيش الفرنسى، وعرضت الرجعية الألمانية قواتها لتحطيم الثورة المسلحة فى باريس اذا لزم الامر .

ولكن ما هو موقف الحركة الثورية العالمية من الأحداث الخطيرة التى تجرى فى فرنسا ومن حرب بروسيا ضد الشعب الفرنسى ، ففى النداء الاول للدولة الأولى جاء فيه ما يلى « واذا سمحت الطبقة العاملة الالمانية للحرب الراهنة بأن تفقد طابعها الدفاعى المحض وتنتكس الى حرب ضد الشعب الفرنسى فان النصر والهزيمة سيهددان بالهلاك على حد سواء. وجميع صنوف الشقاء التى حلت بألمانيا فى أعقاب مايدعى بحرب التحرير ستنهال عليها من جديد بشكل أوهى وأمر » وجاء فى النداء الثانى للدولة عقب اعلان الجمهورية فى فرنسا « ينبغى عليهم (أى العمال) الا يستعيدوا الماضى بل يبنوا المستقبل ، فليستعملوا بهدوء وعزم جميع الوسائل التى تعطيهم اياها الحرية الجمهورية ، لكى يوطدوا بصورة أرسخ تنظيم طبقتهم الخاصة وهذا ما يمنحهم قوى جديدة .. »

ووقف قائدا الحركة الاشتراكية فى المانيا ويلهم ليبنخت وأوجست ببيل ضد الحرب البروسية وامتنعا فى الريخستاج [برلمان] لشمال المانيا فى ١٩ يوليو ١٨٧٠ عن التصويت لاعتماد قروض الحرب .

وفى ٢٢ نوفمبر ١٨٧٠ عندما طلب ١٠٠ مليون ثائر للحرب أعلن ليبنخت وببيل عدم موافقتهما على منح القرض وصوتا ضد ذلك ، واتهما هذه الحرب بأنها عدوانية تهدف الى استعباد الشعب الفرنسى النبيل :

وازدادت مقاومة القوى الوطنية الثورية والطبقة العاملة الالمانية للحرب العدوانية ضد فرنسا مما اضطر القيصر الى الاعلان فى ١١ من أغسطس ١٨٧٠ الى أن الحرب ليست الا ضد نابليون وتهدف الى سقوطه وأن الحرب البروسية ذات طابع دفاعى بحت، ولكن الحقيقة أن هدف العسكريين البروسيين هو التوسع والعدوان .

وأعلنت اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى الديمقراطى الالمانى فى بيان لها فى ٥ سبتمبر ١٨٧٠ عدم موافقة الطبقة العاملة الالمانية على ضم الالزاس واللورين ، وحاولت الرجعية البروسية منع توزيع البيان والقت القبض على الكثير من أعضاء الحزب الاشتراكى الديموقراطى، ذلك الحزب الذى طالب باستمرار بعقد صلح مشرف مع الجمهورية الفرنسية .

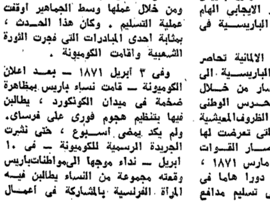
المرأة الفرنسية .. وكوميونة باريس





من خلال متابعة أحداث كوميونة باريس نستطيع أن نلمس الدور الايجابى الهام الذى ساهمت به المرأة الباريسية فى أحداث الكوميونة .

فبينما كانت الجيوش الالمانية تحاصر باريس ، وقفت المرأة الباريسية الى جانب الرجل لصد الحصار من خلال اشتراكها فى صفوف الحرس الوطنى الفرنسى . وواجهت المرأة الظروف المعيشية الصعبة وحالة المجاعة التى تعرضت لها باريس كنتيجة لفرض حصار القوات الالمانية . وفى يوم ١٨ مارس ١٨٧١ ، لعبت المرأة الباريسية دورا هاما فى ايقاف اتجاه البعض الى تسليم مدافع



الحرس الوطنى لجنرالات حكومة تيير ، ومن خلال عملها وسط الجماهير أوقفت عملية التسليم . وكان هذا الحدث ، بمثابة احدى المبادرات التى فجرت الثورة الشعبية واقامت الكوميونة .

وفى ٣ أبريل ١٨٧١ — بعد اعلان الكوميونة — قامت نساء باريس بمظاهرة ضخمة فى ميدان الكونكورد ، يطالبن فيها بتنظيم هجوم فورى على فرساى، ولم يكد يمضى أسبوع ، حتى نشرت الجريدة الرسمية للكوميونة — فى ١٠ ابريل — نداء موجها الى مواطنات باريس وقعته مجموعة من النساء يطالبن فيه المرأة الفرنسية بالمشاركة فى أعمال

هذا هو موقف الطبقة العاملة الالمانية وحزبها الاشتراكى الديموقراطى الذى ينزعمه ويلهـم ليبنخت وأوجست بيبل ازاء حـرب بروسـيا العدوانية وازاء الطبقة العاملة الفرنسية بخلاف موقف الرجعية البروسية التى تتآمر مع الرجعية الفرنسية على ضرب ثورة شعب باريس المسلحة.

ثورة الطبقة العاملة الفرنسية

واعــلان كوميــونة بــاريس

وحاولت الحكومة الفرنسية بزعامة تيير بعد توقيعها معاهدة الصلح مع المانيا فى ٢٦ مـن فبراير ١٨٧١ ، وبعد اطمئنانها لتأييد الرجعيـة البروسية أن توجه قواتها الى باريس لتجـريد الحرس الوطنى من السلاح .. ويقول **ماركس** « كانت باريس المسـلحة هى العائق الخطـير الوحيد فى طريق مؤامرة الثورة المضادة ، وكان لابد لذلك من تجريد باريس من السلاح » وردت الطبقة العاملة الفرنسـية على هـذه المؤامرة باستيلائها على السلطة ، واهتزت الحكومات الرجعية والبورجـوازية فى أوربا لهذا الحـدث الخطير ، ولكن ما هو وجه الخلاف بين الثورات السابقة التى قام بها الشعب الفرنسى قبـل ثورة ١٨ مارس ١٨٧١ .

يقول انجلز « لقد أضحت باريس فى السنوات الخمسين الاخيرة بفضل التطـور الاقتصـادى والسياسى الذى طرأ على فرنسا منذ ١٧٨٩ فى وضع جيل من المتعذر أن تنشب فيها أية ثورة دون أن ترتـدى الطـابع البروليتارى ، فـان البروليتاريا التى دفعت دماءها ثمن النصر تقدمت بمطالبها بعد النصر .

أن تحليل مؤسسى الاشتراكية العلمية لثورات فرنسا عام ١٨٣٠ وعام ١٨٤٨ يوضح لنا الفارق الكبير ، والاهمية لثورة ١٨ من مارس ١٨٧١ .

فثورة ١٨٣٠ يقول عنها **ماركس** « ان ثـورة ١٨٣٠ قد نزعت السلطة من ملاك الاراضى ونقلتها الى الراسماليين أى نقلتها مـن ايدى اعـداء الطبقة العاملة الأبعدين الى أعدائها الأقربين » وسنجد نفس الموقف من الطبقة العاملة تأخذه البورجوازية بعد انتصارها . فانجلز يقول « ماان شعر الجمهوريون البورجوازيون الذين كانوا على دست الحكم بشىء يشبه الارض الثابتـة تحت اقدامهم حتى كان عملهم الاول تجريد العمال من السلاح » .

أما ثورة ١٨٤٨ فيقول عنها **ماركس** « وقـد استولى الجمهوريون البورجوازيون على سلطة الدول باسم ثورة فبراير وسخرها للقيام بمذبحة يونيو ، ولقد برهنوا بهذه المذبحة للطبقة العاملة ، على أن الجمهورية الاجتماعية لا تعنى غـير الجمهورية التى تؤمن استعبادها اجتمـاعيا » ، فقد بلغ عدد القتلى من العمال فى ثورة ١٨٤٨ ، ٣٠٠٠ من القتلى ، وابعد ونفى ١٥٠٠٠ من ثوار باريس الابطال ، فبعد نضال العمال البطولى بدأ التنكيل بهم وكانت هذه هى المرة الاولى التى أظهرت البورجوازية الى اى مدى من القسوة المسعورة تنتقم من البروليتاريا حين تجـرؤ هـذه الاخيرة على الوقوف فى وجه البورجوازية كطبقة خاصـة لها مصالحها ومطالبها الخاصة .

ويقول انجلز « ماحدث سنة ١٨٤٨ لم يكن الا لعب اطفـال اذا مـا قيس بالجنون الذى تملك البورجوازية سنة ١٨٧١ » .

ونشاط ونضال الكومبونه . ونتيجه لهذا الدولية الاولى — « اتحـاد النسـاء باريس من ببنهن ناتالى لوميل زعيمـه نقابة عمال التجليد ، والمناضلة الروسية اليزافينا ديمتربيفا . وكلتاهما عضو فى الدولية الاولى — « اتحـاد النسـاء للدفاع عن باريس ولمعالجة الجرحى ».
واستطاعت المرأة أن تمد نشاط هـذا الاتحاد الى كافة احياء باربس . بـل وتمكنت من تأسيس فرع للاتحاد فى كل حى . وكان هدف قيام الاتحاد ، هـو تنظيم الدفاع عن باريس . كاقامة المتاريس وتشغيل عربات الاسعاف وتنظيم عمليات التموين وتنظيم تشغيل النساء فى صناعة الذخيرة والملابس .

والواقع أن هذه الحركة النسائية ، قامت دون مساندة من مجلس الكوميونة الذى لم يقدم لها ايه مساعدة بل لم يستوعب — وقتها — أهميتها وتأثيرها . ومن ثم ، يمكن القول أنها حركة جماهير نسـائية ساهمت فى العمل السياسى الفرنسى رغم عزلتها التامة عن برنامج عمل الكوميونة .

وفى مجال الحياة السياسية المنظمـة لجماهير باريس ، لعبت النساء الباريسيات دورا هاما فى نشاط اندية الاحياء . فقد رأست عدد من النساء اجتماعات بعض النوادى ، كانت أشهرهن لويز ميشـيل التى قادت فرقة نسائية خاصة لمواجهة جيوش فرساى التى دخلت باريس . ويذكر لهذه الفرقة أنها قاتلت ببسالة .
وامام المتاريس ، اعـدمت مئات من النساء رميا بالرصاص كمـا أستشهدت عشرات آخريات فى باريس . وقد كتب احد الصحفيين البريطانيين معلقا علـى دور النساء الباريسيات قائلا : « لو أن الامة الفرنسية مكونة من النساء فقط ، فكم يصبح ذلك الشعب رهيبا ! » .

وبعد هزيمة الكوميونة ، قدمت ١٠٥١ سيدة وآنسـة فرنسـية الى المجالس العسكرية للمحاكمة . وحكم بالاعدام على لويز ميشيل وناتالى لوميل .. وآخريات قدمن أمام المحـاكم دفاعا عظيمـا عن الكوميونة . وعندما خففت الاحكام من الاعدام الى الاشغال الشـاقة ، نفيت المناضلات الباريسيات الى جزيرة كاليدونيا الجديدة حيث اقمن هناك سنوات طويلة تحملن خلالها كل الظروف الصعبة للحياة داخل أسوار السجون حتى صدر قرار العفو العام فى سنة ١٨٨٠ .

بثـورة ١٨ مـارس ١٨٧١ تمكنت الطبقـة العاملة لاول مرة في التاريخ من الاستيلاء على السلطة وبدأت فترة تاريخية جـديدة في تاريخ حركة النضال للطبقـة العاملة ، وبالرغم مـن تحذيرات **ماركس وانجلز** من الانتفاضة المسلحة وخاصة في الوضع القائم في فرنسا الناجم عن الاحتلال الالماني الا انهما وقفا بكل قواهما الى جانب الثورة وايداها وحييا الكوميونة وطالب **ماركس** وانجلز من عمال باريس أن يقفوا متحدين متضامنين في عملهم ضد القوى المعادية للثورة ، ويضعوا كل امكانياتهم للقيام بهذا العمل،واعطت الكوميونة مثلا حيا لقوة الشـعب حينما يتولى الكادحون قيادة الدولة وتسير أمورها بأيديهم .

وكان من الضروري لتأمين الثورة وامتدادها الى أنحاء البلاد القيام بالهجوم فورا على قوات فرسـاى ، وكانت الاوضـاع العسـكرية ملائمة فالحرس الوطني تحت تصرفه ٣٠٠٠٠٠ مقاتل في باريس بينما كان تحت تصرف حكومة تيير في أوائل مارس مالا يزيد على ٣٠٠٠٠ مقاتل وفي حالة معنوية سيئة ، وفي هذا الهجوم كان يمكن للطبقة العاملة في باريس ان تعتمد على تأييد الطبقة العاملة الفرنسية والطبقـة العامـلة العالمية ، وكان لهذا الهجوم على فرساى أثره في اعادة الاتصال بين باريس والمناطق الاخرى في فرنسا وبذلك تؤمن الظروف الموضوعية لانتصار الثورة في كل فرنسا .

ويحيي **ماركس** ثورة ١٨ من مارس ١٨٧١ ، واعلان الكوميونة ومحاولة القوى المضادة للثورة تجريد العمال من السـلاح بقوله « وكان على باريس هذه الان اما ان تنزع سلاحها نزولا على أمر مهين من مالكي العبيد المتمردين في بوادو وتقر بأن ثورة ٤ من سبتمبر التي قامت بها ، لم تعن شيئا سوى نقل بسيط للسلطة من لويس بونابرت الى المدعين الآخرين بالعرش ، واما أن تناضل بنكران الذات لاجل قضية فرنسا التي لا يمكن انقاذها من الانحطاط التام وبعثها الى حياة جديدة الا عن طريق التحطيم الثوري لتلك الاوضاع السياسية والاجتماعية التي ادت الى الامبراطورية الثانية وبلغت تحت رعايتها منتهى العفونة . ان باريس التي اضنتها المجاعة خلال خمسة شهور لم تتردد لحظة واحدة . لقد كانت مليئةعزما بطوليا على اجتيازجميع مخاطرالنضال ضد المتآمرين الفرنسيين ، رغم المدافع البروسية التي كانت تهددها من قلاعها هي ، غير ان اللجنة المركزية ، بدافع من تعنتها للحرب الاهلية التي حاولوا فرضها على باريس ، ظلت تلتزم خطـة دفاعية بحتة ، ضاربة عرض الحائط باستفزازات الجمعية الوطنية وتدخل السلطة التنفيذية عنوة واغتصابا ، وحشد الجيوش على نحو خطر في باريس وحولها .... ان ثورة العمال المجيدة في ١٨ من مارس كانت باريس لا ينازعها منازع وكانت اللجنة المركزية هي حكومتها المؤقتة » .

الاخطـاء المبـاشرة بعـد الاسـتيلاء على السـلطة

بعد الاستيلاء على السلطة في ١٨ من مارس ١٨٧١ وقعت اللجنة المركزية للحرس الوطني في خطأ بالغ في حالة هجوم جيش الثورة المضـادة الضعيف لنزع سـلاح الحرس الوطني كان من الواجب تحطيم هذا الجيش ،ولا يقتصر دور الحرس الوطني على الدفاع اى الانتقال من حالة الدفاع الى حالة الهجـوم ، وبدلا مـن ان تترك قوات الحكومة تهرب بدون ان يتعقبها الحرس الوطني كان من الواجب اقفـال ابواب المـدينة وحصر الجيش في الداخل وتدميره ، ويقول ماركس في خطاب له الى ويلهم ليبنخت القائد العمالي الالماني في ١٦ من أبريل ١٩٧١ ان الكـوميونة اعطت تيير الفرصة لتركيز القوات المعادية ، انها كانت لاتريد الحرب الاهلية مع ان تيير قام بالحـرب الاهلية عندما دفع الجيش ليقوم بنزع سـلاح الحرس الوطني .

وعندما تركت قوات الحـكومة حصن مونت فالريان الهام ، وبقي الحصن لمدة ٣٦ساعة بدون احتلال من قبل قوات الحرس الوطني عادت قوات الحكومة فاحتلته من جديد .

وكان من واجب اللجنة المركزية الاستمرار في الحكم لتأمين الثورة ولكنها أعلنت عن عزمها على القيـام بانتخـابات في ٢٥ ، ٢٦ مارس ١٨٧١ لانتخـاب كوميونة باريس ، اى انها أرادت ان تعطى لانقلابها واستيلائها على السلطة صـفة قانونيـة وشرعية وسمحت بذلك لقـوى الثورة المضادة ان تدخل الانتخـابات . ولم تقم اللجنة المركزية للحرس الوطني بالقبض فورا على عملاء البوليس والقـوى الرجعيـة في باريس ولكنها تركتهم يهربون الى فرساى .

وعندما اعدمت القوى المعادية للثورة في ٤ من ابريل ١٨٧١ الجنرال ديفال عضو اللجنة المركزية للحـرس الوطني وعضو الكوميونة ومعه اثنان من قادة الفرق صـدر في ٥ من ابريل قانون الرهائن والذي ينص فيه انه اذا قتلت القـوى

المعـادية للثورة احـد الجنود فـان الكوميونة ستجاوب على ذلك باعدام نفس العدد ، ومع ذلك فان قانون الرهائن لم يصبح نافذ المفعول ، فكل الشخصيات الهامة الممكن استخدامها كرهائن كانت قد هربت وتركت باريس الى فرســـاى وعنـدما عرضت الكوميـونة كل الرهائن لديها ورات مبادلتهم باوجست بلانكى المسـجون لدى قوات الحكومة المعادية للثورة رفضت حكـومة تيير طلب الكوميونة ، فعدم اسـتخدام القانون الخـاص بالرهائن بحـزم جعل القوى المعادية للثورة تستمر فى أعمالها العدوانية ، ومن اخطاء الكوميونة الكبرى كما يقول انجلـز « الرهبـة المقدسة التى وقفت بها الكوميونة اجـلالا امام ابواب بنك فرنسا ، لقد كانت هذه ايضـا غلطة سياسية كبرى ، فلو وقــع البنـك فى ابدى الكوميونة لفاق ذلك فى أهميته عشرة آلاف من الرهائن ولارغام البورجوازية الفرنسية كلها على الضغط على حكومة فرســاى لعقد صـلح مع الكوميونة » .

هذا مع عدم توافر الوضوح النظرى لمفهوم الاشتراكية العلمى ، فغالبية اعضاء الكوميونة من البلانكيين ، واقلية من أتباع مدرســة برودون الاشتراكية وكانت اهم الآراء التى يتبعها اعضاء بلانكى هى وجهة نظـرهم من أن « عـددا قليلا نسبيا من الرجال ذوى الحزم والحسنى التنظيم يستطيعون فى لحظة مواتية ، لا ان يقبضــوا على السلطة فحسب ، بل باتخاذ اشـد التدابير حزما وقوة ، ان يحتفظوا بها فى ايديهم الى ان ينجحوا فى جذب جماهير الشـعب الى الثورة ولفها حول عصبة صغيرة من القادة » « ويقول انجلز » والبرودنيين (اشتراكية الفلاحين الصغار والحرفيين] هم المسئولون بصفة رئيسـية عن المراسيم الاقتصادية بفضـائلها ونقائصـها التى اصدرتها الكوميونة ، كما ان البلانكيين مسئولون عن اعمالها واخطائها السياسية « ونجد مثلا أن المسئول عن اللجنة الاقتصادية فى الكوميونة كان برودونى ، وقد عارض فى ان تضع الكوميونة يدها على بنك فرنسا وتضعه فى خدمة الثورة علما بأن الاوراق المالية والنقود والودائع كانت تقدر بما لايقل عن ٣ مليار فرنك .

تأسيس الكوميونة والاعمال التى قـــامت بهـــا

اول مرسوم اصدرته الكوميونة بعد تأسيسها فى ٢٨ من مارس ١٨٧١ هـو الغـاء الجيش الدائم والاسـتعاضة عنه بالشعب المسـلح ، واعلنت أن القوة المسلحة الوحيدة هى الحـرس الوطنى ، والغت التجنيد الاجبـارى ، كما قامت بالغاء البوليس وحلت محله فرقة احتياطية من الحرس الوطنى .

ان هذا القرار بحل الجيش النظـامى الذى خدم البورجـوازية وكان اداة من ادوات القمع ضد الطبقة العاملة وحلفائها يؤكد ان ثورة ١٨ من مارس ١٨٧١ قامت لتلغى استغلال الانسان للانسان وان الطبقة العاملة لم تقم بثورتها ليحل مستغل مكان مستغل آخر كما حدث فى الثورات السابقة .

واصدرت الكوميونة جملة من القوانين تعبر فيها عن الطابع الاجتماعى والانسانى لثورة ١٨ من مارس فقامت برفع اجور المعلمين الى الضعف واصبح التعليم مجانا فى جميع مراحله وادخلت نظام المدارس المهنية ، كما قامت فى ١٦ من أبريل بتحويل المصانع التى تركها أصحابها الى جمعيات تعاونية انتاجية يديرها العمال بأنفسهم ، وفى ٢٠ من ابريل صـدر قانون بمنـع العمل الليلى لعمال المخابز الصبية ، واصدرت قوانين خاصة بتقدير حد أدنى من النقود للعاطلين عن العمل ، وقامت بمصادرة الشقق الخالية وتوزيعها على العمال، والغاء الايجارات للمساكن لمدة ٩ شـهور تبدأ من أكتوبر ١٨٧٠ واعيدت الرهونات لمـا قيمتـه ٢٠ فرنكا أى حـوالى ٨٠٠ر٨٠٠ رهن وأغلقت مكاتب الرهونات واسقطت القضــايا الخاصة بالكمبيالات على صغار التجـار وكذلك عدم دفع قيمة الكمبيالات فى حـدود مبــالغ معينة لمدة ٣ سنوات بدون فوائد تيسيرا على التجار الصغار والحرفيين ، والغت مكاتب الاسـتخدام التى يديرها موظفـون كانت تعينـهم الشرطة ويستغلون العمال ووضعت هـذه المكاتب تحت اشراف بلديات دوائر باريس العشرين .

وقامت بتحديد سعر الخبز ، كما توجهت بنداء الى الفلاحين فى ٢٨ من ابريل ١٨٧٠ تؤكد فيه شـعار [الارض لمن يزرعها] وقامت بوضـع المسارح فى أيدى الممثلين والعـاملين فيها لكى يديروها بأنفســهم ، وفى ١٢ من ابريل امرت الكوميونة بهـدم عامود فندوم رمز التعصـب وعداوة الشعوب ، وقامت الكتيبة ١٣٧ من الحرس الوطنى فى ١٦ من ابريل باخراج المقصـلة من موضعها وتم احراقها علنا وسط أفراح شـعبية، وهذا يعطينا الدليل على المضمون الانسانى لحكم الطبقة العاملة ، وقامت الحكومة بتحديد الاجور للموظفين واعضـاء الكوميونة انفسـهم ورجال الجيش والقضاء على أسـاس أجـر العامل ،

وسنتناول هذه النقطة بالتفصيل فى تحليلنا لموقف الكوميونة من جهاز الدولة .

موقف الكوميونة من جهاز الدولة

اتخذت الكوميونة اجراءات هامة فيما يمس السلطة التشريعية والتنفيذية ، ويقول ماركس « كان يراد بالكوميونة الا تكون هيئة برلمانية ، بل هيئة عاملة تتمتع بالسلطتين التشريعية والتنفيذية فى الوقت عينه » ، لقد تبينت الكوميونة الدور الذى يقوم به البرلمان فى المجتمع البورجوازى ، والذى يقول فيه لينين فى كتابه « الدولة والثورة » امعنوا النظر فى اى بلد برلمانى من أمريكا حتى سويسرا ومن فرنسا حتى انجلترا والنرويج وغيرها ترون ان عمل الدولة الحقيقى يجرى وراء الكواليس وتنفذه الدواوين والمكاتب وهيئات الاركان ، لا عمل لهم فى البرلمانات غير الهذر بغرض معين هو خداع « أبناء الشعب » ... لقد استبدلت الكوميونة برلمانية المجتمع البورجوازى المتعفنة والمتفسخة بمؤسسات لا تتحول فيها حرية الرأى والبحث الى خداع، لانه يتوجب على البرلمانيين أن يعملوا هم أنفسهم ، أن ينفذوا قوانينهم بأنفسهم ، أن يتحققوا بأنفسهم من نتائجها وان يقدموا الحساب مباشرة لناخبيهم ، تبقى المؤسسات التمثيلية ولكن البرلمانية باعتبارها نظاما خاصا، باعتبارها فصلا للعمل التشريعى عن التنفيذى ، باعتبارها وصفا ممتازا للنواب ، تنعدم هنا . . . » وقد حاولت الكوميونة بعد الاستيلاء على السلطة فى ١٨ من مارس ١٨٧١ أن تصل الى اتفاق من قبل اللجنة المركزية للحرس الوطنى مع رؤساء الاحياء ، وبلديات باريس لكى يبقوا فى مناصبهم ، وأن يشرفوا على الانتخابات ، ولكنهم رفضوا ، وتبين أن الرجعية تقف من خلفهم ، ان قرار الغاء الفصل بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية من الاعمال المجيدة التى قامت بها الكوميونة .

اما بالنسبة للموظفين فقد حاولت اللجنة المركزية للحرس الوطنى الوصول الى اتفاق مع كل العمد ورؤساء بلديات باريس ، ولكن هؤلاء الرؤساء رفضوا الشروط والضمانات للقيام بأعمالهم التى قدمتها اللجنة المركزية ، وقامت الكوميونة بتخفيض مهايا الموظفين ووضعت نظام اجر العامل ، وأعطى أعضاء الكوميونة انفسهم أجرا قدره ١٥ فرنكا فى اليوم ، ويتقاضى أعضاء اللجنة المركزية نفس الاجر الذى يتقاضاه الحرس الوطنى أو عامل فى باريس ، وحينما تسلمت اللجنة المركزية الحكم طالب احد الاعضاء برفع مرتبات اعضاء اللجنة المركزية فرد عليه بقية الاعضاء .. لقد عشنا بهذا الاجر سابقا وعلينا ان نعيش به الآن ، وهذا يبين انه فى هذا الوقت الصعب والذى يتعين فيه تعبئة كل الموارد للدفاع يجب أن يكون اعضاء اللجنة المركزية قدوة .

والحكومة البورجوازية تسعى عن طريق تأمين واعطاء الامتيازات لهذه الفئة الحاكمة ان تكون معزولة عن الشعب ، وذلك بخلق جهاز للدولة فوق الشعب ومعزول عنه .

ولضمان أن يكون الموظف فى خدمة الشعب ويحظى بتأييده تنبهت الكوميونة الى موضوع عزل الموظفين واعطى الشعب حق عزلهم اذا توانوا ولم يقوموا بخدمة الجماهير ، ويقول لينين « ان التدبير الذى اتخذته الكوميونة واشار اليه ماركس هو رائع جدا بهذا الصدد . الغاء دفع النقود ونفقات التمثيل ، الغاء كل تمييز نقدى للموظفين ، وتخفيض رواتبجميع الموظفين فى الدولة الى مستوى « أجر العامل » وبهذا ينجلى أوضح ما يكون الانعطاف من الديمقراطية البورجوازية الى الديمقراطية البروليتارية من ديموقراطية الظالمين الى ديمقراطية الطبقات المظلومة » .

اما بالنسبة للعدالة فقد تبين فى اول الامر عدم تعاون هذا الجهاز مع الكوميونة ومحاولة عرقلة أعمالها مما اضطر الكوميونة الى فصم العلاقات مع جهاز العدالة القديم وانشاء جهاز عدالة جديد . قامت الكوميونة بالغاء الامتيازات القديمة وأصبحت المهايا لرجال العدالة على أساس نظام اجر العامل ، وخفضت تبعا لذلك المهايا وأصبح القضاة ينتخبون ويجوز عزلهم ، ومسئولين أمام الكوميونة المنتخبة من الشعب ، والغيت مصاريف التقاضى حتى تتحقق المساواة ، وبذلك أصبح الموظفون القضائيون شأنهم شأن سائر الموظفين ينتخبون فى المستقبل وعرضة للخلع .

ولصعوبة تنظيم الانتخابات للقضاة ازاء التهديد العسكرى المباشر توجهت الكوميونة بنداء الى القضاة السابقين وأعوانهم ، وطالبتهم بالعودة الى مناصبهم والحكم بمقتضى القوانين الثورية والمبادىء الاساسية لثورة ١٨ من مارس ١٨٧١ وفشل النداء واضطرت الكوميونة الى البحث عن قضاة من الفئات الكادحة تشغل هذه

المناصب ، اعضاء الحرس الوطنى لهم حق الانتخاب للقضاء وكمحلفين ، وطبق مبدأ امكانية عزل القاضى اذا لم يخدم ويحترم الشعب العامل .

هذه بعض الانجازات الرائعة التى قامت بها الكوميونة فى تلك الفترة القصيرة ، اى من يوم توليها السلطة فى ١٨ من مارس ١٨٧١ الى ٢٨ من مايو ١٨٧١ وبالرغم من الهجوم المستمر من القوى المضادة للثورة وتحالف البورجوازية المهزومة مع البورجوازية البروسية ، اى أن الكوميونة لم تعمل فى هدوء كما انه لم يكن لديها الوقت الكافى لتحقيق ما عزمت على المضى فى تنفيذه .

هزيمة الكوميونة وأسبابها

بدات قوات حكومة تيير منذ ٩ من ابريل بقصف مستمر لباريس بالقنابل ومنذ ٢١ من مايو بدأ الهجوم العام وتعرضت الكوميونة للخطر الذى يهدد وجودها ، وتوجهت الكوميونة بنداء للشعب بأسره للدفاع عن ثورته وساهم الرجال والنساء والاطفال ، وفى الايام الاولى لدخول الغزاة المدينة انقطعت الاتصالات بين المدافعين وتناثر الدفاع فى الانحاء المختلفة مما سهل مهمة الغزاة ، بل ان الكوميونة نفسها حلت فعليا فى ٢٥ من مايو ١٨٧١ لتوجه جميع اعضائها للمساهمة فى الدفاع ، وبذلك فقدت البلاد تنظيمها وهى فى اشد الاحتياج اليه فى مثل تلك اللحظات الحرجة .

ويقول ماركس عن الاعمال البربرية التى ارتكبتها قوات فرساى « وبعد أفظع حرب من حروب الازمنة الحديثة ، اجتمع الجيش الغالب والجيش المغلوب من اجل الاشتراك فى التنكيل الدموى بالبروليتاريا » . ان اهم ما توصلت اليه القوى المعادية للثورة هو عزل الكوميونة فى باريس ، واقامة حصار قوى حول باريس اشتركت فيه قوات فرساى والقوات البروسية ، لان اخشى ما تخشاه الرجعية هو الاتصال بين الحربيين الكومونيين والاقاليم ، مما سيؤدى الى نشوب انتفاضة فلاحية عامة .

ولذلك نرى ان الكوميونات التى قامت فى المدن الفرنسية المختلفة فى ليون ومارسيليا وناربون ونولوز وسانت اتيين ولكريزو أمكن قمعها بعد ثلاثة أو أربعة أيام على قيامها ، واستمرت كوميونة مارسيليا ١٠ أيام فقط وبالرغم من المذابح التى اقدمت عليها قوى الثورة المضادة والتى بلغت ٣٠٠٠٠ قتيل ، و٥٠ الفا حكم عليهم بالسجن والنفى وفقدت باريس مالا يقل عن ١٠٠٠٠٠ من خيرة ابنائها الابطال .

وترجع اسباب هزيمة الكوميونة الى :

١ — لم توجد الظروف الموضوعية والذاتية لنجاح الثورة البروليتارية واستمرارها .

٢ — ضرورة وجود الحزب المتسلح بالنظرية الثورية للاشتراكية العلمية .

٣ — الموقف الدفاعى وعدم مواجهة الثورة المضادة بالحزم ، فقانون الرهائن لم ينفذ

٤ — عدم وضع بنك فرنسا فى خدمة الثورة .

٥ — ضرورة التحالف مع الفلاحين ومحاولة كسر التطويق وخاصة فى المرحلة التى كان لدى الكوميونة من الحرس الوطنى قوى كبيرة تفوق قوى جيش فرساى فى المراحل الاولى .

٦ — عدم استمرار اللجنة المركزية بعد استيلائها على السلطة فى تدعيم الثورة وتأكيدها فى باريس ١٨٧١ ، ولقد فضحت الكوميونة الوهم والاتجاه الى القيام بانتخابات عامة .

ومع ذلك ماذا لو اعطت الطبقة العاملة فى باريس سلاحها بدون نضال ، فمما لا شك فيه أن هذا العمل سيؤثر على الحركة العمالية تأثيرا كبيرا اكثر من الخسارة التى منيت بها البروليتاريا فى نضالها وكفاحها العادل .

وبالرغم من هزيمة الكوميونة فانها أصبحت منارة للحركة العمالية العالمية ، ولم يذهب نضال الطبقة العاملة فى باريس عبثا .

ان النضال المجيد لعمال الكوميونة قد برهن على أن الطبقة العاملة يمكنها ان تستولى على السلطة ويمكنها أن تمارس الحكم ، فقد كانت الكوميونة الشكل السياسى لسلطة الطبقة العاملة السائد عن الاهداف الوطنية للراسمالية ، فعندما تعرضت مصالح الراسمالية للخطر لم تتوانى عن التعاون مع عدوها الذى وقفت أمامه فى حرب ضارية ، وتوحدت مصالح الراسمالية فى البلدين المتحاربين فى مواجهة ثورة الطبقة العاملة .

لقد رسخت الكوميونة من تطور الحركة الاشتراكية ، وبينت للعمال الاهمية القصوى لوجود حزب قوى منظم يعبر عن مصالحهم ويسلم بالنظرية الثورية للاشتراكية العلمية .

ان النضال المجيد للطبقة العاملة فى باريس وتجربة الكوميونة أمدت الحركة الثورية بذخيرة نضالية، وأوضحت بما لايدع مجالا للشك ضرورة الحزم ضد قوى الثورة المضادة ، وأن أى تهاون معها يؤدى الى كوارث خطيرة تعرض الحركة الثورية لخطر داهم ، كما أن تجربة الكوميونة تؤكد لنا ضرورة حماية تحالف قوى الشعب العاملة فى اطار تنظيمى تحميه نظرية ثورية ووضوح فكرى .

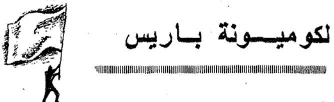
ان الامبريالية العالمية ونظام الاستغلال الراسمالى على اتم الاستعداد لاغراق أية حركة تعرض مصالحه للخطر فى بحر من الدم ، ولذلك فانه من المحتم على كل القوى الثورية أن ترص صفوفها وتقوى تلاحمها فى مواجهة العدو المشترك .

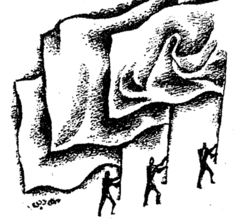
ولا اجد اروع من كلمات ماركس وهو يقيم كوميونة باريس :

« ان باريس العمال وكوميونتها ستظلان الى الابد موضع التبجيل بوصفها البشير المجيد بمجتمع جديد ، وشهداؤها مثواهم الابدى قلب الطبقة العاملة الكبير ، وجلادوها سمرهم التاريخ الآن على خشبة العار التى لن تجد فى تخليصهم منها جميع الصلوات التى يرددها كهنتهم » .



الانجازات السياسية والاجتماعية والاقتصادية





خيرى عزيز

ينبغى علينا الا ننسى — اذا أردنا ان ندرك حق الادراك — الحجم الحقيقى لانجازات كوميونة باريس ، **أن حكمها لم يدم اكثر من اثنين وسبعين يوما** . وانه **كان عليها فى نفس الوقت** ، وكما أوضح لينين [فى الرايوتشايا جازيتا فى ابريل ١٩١١] ، « **أن تفكر قبل كل شىء فى الدفاع عن نفسها** » ضد القوات البروسية وقوات البورجوازية الفرنسية التى تحاصرها .

كذلك فان **مجلس الكوميونة** ، **تولى السلطة فى ظروف خاطفة ودون ان يكون قد حدد لنفسه برنامجا** . فبضعة ايام فقط هى التى تفصل بين مساء ١٨ مارس الذى تولى فيه الشعب المسلح بقيادة « اللجنة المركزية للحرس الوطنى » السلطة فى باريس ، وبين يوم ٢٦ مارس الذى اجريت فيه الانتخابات العامة التى شكلت مجلس الكوميونة، كما وأن الصعوبات اليومية التى واجهها المجلس وكان عليه ان يحلها ، وضرورات الكفاح ضد البورجوازية الفرنسية فى فرساى ابتداء من ٢ من أبريل ، بالاضافة الى الاختلاف فى الرأى داخل الكوميونة نفسها لم يجعل صياغة مثل هذا البرنامج امرا ميسورا .

كذلك فاذا اردنا ان ندرك حق الادراك الحجم الحقيقى لانجازات الكوميونة علينا الا ننسى الظروف الذاتية لزعماء الكوميونة ، وعدم التناسب بين أهدافهم الكبيرة والوسائل التى كانت متاحة لهم لتحقيقها [مثلا : ربع الموظفين فى باريس هم فقط الذين كانوا يقومون بعملهم المعتاد) ، مع وضع الحقائق القومية والدولية فى ذلك الوقت ، فى الاعتبار ، ومستوى تنظيمهم ، وادراكهم السياسى الذى اتسم فى الكثير من الاحيان « بالغموض والبلبلة والسذاجة السياسية » (١)»

ومن ناحية اخرى ، فلم يكن للطبقة العاملة فى باريس فى ذلك الوقت حزبها الثورى ، ولم تكن الاشتراكية العلمية هى أيديولوجية قيادة الكوميونة، لان البلانكيين واليعقوبيين والراديكاليين شكلوا الاغلبية فى الكوميونة ، وكان العمال اقلية فيها وبعضهم كان متأثرا بوجهات نظر « **برودون** » الفوضوية ، ولكن كان هناك عدد من رجال الكوميونة ، قطعوا صلتهم بالبرودونية مثل « **ليوفرانكل** »، وأمثاله، وهم الذين فكروا فى دفع المشاكل الاجتماعية الى المقدمة واتخاذ مواقف طبقية حازمة ، وهذه الاقلية هى التى مثلت مصالح العمال الذين لعبوا الدور الرئيسى فى الكوميونة .

---

[١] جاك ديكلو : الكوميونة والكفاح الثورى الحالى [كراسات شيوعية مارس ١٩٧١]

ومع ذلك ، وبالرغم من كافة الظروف المذكورة غير الملائمة ، وبالرغم من المدة القصيرة التى استغرقها حكم الكوميونة ، الا انها نجحت فى اتخاذ عدة اجراءات تبين بشكل كاف ، جوهرها الحقيقى واهدافها . ومن هذه الناحية نقول ان سياسة الكوميونة الاجتماعية كانت فى الحقيقة اول مثل فى التاريخ على التشريع الاجتماعى الذى يصدر لمصلحة الشعب ، اذ قامت الكوميونة بكل ما فى وسعها لتلبية مطالب عمال باريس وكانت تقف بكل ثقلها لصالح العمال والفئات الفقيرة من الشعب ضد اصحاب الاعمال فى كافة النزاعات .

ويمكن تقسيم الاجراءات او الانجازات العملية الرئيسية للكوميونة الى قسمين : سياسى واجتماعى . وتتمثل اجراءات الكوميونة السياسية فى تلك القرارات التى استهدفت **تحطيم جهاز الدولة البورجوازى القديم** واحلال جهاز شعبى ثورى جديد محله ، وتلك القرارات بالغة الاهمية ، لان القيمة التاريخية للكوميونة تكمن من ناحية ما — كما أكد لينين — فى واقع « انها حاولت هدم جهاز الدولة البورجوازى من اساسه ، الجهاز البيروقراطى ، والقانونى والعسكرى والبوليسى ، باحلال تنظيم جماهيرى مستقل وعمالى ولا ينقسم الى سلطتين منفصلتين « تشريعية وتنفيذية » محله » .

استبدال الجيش ..

وتحطيم البوليس البورجوازى

وقد عملت الكوميونة على تحطيم مختلف أجهزة السيطرة للدولة البورجوازية فاستبدلت الجيش النظامى الدائم ، الجيش المحترف الذى يعمل فى خدمة البورجوازية ، بالحرس الوطنى [شعب باريس المسلح] ولجنته المركزية ، وخلقت بذلك الاداة الضرورية لقتال قوات الرجعية ومقاومة محاولاتها لاستعادة السلطة ثانية ، وقامت الكوميونة باستبدال البوليس البورجوازى الذى يخدم الملاك والبيروقراطية الادارية للدولة البورجوازية ، بجهاز ديموقراطى مكون من موظفين منتخبين من صفوف الشعب يتقاضون اجورا مساوية لاجور عمال باريس ، وبذا طهرت الكوميونة البوليس واضفت عليه الطابع الديموقراطى الشعبى الاصيل ، والجدير بالذكر أنه اثناء حكم الكوميونة لم يعد أحد يسمع عن جرائم القتل والسرقة والنهب التى كانت تشيع عادة فى باريس : « مما يحمل على الاعتقاد حقاً بأن البوليس البورجوازى اخذ معه الى فرساى كل زبائنه » .

فصل الكنيسة عن الدولة

وقد وجهت الكوميونة ضربة رئيسية كذلك الى الاكليروس الكاثوليكى ، أداة القمع الروحى ووضعته موضعه الطبيعى بفصل الكنيسة عن الدولة ، وقد كان كل اعضاء مجلس الكوميونة تقريبا ، ينتمون الى جيل تأثر بدرجة كبيرة بالتقدم العلمى ومختلف مدارس الفلسفة العقلية ، وكانت الكنيسة الكاثوليكية تبدو لهم فى ذلك الوقت ، قوة سياسية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالانظمة ذات الشكل او الاتجاه الملكى ، ومعارضته بحزم لاى تطور نحو دولة علمانية من الطراز الحديث ، ولذا كان من المستحيل ، النضال وهدم الاشكال السياسية البورجوازية المعادية ، دون النضال ودون هدم الجوانب السياسية للاكليروس الكاثوليكى فى نفس الوقت ، واتخذت الكوميونة موقفا واضحا جدا بهذا الصدد يتمثل اولا فى كفالة حرية الاعتقاد ، ومنع اى اضطهاد دينى ، واعتبار الدين مسألة خاصة وشخصية ، واستنادا الى « أن الحرية هى أول مبادىء الجمهورية الفرنسية » والى « ان حرية الاعتقاد هى اولى الحريات » أصدرت الكوميونة قرار ٢ من أبريل الذى اعلن « فصل الكنيسة عن الدولة والغاء الميزانية الدينية » ونص بالاضافة الى ذلك على اعتبار « الاوقاف الدينية سواء كانت منقولة او ثابتة ، ممتلكات قومية » .

علمانية وديمقراطية التعليم

وعملت الكوميونة كذلك — على تحرير التعليم من السيطرة الكنسية ، والفصل بين الكنيسة والتعليم فقامت فى ٢ من ابريل بالغاء التعليم الدينى فى المدارس وكانت المدرسة الاولى التى انشأتها الكوميونة فى باريس علمانية والزامية ومجانية يزود فيها الطالب بالادوات المدرسية ايضا ، لقد عملت الكوميونة فى الحقيقة على «مقرطة» المدرسة ولم ينس زعماؤها قط شعارهم « ان التعليم بعد الخبز هو اول ما يحتاج اليه الشعب » ، وقد حدد لنا مندوبو المنطقة الرابعة فى باريس ، الهدف من التعليم فى ظل الكوميونة بأنه : « تعليم الطفل ان يحب ويحترم زملاءه ، وغرس حب العدالة فى نفسه ، والادراك بأنه ينبغى عليه ان يتعلم ويتثقف لمصلحة المجموع ، هذه هى المبادىء الاخلاقية التى سيسير عليها من الان فصاعدا ، التعليم فى الكوميونة » .

وقد عنى المسئولون عن التعليم فى الكوميونة «بتكامل» التعليم اى بشموله لجانبى العمل العقلى واليدوى حقا . « بتثقيف الروح التى تدرك واليد التى تنفذ » حسبما جاء بتقرير أحد قادة الكوميونة حينذاك ، كما دعا مسئولو التعليم فى الكوميونة الى اجراء اصلاح كبير لبرامج التعليم بتطوير دراسة العلوم والدعوة لاستخدام «المنهج التجريبى والعلمى ، الذى يبدأ بمراقبة الوقائع ايا كانت طبيعتها » . وانشأ **ادوارد فايانا** مسئول التعليم فى الكوميونة مدرستين مهنيتين تجريبيتين احداهما للفتيات على أساس أن يتلقى فيهما الطلبة والطالبات « تعليما متكاملا حقيقيا قائما على أساس المساواة الاجتماعية » وذلك كى تؤكد ثورة الكوميونة طابعها الاشتراكى أساسا » .

وبذل قادة الكوميونة جهودهم من أجل الدعوة لتعليم الفتيات وكان لها اهميتها فى ذلك العصر ، وعينت لجنة مسئولة عن تعليم النساء يوم دخول قوات فرساى الى باريس ، وكان فايان يتبع اسلوبا ديموقراطيا عمليا من اجل تطوير التعليم ، اذ كان يجمع المدرسين والمدرسات واولياء الامور لدراسة الاصلاحات التى ينبغى ادخالها فى التعليم الابتدائى . كما اهتم بوضع برنامج للتعليم الفنى ، ولم يهمل التعليم العالى ، وعمل على دعم التعليم الطبى ، ولم تكن المشاكل التى تواجهه نابعة من قلة المبانى اللازمة أو نقص التمويل وانما فى نقص المدرسين المؤهلين من الرجال والنساء ، ولذا وجهت الكوميونة نداء لدعوة المدرسين والمدرسات الى العمل ، لكن تلبيتهم للنداء لم تكن على مستوى واحد فى كافة المناطق بالعاصمة ، وفى ١٨ مايو قررت الكوميونة ، زيادة مرتبات المدرسين وربطتها بمبدأ الاجر المتساوى للعمل المتساوى سواء بين المدرسين او المدرسات ولكن لم تتح الفرصة لتطبيق هذا القرار بسبب دخول قوات فرساى الى المدينة ، واتخذت الكوميونة اجراءات لوضع ابناء رجال الحرس الوطنى الذين فقدوا أمهاتهم فى مدارس داخلية ، ولتجميع الايتام من ابناء رجال الحرس الوطنى ، الذين قتل آباؤهم فى دور للايتام ، كما بدأ رجال الكوميونة فى التفكير فى انشاء دور للحضانة ، وذهبت بلدية المنطقة العشرين الى ابعد من الاجراءات المذكورة بأن قررت أن تأخذ على عاتقها مسألة مأكل وملبس الاطفال الذين يتعلمون فى مدارسها .

قضاء مجانى منتخب من الشعب

واستبدلت الكوميونة النظام القضائى **البورجوازى** ، المستقل ـ ظاهريا ـ عن الطبقات ، ولكن المتفانى فى حقيقة الامر فى خدمة رأس المال والاخلاص له ، استبدلته بنظام قضائى جديد يقوم على مبدأ انتخاب الشعب للقضاة واحتفاظه بحق عزلهم ، وعلى مبدأ القضاء المجانى ، ونص قرار الكوميونة فى ١٦ من مايو بانه « على كل الموظفين العموميين ان يقوموا بكافة الاعمال التى تقع فى دائرة اختصاصهم مجانا » ، وكان قد صدر قبل ذلك قرار فى ٢٣ من ابريل ينص على أن الحجاب والمسجلين ، والمثمنين فى المزادات ، وكتاب المحاكم سوف يعينون بالانتخاب ، على ان يدفع كافة الموظفين للجنة المالية ، المبالغ التى يتقاضونها لقاء الاعمال التى يقومون بها فى دائرة اختصاصهم ، وانشأت الكوميونة غرفة قضائية مدنية ومحكمة تجارية ، وعينت قضاة للصلح وآخرين للتحقيق اى كل ما يلزم باريس لممارسة حياتها القضائية العادية ، واقترح احد قادة الكوميونة ، اعتراف الكوميونة بشرعية الاطفال الذين لم يعترف بأبوتهم احد ، كما طالب بالموافقة على مبدأ الزواج الحر بالموافقة المتبادلة فى سن السادسة عشرة بالنسبة للمراة والثامنة عشرة بالنسبة للرجل .

مساواة فى الاجور بين العمال والموظفين

وأرست الكوميونة كذلك مبدأ **المسئولية** المباشرة لكل موظفيها أمام الجماهير على أساس شروط تفرض على المنتخبين ، وعملت على ضمان **الديموقراطية البروليتارية ومنع تجدد البيروقراطية البورجوازية** باستخدام وسيلتين : انتخاب كل موظفى الكوميونة فى جميع المناصب الادارية بما فيها القضاء والتعليم بالاقتراع الشامل المباشر ، وتحديد أعلى مرتب للموظفين بـ ٦٠٠٠ فرنك ، وبذلك استطاعت الكوميونة تحقيق المساواة بين اجور الموظفين الاداريين والعمال (بموجب قرار ٢ من ابريل) الذى جعل اجور الموظفين لا تزيد عن متوسط اجر العامل كما منعت الكوميونة (بقرار ٤ من مايو) العمل فى اكثر من وظيفة .

انتخابات ديمقراطية

والغت الكوميونة بانتخابات مجلس الكوميونة التى جرت فى ٢٦ من مارس البرلمانية الشكلية او الديموقراطية الشكلية للدولة البورجوازية «

واستبدلت البرلمان البورجوازى الذى كانت حرية الراى والمناقشة تنحط فيه لتصبح أداة لخداع الجماهير ، بمجلس الكوميونة الذى كان على أعضائه ان يعملوا بأنفسهم ، وأن يطبقوا بأنفسهم القوانين التى يسنونها ويتحققوا بأنفسهم من آثارها ويجيبوا عن ذلك امام ناخبيهم ، الامر الذى جعل من الكوميونة جهازا تشريعيا وتنفيذيا فى الوقت نفسه ، على خلاف المبدأ البورجوازى عن الفصل بين السلطات . وقد اجريت الانتخابات التى تعد اكثر انتخابات عرفتها فرنسا حرية بالاقتراع العام المباشر واسفرت عن دخول ٢٥ عاملا الى مجلس الكوميونة من مجموع الاعضاء وهم ٨٠ عضوا ، وهى نسبة لم يسبق لهم قط الحصول عليها ، واذا تذكرنا بهذا الصدد ان الحكومة المؤقتة التى تشكلت فى فبراير ١٨٤٨ لم تكن تضم سوى **عامل واحد** ، كان بمثابة رهينة اكثر منه بمشارك فى الحكم ، واختاره الجمهوريون البورجوازيون لتغطية مناوراتهم الرجعية ، وقد استقال هذا العامل بسرعة شديدة تقززا من هذه الحكومة ، ويزيد من قيمة النسبة المذكورة ان العمال المنتخبين كانوا من العمال المحنكين الذين لعبوا دورا نشطا فى التجمعات العمالية وبخاصة فى الغرف النقابية ، وفى القسم الفرنسى من الدولية ، وعلى الرغم من ان الاغلبية فى مجلس الكوميونة لم تكن عمالية ، الا ان العمال هم الذين اثبتوا سواء داخل هذا المجلس او خارجه أنهم القوة الاكثر فعالية وواقعية ، فالعمال من أمثال كاميلينا وثييسز وكومباتز هم الذين اعدوا كل شىء من اجل استئناف الخدمات البلدية التى عمت فيها الفوضى بسبب تخريب فرساى المنظم — وليوفرانكل هو الذى وضع البرنامج الاجتماعى للكوميونة وبدأ فى تطبيقه ، والعامل فارلان هو الذى اضطلع الى حد كبير بتنظيم الحياة فى المدينة والجيش .

كذلك فكما ارتقت الكوميونة — جوهريا — بالديموقراطية التمثيلية ، فانها ارتقت ايضا بالديموقراطية المباشرة التى تحققت بمناقشة مختلف المشاكل والاجراءات ذات الطابع الاجتماعى والسياسى والعسكرى فى الاجتماعات العامة وعن طريق اشتراك اوسع الجماهير فى اعمال حكومة الكوميونة ، وكانت الكوميونة تشجع مبدأ المشاركة الجماهيرية والحلول الذاتية والمبادرات من أسفل ، وتوجه نداءات بذلك مثلما حدث عندما طلبت من التجار والمحاسبين أن يضعوا بأنفسهم حلا لمشكلة مواعيد دفع الكمبيالات .

لجان بديلة للوزارات البورجوازية

وقد استعاضت الكوميونة عن الوزارات البورجوازية السابقة بتشكيل تسع لجان حكومية تقوم بمهام مماثلة لمهام هذه الوزارات ، هى اللجنة التنفيذية واللجنة العسكرية التى حلت محل اللجنة المركزية للحرس الوطنى ، ولجنة التموين ، ولجنة المالية ، ولجنة العدل ، ولجنة الامن العام ، ولجنة العمل والصناعة والتبادل التجارى ، ولجنة الخدمات العامة ، ولجنة التعليم ، وكان لكل من هذه اللجان مسئول بمثابة وزير ، يعيش كما يعيش العمال والشعب ويلتزم بهذه المعيشة البسيطة . وليس أدل على ذلك من أن زوجة وزير المالية مثلا كانت تذهب الى المغسل العام لتغسل الملابس كسائر افراد الشعب الاخرين ، ولم يكن الحكم فى ظل الكوميونة وسيلة للاثراء بأية حال من الأحوال ، فقد ترك « وزراؤها » الحكم فقراء معدمين كما دخلوها ، كذلك احرق ثوار الكوميونة المقصلة التى راح تحت حدها القاطع العديد من اعلام الحرية والنضال فى فرنسا . وقدمت الكوميونة بذلك دليلا آخر على انسانية الحكم الشعبى ، ولعل من ابرز نتائج الديموقراطية الحقيقية التى تمتعت بها باريس فى ظل الكوميونة ، هو **بروز دور المرأة النضالى** فى الثورة ، ووصولها ربما لاول مرة فى التاريخ الى مستوى **المساواة الكاملة** ، مع الرجل ، ومن ابرز النساء اللاتى قمن بدور تاريخى فى تلك الفترة «**لويز ميشيل**» التى انتخبت عضوا فى اللجنة المركزية للحرس الوطنى عن مونمارتر ، واصبحت رئيسة لجنة المواطنات للدفاع عن الوطن ، ونظمت وقادت العديد من المظاهرات ، وكانت تقاتل فى كل مكان ، واطلق عليها اسم « العذراء الحمراء » .

التدخل فى الفن

باسم العدل والحرية

وفيما يتعلق بشئون الثقافة دعت عناصر بارزة فى الكوميونة ، مثل **ليوفرانكل** الى مبدأ اشراف وتدخل الدولة فى شئون الادب والفن ، على اساس ما قالت فرانكل فى مناقشات ١٩ مايو فى مجلس الكوميونة من « **أنه اذا كانت الدولة تسمى الكوميونة ، ينبغى التدخل باسم العدل والحرية فى شئون الفن** » الا ان وجهة النظر هذه لم تلق سوى موافقة عدد قليل من اعضاء المجلس ، ولكن اقتراح فرانكل كان فى

الحقيقة اشارة اولية لما ستكون عليه العلاقة بين الدولة والفنان فى ظل الحكومات البروليتارية التى تولت السلطة فى عديد من دول العالم بعد نجاح الثورة الروسيه سنة ١٩١٧ ، والامر المؤكد أن **الكوميونة لم تتوصل** ، — ويمكن ان نقول **لم تحاول — تحديد نظرية أدبية تتلاءم مع النظام الجديد** . فالمشاكل اليومية كانت تحيط بها من كل جانب ، وحتى الكتاب من اعضائها تصرفوا **كمناضلين** تحت وطأة مختلف المهام العاجلة اكثر منهم **كأدباء** ، ومع ذلك فان ما ظهر من أدب على صفحات جرائد الكوميونة فى ذلك الوقت انما يعد من الادب النضالى فى مجموعه .

وبالنسبة **للفنون الجميلة** ذات الاهمية غير العادية فى باريس بوجه عام، قررت اللجنة المركزية منذ ٢٥ من مارس وبعد الثورة بعدة أيام ، اعادة فتح التويلرى ومختلف متاحف باريس ، وعملت على تجميع الفنانين ، وعينت الكوميونة الرسام « **كوربيه** » فى اجتماع مجلسها يوم ٦ من ابريل رئيسا لما سيصبح بعد ذلك « **اتحاد فنانى باريس** » وصدقت اللجنة التنفيذية على هذا الاختيار وسمحت لكوربيه فى ١٢ من ابريل « **باعادة متاحف مدينة باريس فى أسرع وقت الى حالتها الطبيعية** ، وفتح قاعاتها للجمهور ، وتوفير ظروف العمل فيها كالمعتاد » وسمحت كذلك باقامة **المعرض السنوى** للفنانين ، واصدرت الكوميونة قرارا فى ١٤ من أبريل دعت فيه الفنانين الى انتخاب لجنتهم الاتحادية على أسس ديموقراطية ووجهت الدعوة لكافة الفنانين بما فيهم « الفنانين التطبيقيين » الذين يعملون بالزخرفة والديكور والتصوير بكافة أنواعه ، وانتخب الرسام **يوجين بوتييه** عضوا باللجنة التنفيذية ، وقد طلب اتحاد الفنانين الغاء ميزانية مدرسة الفنون الجميلة كما طالب « **بحياد الدولة فنيا** » ، وبالاضافة الى ذلك **أعيد تنظيم الأوبرا** التى تركها عدد كبير من العاملين فيها ، واعيد تنظيم المتاحف والمكتبات وعين مسئول جديد للمكتبة الوطنية ، ولم تنس الرجعية الفرنسية لكوربيه مواقفه فى ظل الكوميونة ، واذا كانت السنوات التى اعقبت هزيمة الكوميونة سنوات رجعية سياسية ، فقد كانت كذلك سنوات تخلف ورجعية فى مضمار الفن ، واعتبرت لوحات كوربيه ، الذى كان بدون منازع طليعة الاتجاه التصويرى الفنى : «غير جديرة بالعرض» فى معرض سنة ١٨٧٢ .

الغاء احتكارات المسارح

وبالنسبة للمسرح حاولت الكوميونة — وان لم تكن الظروف قد أتاحت لها تنفيذ ذلك — **الغاء احتكار المسارح** واستغلالها ، وتكوين **جمعيات** للفنانين لتشغيل المسارح . وقد عبر **أدوارد فايان** مسئول التعليم عن وجهة نظر عدد كبير من قادة الكوميونة بالنسبة للمسرح حين قال « **ينبغى ان تعتبر المسارح مؤسسات تعليمية كبرى** » ويعيد ذلك الفهم الى الاذهان ، ما سيقوله **لينين** بعد ذلك بحوالى قرن عن السينما كأداة كبرى للتثقيف الجماهيرى ؛ كذلك اشار قائد آخر فى الكوميونة الى أن « **الحكومات التى سبقتنا قد جعلت من المسرح منبرا لكافة الرذائل ، وينبغى علينا ان نجعله من الان فصاعدا مدرسة للفضائل كافة** » .

وعلى اية حال فقد اصدر مجلس الكوميونة القرار المتعلق بالمسارح يوم ٢١ من مايو الذى دخلت فيه قوات فرساى الى باريس ، وجاء فى هذا القرار « ان المسارح تتبع لجنة التعليم ، **وسوف يلغى اى احتكار للمسارح — وتكلف اللجنة بوقف نظام استغلال المسارح بوساطة مديريها أو الشركات ، واستبدال ذلك فى اقرب وقت بنظام الجمعيات** » بين الفنانين ، وهناك مثل واحد على ذلك هو مطالبة الفنانين فى مسرح **لاجيتيه** بادارة مسرحهم بأنفسهم ، بعد استبعاد مدير هذا المسرح .

وبعد ، فقد كانت تلك الاجراءات المذكورة ، هى التى تمثل الجانب السياسى من اجراءات الكوميونة ، وهى التى استهدفت فى الاساس تحطيم جهاز الدولة البورجوازى القديم ، واحلال جهاز شعبى ثورى محله ، ويرى «**فردريك انجلز**» ان جزءا من هذه الاجراءات انما هو « بمثابة اصلاحات كانت البورجوازية الجمهورية فى فرنسا قد اهملتها نتيجة جبنها ولكنها تعد اساسا لا يمكن الاستغناء عنه لتحرير الطبقة العاملة » .

تسليم المعامل والورش للعمال

اما القسم الثانى من اجراءات الكوميونة فيتألف من الاجراءات الاجتماعية والاقتصادية ، وهذه الاجراءات التى اتفقت تمام الاتفاق مع مصالح بروليتاريا وفقراء باريس انما توضح الطابع الديموقراطى العميق للكوميونة ، كذلك فقد كانت ذات مغزى بالنسبة للمحتوى الاشتراكى الذى تطورت اليه حكومة الشعب بوساطة الشعب .

وقد كانت لجنة العمل والصناعة والتبادل هى المسئولة عن ادارة الحياة الاقتصادية ومواجهة القضايا الاجتماعية فى المدينة ، وكان كل اعضائها من المناضلين فى الدولة ، كما كانوا من

أنصار الجماعية ، ويؤيدون تدخل الدولة فى المسائل الاجتماعية ، وقد عبر ليوفرانكل مسئول هذه اللجنة عن وجهة نظرهم حين قال فى ١٣ من مايو « ينبغى الا ننسى ان الطبقة العاملة هى التى قامت بثورة ١٨ من مارس ، واذا لم نفعل شيئا لهذه الطبقة ، لا ارى مبررا لوجود الكوميونة »

لذا اصدرت الكوميونة فى ١٦ من ابريل قرارا بحصر المعامل والورش التى تركها أصحابها وهربوا ، ومصادرتها وتسليمها للعمال ليقوموا بادارتها واستخدامها ، وتكوين جمعيات تعاونية لهم . ومع ان هذا القرار نص على تعويض اصحاب الورش ، الا ان الكوميونة وجهت به ضربة قوية لمبدأ الملكية الفردية ، ونص قرار الكوميونة كذلك على تشكيل اتحاد للتعاونيات العمالية ، الامر الذى يجعل فى الامكان القول بأن الكوميونة خطت حينذاك ولو خطوة صغيرة نحو الطريق المحدد للشيوعية .

تحريم الغرامات والعمل الليلى

وفى ٢٧ من ابريل اصدرت الكوميونة قرارا آخر يحرم فرض الغرامات والاستقطاعات التعسفية التى كان يخصمها اصحاب العمل من أجور العمال سواء فى مجالات العمل العامة أو الخاصة ، وكان الغاؤها من المطالب التى يلح عليها العمال فى أواخر عهد الامبراطورية ، وحماية لاجور العمال ، قررت الكوميونة إعادة النظر فى العقود التى أبرمت خصيصا نتيجة لاحتياجات الحرب ، ووقفت لجنة العمل بكل حزم ضد اى تخفيض لاجور العمال سواء فى هذه العقود او غيرها .

وفى ٢٧ من ابريل كذلك اصدرت اللجنة التنفيذية قرارا بالغاء العمل الليلى فى المخابز ، وكان عمال المخابز يطالبون باتخاذ هذا الاجراء منذ ١٨٦٩ ، واقترح فرانكل فى ٣ من مايو فرض عقوبة على مخالفى هذا القرار وضبط الخبز الذى يصنع بالليل ونشر نص العقوبة فى اعلانات وضعت بالمخابز ، وقد عبر عمال المخابز عن ابتهاجهم بذلك فى مظاهرة قاموا بها تعبيرا عن شكرهم للكوميونة .

وأصدرت الكوميونة كذلك مرسوما باخضاع الاسواق لاشرافها ، واعطاء الافضلية « دائما » للجمعيات التعاونية العمالية للانتاج ، التى كانت منتشرة الى حد ما فى ذلك الوقت . ونص المرسوم على اشتراك الغرفة النقابية فى وضع شروط السوق ، وتحمل دفاتر ذلك الوقت اشارات الى « السعر الادنى للعمل باليومية ، او بالقطعة الذى يجب ان يمنح للعمال والعاملات فى مجال السوق » . والغت الكوميونة كذلك مكاتب التوظيف التى كانت اوكارا بوليسية تدار بشكل احتكارى منذ الامبراطورية الثانية ، وكافت بورصات العمل بتوفير العمل للمواطنين .

رد الايجارات للمستأجرين

واصدرت الكوميونة فى ٣٠ من مارس قرارا برد كافة الايجارات التى دفعها المستاجرون زمن الحرب أى من اكتوبر ١٩٧٠ الى ابريل ١٨٧١ ؛ وكان القرار عاما بالنسبة للايجارات الاقل من ٢٥٠ فرنكا فى الشهر ، أما الايجارات الاكبر من ذلك ، فتقرر تخفيض الضرائب المفروضة عليها ، وشمل قرار رد الايجارات ، المساكن المفروشة ايضا ، وقد اصدرت الكوميونة هذا القرار على اساس « أن العمال والصناعة والتجارة تحملوا كل اعباء الحرب ، وانه من العدل ان تتحمل الملكية نصيبها من التضحية » ولن يدفع تعويض عن ذلك ، حسبما جاء فى « الصحيفة الرسمية » للكوميونة . وكانت اللجنة المركزية للحرس الوطنى قد قررت منذ ٢٠ من مارس منع اصحاب المنازل او اصحاب الفنادق من طرد مستاجريهم ، واقرت الكوميونة بحق المستأجر فى التأخر عن دفع الايجار لمدة ثلاثة أشهر ، كما قررت مصادرة المساكن الخالية لاسكان الاهالى الذين اجبروا بسبب عمليات القصف التى تقوم بها فرساى على اخلاء مساكنهم ، كذلك قررت الكوميونة مصادرة المساكن المفروشة اللازمة لاسكان الحرس الوطنى وضحايا القصف الثانى . ولقد كان لاجراء رد الايجارات تأثيره الكبير داخل باريس لانه لم يخفف الاعباء عن الطبقة العاملة وحدها وانما عن البورجوازية الصغيرة الباريسية ، والطبقة المتوسطة المثقلتين بالديون واللتين لم تكونا تستطيعان دفعها . وقد أكسب ذلك القرار الكوميونة شعبية كبيرة بين اهالى المدينة .

وقد اعلنت الكوميونة انه « نظرا لان هناك تجارا واصحاب مصانع قاموا بأعمال تجارية وصناعية مجزية اثناء الحصار ، ونظرا لان هناك موظفين واصحاب عقارات حصلوا فى ظل الحصار على نفس الدخول التى كانوا يحصلون عليها فى الظروف العادية ، لذا تقرر ان يدفع كل المواطنين الذين حصلوا على نفس دخولهم العادية اثناء

الحصار ، كافة المبالغ التى قبضوها كايجارات الى الصناديق البلدية » .

تأجيل أقساط الفئات الوسطى

وقد اهتمت الكوميونة بأوضاع الفئات المتوسطة فى المدينة واتخذت اجراءات اجتماعية هامة لصالحها مثل قرار **تأجيل دفع الاقساط المستحقة** على التجار وغيرهم الى ١٥ من يوليو ١٨٧١ على ان تدفع هذه الاقساط **على مدى ثلاث سنوات** ، وكان دفع هذه الاقساط حسب الاتفاقات السابقة يهدد اصحاب المحلات بالافلاس ، وتبدو القيمة الحقيقية لهذا القرار الذى اتخذته الكوميونة اذا علمنا انه اعلنت فى باريس فى الفترة من ١٣ الى ١٧ مارس [قبل ثورة الكوميونة بيوم واحد] ١٥٠ر٠٠٠ حالة حجز [بروتستو] ، وكانت هناك ٣٠٠ر٠٠٠ حالة افلاس تنتظر التسوية .

والحقيقة ان تجربة الكوميونة وجهودها لتحقيق التحالف مع الفئات المتوسطة فى المدن ، والنموذج الباهر الذى قدمته لوحدة العمال والمثقفين ومحاولاتها — حتى غير الكافية — لاجراء اتصالات مع الفلاحين ، قد زودت حركة الطبقة العاملة العالمية بتعاليم ثمينة حول التحالف الضرورى بين الطبقة العاملة وكل طبقات الامة وفئاتها التى يستغلها رأس المال ..

تصفية بنك الرهونات

وفك الرهونات مجانا

واصدرت الكوميونة فى ٧ من مايو قرارا **بتصفية بنك الرهونات** ، ووضع نظام **لفك الرهونات مجانا** ، وقررت اللجنة المركزية اعادة كافة الودائع الى اصحابها ، ونص القرار على أن تفك مجانا كل الرهونات الواردة بالكمبيالات الخاصة بالملابس والاثاث والكتب والفراش وادواته وادوات العمل التى اتفق عليها قبل ٢٥ من أبريل ، وقد فك بالفعل فى الفترة من ١٢ الى ٢٥ من مايو سنة ١٨٧١ ٤١ر٩٢٨ رهنا بلغ اجمالى قيمتها ٣٢٣ر٤٠٧ فرنكا .

واهتمت الكوميونة بوضع نظام للاقراض ومساعدة العمال فى حالة التعطل عن العمل ، وبالنسبة للمساعدات **الغت الكوميونة جمع الصدقات من المنازل** ، باعتباره شكلا غير سار فى اشكال الصدقة ، وعملت على الغاء مكاتب الاحسان **وتنظيم مكاتب للمساعدة** فى مناطق باريس العشرين ، كما عملت على **علمانية العمل فى هذا المجال** ، ومراقبة استخدام الموارد المتوفرة لهذا الغرض .

كذلك عملت الكوميونة على اقران مبدأ **الاجر المتساوى للعمل المتساوى للنساء والرجال** على حد سواء ، **وتحديد يوم العمل بثمانى ساعات** ، ومن اجل مراقبة الادارة المالية لكافة لجان الكوميونة ، أسست الكوميونة فى شهر مايو **لجنة عليا للمحاسبة** لتقوم بمراجعة حسابات مختلف اللجان ، كما أبدت الكوميونة تشددها فى فرض العقوبات على المذنبين فى الجرائم الاجتماعية ، وأصدرت قرارا بتقديم المتهمين بالاختلاس او السرقة للمحاكمة امام مجلس الحرب ، كذلك عملت الكوميونة على تنظيم العمال فى روابط للتضامن برأسمال جماعى .

النوادى : أدوات

الخدمة الجماهيرية

ولابد من الاشارة فى النهاية الى دور **النوادى** التى كانت مراكز للتجمع العمالى والشعبى ، وكانت بمثابة مراكز للعمل الجماهيرى بين سكان المدينة ، وقد أدت هذه النوادى خدمات كبيرة للكوميونة ووثقت علاقاتها بجماهير العاصمة ، وقامت كذلك بتثقيف هذه الجماهير وتحذير الكوميونة نفسها من المخاطر التى تتهددها ، وكانت النوادى فى الحقيقة **أدوات للخدمة الجماهيرية الفعالة** ، فكانت تقدم للناس لوازم المعيشة من فراش واغذية وخلافه ، وكانت تساهم فى توفير متعهدى توريد الاغذية الى قوات الحرس الوطنى ، ومساعدة المستشفيات العسكرية المتنقلة ، وقد استنكرت النوادى عمليات ترك العمل والهروب من الجندية واهمال الضباط ، وطلبت اتخاذ اجراءات لصالح الارامل والجرحى ، وطلبت مساكن لعائلات المقاتلين ، ومنحهم الفحم بسعر أرخص ، ومنحهم بعض التسهيلات بشكل مجانى ، ومصادرة مساكن وممتلكات البورجوازيين الهاربين ، ومصادرة المنتجات ذات الاهمية الاستراتيجية ، وقد أقرت هذه النوادى الاجراءات الاجتماعية التى اتخذتها الكوميونة ، وطلبت واقترحت اتخاذ اجراءات اخرى ، وايدت كافة المظاهرات النقابية التى كانت وراء السياسة العمالية للكوميونة او كانت نتيجتها .

كذلك فقد وهبت الكوميونة قوة جديدة

للنقابات التى كانت تسمى فى ذلك الحين بالغرف العمالية فتضاعفت اجتماعات كل طائفة من العمال وازداد الارتباط والتضامن بين مختلف الطوائف العمالية ، وعندما قام بعض عملاء فرساى بانشاء «الاتحاد النقابىللتجارة والصناعة والعمل » بعد أن وصفوا أنفسهم « بالمصالحين » أسرع مندوبو الطوائف العمالية الى فضحهم فى ١٤ من مايو قائلين : « ليس هناك مصالحة ممكنة بيننا نحن العمال ، وبين الملكيين من رجال فرساى ، ودفاعنا ضد العدوان الوحشى الشرس الذى يرتكبه اعداء الجمهورية ، هو الاشتراكية فى كفاحها ضد الاقطاعية المالية وهو التقدم ضد ظلام الجهالة » .

وبعد .. فقد بينت مجموعة من الاجراءات التى اتخذتها الكوميونة ، ان السلطة التى نشأت من ثورة ١٨ من مارس فى باريس كانت تحقق مهام الثورة الديموقراطية البورجوازية الا ان الاجراءات الاجتماعية التى اوردناها سلفا قد كشفت بوضوح فى الوقت نفسه عن الاهتمامات الاجتماعيةللكوميونة وابرزتبوضوح ايضا قدرتها على تحقيق الانجازات فى المجال الاجتماعى والاقتصادى ، وعلى نحو محدد فقد **حققت ثورة الكوميونة فى ١٨ من مارس ١٨٧١ للعامل الفرنسى ، أكثر مما حققته جميع المجالس البورجوازية فى فرنسا منذ ثورة ١٧٨٩** ، وكما قال « **انجلز** » فقد ادت قرارات الكوميونة وانجازاتها السياسية والاجتماعية الى « فتح ثغرات كبيرة فى النظام الاجتماعى القديم » .

ومـاذا .. عن « الكوميونة الطلابية » ؟ ! !

على أن ثمة مقارنة تاريخية ظالمة تعقد بهذا الصدد ، وتستحق وقفة منا هنا ما دمنا قد تكلمنا سلفا عن انجازات كوميونة باريس **١٨٧١** ، ذلك أن عددا من الكتاب والباحثين لم يترددوا فى تعميد حركة الطلبة فى فرنسا فى مايو ١٩٦٨ باسم «الكوميونة الطلابية» ، وهؤلاء لم يستهدفوا
وبعد.. فقد بينت مجموعة من الاجراءات التى أثارتها جماهير الطلابفىفرنسا فى مايو ١٩٦٨، وانما اضفاء طابع « ملحمى » على العديد من الاعمال الاستعراضية والسلبية التى اتسمت بها هذه الحركة فى العديد من جوانبها حينذاك .

غير انه لا يمكننا فى الواقع ان نخلط بين اسطورة ١٨٧١ وانجازاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى كانت بمثابة الخطوة او المرحلة الاولى ذات الاهمية التاريخية العالمية بالنسبة لتطور ديكتاتورية البروليتاريا قبل السوفييتات التى كانت بمثابة الخطوة او المرحلة الثانية ، وبين العمليات الاثارية التى قامت بها بعض العناصر التى تمكنت فى فترة ما من جذب عدد كبير من الطلاب الى جوارها ، والتى التحق بعضها منذ ذلك الوقت ، بصفوف اولئك الذين يكافحون على الطريق السليم من أجل بناء المستقبل الديموقراطى والاشتراكى لفرنسا ، ووجد البعض الاخر ملاذه فى الملجأ « العائلى » الناعم .

لايمكن عقد مثل هذه المقارنة فى الواقع ، لان كوميونة باريس لم تكن مجرد حركة تمرد وعصيان بل كانت سلطة ثورية ايضا ، كانت انجازات سياسية واجتماعية واقتصادية ذات اهمية تاريخية وثورية كبرى اولا وقبل كل شىء ، واذا كان طلبة باريس قد واجهوا بشجاعة اجهزة القمع البورجوازية وراء متاريس ١٩٦٨ ، فان كوميونة باريس سنة ١٨٧١ لم تتدن لتقتصر فحسب على ذلك المظهر الوحيد المتمثل فى الكفاح البطولى لرجال ونساء الكوميونة خلف المتاريس .

وبعـد ...

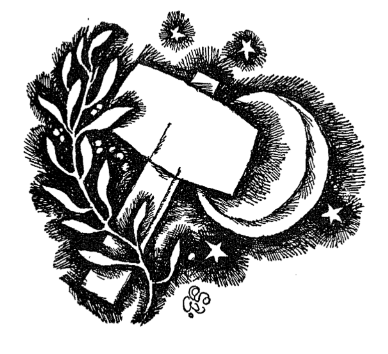
فلقد كانت كوميونة باريس هى اول من رفع أعلام النضال ضد الراسمالية ، وكان ثوارها اول من رفعوا اعلام الثورة البروليتارية ، وان الاهمية العملية للانجازات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المحددة التى حققتها الكوميونة انما تكمن كما قال «**لينين**» فى انها « علمت البروليتاريا الاوربية أن تطرح بشكل محدد مشاكل الثورة الاجتماعية » . كذلك فقد أكدت هذه الانجازات العملية من ناحية اخرى ، ثقة المناضلين الاشتراكيين فى تلك الفترة ، فى الافكار الماركسية باعتبارها أفكارا قابلة للتحقيق ، ودعمت شيوعها بين الجماهير ، وقد ظلت انجازات كوميونة باريس لفترة طويلة من الزمن تبلغ حوالى نصف القرن ، وحتى تأسيس السلطة السوفيتية فى روسيا سنة ١٩١٧ ، هى النموذج الحى للحكومة العمالية ، على انه بالرغم من كل ذلك ، وبالرغم من القيمة التاريخية والثورية الكبيرة لاجراءات كوميونة باريس وانجازاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى حد ذاتها ، فان هناك حقيقة جوهرية عميقة عبر لنا عنها **كارل ماركس** ببلاغة وجلاء حين قال : « **لقد كان الاجراء الاجتماعى العظيم للكوميونة ، هو وجودها ذاته** » .

كوميـــونة

بـــاريس

والأزمـــة

الحـــديثة



تحتفل الحـــركة العماليـــة والحـــركة الشـــيوعية العالمية ، كما يحتفل جميع التقدميين فى العالم بمرور مائة عام على كوميونة باريس ، انهم يظهرون مشـــاعر الاحترام العميق حيـــال مقاتليها ويستقون الدروس الملهمة من التجربة الثورية التى خاضها من شاركوا فيها ، اولئك الذين فتحوا فصـــلا جديدا فى تاريخ الصراع الطبقى للبروليتاريا ضد البورجوازية ، لقد تغير وجه العالم جذريا فى المائة سنة التى انقضت منذ عصر الكوميـــونة ، ومع هذا تبقى اهميـــة التجـــربة والدروس المســـتقاة مـــن تلك الثورة حتى يومنا هذا ، ويرجع تاريخ النجاحات العظمى المعاصرة التى احرزتها الطبقة العاملة وجميع القوى الثورية ، الى الايام الاثنين والسبعين المجيدة لكوميونة باريس .

وتقف كوميـــونة باريس فى برنامج الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى على رأس قائمة المراحل التاريخية فى معـــارك البطـــولة التى خاضتها الطبقة العاملة العالمية من أجل انتصار الشيوعية ، انها تقف فى نفس المستوى مع ثورة اكتوبر العظمى التى كانت فاتحة الثورات التى نشبت فى البلاد الاخرى ، فالكوميونة واحدة من المعالم البارزة للثورة العالمية عبر الطريق الذى خضبته دماء المحاربين فى سبيل اسعاد الشعوب ، عبر طريق الانتصارات المجيدة والهزائم المؤقتة التى سبقت الشيوعية ، وهى الحلم الذى راود الانسانية من قبل ثم تحول الى اعظـــم قوة فى الازمنة الحديثة .

وتختلف احداث الماضى من ناحية التقدير الذى تحظى به ، فبعض تلك الاحداث كانت مجـــرد حوادث تاريخية ذات دلالة ، رغم ما يمكن ان يكون فيها — **فى مرحلة من المراحل** — من المحتوى الذى يحمل بعض الفائدة لحاضرنا . وهنـــاك احداث قد تفصلها عنا قرون ، ومع ذلك تكون جزءا لا ينفصل من التطور التاريخى للحـــاضر وتسترعى انتباه جميع من يشاركون مباشرة فى الكفاح السياسى والفكرى فى ايامنا هذه ، وهناك كل المبررات لاعتبار كوميونة باريس عام ١٨٧١ حدثا من النوع الاخير . وفيما يلى نستعرض بايجاز الحقائق الرئيسية فى تاريخ تلك الكوميونة :

— نقلا عن مجلة الكومونيست السوفيتية .

لقد منى الجيش الفرنسى بالهزيمة فى الحرب الفرنسية البروسية عام ١٨٧٠ — ١٨٧١ وارتعدت البورجوازية الفرنسية خوفا من الشعب فخانت مصالح البلاد القومية ، ففى فبراير عام ١٨٧١ وقعت حكومة تيير الرجعية اتفاقية سلام تمهيدية مع المانيا قبلت بموجبهـا التخلى عن الالزاس واللورين بالاضافة الى دفع خمسة آلاف فرنك كتعويض ، ولقد كانت الطبقات المالكة تأمل بهذا الثمن ان تشترى « النظام » فى فرنسا وان تنجح — بعد ان وطدت نفوذها بمسـاعدة الحـراب البروسية — فى اخماد غليان الطبقة العاملة ، ذلك الغليان الذى كان على وشك ان يتفجر فى ثورة عارمة كانت ستكون الثورة رقم ٥ فى تاريخ فرنسا .

وكانت الاسباب الاساسية فى الانفجار المتوقع تنضج ببطء ، ولكن المؤكد ان هذه الاسباب كانت قائمة فعلا قبل عام ١٨٧١ بمدة طويلة ، ففى الستينات كانت البلاد قد مرت فى مرحلة انتعاش اقتصادى تمت اثناءه الحركة العمالية ، وظهرت فصائل الاممية الاولى التى اتسع نفوذها ، وتشربت عقول العمال المتقدمين فكريا اكثر واكثر فكرة القيام بثورة لا تقف عند حد الاطاحة بالامبراطور نابليون الثالث وانما تتعداه الى القضاء على نظام الاستغلال ذاته .

وهكذا لم تكن الثورة التى اندلعت فى باريس فى الثامن عشر من مارس عام ١٨٧١ حـادثا تاريخيا او انحرافا عن التطور العام للتاريخ كما حاول البرورجوازية ان تصورها ، ولكنها كانت النتيجة المنطقية والطبيعية لتطور الصراع الطبقى للبروليتاريا العالمية والفرنسية .

أول حكومة للطبقة العاملة فى التاريخ

ولقد تراكم عدد كاف من الاسباب المباشرة لاثارة سخط العمال الفرنسيين ، فقد اذت الهزيمة الى ان تحتل الجيوش الالمانية ارضا فرنسية ثالثة، ذلك بالاضافة الى ما عانته جماهير العاصمة خلال الحصار من جوع وبطالة وفقر ، كما ان السخط العميق الذى اوجدته السياسة المعادية للشعب وهى السياسة التى كانت تسير عليها الدوائر البورجوازية الحاكمة التى اسلمت قيادها للعدو ، وحاولت ان تحمل الشعب نتائج ومصائب الحرب التى خسرتها ، وذلك بعد ان جردت الحـرس الوطنى [وهو الحرس الداخلى الذى كان يتكون من العمال والوطنيين] من السلاح بمجرد ان تمكنت من ذلك ، كل هذا وغيره من الاحداث والاوضاع غير المواتية اثارت غضب رجل الشارع واسرعت بتطور الاحداث الثورية .

وفى الساعات الحاسمة من يوم ١٨ مارس عام ١٨٧١ حاول « **القزم العملاق** » **تيير** — رئيس الحكومة التى تكونت من خلال الجمعية الوطنية المعادية للشعب عداء عميقا — ان يجرد الحرس الوطنى من سلاحه ، وكرد على هذا الاستفزاز انفجر عصيان مسلح تلقائى فى باريس ، وفى ذلك اليوم نفسه ، كان الثوار قد استولوا على جميع المكاتب الحكومية ، ورفعوا علـم الثورة البروليتارية الاحمر على قاعة المدينة ، وهرب تيير ووزراؤه الى فرساى ، واستولت اللجنة المركزية للحرس الوطنى على العاصمة ، وكان الحرس مكونا من عمال وصغار موظفين ، وكانت الحكومة التى تكونت عندئذ اول حكومة للطبقة العاملة فى التاريخ تستند الى قوى الشعب الثورية .

ولقد استفاد تيير من الاخطاء التكتيكية التى ارتكبتها تلك الحكومة اذ لم تفلح فى تنظيم هجوم مباشر ضد فرساى ، مما اعطى تيير وقتا كافيا لدعم جيش الثورة المضادة .

لقد تمت الانتخابات للكوميونة فى يوم السادس والعشرين من مارس ، واعلن تكوينها فى الثامن والعشرين من نفس الشهر وسط فرحة شعب باريس الغامرة ، ولم يأت يوم الثانى من ابريل حتى كان جيش فرساى بتأييد الالمان البروسيين يبدأ حربا اهلية ضد باريس الثورة .

ولقد بدأت كوميونة باريس تمارس نشاطها تحت اصعب الظروف فى مدينة محاصرة وتحت وطأة الحرب الاهلية ، وكان على العمال وممثليهم القانونيين ان يحكموا بينما هم يتعلمون اصول ادارة حكم الدولة ، ولقد نجحوا فى هذه المهمة التاريخية بكفاءة رغم قصر الوقت الذى لم يمنحهم الفرصة لتحقيق الكثير .

الموقف من جهاز الدولة وديمقراطية من نوع جديد

لقد كانت الميزة التاريخية الرئيسية لكوميونة باريس انها حطمت آلة الدولة القديمة ، تلك الالة التى كانت تخدم اهداف المستغلين ، واقامت مكانها دولة جديدة كان عليها ان تكون فى خدمة الشعب ، ولاول مرة فى التاريخ حاول عمال باريس ان يقيموا دولة على نمط جديد — دولة دكتاتورية

البروليتاريا ٪ لقد الغت الكومونة الجيش النظامي الذي كان منعزلا عن الشعب ومعاديا له وحل بدلا منه جيش الشعب المسلح ، كذلك قامت الكومونة بتصفية البوليس ، واخذت وحدات من انصار الكومونة على عاتقها مهمة القيام بحراسة المدينة ، كما رفض انصار الكومونة مبادىء البورجوازية عن الحياة البرلمانية التي تفصل بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية، فكان مجلس الكومونة — كجهاز انتخابي — يجمع بين الوظيفة التشريعية ،والوظيفة التنفيذية،وعندما واجه انصار الكومونة عصيان موظفي الدولة القديمة انشأوا وظائف جديدة بدلا من الجهاز البيروقراطي يشغلها موظفون من صفوف الشعب وتربطهم به وشائج متينة،واصبح الموظفون الرسميون يخضعون لعملية انتخابية ، وعليهم ان يقدموا كشف حساب عن الاعمال التي يؤدونها الى الشعب ، ويمكن ان يحل محلهم موظفون غيرهم في اي وقت ، وتوقفت البيروقراطية عن ان تكون طبقة متميزة من المديرين والاداريين ، فقد وضع الموظفون تحت رقابة الشعب ، كما تم فصل الكنيسة عن الدولة .

ولقد منحت كوميونة باريس الشعب من الحريات الديمقراطية ما لم يسبق له مثيل تحت اى نظام سابق في التاريخ البشرى ، ونتيجة لهذا زاد النشاط السياسي الذي تمارسه الجماهير زيادة سريعة ، ولقد ايدت الاتحادات المهنية الكوميونة تأييدا عظيما كما زاد عدد هذه الاتحادات بشكل ملحوظ بعد ان انضمت اليها نواد ثورية دولية ومنظمات نسائية بالاضافة الى التجمعات الجماهيرية ، وقامت هذه الاتحادات بمناقشة مشروعات القوانين ، كما كانت تقوم بتقديم الاقتراحات والالتماسات الى مجلس الكوميونة ٪ وساعدت على وضع تلك المقترحات والالتماسات موضع التنفيذ ، كذلك الغت الكوميونة العمل الليلي في عديد من المشروعات ، بالاضافة الى الغرامات والخصومات غير المشروعة ٪ وانقصت من ساعات العمل ، ووافق مجلس الكوميونة على قرار باعادة النظر في الاتفاقيات المتعددة بين المقاولين لصالح العمال ، وفرض حد ادنى للاجور بالنسبة للعمال الذين ينفذون اوامر الحكومة ٪ كما زيدت اجور صغار الموظفين .

الغت الكوميونة جميع ديون الايجار لصالح الفئات العريضة من الشعب ، كما اعادت الى الفقراء املاكهم التي كانوا قد رهنوها ، وانشأت المكاتب التي تعمل على ايجاد الوظائف للعاطلين ، وبعد تحويل المدارس الى مؤسسات علمانية عمل انصار الكوميونة على ادخال التعليم الاجباري والمجاني ، ثم زادوا اجور المعلمين واتخذوا الاجراءات اللازمة لاقامة المكتبات والمتاحف والمسارح التي تكون في متناول الجماهير ٪ لقد كانت هذه الاعمال سياسة ديمقراطية اضفت تحسينا ملموسا على ظروف العمال وصغار الملاك ووسعت من حقوقهم ، وزادت من اثرهم في الحياة الثقافية والاجتماعية .

ولم يتعهد ثوريو عام ١٨٧١ ادخال الانظمة الاشتراكية بطريق مباشر ، رغم انهم اعلنوا ان تصفية « **استغلال الانسان للانسان وهو آخر شكل من اشكال العبودية** » هي هدفهم النهائي ، ولم يكن من الماركسيين الحقيقيين بين قادة الكوميونة من هم على وعي واضح بالمعنى العميق للثورة التي اندلعت ، وعلى العكس من ذلك كان العديد من قادة حكومة العمال هذه يعتنقون نظريات الاشتراكية السابقة على الماركسية ، وهي النظريات التي تسببت في تشويش فكر اكثر الثوريين شجاعة واخلاصا وحرفتهم عن الطريق الصحيح ، ومع هذا فقد حركت التطورات التي حدثت ، وفي مقدمتها مشاركة الطبقة العاملة الفعالة في نشاط الكوميونة ، حركتها الى دعم التحولات الاشتراكية رغم النظريات الخاطئة التي كان يعتنقها قادتها .

بين الغريزة التلقائية والوعي الطبقي

ولقد كان قانون السادس عشر من ابريل ذا اهمية عظمى ، فبمقتضاه وضعت جميع المحلات التي فر اصحابها الى باريس تحت ادارة مؤسسات العمال ، وهكذا صودر حوالي اثنى عشر مشروعا لانتاج السلاح ، وتقرر ان يشرف العمال على محال الاسلحة في اللوفر ، **ولقد اطلق لينين** على هذه الاجراءات تعبير « جسور من الرأسمالية الى الاشتراكية » . هذه الاشتراكية التي كانت الكوميونة تشيدها « باللمس » متوخية غريزة الجماهير المرهفة ، وهي الغريزة التي لم يتح للكوميونة الوقت الكافي لدعمها وتثبيتها .

لقد كانت تجربة الكوميونة الاولى من نوعها ولم يكن هناك مناص من وقوع بعض الاخطاء كما يحدث دائما في اية بداية جديدة ، ان الكوميونة لم تستطع تأمين وصيانة وحدة بروليتارية باريس مع طبقة الفلاحين ، ولم تقم بايجاد الصلات الكافية مع المدن الفرنسية الاخرى ، رغم الجهود المبذولة في عدد من هذه المدن مثل مارسيليا وليون وسانت اتيين وغيرها ٪ لاقامة كوميوناتها الخاصة بها على نسق نموذج باريس ، ومن بين الاخطاء الفادحة التي وقعت فيها كوميونة باريس ما كان من رفض مصادرة

اموال البنك الفرنسى ، وكذلك عدم الدقة فى التنظيم العسكرى وغياب النظام الصارم فى الحرس القومى وتطبيق التاكتيك الدفاعى وتفخيم الاعداء الالداء للثورة .

كل هذه العثرات والخطأ فى التقديرات كانت ترجع اساسا الى عدم نضج الحركة العمالية ، لقد كانت هناك خلافات لا تنتهى فى مجلس الكوميونة نفسه وفى لجانه المختلفة بين ممثلى المجموعتين السياسيتين الرئيسيتين وهما «**الاغلبية**» (التى تتكون من اتباع بلانك واليعقوبيين الجدد) و «**الاقلية**» ، [البرودونيين] ، ولقد اضعف غياب التنظيم المناسب والحزم والحسم ، الكوميونة فى وجه أعدائها .

ولقد وصل الى علم قوات فرساى فى الواحد والعشرين من مايو أن بوابات سانت كلود لايقوم على حراستها احد ، وقامت باختراقها الى باريس ، وكان هذا بداية « أسبوع مايو » التراجيدى وهو ثمانية أيام من معارك الشوارع الدامية ، ولقد قاتل انصار الكوميونة بشجاعة منقطعة النظير ، وصمدوا حتى آخر رمق ، وحاربوا من شارع الى شارع ، ومن بيت الى بيت واشترك فى هذه المعارك النساء والشباب وحتى الاطفال جنبا الى جنب مع رجال الحرس القومى ، ولقد حفرت مواقف البطولة ومعجزات الاخلاص الثورى التى أظهرها انصار الكوميونة فى ذلك الوقت بحروف من ذهب فى تاريخ البروليتاريا الفرنسية ، وفى السابع والعشرين من مايو — وبعد معركة وحشية — قضت قوات فرساى المعادية للثورة على آخر المدافعين عن كوميونة باريس ، وانهار آخر المتاريس فى الثامن والعشرين من مايو ،

يوجين بوتييه

فى نوفمبر من العام الماضى ١٩١٢ اقبلت الذكرى الخامسة والعشرون على وفاة الشاعر العامل الفرنسى **يوجين بوتييه** مؤلف النشيد البروليتارى الشهير « **الانترناسيونال** » [**انهضوا إيها الجياع من سباتكم .. الخ**] ولقد ترجم هذا النشيد الى جميع اللغات الاوروبية وبعض اللغات الاخرى . ان العامل الواعى طبقيا فى اى بلد من البلدان وعلى اى وجه كان وضعه ومصيره وايا كان احساسه بالغربة دون لغة وبغير اصدقاء بعيدا عن وطنه الاصلى ، يجد ذاته ويكتشف نفسه بين جمهرة من الرفاق والاصدقاء اذا ما استمع الى عزف اللحن للانترناسيونال .

ان عمال جميع البلدان قد تبنوا نشيد مناضلهم السابق ، الشاعر البروليتارى وجعلوا منه نشيدا أمميا . وهكذا فان عمال العالم يحيون ذكرى يوجين بوتييه. غير ان زوجته وابنته مايزالان فى عداد الاحياء ، ويعانيان شظف العيش ، كما كان الحال فى حياة مؤلف الانترناسيونال طيلة عمره . لقد ولد فى باريس فى ٤ اكتوبر عام ١٨١٦ ولم يكن تجاوز الرابعة عشرة حين الف اولى اغانيه ، وكان عنوانها « **عاشت الحرية للابد** » . وفى عام ١٨٤٨ كان مقاتلا خلف المتاريس ضمن معركة العمال العظيمة ضد البرجوازية .

ولد بوتييه فى اسرة فقيرة وظل فقيرا ، بروليتاريا ، يعمل حزاما للبضائع ثم ملاحظا للمبانى . وابتداء من عام ١٨٤٠ وما بعدها استجاب لكافة الاحداث العظيمة فى الحياة الفرنسية بأغنياته المناضلة ، موقظا الوعى لدى المتخلفين ، داعيا العمال الى الوحدة ، منددا بالبرجوازية وحكومات فرنسا البرجوازية .

وخلال ايام **كوميونة باريس** العظيمة [١٨٧١] انتخب بوتييه عضوا ، ومن بين ٣٦٠٠ صوتا فاز بـ ٣٣٥٢ صوتا ، وكان له دوره المرموق فى مختلف انجازات الكوميونة ، اول حكومة بروليتارية .

غير ان سقوط الكوميونة اضطر بوتييه للهرب الى انجلترا فأمريكا ، وقد أتم تأليف نشيده الشهير « الانترناسيونال » فى يونيو عام ١٨٧١ غداة الهزيمة الدامية فى مايو . كانت الكوميونة تدسحقت ، ولكن الانترناسيونال — لبوتييه — نشر افكارها فى جميع انحاء العالم ، وهى الان اكثر حياة عما كانت عليه فى اى وقت مضى .

وفى عام ١٨٧٦ — فى المنفى — كتب بوتييه قصيدته « **من عمال امريكا الى عمال فرنسا** » وصف فيها حياة العمال تحت نير الرأسمالية ، فقرهم ، والكدح الذى يقصم ظهورهم ، واستغلالهم ، وثقتهم الوطيدة فى النصر القادم لاهدافهم

ولم تكد تمضى تسع سنوات على الكوميونة حين عاد بوتييه الى فرنسا حيث التحق فورا بحزب العمال . ثم نشر المجلد الاول من اشعاره عام ١٨٨٤ وظهر المجلد الثانى بعنوان « **اغنيات ثورية** » عام ١٨٨٧ . وقد نشرت هى الاخرى للشاعر — العامل بعد وفاته ؟


لينين

فى ٨ نوفمبر ١٨٨٧ نقل عمال فرنسا رفات يوجين بوتييه الى مقبرة **بير لاشيز** حيث دفن شهداء الكوميونة . ولقد هاجم البوليس جمهور المشيعين بوحشية لينزع الراية الحمراء . غير أن جمهورا متزايدا راح ينضم الى الجنازة السلمية . وعلى جميع الجوانب تعالت الصيحات مدوية « **عاش بوتييه للابد** » .

مات بوتييه فقيرا ، ولكنه ترك تذكارا اكثر استمرارا وبقاء من أى عمل آخر من صنع يدى الانسان لقد كان واحدا من أعظم الدعاة عن طريق الاغنية . وعندما كان يؤلف اغنيته الاولى كان عدد العمال الاشتراكيين يقترب من العشرات . ولكن نشيد يوجين بوتييه التاريخى ، تعرفه الان عشرات الملايين من البروليتاريا [ ]

« البرافدا — عدد ٢ — ٣ يناير ١٩١٣ »

« لينين »

وقد استشهد ثلاثون الفا من المحاربين الشجعان كأبطال فى معارك المدن .

لقد اصاب الهلع البورجوازية من الكوميونة الى الدرجة التى تحولت معها الى وحش كاسر يتلحظ للثأر ، لقد قتلت قوات فرساى كل فرد سواء كان رجلا او امرأة او شابا او طفلا دون رحمة ، ونجم عن الاذلال الذى لاقاه انصار الكوميونة ان خلت اجزاء من المدينة تماما من السكان ، لقد اطلق الرصاص على عدة آلاف من المحاربين ، ومن نجا من الموت القى به فى السجون ، او صدرت ضده احكام بمدد طويلة فى سجون المستعمرات التى كان المسجونون فيها يربطون بالسلاسل .

الشروط الموضوعية والذاتية لنجاح الثورة

لقد عاشت اول سلطة للعمال فى التاريخ مدة عشرة اسابيع فحسب ، ويرجع سقوطها الى عدم وجود الدوافع الموضوعية او الذاتية التى تعمل على دعم وتطوير النجاح الباهر الذى احرزته الجماهير الثورية فى العاصمة الفرنسية ، وهو النجاح الذى حققته هذه الجماهير فى الثامن عشر من مارس عام ١٨٧١ ، ففى المواجهة التى تمت ضد القوات المتفوقة للعدو — قوات فرنسا والبروسيين — لم يستطع عمال وصنايعية باريس ان يحرزوا النصر رغم بطولاتهم الفذة ، ويبدو انه كان يجب ان يتوافر — كما قال لينين — شرطان على الاقل ليتحقق النصر التام والدائم للكوميونة ، هذان الشرطان هما التطور العالى لقوى الانتاج وتأهب البروليتاريا ، والحقيقة أن رأس المال الفرنسى لم يكن قد احرز تطورا كافيا ، ولم تكن فرنسا فى مجملها بلدا للبورجوازية الصغيرة ، ولم يكن يوجد حزب للعمال ، وكذلك لم يتم اعداد الطبقة العاملة او تدريبها لمدى طويل ، كما ان هذه الطبقة لم تتبين بوضوح المهمة التى كانت تواجهها ووسائل تحقيقها .

لقد كانت كوميونة باريس قمة المعارك التى خاضتها الطبقة البروليتارية فى القرن التاسع عشر ، وتبدأ مرحلة نضوج الحركة العمالية الدولية بتاريخ كوميونة باريس ، ويبدو ان انصار الكوميونة الذين ضربوا كثيرا من امثلة التضحية فى سبيل النصر المأمول للاشتراكية — قد ازاحوا الغطاء الذى كان يحجب الومضات الخاطفة لمستقبل الجنس البشرى .

ولقد اثبتت ثورة ١٨ مارس ١٨٧١ حيوية التعاليم الماركسية عن الحاجة الى تحويل البروليتاريا الى الطبقة السائدة عن طريق الوصول الى السلطة السياسية ، وللمرة الاولى فى المجال العملى اوضحت الكوميونة الكثير من القوانين البالغة الاهمية ، وكذلك سمات وخصائص الثورة الاجتماعية التى تحققها البروليتاريا بهدف تحرير جميع المضطهدين من العبودية الموروثة ، والواقع ان الثورة بينت هذه الحقائق فى مرحلة غير متطورة ، تاركة للاجيال القادمة مهمة استكمال ما بدأته الكوميونة .

سلطة الدولة .. فى الممارسة الثورية

واول واهم ما اوضحته كوميونة باريس الطرق والوسائل المؤدية الى حل القضية الاساسية فى الثورة الاجتماعية ، قضية سلطة الدولة التى تؤسسها البروليتاريا ، فبظهور الكوميونة لم تعد قضية خلق دولة بروليتارية مجرد مفهوم نظرى طرحه **كارل ماركس وفردريك انجلز** ، لقد انتقلت هذه القضية — فى عام ١٨٧١ — الى ارض الممارسة الثورية ، وجرى عليها الاختبار بالتجربة الثورية .

لقد اثبت انصار الكوميونة ما تنبأ به ماركس منذ عام ١٨٥٢ وهو ان من مهمة الثورة القادمة ستكون تحطيم جهاز الدولة البورجوازية وليس مجرد نقله الى اشخاص جدد ، لقد اضحى تحطيم جهاز الدولة المنتمى للطبقات المستغلة واحدا من المهام المحورية لجميع الثورات الاشتراكية منذ قيام كوميونة باريس .

كذلك اظهرت الكوميونة — فى نفس الوقت — ما يجب ان يحل محل جهاز الدولة البورجوازية بعد تحطيمه والشكل الذى يتحتم على الدولة ان تتخذه اساسا لها ، انها دولة لا تخدم المستبدين وانما تقوم على خدمة الشعب العامل ، الشعب الذى يمارس العمل المتحرر من اغتصاب الرأسماليين ، ورغم ان هذا الشكل للدولة الذى اقامه انصار الكوميونة حمل طابع ذلك العصر ولم يكن مكتملا ، الا أنه قد دخل التاريخ كمثال يحتذى لبناء الدولة الذى تقيمه الطبقات الثورية .

ولقد اثبتت كوميونة باريس صحة ما وصل اليه مؤسسو الماركسية من ضرورة وجود حزب سياسى ثورى مستقل للبروليتاريا ، قادر على قيادة البروليتاريين الى النصر على المستبدين ،

وثبت هذا من تجربة الهزيمة المفجعة التى منيت بها الكوميونة .

يقول شارل لانج فى مؤتمر الاممية المنعقد فى لاهاى عام ١٨٧٢ « لو اننا كنا نملك تنظيما عماليا سياسيا ، لاستطاعت الكوميونة صد الهجوم وتعزيز مواقعها فى باريس وبرلين ، لقد سقطت الكوميونة بسبب عدم وجود التنظيم » .

لقد كانت الكوميونة نتاجا خالدا للطبقة العاملة من نواح اخرى ، فقد طرحت قضية ارتباط المهام الديمقراطية والاشتراكية للثورة البروليتارية ، رغم انها لم تحل هذه القضية حلا تاما لقصر عمرها ، لقد كشف تاريخ الكوميونة عن الحاجة الى اتحاد متين يتحقق بين الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين ، والى زعامة البروليتاريا لجميع القوى المشاركة فى الثورة ، لقد علمت تجربة عام ١٨٧١ البروليتاريا الثورية ، الاهمية القصوى لتحديد موقفها من السياسة التخريبية للبورجوازية التى تركز على فكرة الدفاع عن أرض الاباء ، بينما هى تخون — فى الواقع — المصالح القومية وتضحى بها على مذبح مصالحها الانانية .

جنين الاممية الاولى

واخيرا ، لقد لقنت الكوميونة الحركة العمالية درسا فى التاكتيك الثورى بما ابداه البروليتاريون من التضامن الاممى فى عام ١٨٧١ ، والربط بين الوطنية الثورية وبين الاممية العمالية ، وكانت الكوميونة — كحكومة قومية وخالصة لفرنسا — ذات صفة اممية عميقة فى الوقت نفسه ، فقد اعلنت رفضها للنزعة العسكرية وللحروب العدوانية ، وأكدت مساندتها للكفاح من اجل جمهورية اشتراكية عالمية ، وحاربت شخصيات اشتراكية وديموقراطية مرموقة من دول اخرى فى صفوف أنصار الكوميونة ، وبذلك كانت كوميونة باريس بحق وليدا روحيا للاممية الاولى وتتويجا عمليا لمبادئها ، كما ذهب اثرها العميق الى الحركة الاشتراكية فى كل مكان ، فقد قاد المؤتمر العام للاممية حملة واسعة لتأييد الكوميونة ، وهذا ما تثبته الوثائق التى نشرت فى هذا الوقت ، لقد اجتاحت المانيا وسويسرا والنمسا والمجر وبلجيكا وبلدانا اخرى موجة عاتية من مظاهرات التضامن مع كوميونة باريس ، وتحدث اوجست ببيل فى المانيا من فوق منصة الرايخستاج دفاعا عنها ، كما حيا الاشتراكى البلغارى خريستو بوتيف والاشتراكى العربى .

دروس الكوميونة والتعميمات العلمية النظرية

وشارك كارل ماركس وفردريك انجلز مشاركة فعالة فى احداث عام ١٨٧١ وابديا اعجابهما ببطولة انصار الكوميونة ، اولئك الذين كانوا على استعداد « لغزو السماء » ، ولقد تبادل ماركس الرسائل مع مقاتلى باريس المحاصرين ، وقدم للكوميونة العون — من خلال الرسل الذين كان يبعث بهم — عن طريق النصح العملى ، كما ابدى اهتماما كبيرا بأنصار الكوميونة النازحين واحاطهم برعايته .

وتابع ماركس وانجلز نضال الكوميونة عن كثب وواصلا دراسة تاريخها بعد هزيمتها باذلين الجهد ليجعلا ما يصلان اليه من نتائج يستقر فى وعى الجماهير البروليتارية ، وأرسل ماركس مئات الرسائل الى قادة الحركة العمالية فى عديد من البلاد ، عالج فيها اهمية الكوميونة التاريخية . كما وضع كتابه الشهير « الحرب الاهلية فى فرنسا » الذى يكشف عن شغف ببحث أوضاع قيام وسقوط كوميونة باريس ، وفيه كشف النقاب عن الصفة الطبقية لهذه الكوميونة ، وعن مغزاها التاريخى ، وبين عظمتها كحركة رائدة تبشر بمجتمع جديد ، وكتاب ماركس هذا ورسائله عن الكوميونة و « المقدمة » التى كتبها فردريك انجلز عن « الحرب الاهلية فى فرنسا » بعد عشرين عاما ، كلها نماذج للتعميمات العلمية النظرية للاحداث الثورية للكوميونة ، تلك التعميمات التى كان الهدف منها ترسيخ استراتيجية وتاكتيك البروليتاريا والتوسع فيهما .

بعد هذه الدراسة من قريب لتاريخ كوميونة باريس يصف كارل ماركس فى كتابه « الحرب الاهلية فى فرنسا » سمات اول حكومة للعمال ويشير الى اهميتها التاريخية كشكل سياسى يمكن ان يتحقق فى ظله التحرر الاقتصادى ، وواصل شرح مذهبه عن الصراع الطبقى ، وعن الدولة ، وعن الثورة البروليتارية ، ودكتاتورية البروليتاريا ، ولم يقف فى تجربة الكوميونة عند حد العثور على ما يثبت صحة ما وصل اليه حيال مهام البروليتاريا فى الثورة ، وانما وجد اجابة مباشرة لقضية الشكل الذى يجب ان تتخذه دكتاتورية البروليتاريا بما يتفق مع مضمونها الطبقى ورسالتها التاريخية ، اى ان تكون الاداة التى تحقق بناء مجتمع

لا طبقي ، ولقد وصل ماركس الى ان هذه الدولة لابد أن تكون من نفس الشكل الذى كانت عليه كوميونة باريس ، وتوسع فى الفرضية الشهيرة التى تقول « تقع بين المجتمع الرأسمالى والمجتمع الشيوعى مرحلة التحول الثورى من النظام الاول الى النظام الثانى ، وتقابل هذا ايضا مرحلة انتقال سياسية لا يمكن أن تكون الدولة خلالها ســوى دكتاتورية البروليتاريا الثورية » .

وعندما قام انجلز ــ بعد ذلك بفترة ــ بتقييم الاهمية التاريخية للكوميونة كتب يقول : « هل تريدون أن تعرفوا ــ أيها السادة الاعزاء ــ كيف تبدو هذه الدكتاتورية ؟ فلتلقوا اذن نظرة على كوميونة باريس ، لقد كانت هذه هى دكتاتورية البروليتاريا » .

ولقد قام ف.ا.لينين ــ الذى اصبح قائد الحركة الثورية للبروليتاريا الروسية والعالمية فى الحقبة الجديدة ــ بدراسة تاريخ الكفاح البطولى الذى خاضه أنصار الكوميونة باهتمام بالغ ، لقد حلل تحليلا دقيقا ونشر على نطاق واسع الاعمــال الكلاسيكية لمؤسسى الماركسية المتعلقة بكوميونة باريس ، لقد كان فــلاديمير لينين على علم تام بتاريخ الكوميونة التى كانت بالنسبة له ــ كثورى وكفيلسوف ــ جزءا هاما من أى تحليل سياسى ، وموضوعا هاما مــن الموضــوعات التى تهـم الجماهير ، لقد ألقى المحاضرات وكتب التقارير عن كوميونة باريس ، كما دبج الكثير من المقالات وكان دائما يربط بين التجربة المستقاة من أنصار الكوميونة وبين المهام الملقاة على عاتق الكفاح الثورى للطبقة العاملة الروسية والعالمية ، بينما يعطى شرحا مستفيضا للدروس البنــاءة التى تتضمنها كوميونة باريس ، ويقود نضالا لا يهدأ ضد الانتهازيين الذين كانوا يودون أن يسدلوا على قضية الثورة البروليتارية ستار النسيان ، وضد الفوضويين الذين شوهوا صورة الكوميونة .

وأعاد لينين ــ بالاعتماد على ماكتبه ك.ماركس و ف.انجلز ــ دراسة تجربة كوميونة باريس ، على ضوء تاريخ الثورات الروسية الثلاث ، ولعب تحليله النظرى لمنجزات انصار الكوميونة ــ الذى قام به بعد أن أخذ فى حسابه الخبرات الثورية الجديدة ــ دورا هاما فى البحث المفصل الذى أجراه عن قضايا استراتيجية وتاكتيك الطبقــة العاملة العالمية وطليعتها ــ الاحزاب الماركسية ، كذلك سلحت أعمال لينين عن كوميونة عام ١٨٧١ وكتبه « **الدولة والثورة** » و « **الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكى** » وغيرها من الاعمال ، والكتب التى عالج فيها لينين الثورة الاشتراكية ودكتاتورية البروليتاريا [كشكل من اشكال الدولة فى مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية) سلحت هذه الكتب والاعمال الحزب الشيوعى والطبقة العاملة فى روسيا بالنظرية ، فى كفاحها من اجل الاطاحة بالنظام الرأسمالى واقامة الدولة السوفييتية التى كانت كوميونة باريس ــ كما عرفها لينين ــ مثالا لها ، واصبحت هذه الاعمال والكتب جزءا لا يتجزأ من كنوز المــاركسيــة اللينينية .

وليست هناك اية غرابة فى عدم نسـيان البروليتاريا الثورية كوميونة باريس رغم انها ترجع الى عهد سحيق ، صحيح أن انتهازيى الاممية الثانية ــ منذ نهاية القرن التاسع عشر ــ لم يدخروا وسعا فى « قتل الكوميونة بنثر الزهور عليها » وهو التعبير الذى استخدمه **بترسمان** عالم التاريخ الفرنسى الماركسى ، الا انه رغم هذه المحاولات احتفظت ذاكرة الطبقة العاملة بصورة حية وملهمة لانصار كوميونة باريس ، وهم الذين اقدموا على اقتلاع حصون الرأسمالية منذ مائة عام ، وأرسوا دعائم مجتمع جديد خــال من الاستغلال .

كوميونة مظفرة على سدس الكرة الارضية

وعندما نرى كوميونة باريس تبعد عنا بقرن كامل من الزمان ، فان مقاتلى الطبقة العاملة يدركون بوضوح تام ان الملحمة البطولية « لم تصل الى نهايتها فى الثامن والعشرين من شهر مايو عام ١٨٧١ الساعة الثانية بعد الظهر » . لقد خلدت اولى ثورات العمال فى كفاح البروليتاريا الفرنسية والعالمية هذا الكفاح الذى استمر بعد ذلك .

« لقد اضاءت اول ومضة من ومضات الثورة البروليتارية آفاق أرضنا فى عام ١٨٧١ » هذا ما قاله **ليونيد بريجنيف** السكرتير العام للجنــة المركزية « لقد ارتفع علم كوميونة باريس ، ومع ان انصار الكوميونة منوا بالهزيمة الا أن القضية التى حاربوا من اجلها لم يكن من الممكن ان تقهر » لقد التقطت البروليتاريا الروسية علم انصــار الكوميونة ورفعته عاليا .

لقد انتصرت الثورة الاشتراكية فى روسيا فى السابع من نوفمبر [٢٥ اكتوبر] عام ١٩١٧ ، فأطاح الشــعب العامل بسلطة ملاك الارض والرأسماليين وسحق النظام الاستغلالى ، واقامت

ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى دكتاتورية البروليتاريا فى البلاد، وكما قال موريس توريز فان الثورة السوفيتية « خلدت القضية التى بدأها رواد عام ١٨٧١ الابطال ، لقد خلقت كوميونة مظفرة على سدس الكرة الارضية ! »

وبينما واصلت ثورة اكتوبر حمل لواء كوميونة باريس فقد وسعت من خبراتها ، ورغم وجود سمات متشابهة فى كوميونة باريس وثورة اكتوبر ، فان القوانين التى تحكم الثورة الاشتراكية لم تتضح لاول مرة الا فى الثورة الاشتراكية التى تحققت فى روسيا ، لقد رفع قيام الثورة الاشتراكية الخبرة الثورية الموروثة من عام ١٨٧١ الى مستوى لم يسبق الوصول اليه فى عام ١٩١٧ .

هكذا خلدت ثورة اكتوبر قضية كوميونة باريس وطورتها ، كما اثبتت ان على الثوريين البروليتاريين ان يستفيدوا دائما من جميع وسائل الكفاح المسلح والسلمى ، وان يسلكوا جميع الطرق المؤدية الى النصر ، وبعد ان استنفد البلاشفة جميع امكانيات التطور السلمى للثورة ، وبعد أن تبنوا خطة تستهدف الهبة المسلحة ، فقد قاموا بتنظيم خطتهم هذه بمهارة فائقة ادت الى احراز النجاح الباهر للثورة فى جميع ارجاء روسيا الشاسعة ، وبعد أن قام لينين بتقييم الاخطاء التى وقع فيها انصار الكوميونة ودراستها ، قام بتطوير الفروض التى وضعها ماركس وانجلز عن الهبة المسلحة وطبقها بذكاء فى ظروف تاريخية جديدة .

البلاشفة يستندون على أكتاف الكوميونة

لقد حطم البلاشفة جهاز الدولة القديم مترسمين خطى أنصار الكوميونة ، وفى هذا الانجاز لم يكن البلاشفة فحسب يسيرون على هدى الغريزة الثورية للجماهير — كما كان اسلافهم — وانما كانوا يعملون على اساس النظرية الماركسية للثورة الاشتراكية التى أرسى دعائمها ف.أ.لينين بتطبيقها على ظروف المرحلة الامبريالية ، فدكتاتورية البروليتاريا هى أعلى شكل من أشكال الديموقراطية : ديموقراطية الشعب العامل ، ولقد ظهر هذا الشكل من الديموقراطية فى روسيا الاشتراكية فى هيئة السوفيتيات التى اضحت اساسا من أسس الدولة البروليتارية ، لقد اعتبر لينين السلطة السوفيتية دولة من نفس طراز كوميونة باريس ، وفى عام ١٩١٨ قال لينين ان البلاشفة كانوا يستندون على اكتاف كوميونة باريس ، وطور الحزب الشيوعى الروسى (البلشفى) هذه النظرية ، فحدد البرنامج الذى أقره فى مؤتمره الثامن أن السلطة السوفيتية فى جوهرها هى خطوة على الطريق الذى سارت عليه كوميونة باريس .

هكذا فهم أفضل ممثلى الاشتراكية الديموقراطية فى أوربا الغربية الثورة الاشتراكية فى روسيا ، لقد كتب ميرنج رجل التاريخ والثورى الالمانى ، بعد شهور قليلة من انتصار الثورة الاشتراكية فى روسيا — كتب يقول : « عندما نلقى نظرة على المقالات والتقارير التى احتوتها «الجريدة الرسمية» عن المناقشات والقرارات التى تمخضت عنها كوميونة باريس ، ونقارنها بالمقالات والمناقشات والقرارات التى اقرتها الجمهورية السوفيتية ، نستطيع ان نؤكد تأكيدا قاطعا ان نصف القرن الحالى لم يمر على الحركة العمالية مر الكرام دون أن يترك أثرا » .

ففى جميع مراحل النضال فى سبيل تحرير الشعب العامل — اثناء الهبة الثورية المسلحة فى شهر ديسمبر ١٩٠٥ — وخلال ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى ، وفى سنى الحرب الاهلية — عندما اضطرت الجمهورية السوفيتية الى صد هجمات أعداء الثورة والمتدخلين الاجانب ، فى جميع هذه المراحل اعتمد الحزب البلشفى على خبرة عام ١٨٧١ التى طبقها لينين على الوضع التاريخى الجديد .

وبعد ان قامت ثورة اكتوبر بتطوير تقاليد كوميونة باريس ، واضافت لها مساهمتها الخاصة فى الخبرة الثورية ، وضعت الحل السليم لقضية حلفاء الطبقة العاملة ، بعد ان تجنبت الاخطاء التى وقعت فيها كوميونة باريس .

لقد كانت الثورة الاشتراكية العظمى — ككوميونة باريس — ثورة بروليتارية ، كما كانت ثورة للشعب ولكن على نطاق اوسع بكثير ، وبعد ان عمقت الخبرة الاولى التى وصلتها من انصار الكوميونة — تلك التجربة التى لم تكن ناضجة لانها كانت اول تجربة — قامت ثورة اكتوبر بوضع الحلول للمهام الاشتراكية الاولى والمهام العاجلة ذات الصفة الديمقراطية ، وهكذا ثبت ان من الممكن — ليس فى الممارسة العملية فحسب وانما كذلك من الواجب — تحقيق اندماج الحركة الاشتراكية للطبقة العاملة مع اوسع حركة ديمقراطية للشعب ، وحدة الكفاح من أجل الاشتراكية ومن أجل الديمقراطية .

لقد اضحت ثورة اكتوبر مثالا لاستراتيجية وتاكتيك الطبقة العاملة فى مسائل الحرب والسلام والثورة ، ولقد اوضحت كوميونة باريس ان من الممكن تجنيب البلاد حربا تخدم مصالح الدوائر الحاكمة عن طريق هبة مسلحة ، ولقد حققت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى ، ما هو اكثر من ذلك ، فجنبت بلادنا الانغماس فى حماة حرب استعمارية دموية .

وخلال ثورة اكتوبر اتضح التضامن الدولى بين العمال على نطاق أوسع مما كان عليه وقت الكوميونة ، ومنذ البداية سارت البروليتاريا على درب التضامن الاممى ورفعت عاليا العلم الاحمر لمنظمة العمال الدولية — وهى اول اممية — علم ابطال كوميونة باريس ، وحققت فى اكتوبر عام ١٩١٧ نصرا مؤزرا تحت هذا العلم مما جعل جميع بلدان العالم تمنحها عطفها وتأييدها .

وفى السابع من فبراير عام ١٩٧٠ أصدر الشيوعيون الفرنسيون وثيقة بمناسبة مرور مائة عام على مولد ف.ا.لينين ، واستعدادا للاحتفال بمرور مائة عام على كوميونة باريس ، أصدروا البيان التالى فى المؤتمر التاسع عشر لمؤتمر الحزب :

« لقد استلهم لينين افيد الدروس من تاريخ كوميونة باريس البطولى فى عام ١٨٧١ ، التى بينت كيف يمكن انجاز مهام الثورة الاشتراكية وارساؤها على قواعد متينة ، كما وضعت الاسس التى ترتكز عليها الوطنية الثورية والاممية » .

لقد كان هذا تذكيرا من مؤتمر الحزب الشيوعى الفرنسى للحاجة الى دراسة وتطبيق دروس ثورة عام ١٨٧١ كما فعل لينين ، ان هذا ذو دلالة عميقة ، وهو يشهد مرة اخرى على أن امتلاك ناصية تجربة كوميونة باريس وفهمها فهما واعيا — حتى فى وقتنا الحاضر ، فى مرحلة التقدم الظافر للاشتراكية — ذو أهمية قصوى لكل اولئك الذين يقاتلون ضد العبودية الموروثة واضطهاد الشعوب ، ان كوميونة باريس ستبقى دائما مثالا ملهما ونموذجا بناء لما يجب أن تقوم به وتحققه البروليتاريا وما يجب أن تتحاشاه فى قتالها من أجل كسر قيود النظام الاستغلالى الى غير رجعة ، انها تحذر الطبقة العاملة من الاراء الزائفة التى يحاول منظرو اعداء الشيوعية والمراجعون ان يدسوها .

ولسوف يتضح الكثير مما حدث فى الكوميونة ويصبح اقرب الى الفهم عندما نطل عليها من ذروة الاحداث التاريخية التى حفلت بها المرحلة التى نحياها . فنحن نلم بأمور لم يكن لدى غالبية انصار الكوميونة والمؤرخين فى تلك الحقبة اية فكرة عنها ، ونشهد بعيوننا ، كيف تغير العالم ، وكيف يواصل التغير خلال المسيرة التى لم تكن قد اتضحت بعد ايام كوميونة باريس .

ان المنجزات العظمى لعصرنا انما هى نتاج تطور تاريخى طويل ، وتتويج للروابط التى تصل بين الماضى والحاضر ، وتربط الحاضر بالمستقبل ، وبهذه النظرة راى لينين قضية العلاقة بين العصرية وبين التاريخ ، وهو يضفى اهمية كبرى على حل هذه القضية حلا سليما فى الممارسة الثورية .

ويقدر الشيوعيون تقديرا عاليا مساهمة كوميونة باريس فى حركة تحرير الطبقة العاملة ، ولكنهم على وعى كامل بأن المرحلة المعاصرة اضفت تغييرات جذرية على اوضاع الصراع الطبقى ، وهم يرفضون النداءات التى يوجهها المصلحون الاجتماعيون الى العمال لنسيان الثامن عشر من مارس عام ١٨٧١ وقبول المصالحة مع الرأسمالية ، وفى نفس الوقت يرفض الماركسيون اللينيون وجهة النظر التى يبديها العقائديون اليساريون الذين يكتفون بأن تقلد الطبقة العاملة انصار الكوميونة تقليدا أعمى فى كل شىء ، حتى فى الاخطاء ، دون اعتبار للوضع التاريخى المتغير ، واولئك الذين يمتدحون تلقائية الحركة فيما يتعلق بالامثلة التى اشتمل عليها تاريخ الكوميونة ، وفى عملية تجييز الجماهير للصراع الحاسم للاطاحة بالراسمالية ولاقامة سلطة الطبقة العاملة بالتحالف مع الفئات الاخرى من الشعب العامل ، ترسم الاحزاب الشيوعية خطى مبادىء اللينينية الديالكتيكية للتطور ، ويستخدمون الخبرة التاريخية التى اكتسبها انصار كوميونة باريس .

ان الشيوعيين جميعا يعتبرون قضية كوميونة باريس قضية مقدسة ، وكما قال لينين فان هذه القضية « تعيش حتى يومنا هذا فى قلب كل واحد منا » لانها « قضية الثورة الاشتراكية ، ثورة التحرير السياسى والاقتصادى الكامل للكادحين ، انها قضية البروليتاريا فى جميع ارجاء العالم ، وبهذا المعنى فهى قضية خالدة » .

الكوميونة :
والأسئلة التى تجيب عليها

« ان ذكرى مناضلى الكوميونة لا يحييها العمال الفرنسيون وحدهم ، بل تحييها بروليتاريا العالم أجمع . لان الكوميونة لم تناضل فى سبيل أهداف محلية ، أو قومية ضيقة ، بل ناضلت لتحرير الانسانية العاملة جمعاء من كل اذلال وقهر . لقد ايقظ زئير مدافع باريس أشد نشات البروليتاريا تخلفا من سباتهم العميق . وأعطى دفعة جديدة للدعاية الاشتراكية فى كل مكان . ولهذا فان عمل الكوميونة لم يمت ، انه يحيا فى كل منا . لان قضية الكوميونة ، هى قضية الثورة الاجتماعية ، والتحرير السياسى والاقتصادى الشامل للعمال وللبروليتاريا فى العالم كله ، وهو خالد بهذا المعنى »

((لينين))

كمال السيد

أن أروع وأعظم الافكار الثورية ، وأكثرها قدرة على التفسير والتنبؤ ، وأشدها ارتباطا بالواقع والحقيقة ، لم يكن أبدا وليد تأمل فلسفى مجرد لهذا العبقرى أو ذاك مهما تجلت حكمته او تعالت قدرته ، بل كان استخلاصا خلاقا لدروس حركة الاحداث والتاريخ وواقع التجربة الحية .

وتتفاوت قيمة الدروس المستفادة باختلاف جلالة الحدث المستمدة منه ومكانته . واعظم الاحداث هو الذى يشكل الفكر المستخلص منه عاملا ايجابيا يؤثر على حركة الاحداث اللاحقة . فمن سمات الفكر العظيم المستمد من الاحداث العظيمة ، انه ليس انعكاسا سلبيا لهذه الاخيرة ، بل انه بصدقه واصالته ، يوفر عن طريق ربطه بحركة الجموع قوة مادية هائلة تكفل السيطرة على مسيرة التطورات وتوجيهها بما يحقق مصالح اعرض الجماهير .

وكوميونة باريس التى توهم الرجعيون كما يقول انجلز انهم قد قتلوها ، مازالت بعد مائة عام مصدر الهام لا ينضب للحركة الثورية وللفكر التقدمى .

وعلى امتداد هذه الفترة الزمنية الطويلة يمكن أن نعدد الامثلة على دور الكوميونة فى ايجاد ردود علمية للاسئلة التى طرحها « العمل والنظر » الثورى :

■ فقد أغنت الكوميونة ماركس ، بل وصححته .

■ واعطت الكوميونة دفعة هائلة للدولية الاولى فيما يتعلق بمسألة الحزب والتنظيم الحزبى .

■ واستفاد لينين كثيرا من تجربة الكوميونة فى الاعداد لثورة أكتوبر الاشتراكية .

ماركس والكوميونة : قضية الدولة

يقول لينين « ان ماركس براء كليا من التخيل بمعنى أنه لا يخترع مجتمعا « جديدا » من صنع خياله . لا . انه يدرس ، كما يدرس مجرى التاريخ الطبيعى ، ولادة المجتمع الجديد من القديم ، واشكال الانتقال من هذا لذاك . وهو يأخذ الخبرة

العملية للحركة البروليتارية الجماهيرية ويستخلص منها الدروس العملية • وهو « يتتلمذ » على الكوميونة مثل جميع المفكرين الثوريين العظام الذين لم يتهيبوا التعلم من خبرة الحركات الكبرى التى قامت بها الطبقة المظلومة ، ولم يلقوا عليها المواعظ بعجرفة المتزاهى بعلمه » •

لقد ترك الشهرين اللذين عاشتهما الكوميونة بصماتهما واضحة على فكر ماركس ، خاصة فى مقولته الرئيسية عن الدولة • فالمتتبع لفكره فى هذا الموضوع يتبين أنه بالفعل كان تلميذا ، وتلميذا نجيبا للثورات العظمى ، مثل ثورة الكوميونة ، التى ساعدت ماركس كثيرا على الوصول الى الصياغة الاكمل لموضوع الدولة •

ففى « **بؤس الفلسفة** » (صدر فى ١٨٤٧) يطرح ماركس القضية بصورة عامة اجمالية ، تشير الى أن الدولة تزول بزوال الطبقات ، اذ يقول : « فى مجرى التطور تقيم الطبقة العاملة فى مكان المجتمع القديم **رابطة لا مكان فيها للطبقات وتضادها** ، تنعدم فيها كل سلطة سياسية بالمعنى الخاص ، مادامت السلطة السياسية هى الافصاح الرسمى عن تضاد الطبقات فى المجتمع الرأسمالى •

ثم يتقدم ماركس خطوة وتصبح **فكرته أكثر** تحديدا فى « **البيان الشيوعى** » (صدر بعد أشهر من الكتاب السابق) اذ يقول فيه :

« ••• ان الخطوة الاولى فى الثورة العمالية هى تحول البروليتاريا الى طبقة سائدة • وتستفيد البروليتاريا من سيادتها السياسية لكى تنتزع من البرجوازية بالتدريج كامل رأس المال ، وتمركز جميع أدوات الانتاج فى ايدى **الدولة ، اى فى ايدى البروليتاريا المنظمة بوصفها طبقة سائدة** » •

ثم اضافت ثورات ١٨٤٨ ــ ١٨٥١ التى اجتاحت اوربا نضجا جديدا على فكر ماركس فيما يتعلق بموضوع الدولة ، فيقول فى كتابه « ١٨ **برومير لويس بونابرت** » :

« **ان جميع الانقلابات قد اتقنت هذه الالة** (يقصد جهاز الدولة) **بدلا من ان تحطمها** • فالاحزاب التى خلفت بعضها البعض من أجل السيادة كانت ترى فى الاستيلاء على صرح الدولة الهائل هذا الغنيمة الرئيسة عند الظفر » •

لقد توصل ماركس الى ضرورة تحطيم جهاز الدولة • ولكن الاحداث الواقعية والخبرة الحية لحركة الجماهير لم تكن قد طرحت ما يمكن استخلاص الرد منه على السؤال التالى : **ماهو الشكل التنظيمى الذى يمكن الاستغناء به عن الدولة البرجوازية بعد تحطيمها ؟**

وجاءت **الكوميونة** فى مارس ١٨٧١ لترد على السؤال ببلاغة ثورية رائعة ، ولتكمل فكر ماركس ويبلوره ، ذلك الفكر الذى لم يقم أبدا على الاستنتاجات المنطقية او الاستخلاصات الذهنية المجردة ، بل قام وارتفع على أرضية الواقع ، فكان انعكاسا صادقا له وأداة فعالة لتغييره • ولم يكتف ماركس كما يقول لينين « بالاعجاب ببطولة الكومونيين الذين هبوا لاقتحام السماء » حسب تعبيره • بل رأى فى هذه الحركة الثورية الجماهيرية ، وان كانت لم تبلغ اهدافها ، **خبرة تاريخية ذات اهمية كبرى** ، خطوة معينة تخطوها الى الامام الثورة البروليتارية العالمية ، خطوة عملية أهم من مئات البرامج والاستدلالات • وقد وضع ماركس نصب عينيه **مهمة تحليل هذه الخبرة واستخلاص الدروس التاكتيكية منها واعادة النظر فى نظريته على أساس منها** ، «فالتصحيح» الوحيد الذى اعتبر ماركس انه من الضرورى ادخاله على البيان الشيوعى **قد استوحاه من خبرة الكومونيين الباريسيين الثورية** » •

وبالفعل ففى **الطبعة الجديدة من البيان الشيوعى** (الصادر اصلا فى ١٨٤٧) والتى ظهرت فى ١٨٧٢ يؤكد **ماركس وانجلز** ان البيان قد شاخ فى بعض اماكنه ويقولان « ••• وبوجه خاص برهنت الكوميونة على ان الطبقة العاملة لا تستطيع أن تكتفى بالاستيلاء على آلة الدولة **جاهزة** وأن تحركها لاهدافها الخاصة » بل كما يقول ماركس فى رسالة الى **كوجلمان** « لقد اعلنت فى كتابى ١٨ برومير ان المحاولة التالية للثورة الفرنسية يجب ألا تكون تسليم الالة البيروقراطية العسكرية من يد الى يد أخرى كما يحدث حتى الان ، بل **تحطيمها** ، وهذا هو الشرط الاول لكل ثورة شعبية حقا فى القارة وهو ما يحاوله رفاقنا الباريسيون الابطال » •

لقد لخص ماركس فى كتابه « **الحرب الاهلية فى فرنسا** » الرد الذى جاءت به الكوميونة على السؤال : ما هى **الصورة التى تنظم بها البروليتاريا نفسها بوصفها طبقة سائدة** ؟ ففى هذا الكتاب يقول : « ان الكوميونة هى **النقيض** المباشر للامبراطورية (أى

الآلة القومية لحرب رأس المال ضد العمل » • لقد شكلت الكوميونة من أعضاء المجالس البلدية الذين اختيروا بالاقتراع الشامل في مختلف دوائر باريس . كانوا مسئولين ، ويمكن الغاء التفويض الممنوح لهم في أي وقت • وكانت أكثريتهم بطبيعة الحال من العمال أو من ممثلي الطبقة العاملة المعترف بهم » •

لقد كانت الكوميونة **الشكل الذي تم العثور عليه أخيرا** كما يقول ماركس للاستعاضة به عن دولة البورجوازية ، وخلق نمط جديدة للدولة ، هو **ديكتاتورية البروليتاريا** •

أما اجراءات هذا « **التحطيم والاحلال** » فقد تمثلت في :

■ الغاء الجيش الدائم والاستعاضة عنه بالشعب المسلح •

■ تجريد الشرطة من وظائفها السياسية وتحويلها الى هيئة تابعة للكوميونة مسئولة أمامه ويمكن عزلها •

■ انتخاب كل الموظفين ، وامكان عزلهم ، والغاء كل امتيازاتهم وبدلاتهم وتحديد أجرهم **بما يساوي** أجر العامل •

وبالاجراءات السابقة أمكن تحقيق شعار « الدولة الرخيصة » ذلك ان المؤسسات السابقة تبتلع الجزء الاكبر من ميزانية الدولة •

■ كسر أدوات الاستعباد الروحي الذي كان الكهنة ، الاقطاعيين والرأسماليين يمارسونه على السكان ، والقضاء على تسلطهم الاقتصادي والمعنوي •

● انتخاب القضاة وامكان عزلهم ، والقضاء على استقلالهم الصوري •

■ القضاء على البرلمانية باعتبارها احدى مؤسسات الخداع والحكم البورجوازي وجعل الكوميونة « **هيئة عاملة تتمتع بسلطة التشريع والتنفيذ في الوقت نفسه** » فكما يقول ماركس : « بدلا من البت مرة كل ثلاث سنوات أو ست سنوات ، لمعرفة أي عضو من الطبقة الحاكمة يجب أن يمثل وان يقمع الشعب في البرلمان ، كان على حق الانتخاب العام بدلا من ذلك ، أن يخدم الشعب المنظم في كوميونات قصد البحث لمؤسسته عن عمال ومراقبين ومحاسبين ، كما يخدم حق الانتخاب الفردي لهذا الغرض أيا كان من أرباب العمل » •



الجمهورية الفرنسية
حرية • مساواة • اخاء
الى الشعب

ايها المواطنون
لقد ثار شعب باريس على العبودية التي يحاولون فرضها عليه •
لقد راقب بهدوء ، وقوة ، ورباطة جاش ، ودون خوف ، او استفزاز ، الحمقى الوقحين الذين كانوا يحاولون النيل من الجمهورية •
وهذه المرة ، لم يشأ أشقاؤنا في الجيش ان يضربوا محراب حرياتنا المقدس • فشكرا للجميع ، ولتضع باريس وفرنسا معا أسس الجمهورية التي ينشدها الجميع مع كل ما يترتب على ذلك من نتائج ، والحكومة الوحيدة التي ستنهي الى الابد عصر الغزوات والحروب الاهلية •
لقد الغيت حالة الطوارئ •
وشعب باريس مدعو في كافة الاقسام لاجراء انتخاباته العامة •
وامن كل المواطنين مكفول بمساعدة الحرس الوطني •
بلدية باريس في ١٩ مارس ١٨٧١
اللجنة المركزية للحرس الوطني :
آسي ، بيليوراي ، فيررا ، بابيك ، ادوارد مورو، س • ديبون ، فارلان ،بورسييه ، مورتييه ، جوتييه ، لافاليت ، ف • جورد ، روسو ، ش • لولييه ، بلانشيه ، ج • جرولارد ، بارو ، ه • جيريسم ، فاير ، بوجيريه •
المطبعة الوطنية — مارس ١٨٧١

لقد استعاضت الكوميونة كما يقول لينين « عن برلمانية المجتمع البورجوازي المأجورة والمتفسخة بمؤسسات لا تنحط فيها حرية الرأي والبحث الى خداع ، لانه يتوجب على البرلمانيين أن يعملوا **بأنفسهم** وان ينفذوا قوانينهم **بأنفسهم** ، وأن يتحققوا **بأنفسهم** من نتائجها العملية وأن يقدموا الحساب مباشرة الى ناخبيهم •

الدولية الاولى والكوميونة :

قضية الحزب

تبدى مأساة الكوميونة في أن أحد قادتها العسكريين الكبار **لويس ناثانيل روسل** ، اعلن عند انضمامه لها أنه « بسبب كراهيتي للذين أسلموا

وطني ، وبسبب كراهيتي للنظام الاجتماعي القديم ، انضممت تحت راية عمال باريس » ولكن نفس القائد أكد انه « يجهل ما هو النظام الجديد للاشتراكية ، وان كنت أحبه عن ثقة فلا شك انه سيكون أفضل من القديم » ·

تلك هي مأساة الكوميونة ، **الحركة التلقائية العفوية للجماهير التي لم تجد الاطار التنظيمي الذي يكفل لها وحدة الفكر والارادة والحركة** · فالاعتماد على البطولة الثورية لا يغني عن التنظيم بأي حال من الاحوال · لقد كانت القوى الثورية للكوميونة تضم **اليعاقبة الجدد والبلانكيين** وأقسام من الدولية الاولى · وقد تعددت محاولة البلانكيين للانقلاب (اكتوبر ١٨٧٠ ، يناير ١٨٧١) ولكن عدم وجود حزب جماهيري مسلح بنظرية ثورية افشل خططهم ومحاولتهم جميعا ·

أما أعضاء الدولية فكانوا مشتتين بين المنافي والسجون ، ومع ايمانهم بضرورة اقامة حزب يقود فصائل الثورة، الا انهم بالغوا في تصور التسهيلات التي اتاحها اعلان الجمهورية في ١٨٧٠، ولم يدركوا ان هذا الامر بالذات هو الذي دفع **تيير** وحكومة فرساي الى الاسراع بالالتقاء بالغزاة الاجانب وتملق بسمارك والاتفاق معه على عمل مشترك لضرب الثورة ·

ان عدم وجود حزب جماهيري حديدي التنظيم ، مسلح بنظرية ثورية قد سهل كثيرا الاجهاز سريعا على الكوميونة · فالحركة العفوية للجماهير وعمل المجموعات الثورية الضيقة ، لا يكفي لفتح الطريق أمام الاشتراكية ، بل لابد من وجود حزب قادر على ربط التعاليم الثورية بحركة أوسع الجماهير · ان «الخطيئة الاولى» للكوميونة هي عدم الاستعداد السياسي للبروليتاريا ، وعدم وجود الطليعة الواعية ·· يقول لينين : « **لم يكن هناك حزب عمالي** ، ولم تكن الطبقة العاملة قد استعدت ولاتوفرت لها الخبرة ، ولم يكن لديها في جمهرتها فكرة واضحة عن مهامها ووسائل تحقيقها · ولم يكن لديها **تنظيم سياسي جاد ولا نقابات أو جمعيات تعاونية جماهيرية** » ·

لقد أكدت الكوميونة انه لا نجاح للثورة بدون حزب ثوري وانه بدون هذا الاخير يستحيل دحر النظام القديم ، وتصفيته وسد الطريق أمام انبعاثه من جديد · لقد بينت خبرة الكوميونة كما يقول انجلز « عدم وجاهة بعض النظريات عن « الادارة الذاتية » للجماهير **دون تدخل من حزب ثوري** · بل لقد بينت على النقيض من ذلك انه بدون هذا الحزب الثوري المرتبط بالجماهير بصورة وثيقة ، ويعرف جيدا احتياجاتها وتطلعاتها لا يمكن أن تترجم الى الواقع تطلعات الجماهير » ·

لقد نبه هذا النقص الخطير الدولية الاولى الى ضرورة الاهتمام ببناء الحزب الجماهيري الذي تحكمه المركزية الديمقراطية ، وتخضع فيه الاقلية للاكثرية ويهتدي بالنظرية الماركسية · لقد ادرك كل الثوريين وفي مقدمتهم الفرنسيون اهمية الحزب لضمان الاتجاه السليم لحركة الجماهير وتوفير الظروف لانتصارها ·

لينين والكوميونة

أكثر الناس استفادة

كان **لينين** بدوره تلميذا نجيبا لحركة الجماهير ، يستخلص منها الدروس ليؤسس عليها حركة حزبه وليضمن لها الاتجاه السليم · لقد اعاد لينين دراسة الثورات السابقة على ثورة اكتوبر في روسيا او في الخارج ، خاصة الكوميونة ـ الذي حظيت منه بأكبر الجهد ـ وثورة ١٩٠٥ ، واستخلص منها عددا لا يحصى من الخبرات · ولعبت الكوميونة ، التي كانت اول حكومة عمالية حتى قيام السوفيتات دورا هاما في صياغة شكل هذه الاخيرة ، وتلافي الاخطاء التي حدثت في الاولى ، فبجانب تركيز لينين الهائل على دور الحزب ودفاعه المجيد ضد كل محاولات تصفيته ، وعن وجود صياغة ثورية لسياسته وبرنامجه ، فقد استفاد لينين كثيرا من اخطاء الكوميونة وعمل على عدم تكرارها مثل :

● **قيام الحزب والثورة بتصفية المواقع الاقتصادية للنظام القديم** ، خاصة البنوك · ففي حين أبقت الكوميونة على البنوك خاصة البنك المركزي ورصيده من الذهب (وكان ملك روتشيلد) الامر الذي مكن الرجعية من تخريب جهود الكوميونة ، فان حزب لينين قام بتأميم البنوك ، لان السيطرة على البنوك كما يقول ، هي وحدها التي تكفل السيطرة فعلا لا قولا على كامل الحياة الاقتصادية ·

لقد اهمل ثوار الكوميونة المهمة التي اوضحها ماركس بقوله « كان يجب استخدام الكوميونة كرافعة للقضاء على الاسس الاقتصادية التي يقوم عليها وجود الطبقات ، ومن ثم السيطرة الطبقية » ·

● **الربط الصحيح بين الاهداف الوطنية والاهداف الاجتماعية** · ففي حين وثق ثوار باريس في وطنية البرجوازية ، وسمحوا لها بتغليب الجوانب الوطنية على الجوانب الاجتماعية ، لتأخذ فرصة للاتفاق من وراء ظهورهم مع البروسيين للقضاء على الحركة الاجتماعية ، فان لينين لم يسمح للبرجوازية الروسية ان تلهي الشعب عن مطالبه الاجتماعية بالحرب مع المانيا ، بل رأى ان الانتصار في الحرب يبدأ بالاطاحة بالاستغلال الداخلي ·

● **أهمية وجود جهاز الدولة فى فترة الانتقال،** ففى حين لم يؤمن كثير من فصائل الثورة الكوميونة بأهمية جهاز الدولة الجديدة ، فان لينين دافع بحرارة عن وجود دكتاتورية البروليتاريا لبناء المجتمع الجديد وسحق مقاومة الرجعية المخلوعة •

يقول انجلز : « ان اعداء السلطة يطالبون بالقضاء على الدولة السياسية المتحكمة مرة واحدة ، حتى قبل القضاء على الظروف الاجتماعية التى ولدتها • انهم يطالبون بأن يكون اول مرسوم للثورة الاجتماعية هو القضاء على السلطة • **فهل رأى هؤلاء السادة ثورة ابدا ؟** ان الثورة هى بالتأكيد **أشد الامور تحكما** ، انها العمل الذى يفرض بموجبه قسم من السكان ارادته على القسم الاخر عن طريق البنادق والمدافع والحراب ، بالوسائل التحكمية • والحزب المنتصر اذا اراد ان يكون لنضاله نتيجة وان يحتفظ بسلطته بالرعب الذى توجه اسلحته الى الرجعية ، هل كانت كوميونة باريس ستبقى يوما واحدا ما لم تستغل سلطة الشعب المسلحة فى مواجهة البرجوازية ؟ السنا نلومها على انها لم تستخدمها بصورة واسعة ».

● **ضرورة وحدة المضطهدين** ، ففى حين ظلت الكوميونة محصورة فى منطقة باريس أساسا ، والفلاحون لا يدرون عنها شيئا ، فان لينين عمل على توحيد حركة جموع الفلاحين والكادحين مع حركة الطليعة القائدة ، الطبقة العاملة وحزبها البروليتارى ، الامر الذى كفل له ضرب كل محاولات الانقضاض على الثورة باتخاذ الاقاليم نقطة انطلاق ، فى حين ان أعداء الكوميونة انقضوا عليها من خارج باريس • لقد كان على « البناء الكوميونى » كما يقول ماركس ان يدعم وحدة الامة ويجعلها حقيقة بتدمير سلطة الدولة ، وكان عليه أيضا أن يضع المنتجين الريفيين تحت القيادة الروحية لحواضر كل منطقة ، وان يؤمن لهم كل احتياجاتهم ، عن طريق عمال المدن الممثلين الطبيعيين لمصالحهم • « فالكوميونة » هى الممثل الحقيقى لكل العناصر الصحية فى المجتمع الفرنسى ، ومن ثم الحكومة القومية الحقيقية •• وهى تنطوى فى حد ذاته - وكشىء بديهى - على الادارة المحلية •

ان سرد الدروس التى استخلصها لينين من الكوميونة لاينتهى ، فمناضلو الكوميونة كما يقول **جورج ديمتروف** « قد سجلوا بدمائهم أمجد الصفحات وأبرزها فى تاريخ الطبقة العاملة » • وبفضل نضالهم هذا دخل نضال العمل ضد رأس المال ودولته مرحلة جديدة • لقد علمت الكوميونة ،


RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

COMMUNE DE PARIS

APPEL AUX OUVRIÈRES

الجمهورية الفرنسية

حرية • مساواة • اخاء

كوميونه باريس

نداء الى العاملات

حيث أن اللجنة المركزية لاتحاد النساء من اجل الدفاع عن باريس والعناية بالجرحى ، والتى كلفتها لجنة العمل والتبادل بالكوميونة ، بتنظيم عمل النساء فى باريس ، وتاسيس الغرف النقابية والاتحادية ، الخاصة بالعاملات المتحدات •• قد لاحظت التطابق بين الغرف النقابية والاتحادية للعمال ، وتجمع العاملات فى اقسامهن المهنية فى روابط انتاجية حرة ومتحدة فيما بينها ، فانها تدعو كل العاملات الى الاجتماع فى الساعة السابعة من مساء اليوم الاربعاء ١٧ مايو فى البورصة ، لتعيين مندوبات كل طائفة من اجل تأسيس الغرف النقابية التى ستبعث كل منها بدورها ، باثنتين من المندوبات من اجل انشاء الغرفة الاتحادية للعاملات •

والاستفسار عن اى شىء ، يكون بالتوجه الى لجان اتحاد النساء التى شكلت وتعمل فى كافة المناطق •

ومقر اللجنة المركزية للاتحاد فى شارع فوبورج سان مارتان فى مقر عمدة المنطقة العاشرة •

نظر ووافق عليه

مندوب لجنة العمل والتبادل

ليو فرانكل

اللجنة التنفيذية للجنة المركزية

ناتالى لوميل •	الين جاكييه
لوبوب	بلانش لوفيفر
كولان	جارى

اليزابيث دميتربيف

المطبعة الوطنية — مايو ١٨٧١

ومازال يعلم البروليتاريا « ان تضع - كما يقول لينين - بطريقة محددة مهام الثورة الاشتراكية ، وأن تمضى فى الطريق الذى شقته الكوميونة طريق تنظيم وتسليح كل الطبقات المستغلة من السكان لتأخذ بين أيديها مباشرة هيئات سلطة الدولة » • وبالقدر الذى كانت به الكوميونة تمثل بالنسبة للبرجوازية أبا الهول الذى يطرح الاسئلة ، فلقد كانت بالنسبة للبروليتاريا أبا الهول الذى يفسر الالغاز ، ويرد على الاسئلة التى ظلت حائرة بدون جواب لفترة طويلة •



كوميــونة باريس والحــركة الثــورية العالميــة

ألبيــر آريبيــة

مثلما كانت كوميونة باريس تعبيراوطنيا مجســدا لرفض القوى الثورية الفرنسية الاستسلام امام المحتل الالمانى، فانهاكانت تحمل ــ فى نفس الوقت ــ مغزى أمميا واضحا لا لمجرد اشتراك عدد كبير من الثوريين الذين كانوا ينتمون الى مختلف دول أوربا ، ولكن لصداها وتأثيرها البالغين على الحركة الثورية العالمية كذلك •

دور الثوريين الاوروبيين والــــــكوميــونة ••

كانت باريس فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، مركز جذب لكافة الثوريين فى أوربا ، رغم سيادة الحكم المطلق فيها ، فقد كانت فرنسا ــ بالنسبة لهؤلاء الثوريين ــ تمثل وطن ثورة ١٧٨٩ التى أعلنت مبــادىء الحــرية والمساواة ، كما أنها وطــن ثــورتى ١٨٣٠ و ١٨٤٨ ، هناك فى باريس ، كان يلتقى الثوريون الروس والبــولنديون والالمــان والايطـــاليون والرومانيون المضطهدون فى بلادهم • وعنــدما أعلنت الجمهورية فى ٤ سبتمبر ١٨٧٠ ، هرع الثورى الايطالى غاريبلدى ــ مثلا ــ الى فرنسا ليقدم نفسه لخدمتها ، بل ونظم فيلقا أجنبيا ليكافح الغزاة الالمان •• الى جانب الجيش الفرنسى •

لم يكن غريبا أن يلعب الثوريون الاوربيون الذين كانوا فى باريس عندما أعلنت الكوميونة ، دورا فعالا فى أحداثها • فقد كان مجلس كوميونة باريس المنتخب بالاقتراع العام فى يوم ٢٦ مارس ١٨٧١ ، يضم اثنين من الثوريين الاوربيين وهما : البولندى بابيك BABICK ممثل الحى العاشر فى باريس ،

والمجرى ليوفرانكل FKANKEL ممثل الحى الثالث عشر • وهما من الاحياء العمالية فى العاصمة الفرنسية •

وكان طبيعيا أن تقر كوميونة باريس ، فى يوم ٢٨ مارس ١٨٧١ ، شرعية انتخاب الاجانب (غير الفرنسيين) ، لان « **راية الكوميونة هى راية الجمهورية العالمية** » •

والحديث عن « **المغزى الاممى** » لكوميونة باريس ، لا يمكن أن يتجاهل الدور الذى لعبه الثوريون الاوربيون ، فقد كان **ليو فرانكل** مندوبا (وزيرا) للعمل والصناعة والتجارة فى مجلس الكوميونة ، والبولندى **ياروسلاف دومبروفسكى** JAROSLAW BOMBROWSKI الذى قاد جيش الكوميونة •

ليوفرانكل :

ولد **ليوفرانكل** يوم ٢٨ فبراير ١٨٤٤ فى بودابست التى كانت فى ذلك الوقت جزءا من الامبراطورية النمساوية المجرية • وفى السادسة عشرة من عمره ، سافر الى المانيا ليعمل كحرفى فى ورش الصباغة ، وفى المانيا تعرف **ليو فرانكل** على التيارات الاشتراكية التى كانت تجتاح المانيا فى هذا الوقت • وفى ١٨٦٧ تعرف على كارل ماركس فى لندن التى سافر اليها ومنها توجه الى باريس ليصبح بعد ذلك أحد منظمى القسم الفرنسى للدولية الاولى التى أسسها ماركس والتى كانت تضم ممثلى الحركات الاشتراكية فى أوربا وامريكا • ونتيجة لنشاطه حكم على فرانكل بالسجن ثم أفرج عنه حينما أعلنت الجمهورية فى سنة ١٨٧٠ ، واشترك فى الحرس الوطنى الذى كان يتولى الدفاع عن باريس ، وفى ٢٦ مارس عام ١٨٧١ انتخب فرانكل فى مجلس الكوميونة حيث أصبح عضوا فى لجنة العمل والصناعة والتبادل التجارى ثم عضوا فى اللجنة المالية ، وفى ٢٠ ابريل أصبح مندوبا (وزيرا) للعمل ولم يتجاوز بعد السابعة والعشرين من عمره •

وكان فرانكل اشتراكيا واعيا وربما كان الماركسى الوحيد ضمن الاعضاء السبعة عشر لمجلس الكوميونة المنتمين الى القسم الفرنسى فى الدولية الاولى ، وكان له نظرة واضحة ومحددة المعالم للمشاكل التى كانت تواجه الكوميونة ، ففى احدى اجتماعاتها أعلن « **يجب ألا ننسى أن ثورة ١٨ مارس من صنع الطبقة العاملة بمفردها ، واذا لم نحقق نحن أصحاب مبدأ المساواة الاجتماعية شيئا لهذه الطبقة فاننى لا أرى مبررا لوجود هذه الكوميونة ، ولسنا هنا للدفاع عن مجلس بلدية ، ولكن لنحقق اصلاحات اجتماعية • فانا لم أقبل التفويض الا للدفاع عن البروليتاريا** » •

وكان واعيا بمسئولياته،ولذلك كان يطلب نصائح من **ماركس** « وانى أكون سعيدا لو قبلت أن تمدنى بأية وسيلة بنصائحك لاننى اتحمل وحدى تقريبا مسئولية كافة الاصلاحات التى أريد أن أطبقها فى مجال الاشغال العامة » • فنصحه ماركس بتحقيق أية اجراءات اجتماعية ممكنة فى الحال •

ويعود لفرانكل الفضل فى اتخاذ أهم الاجراءات الاجتماعية للكوميونة وهى :

● قرار بوقف استحقاق الكمبيالات ودفع الايجارات ، وقد انقذ هذا القرار آلافا من التجار الصغار من اعلان افلاسهم ، كما منع طرد آلاف من المستأجرين الغير قادرين على دفع ايجارات منازلهم •

● قرار بالاستيلاء على الورش والمصانع التى هجرها اصحابها لصالح الهيئات العمالية :

● قرار بمنع العمل ليلا فى المخابز •

● قرار بتحديد ساعات العمل بعشر ساعات فى اليوم ، ولم ينجح فرانكل فى تحديد يوم العمل بثمانى ساعات •

● قرار بمنع فرض الخصومات على الاجور بحجة الغرامات •

وعندما دخل جيش حكومة فرساى باريس حمل فرانكل السلاح وكافح وراء المتاريس وأصيب بالجراح مرتين ، وحينما هزمت الكوميونة تمكن من الفرار الى سويسرا ثم الى لندن حيث اشترك فى قيادة الدولية الاولى بجانب **ماركس وانجلز** • وعاد فرانكل فيما بعد الى المجر ــ وطنه ــ ونجح فى توحيد الحركة العمالية المجرية رغم تعرضه للسجن والاضطهاد ، واشترك فى تأسيس الدولية الثانية وكان واحدا من قادتها البارزين وتوفى عام ١٨٩٦ •

دومبروفسكى

ولد ياروسلاف دومبروفسكى فى بولندا (فى ظل الاحتلال الروسى) عام ١٨٣٨ وعمل ضابطا فى الجيش القيصرى ولعب دورا فعالا فى الثورة البولندية الوطنية عام ١٨٦٣ • وقبض عليه البوليس القيصرى وحكم عليه بالاعدام ولكنه تمكن من الفرار ولجأ الى فرنسا ، وأثناء الحرب الفرنسية الالمانية قاد دومبروفسكى الكتيبة البولندية فى فيلق غاريبلدى ، وبعد ثورة ١٨ مارس سنة ١٨٧١ نصح دومبروفسكى منظميها بالهجوم الفورى على فرساى وحل الجمعية الوطنية واجراء انتخابات جديدة ، ولكن اللجنة المركزية للحرس الوطنى لم تستمع الى نصائحه ، وفى أول أبريل سنة ١٨٧١ وبعد الفشل العسكرى لجنرالات الكوميونة أسندت الى دومبروفسكى قيادة جيش الكوميونة ، وفى ظل ظروف صعبة ووسط الخلافات الداخلية والفوضى قام بمهام منصبه بجدارة ، وبفضل الخبرات التى اكتسبها أثناء اشتراكه فى ثورة بولندا الوطنية عام ١٨٦٣ استطاع دومبروفسكى أن يمزج بين العلم العسكرى والحرب الثورية ، ورغم الهزيمة العسكرية التى اطاحت بكوميونة باريس ، الا أن دومبروفسكى استطاع أن يبرز كقائد عسكرى ثورى مجيد ، واستشهد دومبروفسكى يوم ٢٤ من مايو ١٨٧١ على المتاريس • وذلك بعد ثلاثة أيام من دخول جيش حكومة فرساى •

والى جانب فرانكل ودومبروفسكى اشترك عدد كبير من الثوريين الاوروبيين فى شتى مجالات العمل السياسى والعسكرى طوال الـ ٧٢ يوما التى عاشتها الكوميونة •

ويجب أن نذكر بالذات دور الثوريين البولنديين فى المجال العسكرى ومن بينهم **فاليرى فروبلفسكى** WALERI WROBLEWSKI أحد القادة العسكريين لثورة بولندا عام ١٨٦٣ والذى قاد احدى الفرق الثلاث لجيش كوميونة باريس،وقاوم فروبلفسكى جيش حكومة فرساى حتى اللحظة الاخيرة ثم لجأ الى لندن حيث أصبح احد سكرتيرى الدولية الاولى •

ولعب الثوريون الروس أيضا دورا بارزا فى كوميونة باريس ، ومن بينهم **اليزافيتا ديميترييفا** ELISAVETA DIMITRIEVA عضو القسم الروسى للدولية الاولى ، وقد اشتركت فى تنظيم الحركة النسائية لكوميونة باريس وناضلت ببسالة على المتاريس • واستشهد مئات من الثوريين الاوربيين على المتاريس الى جانب اخوانهم الفرنسيين ، أو اعدموا على أثر سقوط الكوميونة •

وفى تقرير لاحد جلادى حكومة فرساى ذكر: « •• وأمام المجالس العسكرية حكم بالاعدام على كل من يحمل اسما ايطاليا أو بولنديا دون تقديم أى مبرر » •

الكوميونة والحركة الثورية العالمية

أثارت أحداث كوميونة باريس حماس كافة الثوريين والاشتراكيين فى أوربا ، فنظموا مظاهرات التضامن مع الكوميونة فى كافة أنحاء القارة بطريقة لم تجر قبل ذلك •

ففى ألمانيا •• وعلى منبر البرلمان (الرايخستاج) قام النائب الاشتراكى الديمقراطى أوجست بيبل AUGUSTE BEBEL يمتدح احداث الكوميونة ، وحينما انتقد سياسة بسمارك الذى أفرج عن أسرى الحرب الفرنسيين ليترك لهم فرصة الالتحاق بجيش فرساى للمساعدة فى قمع الكوميونة قال بيبل : « كونوا مقتنعين بأن البروليتاريا الاوروبية بأكملها وكذلك كافة الذين يحملون فى قلوبهم مشاعر الحرية والاستقلال ينظرون الى باريس وكلهم أمل وتفاؤل ، وحتى لو قمعت كوميونة باريس فى الوقت الحالى فاننى أذكركم أن معركتها ليست الا اشتباكا صغيرا ، وأمامنا فى أوربا المعركة الاساسية التى سنعيشها ، وقبل مرور عقود قليلة ، ستصبح صرخة نضال البروليتاريا الباريسية « الحرب على القصور ، السلام للاكواخ ، الموت للبؤس والبطالة » •• صرخة نضال البروليتاريا الاوربية » •

وبعد قمع الكوميونة ببضعة شهور امتدح فلهلم ليبكنخت زعيم الحزب الاشتراكى الديمقراطى الالمانى الكوميونة مرة أخرى ، وقامت مظاهرات التضامن فى كافة مدن ألمانيا الكبرى : **فى برلين وهامبرج وبريمين وهانوفر وليبزيج ودرسدن** ضمت عشرات الالاف من العمال الالمان لتحية ثورة عمال باريس •

وفى يوليو ١٨٧١ نشرت جريدة **فولكشتات** VOLKSTAAT (لسان حال الاشتراكيين الديمقراطيين الالمان) نداء مجلس الدولية الاولى

الذى كتبه ماركس حول أحداث باريس • وبعد شهور قليلة قمعت الحكومة الالمانية نشاط الثوريين الاشتراكيين ، وقبض على **بيبل وليبكنخت** وحكم عليهما بالسجن سنتين ونصف •

وفى عام ١٨٧٦ حينما صدرت التشريعات المعادية للاشتراكية فى ألمانيا ، اعترف بسمارك بأن خطب بيبل وليبكنخت الخاصة بكوميونة باريس هى التى أوضحت له خطر الاشتراكية •

وفى المجر حيا العمال اعلان الكوميونة بحماس شديد ، فكتب أحد المشتركين فى الحركة العمالية المجرية فى ذلك الوقت قائلا :

« يعترف العمال وحدهم بأهمية حوادث باريس • وفى كل مكان بدءوا ينشطون وأنظارهم موجهة بفخر الى اخوانهم الباريسيين الذين يعطون كل اهتمامهم للاشتراكية ، وكان التيار يجرف العمال المجريين فتحدث الاضرابات والمظاهرات تلقائيا » •

وقد استقبل العمال فى المجر هزيمة الكوميونة بفزع شديد وقاموا بتنظيم مظاهرة تأبين فى بودابست ، ورددوا فيها نشيد المارسلييز ، ولجأ البوليس المجرى الى أساليب القمع ، وقبض على زعماء الهيئة العمالية العامة واعتقلهم شهورا طويلة •

ورغم الاضطهاد استمر تأثير الكوميونة فى الحركة العمالية المجرية لحين رجوع ليو فرانكل الى المجر عام ١٨٧٦ حيث أسس الحزب العمالى المجرى •

وفى روسيا القيصرية فشلت الرقابة فى منع تسرب أخبار كوميونة باريس الى داخل البلاد ، فهرب الثوريون كتاب كارل ماركس « **الحرب الاهلية فى فرنسا** » الى داخل روسيا وترجموه الى الروسية ثم وزعوه سرا ، وساهم هذا الكتاب فى نشر الاراء الماركسية هناك •

وفى بلغاريا كان للكوميونة أثرها على الثوريين البلغاريين فى نضالهم من أجل تحرير بلادهم من نير الاحتلال العثمانى • ففى أبريل سنة ١٨٧١ أرسل شاعر الثورة البلغارية **خرستو بوتيف** CHRISTO BOTEV اللاجىء فى رومانيا البرقية التالية : « باريس ـ الى مجلس الكوميونة •• تحية قلبية وأخوية من الكوميونة البلغارية عاشت الكوميونة •• امضاء • عن المهاجرين الثوريين : **بوتيف وبوبوف وكتب القائد الثورى فاسيل ليفسكى** « لقد آن الوقت لكى نكسب بجهد موحد ما رمى اليه وما زال يرمى اليه حتى الان اخواننا الباريسيون » • وفى ابريل سنة ١٨٧٣ أعدم العثمانيون **فاسيل ليفسكى** ، وفى ابريل ١٨٧٦ قمع الاتراك الكوميونة البلغارية وقتل خرستو بوتيف فى احدى المعارك ، ولكن الاهداف العظيمة التى بلورتها كوميونة باريس فى بلغاريا لم تمت رغم ذلك •

تقييم لينين للكوميونة

ومنذ عام ١٨٧١ •• والعالم يحتفل كل عام بذكرى أحداث وتجارب كوميونة باريس ، وفى هذا العام والعالم يحتفل بالعيد المئوى للكوميونة نذكر تقييم لينين مؤسس أول دولة اشتراكية فى العالم لاول تجربة اشتراكية فى العالم : « لم تناضل الكوميونة من أجل أهداف محلية أو وطنية ضيقة ، ولكنها ناضلت من أجل تحرير الانسانية الكادحة كلها وجميع المقهورين والمعذبين •• ان صورة حياتها وموتها •• حياة الحكومة العمالية التى تسيطر على عاصمة العالم لاكثر من شهرين ، وكذلك منظر الكفاح البطولى للبروليتاريا والامة بعد الهزيمة •• كل ذلك دعم من شجاعة آلاف العمال وأثار آمالهم وجذب عواطفهم الى جانب الاشتراكية ، لقد أيقظ دوى مدافع باريس فئات البروليتاريا الاكثر تأخرا ، وكذلك حرك فى كل مكان الدعوة الاشتراكية الثورية لهذا السبب لم تمت قضية الكوميونة • أنها حية فى كل واحد منا » •

وقبل مرور أقل من خمسين عاما على قيام كوميونة باريس ، أنشأ **لينين** أول دولة اشتراكية فى العالم ، واليوم وبعد مرور مائة عام على ذكرى كوميونة باريس ، ينتشر النظام الاشتراكى من كوبا الى الصين وتتجه الشعوب المتحررة حديثا فى آسيا وأفريقيا وأمريكا الى الاشتراكية التى قامت من أجلها الكوميونة ، والتى استشهد على متاريسها عمال فرنسا والثوريين الاوربيين الذين ساهموا فى أحداثها •

شخصيات بارزة

في أحداث

كوميونة باريس

● **أدولف آسي** Adolphe Assi ١٨٤٠ — ١٨٨٦

أحد قادة القسم الفرنسي « للدولية الأولى » . زعيم عمالي . سجن في ظل الامبراطورية الثالثة . عضو اللجنة المركزية للحرس الوطني ، ثم عضو مجلس الكوميونة .

● **شارل لونجية** Charles Longuet
١٨٣٣ — ١٩٠٣

صحفي . أحد معارضي الامبراطورية الثالثة ، وقادة القسم الفرنسي للدولية الاولى . عضو اللجنة المركزية للحرس الوطني ثم عضو مجلس الكوميونة . لجأ الى لندن بعد سقوطها . صهر كارل ماركس . أصبح بعد صدور قرار العفو أحد قادة الحزب الاشتراكي الفرنسي .

● **جول جيد** Jules Guesde (١٨٤٥ — ١٩٢٢)
صحفي وزعيم اشتراكي . دافع عن الكوميونة بحماس ، أسس سنة ١٨٧٩ الحزب العمالي الفرنسي أول حزب ماركسي فرنسي . وحد الحركة الاشتراكية الفرنسية سنة ١٩٠٥ بمعاونة **جان جوريس** .

● **جورج دربوا** Georges Darboy

(١٨١٣ — ١٨٧١)
أسقف باريس . تم القبض عليه ضمن الرهائن أثناء حوادث الكوميونة . رفض تيير مبادلته مقابل الثوري الفرنسي المسجون **بلانكي** . واعدم يوم ٢٤ مايو ١٨٧١ .

● **أميل أود** Emile Eudes (١٨٤٤ — ١٨٨٨)
صحفي ومن أهم انصار بلانكي وعضو مجلس الكوميونة وجنرال في جيشها . لجأ الى سويسرا بعد الهزيمة وعاد الى باريس بعد العفو العام حيث قاد حزب البلانكيين .

● **جليفية** Gallifet (١٨٣٣ — ١٩٠٩) .
جنرال في جيش نابليون الثالث ، ثم في جيش فرساي ، تميز بقسوته ودمويته خاصة في اجراءات اعدام المشتركين في الكوميونة . أصبح فيما بعد رئيسا لمجلس الوزراء .

معروف بارائه الجمهورية اثناء سلطة الامبراطورية الثالثة، عضو مجلس الكوميونة، لعب دورا كبيرا فى مجال الفن اثناء قيام الكوميونة ، القى القبض عليه بعد الهزيمة وحكم عليه أمام مجلس عسكرى بالسجن ستة شهور وباعادة بناء عامود فاندوم على حسابه الخاص ، لجأ الى سويسرا ومات فى المنفى .

● **ترينكيه** Trinquet [١٨٣٥ — ١٨٨٢]
عامل أحذية وعضو مجلس الكوميونة اشترك فى المعارك الاخيرة والقى القبض عليه وقدم للمحاكمة العسكرية حيث صدر ضده حكم بالاشغال الشاقة بعد أن قدم دفاعا بطوليا عن الكوميونة . تم ترحيله الى ليمان جزيرة كاليدونيا الجديدة فى المحيط الهادى وبقى هناك حتى صدور العفو العام . عاد الى فرنسا وانتخب عضوا فى مجلس بلدية باريس .

● **لويس أوجيه فارلين** Lous Eugine Varlin (١٨٣٩ — ١٨٧١)

عامل تجليد واحد قادة القسم الفرنسى للدولية الاولى . حكم عليه بالسجن لانتمائه للدولية ، وعضو اللجنة المركزية للحرس الوطنى ثم عضو فى مجلس الكوميونة . احد أعضاء لجنة المالية . شارك فى المعارك الاخيرة ببسالة . قبض عليه يوم ٢٨ مارس ١٨٧١ وأعدم فى الشارع بعد أن ضرب بوحشية .

● **راؤول ريجو** Raoul Rigault [١٨٤٦ — ١٨٧١] .
من أنصار بلانكى وعضو مجلس الكوميونة ومندوب « وزير » للبوليس ثم نائبا عاما . القى القبض عليه يوم ٢٤ مايو أثناء المعارك وأعدم فى الشارع .

● **لويس روسيل** Louis Rossel ١٨٤٤ — ١٨٧١
ضابط بالجيش الفرنسى، رفض الهزيمة وانضم الى جيش الكوميونة عين مندوبا للحربية . اقيل من منصبه يوم ١٠ مايو واتهم بالخيانة ومحاولة اقامة دكتاتورية . قبض عليه جيش فرساى واعدموه .

● **تريدون** Tridon [١٨٤١ — ١٨٧١]
محام ومؤرخ الف كتابا عن الثورة الفرنسية . من أنصار بلانكى . حكم عليه بالسجن أثناء قيام الامبراطورية الثالثة . عضو مجلس الكوميونة .


رودلت تيسير


لويز ميشيل

● **أميل دوفال** Emile Duval (١٨٤١ — ١٨٧١) .
عامل صهر ، وعضو الدولية الاولى وكولونيل فى الحرس الوطنى . استولى على مديرية الامن يوم ١٨ مارس ١٨٧١ . عضو مجلس الكوميونة . قاد هجوم جيش الكوميونة على فرساى يوم ٣ ابريل ١٨٧١ ووقع فى الاسر ثم أعدم بدون محاكمة .

● **جوستاف فلورانس** Gustave Flourens (١٨٣٨ — ١٨٧١)

عالم وصحفى من أنصار بلانكى ، حكم عليه بالسجن مرات عديدة أثناء حكم الامبراطورية الثالثة . اشترك فى كافة الانتفاضات الثورية أثناء حصار باريس . عضو مجلس الكوميونة واحد قادة محاولة الاستيلاء على فرساى ، وقع فى الاسر وأعدم بدون محاكمة يوم ٣ ابريل ١٨٧١

● **جوستاف كوربيه** Gustave Coubet (١٨١٩ — ١٨٧٧) .
من أشهر رسامى فرنسا فى ذلك الوقت ومؤسس المدرسة الواقعية فى التصوير الزيتى .

تمكن من الهرب الى بلجيكا حيث أصيب بالدرن ومات .

● **أوجست فرموريل** Aujuste Vermorel

١٨٤١ — ١٨٧١

كاتب وصحفى عارض الامبراطورية الثالثة . عضو مجلس الكوميونة ورئيس تحرير جريدة « **صديق الشعب** » قاتل ببسالة على المتاريس واصيب ومات فى السجن .

● **أوجين بوتيه** Eugene Pottier
(١٨١٦ — ١٨٨٧)

رسام على القماش وشاعر وعضو القسم الفرنسى للدولية الاولى ، اشترك فى الحرس الوطنى أثناءحصار باريس عضومجلس الكوميونة ناضل ببسالة على المتاريس وتمكن من الهرب . الف فى يونيه ١٨٧١ وهو مختبىء نشيد الدولية الذى أصبح فيما بعد نشيد الاشتراكية فى جميع انحاء العالم . لجأ الى لندن ثم عاد الى باريس بعد العفو وناضل فى صفوف الحزب العمالى الفرنسى .

● **جان بابتيست كليمان**
Jean Baptiste Cle ment
(١٨٣٦ — ١٩٠٣)

شاعر .. الف اغانى منعت أثناء الامبراطورية الثالثة . وعضو فى القسم الفرنسى للدولية الاولى وعضو مجلس الكوميونة قاتل على المتاريس وتمكن من الهرب . وعاد الى فرنسا بعد صدور العفو العام وناضل فى صفوف الحزب العمالى الفرنسى .

● **جول فاليس** Jules Vallés
[١٨٣٢ — ١٨٨٥]

صحفى وكاتب روائى اشتهر بمعارضته للامبراطورية الثالثة ، قاتل الالمان فى صفوف الحرس الوطنى . اشترك فى كتابة « **الملصق الاحمر** » واصدر فى فبراير ١٨٧١ جريدة « **صرخة الشعب** » التى وصل توزيعها الى ٣٠٠ الف نسخة فى اليوم الواحد . عضو مجلس الكوميونة ورأس آخر اجتماعاتها . قاتل على المتاريس حتى آخر لحظة وهرب الى لندن حيث نشر ثلاثية مشهورة تدور حوادث الجزء الثالث منها عن الكوميونة وأسماه « الثائر » .

● **لويز ميشيل** Louise Michel
[١٨٣٠ — ١٩٠٥]

مدرسة اشتركت فى جميع المظاهرات المعادية للامبراطورية الثالثة وفى كافة الانتفاضات الثورية أثناء حصار باريس ، لعبت دورا سياسيا كبيرا فى احداث الكوميونة قادت فرقة نسائية أثناء النضال فى شوارع باريس . وقعت فى الاسر وتمت محاكمتها ، وصدر ضدها حكم الاعدام ، ثم خفف الحكم الى الاشغال الشاقة ، ونفيت الى جزيرة كاليدونيا الجديدة وبقيت فيها حتى ١٨٨٠ سميت « **العذراء الحمراء** » . عادت الى فرنسا بعد صدور العفو العام واشتركت فى الحركة الفوضوية وسجنت سنوات طويلة بسبب نشاطها الفت قصائد وروايات ومسرحيات .

● **ميلير** Millière (١٨٧١ — ١٨٧١)

محام وصحفى عارض الامبراطورية الثالثة ، انتخب نائبا فى الجمعية الوطنية فى ٨ فبراير ١٨٧٠ ، ونشر دوسيه البوليس الخاص بجول فافر كاشفا التزويرات التى ارتكبها فافر للحصول على ثروة . اتخذ موقفا توفيقيا أثناء قيام الكوميونة قبض عليه جنود جيش فرساى واعدموه فى الشارع يوم ٢٤ مايو سنة ١٨٧١ .

● **جنرال لوكونت** General Le compte

(١٨١٨ — ١٨٧١)

جنرال فى الجيش الفرنسى كلف فى ١٩ مارس سنة ١٨٧١ بالاستيلاء على مدافع الحرس الوطنى . أمر باطلاق النار على الجماهير . رفض جنوده تنفيذ الامر ثم أعدموه .

● **كليمان توماس** Clement Thomas

(١٨٠٩ — ١٨٧١)

جنرال فى الجيش الفرنسى قمع الحركة العمالية بوحشية فى يونيه ١٨٤٨ . قاد الحرس الوطنى أثناء حصار باريس وثبت فشله . قبض عليه فى ١٨ مارس ١٨٧١ فى حى مونمارتر وأعدم مع الجنرال لوكونت .

● **بول لافارج** Paul Lafargue

(١٨٤١ — ١٩١١)

ثورى فرنسى صهر كارل ماركس اشترك فى حركة الكوميونة فى الاقاليم ثم لجأ الى أسبانيا .

أسس سنة ١٨٧٩ الحزب العمالى الفرنسى أول حزب ماركسى فى فرنسا .

● **بارون هوسمان** Baron Haussman

(١٨٠٩ — ١٨٩١)

مدير أمن باريس أثناء حكم نابليون الثالث ، وسع شوارع باريس حتى يمكن استخدام سلاح المدفعية ضد الانتفاضات الشعبية وغير طبيعة الحرب فى شوارع باريس .

● **رانفيه** Ranvier (١٨٢٨ — ١٨٧٩)

نقاش وعضو الدولية الاولى وعضو اللجنة المركزية للحرس الوطنى ثم عضو مجلس الكوميونة وكذلك عضو فى لجنتها العسكرية وفى لجنة الرعاية العامة . قاتل ببسالة على المتاريس ثم هرب ولجأ الى انجلترا .

● **كاميلينا** Camélinat [١٨٤٠ — ١٩٣٢]

عامل زراعى ثم عامل صهر . حكم عليه بالسجن سنة ١٨٦٨ لانتمائه الى الدولية . عضو الكوميونة . كان مسئولا عن صك العملة . لجأ الى انجلترا بعد الهزيمة ثم عاد الى فرنسا وناضل فى صفوف الحزب الاشتراكى الفرنسى ثم الحزب الشيوعى الفرنسى .

● **توفيل فيريه** Théophile Ferré

[١٨٤٥ — ١٨٧١]

عضو الكوميونة ومندوبها فى الامن العام . ألقى القبض عليه بعد هزيمة الكميونة ونفذ فيه حكم الاعدام بعد أن قدم للمحاكمة العسكرية حيث قدم دفاعا عن حوادث الكوميونة .

● **تيزس** Theisz [١٨٣٩ — ١٨٨١]

عامل صياغة . حكم عليه سنة ١٨٧٠ لانتمائه للدولية وعضو مجلس الكوميونة ومندوبها فى البريد . لجأ الى انجلترا بعد هزيمة الكوميونة .

● **بونوا مالون** Bennit Malon

[١٨٤١ — ١٨٩٣]

عامل صباغة . حكم عليه سنة ١٨٧٠ لانتمائه للدولية . حكم عليه مرات عديدة بالسجن لانتمائه للدولية . عضو فى الكوميونة . لجأ الى سويسرا بعد هزيمتها وعاد الى فرنسا بعد صدور العفو العام وأصبح أحد قادة الحركة الاشتراكية الفرنسية .

● **ادوار فاليانت** Edmond Vaillant

[١٨٤٠ — ١٩١٥]

طبيب وعضو القسم الفرنسى للدولية ، عضو اللجنة المركزية للحرس الوطنى ثم عضو الكوميونة ومندوبها للمعارض . لجأ الى لندن ثم عاد الى فرنسا بعد العفو العام . وأصبح أحد قادة الحركة الاشتراكية الفرنسية .

● **بيير برودون** Pierre Prodhon

[١٨٠٩ — ١٨٦٥]

منظر الفوضوية والاشتراكية البرجوازية الصغيرة . ابن فلاح . اشتغل عاملا فى مطبعة . كان مناصرا للتجارة الصغيرة والانتاج الصغير وعارض الاضرابات وعمل النساء وكذلك الكفاح السياسى . الف كتابا بعنوان « **فلسفة الفقر** » رد عليه ماركس بكتاب عنوانه « **فقر الفلسفة** » . كان لفكره تأثير عميق على أعضاء القسم الفرنسى

التركيب الطبقى لضحايا الثورة المضادة

بلغ عدد الاشخاص المقبوض عليهم بتهمة الاشتراك فى الثورة ، كما جاء فى تقرير الجنرال « أبير » ٣٤٧٢٢ شخصا ، وان عدد الاشخاص الذين حكم عليهم من اصحاب المهن والحرف المختلفة كالاتى :

● ٢٩٠١ صحفى — ● ٢٢٩٣ بناء — ● ١٦٥٩ نجارا — ● ١٥٩٨ مستخدم تجارى — ● ١٤٩١ اسكافيا — ● ١٠٦٥ مندوب مبيعات — ● ٢١٠ صانع قبعات — ● ٢٠٦ عاملات حياكة — ● ١٧٢ طبيبا — ● ٦٣٦ استرجيا — ● ٢٢٧ سباكا — ● ٢٢٤ عامل صهر — ● ١٨٤ حفارا — ● ١٩٣ عقادا — ● ٨٦٣ نقاشا — ● ١٠٦ عمال تجليد — ● ٢٨٣ مثالا — ● ٦٨١ ترزيا — ● ٣٤٧ دباغا — ● ١٥٧ طحانا — ● ٧٦٦ حجارا — ● ٩٨ صانع آلات موسيقية .

للدولية الاولى ، وكذلك على الاعضاء الاشتراكيين فى كومونة باريس .

● **بيندى** Pindy

نجار . تمت محاكمته سنة ١٨٧٠ لانتمائه للدولية الاولى . عضو اللجنة المركزية للحرس الوطنى ثم عضو فى مجلس الكومونة . لجأ الى سويسرا بعد الهزيمة .

● **شارل ديليكلوز** Charles Delescluzes
[١٨٠٩ — ١٨٧١]

صحفى ثورى . اشترك فى كافة الثورات والهبات الشعبية حتى عام ١٨٧٠ وسجن ونفى تسعة عشر عاما من حياته . عضو مجلس الكومونة وعضو فى لجنة الرعاية العامة ومندوب للحربية واستشهد على المتاريس يوم ٢٥ مايو سنة ١٨٧١ .

● **جول فيرى** Jules Ferry [١٨٣٢ — ١٨٩٣]

عضو حكومة الدفاع الوطنى . قمع محاولة بلانكى للاستيلاء على الحكم يوم ٣١ اكتوبر سنة ١٨٧٠ . رئيس بلدية باريس قبل حوادث الكومونة . هرب الى فرساى . عين سنة ١٨٧٩ رئيسا للوزراء ، ونظم الحروب الاستعمارية فى الهند الصينية ومدغشقر .

● **ليون جامبيتاه** Lion Gambetta

[١٨٣١ — ١٨٨٢]

محام .. اشتهر بمعارضته لنابليون الثالث ، عضو حكومة الدفاع الوطنى ، نظم المقاومة ضد الالمان فى الاقاليم . عارض الاستسلام . تخلى عن آرائه اليسارية ، وانشأ « الحزب الانتهازى » عام ١٨٧٥ . دافع عن العفو العام عن انصار الكومونة عام ١٨٨٠ . واصبح رئيسا للوزراء عام ١٨٨١ .

● **ماك ماهون** Mac Mahon

[١٨٠٨ — ١٨٩٣]

مارشال فى جيش نابليون الثالث . وقع فى أيدى الالمان سنة ١٨٧٠ وافرج عنه بسمارك ليمكنه من قيادة جيش فرساى ضد الكومونة انتخب رئيسا للجمهورية عام ١٨٧٣ .

● **بسكال جروسيه** Paschal Grousset

[١٨٤٥ — ١٩٠٩]

صحفى معارض لنابليون الثالث وعضو فى الكومونة ومندوبها للعلاقات الخارجية . حكم عليه بالنفى الى جزيرة كاليدونيا الجديدة بعد الهزيمة . تمكن من الهرب من الجزيرة ولجأ الى لندن . انتخب بعد عام ١٨٩٣ نائبا اشتراكيا لباريس مرات عديدة .

● **لويس تروشو** Louis Trochu
[١٨١٥ — ١٨٩٦]

جنرال عينه نابليون الثالث حاكما عسكريا لباريس . أصبح بعد اعلان الجمهورية رئيسا لحكومة الدفاع الوطنى . قائد فاشل وعدو شعب باريس . أحد صانعى الاستسلام للالمان . خائن .

● **فرنسوا بازين** François Bazaine

[١٨١١ — ١٨٨٦]

مارشال فى الجيش الفرنسى . قائد الحملة الفرنسية فى المكسيك عام ١٨٦٥ حيث اشتهر بقسوته . قاد الجيوش الفرنسية اثناء الحرب الفرنسية ضد الالمان . استسلم للالمان على رأس جيش مكون من ١٢٠ الف جندى . حكم عليه بالاعدام سنة ١٨٧٣ لخيانته ، وخفف الحكم الى السجن . ثم تمكن من الهرب من سجنه .

● **فينوا** Vinoy [١٨٧٥ — ١٨٨٠]

جنرال فى جيش نابليون الثالث . عين فى ٢٢ يناير سنة ١٨٧٠ حاكما عسكريا لباريس . أمر بالاستيلاء على مدافع الحرس الوطنى فى ١٨ مارس سنة ١٨٧١ . تصدى يوم ٣ ابريل لهجوم جيش الكومونة على فرساى . وأمر باعدام قادته . اشترك بوحشية فى معارك الشوارع بين ٢٣ ، ٢٨ مايو سنة ١٨٧١ .

● أوريل دى بلادين
[١٨٠٤ — ١٨٧٧] Aurelles de Palladines

جنرال فرنسى موالٍ للملكية،قاد أحد الجيوش الفرنسية بعد اعلان الجمهورية .وإقاله جامبيتاه لفشله . وعينه تيير قائدا عاما للحرس الوطنى يوم ٤ مارس ١٨٧٠ . أحد جلادى الكوميونة .

● ارنست بيكار Jules Favre [١٨٢١ — ١٨٧٧]

وزير مالية حكومة الدفاع الوطنى ثم وزيرا للداخلية فى حكومة فرساى . نظم قمع كوميونات الاقاليم .

● جول فافر Ernest Picard [١٨٠٩ — ١٨٨٠]

محام وسياسى فرنسى . كان فى بداية حياته السياسية جمهوريا يساريا . ثم أصبح انتهازيا . أثناء حكم نابليون الثالث استولى على تركة عن طريق التزوير . أصبح وزيرا لخارجية حكومة الدفاع الوطنى . اتفق مع بسمارك على معاهدة الصلح . ثم عين وزيرا لخارجية حكومة فرساى من الد أعداء الكميونة والطبقة العاملة الفرنسية .

● أدولف تيير Adolphe Thiers
[١٧٩٧ — ١٨٧٧]

محام ومؤرخ وسياسى فرنسى من أنصار الملكية والمدافع الامين عن مصالح البورجوازية ، والعدو اللدود للاشتراكية ، أصبح وزيرا ثم رئيسا للوزراء بعد عام ١٨٣٢ ، وفى عام ١٨٣٤ قمع بوحشية انتفاضات باريس وليون التى كان فى أثنائها وزيرا للداخلية . رأس حكومة فرساى ودخل فى التاريخ كجلاد كوميونة باريس .

● بسمارك Bismarck [١٨١٥ — ١٨٩٨]

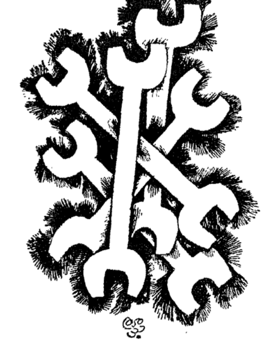
سياسى ودبلوماسى بروسى . أصبح من ١٨٧١ الى ١٨٩٠ مستشار أمبراطورية المانيا . قاد الحرب ضد النمسا سنة ١٨٦٦ ثم فرنسا سنة ١٨٧٠ . أعلن الوحدة الالمانية فى فرساى يوم ١٨ يناير سنة ١٨٧١ . ثم ساعد تيير فى قمع كوميونة باريس . من أعداء الطبقة العاملة والاشتراكية فى ألمانيا . أصدر القوانين المعادية للاشتراكية فى ألمانيا .

● لويس أوجست بلانكى
Louis Auguste Blanqui
[١٨٠٥ — ١٨٨١]

ثورى فرنسى اشترك فى كافة الثورات والانقلابات من عام ١٨٣٠ الى ١٨٧٠ . أسس عددا كبيرا من الجمعيات السرية . قضى ٣٦ سنة من عمره فى السجن ، كان له تأثيره العميق على الحركة الثورية الفرنسية على نهاية القرن التاسع عشر . كانت أغلبية اعضاء الكوميونة من أنصاره . كان بلانكى يستهين بدور الجماهير وكذلك اهمية النظرية الاشتراكية العلمية ، ويعتقد ان الثورة يمكن أن تتم بواسطة عدد قليل من الثوريين يستولون على الحكم . قبض عليه يوم ١٧ مارس ١٨٧١ ولم يتمكن من الاشتراك فى أحداث مرحلة الكوميونة ، وكان لغيابه أثر عميق فى سلبيات الكوميونة ، حكم عليه بالاعدام ثم خفف الحكم الى السجن المؤبد . رفض تيير تسليم بلانكى لثوار الكوميونة مقابل اسقف باريس . انتخب سنة ١٨٧٣ نائبا فى البرلمان الفرنسى، وهومسجون ولكن البرلمان رفض التصديق على قانونية الانتخاب . أفرج عنه فى نفس العام . دافع عن الطبقة العاملة حتى آخر لحظة من حياته .(*)



يوميات كوميونة باريس



١٨٤٨ ـ ٢٥ فبراير : سقوط الملك لويس فيليب ، واعلان الجمهورية ، وقد شاركت البروليتاريا الباريسية بدور حاسم فى الاحداث التى أدت الى سقوط الملكية .

٢٢ ـ ٢٦ يوليو : قامت البورجوازية الفرنسية بعمليات قمع دموية للبروليتاريا ، فقتل الجيش مئات من العمال الباريسيين أثناء معركة وحشية فى الاحياء العمالية .

١٨٥١ ـ ٢ ديسمبر : انقلاب لويس نابوليون بونابرت .

١٨٥٢ : اعلان الامبراطورية الثانية فى فرنسا .

١٨٦٤ ـ ٢٨ سبتمبر : تأسيس الدولية الاولى فى لندن بجهود مندوبى العمال من عديد من البلدان ، وبقيادة كارل ماركس .

١٨٦٨ ـ مارس : حل القسم الفرنسى للدولية الاولى ، واعادة تكوينه سرا ، بقيادة لويس أوجين فارلين ، أحد أعضاء الكوميونة البارزين فيما بعد .

١٨٧٠ ـ ٨ يوليو : القاء القبض على أعضاء القسم الفرنسى للدولية ومحاكمتهم .

١٧ يوليو : تعلن الحكومة الفرنسية الحرب على بروسيا .

اغسطس : هزائم الجيش الفرنسى فى اقليم الزاس ، وقيام مظاهرات شعبية فى باريس ومدن الاقاليم ، ضد النظام الامبراطورى .

٢ سبتمبر : استسلام الجيش الفرنسى فى سيدان ، ووقوع نابوليون الثالث فى الاسر .

٤ سبتمبر : اعلان الجمهورية فى باريس ـ تكوين حكومة الدفاع الوطنى ـ برياسة الجنرال تروشو .

١٨ سبتمبر : الجيوش الالمانية تحاصر باريس .

١٩ سبتمبر : جول فافير ، عضو حكومة الدفاع الوطنى يقابل بسمارك .

نهاية سبتمبر : تكوين اللجنة المركزية الجمهورية للاحياء العشرين ، التى تمثل شعب باريس والدولية والتيارات الاشتراكية الاخرى .. اللجنة تطالب بانشاء « كوميونة » لمواصلة الحرب .

٢٧ اكتوبر : استسلام الماريشال بازين فى مدينة ميتس ووقوع الجيش الفرنسى فى الاسر .

٣١ اكتوبر : فشل محاولة الجيش الفرنسى لفك حصار باريس ـ الحرس الوطنى يتظاهر فى باريس ويطالب بتغيير القادة الفاشلين ـ يحتل المتظاهرون مجلس البلدية ويعلنوا عن اجراء انتخابات بلدية فى صباح اليوم التالى ـ فى مساء ٣١ اكتوبر تفشل المحاولة وتحتل قوات تروشو مجلس البلدية ـ اصدار أوامر بالقبض على بلانكى وأنصاره .

٩ نوفمبر : يصل جامبيتاه ، عضو حكومة الدفاع الوطنى الى

الاقاليم لتنظيم المقاومة ضد الالمان .

٣٠ نوفمبر : فشل محاولة ثانية لفك حصار باريس فى مدينة **شامبينى** .

١٨٧١ — ٥ يناير : تصدر اللجنة المركزية للاحياء العشرين « المنشور الاحمر » ، يدين حكومة الدفاع الوطنى ، ويطالب باعلان « الكوميونة » .

١٨ ينـاير : اعلان الوحدة الالمانية فى **فرساى** .

١٩ يناير : انتصار الحرس الوطنى فى **بوزنفال** ، بالقرب من باريس .. يأمر تروشو بالانسحاب ، خوفا من الشعب .

٢٢ يناير : قمع مظاهرة من الحرس الوطنى الذى يحتج على خيانة حكومة الدفاع الوطنى .

٢٣ يناير : يقابل **جول فافر** بسمارك فى فرساى ، ويتفق معه على تسليم باريس .

٢٨ يناير : اعلان الهدنة .

٨ فبراير : اجراء انتخابات للجمعية الوطنية ، يسفر عن أغلبية ملكية مؤيدة « للسلام » مع الالمان ..بينما تنتخب باريس أغلبية جمهورية معادية للاستسلام .. تجتمع الجمعية الوطنية فى مدينة **بوردو** ، ثم فى فرساى ، بالقرب من باريس .

١٧ فبراير : تنتخب الجمعية الوطنية السياسى العجوز **تيير** ، العدو اللدود لشعب باريس ، رئيسا للسلطة التنفيذية ، لكى تتفادى الاختيار بين النظامين : الملكى والجمهورى .

٢٦ فبراير : التوقيع بالحروف الاولى لمعاهدة الصلح بين المانيا وفرنسا فى فرساى .. اعطاء اقليمى **الالزاس واللورين** للالمان .. احتلال ثلث الاراضى الفرنسية لحين دفع تعويض قدره ٥ مليارات فرنك .. تحديد قوات وتسليح الجيش الفرنسى .

١ مارس : توافق الجمعية الوطنية على معاهدة الصلح .. عرض عسكرى للجيوش الالمانية فى شوارع باريس .

٣ مارس : انشاء الاتحاد الجمهورى للحرس الوطنى .

١٠ مارس : تقرر الجمعية الوطنية الغاء تأجيل دفع ايجارات المنازل فى باريس .. كذلك تلغى مرتبات ضباط وعساكر الحرس الوطنى .

١٨ مارس : انتخاب اللجنة المركزية للحرس الوطنى فى باريس .. يأمر تيير بالاستيلاء على مدافع الحرس الوطنى فى حى « **مونتمارتر** » — الجماهير تتدخل — يرفض الجنود اطلاق النار على المتظاهرين — اعدام الجنرالين **لوكونت وكليمان توماس** رميا بالرصاص .. تقرر حكومة تيير الجلاء عن باريس ، والالتجاء الى مدينة فرساى .. تستولى اللجنة المركزية للحرس الوطنى على مجلس البلدية ، وتقرر اجراء انتخابات للكوميونة فى باريس .

٢٢ / ٢٥ مارس : محاولة قيام كوميونة فى **ليون** .

٢٣ مارس / ٤ ابريل : محاولة قيام كوميونة فى مارسيليا .

٢٤ / ٢٧ مارس : محاولة قيام كوميونة فى تولوز .

٢٤ / ٢٨ مارس : محاولة قيام كوميونة فى سان اتيين .

٢٤ / ٣١ مارس : محاولة قيام كوميونة فى ناربون .

٢٦ مارس : انتخاب مجلس كوميونة باريس بالاقتراع العام السرى .

٢٨ مارس : اعلان الكوميونة .. تتخلى اللجنة المركزية للحرس الوطنى عن السلطة لصالح الكوميونة .

٢٩ مارس : تشكل الكوميونة ٩ لجان ، لتحل محل **الوزارات** والادارات المهجورة .

٢ أبريل : تحتل جيوش فرساى ضاحية **كوربوفوا** .. تقرر الكوميونة فصل الكنيسة عن الدولة .

٣ أبريل : فشل محاولة من جانب جيش الكوميونة للهجوم على فرساى .. اعدام **دوفال وفلورانس** ، قائدى المحاولة وعدد كبير من الاسرى ، بدون محاكمة .

٦ أبريل : تصدر الكوميونة القرار الخاص بالرهائن ، ردا على اعدام اعضاء الكوميونة ، بدون محاكمة .

٨ أبريل : **جول فافر** يقابل **بسمارك** .. توافق المانيا على رجوع أسرى الحرب وزيادة قوات الجيش الفرنسى .

١١ أبريل : تضرب مدافع جيش فرساى أحياء باريس .

١٢ أبريل : قرار الكوميونة بوقف استحقاق الكمبيالات ، والغاء جميع الاجراءات القضائية الخاصة بها .

١٣ أبريل : قرار بهدم عمود **فاندوم** ، رمز انتصارات نابوليون الاول العسكرية .

١٦ أبريل : اجراء انتخابات تكميلية لمجلس الكوميونة .. تسليم الورش والمصانع التى تركها اصحابها الى التعاونيات العمالية .. مظاهرات فى بوردو وجرينوبل ، تأييدا للكوميونة .

٢١ أبريل : مندوبو [وزراء] اللجان التسع للكوميونة يتسلمون السلطة التنفيذية .

٢٢ ابريل : انشاء محكمة الثورة التابعة للكوميونة .

٢٨ ابريل : قرار بمنع العمل

ليلا فى المخابز .. توافق الكوميونة على « **الاعلان الموجه للشعب الفرنسى** » ، الذى يعتبر برنامجا سياسيا للكوميونة .. تسيطر آراء انصار بلانكى على هذا الاعلان .

أول مايو : تقرر الكوميونة ، باغلبية ٤٥ صوتا ضد ٢٣ صوتا انشاء لجنة للرعاية العامة .. تنقسم الكوميونة الى اغلبية واقلية ، مكونة اساسا من اعضاء القسم الفرنسى للدولية الاولى .

٢ مايو : اعلان القسم السياسى والمهنى للموظفين .

٤ / ٥ مايو : هجوم جيوش فرساى على تحصينات ضواحى باريس .

٧ مايو : قرار الكوميونة برد جميع الرهونات وعددها ٨٠٠٫٠٠٠ الى اصحابها ، فى حدود ما قيمته ٢٠ فرنكا .

٩ مايو : سقوط « تحصينات » **ايسى** ، وانتخاب لجنة جديدة للرعاية العامة .. تعيين **ديليكلوز** مندوبا مدنيا للحربية .

١٠ مايو : توقيع معاهدة الصلح مع المانيا فى مدينة فرانكفورت .

١٥ مايو : الاقلية بالكوميونة تصدر بيانا معاديا للجنة الرعاية العامة .

٢١ مايو : القسم الفرنسى للدولية ينتقد بيان اقلية الكوميونة المعادى للجنة الرعاية العامة .

٢١ مايو : جيوش فرساى تدخل باريس وتتقدم داخل احياء العاصمة .

٢٢ مايو : يستمر تقدم جيوش فرساى فى شوارع العاصمة .. اعلان للجنة الرعاية العامة : « **دقت ساعة الحرب الثورية** » .. اعدام اعضاء الكوميونة الاسرى رميا بالرصاص ، بدون محاكمة .

٢٣ مايو : استيلاء جيوش فرساى على حى **مونتمارتر** .

٢٤ مايو : مقتل **دجمروفسكى** قائد جيش الكوميونة على احد متاريسها .. اشتعال النيران فى عدد كبير من المنازل والمبانى العامة فى المدينة ، نتيجة لقذف مدافع جيش فرساى .. استيلاء جيوش فرساى على بنك فرنسا واللوفر ودار البلدية .. يستمر اعدام أسرى الكوميونة بدون محاكمات ، وشمل الاعدام النساء والاطفال .. الكوميونة تعدم عددا من الرهائن .

٢٥ مايو : الاجتماع الاخير لمجلس الكوميونة .. جيوش فرساى تحتل الاحياء الحادى عشر والثالث عشر .. استشهاد **ديليكلوز** ، المندوب المدنى للحربية على متاريس باريس .

٢٦ مايو : جيوش فرساى تحتل ميدان الباستيل ، وتعدم مئات من انصار الكوميونة .. الكوميونة تنفذ حكم الاعدام فى ٤٢ رهينة ، من بينهم أسقف باريس ، الذى رفض تيير تبادله مقابل **بلانكى** .

٢٧ مايو : معارك وحشية حول مدافن البير لاشاز .. **قتل واعدام ١٦٠٠ من انصار الكوميونة** .

٢٨ مايو : فى الساعة الثانية عشرة ظهرا ، **يسقط آخر « متريس »** .. **اعدام مئات من انصار الكوميونة** ، من بينهم « **فارلين** » عضو مجلسها وزعيم الدولية الاولى .

٣٠ مايو : يكتب **كارل ماركس** نداء المجلس العام للدولية الخاص بكوميونة باريس .

٣١ مايو : يتحدث تيير عن الارض المليئة بالجثث ، ويقول « هذا المنظر الرهيب سيكون بمثابة درس للمستقبل » .

نهاية مايو ــ يونيه : اعدام ١٧ الفا من انصار الكوميونة [حسب مصادر فرساى] ، او ٣٠ الفا [حسب تقديرات المؤرخين] .

٢٦ مايو ١٨٧١ ــ ديسمبر ١٨٧٤ : ٢٤ مجلسا عسكريا يصدرون أحكاما على ٨٠ طفلا و ١٣٢ سيدة و ٩٩٥٢ رجلا ، وتضمنت الاحكام ٢٧٠ حكما بالاعدام و ٤٠٠ حكم بالاشغال الشاقة ، و ٤٠١٦ حكما بالنفى ، و ١٣٢٦ حكما بالسجن ... الخ .. **تنفذ احكام الاشغال الشاقة والنفى فى جزيرة كاليدونيا** الجديدة فى المحيط الهادى ، فى ظروف قاسية .

١٨٧٦ : انعقاد مؤتمر عمالى فى باريس ، يؤكد ان القمع فشل فى تحطيم الحركة العمالية .

١٨٧٩ ــ اكتوبر : انعقاد مؤتمر مارسيليا ، الذى يؤسس فيه الحزب العمالى الفرنسى أول حزب ماركسى فى فرنسا .

١٨٨٠ ــ ٢٣ مايو : أول احتفال بذكرى الكوميونة فى مدافن **البير لاشاز** .

١١ يوليو : يوافق مجلس النواب ، ثم مجلس الشيوخ على العفو الشامل عن جميع المشتركين فى حوادث الكوميونة

١٨٩١ ــ ١٨ مارس : يكتب **انجلز** مقدمته لكتاب **كارل ماركس** « الحرب الاهلية فى فرنسا » .

١٩١٧ ــ اغسطس ــ سبتمبر : يكتب **لينين** « **الدولة والثورة** » ، مستخلصا دروس الكوميونة .

١٩٢٠ ــ ديسمبر : انعقاد مؤتمر الحزب الاشتراكى الفرنسى فى مدينة **تور** ، وتعلن أغلبية المؤتمر تأسيس الحزب الشيوعى الفرنسى .. ينضم **كاميلينا** ، الذى كان عضوا فى مجلس الكوميونة الى الاغلبية ، ويسلم أسهم جريدة « **الاومانيتية** » ، لسان حال الحزب الى الحزب الشيوعى الفرنسى .

١٩٣٢ : وفاة كاميلينا ، آخر عضو من أعضاء مجلس الكوميونة .

١٩٤٢ : **ادريان ليجان** ، آخر مشترك فى الكوميونة ، يتوفى فى الاتحاد السوفيتى .

نظـــرة مصـــرية

على تاريخنا الحضـــارى

ترددت طويلا قبل ان اضع مايشغلنى من فكر حول تاريخ مصر وعروبتها تحت انظار قراء « الطليعة » . فالتاريخ ليس مهنتى ، ولقد جبلت على احترام التخصص العلمى وعدم الزج بنفسى فيما لم اشتغل به . ولكن الواقع ان تاريخ الحضارة على ضفاف النيل قد شغفنى وشغلنى طوال حياتى الواعية قراءة وزيارة وتفكيرا . ونحن حين نشتغل بقضايا الاقتصاد والسياسة فى مصر المعاصرة لايمكن ان ندرك ابعادها ولانسبر اعماقها اذا لم نفهم من اين جاء شعبنا وما هى مكوناته الحضارية والنفسية وخصائصه الاصيلة . ومن ثم كان الترحال فى الزمن عبر التاريخ ضرورة لاستيعاب الواقع الراهن ، كما كان الترحال فى الارض عبر الحدود ضرورة لادراك روح العصر . وهكذا تجمعت فى الذهن افكار وملاحظات كثيرا ما شغلت الحديث مع مؤرخين وغير مؤرخين . واخيرا حزمت امرى ان اطرحها على جمهور المثقفين لعلها تحظى ببعض التأمل والمناقشة ..

د. اسماعيل صبرى عبد الله

لقد قال المؤرخ الكبير توينبى أن الحضارة المصرية منبتة الصلة بما سبقها وبما تلاها ، فحكم عليها من حيث أراد تمجيدها بالقيم والعقم فى آن واحد . والواقع أن تفرد الحضارة المصرية القديمة يبدو واضحا كل الوضوح فى اطار ما جرى عليه العرف فى دراسة تاريخ بلادنا من تقسيمه الى عصور ثلاثة متمايزة هى : مصر القديمة [الحضارة الفرعونية] ، والعصر اليونانى — الرومانى ، ثم العصر الاسلامى . ولكل عصر منها علماؤه المتخصصون الذين لايلمون بأحداث المصريين الاخرين الا فى حدود متواضعة . فعالم « المصريات » لايعنيه شىء مما حدث فى مصر الاسلامية ، لان مصر التى يعرفها اندثرت عندما وطأت أرض مصر أقدام قمبيز عاهل الفرس ، أو على الاقل حين الحقها الاسكندر الاكبر بالعالم الهلينيستى . وتاريخ مصر العربية جزء من دراسة أشمل هى التاريخ الاسلامى ، ولاصلة له مطلقا بما كان على شاطىء النيل قبل المقوقس .. وهكذا لم يكن التقسيم مجرد تحديد لفترات من تاريخ طويل تيسيرا لدراستها . ولم تكن العصور الثلاثة فصولا ثلاثة فى « دراما » شعب مصر التاريخية الرائعة . فالستار الذى يسدل فى نهاية كل عصر لايرتفع من جديد على اشخاص الدراما الاساسيين بعد ان اختفى منهم البعض واضاف اشخاصا جددا ، وتغير « الديكور » بل انه ينسدل الى الابد وكان مصر قد اخليت تماما من اهلها ليقطنها فى كل مرة شعب جديد .. !

وثمة اسباب كثيره تفسر نشأة هذا التقسيم الذى وضعه علماء اجانب ، وان كانت لا تسوغ استمراره على يد العلماء المصريين . فالتاريخ المصرى ضارب فى القدم . وفى حدود علمنا لايوجد على ظهر الارض شعب واحد له تاريخ مكتوب ومتصل منذ اكثر من خمسة آلاف عام غير الشعب المصرى . ومن ثم فانه من المستحيل علميا ان يتخصص العالم فى تاريخنا كله او ان يلم بكل مراحله الاساسية . ولكن «تقسيم العمل»

بين العلماء لاينبغى ان يفضى الى قيام اسوار منيعة بين المتخصصين فى كل فترة من فترات تاريخ واحد. ويضاف الى تلك الصعوبة « الزمنية » ، صعوبة لغوية . فاللغة المصرية القديمة منذ صورها الاولى حتى العصر المسيحى لابد منها لدراسة التاريخ القديم . ولكن منذ ارتبطت مصر بالعالم الهلينيستى ثم الامبراطورية الرومانية ، اصبح من الضرورى معرفة اليونانية واللاتينية للرجوع الى المصادر الاجنبية التى وصفت مصر اوحاولت ان تؤرخ لها . واستيفاء الدراسة العلمية يقتضى معرفة اللغة القبطية منذ ان انتشرت المسيحية فى مصر . اما مصر العربية فلا بد من اتقان لغة العرب للتفتيش عن تاريخها ومعالم حضارتها فى مؤلفات المؤرخين والجغرافيين الذين كتبوا باللغة العربية على امتداد دولة الاسلام ثم دولة من مشارف الصين الى ساحل الاطلسى .. وبعبارة اخرى لايجد المشتغلون بتاريخ مصر فى مختلف عصوره « لغة مشتركة » تيسر الحوار بينهم . على ان العامل الحاسم فى استقرار التقسيم الثلاثى هو المنهج الذى مازالت الغلبة فى الدراسات التاريخية والذى يتمثل فى التركيز على الملوك والاسر الحاكمة ومايقومون به من فتوح ومايقيمون من منشآت . ففى اطار هذا المنهج نسمع العالم الكبير **جيمس هنرى برستيد** يقول فى ختام كتابه العظيم عن مصر القديمة « ومنذ قمبيز لم يحكم مصر احد من ابنائها » . وما أيسر ان ننساق عندئذ الى توهم ان تلك الحضارة قد انتهت بسقوط آخر اسرة حاكمة مصرية . ولو كان التركيز فى البحث التاريخى على الشعب وعناصر حضارته المادية والفكرية لاختلفت النظرة تماما .

أسطورة العصر اليونانى الرومانى

ويكفى للتدليل على عدم دقة التقسيم الثلاثى النظر فيما يسمى « **العصر اليونانى ــ الرومانى** » .. ومن المعروف ان هذا الاسم يطلق على الفترة التى تمتد من دخول الاسكندر الاكبر مصر عام ٣٣٢ قبل الميلاد الى وصول عمرو بن العاص فى عام ٦٤١ ميلادية ، اى قرابة الف عام تغطى دولة البطالسة التى انهارت عام ٣٠ ق.م. ثم عصر سيطرة الرومان الغربيين حتى تقسيم الامبراطورية الرومانية ، ووقوع مصر فى نطاق حكم بيزنطة عام ٢٨٥ ميلادية واخيرا عصر السيطرة البيزنطية حتى وضع الجيش العربى حدا لها . **فهل انتهت** الحضارة المصرية القديمة حقا على يد الجيش المقدونى ؟ ان الوقائع المادية تثبت العكس تماما .

فدولة **البطالسة** كانت امتدادا كاملا للحضارة المصرية فى عناصرها الجوهرية . فمعظم الزراعة والرى والضرائب والادارة المركزية قد ظلت على ماهى عليه . واذا كانت اليونانية قد اصبحت لغة البلاط الملكى فتعلمها الحكام وبعض المثقفين ، فان اللغة المصرية ظلت لغة التخاطب اليومى والتعامل الادارى . و « حجر رشيد » الشهير دليل ناطق بعدم اندثار اللغة المصرية بالرغم من النفوذ اليونانى ، فالمرسوم الصادر من بطليموس الخامس قد نقش على الحجر المذكور اولا بالهيروغليفية [اى باللغة المصرية فى صورتها التقليدية الرسمية] وثانيا بالديموطيقية [وهو شكل اللغة المصرية المألوف فى ذلك الوقت] واخيرا جاءت ترجمته باليونانية . كذلك ظل المصريون على دينهم . بل ان بطليموس لم يتقدم الى الشعب كحاكم اجنبى ، بل كفرعون ولد من صلب آمون ، يتزيا بزى الفراعنة ، ويتقرب الى آلهة البلاد . واقام البطالسة فى طول البلاد وعرضها المعابد لآلهة مصر . ومعبد ادفو اكمل نموذج للمعبد المصرى القديم بناه احد البطالسة ، وصورة كليوباترا فى الزى الفرعونى مازالت بارزة على جدران معبد دندرة ... حقا هناك الوضع الخاص لمدينة الاسكندرية التى اصبحت عاصمة البلاد ووفدت عليها اعداد ضخمة من اليونانيين والمقدونيين واليهود وغيرهم . وفيها نجد نموذجا واضحا للعصر الهلينيستى ، عصر النفوذ الحضارى لليونان بعد انهيار دويلاتهم المستقلة امام جيوش مقدونيا . ولكن هذا النفوذ تفاعل مع الحضارة المصرية ولم يقتلعها بل اغتنى بها . واليونانيون فى الاسكندرية تأثروا بكل ماهو مصرى حتى فى الدين حيث كان اقصى مايسعون اليه هو التوفيق بين آلهتهم وآلهة مصر فيقولون ان تحوت هو هرميس وآمون هو زيوس ... الخ ، ثم اخترعت الاسكندرية الها جديدا باسم « سيرابيس » هو مزيج من اوزيريس وزيوس وبعض آلهة الاغريق الاخرين واقامت له معبد « سرابيوم » احد عجائب العالم القديم . والازدهار الثقافى الرائع لما سمى بمدرسة الاسكندرية هو ثمرة هذا التفاعل الحضارى . والاسماء الكبرى فى تلك المدرسة بعضها مصرى اصيل . فأفلاطون مؤسس الافلاطونية الحديثة واكبر فلاسفة ذلك العصر مصرى من ابناء اسيوط ..

وحين فتحت جيوش **اغسطوس امبراطور روما** ارض مصر والحقتها بالامبراطورية سلم حكام روما بوضع خاص لارض الفراعنة ومهد الحضارات فهى اقليم « امبراطورى » ، اى يتبع الامبراطور راسا ، ويحتفظ بنظمه الادارية والاقتصادية الخاصة به . وقياصرة روما الذين كانوا يؤلهون فى بلادهم كانوا يفدون الى مصر ليقدموا انفسهم الى اهلها فى زى فرعون وليمجدوا آلهة المصريين ويقيموا لهم المعابد [مثل معبد اسنا] . بل لقد اقيم معبد لايزيس فى روما نفسها . لقد كان البطالسة اسرة اجنبية حكمت مصر المستقلة وحاولت ان تسير فى الداخل وفى السياسة الخارجية سيرة كل الفراعنة الكبار منذ الاسرة الثامنة عشرة « مد النفوذ المصرى غربا فى برقة (حيث اقام البطالسة المدن الخمس الشهيرة التى مازال اسمها مجرد فى اللقب الرسمى لبابا الاسكندرية] . وفى الشام والنوبة . وفى ظل روما فقدت مصر استقلالها ، وخضعت لاستقلال اجنبى بشع ، ولكنها لم تتخل عن معالم حضارتها الاساسية المادية والفكرية فبقى النظام الاقتصادى والادارى ، وبقيت اللغة والدين تشهد جميعا باستمرار هذا الشعب العريق وبقدرته النادرة على استيعاب كل العناصر الاجنبية التى وفدت عليه واستقرت بأرضه واندمجت فيه . وبعبارة اخرى قدرة هذا الشعب على التجدد والاثراء بعناصر بشرية جديدة وعوامل حضارية حديثة دون ان يفقد شخصيته المتميزة .

ولم يتغير شىء من ذلك كله حتى ظهرت المسيحية واعتنقها المصريون افواجا .

عناصر الحضارة المصرية القديمة

وقبل أن نعرض لاثر اعتناق المصريين للمسيحية لابد من وقفة لذكر عناصر تلك الحضارة التى عاشت بمعالمها الرئيسية حتى القرون الاولى للمسيحية ، اى مايزيد على الخمسة والثلاثين قرنا .

وأول ما يلفت النظر هو **ارتباط تلك الحضارة بالنيل** واعتمادها عليه . فمصر حقا هبة النيل . وهى مثل نادر للبلد الذى تتوقف كل ذرة من الحياة فيه على مياه نهر واحد . ولولا النهر الخالد كانت مصر جزءا من الصحراء الكبرى يمتاز بشدة الجدب لقلة ما يصيبه من امطار تحملها الرياح الشمالية الغربية . ولا ينتقص ذلك من عبقرية الشعب المصرى فى شىء . فالماء وحده يفسر وجود الحياة ، أما بناء حضارة شامخة فهو من صنع الانسان . ونحن اذ نتحدث اليوم طويلا عن التنمية الاقتصادية يجب الا ننسى ان اسلافنا ضربوا اروع مثل لها حين خططوا للاستفادة بمياه النيل على النحو الامثل فشقوا الترع واقاموا الجسور وقسموا البلاد احواضا واستنبتوا الارض كل نبت طيب . وقد قال علماء تاريخ الحضارات بحق انها تزدهر حيث لا تكون الطبيعة من القسوة بحيث لا يجدى معها جهد الانسان ، ولا تكون سخية تغنيه عن كل جهد . مصر مصداق هذا النظر .

ومصر عرفت **الزراعة** منذ عصور سحيقة فارتبط شعبها بأرضها ، وكان فلاحوها طليعة للبشرية فى تطوير تكنولوجيا الزراعة . وباختفاء الرعى كنشاط اساسى ، اندثرت معالم المجتمع القبلى واندمج الانسان المصرى فى وحدات اقليمية اكثر تقدما ، القرية ، فالاقليم ، فمجموعة الاقاليم ، فمصر كلها بحدودها التاريخية ، ومهما صعدنا فى تاريخ مصر لا نجد اثرا للروابط القبلية ، والنقوش من عهد مينا تنسب الشخص دائما الى وظيفة او الى اقليم .

ومصر التى تعتمد على الزراعة المتقدمة ، تعتمد بالضرورة على **الرى من مياه النيل** . ومن ثم ظهرت الحاجة مبكرة لتنظيم اعمال الرى على مستوى مصر كلها . وكان التعبير السياسى عن تلك الحاجة هو ظهور **الدولة الموحدة المركزية** فى اواخر الالف الرابع قبل الميلاد . لم تنشأ الدولة عندنا تعبيرا عن سيطرة ملك او اسرة حاكمة . ولذلك لم تزل بزوال حاكم او اسرة ، بل استمرت اكثر من اثنين وخمسين قرنا توالت عليها خلالها ثلاثون اسرة حاكمة من الفراعنة وعشرات كثيرة من الاسر الحاكمة الاجنبية . وعبر كل تلك التغيرات كان جهاز الدولة الادارى — فى غير ما تعلق بالملك ومظاهره — بيد المصريين انفسهم ، لانهم وحدهم كانوا على علم باحتياجات البلاد وبوسائل مواجهتها .

وعلى خلاف معظم الحضارات القديمة لم تقم **الحضارة المصرية على الرق** . ذلك ان الزراعة الكثيفة ذات التكنولوجيا المتقدمة لا تستقيم مع

سخرة الرقيق . حقا لم تكن الارض ملكا للفلاح بمفهوم الملكية الفردية المعاصر ، بل كانت فى معظم الاحوال ملكا لمن تتجسد فيه سلطة الدولة: فرعون، الامبراطور الرومانى، المعبد او الكنيسة .... الخ . وأساس هذه الاوضـــــاع هو أن الزراعة باعتمادها على الرى المنظم لم تكن ابدا فى بلادنا نشاطا فرديا خالصا . وليس معنى هذا ان الفلاح لم يكن يقع عليه اى استغلال . بل لقد شهد الفلاح المصرى صنوفا متعددة من الاستغلال تفاوتت وطأتها من عصر الى عصر . والامـــر الذى يدعو الى الاعجاب هو انه بالرغم من ذلك لم يتخل عن ارضه او يهجر الانتاج ، ولو فعل لانطفأ نور الحضارة . ولكن الامر الملفت للنظر هو انه لم يكن يوما رقيقا يساق الى العمل سوقا. لقد تعلمنا من اوروبا تمجيد الحضارة اليونانية فى المجال السياسى لانها كانت تقوم على نظـــم ديمقراطية فى حين كان فرعون مصر الها يعبد ولا نرد له مشيئة . ولكن ما يغفله المؤرخون عادة هو ان المنتجين فى بلاد اليونان من زراع وصناع كانوا عبيدا لا وجود لهم كمواطنين فى المدينة . فى حين ان فلاح مصر كان انسانا يعد الملك من مفاخره انه هيأ له الامن والعدل .

كذلك تفردت حضارة مصر بين حضـــارات العـــالم القـــديم بأنها كانت **حضـــــارة ســـلام** قامت على التنمية والتقدم ولم تقم على الغزو والفتح . ان جيوش مصر جاوزت حدودها لاول مرة فى التاريخ متعقبة فلول الكهسوس . ومعنى ذلك ان حضارة مصر قد ازدهرت طوال خمســـة عشر قرنا من الزمان بجهد ابنائها وحدهم وبتنميتهم لموارد البلاد الطبيعية ، ودون التجاء الى نهب الشعوب المجاورة . ولم تكن تلك القرون عصر حضارة تحبو فى خطواتها الاولى ، بل انها شهدت بناء الاهرام والتقدم الفنى الرائع فى عهد الدولة القديمة ، كما شهدت اعمال الرى العظيمة التى تمت فى عهد الدولة الوسطى . ولم يحلم فراعنة مصر بسيطرة عالمية كما فعل الاسكندر او ملوك الاثيوبيين او الفرس او اباطرة روما وجيوشهم لم تتقدم فى بلاد الشام وتستقر بها الا تأمينا لحدود مصر الشرقية . وتحتمس الثالث عاد الى طيبة بعد أن وصل الى نهر الفرات دون ان تكون أمامه على الضفة الاخرى قوة كبرى تضع حدا لتقدمه .

حقوق المرأة فى المجتمع

وبين ماينبغى ان يعد من امجاد حضارة مصر القديمة **مركز المرأة فى المجتمع** . فوضع المراة فى الحضارات القديمة كان يقربها من الرقيق . والمجتمع الاثينى بفكره اللامـــع وفنـــه الرائـــع وديمقراطيته الشهيرة وجدله الذى لا ينقطع حول كل قضايا الوجود والحياة كان مجتمع رجال لا مكان للمراة فيه.. اما فى مصر فكانت الامور على خلاف ذلك . واذا تركنا جانبا فرعون وما يحيط به من اوضاع ملكية خاصة [تأليهه ، زواجه من اخته ، تعدد نساء حريمه ... الخ] نجـــد أن الوضع السائد فى مصر كان الزواج بواحدة ، وأن المرأة كان لها نفس الحقوق المدنية والدينية التى كانت للرجل ، وانها كانت تشاركه فى كل مظاهر الحياة . وتلك آثار اسلافنا نكاد لانجد فيها رسما لرجل لاترافقه زوجته ، سواء فى ذلك الفلاح فى حقله كما يبدو على جدران مقابر العمال فى دير المدينة ، او الموظف الكبير يخرج للصيد كما نراه فى مقابر النبلاء بالاقصر ، او الامير يرفع القرابين للالهـــــة .

واخيرا ساعد نظام الدولة المركزى ، واندثار النعرات القبلية والاقليمية وسهولة الانتقال عن طريق النيل على امتزاج العناصر البشرية التى كونت الشعب المصرى عبـــر القـــرون حتى انصهرت فى وحدة قومية ندر ان نصادف لها مثيلا فى العالم القديم . وكان **أصدق تعبير عن تلك الوحدة الشعبية خلال القرون الخمســـة والثلاثين كلها : وحدة الدين ، ووحدة اللغة .**

ولهذا كان أول تغيير جذرى اعترى الحضارة المصرية القديمة فغير من معالمها الرئيسية هو اعتناق المصريين للمسيحية . وكان التغييـــر الجذرى الثانى هو تبنيهم للغة العربية .

العصر القبطى

الثالوث الشعبى

وقد يبدو غريبا ان نعلق اهمية خاصة على هجر المصريين للوثنية ، فى حين ان تلك الظاهرة شملت فى الواقع كل حوض البحر الابيض المتوسط ولكن تلك الاهمية تبرز اذا لاحظنا ما اجمع عليه المؤرخون من الدور الخاص للدين فى الحضارة المصرية القديمة . وقد رأينـــا الفـــاتح الاعظم الاسكندر المقدونى يسعى حتى واحة سيوه ليقف بعتبات آمون متلمسا نسبا يهيئه للـــك مصر . وعلى سيرته تلك سار ملوك البطالسة وأباطرة الرومان . لقد كان الدين فى مصر القديمة عنصرا

بارزا من عناصر حضارتها ؟ وكان ايضا مظهرا فريدا لوحدة شعبها . ذلك انه بالرغم من تعدد الالهة وكثرة الاشكال التى تجسدت فيها ،وبروز بعضها خلال قرون كثيرة ثم اضمحلال شأنه لحساب البعض الاخر ، كانت هناك عقيدة مشتركة يؤمن بها المصريون كافة : ثالوث اوزوريس وايزيس وهوريس .

فالالهة المحليون فى الاقاليم المختلفة ، كانوا اربابا من الدرجة الثانية ليس لهم من اهمية الا فى حدود اقليم معين . كانوا اقرب ما يكون الى القديسين والاولياء ، لكل منهم منطقة نفوذ تشتهر فيها « كراماته » ، ولايتنافى الايمان بفضله مع الايمان بعقيدة اشمل واكمل . اما رع وآمون وبتاح واضرابهم فان عبادتهم كانت دينا ملكيا . ففرعون « الملك ــ الاله » كان بحاجة الى نسب الهى يؤسس عليه سلطته على البشر . وكان طبيعيا ان يكون اله الملك ووالده ملكا على الالهة وان يحيطه الملك بأعلى مظاهر التقديس ويبنى له افخم المعابد ويخصص لخدمته النصيب الاكبر من مغانم حربه وموارد ملكه .

اما الشعب العامل فقد وجد صورته فى اسطورة اوزوريس وايزيس وهوريس . فأوزوريس سيد الكون قد اختار مصر بين بلاد العالم ليؤسس لنفسه فيها مملكة .وعلم اهلها الزراعة انبل الحرف، ولقنهم اصول التحضر.وهو اله خير يجرى عليه ما يجرى على الانسان . يقع ضحية الغدر ويقتل ثم يبعث لحياة اخرى .ودورة حياته على صورة دورة الحياة فى ارض مصر . ففترة ملكه الزاهى تشبه شهور الخضرة حين تكتسى ارض الوادى والدلتا بكل نبت . وفترة موته بفعل سيت اخيه الشرير ، سيد الصحراء تشبه اشهر « التحاريق » حين تجف الارض فتصبح مواتا تذروها الخماسين قادمة من الصحراء . ومعجزة بعثه تتحقق كل عام حين تغمر مياه النيل الارض الموات فتدب فيها الحياة من جديد . وايزيس مثل أعلى للمراة ، فهى زوجة وفية ، وأم رءوم ،ومناضلة لاتيأس من اجل زوجها الشهيد وطفلها الوليد ، لاتقر لها عين حتى يستقر اوزوريس على عرش العالم الاخر ، وهوريس على عرش مصر مجددا سيرة ابيه . وانتصار الفتى هوريس على عمه الشرير انتصار للخير والعدل والجمال . لكل ذلك التفت قلوب المصريين حول هذا الثالوث . تدسه الملوك الى جانب آلهتهم الخاصة . وتقدسه سائر المواطنين اعظم من تقديسهم لاى اله محلى . وفى كل اقليم من اقاليم مصر قام معبد للثالوث الشعبى يسمى بيت أوزوريس ، وباللغة المصرية « بير ــ اوسيرى » التى حرفها الاغريق الى « بوصيريس » والتى أصبحت على لساننا العربى « ابو صير » ومن المعروف انه لاتكاد تخلو محافظة من محافظاتنا من قرية او موقع بهذا الاسم . وما زال عدد من مدننا وقرانا يحمل اسم هوريس : هور ــ دمنهور، سندنهور ــ اجهور ... الخ . وحين آل الحكم فى مصر الى ملوك اجانب تضاءل شأن « الديانة الملكية » وعلا فى زمن البطالسة والرومان شأن ايزيس واوزوريس حتى امتدت عبادة الثالوث المصرى بعيدا وراء حدود مصر . وكانت تلك العبادة سمة اساسية من سمات الحضارة المصرية ، ومظهرا اكيدا لوحدة الشعب المصرى. ولذلك كان هجرها الى المسيحية اول تغيير جذرى فى معالم حضارة مصر القديمة ، كان حقا بداية لعصر حضارة جديد .

الكنيسة المصرية

لقد اقبل الشعب المصرى على دين الناصرة اقبالا ليس له نظير . ومن المؤكد انه منذ القرن الثانى كانت اغلبية المصريين قد اعتنقت الدين الجديد . واول حملة ارهاب ضخمة ضد المسيحيين فى مصر امر بها الامبراطور ساويرس عام ٢٠٠ ميلادية . ومن الميسور تفسير هذا الاقبال . ففكرة التوحيد لم تكن غريبة عن المصريين ، وتجربة اخناتون فى هذا الشأن معروفة . والثالوث المسيحى قريب من الثالوث الاوزويرى. والصليب القبطى يكاد يكون صورة من « عنخ » علامة المياه عند المصريين القدماء . ومن ناحية اخرى كان الدين الجديد يستهوى الفقراء والمستغلين والمقهورين فى مختلف انحاء الامبراطورية . فأصحاب المسيح قوم بسطاء بينهم النجار والصياد . ودعوة المسيحية دعوة محبة فى عالم يسوده العنف الرومانى . والناس فى عرفها سواسية أمام الله لا فرق بين عبد مسترق ، وقن مستغل ومواطن رومانى ، ومهما يكن من أمر ، فسرعان ما اتحد الصراع الدينى والصراع السياسى ، واكتسب نضال المصريين من أجل عقيدتهم الجديدة طابع النضال ضد السيطرة الرومانية . واعمل المحتل الرومانى القتل والارهاب والتخريب ضد المقاومة المصرية كأبشع ما يصنع غاصب مع مقاومة . وضرب المصريون اروع الامثلة فى التمسك بالعقيدة والاستشهاد من اجلها . وبلغت « حمامات الدم » أنظع مدى على يد دقليانوس فى ٢٨٤ ميلادية ، عام الشهداء الذى يبدأ منه التقويم القبطى .

وحين تبنى الاباطرة المسيحية خفت حدة الصراع فى بادىء الامر . واحتلت الاسكندرية المركز الثانى بين المدن المقدسة بعد روما مباشرة ، وقبل القسطنطينية عاصمة الامبراطورية الشرقية . وذلك ان مصر اعطت الدين الجديد ولم تقنع بأن تأخذ . ففيها ظهر أعظم رجال اللاهوت فى القرون

المسيحية الاولى : اكليمنضس واريجنوس » ومن بطارقتها من لعب دورا بارزا فى تدبير شئون المسيحية كلها والتنظيم الكنسى مثل اثناسيوس وكيرلس .وكان المصرى الانبا انطونيوس مؤسس الرهبنة الفردية ، كما كان الانبا باخوم اول من انشأ ديرا فى تاريخ المسيحية كلها .

ولما حاول الاباطرة النيل من مكانة كرازة الاسكندرية وتقديم بطريك عاصمتهم رفض المصريون . حقا لقد كان لهذا الصراع بين مصر وبيزنطة جانبه الدينى الواضح الذى ظهر فى مجمع خلقدونية عام ٤٥١ وما اعقبه من قطيعة كاملة بين مسيحيى مصر ومسيحيى الامبراطورية ». ولكنه كان فى الوقت ذاته صراعا وطنيا ضد سيطرة بيزنطة وحكامها على مصر وشعبها . لقد توحد جانبا الصراع الى حد ان من اتبعوا رأى مجمع خلقدونية من سكان مصر كانوا يتكلمون اليونانية فأطلق على كنيستهم اسم « كنيسة الروم » . اما المصريون الاصلاء فقد انضموا بشكل شبه اجماعى الى كنيستهم الوطنية ». فالكنيسة القبطية تعنى الكنيسة المصرية ، لان كلمة قبط تحريف لليونانية « ايجيبتوس » المشتقة بدورها من كلمة « هايجتاح » احد اسماء مدينة منف العاصمة القديمة استعمله الاغريق للدلالة على مصر كلها . وخاض الشعب المصرى تحت قيادة بطاركة الاسكندرية نضالا طويلا ومريرا ».

تطور حضارى

ولذلك فانه يجب ان نتخلى عن فكرة « العصر اليونانى الرومانى » ونحل محلها «العصر القبطى» الذى يغطى قرونا ستة مرت ما بين اعتناق المصريين المسيحية وبين الفتح العربى . فقبل هذا لم يطرأ تغيير جذرى على عناصر الحضارة المصرية القديمة . اما فى العصر القبطى فقد ظهرت معالم جديدة .

فالدين المسيحى له لاهوته وفلسفته ..وقد دخل اساقفة الكنيسة المصرية ورهبانها ومفكروها فى نضال فكرى طويل مع مختلف المدارس الفلسفية والدينية التى كانت تزدهر فى الاسكندرية ». وتكون فى مصر **فكر فلسفى مسيحى جديد** تجاوز نفوذه حدود مصر ، ثم اصبح فى مرحلة تالية من مميزات كنيستها .

وتحت تأثير الدين الجديد وقيمه واخلاقياته ازدهر أدب جديد محوره بطولات الشهداء ومعجزات القديسين باعلاء القيم الدينية والروحية الجديدة ، بل لقد شهد هذا العصر حدثا خطيرا تمثل فى استخدام الابجدية اليونانية ، مضافا اليها سبعة رموز ديموطيقية فى كتابة اللغة المصرية كما كان يتكلمها المصريون آنذاك . وكان الدافع الى ذلك هو الرغبة فى تيسير الكتب المقدسة ورسائل البطاركة والقديسين من حيث النسخ والقراءة . فقد بادر المصريون الى ترجمة الكتب الدينية التى وردت اليهم باليونانية . وكان نشر الدين الجديد مصحوبا بانتشار القراءة والكتابة، وهكذا ظهر مايسمى « باللغة القبطية » التى لم تحظ منا بالقدر الكافى من الدراسة حتى الان . ولا شك ان فحص وتحليل المخطوطات القبطية القديمة سيساعد على القاء اضواء جديدة على حضارة مصرفى ذلك العصر، ويخرج المؤرخ المصرى من قيود الاعتماد الكامل على ماكتبه الاجانب [باللاتينية او اليونانية] عن بلادنا وشعبنا

واخيرا ازدهر فى العصر القبطى **فن جديد** ، تأثر بدون شك بالفن اليونانى والهلنيستى ولكنه اغترف من ينبوع الفن المصرى الاصيل الذى لم يكن تعبيره الحى قبيل ظهور المسيحية الطراز الرسمى المتدهور المتبع فى المعابد ، وانما الفن غير الرسمى المتطور . وهكذا كان للفن القبطى اصالته ، ولم يكن كالفن الرومانى مجرد محاكاة لفنون الاغريق ».

عروبة مصر

ثلاث ظواهر لم يفسرها المؤرخون

ولا شك ان اسوأ اثر للتقسيم الثلاثى لتاريخ مصر [العصر الفرعونى ــ العصر اليونانى الرومانى ــ العصر الاسلامى] بالطريقة السائدة حتى الان هو ذلك التعارض المدعى بين تراث مصر الحضارى وعروبة شعبها ». وكلنا نعلم أن الحجة الاساسية لخصوم القومية العربية هى تاريخ مصر القديم وحضارتها السابقة لحضارة العرب . وقد نالت هذه الدعاوى من بعض دعاة القومية العربية حتى اصبحوا ينظرون بعين الشك الى كل حديث عن مصر القديمة . نعم لقد لجأ المؤرخون الى طريقتهم المفضلة فى دراسة تاريخ مصر فاوقفوا مسيرته بضعة شهور حين جلا البيزنطيون [الروم] عن مصر منسحبين امام جيش عمرو بن العاص ، ثم اسدلوا الستار على كل مامضى ، وكأن مصر مرة اخرى قد اخليت من شعبها تماما ». وهكذا ظل استعراب مصر ، وهو التطور الحضارى الجذرى الثانى فى تاريخنا الطويل ، امرا يكتنفه الغموض وتضيع معالمه .

وليس ادل على فساد هذا المنهج من عجزه عن تفسير ظواهر ثلاث بالغة الاهمية : الاولى ، هى سهولة فتح العرب لمصر . والثانية ، هى انتشار اللغة العربية بسرعة لتصبح لغة كل المصريين . والثالثة ، هى انه حين تفككت دولة الخلافة وعرفت مصر من جديد حياة مستقلة بقيت بلدا

عزبيا ولم تتخلص من طابقها العربى . وبصدد الظاهرة الاولى يتوسع المؤرخون فى عرض عوامل العنف والتفكك فى داخل الامبراطورية الرومانية، وفى شرح اثر الصراع الطويل مع دولة الفرس فى اضعاف بيزنطة ، وفى الحديث عن سوء الادارة الرومية فى مصر والصراع الداخلى بين الحاكم العسكرى والرئيس الدينى . وكل تلك الجهود تصرفهم عن ادراك الحقيقة الناصعة، الا وهى ان الشعب المصرى لم يستقبل العرب كغزاة فاتحين ، وانما استقبلهم كمحررين من حكم الروم وعسفهم واستقلالهم . ولذلك اقتصرت العمليات العسكرية على الروم وبعض صنائعهم، ولم يتصد المصريون لمقاومة الجيش العربى بأى حال ، بل على العكس من ذلك يقول المقريزى فى هذا الشأن **« كان بالاسكندرية أسقف للقبط يقال له بنيامين ، فلما بلغه قدوم عمرو الى مصر ، كتب الى القبط يعلمهم انه لا يكون للروم دولة ، وأن ملكهم قد انقطع ، ويأمرهم بتلقى عمرو . فيقال ان القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو عونا »** .

والاسقف الذى يشير اليه الشيخ تقى الدين هو بنيامين الاول بطريرك الكنيسة المصرية من ٦٢٣ الى ٦٦٢ ميلادية . أما المقوقس الذى تشير النصوص العربية الى انه فاوض العرب على شروط التسليم ، فالغالب على الظن انه «قوروس» البطريرك الملكانى الذى فرضه الامبراطور هرقل على الاسكندرية وزوده بالسلطة المدنية كذلك . والذى غادر مصر بالفعل مع غيره من الروم . ويعود المؤرخ الكبير فيقول : **« اعلم ان أرض مصر لما دخلها المسلمون كانت باجمعها مشحونة بالنصارى . وهم على قسمين متباينين فى اجناسهم وعقائدهم ، أحدهما أهل الدولة ، وكلهم روم من جند صاحب القسطنطينية ملك الروم ، ورايهم وديانتهم باجمعهم ديانة الملكية ، وكانت عدتهم تزيد على ثلاثمائة الف رومى . والقسم الاخر عامة اهل مصر — ويقال لهم القبط — وانسابهم مختلطة ... وكلهم يعاقبة ، ومنهم كتاب المملكة ، ومنهم التجار والباعة ، ومنهم الاساقفة والقساوسة ونحوهم ، ومنهم اهل الفلاحة والزرع ... ويبلغ عددهم عشرات الالاف ، فانهم فى الحقيقة أهل أرض مصر اعلاها واسفلها . فلما قدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين الى مصر ، قاتلهم الروم حماية لملكهم ... وطلب القبط من عمرو المصالحة على الجزية فصالحهم ، واقرهم على ما بايديهم من الاراضى وغيرها ، وصاروا معه عونا للمسلمين على الروم حتى هزمهم الله تعالى واخرجهم من ارض مصر »** .

وليس ثمة اوضح من عبارة المقريزى . فأهل مصر الاصلاء ، الفلاحون ورجال الدين والتجار وصغار موظفى الدولة والصناع عاونوا العرب على التخلص من الروم الذين كانوا دخلاء يفرضون على مصر القهر الوطنى والدينى والاستغلال الاقتصادى والاستبداد السياسى . لقد نظر المصريون الى العرب كحلفاء يحملون شريعة سمحاء ، ويحملهم ايمانهم على تطهير ارض الانبياء من الحكم الاجنبى .

سرعة انتشار اللغة العربية

والظاهرة الثانية التى يتعين الوقوف عندها طويلا هى السرعة المذهلة التى تبنى بها المصريون اللغة العربية . لقد اجهد عدد من المؤرخين الغربيين انفسهم فى تقصى بقايا الحديث باللغة القبطية من بعض قرى الصعيد حتى القرن السابع عشر ، فى حين انهم اهملوا تقصى السرعة التى تبنى بها المصريون اللغة العربية . وفى دار الكتب المصرية رسائل وعقود مخطوطة باللغة العربية ترجع الى اوائل القرن الثالث الهجرى [العاشر الميلادى] بعضها بين اقباط ، وكثيرا ما تتخلله الفاظ قبطية مكتوبة بالخط العربى . ومنها يتضح انه فى حدود مائة عام او اكثر قليلا بعد الفتح العربى سادت اللغة العربية مصر . واذا قدرنا اننا نتكلم عن عصر لم يكن يعرف الطباعة ولا الصحافة ولا الاذاعة ولا التعليم العام ، اتضح لنا أن تلك فترة من الزمن قصيرة فعلا .

وقد حاول بعض المؤرخين تفسير هذه الظاهرة بالعامل الدينى : فانتشار العربية مصاحب لانتشار الاسلام . وهذا كلام لا يمكن قبوله على اطلاقه . حقا ان الاسلام يحفز على تعلم العربية لغة القرآن الكريم . ولكن الواقع المادى الملموس امامنا هو أن العرب الذين ينطقون بالضاد لاتزيد نسبتهم عن ٢٠٪ فقط من المسلمين . كما ان الاعتبار الدينى لا يفسر بحال تبنى الاقباط للغة العربية حتى فى كتبهم الدينية وشعائرهم الكنسية. فالاقباط قد تلقوا المسيحية فى نصوص يونانية ، فسارعوا الى ترجمتها الى القبطية ؛ وها هم اولاء ينقلون تلك النصوص من لغتهم الاصلية الى اللغة العربية .... !

وحاول البعض الآخر من المؤرخين تلمس التفسير فى سلطة الحكام العرب ، الذين فرضوا منذ اوائل القرن الثانى الهجرى العربية لغة رسمية لاجهزة الدولة فأرغموا بذلك المواطنين الاقباط

على تعلمها . وهذا قول مردود من ناحيتين : فمن ناحية اولى، فرض الحكام الاوربيون اللغة اليونانية لغة رسمية فى مصر لمدة قاربت عشرة قرون . وتمادوا فى ذلك حتى انهم ترجموا اسماء المدن والقرى والاقاليم المصرية الى اليونانية . ومع ذلك لم تقتلع اللغة المصرية ، ويوم غادر الروم ارض مصر استردت مدنها وقراها اسماءها المصرية العريقة التى مازالت تحملها — محرفة بعض الشيء — حتى الان ، فى حين اتخذت التجمعات السكانية الجديدة اسماء عربية خالصة . ومن ناحية ثانية ، ظلت اللغة العربية حتى العصر العباسى الثانى اللغة الرسمية فى كل انحاء ايران . ومع ذلك فما أن نشأت دولة ايرانية على يد الصفويين حتى اصبحت لغتها الرسمية الفارسية فى ثوب جديد : تكتب بالخط العربى وتحفل بالمفردات العربية ، ولكن تركيباتها الاساسية ونحوها وصرفها تعود الى الاصول المشتركة لاسرة اللغات الهندية الاوروبية .

والتفسير الوحيد المقبول عقلا لظاهرة سرعة انتشار اللغة العربية بين المصريين هو التفسير اللغوى . فقد كانت هناك علاقة قربى وثيقة بين اللغة المصرية واللغة العربية . فالاولى هى فى الاصل احدى اللغات التى تنتمى الى اسرة لغوية واحدة هى اللغات السامية الحامية . ومنذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد اختلط المصريون اختلاطا شديدا بالشعوب السامية المجاورة فى فلسطين والشام وجزيرة العرب ، فقد حكم المصريون فلسطين والشام لمئات السنين وأقام موظفون منهم هناك وصاهروا اهل البلاد ، ووفد من هؤلاء اعداد كبيرة استقرت بأرض النيل وكان منهم بعض ملكات مصر . وكانت اللغة « الاكاديمية » — كما تدل على ذلك بعض وثائق عصر اخناتون — لغة التخاطب الديبلوماسى فى منطقة الشرق كلها . وتعلم كثير من المصريين العبرانية والفنيقية والكنعانية والارامية والمؤابية ... الخ . كما أن العلاقات بين عرب شبه الجزيرة العربية فى اليمن او فى الحجاز وبين مصر عبر البحر الاحمر علاقات قديمة ، تشهد بها النقوش العربية القديمة فى وادى الحمامات .
وكانت حصيلة ذلك كله ان زاد الطابع السامى للغة المصرية وضوحا ، وامتلأت المفردات السامية . واذا اخذنا فى الاعتبار واقع ان اللغة الرسمية المنقوشة على المعابد كانت فى العصور المتأخرة تختلف الى حد بعيد عن لغة الحديث اليومى ، أدركنا أن هذه الاخيرة كانت أكثر تأثرا باللغات السامية . ومن المعروف ان الانتقال من لغة الى أخرى قريبة منها أيسر بكثير من تبنى لغة تنتمى الى اسرة اخرى .

وهذا الحديث عن اللغة ليس ترفا عقليا . فاللغة شاهد حضارى . انها وعاء الثقافة والفكر، ووسيلة الاتصال والتفاهم . ولذلك فان الشعوب التى تتحدث لفترة طويلة نفس اللغة لابد أن تكون لها حضارة واحدة ، أو بالقدر الادنى علاقات حضارية وثيقة . واذا تركنا جانبا المفهوم العنصرى العرقى للقومية العربية [وهو مفهوم غير علمى] وجدنا أنها تضم مجموعة الشعوب ذات الحضارة العربية ، اى التى اسهمت تاريخيا فى صنع تلك الحضارة ثم تمسكت بها وتعبدتها ومازالت تشعر بالانتماء اليها . وبهذا المعنى العلمى يكون المصريون — مسلمين واقباطا — شعبا عربيا اصيلا ، حمل الى الحضارة العربية تراثه المجيد .

شخصية مصر العربية

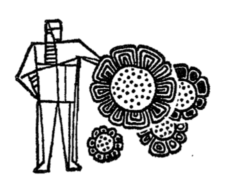
ولم يؤد استعراب مصر الى فقدان شخصيتها المتميزة . فقد كان لها دائما اوضاعها الخاصة، كما أن اهلها أسهموا اسهاما ايجابيا رائعا فى بناء الحضارة العربية . فالاساس المادى للحياة فى مصر ظل كما كان من قبل الزراعة الكثيفة القائمة على الرى من النيل ، والمعتمدة على شبكة القنوات والجسور . والسواد الاعظم من سكان مصر كان دائما من الفلاحين . والعرب الوافدين بعد الفتح سرعان ما هجروا وضعهم كجند واستقروا بالريف واحترفوا الزراعة . وكان التعبير السياسى عن استمرار الاساس المادى للحضارة ، هو استمرار جهاز الدولة المركزى بنظمه وضرائبه وموظفيه المصريين . ومن الملفت للنظر حقا انه لم يخطر على بال اى خليفة او حاكم ان يقسم مصر أو يجزىء حكومتها ، فقد ادرك الجميع وحدة مصر الاصيلة ، وضرورة استمرار حكومتها المركزية ، وحين تفككت دولة الخلافة استقل الطولونيون بمصر ، ثم تلاهم الاخشيديون . وفى العصر الفاطمى اصبحت مصر مقرا للخلافة ... الخ ولكنها ظلت فى جميع العصور دولة واحدة وموحدة ذات حكومة مركزية ، لها نظمها الاقتصادية والادارية الخاصة بها .

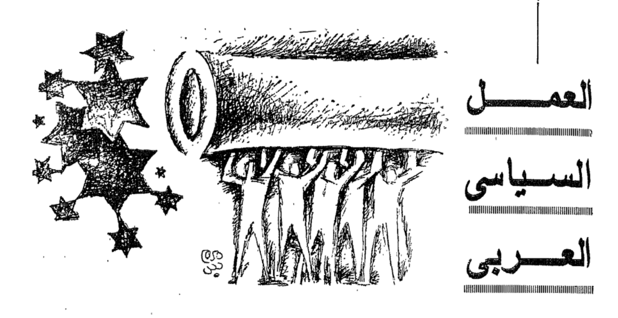
وكان لهذا الوضع انعكاسه الحضارى . فالتقويم المصرى القديم [المعروف باسم التقويم القبطى] ظل معمولا به فى كل ما يتصل بالزراعة والرى والادارة . وكان للمصريين اعيادهم الخاصة التى يحتفلون بها مسلمين ومسيحيين مثل عيد وفاء النيل وكسر الخليج ، بل ان بعض الاعياد ذات الطابع الدينى المسيحى اكتسبت طابعا مصريا عاما ، وشارك المسلمون فى احيائها مثل عيد النيروز وعيد الغطاس ، وعيد الشهيد العظيم مارجرجس . ومن يقرأ كتب المؤرخين

والجغرافيين والرحالة العرب يجد حديثا متهبا عن العادات الاجتماعية السائدة بين المصريين ، مسلمين ومسيحيين ، والتى كانت تميزهـم عن غيرهم من شعوبدار الاسلام .والواقع ان مصر مارست قدرتها التاريخية على الاستيعاب . فقد اندمج المهاجرون العرب منذ وقت مبكر فى حياة الشعب المصرى ، كذلك اندمج فيها كثير ممن وفدوا الىارضها كجنود او طلابعلم او أصحاب تجارة .

ومرة اخرى لم تكتف مصر بالاخذ ، بل اعطت . لقد اسهمتمصر اسهاما ايجابيا كبيرا فىالحضارة العربية الاسلامية . ومن ابنائها ظهر عدد كبير من رجال الفقه والادب والعلم شملت سمعتهم الوطن العـربى كله ، بل جـاوزته الى العالم الاسلامى . ويكفى ان نذكر اسـماء الشـافعى والليث بن سـعد والقلقشـندى والمقريزى وابن الهيثم .. بل لقد كانت مصر مقصدا دائما لكبار أهل العلم من كل بلاد الاسلام الذين كانوا يرون فى الاقامة بها ولو فترة من الزمان فرض عين لاستكمال المعرفة . وفى فترة الجزر الحضارى الذى تلا تفكك الخلافة وغزوات المغول وسيطرة الاتراك ، اصبح الازهر أعلى منارة للعلم في بلاد العرب وبلاد الاسلام ، صان الدين واللغة عبر أحلك العصور . ولا مجال للافاضة فى هـذا كله ، فهو حديث قريب معروف للكثرة .

وبعد ، فتلك ملاحظات اوحى بها الى كاتبها تأمل طويل فى تاريخ شـعبنا الذى اتخـذ من الحضارة صناعة . وجوهرها ابراز قدرة هـذا الشعب الرائعة على الانفتاح على كل تطـور حضـارى هـام دون ان يتخلى عن ارضـه او شـخصيته ، قدرته القـادرة على الاصـالة والتجدد فى آن واحد . ان هذا الشعب الذى بنى الاهرام ، هو نفسه الذى بنى سد اسوان العظيم.وهذا الشعب الذى لعب الدور الاساسى فى صد المغول وطرد الصليبيين الغزاة ، هو الذى يجب ان يلعب نفس الدور فى ضرب المعتدين الصهاينة واولئك الذين يقفون من خلفهم اعداء الداء لنهضة الشعوب العربية .





العمل السياسى العربى

بين الامكانيات الحقيقية والأوهام الخادعة

وديع وهيبا

أن حاجتنا الى العمل السياسى على النطاق الدولى لاتقل عن حاجتنا الى تدعيم قوانا العسكرية وحشد جماهير شعبنا من أجل المعركة ، فكلاهما يكمل الاخر ويدعمه ... ولكن ...

لكى يكون العمل السياسى العربى عملا فعالا ، يتطور مع الاحداث ويؤثر فيها ، يجب ألا يكون مجرد تحرك ايجابى فقط ، بل أن يكون – فى الاساس – عملا مستنيرا يستند الى العلم والتحليل الواقعى للظروف التى يعمل فيها والقوى التى يواجهها والتناقضات التى يمكنه – ويجب عليه – أن يؤسس نفسه عليها .

واذا كان الهدف الواضح والمحدد والذى لا لبس فيه للعمل السياسى العربى على النطاق الدولى فى الظروف الحالية هو عزل العدو الاسرائيلى وتعريته أمام المجتمع الدولى ، فان الدراسة الوافية والتحليل المحدد لظروف كل بلد وكل قوة عالمية هو وحده الكفيل بتبيان امكانية أو عدم امكانية تحقيق هذا الهدف ، ولا يجدر بالعمل السياسى العربى – بأية حال من الاحوال – أن يحدد له هدفا بعزل العدو عن قوة ما ما لم توضح الدراسة والتحليل أن هذا الهدف سيكون تطورا منطقيا للعلاقة بين القوتين لا يحتاج سوى للجهد العربى حتى تتحول الامكانية الى واقع ، وبدون هذا سيتخبط العمل السياسى فى الظلمة وسيلهث وراء الاوهام ، ولن يكون الهدف سوى سراب خادع .

واذا كنا لا نحتاج ازاء مجموعة الدول الاشتراكية الا أن نثبت من خلال عملنا كوننا أهلا

لتأييدها ومساعداتها ، ولا نحتاج ازاء القوى الوطنية فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية الا للمزيد من الجهد المتواصل الداعى لابراز الوجه التحررى والانسانى لنضالنا ، وأن صراعنا ضد العدو الصهيونى هو فى الاساس صراع ضد الاستعمار الجديد الذى يهدد هذه الدول نفسها ، فان الموقف بالنسبة لدول غرب أوروبا والولايات المتحدة الامريكية يحتاج الى وقفة أطول ، فعلى الرغم من اتفاق هذه الدول فى طبيعتها الرأسمالية الاستعمارية بشكل عام ، فان التناقضات الداخلية المتنافية للرأسمالية فى مراحل مختلفة تؤدى الى ظهور مواقف متعارضة ، فهذه الدول ازاء المشاكل العالمية ، لابد للعمل السياسى أن يضعها فى اعتباره بعد ادراك اتجاهها بدقة وما تحمله فى طياتها من امكانيات ، وحدود هذه الامكانيات ٠

ولعل موقف أيزنهاور من عدوان ١٩٥٦ ، وموقف ديجول من عدوان ١٩٦٧ من الامثلة الواضحة التى يجب تأصيلها حتى لا تستمر مصدرا يشيع البلبلة حول تحديد العدو من الصديق ، ولكى يرسى العمل السياسى العربى خطوطه على أسس واضحة من الخبرة والتحليل العلمى ٠

وهنا ، فلا نعتقد أن هناك خلافا فى أن موقف حكومة أيزنهاور ـ دالاس من عدوان ١٩٥٦ لم يكن بالقطع نابعا من العطف على قرار التأميم المصرى لقناة السويس ، أو من المعارضة المبدئية لاستخدام القوة ضد حركات التحرير ، ولم يكن موقف ديجول من عدوان ١٩٦٧ نابعا بالقطع من العطف على الحقوق القومية للعرب فى فلسطين ، فالامانى القومية للشعوب هى بدون استثناء موضع رفض ومقاومة من جميع ممثلى الرأسمالية الاحتكارية وحكامها فى كل البلدان ، بل الواقع أن أصول تلك المواقف ، كما أشرنا سابقا انما تكمن فى التناقضات الداخلية للرأسمالية العالمية وتطور العلاقة بين مكوناتها المختلفة ، وفى حالتنا هنا العلاقة بين رأس المال الاوروبى الغربى ورأس المال الامريكى وبين كليهما ورأس المال الصهيونى ٠

ايزنهاور ٠٠ و «الانزال الامريكى»

ليس من الغريب أن تكون حكومة أيزنهاور التى عارضت عدوان ١٩٥٦ فى الامم المتحدة هى نفسها أول حكومة أمريكية تأمر بنزول قواتها الامريكية فى لبنان فى عام ١٩٥٨ ! فلقد كانت الفترة هى مرحلة حصاد أحداث ما بعد الحرب العالمية الثانية بكل مادار فيها من صراعات ، ومن هنا كان مبدأ أيزنهاور « ملء الفراغ » ٠

لقد خرجت بلدان غرب أوروبا ـ بلدان الاستعمار الاوروبى التقليدى ـ من الحرب العالمية الثانية منهكة القوى ، ضعيفة البنيان الاقتصادى داخليا وضعيفة القبضة على مستعمراتها ، وكانت الفرصة سانحة أمام شعوب المستعمرات من ناحية للاندفاع نحو تحقيق استقلالها وسيادتها ، وأمام الامبريالية الامريكية ـ التى خرجت من الحرب كأقوى ما تكون ـ من ناحية أخرى لان تندفع نحو السيطرة الاقتصادية والسياسية على أوروبا وللحلول محلها فى مستعمراتها ٠

وفى خضم علو موجة تدفق رأس المال الامريكى كانت بيوت المال الصهيونية من أمثال بيت روتشيلد ولازار وكون ليب وغيرها من أنشط عناصر الارتباط الاوروبى الامريكى نظرا لما تتميز به من علاقات دولية خاصة ، ومن ايديولوجية كوزموبوليتية لا تضع أى حساب للمصالح القومية ، وكانت الاحتكارات الاوروبية ـ الامريكية المشتركة التى لعب فيها الرأسماليون الصهاينة دورا بارزا هى بعض وسائل رأس المال الامريكى للتسرب الى مستعمرات الدول الاوربية ، واذا كان هذا الوضع هو ما كان قد استقر ـ الى حد ما ـ فى عهد ترومان فان فترة أيزنهاور تميزت باندفاع الاحتكارات الامريكية لكى تحقق لنفسها اليد العليا ـ وليس مجرد المشاركة ـ فى تلك المستعمرات ، وذلك باستغلال كل الظروف لاضعاف مراكز الشركاء الاوروبيين أو حتى اجتثاثهم ، فكانت سياسة الاستعمار الجديد وما تبغيه بشكل محدد من احلال للقوى الاقرب الى السادة الامريكيين الجدد ـ تحت لافتات استقلالية ـ محل القوى والطبقات القديمة التقليدية التى تربت فى أحضان الاستعماريين القدامى ٠

لقد كانت الامبريالية الامريكية تجد نفسها ـ بحكم مصالحها ـ متحالفة مع رأس المال الصهيونى فى تناقض رئيسى مع شعوب المستعمرات ، وفى صراع ثانوى فى نفس الوقت مع دول أوروبا الغربية ٠

وعندما أممت مصر قناة السويس ، وضعت حكومة أيزنهاور ـ دالاس خطتها على أساس اضعاف كل من مصر وانجلترا وفرنسا وتقوية مركزها من خلال دعم مركز اسرائيل ، وأحداث الشهور من يوليو الى أكتوبر ١٩٥٦ بالغة الدلالة فى هذا الشأن ، الا أن اتفاقية سيفر الشهيرة ووقوع العدوان الثلاثى فى اكتوبر كانا قلبا للخطط الامريكية على طول الخط ، لقد كان نجاح الاتفاقية والعدوان يعنى **أولا** تقوية مراكز الاستعماريين البريطانى والفرنسى فى منطقة الشرق الاوسط ٠ **وثانيا** تهديد العلاقة الخاصة بين الامبريالية الامريكية والحركة الصهيونية فى منطقة الشرق العربى وعودة العلاقة التقليدية القديمة بين هذه وبين الاستعماريين البريطانيين والفرنسيين ،

وخروج الامريكيين صفر اليدين ·· وكان لابد أن تعارض حكومة أيزنهاور ـ دالاس الاتفاقية والعدوان ·

ولكن ما أن فشل العدوان ، وبدأ فى الافق خطر أن تذهب الثمار الى الحركة الوطنية العربية حتى كان مشروع أيزنهاور والانزال الامريكى فى لبنان والدس بعنف بشعار مكافحة الشيوعية ، حتى يضمن الامريكيــون مكانهم تحت شمس المشرق العربى ·

ديجول ·· والسـيطرة الامـريكية

وليس من الغريب ايضا أن يكون مــوقف أيزنهاور من عدوان ١٩٥٦ هو أحد الاسباب التى ولدت موقف ديجول من عدوان ١٩٦٧ ·

لقد جسد الموقف الامريكى أمام دول غرب أوروبا حقيقة أن القوة الامريكية هى لحمــاية المصالح الامريكية أولا وقبل كل شىء ، وكانت نتائج حرب السويس واحداثها مدعاة لتحركات سياسية واسعة أعادت تشكيل كثير من العلاقات ·

بسقوط اتفاقية **سيفر** عادت العلاقات الخاصة تتأكد بين **واشنطن وتل أبيب** بعد أن أدركت هذه أنه لابديل لها عن الامبريالية الامريكية ، وفى بلدان غرب اوروبا استسلم الاستعماريون البرتغاليون تماما للامبريالية الامريكية مكتفين بفتات الاحتكارات الامريكية فى مستعمراتهم وبالقيام بدور الجــلاد المباشر لشعوبها ، أما انجلترا فقد أسست ــ من خلال كثير من التعقيدات ــ ما سمى بــالعلاقة الخاصة بين بريطانيا والولايات المتحدة · أما فرنسا فقد حاول ديجول فى البداية أن يجعل هذه العلاقة الخاصة ثلاثية الاطراف ، وعندما فشل تحول الى المقاومة ممتطيا جواد رأس المال القومى الفرنسى ليقيم لفرنسا قوتها العسكرية الخاصة ·

اصطدم ديجول بالسيطرة الامريكية فى أوروبا وفى المستعمرات السابقة ، وفى خلال هذا الصدام وجد نفسه يواجه أيضا رأس المال الصهيونى داخل فرنسا وخارجها ، ان ديجول يشير فى مذكراته بحذر ــ خوفا من الاتهام بمعاداة الابن ــ الى بيت روتشيلد وهو من القوى التى وقفت تناوئه باعتباره أحد دعامات الامبراطورية الامريكية فى أوروبا ، ولم يكف عن ابراز موقفه من عــدوان ١٩٦٧ باعتباره أحد وجوه معارضته للسياسة الامريكية ومحاولة لاسترداد ما ضاع نتيجة فشل اتفاقية سيفر ، لقد دشن ديجول عهد المقاومة العلنية للسيطرة الامريكية على أوروبا ومستعمراتها ، وكان موقفه من عدوان ١٩٦٧ أحد نتائج هذه المقاومة ·

هــل من « ديجوليين » آخرين ؟

على الرغم من العلاقة البريطانية الامريكية الخاصة أو على الرغم من **الارتباطات الوثيقة بين بون وواشنطن** ، وعلى الرغم من الدور البارز للمستشارين العسكريين الامريكيين فى اليونان فان الدراسة الواقعية للتناقضات بين الرأسمالية فى العالم المعاصر ومع استعادة أوروبا لبعض قواها الاقتصادية لتبين أن اتجاه ديجول ليس ظاهرة فردية أو قسمة خاصة بفرنسا ـ رغم ملامح فرنسا الخاصة التى جعلتها أول من تشق عصا الطاعة ، بل ان العدد الاكبر من دول أوروبا الغربية لهى حبلى « بديجوليين » آخرين ، لقد عبرت جريدة **النيويورك تايمز** فى ٣ من ديسمبر ١٩٦٧ عن ذلك بقولها « ان الغضب من تصريحات ديجول يجب ألا يعمينا عن حقيقة أن الكثير من الدول الاوروبية تشاركه قلقه من السيطـرة الامريكية على أوروبا ، وتشاركه الامل فى قيام أوروبا متحدة لموازنة قوة الولايات المتحدة » ·

كما كتبت **صنداى تلجراف اللندنية** تقــول « الحقيقة أن ديجول يمثل الكثيرين منا بدرجة أكبر مما نريد الاعتراف به » ·

وبشكل عام فبقدر ما ينمو التمرد الاوروبى فى مواجهة السيطرة الامريكية بقدر ما تزداد امكانية اصطدام هذه الدول بالقوى الصهيونية فى بلادها واتخاذها موقفا موضوعيا تجــاه الاطمــاع الصهيونية فى الشرق العربى ، ولقد دللت خبرة السنوات الاربع الماضية أن دول غرب أوروبا أخذت تدرك شيئا فشيئا ، وبدرجات متفاوتة ، أن العدوان الصهيونى الامبريالى فى الشرق الاوسط وخاصة ما نتج عنه من اغلاق قناة السويس واشاعة التوتر فى منطقة البحر الابيض ليس بالامر الذى يحقق مصالحها وان حقق مصالح الامبريالية الامريكية ، ومن هنا تلك البــوادر الحقيقية التى تبدو هنا وهناك فى بلدان غرب أوروبا نحو الاتجاه الى اتخاذ موقف موضوعى ازاء أزمة الشرق الاوسط ·

ولا شك أن هناك فرصة حقيقية أمام العمل السياسى العربى ليلعب دوره فى انضاج وبلورة اتجاه بلدان غرب أوروبا ، هذا اذا ما اسس عمله على مناصرة القوى المناهضة للسيطرة الامريكية فى اوروبا ، والمساهمة فى عزل النفوذ الامريكى عن هذه البلدان ، وهكذا فان عزل العدو الاسرائيلى عن دول غرب أوروبا ليمر بالضرورة بعزل النفوذ الامريكى فيها ، والاقتراب والتحالف مع القوى المناهضة للسيطرة الامريكية فى دول غرب أوروبا توجد امكانية حقيقية أمام العمل السياسى العربى ، والمهم هو ادراكها ورسم السياسة الصــحيحة

لتحويل هذه الامكانية الى واقع فى أكبر عدد من دول غرب أوروبا ، ولن يكون تحقيق الهدف فى هذه الحالة سوى التطور المنطقى لتناقضات موضوعية تتواجد وتنمو بالفعل فى أرض أوروبا ٠

الصداقة السوفيتية ٠٠

أم الوعود الامريكية

ولكن ـ ان التصريحات والتحركات الامريكية تملأ سماء الازمة فى الشرق الاوسط فى الفترة الاخيرة بالذات ، ألا يخلق ذلك أمام العمل السياسى العربى امكانية لدفع الولايات المتحدة الى موقف جديد من عدوان ١٩٦٧ يشبه موقف أيزنهاور من عدوان ١٩٥٦ ، أو قريب من موقف فرنسا الديجولية ؟ ان هذا هو السراب الخادع ، فالتناقضات التى انبثق منها موقف أيزنهاور وموقف ديجول تنتفى هنا تماما ٠

ان دراسة العلاقة بين الامبريالية الامريكية ورأس المال الصهيونى الكبير لتؤكد ازدياد العلاقة توثقا بين القوتين طوال السنوات الاخيرة ٠ فمن ناحية ، ومنذ فشل اتفاقية سيفر وتدرك الحركة الصهيونية ألا بديل لها عن الولايات المتحدة الامريكية كالحليف الاقوى لتحقيق أطماعها ، وقد بذلت بالفعل كل جهد لتدعيم علاقاتها الخاصة بالامبريالية الامريكية ، ومن ناحية أخرى فان الولايات المتحدة وهى تواجه خطر نمو حركة التحرر العربية على مصالحها البترولية قد وجدت فى الانكشارية الاسرائيلية أكفأ قوة تعتمد عليها فى أرهاب الشعوب العربية خاصة بعد انهيار القواعد العسكرية وتزعزع مركز النظم الرجعية فى البلاد العربية وافتقاد الاسطول السادس الامريكى لحرية العمل فى شرق البحر الابيض بعد دخول الاسطول السوفيتى فى البحر ، بل ونجحت الصهيونية العالمية أيضا فى أن تقدم نفسها للامبريالية الامريكية باعتبارها قوة أساسية فى التخريب الاستعمارى فى البلدان الاشتراكية أيضا ، ومن هنا ذلك السيل من المال والعتاد الذى يتدفق على اسرائيل والصهيونية من الولايات المتحدة فى الفترة الاخيرة ٠

ان البعض يشيرون الى عدم ارتياح الولايات المتحدة الى قيام « دولة اسرائيلية كبرى » فى الشرق الاوسط ، وانها مهتمة أساسا بابقاء دولة اسرائيل فى وضع الدولة الضعيفة حتى تضمن استمرار تبعيتها لها ، وقد يكون هذا واردا بالفعل فى مخططات استراتيجية الولايات المتحدة طالما ضمنت عدم قيام « دولة عربية كبرى » أيضا ، وعلى كل حال فان سير الاحداث طيلة الفترة الاخيرة لا يشير أدنى اشارة الى ميكانيزم للاحداث ينبثق فوق مثل هذه المخططات ، وآخر تصريحات روجرز فى اسرائيل تؤكد الدعم العسكرى والمالى الكامل للدولة الاسرائيلية والتأكيد على الاحتفاظ بميزان التفوق العسكرى بين اسرائيل منفردة والدول العربية جمعاء ٠

من أين اذن تنبع سلسلة التصريحات والتحركات الامريكية الاخيرة ؟ الواقع انها تنبع من تناقض جد مختلف عن كل التناقضات السابقة ، هو التناقض بين الامبريالية والاشتراكية (أو ما يسميه الامريكيون بضرورة مواجهة « النفوذ السوفيتى » المتزايد فى المنطقة) وهو وجه آخر للتناقض بين الامبريالية والحركة الوطنية العربية ٠ ان مخططى السياسة الامريكية ينظرون اليوم الى الوضع فى المنطقة العربية من زاوية أن اهتزاز الزعامة القومية برحيل الرئيس **جمال عبد الناصر** وهجمات الحكم الاردنى على المقاومة الفلسطينية انما يتيح فرصة قد لا تتكرر لايقاع الهزيمة بحركة التحرر العربى اذا ما أمكن ضرب الدعامة الاخرى والهامة للصمود العربى وهى الصداقة السوفيتية العربية ، من هنا تأتى التصريحات والتحركات والوعود الامريكية التى تنهمر فى السر والعلانية أملا فى أن يشد بريقها الدول العربية بعيدا عن الصداقة السوفييتية العربية فتحل الفرصة للاجهاز على حركة التحرر العربى ٠

ومن هنا ، فان العمل السياسى العربى تجاه السياسة الامريكية لا يمكنه أن يقيم الامال حول التحركات الامريكية الاخيرة ، فان اللعب على التناقض الامريكى السوفيتى لن يقود الا الى خسارة أرض الصداقة السوفيتية فى مقابل وعود امريكية خادعة ، ومع ذلك يبقى للعمل السياسى العربى دور هام وخطير تجاه السياسة الامريكية يتمثل فى :

أولا : العمل على شل الاتجاه العدوانى للولايات المتحدة بتدعيم الجبهة العالمية المعادية للامبريالية الامريكية ، وهنا فان دور الاسطول السوفيتى فى البحر الابيض يقدم مثلا عن تحرك ناجح لشل عدوانية الولايات المتحدة ٠

ثانيا : استمرار العمل الدبلوماسى لعزل النفوذ الامريكى وبالتالى النفوذ الصهيونى عن دول غرب أوروبا لكسب أرضية أوسع فأوسع للعمل العربى ٠

ثالثا : الضغط بجدية على المصالح الامريكية فى البلاد العربية للتأثير فى الرأى العام الامريكى ٠

رابعا : متابعة دعم وتقوية حركة التحرر الوطنى العربية لا باعتبارها الركيزة الاساسية لتحرير الارض المغتصبة فحسب ، بل باعتبارها الشرط الاساسى والقوة الضارية التى تسمح لكل القوى الحليفة والصديقة بأن تمارس تأثيرها المطلوب على معسكر الخصوم والاعداء ٠



جذور أزمة النقد في العالم الرأسمالى

يوسف الحجاجى

ومرة اخرى تعود الازمة النقدية لتشتعل من جديد ، وتأخذ نفس الصورة السابقة التى حدثت عام ١٩٦٧ عقب تخفيض الجنيه الاسترلينى عندما اندفع الافراد الى تحويل الدولارات الى ذهب وعملات أخرى حيث بيع فى ((سوق لندن)) وحده ما يقرب من ٣٥٠ طنا من الذهب قدرت قيمتها بـ ٤٠٠ مليون دولار .. وتشير الاحداث الجارية الى نفس الموقف فيظهر الاندفاع المحموم ((وعمليات المضاربة)) للتخلص من ((الدولارات)) والحصول على ماركات المانية بعد ان ترددت الشائعات عن احتمال رفع سعر الصرف ((للمارك الالمانى)) . ومن قبل توقع الخبراء صورة قاتمة لمستقبل الدولار الامريكى . فاما أن يحدث التخفيض الفعلى لقيمة الدولار وفقدان مكانته كعملة رئيسية ظلت الولايات المتحدة تحافظ عليها قرابة ٣٧ عاما أى منذ تخفيضه فى يناير (١٩٣٤) واما ان تحدث الزيادة فى قيمة العملات الغربية النقدية مثل « المارك الالمانى » والفرنك السويسرى .

وقد صدقت نبوءة هؤلاء ، عندما قررت بنوك سويسرا والنمسا يوم ٩ مايو رفع قيمة عملتيهما « الفرنك السويسرى » بنسبة ٧٪ والشلن النمساوى بنسبة ٥ر٥ ٪ وذلك لحماية نقدهما من الهزات .. وقد كان ذلك القرار ايضا يعكس عدم القدرة على اتخاذ موقف موحد ازاء الازمة النقدية التي تفجرت خلال هذه الايام . ولا جدال فى أن حالة « التذبذب » المستمر لاسعار العملات النقدية الاوربية ليست سوى « البديل » الاخف لتخفيض قيمة الدولار واطلاق حرية أسعار الصرف لهذه العملات وهو ما يؤدى فى طريقه الى انخفاض « قيمة الدولار » بالنسبة للعملات الاوربية القوية .

ومن الواضح أن الظروف الحالية ليست مواتية لكى يحتفظ الدولار بمكانته السابقة .. وليصمد أمام الاهتزاز الذى قد يصيبه فى المستقبل ، **فالاحتياطات الذهبية** لدى الولايات المتحدة تقل — فى الوقت الحاضر — عن احد عشر مليار دولار ، فى حين ان الدولارات الموجودة لدى البنوك المركزية الاجنبية تصل الى ما يقرب من أربعين مليار دولار ، وتستطيع المانيا كما — يقول الخبراء — أن تجر الولايات المتحدة الى الافلاس ، وتقوم بتجريدها من « الاحتياطات الذهبية » . فمن المعروف أن احتياطات العملات الاجنبية الموجودة فى « **البوندس بانك** » الالمانى

تصل الى ٦٠ مليار مارك ؟ من بينها ٩ مليارات من الدولارات يتحتم على الولايات المتحدة أن تقبلها وتدفع فى مقابلها ذهبا ، هذا ، فى نفس الوقت الذى زاد فيه حجم الاحتياطى الذهبى فى المانيا الغربية عن مثيله فى الولايات المتحدة بحوالى ٦٠٠ ألف مليون دولار فى السنوات الاخيرة .

ومعنى ذلك انه من المحتمل ان يحتل « المارك » مكانة الدولار كعملة احتياطية بالنسبة لعملات الدول الاعضاء فى صندوق النقد الدولى . الا أن هذا يعنى — فى جوهره — تغيير الدور الذى تلعبه الولايات المتحدة كقوة عالمية .

وهكذا تبدو الصورة واضحة .. الخلاف يتصاعد ويشتد بعد اخفاق دول السوق فى الاتفاق على رأى حاسم محدد ازاء الازمة مما أدى الى حرية « أسعار الصرف » من ناحية ، ورفع أسعار بعض العملات النقدية من ناحية أخرى. وما يحمل ذلك كله من آثار على الدولار ومكانته العالمية .

وقبل الدخول فى تحليل العوامل الرئيسية التى أدت الى اشتعال الازمة النقدية العالمية بعد « تخفيض قيمة الجنيه الاسترلينى » فى يوم ١٨ من نوفمبر ١٩٦٧ يتعين علينا أن نشير الى أن التنافس والصراع بين الدول الرأسمالية هو السمة البارزة التى حددت العلاقات بينهما خلال السنوات الاخيرة .. فلقد استطاعت ألمانيا الغربية فى هذه المرحلة أن تنافس بشدة الدول الراسمالية الكبرى كانجلترا وفرنسا فى نطاق الاسواق العالمية ، واستطاعت بذلك أن « تراكم » أكبر قدر من الفائض التجارى » عن طريق « تضييق » الطلب المحلى وزيادة الانتاج المعد للتصدير ، وفى عام ١٩٦٧ على وجه التحديد ، أصبح لديها الفائض التجارى الذى وصل حوالى ٤٫٠٠٠ مليون دولار ، والقيام بعمليات استثمارية فى مناطق كثيرة حتى أصبحت « المقرض الثانى » بعد الولايات المتحدة الامريكية ، وفى الوقت الذى اشتعلت فيه الازمة فى باريس غداة الاضرابات التى اجتاحت العاصمة من جانب التكتلات العمالية للمطالبة بزيادة الاجور فى مواجهة الاسعار المرتفعة .. ثم زيادة حدة « المضاربة » « Speculation » من ناحية أخرى للاندفاع نحو المارك الالمانى توقعا من ان المارك سوف يعاد تقييمه ، طلبت الحكومة الفرنسية رفع قيمة المارك الالمانى لان هذا الاجراء من شأنه أن يقلل من الصادرات الالمانية الى الاسواق الخارجية ويتيح لفرنسا أن تغزو هذه الاسواق ، ولكن هذا المطلب قوبل بالرفض من جانب حكومة « بون » مما اضطر فرنسا الى تخفيض قيمة الفرنك الفرنسى يوم ٨ أغسطس عام ١٩٦٩ واستمر هذا الرفض من جانب المسئولين فى المانيا الغربية حتى اقدمت فى النهاية وفى شهر أكتوبر عام ١٩٦٩ على رفع « معدل الصرف » للمارك الالمانى « Exchange Rate » بـ ٨٫٥ فى المائة فأصبح الدولار يساوى ٣٫٦٦ مارك بدلا من ٤ ، وسوف نناقش فى الصفحات المقبلة الاسباب الرئيسية التى أدت الى رفع « معدل الصرف » للمارك الالمانى عقب خلافات وصراعات حادة نشبت بين أوساط المسئولين فى « بون » من ناحية وبين فئات مختلفة من الاحتكاريين سواء كانوا مصدرين أم مستوردين .. وفى الوقت الذى كانت فيه حكومة بون مصرة على موقفها قبل ان تقوم برفع معدل الصرف للمارك الالمانى كانت الازمة تتفاقم فى باريس ، وعقب « ايفان دايفدسون » المحرر الاقتصادى لصحيفة « الفاينانشيال تايمز » اللندنية قائلا : « ان موجة جديدة من « المضاربة » قد اشتعلت بشكل ملحوظ لمطالبة العمال بزيادة أجورهم وظهور بعض الاضطرابات الاخرى حيث ارتفع سعر الذهب الى مستويات عالية فى اسواق لندن وباريس حتى وصل الى ٤٣ دولارا لكل أوقية من الذهب وذلك هو أعلى سعر شهدته هذه الاسواق منذ فجر الازمة النقدية عقب تخفيض قيمة الاسترلينى » .

● ولكن ما هى السمات البارزة للازمة النقدية فى أرجاء العالم الرأسمالى ككل ؟ !! ومتى بدأت معالمها فى الظهور على وجه التحديد ؟ !! .. لقد تميز عام ١٩٦٨ بخصائص بارزة تعكس فى اتجاهها المراحل الرئيسية للازمة النقدية وكانت **المرحلة الاولى** تحمل فى طياتها الفقدان المستمر بالثقة فى « الدولار » كعملة دولية رئيسية، **وكانت المحصلة الواضحة أيضا لفقدان الثقة هى عجز الولايات المتحدة فى أن تؤكد الصلة ما بين الدولار والذهب ، أو بمعنى أكثر وضوحا أن تحافظ على سعر الذهب السائد الذى حدد منذ ٣٦ عاما بواقع ٣٥ دولارا لكل أوقية من الذهب** .. أما المرحلة الثانية فكانت تحمل فى جوهرها أيضا « حمى الذهب » (١) « Gold Fever » التى اجتاحت الاسواق النقدية العالمية للتخلص فى أقصى سرعة ممكنة من العملات التى اصابها الاهتزاز .. ثم تحركات « المضاربة الجماعية » والاندفاع نحو

---

(١) الطبعة الانجليزية من مجلة الشئون الدولية السوفيتية [٦] ١٩٦٩

الذهب ـ الاداة النقدية المأمونة ـ وقد أدى ذلك كله الى استنزاف الارصدة الذهبية لغالبية الدول الرأسمالية الكبرى وزيادة « الاكتناز » « Hoarding » بين يدى الافراد .. حينئذ اجبر أعضاء دول مجمع الذهب الدولى « Igp » ويضم كلا من : « الولايات المتحدة » بريطانيا ـ هولندا ـ بلجيكا ـ المانيا الغربية ـ سويسرا ـ ايطاليا (٢) أن يتخلوا عن الحفاظ لبقاء سعر الذهب عند المستوى الرسمى ٣٥ دولارا لكل اوقية ، واصبحت الدعوة ملحة وعاجلة لاجتماع مديرى البنوك المركزيةلدول مجمع الذهب لانقاذ الدولار والرصيد الذهبى للولايات المتحدة ، ففى تلك المرحلة الحاسمة كان مخزون الذهب الامريكى فى « فورت نوكس » « Fort Knox » قد هبط الى المستوى الحرج ١٠٠٠٠ر١٠ مليون دولار مما اضطر الحكومة الامريكية الى اعفاء البنوك التجارية من « الرصيد الذهبى » ، وكانت السلطات هناك بصدد تشريع باعفاء بنوك الاحتياطى الاتحادية الاثنى عشر [التى تشكل فى مجموعها البنك المركزى] ، من شرط الاحتفاظ برصيد ذهبى لايقل عن ٢٥ فى المائة من البنكنوت المصدر .. (**راجع مصير الدولار الامريكى تأليف : د. اسماعيل صبرى عبد الله ـ مؤسسة أراك للنشر عام ١٩٦٨**).

● ولقد تمخض مؤتمر واشنطن لمديرى البنوك المركزية الذى عقد فى شهر مارس عام ١٩٦٨ وأستمر يومين متتاليين عن وجود سعرين للذهب:

● « السعر الرسمى » بواقع ٣٥ دولارا لكل أوقية من الذهب ، وهو سعر المعاملات الرسمية بين البنوك المريزية والحكومات .

● « سعر السوق الحر » الذى يتحدد طبقا لعلاقات « العرض » و « الطلب » .

وعندما فتحت ابواب سوق الذهب بلندن صباح أول أبريل عام ١٩٦٨ على وجه التحديد ارتفع سعر الذهب فى « السوق الحر » الى ٣٨ دولارا لكل اوقية من الذهب **وكان ذلك الارتفاع الملموس هوما تخشاه الولايات المتحدة وتتجنب عواقبه الوخيمة، لان أى تخفيض فى « قيمة الدولار » نسبة الى الذهب(٣) سوف يدمر الثقة حتمافى الدولاروكمانته الدولية وفى المركز المالى للولايات المتحدة الامريكية ، ومن ثم كانت الرغبة المستمرة والملحة لحكومة الولايات المتحدة هى الحفاظ دائما على سعر الذهب هابطا للابقاء على مركز الدولار وهيبته أولا ، وكشكل من أشكال الحرب الاقتصادية ضد الاتحاد السوفيتى ثانى دولة منتجة للذهب بعد جنوب أفريقيا ثانيا ...**

وللحيلولة دون رفع سعر الذهب كانت الولايات المتحدة الامريكية تقوم ببيع كميات هائلة من رصيدها الذهبى حفاظا على السعر السائل للذهب الذى حددته منذ ذلك التاريخ ، وازاء عدم القدرة على الحصول على « السعر العادى Mormal Price » خفضت شركات تعدين الذهب انتاجها شيئا فشيئا ، كما أن شركات أخرى خرجت من نطاق هذه الصناعة ، لكن هذا الاتجاه قوبل بزيادة الانتاج من مناجم جنوب أفريقيا وتحققت الارباح رغم هبوط سعر الذهب نتيجة لظروف العمل شبه الاجبارية التى فرضت على العمال الافريقيين . بيد انه فى نهاية المطاف هبط مستوى الانتاج فى جنوب أفريقيا وأصبح « العرض » لزيادة الذهب أقل بطئا من الحاجة اليه كسلعة نقدية فى نطاق التجارة الدولية ، كما أن الاحتياطى المركزى للذهب المتاح للتسويات الدولية قد ازداد بشكل بطىء واتجه الى الهبوط ، ففى عام ١٩٣٨ كانت تجارة العالم الرأسمالى برمته أقل من الاحتياطى الذهبى (٤) الموجود فى العالم ـ وفى عام ١٩٦٠ تغيرت الصورة بشكل ملموس فأصبحت تجارة العالم الرأسمالى أكثر خمس مرات من الاحتياطى الرأسمالى أكثر ثلاث مرات من الاحتياطى الذهبى ـ وفى عام ١٩٦٧ اصبحت تجارة العالم الذهبى ، وبدلا من أن يوجد الذهب الكافى لدفع واردات عام واحد كما كان الوضع فى عام ١٩٣٨، أصبح لدى الدول الرأسمالية ما يكفى فقط لدفع واردات ١٠ اسابيع (راجع مجلة Peace Freedom and Socialism

مشكلة السيولة :

ومن هنا برزت مشكلة « السيولة » « Hoarding » التى كانت تعكس التعثر النسبى للذهب، واحتياطى العملة خلف التجارة العالمية ، ففى المرحلة مابين ١٩٦٠ حتى عام ١٩٧٠ نجد أن حجم الاصول الدولية السائلة قد ازداد حوالى ٣ر٢٢ فى المائة بينما زاد حجم الواردات العالمية ٧٠ فى المائة

---

[٢] وقد تكون « مجمع الذهب » من هؤلاء الاعضاء للحفاظ على سعر الذهب عند المعدل الرسمى الذى حددته الولايات المتحدة فى يناير ١٩٣٤ عقب تخفيض قيمة الدولار واستمر المجمع بكامل عضويته الى ان انسحبت منه فرنسا فى يونيو ١٩٦٧ ، وكان ذلك الانسحاب بداية الانفراط والتفكك ..

[٣] الطبعة الانجليزية من مجلة السلم والحرية والاشتراكية [١٩٦٨] [١٠] ، [١١]

[٤] النظريات المعاصرة للعلاقات الاقتصادية الدولية .. الترجمة الانجليزية موسكو ١٩٦٩ « رومكين » .

ويستخدم تعبير « السيولة » فى هذا المجال لكى يصف قدرة البنك لتسويه الالتزامات المالية عندما تصبح مستحقة ، كما أن السيولة الدولية تتضمن أيضا قدرة البنك المركزى ــ لدولة ما ــ لكى يسوى فى وقت محدد التزاماته المالية الاجنبية المتولدة من التعامل التجارى أو من خلال عمليات أخرى ، كما تتضمن قدرته لتحويل أى فائض فى ميزان المدفوعات الى ذهب ، ومن ناحية أخرى نجد أن درجة السيولة الدولية وتقلباتها تعتمد الى حد بعيد على حالة ميزان المدفوعات الذى يظهر كل المدفوعات من والى دولة اجنبية خلال مرحلة محددة ــ ولتكن عاما ــ وتمشيا مع هذا الاتجاه نجد أن « ميزان المدفوعات الموافق » يؤدى الى خفض الالتزامات والالتزامات القصيرة الاجل وزيادة تراكم الاحتياطات الدولية فى شكل ذهب ، ومن ثم يؤدى الى زيادة درجة السيولة الدولية،(٥) وعلى النقيض من ذلك الاتجاه نجد أن ميزان المدفوعات المعاكس يؤدى الى زيادة الالتزامات القصيرة الاجل ، وعلى ذلك فان العنصر الجوهرى للسيولة الدولية لدول العالم الرأسمالى هو احتياطات الذهب الموجودة تحت تصرف البنك المركزى، وفى ظل النظام الرأسمالى تضم صناديق الاحتياطى الدولى بالاضافة الى كميات الذهب ــ العملات الأجنبية الرئيسية ، وعلى الاخص « الدولار » « والاسترلينى »

● ومن خلال هذا الشكل يتبين لنا واضحا ان هناك الهبوط الملموس فى « السيولة الدولية » فى اطار العالم الرأسمالى فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية كان احتياطى الذهب لهذه الدول قد وقف عند أقل من الثلث لقيمة الواردات السنوية وأخذت هذه النسبة فى الهبوط شيئا فشيئا وبدون انقطاع خلال السنوات الاخيرة ، وقبيل اشتعال الحرب الثانية كان احتياطى الذهب يفوق بكثير قيمة الواردات لهذه الدول بحوالى ١٠ فى المائة وكان هذا الفائض الملموس يعود جزئيا الى الزيادة فى سعر الذهب والهبوط فى حجم التجارة العالمية ،ومن ناحية أخرى نجد ان درجة « السيولة الدولية » فى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا تعتمد الى حد كبير على نسبة احتياطى الذهب الحالى الى المديونية القصيرة الاجل ، ففى خلال سنوات ما بعد الحرب كانت « الديون القصيرة الاجل » تزداد بشكل واضح اكثر مما كانت عليه قبيل الحرب ، فلقد دمرت الحرب الثانية امكانيات كثير من الدول المتحاربة ، بينما لم تصب الولايات المتحدة بسوء يذكر بالمقارنة الى بريطانيا التى زادت « مديونيتها » خلال سنوات الحرب وقد

السيولة الدولية لدول العالم الرأسمالى [٦]

	١٩٣٨	١٩٤٨	١٩٥٢	١٩٥٧	١٩٦٢
احتياطى الذهب والصرف بالعملات الاجنبية حتى نهاية العام [بالمليون دولار]					
● الذهب	٢٦٫٠٠٠	٣٢٫٨٠٠	٣٣٫٦٠٠	٣٧٫٠٠٠	٢٩٫٢٠٠
● الصرف بالعملات الاجنبية	١٫٨٠٠	١٣٫٤٠٠	١٣٫٢٠٠	١٥٫٩٠٠	٢٢٫٠٠٠
● الاجمـــالى	٢٧٫٨٠٠	٤٦٫٢٠٠	٤٦٫٨٠٠	٥٢٫٩٠٠	٦١٫٢٠٠
الواردات [بما فى ذلك تكاليف الشحن والتامين] بالمليون دولار	٢٣٫٦٠٠	٦٠٫٠٠٠	٨٠٫٠٠٠	١٠٧٫٠٠٠	١٣٠٫٠٠٠
« اسس السيولة الدولية الاحتياطات لنسب الواردات					
● الذهب	٪ ١١٠	٪ ٥٥	٪ ٤٢	٪ ٣٥	٪ ٣٠
● الصرف بالعملات الاجنبية	٪ ٧	٪ ٢٢	٪ ١٦	٪ ١٤	٪ ١٧
	٪ ١١٧	٪ ٧٧	٪ ٥٨	٪ ٤٩	٪ ٤٧

[٥] نفس المرجع السابق

[٦] « الاحصاءات المالية الدولية »الطبعة الانجليزية عام ١٩٦٥ صـــندوق النقد الدولى Imf

بعدها أيضا ، ولقد أدى ذلك الوضع الى تدهور بالغ الخطورة فى « السيولة الدولية » مما اثر بدوره على موقف الدولار والاسترلينى وهما العملتان الرئيسيتان فى نطاق التجارة العالمية •

لم يعد الدولار مرادفا للذهب ؟

لقد حملت الحرب العالمية الثانية أسوأ الاثار وأفضلها فى نفس الوقت ، فمن ناحية الدمار والخراب دمرت هذه الحرب دولا كثيرة كاليابان وايطاليا وفرنسا ـ وبريطانيا مثلا ـ بينما لم تصب الولايات المتحدة بسوء يذكر فى نطاق امكانياتها الاقتصادية ، وترتب على هذا أن زاد الانتاج الامريكى خلال سنوات الحرب ، كما استطاعت الولايات المتحدة ان تشترى من حلفائها الاستثمارات فى الخارج ، واحتلت الولايات المتحدة بذلك مكانا فريدا فى التجارة العالمية فلقد كانت صادراتها تمثل فى الغالب ٢٣ر٧ فى المائة من اجمالى الصادرات العالمية فى حين أن الدول الصناعية العشر (بريطانيا ـ فرنسا ـ بلجيكا ـ هولندا ـ السويد ـ سويسرا ـ كندا ـ اليابان ـ ايطاليا) لا تمثل صادراتها سوى ٢٦ر٧ فى المائة ، او بمعنى اخر : كانت الولايات المتحدة تعادل مكانتها مكانة الدول الرأسمالية مجتمعة ، أما دول السوق المشتركة فلم تكن تمثل سوى ١١ فى المائة من الصادرات العالمية ، وكانت محصلة ذلك باختصار أن توالى تدفق الذهب الى « فورت نوكس » ـ حيث مخازن الذهب الامريكى حتى أصبح « الرصيد الذهبى » للولايات المتحدة يمثل ٧٥ فى المائة للرصيد الذهبى العالمى فى نفس الوقت الذى يصل فيه نصيب دول السوق المشتركة أكثر من ٤ر٤ فى المائة ـ ولقد ادى العجز المستمر لموازين المدفوعات لدول غرب اوربا فى هذه المرحلة العصيبة أن تسدد ديونها تباعا بالذهب،وأصبحت بذلك غير قادرة على انتحافظ على رصيدها الذهبى ففقدت فرنسا ذهبا بحوالى ١ر٤٥١ مليون دولار ، والسويد بحوالى ٤ر٠٠٠ مليون دولار ، والارجنتين فى أمريكا اللاتينية بـ ١ر٠٠٠ مليون دولار ، ومن ناحية أخرى كانت الولايات المتحدة تقبل الدولارات المقدمة لها من البنوك المركزية للدول الاخرى عند المعدل الثابت الذى يصل الى **٣٥ دولارا لكل أوقية من الذهب لانها كانت من قبل قد قامت « بتثبيت » سعر الذهب عند هذا المستوى بالرغم من أن الاسعار العالمية للسلع قد ارتفعت** **عقب تخفيض الدولار بمعدل يتراوح ما بين ١٥٠ ، ٢٠٠ فى المائة** ، وتبعا لذلك فان القيمة الحقيقية للذهب (تكلفة استخراجه فى أسوأ الظروف زائدا « متوسط الربح » على رأس المال المستثمر) فقدت دلالتها تماما ، كما ان تكوين سعر الذهب فى تلك المرحلة ونسبة « العرض » الى « الطلب » أضحت لا تمثل اهمية بالغة منذ ان اصبح نفس العدد من الدولارات يتم دفعه لوزن وحدة معينة من الذهب ، أو بمعنى أكثر وضوحا نقول : **« ان سعر الذهب يمثل « القوى الشرائية » الهابطة للدولار ـ وحيثما يظهر سعر الذهب أى ميل للانحراف عن « السعر الرسمى » ٣٥ دولارا للاوقية نتيجة للتغيرات فى نسبة « العرض » الى « الطلب » فان البنوك المركزية لدول مجمع الذهب تأخذ على الفور الخطوات اللازمة فى الطريق (من خلال بنك لندن العميل الرئيسى للمنظمة) لارجاع سعر الذهب عند المستوى الرسمى »** ـ والواقع ان دول « مجمع الذهب » برمتها قد خسرت الكثير من جراء المحافظة المستمرة على سعر الذهب ، ففى اجتماع « بال » ظهرت أصوات المعارضة والاحتجاج من جانب الاعضاء المجتمعين والمشتركين كأعضاء فى المجمع ، وكانت هذه المعارضة تظهر سخطها (٧) البالغ على السياسة الحالية لنادى الذهب التى أدت فى طريقها الى « استنزاف » ملموس للارصدة الذهبية لها لا لشئ واضح سوى الدفاع المستمر عن الدولار الامريكى ومكانته العالمية ، وبذلك لم تتمكن الولايات المتحدة بعد أن تبلور هذا السخط بين صفوف الاعضاء من ضم اعضاء نادى الذهب وتجميع شملهم ، ولم تتمكن أيضا من اقناع الاعضاء بمواصلة سياسة الدفاع عن الدولار ، والدفاع عن سعر الذهب عند هذا المستوى الرسمى وبذلك فلت الزمام بوجود سعرين للذهب ، واثار وجود السعرين المزيد من التساؤلات : فعقب الاقتصادى الامريكى المعروف « هيمان لومر » وكان قد ارسل تعقيبه لمجلة الشئون الدولية السوفيتية فى هذا الصدد فقال : « ولكن أين هو الضمان الكافى بأن البنوك المركزية سوف لا تشترى الذهب من الولايات المتحدة « بالسعر الرسمى » ٣٥ دولارا للاوقية ، ثم تقوم باعادة بيعه فى « السوق الحرة » بسعر يتذبذب ما بين ٤٠ ، ٥٠ دولارا للاوقية ، ثم تعود مرة تالية فتستبدل الدولار بالذهب داخل الولايات المتحدة • وهكذا •• وباختصار شديد يبدو واضحا أن وجود سوقين للذهب لا يقدم الحلول الكافية للازمة الراهنة •• وقبيل ذلك كان هناك « الميل »

[٧] الاهرام الاقتصادى ماذا بعد تخفيض الاسترلينى ؟ د. لطفى عبدالعظيم ـ يونيو ١٩٦٨ •

الواضح لاستبدال الدولارات لاحتياطى البنوك بالذهب حتى اصبح ذلك الميل ظاهرة شائعة يمكن أن نراها فى كل من : « سويسرا » و « ايطاليا » و « المانيا الغربية » و « فرنسا » ...

● نستخلص من ذلك السرد الموجز ان الدولار لم يعد مرادفا للذهب وأن أمريكا كانت عاجزة عن الحفاظ على « سعر التعادل » الذى استمر طوال هذه المرحلة .... ان هذا يعنى التسليم الكامل والواضح **بهبوط** فى سعر صرف الدولار بالذهب ، وكثيرا ما يتحول الانخفاض فى « سعر الصرف » الى تخفيض فى قيمة العملة ما لم تتدارك الاسباب التى أدت الى ذلك ، ومن ناحية أخرى نجد أن معنى « السوق الرسمى » الوحيد هو التزام البنوك المركزية ببيع وشراء الذهب بالسعر الرسمى وحده ، ولكن هل يتصور انسان اذا انخفض سعر « السوق الحرة » عن السعر الرسمى الا تشترى البنوك المركزية ، وبالعكس اذا استمر سعر « السوق الحرة » فى التزايد ألا يعنى هذا عبث التمسك بالسعر الرسمى ؟ ! يبدو أن محافظى البنوك المركزية كانوا فى ذلك الوقت على اقتناع بتخفيض قيمة الدولار ...

ماذا حدث للاسترلينى ؟ !

فى يوم ۱۸ نوفمبر ۱۹٦۷ كان تخفيض قيمة الجنيه الاسترلينى (۸) بمثابة البداية للازمة النقدية العالمية ، فلقد أبرز هذا التحقيق عمق الازمة التى يمر بها الاقتصاد الرأسمالى ككل ، وعلقت صحيفة « نيويورك تايمز » قائلة : « ان العالم الغربى يواجه أسوأ أزمة مالية منذ عام ۱۹۳۱ » وانطلاقا من الخوف السائد بأن الدولار قد يلقى نفس المصير المحتوم أدت مشاعر الخوف والقلق الى اندفاع الافراد لتحويل الدولارات الى ذهب ، وفى سوق لندن وحده بيع ما يقرب من ۳٥۰ طنا من الذهب قدرت قيمتها بـ [٤۰۰] مليون دولار ، أما اذا تركنا جانب « المشتريات الرسمية » للذهب عند المعدل الثابت فان سوق الذهب بلندن ـ وأسواق أخرى حيث يباع الذهب ويشترى باسعار تتقلب مع التغيرات فى « العرض » و « الطلب » ـ قد شاهد «موجات» لم يسبق لها مثيل لمضاربات شراء الذهب ، وقد بدأت هذه المضاربات يوم ۱۷ من نوفمبر أى قبيل التخفيض للاسترلينى بيوم واحد وأستمرت حدتها حتى يوم ۲٥ من نوفمبر من نفس الشهر . ولقد كان التخفيض للجنيه الاسترلينى هو الامر الذى يمكن التكهن به ، فالاسباب الموجزة للازمات التى تمخضت عن هذا التخفيض كانت تسير فى طريقها الى التدهور المستمر فى «ميزان المدفوعات» فالعجز فى الميزان التجارى عام ۱۹٦۷ وصل الى ۲۹۷ مليون جنيه استرلينى ، حيث ساهم شهر اكتوبر وحده بحوالى ۱۷۰ مليون جنيه استرلينى ، وكان ذلك نتيجة للهبوط فى المبيعات الى الاسواق الخارجية ، كما أن التنافس على الاسواق الخارجية من جانب بعض الدول ـ كاليابان مثلا ، او المانيا الغربية ، قد أدى الى انحسار نصيب بريطانيا فى هذه الاسواق ففى عام ۱۹٥٦ كان نصيب بريطانيا فى الانتاج الصناعى للدول الرأسمالية ۲ر۱۰ فى المائة هبط الى ۳ر۹ فى المائة عام ۱۹٦۰ وفى عام ۱۹٦٦ الى ٤ر۸ فى المائة ، وفى اجمالى الصادرات للدول الرأسمالية كان تضاؤل النسب هكذا : ـ ۸ر۹ فى المائة ، ۹ر۸ فى المائة ، ۹ر۷ فى المائة ـ وفى صادرات السلع الرأسمالية لاثنتى عشرة دولة رأسمالية هبطت النسب هكذا : ۷ر۱۹ فى المائة ۳ر۱٦ فى المائة ، ۹ر۱۲ فى المائة . بيد ان هذه الازمات عولجت ببعض « المسكنات والعقاقير » ، وتمثلت فى الحصول على القروض الخارجية القصيرة الاجل التى بلغت ۳۰۰ مليون دولار ، وفى ديسمبر عام ۱۹٦٤ حصلت بريطانيا على قرض آخر قيمته ٤۰۰ر۱ مليون دولار من صندوق النقد الدولى .

ورأت الحكومة البريطانية أن تجرى بعض الاصلاحات التى تمثلت فى فرض الضرائب المباشرة والغير مباشرة ، وفى تجميد أجور الطبقة العاملة لمدة ٦ شهور بهدف اتباع سياسة نقدية انكماشية تهدف للخلاص من الازمة ، لكن كل هذه الاجراءات لم تمنع الحكومة البريطانية من اتخاذ اجراء التخفيض ، وكان هذا التخفيض يعنى فى جوهره الهبوط فى قيمة العملة بالنسبة للذهب والعملات الاخرى ... فقد لجأت الحكومة البريطانية قبيل التخفيض الى عدة اجراءات اخرى متعددة ، ومن ابرز هذه الاجراءات رفع سعر الفائدة الى ۷ فى المائة لحث اصحاب رؤوس الاموال فى الخارج الى ايداع اموالهم فى سوق لندن بعد أن انصرفوا فى المرحلة الاخيرة عن الاحتفاظ بالجنيه الاسترلينى وعمدوا الى تحويله الى الدولار والعملات الاخرى لعدم اطمئنانهم الى مركز الاسترلينى ، ولقد لوحظ فى هذا الارتفاع لمعدل سعر الفائدة من ناحية اخرى محاولات كانت تبذلها بريطانيا فى الطريق لزيادة « تكلفة » الاستثمار ، والحد بشكل واضح من القروض والتسهيلات الائتمانية التى تمنحها البنوك لرجال الاعمال فى الداخل .. **وبذلك تيسر للحكومة**

---

[۸] عقب تخفيض الاسترلينى خفضت ۲۰ دولة من قيمة عملتها ومن اهم هذه الدول : ايرلندا ـ الدنمارك ـ سيلان نيوزلنده ـ اسرائيل ... « راجع حرب الذهب د. فؤاد مرسى »

البريطانية أن تسحب (٩) من الاسواق ، أى من « التداول النقدى » ما يقرب من ٣٠٠ مليون جنيه استرلينى أى ما يعادل تقريبا ٥ر٢ فى المائة من الانفاق الحكومى ، وذلك كوسيلة فعالة للحد من « القوى الشرائية » الامر الذى ينجم عنه مباشرة هبوط انكماش فى الطلب المحلى ، فيحد من موجات « التضخم النقدى » وارتفاع الاسعار ...
ولكن هذه الاجراءات لم تمنع التخفيض فى اليوم المحدد له .... ولهذا التخفيض آثاره الواضحة على كاهل الطبقة العاملة فى أى بلد يلجأ الى هذا الاجراء ليس لان « التكلفة » العالية للسلع المستوردة سوف تدفع الاسعار فى الداخل الى مستويات عالية ، وانما هناك أيضا العبء الاكبر الذى يشير الى أن التخفيض فى قيمة العملة سوف يكون له الاثر على الصادرات أيضا اذا ما وجدنا أن « تكلفة » انتاج السلع المصدرة تبقى بدون تغير او تزداد بعض الشيء ، فسوف تتضمن هذه الزيادة وقف أية زيادة فى الاجور للطبقة العاملة .....
ومن ناحية أخرى عندما خفضت بريطانيا من قيمة عملتها كان ذلك التخفيض بمثابة الضربة القاصمة على الدول التى ترتبط مع بريطانيا بعلاقات تجارية وثيقة مثل : اسبانيا ، الدانمارك ، نيوزلندة ، اسرائيل ، وقد ظهر هذا الاثر ايضا على دول منطقة الاسترلينى مثل: استراليا ، روديسيا ، باكستان ، ايسلندا ، زامبيا ، هونج كونج ، غينيا الجديدة، اتحاد جنوب افريقيا ، افريقيا الجنوبية الغربية » الخ .. تلك البلاد التى نجد أن « احتياطات الصرف الاجنبى لديها يتكون أساسا من الاسترلينى » وفى حدود الدولار نجد أن « الاصول الاسترلينية » لهذه البلدان كانت تصل فى ذلك الوقت الى ٥٠٠ر٨ مليون دولار قبيل التخفيض وبعد التخفيض تقلصت الى ٢٠٠ر٧ مليون دولار !! وبذلك نجد أن دول الاسترلينى استطاعت ان تستخلص حقها المشروع من بريطانيا بموجب اتفاقات ابرمت مع بريطانيا لدفع التعويض الملائم فى حالة تخفيض الجنيه الاسترلينى ازاء علاقته بالدولار ...... ولكن بريطانيا من قبل كانت قد عقدت اجتماعا مع دول الاسترلينى حيث قدمت هذه الدول الوعود الصادقة والكافية بالامتناع عن تحويل الجنيهات الاسترلينية الى ذهب أو العملات الاجنبية الاخرى ، ومرجع ذلك انه فى ابان اية أزمة نقدية وعندما تهبط الثقة فى « النقد الورقى » فى نطاق العالم الرأسمالى يزداد ويشتد الطلب على الذهب فى شكل المضاربة ، ففى سوق العملة الحرة ارتفع سعر الذهب مابين ٤٠ ، ٤١ دولارا لكل أوقية ، واذا ما ارتفع السعر للذهب عن السعر الرسمى — ٣٥ دولارا — فان الدول التى تملك أكبر قدر من الاحتياطى — احتياطى الدولار — سوف تنزل عليها خسائر جسيمة ، ومرجع ذلك ان نفس الكمية من الدولارات سوف تشترى ذهبا أقل .

التضخم المستور

واعادة تقييم المارك

لم يشهد العالم الرأسمالى قدرا متزايدا من فقدان الثقة فى عملائه ، مثلما شهد فى هذه المرحلة التى بدأت معالمها تظهر بوضوح قبل تخفيض الاسترلينى عام ١٩٦٧ ، فلقد استمر هذا الهبوط فى الثقة الذى أدى فى طريقه الى المزيد من «المضاربة» واقتناء الذهب حتى اكتملت الصورة لزعزعة هذه الثقة فى باريس ، فمنذ عام ١٩٦٨ كان المجلس الاجتماعى والاقتصادى فى فرنسا يشير الى خطورة الموقف التى تجسدت فى « النمو التضخمى » للاسعار ، والاختلال الواضح فى « الميزان التجارى» فى نفس الوقت الذى كانت فيه « ايرادات الصادر » تقل شيئا فشيئا بالمقارنة الى نفقات الوارد — ثم هروب رأس المال من فرنسا وعمليات « المضاربة » لاستبدال الفرنك بالمارك الالمانى على اساس التوقع فى ان « المارك » سوف يعاد تقييمه « Rexaluation » — كل هذه العوامل دمرت بشكل تدريجى الموقف المالى للفرنك الفرنسى ، وبذلك فان احتياطى الذهب والصرف الاجنبى لديها قد هبط الى أكثر من النصف خلال هذه المرحلة من حوالى ٠٠٠ر٧ مليون فى نهاية ١٩٦٧ الى ٨٠٠ر٢ مليون فى شهر أغسطس عام ١٩٦٩ .. وفى ظل هذه الظروف وتحت ضغط مستمر من تفاعلها اضطرت الحكومة الفرنسية الى خفض قيمة الفرنك الفرنسى عندما هبط « معدل الصرف » من ٩٣ر٤ الى ٥٥ر٥ فرنك للدولار الامريكى .

● وعقب هذا التخفيض كان لابد للحكومة الفرنسية أن تأخذ أيضا المزيد من الاجراءات التى تدعم هذا التخفيض وتجنى ثماره المرجوة فى المستقبل ، فكانت هناك الخطط اللازمة لحصر نطاق « الائتمان » ووضع المزيد من الاعباء على كاهل الطبقة العاملة لمنع أية زيادة فى الاجور قد تدفع الاسعار الى الصعود المستمر ، وفى بداية عام ١٩٧٠ كان على الطبقة العاملة أن تدفع زيادة فى الضرائب المباشرة قدرها ١٢ فى المائة ، وبذلك كانت الزيادة فى الضرائب على أرباح الشركات الكبرى أقل من الزيادة المفروضة على العمال ... أما طلب توقيع العقوبات اللازمة على طوائف « المضاربين» « Speculatons » الذين كانوا يقومون بتهريب علنى لرؤوس الاموال الى البنوك

---

[٩] هزة عنيفة للاقتصاد البريطانى ..د. محمد فؤاد ابراهيم الاهرام الاقتصادى — ١٥ أغسطس ١٩٦٥ .

الاجنبية ـ ذلك التهريب الذى أدى الى اهتزاز الموقف النقدى لفرنسا ـ فانه لم يلق اى اكتراث من جانب الحكومة الفرنسية .. والخلاصة أنه اذا كان تخفيض قيمة الفرنك الفرنسى بمثابة الخطة الهجومية لم تهدف تحسين الموقف فى مجال التنافس الفرنسى فى الاسواق العالمية حيث كان العجز فى « الميزان التجارى » فى اسعار ما قبل تخفيض قيمة الفرنك الفرنسى « In Pre devaluation Prices » قد وصل الى ٦٠٠ر٦ مليون فرنك (١٠) ، فان هذا التخفيض فى نفس الوقت قد أدى الى خفض جزء كبير من المكاسب التى حصل عليها العمال من خلال المظاهرات الكبرى التى قاموا بها للمطالبة بزيادة الاجور ، وذلك نتيجة لارتفاع السلع المستوردة من الخارج ... واذا ما انتقلنا بعد هذه الجولة القصيرة صوب المانيا الغربية نجد أنه بالرغم من الانتصارات التى حققتها المانيا الغربية فى نطاق التجارة الخارجية، وشدة المنافسة التى دخلت بها أسواق العالم الرأسمالى واهتزاز موقف المنافسين لها مثل « انجلترا » و « فرنسا » الا ان الصورة لم تظهر بشكل مضىء مما يجعلنا نستثنى ألمانيا من اطار الأزمة التى اجتاحت العالم الرأسمالى، فان موضوع اعادة التقييم للمارك الالمانى كان بمثابة البؤرة التى تركز داخلها الصراع بين فئات الاحتكاريين : مصدرين ومستوردين ، فريق المصدرين يعارض اعادة التقييم،فهؤلاء بالطبع على صلة وثيقة بالسوق العالمى حيث تشير الوقائع الثابتة الى ان الشركات الكيمائية الكبرى على سبيل المثال والتى تخضع لهؤلاء تبيع فى الخارج ٥٥ فى المائة من انتاجها الذى يعمل خصيصا لاغراض التصدير ، بما فى ذلك شركات السيارات التى كانت تعارض أيضا هذا الاجراء .. أما فئات « المستوردين » فكانت تؤيد اعادة التقييم وتدعو اليه، وقد أشار متحدث باسم شركات تكرير البترول بأن اعادة التقييم للمارك الالمانى من المتوقع ان يؤدى الى زيادة فى « الارباح » لان أغلب المواد الخام فى هذه الصناعة تاتى من الخارج ، **وبذلك فان أسعار الواردات سوف تهبط بعض الشىء نتيجة لاعادة تقييم المارك** .. ومن خلال هذا الصراع كانت كل مجموعة تعبر عن مصالحها ، فعندما وقف « المصدرون » فى المانيا أمام أى اجراء من شأنه ان يعيد تقييم المارك ، كان الموقف فى صالحهم ، فصادرات السلع كانت تفوق بشكل واضح الواردات ، ومن حين الى آخر كان رفاق بون يحاولون تغيير الموقف التجارى لصالحهم ، لكن الاخفاق كان حليفهم ، واستطاعت ألمانيا أن تجنى كل المزايا من « تعادل القيمة الهابط للمارك الالمانى » « Lowep Parity » ، وأشارت جريدة « دير شبيجل » الالمانية يوم ٦ اكتوبر عام ١٩٦٩ الى أن أسعار الصادرات لالمانيا الغربية عندما أعيد تقييم المارك كانت أقل ٥ر٧ فى المائة فى المتوسط بالمقارنة الى اسعار الصادرات للدول الاخرى المنافسة [كانت شركة « فولكس واجن » هى التى تمثل جناح المعارضة من جانب المصدرين الاحتكاريين لاعادة تقييم المارك] .

● ولكن ماذا عن الخلاف الذى نشب بين أوساط الدوائر المسئولة ؟ ! لقد كان وزير الاقتصاد الالمانى « شيلر » « Schiller » هو الذى تزعم الدعوة الى اعادة التقييم ، وكان رجل البنوك المعروف آبز ABS يعارض بشدة اعادة التقييم ويتنبأ بالانهيار الاقتصادى الذى قد يصيب ألمانيا من جراء تلك الخطوة ، وكانت هذه النظرة تؤيد وتدعم من جانب الاحتكارات الصناعية الكبرى ـ بيد أن كل هذه الخلافات حسمت فى نهاية المطاف ، وقررت المانيا رفع معدل الصرف للمارك الالمانى يوم ٢٤ اكتوبر ١٩٦٩ .. حينئذ انتصر الرأى القائل برفع معدل الصرف، فلقد رأى اصحاب هذا الرأى أن اعادة التقييم خطوة حتمية ضرورية لابد من اتخاذها فى اسرع واقرب وقت ممكن ، ومرجع ذلك الى عدة اسباب جوهرية من أبرزها ما يلى : « أن التدفق الملموس للعملة الاجنبية ـ نتيجة للميزان التجارى الاجنبى الموافق والاندفاع فى شكل « المضاربة » على المارك ـ أثر على التداول النقدى ، ان كمية كبرى ايضا من العملة الاجنبية وفدت الى بنوك المانيا الغربية لاستبدالها بالمارك فأدت الى زيادة مضطردة للتداول النقدى ، وبذلك فان « التداول النقدى » أصبح خارج نطاق سيطرة البنك الفدرالى ، ومن الواضح أن هذا « التضخم المستورد » قد يدفع الاسعار الى الارتفاع بما يتراوح ما بين ٦ ، ٨ فى المائة وأن يجعل ألمانيا الغربية تفقد كل مميزاتها فى صراعها التنافسى على الاسواق العالمية ... وفى تعبير آخر : نجد أن التوسع الاقتصادى لالمانيا الغربية حمل أسوأ المظاهر السلبية فى ألمانيا ذاتها ، فلا حاجة الى القول بأنه من حيث المبدأ لا يوجد هناك شىء سىء فى الميزان التجارى الاجنبى الموافق لاية دولة رأسمالية مصدرة ، بيد أن هذا « الميزان الموافق » عندما يصل الى درجات متزايدة ، فان « الاتجاهات التضخمية لابد وأن تظهر بوادرها ... ان هذا النمو فى « الاتجاهات التضخمية » يصاحب دائما بوساطة الزيادة فى الاسعار الداخلية ، لان الزيادة فى كمية النقود فى تداولها داخل البلاد تصاحب أيضا بوساطة النقص النسبى فى كمية السلع ، نتيجة لنمو

---

[١٠] « نيو تايمز السوفيتية» الطبعة الانجليزية ١٩٦٩ ـ يناير .

الصادرات ، ومثل هذه التطورات فى نطاق العالم الرأسمالى تعرف باسم « التضخم المستورد » «Imported Inflation» وهو ما كان « شيلر » ينبه اليه ويحذر منه بقوله : « ان لم ينم التطعيم ضد « البدانة » المفرطة والغير صحيه للمارك فان « التضخم المستورد » سوف يجتاح البلاد ، ويدفع الاسعار الى الارتفاع بما يتراوح مابين ٦ ، ٨ فى المائة ٠

● وعندما تم اعادة التقييم للمارك أعلن فريق من الاقتصاديين بأن **اعادة التقييم كان نوعا من الثمن المدفوع لاستقرار الاسعار فى السوق الداخلى** ؛ بيد أن الحقائق أظهرت بعد ذلك أن هذا الاجراء برفع قيمة المارك لم يؤد الى هبوط ملموس للاسعار فى الداخل ، وأشار البعض من الخبراء فى تلك المرحلة من ناحية أخرى بأن النقطة الجوهرية لاعادة التقييم سوف تكون فى صالح « المستهلك » الالمانى فان المواد المستوردة الرخيصة سوف تكون قاصرة على المواد الخام والمواد شبه المصنوعة ولن تشمل السلع التامة الصنع ، والخلاصة أن كل هذه المزايا من استيراد المواد الرخيصة سوف تؤول الى « جيوب » المستوردين الكبار ، ورجال الاعمال فى هذا النطاق ، ولن تجنى ثماره الطبقة العاملة بهذا الشكل الملموس ٠٠

● ● ●

● من خلال هذا الربع الموجز تتبين انا الاوضاع التى عاشتها المانيا الغربية منذ بدء صراعها مع بعض الدول الرأسمالية الكبرى ، وكيف أدى ذلك الصراع الى تحسين واضح فى موقفها التنافسى فى نطاق التجارة العالمية فى الوقت الذى كانت فيه هذه الدول تعانى من العجز فى موازين مدفوعاتها ، ففى خلال ثلاثسنوات وصل الفائض فى الميزان التجارى لالمانيا الغربية حوالى ٥٥ز٠٠٠ مليون مارك (فى اسعار ما قبل اعادة التقييم) وفى عام ١٩٦٨ على وجه التحديد كانت الصادرات الالمانية تصل الى ٧٠ فى المائة لمستوى الصادرات الامريكية ، وفى عام ١٩٦٩ وصلت أيضا الى نفس النسبة بالرغم من أن الانتاج الصناعى الكلى لالمانيا الغربية يصل الى خمس الانتاج الامريكى !! ٠ واذا ما تركنا هذا جانبا علينا أن نستعرض بايجاز اهم الاسباب والعوامل الرئيسية التى أدت الى اشتعال الازمة ومن أبرزها ما يلى :

● عدم الاستقرار فى موازين المدفوعات لاغلب الدول الرأسمالية الكبرى ٠

● التغيرات المستمرة فى تعادل قيم الذهب للعملات ، ثم التقلبات المستمرة لمعدلات الصرف ، وقد تضمن « المد » و « الجزر » لكميات وفيرة من «رأس المال المضارب» فى شكل « النقد الساخن » بين دولة واخرى للبحث عن الارباح ٠٠ ثم يأتى المظهر البارز للازمة النقدية ـ ذلك المظهر الذى يتجسد فى ظهور الاختلال لمدفوعات التجارة الدولية فى شكل السيولة (الذهب والعملات الاحتياطية) وبين المتاح من هذه التسهيلات أو بمعنى آخر : التعثر فى نمو الذهب المركزى واحتياطى الصرف الاجنبى خلف الطلب المتزايد للتجارة الدولية (•)

● هذا من ناحية ومن ناحية اخرى نجد أن « التضخم » السائد فى بلد ما لابد وأن يهىء الظروف مسبقا لاجراء التخفيض فى قيمة العملة لان ارتفاع الاسعار فى الداخل يجبر الشركات المصدرة بأن تبيع سلعها بأسعار عالية فى السوق العالمية ، وهذا من شأنه ان يخفض من القدرة التنافسية فى السوق العالمية ، وان يخفض فى اتجاهه وبشكل طبيعى تدفق الذهب والعملة ٠٠ ولا نريد هنا أن نلجأ الى تفسيرات اخرى قد تبدو عسيرة لبيان اثر التخفيض بالرسوم البيانية على « الصادرات » و « الواردات » وأثر ذلك على ميزان المدفوعات ٠٠ أو نتناول مشكلة رفع سعر الذهب والاثار المترتبة عليه كاجراء لتطوير « السيولة الدولية » فى العالم الرأسمالى فذلك بحث آخر ، وانما كان هدف هذا البحث هو بيان حقيقة الازمة النقدية التى مازال العالم الرأسمالى يواجهها حتى ذلك التاريخ ، ومن هنا نستطيع أن نقول : انه « **قبيل الازمة العامة للنظام الرأسمالى نجد أن استقرار العملات « القوى الشرائية المماثلة لاوراق البنكنوت هو القاعدة ـ « التضخم النقدى » هو الاستثناء ٠٠ وفى خلال الازمة الشاملة التى تجتاح الرأسمالية العالمية ـ وعلى الاخص أزمة ما بعد الحرب العالمية الثانية ـ نجد أن استقرار العملات**(١١)**هو الاستثناء** ، « **الفوضى النقدية**»«**التضخم** »«**التخفيض الجماعى** » Massive de Valuation **للعملات فى مراحل متعاقبة ، ثم المحاولات المبذولة لاستقرار هذه العملات هى القاعدة ٠٠** وبذلك فان عمق هذه الازمة يتجلى لنا بوضوح فى أكبر دولة صناعية عرفها التاريخ .. تلك هى الولايات المتحدة الامريكية التى لم تستطع بعد أن تعمل على التخلص من بوادر « التضخم » الذى يجتاح المجتمع الامريكى ، وينتشر بشكل واضح داخل المجتمعات الصناعية الرأسمالية الكبرى التى تشهد أيضا ملامح « التضخم » والاهتزاز المستمر فى قيمة العملات ٠

---

[١١] مشاكل السياسة الاقتصادية للرأسمالية .. الطبعة الانجليزية «موسكو» ١٩٦٨ [ى « فارجا »] ٠



تجربة جديدة للاحزاب العقائدية فى أمريكا اللاتينية

سمير كرم

أثار صعود الزعيم الاشتراكى دكتور **سلفادور الليندى** الى رئاسة جمهورية شيلى بمجرد الوسائل البرلمانية الانتخابية علامات استفهام عديدة ، خاصة وان ذلك قد حدث فى امريكا اللاتينية ، القارة التى ارتبطت احداثها طوال أكثر من قرن كامل بالانقلابات والانقلابات المضادة ، والتى بدأت ترتبط أحداثها أيضا منذ أواخر الستينات بحركة « حرب العصابات الحضرية » وهما ظاهرتان تتناقضان مع هذه « البرلمانية » .

والواقع أن لشيلى ظروفها العامة باعتبارها جزءا من الاطار العام السياسى والاجتماعى المعقد الذى تدخل فيه امريكا اللاتينية ككل ، ولها ايضا ظروفها الخاصة التى صنعها التطور السياسى والاجتماعى فيها منذ حصولها على الاستقلال عام ١٨١٨ ، ولهذا فان محاولة الفهم الموضوعى للظروف التى جعلت صعود « رئيس ماركسى » الى السلطة برلمانيا فى شيلى ممكنا ، تتطلب نظرة ذات طابع شمولى على النظام السياسى الاجتماعى فى شيلى فى اطاريه العام [داخل امريكا اللاتينية] والخاص [المتعلق بظروف شيلى الوطنية] .

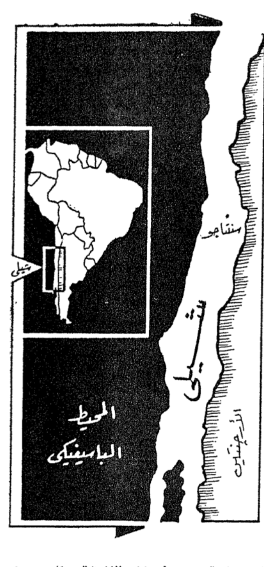
وبالنسبة للنظام الحزبى السائد فى معظم دول أمريكا اللاتينية توجد أحزاب « تقليدية » متعددة تشغلها عدة موضوعات أساسية هى نفسها فى معظم دول القارة ، وفى مقدمة هذه الموضوعات « قضية الارض » ، **ودور ونفوذ الكنيسة الكاثوليكية** ، ويرد اعضاء هذه الاحزاب من نفس منبع التركيب الطبقى لبلاد امريكا اللاتينية ، فمعظم الاعضاء ينتمون للطبقة العليا ، وفى كثير من الاحيان ما تستبعد الاحزاب رسميا من حق عضويتها الهنود والطبقة المتوسطة الصغيرة ، أو ما يطلق عليه بالاسبانية « الميستينروس » ، وبوجه عام **فان الاتجاهات المحافظة تشكل الايديولوجية السياسية والاجتماعية لهنود الاحزاب التقليدية** : فهى تدافع عن مصالح كبار ملاك الاراضى ، وعن اتساع نطاق دور الكنيسة الكاثوليكية ، وتصل أحيانا الى حد الدفاع عن مفهوم وحدة الدولة والكنيسة .

وهذا النوع من الاحزاب هو الذى احتكر الحكم فى معظم دول أمريكا اللاتينية لاطول الفترات منذ الاستقلال ، ومن أمثلتها **حزب المحافظين فى كولومبيا ، وحزب البلانكو فى أوروجواى** .

والى جانب الاحزاب المحافظة التقليدية توجد **الاحزاب « الليبرالية »** التى تتميز ببرامجها الخاصة بالاصلاح الزراعى ودعواتها للفصل بين الدولة والكنيسة فى المسائل السياسية والاقتصادية ، ومن أمثلة هذه الاحزاب الليبرالية **الحزب الراديكالى فى الارجنتين ، والحزب الراديكالى فى شيلى ، والحزب الراديكالى فى كولومبيا ، وحزب « الكولورادوس » فى أوروجواى** .

ومن حيث منهج العمل السياسى يمكن تقسيم الاحزاب فى أمريكا اللاتينية باتجاهاتها المختلفة الى احزاب « **براجماتية** » واحزاب « **عقائدية** » ، الاولى هى تلك الاحزاب التى لا تقيم برامجها على اسس فلسفية أو أيديولوجية محددة ، ولا تتطلب فى أعضائها التزاما عقائديا معينا ، فهذه الاحزاب تهتم فى الاساس بالسيطرة على اكبر اعداد ممكنة من « الاصوات » اكثر مما تهتم بتوجيه « الافكار » ، وابرز الامثلة على هذه الاحزاب ، **الحزب الراديكالى الارجنتينى ، والحزب الراديكالى الشيلى** ، ويمكن أن نذكر أن الحزب الراديكالى الارجنتينى حقق قدرا من النجاح فى جذب التأييد الانتخابى من منظمات العمال ومن فئات التجار ورجال الصناعة والاتحادات الطلابية والاتحادات المهنية والثقافية المختلفة المصالح ، ومن الدلائل على « براجماتية » هذا الحزب أنه ناضل ضد دكتاتورية بيرون خلال الفترة من عام ١٩٤٦ الى ١٩٥٥ ، ثم نظم حملته الانتخابية فى عام ١٩٥٨ على اساس كسب اصوات أنصار بيرون ! •

وهنـاك ظاهرة جديرة بالملاحظة بالنسبة للاحزاب البراجماتية فى أمريكا اللاتينية ، هى أنها اذا كانت لا تؤسس على مفاهيم فلسفيه أو أيديولوجية معينة ، فانها غالبا ما ترتبط بشخصية زعيم معين ، وهى فى هذا تلعب على ما يسمى بميل الناخبين فى أمريكا اللاتينية الى « التصويت لرجل وليس لحزب أو لبرنامج انتخابى » فالناخبون فى أمريكا اللاتينية كانوا دائما أكثر اهتماما بالشخصيات العامة منهم بالسياسة العامة ، ويميلون غالبا للتصويت لزعيم له شخصية براقة •



الاحزاب العقائدية

أما الاحزاب العقائدية الداخلة فى المنافسة السياسية فى أمريكا اللاتينية — وفى شيلى بوجه خاص — فتتمثل فى الاحزاب الشيوعية والاشتراكية ، ويوجد فى شيلى اكبر حزب شيوعى فى القارة وتوجد أحزاب شيوعية واشتراكية قوية أخرى فى كوبا والمكسيك وبوليفيا وجواتيمالا ، ويجمع بين الاحزاب الشيوعية والاشتراكية فى أمريكا اللاتينية صدورها عن منابع الفكر الماركسى اساسا ، فليس بين الاحزاب الاشتراكية فى أمريكا اللاتينية حزب يأخذ بالمفاهيم الاشتراكية الفابية ، أو الاشتراكية الديمقراطية كما هو الحال فى عدد كبير من دول اوروبا الغربية ، ولكنها تختلف عن الاحزاب الشيوعية فى ميلها [أى الاحزاب الاشتراكية] نحو الانغماس فى المشكلات النظرية والثقافية ، حتى ليقال ان ضعف الاحزاب الاشتراكية فى أمريكا اللاتينية يكمن « فى ادمانها على النظرية والفلسفة ، وافتقارها الى الحس العملى السليم » •

وبوجه عام فان للماركسية تأثير كبير على الاحزاب العقائدية فى القارة ، وقد دخلت المفاهيم الاشتراكية معها الى القارة فى تسعينات القرن الماضى ، ونمت بشكل خاص من خلال نشاط الاحزاب الاشتراكية والشيوعية فى شيلى والارجنتين واكوادور وأورجواى ، وتميزت برامج الاشتراكيين فى القارة بالتركيز على الاصلاح الزراعى ودعم دور الحركة العمالية ، ولايخفى أن بعض الاحزاب استخدم شعارات الماركسية والاشتراكية ، وحقق بمجرد هذه الشعارات دون أية نية أو عمل لتطبيقها نجاحا ساحقا فى بعض الاحيان ، كما هو الحال بالنسبة لبيرون مع الحركة العمالية الارجنتينية ، ونظرا لوجود نسبة عالية جدا من الامية فى معظم دول أمريكا

اللاتينية فان الاحزاب الاشتراكية والشيوعية منهمة بأنها تناقش مسائل ايديولوجية لا يفهمها الا زعماؤها ، وبأنها حركات سياسية من خلق الطبقات العليا ، وليست من خلق الطبقات الدنيا التى تسعى للحصول على تأييدها » وهو تناقض قد يكون موجودا فى كثير من مناطق العالم ولكنه حاد بشكل خاص فى أمريكا اللاتينية .»

موقع شيلى

وتقع شيلى أساسا فى مركز واضح ومتميز بين دول أمريكا اللاتينية الاخذة بنظام تعدد الاحزاب ، والذى ميزها فى الاساس بين الدول الاخذة بهذا النظام استقرار غريب على القارة بالنسبة للحكومات والرؤساء الذين تولوا السلطة فيها — على الاقل خلال الاعوام الستين أو السبعين الاخيرة — فان لشيلى سجلا تاريخيا من « **الاستقرار الداخلى** » لا مثيل له بين دول أمريكا اللاتينية كلها ، حتى أنه منذ عام ١٨٣٠ — وباستثناء حالات تعد على اصابع اليد الواحدة ، فان جميع رؤساء الجمهورية الذين توالوا على حكم شيلى قد اكملوا فترات رئاستهم المقررة دون أن يتعرضوا لانقلابات أو عمليات عزل أو حوادث اغتيال على النحو الذى يسود الدول الاخرى فى القارة ، كذلك فان ظهور « الرئيس الدكتاتور » كان نادرا للغاية على طول تاريخ شيلى المستقلة ، وصحيح أن بعض « المنشقين » السياسيين كانوا يسجنون او ينفون خارج البلاد أحيانا قليلة الا أن شيلى لم تشهد عمليات التصفية الدموية ضد الخصوم السياسيين للرؤساء ، وعلى حين أن معظم دول أمريكا اللاتينية تقلبت على عشرات الدساتير منذ ثلاثينات القرن التاسع عشر [التى حققت فيها معظم دول القارة باستقلالها] فان شيلى عاشت فى ظل دستورين اثنين متعاقبين منذ عام ١٩٣٣ ، كان آخرهما دستور أكتوبر ١٩٢٥ .

ولا يمكن فهم حقيقة هذا « الاستقرار » الا على خلفية من التطور الاقتصادى والاجتماعى لشيلى خلال سنوات الاستقلال ، فقد تميز التطور الاجتماعى فيها بتحرر بطىء وجزئى من النظام الطبقى الذى ورثته شيلى عن ثلاثة قرون من الاستعمار الاسبانى ، كانت تعتبر خلالها مستعمرة من الدرجة الثانية ، لانها لم تكن تجلب للمستعمرين الاسبان الا القليل من المعادن والكثير من المشاكل الناتجة عن تعقد التركيب العنصرى فيها [هنود حمر وزنوج واسبان وايطاليون والمان وبريطانيون وفرنسيون) ، وقد سادها تركيب طبقى اقطاعى ثنائى : سادة من ملاك الاراضى من أقلية الارستقراطية الاوروبية المرفهة ، وفلاحون فى أدنى مستوى معيشى يمكن تصوره ، وكان انقساما شديد الوضوح والتحدد ... فأى انسان يعيش فى شيلى ومهما كانت طبيعة عمله أو موقعه الاجتماعى لابد أن يكون اما من الارستقراطية الاقطاعية أو الفلاحين الفقراء الذين كان يطلق عليهم اسم « الروتوس »[وهى تسمية شبيهة بما كان يطلقه ملاك الارض من اصل تركى فى مصر على الفلاحين] فالمواطن الشيلى اما « سيد » أو «فرد» ، ولا تزال بعض الفئات فى شيلى تطلق على الارستقراطيين من ملاك الارض اسم « المحترمين » !

اشتراكية على الورق

وقد عاشت شيلى طوال أكثر من نصف قرن فى دوامة سياسية من الانقسامات الحزبية ، تخرج من انتخابات لتدخل فى انتخابات أخرى ، ومن حملة الى حملة ثانية دون تغيير يذكر فى برامج الاحزاب ، ودن عمل ملموس حقيقى يحققه أى من هذه الاحزاب داخل الحكم، وقد ساد أسلوب الاحزاب « البراجماتية » الحياة السياسية فى شيلى طوال الفترة منذ بداية القرن الحالى، ولم تستطع الاحزاب العقائدية الصحيحة أن تقوى فى ظل مناخ السيطرة الطبقية لملاك الاراضى والسيطرة الاحتكارية لرؤوس الاموال الاجنبية .

خلال كل هذه السنوات تفاقمت الاوضاع الاقتصادية فى شيلى بصورة خطيرة ، بينما انشغلت الاحزاب بالسعى الى السلطة ، ثم السعى للاحتفاظ بها أو انتزاعها من غيرها .

وتجلت « براجماتية » الاحزاب السياسية فى شيلى طوال السنوات الماضية فى تبنى كثير من الزعماء ممن ينتمون طبقيا لكبار ملاك الاراضى للشعارات الاشتراكية والبرامج اليسارية على الورق ، ففى عام ١٩٢٠ مثلا فاز أرتورو اليساندرى برئاسة الجمهورية كمرشح لليسار، وبعد ذلك بمائتى عشر عاما — فى عام ١٩٣٢ — فاز هو نفسه بالرئاسة كمرشح لليمين بعد انتخابات جرت على انقاض تجربة ثورية قصيرة العمر قام بها بعض المثقفين والضباط ، واطلقوا عليها اسم « جمهورية شيلى الاشتراكية » ولم تعش هذه الجمهورية اكثر من مائة يوم .

وفى عام ١٩٣٨ انتخب « مليونير» من كبار ملاك الارض رئيسا للجمهورية كمرشح لجبهة شعبية يسارية! ووقتها قيل ان « المد الاحمر » يبتلع شيلى ، ولكن خطوة واحدة على الطريق نحو الاشتراكية لم تقطع على الاطلاق ، وتكررت القصة نفسها فى انتخابات عام ١٩٤٦ وفى انتخابات ١٩٥٢ ، ولم تكن «البراجماتية» بأسلوب التقلب بين اليمين واليسار تحقق فقط

للاحزاب الوصول الى الحكم والتمتع بامتيازات الحكم، وانما كانت تحقق هدف شغل الجماهير بالمعارك الحزبية والحملات الانتخابية المتتالية عن تدهور أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية ، الى الحد الذى بلغت معه كثافة التضخم المالى فى شيلى اعلى نسبة فى العالم بعد فيتنام الجنوبية، وبلغ معدل وفيات الاطفال اعلى معدل فى العالم، وارتفعت تكاليف المعيشة بنسبة الفين فى المائة خلال ١٠ سنوات من ١٩٥٨ الى ١٩٦٨، ثم ارتفعت مرة أخرى بنسبة ٣٣ فى المائة خلال سنة واحدة هى السنة الاخيرة من حكم **ادواردو فراى** زعيم الحزب الديمقراطى المسيحى الذى كان بدوره من زعماء الاحزاب البراجماتية رغم ما اكتسبه من سمعة فى العالم الغربى « كأبرز زعيم اصلاحى فى أمريكا الجنوبية»

ففى أعقاب الحرب العالمية الثانية اتفق ادواردو فراى والشيوعيون على برنامج انتخابى واحد، وظهر فراى فى أكتوبر عام ١٩٤٤ فى اجتماع شعبى نظمه الحزب الشيوعى واعلن انه — كما فى فرنسا وايطاليا — من الضرورى أن يعمل الاشتراكيون المسيحيون مع الشيوعيين، والواقع انه كان وراء هذا الالتقاء عامل هام، اذ لم يكن باستطاعة القوى التقدمية أن تنشق ، فى الوقت الذى كان فيه الحكم الفاشستى يسيطر على الارجنتين المجاورة ، بمالها من أطماع اقليمية فى أراضى شيلى .»

فراى أم الليندى ؟

وفى يوليو عام ١٩٦٥— وأثناء جولة لفراى فى أوروبا — كتبت صحيفة «تايمز» اللندنية ان فراى أهم شخصية سياسية فى أمريكا اللاتينية اليوم، لانه أنقذ شيلى وديمقراطيتها بالحاقه الهزيمة بمرشح الاشتراكيين والشيوعيين — الليندى — فقد كان فراى يمثل الامل فى الخلاص من المظالم الاجتماعية فى أمريكا اللاتينية « دون ثورة على نمط ثورة كاسترو»» ولانه كان المتحدث عن « ثورة جديدة فى اطار الحرية».

ولكن لم تمض خمس سنوات على هذا التنبؤ حتى كان فراى ينحدر على سفح الحياة السياسية ببرنامجه الاصلاحى الذى لم يمس فى شىء جوهر الملكية الاقطاعية للارض ، ولا جوهر السيطرة الاجنبية على الاقتصاد الصناعى فى شيلى ، بل دفع شيلى اكثر واكثر نحو الاعتماد على مساعدات الولايات المتحدة وربط شيلى بها ليس اقتصاديا فحسب بل سياسيا وثقافيا .»



سلفادور الليندى

فى عام ١٩٦٨ ازدادت المنافسة بين الحزب الاشتراكى الماركسى — بزعامة الليندى — والحزب الشيوعى الشيلى على تبنى الاتجاهات الاكثر ثورية — وبالتحديد الاتجاهات المؤيدة لاسلوب ثورة كوبا — وقد شهدت سنتياجو استقبالا شعبيا هائلا نظمه الحزب الاشتراكى الماركسى باشراف الليندى نفسه — لرجال جيفارا الذين بقوا على قيد الحياة بعده ، والذين تمكنوا من الفرار من بوليفيا الى شيلى بعد مصرعه ، وكانت هذه المنافسة بداية الاتجاه الى الائتلاف بين الشيوعيين والاشتراكيين بزعامته ، والحقيقة أن الحزب الشيوعى فى شيلى كان دائما أقل حماسا من الاشتراكيين لتجربة الثورة فى كوبا ، وأقل حماسا منهم ايضا لاساليب النضال المسلح ، نظرا لان الشيوعيين كانوا يعولون دائما على رسوخ النظام البرلمانى فى شيلى على أساس انه يفتح الباب أمام احتمال صعود الحزب الشيوعى الى السلطة برلمانيا ، وهو ما حدث فعلا فى عام ١٩٧٠ ولكن بمساعدة الحزب الاشتراكى الماركسى !

وفى الوقت نفسه ، وعلى مدى الخمس عشرة سنة الماضية كان ضعف وتفكك الاحزاب اليمينية الرئيسية فى شيلى [الحزب المحافظ والحزب الديمقراطى المسيحى والحزب الليبرالى] هو السبب الرئيسى فى صعود نجم ائتلاف الجبهة الشعبية التى تأسست فى عام ١٩٥٦ والمكونة من الحزب الشيوعى والحزب الاشتراكى وعدد من الاحزاب اليسارية العقائدية الاخرى ، وقد بدأ صعود نجم هذا الائتلاف فى انتخابات عام ١٩٥٨ حين تمكن — بزعامة دكتور سلفادور الليندى ايضا — من الحصول على ٣٥٢ر٩١٥ صوتا مقابل ١٦٨ر٢٥٥ صوتا حصل عليها الحزب الديمقراطى المسيحى بزعامة ادواردو فراى ، وعلى الرغم من أن الذى فاز فى تلك الانتخابات

كان حزب أقصى اليمين ـ وهو حزب المحافظين مؤتلفا مع الحزب الليبرالي (حيث حصلا على ٢٩٧ر٢٨٧ صوتا ـ الا أنه يجدر أن نلاحظ أن تفوق الليندى على فراى فى انتخابات عام ١٩٥٨ كان بنسبة اكبر من تفوقه عليه فى انتخابات عام ١٩٧٠ التى أسفرت عن فوز الليندى وجبهة العمل الشعبى ، فقد عجز اليمين اذن فى الانتخابات الاخيرة عن ان يأتلف فى وجه الليندى والجبهة ، وبمعنى اخر فان الاشتراكيين صعدوا الى السلطة بنفس القوة الجماهيرية التى كانت لهم فى عام ١٩٥٨ ،وهذا احد تناقضات البرلمانية الشيلية فى تذبذبها المستمر منذ سنوات ترجع الى عام ١٩٢٠ بين رئاسات واحزاب يمينية ويسارية .

على أن هذا لا يقلل من قيمة النضال المستمر الذى خاضته الجبهة الشعبية بزعامة الليندى الذى رشح لرئاسة الجمهورية قبل ذلك ثلاث مرات فى عام ١٩٥٢ و١٩٥٨ و ١٩٦٤ ، وفى كل مرة كان اليمين داخل شيلى يفزع لمجرد فكرة نجاحه ، وكان الغرب كله ـ وفى مقدمته الولايات المتحدة بطبيعة الحال ـ يقوم بأكثر من دور المراقب او المتابع من خلال مصالحها واستثماراتها فى داخل شيلى ، ومن خلال أجهزتها خارجها ، كما لا تقلل هذه التناقضات البرلمانية من قيمة الدور التقدمى الذى لعبته جبهة العمل الشيلى بزعامة الليندى ، وهى فى المعارضة فى عديد من المسائل الداخلية والخارجية ، وكان أشهر مواقف الجبهة اليسارية اجبارها حكومة فراى عام ١٩٦٥ على اتخاذ موقف المعارضة الحاسمة للتدخل العسكرى الامريكى فى جمهورية الدومينيكان ، وفضحها محاولة وزارة الدفاع الامريكية فى عام ١٩٦٧ القيام بنشاط سياسى داخل شيلى تحت شعار اجراء دراسة عن « العوامل الاجتماعية » فى تطور البلاد فى السنوات الاخيرة .

البرنامج الاشتراكى

والان وقد بدأت حكومة الليندى اجراءاتها الاشتراكية فان برنامج الجبهة الشعبية يحدد ثلاثة مجالات لعملية ازالة السيطرة الاجنبية وازالة مصالح الاحتكارات الضخمة :

١ ـ مجال الملكية الاشتراكية ودورها فى الاقتصاد الوطنى ، وفى هذا المجال حدد انه لاسبيل الى اتباع أسلوب المصادرة للمصادرة ذاتها أو لمجرد الانتقام الاقتصادى او الاجتماعى ، لان مثل هذا السلوك فى اطار الملكية الاشتراكية ـ حسب وصف الليندى نفسه ـ هو سلوك « أشباه الثوريين » وليس سلوك الثوريين الحقيقيين ، ولكنه أكد فى الوقت نفسه أن المصادرة ضرورية لتطوير اقتصاد شيلى ، ولهذا فسوف تمارسها الحكومة الاشتراكية « دون مساومة » ، فان تأمين عمليات الملكية الاشتراكية فى الاقتصاد تستوجب سيطرة شيلى على **ثرواتها الاساسية : النحاس والحديد والصلب ، وسيطرة القطاع العام على المؤسسات المالية** باعتبارها شرطا «استراتيجيا» لعملية التنمية الاقتصادية الاشتراكية .

٢ ـ مجال الصناعة المختلطة : وقد نص البرنامج على ايجاد **تكامل** بين وسائل تأمين التشغيل الاشتراكى والمشروعات الخاصة ، على اساس جوهرى هو الا تعتمد القرارات الجوهرية الخاصة بالاقتصاد الوطنى على مصالح ترتبط برأس المال الاجنبى ، أو بجماعات احتكارية وطنية .

٣ ـ المجال الفكرى : وقد نص البرنامج على أن تبدأ الحكومة والاطارات الحزبية وكل جماهير الشعب فى النظر الى جميع الاشياء بعقلية جديدة .

والامر الجدير بالملاحظة أن الليندى نفسه أعلن أن هذا البرنامج لا يمثل الا المرحلة المبدئية التى يتعين تنفيذها فى السنوات الاولى فقط من الحكم الاشتراكى ، ولهذا فقد كان الموضوع الرئيسى لمناقشات مؤتمر الحزب الاشتراكى فى شيلى الذى عقد فى سنتياجو فى يناير الماضى هو مسألة توقيت تنفيذ برنامج الحكومة الاشتراكية ومدى كفاية هذا البرنامج لتحقيق «التوجيه الاشتراكى » للمجتمع، وقد عكس انتخاب اللجنة المركزية الجديدة للحزب فى هذا المؤتمر الرغبة فى « المضى بايقاع أسرع » فى تنفيذ البرنامج الاشتراكى ، وكان وراء انتصار أصحاب هذا الرأى فى المؤتمر وصعودهم الى عضوية اللجنة المركزية اهتمامهم بابراز الموقف الاقتصادى المعقد الذى خلفه فى شيلى التأجيل المستمر لحل مشكلات التنمية من جانب الحكومات اليمينية والوسطية التى تعاقبت على الحكم فى ربع القرن الاخير .

ولكن من المؤكد ايضا أن وراء هذا الدفع اليسارى الاكثر دينامية فى الحزب الاشتراكى ائتلافه مع الحزب الشيوعى الشيلى فى الحكومة والمناخ العام من الحماس للاشتراكية الذى خلقه نجاح هذا الائتلاف فى انتخابات الرئاسة الاخيرة ، حتى انه ارتفعت الاصوات لاول مرة مطالبة بتكوين حزب ثورى واحد .

ان« الاطار الماركسى » يجمع بين الشيوعيين

والماركسيين فى الجبهة الشعبية ويكفل الحد الاقصى من التفاهم بينهما كحزبين تقدميين ، وتلعب شخصية الليندى كزعيم ماركسى الفكر للحزب الاشتراكى دورا كبيرا فى وحدة الجبهة ، ولعل هذا هو سبب حرصه الشديد على ان يوضح فى كل مناسبة المنطلق الماركسى لافكاره السياسية والاجتماعية رغم حرصه فى الوقت نفسه على تأكيد التزام حكومته بالشرعية الدستورية لاجراءاتها الثورية ، واحترامها للاصول والقواعد البرلمانية للبلاد.

وقد سأل مراسل امريكى الليندى — قبل توليه الرئاسة مباشرة — عما اذا كان ينوى تشكيل « حكومة ماركسية » فأجاب عليه بقوله : « قد أكون رجلا جاهلا ، ولكنى لست جاهلا الى الحد الذى يجعلنى اعتقد أن هناك « حكومة ماركسية » أنما هناك حكومات اشتراكية وليبرالية ومحافظة .. انى أعتقد ان الماركسية منهج علمى لتفسير التاريخ وليست وصفا لحكومة ، ولسنا ننوى تقليد الاتحاد السوفيتى او كوبا أو الصين ، سوف نسعى فى طريقنا الخاص طبقا لواقعنا لنتخذ الخطوات الضرورية لتأمين اوسع اشباع ممكن لرجال شيلى ونسائها » .

ان شيلى تقبل الان نحو منعطف هام فى تاريخها تجتازه بتنفيذ عمليات التغيير فى الهيكل الاقتصادى والاجتماعى ، وهى العمليات التى يكفلها التأميم والاصلاح الزراعى وبرامج رفع مستوى المعيشة والتنمية الاقتصادية المخططة ؟ ولكن هذا كله مرهون بوحدة القوى التقدمية فى شيلى ومحافظتها على تضامنها ، لان احدا لا يستطيع ان يزعم ان القوى اليمينية قد استسلمت استسلاما كاملا لانتصار الاشتراكيين ، ولا أن المصالح الاجنبية وصلت الى حالة عجز كامل عن المناورة والتآمر أو على الاقل وضع العقبات والعراقيل فى وجه البرنامج الاشتراكى .

والواقع أن أمريكا اللاتينية كلها ترقب هذه التجربة باهتمام كبير ، وتتطلع اليها جماهير شعوب القارة كنموذج جديد فى التحول الثورى ، ليس هو بالتحديد نموذج الثورة الكوبية ، وليس هو فى الوقت نفسه النموذج الذى تدعو اليه حركات التحرير الشعبية التى تتبع اسلوب حرب العصابات الثورية مثل حركة « توباماروس » فى اوروجواى التى اكتسبت اخيرا شهرة واسعة . ولن يمضى وقت طويل قبل أن يجد كثير من الاحزاب العقائدية فى دول أمريكا اللاتينية الاخرى فى تجربة جبهة العمل الشعبى نموذجا يحتذى لجمع صفوف القوى اليسارية والتقدمية ، ولهذا فان السنوات الست من رئاسة الليندى التى بدأت فى نوفمبر الماضى ستكون بمثابة فترة اختبار لدينامية هذه التجربة الاشتراكية ولنجاحها ليس فقط فى تغيير وجه شيلى الاقتصادى والاجتماعى وانما فى التأثير ايضا على مجريات الامور فى أمريكا اللاتينية كلها باعطاء دفعة قوية للاحزاب العقائدية على نطاق القارة التى لعبت الاحزاب البراجماتية الدور الاكبر فى تجريد استقلالها من مضمونه .



ماذا يقول العاملون فى الحقل المسرحى ؟



اعداد : راوية المانسترلى

استكمالا للصورة التى قدمتها « الطليعة » حول الموقف الراهن فى المسرح المصرى المعاصر ، كان لابد لنا من استقصاء رأى « الخامة البشرية » الصانعة لحركتنا المسرحية من المؤلفين والمخرجين والممثلين واصحاب الفرق الخاصة وطلبة المعهد العالى للفنون المسرحية ، لقد قال النقاد رأيهم فى هؤلاء جميعا فيما قدموه من عرض وتحليل وتقييم ، ومن المفيد أن نستمع الى « أصحاب الشأن » فى انفسهم وفيما يقدمونه وما تطرحه الحياة أمامهم من قضايا ومشكلات ، انهم ، هم الذين صاغوا حياتنا المسرحية بكل مافيها من تناقضات سلبية وايجابية . بعضهم أفنى زهرة العمر على الخشبة العتيدة أو بالقرب منها ، وبعضهم لايزال يشق الطريق الوعرة لاعتلاء هذه الخشبة .. ولكن غالبيتهم رأت فى « المسرح » منبرها فى « التعبير » بالكلمة أو الصوت أو الحركة ، رأت فيه ايضا تحقيقا لوجودها ، غائبا كان أو حاضرا .

ولقد توجهت « الطليعة » بأسئلة نوعية الى شرائح العاملين فى المسرح ، ولم تطرح سؤالا عاما مشتركا ، وذلك حتى نحصل فى النهاية على اجابات متخصصة الى حد ما ، وحتى يتكون لنا من هذه الاجابات فى مجموعها صورة متكاملة لتفكير « الانسان المسرحى » فى بلادنا .

ونحن ننشر هنا الاجابات التى وصلتنا حتى مثول المجلة للطبع ، مع ملاحظة اننا قدمنا الاسئلة الى معظم العاملين فى حقلنا المسرحى ، ويعنينا أن نلفت النظر الى اننا ننشر الاجابات كما هى دون تدخل منا وعلى مسئولية أصحابها ، الا فيما يختص بالجوانب الفنية التى لاتنال من جوهر الرأى وطريقة التعبير .

ولقد تركنا آراء الجميع بلا تعليق ، مفسحين المجال لحوار خصب وخلاق حول مسرحنا المعاصر وهو يجتاز ــ بشهادة الجميع ــ مرحلة خطيرة من مراحل تطوره .

كان سؤالنا الى « المؤلف » المسرحى هو :

● كيف ترى العلاقة الواجبة أن تكون بين المؤلف المسرحى ومؤسسة المسرح ، وبينه وبين الفرقة التى تقدم عمله ؟

●● يجب أن تكون علاقة انسجام واتفاق من الاول للاخر على التفاصيل ، وتوافق فكرى مثل علاقة مؤلفين اثنين يؤلفان مسرحية واحدة .. واى خلل فى هذه العلاقة فى أية مرحلة من مراحل انتاج المسرحية يتضخم بالضرورة ليحدث مثلما حدث فى مسألة يوسف ادريس . ليس هذا دفاعا عن يوسف ادريس لانى ارى انه بعد ظهور العرض ليس للمؤلف الحق فى الاعتراض عليه . فظهور العرض يعد قبولا ضمنيا من المؤلف للعرض اجمالا وتفصيلا ، واذا ما طرأ جديد ورأى المؤلف انه يضر بمصلحته فعليه أن يلجأ الى الاساليب السليمة للاعتراض .

العلاقة بين المؤلف والهيئة تتغير الان الى الاحسن ، أما عن علاقة المؤلف بالقطاع الخاص، فانا امتنع عن الاجابة .

وقال نعمان عاشور :

●● بالنسبة للعلاقة بين المؤلف المسرحي والمؤسسة فقد جرى العرف على تقديم النص عن طريق الفرق التابعة لها ، والفرق هى التى تقرر عرض المسرحية بعد شروط محددة اهمها :

١ — موافقة لجنة القراءة الخاصة بالمؤسسة، وهذا ما اصبحت ارفضه حاليا بالنسبة لمسرحياتى .

٢ — اذا قبل النص يعاد الى الفرقة ويحدد مدير الفرقة المخرج الذى سيقوم باخراجها بعد الاتفاق مع ادارة المؤسسة ، وهذا وضع لاأقبله كمؤلف ، اذ لاينبغى أن يفرض احد على مخرجا معينا بدون أخذ رأيى .

٣ — أن اشترك مع المخرج فى اختيار الممثلين ولى الكلمة الاخيرة فى تقديم العرض ، واذاكنت غير موافق على اسلوب الاخراج من حقى ان أوقف العرض وأن تسلم المؤسسة بهذا .

أما فى حالة القطاع الخاص فليس عندى مانع من التعامل مع الفرق التابعة له ، ولكنى أطالب بضمانات كثيرة اهمها :

١ — توافر المخرج المثقف القادر على احترام النص .

٢ — توافر صلاحية المؤدين للعرض من الممثلين .

٣ — عدم الخروج عن النص .

٤ — أن تقدم المسرحية بالطريقة اللائقة على الطول لا على العرض .

٥ — أن يكون لى الحق النهائى فى ايقاف العرض أثناء تقديمه اذا اخلت فرقة القطاع الخاص بممثليها بحرفية النص .

٦ — أن تحدد مدة عرض المسرحية بما لايقل عن ثلاث سنوات .

٧ — أن يكون لى حق الاداء كل مرة تعرض فيها المسرحية ، وأن تكون لى نسبة محددة فى تسجيل الاذاعة والتليفزيون لاتقل عن [٤٠] كلمة اذا وجدت الفرقة التى تستطيع ان تحافظ على نصى تحت هذه الشروط ، فالمسرح مسرح وليس هناك فرق بين القطاع العام والقطاع الخاص .

ويقول عبد الله الطوخى :

●● ليس نوعا من التضخيم لذاتية الكاتب المسرحى، ان قلت انه يقف فى طرف ، وبقية العناصر المسرحية — رغم خطورتها واهميتها — تقف كلها فى طرف آخر ..

ذلك أن المسرحية بمجرد ان تكتب ، تصبح عالما مكتمل الوجود يمكن التعايش معه بالكامل على نحو ما .. وان كانت معايشة فى سرداب .. حلما مدونا بين دفتى كتاب !

ثم تأتى المرحلة الثانية ، تحويل الحلم المدون بكل خطوطه وتفاصيله وظلاله الدقيقة الى عالم الواقع .. عالم التجسيد على خشبة المسرح .. الخروج من السرداب ، الى عالم منظور يراه فى لحظة واحدة آلاف الناس !!

هنا بالضبط عظمة ودقة دور ومسئولية رجال المسرح الاخرين : احتضان ذلك الحلم أو ذلك العالم المكتمل على الورق ، واخراجه على خشبة المسرح على انصع وأرفع مستوى ممكن !

وبديهى .. ان « الفقس » الجيد ، لايتم الا من خلال « احتضان » جيد .. وذلك يحتاج الى صدور مليئة بالدفء وبالحب وبالايمان وبالاقتناع .

وبخروج الوليد الى الحياة ، يتراجع المؤلف الى الخلف ، ولا يعود فى امكانه ادعاء الابوة أو الامومة لنفسه فقط .. بل هى للجميع .. لكل من ساهم فى اعطاء الحياة للعمل المكتوب ودفعه

الى الظهور .. وتصبح رعاية المولود من واجب الجميع .. مسئوليتهم جميعا .. وعلى حد سواء !!

هى اذن علاقة تكامل .. لا علاقة أنداد وأضداد !!

المؤلف فى الاصل ، مرحلة مكتملة ومتفردة بذاتها ، ثم لايلبث ان يدخل فى المحيط ، يصبح ملاحا من عشرات الملاحين..انها مرحلة الجميع .. والمجموع .. انما المخرج هو القبطان !

وأنا لا اتصور عملا فنيا ناجحا يقوم على أرض من المنازعات والصراعات ، وتصورى للجو المثالى المسرحى ، بيوت مسرحية : كل بيت تسكنه عائلة مقيمة فيه باستمرار ، عائلة تتكون من المؤلف والمخرج والممثلين والعمال والمهندسين الخ ..

وكل عائلة [أو كل بيت] تتبارى مع البيوت الاخرى من أجل اقامة أجمل الليالى .. المشعة ببهجة الفن الدرامى العظيم !

اننى أدعو الى اقامة وتوثيق الرابطة : بين كاتب معين ، ومسرح معين ، وليس فقط بين الممثل والمسرح !!

ان احساس الكاتب بالتشتت ، مرير تماما كاحساس الممثل بالتشتت ..!! اننى أدعو الاستاذ محمود أمين العالم ، بربط كل مجموعة من الكتاب ، ببيت مسرحى معين ، وسوف يرى كم من المواهب والطاقات سوف تتفجر وتفيض !

ان ذلك بالطبع يتضمن ضرورة وجود عدداكبر من المسارح ، أو أماكن للتمثيل ، وفى رأيى أن هذا لايمثل مشكلة ، ففى القاهرة عشرات الاماكن التى يمكن استغلالها كدور صغيرة أو كبيرة للعروض المسرحية !

كذلك لايصح أن تقوم « الميزانية » كعقبة ، لان المنهج الصحى السليم لازدهار حركتنا المسرحية ، هو الذى يقوم على : الاجمل فنيا .. والاقل تكلفة !

ان مثل هذه العروض البسيطة ، هى الامتحان الحقيقى لموهبة المؤلف ..وموهبة المخرج ايضا.

اننى أدعو الى عقد مسابقة فى نهاية كل موسم ، يكون العمل [أو الاعمال] الفائزة فيها ، هى التى يتحقق فيها هذا الشعار: الاجمل فنيا .. والارخص تكلفة .

ان اعظم مشروع اتمنى ان يحققه الاستاذ محمود أمين العالم ، وهو على أبواب موسم جديد ، هو : البيوت المسرحية ، بيوت يكون فيها المؤلفون اعضاء منتمين الى خشبة معينة .. تصبح مع مرور الوقت عنصر الهام وتفجير للخبرات والطاقات !!

ان ميزة ارتباط « الكاتب » بمسرح معين ، أنه سيجد نفسه مجذوبا الى معايشة الحياة المسرحية الحقيقية ، والى الاحساس اكثر بالمسئولية ، ولا يعنى ذلك على الاطلاق تحديد أو تضييق نظرته الانسانية أو الفنية .. بالعكس — أن البيت المسرحى بالنسبة للمؤلف هنا ، هو نقطة ارتكاز وانطلاق ، واحساس أعمق بفكرة الجماعية .. وبفكرة المصير المشترك .

أحلام كثيرة للمؤلفين، لن تتحقق الا اذا تحقق حلم واحد أساسى، هوشرط لتحقيق بقية الاحلام : الحلم : أن تنتهى « مأساة » تغيير المسئولين فى المؤسسة باستمرار ، ذلك التغيير فى الاشخاص، والذى ينبنى عليه فورا ، التغيير فى الخطط والمشاريع .. أمر يشعر معه الفنانون ، وأولهم الكتاب المسرحيون بالغربة والمرارة .. بل وبالضياع ، فى الوقت الذى يتحرقون فيه شوقا الى الارتباط .. والانتماء .

■ ■

وكان سؤالنا الى المخرج المسرحى هو :

● ما هو اتجاهك الفنى ، وهل أتيحت لك فرصة تطبيقه ؟

اجاب كرم مطاوع :

● أن رجل المسرح — شأنه شأن المواطن الملتزم ، يشغل فكره بقضايا معينة .. تحكم سلوكه ومنطقه ، ولا شك أن أهم قضايا العصر هى حرية الفرد فى تقرير مصيره فى إطار مجتمع تسوده العدالة والمساواة والاستقلال .

وبنظرة أكثر شمولا سنجد أن هذه القضية تلخص معركة من أهم معارك الانسان فى سبيل تحرره من أساليب القهر والاستغلال ..

وللفنان كلمته ودوره وموقفه ازاء هذه القضية، وكلمة الفنان هذه لابد وأن تنبع من كيانه الحقيقى .. من تاريخ نضاله القومى ، من حضارته وتراثه التاريخى .. تعبيرا عن ملامح زمانه ومكانه .. وبلغة فنية تعكس ماضيه وحاضره.. وتلخص آماله وأحلامه فى المستقبل ، فالالتزام بقضايا الشعب والمجتمع والعصر فى سبيل خدمة الانسان والبشرية هو — أو يجب أن يكون — هدف الفنان بالدرجة الاولى ، وهو فى سبيل تحقيق هذا الهدف أو التعبير عنه ، عليه أن يكون واقعيا فى لغته .. محليا فى اختياره لمصادر الهامه ..مرتبطا بتربيته وتراثه التاريخى وبانسان مجتمعه .. هكذا يقترب من جماهيره .. معبرا عنهم بلغتهم .. كى يسمو بهم فى

النهـاية من خلال فن راق يحقق به احلامهم ؟ وينير لهم به طريق المستقبل .. مخاطبا فى كل ذلك عقولهم لا غرائزهم أو عواطفهم .

ولعل «الفرافير» و « ياسين وبهية » و « الفتى مهران » و « ليلة مصرع جيفارا » و « وطنى عكا » و « ياسين ولدى » محاولات جادة فى سبيل اثارة هذه القضايا ودعوة الجماهير للتفكير فى مصيرهم بهدف تحديد موقف ايجابى امام العديد من المشاكل والقضايا التى تهم انسان هذا العصر .. فضلا عن القضايا السياسية التى تفجرها هذه المسرحيات — مع اختلاف نوعياتها — على مستوى النص ، حاولت — من ناحيتى كمخرج مفسر أن أعطى للكلمة مدلولها الصوتى المرئى — الحركة الشـاملة — موظفـا الكلمة قدر المستطاع — كى تخاطب عقل المتفرج بالدرجـة الاولى — وذلك بعد الغاء حواجز الايهام التى تضلل المتفرج ، وتعزله عما يدور على خشبة المسرح ، وفى سبيل تحقيق هذا الهدف ، استعنت كثيرا بفنون المسرح الشـامل ، حيث تستخدم كل الاساليب الفنية التعبيرية بغيـة اسـتمالة المتفرج واقناعه — بكل لغـات الفنون الشقيقة لفن المسرح — بالاهداف والقضايا الجوهرية التى تنادى بها التجربة المسرحية ، داعيا اياه ان يتخذ موقفا ايجابيا حيالها — والطريق طويل .. وما زال امامى كثير من المحاولات .

ويقول سعد أردش :

●● لو ان الواقعية الاشتراكية تعتبر اتجاها فنيا ، لفضلت أن اسمى بها ، غير ان المسـألة تحتاج الى عمق أكثر للاسباب الاتية :

اولا — ان الاتجاه الفنى لايتحدد الا من خلال جملة أعمال المخرج فى حياته الفنية ، ان هذه الاعمال هى التى تحدد المسـار الرئيسى على المستويين الفكرى والفنى وربما كان الناقد هو أقدر الناس على استنباط هـذا الاتجـاه من الفنان ذاته .

ثانيا — اننا لايمكن أن نفصل ببسـاطـة بين الاتجاه الفنى والاتجاه الفكرى — ربما كان الاتجاه الفكرى هو الاساس وخاصة بالنسـبة لفنـان يعيش مرحلة تحول اجتماعى كالتى نعيشها .

ثالثا — اننا اذا سلمنا بان الاتجاه الفكرى للفنان هو الاساس ، فان هذا الاتجاه ينادى بطبيعته لغة التعبير أو الاتجاه الفنى .

غير اننى كما قلت فى البداية اميل خلال معظم أعمالى الفنية الى بحث مايمكن ان تسميه الواقعية الاشتراكية ، ولقد اتخذ هذا البحث صورا شتى وظلالا مختلفة حسب مادة كل عمل ، فلو اننى تتبعت أعمالى الجادة كمخرج بدءا من « الارض » لعبد الرحمن الشرقاوى الى « سكة السلامة » لسعد وهبة « انتيجونا » لسوفوكليس و « ياطالع الشجرة » لتوفيق الحكيم و « الانسـان الطيب » و « دائرة الطباشير القوقازية » لبريخت و « النار والزيتون » و « عسكر وحرامية » لالفريد فرج لاستطعت ان أضع يدى على ابجـدية رئيسية تكون فى النهاية اللغة التى اسميها الواقعيـة الاشتراكية ، وغنى عن البيان بعد هذا ان هذه الابجدية مستلهمة — من تراث اللغـة المسرحية التى ورثناها منذ سوفوكليس الى بيترفايس .

وقال نبيل الالفى :

●● هنـاك شـعارات مثل الفن للفن والفن للحياة والفن للانسان ، واعتقد أن نشاطى الفنى يندرج تحته شعار « الفن للانسان » .

ومعظم المسرحيـات التى توليت اخراجهـا — تنطوى دائما على قيم بناءة تستهدف الارتقاء بالانسان — فيما يتصل بمشاكله وقضاياه وذوقه العام — وبعض النقاد يلمحون فى انتاجى كمخرج التمسك بالقيم الجمالية — والواقع ان هـذا صحيح الى حد كبير ، ولكن على اسـاس ان الجمال الذى يعنينى فى التجربة مستنبط مـن جوهر النص — وليس هو اسقاطا من جانبى على التجربة .

— القيم الجمالية التى قدمتها فى « ايزيس » و « بيجماليون » لتوفيق الحكيم أو فى « مكبث » لشكسبير ليست قيما جمالية يقـدمها العرض لمجرد الزخرفة وانما هى تزهر فى العرض تلقائيا من خلال معايشتى للتجربة ، وتكون دائما ابدا مرتبطة بفلسفة النص ومضمونه .

المشكلة هى اننى لم أعد مجرد فنان اوجه كل طاقتى لتجاربى الفنية ، وانما اصبحت رجل مسرح يشـغلنى التخطيط والادارة والكتابة ومعالجة القضايا المسرحية وهذا كله منذ عهدت الى الدولة سنة ١٩٦١ ادارة المسرح القومى ثم بانشاء مسرح الحكيم ثم بادارة المعهد العـالى للفنون المسرحية ثم مستشار فنى للمؤسسة ، ثم مدير لقطـاع الدراما بحيث لم يعـد يمكن الرجوع الى الوراء الآن .

ويرى حمدى غيث :

●● أعتقد اننى كمخرج مسرحى يجب ان تكون

لدى القدرة على اخراج أية مسرحية من أى اتجاه ولاية مدرسة من مدارس الادب المسرحى ، فالمخرج المسرحى الى جانب عمله كمبدع وخالق للاطار المادى الذى تجرى فيه المسرحية ، فهو أيضا يقوم بعملية تفسير النص من أجل توصيل الافكار التى يحويها هذا النص الى المتفرج ، ومن اجل هذا يجب ان تكون لدى المخرج المسرحى القدرة على تذوق مختلف النصوص ومن اى الاتجاهات الادبية تماما كالممثل الذى اتسعت امكانياته فنيا وعمقت قدرته واستطاع ان يؤدى اى دور فى اية مسرحية من اى اتجاه ادبى ، كما أن الممثل لايستطيع أن يقول ان اتجاهى الفنى هو تمثيل أدوار من المسرح الواقعى فقط أو الكلاسيكى فقط أو الرومانتيكى فقط بل يجب أن تكون لديه القدرة على تمثيل اى دور من اى اتجاه طالما كان هذا الدور ملائما لمواصفاته الشخصية كأدوار الشباب أو الشيوخ وما الى ذلك ، فان المخرج أيضا يجب أن تكون لديه نفس القدرة على اخراج أية مسرحية من أى اتجاه ، ومع ذلك فان هذا لايمنع من أن يكون لكل مخرج شخصيته المستقلة واسلوبه المتميز فى تناول الاعمال المختلفة الاتجاهات وذلك تبعا لمزاجه الفنى وثقافته الخاصة ووجدانه الفكرى، فأنا عندما أخرج مسرحية لشكسبير سأختلف قطعا عن اى مخرج آخر فى تناوله لهذه المسرحية وهنا تتدخل الثقافة والفكر بل والعقيدة الاجتماعية والسياسية فى تناول وتفسير مثل هذه المسرحية

ويقول أحمد زكى :

●● الرجوع بالمسرح الى أصالته الاولى بما فيها من بساطة شديدة بالتركيز على فن الممثل والحفاظ على الكلمة الدرامية — وهذا قد طبقته بالفعل فى مسرحية « الغول »، مثلا لم أعتمد على الحرفية التقليدية ولا المؤثرات التقليدية باختصار شديد يقوم الممثل فى العرض بوظيفة سائر هذه المؤثرات ويترك المشاهد يعيش بخياله ويحقق ايجابيته ووجوده داخل المسرح ، الغول هى مسرحية لها تركيب غير عادى [مسرح تسجيلى] وهذه التركيبة كانت من دواعى تحمسى لاختيار هذا النص وعرضه على الجماهير .

■■

وكان سؤالنا الى الممثل أو الممثلة المسرحية ؟ من نقطتين :

● الاولى هى مسألة التشتت بين المسرح وأجهزة الاعلام المختلفة

● والثانية هى مسألة المزاوجة بين العمل فى المؤسسة والعمل فى الفرق الخاصة

كيف يوفق الفنان بين هدفه الفنى ، وهذه الوسائل المختلفة ، والمتعارضة أحيانا ؟

أجابت سناء جميل :

●● أنا لا أرى سوى المسرح ؟ ولا أشعر الا بالخشبة المسرحية ، أما عن الفرق بين القطاع العام والقطاع الخاص ، فهذه ليست مهنتى ، ولذلك لا أستطيع الحكم على الاثنين ، ولكنى أستطيع ان اقول وجهة نظرى فى المسرح ، وفى المشاكل التى قد تقابل الممثل ، اذا كان الممثل يتمتع بالصدق والالتزام بالنص والقدرة الفنية ، يلى هذا ، اهم مشكلة تقابله ، وهى النص الجيد ، يليه الفلوس ، مظهره الذى يجب ان يحافظ عليه ، وهنا فقط يختلف القطاع العام عن القطاع الخاص فهناك مشاكل واحداث داخل المؤسسة ، ومشكلة الممثل انه أول من يقف أمام المشاكل ، وآخر من يتمتع بحسنات المؤسسة ، والامر يختلف فى القطاع الخاص ، واذا كنت قد عملت فى القطاع الخاص ، فالسبب الوحيد هو بقائى بلا عمل لمدة تراوحت بين خمس وست السنوات ، اذا كانت مسارح الدولة لا تعتبرنى ممثلة ، وجماهير القطاع الخاص تعتبرنى ممثلة ، فأظن أن من حقى أن أعمل فى المكان الذى يعتبرنى ممثلة .

أما عن مسألة التشتت ، فأنا اعتقد ان الممثل عليه ان يعمل فى كل اجهزة الاعلام ، ولكن عليه أن يرتاح ماديا حتى لا يفقد صحته .

وقالت سميحة أيوب :

●● اجهدنى الكلام عن مشاكل المؤسسة ؟ والترحيب بوجود القطاع الخاص ، المسألة ليست مسألة قطاع خاص وقطاع عام ، ولكنها مسألة مسرح ، هل هذا المسرح يؤدى خدمة للجماهير ، هل يرفع ذوقها العام ، أم يفسده ، أعتقد ان لكل منهما أخطاءه التى يجب القضاء عليها ، فالقطاع العام مشكلته فساد الخطة ، وعدم الاهتمام بالدعاية ، ولكنه بلا شك ، هو الفكر الحقيقى ، والظاهرة الحقيقية للمسرح فى مصر .

أما القطاع الخاص ؟ فمشكلته الاساسية ؟ عدم الاهتمام بالفكر ، مما أدى الى فساد الذوق العام ، ولا أستطيع أن أنكر ظاهرة الجماهير التى تنصرف عن القطاع العام ، وتقبل على القطاع الخاص ، ومن رايى انه يجب على المؤسسة دراسة هذه الظاهرة ، والبحث عن أسباب اقبال الجماهير ودراستها .

أما عن الممثل وتشتته بين أجهزة الاعلام والمسرح ، فالحاجة المادية هى السبب الرئيسى ، والانتشار والشهرة هما السبب الثانى ، ولذا أطالب المؤسسة الاهتمام بتقدير الممثل ، لانه من المخجل حقيقة ، ان يعامل الفنان هذه المعاملة فى مجتمع اشتراكى .

وترى محسنة توفيق :

●● ليس أساسيا ان الذى يعمل فى المسرح لابد ان يعمل فيه فقط ، فالممثل يجب ان يعمل فى جميع أجهزة الاعلام ، لاشباع رغبته فى التمثيل ، والقضية الثانية ان الفنان يلجأ لهذه الاجهزة لعدم تقييم المسرح له ، وهذه هى مشكلة الدولة ، لابد من تقييم فنان المسرح ، بمعنى آخر ، تقييم الموهبة والقدرة ، فلا يوجد من يستطيع اجبارى على التفرغ للمسرح ، وأنا لا أتقاضى حتى ما يسدد تكاليفه .

القضية الثالثة ، ان لابد لكل هذه الاجهزة من تنسيق العمل ، آخذة فى اعتبارها وقت وجهد الممثل ، ولذا لابد من التخطيط لصالح العمل .

أما عن قضية القطاع الخاص والقطاع العام ، فهذه تتوقف على وجهة نظر الممثل ، وعلى رؤيته للمسرح ، وهدفه ، وماذا يريد ان يقول ، ولمن ، لا أستطيع ان ألوم الفنان الذى يعمل فى القطاع الخاص ، ولكنى أرفض تمييع الحدود بين الاثنين ، ذلك لاننى أرى أن القطاع العام له رسالة ، والقطاع الخاص له رسالة أخرى .. العام يصرف له ٢ مليون جنيه ، لتقديم خدمة للجماهير العريضة ، وترك لمدة كبيرة شباك التذاكر ، فالفن هنا مثل الطب والدراسة ، ومسرح القطاع العام مبرراته موجودة ومستمرة ، وحتما سينتشر جماهيريا ، وفى يوم سيقضى القطاع العام على القطاع الخاص ، ولذا فلا أرى ضرورة للمطالبة الان بانهاء القطاع الخاص ، لانه ـ كما ذكرت ـ سينتهى ذاتيا .

ويجيب عبد الله غيث :

●● ليس عندى مانع من العمل فى القطاع الخاص .. ولكن المهم النص فقط .. انا بالطبع اقبل الاشتراك فى عمل ، فى مستوى « يس ولدى » ، وأية فرقة قطاع خاص تعرض على العمل فى حدود النص الجيد والاخراج الجيد ، اقبل العمل فيها .. المسألة ليست عنتا وعنادا ، ولكنها مسألة تقديم فن حقيقى للجماهير .

الشىء الوحيد الذى أعيبه على القطاع الخاص ، هو ان كل من معه فلوس يستطيع عمل فرقة ، ولذا فلابد من وضع أسس سليمة واشراف جاد من المؤسسة على فرق القطاع الخاص .

أما عن العمل فى اكثر من جهاز ؟ فالعوز المادى هو السبب الرئيسى ، لابد فى الحقيقة من تقييم جاد وسريع لممثل المسرح ، والا فسيأتى اليوم الذى يفقد فيه هذا المجتمع ممثليه ، بالمرض أو بالاستهلاك .

ويقول عبد المنعم ابراهيم :

●● التشتت مسألة أمرضتنى ؟ وعجزتنى اكثر من ١٠ سنوات على عمرى الحقيقى .. واشعر بالموت البطىء من كثرة العمل ، ولذا لابد من تقييم الدولة للممثل ، وأملنا كبير فى الاوضاع الجديدة .

اذا كنت لم أعمل الى الان فى القطاع الخاص ، فلأننى ما زلت اجد عملا لدى الدولة ، أما اذا لم أجد عملا ـ لا قدر الله ـ فلا شك اننى سأقبل فورا العمل بالقطاع الخاص .

وتؤكد يسرية الحكيم :

●● المسألة اصبحت الان ليست مناقشة حول مسارح تابعة للدولة ، وأخرى تابعة لافراد .. وانما أصبحت .. هل ما يقدم للجماهير صحى أم أنه داء يفسد فكرهم وذوقهم العام ؟ .. المشكلة الحقيقية هى هذا الشعب ، ماذا حل به نتيجة لفساد المسرح فى مصر . المشكلة اصبحت ان لدينا مسرحا يقدم للجماهير ما يستفز غرائزها ونزواتها ، أو مسرحا آخر ، يقدم لها ما تضحك عليه ، أو مسرحا سياسيا يفرج عنها ، والمسارح التابعة للدولة ، تقدم للجماهير فكرا فقط ، مغلفا بشكل مسرحى أوربى ، هى فى حقيقة الامر لا تستسيغه ، لانها لا تعرفه ، تلك هى المشكلة التى يجب ان نجد لها الحل السريع ، والا سينصرف الجمهور حقيقة عن هذا وذاك .

أما عن اجهزة الاعلام وتشتت الممثلين ؟ فاعتقد أنه لابد من الانتشار فى أجهزة الاعلام ، حتى

يتعرف الجمهور على الفنان » ولكن لابد أيضا من تنسيق بين الاجهزة ، حتى لا استهلك ، وان اقيم في المسرح » بما يحافظ على مظهري كممثلة .

ويقول محمد عنانى :

●● ارى ان اجهزة الاعلام الممثلة فى التليفزيون والاذاعة » تهتم دائما بمسرحيات الفارس وتقررها على الجمهور » فمسخت ذوقه » واصبح السؤال الجماهيرى الذى يدور حول اية مسرحية قبل ان تشاهد ، هو [هى بتضحك ؟] ؛ لذلك تحول مفهوم الجمهور » واصبح همه الوحيد هو ارتياد المسرح للضحك والتسلية وقزقزة اللب . والمسئول الاول عن هذا » هو اجهزة الاعلام ، التى لا تعرض اية مسرحية لها مستوى فكرى معين . وارى ايضا ان معظم النقاد يمسكون سياطا من حديد وينهالون على كل مسرحية جادة ، فى ايديهم معايير نقدية أكاديمية حرفية ، وفى نفس الجريدة » نجد اخبارا ومدحا واستحسانا لكل نجوم الفارس ».

أما مشكلة القطاع العام الحقيقية ، ففى نقص التخطيط » وعدم فهم طبيعة الجمهور ، والتخلى عن الروتين » والعبء الوحيد عليها ، هو كثرة الموظفين ، مثل اعتراض الرقابة بعد التصديق على المسرحية » واخيرا اقول ان القطاعين ضروريان » ولكن بعد تخطيط ودراسة علمية حقيقية ».

أما السؤال الثانى ، فلا ارى ضرورة لهذا التشتت » غير الاحتياج المادى الذى يشعر به جميع العاملين فى الفن .

وتقول مديحة حمدى :

●● تتلخص المشكلة فى ان الممثل لا يحقق وجوده فى جهاز واحد : أما فلوس بلا جمهور ، وأما جمهور بلا نقود ، واذا تخصص الممثل ، فلابد ان نوفر له ما يكفيه . وهذا لا يتمتع به الا ممثلى السينما فى مصر .

أما عن القضية الثانية » فأنا بنت المؤسسة » ولا استطيع العمل فى سواها ، وتجربتى فى القطاع الخاص ، كانت محاولة منى للتقرب من نوعية الجماهير التى تشاهد القطاع الخاص ، ولكنى لن اكررها .

وتجيب سميرة عبد العزيز :

●● اننى لا أرى مانعا ابدا من عمل ممثل أو ممثلة المسرح فى أجهزة الاعلام » مثل الاذاعة والتليفزيون ، بل وفى السينما ايضا ، لان هذا من حقه فى ان يكون مشاهدا من جمهور كل جهاز لانه ليس كل الناس من هواة ريادة المسرح . هذا من ناحية حقه فى الشهرة ، وفى تقديم فنه على قاعدة اوسع من الجماهير ، ولكن ما يشوه هذا الحق ، ويجعله فى النهاية ضد الممثل ، هو عدم التنسيق ، وعدم التخطيط فى المسرح بالنسبة لكل فرقة ، كبيت مسرحى ، وبالنسبة للهيئة كجهاز يدير المسارح .

بالنسبة للهيئة ، فدائما خطتها غير ثابتة ، وغير معروفة للمسارح ، الا فى آخر لحظة ، اما بالنسبة للبيت المسرحى ، فان الممثل هو آخر من يعلم بعمله فى الموسم المسرحى ، لانه ليس من الضرورى ان يشترك جميع ممثلى الفرقة فى كل مسرحية ، وانما يوزع العمل حسب الادوار المختلفة ، ويكون من الظلم ان نحرم الممثل من العمل فى الاذاعة والتليفزيون فى نفس الوقت الذى لا يكون لديه عمل بالمسرح ، وعلى ذلك فاذا كان معلوما لدى جميع الممثلين فى بداية الموسم المسرحى عمل كل منهم وتاريخ اعداده وتاريخ عرضه ، فلن تحدث مشاكل على الاطلاق ، ويستطيع الممثل فى هذه الحالة الا يرتبط باعمال أخرى أثناء عمله بالمسرح ، اى أنه يجب على ممثل المسرح ان يجعل الاعتبار الاول لعمله بفرقته المسرحية ، بحيث لا يتأخر يوما عن بروفة واحدة بسبب أى عمل آخر خارجى ، وهذا لن يستغرق وقتا طويلا ، فان اقصى ما تحتاجه مسرحية ، هو ثلاثة أشهر للاعداد ، على الممثل ان يحترم هذه الفترة ، ولا يفضل عليها أى عمل آخر .

هذا طبعا من ناحية الاعتبار الفنى .. اما من ناحية المادة ، فان ما يدفع الممثل الى ترك العمل بالمسرح الى أعمال الاجهزة الاخرى ، هو عدم التقدير المادى بالنسبة لممثلى المسرح ، مما يجعلهم يلهثون وراء الكسب المادى ، ويهربون من العمل بفرقهم .

وان كان هذا الاعتبار ليس هو الاساس لدى الفنان الحقيقى ، لان متعة العمل على المسرح لا تعادلها متعة أخرى ، مهما كانت مجزية ماديا .

بالنسبة لعمل ممثلى فرق القطاع العام فى فرق القطاع الخاص ، بل وعمل ممثلى فرقة معينة بفرقة أخرى ، سواء كانت قطاعا عاما أو خاصا ، فاننى ارفضه رفضا تاما .

ذلك ان العمل المسرحى ليس عملا فرديا على الاطلاق ، وانما هو عمل جماعى تتصف فيه كل جماعة أو كل فرقة بطابعها الخاص ، يفهم الاعضاء كل منهم الاخر ، ويدرس كل منهم اسلوب

زملائه ؟ فاذا ما قدموا لنا عملا ؟ احتسبنا بترابطه وبذوبان الفرد فى المجموع ، أما اذا اجتمع الممثلون من فرق مختلفة ، فلابد وان يشعر المتفرج بالتفكك داخل العمل المسرحى .

كما انه لابد وان يكون لكل بيت مسرحى فنانون تابعون له فقط ، فلا يشتت المتفرج اذا كان يريد أن يرى نجمه المفضل ، بل وفريقه المفضل ، وبهذه الطريقة سيصبح لكل بيت مسرحى طابعه الخاص الذى يفرضه عليه فنانوه .

اذن ، ليست العبرة فى أن ينتقل ممثل القطاع العام الى فرق القطاع الخاص ، وانما الخطأ فى أن ينتقل ممثل فرقة معينة ، ليعمل فى فرقة أخرى غير فرقته ، لان هذا أيضا من معوقات العمل فى كل فرقة اذا ما أرادت ان تعيد عرض الريبورتوار الخاص بها ، واذا كانت هذه الاعارات والتنقلات بين الفرق سليمة ، لما كان ضروريا أن تنشأ فرق ، ولترك الممثلون دون انتماء لاية فرقة ، وعندئذ أقول ليس هناك مسرح ولا فرق مسرحية .

■■

وفى المعهد العالى للفنون المسرحية ، كان سؤالنا يدور حول نقطتين :

● **الاولى هى طبيعة الدراسات المسرحية فى المعهد وعلاقتها بحياتنا المسرحية والفكرية**

● **والثانية هى مدى كفاءة هذه الدراسات فى أمداد الطلبة والطالبات بتصور شامل للمدارس المسرحية المختلفة**

وقد أجاب **جلال الشرقاوى** ، من واقع خبرته كمدرس فى المعهد ، على ذلك ، بقوله :

●● بالنسبة لاسلوبى فى المعهد ، وموقفى من الدراسة : المنهج الموضوعى لقسم التمثيل ، منهج علمى ، على أساس من الدراسة المتخصصة وعلى الدراسة المقارنة ، وعلى التعرف على مناهج الدراسات المسرحية فى كل من لندن وباريس وروما ، ولكن المشكلة الحقيقية ، هى انه لا يوجد لمعظم المواد أساتذتها المتخصصون ، ولكن ينقص هذا المنهج شىء جوهرى جدا فى تكوين الممثل المتكامل ، وأعنى به الممثل الذى يستطيع ان يصل الى التعبير الفنى من خلال الصوت والجسم ، بالاضافة الى الانفعال الصادق . والموهبة الطبيعية يمكن ان تربى ، وان تنمو من خلال دراسات علمية معينة ، بعبارة أخرى ، لا يوجد فى المنهج الفنى لقسم **التمثيل** بالمعهد ، الوسائل التى تخرج الممثل ، المغنى — الراقص .

المفروض ان منهج الاداء التمثيلى بالسنة الاولى يركز على المذهب الكلاسيكى القديم ، وبالنسبة للسنة الثانية ، الكلاسيكى الحديث والرومانسى ، والسنة الثالثة ، المذهب الطبيعى والواقعى ، وفى السنة النهائية ، يتعرض الطالب لكافة المدارس الحديثة ، من وجودية سارتر ، الى ملحمية بريخت ، الى تسجيل فايس ، الى لامعقول يونسكو .

ومن الطلبة أجاب محمد أباظة [قسم تمثيل]

●● الدراسة فى المعهد تنقسم الى أربعة أقسام ، وفى كل قسم ، يدرس الطالب مدرسة من مدارس التمثيل العالمية .. فهو يحصل فى المعهد على المدرسة اليونانية والكلاسيكية الجديدة والرومانسية ، والمدرسة الحديثة ، والمدرسة العربية .

وفى اعتقادى ان هذا يكفى ، لان الطالب يدرس كافة المدارس التمثيلية ، ولكن المشكلة أن الطالب عندما يتخرج لا يطبق ما درسه ، ولذا نجد فارقا كبيرا بين ما نراه وما ندرسه .

وقال يسرى ندا [قسم تمثيل]

●● من ناحية الدراسة ، اجد ان المعهد يقدم لى كل ما أريد معرفته ، وأدرس جميع مدارس الاخراج والتمثيل فى العالم ، ولكن المشكلة هى المدرس المتخصص فى كل مدرسة .. وعدم التوافق بين ما ادرسه ، وبين ما أمارسه فى الحياة العملية ، فلو أننى فضلت تمثيل الكلاسيك ، لا أجد فى الحياة العملية ما أحبه ، ولذا أجد هوة كبيرة بين ما أدرسه ، وما أجده فى المسرح .

ويرى أسامة زكرى (قسم النقد)

●● طبيعة الدراسات فى المعهد ، دراسة تخصصية لمناهج النقد فى العالم ، وينقص الدراسة فعلا ، تاريخ النقد المصرى ، والبحث فيه .. فأنا أطلع على كل الدراسات النقدية الاجنبية ، وأجدها قد لا تتفق مع طبيعة الشعب

المصرى ، ولذا فلابد من منهج قائم أساسا على وجهة النظر المصرية ، فيما عدا هذا ، فاعتقد ان المعهد يقدم لنا كل مناهج النقد العالمية .

ويقول حسين ابو المكارم [قسم النقد]

●● الدراسة النقدية فى المعهد سليمة ، ولكن الناقص فى الدراسة ، هو مدارس الاخراج والديكور والفن التشكيلى ، اذ لابد من دراستها بشكل أكثر تخصصا ، حتى يكتمل الناقد المصرى ، ويستطيع ان يكون موضوعيا عن فهم حقيقى .

■■

وكان سؤالنا الى أصحاب الفرق الخاصة ، هو :

● ما هو الدور الذى ترى أن القطاع الخاص يستطيع القيام به فى حياتنا المسرحية ، وما هى المشكلات التى يطرحها القطاع الخاص فى اضطلاعه بهذا الدور ؟

يجيب محمد رضا :

●● أريد ان أقول انه فى المجتمع الاشتراكى لابد وان يراعى وجود القطاعين ، مع ملاحظة ان المسرح فى القطاع الخاص يعمل برأس مال فردى ، وفى القطاع العام برأس مال الشعب .

ومن خلال وجهة النظر هذه ، وجدت الهوة التى تفصل بين القطاعين ، لاقبال الجماهير على القطاع الخاص ، وعزوفها عن القطاع العام .

المشكلة من وجهة نظرى ، هى ببساطة ، أن القطاع الخاص يرعى الجماهير ويهتم بمشاكلها ، والقطاع العام تاه فى مشاكل الادارة وزيادة العمالة ، وعدم وجود تخطيط ، والانشغال بوضع فكر لا يرتبط بميول الجماهير ، وأخص بالمناقشة الجملة الأخيرة ، وأقول انه لا يوجد فكر الا من خلال الجماهير ، وان المتفرج لا يجلس فى مركز البحوث لكى يتلقى الفكر وحده ، ولكنه يجلس فى مسرح يأخذ الفكر عن طريق المتعة .

تسألينني أن كنت اقبل العمل مع القطاع العام ، وأقولها لك صراحة ، انني لن اترك مسرحى وأعمل فى المسرح الكوميدى ، لكى اقدم ابتسامة بمليون روبل .

ويقول نبيل خيرى :

●● هناك مسارح تعتبر امتدادا للقطاع العام ، ولكنها تختلف عنه فى مقدرتها على جذب الجماهير ، فوجهة التشابه أن لها مسرحا ثابتا ، ولها مواسم ثابتة ، وتتمتع بمخرجين وممثلين ومؤلفين ثابتين ، كما انها منتشرة جماهيريا ، مثل « فرقة تحية كاريوكا » ، وفرقة « الريحانى » ، وهناك مسارح أخرى اسميها بالموسمية ، ولا استطيع ان أطلق عليها مسارح ، هذه من وجهة نظرى ، ليست فرق قطاع خاص ، ولكنها مثل محلات الكشرى والملاهى التى تفتح خصيصا لمصطافى الاسكندرية ، ولكن هناك فى اعتقادى حدود لكل من القطاع الخاص والعام ، فلابد أن يترك القطاع الخاص يبحث شئونه بنفسه ، ولا يستمد معونة من المؤسسة ، لان التعامل معها سيفقد القطاع الخاص روح العمل الحر ، ويوقعه تحت نظم الروتين ، التى أفسدت القطاع العام .

وفى رأيى انه لابد من الغاء جميع فرق القطاع العام ، عدا المسرح القومى ، كمسرح رسمى خاص بالدولة ، يقدم الكلاسيكيات فى شكل عصرى ، أو مسرحيات تقدم احداث مصر الحقيقية ، وبهذا تتخلص المؤسسة من الفساد الموجود بالمسارح ، والذى على رأسه كثرة الموظفين والروتين ، والادارة ، والتعاقد على المسرحيات وتركها ، وبعدها الحقيقى عن المسرح المتصل بالجماهير .

ويرى فايز حلاوة :

●● فى نظرى ان تقسيم المسرح الى قطاع عام وقطاع خاص ، تقسيم وهمى ، وليس له أساس ، كما انه لم يصدر به قرار جمهورى ، ولا فرمان ، ان المسرح هو المسرح ، سواء كان تابعا لهيئة أو تابعا لافراد ، هو منبر تقدم على خشبته عروض مسرحية .

فقط ، يختلف القطاع العام عن القطاع الخاص فى أن الدولة ترعى الاول ماديا ، وتخصه من أموالها بـ ٢ مليون جنيه ، أما الاخير ، المسمى بالقطاع الخاص ، فهى تتبرا منه ، باعتباره لقيطا لا يستوجب البنوة ولا يستحق الرعاية ، ان هذا التقسيم اقرب ما يكون الى تقسيم المحلات الى جمعيات استهلاكية ، ومحلات بقالة ، تبيع الجبن

والزيتون والبيض ؟ وهو ما لا تقدمه المسارح للجماهير .

فى اعتقادى ان استبعاد هذا التقسيم ، وتحويل المسارح الى هيئات مستقلة ، مع رعاية الدولة لها ، اجدى بكثير من تأكيد وجود هذا التقسيم الظالم .

ويجيب جورج سيدهم :

●● مشكلة المسرح بوجه عام ؟ هى الجمهور ، وقد نجح القطاع الخاص فى الحفاظ على جمهوره رغم امكانياته المحدودة ، أما القطاع العام ، ورغم امكانياته ، فمشكلته أيضا ضخمة ، لانه ينظر الى الجمهور نظرة كبرياء وترفع ، نظرة المثقف من برجه العاجي الى الرعاع ، ولذلك يحس الجمهور دائما ان هناك سدا منيعا يحول بينه وبين المسرح الرسمى ، اننى لاتمنى صادقا ، ان تفهم المؤسسة انها تقدم فنا للجمهور المصرى ، وليس للجمهور الباريسى الرفيع .

ويقول سمير غانم :

●● المشكلة الراهنة فى مسارح المؤسسة ؟ هى حجم العمالة الذى يزيد على حجم الجمهور ، ويا حبذا لو تخلصت المؤسسة من كثرة موظفيها وادارييها ، واكثرت من عدد الفنيين ، ففى هذه الحالة قد يكون هناك أمل فى نجاح المسرح الرسمى ، الى جانب مسارح القطاع الخاص ، التى تهتم اهتماما حقيقيا بالترفيه عن هذا الشعب والعمل على امتاعه بالفكر والفن .

واخيرا ، كان علينا أن نتوجه الى المسئول الاول عن الحركة المسرحية فى بلادنا .

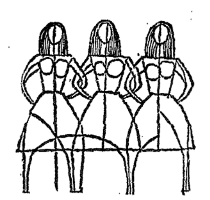
قال محمود أمين العالم رئيس مجلس ادارة الهيئة العامة للمسرح والموسيقى :

●● تنبع هذه المشكلة من اختلاف الهدف بين القطاعين : العام يستهدف أساسا التنمية الوجدانية والفكرية لجماهير الشعب . والقطاع الخاص يستهدف أساسا الربح .. اى ان العائد الثقافى والحضارى هو هدف القطاع العام ، على حين أن العائد المالى هو هدف القطاع الخاص ..

ولقد أدى هذا الى اندفاع القطاع الخاص الى اختيار موضوعاته وأساليب ادائه بما يضمن له عائدا ماليا مرتفعا ، ضاربا عرض الحائط بكثير من قيم الحضارة والاخلاق والفن .

أصبح القطاع الخاص مجرد سهرة للامتاع السطحى السريع .. التى تفتقر الى اى بهجة انسانية حقيقية أو قيمة اجتماعية أو حضارية عميقة .. ونتيجة لتواجد أغلب النجوم المسرحية الكبيرة فى القطاع الخاص كادت أن تسود مدرسة فى حياتنا المسرحية .. على أن القطاع العام لم يحسن فى الوقت نفسه التخطيط لهدفه .. لم يحسن اختيار نصوصه .. بل أخذت تتراخى وتهبط .. مستويات أدائه بل أخذ يتأثر بالقيم التى أخذ يسودها القطاع الخاص جريا وراء نجاح جماهيرى سطحى . بالعمل ؟

التخطيط الجيد للقطاع العام والترشيد الجيد للقطاع الخاص فى اطار حركة مسرحية واحدة ، تحمى الجماهير من الاسفاف والهبوط الفنى والاخلاقى والاجتماعى .. دون أن يسقط المسرح فى جهامة باردة قتامة جافة حركة أحياء لينابيع التراث الانسانى .. ولتقوم فى مسرحنا حركة تنشيط لنقل التراث الحضارى المعاصر .. حركة تشجيع للتأليف العربى المعاصر .. حركة تنمية لكفاءاته الفنية ارتفاعا بمستوى الاداء .. حركة مد نشط نحو الجماهير فى تجمعاتها المختلفة .. هذا ما أرجو أن يتحقق لا لمصلحة المسرح وحده بل للثقافة العامة ..





● الجمهورية العربية المتحدة ●

اتجاهات العمل والمستقبل

● الجزائر ●

الاحتفاظ بالحقوق مع استمرار التفاهم

● الصين الشعبية ●

حقائق استراتيجية وراء مباراة تنس الطاولة

تقرير شامل عن يوجوسلافيا

« تيتو لم يصبح بندقية فارغة »

■ ج.ع.م:

اتجاهات العمل والمستقبل

لقي حديث الرئيس أنور السادات الى مجلس الامة يوم ٢٠ مايو الماضي ، اهتماما واسعا في صفوف الرأي العام المصري والعربي والعالمي . فقد أجاب الرئيس في حديثه ، على كثير من الاسئلة التي كانت تعتمل في نفوس المواطنين في أعقاب « أحداث ١٣ مايو » التي فاجأت الراي العام في كل مكان . ويعد المراقبون حديث الرئيس، كخطوط عامة لاتجاهات العمل والمستقبل ، بعد أن دعا الرئيس السادات الشعب الى أن يترك وراء ظهره ماحدث وألا يتوقفعنده ، « فالمستقبل هو الاولى باهتمامنا » .

وقد حرص الرئيس السادات ، أن يؤكد منذ بداية حديثه أن اتجاه العمل والمستقبل مرتبط بالتركيز على قضيتين : **أولا** : قضية المعركة مع اسرائيل من أجل تحرير الارض ، **ثانيا** : بناء الدولة الجديدة ، « ومواصلة مسيرة جمال عبد الناصر .. فهي طريقه ونريد ان نفتح الطريق أمام زحف تحالف قوى الشعب العاملة صانعة الحرية وصاحبة الاشتراكية ورائدة الوحدة » .

ومن الجدير بالذكر ان الرئيس السادات ، قد أوضح أن المستقبل تتمة لتاريخ طويل يبدأ بيوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حتى ١٥ مايو ١٩٧١ ، وأن معالمه الاساسية هي المكاسب الوطنية والاشتراكية وميثاق العمل الوطني وبيان ٣٠ مارس . وأعلن الرئيس ان « **هذه بداية .. بغيرها نخطىء ولا يجب أن نخطىء ابدا ..وهذه علامة يجب أن نضعها أمامنا بل هي علم يجب أن نرفعه فوق رؤوسنا حتى لانخطىء أو نتوه.. أو يخطىء غيرنا ويتوه** » .

وفي مجال حديثه عن المعركة أعلن الرئيس السادات أنه « ليس أمامنا منمعركة اليوم ومن شاغل اليوم ولا يجب أن يكون أمامنا منشاغل اليوم الا المعركةوالمعركة وحدها » . وأكدموقف مصر من أنه « لاتفريط في الارض ولا مساومة على حقوق شعب فلسطين » . وأ نمصر تصر على أن فتح قناة السويس ليس هدفا مستقلا وانما هو مرحلة من مراحل الانسحاب الكامل و « اننا لانقبل المناقشة في عبور قواتنا المسلحة الى الضفة الشرقية لقناة السويس . لن نقبل مد وقف اطلاق النار الىمالا نهاية طالما انهناك جنديا أجنبيا واحدا على أرضنا . وأرضنا هي ماقبل ٤ يونيو بالنسبة لنا وللارض العربية كلها . وبعد أن عرض الرئيس لتطورات الموقف السياسي والعسكري ، اكد على اهمية الصداقة العربية السوفيتية وأثنى علىموقف الدعموالتأييد الذي اتخذه الاتحاد السوفيتي « الصديق الشريف » الذي « قدمالسلاح .. وقدمهماقالش تعالوا امضوا معانا العقد وحاسبوني .. تدم علشان يوقفنا على رجلينا زي ماتلتلكم .. سياسيا .. عسكريا .. اقتصاديا .. بشرف وبأمانة وبدون ايقيد أو شرط . » وأشادالرئيس بموقف فرنسا ، وأوضح أن موقف بريطانيا « تحول تحولا جذريا بقبولها الاشتراك في قوة الامن الدولية وهي تعلم أن اسرائيل تقاومهذا » أما أمريكا ، فتددعا الرئيس الى أن تحددموقفها فهي « عنصر اساسي في المشكلة لانها بتمون اسرائيل من رغيف العيش الىالفانتوم » ، وأنه « بدون تأييد ومساندة ومساعدة امريكا .. لن تستطيع اسرائيل ان تقوم بمثل ما تقوم به . » ثم عرض الرئيس لحديثهمع **روجرز** وزير الخارجية الامريكي حيث طالب بأن تحدد امريكا موقفها « لان أنا الان امامموقف تاريخيةلازم تحدد تماما لانها مسالة السلم او الحرب » .

وفي مجال « بناء الدولة الجديدة » واتجاهات المستقبل ، طرح الرئيس السادات بعض أفكاره عن الدستور الدائم الذي كلف مجلس الامة بوضعه وأعلن أنه سيطرح للاستفتاء الشعبي بعد اعداده . وأعطى الرئيس نماذج لما يمكن أن يتضمنه الدستور ، منها :

- « تحقيق وتأكيد الانتماء المصري للامة العربية » .
- « حماية كلالمكتسبات الاشتراكيةوتدعيمها وخلق الظروف الملائمة لتوسيع نطاقها بما في ذلك النسبة المقررة فيالميثاق للفلاحين والعمال في مجلس الشعب وفيالمجالس الشعبيةالمنتخبة على مختلف المستويات ٥٠٪ على الاقل . »
- لاقرار ولا اجراء بمنأى عن رقابة القضاء.
- اشراك الشعب في ادارة العدالة عن طريق المحلفين .
- تأكيد دور وحمايةالملكيات العامةوالتعاونية والخاصة .
- أن يكون هناك حد زمني لتولي الوظائف السياسية والتنفيذية الكبرى ضمانا للتجدد والتجديد ، وقد أعلن الرئيس انه سيبدأ بنفسه ولن يجدد ترشيحه لرئاسة الجمهورية .

ومن الجدير بالذكر أن الرئيس السادات قد اكد مبدأ « العمل الواحد للفرد الواحد » ، وقال انه من أول يوليو القادم فان على كل من يشغل اكثر من منصب أن يعد نفسه لشغل منصب واحد .

وبعـد أن أعلن الرئيس عن « المخـالفات الخطيرة » التى حدثت فى انتخـابات الاتحـاد الاشتراكى السابقة التى سـجلها ــ وقتها ــ الرئيس عبدالناصر ، أعلن انه سيوقع قرارا وقد وقعه بالفعل ــ يقضى باعادة بنـاء الاتحـاد الاشتراكى من القاعدة الى القمة وبحيث يجتمع المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى يوم ٢٣ يوليو القادم . وكلف الرئيس مجلس الامة الحـالى ــ والذى سيتغير اسمه الى مجلس الشعب ــ بتولى أعمال اللجنة المركزية لحين انتخاب اللجنة المركزية الجديدة .

ومن المعروف أن خطـاب الرئيس السادات قد جاء فى أعقاب أحداث هامة بدأت يوم ١٣ مايو حينما فوجىء الرأى العام الداخلى والعربى والعالمى ، باذاعة قبول استقالة **شعراوى جمعة** وزير الداخلية وتعيين **ممدوح سـالم** محـافظ الاسكندرية السابق فى منصبه ، أعقبها عدد من استقالات أعضاء اللجنة التنفيذية العليا والوزارة ورئيس مجلس الامة والامين العام للاتحاد الاشتراكى ووزير الحربية وقائد القوات المسلحة « قبل أن تصل الى رئيس الجمهورية » . وكان الرئيس السادات قد أوضح فى « خطابه الى الامة » يوم ١٤ مايو أن هذه الاستقالات كانت تهـدف الى احداث أزمة دستورية فى البلاد . ولـكنه بادر بتعيين وزير للداخلية ــ **ممدوح سالم** ــ ووزير للحربية ــ الفريق أول **محمد أحمد صادق** ــ ثم أعاد تشكيل الوزارة برئاسـة الدكتور **محمود فوزى** وتضم ٤ نواب لرئيس الوزراء و٢٨ وزيرا ونائبا لوزير التخطيط ، ومن الجدير بالذكر أن الرئيس السادات قد أعلن أن كل مايتعلق بالتحقيق مع الذين تم القبض عليهم تتولاه النيابة العامة باشراف النائب العام ووزير العدل مباشرة .

وقـد أعلن النائب العـام أنه سيتم الافراج « عمن لم يثبت ضده شىء » . ونشير هنا الى أنه لم يتم حتى كتابة هذا التقرير ــ ٢٥ مايو ــ اذاعة تقرير النـائب العـام عن التحقيقـات وتفاصيلها بشكل رسمى .

وقد أعلن عن تشكيل أمانة مؤقتـة للاتحاد الاشتراكى من ٩ أعضاء برئاسة الدكتور عزيز صدقى ، وتتولى اختصاصات الامانة العـامة للاتحاد الاشتراكى بصفة مؤقتة ، وسوف تشكل لجنة أخرى للاشراف على انتخـابات الاتحـاد الاشتراكى . ومعروف أن قرارا قـد صـدر بتعيين الدكتور **محمد دكرورى** أمينا عاما للاتحاد الاشتراكى بالنيابة .

وكما اسقط مجلس الامة عضويته عن رئيسه ووكيليه السابقين بالاضافة الى ١٥ عضـوا ، وانتخب حافظ بدوى رئيسا للمجلس .

روجرز فى القاهرة

شـهدت القاهره ، بعد وصـول **وليم روجرز** وزير الخـارجية الامريكية اليهـا ، فى ٤ مايو الماضى ، مجموعة من الاجتمـاعات بين الجانبين الامريكى والمصرى ، دارت خلالها مناقشات طويلة عرض فيها الجانب المصرى تصوره لمراحل تسوية الازمة ، على أسـاس ان ذلك هو الحـد الاقصى الذى يمكن ان تذهب مصر اليه فى الجهود المبذولة من أجل التوصل الى تسوية سلمية . وقد تضمنت المناقشات استعراضا لوجهات النظر المختلفة عن مشكلة الانسحاب ، والمناطق المنزوعة السلاح ، وامكان احلال قوات دولية محل القوات المنسحبة فى مراحل التسوية الاولى .

واختتم روجرز لقـاءاته بالقـاهرة ، بلقاء مع الرئيس **أنور السـادات** ، أوضـح فيه الرئيس موقف مصر تفصيلا من الازمة ، على عدة أسس :

أولا : ان مصر تصر على تنفيـذ قرار مجلس الامن ، بكل بنوده ، ويعنى ذلك أساسا الانسحاب الاسرائيلى الكامل من كل الاراضى العربية المحتلة واستعادة شعب فلسطين لحقوقه المشروعة .

ثانيا : ان مصر ترفض أى حل انتقـالى ، أو مؤقت ، دون ارتبـاط باتفـاق على حل شـامل للمشكلة .

ثالثا : ان مصر تصر على ان الحل الوحيد الذى تقبله ، هو الحل الكامل للازمة .

وقد أصـدر وزير الخـارجية الامريكية ، عند مغادرته للجمهورية العربية المتحدة بيانا مكتوبا ، أعلن فيه ، انه تم النقاش وتبادل الافكار بصـورة مستفيضـة ومفصلة وملموسة ، حول العناصر المحددة للازمة للاتفـاق على أى تسـوية مؤقتة خاصة بقناة السويس [الانسـحاب الجزئى] . وأعلن أن مثل هذه التسوية المؤقتة تسهل عملية المحادثات داخل اطار مهمة يارنج ، التى ترنو الى تحقيق اتفاق سلام شامل . وقال روجرز : اننى وجدت فى القاهرة تصميما حازما نشاركها فيه ، لمواصـلة العمل من أجل تسـوية سلمية عادلة ودائمة ، على أساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، بكل بنوده ، واننا استعرضنا أيضا ، باختصـار ، العلاقات الثنائية التى تستمر فى التحسن .

وقد أعلن المتحدث المصرى **محمد رياض** ، فى تصريحاته للصـحفيين ، بأن الرئيس السـادات أوضح لوزير الخـارجية الامريكية ، ان القاهرة لا يمـكن أن تقبل أيا من الحـلول الانتقـالية أو المؤقتة ، الا على أسـاس التسـوية الكاملة والشـاملة ، التى تتضـمن اعتراف اسرائيل بالانسحاب الكامل الى حدود ٤ يونيو ، وان ترد على مقترحات يارنج بشأن الازمة ، والتى طالبها فيها بأن تتعهد بالانسحاب . وقال محمد رياض ،

تعليقا على المباحثات التى أجراها روجرز ؟ « انها كانت مفيدة ، لانها أتاحت لروجرز ان يسمع بأذنيه حقيقة الموقف المصرى ، ورأى الرئيس السادات فى الحل الذى يمكن أن يقبله ، تنفيذا لقرار مجلس الامن » .

وقام روجرز بعد ذلك باجراء محادثات مع الزعماء الاسرائيليين ، وصرح فى مطار روما ، بعد ان غادر اسرائيل « بأنه يشعر بالارتياح ازاء التقدم نحو تسوية فى الشرق الاوسط ، ولكنه حذر من توقع أى اجراء عاجل فى هذا الشأن » . كذلك ، فقد صرحت جولدا مائير ، بأن الحكومة الاسرائيلية لم تتخذ ، خلال المحادثات التى جرت مع روجرز ، أية تعهدات قاطعة تتعلق باحتمال تغيير سياستها العسكرية . وقد صرح المراقبون على اثر ذلك ، بأن الخلافات لا تزال كبيرة بين مصر واسرائيل . فالمقترحات الاسرائيلية الخاصة باعادة فتح القناة ، والتى تقدم بها **ايجال آلون** الى روجرز ، رفضتها مصر بحزم ، وهى تتلخص فى :

١ ــ تنسحب اسرائيل لمسافة قصيرة من قناة السويس .

٢ ــ لا يسمح للقوات المصرية أو السوفيتية بعبور الممر المائى .

٣ ــ تعلن مصر انهاء حالة الحرب مع اسرائيل وتوافق على الدخول فى مفاوضات سلام جادة معها .

٤ ــ يسمح للسفن الاسرائيلية باستخدام قناة السويس بعد اعادة فتحها .

كذلك ، فقد كذب أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل ، بعد ذلك ، الشائعات الصحفية التى ترددت ، حول وجود أزمة جديدة على وشك النشوب بين اسرائيل وواشنطن ، وقال : صحيح انه حدث كثير من التضارب فى الاراء بين الدولتين خلال السنوات الاربع الاخيرة ، ولكن هذا لم يمنع المساعدات الضخمة ، العسكرية والاقتصادية والدبلوماسية ، التى حصلت عليها اسرائيل من الولايات المتحدة .

أما « **التايمز** » البريطانية ، فقد علقت على زيارة روجرز للشرق الاوسط فى ٨ مايو الماضى ، بقولها : « لقد ربط روجرز اسمه بمشروع لتجميد الخطر ، وقد قام الان برحلة الى خمس دول ، هى : [الاردن ، ولبنان ، والجمهورية العربية المتحدة ، والسعودية ، واسرائيل] ، لنفس هذا الغرض ، ومن المستبعد أن تقر الحكومة الامريكية بالفشل بسرعة ، لان المسألة تهدد أشياء كثيرة » .

وعلى أية حال ، فلم تظهر أى نتائج ايجابية بعد ، لزيارة روجرز للشرق الاوسط ، وقد اعلن الرئيس السادات ، فى ٢٠ مايو الماضى ، أمام مجلس الشعب ؟ انه قد تم اعداد الرد على أمريكا التى طالبها الرئيس بأن تحدد موقفها ، وأن محور الرد المصرى تضمن النقاط الاساسية التالية :

ان قضية فتح قناة السويس ليست قضية منفصلة ، ولا حل جزئى ، وانما هى مرحلة من مراحل الانسحاب الكامل فى الجدول الزمنى . وان المناقشة فى عبور القوات المصرية الى الضفة الشرقية مرفوضة ، وانه لن يقبل مد وقف اطلاق النار الى ما لا نهاية ، طالما أن هناك جنديا اجنبيا واحدا على الارض العربية ، وأن « أرضنا هى ما قبل ٤ يونيو بالنسبة لنا ، وللارض العربية كلها » .

●

■ الجزائر :

الاحتفاظ بالحقوق مع استمرار التفاهم

دخل النزاع الفرنسى الجزائرى حول موضوع البترول مرحلة دقيقة ، بعد أن أقدمت شركات البترول الفرنسية فى أواخر أبريل الماضى على اخطار جميع شركات البترول العالمية وشركات النقل بعدم التعامل فى البترول الجزائرى ، وسحب الفنيين الفرنسيين العاملين فى حقول البترول الجزائرى . وذلك بعد قرار حكومة الجزائر فى أواخر فبراير بتأميم ٥١ ٪ من المصالح البترولية الفرنسية بالجزائر ، وتحديد ١٠٠ مليون دولار قيمة تعويض للشركات الفرنسية ، ثم قرار حكومة الجزائر بعد ذلك رفع سعر بترولها الخام أسوة بالدول المنتجة للبترول الموقعة على اتفاقية طهران فى فبراير الماضى . مما ترتب عليه رفع سعر البنزين فى فرنسا للمرة الثانية خلال مدة شهرين ، كما اعتبرته فرنسا خرقا للاتفاقات السابقة بين البلدين من جانب الجزائر .

وقد امتد النزاع حول البترول ليشمل العلاقات الاقتصادية والثقافية الاخرى بين البلدين ، اذ امتنعت فرنسا عن استيراد البترول والنبيذ الجزائرى ، وقيام آلاف من أساتذة الجامعات والمعاهد العليا والمدارس الفرنسية باضراب عام لمدة يومين ، احتجاجا على احتجاز البوليس الجزائرى لأحد الطلبة الفرنسيين لمدة أربعة أيام .

وكانت المفاوضات قد توقفت بين البلدين فى آخر شهر ابريل الماضى بسبب تمسك فرنسا بالامتيازات الخاصة التى حصلت عليها من الجزائر بموجب اتفاقية ايفيان الخاصة باستقلال الجزائر عام ١٩٦٢ ، واتفاق عام ١٩٦٥ ، والتى تقضى بمعاملة خاصة للاستثمارات الفرنسية

والحصول على البترول والنبيذ الجزائرى ؟ وذلك فى مقابل حصول الجزائر على مساعدات اقتصادية من فرنسا فى شكل قروض طويلة الاجل وبفائدة اقل ، ومعونات علمية وثقافية أخرى .

بينما تقول وجهة النظر الجزائرية ؟ بأن اتفاقات عام ١٩٦٥ كانت تنص على الدخول فى مفاوضات أخرى مع فرنسا قبل نهاية عام ١٩٦٨ لتعديل الاتفاق بينهما ، ومنذ عام ٦٩ وفرنسا تماطل فى ذلك بهدف استمرار شركاتها فى استغلال البترول الجزائرى ، كما أن المساعدات الفرنسية للجزائر فى انخفاض مستمر منذ حصول الجزائر على الاستقلال ، فضلا عن انخفاض استيراد فرنسا للنبيذ الجزائرى — والمعروف أن الجزائر قد قامت خلال الفترة التالية للحصول على الاستقلال باعادة تخطيط اقتصادها وفقا لمصالحها الوطنية ، وتقليل مساحة زراعة الكروم بنسبة الثلث تقريبا ، واستبدالها بزراعات القمح والمحاصيل الاساسية الاخرى ، كى تتخلص من اقتصاد المستعمرات وحتى لا تظل تحت رحمة السوق الفرنسية .

ويعتبر المراقبون الحصار الذى تفرضه فرنسا حاليا على الجزائر ؟ شبيها بموقف بريطانيا منذ عشرين عاما اثر تأميم حكومة مصدق للبترول عام ١٩٥١ ؟ وامتناع احتكارات البترول الاستعمارية الاخرى عن التقدم لشراء أو نقل البترول الايرانى ؟ وذلك بهدف الضغط على الجزائر ؟ واقناع الحكومات الوطنية بفشل تجربة التأميم ؟ وتعطيل برنامج التنمية الذى يجرى تنفيذه حاليا فى الجزائر .

وتحرص الجزائر من جانبها على ترك باب التفاهم مع فرنسا مفتوحا ، وفى نفس الوقت تصر على عدم التنازل عن حقوقها . وقد أعلن الرئيس **هوارى بومدين** أن الجزائر ليست مستعدة للتفريط فى بترولها ؟ وأننا مصممون على تصفية آثار الاستعمار السابقة ؟ وأن على فرنسا أن تكف عن ممارسة دور الدولة الكبرى تجاه الجزائر ؟ وأن تعترف باستقلال وسيادة الجزائر ، وعند ذلك يمكن معالجة جميع المشاكل والوصول الى اتفاق للتعاون المثمر النزيه بين البلدين .

■ ■

■ الصين الشعبية :

حقائق استراتيجية وراء مباراة تنس الطاولة

ازدادت فى الفترة الاخيرة بشكل ملحوظ مظاهر التقارب بين جمهورية الصين الشعبية والولايات المتحدة ؟ وازداد الحديث فى الدوائر الصحفية والسياسية العالمية عن بدء صفحة جديدة فى العلاقات الامريكية — الصينية . بيد أن الواضح هو أن الصينيين يستهدفون بهذه « الصفحة الجديدة » وفى الوقت الحالى على الاقل ، التوجه الى الشعب والرأى العام الامريكى لاحداث تأثير ضاغط على مراكز اصدار القرارات فى الولايات المتحدة ، أما الحكومة الامريكية فتريد باجراءاتها الاخيرة أن تجعل السياسة الامريكية الخارجية اكثر اتساقا مع المكانة الواقعية التى أصبحت تتمتع بها الصين فى المجتمع الدولى ، وخاصة بعد سلسلة الانهيارات السريعة فى الجبهة المعادية للصين والتى تبدت فى توالى الاعتراف بها بشكل متزايد من أعداد من الدول التى تسير عادة فى فلك الدول الامبريالية الغربية وفلك الولايات المتحدة بخاصة . كما تريد الحكومة الامريكية من ناحية أخرى أن تجعل سياستها اكثر اتساقا مع واقع تحول الصين الى دولة نووية ودخولها مجال غزو الفضاء .

والحقيقة أن الولايات المتحدة هى التى بادرت باتخاذ عديد من الخطوات لتحسين علاقاتها بالصين ، تمثلت فى البداية فى الخطابات المتوالية التى أرسلتها الى الحكومة الصينية دون أن تتلقى عنها ردا ، ثم فى برنامج نيكسون ذى النقاط الخمس لتسهيل السفر الى الصين وتخفيف القيود التى فرضتها أمريكا فى مجال العلاقات التجارية مع الصين ، واستعداد الولايات المتحدة لمنح تأشيرات دخول لاى زائر أو مجموعة من الصين الشعبية ترغب فى زيارة أمريكا ، والغاء الترخيص الذى كان يتحتم أن تصدره وزارة الخزانة الامريكية من أجل تحويل الدولارات الى الصين ، وانهاء القيود التى كانت مفروضة على شركات البترول الامريكية التى تزود بالوقود ، السفن والطائرات المتجهة من الصين واليها ، واستعداد نيكسون للترخيص بتصدير عدد من السلع غير الاستراتيجية الى الصين . واعلانه عن دراسته لخطوات اضافية أخرى يمكن أن يتخذها فى المستقبل لتحسين العلاقات بين البلدين .

والغريب — ولكن المألوف فى نفس الوقت للمتتبعين لطرق التفكير الصينية — أن الصينيين ردوا على المبادرات الامريكية ذات الطابع العملى والتجارى ، بخطوة يستدل منها على أنهم يستهدفون فى الاساس التوجه الى الشعب والرأى العام الامريكى . فقاموا بدعوة فريق رياضى أمريكى لزيارة الصين ، وفتح أبواب بكين

للمرة الاولى فى وجه أعداد من الصحفيين الامريكيين ، وهى دعوة كانت موضع اهتمام من وكالات الانباء والصحف العالمية يفوق الى حد كبير مدلولها الرياضى أو دلالتها فيمايتعلق باقامة جسور الصداقة بين الشعبين الصينى والامريكى. على أن الصينيين قد تحركوا هنا ببراعة ، فعندما قرروا دعوة فريق رياضى أمريكى الى الصين ، لم يختاروا سوى ممثلى الرياضة التى يحرزون فيها تقليديا ــ بالاضافة الى اليابان ــ مراكز التفوق العالمى الحاسمة ، وهكذا ففى أول لقاء صينى أمريكى وحتى على المستوى الرياضى ، كان انتصار الصينيين على الامريكيين واضحا .

والحقيقة ان هناك عوامل عديدة ، دفعت كلا من الصين والولايات المتحدة الى انتهاج سياسة التقارب الاخيرة ، فبالنسبة للصين ، ليس ثمة شك فى أن موقفها الاخير تجاه الولايات المتحدة لايعد استثناء خاصا فى العلاقات الصينية ــ الغربية أو الصينية الدولية بوجه عام، وانما هو يرتبط تماما بالسياسة الخارجية العامة التى اتبعتها جمهورية الصين الشعبية بعد انتصار الثورة الثقافية وانعقاد المؤتمر التاسع للحزب الشيوعى الصينى . وقد تضمنت هذه السياسة انفتاحا عاما من جانب الصين على العالم كان آخر مظاهره البارزة الانفتاح على الولايات المتحدة



ليس من حقك أيها الرقيب !

من حق سفارة أى دولة اجنبية أن تحتج على عرض فيلم أو مسرحية تمس تاريخها القومى من قريب او بعيد ، او تمس وجهة نظرها السياسية ، أيضا من قريب أو بعيد. ولكن الرقابة على المصنفات الفنية فى اى بلد وهى توافق او تعترض على عمل فنى لاتأخذ فى اعتبارها سوى التاريخ القومى للبلد الذى تنتسب اليه ووجهة النظر السياسية التى تنتمى اليها .

ولما كان تاريخ الشعوب والدول يتخلله الكثير من الصراعات والتناقضات ، فانه لم يوجد على مر العصور العمل الفنى المأخوذ عن التاريخ ويرضى جميع الامم . .أن الفيلم أو المسرحية أو القصيدة أو اللوحة التى تصور الاستعمار البريطانى او الفرنسى او الامريكى لايمكن أن توافق عليها حكومات بريطانيا أو فرنسا أو أمريكا ، فماذا يمكن أن يكون موقف الدول التى تخوض شعوبها صراعا ضاريا ضد هذا الاستعمار أو ذاك من هذه الاعمال الفنية ؟ هل تتلقف « الرقابة » فى هذه الدول احتجاجا من السفير الانجليزى أو السفير الفرنسى او السفير الامريكى لتمنع الشعب الذى تنتسب اليه من تذوق العمل الفنى المناضل والاستفادة منه الى أقصى حد فى شحذ روحه ووجدانه ضد الاستعمار ؟ ان الرقابة وظيفة سياسية فى المجتمع بغير شك ، وهى فى بلد تنشد الديموقراطية والتقدم ينبغى أن تقف الى جانب الاعمال الفنية الداعية الى الديموقراطية والتقدم ، مهما أساءت هذه الاعمال الى «سمعة» احدى الحلقات الاستعمارية فى تاريخ احدى الدول ، فهذه الاساءة ــ الواجبة أن تكون تسجيلا لحقائق التاريخ ــ لاتمس شعب هذه الدولة ، بل ربما كان هذا الشعب هو أول من عانى مع بقية الشعوب من تلك الحلقة الاستعمارية فى تاريخه.. فالنظام الاستعمارى يضطهد الشعب الذى يعيش فى ظله قبل الشعوب التى تمتد اليها سطوته وسياطه .

اقول ذلك كله ، لان قرارا غريبا اتخذته الرقابة على المصنفات الفنية فى بلادنا بوقف عرض الفيلم اللبنانى « المنفى » بناء على احتجاج قدمه السفير التركى فى القاهرة والفيلم يصور احدى مراحل الكفاح العربى فى لبنان ضد الاستعمار العثمانى ولايستطيع احد هنا أو هناك أن ينكر حقيقة تاريخية يتعلمها أبناؤنا فى المدارس ، وهى أن الوطن العربى ظل يرزح تحت وطأة الهيمنة العثمانية أمدا طويلا من الزمن .. ومن أمجاد الشعب التركى أنه ثار على نظامه الرجعى الدكتاتورى الاستعمارى ثورة عنيفة . ولست أشك فى أن التلاميذ الاتراك يدرسون ــ ككل التلاميذ فى العالم ــ يدرسون تاريخهم بكل عوراته وثوراته .. فاى خطر هناك يمكن أن ينطوى عليه فيلم سينمائى يؤرخ لفترة سوداء عاشتها أمتنا العربية فى ظل القهر العثمانى ،تخللتها من حين لاخر انتفاضات جسورة وبطولات خارقة لشعبنا ، مااحوجنا اليها الان ، وقبل غد ، فى مواجهة اعتى قوى القهر المعاصر .

اذكر ان كافة الاقلام نادت منذ هزيمة ١٩٦٧ بأنه يتعين على الفن الثورى أن يبعث الى الوجود الحى صفحات تاريخنا المناضلة حتى نجدد فى أوصال شعبنا الثقة بالنفس والقدرة على مواصلة الكفاح مهما كان الثمن .. فاذا جاءنا فيلم عربى من لبنان يلبى هذا النداء ، اعتذرنا له بأن هذه الصفحة الثورية من تاريخنا العربى تسىء الى صفحة أخرى من تاريخ تركيا، فهكذا قال السفير التركى بالقاهرة محتجا وهكذا أوقفنا عرض الفيلم استجابة للاحتجاج ، ونسينا ان العلاقات التركية العربية المعاصرة لايمكن أن تتأثر أو تتوتر بهذا الفيلم . ونسينا اكثر ان وقف عرض هذا الفيلم يسىء فعلا الى شعبنا ، الى حقه فى التزود بامضى الاسلحة المعنوية ، وبخاصة اذا كان هذا السلاح قادما من بلد عربى شقيق هو لبنان .

اذن ، فمن حق السفير التركى أن يحتج على عرض الفيلم ولكن من حقنا على الرقابة أن تعتذر عن قبول الاحتجاج بدلا من ان تعتذر للشعبين المصرى واللبنانى عن وقف عرض الفيلم .. وهو الامر الذى لم تقم به للان ، فالاعتذار الحقيقى هو الافراج عن فيلم « المنفى » باعادته الى بلاده .. بلادنا .

غالى شكرى

عن طريق مد جسور الصداقة الى شعبها . وقد تبدت هذه السياسة بوضوح فيقيام الصين منذ العام الماضى باعادة الـ ٢٢ سفيرا من ٢٤ سفيرا كانت قد سحبتهم من مختلف دول العالم ابان الثورة الثقافية ، وقيام عدد كبير من رؤساء الدول الوطنية الفتية فى آسيا وافريقيا وعدد من القادة والساسة الاوربيين ورجال الاقتصاد والثقافة الاوربية بزيارتها فى العام الماضى والشهور الاولى من هذا العام . كذلك بعثت الصين بسفير جديد الى الاتحاد السوفيتى ، واعلن المسئولون الصينيون أكثر من مرة أن الخلافات الايديولوجية بين الحزبين السوفيتى والصينى ، لاينبغى أن تحول دون اقامة علاقات طبيعية بين الدولتين . وقامت الصين كذلك بدعوة الوفد السوفيتى فى محادثات الحدود الى زيارة عدد من أكبر المدن الصينية والمؤسسات الصناعية والكوميونات الشعبية فى أواخر مايو الماضى . ووقعت الصين فى ١٩٦٩ — ١٩٧٠ أكثر من ٦٦ اتفاقا للتعاون الاقتصادى والفنى مع ١٨ دولة من دول العالم الثالث ، وبدأت تظهر اهتماما متزايدا بمشكلة الشرق الاوسط ودعت عديدا من وفود الدول العربية لزيارتها ودعم الصداقة مع الشعوب العربية كما نجحت فى اطلاق أول قمر صناعى ودخلت مجال دول الفضاء بعد أن كانت قد دخلت من قبل مجال الدول النووية .

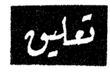
ويفسر عدد كبير من المراقبين موقف الصين الاخير من الولايات المتحدة ، على أنه انعكاس لمزيد من ثقة الصين بنفسها نتيجة عدة عوامل منها نجاح الصين فى البناء الداخلى وبخاصة فى المجال الاقتصادى الذى بدأ فى اغراق كثير من الاسواق بالسلع الصينية ، وفى مسارعة كثير من الدول الرأسمالية المتقدمة كفرنسا والمانيا الغربية وغيرها للاتجار معها برغم ضغوط الولايات المتحدة ، ونجاح الصين فى كسر طوق الحصار الامريكى المضروب حولها اقتصاديا وسياسيا .

ان المبادرات الامريكية الاخيرة تجاه الصين ، فترجع لعدة عوامل منها أن الولايات المتحدة بدأت تدرك حسبما اتضح من الاعتراف المتوالى من جانب الدول بالصين أن خطة « عزل الصين » التى عملت على تطبيقها منذ انتصار الثورة الصينية تبوء بالفشل ، ذلك ان الصين لم تتأثر بالقيود التى فرضتها عليها أمريكا ، بل حققت قفزات صناعية ضخمة ، وارتادت منتجاتها الصناعية معظم الاسواق العالمية ، وأكدت أنها منافس قادر على الصمود أمام المنتجات الصناعية الاخرى وفى مقدمتها الصناعات الامريكية . كذلك فان خطر الحصار والمقاطعة الامريكى بدأ يحرم الولايات المتحدة — دون سائر دول العالم الرأسمالى — من الاستفادة من الميزات الضخمة للسوق الصينية الكبيرة . وبدأ رجال الاعمال الامريكيون يضجون من الحظر المفروض عليهم فيما يتعلق بالتعامل فى أنواع معينة من السلع الصينية ، فتحت فرص التعامل فيها لمنافسى الامريكيين مثل اليابانيين وغيرهم مما أكسبهم ميزات اقتصادية على دوائر الاعمال فى الولايات المتحدة ، وليس ثمة شك فى أن عددا متزايدا من الشركات الامريكية الكبرى يضغط وسيواصل ضغطه على الحكومة الامريكية من أجل احداث تحويل فى موقفها تجاه الصين . وقد اضطر عدد من هذه الشركات وبسبب الخسائر التى يلحقها بها الموقف الامريكى الرسمى ، الى الدخول مساهمة فى الشركات اليابانية بنصيب كبير من الاسهم [مثلما تفعل شركة جنرال موتورز التى تحاول شراء ٣٥٪ من أسهم شركة « ايسوزو موتورز » اليابانية] على أساس أنه اذا لم تدخل الشركات الامريكية سوق الصين مباشرة ، فانها تستطيع دخوله من خلال الشركات اليابانية .

على أن ثمة عامل هام فى تحريك الموقف الامريكى الاخير تجاه الصين ، يتمثل فى أن الولايات المتحدة لاتريد ان تترك زعامة « العالم الحر » فى الشرق الاقصى وآسيا بعامة لليابان وبخاصة مع الاحتمالات المتزايدة لانسحاب أمريكا من فيتنام ، ذلك أن **اليابان** ليست مجرد حليف للولايات المتحدة ، وانما هى **منافس** لها أيضا . وتحول اليابان الى مركز عسكرى آسيوى ضخم ، بالاضافة الى ماتتمتع به هذه الدولة من اقتصاد قوى ضخم بدأ ينافس الولايات المتحدة فى ميادين كثيرة ، سيجعل من اليابان احدى الدول الكبرى الجديدة مما سيؤدى الى تغيير كافة الموازين الدولية . ولذا ترى الولايات المتحدة أن سياسة فتح الابواب وتطوير العلاقات مع الصين ، يمكن أن تكون عاملا وقائيا من اى تقارب يابانى — سوفيتى ، يمكن أن يكون له وطأة ضاغطة على سياسة واقتصاد الولايات المتحدة ، ومن ناحية أخرى يرى عديد من الصحفيين والمعلقين السياسيين أن أحد مصادر القلق الاساسية للصينيين فى ميدان السياسة الخارجية يكمن فى نمو القوة اليابانية واحتمال تقربها من الاتحاد السوفيتى ، ولذا يمكن القول بوجود تقارب بين مخاوفهم ومخاوف الامريكيين من هذه الناحية .

ويعتقد كذلك أن احد أسباب التقرب الامريكى الاخير من الصين ، هو أن حكومة نيكسون — حسبما توصل العديد من المراقبين السياسيين فى العالم — قد بدأت تسلم بالهزيمة فى فيتنام وقد أوضح الصحفى الفرنسى « **جيل مارتينيه** » فى مجلة « لونوفيل اوبزرفاتير » الفرنسية فى

١٦ مايو الماضى أن كبار المسئولين الامريكيين بداوا يعبرون فى أحاديثهم الخاصـة عن تلك الحقيقة وهى انه « اذا كنا لم ننجح فى الفـوز عندما كان لنا ٥٠٠ الف رجل فى فيتنام ، فهل سننجح فى الفوز بـ ٣٠٠ الف رجل ثم بـ ١٠٠ الف رجل وقريبا بـ ٥٠ الف رجل » ؟ كذلك فان تجربة « لاوس » وهزيمة جيش فيتنام الجنوبية هناك ، بددت آخر الاوهام حول فعالية الفتنمة، ولذا فان اى تقرب أمريكى من الصين يمكن أن يعود على الولايات المتحدة فى هـذه الحـالة بالفائدة ، وبالذات فى مجال تحقيق تسوية للحرب الفيتنامية يمكن أن تحفظ ماءوجه الولايات المتحدة



عن المظاهـرات الأمـريكية وواجبـات حـركة التحـرر العـربية

شهدت الولايات المتحدة خلال الفترة الاخيرة اكبر واعنف المظاهرات الجماهيرية [او حملة الربيع كما يطلق عليها] ، وذلك احتجاجا على سياسة حكومة نيكسون وضمت مئات الالوف من الامريكيين ، وذلك تحت شعارات واضحة ومحددة « ضد الحرب الفيتنامية ، وضد الفقر ، وضد القمع » .

وقد تميزت المظاهرات الاخيرة عن سابقاتها مثل مظاهرة الاحتجاج التى نظمت ضد الفقر والحرب امام البيت الابيض فى نوفمبر ١٩٦٩ ، وضمت اكثر من ٣٠٠ الف شخص ، ومظاهرة الاحتجاج على غزو كمبوديا فى مايو ١٩٧٠ ، بسمة ايجابية هامة ، وهى **اشتراك فئات وقوى اجتماعية مختلفة ، تنتمى معظمها الى الطبقات الكادحة من العمال والنقابيين والموظفين والمحاربين القدماء والشباب والطلبة والزنوج وربات البيوت والشيوخ واساتذة الجامعات واعضاء الكونجرس وكبار الشخصيات الامريكية** ، وسار امام المظاهرة آلاف العسكريين المسرحين من الحرب الفيتنامية ، وهم يحملون اعلام جبهة تحرير فيتنام الجنوبية ، كما بعث مئات الجنود الامريكيين من قلب ميدان القتال فى فيتنام بنداءات الى مواطنيهم ونشرته بعض الصحف فى الولايات المتحـدة يناشدونهم فيها الاشتراك فى المظاهرات من اجل وقف الحرب فى فيتنام فورا ، وسحب القوات الامريكية الى البلاد . وبلغ عدد المعتقلين حوالى ١٥ الف متظاهر .

وايا كانت قدرة هذه المظاهرات على وقف الحرب العدوانية ضد شعب فيتنام وكمبوديا ولاوس وسحب القوات الامريكية من هناك وبشكل سريع ، الا انه يجب النظر الى هـذه الظاهرة المتكررة فى حركتها المستمرة والمتصاعدة ، كتعبير عن ازمة الاستعمار الامريكى .

لقد عجلت الحرب الفيتنامية ، واستخدام انجازات الثورة العلمية والتكنولوجية فى زيادة استغلال الجماهير الامريكية العاملة ، بتفجير التناقضات داخل المجتمع الامريكى ، وان تدفع بها الى السطح وتهز المجتمع الامريكى بعنف ، وان تحطم امام العالم اسطورة مجتمع الديمقراطية والرخاء الزائف .

ان الاحصائيات الامريكية الرسمية التى نشرت اخيرا توضح ان هناك اكثر من خمسة ملايين عامل لا يجدون عملا ، وان ضعف هذا العدد يعانون من البطالة الجزئية ، وذلك فى ظل سياسة تجميد الاجور التى جرت عليها حكومة نيكسون نتيجة التضخم المالى ، والارتفاع الفاحش للاسعار ، وان عدد الامريكيين الذين يعيشون عند حد الكفاف بلغ ٢٥٫٥ مليون شخص فى بلد تحرق وتدمر فيه ملايين الاطنان من الاغذية والمحاصيل الزراعية سنويا للمحافظة على مستوى الارباح ، وتنفق فيه ملايين الدولارات على عجلة الحرب والعدوان فى الخارج ، كذلك بينما يوافق الكونجرس الامريكى بجلسته بتاريخ ١٩٧٠/١٢/٢٩ على زيادة اعتماد المعونة الخارجية بمقدار ١٠٠٢ ملايين دولار ، نجده يخصص مبلغ ٥٠٠ مليون دولار لاسرائيل لتغطية صفقة طائرات الفانتوم والاسلحة المختلفة ، والباقى قيمة اسلحة واموال توزع على الحكومات العميلة الاخرى التى تتولى حماية المصالح الاستعمارية الامريكية فى بلادها ، فى نفس هذا الوقت يرفض الكونجرس الموافقة على اضافة ١٠٪ الى اعتماد التأمينات الاجتماعية لصالح ٢٦ مليون امريكى ممن يستحقون المعاشات .

ولقد كان من الطبيعى ان تؤدى هذه السياسة الرجعية الاستغلالية والعدوانية للامبريالية الامريكية الى تزايد المقاومة من قبل اوسع الجماهير الكادحة ، كما تؤدى بالتالى الى تطوير وتقوية الحركات اليسارية داخل المجتمع الامريكى فى مواجهة التحالف الاجرامى للمؤسسات الاحتكارية والعسكرية وقد اوضحت هذه المظاهرات ان **الشعب الامريكى يمزج نضاله ضد الحرب العدوانية فى الخارج بنضاله فى سبيل الديمقراطية والعدالة الاجتماعية فى الداخل** .

ومن ناحية اخرى تعتبر هذه المظاهرات تأكيدا جديدا على اهمية وحدة نضال الطبقة العاملة والقوى اليسارية داخل البلدان الراسمالية وحركة التحرر الوطنى ، والنظام الاشتراكى العالمى ، فى سبيل القضاء على الاستعمار العالمى ، ذلك ان وحـدة الثورة العالمية كل لا يتجزأ من اجل السـلم والديمقراطية والاشتراكية .

ان « حملة الربيع » من اجل انهاء الحرب فى الهندالصينية وضد الفقر والقمع فى الولايات المتحدة تطرح امام حركة التحرر الوطنى العربية عددا من القضـايا والمهام الاسـاسـية وهى ان نجـاح قضـية تصـفية مواقـع الامبريالية الامريكية يتوقف اساسا على ادراك حقيقة وجوهر قوانين الصراع وتحقيق الصمود والمثابرة فى النضال وتوجيه ضربات مميتة للامبريالية وتصفية مواقعها الاستغلالية فى العالم العربى . فهذه الحقائق قد ادركتها من قبل شعوب كوريا وفيتنام وكوبا ولاوس وكمبوديا ، وهى التى توضح سر الصمود الرائع والكفاح الاسطورى لهذه الشعوب التى اسست نضالها على اساس من تقوية الجبهة الداخليـة وتوحيد القوى الوطنية والتقدمية ، وتحقيق مزيد من التلاحم مع النظام الاشتراكى العالمى باعتباره القوة الاساسية التى تساند وتدعم نضال حركات التحرر الوطنية فى كل مكان .

وديع أمين

وربما يكون من الامور ذات المغزى بهذا الصدد أن الصين عينت فى سفارتها بكندا شخصية من الدرجة الاولى ، يمكن أن تقيم اتصالات مباشرة بسهولة مع الولايات المتحدة هى **هوانج ها** الرئيس السابق للوفد الصينى فى مؤتمر بان مون جوم الذى وضع حدا للحرب الكورية .

وعلى أية حال ، نجد من الناحية العملية أن البون لايزال شاسعا بين الولايات المتحدة والصين الشعبية بشأن الاتفاق حول أية نقطة من النقاط الاساسية موضع الخلاف بين البلدين . واذا كان شواين لاى رئيس وزراء الصين قد أعلن أخيرا « أن احتلال القوات الامبريالية لتايوان ومضايقها لايزال هو المشكلة الرئيسية بين الصين والولايات المتحدة » ، فلا يبدو أن الولايات المتحدة قد قررت فى مستقبل قريب أو بعيد سحب قواتها من هناك . واذا كان قد حدث تقدم فى النظرة الامريكية للمشكلة الصينية ، فقد تمثل فى اتجاه الامريكيين نحو فكرة الاعتراف بوجود دولتين صينيتين ، على أن ذلك لايحل المشكلة بأية حال من الاحوال لان الصينيين لايقبلون على الاطلاق المساومة فى مبدأ وجود صين واحدة ، تعد فورموزا جزءا لا يتجزأ من أراضيها . كذلك فانه حتى لو أحرز الصينيون الاغلبية اللازمة لدخول الامم المتحدة ، فانهم لن يقبلوا قط دخول المنظمة الدولية مع وجود فرموزا بها ، وسيواصلون ضغطهم الدولى من أجل اجبار القوى المساندة للاعتراف بالصين الواحدة [الشعبية] وبخاصة الولايات المتحدة الامريكية على الرضوخ لتلك الحقيقة السياسية الكبرى .

■ ■

● فنون تشكيلية ●

حصاد موسم حافل

تنوعت المعارض بين التصوير التشكيلى والفوتوغرافى والخزف الفنى والاعمال التقليدية الوافدة من الخارج ، وتوزعت المعروضات قاعات الاتيليه وأخناتون والفنون الجميلة والاتحاد الاشتراكى وفندق سميراميس والمراكز الثقافية لتشيكوسلوفاكيا والمانيا الشرقية والغربية وسفرخان الجديدة بالزمالك ، وبينما قاربت هذه العروض التشكيلية ٤٠ معرضا ، الا أنها تضمنت أربعة معارض جماعية على درجة كبيرة من الاهمية .

فى قاعة « سفرخان » عرض الفنان الكبير **راغب عياد** ٢٢ لوحة من أخريات أعماله التصويرية المعتمدة على الالوان الزيتية والمائية والاصباغ ، واقتصرت موضوعاته على الاديرة المصرية وحياة الرهبان فى أوقات طعامهم وشرابهم وطقوسهم وصلاتهم ، بانيا تكويناته بأصالته المعروفة على تقاليد الفنون القبطية والمصرية القديمة ، كما يتضح فى لوحة العذراء والطفل وأشكال العيون والرؤوس ، كل ذلك فى اطار تعبيرى ، وتصميم ديناميكى وخطوط تحكم البناء المعمارى .

.. وعرض **حامد ندا** ، ٣٠ لوحة زيتية تعتبر نماذج جديدة لاسلوبه المعروف المعتمد على استلهام واقتباس العناصر والموتيفات الشعبية والبدائية ، وأضاف الى تشكيلاته الحروف العربية لاول مرة كوحدة زخرفية جديدة .. ولعبت الخلفيات دورا روائيا مع الاماميات فى موضوعات درامية قوامها الحب والحياة .

وحفلت قاعة « **الاتيليه** » بأربعة معارض تصدرتها الفنانة **انجى أفلاطون** بـ ٣٦ لوحة زيتية أضافت بها مرحلة جديدة على طريق أسلوبها المعروف بالطابع الشرقى الذى يشبه الفسيفساء ، مع تغاير اللمسات لتتخذ شكل الشرائح الملونة ، عالجت الفنانة حياة الناس والطبيعة فى أسوان والنوبة وأخميم وادكو وغيرها من المدن والقرى التى اعتادت أن تطوف بها بين حين وآخر لتثرى تجربتها الفنية والانفعالية ، فصورت الريف والمحاصيل والعمل اليدوى على أنوال النسيج ، بالاضافة الى ثلاث لوحات مميزة عن العمل الفدائى ، أودعتها مزيدا من ديناميكية التصميم .

.. أما اتحاد المرأة الفلسطينية ، فأقام معرضا جماعيا بعنوان « **الفدائى** » ساهم فيه ٢٦ فنانا وفنانة بينهم لفيف من منظمة الشباب ، وتناولت الاعمال موضوع المعركة بأساليب تغلب عليها التشخيصية الى جوار الاتجاهات التجريدية والتكعيبية والتعبيرية والعفوية ، ومن اللوحات التى لفتت الانظار : « **وجه فدائى** » **لعبد المنعم القصاص** ، « عواء الليل » **لجاذبية سرى** ، « الفدائيون » **لانجى أفلاطون** .. ولوحات **تحية حليم وأحمد طوغان ومصطفى الحلاج** ، وافتتح المعرض د. حكمت أبو زيد ، ود. مفيد شهاب ، ووزعا على العارضين الجوائز التذكارية المهداة من منظمة الشباب .

.. ثم انفرد الفنان الفلسطينى مصطفى الحلاج بعرض ما يقرب من الـ ٥٠ لوحة من الرسم والتصوير بالالوان المائية والحفر على الخشب والجص معظمها بالابيض والاسود ، كان المعرض بدون كتالوج أو اسماء الا أنه كان يمثل الصراع

بين قوى الخير والشر بأسلوب رمزي يعتمد على عناصر تشخيصية من ابتكار الفنان، بعضها مشتق من الاساطير الشعبية والقديمة في تأليفات درامية روائية عنيفة تثير المشاعر وتدعو للمشاركة في انهاء المأساة الفلسطينية ، أما من حيث التكنيك والنمط الجمالي ، فالفنان يستند الى ايقاعات شرقية تلاحظ بوضوح في تراث الفنون المصرية القديمة والسومرية والفينيقية .

•• **أما احسان مختار** فقد أقامت معرضا غير مسبوق تحت اسم « الفن الجماهيري » ، قدمت فيه ٦٣ تكوينا داخل فترينات زجاجية صغيرة تضم عناصر مصنوعة قبلا ، من بينها أشياء ثمينة أثرية ترجع الى مئات السنين ، الى جانب عرائس رخيصة أدخلتها الفنانة في تكوينات تجسم الاساطير وحكايات الاطفال مثل قصة سندريللا ، وقامت الفنانة بتنظيم المعرض حتى أصبح في حد ذاته تجميعا فنيا لمحتوياته .

وفي « اخناتون » قدم **يوسف فرنسيس** منوعات فنية منها لوحات زيتية وتكوينات دادية من الاشياء المصنوعة وسيقان الاشجار وتأليفات من شرائح الخشب وقطع الزجاج الملصقة على لوحات مرسومة بقصد الحصول على تأثيرات درامية ، كما استفاد من اتجاهات البوب آرت باضافة أوراق اللعب وأزهار البلاستيك الى بعض اللوحات داخل براويز سميكة وفي مستويات مختلفة لاعطاء تأثير الديوراما ، وفضل الفنان أن يعفي لوحاته من الاسماء والارقام مكتفيا بما تعكسه من معان رومانسية حزينة .

•• ثم اقام **نبيل الحسيني** معرضا للنحت والتصوير . اعتمد في لوحاته على التشكيلات الهندسية المنتظمة والالوان الناصعة والخطوط المستقيمة ، أما في تكويناته النحتية فاستخدم الفخار الملون المشكل بتركيبات معمارية ذات طابع شرقي ، ثم قدم نموذجا لاتجاه « **البوب آرت** » حيث نظم مجموعة من الجرار الصغيرة الجاهزة في اطار مستطيل مظهرا جماليات الاشياء التافهة التي نصادفها في حياتنا .

•• أما الفنان الشاب **أحمد حجاب** فعرض ١٧ لوحة من المساحات الكبيرة بأسلوبه المعروف والموضوعات العامة ذات المضمون القومي ، اتجه في لوحاته الى البناء التشكيلي والالوان المقتصدة المعتمة والتركيب المعماري ، ولفتت الانظار لوحاته عن •• المحاربين •• الحزن •• الفريسة •• المعجزة •• وغيرها من المضامين التي تمس الظروف الاجتماعية والسياسية التي يمر بها المجتمع العربي ، وأضاف بعض التجارب اللونية التي في دور الاعداد لابداع أعمال ذات قيمة .

•• **المصور عبد الرحمن النشار** قدم بدوره ٦٦ لوحة من المساحات الكبيرة تخلى فيها عن أسلوبه الموضوعي المميز وظهر في ثوب جديد من اللاموضوعية على شكل توزيعات لونية وموتيفات هندسية استخدم فيها جميع الالوان تقريبا ، كانت معارضه السابقة على نفس المستوى من التوزيع المترابط ، الا انها كانت ذات قالب تشخيصي روائي يمس الحياة الانسانية والعربية بنوع خاص .

•• **كمال السراج أيضا** ، عرض ٢١ لوحة متفاوتة المساحات يعتمد بعضها على الاوراق الجاهزة المزخرفة وأوراق القصدير وشرائط القماش ، استخدم في تشكيلاته اللاموضوعية تعتمد على الحروف الهجائية الزخرفية ، واعتمد في هذا المعرض على حرف واحد هو حرف الـ « س » الذي يبدأ به اسمه ، ومن المعروف ان استخدام الحروف الهجائية بدأ مع العرب في فجر الاسلام، وانتشر حديثا في أوروبا في النصف الاول من القرن العشرين على أساس ان الحرف في حد ذاته يحمل مشاعر يستجيب لها المشاهد .

وافتتح المركز الثقافي الالماني بالقاهرة « جوته » قاعته الجديدة بعرض خاص للمصورة **جاذبية سري** ، قدمت فيه ٤٠ لوحة زيتية من أخريات أعمالها التي اتسمت بالجماليات المعاصرة والطابع الشرقي الذي لا تخطئه عين ، وجميع موضوعات الفنانة قريبة من الادراك العام والخاص على السواء وتمس جوانب الحياة الانسانية ، فعبرت في معظمها عن فرحة الحياة ورومانسية الخيال وواقعية الرياضيات ، ومن المعروف أن جاذبية موضوعية الطابع الا أنها في معرضها الاخير اعتمدت كثيرا على التلخيصات والتركيز على التشكيل واجمال التفاصيل في سبيل الحصول على التعادل والاتزان ، كما عالجت جوانب انسانية متباينة تناولت « **السير في الفضاء** » ومشاهد شعبية تميزت من بينها لوحة عن واحة سيوة تمثلت فيها الموتيفات المحلية والبهجة الفطرية والتراكيب التشكيلية المحكمة .

•• ومن المعارض الملفتة للنظر لقلتها رغم أهميتها ، المعرض السنوي للجمعية المصرية للتصوير الفوتوغرافي ، اشترك فيه ١٣ فنانا بتقديم ١٠٢ لوحة تنوعت موضوعاتها بين المناظر الطبيعية والنباتات والاثار المصرية ، وحاول البعض استخدام الكاميرا بأسلوب المصور التشكيلي التجريدي او المستقبلي ، واستطاع البعض الاخر أن يقدم لوحات فوتوغرافية نموذجية مثل **أميل كرم •• عادل البدراوي •• لطفي أبوزيد •• محمد منيب** . أما التكوينات الفنية والرسم بالنور فقد تميز به شيخ الجماعة : **د . ناجي يس** .

وفى « القاعة الكبرى بمبنى الاتحاد الاشتراكى بكورنيش النيل » انفرد المصور الفوتوغرافى الشاب محمد عبد الحميد بعرض ٦٠ لوحة تحت عنوان « اوضنا الطيبة » استخدم فيها آلة التصوير فى أصالة وقدرة على التقاط الزوايا الجميلة المعبرة عن بلادنا وشعبنا ، كما استخدم المعالجات الكيماوية والتشكيلية مع عدم الجنوح عن طبيعة التصوير الفوتوغرافى .. فعبر عن دراما الحياة المصرية واستطاع أحيانا ان يلتقط اللحظة الانسانية النادرة التى يكشف عنها وجه الانسان ، كما أضاف القليل من التجارب البحثية التى تمهد لابداع أكثر تقدما .

وفى قاعة « الفنون الجميلة » بباب اللوق بالقاهرة أقيم معرض « جماعة فن الحفر المعاصر » اشترك فيه ١٩ فنانا قدموا لمعرضهم بكلمة تدعو الى تنظيم معرض دولى لفن الحفر فى القاهرة ، ولوحظ أن هذا المعرض هو الاول من نوعه الذى يعتمد على الاصول المتعارف عليها دوليا فى فن الحفر ، فاقتصرت معروضاته على استخدام النحاس والخشب والحجر واللاينو والطباعة الحريرية .. مع التخلى عن أسلوب المونوتيب الذى كان يدخل فى المعارض السابقة ، وتميزت معظم اللوحات الـ ٨٠ باللاموضوعية سوى القليل من أعمال الفنانين الذين استطاعوا ان يدمجوا القيم التشكيلية مع المضامين الاجتماعية مثل : كمال أمين .. فاروق شحاته .. ثريا محمود .. سيد عبد الرسول ، أما أصحاب التشكيلات المجردة المؤسسة على التكنيك والتشكيل الجمالى فقد تميز منهم : احمد نوار .. مريم عبد العليم .. فرغلى عبد الحفيظ .. حسين الجبالى .. عطية حسن ، كما لوحظ تغيب بعض الحفارين المرموقين مثل محسن شرارة الذى مثل مصر فى معرض لوبليانا الدولى .

.. والمعرض الجماعى الثانى فى نفس القاعة هو « صالون القاهرة الـ ٤٧ » ، اشترك فيه ٦٥ مصورا وحفارا و ١٩ نحاتا وخزافا مع لفيف من الفنانين خارج التحكيم يتصدرهم ضيف الشرف لهذا العام النحات الكبير عبد القادر رزق ، ولاول مرة قامت جمعية محبى الفنون الجميلة ــ المسئولة عن اقامة الصالون ــ باستبدال الجوائز المالية بميداليات معدنية ، وفاز بالميداليات الذهبية : قيسيلا فريد فى التصوير .. سيد خليفة فى الحفر .. صبرى ناشد فى النحت .. جمال حنفى فى الخزف . وقد لاحظ النقاد ان مستوى المعروضات كان أكثر هبوطا عن الدورات السابقة ، وأن معظم الاعمال كانت لا موضوعية ، كما تألفت لجنة التحكيم من أعضاء مجلس ادارة الجمعية وبينهم ، سعيد الصدر .. سعد

٨٠ عاما على ميلاد الفنان محمود مختار (١٨٩١ ــ ١٩٣٤)

توافق هذه الايام الذكرى الثمانين لميلاد فنان مصر الخالد محمود مختار . وقد ولد مختار فى قرية طنبارة بالقرب من المحلة الكبرى ، من اسرة ريفية بسيطة ، وعرف عنه فى طفولته روحه القلقة وتمرده على الحياة الرتيبة فى كتاب القرية ، فكان يهرب منه الى شاطىء الترعة ليعيش عالمه الخاص ويقضى الساعات الطويلة يلعب بالطين ويصنع منه عرائس احلامه وكل ما اختزنه وجدانه وفكره من انطباعات البيئة

وانتقل مختار الى القاهرة فى عام ١٩٠٢ وعاش فى احياء حوش الشرقاوى والحنفى وعابدين . واشتغل عاملا فى مصانع القاهرة وتأثر فى ذلك الوقت بسيرة وخطب الزعيم مصطفى كامل .. وعندما افتتحت مدرسة الفنون الجميلة بدرب الجماميز فى عام ١٩٠٨ ، كان مختار اول من التحق بقسم النحت بها . وفى عام ١٩١٠ اوفد فى بعثة الى باريس لدراسة فن النحت

وفى باريس استطاع ابن القرية المصرية ان يجتذب اليه انتباه جمهور الفن والمعارض فى مدينة النور ويصبح محل اهتمام كبار اساتذة ونقاد الفن . واسند اليه رسميا منصب مدير متحف جريفين فى باريس .. وخلال المدة التى قضاها فى فرنسا لم تنقطع صلته بوطنه ومصدر الهامه . وعندما اندلعت الثورة فى مصر عام ١٩١٩ ، اهتز لها وجدانه وانفعل بها ، وملكت عليه مشاعره فكرة اقامة تمثال للتعبير عن يقظة امته وانبعاث الروح المصرية ، فيقدم مختار استقالته من متحف جريفين ليتفرغ لوضع تصميم تمثال نهضة مصر .

ويحضر سعد زغلول على رأس الوفد المصرى الى باريس فى أواخر عام ١٩٢٠ ، ويعرض عليهم مختار النموذج المصغر لتمثال نهضة مصر فيحوز اعجابهم وتقديرهم . وتصل اخبار التمثال الى مصر ويجد ترحيبا شديدا فى الاوساط الوطنية والشعبية . ولكن السراى والرجعية الملتفة حولها كانت تعارض فى اقامة تمثال يرمز به الى اليقظة والثورة المصرية .

ويعود مختار الى مصر فى ذلك الوقت فتستقبله الثورة والمظاهرات الشعبية ، فيندفع اليها ويشارك فى احداثها ويقبض عليه ويودع السجن ، ثم يفرج عنه بعد ذلك ليحمل الازميل ، ويبدأ فى صنع التمثال الذى يرمز الى ثورة الشعب.

وقد استغرق صنع التمثال ثمانى سنوات بدلا من ثلاث كما كان مقدرا له من قبل ، كان العمل يتوقف خلالها مرارا نتيجة العراقيل التى كانت تضعها السراى والرجعية فى طريقه حتى ينصرف عن صنع التمثال . وقد احتفل بازاحة الستار عن التمثال فى مايو عام ١٩٢٨ .

ولقد واجه مختار نفس المؤامرات اثناء العمل فى تمثال سعد زغلول بعد وفاته ، الذى اراد ان يرمز به للثورة والزعامة الوطنية .

وعبر مختار فى كل ما ابدع من انتاج عن اليقظة والروح المصرية وارادة المقاومة والصمود والتطلع الى المستقبل ، وكل القيم الشريفة والنبيلة التى فجرتها ثورة ١٩١٩ الوطنية وناضل الشعب من اجلها : وهى الحرية والاستقلال والعدالة والدستور .

الخادم .. الحسين فوزى .. شفيق رزق . سعيد خطاب .. منصور فرج .

وفى « قاعة المركز الثقافى لجمهورية المانيا الديمقراطية » كرر **محمد الشعراوى** معرضه الخزفى ذا التشكيلات التجريدية والالوان المتكاملة معها ، الا أنه اضاف مجموعة من أعماله السابقة .. وهى منتخبات من الاوانى المزخرفة بطريقة البارز والغائر والمشمولة باضافات يدوية بعيدة عن الدولاب ، كما أضاف الفنان قليلا من القطع الجديدة تميز من بينها تمثال خزفى برتقالى اللون لكتلة متراصة من الجماهير ترفع أعلاما فوق الرؤوس .

وفى « قاعة المركز الثقافى التشيكوسلوفاكى » عرض الموسيقار « **آدا سيجل** » الذى يعمل فى أوركسترا القاهرة السيمفونى ٤٣ لوحة تصويرية بعنوان « **موتيفات من القاهرة** » ، وتدخل جميعها فى باب الاستكشات السريعة التى تجمع بين التعبيرية والتقريرية من وجهة نظر سياحية تظهر الملامح المحلية الطريفة التى تغفل عنها عيون المواطنين لاعتيادهم عليها .

وفى « قاعة فندق سميراميس » أقيم معرض من سردينيا لمنوعات من الفنون الحرفية والتقليدية والشعبية يضم نماذج من التماثيل الصغيرة الخشبية والمعدنية والملابس الوطنية والتراكوتا والادوات الاستعمالية اليومية وأطباق الخوص والمجوهرات المعدنية والسجاجيد والنسيج اليدوى والمفارش والاقنعة الخشبية ، ومن الجدير بالذكر ان المعرض كان بدون بطاقات دعوة أو كتالوج ولم يشاهده سوى رواد الفندق فقط .

■ ■

■ **تقرير شامل من : « يوجوسلافيا »**

« تيتو .. لم يصبح بندقية فارغة »

تعرضت جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية ؟ ولا تزال تتعرض لحملة هجومية ضارية من القوى المعادية للنظام ، داخل وخارج يوغوسلافيا . وتتحرك هذه الحملة على مستويين ، مستوى اجتماعى بمحاولة تقويض نظام التسيير الذاتى ، عصب النظام اليوغوسلافى بأسره ، وعلى مستوى الدولة الاتحادية ذاتها ، بمحاولة تقويض وحدة جمهورياتها الست عن طريق اثارة النزعات القومية المتعصبة .



تيتو

وعلى الرغم من ان يوغوسلافيا استطاعت خلال عشرين عاما من تطبيق نظام التيسير الذاتى فيها ، أن تضاعف دخلها القومى حوالى **أربع مرات** ، الا أنها كانت فى الفترة الاخيرة تعانى من مصاعب اقتصادية بشكل ظاهر ، ولجأت الى تخفيض قيمة الدينار اليوغوسلافى . الا انه بعد ثلاثة أشهر من التخفيض بلغ العجز فى التجارة الخارجية اسوأ مستوى بلغه منذ ستة أعوام ، وواصلت الاسعار ارتفاعها بشكل كبير ، وصلت نسبته فى بعض القطاعات ٤٠٪ فى حين أن تقديرات الزيادة فى الاسعار كانت تتنبأ بنسبة لا تزيد عن ١٢٪ . ولاتزال الثغرة فى ميزان المدفوعات تتسع والصادرات فى انخفاض بينما الواردات تزداد . وقد ازداد عدد الاستثمارات غير المغطاة الى حد كبير . وأشار **ميتارببيشيتش** رئيس الحكومة الاتحادية اليوغوسلافية فى ٨ مايو الماضى امام المؤتمر الثانى للتسيير الذاتى فى **سراييفو** الى التضخم الذى تعانى منه البلاد . وأوضح ان من بين اسبابه البنوك « التى تعمل فى اغلب الاحيان كأدوات فى أيدى الجمهوريات او المناطق المستقلة ، وتواصل مخالفة برنامج الاستقرار الاقتصادى بتمويل استثمارات كثيرة فى جمهورياتها ليس لها غطاء نقدى » .

ومن الواضح ان يوغوسلافيا كانت تعانى مما يمكن ان نسميه بسعار الاستثمار الناجم

عن عدم احترام التخطيط المركزى . حيث اندفعت المصانع الكبرى والشركات الكبرى الى طلب قروض دون تقدير سليم » ويبدو انه كان هناك اتجاه داخل الرابطة منذ حوالى ۳ سنوات لتحديد الاستثمارات التى أصبحت مثل المرض فى الشركات الكبرى » وأن هناك شركات بدأت بمصنع واحد » واصبحت عندها الان ٢٦ مصنعا مما يمكن ان يعتبر مثلا للنجاح » لكن بعض الشركات الاخرى حاولت تقليد ذلك بسحب قروض دون تقدير سليم » مما ادى الى فشل المشروعات التى لم تتم فيها دراسة سليمة لكيفية رد كل هذه القروض » وقد اثرت الاستثمارات غير المدروسة على الميزان التجارى » لان الاستثمارات الاكبر » تطلبت استيراداً أكبر لمعدات المصانع الجديدة » مما ادى الى زيادة الواردات عن الصادرات بشكل كبير ».

وقد أوضح ميتيا ريبيشيتش فى سراييفو «ان التضخم وعدم الاستقرار » وتخفيض قيمة العملة الوطنية هى أعداء الطبقة العاملة اليوغوسلافية واشار الى ان عدد المؤسسات التى لم تستطع تغطية التزاماتها المالية سنة ١٩٧٠ بلغ ٦٩٪ عما كان عليه فى نفس الفترة من السنة السابقة » كما أن خسائر المؤسسات بلغت فى العام الماضى ٤٥٢٢ مليون دينار لم يعوض سوى ربعها فحسب » وبلغ العجز فى ميزان التجارة الخارجية نسبة كبيرة ، تعادل ٢٧٩٤٠ مليون دينار يوغوسلافى » كذلك فمن بين ٦٧٩ مؤسسة، حققت ٢٣٧ منها ارباحا غير قانونية يبلغ مجموعها ٤٤٠ مليون دينار . وبهذا الصدد اشار رئيس الحكومة الاتحادية الى الصفقات «غير القانونية» وبخاصة فى مجال العملات ، والى المسئولية الكبيرة التى تقع على عاتق الاجهزة المسئولة التى كان ينبغى عليها ان تفرض العقوبات الملائمة لمثل هذه الاعمال . فنتيجة مختلف انواع التحايل التى لجأت اليها ٧١ مؤسسة تحملت الدولة خسائر قدرها ٣٣ مليون دينار . وأكثر من ٢٢ مليون دينار تم الحصول عليها بهذه الطريقة ، باعتها هذه المؤسسات الى بنوك مكلفة بمراقبة نشاطها . ولذا فقد أشار رئيس الحكومة اليوغوسلافية الى أن « **الانعدام العام للنظام ، ادى فى المجال الاقتصادى الى نشوء موقف خطير** » وقال انه اذا « استمر تطور الموقف على هذا النحو سنصل الى نقطة تضطر فيها يوغوسلافيا الى حل المشاكل تحت ضغط الصراعات الاجتماعية وليس على أساس المنطق الاقتصادى » . واضاف الرئيس تيتو « **بأن بعض الاجهزة السياسية والحكومية قد أسهمت — بعدم التزامها بالقرارات المتفق عليها — فى نشوء هذا الموقف** . كما انتقد الادارة السيئة فى المؤسسات وطالب المسئولين فيها بتطبيق برنامج الاستقرار الاقتصادى الذى تقرره الحكومة الاتحادية .

كما أعرب ريبيشيتش عن اعتقاده بأن « عدم الاستقرار الذى يعانى منه الاقتصاد اليوغوسلافى يرجع الى تبعية المؤسسات التى تدار بالتسيير الذاتى — بدرجة كبيرة — الى عناصر «من خارج» هذه المؤسسات تفرض عليها قراراتها السياسية أو المالية ، وبالتالى فان التطبيق السيء للتسيير الذاتى ادى الى تفاقم الازمة الاقتصادية فى البلاد ودعا رئيس الحكومة كذلك الى اعادة ارساء « القانونية والنظام فى المجتمع » .

وطالب **كيرو جليجوروف** عضو اللجنة التنفيذية لرابطة الشيوعيين اليوغوسلاف بضرورة تدعيم التخطيط الاقتصادى المتناسق حلا للمشاكل المذكورة وأعربت مجموعات العمال بمؤتمر التسيير الذاتى عن أملها فى وضع خطة اقتصادية اكثر ترابطا وتحديدا . كذلك اوضح المارشال تيتو ان من بين أسباب الازمة الاقتصادية الاسراف والمنافسة غير الشريفة بين الشركات . وأعرب عدد من ممثلى العمال فى مؤتمر سراييفو عن عديد من المشاكل التى تؤرق جماهير العمال بالاضافة الى المشاكل العامة المذكورة سالفا وضمن ما أشاروا اليه انخفاض الاجور الحقيقية ، ومشاكل الاسكان والضرائب ، وتخلف الاقاليم ، والفوائد المرتفعة التى تفرضها البنوك ولا مبالاة فئة « **التكنوقراطيين** » باحتياجات العمال . ويضاف الى كافة العوامل التى تسببت فى الازمة الاقتصادية ، عامل آخر يتمثل فى أن الحكومة الاتحادية لم تستطع تنفيذ برنامج الاستقرار الاقتصادى الذى وضعته منذ ثلاثة أشهر ، بسبب معارضة بعض الجمهوريات فى تنفيذه ، ولذا فمن القرارات الهامة التى اتخذتها الحكومة اخيرا قرار البدء بتنفيذ هذا البرنامج .

وهناك فروق بالفعل بين الجمهوريات فى مستوى التطور ، فبينما يبلغ دخل الفرد فى العام فى جمهورية سلوفينيا ١٢٠٠ دولار ، يبلغ فى جمهورية **مونتينجرو** ٣٠٠ دولار ويتراوح فى **كرواتيا** ما بين ٧٠٠ و ٨٠٠ دولار وفى جمهورية **الصرب** ما بين ٦٠٠ و ٧٠٠ دولار ، وفى جمهورية **مقدونيا** أكثر من ٤٠٠ دولار وفى جمهورية **البوسنة — هرزيجوفين** ما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ دولار . وهناك منطقتا حكم ذاتى فى جمهورية الصرب هما : **فويفودنيا وكوسوفو** ، واغلبية السكان فى الاولى من الصرب ويوجد بها ايضا **المجريون والسلوفاك والرومانيون** وهى منطقة زراعية خصبة تغذى كل يوغوسلافيا بالقمح والذرة ومع ذلك فدخل الفرد فيها لا يزيد عن ٦٠٠ دولار ، أما منطقة **كوسوفو**

فيشكل **الالبانيون** حوالى ٧٠٪ من سكانها والصرب والمونتينجرو ٣٠٪ منهم ولا يزيد دخل الفرد فيها عن ٢٠٠ دولار فقط فى العام . ورغم ان المنطقتين غنيتين بالمواد الاولية الا انهما غير متطورتين على نحو كاف، وكوسوفو بالذات فيها امكانيات ضخمة وميزات كبيرة من ناحية الانتاج الزراعى لم تستغل ولكنها تعانى درجة كبيرة من التخلف .

وقد دارت مناقشات واسعة فى الاجهزة التنفيذية والتشريعية والحزبية فى الجمهوريات الست للتوصل الى صيغة متطورة للعلاقات بين جمهوريات يوغوسلافيا الست تتفق مع « **مجلس الرئاسة** » الجديد ، وهو القيادة الجماعية [والمكونة من ٣ ممثلين لكل جمهورية اى ١٨ ممثلا] واثنين لكل منطقة من مناطق الحكم الذاتى أى ٤ فيصبح مجموعهم ٢٢ ، يضاف اليهم الرئيس تيتو فيصبح مجلس الرئاسة من ٢٣ شخصا) . واذا كانت المهمة الرئيسية لهذه الرئاسة الجديدة هي التنسيق بين الجمهوريات فان الفكرة الاساسية فى الاصلاح الدستورى هى **منح الجمهوريات استقلالا أكبر** ، بهدف حل مشكلة القوميات ، بحيث لا تصبح اية قومية ذيلا لقومية اخرى ، وانما تكون لها حرية سياسية واقتصادية على أساس سياسة خارجية مشتركة بين كافة الجمهوريات ، ودفاع قومى مشترك ، وصندوق مالى مشترك لتطوير المناطق المتخلفة .

واثارت مسألة منح الجمهوريات استقلالا اكبر ، والتوسع فى اللامركزية ، ولا تزال تثير خلافات فى الرأى واحتكاكات مستمرة بين الجمهوريات نتيجة للتباين فى درجات التطور ، والتباين فى المصالح ، فى مجتمع متعدد القوميات واللغات والاديان . وقد بلغت تلك الخلافات حدا خطيرا فى الاونة الاخيرة بما سمى **بالمؤامرة المعادية لكرواتيا** ». ذلك أن منظمة « **الاستاش** » الارهابية الفاشية التى تعمل من اوربا الغربية وألمانيا الغربية ، خاصة واعضاؤها من الكرواتيين المعادين للنظام اليوغوسلافى، والذين يستهدفون فصل كرواتيا عن الاتحاد اليوغوسلافى واقامة جمهورية كرواتية عمد هؤلاء الى ترويج شائعات مغرضة تقول بأن زعماء كرواتيا قد اقتربوا كثيرا اثناء مناقشات التعديلات الدستورية — من الخط الذى تدعو اليه المنظمة الفاشية والخاص باستقلال جمهورية كرواتيا عن الاتحاد . وقد تلقفت القوى المعادية للنظام وللدولة هذه الشائعات وعملت على تعميقها وتأجيج نار العداء بين اكبر جمهوريتين فى الاتحاد وهما الصرب ثم كرواتيا لدرجة أن اللجنة المركزية الكرواتية اتهمت السلطات الاتحادية بالعمل على تأكيد هذه الاقاويل الباطلة . ووصلت الازمة الى حد اتهام وزارة الخارجية اليوجوسلافية بالمشاركة فى الترويج لهذه الدعوة الخطيرة ، واتهمت بعض الصحف الاتحادية كذلك ، كما اتهمت اللجنة المركزية الكرواتية ضمانا، اجهزة الامن الاتحادية بالمساهمة فى حملة الافتراءات التى تقرن ما بين اسماء الزعماء الكرواتيين ، والمهاجرين الاوشباش ، مما ادى الى تسمم الجو السياسى فى يوغوسلافيا ،

وقد اعرب الاجتماع الكامل لرئاسة **رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف** فى بريونى مستندا الى نتائج لجنة التحقيق الحكومية عن اعتقاده بأنه توجد فعلا حملة هدامة ضد الزعماء الكرواتيين، ولكنه برأ الادارة الاتحادية من اية شبهة وعزا هذه الحملة الى الهجمات المتزايدة من جانب العدو الخارجي وشركائه فى الداخل . وقرر الاجتماع الكامل لايضاح ثقة فى اجهزة الامن التى اتهمتها ضمنا اللجنة المركزية الكرواتية ، زيادة الكفاح ضد النشاط الهدام وذلك بتدعيم اجهزة الامن وزيادة الرقابة عليها فى نفس الوقت .

والحقيقة ان قيادة كرواتيا تعمل فى ظروف دقيقة ، لان فئة الاوستاش المعادية للثورة كرواتية ، وهى تقوم بتسريب عملائها ، والسياحة مصدر كبير لتهريب عملاء المخابرات الاجنبية والمندسين والمعادين للنظام ، والمشكلة أن كرواتيا بالذات من اكثر المناطق السياحية شهرة فى يوغوسلافيا . ويستلزم كل ذلك أن تكون رابطة الشيوعيين فى كرواتيا بشكل خاص قادرة على التحرك بشكل اكثر فعالية لمواجهة الضغوط الاستثنائية التى تتعرض لها .

وقد اعربت **سافكا دابسيفيك سكوكار** رئيسة رابطة شيوعيى كرواتيا عن موقف الرابطة هناك بقولها فى ٨ مايو الماضى « ان كرواتيا لا تستطيع تحقيق سلامتها السياسية وسلامة اراضيها ، الا من خلال يوجوسلافيا الاشتراكية ... وان العامل والفلاح والمثقف يرون ان مستقبل جمهورية كرواتيا وحقها فى التسيير الذاتى والاشتراكية لن يتم الا من خلال الدولة اليوجوسلافية الاشتراكية » وأدانت « القوميين المتعصبين من الكروات » واضافت قائلة « انهم يطرحون دولة يوجوسلافية لا نريدها » وابرزت سافكا دابسيفيك . « ان مبدأ التشاور هو الحل البديل الوحيد لاسلوب « التحكم » . وانه يمكن حل أدق المسائل واعقدها عن طريق الاتفاق الديموقراطى وبالروح الرفاقية » .

على انه لا ينبغى ان يتبادر الى الذهن ان الفئات والعناصر القومية المتعصبة فى الجمهوريات اليوغوسلافية تدعو الى عمل منفصل يجمع كافة القوميين المتعصبين فى كل جمهورية بمعزل عن

القوى الاخرى فى كل من هذه الجمهوريات ». لان العناصر القومية المتعصبة تعمل بذكاء خبيث لتوحيد نفسها مع الشيوعيين المحليين فالقوميون المتعصبون الصرب يقولون اننا والشيوعيون الصربيون قومية واحدة ، اننا مع الشيوعيين الصربيين ينبغى أن نتحرك ككل واحد . ولكن رابطة الشيوعيين فى كل جمهورية تعمل بدأب ضد هذا النشاط الذى تبذل المخابرات الاجنبية اكبر جهودها من اجل نجاحه لتمزيق يوغوسلافيا كى تصبح غنيمة اسهل للقوى الاجنبية

والمستوى الثانى الذى حاولت القوى المعادية للنظام فى الداخل والخارج العمل فيه بدأب ، هو محاولة تقويض نظام التسيير الذاتى . وقد استغلت هذه القوى المصاعب الاقتصادية التى ازدادت فى الفترة الاخيرة للتشكيك فى صلاحية التسيير الذاتى بأسره . وبالطبع فلقد كان للتكنوقراط الذين ازدادت سلطتهم فى الفترة الاخيرة ، دور كبير فى ذلك وهم الذين اضعفوا دور الطبقة العاملة فى التسيير الذاتى بما لهم من نفوذ وتحولوا الى طبقة بيروقراطية تلتهم فى الواقع الدور والتأثير العمالى داخل مجالس التسيير الذاتى .

وقد أوضح المارشال **تيتو** فى ٨ مايو الماضى فى سراييفو « ان هؤلاء الذين لايكنون عن الانتقاد [للتسيير الذاتى] ، ليسوا هم العمال الذين يعيشون بالكاد ، ولكنهم هؤلاء الذين يتنقلون فى سيارات فارهة وينفقون ببذخ » وقال « ان أعداء الاشتراكية والتسيير الذاتى هم فى الواقع أولئك المثقفون الذين يدعون التعمق فى الفلسفة» ووجه تيتو الاتهام كذلك الى عدد من جنرالات الجيش اليوغوسلافى المتقاعدين « هؤلاء الذين يزعمون أننا لم نحقق شيئا ومن ثم يتعين اسناد السلطة اليهم » ، كما اتهم عناصر داخل الحزب أيضا بالمشاركة فى الحملة ضد التسيير الذاتى. ويحتل عدد من جنرالات الجيش المتقاعدين وظائف مدنية فى التجارة بخاصة ، وبشكل أقل فى الصناعة والادارة ، وهم ينالون مرتبات ضخمة ويعيشون فى مستوى معيشى مرتفع جدا.

ومن الواضح أن القيادة اليوغوسلافية سوف تنتهج خطا أكثر تشددا فى مواجهة القوى المعادية للتسيير الذاتى ، وقد قال تيتو فى سراييفو : « انه لايمكن أن توجد ديموقراطية لاعداء نظام التسيير الذاتى » ، وأنه « ينبغى علينا أن نلجأ الى اجراءات ادارية ، وان هناك من لايريد أن يقتنع ، ومن ثم ينبغى أن نجد أساليب جديدة لاقناعهم » وقال ان هؤلاء الذين يشير اليهم ، سوف ينكشف أمرهم « عندما يطالبون بتبرير أعمالهم » وانه « لن يسمح بعد ذلك باستغلال الديمقراطية ، كواجهة لنشاط معاد للاشتراكية ».

وفى مواجهة حالة التفتت التى تحاول أن تبرز أشار تيتو الى أن التسيير الذاتى يتطلب نظاما جماعيا صلبا ولا يمكن أن يوجد بدون ذلك ، وقد قررت القيادة اليوغوسلافية بالنسبة للتسيير الذاتى ، توسيع مجالس العمال باشراك أكبر عدد ممكن من العمال فيها بحيث لايستطيع التكنوقراط أو البيروقراطيين اتخاذ أية اجراءات دون موافقة كاملة من المجالس العمالية . كذلك اتفق على أنه فى حالة حدوث خلافات يطرح الامر المختلف عليه للاستفتاء فى المصنع ، ومن هذه الزاوية فان عملية اعادة النظام الى المجتمع عامة سوف تصحح بزيادة حقوق ومسئوليات العمال ، والغاء كافة العراقيل التى تعترض دعم التسيير الذاتى ».

والاكثر أهمية وخطورة ، هو أن كافة مظاهر الازمة والاوضاع السلبية المذكورة انعكست داخل رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف وأعلن رئيسها فى **بريستينا بكوسوفو** « أنه لم يسبق للرابطة أن شهدت وضعا مماثلا للوضع السائد فى صفوفها الان ، وان التيارات الانقسامية أصبحت لاتحتمل ، وانه يجب فصل أعضاء الحزب الذين يشغلون مناصب مسئولة ولكنهم لاينفذون القرارات التى تتخذ بالاتفاق المشترك » ، كما أوضح مقال نشر مؤخرا فى مجلة « **كومونيست** » اليوغوسلافية بأن « قدرة قيادة الحزب على العمل قد قلت فى نقاط كثيرة » ولذا فقد تم التوصل فى الاجتماع الكامل فى بريونى الى اتفاق حول العمل « لاعادة تنظيم الرابطة » ، وأوضح تيتو انه فى الوقت الذى يشغل فيه موضوع لامركزية الاجهزة الفيدرالية اليوغوسلافية جميع الاذهان ، فان رابطة الشيوعيين لايمكن تقسيمها بين الجمهوريات وأنه ينبغى أن يتوفر ليوغوسلافيا « **توجيه عقائدى موحد** » ولم يدع تيتو مجالا للشك فى أن هذا الاتجاه الايديولوجى الواحد ليوغوسلافيا سيكون « أكثر تشددا » وقال تيتو : « ان البعض يزعم أن تيتو أصبح كالبندقية الفارغة ، لكن هذه البندقية لم تعد فارغة هذه المرة ، انها محشوة بعدد لابأس به من الطلقات » وقال للعمال فى سراييفو « انى أعتمد عليكم ، وينبغى أن نستأصل من رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف كل من لاينتمى اليها سواء بأفكاره أو بأفعاله » من أجل أن يقوم الحزب بنشاط سياسى واسع وأكثر ديناميكية وبخاصة فى الاجهزة السياسية للجمهوريات لمواجهة الازمة الراهنة . ولذا فسوف تعقد رابطة الشيوعيين بناء على دعوة تيتو مؤتمرا غيرعادى للرابطة لبحث الموقف بعد أن اتفق زعماء الحزب على اعادة تنظيم الحزب والحكومة وتدعيم وحدة البلاد ».

وعلى أية حال ؟ فان ماحدث فى يوغوسلافيا يلقى لنا ضوءا اضافيا على دأب القوى المعادية للتقدم على نطاق العالم على استغلال النزعات القومية وعمليات التفتيت القومى لتحقيق مآربها فى تصفية وحدةعديد منالدول الوطنيةوالتقدمية ذلك ان مالا تستطيع أن تناله هذه القوى عن طريق الحرب الاهلية ، تعمل على الوصول اليه باستخدام نزعات التعصب القومى .

كذلك فان اتجاه القيادة اليوغوسلافية الى دعم دور الحزب أكثر من أى وقت مضى فى حياة البلاد الاقتصادية والسياسية للتصدىللمؤامرات والنشاط المعادى الذى ازداد بشكل ملحوظ فى الفترة الاخيرة ، ولتحقيق مزيد من الوحدة الايديولوجية للبلاد فى الوقت الذى تسير فيه الجمهوريات نحو استقلال اكبر ، كل ذلك يعكس صحة الموضوعات التى توصلت اليها الحركة الشيوعية والعمالية العالمية منانه لايمكنضمان نجاح التسيير الذاتى والاشتراكية بعامة بدون الدور القيادى لحزب الطليعة ، حزب الطبقة العاملة .

خ . ع



حفلة سمر من أجل ٥ حزيران

حفلة سمر مناجل ٥ حزيران «يونيه» مسرحية الكاتب السورى الشاب « سعد الله ونوس » كانت التتويج الحقيقى لمهرجان دمشق المسرحى هذا العام ولولا هذهالامسية من مايو، لأجهضت تجربة شهر بأكمله ولاصبح الحوار داخل ندوة مجلة « المعرفة » حول المسرح الطليعى ، حوارا فى فراغ ، وما اكثر الاسباب .

حفلة سمر عن الهزيمة وعنا ، عمل يقتطع صوره منلحم الواقع المر ، ثم يشقعبره مسارا ، ليس فيه بالمعنى التقليدى شخصيات مثلنا متكاملة « كما ندعى » ، او صراعات تنمو فى اتجاه الحل « لان الافراد بذاتهم لا يملكون اية ابعاد خاصة ، وملامحهم ترتسم فقط بما يضيفونه من خطوط او تفاصيل على صورة الوضع التاريخى العام الذى هو شكل المسرحية ومضمونها فى آن واحد . « كما يقول المؤلف » .

تبدأ المسرحية بمخرج يحكى لنا معتذرا حكاية استجابة مسرحية للاحداث ، وكيف التقى هو والشاعر للبحث عن شكل لصياغتها ، ويستدعى امامنا ما اتماه معا .

ولان المخرج شديد التصالح مع نفسه ومع العالم لا يجد غضاضة فيما يفعل انما هو راض تماما عنه ، ولا يفهم سببا لحالة التمزق التى يعيشها المؤلف ، وحالة التساؤل والبحث . بالنسبة له كل شىء قد تم وعلى مايرام ، والمخرج هو السلطة ، وهو كل المؤسسات الثقافية التى لابد ان تثبت وجودها فى احداث الدولة والتى لم تكن حرب حزيران الا حدثا فيها .

ولكن الشاعر يتمرد لانه ممزق فعلا ، واحد من الذين مست قلوبهم نار حزيران وادركوا انه لابد من ان يتغير وجه العالم وان يختل ميزان الاشياء التى كانت ثابتة فى حياتنا « ترددت كثيرا ثم قلت لنفسى لعلنى مخطىء ، لا الجرائد بدلت بتبويب اعمدتها ولا الكتاب غيروا كلماتهم » . ويطلب الى المخرج ايقاف العمل ، فيورط المسرح فى ضرورة ايجاد بديل لاحياء السهرة التى دعى لها الرسميون وكبار الفنيون وديكور من البؤساء ولكن لان المخرج «يعدنا ان يحكى بامانه ما حدث» مع عبد الغنى الشاعر . يقدم عرضه « صغير لارواح » عن قرية امامية فى مواجهة ايام حزيران وهو نموذج للزيف الذى تقابله على التوتلك الحقيقة الصاخبة فى الصالة سواء بوجود الفلاحين اصحاب القضية التى « تنمق » على المسرح او بردود فعل المتفرجين الذين يصبح احدهم « هكذا تندلع الحرب فى الافلام الامريكية» . ويمتلىء العمل بالمناظر « الامريكية حقا » عن انقسام وقع فى القرية بين انصار القتال وانصار التروى « وكأنما القتال قد وقع » وهو نموذج ايضا للمصطلحات التى يرفضها العمل ككل اذ يجد فى الواقع بديلا اشد خصبا » .

ويقدم المخرج تصوره لرجال القرية قائلا « فى هذه القرية ريفيون ككل الريفيين ، رجال صلاب، يحملون شهامتهم وكبرياءهم كالكوفيات البيضاء التى تغطى رؤوسهم » .

ثم تقذف الحقيقة البسيطة بنفسها على المسرح ، هنا والان — وهنا يسلك **ونوس** مسارا آخر غير **بيراندبللو** ، حيث تقف امام

الواقع الحى الان . فى هذا المكان والزمان — تلك الخشبة وتلك الامسية ، حين يصعد الفلاح « عبد الرحمن » على المسرح اذ يجد تشابها بين ساحة القرية وساحة قريته الحقيقية « صوته بسيط وواضح » وهكذا تجربتنا معه الليلة **حيث ينكشف كل شىء وحيث الكشف هو اعظم الادوات حين نستلب قسرا القدرة على المواجهة والصدام.** ويكشف عبد الرحمن الزيف بلغته البسيطة « اننا مثل الذين رأيناهم يهجرون ضيعتهم ولكن ما اوسع الفرق ، ارايت الى حسن تنظيمهم يا ابا فرج » .

حكـــاية الهـــزيمة

ويحكى الرجل حكاية الخروج الحقيقى ، حكاية الهزيمة .

وينتصب الماضى القريب فى قلب الحاضر ، يتصل التاريخ « كنا نحن ايضا نصيح ، **ولا نزال** ، الرحمة الرحمة » وتتقابل حكاية عبد الرحمن حكاية المخرج ، الناس مهلهلون فقراء مرضى اميون ، وبالرغم منها تطرح القضية الحقيقية — من نحن ؟ ولماذا ؟ حين يتوافد الفلاحون والمثقفون على المسرح ، ويصعدون على الخشبة وتسقط بالتدريج كل الحواجز والقيود — ولو مرة واحدة — ينساب هذا الجدل الشعرى الطويل عن الهزيمة ، النفى والهروب عجز الفلاحين وقهرهم ، عزلتهم عن العالم ، يتصاعد كل ذلك كسيمفونية حادة النغمات تعلو وتتوقف عند الذرى لتدفق ، وتعاد الاشياء من جديد الى اصولها .

الشعب افراد وجموع صور بلا ملامح ؟ وخارطة الوطن المزق بالسلب والقهر ايضا ، فهل هناك علاقة ما بين تلك القوى التى محت قسمات الوجه وغلفت ادوات التفكير والحس وتلك التى مزقت بقاع الوطن ، هناك علاقة لا شك ، لا تقال ولا ترى ولكنها هناك امدا والا اختل التوازن . تلك العلاقة المنسوجة ببراعة والتى تؤكد فى كل كلمة ونقلة هذه القدرة البارعة على التكثيف الدرامى لدى سعد الله ونوس — التكثيف الذى فى حين يرهق الذهن يعيده أشد وضوحا وفى حين يقف على ارض الواقع ويأخذ منه بسخاء لا يتعرض ابدا للابتذال والذى تعينه القدرة الخاصة جدا على ربط اجزاء الموقف بسماته الاساسية والعامة ، وبالتفاصيل على الوجه والارض حيث تنفرط الجزئيات وتتناثر .

ومن هذا الموضوع البسيط ، صورة فى المرآة لانسان ضائع ومضيع ، « صور ممحية تتناثر على الارض كما تتناثر الغيوم فى سماء بلا حدود . ممزقون تتصرف فينا الاحداث تصرف الرياح فى الغيوم . » يشبع القلب والذهن فلا ينفرط العقد الذى يلتقط مدرس الجغرافيا العجوز خيوطه . فليست الصورة الممحية فردا وليس الوجود الممزق مجرد مثقف مهزوم ومهموم بقضايا الوطن والعصر ، وبحطام الوطن والعصر ، ولكن المزق هى ايضا اجزاء الوطن ، المزق تتسع باتساع الوطن ، تنمو كحيوان برى مقطوع الاوصال والاطراف ، مزق ، وشرائح .

يقول المدرس الذى صعد الى المسرح ليحكى

تعليق

خطاب ٢٠ مايو والوحدة الوطنية

فى غمرة الاحداث التى تعرضت لها البلاد فى شهر مايو المنصرم برز شعار « **الوحدة الوطنية** » ، باعتباره شعار الساعة الذى يدفع خطر الانقسام عن شعب يواجه احتلالا اجنبيا وحربا امبريالية قذرة . ولقد حاولت قوى اليمين الرجعى ان تركب الموجة ، وأن تعيد طرح هذا الشعار من وجهة نظرها ، وتوهمت انه قد آن الاوان لكى تدفن — والى الابد — تاريخا مجيدا دام ١٩ عاما ، هو عمر ثورة ٢٣ يوليو .. باختصار لقد توهمت هذه القوى انه يمكن أن تمحو من حياتنا السياسية كلمات « الميثاق الوطنى » و « بيان ٣٠ مارس » وحلف قوى « الشعب العاملة » والمكتسبات الاقتصادية والاجتماعية ، و « الاتحاد الاشتراكى » .. الخ .

ولسنا فى حاجة الى تأكيد هذه الحقيقة وهى أن الجماهير الشعبية تفهم الوحدة الوطنية فهما آخر ، لا من زاوية الردة أو العودة الى المجتمع القديم ، بل من زاوية محددة تماما هى زاوية استمرار الثورة فى ظل حقوق ديمقراطية تمكن الطبقات الشعبية من أن تنظم نفسها ، وتتولى بنفسها — ومن خلال تنظيماتها — حماية مكتسباتها ، بل حماية الوطن نفسه من الاخطار الخارجية والداخلية على حد سواء .

حكايته « ما اصعب ايضا ان تقاوم الورقة عوامل الفناء ، ذلك محزن ، محزن كالهزيمة ، مدرس الجغرافيا يستطيع حتى ولو لم يصغ اليه احد ان يبرهن على ما يقول ، الورق يتمزق تماما كما تتمزق الاراضي التى لا تحمى ، وبدأت ورقته تتمزق ، .. قطعة من اعلى .

المتفرج — ٣ — : — لواء الاسكندرون وتتوالى المزق . فلسطين بلدان الخليج ، سيناء الضفة الغربية ، مرتفعات الجولان ، وتعود الى الذهن وتتجسد من جديد تلك الصورة الممحية التى مسختها المصلحة الوطنية حتى اصبحت صورة اقتطع فيها اللسان والانف والعينان وكذلك وسيلة التفكير .

الاسباب والنتائج

هل نبتعد كثيرا اذا ما ربطنا كل الاسباب بكل النتائج ، اذا ما قلنا ان الفروق الشكلية لا تلغى الجوهر الواحد . اليس حقيقيا ان صور القهر التى ورثتها « المصلحة الوطنية » عن عصور واشكال سابقة ضاعت خلالها اجزاء من الارض ، لتضيع بها الارض من جديد ، وتمحو من جديد كيان الانسان وتدوس الكبرياء والكرامة — هى نفسها ، واحدة لا تتغير حتى لو اختلف الشكل ، اليست تلك هى حقيقة تاريخنا ، لننبش قليلا فيه حتى نعيد كل شىء الى اصله حيث ترتبط العلات والنتائج ربما كان الارتباط عفويا لكن النتائج واحدة وتلك هى الحقيقة الوحيدة الان ، النتائج والدراما هنا هى التاريخ يرويه من قلب العذاب والمعاناة فنان اصيل ناضل ببسالة ليقول لنا الحقيقة ، الحقيقة البسيطة المنتزعة من وضوح الاشياء « وبامكان القصيدة ان تخلق معنى عميقا وعريضا من موضوع بسيط ، وهكذا الامر بالنسبة للمسرح حيث ينبع المعنى ذو الثقل الخاص من اسلوب تناول الموضوع كما يقول ستيان .

وهكذا بالضبط تأتى صورة الوجه الممحى ، وهكذا ترتقى الجغرافيا لتصبح شعرا ، وتصبح صياغة هذا الحديث البسيط بهذا الاسلوب الشعرى ارتقاء بالعمل الدرامى وليس اضافة جمالية له فحسب .

هذه الصياغة الشعرية التى تشف وتعمق ، تشدنا بقسوة مع الفلاح البسيط بصوته العريض عرض الارض العربية والحزين حزنها «عبدالرحمن آل رش» ومدرس الجغرافيا الذى يواجه المحنة بصمت واصرار ويحتفظ بالمزق الصغيرة عشرين عاما كاملة وهو يحاول ان « يحس الاخرون » هذا الاتساع ، ان يستوعبوه ان يكون ذاكرتهم ، كما هو ذاكرته » ، فى ثورة المثقف المهزوم على نفسه . وعلى الناس ، فى محاولته لتحديد المسئولية وتوزيعها ، فى انسياقه مع لعبة الادانة والتبرير ، الحكم والتبرئة ، البحث عن الذات فى المرآة وفى وجوه الاخرين .

ويتنازل فقط عن الشعر حين يكون ذلك موضوعيا ومطلوبا فى مواقف محددة ، مثلا حين يصعد على الخشبة فى النهاية ذلك الرجل

من اجل هذا استقبلت كل القوى الوطنية والتقدمية خطاب الرئيس انور السادات فى ٢٠ مايو بارتياح كبير . ذلك ان الرئيس فى خطابه اعاد الى الاذهان — وباصرار — تأكيد هذه الحقيقة وهى انه جاء الى القيادة على طريق عبد الناصر وملتزما ببيان ٣٠ مارس .

واذا أردنا أن نركز فى كلمات قليلة محتوى المواقف التى حددها الرئيس السادات فى خطابه فلسوف نرى أن الوحدة الوطنية الحقة انما تقوم على أساسين ثابتين غير منفصلين أحدهما عن الاخر :

الاساس الاول : هو النضال الحازم ضد الامبريالية والاستعمار الجديد والصهيونية وما يتطلبه هذا النضال من تعبئة لتحرير الارض كلها .

وعلى هذا الخط توضع معركتنا فى اطار الحركة العالمية للتحرر الوطنى ، وعلى هذا الخط يتأكد ويتعمق تضامننا مع كل قوى الثورة العالمية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى وسائر البلدان الاشتراكية وكل القوى المحبة للسلم .

الاساس الثانى : هو الانحياز بقوة وحسم الى خط التقدم الاجتماعى .

وعلى هذا الخط أيضا يتحقق بناء الدولة الحديثة من خلال حماية المكتسبات الاقتصادية والاجتماعية وتوسيعها وحمايتها لمصلحة الطبقات الشعبية الكادحة ، وتمكين الطبقة العاملة فى المجتمع الجديد من القيام بدورها الطليعى ، والمضى قدما فى بناء اقتصاد قومى مستقل هو حصن الامان ضد مخططات الاستعمار الجديد .

على هذين الاساسين يتعين على كل القوى الوطنية والثورية أن تتحد وأن تتقدم لتصد محاولات الرجعية الداخلية التسلل والبلبلة . وعلى هذين الاساسين يجب أن تدار انتخابات الاتحاد الاشتراكى من أجل انزال الهزيمة بقوى الردة والتخلف .

((الطليعة))

الرسمي ، ممثل السلطة في شكلها المعلن والبوليس ليلقى القبض — بعد خطبة عصماء عن الاستعمار والمتآمرين — على كل الذين افشـــوا الحقيقة متضامنين .

وينبغي ان نتوقف قليلا امام هذا التضامن كمأخذ وحيد على الرؤية الاجتماعية والفكرية للمسرحية كلها ، انه يضع كل المحتجين ومكتشفي الحقيقة والذين يعرون الزيف بشكل مطلق في مقـــابل السلطة ، كأنما يلغي كل ما بينهم من صراعات ، وكأنما يستجيب دون أن يدرى لـدعوة تقول ، لتؤجل الصراعات الطبقية حتى ننتهي مما نحن فيه ويدعم ذلك أن السلطة ورجال الامن ليسوا محددى الهوية الطبقية — وهم النقيض لكل المهمومين والباحثين عن الحقيقة ، وكما قال الصديق سعد الله أفزعني أن مسرحيتي ارضت الجميع ، وربما كان ذلك صحيحا لانها لا تضع بعض المدانين الحقيقيين في أماكنهم وهي لاتذكرهم على الاطلاق ، على اى حال ليس مطلوبا من الفن ان يلم بكل الحقائق ، وأن يقدم توصيفا لكل أسباب الخلل .

وقدم هذا العمل الى ميدان الاخراج والمخرجين في الوطن العربي موهبة جديدة ، **علاء الدين كوكش** الذي كشف عن مقدرة كبيرة على اســتخدام التشكيل دون اسراف ، ورغم المغريات الهائلة الكامنة في النص والتي تدعو احيانا الى العبث به فقد رفض المخرج ان يســتجيب لها ، لم يقدم العمل على مستويات مختلفة للخشبة وهو الاغراء الاول الذي اتصور أن يستجيب له اى مخرج ، وقدم تمثيلية المخرج عن القرية ، ثم حكاية القرية ذاتها ومكاتبنا جميعا على نفس المستوى الواقعي والواحد فنحن هنا على ارض الواقع ، الزيف والصدق معا ، تتجاور الحقيقة والخرافة ككل عناصر الصراع خفية ومرئية ، والاضاءة ساطعة وحادة معظم الوقت باستثناء مواقف من مشهد القرية الاول من يريد المخرج « البطل » ان يبهرنا بصوت القنابل ونيران الحـــرائق والموســيقى الميلودرامية الجنائزية حين يتكلم الموتى ويصرع انسان النابالم .

وحين يقف العمل — الواقعي — على حافة الميلودراما يسرع المخـــرج للافلات به ويعود بنا توا الى العقلانية الباردة والتي تدفق بقسوة ، اما بالمسارعة الى تغيير التشكيل ، او استكمال الحوار ، وهي نقطة يعيها جيدا سعد الله ونوس ويكسرها بانتظام ، ففي حين يعرف ان موقفا ما سوف يبكينا ويثير شفقتنا يسرع الى مسح الدموع بقسوة وايقاظ عقلنا على الواقع بنبضه وأساه ، بربط الاشياء ، وتوضيح الخيوط والتركيز عليها ، يطرح القضايا وحين تشـــبع ينبش عن العلل ثم يوحي بالحلول والسبل وهي موهبة فريدة لم يفلت استخدام عطائها من علاء كوكش الذي يربط بين الخشبة والصالة ربطا اوركستراليا بديعا ، وحين كان يريد للمتفرجين — المثلين — ان يوحوا للصالة بالهياج كان يفعل ، والعكس صحيح .

ولكن تظل هناك نقطة اساسية في اعتقادى انها ضيعت على المخرج فرصة ضخمة لتوظيف الحوار حتى يخدم الموقف بطريقة افضل ، فهو لم يربط ربطا تشكيليا بين حركة تمزق الارض التى قدمها لنا مدرس الجغرافيا ، وبين الموقف السابق تماما عليها حيث تفقد صورة الانسان ملامحها ، ولان مصدر كليهما الارهاب والقهر فكان ينبغي ان يبرز ذلك على خشبة المسرح ولكن المخرج فضل ان يقف مدرس الجغرافيا ليعرض قضيته بالصورة الشعرية التى وضعها المؤلف وان يحتفظ بنقاء الشعر دون أن يدعمه بالحركة . وفي موقف آخر سئلت جموع المثقفين عما فعلته حتى لا يحدث ما حدث وحتى لا يتقبلوه راضين فقالوا طلبنا السلاح ، « ماذا تريدون ، الســلاح » ، وأخذ النداء يتردد بشكل هادر اعاد الى الذهن الساعات الاولى من يوم ٥ يونيه وبما في كل بلد عربي وواجهت الجموع نظرات التهديد والوعيد من المسئولين وتحولت الحرب الى نشـــيد يردد في الشوارع ، وبعد القاء نشيدهم والتشكيل الذى تمبه ، وقف احد الشبان ليقول «**تلك كانت حربنا**» ، وهنا لم يفلح المخرج في أن ينقل تماما شحنة السخرية والمرارة الكامنة في الموقف وفي التعبير البسيط عنه رغم ان المثل قال جملته في الصالة ، الا انها كان ينبغي ان تؤدى بمهارة اكبر وتحاط بنوع من الطقوس حتى تعطى شحنتها المطلوبة .

وعلى عكس الشكوى المستمرة من معظـم الاعمال المسرحية والتي مصـــدرها بطء الايقاع تستطيع ان تقول ان ايقاع هذا العمل كان اسرع احيانا مما ينبغي وباستثناء مقدمة الافتتاح التي صاحبت تسليط الاضواء على لافتات كبيرة علقت في عمق المسرح تقول قواتنا تزحف الى تل ابيب « قواتنا تسقط ٦٨ طائرة للعدو » وهي قصاصات مكبرة لعناوين للصحف العربية في ٥ يونيو والتي تبشر بالانتصار ، وتكذب — باستثناء تلك المقدمة البطيئة والمكررة والتي تجرجر في وقعها ثقل الهزيمة ومرارتها ، والتي كان بطؤها مطـلوبا وضروريا ، فان العمل يتدفق حارا وحيا ، يأخذ من الصالة ويعطيها ويحقق للفنان سعد الله ونوس بعضا من امنياته « ان يكتشف المتفرج والمثل معا

حقيقة وضعهما المشترك ، وان يحفزهما على تغيير هذا الوضع فى حركة متقدمة واعية ، او على مدى ابعد ان تكون المسرحية «حدثا اجتماعيا» تشارك فيه ، نتحاور خلاله ، ونتبدل ايقاع هذا الحوار المتنامى » .

فلولا ان جمهور المسرح فى المدن لازال للاسف الشديد جمهورا برجوازيا اصيلا فى كل البلدان العربية، جمهورا يضع الاقنعة ويذهب الى المسرح فى كثير من الاحيان استكمالا لشكليات الانتماء الطبقى ، ولولا ان جمهور المسرح الحقيقى مازال منفيا فى صمت الحقول وهدير المصانع لكانت تجارب سعد الله فى المسرح وعلى الخشبة قد عقدت عشرات المؤتمرات والمظاهرات ، وطرحت كل الامور للمناقشة فى الشارع بهدف التغيير ، ومع ذلك تظل الاستجابة للعمل على خشبة مسرح الحمراء فى دمشق استجابة نادرة .

بقى ان نحيى هانى روماني فى دور المخرج ، هذا الممثل الشاب مشروع الطبيب الذى لايكف عن الاندهاش حيث لا شىء فى نظره ، كمخرج وصاحب مسرح وسلطة — لا شىء فى نظره يرهق هذا العالم ، كأنما يقول لنا فى كل حركة وايماء . حدثت الكارثة ونحن نحتفل ماذا يدهشكم ، وكان تزييفه صدقا لا حدود له .

تحية لهذا الحشد العظيم من ممثلى نقابة الفنانين الذين اختاروا جميعا الدخول من الباب الضيق والذين مهما توزعت اهتماماتهم وانتماءاتهم يبحثون عن الصدق وعما يمكن ان يخدم الناس ، وينمون جميعا بلا استثناء تقريبا موقفا سياسيا واجتماعيا وفكريا يمدهم بقناعة عميقة انهم يحاربون حقا من اجل قضية عادلة ، وان الحرب بالكلمات ومن فوق خشبة المسرح ليست اضعف الايمان بل ربما كانت فى بعض الظروف اعظمه .

فريدة النقاش



فى بودابست عقد المجلس العالمى للسلام مؤتمره العام حيث احتشد أكثر من ٦٠٠ مندوب يمثلون ١١٥ بلدا ومنظمة عالمية فى أضخم تجمع عالمى لمناقشة القضايا الهامة المتعلقة بسلام العالم وأمنه .

وفى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر وقف **خالد محيى الدين** ليتلو على المجتمعين رسالة خاصة من الرئيس أنور السادات .

وقد استهل الرئيس السادات رسالته الى المؤتمر قائلا :

« اليكم يارسل السلام والعدل فى العالم .. يامن كرستم حياتكم وجهدكم دفاعا عن حق الانسان فى أن يحيا على هذا الكوكب غير مهدد فى حياته أو مستقبله أو حريته أو أمنه ..

يا من وقفتم نشاطكم كفاحا ضد انتشار الرعب النووى ، وسعيا لكبح جماحه ، وتسخير الطاقة النووية فى خدمة السلم والحضارة والعمل البناء ..

يامن ناصرتم قضية الحق فى كل مكان ، رافعين رايات السلام العادل معلنين أنه لا سلم ولا استقرار بغير ضمان الحرية والامن والاستقلال للامم جميعا

يامن نسجتم من نضالكم الشجاع ضد الحرب وضد الاستعمار وضد العنصرية عملا نبيلا فى خدمة انسان النصف الثانى من القرن العشرين ...

اليكم أيها الاصدقاء جميعا أبعث بالتحية والتقدير من شعب الجمهورية العربية المتحدة الذى يتابع نشاطكم باعجاب وتقدير وأمل .. »

وقد تناول الرئيس السادات فى رسالته الى المؤتمر ازمة الشرق الاوسط متحدثا عن جهود ج.ع.م من أجل التوصل الى تسوية سلمية عادلة وقال :

« ان هذا الشعب الذى بنى عبر تاريخه العريق حضارة شامخة ليدرك معنى الحرب وليحاول جاهدا أن يجنب الانسانية مخاطر امتداد اللهيب المحدود فى منطقة الشرق الاوسط الى مناطق أخرى من العالم .. »

وقال « .. لكن المعتدين لا يزالون يرفضون الانصياع لصوت العقل ولا يزالون يطالبوننا بأن

نتخلى لهم طواعية عن أجزاء من أرض وطننا وهذا مالا يكون أبدا ٠٠ » ٠

وقد استقبل أنصار السلام فى العالم رسالة الرئيس السادات بترحيب حار ٠٠ ثم تليت عدة رسائل أخرى من بودجورنى وانديرا غاندى وعدد كبير من رؤساء الدول والحكومات ٠٠ ومن بين رسائل أخرى من بودجورنى وأنديرا غاندى وعدد يوثانت سكرتير عام منظمة الامم المتحدة الى المؤتمر أكد فيها « أن العالم لم يكن بحاجة فى يوم من الايام مثل حاجته اليوم الى جهد عالمى مركز وفعال من أجل السلام » وقد حمل رسالة يوثانت الى المؤتمر وفد مكون من ثلاثة أعضاء ٠

والحقيقة أن اهتمام يوثانت باقامة علاقات وثيقة مع « المجلس العالمى للسلام» وهو اهتمام تأكد منذ مدة باعتراف اليونسكو باللجنة الثقافية للمجلس باعتبارها أحد المؤسسات الثقافية العالمية التى تخدم سلام الانسان وتطوير فكره وثقافته ، هذا الاهتمام يعبر عن تزايد المكانة العالمية التى يتمتع المجلس العالمى للسلام ، والنفوذ الذى اكتسبه خلال السنوات الاخيرة ٠

وبعد الجلسة العامة انقسم المؤتمر الى لجان خمس ٠٠ بحيث تقوم كل لجنة بمناقشة واحدة من القضايا الهامة التى تمس قضايا السلام والحرب فى العالم ٠٠ « فيتنام » ٠٠٠ « أزمة الشرق الاوسط » ٠٠ « الامن الاوربى » ٠٠٠ « نزع السلاح » ٠٠ « الاستعمار والاستعمار الجديد وحركات التحرر الوطنى » ٠

وكان خالد محيى الدين هو مقرر لجنة الشرق الاوسط حيث قدم تقريرا هاما عن التطورات الاخيرة لازمة الشرق الاوسط ٠ وقد استهل خالد محيى الدين تقريره بتحذير انصار السلام فى العالم بأن الوضع فى الشرق الاوسط قد وصل « الى منزلق بالغ الخطورة » ومضى قائلا :

« ففى المسائل التى ترتبط بالحرب والسلام ، والتى ترتبط بقضايا تتعلق بتحرير أراض وطنية من احتلال أجنبى يصبح تصميم المحتل على الاحتفاظ بما استولى عليه من أراض أو أجزاء منها مفضيا بذاته الى تجدد أخطار القتال ٠ ولايملك انسان الحق فى أن يفرض على شعب من الشعوب أن يقبل والى الابد أن تحتل أراضيه ٠ ولا يملك انسان الحق فى أن يطلب الى المعتدى عليه الانتظار طويلا ، خاصة وان هذا المعتدى عليه قد انتظر طويلا بالفعل وقد قدم بالفعل للمجتمع الدولى كل ما يستطيع أن يقدم من ضمانات تثبت حسن نواياه » ٠

وبعد ذلك سرد خالد محيى الدين فى سلسلة من النقاط المحددة موقف ج٠ع٠م والخطوات التى اتخذتها سعيا وراء تحقيق سلام عادل ثم سرد أيضا نماذج من المواقف الاسرائيلية التى تمسك بسياسة التوسع والعدوان ٠

ثم تحدث التقرير عن محاولات تصفية المقاومة الفلسطينية فقال « ان التعقيدات الناجمة عن استحالة التوصل الى تسوية سلمية فى ظل التشدد الاسرائيلى واستمرار احتلال الارض ، والتعقيدات الناجمة عن الدور الذى تلعبه الامبريالية الامريكية ، والقوى الموالية لها فى المنطقة قد أدت الى نشوب ما يشبه الحرب الاهلية فى الاردن بين السلطة الاردنية وبين قوات المقاومة الفلسطينية ٠ وتهدف الدوائر العميلة فى السلطة الاردنية الى تصفية المقاومة جسديا ، وقد أدانت الشعوب العربية وكل القوى الشريفة فى العالم هذا العمل ٠ »

ومضى خالد محيى الدين قائلا « ولابد لى من أن أؤكد هنا أن حركة المقاومة الفلسطينية هى جزء لا يتجزأ من حركة التحرر الوطنى العالمية، وان التآمر عليها هو أيضا جزء من المؤامرات الاستعمارية ضد قوى التحرر والتقدم » ٠

وبعد أن سرد التقرير مختلف وجهات النظر العربية والعالمية تجاه الموقف فى الشرق الاوسط قال ان الواجبات الاساسية الملقاة على عاتق انصار السلام فى العالم هى مواصلة النضال من أجل :

● تأييد قرار مجلس الامن وقرارات الجمعية العامة للامم المتحدة الخاصة بحقوق الشعب الفلسطينى وخاصة فى ٤ نوفمبر ١٩٧٠ ٠

● ادانة موقف التشدد الاسرائيلى والسعى لبذل أقصى الجهود لعزل حكام اسرائيل ، ومحاصرتهم واجبارهم على التراجع عن احتلال

أراضى الغير .. ذلك أنه ما من سبيل آخر ، فاما التراجع عن احتلال أراضى الغير واما الحرب .

● تأييد حقوق الشعب الفلسطينى فى العودة الى وطنه ، وتقرير مصيره على أرضه .. » .

وقد وافقت اللجنة على هذا التقرير واعتبرته أساسا لعملها الذى استغرق ست جلسات نوقشت فيها أزمة الشرق الاوسط من مختلف جوانبها وأسهم فى النقاش عشرات من المتحدثين من مختلف بلدان العالم ومن مختلف الاتجاهات السياسية والفكرية .. وفى ختام الجلسات الست وافقت اللجنة على مشروع بيان ومشروع نداء وافق عليهما المؤتمر .

وقد جاء فى النداء الذى وجهه المؤتمر الى الرأى العام العالمى والحكومات .. والذى تقرر أن يحمل وفد خاص صورة منه لتسليمه الى السكرتير العام للامم المتحدة .. « ان الوضع فى الشرق الاوسط لا يزال يعتبر واحدا من المسائل التى تهم الرأى العام العالمى ، فان الصراع يمكنه أن يتجدد فى أية لحظة مفضيا الى تطورات عالمية خطيرة . ان احتلال القوات الاسرائيلية المسلحة لاراضى تعتبر جزءا لا يتجزأ من أوطان دول عربية هو العقبة الاساسية فى استعادة السلام فى هذه المنطقة .. ان التصريحات الاخيرة التى أدلى بها عدد من المسئولين الاسرائيليين لا تزال تعلن عن المنطقة . ان التصريحات الاخيرة التى أدلى بها عدد من المسئولين الاسرائيليين لا تزال تعلن عن تصميمهم على ضم أراض حصلوا عليها باستخدام القوة وبانتهاك أبسط قواعد القانون الدولى . وان الشعوب العربية جنبا الى جنب مع كل القوى الرامية لتحقيق السلام والعدل فى العالم لن تسكت طويلا على مثل هذه السياسة الخطيرة التى تساندها الامبريالية الامريكية »

وقد أكد النداء ان السبيل الى اقرار السلام فى الشرق الاوسط هو تطبيق قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ وقرارات الجمعية العامة فى ٤ نوفمبر ١٩٧٠ ، وانسحاب القوات الاسرائيلية من كل الاراضى المحتلة منذ حرب ١٩٦٧ والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .. »

وفى الجلسة العامة الختامية وبعد أن وافق المؤتمر على تقارير اللجان الخمس وبعد أن أعلن المجلس تشكيله الجديد وانتخب أجهزته القيادية المختلفة وقف ردميش شاندرا ليطلب من المؤتمر الموافقة على منح ميدالية جوليو كورى الذهبية ــ وهى أعلى وسام لحركة السلام العالمية ــ الى روح الزعيم الراحل جمال عبد الناصر تقديرا لجهوده البناءة من أجل سلام العالم ومن أجل دعم النضال التحررى ضد الاستعمار والامبريالية ..

وقد وافق المؤتمر بالاجماع على ذلك وقرر تكليف لجنة من الرئاسة بالسفر الى القاهرة لتسليم الميدالية الى أسرة الزعيم الراحل ..

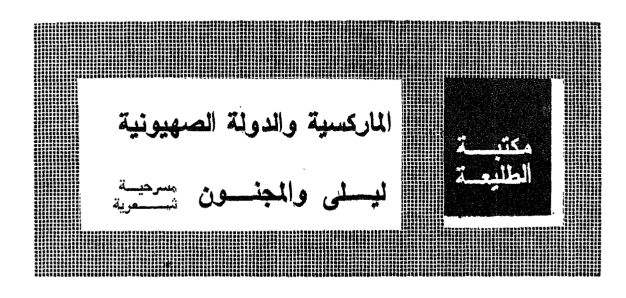
وكان المجلس العالمى للسلام قد قرر أيضا أهداء ميدالية جوليو كورى الذهبية الى روح كل من جواهر لال نهرو والزعيم الزنجى الامريكى مارتن لوثر كنج .

وقد تسلم ميدالية مارتن لوثر كنج خليفته فى قيادة الحركة « القس ابيرناتى » وبعد أن تقلد أبيرناتى الوسام ، القى أمام المؤتمر خطابا مؤثرا قال فيه أنها المرة الاولى التى أحضر فيها اجتماع لكم ، ولقد تلقيت من قبل عديدا من الدعوات للحضور الى اجتماعاتكم لكننى ترددت ، أما اليوم وامام هذا الحشد الهائل من قيادات العالم ، وامام هذا الجهد الكبير والمخلص فى تفهم المشكلات العالمية وحشد الجهود لايجاد مخرج سلمى عادل لكل منها فاننى اشعر اننى كنت مخطئا فى تجاهل دعواتكم » .

وابدى ابيرناتى فى خطابه ان حركة الزنوج سوف تقيم علاقات وثيقة مع المجلس العالمى للسلام من أجل تحقيق الاهداف النبيلة المشتركة ..

وبعد أن تحدث عن التطورات التى تواجهها الحركة المناهضة للتفرقة العنصرية فى أمريكا انهى حديثه قائلا « أنا أعلم اننى زنجى أسود .. لكننى واثق من أن الرب الذى خلقنى يرى أننى جميل .

رفعت السعيد



الماركسية والدولة الصهيونية

■ تأليف :

أديب ديمتري

■ عرض :

مصطفى حسن كتوع

■ الناشر :

دار الطليعة - بيروت

تبرز اهمية كتاب « **الماركسية والدولة الصهيونية** » الذى قدمه اخيرا « **أديب ديمترى** » فى عدة عوامل :

أولا : أن هذا الكتاب يقدم معالجة لمسالة ذات طابع هام ، وهى قضية الوجود والكيان الاسرائيلى ذاته ، قضية الدولة الصهيونية ذاتها ، من حيث شرعية الوجود والكيان .

ثانيا : ان هذه المعالجة ، تبتعد عن المفهوم المثالى والطرائق الكلاسيكية فى الكتابة من حيث تكديس الوقائع السياسية بطريقة رتيبة ومملة ، وانما تنحو الى المعالجة العلمية الامينة وحيث تحفظ الحقائق وصدق التحليل ووضوح الرؤية ، موضوعية القضية ذاتها فى ضوء منهج التحليل العلمى المادى .

ومجريات الاحداث تستحق منا وقفة صغيرة :

فمنذ ثورة أكتوبر الاشتراكية الكبرى ، ومنذ العمل النظرى والنضالى الذى اضطلع به لينين

أصبحت حركة الشعوب المعادية للامبريالية والراى العام الذى يساندها ، هى حقيقة العصر الكبرى ، وقد حققت حركات التحرر الوطنى بعد الحرب العالمية الثانية انتصارات فاصلة ومؤكدة فى أكثر من موقع من قارات العالم .

ولكن القضية الفلسطينية ، وهى احدى قضايا التحرر الوطنى ، تعثرت على كافة الجبهات . ولقد استطاعت الامبريالية أن تقلب كل الحقائق فيما يتصل بهذه القضية ، وان تكسب المواقع الاساسية فى الراى العام العالمى ، وحتى بين قطاعات من جماهير البلدان الاشتراكية ، ومن السهل ان نعدد بعض اسباب الفشل التى منيت بها هذه القضية :

١ ـ قوة اجهزة الاعلام والدعاية الصهيونية وضآلة قدرات الاجهزة العربية فى المقابل .

٢ ـ الشتات : ويرى المفركون الصهيونيون ، والراسمالية العميلة على مقدرات الشعوب العربية والى عهد قريب ، وضربها لحركة الشعب الفلسطينى الوطنية الثورية .

٣ ـ الطبقات والفئات التى وصلت الى الحكم من البرجوازية الوطنية والمعادية للامبريالية وبسبب عدم ثقتها فى قدرات جماهيرها ، وبسبب سياسة التردد والوسط اضعفت جبهات شعوبها ، وحولت الصراع مع العدو الى صراع عسكرى كلاسيكى بين الجيوش العربية واسرائيل مما دفع الى غياب وجه الحقيقة ، وجه حركة التحرير الوطنى الفلسطينى .

٤ ـ من هنا عمدت اسرائيل الى مخاطبة العالم على أنها دولة سلام .. وان الخلاف بينها وبين العرب لايعدو خلافات الحدود ... الحدود الامنة !!

لكن الصورة تتبدل بعد عدوان يونيو ، بافتضاح حقيقة الوجود الاسرائيلى والدولة الصهيونية والعامل الحاسم فى ذلك ، يرجع الى بروز الشعب الفلسطينى والمقاومة الفلسطينية على مسرح الاحداث .

فى الفصل الاول «**المسألة اليهودية من الجذور**» يعرض المؤلف للمتواتر عن الصهيونية وكتابها وبراعتهم فى تزييف حقائق التاريخ ، وحرصها على تقديم تاريخ اليهود فى صورة مجردة ومثالية مقطوع الصلة عن الارضية المادية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

والمؤلف يتصدى لكشف حقيقة الدعاوى التى تشكل لب الايديولوجية الصهيونية والتى يروج لها المفكرون الصهيونيون منذ أواخر القرن التاسع عشر ، ومؤداها :

١ ـ بالنسبة لقضية الارض ، والوطن التاريخى لشعب اسرائيل والذى شردوا منه بالقوة ومن ثم حقهم فى العودة .. ولكن حقائق التاريخ تدحض هذه الخرافة ، فلم يكن العبرانيون القدامى اول من عرفت أرض فلسطين ولا آخرهم بل كانت مسرحا للصراع وبوتقة للاجناس والشعوب والثقافات ، بعيدا عن أن تكون عقارا لعرق او شعب بعينه فى ذلك التاريخ البعيد .

٢ ـ الشتات : ويرى المفكرون والصهيونيون ، انه حدث نتيجة عمليات الغزو والفتح ، والاضطهاد الدموى الذى لاقاه الشعب اليهودى على أيدى الغزاة .. ومن هنا يأتى مفهوم الدياسبورا او ارض المنفى . التى « اضطر » اليهود الى النزوح اليها .. ولهذا سيظل المنفى قائما فى كل أرض حتى العودة الى أرض الميعاد . ولكن الحقيقة كما يقول المؤلف « ليس نتيجة النفى والطرد والتشريد من الوطن فى الاساس .. بل ثمرة الوظيفة الاجتماعية والحرفة التى تتطلب من صاحبها أن يذرع بقاع الارض شرقا وغربا ويهاجر حيث تحط تجارته .. ثمرة حرفة التجارة القديمة »

٣ ـ أما بالنسبة لاسطورة العرق النقى ، فالتاريخ لا يعرف قبيلة او عنصرا أو عرقا ظل بمنأى عن الاختلاط ، أو أمة حافظت على بقائها وخلودها بنقاوة عرقها ، فهذا مفهوم عنصرى للقومية ، ولا يقوى على مواجهة حقائق التاريخ .

٤ ـ ان الحركة الصهيونية الحديثة ، كما يزعم كتابها ، هى احدى ثمار الحركات القومية الحديثة وتنتمى الى هذه الحركات التى عرفتها أوروبا فى العصر الحديث ، كما تستمد جذورها من التاريخ السحيق فى نفس الوقت .

ولكن حقائق التاريخ كما يقول المؤلف « تكشف اسطورة القومية اليهودية ، فمهما بدا الصراع ضد اليهود منذ العالم القديم ، ومهما بدا هذا الصراع فى صورة الصراع ضد الاجانب احيانا أو الصراع الدينى ، فهو فى حقيقته صراع طبقى ضد فئة طبقية بعينها ، هى فئة التجار المرابين ، والقومية اليهودية الصهيونية العنصرية هى نتاج المرحلة الاخيرة من الرأسمالية ، مرحلة الازمة والتعفن ، ورد الفعل للوضع الذى عاناه اليهود نتيجة لتشابك انهيار الاقطاعية فى شرق أوربا ، وانحطاط الراسمالية فى الغرب ، ولم تبدأ الحركة الصهيونية الحديثة وتتطور اللاسامية المعاصرة الا بعد الانتهاء من تشكيل القوميات الثورية ، وبعد دخول الرأسمالية فى مرحلة ازمتها منذ أواخر القرن التاسع عشر .

وفى الفصل الثانى « **الماركسية والمسألة اليهودية** » يعرض المؤلف لموقف العنصرية

الصهيونية وموقف الدولة الصهيونية « **اسرائيل** » من يهود العالم ، وعملها على اثارة الولاء « القومى المزدوج » ، ويعرض كذلك لموقف الاشتراكية العلمية التى وقفت دائما موقفا جازما ضد هذه الحركة وأدانتها باعتبارها حركة الاقسام الاشد رجعية من البرجوازية اليهودية المتعصبة والشوفينية ، ولقد تصدى لها « **لينين** » منذ مطلع هذا القرن وخاصة بعد الحركة الانفصالية التى قام بها « **البوند** » فى صفوف الحزب ، مما دفع لينين الى التساؤل : هل تحتاج البروليتاريا اليهودية الى حزب سياسى مستقل ؟ ولخص لينين القضية فى كلمتين !! **اندماج .. أولا .. اندماج !!**

ولقد حمل لينين على هذا الاتجاه الذى يدمر وحدة الطبقة العاملة ، ولقد شجب لينين فكرة « **الامة اليهودية** » ورأى « **أنها خاطئة تماما ورجعية فى الاساس** »

ونفس الموقف يتخذه « **ستالين** »من مسألة « الامة اليهودية » ويعرف الحركة الصهيونية « بأنها حركة قومية رجعية للبرجوازية اليهودية تريد عزل جماهير العمال اليهود عن النضال العام البروليتاريا » .

اما **ماركس** فلقد رأى « ان التحرر اليهودى فى معناه الاخير يقوم فى تحرير الانسان من اليهودية » أى من النظام الرأسمالى الاستغلالى .

وفى الفصلين الثالث والرابع « **دولة الاستعمار الاستيطانى** » و « **أعمدة الدولة الصهيونية** » يعرض المؤلف لمسألة « الدولة الصهيونية » وكيف ان الصهيونية استغلت موجة العداء للسامية ونادت باقامة « الدولة اليهودية » الخالصة كحل للمسألة اليهودية ، وكيف أنها فى المقابل رفضت الحل الذى طرحه الثوريون الليبراليون منذ القرن الثامن عشر للاقليات المضطهدة ، وهو الحل السياسى فى اطار الحقوق المدنية التى ينبغى ان تكفل للمواطن ، وكيف أن الامر انتهى بانتصار الحل الصهيونى وقيام « الدولة الجديدة » !!

هذه الدولة التى حاولت اجهزة الدعاية الصهيونية التمهيد لها وتقديمها بعد ان وجدت على أنها قومية مضطهدة ، وانها ثمرة حركة تحرير وطنى ، وانها نموذج للديموقراطية والتقدم وانها دولة صغيرة سلامية مهددة فى أمنها ، وان نظامها اشتراكى فى جوهره .

لكن هذه الدعاية اصبحت عاجزة عن اخفاء الدور الفعال الذى تقوم به الصهيونية العالمية ودولة اسرائيل والصهيونيون فى التخريب وتنظيم الثورة داخل البلدان الاشتراكية جميعا ؟ وحتى فى الغرب الاستعمارى ، فان هذه المنظمات والعناصر الصهيونية لا تتصرف بمسئولية المواطنة التى تحملها فى هذه البلاد بل بما يخدم المصالح الامبريالية والصهيونية وعلى حساب المصالح القومية لهذه البلاد .

ومهما حاول الكتاب الصهيونيون ومهما حاولت ابواق الدعاية الامبريالية والصهيونية اخفاء الوجه الحقيقى « لدولة الاستيطان الامبريالية العنصرية العدوانية » الا انهم يعجزون أمام الحقائق الدامغة التى تؤكد السمات العنصرية لهذه الدولة والتى تنحصر فى :

- **الاستعمار الاستيطانى** الذى لا يستند الى قومية حقيقية فى نشأته ، ومن ثم فمن المستحيل أن ينتمى الى حركة التحرير الوطنى فى عصرنا .
- **العنصرية** واستغلال التفوق الاوربى ودعاوى التحضر والتمدن فى محيط متخلف .
- **التوسعية** .
- **العنف والارهاب** الذى يرتبط بالضرورة بالسمة التوسعية .
- الدولة العسكرية ، **والتركيب العسكرى للدولة** ، وسيطرة المنظمة العسكرية بالضرورة .

ونظرة فاحصة على الاساس الاقتصادى للدولة ، الذى يكمن فى جذور هذه السمات ، ويتبادل معها التأثر والتأثير ، ويجعل البنيان كله فى طبقاته الفوقية أو التحتية ، فى مظاهره الايديولوجية او المادية ، تحكمه ضرورة لا فكاك منها الا بتصفية البناء والنظام نفسه .

ويعرض المؤلف لحقائق **الاقتصاد الاسرائيلى** وللدائرة المفرغة التى يدور بداخلها هذا الاقتصاد وحتمية التبعية والارتباط بالاقتصاد الامبريالى ، كما يعرض لمواقف الاحزاب المختلفة بداخل اسرائيل وخاصة لحركات **اليسار الجديد**، وكل الحركات الديمقراطية والسلامية القائمة ، ويرى ان فاعليتها ستظل محدودة للغاية طالما أنها تتمسك بوجود الدولة الصهيونية وكيانها ، ويرى الا أمل فى تصحيح مسارها الا اذا تخلت عن التمسك بوجود اسرائيل وكيانها كدولة عنصرية مغلقة ، ويرى المؤلف أن ذلك يفرض لا تثبيت الوجود والكيان الاسرائيلى بل هز وجوده ، وليس رفع شعارات حق الدولة العنصرية فى الوجود والبقاء بلضرورة تصفيتها .. ذلك مايدعم اليسار داخل اسرائيل وخارجها ويرفع العصابة عن كل العيون .

وفى الفصل الخامس « **مسألة الامة القومية فى اسرائيل** » يعرض المؤلف للقضية القومية من

وجهة النظر الماركسية ، وتطبيق معاييرها العلمية على الوجود اليهودى القائم فى اسرائيل ، ويعرض لمنهج المعالجة الذى قدمه ماركس كبديل للمفهوم المثالى للقومية ، وهو المفهوم العلمى الذى يحلل الظاهرة فى اطار الزمان والمكان ، ويبحث عما بداخلها من تناقضات طبقية وصراعات لا من ناحية الشكل بل من ناحية المضمون والمحتوى .

ومن ثم يقدم لنا **لينين** ، ومعالجته لقضية الامم والقوميات ، التى اعطت دفعة قوية وبعيدة المدى للنظرية والتطبيق الاشتراكي الثوري فى هذه المسألة .. ولينين قد فرق بين نوعين من القوميات قومية الطبقات الاحتكارية الامبريالية وهى قومية رجعية وشوفينية متعصبة وعدوانية، وقد شجبها لينين بقوة ، والقومية المظلومة المقهورة المضطهدة وهى قومية ثورية تقدمية ، اعطاها لينين كل التأييد والمساندة وابرز طابعها الاساسى ، طابع التحرير الوطنى كحليف واحتياطى للثورة البروليتارية العالمية .

اما **ستالين** ، فقد عرف الامة على انها **« جماعة ثابتة من الناس تكونت تاريخيا وتقوم على أساس اللغة المشتركة والارض الواحدة ، والحياة الاقتصادية المشتركة والتكوين النفسى الذى يجد تعبيره فى الثقافة المشتركة »** .

ولهذا نجده يرفض بقوة دعاوى الصهيونية بوجود قومية يهودية، أو أمة يهودية، ودمغها بأنها وهم كاذب .

ويعرض الكاتب بعد ذلك للمسألة القومية من ناحية المضمون الاشتراكى وكذلك يتعرض للموقف الصهيونى الصريح او المتمركس من قضية القومية فى اسرائيل وكذلك يعرض لموقف الماركسية والدول الاشتراكية الثورية من نفس القضية .

ويخلص الى ان ما يسمى « بالقومية » فى اسرائيل ، بحكم النشأة والظروف التاريخية والمصالح المادية المباشرة ، والايديولوجية المباشرة المسيطرة ، لا تنتمى فى قليل أو كثير الى حركات القومية الناشئة والثورية فى القرن العشرين ، أو حركات التحرير الوطنى ، كما تحاول الصهيونية ان تصور الامور ، بل تنتمى على وجه التحديد الى القومية الرجعية الاوربية الامبريالية قومية الطبقات الشوفينية المتعصبة العدوانية ، والتى لاتصنع قوميات ثورية بل عنصرية ولا تخدم حركة التقدم بل تعوقها ، وهى التى صنعت منذ أواخر القرن التاسع عشر كل مجتمعات المستوطنين العنصريين .. مجتمعات سيسل روديس وأمثاله .. هذه القومية لا تؤيد بل تشجب ، لاتنمى بل تصفى .

وفى الفصل السادس يعرض المؤلف لحق تقرير المصير فى النظرية الماركسية وتطبيقه بالنسبة للشعب العربى والاسرائيلى .

ولقد حدد **لينين** المقصود من حرية الامم فى تقرير مصيرها بقوله « ان المقصود بحرية الامم فى تقرير مصيرها ، هو انفصالها كدولة عن مجموعات قومية اخرى ، وهو بالطبع تأليفها دولة قومية ، او بتعبير آخر حرية تقرير المصير السياسى اى الاستقلال كدولة وانشاء دولة قومية » ويتساءل المؤلف ، كيف فهم المبدأ وكيف طبق فى قضية فلسطين ؟

لقد ادى الامر الواقع الى خطأ فى تطبيق المبدأ ذاته ، فلقد فهم المبدأ او طبق بطريقة شكلية مجردة وجامدة لم تراع خصوصية المشكلة الفلسطينية ولا واقعها المميز وتحول الى صيغة شكلية تفتقد مضمونها الحقيقي الديمقراطي الذى يسوى بين الشعوب .

ومن هنا كانت نقطة البدء والانطلاق مجردة وشكلية تماما : هناك قوميتان أو شعبان ، أذن فعليهما أن يتعايشا أوينفصلا ، أما طبيعة الحركة القومية فى كليهما ومضمونها الحقيقى وجذورها التاريخية ومستقبلها ، فلم يوضع فى الاعتبار فى شىء .

ثم كان قبول قرار التقسيم بداية لخطأ جسيم ولم يكن تطبيقا أو التزاما بمبدأ تقرير المصير — برغم الظاهر — بل مخالفة صارخة له ، فالقرار فى مضمونه الحقيقى ، يعنى تسليم السكان العرب ، المستقرين على أرضهم القومية منذ آلاف السنين ، وعلى غير أرادتهم ، الى دولة غير دولتهم القومية دون مبرر أو سبب سوى الرضوخ لارادة المستوطنين والصهيونية العالمية .

فماذا يعنى قبول الدولة الصهيونية بالطريقة التى قامت بها ، واعتبار وجودها وكيانها تطبيقا لحق تقرير المصير للشعب اليهودى ؟

وهل يمكن لمبدأ ديمقراطى فى الجوهر أن ينطوى على مثل هذا التناقض ، وتتحول المساواة الواجبة بين الشعوب الى نفى شعب لاخر ومحو وجوده ؟

ان المبادىء الديمقراطية لا تخلق تناقضا بين الشعوب او القوميات أو الاديان بل وجدت لتحل هذه التناقضات ولتصفيها ، فلابد أن يكون الخطأ فى شىء آخر .. تمثل فى التطبيق الخاطىء للمبدأ وفى اضطراب مفهومه بالنسبة لقضية فلسطين عند اصحابه واصلب المتمسكين به وهم الاشتراكيون والثوريون .

وفى الفصل السابع والأخير «**الهدف والتكتيك**» يعرض المؤلف للقضية الاساسية التى يمكن ان تتحدد على اساسها الاستراتيجية والتكتيك للقوى الثورية والسلامية العالمية فى مواجهة مخططات الامبريالية فى المنطقة : هل هناك امكانية بالفعل ، مهما كانت ضئيلة لقيام « حكومة سلام وديمقراطية واستقلال قومى وتقدم فى اسرائيل دون تغيير اساسى فى نظام الدولة القائمة ، وتصفية وجودها الاستيطانى ونظامها العنصرى ؟ هل يجدى فى اسرائيل وفى الدولة العنصرية القائمة مجرد الاصلاح؟ أم المطلوب هو تغيير ثورى فى وضع القضية الفلسطينية بكاملها بالنسبة لليهود وللعرب ؟

ويحدد المؤلف الاجابة بقوله ، لا ، مستحيل ونعم فى حالة واحدة .. اذا ابيد الشعب المقهور أو تم استسلامه بلا شروط وتخلى عن وطنه بغير رجعة !!

ان الثوريين لا يتمسكون بشكل بعينه للنضال سلمى أو غير سلمى ، بل بالمبدأ وبالثورة نفسها فهذا مالا يجوز التهاون فيه أو التسليم .. اما الوسائل والطرق فتحكمها الظروف فى اطار المبدأ .. واذا كانت المقاومة المسلحة هى الشكل الذى اختارته الثورة الفلسطينية ، فذلك ما تفرضه كل حقائق الوجود الاستيطانى والدولة العدوانية العنصرية ، وكل تدعيم للثورة وطريقها المسلح يقرب السلام ولا يبعده .

ويرى المؤلف ، بأن الشعار الذى طرحته المقاومة الفلسطينيةوانبتته فى التراب الفلسطينى فلسطين الدولة العلمانية متعددة القوميات والاجناس والاديان ، وطن للجميع ذلك هو الطريق والطريق الوحيد الى السلام ، ونقطة البدء من جانب الاحزاب والدول الثورية هى سحب الاعتراف بالدولة العنصرية ، وتدعيم المقاومة الفلسطينية والاعتراف بها وجها لحركة التحرير الوطنى الفلسطينى .. من اجل دحر العدوان ومخططات الامبريالية .. ومن اجل البشرية والتقدم والسلام .

وبهذا الكتاب ، يكون « **أديب ديمترى** » قد قدم للمكتبة العربية نوعية جديدة من الدراسة والمعالجة ، للموضوعات التى طرحها ، وناقشها بروح ماركسية موضوعية ، مبينا فيها الموقف الماركسى الحقيقى من الصهيونية والدولة الصهيونية .

■■■

ليلى والمجنون

■ مسرحية شعرية ■

للشاعر : صلاح عبد الصبور

■ تحليل :

نبيل راغب

لا شك ان المسرح الشعرى سواء فى الخارج او فى العالم العربى يعانى ضمورا شديدا رغم الانجازات التى حاولها الشعراء المعاصرون من امثال .. « **ت.س. اليوت** » و « **كريستوفر فراى** » وغيرهما ، وذلك يرجع الى غلبة النثر على كل ماعداه من أدوات التعبير الادبى ، لان الايقاع السريع للحياة المعاصرة لم يترك للناس فرصة الاستمتاع بالشعر وتأمله جماليا ، بالاضافة الى ان اهتمام الشعراء المسرحيين انصب على مضامين غير معاصرة .. وحتى فى حالة معاصرتها فانهم يتوغلون فى غياهب الميتافيزيقيات كما فعل ت.س. اليوت فى « حفل كوكتيل » و « عودة شمل العائلة » وفراى فى « السيدة ليست للحرق » و « مراقبة فينوس » وايضا كما فعل صلاح عبد الصبور فى « مسافر الليل » و « الاميرة تنتظر » .. ولكنه فى « ليلى والمجنون» ينحى منحى جديدا يحاول فيه ربط الشعر الدرامى

أو المسرحي بعجلة الاحداث المعاصرة ووضعه في خدمة قضايا الانسان الملحة وامانيه من أجل حياة أفضل ..

تدور احداث « ليلى والمجنون » قبيل ثورة ١٩٥٢ ورغم أنها تعالج المضامين التى عالجها **سعد الدين وهبه ورشاد رشدى ونعمان عاشور** فان التجسيد الشعرى قد خلق منها عملا مختلفا تمام الاختلاف ، فالصراع الدرامي يدور بين خطين اساسيين نابعين من الظروف الاجتماعية والسياسية التى يمر بها المجتمع فى مرحلة التحول والارهاص بميلاد جديد الخط الاول يتمثل فى الكفاح المتأنى عن طريق القلم والفكر والحديث عن الأمل والحلم بالمستقبل حين يتعثر الكفاح الملتهب المتمثل فى الخط الثانى عن طريق المسدس والفعل والعمل فى تشكيل الواقع وتغييره ، اذ ان ظروف المجتمع الضاغطة على كيان الشخصيات تجعلهم يترددون بل ويفقدون الثقة فى كل شيء ، أو كما يقول سعيد الذى يرمز الى المصرى المضطهد المعذب برواسب ماضيه وتطلعات مستقبله :

« ماذا نفعل فى هذه الغرفة كل صباح ....

الا ان نشعل نار الغضب الحمراء ....

ونظل ندور حواليها ، وندور ، وندور ....(*)

كمجذوبين الى ان يتملكنا الاغماء » ....

ولكن حسان المجاهد العملى يرفض هذه السلبية ويؤكد أن مجموعة « أشعار **بريخت** ورفاقه من **جوته** حتى آخر ثرثار عرفته اللغة الالمانية لم تمنع شرذمة النازية من أن تتربع فوق كراسى السلطة » وبعدها يتغنى سعيد بآخر أشعاره حين يقول « يأتى من بعدى من يتمنطق بالكلمة **ويغنى** بالسيف » ..

ويقترب « **صلاح عبد الصبور** » — على غير عادته — من الشاعر « **ماياكوفسكى** » ورفاقه من المستقبليين الذين يؤمنون أن المستقبل المشرق قادم مهما بلغ الفساد والتعفن والتحلل أبعد الافاق ، فلقد خلع صلاح عبدالصبور رداء التشاؤم المطلق الذى ارتداه من قبل فى ديوان « أقول لكم » ، و « أحلام الفارس القديم » ومسرحيتى « مسافر الليل » و « الاميرة تنتظر » لان مسرحية « ليلى والمجنون » حفلت باهازيج المستقبل التى تتردد على ألسنة معظم الشخصيات وكأنها كورس ضخم فى سيمفونية مكتوبة للمستقبل . تقول ليلى — رمز مصر فى مرحلة الارهاص والتخبط — لزملائها فى الصحيفة : « أهلا .. كيف الحال ، أيا فرسان المستقبل » بينما يتغنى الاستاذ رئيس التحرير « بالمستقبل .. الزمن الاتى بالنجمين الوضاءين على كفيه .. الحرية والعدل » وبالذين « رحلوا لكى يأتوا بالغد » بينما يعتبر سعيد نفسه « متهما بالنظر الى المستقبل » فى نظر السلطة ، ثم يدور حوار ذو دلالة درامية بين ليلى وسعيد :

ليلى : لم لا تؤمن بالمستقبل .

سعيد : بل انى أخشاه لانى أؤمن به ،

أؤمن ان لابد لكل زمان من مستقبل .

لان حتمية الدورة الزمنية تفرض قدوم المستقبل رغم كل العقبات ، ثم تنتهى المسرحية بسعيد وهو يقول : « أنا أنتظر القادم » ..

ولعل حب سعيد لليلى هو نفس حب قيس المستحيل لليلى أحمد شوقى ، ولكن صلاح عبد الصبور يمد المساحة الرمزية للشخصيات لتكون أكثر شمولا من كونهم مجرد أفراد لهم مشكلات خاصة بهم ، ولا تتركز المشكلة فى الفرد والعائلة والماضى كما فى حالة قيس ولكنها تمتد بالنسبة لسعيد لتشمل رواسب الماضى وتطلعات المستقبل التى تعجزه عن حب ليلى حبا قائما على تبادل الامتلاك نظرا لوجود قوى شد وجذب أقوى منه بكثير ، هذه القوى المثلة فى حسام ربيب السلطة ، ولذلك فان سعيد يقنع من ليلى بالامنية :

لا أنوى أن أنساها
بل أنوى أن احياها مثل حياتى المستقبل
مثل حياتى للحرية والعدل
مثل حياتى للحلم

حلم لا اقدر أن أتملكه ، لكنى أقدر أن اتمناه . بينما يستطيع حسام — الذى استمالته السلطة — الاستيلاء مؤقتا على قلب ليلى وجسدها بالكلام المعسول الخالى من كل معنى حقيقى ، وتبلغ المأساة قمتها عندما يصيح سعيد فى وجه حسام : « لن تأخذها منى » بينما نسمع صوت بائع صحف ينادى : « حريق القاهرة » وكأن هذا الحريق الذى يرمز الى قمة التحلل هو نفس النار التى ستقضى على التعفن ، لان الفساد يقضى على نفسه بفعل جنين الغد المشرق الكامن فى طيات الاحداث المتعاقبة حيث الطبيعة قادرة على اطلاق قوى التصحيح مهما حاول الفساد السيطرة عليها ..

وقد استفاد صلاح عبد الصبور من التقابل الذى سارت عليه المسرحية الداخلية « مجنون ليلى لاحمد شوقى » مع المسرحية الخارجية « ليلى والمجنون » بأن اضافت كل منهما الى الاخرى ظلالا وايحاءات جديدة بفعل العلاقة الجدلية بينهما . هناك فرق شاسع بين الصفاء الذى يسود حب قيس لليلاه رغم العقبات الواقفة فى سبيله وبين حب سعيد لليلاه ، هذا الحب الزاخر برواسب الماضى وآلام الحاضر وتطلعات المستقبل مضافا اليها الضيق والتوتر والملل والضياع الكامل

الذى يمنعه من حبها حبا حقيقيا مما جعل حسام يفوز بها مؤقتا على الاقل .. ويتركز أمله — فى نهاية المسرحية — فى أن يكشف لها عن حقيقة حسام :

« يوما ما ستحبين سواه
رجلا يعرف أن أسمك ليلى
ويناديك باسمك ..
أنا .. لا ..
أنا وقت مفقود بين الوقتين
أنا ...
أنا أنتظر القادم .

هذا هو المجنون الجديد فى حب ليلى ؟ مجنون يحمل على كتفيه هموم عصره ومآسى جيله وارهاصات وطنه من أجل الميلاد الجديد وليس كمجنون شوقى الذى لم يكن يحمل فى قلبه هما سوى عجزه عن وصال ليلى ، وبذلك تكون العلاقة بين المسرحيتين مفيدة فى التطور الدرامى أو كما يقول الاستاذ رئيس التحرير :

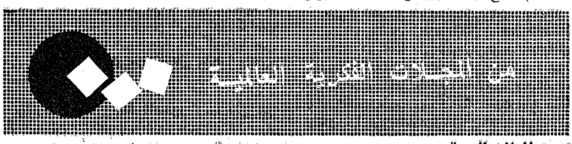
« فلقد قادكم التمثيل الى الواقع .. والواقع أكثر صدقا .. » ..

وقد وضع صلاح عبد الصبور الكثافة الشعرية فى خدمة الكثير من اللمحات الحادة، واللمسات السريعةالتىتوحىولا تطنب، تجسد ولاتفسر، وقد تجنب قدرا مكانه الغنائية المسرفة التى تفرضها القصيدة ذات التفعيلة والبحر الواحد والتى كثيرا ما يقع فيها شعراء المسرح كما فعل أحمد شوقى ، فقد تحكم صلاح عبد الصبور فى التفاعيل والاوزان والبحور طبقا للشخصية المتكلمة والموقف الدرامى الراهن ، أى انه أخضع ادوات الشعر للتفاعل الدرامى فكان الشعر بمثابة القوة الدافعة لا العبء الباهظ مثلما استعان بشعر العامية فى موال المطرب الذى ألقاه فى الحانة لان الموقف الدرامى حتم استغلال امكانيات الشعر العامى .

ولكى يخفف صلاح عبد الصبور من شدة وقع المأساة استعان بروح الدعابة من خلال شخصية زياد المجاهد الثورى الذى كان يعالج اباه بالكلمات فيعالجه بالكلمات » والذى علق على تمنع سعيد من الظهور على خشبة المسرح بقوله عن « الخشبة » : « لا تفزع . فستدخل فيها حين تموت أو تعلوها اذ تشنق » .

ولكن هذا لم يؤثر على الاحساس المأساوى لدينا ، لان صلاح عبد الصبور خلق معظم الشخصيات بأسلوب تجريدى يبث فينا هذا الاحساس بكثافة وتركيز بالغين ، فنحن لا نعرف شيئا عن الشخصيات لا يمت الى محور الاحداث بصلة ، اى اننا نتعرف عليها من خلال المواقف فقط وليس كشخصيات متميزة ذات صفات فردية مستقلة عن الشكل الفنى للمسرحية .

لا شك أن المسرح العربى المعاصر والشعرى بالذات يستفيد من هذه الاضافة الجديدة لصلاح عبد الصبور وخاصة انه لم ينظر الى نفسه كشاعر فقط ولكن ككاتب درامى ايضا .. ولا غرو فى هذا لان الشعر والدراما هما شىء واحد فى جوهره .



■ من المجلات العربية ■

مجلة مصر المعاصرة

استثمار عائدات البترول فى المشروعات الانمائية فى البلاد العربية

بقلم : د. عبد الرازق حسن

تحت هذا العنوان ، نشرت مجلة مصر المعاصرة دراسة للدكتور **عبد الرازق حسن** ، أجاب فيها على بعض التساؤلات ، فيما يتعلق بهذا الموضوع :

ماذا نقصد بعائدات البترول ؟

يقول الكاتب : يحدد الكثيرون عائد البترول ؟ بما تحصل عليه الدولة التى يوجد فيها البترول ، من اتاوات من الشركات المستخرجة له ، سواء كانت فى شكل نسبة من البترول المنتج ، او ريع استغلال الارض موضع الامتياز ، أو مقاسمة فى الأرباح ، وذلك بالاضافة الى ما قد تفرضه الدولة من ضرائب ورسوم أخرى على استخراجه وتصديره . غير ان هذا التحديد للعائد لا يتضمن الا جزءا صغيرا من العائد الاقتصادى الحقيقى ، أو القيمة المضافة فى عمليات البترول التى يمكن قياس العائد منها فى مرحلتين :

الاولى : هى مرحلة الخام ، وتتضمن القيمة النهائية للخام ، مخصوما منها قيمة مستلزمات

الانتاج ، او بمعنى آخر القيمة المضافة فى عمليات الانتاج ، والنقل ، والتجارة ، وتتمثل فى الريع وما يدفع من أجور العاملين ، وما يتحقق من أرباح للعمليات السابقة .

والثانية : هى مرحلة تصنيع الخام ، ويتمثل العائد منها بالفرق بين قيمة المواد النهائية ، مخصوما منها مستلزمات الانتاج أو المواد المستخدمة فى عملية الانتاج .

وهذا العائد فى المرحلتين ، لا يتضمن العائد غير المباشر ، أو العائد الاجتماعى الذى يترتب على دور البترول فى تنمية الجهاز الاقتصادى ، وايجاد البدائل الصناعية ذات التكلفة المنخفضة . وترجع أهمية الدقة فى تحديد عائدات البترول ، الى أن معرفة كيفية توزيع هذه العائدات على المستفيدين منها ، يضع أمامنا صورة حية للطريقة التى تنساب بها الموارد البترولية لتبسط الرفاهية والرخاء على المجتمعات المستغلة له . كما لا يجب اغفال ما يؤدى اليه الانتاج البترولى من مضاعفة للاستثمار والتوظف ، يظهر أثرها بشكل واضح فى البلدان المستغلة للبترول العربى ، وتستفيد صناعاتها منه .

ان دراسة الدورة الاقتصادية للبترول ، التى تبدأ من البحث عنه حتى استخراجه وتحويله الى منتجات صناعية ، لتكشف لنا الكثير من الامور والحقائق التى تعيننا فى تحديد سياستنا الاقتصادية بشكل عام ، والبترول بشكل خاص ، باعتباره ثروة قومية قابلة للاستنفاد ، وليست قابلة للتجدد . وتقدر المدة التى يستنفد فيها احتياطى البترول العربى لو استمر استغلاله ، بمعدله الحالى ، بما لا يتعدى ٧٥ سنة .

البترول العربى والتوازن الاقتصادى بين الحاضر والمستقبل :

كان البلدان العربيان الوحيدان المنتجان للبترول حتى سنة ١٩٣٣ ، هما **مصر والعراق** ، وتوالى دخول البلدان العربية فى مجال الانتاج ، حتى بلغ عددها ١٤ بلدا ، واصبحت جميع البلدان العربية منتجة للبترول ، باستثناء لبنان والاردن واليمن بشقيها والسودان ، وان كان من المحتمل كثيرا وجود بترول فى هذه البلدان ايضا ، لاسيما وهى فى نطاق المناطق البترولية .

وقد ارتفع انتاج البلاد العربية من البترول ، من ٤ر٧ مليون طن سنة ١٩٣٨ ، الى ٨ر٣٥ مليون طن سنة ١٩٤٦ ، وقفز الرقم الى ٦٥٨ مليون طن سنة ١٩٦٩ ، أى حوالى ٣١ ٪ من انتاج العالم . ويرجع التكالب على بترول الشرق الاوسط لعديد من العوامل الاقتصادية والسياسية ، فالولايات المتحدة ، وهى اكبر محتكر للبترول فى العالم ، تملك فى البلدان العربية ٦٠ ٪ من احتكاراته ، وهى حريصة على عدم استنزاف مواردها ، سواء لاسباب استراتيجية ، أو لاعتبارات التوازن الاقتصادى الواجب بين الحاضر والمستقبل . كما تعتبر تكلفة انتاج البترول العربى منخفضة للغاية ، ونسبة طيبة منه تنبثق من آباره ذاتيا ، أى دون ضخ يذكر .

وكان لظروف التخلف الاجتماعى فى البلدان العربية ، ونقص الوعى السياسى فى مناطق انتاج البترول ، أو الخوف من الاتجاهات الوطنية التى بدأت تبرز فى المنطقة العربية منذ منتصف الخمسينات ، اثر كبير فى تلهف الشركات على استنزاف اكبر قدر ممكن من البترول العربى ، وبالذات من المناطق التى تسودها فلسفة الحرية الاقتصادية ، وبطريقة تدعو الى التساؤل ، لانه بالرغم من غزارة آبار البترول ، الا ان كفاءة استغلالها منخفضة الى حد كبير ، ويبدو ان ذلك يرجع الى عدم اهتمام الشركات المنتجة باستخدام الوسائل الحديثة للاستغلال ، حتى لا ترتفع تكاليف الاستخراج .

ومما يزيد من اهمية البترول العربى ، توسطه فى أسواق الاستهلاك ، وانتشاره ، بشكل يمكن من سهولة توزيعه على مختلف مناطق الطلب فى أسرع وقت ، وبأقل قدر ممكن من التكاليف . والملاحظ ان البلدان العربية تسمح للشركات المستغلة ان تستخرج ما تشاء من البترول ، دون ضابط ، مما يسمح بزيادة عائدها منه .

ويطالب الكاتب ، بضرورة وجود التوازن فى المستخرج من البترول على مدى سنوات استخراجه ، لضمان حسن استغلاله ، وليس استنزافه ، والحصول على اكبر عائد مادى منه واستخدامه فى بناء الاقتصاد القومى ،وتشغيل الطاقات العاطلة .

وانه ، بالنظر الى تركيب الدخل القومى لاغلب البلدان العربية المنتجة للبترول ، سنجد عائد عمليات الاستخراج يكون النصيب الاكبر فيه ، وحتى الانصبة الاخرى ، كالتجارة والصناعة ، فانها تعتمد أساسا على البترول . ويؤدى هذا الامر الى ان درجة التقدم الاقتصادية والاجتماعية فى أغلب البلدان المنتجة للبترول ، تتوقف على عوامل أجنبية ، وبمعنى ادق ، تتحكم فيها شركات اجنبية . وهذا الوضع يجعل من السهل استخدام العائدات كوسيلة ضغط اقتصادى وسياسى بها . ونعتقد ان مركز اى بلد اقتصاديا واجتماعيا ، يكون اكثر استقرارا لو كانت نسبة العائد من مصدر واحد لا تتعدى نسبة معقولة من ميزانية الدولة ، ومن الدخل القومى [ربع الميزانية مثلا ، وعشر الدخل القومى] . ويمكن ان يتم التوازن

المرجو باستغلال العائدات المتحصلة فى مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، اى ذات طبيعة مستقلة عن البترول نفسه .

كما ان اعتماد اغلب الدول العربية المنتجة للبترول على تصدير الخام ، يؤدى الى عدم استفادتها بشكل كامل من تكريره ؛ فلم تزد نسبة التكرير عن ٨ ٪ من البترول المنتج فى سنة ١٩٦٨ ولا يؤدى اليها فى هذه الحال عائدات النقل ، والتخزين ، والتسويق ، والتكرير . وهى ، كما رأينا ، حوالى ٣٦ ٪ من قيمة المنتجات النهائية للبترول ، وهو ما يمكن ان تستفيد به لو امتنعت عن تصدير البترول خاما ، وذلك بالاضافة الى ما تعنيه القيام بعملية التكرير من رفع الكفاءة الفنية للبلاد ، وما قد يصحب هذه العملية من صناعات يؤدى القيام بها الى الارتفاع بالمستوى العلمى والحضارى للبلدان العربية . هذا فضلا عما يبدو هناك من اهمال استخدام الغازات الناتجة من عمليات التكرير ، وتركها لتحترق دون الاستفادة منها ، وهذه يمكن ان تمد البلدان العربية بقدر ضخم من الطاقة بتكلفة بسيطة .

والجدير بالملاحظة ان عائد البترول الذى يدفع لبعض البلدان العربية ، رغم ضآلته بالنسبة للقيمة الحقيقية للبترول المنتج ، الا انه لا يجد طريقه الى ميزانية الانفاق فى الدولة ، وانما يتحول الى أرصدة سائلة مستثمرة فى الخارج ؛ أى ان بعض البلدان العربية لا تكتفى بما يدره البترول من ربح على البلدان المستغلة ، فتزيد هذه العملية بتحويل هذه العائدات الى حسابات فى البنوك أو شراء أوراق أجنبية فى الخارج .

قد يتصور البعض ان ذلك عنصر ضمان فى حالة التغيرات الاجتماعية التى يمكن ان تحدث غير ان هذا الوضع يمكن ان يعجل بهذه التغيرات لما يعنيه ويكشفه من تناقضات وعدم ثقة فى داخل المجتمع . ولم يمنع تكديس الاحتياطيات النقدية الليبية فى الخارج مثلا من قيام ثورة سبتمبر سنة ١٩٦٩ فيها ، وبالتالى فان الانفاق على التنمية الاقتصادية والاجتماعية هو اضمن وسائل الاستقرار .

واذا نظرنا الى الوضع العام ، فى الاجل الطويل ، نجد انه ليس من صالح اى بلد ان يستنزف الجيل الحاضر كل الثروة القومية ، ولا يترك لجيل المستقبل الا المشاكل . كما لابد من ايجاد نوع من التوازن فى استغلال الموارد ، لا سيما القابل منها للاستنزاف كالبترول بين الحاضر والمستقبل .

والخطورة فى التركيب الاقتصادى القائم فى بعض البلدان العربية المنتجة للبترول ؟ انه يخلق انماطا من الاستهلاك لا تتناسب مع ظروف التنمية العامة لها ، وقد تكون سببا فى احداث مشاكل اقتصادية وردود فعل اجتماعية كبيرة لا قبل لها بها .

العائدات بين التنمية المحلية والاجنبية

ويلاحظ الكاتب ان ما يدفع للحكومات ؟ سواء فى شكل ضرائب أو اتاوات ، يلعب دورا اساسيا فى تمويل ميزانيات الدول العربية المصدرة للبترول مثل : **السعودية والعراق والكويت وامارات الخليج وليبيا والجزائر** ، وتختلف نسبة هذه العائدات فى الميزانية تبعا لظروف كل بلد ، من حيث حجم العائدات ، والاحتياجات العامة للدولة . وتتأثر الاخيرة بعدد السكان ، ومدى اتساع رقعة البلد ، وذلك بالاضافة الى الفلسفة الاجتماعية التى تحكم الانفاق .

وحينما تكون عائدات البترول مرتفعة بالنسبة لمتطلبات الميزانية العامة للدولة ، يضعف الميل لفرض الضرائب والرسوم على المواطنين — كما هو الحال فى السعودية والكويت وامارات الخليج وليبيا — ويعنى ذلك فى النهاية تحويل الثروة القومية — وهى البترول — الى طاقة استهلاكية تمثل نوعا من الرفاهية المؤقتة .

وفى بعض الحالات ، تزيد عائدات البترول على مجموع النفقات العامة فى الميزانية ، مثل ميزانيات مشيخات وامارات الخليج ، والكويت وليبيا ، ويعنى ذلك تحويل جزء من العائدات الى أرصدة نقدية تحول الى الخارج ، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، وتستغل فى عمليات استثمارية قصيرة او طويلة الاجل ، أو تنفق بمعرفة الاجهزة الحاكمة ، بشكل فردى ، ولا تظهر فى ميزانية الدولة بشكل أو بآخر ، ويؤدى فى النهاية الى تدعيم مركز الدولة التى تستغل فيها اقتصاديا .

الاموال العربية فى الخارج

ويوضح الكاتب ان البيانات عن الاموال العربية المتراكمة فى الخارج غير كافية ، وهذه الاموال تتركز فى حسابات الكويت وامارات الخليج والسعودية وليبيا ، وتتراوح بين ٣ — ٥ بلايين جنيه استرلينى .

وتثير العناصر الوطنية فى الوطن العربى اهمية

استغلال الارصدة العربية فى الخارج ، كوسيلة للضغط السياسى لتحقيق استقلال البلدان العربية وكأداة لضمان التنمية الاقتصادية والرفاهية الاجتماعية بها .

ولسنا فى مجال مناقشة الجانب السياسى للارصدة وأهميته لتباين وجهات النظر نحو المضمون السياسى والتركيب الاجتماعى المرجو ، أو لاختلاف الزاوية التى ينظر اليها أصحاب الارصدة أنفسهم والمطالبين بتحويلها الى البلدان العربية ، والنتائج التى تترتب على ذلك .

ويرى الكاتب ان الاوضاع المالية والنقدية للبلدان الغربية التى تتركز فيها الاموال العربية ، تتميز بعدم الاستقرار ، وهو ما نلمسه من الحمى التى تصيب هذه الاسواق من وقت الى آخر ، نتيجة حرية تحرك الاموال ، مما يؤدى الى تغيرات كبيرة فى أسعار الفائدة ، بل وفى أسعار العملة نفسها .

ومؤدى ذلك ان قيمة الاحتياطيات او الاستثمارات النقدية العربية فى الخارج ، لا تتأثر بمعدلات الفائدة فحسب ، وانما تتأثر ايضا بتغيرات قيمة النقود بها ، أى ان اصحاب الارصدة من العرب يتحملون نتائج الاوضاع الاقتصادية للدول المودعة بها أرصدتها .

ويثير الكاتب مسألة استغلال الارصدة النقدية ، أو المفرقة فى استثمارات خارجية فى عمليات محلية قد لا يكون بالامر اليسير ، اذ قد يعنى اقامة مشروعات على أسس غير اقتصادية ، أما لصغر حجم السوق ، أو نقص المواد الخام أو الخبرة ... الخ .

ويعرض الكاتب لتصوره فى ان عملية الاستثمار على النطاق العام أو الحكومى ، بمعنى وجود أجهزة عربية تنظم استخدام هذه الاموال ، وتضمن سلامة هذه الاموال وتحصيل فوائد اقراضها أو أرباح استغلالها . وليس هناك مبرر أن تتجه أموال بعض المناطق العربية للخارج ، لتعود الى مناطق أخرى عن طريق وسطاء اجانب يتحكمون فى كلا الطرفين . وقد أصبحت الارصدة العربية فى الخارج من الضخامة بدرجة تدعو الى ضرورة القيام باستغلالها بشكل مباشر ، دون حاجة الى وسطاء ، كما ان توجيهها للاستثمار فى نطاق العالم العربى ، يؤدى الى النمو السريع المتوازن فيه ، وهذا بدوره سيؤدى الى تحسن المركز المادى للبلدان العربية بالنسبة للعالم الخارجى .

مجلة « الطليعة » السورية عن الوحدة الوطنية وشكلها الاساسى

يستحق الحوار الذى أجرته الطليعة السورية فى عددها الاخير مع ممثلى الجبهة الوطنية التقدمية فى مجلس الشعب حول « **الوحدة الوطنية .. واقعها ومستقبلها** » .. وقفة تأمل للاهمية التى تحتلها هذه القضية فى المرحلة الراهنة من نضالنا . ونعرض هنا للحوار فى مجموعة نقاط يمكن اعتبارها خلاصة لما اتفق المتحاورون على اعتباره الصيغة المطلوبة للجبهة الوطنية التقدمية التى امست ضرورة ملحة فى هذه الظروف .

● ان الجبهة الوطنية التقدمية هى الصيغة العملية لتحقيق الوحدة الوطنية التى تعد بحق هدفا غاليا لا يمكن التفريط به ، والوحدة الوطنية المطلوبة ليست سوى التجسيد العملى للفكرة القائلة : انه فى مراحل معينة من التطور التاريخى ، لا تستطيع فئة بعينها أن تحتكر العمل السياسى والوطنى وأن تحجبه عن الفئات والقوى الاخرى ، وانما يتوجب على كل القوى الوطنية أن تشارك فى قيادة العمل السياسى والوطنى وأن يكون لها دورها الفعال والمؤثر فى صنع القرارات التى يترتب عليها مستقبل ومصير الوطن كله .

● ان الوحدة الوطنية تستهدف فى الاساس حشد كل الطاقات وصبها فى قناة العمل الوطنى ، والوحدة الوطنية لا تفرط فى أية طاقة متاحة دون أن تستفيد منها وتوظفها فى تعزيز قدرات الوطن .

● ان الوحدة الوطنية لاتعنى جمع المتناقضات، والوحدة الوطنية لا تعنى أن يكون فى قيادة العمل الوطنى قوى وفئات اجتماعية وسياسية تنكرت فى الاساس لقضية الوطن وربطت نفسها بما هو معاد لهذه القضية ، وهى لا تعنى اى تراجع عن قضية التقدم والاشتراكية .

● ان الجبهة الوطنية التقدمية ليست شعارا يطلق فى الهواء دون أن يكون له وجود فى الواقع الحى وانما هى حقيقة سياسية لابد أن تجد معادلها التطبيقى فى ميثاق تلتزم به القوى الممثلة فى الجبهة ، وفى مؤسسات تنبثق عنها وفى صحافة تعبر عن وجهات النظر المتبادلة داخل اطار الجبهة .

● ان ميثاق الجبهة الوطنية التقدمية هو الاطار النظرى الذى تلتقى داخله قوى الجبهة وتلتزم به ، والميثاق بطبيعته مرحلى ، ومن هنا فان الميثاق المقترح يلزم أن يتضمن الاهداف المرحلية المطلوب تحقيقها خلال فترة زمنية محددة ٠

● ان الوحدة الوطنية ليست سوى الخطوة الاولى فى طريق تحقيق أهداف أخرى عزيزة وغالية ، وفى مقدمتها هدف الوحدة القومية ، والوحدة الوطنية تهيىء المناخ المناسب لقيام الوحدة التقدمية ، لان غياب الوحدة الوطنية يلقى على الوحدة القومية عبئا ثقيلا يضعف منها ومن مقدرتها على الوصول الى غاياتها المرجوة ٠

● ● ●

مجلة جودوك السوفيتية

الامبراطورية المالية للصهيونية

بقلم : فلاديميروف

نشرت مجلة « جودوك » مقالا **لفلاديميروف** جاء به أن **نيلسون روكفلر** حاكم ولاية نيويورك **يعلن** مساندته التامة للمعونة الامريكية العسكرية لاسرائيل ، ولتزويد اسرائيل بأحدث الاسلحة ٠

وقد يبدو غريبا أن يرتكب مسيحى متعصب مثل روكفلر مثل هذه الخطيئة بمساندة الدولة اليهودية ، لكن الامر ليس غريبا فى الواقع ، ذلك أن الاغنياء قد اعتادوا أن ينظروا للدين من زاوية واحدة فقط هى ، كم من الاموال يمكن أن تجنى من وراء المشاريع والشركات والاستثمارات المرتبطة بالدين سواء على النطاق المحلى أو العالمى ٠

وهم لا يتورعون عن خداع الناس البسطاء بروايات وأقاصيص مثل تلك التى يرددونها عن التوافق الطبقى الذى يتحقق داخل « اسرائيل الكبرى » ٠

ان سيطرتهم على وسائل الاعلام الجماعى تمكنهم من تسميم عقول جماهير اليهود فى مختلف البلدان بأحقاد التعصب القومى التى تمثل فى محتواها الصهيونى موقفا عنصريا سافرا ٠ ولقد كان روكفلر على حق عندما قال « أن اليهودى الغنى ، مثله مثل أى غنى آخر يقف مع القهر والاستغلال ومع سرقة العمال ومحاولة تقسيم صفوفهم ٠

والحقيقة أن نيلسون روكفلر يقف الى جانب الاسرائيليين الصهيونيين لا لانه قد بدأ يتشكك فى مسيحيته ، ولا لانه قرر أن يغير ديانته الى اليهودية ، وانما تنبع عواطف روكفلر تجاه الصهيونية من أن الموقف السياسى **لجولدا مائير ، وموشى ديان وسيمون بيرز وأبا ايبان** يرتبط ارتباطا وثيقا بمصالح الاحتكارات البترولية الغربية ، فى الشرق الاوسط ومن بينها شركة **روكفلر ستاندرد اويل أوف نيوجرسى** ، وهذه المصالح تمد خزائن روكفلر بملايين الدولارات من الارباح الصافية الناجمة من عمليات استخراج البترول واستغلال عمال البترول ٠

ان نيلسون روكفلر هو واحد من ملوك البترول فى الولايات المتحدة الذين يستغلون بترول الشرق الاوسط ، لكن البترول ليس السبب الوحيد ، فاستثمارات روكفلر الاخرى مثل بنك تشيس **مانهاتن** الذى يرأسه دافيد شقيق نيلسون روكفلر (وهو أشهر مديرى البنوك فى العالم) كما تسميه الصحافة الامريكية ، هذا البنك يتحكم من الناحية العملية فى النظام المالى لاسرائيل ، ويقوم بنك روكفلر بتوزيع وبيع سندات القروض التى تصدرها تل أبيب فى الاسواق الخارجية ، ووفقا لتصريحات **بنحاس سافير وزير مالية اسرائيل ، فقد باعت اسرائيل خلال العشرين عاما الماضية بما قيمته ٥ر١ بليون دولار من سندات القروض فى اسواق الولايات المتحدة والدول الرأسمالية الاخرى ، ولم يكتف بنك تشيس مانهاتن بمجرد توزيع هذه السندات وانما قدم الضمانات اللازمة لها** ٠

ولقد وضع حكام اسرائيل أنفسهم منذ الايام الاولى لنشأة اسرائيل فى خدمة ملوك الاحتكارات العالمية وفى مقدمتهم احتكاريى الولايات المتحدة ، وفى هذه الايام قامت المؤسسة المالية الضخمة **كوهين ولويب** وشركاهما بنيويورك تلك المؤسسة التى يتولى ادارتها قادة الصهيونيين الامريكيين ، والتى لعبت دورا ماليا قديما فى فلسطين ٠٠ قامت هذه المؤسسة بدور الوسيط بين روكفلر وتل أبيب ، ثم ما لبث بنك شاس مانهاتن الضخم أن ابتلع مؤسسة كوهين ولويب وشركاهما ، وهكذا استمرت العلاقات القديمة بين اسرائيل وبين الدوائر المالية بالولايات المتحدة بل وتعززت الى حد كبير ٠

لكن العلاقات الوثيقة بين الصهيونية وروكفلر ليست مجرد علاقات مالية ، بل هى أيضا علاقات سياسية ، فان زعيم المجموعة الصهيونية فى الكونجرس الامريكى هو السناتور **جاكوب جافتس** ممثل ولاية نيويورك التى قلنا سابقا ان حاكمها هو نيلسون روكفلر ، ومنذ زمن غير بعيد كان جاكوب جافتس ــ هو محامى أسرة روكفلر ، بل وهو أيضا شريك فى مؤسسات روكفلر ، وهكذا فان للمنظمات الصهيونية رجالها المخلصين داخل دولة روكفلر ، التى تعمد بدورها الى استخدام النفوذ القوى لهذه المنظمات فى احكام تسلطها على جهاز الدولة فى الولايات المتحدة •

ولعل أكثر هؤلاء الرجال نفوذا هو **هنرى كيسنجر** المساعد الاول للرئيس نيكسون فى الشئون الخارجية •• وقد كان كيسنجر المستشار الاول لروكفلر ، وكان روكفلر هو الذى أوصى بتعيينه فى هذا المنصب ، وبهذا أمكن للصهيونيين أن ينفذوا الى أعمق أعماق السياسة الامريكية والى قدس اقداسها « **مجلس الامن القومى** » .

لكنه يتعين علينا أن نوضح أن بنك تشيس مانهاتن لا يبعثر دولارات الولايات المتحدة عبثا ، ذلك أن المنظمات الصهيونية تمتلك ــ لنفسها ــ استثمارات مالية ضخمة فى أمريكا ، ان مجرد ذكر أسماء الشركات والمؤسسات المالية التابعة للمنظمات الصهيونية والعاملة فى الولايات المتحدة قد استغرق حوالى أربعين صفحة من الكتاب السنوى اليهودى الذى يصدر فى أمريكا •

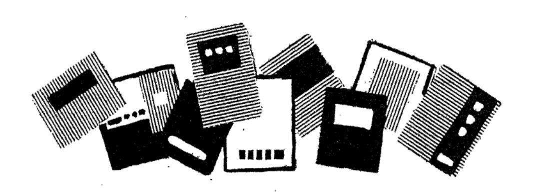
وتمتلك معظم هذه الاستثمارات المنظمة الصهيونية العالمية التى تأسست فى القرن الماضى فى بازل ثم نقلت مقرها الاساسى فيما بعد الى الولايات المتحدة •

ويستقر كبار الاغنياء اليهود أساسا فى نيويورك وشيكاغو وبوسطن ولوس انجلوس ، ولعل أكثر هؤلاء المليونيرات اليهود ثراء هو البليونير **ب• دويتش** الذى يغدق اغداقا لا مثيل له على عصبة الدفاع اليهودى ، والذى يدعو بوضوح الى نمط فاشستى واستفزازى للنشاط اليهودى •

ان الميزانية السنوية للجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية قد بلغت ٦٠٠ مليون دولار فى عام ١٩٧١ ، وقد تجمعت هذه الميزانية أساسا من سيطرة هذه المنظمة على عدد من الاحتكارات ، ومما يسعى بالتبرعات ، لكنه فى واقع الامر اكراه للمواطنين اليهود العاديين على التبرع •

وهناك أيضا مصدر آخر لتمويل الحركة الصهيونية ، وهو ما يسمى بجماعة « **النداء اليهودى المشترك** » وهى منظمة نشيطة فى الولايات المتحدة هدفها الرسمى هو تقديم المعونة للمهاجرين اليهود الى اسرائيل ، لكن الهدف الحقيقى لهذه المنظمة كما فضحه الكاتب المشهور **جيمس واربرج** ، هو تمويل نشاط الاحزاب السياسية الاسرائيلية ، وقد كان نصيب حزب **جاحال** الاسرائيلى المتطرف مبلغا قدره نصف مليون دولار من ميزانية هذه المنظمة •

ويشير الكاتب الى أن ما قدمه هو مجرد أمثلة بسيطة عن التلاحم المالى بين الصهيونية والاحتكارات الامريكية •• موضحا أن ما تقدمه الاحتكارات الامريكية من معونات كثيرة لاسرائيل ليس سوى ثمن تدفعه مقابل أن تصبح اسرائيل اداة طيعة لتحقيق المطامع العدوانية الامريكية فى الشرق الاوسط •



مناقشات مفتوحة
وكتابات جديدة

تعليق على مقال :

« المميزات العامة للتركيب الطبقى فى مصر »

تعليقا على مقال **المميزات العامة للتركيب الطبقى فى مصر** للدكتور جمال مجدى حسنين ، فى العدد الرابع [أبريل] من الطليعة ، كتب **غسان حيدر من سوريا — حمص** ، يشرح وجهة نظره فيما يتعلق ببعض القضايا التى آثارها الكاتب ، فيقول :

يؤكد كاتب المقال ان الطبقة المتوسطة النامية الجديدة ، كانت اكثر الطبقات ثورية فى ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية ، وانا اختلف معه فى ذلك . فالواقع أن اكثر الطبقات ثورية حتى النهاية هى الطبقة العاملة وتلك الحقيقة شاملة وعامة لكل المجتمعات . فاذا كانت ظروف السيطرة الاستعمارية على مصر قد اثرت كما وكيفا ، فلا يعنى ذلك اعتبار ان الطبقة الوسطى أو الصغرى أكثر الطبقات ثورية ، لان فى ذلك تجاهل واضح لدور الطبقة العاملة الثورى .

لكن ذلك لا يعنى اغفال الدور الثورى الذى يمكن ان تلعبه الطبقة الوسطى . وتكفى نظرة لواقع مصر بعد الحرب العالمية الثانية لنعلم أن الطبقة الوسطى كان لها دور ثورى عشية ثورة ١٩٥٢ . ولكن تطورمصربعد الثورة وخاصة فى مطلع الستينات يبين ان الطبقة الوسطى قد فقدت ثوريتها عندما وقفت ضد قرارات التأميم .

كذلك ، جاء فى المقال « ان البورجوازية

الصغيرة لم تستطع ان تأتي الى الحكم في ظروف مصر الملكية . ولقد منع ذلك وجود تناقضات داخلية عميقة في صفوفها وعدم انتظامها وانعدام وجود الحزب الثوري الكامل » .

ومن المسلم به ان التناقضات الحادة في صفوف البورجوازية الصغيرة تحول دون وصولها الى السلطة ، وصحيح أن عدم انتظامها حال دون ذلك . ولكن هل يمكن ان يكون غياب الحزب الثوري الطليعي الكامل — اذا كان غائبا بالفعل — سبب آخر حال دون وصول البورجوازية الصغيرة الى السلطة في مصر الملكية ؟ ان الاجابة بـ « نعم » تعني انه لو كان هذا الحزب موجود مع تواجد التجانس النسبي والانسجام والانتظام في صفوف البورجوازية الصغيرة لكانت تلك البورجوازية قد وصلت الى السلطة . واود أن اشير هنا الى ان الحزب الثوري الطليعي لا يهدف بشكل من الاشكال الى ايصال البورجوازية الصغيرة الى السلطة في ذلك الوقت [انعدام الحزب الثوري الطليعي الكامل] .

ان الحزب الثوري قد يقيم بعض التحالفات مع البورجوازية الصغيرة ، وهذا ضروري . وقد تنتهي تلك التحالفات بوصول البورجوازية الصغيرة الى السلطة مؤقتا ، لكن ذلك لا يكون هدفا بحد ذاته للحزب الثوري .

ولهذا فأنا لا اتفق مع الكاتب عندما يعتبر أن غياب الحزب الثوري الطليعي الكامل ، كان أحد الاسباب التي حالت دون وصول البورجوازية الصغيرة الى السلطة في مصر الملكية .

•

اتحاد الجمهوريات العربية .. ومسئوليته تجاه الجماهير

كتب المواطن السوري عبد الرحمن دغم — من قرية جرجناز — يقول :

ان توصل القيادات الوطنية في الدول الثلاثة الى اتفاق اتحاد الجمهوريات العربية ، يشكل خطوة تقدمية في طريق وحدة ديمقراطية شاملة لشعوب الامة العربية . فهذا الاتحاد ، دعم لحركة الثورة العربية وحركة التحرر الوطني وطريق الى تحرير الاراضي العربية المحتلة وازالة آثار العدوان، وفي رأيي انه لكي يكون هذا الاتحاد حركة ثورية تقدمية وجماهيرية ، يجب أن يؤخذ في عين الاعتبار النقاط الاتية :

١ — أن الوحدة يبنيها الشعب وتتحقق بنضاله وبممارسته .. فتوسيع الحريات الديمقراطية للفئات الشعبية لتستطيع أن تحمي الاتحاد ، ضرورة اساسية . كما ان حل مشاكل الشعب وتمكينه من المبادرة من خلال تنظيماته الشعبية ، سيكفل ذلك كله وحدة متينة وقوية . واني اقترح اسم « اتحاد الجمهوريات العربية الديمقراطية » .

٢ — ان ما مرت به الامة العربية من ظلم واستعمار ورجعية وظروف تجزئة وتخلف ، ادى الى وجود مستويات متفاوتة من التطور الاجتماعي والاقتصادي والثقافي بين بلد وآخر . ويجب مراعاة هذه الظروف من اجل تقريب شقة التفاوت وازالته على المدى .

٣ — التأكيد على الوحدة الوطنية في كل قطر بين قواه الوطنية ، فالخلاف بين القوى الوطنية والتقدمية لن يخدم الا اعداء الشعوب العربية .

٤ — تحديد منهاج ثوري يكون بمثابة دليل للعمل الداخلي والخارجي وتحديد العدو والصديق على اساس من التحليل العلمي . وليس صعبا أن نميز العدو من الصديق . فعلى ضوء التجربة التي مرت بها الامة العربية ، نقول : ان الامبريالية والصهيونية والقوى الرجعية العربية ، هي ضد الوحدة والتقدم . أما الجماهير العاملة فقد تأكدت بتجربتها ان دول العالم الاشتراكي ودول التحرر الوطني هذه القوى الدولية الصديقة لنا والمساندة لنضالنا .

•

ضرورة قيام الجبهة التقدمية الوطنية

من سوريا ، كتب **محمد بشير احمد** من القامشلي ، يقول :

ان العملية الثورية التي تتم في الاقطار العربية التقدمية ، لم تكن وليدة تطلعات أو ارادة حزب او جماعة معينة ، بل هي وليدة ظروف موضوعية قائمة وحقيقية . وتوحيد الفصائل التي تكونت تاريخيا وموضوعيا كقيادات ثورية لمختلف الطبقات المتحالفة ضد الاستعمار ، ضرورة اساسية وهامة .

وتعدد وجود هذه الفصائل الثورية له ما يبرره تاريخيا . ولا يمكن ان تزول الضرورة التاريخية لتعدد هذه الفصائل الا بزوال الصراع الاجتماعي

من خلال التطبيق الاشتراكى ؟ ولهذا فان لعملية تكوين الجبهة التقدمية الوطنية فى كل قطر ، اهمية حاسمة . فكما اتفقت جميع القوى الوطنية على ان تحالف قوى الشعب العاملة هو البناء الفوقى الصحيح للتطور غير الراسمالى ، فمن الطبيعى والضرورى ان تتفق بتجرد على أن يقود هذا التحالف جبهة تضم الطلائع المنظمة والمناضلة لهذه القوى . وهى طلائع لها ارتباطاتها الشعبية وخبراتها النضالية العميقة . فمن جبهات تقدمية فى كل قطر عربى الى جبهة عربيــة تقدمية ، نستطيع ان نشق الطريق الوعر المتعدد المراحل الى الاشتراكية .»

•

الثــــورة الفلســـطينية « جـــــاءت لتبــقى »

كتب المواطن **احمد مصطفى عبد اللطيف** — مساعد معمل بمحطة طلخا لتوليد الكهرباء .. المنصورة — رسالة يقول فيها :

كانت المقاومة الفلسطينية احدى الظواهر الصحية التى افرزتها نكسة يونيو سنة ١٩٦٧ . كما اصبحت علامة على طريق الصمود العربى ورفض الهزيمة .»

وطوال السنوات الاربعة الماضية منذ يونيو ١٩٦٧ كان على ارض المعركة مع العدو : القوات المسلحة المصرية على الجبهة الغربية وقوات الثورة الفلسطينية على الجبهة الشرقية . وكان الرجال من ابناء القوات المسلحة المصرية على جبهة القناة يواجهون عدوا أطار بعقله وصوابه نصر عسكرى رخيص فراح يتصرف من منطق القوة .. وكان الرجال من ابناء الثورة الفلسطينية . هناك على ارضهم يصنعون ملحمة البطولة فى تاريخ النضال العربى ضد العنصرية الصهيونية . ورغم ضراوة وشراسة القتــال طوال الاربعة سنوات الماضية صمد الرجال من ابنــاء مصر وفلسطين . وكانت حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية دليلا على تعاظم مقدرة الردع وكفاءة القتال للقوات المسلحة المصرية — وكانت معارك « الكرامة والحـــزام الاخضر وحراب الفــدائيين الفلسطينيين » دليلا على تعاظم قـــوة الثـــوار الفلسطينيين .

واصبح العدو يخشى القوات المسلحة المصرية وقوات الثورة الفلسطينية اساسا وراح بمحاولات يائسة يحاول ضربهما وتدميرهما . وما فعله مع القوات المسلحة المصرية معروف وواضح ابتداء من محاولات التشهير والحرب النفسية — حتى الغارات الكثيفة للطيران على امتداد الجبهة وبعمق ثلاثين كيلو مترا .. لكن المقاتل المصرى افسد عليه كل محـــاولاته ورد عليـــه الضربة بأضعافها .

وما فعله العدو مع الثوار الفلسطينيين معروف وواضح ابتداء من محاولة ضرب قواعدهم فى الاردن وجنوب لبنان .. حتى مذبحة ســـبتمبر الماضى .

وما يحدث الان للثوار الفلسطينيين يؤكد بما لا يدع مجالا للشك ان مذبحة سبتمبر كانت من اجل تصفية الثورة الفلسطينية . وهذا ما يهدف اليه العدو اساسا وان كان المنفذ فى هذه المرة هى السلطة الاردنية .

وما يجرى الان فى الاردن للثورة الفلسطينية جريمة بشعة لن يغفرها الشعب العربى ولن يغفرها التاريخ . ومعناه تحقيق امل العدو فى القضاء على الثورة الفلسطينية ومعناه اعاقة الثوار الفلسطينيين عن اداء واجبهم النضالى لتحرير اراضيهم المغتصبة . ولن يتحقق أمل السلطة الاردنية فى القضـــــاء على الثـــورة الفلسطينية ، كما لم يتحقق من قبل امل **ديــان** فى القضاء عليها . وسوف تبقى الثورة الفلسطينية لانها — كما قال الزعيم الخالد **عبد النـــاصر** — جاءت لتبقى .

•

بيــــان من روابــط الطلبـة العـرب فى درسـدن

جاءنا من روابط اتحاد طلبة البلدان العربية فى درسدن ، بيان حول « الوضع الناشىء بعد ٨ مارس ومتطلبات المعركة » ، جاء فيه :

.. تحاول الامبريالية العالمية وعلى رأســها الولايات المتحدة وعميلتها اسرائيل ، ارغام الامة العربية على قبول الاحتلال الصهيونى كأمر واقع . وقد استهدفت عن طريق هذا الضـــغط ، عزل الانظمة التقدمية فى البلدان العربية وفى مقدمتها النظام الثورى المعادى للاستعمار فى الجمهورية العربية المتحدة ، ولكن نضال الشعوب العربية وانظمتهـــا التقدمية المدعمة من قبل الاتحـــاد السوفيتى وبقية البلدان الاشتراكية التى ساعدت باخلاص الشعوب العربية وموقف التأييد الذى تمنحه شعوب العالم المناضلة ضـــد الامبريالية لقضيتنا ، قد حال دون مرور المخطط المعادى لشعوبنا .

ان عاملا جديدا يزيد قوة الجبهة العربية المناضلة ضد الاستعمار يحول دون تحقيق مخططات الصهيونية ، ويتجسد هذا العامل فى صمود الانظمة التقدمية فى الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية وانتصار الثورتين الوطنيتين فى السودان وليبيا . اننا نؤكد على ضرورة تضامن كافة القوى التقدمية والثورية للشعوب العربية وعلى تضامن الدول العربية التقدمية ، ونعطى لهذا العامل اهمية خاصة .

ونذكر هنا بشكل خاص الدور الهام الذى لعبته الجمهورية العربية المتحدة تحت قيادة الزعيم العربى الراحل **جمال عبد الناصر** والدور الذى تلعبه الان تحت قيادتها السياسية الثورية ورئيسها **انور السادات** ، فى التصدى للمؤامرات الصهيونية المدعمة من الامبريالية الامريكية وافشالها .

ان موقف الجمهورية العربية المتحدة من قرار مجلس الامن واستخدامها مختلف اشكال النضال من عسكرى وسياسى ، قد مكنها من كسب الوقت اللازم لبناء جيشها وتحقيق خطوات اقتصادية هامة تدعم النضال . وفى نفس الوقت مكن من ايضاح الموقف امام فئات عديدة من الراى العام العالمى بحيث أصبح ميزان القوى حاليا فى المواجهة العربية الاسرائيلية ، يختلف اختلافا بينا عنه قبل حرب ١٩٦٧ .

من هنا ايضا نفهم الموقف السياسى المرن الذى سلكته الجمهورية العربية المتحدة من مبادرة **روجرز** الامريكية واسهامها عن هذا الطريق فى فضح الموقف الحقيقى لاسرائيل ، وفضح الدعم الامريكى لها والمساهمة فى عزلهما دوليا .

كما أن رفض الجمهورية العربية المتحدة لقبول حلول منفردة يؤكد موقفها المخلص لقضية نضال الشعوب العربية ضد الصهيونية والذى تدعمه قوى الامبريالية العالمية وبالذات تجاه الشعب الفلسطينى **ومقاومته الباسلة** .

وانسجاما **مع هذه المواقف** ، جاء رفض الجمهورية العربية المتحدة **لتجديد اتفاقية وقف** اطلاق النار بعد ان **تفضحت وبشكل قاطع مماطلة** اسرائيل ، الامر **الذى شكل ردا حازما على المطامع** الصهيونية والامبريالية .

ثم يناقش البيان **الوضع فى الأردن بالنسبة** للفدائيين الفلسطينيين ، **فيقول** :

اننا نعلن تأييدنا التام لجماهير الشعب الأردنى الفلسطينى فى نضالها **من أجل اجهاض مخطط** الرجعية الاردنية المتآمرة ، **وندعو كافة الدول** العربية التقدمية والمنظمات **الثورية والوطنية فى** الوطن العربى لان تقف بحزم ضد **المذبحة الوحشية** التى يروح ضحيتها آلاف **الشهداء الأبرياء من** نساء واطفال وشيوخ **ومن مقاومين ومناضلين** بواسل .

المجد والخلود **لشهداء الشعبين الأردنى** والفلسطينى .

من رابطة الحقوقيين الديمقراطيين الى رئيس وزراء الأردن

جاءنا من رابطة الحقوقيين الديمقراطيين العالمية ، نص الرسالة التى بعثبها سكرتيرها العام — جون نوردمان — الى رئيس وزراء الاردن ، التى ننشرها هنا :

« السيد وصفى التل
رئيس الوزراء — قصر الحكومة
عمان — الاردن

ان الاحداث الدامية التى عادت للظهور مرة اخرى فى اربد وعمان ، حيث تواجه القوات الملكية الاردنية الفدائيين والنساء والاطفال الفلسطينيين ، تثير القلق العميق فى الرأى العام ، وبخاصة اعضاء المنظمات — مثلنا — الذين يبذلون ما فى وسعهم للمساهمة فى اقرار واحترام الحقوق الوطنية الاساسية لكل الشعوب العربية

وحينما حدثت اعمال المواجهة السابقة ، أشارت رابطة الحقوقيين الديمقراطيين العالمية — بالحاح واصرار — الى ان اى مساس بحقوق الشعب الفلسطينى او اى هجوم جديد عليه ، انما سوف لا يكون له من اثر سوى خدمة مخططات القوى الامبريالية وبخاصة المعتدين الاسرائيليين .

ان اعمال القمع التى تقع ضد الفلسطينيين تصيب فى الواقع كل الشعوب العربية وتمس مساسا خطيرا مصالحهم ، كما تمس الكفاح الذى يخوضونه من أجل قضيتهم العادلة .

ان رابطة الحقوقيين الديمقراطيين العالمية ، تجدد نداءها لوضع حد للعمليات العسكرية الدورية التى تحصد من الشعب الفلسطينى ومن تنظيمات المقاومة .

جون نوردمان
السكرتير العام لرابطة الحقوقيين الديمقراطيين العالمية

وثائق

دولة فلسطين المستقلة

آراء واتجاهات حول المشروع

فكرة « الدولة الفلسطينية المستقلة » ليست جديدة أو طارئة على قضية النزاع العربي الاسرائيلي وفي مجال محاولة التوصل الى حل « لمشكلة الشرق الاوسط » من جانب الاطراف المختلفة • ولكنها طرحت من جديد في الاشهر الاخيرة ومنذ قبول مشروع روجرز •

أعد هذه الوثائق :

عزيز احمد عزمي

كانت اسرائيل ـ بعد أن انقشع دخان مدافع حزيران ١٩٦٧ ـ قد طرحت في الارض العربية التي احتلتها شعار قيام كيان خاص بالفلسطينيين ، يرتبط بشكل من الاشكال مع « دولة » اسرائيل ، ولقد انطلقت اسرائيل في طرحها لهذا الشعار من الاعتبارات التالية :

ـ أن بالامكان ـ على هذا النحو ـ حصر النزاع الحالي بين اسرائيل والفلسطينيين فقط ، وبذا يتم اخراج الدول العربية من مجال هذا النزاع ، على أساس أن انهاء مثل هذا النزاع بين اسرائيل والفلسطينيين سوف يقضي على مشكلة اللاجئين ،

وبذلك لا يعود هناك بين اسرائيل والدول العربية موضوع خلاف .

ـ أن الفلسطينيين الموجودين خارج الارض المحتلة ، وخاصة فى الدول العربية ، لا زالوا يعيشون على آمال العودة والتحرير مشحوتين بعواطف تتغاضى عن الواقع . فى حين أن الفلسطينيين الموجودين فى الارض المحتلة هم الذين يعانون من آثار الاحتلال بصورة مستمرة ، ومن هنا فان مشاكلهم معروفة ومفهومة لديهم أكثر من غيرهم . وعلى ذلك فانهم أقدر فى النهاية على تدبر أمورهم وتقرير ما هو فى صالحهم .

ولا شك أن هناك ظروفا ساعدت على رواج هذه الشعارات منها المناخ النفسى التعس الذى وجد الفلسطينيون انفسهم فيه بعد ثلاث حروب مع العدو ، ومنها المعاناة القاسية اليومية من آثار الاحتلال الصهيونى بكل ما تجلى فيه بعد (نصر) حزيران من صلف وقحة

المهم أن هذه الشعارات والافكار ما لبثت أن خبت وفترآوارها للاسباب التالية :

ـ الموقف السلبى الذى كانت حكومة اسرائيل تتخذه « رسميا » برفض الاعتراف بالفلسطينيين كطرف رئيسى فى النزاع ، بل ورفض الاعتراف بوجودهم أساسا .

ـ رغبة اسرائيل فى قيام تكتل فلسطينى من نوع معين يتعايش معها ومع مصالحها ، وليس تكتلا فلسطينيا فعليا ينبع من رغبة فلسطينية حقة .

ـ التصريحات الاسرائيلية « الرسمية » المتتالية التى أخذ الزعماء الاسرائيليون فى الادلاء بها عن ضم الاراضى المحتلة ، واستحالة اعادة بعضها كالقدس وغيرها .

ـ أعمال العنف والتدمير والتهجير والعقاب الجماعى التى أصبحت سمة الحياة اليومية فى الارض المحتلة .

ـ وفوق هذه الاسباب ـ وأهمها ـ تصاعد حركة المقاومة الفلسطينية المعبرة بصدق عن الضمير الفلسطينى وواقعه ، مع رفعها فى الوقت نفسه شعار **الدولة الديمقراطية التى تضم أتباع الاديان السماوية الثلاثة دون تمييز .**

وهكذا ـ كما أسلفنا ـ أدت هذه الاسباب الى خمود الشعار الذى طرحته اسرائيل بشأن قيام كيان فلسطينى . كما أدت الى نتيجة أخرى وهى أن المواطنين العرب فى الارض المحتلة قد نبذوا تلك الشخصيات التى كانت تدعو الى التفاهم مع اسرائيل ، وقد دار حوار بين الدكتور **أنور نسيبه** ـ الوزير الاردنى السابق ـ وبين الدكتور حمدى التاجى الفاروقى (نشرته صحيفة لامرحاف » يوم ١٢ ـ ١ ـ ١٩٧٠ يعبر عن كل ما اوردناه ، قال فيهالاول للثانى : « كيف تطلب الينا الحوار مع الاسرائيليين وأمامك التصريحات المتكررة التى تثبت أن الاسرائيليين لا يرغبون فى الصلح بل فى الضم ، اننى أطلب منك أن تتوجه الى رئيسة الحكومة وأن تعود منها بكلمة تقطع بأنها على استعداد للاعتراف بنا أى أنها ترتضى حل المشكلة معنا . »

فى مطلع عام ١٩٧٠ ، عادتاسرائيل الى بعث الحياة من جديد فى فكرتها الخاصة باقامة كيان فلسطينى ، وذلك لمواجهة تيارين عارمين : التيار الاول على الصعيد العالمى حيث بدأ الرأى العام العالمى يطالب اسرائيل بتخفيف موقفها المتشدد وبابداء مزيد من المرونة ، وخاصة مع الفلسطينيين الذين استطاعوا اثبات وجودهم كشعب حمل السلاح دفاعا عن حقه ، والتيار الثانى على الصعيد الداخلى حيث بدأ الرأى العام الداخلى ـ وعلى رأسه المثقفون (١) يطالب الحكومة بالاعتراف بوجود الفلسطينيين وحقهم فى الحياة .

■ ■

---

[١] طالعتنا الصحف والمجلات العالميةبعديد من آراء « المثقفين » الاسرائيليينبشان حل النزاع ، نورد منها الامثلة التالية :

●● فى١٠/١/١٩٦٠نشرتمجلة NEWS WEEK مقابلةمع«آموس عوز» وهو مؤلفاسرائيلىشاب،قالفيها :«ان الفلسطينيين العرب : مثلهم فى ذلك مثل الاسرائيليين ، يبحثون عن هويتهم ، وأيةمحاولة للاقتراب الى حل يجب أن تضع هذه الحقيقة كنقطة انطلاق لها » . « انخلق دولة اخرى صغيرة منفصلة ـكالدولة العربية الفلسطينية ـ سيكون أمرا مزعجا ، بل هراء اقتصاديا ، اذان مثل هذه الدولة لا يمكن ان تكونمستقلة استقلالا اقتصاديا حقيقيا ».

●● فى٢٠/٤/١٩٧٠اجرتمجلة NEWS WEEK حوارا معستةمناساتذةالجامعات فىاسرائيل ابدوافيهالنقاط التالية : ان الفلسطينيين هم الاساس فى اى حلللازمة وبدونهم لا يكون هناك حل ، وانعلى اسرائيل ان تسمح للفلسطينيين بالعودة ، وأن تعوضهم ، وأن الدولةالفلسطينية التى تقترحها اسرائيل سوفتكون دولة كالدمية .

●● فى شهر مايو ١٩٧٠ نشرتمجلة « انتركونتيننتال برس » الامريكيةحديثا مع « آرييه بوبر » عضو منظمة « ماتسبين » (البوصلة) قال فيه :« من المستحيل حل النزاع العربى مادامتالطائفة اليهودية ـ كجماعة مستوطنين ـ قد تكفلت بمشروع استعمارى ،فالشرط الاول ـ الذى لا يعتبر كافيا بحدذاته ـ يجب ان يكون الغاء ميزة المستوطنين هذه بطرق معينة ، وفى تعابيرنا يسمى ذلك بازالة الصبغةالصهيونية عن اسرائيل ، وهذا يعنى الغاء كافة القوانين التى توفر حقوقاًمميزة لليهود ، ونقترح تجريد اسرائيل منالصبغة الصهيونية ، ودمج اسرائيل « اللاصهيونية » ، بل اسرائيل« الاشتراكية » فى شرق اوسطاشتراكى ، وعندها تصبح مسالة حق تقرير المصير بالنسبه لليهود ، اوبالنسبةللفلسطينيين مسالة ثانوية ».

وفي أول عرض « رسمى » من جانب اسرائيل فى هذا الموضوع ، فقد ابداه وزير خارجيتها آبا ايبان فى حديث أذاعه راديو وتليفزيون اسرائيل ـ باللغة العربية ـ يوم ١١ ـ ٥ ـ ٧٠ وجهه الى الفلسطينيين العرب داعيا اياهم الى الدخول فى مفاوضات للسلام ، بهدف انشاء دولة عربية ودولة يهودية « على أرض اسرائيل » ، وقال ايبان أن اسرائيل على استعداد للدخول مع الفلسطينيين فى مفاوضات لتحل مرة واحدة المشكلة التى أدت الى كل هذا العذاب واليأس والالام العميقة التى نزلت بالفلسطينيين ، وقال انه اذا استقر السلام ، فان الحدود بين الدولتين ستكون مفتوحة بلا اية قيود ، « وستقوم على أرض الميعاد دولتان لهما حياة واحدة ووجود مشترك ٠

وقبل أن نخوض فى تفاصيل الموضوع ، وعملا على استكمال جوانب الصورة ، يهمنا أن نورد التصريح الذى أدلى به أحد المسئولين فى قيادة منظمة التحرير الفلسطينية (الاهرام ١٢ ـ ٥ ـ ٧٠) ردا على دعوة « آبا ايبان » ، وقد أكد هذا المسئول ما يلى :

ـ أنه لا يمكن أن يكون هناك حوار بين منظمات المقاومة والمؤسسة العسكرية الاسرائيلية قبل التحرير الكامل للاراضى الفلسطينية المحتلة واسقاط الكيان الصهيونى بكافة مؤسساته ٠

ـ أن الطريق الوحيد لاقرار السلام وحل المشكلة الفلسطينية هو عودة الحقوق المشروعة كاملة للشعب الفلسطينى ، والمقاومة الفلسطينية التى تجسد آمال ومطالب الجماهير الفلسطينية تؤكد أن طريقها الوحيد لاستعادة الارض هو حرب التحرير الشعبية ٠

ـ أن منظمات المقاومة طرحت حلا انسانيا وواقعيا للمشكلة وهو يتمثل فى اقامة دولة ديمقراطية فوق كل التراب الفلسطينى تتعايش فيها كافة الاديان من مسلمين ومسيحيين ويهود ٠

ـ أن التلويح باقامة كيان فلسطينى مرتبط بالمؤسسة العسكرية الحاكمة فى اسرائيل ليس أكثر من محاولة لشق الوحدة الوطنية الفلسطينية ، وأن الجماهير الفلسطينية والعربية كلها ترفض هذا العرض ٠

ـ أن هذا العرض ليس أكثر من مناورة مكشوفة للاستهلاك الخارجى ٠

وننتقل الان ، بعد أن أوردنا الموقف « الرسمى » للشعب الفلسطينى من الدعوة الاسرائيلية « الرسمية » ، الى مرحلة أخرى وهى عرض موضوع « الدولة الفلسطينية » كما خرج من اسرائيل ؟ أو من الارض العربية المحتلة ؟ أو من البلاد العربية ، أو من الخارج ، ابتداء من المرحلة التى تلت عدوان ١٩٦٧ حتى يومنا هذا ٠

وفيما يلى عرض لكل ما توفر من « أفكار » أو « مشروعات » حول الموضوع أو « اقتراحات » لتنفيذه ، ندرجها بتسلسل زمنى بحسب تاريخ عرضها أو صدورها أو نشرها :

١ ـ ذكرت الانباء الواردة من الارض المحتلة أن الشخصيات العربية المتعاونة مع السلطات الاسرائيلية قد شكلت جبهة بتاريخ ٢٢/١٠/١٩٦٧ ، فى مدينة القدس ، أعلنت فيه برنامجها الذى ينادى بانشاء دولة فلسطينية تضم الضفة الغربية وقطاع غزة ، ووضع هذه الدولة تحت اشراف الامم المتحدة لمدة خمس سنوات ، وبعد انقضاء هذه المدة تشرف الجامعة العربية على هذه الدولة بالتعاون مع الحكومة الفلسطينية والتى سيكون « نظامها اشتراكيا على غرار النظام المعمول به فى اسرائيل » ! وتعقد هذه الدولة معاهدة عدم اعتداء على اسرائيل ومعاهدة صداقة وحسن جوار واتفاقيات اقتصادية وتجارية وغيرها ، كما ستسعى الدولة بعد قيامها الى الدخول فى مفاوضات مع الدول العربية لعقد سلسلة من اتفاقيات تعزيز العلاقات معها ٠

٢ ـ ربطا للفقرة السابقة ، ورغم أن ذلك يخرق التسلسل التاريخى للعرض ، نورد فيما يلى ما نشرته صحيفة « لامرحاف » الاسرائيلية فى ١٢/١/١٩٧٠ بقلم « فاروق اسماعيل » متضمنا التصور الذى يراه الدكتور حمدى التاجى الفاروقى (والذى انتخب رئيسا للجبهة المشار اليها أعلاه فى ٢٥ ـ ١٠ ـ ١٩٦٧) حول الموضوع:

« يقترح الفاروقى تقديم خطة معدلة لمشروع التقسيم الصادر عام ١٩٤٧ ، تكون ملائمة للوضع القائم ، والحل الامثل هو أن يضع مجلس الامن هذه المنطقة تحت اشراف هيئة ، تقوم باجراء انتخابات يتم فيها انتخاب هيئة معتمدة ، تتولى اجراء مفاوضات مع اسرائيل لحل المشكلة » ٠

٣ ـ فى أواخر شهر يونيو (حزيران) ١٩٦٨ ، وزعت اسرائيل فى الاراضى العربية المحتلة منشورا يتضمن مشروعا لاقامة دولة فلسطينية ، زاعمة أن أبناء الضفة الغربية وافقوا عليه ٠

ويدعو المشروع الى انشاء هيئة تمثيلية من أبناء المنطقة المحتلة ، يجرى انتخاب اعضائها تحت اشراف مراقبين محايدين على ان تستمر السلطات الاسرائيلية فى تولى أعمال الدفاع والامن الى أن يتم التوصل الى تسوية نهائية ٠

ويتحدث المشروع عن عقد معاهدة صلح وعدم اعتداء بين الدولة المقترحة واسرائيل •

ويعرب عن أمله فى أن يكون قيام دولة فلسطينية مزدهرة ، جسرا الى سلام وتعاون دائمين بين الوطن العربى واسرائيل ، أما بالنسبة للقدس فيقول المشروع ان السيادة فيها ينبغى أن تكون مشتركة

٤ ـ فى أواخر شهر مارس (آذار) ١٩٦٩ ، كتب الصحفى البريطانى « **توم ليتل** » عن مشروع تبحثه اسرائيل يدور على الاسس التالية :

أ ـ ضرورة العودة الى نقطة البداية ، بحيث يلعب الفلسطينيون دورهم فى احلال السلام •

ب ـ الطريقة الوحيدة لمعرفة رأى الفلسطينيين هى اعادتهم الى أرضهم الحقيقية ، أى أن تعاد اليهم الارض التى احتلتها اسرائيل فى ١٩٦٧ ، ويتم ذلك بأشراف الامم المتحدة ، على ان تكون اسرائيل مستعدة لتسليم الارض المحتلة لمسئولية مجلس الامن حتى يأتى الوقت الذى تحل فيه القضية تماما •

جـ ـ يعين مجلس الامن مندوبا ساميا على الضفة الغربية ، ويدعو اللاجئين للعودة •

د ـ يجرى استفتاء حول أن يكون للفلسطينيين دولة خاصة بهم فى الضفة الغربية وغزة • ويكون السؤال الذى يطرح للاستفتاء هو : « هل تقبل تقسيم فلسطين لتكون فيها دولة عربية ذات حدود يتفق عليها بالتراضى ؟ » •

هـ ـ اذا وافق الفلسطينيون فبامكان المندوب السامى ، فى فترة ستة أشهر أخرى ، اعداد العدة لاجراء تصويت حول مؤتمر يعقد لتمثيلهم لاعداد دستور ، ويوكل اليه تكوين حكومة تتفاوض من أجل حدود الدولة الجديدة •

٥ ـ فى شهر سبتمبر ١٩٦٩ ، دعا « **شمعون بيريز** » (الان وزير دولة مسئول عن المناطق الادارية واللاجئين) الى تسوية المشكلة بطريقة سياسية ـ فيدرالية ، فأوصى بما يلى :

أ ـ انشاء ثلاث ولايات فى « فلسطين » :

ـ ولاية مركزية

ـ وأخرى للضفة الغربية

ـ وثالثة لقطاع غزة •

ب ـ يكون لكل ولاية برلمانها الخاص وحكومتها الخاصة « للشئون الداخلية والمحلية » •

جـ ـ يتألف للولايات الثلاث برلمان مركزى وحكومة مركزية تتولى الشئون الخارجية والدفاع والعملة والمواصلات والاستيعاب الاقتصادى » •

د ـ يكون التمثيل المركزى « على أساس عدد السكان الحالى فى الاراضى المحتلة ، أى بنسبة ٧١ فى المائة للولاية المركزية ، و١٨ فى المائة للضفة الغربية ، و١١ فى المائة لقطاع غزة ، ومعنى ذلك أن يكون لليهود ٧١ فى المائة وللعرب ٢٩ فى المائة من التمثيل فى المجالس المركزية •

٦ ـ وربطا للفقرة السابقة ، ورغم أن ذلك ـ للمرة الثانية ـ يخرق التسلسل التاريخى لعرض الموضوع ، فانه يبدو أن «**بيريز**» قد سحب هذا الاقتراح ، اذ قالت مجلة **الجويش أوبزرفر** ، فى عددها الصادر يوم ١٩٧٠/٤/٢٤ ما نصه : « سئل شمعون بيريز عن اقتراح كان قد قدمه بخلق نظام حكومة قائم على أساس « **الكونتونات** » ، يعطى عرب الضفة الغربية وغزة تعبيراً سياسيا كاملا فى اطار من العمل يشبه النموذج السويسرى ، فأشار بيريز الى أنه كان قد قدم هذا الاقتراح قبل أن يشترك فى الحكومة وأنه يعالج الان المشاكل الواقعية أكثر من معالجته للحلول السلمية ، وقال انه يعتقد أن من المهم ـ كفترة انتقالية عربية ـ خلق « **عينات** » أو نماذج من التعايش السلمى الاسرائيلى ـ العربى » •

٧ ـ فى ٣١ ـ ٩ ـ ١٩٦٩ ، **القى « يجال آلون »** نائب رئيس الوزراء(٢) ـ كلمة فى اجتماع للطلبة عند بحيرة طبريا **قال فيها : « ليس من**

---

[٢] « يجال آلون » له مشروع يحمل اسمه ، يتضمن ثمانى نقاط اهمها : اعادة الضفة الغربية الى الاردن مع نزع سلاحها ، وحل مشكلة اللاجئين ، وبدء مباحثات مع ممثلى العرب الفلسطينيين من أجل انشاء منطقة حكم ذاتى ، مع انشاء حزام أمن يتكون من مجموعة من المستعمرات الدفاعية فى اماكن استراتيجية عمقها ١٠ كيلو مترات •

هذا ومن الجدير بالذكر أن مهندسا كهربائيا يدعى « اسحاق شيمكن » عقد مؤتمرا صحفيا فى حيفا فى ١٩٦٨/٦/٢٧ ، أعلن فيه ان ما يسمى بمشروع الون هو فى الواقع مشروعه هو ، وأيد ذلك بوثائق كان قد بعث بها الى الحكومة ، ويقضى مشروع « شيمكن » باقامة جمهورية فلسطين فى الضفة الغربية بحكم ذاتى يقام حولها حزام أمن على طول النهر بعمق ١٥ كيلو مترا ، اما قطاع غزة فيضم الى اسرائيل ويرحل أهله الى جبال الخليل ، ويقترح ان يكون لكل من الدولتين برلمان منفصل على ان يكون لهما مجلس شيوخ موحد يرأسه يهودى وله نائبان عربيان احدهما مسلم والاخر مسيحى ، ويجب ان يمنح عمال كل من الدولتين اليهودية والفلسطينية من العمل فى الدولة الاخرى ، وكل من يريد الهجرة من الفلسطينين يدفع له تعويض مالى قدره خمسة الاف دولار •

المستحيل أن يضاف اسم جديد الى الجغرافية السياسية الدولية ، وهو اسم دولة فلسطين ، ان الشخصية الفلسطينية لا وجود لها بعد ، ولكن هناك دلائل على أن الفلسطينيين بدأوا يشعرون بكيانهم ، وعلى كل حال هذا شأنهم وليس لنا أن نتدخل في شئونهم لمنعهم أو لتشجيعهم في هذا الطريق ، واذا تعززت هذه الميول فسوف ينتهي الامر بالفلسطينيين الى انشاء دولة على الضفة الشرقية من نهر الاردن ، وفي استطاعتهم المطالبة بأن تضم اليها الاراضي التي تحتلها الان » .

واقترح في الختام أن تتصل اسرائيل بالعناصر المعتدلة من الفلسطينيين للعمل على انشاء ادارة مستقلة في الاراضي المحتلة .

٨ — في أواخر شهر يناير ١٩٧٠ ، أدلى « **آرييه الياف** » السكرتير العام لحزب العمال الحاكم ، بحديث الى مجلة (تايم) الامريكية ، قال فيه :

« صحيح أن أجدادنا عاشوا هنا وفي الاردن ، ولكن العرب أيضا عاشوا هنا كذلك ، ويجب أن يكون الحل هو في قيام دولتين تستطيعان الحياة سويا في مساواة ، وهناك مكان كاف لدولة يهودية تكون في حجم هولندا تعداد سكانها ١٠ ملايين نسمة ، ودولة عربية في حجم بلجيكا تعداد سكانها ٩ ملايين نسمة » .

« وكخطوة أولى في هذا الاتجاه ينبغي على اسرائيل أن تبدأ في التغلب على مشكلة اللاجئين ، عن طريق اللاجئين الموجودين في أيدينا بالفعل ، والواقع أننا متأخرون فعلا في هذا الصدد ، وأقترح مثلا انشاء شبكة تعليم مهني للاطفال العرب ، وأن تقام مزارع ومدن جديدة للاجئين »

٩ — وفي ١٩٧٠/٩/٢٥ دعا « **يجال آلون** » الزعماء الفلسطينيين في الارض المحتلة الى بدء حوار مع اسرائيل في محاولة للوصول الى حل لازمة الشرق الاوسط ، وقال ان التطورات الاخيرة في الاردن قد خلقت الظروف المناسبة لمثل هذا الحوار ، ولكنه يجب أن يكون بمبادرة فلسطينية ، وقال ان اسرائيل هي السلطة الوحيدة التي تستطيع أن تساعد الفلسطينيين .

١٠ — وفي ١٩٧٠/٩/٢٦ طالب « **اسرائيل جاليلي** » — وزير الاعلام الاسرائيلي وأحد المقربين الى رئيسة الوزراء — بمفاوضات لاقامة دولتين ، احداهما يهودية والاخرى فلسطينية عربية ، بحدود متفق عليها على ضفتي نهر الاردن ، وقال انه — بعد الاحداث الاخيرة في الاردن — يوجد بعض الامل في أن ينظر الفلسطينيون الى الوضع في الشرق الاوسط في ضوء جديد .

١١ — وفي ١٩٧٠/٩/١٣ ، اقترحت صحيفة « **واشنطون بوست** » في مقالها الافتتاحي الذي كان مخصصا للحديث عن عمليات اختطاف الطائرات ونتائجها السياسية اقترحت اقامة دولة فلسطينية على وجه السرعة ، وقال المحرر : أن خلق هذه الدولة ليس معناه مكافأة الاعمال الوحشية ، وانما ارضاء التطلعات السياسية الشرعية لكل الفلسطينيين الذين يتعرضون لخداع المخربين ، ويعطي للاغلبية العظمى من الفلسطينيين الحقوق التي يجب أن تعطى لهم .

وأشارت « واشنطن بوست » الى أن الفلسطينيين يستحقون امتيازات أكبر بكثير من بعض الشعوب التي تقاسمت أجزاء صغيرة من الامبراطوريات الاوروبية القديمة بعد الحرب العالمية الثانية ، فقد عاش الفلسطينيون في حوض البحر الابيض المتوسط منذ أكثر من ألف سنة وهم يكونون كيانا ضخما وسط العالم العربي ، ويملكون الوسائل الاساسية لخلق حكومة ذاتية ، واستطردت الصحيفة قائلة : « ان كثيرا من الفلسطينيين لا يطلبون سوى صنع مستقبلهم الخاص » .

وقالت الصحيفة : أنه من غير المعقول أن تقام دولة فلسطينية على ارض بلد آخر بالاتفاق مع اسرائيل ، ويبين المحرر أن المجتمع الدولي يمكن أن يقوم بمصالحة فلسطينية — اسرائيلية ، ولكن الامر يعود في النهاية الى هذين الطرفين اللذين عليهما أن يتوصلا في النهاية الى اتفاق مباشر .

وأبدى المحرر أمله في أن يتوصل **مشروع روجرز** الى حل ايجابي في الشرق الاوسط ، وأختتم حديثه قائلا : انه بينما تعرضت ثلاث طائرات للدمار في الصحراء ، وبينما تتعرض أرواح أربعين مسافرا للخطر ، يرى بعض الاشخاص أن الوقت لم يحن بعد لمواجهة الضجة الفلسطينية بطريقة ايجابية ، أضاف المحرر أنه لن يأتي بعد ذلك وقت أكثر صلاحية من الان ، وأن أفضل طريقة لتشجيع خطف الطائرات وعمليات الإرهاب واسالة الدماء واثارة أحقاد جديدة هي الاستمرار في السياسة الدبلوماسية الروتينية ، وترك ملف القضية الفلسطينية للدراسة في أرشيف السياسة الدولية .

١٢ — وفي ١٩٧٠/٩/٢٨ ، نشرت مجلة « **تايم** » الامريكية موضوعا حول أزمة الاردن ، تحدثت من خلاله عن الفلسطينيين وعن فكرة انشاء دولة فلسطينية فقالت : « بالرغم من الخلافات والانتكاسات فسوف يستمر الفدائيون قوة فعالة في الشرق الاوسط ، ويبدو معترضة قادرة على تحطيم أية تسوية ، وفي النهاية ، وحتى **حسين** يعلم ذلك فان الطريق الوحيد لازالة هذا الخطر لا

يتم عن طريق القوة والسلاح ولكن بتحقيق المطلب الاساسى للفدائيين فى الحصول على وطن قومى فلسطينى .

اما الفلسطينيون ، وهم عموما احسن العرب تعليما وأكثرهم ثقافة ، فانهم قد يسودون — من الناحية المثالية — اعادة عقارب الساعة الى الوراء الى الايام التى سبقت تصريح بلفور المؤيد لخلق وطن قومى يهودى ، وقد يعيدون تشكيل فلسطين القديمة التى تضم : اسرائيل الحالية ، والضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة ، وقد يمنعون « الصهيونيين » ولكنهم قد يسمحون لليهود المواطنين بالمولد بالحياة معهم فى مجتمع لا دينى ، وعلى أية حال فان بعض الفلسطينيين قد يعنون بعبارة « اليهود المواطنين بالمولد » أولئك المولودين فى المنطقة قبيل ظهور اسرائيل فى عام ١٩٤٨ وذلك يعنى نسبة صغيرة من سكان اسرائيل الحاليين البالغ عددهم ٢٫٨٠٠٫٠٠٠ نسمة » .

وأضافت المجلة الامريكية : « ويعتقد كثير من الدارسين الغربيين للشرق الاوسط أن أضمن طريقة لتأمين السلام هى اقامة دولة فلسطينية ، وفى الاغلب ، فان الضفة الغربية للاردن ، التى احتلتها اسرائيل اثناء حرب ١٩٦٧ ، هى التى يجرى اقتراحها كموقع محتمل لهذه الدولة ، وعلى أية حال ، فان خبراء الشرق الاوسط فى الولايات المتحدة واسرائيل يعملون الفكر ، فى الشهور الاخيرة ، بجدية أكثر فأكثر حول احتمال مختلف للدولة الفلسطينية ، ويقترحون ما يلى : لماذا لا نحول الاردن التى كانت قبل الحرب الى مثل هذه الدولة » (٣)

وتقول المجلة الامريكية أن هذا الاقتراح لم يتعد مرحلة التخيل ، غير أن هناك مناقشات عديدة حوله : « فالفلسطينيون الذين يشكلون ثلثى سكان الاردن ليسوا مخلصين كلية لا للبلد كما هو بوضعه الحالى ولا للاسرة الهاشمية ، وهذا علاوة على أن الاردن — فيما لو بدىء به — كيان مصطنع وغير طبيعى » .

وتقول المجلة ، « وتمضى المناقشات قائلة ان حسين قد يمكنه جلب السلام الى الشرق الاوسط ، وذلك بالتنازل عن عرشه لصالح حكومة شعبية ، وعندئذ يسعد الفدائيون وتتوفر لهم المسئولية التامة ، ازاء بلد خاص بهم ، قد لا تكون هى الدولة التى يرغب فيها معظمهم ، ومما لا شك فيه أن العداوة تجاه اسرائيل سوف تبقى قوية ، غير أن من المحتم ان يجد الفلسطينيون انفسهم مضطرين للاعتراف بحتمية الدولة اليهودية وأن يعقدوا معها اتفاقا عاما للسلام » .

واستطردت المجلة قائلة : « غير أن هناك نواحى عديدة واضحة للنقص فى هذه المناقشات ، فالاردن ، والفدائيون السابقون على رأسها ، قد تهجم على اسرائيل قبل أن يسود المدافعون عن السلام فيها ، يضاف الى ذلك انه قد يحدث قتال داخلى مرير بين زعماء الانشقاقات المتنافسة ، ورغما عن الفدائيين ، فان هذه المعركة سوف يعقدهاوجودالبدوالاردنيد بن هذه المعركة سوف يعقدها وجود البدو الاردنيين الذين يمثلون ٣٥ فى المائة من السكان ، وأكبر ما يقف أمام هذه المناقشات من نواقص هو أن الملك الاردنى الصغير — طالما دام عرشه المهتز — فليست لديه النية فى تسليم عرشه الى معارضيه » .

واختتمت المجلة حديثها بقولها : « ان الفدائيين أكثر من غيرهم من أى عربى ينطبق عليهم الوصف الذى أطلقه « ت٠أ٠ لورانس » فى كتابه « اعمدة الحكمة السبعة » منذ اكثر من ٤٠ عاما ، عندما قال : « أنهم ليسوا ثابتين تماما كالماء ، وكالماء ربما يسودون فى النهاية » فهل سيسود الفدائيون فى النهاية أيضا ؟ لقد حدث ذلك بالفعل ، من ناحيةواحدة ، وهى أن العالم لن يعود ابدا الى تجاهلهم ، طالما ظلوا فى معسكراتهم ومخيماتهم دون أن يوجد على الاقل حل عقلانى لمحنتهم ، ومن ناحية أخرى فانهم لن يسودوا دون أن يحققوا عاملا واحدا من عوامل الاستقرار وذلك باحلال نوع من الواقعية الحديثة محل اصرارهم المتعصب على تدمير اسرائيل »

١٣ — وفى ١٩٧٠/١٠/٩ نقلت وكالة رويتر من القدس المحتلة خبرا يقول « ان منظمة عربية جديدة فى الضفة الغربية المحتلة فى « الجبهة الوطنية الفلسطينية » أعلنت أنها ستطلب اجراء استفتاء باشراف الامم المتحدة — لتقرير مصير الفلسطينيين فى الاراضى المحتلة ، وقالت الجبهة — التى انشئت الليلة الماضية خلال اجتماع عقده عدد من شباب الضفة الغربية — ان هدف

(٣) مما هو جدير بالذكر ان المجلة المذكورة كانت — فى نفس العدد — قد افردت جانبا من صفحاتها للحديث عن العائلة الهاشمية ، وكيفية قيامها قائلةفى نهاية هذا الحديث ما يلى : « ومقدوينستون تشرشل الذى كان عندئذ وزيرا للمستعمرات البريطانية مؤتمرا فى القاهرة عام ١٩٢١ تم فيه رسم حدود المملكة الجديدة على بعض الاراضى التى لم تكن قد خصصت لاحد قرب فلسطين وسمى البلد شرق الاردن »

الجبهة « هو الدفاع عن المصالح الشرعية والوطنية لسكان الضفة الغربية الذين يريدون تقرير مصيرهم بأنفسهم » وذكرت مصادر مطلعة أن أعضاء الجبهة غير معروفين بعد ، لكن يعتقد أنهم من المحامين والمهنيين والمفكرين ، ونقلت وكالة اسوشيتد برس عن مراقبين فى القدس قولهم ان الجبهة تريد اقامة زعامة مستقلة فى الضفة الغربية وأنها ترفض زعامة الملك حسين والمنظمات الفدائية » .

١٤ — وفى ٧/١٠/١٩٧٠ اذاع راديو اسرائيل ندوة اختلفت فيها الاراء عما اذا كان قد أصبح من المناسب تشجيع اقامة حكم ذاتى سياسى فى الضفة الغربية ، وقد رأى « **موشى كول** » وزير السياحة أنه يجب على اسرائيل أن تشجع اقامة تمثيل سياسى لفلسطين فى الضفة الغربية ليكون طرفا ثانيا فى مواجهة الفدائيين .

ويرى « **كول** » أن من الافضل الا تصبح الضفة الغربية بين أحد الامرين : اما الخضوع للملك حسين أو للسيد ياسر عرفات ، ونادى كول باقامة جمعية لممثلى السكان فى الضفة الغربية ، ونادى كذلك بزيادة التنمية الاقتصادية والاجتماعية التى تقوم بها اسرائيل فى هذه المنطقة ، وفى رأى الوزير الاسرائيلى أن الظروف قد أصبحت مناسبة جدا لكى يبدأ الاسرائيليون .

أما « **يوسف بورج** » وزير الداخلية فقد رأى أنه ليس من الشرف أن تبدأ اسرائيل ، وقال انه يجب ترك الامور الى أن تنضج مع تشجيع مرحلة ديموقراطية تؤدى الى الحكم الذاتى مثل انتخابات بلدية .

وقد بين المعلق السياسى الذى كان يدير المناقشة أن **ايجال الون** نائب رئيسة الوزراء ، وكذلك وزراء جبهة العمال يحبذون الحكم الذاتى ، اما الوزراء الدينيون وشلومو وزير الشرطة فانهم يعارضون هذا الحكم ، ويبدو أن موشى ديان يميل الى الجانب الاخر .

١٥ — وفى ١٣ / ١٠ / ١٩٧٠ ، نشرت صحيفة الاهرام نص الحديث الذى اجراه الاستاذ **محمد حسنين هيكل** وزير الارشاد القومى فى ج.ع.م مع مراسل صحيفة « التايمز » البريطانية جاء فيه .

سؤال : وماذا عن الدولة المنفصلة للفلسطينيين ؟

هيكل : هناك الكثير مما يقال عن دولة منفصلة للفلسطينيين ، ولكنك تعرف أن هذه الدولة لا يمكن ان تخلقها اسرائيل ، بل ولا يمكن أن تخلق فى ظل الاحتلال الاسرائيلى ، واننى أؤيد بكل قلبى قيام دولة فلسطينية ، ولكن السؤال هو : متى يكون ذلك ؟ فالدولة التى تخلق فى ظل الاحتلال الاسرائيلى لا تكون دولة ، وانما تكون دولة تابعة ، بل انها تكون فعلا أسوأ من المستعمرة ، وستكون هذه خيانة ، أن الخطوة الاولى هى أن يزول كابوس الاحتلال الصهيونى ثم يرجع الامر بعد ذلك الى الفلسطينيين ليقرروا ما يريدون » .

١٦ — وفى ١٥/١٠/١٩٧٠ ، أعلن « **جون كينج** » المتحدث باسم وزارة الخارجية الامريكية أنه يجب ان يكون الفلسطينيون شركاء فى اية تسوية لازمة الشرق الاوسط ، وأن نحترم مصالحهم المشروعة وامالهم .

وقد لاحظ المراقبون ان هذه هى المرة الاولى التى يلقى فيها الفلسطينيون الاهتمام من جانب وزارة الخارجية الامريكية ، ولوحظ أيضا ان « كينج » لم يستخدم كلمة « اللاجئين » التى كانت الولايات المتحدة تشير بها دائما الى الفلسطينيين ، بل ردد كلمة « الفلسطينيين » ٤ مرات فى تصريحه المكتوب .

وفى ١٦/١٠/١٩٧٠ نشرت مجلة « **جويش لوبزرفر** » مقالا ذكرت فيه أن **جولدا مائير تترأس** لجنة وزارية هدفها القيام بدراسة دقيقة للاقتراحات الخاصة « بمنح عرب الضفة الغربية درجة من الاستقلال الذاتى » وقالت المجلة ان مائير لم تعد تعارض قيام « دولة فلسطينية » بشرط أن تكون عبر النهر ، كما ذكرت المجلة أن تطورات هامة حدثت بالنسبة لفكرة الدولة الفلسطينية حين وافق أيجال آلون من حيث المبدأ على انشاء جامعة فى الضفة الغربية ، وحين أعلن موشى كول موافقته على اعطاء الفلسطينيين فى الضفة الغربية حق الاشراف الكامل على شئون الاقتصاد والانماء والتعليم .

ومن أهم ماورد فى المقال المذكور قول المجلة «ان القنصليتين الامريكية والبريطانية فى القدس قد باشرتا اتصالات غير رسمية مع أعيان الضفة الغربية حول الدولة الفلسطينية ، وان هذه الاتصالات اثبتت ان الفلسطينيين لا يؤيدون الملك حسين ولكنهم فى نفس الوقت لا يرغبون فى اقامة دولة منفصلة فى الضفة الغربية » .

وفى ٢١/١٠/١٩٧٠ ، أدلى السيد **قدرى طوقان** بتصريحات فى مطار اللد ، بعد عودته من القاهرة على رأس وفد لتقديم التعزية فى وفاة الرئيس عبد الناصر ، بالنيابة عن سكان الارض المحتلة ، وقد سئل هل اثيرت مسألة انشاء دولة فلسطينية خلال اجتماع الوفد بالرئيس السادات ، فأجاب : «ستكون

مستعدين للبحث فى مثل هذه المسائل بعدما تنسحب اسرائيل من الاراضى المحتلة ، ولن تتحدث عن هذه الامور ولن نوافق على أى شىء أو على أى تغيير، أو على كيان فلسطينى ، أو على حكم ذاتى قبل انسحاب اسرائيل » .

وفى ١٩٧٠/١٠/٢١ ، نشرت صحيفة الجيروزاليم بوست وقائع مؤتمر صحفى عقده ابا ايبان ذكر فيه النقاط التالية :

● ان الاردن هى دولة الفلسطينيين منذ حوالى ٢٢ عاما لانهم يشكلون غالبية السكان .

● فى حالة التوصل الى اتفاقية سلام فانه لا يعنى اسرائيل ما يكون عليه اسم الدولة الواقعة على حدودها الشرقية ، ان هذه الدولة بغض النظر عن حدودها ستكون فلسطينية الطابع .

● ان اسرائيل لا تمانع ان يكون بين وفد مفاوضات السلام الاردنى عناصر فلسطينية من الضفة الغربية .

وفى ١٩٧٠/١١/٩ . نشرت صحيفة الاهرام نص ما دار فى المؤتمر الصحفى الذى عقده السيد **ياسر عرفات** ، جاء فيه : « ان المخطط الامريكى الاسرائيلى يسعى الان لاقامة « الدولة الفلسطينية المرتبطة باسرائيل » .. هذه الاوقات ترتفع نغمة مشبوهة تقول كفاكم معارك وكفاكم القتال . الحل الوحيد للمشكلة الفلسطينية هو اقامة الدولة الفلسطينية فى الضفة الغربية أو الضفة الغربية وقطاع غزة ، وهذا هو أخطر المشاريع ، وانني باسم الثورة الفلسطينية أعلن أننا سنقاوم انشاء هذه الدولة حتى آخر رجل فى الشعب الفلسطينى — فيوم يتحقق انشاء هذه الدولة فهذا معناه انتهاء القضية الفلسطينية بأكملها .

وفى ١٩٧٠/١١/١١ هاجم **سليمان النابلسى** — رئيس التجمع الوطنى الاردنى — مشروع تأليف دولة فلسطينية تشمل الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة ، ووصفه بأنه « مؤامرة جديدة » ، وأضاف فى تصريح نشر فى نفس اليوم فى صحيفة « فتح » فى عمان « ان المشروع ليس الا مؤامرة صهيونية تدعمها الامبريالية للسيطرة على الضفة الغربية وغزة ، واذا رأت مثل هذه الدولة النور فستكون تل ابيب هى المنتفعة الوحيدة » .

وفى ١٩٧٠/١١/١٢ : أدلى **ياسر عرفات** بتصريح أعلن فيه رفض الفدائيين لفكرة انشاء كيان فلسطينى فى الضفة الغربية المحتلة ، وقال انه رفض نهائيا الاقتراحات التى قدمت اليه من عدة شخصيات عربية من الضفة الغربية المحتلة لفصل الضفة الغربية عن الاردن وانشاء دولة فلسطينية عليها .

وقال ان هؤلاء الاشخاص — الذين لم يذكر أسماءهم — جاءوا لاخذ رأيه فى عقد مؤتمر فى الارض المحتلة من أجل بحث هذا الموضوع وقالوا ان ذلك سوف يتم بموافقة اسرائيل ، وقال انه رد على هذه الشخصيات بقوله : « علينا أن نفكر ما هى مصلحة السلطات الاسرائيلية فى عقد هذا المؤتمر والى أى حد يخدم مخططاتها » . وأضاف : « نحن لسنا خونة ولن نكون ، ولا يمكن ان ندفع لاقامة دولة فلسطينية ممسوخة تكون منفصلة عازلة ، ولا تكون فى مصلحة الثورة الفلسطينية »

وفى ١٩٧٠/١١/١٤ أدلى **ياسر عرفات** لدى وصوله الى الرباط — بتصريح حول فكرة انشاء الدولة الفلسطينية قال فيه : « ان هذه الفكرة الاسرائيلية تهدف الى تصفية الثورة الفلسطينية ونحن ضد أى اقتراح تقدمه اسرائيل أو أية دولة أخرى بشأن انشاء دولة فلسطينية ما لم يكن هذا الاقتراح نابعا من مبادىء الثورة الفلسطينية ومن الشعار الذى رفعته الثورة وهو انشاء دولة فلسطين الديمقراطية »

وفى ١٩٧٠/١١/٢٣ نشرت صحيفة النهار اللبنانية مقابلة صحفية مع الملك حسين جاء فيها ما يلى

سؤال — الدولة الفلسطينية موضوع موسمى يغيب ثم يظهر ، فى أى اطار يتحرك المطالبون بدولة فلسطينية ؟

جواب — احاديث كثيرة ، آراء كثيرة حول هذا الموضوع ، لدى شعور بوجوب البحث الجدى فى الموضوع ككل ، فى كل أبعاده ، فى مخاطره ، فى محاسنه ان وجدت ، على مستوى قمة عربية . وسأتخذ اجراء قريبا فى هذا الشأن بالاتصال مع الاخوة الرؤساء والملوك العرب لتبادل الرأى ، أو الاختلاف فيه ، حول موضوع يجب الا يقوم من دون وجود خط يقف عليه العرب جميعا .

اسرائيل حاولت استغلال كل الظروف لتقول ان القضية هى بينها وبين الشعب الفلسطينى ، وقد ركزت كثيرا على موضوع الكيان .

قد تكون هناك آراء فى أجزاء من الوطن العربى ، وفى هذا المجال بالذات لا يستطيع الانسان تحديدها بل يستمع اليها ويشاهد بعض آثارها ، الموقف الذى نتخذه ، والذى سنعلن عنه قريبا ، يهدف الى أن يدرك العرب ما اذا كان عليهم أن يغيروا بشكل من الاشكال ، وهذا يتطلب اجتماعا على مستوى عال ، وارى من العار القول الان ، وبعد احتلال كل فلسطين ومعها أراض

عربية ، أن القضية هى قضية فلسطينية وأن الشعب الفلسطينى يستطيع أن يقاوم وحده ، نحن هنا نقف فى وجه كل محاولة لتمزيق وحدتنا الوطنية خاصة لان مشروع الدولة الفلسطينية الذى يتحدثون عنه قاومه أولا أهلنا فى الضفة الغربية .

ان أراد الشعب الفلسطينى أن يعبر عن أى رأى أو أى اتجاه ، فان هذا يجب أن يتم بعد تحرير الارض المحتلة ، لاننى لا أعرف كيف سيعبر عن رأيه وهو فى ظل الاحتلال القائم ، عندى مخاوف ، أقولها بصراحة ، من أن مثل هذه الاتجاهات قد تمزق الشعب وتضعفه فى وجه العدو ، وبالتالى تضعف المجموعة العربية لان لها علاقة مباشرة بمصيره .

— وفى ١٩٧٠/١١/٢٨ : اصدرت الجبهة الشعبية الديموقراطية لتحرير فلسطين بيانا فى بيروت قالت فيه « ان التآمر بلغ ذروته لإقامة الدولة الفلسطينية العميلة » ، ودعت الى رفض الفكرة والنضال من أجل وحدة ضفتى نهر الاردن .

— وفى ١٩٧٠/١٢/٦ : اعلن الملك حسين — فى مؤتمر صحفى فى لندن — انه لايستبعد احتمال فصل الضفة الغربية المحتلة من الاردن عن الضفة الشرقية كجزء من تسوية سلمية شاملة لازمة الشرق الاوسط ترتكز على قرار مجلس الامن الدولى . وقال « ان مستقبل الضفة الغربية يحدد بعد — وليس قبل — تسوية عامة للنزاع وفقا لقرار مجلس الامن . وحينئذ فقط يمكن اعادة النظر فى المسالة كلها ، دون استبعاد شىء حتى احتمال فصل الضفة الغربية عن الاردن » .

واضاف جلالته : « ان فلسطين كلها تحت الاحتلال الان ، وليست هناك طريقة حقيقية لكى يمارس الشعب الفلسطينى حق تقرير المصير » وذكر أنه لهذا السبب دعا الزعماء العرب الى عقد مؤتمر قمة للبحث فى القضية الفلسطينية .

— وفى ١٩٧٠/١٢/٧ : وجه « حمدى كنعان » رئيس بلدية نابلس السابق واحد السياسيين البارزين فى الضفة الغربية المحتلة مذكرة الى الملك حسين والحكومة الاردنية طالب فيها باستقلال الضفة الغربية المحتلة للاردن ، بشكل فورى وكامل ، لان هذا الاستقلال « حق مقدس » لاهالى الضفة الغربية ، ولانه الحل الوحيد الذى يقبلونه .

ويؤيد كنعان وحدة الضفتين الغربية والشرقية ولكن ليس بالشكل الذى كانت عليه قبل حرب يونيو ١٩٦٧ . ودعا فى مذكرة الى تعديل الدستور الاردنى من اجل خلق دولة « اردنية اتحادية » « وهو حل اثبت قيمته فى عدد من مناطق العالم » . واضاف « اننا نرفض وحدة الضفتين على أساس الضم ، ونرغب فى وحدة عادلة بين الضفتين » .

وقال انه بدلا من ان توجه السلطات الاردنية التهديدات ، وتتهم بالخيانة الذين ينادون بالكيان الفلسطينى فان على هذه السلطات أن تسهل قيام مثل هذا الاتحاد بين الضفتين . وأعاد الى الاذهان ان الملك حسين أعرب عدة مرات عن استعداده لمنح أهالى الضفة الغربية الاستقلال الذاتى بعد انسحاب القوات الاسرائيلية ، وتساءل : « لماذا لايمنح هذا الاستقلال الذاتى الان لاتاحة المجال أمام الفلسطينيين كي يفيدوا منه ؟ » .

واعلن كنعان رفضه فكرة « الكيان الفلسطينى » الذى اقترحه عن نية حسنة بعض أعيان الضفة الغربية الراغبين فى منع الاسرائيليين من خلق أمر واقع . واعتبر أن الحل الاتحادى هو الوحيد الممكن قبوله .

— وفى ١٩٧٠/١٢/٨ : أعلن السيد قدرى طوقان ، وزير الخارجية الاردنى السابق ، أن اغلب الفلسطينيين يرفضون فكرة « الكيان » المنفصل ويؤيدون وحدة ضفتى الاردن ، لكن الفلسطينيين يعتبرون أن الضفة الشرقية هى التى يجب أن تتحد مع الضفة الغربية ، وليس العكس ، لان ٨٠٪ من سكان الاردن فلسطينيون.

— وفى ١٩٧٠/١٢/٩ ، قدم مجلسا الاعيان والنواب الى الامير حسن ولى عهد الاردن ونائب الملك رديهما على خطاب العرش الذى القاه الامير فى افتتاح الدورة العادية لمجلس الامة فى ١٢/٣ . وقد استنكر المجلسان مشروع اقامة دولة فلسطينية فى الاراضى التى تحتلها اسرائيل ، ووصفاه بأنه مؤامرة على وحدة ضفتى الاردن وتصفية لقضية فلسطين .

— وفى ١٩٧٠/١٢/١٠ : أعلن الملك حسين — فى مؤتمر صحفى فى واشنطون — أن قضية انشاء دولة منفصلة للفلسطينيين هى الان قيد الدرس على أعلى المستويات فى العالم العربى » لكنه أضاف ان مثل هذا الامر غير وارد فى هذه المرحلة . وقال « ان موقفنا الاساسى هو أنه يجب اولا الوصول الى حل ، وبعد ذلك يمكننا أن نرى ماذا يريد الجميع أن يفعلوا فى المستقبل ضمن نطاق الاسرة الاردنية » ، ورفض بشدة أية فكرة للتفاوض مع اسرائيل حول أية تسوية منفصلة .

ـ وفى ١٩٧٠/١٢/١٣ : ذكرت صحيفة « فتح » فى نبأ خاص بها ان اجتماعا حضره عرب من المناطق المحتلة وزعماء اسرائيليون قد عقد حديثا فى « ناتانيا » للبحث فى اقامة دولة فلسطينيه . وقالت ان عددا من دعاة اقامة هذا الكيان فى المناطق المحتلة حضروا الاجتماع الذى شارك فيه الجنرال موشى ديان والجنرال حاييم بارليف . واضافت انه جرى خلال الاجتماع البحث فى كيفية اخراج مشروع الدولة الفلسطينية الى النور .

ـ وفى ١٩٧٠/١٢/١٥ : فى اجتماع للطلبة الفلسطينيين فى القاهرة ، قال السيد فاروق القدومى ـ احد قادة فتح وعضو اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ـ فى وصف الاقتراحات الداعية الى انشاء دولة فلسطينية انها « مؤامرة لبلقنة منطقة الشرق الاوسط بخلق صراعات بين دول المنطقة .

ـ وفى ١٩٧١/١/٢ : اعلن السيد وصفى التل ـ رئيس وزراء الاردن ـ فى بيانه الوزارى أمام مجلس النواب ، تصميم الاردن على مقاومة المشروعات الحالية لاقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية المحتلة . وقال : « اننا سوف نستخدم كل مافى استطاعتنا لمنع قيام مثل هذه الدولة » . ووصف التل هذا المشروع بأنه خطوة من أجل تمييع القضية الفلسطينية . وأضاف : « وستمد الحكومة يد التعاون الوثيق مع اشقائنا لنقطع الطريق على مكر العدو وتخطيطه الرهيب ومؤامراته المدمرة » .

ـ وفى ١٩٧١/٢/١ : نشرت صحيفة « الحياة » البيروتية ان وفدا من فلسطينيي الضفة الغربية وصل الى بيروت لاجراء اتصالات مع المنظمات الفدائية لاستخراج رأيها فى مقترحات جديدة ترمى الى ايجاد تسوية سلمية للقضية . وقالت الصحيفة انه علم أن وزير الدفاع الاسرائيلى كان قد استدعى الشخصيات التى يتألف منها الوفد وحملها على حمل هذه المقترحات الى الفلسطينيين خارج الارض المحتلة . وتشترط هذه المقترحات أن تتم التسوية مع الفلسطينيين مباشرة بعيدا عن الدول العربية والضغوط الدولية .

ـ وفى ١٩٧١/٢/٨ : دعا « فيليب ديفييه » المعلق السياسى والاستاذ الجامعى الفرنسى .. الى اقامة اتحاد فيدرالى فى فلسطين من دولتين عربية واسرائيلية ، تحتفظ فيه كل دولة بقدر من الاستقلال الذاتى ، وذلك كحل نهائى لازمة الشرق الاوسط .

وأضاف ديفييه ـ فى مقال فى مجلة « جون افريك » ان هذا الحل قد يتطلب عشرة أو عشرين عاما من الجهد والعناء . واقترح أن تحتفظ كل من الدولتين العربية والاسرائيلية داخل هذا الاتحاد الفدرالى بحقوقها الدفاعية كاملة ، فيمكنها أن تشترى السلاح حيثما ترغب ، على أن يعترف الاعضاء الدائمون فى مجلس الامن بالحدود ويضمنونها .

ـ وفى منتصف فبراير ١٩٧١ : قال الرئيس انور السادات فى حديث مع ارنو دى بورشجريف كبير مراسلى مجلة نيوزويك :

سؤال : لايزال ثمة لبس كثير بشأن المشكلة الفلسطينية . ماهو أعتراضكم على توفير تعويضات مالية كافية للاجئين الفلسطينيين مع اجراء استفتاء فى الضفة الغربية وغزة لتقرير ما اذا كان الفلسطينيون يريدون دولة مستقلة تتحد اتحادا فيدراليا أو كونفدراليا مع الاردن أو يبقون جزءا لا يتجزأ من الاردن ؟

الرئيس السادات : لست فى حل من أن أقرر شيئا للفلسطينيين . لابد أن يقرروا هم بأنفسهم لانفسهم .

ـ وفى ١٩٧١/٢/١٨ : نشرت احدى صحف لبنان أن بعثة أمريكية علمية ، تضم عددا من أساتذة الجامعات برئاسة البروفيسور « روجر فيشر » أستاذ القانون بجامعة هارفارد ، قامت بتقصى الحقائق حول احتمالات السلام فى المنطقة ، وقد توصلت الى أن اقل مايمكن أن يرضى به الفلسطينيون فى اطار تسوية لازمة الشرق الاوسط ، هو اقامة وطن قومى لهم يشمل الضفتين الشرقية والغربية لنهر الاردن وقطاع غزة . والمعروف أن البروفيسور فيشر هو صديق شخصى « لهنرى كيسنجر » مستشار نيكسون لشئون الامن القومى .

ـ وفى ١٩٧١/٢/١٨ : اذاع راديو عمان أن الحكومة الاردنية ليست مستعدة لبحث مسألة الدولة الفلسطينية ، وانه لم تحدث اية لقاءات أو احاديث على أى مستوى من المستويات بين الحكومة واية جهة أخرى فى هذا الشأن .

ـ وفى ١٩٧١/٣/٤ : أنهى المجلس الوطنى الفلسطينى اجتماعات دورته الثامنة فى القاهرة برفض مشاريع الدولة الفلسطينية والتأكيد على استراتيجية الحرب الشعبية طريقا لتحرير كل الاراضى الفلسطينية .



الغاء المستحضرات المتكررة وتخفيض عدد الاصناف

لم يكن من السهل أو من الحكمة أن تقوم المؤسسة والشركات بالغاء أو تقليل عدد الأصناف المكررة وخاصة بعد سحب تراخيص المصانع الصغيرة ومنع تصنيع الادوية فى الصيدليات حتى لا ينتج عن ذلك نقص مفاجىء فى الادوية ، الا أنه فى ضوء الدراسات التفصيلية التى قامت بها المؤسسة للاصناف المنتجة فى كل شركة حسب المجموعات الدوائية تقرر الغاء الكثير من الاصناف التى تبين أنها راكدة او بطل استعمالها ، أو أن تراكيبها تحتوى على عناصر غير متناسبة او أن لها مثيل فى نفس الشركة .

تطور الاستهلاك ونصيب الفرد

زادت معدلات الاستهلاك من الدواء بالبلاد فى السنوات الاخيرة زيادة مضطردة وترجع أسبابه .

١ — زيادة متوسط دخل الفرد نتيجة القرارات الاشتراكية وتنفيذ خطة التنمية
٢ — تخفيض أسعار الادوية المستوردة بمقدار ٢٥٪ وتخفيض عدد من الاصناف المحلية .

٣ — التوسع فى الخدمات الصحية .
٤ — ارتفاع الوعى الصحى .

نتيجة لاهتمام وسائل الاعلام والتوعية الطبية ، سواء بالاذاعة أو التليفزيون أو الصحافة أو عن طريق المحاضرات فى المستشفيات العامة أو النقابات .

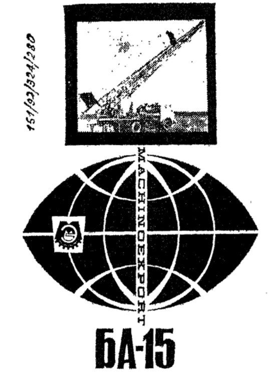
٥ — اتجاه الاطباء الى تفضيل الادوية الجاهزة على الادوية المركبة .

٦ — سهولة الحصول على أى دواء من أى صيدلية مما يدفع المواطنين الى استعمال الكثير من الادوية دون استشارة الطبيب .

وأمكن للانتاج المحلى أن يغطى احتياجات القطاع الحكومى سواء للتموين الطبى أو الوحدات الريفية أو المجمعة أو المستشفيات الجامعية أو التامين الصحى وغيرها من القطاعات .

زيادة نصيب الفرد من الدواء

بالرغم من التخفيضات المتتالية فى أسعار الدواء فقد زاد نصيب الفرد من الدواء من ٢٢ قرشا سنة ١٩٥٢ الى ١٣٧ قرشا سنة ١٩٧٠/٦٩ كنتيجة حتمية لزيادة عدد المنشآت الصحية والتوسع فى نظام الوحدات الريفية وما ترتب على ذلك من زيادة الخدمات الطبية فى المناطق التى كانت محرومة فعلا من الخدمات الطبية وكذلك نتيجة لتنفيذ مشروع التأمين الصحى بين السكان مع زيادة دخول الافراد نتيجة لتنفيذ مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية .



مؤسسة ماشينو اكسبورت

السوفيتية

تسهل حصولكم على البترول
والغازات والماء في الوقت
والمكان المناسب حيث تورد
العربات الحفارة
ذاتية الحركة

ON THE MOVE... ON TIME... WHERE YOU WANT IT
WHERE OIL (OR WATER, OR GAS) WAITS —
— TO BE DISCOVERED...

BA - 15 MOBILE TRUCK-TRAILER TRAIN-MOUNTED DRILLING RIG

For efficient rotary drilling of vertical wells - for oil, gas or water prospecting - with water - flushed well face

Drive - from the powerful Diesel engine of the truck - through the five-gear transmission of the truck

Available in two modifications :

IBA15V - for drilling water prospecting wells
IBA15N - for drilling oil - or gas prospecting wells

Performance Data :	IBA15V	IBA15N
Rated drilling depth, m :		
with drill pipes 73 mm (2 7/8") in dia	up to 500	—
with drill pipes 60,3 mm in dia.	—	up to 1,000
Initial borehole diameter, mm	450	250
Final borehole diameter	190	100

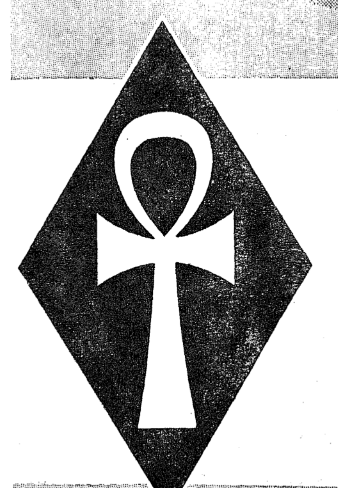
Fuller information awaiting on request.
Write to :

V/O MACHINOEXPORT
Moscow V-330 USSR
Telex : 207.

الوكلاء في ج.ع.م

شركة النصر للتصدير والاستيراد ٣٧ شارع طلعت حرب - القاهرة

مفتاح الحياة
عند قدماء المصريين



رمز
كيما
للجودة
والانطلاق

بإنتاجها الجديد

نتروكيما ٣١٪ آزوت

أعلى نسبة في الآزوت تضاعف
خيرات أرضنا الطيبة وترفع
مستوى الإنتاج الزراعي

شركة الصناعات الكيماوية المصرية «كيما» بأسوان

إحدى شركات المؤسسة المصرية
العامة للصناعات الكيماوية

مطابع الأهرام التجارية


Bibliotheca Alexandrina
0535793